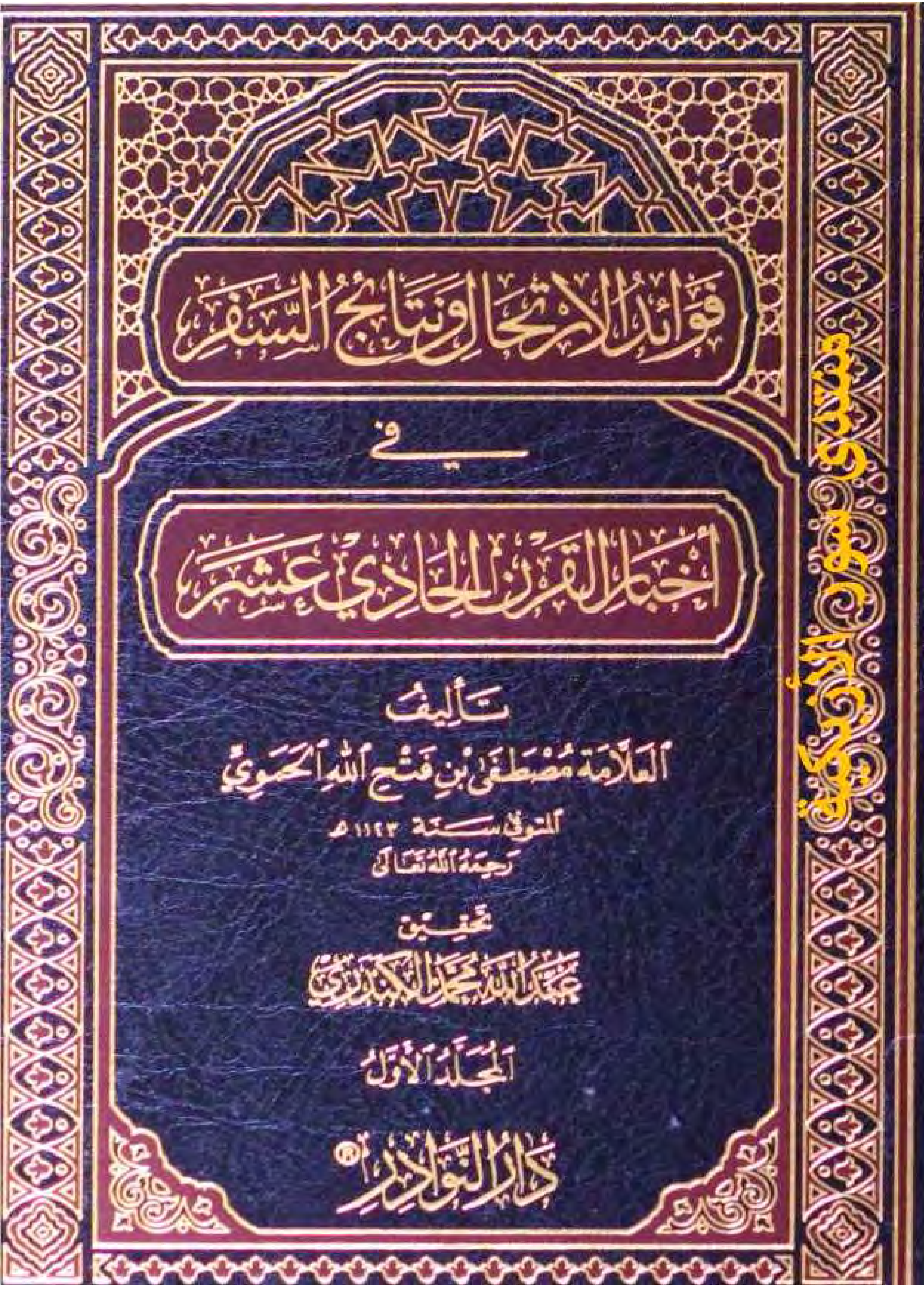


فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر
تأليف
العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي
المتوفى سنة ١١٢٣ هـ
رحمه الله تعالى
تحقيق
عبد الله محمد الكندري
المجلد الأول
دار النوادر






فوائد الارتحال ونتائج السفر

في

أخبار القرن الحادي عشر

(١)

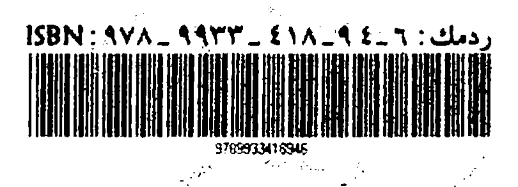






الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٩٧٨ - ٩٩٣٣ - ٤١٨ - ٩٤ - ٦ : ISBN





سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النوادر م.ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش.م.م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية ذ.م.م - الكويت
سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص. ب: ٤٣١٦ حولي - الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦
هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com   info@daralnawader.com

أسسها سنة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م نور الدين طالب المدير العام والرئيس التنفيذي







فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٣ هـ

رحمه الله تعالى

المجلد الأول

تحقيق

عبد الله محمد الكندري

دار النوادر®







بسم الله الرحمن الرحيم







إهداء ووفاء

روى الإمام الطبراني رحمه الله تعالى في «معجمه الكبير»، عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلون على معلم الناس الخير».

لذا أحببت أن أختم عملي في هذا الكتاب، بأن أهديه إلى «معلم الناس الخير» أستاذي ومعلمي الأستاذ «أحمد درماز» اختصاصي المخطوطات بجامعة الكويت، راجيا الله ﷻ أن يبارك له في علمه، ويتقبل منه صالح عمله، اللهم آمين.

المحقق: أبو يحيى عبد الله الكندري




شكر وتقدير

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، أحقُّ من حُمد، وأعظمُ من شُكر، وأعزُّ من ذُكر، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد عند الرضا، ولك الحمد بعده، حمداً يوافي نعمك، ويكافئ معروفك وقديمَ إحسانك، فلله الحمد والشكر والثناء كله، على ما يسر من خير ورزَق وفضل، والعلمُ جزء من الرزق، فالحمد لله ربِّ العالمين.

وأحقُّ الناس بالدعاء له بكل خير على هذا العمل: مصنفُ هذا الكتاب، **الشيخُ مصطفى بن فتح الله الحموي ـ رحمه الله تعالى ـ**، **ومن بعده: مَنْ نسخها مثل الشيخ محمد بن قناوي بن محمد ـ رحمه الله تعالى ـ**.

والدعاء موصول لمن تفضَّل بإهداء النسخة المخطوطة من الكتاب إلى مكتبة المخطوطات بجامعة الكويت، **الأخ المفضال الشيخ أبو عايض صلاح عايض الشلاحي**، ولقد كان ـ حفظه الله ورعاه ـ من أول الداعين للعمل بهذا الكتاب، بالإضافة لما يتكرم به كعوائده الجميلة، من إعارة للإخوان للمراجع والمصادر، من مكتبته الزاهرة، فشكر الله له ما تفضل به، وجعله في ميزان حسناته، اللهم آمين.

وإذا ذكرنا أهل الفضل والمعونة على الخير، فلا بد لنا أن نجدد الدعاء

للشيخ الفاضل أبي ناصر محمد ناصر العجمي، والشيخ الفاضل والأخ الكريم أبي الحارث فيصل يوسف العلي، وما كان لمشورتهما في النظر في هذا الكتاب، والتشجيع على العمل به أعظم الأثر، فشكر الله لهما، وأجزل لهما المثوبة في الدارين، اللهم آمين.

ولا أنسى أخيراً ـ وبالخير تختتم الصالحات ـ ما كنت أتلقاه من لطفٍ وحسن مناصحةٍ، من الإخوة الأفاضل بمكتبة المخطوطات بجامعة الكويت، بدايةً من رئيس قسم المجموعات الخاصة، الأخ الكريم أبي عبد الرحمن حسن عبد الرحمن الحيدر، والأستاذ الفاضل أحمد دورماز، والأستاذ الفاضل أبي أنور عبدالله راشد العازمي، المختصين بالمخطوطات بجامعة الكويت، بدايةً من تيسير تصوير المخطوط، إلى تسهيل استعارة المراجع الخاصة بالبحث والدراسة، بالإضافة إلى التشجيع الدائم، والذي لولا الله ﷻ، ثم تشجيعهم، لتقاصرت الهمم عن هذا العمل المضني، فشكر الله ﷻ للجميع ما تفضلوا به، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، اللهم آمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

❑ ❑ ❑




ترجمة المصنف رحمه الله تعالى

مصطفى بن فتح الله الحموي

(ت/ ١١٢٣ هـ)

يعد الكتاب الذي بين أيدينا **«فوائد الارتحال ونتائج السفر في أعيان القرن الحادي عشر»** مصدراً مهماً ومرجعاً خاصاً لحياة المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ، فالأعلام المذكورون فيه من معاصري المصنف وأصحابه ومشايخه، زارهم في ديارهم، وشاركهم في أخبارهم.

وتنقل في البلاد، من الشام والحجاز واليمن، حتى بلغ القسطنطينية، يسجل ويدون أحوالَ من يلتقي بهم، فقد راسلهم وكاتبهم، وردوا عليه، وأثنوا على صحبته، واطلعوا على كتابه هذا بخاصة، وأفادوه في كثير من تراجمه، وكما دون هو أخبار من سبقوه، فقد كان هو ـ نفسه ـ خبراً في كتب من جاؤوا بعده.

ومن ألطف من ترجم له من المتأخرين: محمد بن محمد بن يحيى زبارة الصنعاني ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «نشر العَرْف لنبلاء اليمن بعد الألف»؛ فقد جمع ترجمة المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ من المصادر التي ذكرتها، وصاغها بأسلوب جامعٍ لطيف، فقال: الشيخ، العلامة الرحالة، المؤرخ، الأديب، مصطفى بن فتح الله الحموي المكي، ثم اليمني، ولد في

حماة، ورحل منها إلى دمشق، وأخذ عمن بها من العلماء، ثم رحل إلى مكة فاستوطنها.

ومن مشايخه: إبراهيم الكوراني، وشاهين الأرمناوي، والشهاب أحمد البشبيشي، والعجمي، والبابلي، والنخلي، والثعالبي، والبصري، والشبراملسي، والمزاحي، ومحمد الشلبي ـ رحمهم الله تعالى ـ، ونحوهم من أكابر علماء عصره بالحجاز والشام. انتهى. «وكل هؤلاء ترجم لهم المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه الذي بين أيدينا».

وترجمه السيد إبراهيم الحوثي الصنعاني ـ رحمه الله تعالى ـ في «نفحات العنبر»، فقال: كان عالماً أديباً مؤرخاً، وفد صنعاء في سنة (١١٠٨هـ) بتجارة، فعاشر أهلها، وصاحب أعيانها، وطارح أدباءها، وتكاتب هو والقاضي علي بن محمد العنسي، والسيد عبدالله بن علي الوزير، والسيد محمد بن الحسن الحمزي الكوكباني ـ رحمهم الله تعالى ـ، وغيرهم من الفضلاء، واعترفوا بفضله، ولم يبق أحد ممن يشار إليه إلا كاتبه وصاحبه.

وكان حسن المروءة والعشرة، طيب الأخلاق، فخف على القلوب، ولبث بصنعاء اليمن برهة، ولم يزل يتردد إلى الخضراء برداع على حضرة صاحب المواهب، وعاد إلى وطنه مكة، ثم رجع إلى اليمن، ونزل بمدينة ذمار، فمات بها في سنة (١١١٧، أو ١١١٨هـ)، وله تاريخ سماه: **«فوائد الرحلة والسفر في أهل القرن الحادي عشر»**، ترجم فيه لفضلاء اليمن والعراق والشام، الذين لقيهم في أسفاره إلى تلك البلدان، ومن شعره قوله في قصيدة:

أَوْدَى بــه العــشقُ وأشــجانُه ... والحــبُّ لا يمكــنُ كتمانُــهُ

وذابَ قلبـي مـن هَـوَى شـادِنٍ حَـلَّ بـصنعا عَـزَّ سُلوانُـهُ
يوسف حسن بـي مـن هَجْـره بكـاءُ يعقـوبَ وأحزانُـهُ

وترجمه السيد محمد خليل المرادي الدمشقي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»، فقال: الشيخ العالم الفاضل، الأديب البارع، المتفنن الأوحد، الشافعي، مؤرخ مكة، له التاريخ الحافل الذي سماه: **«فوائد الارتحال ونتائج السفر في تراجم فضلاء القرن الحادي عشر»**، وهو تاريخ حافل في ثلاثة مجلدات، وله غير ذلك، وكانت وفاته في سنة (١١٢٣هـ).

وترجمه أيضا الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي المصري ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، فقال: الإمام المحدِّث الإخباري، الحنفي المكي، له رحلة إلى اليمن، توسع في الأخذ عن أهلها، وألف كتاباً في وفيات الأعيان سماه: **«فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»**، توفي سنة (١١٢٤هـ)، حدث عنه السيد عمر بن عقيل العلوي.

وذكر القاضي أحمد بن محمد قاطن ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «دمية القصر»: أن السيد محمد بن الحسين الحمزي الكوكباني كتب إلى صاحب الترجمة الشيخ مصطفى الحموي هذه القصيدة:

نصحْتُ ولكن أين من يقبلُ النُّصحا وحاولتُ إرشادَ العميدِ فما أَصْحَى
وهَبْ أنه قـد صـحَّ عنـدَك رشـدُه أفي وسعِه أن يملكَ الدمعَ إن سَحَّا؟
فيا طالَما أضحى من الشوق ساكباً مدامعَ عينيهِ وأمسى كما أَضْحى

يحـنُّ إلـى نَجْـدٍ فيبكـي صـبابةً   فها هو في الحالين قد أَلِفَ السَّفْحا
لَحا اللهُ من يلحو فَتـىً ظَـلَّ وقتَـهُ   صريعاً بكأس الحبِّ ما مثلُهُ يُلْحى

ومنها:

هجرتُ القوافي إذ تصدَّى بـصدِّه   فؤادي فلم أنظِمْ نـسيباً ولا مَـدْحا
وقد كان سَدُّ الباب أولَى فمذْ أتـى   إلينا ابنُ فتحِ الله لـم نتـركِ الفَتْحـا
فقد سـاعدَتْني عنـد نـشر مديحِـه   قوافٍ كأني ما طويتُ لهـا كَـشْحا
وشرَّفَ صَنْعا حـين وافـى يؤمُّهـا   فزادتْ به رحباً ونالـت بهـا رِبْحـا

انتهى ما اخترته من كتاب «نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف» لابن زبارة الصنعاني ـ رحمه الله تعالى ـ.

وذكره المحبي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، فقال: ولقد لقيته بمكة، جوار الركن والحطيم، وهو مفحِمُ قُسٌّ وقيسِ بنِ الخَطيم، وذكر لي من حديث فراقه لمحله، وتنكُّبه لشد مطيته ورَحْله: أنه كان في حجْـر خـاله وهو دون التمييز، وقدر الله له المهاجرة، فأصحبه في كنفه الحَريز.

ثم رحـل في شـبابه واغترب، ونَـقَّب في الحجـاز واليمن للتحصيل واضطرب، حتى اسـتقر بالحرم المكـي، فامتزج بقُطَّانه، واشـتغل بذخائر فضائلهم عن أهله وأوطانه، وله عندهم منزلة تليق، ومرتبة هو بها خليق.

وقد جمع تاريخاً سال فيه من طبعه مَعينُه، وطلعت في قصور طُروسه أبكاره وعِينُه، وكنت سمعت به ولم أظفر منه بالعِيان، فلما رأيته، اتضح

لي في حينه صدقُ البيان، ورأيت جمعاً يجمع من دَبَّ ودَرَج، حتى يقول من رآه: حدِّثْ عن البحر ولا حرج، ما شئت من ترتيب غريب، وتطريب من بنان أريب، إلى جزالة مشـرَبَة بحلاوة، وسهولة متدفقة بطلاوة، إذا قال، لم يترك مقالاً لقائل، ونفسه فيه تطويل، إلا أنه لا يخلو من طائل، لا يقتصر على ما ينبغي، ولا يمنع من الذكر المبتغي.

وبالجملة: فشكر الله عليه سعيَه، وتولى بعض عناية حراسته ورعيه، وكان أوقفني على مجاميعَ بخطه، فاقتطفت منها ما حلا وطاب، وملأت من بدائع ذخائرها النفيسة الوِطاب.

وجاء ذكر المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ عند البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ في «هدية العارفين»، و«إيضاح المكنون»، فقال: الأديب المؤرخ الشافعي، سافر إلى اليمن، وسكن ذمار، ومات بها سنة (١١٢٣هـ)، صنف **«الديمة الوطفا في مراجعة المصطفى»** على قصيدة السوسي عجيبة، **«وفوائد الارتحال ونتائج السفر في تراجم فضلاء القرن الحادي عشر»** ثلاث مجلدات.

وذكره الزركلي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الأعلام»، فقال: مؤرخ من أدباء عصره، أصله من حماة، رحل منها إلى دمشق، فقرأ على بعض علمائها، وسافر إلى اليمن، فتوسع في الأخذ عن أهلها، واستقر بمكة، وتوفي بذمار من أرض اليمن، عن نحو ثمانين عاماً.

مصادر ترجمة المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ: «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة» للمحبي (١/ ٣٦٨) (٤٥)، «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٢٠٦)، «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي (١/ ١٢٥)، «نشر العرف

لنبلاء اليمن بعد الألف» لمحمد زبارة الصنعاني (٣/ ٢٢٩) (٥٢٥)، «إيضاح المكنـون» للبغدادي (١/ ٤٨٣)، «هديـة العارفين» للبغدادي (٣/ ٤٤٣)، بروكلمـان ـ مترجـم (٨/ ٨١)، «الأعـلام» للزركلي (٧/ ٢٣٨)، «معجم المؤلفين» لكحالة (١٢/ ٢٦٧)، «علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر» د. محمد مطيع الحافظ، ود. نزار أباظة.

❐ ❐ ❐




مُقَدِّمَةُ ٱلتَّحْقِيْق

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويبلغ رضاه، ويكافىء معروفَه وسابق جميله ومنّه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، محمد النور المبين، حجة الله تعالى على الخلق أجمعين، وعلى آله الغر الميامين، أهل بيته الصفوة المكرمين، وصحابته سادة الأمة المعتبرين، وحملة هذا الدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعَنَّا معهم بفضلك ومَنِّك يا رب العالمين، اللهم آمين.

فإن موضوع الرحلة والارتحال، والسفر والاغتراب عن الأهل والأوطان، موضوعٌ استغرق كتب المصنفين، وامتلأت به صحائف المدوِّنين، تصف ترحالهم من بلد إلى بلد، واجتهادهم بين أيدي العلماء على الركب، فتنوعت أخبارُهم، وتعددت أساليبهم، حسب ما قصدوه من ترحالهم، حتى أصبح في عصرنا الحديث، نوع خاص من الأدب، يسمى: أدب الرحلات.

ومن أشهر أسباب الرحلات والتنقل في بلاد المسلمين: ما كان للحج والتجارة، فهما متلازمان دائماً، وهذا النوع من الرحلات شمل بلاد المسلمين، من أقصى بلاد المغرب والسودان وأفريقيا مروراً بمصر، ومن أقاصي بلاد

المشرق فارس وبلاد ما وراء النهر إلى العراق، ومن الهند وبلادها مروراً بموانئ اليمن إلى الحجاز، ومن أطراف بلاد الغرب من عاصمة المسلمين القسطنطينية مروراً بالشام وبلادها؛ ليلتقي الجميع حول البيت العتيق.

ومنهم من رحل في طلب الحديث وأهله ورواته، وبهذا صنف الإمام العلامة الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه **«الرحلة في طلب الحديث»**، ليذكر فيه آداب وفنون هذا النوع من الرحلات.

ومن هذه الرحلات ما اتخذ طابعاً علمياً؛ مثل: ما نجده في ترجمة عالم النبات ابن البيطار ـ رحمه الله تعالى ـ؛ فقد قام بعدة رحلات شملت بلاد اليونان وأوربا القديمة «بلاد الإفرنج»، وسواحل البحر المتوسط، مروراً ببلاد الشام ومصر والجزيرة العربية، متتبعاً أنواع النبات في هذه البلاد؛ ليضيف في مصنفاته عدة آلاف من أسماء النبات، لم تُعرف قبل عصره؛ كمادة علمية لـ: **«الأدوية المفردة»**.

ومن هذه الرحلات ما يكون ذا طابع سياسي، وبتكليف من أعلى المستويات في الدولة؛ مثل ما كلف الخليفة المقتدر بالله العباسي الرحالةَ المسلم أحمدَ بن فضلان ـ رحمه الله تعالى ـ بالقيام بثلاث رحلات إلى بلاد البلغار، فكان أول من سجل مشاهداته عن تلك البلاد في كتابه المشتهر **«رحلة ابن فضلان»**.

ومن ذلك: الرحلات الجغرافية لكثير من علماء المسلمين، ومؤلفاتهم بذلك معروفة مشتهرة؛ مثل: كتب المسالك والممالك، ومعاجم البلدان، وكتب اشتهرت بأسماء مدونيها، مثل: **«رحلة ابن بطوطة»**، **«ورحلة ابن**

جبير»، «ورحلة العياشي»، وسواها كثير.

وعلى هذا، فمسألة الرحلة والارتحال، والتنقل في بلاد المسلمين، وتدوين أخبار البلاد والعِباد، وتتبع أحوال الملوك والأمراء والزهاد والعُبّاد، ووصف ما يكون في أسواق العامة وأعراسهم وأعيادهم وأحزانهم وأتراحهم، ومتابعة رحلة محمل الحج الشامي والمصري إلى البيت العتيق، فكثير متداوَل مشهور مذكور، في كل مصنفات المسلمين على جميع فنونهم واهتماماتهم.

ومن هذه المصنفات الكتاب الذي بين أيدينا «**فوائد الارتحال ونتائج السفر في أعيان القرن الحادي عشر**»؛ فقد تتبع مصنفه الحموي ـ رحمه الله تعالى ـ أحوال هذا القرن، وارتحل معهم، عبر مائة عام ويزيد، مدوناً أخبارهم، عن مشايخه بدايةً، ثم عمن عاصرهم والتقى بهم؛ ليشمل في مدوناته: أهل الشام والحجاز ومصر، والعراق وفارس، واليمن والهند، وأطرافاً من أخبار المغرب الأقصى، وسواحل أفريقية الشرقية.

وكثيرٌ من هذه الأخبار عبارةٌ عن مشاهدات المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ الخاصةِ، ومراسلاتٍ ومكاتبات مع أهل عصره، ونقُولاتٍ عن مصنفات مَنْ قبله عن هذا القرن الحادي عشر.

ولعل المطلع على هذا الكتاب يجد فيه ما لا يجده في غيره؛ من اهتمام المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ وتفصيله لأحوال اليمن؛ لكثرة اتصاله بأهله، ودقة وصفه لأخبار الحرم الشريف وأشرافه، ومن أشهر ما ذكر من أحوال الحرم الشريف: خبر السيل العظيم الذي وقع سنة تسع وثلاثين ومائة وألف،

وما كان فيه من انهيار جدار البيت الحرام، ووَقْعِ ذلك على الأمة الإسلامية، بدايةً من أهل الحرم وعلمائه وأشرافه، حتى بلوغ الخبر لسلطان المسلمين في القسطنطينية، وقيامه بالأمر أتم القيام.

ومن الأمور التي اهتم لها المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ: أحوال العلماء الرحالة، الذين ما توقفت رحلاتهم بين موانئ اليمن والحجاز والهند وممالكه الإسـلامية، واصفاً أخبار هؤلاء العلماء، وما كان من أحوال تلك الممالك الهندية، ومن أقصى الشرق الهندي، يتنقل بقلمه ليصف أحوال العلماء في المغرب من أقصاه، مروراً بسواحل أفريقيا ومصر والشام، ولا يغفل أحوال السلاطين العثمانيين، وعلاقاتهم مع بلاد النصارى من حروب ومعاهدات، واهتمامهم بأحوال المسلمين، خاصَّتِهم وعامَّتِهم.

وآخر ما يقال: ما تلطف به الإمام العلامة ابن عساكر ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه «تاريخ دمشق»: فمن وقف على تقصير أو خلل، أو عثر فيه على تغييـر أو زلل، فليعذر أخاه متطوِّلاً، وليصـلح ما يحتـاج إلى إصلاح متفضـِّلاً.

ومثله ما ذكره الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ:

يـــا ســـيداً طالَعَـــهُ ... إن راقَ معنـــــاه فَعُـــــدْ
وافـــتحْ لـــه بـــابَ الرضـــا ... وإن تجـــدْ عيبـــاً فَـــسُدْ

راجياً من الله ﷻ قبول العمل، والتجاوز عن الزلل، فما كان من خير وبر ومعروف، فمن فضل الله ﷻ ومنّه وكرمه، وما كان من نقص وخلل، فمن نفسي المقصرة والشيطان.

وصلِّ اللهم أولاً وآخراً على النبي الأمي محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم آمين.

وكتب: أبو يحيى عبد الله محمد الكندري

الجمعة: ٤ صفر/ ١٤٣٠هـ الموافق: ٣٠ يناير/ ٢٠٠٩م

الكويت ـ الفحيحيل الزاهرة

تنبيه مهم: إن ما سيُورده المؤلف ـ رحمه الله ـ من أشياء متعلقة بالأوراد والأذكار المقروءة للحفظ والستر وغيرها، مما لم يرد دليل عليه من الكتاب والسنة، إضافة إلى أن بعضها يحتوي على أشياء من الشرك بالله، أو الطلاسم غير المفهومة، أو الاستغاثة بغير الله، أو الاستعانة به، فليحذر المسلم على دينه من ذلك، وإنما أثبتناه كما هو حفاظاً على أمانة إخراج التراث كما ورد ونُقل. والله المستعان.

❐ ❐ ❐




وَصْفُ ٱلنُّسْخَةِ ٱلمَخْطُوطَةِ

كان من فضـل الله ﷻ وتيسـيره: أن اطلعتُ على نُسـخ هـذا الكتاب الجليل، المحفوظ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت، والنسخة الكاملة منه، من ضمن إهداءات **الشـيخ الفاضـل والأخ الكريـم أبي عايض صلاح عايض الشلاحي**، وليس هذا أول أفضاله في نشر العلم وخدمة أهله، ولقد كان ـ حفظه الله تعالى ـ من أهم أسـباب تشـجيعي على العمل بهذا الكتاب وتحقيقه.

والمخطوط يقع في نسختين، كلاهما محفوظ في دار الكتب المصرية بالقاهرة، إحداهما منسوخةٌ من الأخرى، كما يذكر ذلك **ناسخها محمد قناوي محمد، النساخ بدار الكتب المصرية في** ختامها، والنسخة الأولى عبارة عن ثلاثة أجزاء، والنسخة الثانية عبارة عن الجزء الثالث فقط من الكتاب، لكنها متميزة بقربها من المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ؛ فقد كتبت بعده بست سنين، وأنها الأصل الذي نقلت منه النسخة الأولى.

* **النسخة الأولى من المخطوط:**

وتقع في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول منها يقع في (٦١٣) ورقة، في كل ورقة منها صـفحتان، في كل صـفحة منهـا (٢١) سـطراً، والورقة الأولى،

من مقدمة الكتاب ساقطة.

ويشتمل الجزء الأول على المُحَمَّدين، ثم الأَحْمَدين من المترجمين، وأولهم ـ بعد مقدمة الكتاب ـ ترجمة الشيخ محمد صفي الدين بن محمد نجم الدين الزهيري الدمشقي ـ رحمه الله تعالى ـ، وينتهي الجزء بترجمة السيد أحمد بن مسعود الشريف الحسني ـ رحمه الله تعالى ـ، ورقمها بدار الكتب المصرية: تاريخ ٣١٨٧، وهي محفوظةٌ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت برقم ٧٧٥٦.

الجزء الثاني: ويقع في (٤٦٧) ورقة، في كل ورقة منها صفحتان، في كل صفحةٍ منها (٢١) سطراً، وهناك أربعة مواضع في هذا الجزء في كل موضع منها سقط قدر ورقة، ويبدأ من حرف الهمزة، من ترجمة الشاعر إبراهيم بن محمد بن مشعل العبدلي السالمي المكي ـ رحمه الله تعالى ـ، وينتهي بترجمة الشيخ طعيمة الصعيدي ـ رحمه الله تعالى ـ، ورقمها بدار الكتب المصرية: تاريخ ٣١٨٧، وهي محفوظةٌ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت برقم ٧٧٥٥.

الجزء الثالث: ويقع في (٥٨٩) ورقة، في كل ورقةٍ منها صفحتان، في كل صفحةٍ منها (٢١) سطراً، ويبدأ من حرف الظاء، من ترجمة ظاهر بن مدلج البغدادي الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ، وينتهي بترجمة الشيخ يونس ابن يونس بن عبد القادر الرشيدي ـ رحمه الله تعالى ـ، ورقمها بدار الكتب المصرية: تاريخ ٣١٨٧، وهي محفوظةٌ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت برقم ٧٧٥٧.

وجاء في آخرها قول الناسخ ـ رحمه الله تعالى ـ: «**تم نقل هذا الكتاب**

في يوم الأربعاء ٢٦ ذي القعدة سنة (١٣٤٦هـ، ١٦ مايو ١٩٢٨م)، وذلك من النسخة المخطوطة المودَعة بدار الكتب المصرية تحت رقم: ١٠٩٣، محمد قناوي محمد، النساخ بدار الكتب».

* النسخة الثانية من المخطوط:

وهي عبارةٌ عن الجزء الثالث من الكتاب فقط، وتقع في (٤٤٢) ورقة، في كل ورقةٍ منها صفحتان، في كل صفحةٍ منها (٢٥) سطراً، تبدأ من حرف الظاء، من ترجمة ظاهر بن مدلج البغدادي الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ، وتنتهي بترجمة الشيخ يونس بن يونس بن عبد القادر الرشيدي ـ رحمه الله تعالى ـ، وهي نسخةٌ مصححةٌ، وعلى هوامشها تعليقاتٌ وفوائد للناسخ، خاصةً فيمن تكون وفاته من المترجمين بعد المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ.

وجاء في آخرها: «قال كاتبه: هذا آخر ما وجد من هذا التاريخ بخط مؤلفه، وقد كتبنا من مسودة المؤلف، ورتبناه على هذا الوجه المطابق لغرض المصنف، ووافق الفراغ من هذا التاريخ ظهر يوم السبت الثالث والعشرين من شهر رجب الحرام، من شهور سنة تسع وعشرين ومائة وألف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم»، وهي محفوظةٌ بدار الكتب المصرية برقم: ١٠٩٣ ـ تاريخ، ولها نسخةٌ مصورةٌ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت برقم: ٢١٢٦، وأما الجزءان الأول والثاني من هذه النسخة، فمفقودان، والحمد لله الذي صان الكتاب وحفظه بإعادة نسخه.

ملاحظة عامة: والواضح أن المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ لم يتمم العمل النهائي لكتابه؛ لوجود عدد من البياضات في عدة مواضع من الكتاب، والتكرر

الذي وقع لعدد من التراجم، اختصرها في موضع، واستفاض فيها في موضع آخر، وكأن المراد أن يعود إليها ليتمم ترتيبها، ويُستشف ذلك من قول الناسخ في نهاية النسخة الثانية: «وقد كتبنا من مسودة المؤلف، ورتبناه على هذا الوجه المطابق لغرض المصنف»، وقد حرص الناسخ محمد قناوي محمد، على التعليق على مواضع هذه البياضات، فنجده يقول مثلاً: «بياضٌ قدر سبعة أسطر»، والله أعلم.

وصلِّ اللهم أولاً وآخراً على محمد وآله.

□ □ □

الجزء الأول

من فوائد الارتحال ونتائج السفر

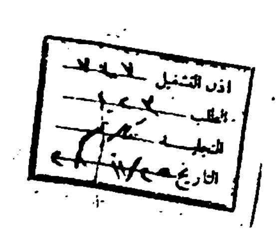
في أخبار أهل القرن الحادي عشر

للعلامة المجيد الشيخ مصطفى

فتح الله الحموي عليه

سحائب الرحمة والرضوان

ونفعنا به



ورقة الغلاف للنسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

... والاجد رون بان توفر ما نزهم ونخلد تد وينا
ونشر الكونهم حفظة الدين الذى هو اس السعادة
الباقية ونقلة العلم الذى هو المرقاة الى المراتب العالية
وقد روى مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح فيما نقله
عنه الامام النووى رحمهما الله تعالى فى ديباجة
طبقاته انه قال اول ما يجب على مبتغى العلم وطالبه
ان يعرف مراتب العلماء فى العلم ورجحان بعضهم على
بعض قلت وكان الاصل فيه قوله صلى الله عليه
وسلم انزلوا الناس منازلهم ولا ريب ان المعرفة
بالخواص اصرة ونسب وهو يوم القيامة وصلة
الى شفاعتهم وسبب والعالم بالنسبة الى مقتبس علمه
بمنزلة الوالد بل افضل فاذا كان جاهلا به فهو كالجاهل
بوالديه بل اضل وقال امام الائمة محمد بن ادريس
الشافعى رضى الله عنه من علم التاريخ زاد عقله
وقال مصعب الزبيرى ما رايت احدا اعلم بايام الناس
من الشافعى وروى عنه انه اقام على تعلم ايام
الناس والادب عشرين سنة وقال ما اردت بذلك
الا الاستعانة فى الفقه قال الحافظ شهاب الدين
ابو شامة وذلك عظيم الفائدة جليل العائدة وفى
كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

من

الورقة الاولى مفقودة والموجود من اول الورقة الثانية

الورقة الأولى من النسخة الأولى

ويلاحظ النقص من بداية الكتاب

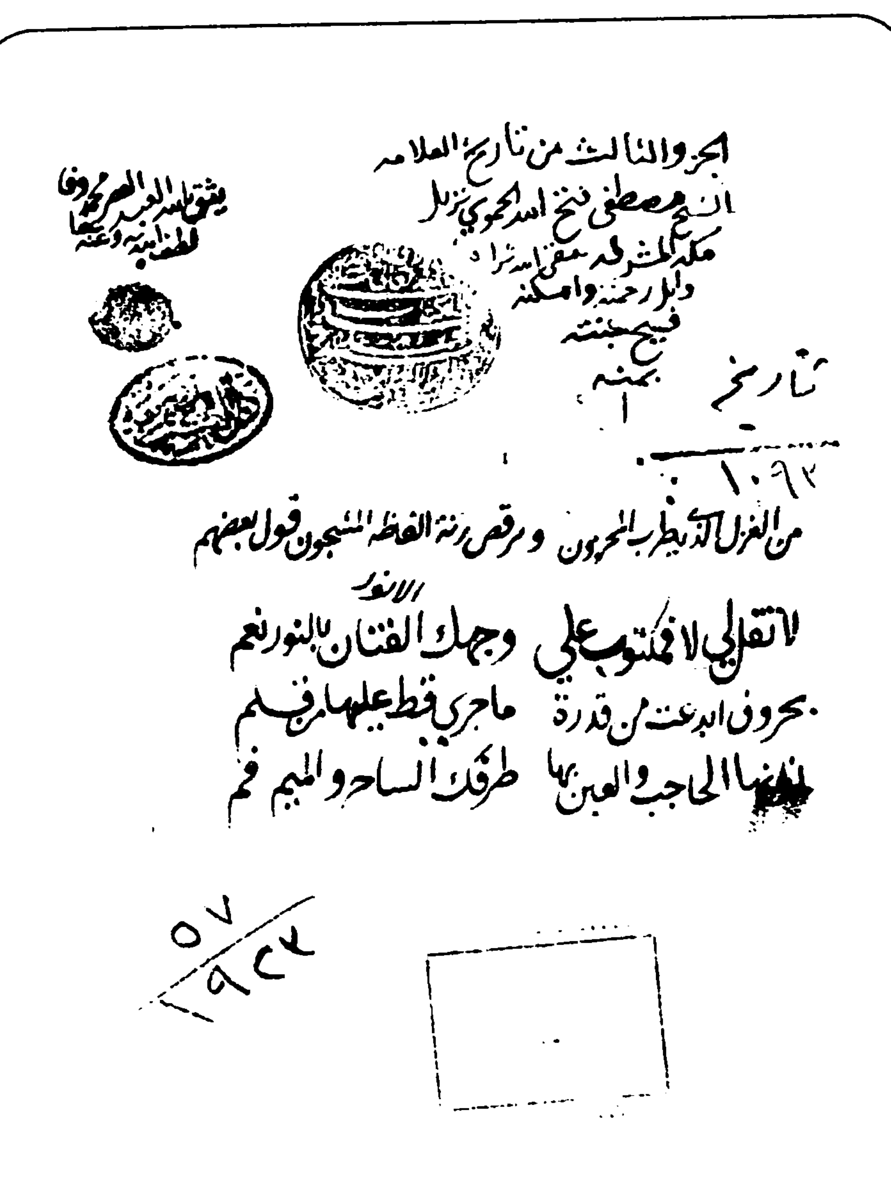
١١٧٧

النحوي الحنفي كان اماما عالما بارعا في العربية له شرح ممزوج على الفية ابن مالك مفيد الفه بالقسطنطينية بمحلة محمود باشا وارخ اكماله في غرة ربيع الثاني سنة ثمان عشرة والف وله شرح على السراجية سماه المقاصد السنية الحنفية الفه لما قدم الى الروم سنة احدى عشرة بعد الالف

انتهى

تم نقل هذا الكتاب في يوم الاربعاء ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٤٦ و ١٦ مايو سنة ١٩٢٨م وذلك من النسخة المخطوطة المودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩٣ م محمد قناوي محمد النساخ بدار الكتب

الورقة الأخيرة من النسخة الأولى



غلاف النسخة الثانية وهو الجزء الثالث من الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

[illegible] الطا المهملة [illegible]

[illegible] بن محمد بن ... المشهور بابن مدلج البغدادي كان في احد اكابر ک
فضلا العصريين بالعراق ولد بعد نيف وخمسين والف ونشا
ببغداد واخذ بها عن والده واخذ علم عن بها الكوكبي موجود
[illegible] العاني كان في مفتي عانة والحديثة من ارض العراق ک
قال النجم الغزي قدم الينا فرحج منها واجتمع به مع شيخنا العيثاوي
للسلام عليه وكان فقيها متفننا وله مشاركة في العلوم
ورجع الي بلاده فتوفي بها سنة عشر بعد الالف

حرف العين المهملة

عامر بن محمد الصباحي الذماري نسبة الي بيت صباح قرية مشهورة ک
في مشارق اليمن تقرب من قرن المنسوب اليه اويس القرني رضي الله عنه
علي نحو مرحلتين ذكره العلامة احمد بن صالح بن ابي الرجال في تاريخه
فقال القاضي العلامة المذاكر شيخ العلامة ولسان الفقهاء كان
عينه كان وحيده وتنفرد في عصره اليه المهابة في تحقيق الفروع بنقل
عنه الناس ويقررون عنه قواعد المذهب رحل في مبادي امره الي
ذمار ولقي شيوخها المحققين وحصل علي قشف في العيش وشدة
في الامر يروي عنه انه كان لا يملك غير قميص من خلود الضان
وكان اذا احتلم غسله للتطهير ثم لبسه اخضر لانه لا يجد غيره وكان
مواظبا علي العلم اشد المواظبة ايام مرضه الشديد في نحو ... وكان
ابوه من اهل الثروة والمال لكنه حبس واوذي في الله من
قبل الاتراك لمحبته لاهل البيت ثم رحل القاضي الي صنعاء واقام بها
ودرس ورحل الي شيخ الزيدية امام الفروع والاصول
ابراهيم بن مسعود الحمري الي الظهرين وكان اذ ذاك بقية العلما
وله بالتذكرة خصوصا فرط الفة فطلبه القاضي عامر ان يقرى به
فيها فاجابه ولم يستبعد لتدريسه لظنه انه من عامة الطلبة علما

الورقة الأولى من النسخة الثانية

الروم سنة احدى عشر بعد الالف

قال كاتبه وهذا آخر ما وجد من هذا التاريخ بخط مولفه
وقد كتبناه من مسودة المولف ورتبناه
على هذا الوجه المطابق لغرض المصنف
ووافق الفراغ من هذا التاريخ
ظهر يوم السبت الثالث
والعشرين من شهر رجب
الحرام من شهور سنة
سبع وعشرين ومائة
والف ولا حول
ولا قوة الا بالله
العلي العظيم
وصلى الله على
سيدنا محمد

الورقة الأخيرة من النسخة الثانية




فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

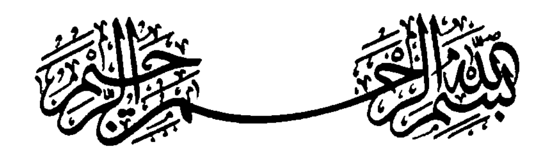
المتوفى سنة ١١٢٣هـ

تحقيق

عبد الله محمد الكندري





[مُقَدِّمَةُ المؤَلِّفِ]

. . .[1] والأجدَرون بأن تُؤثَر مآثرُهم، وتخلد تدويناً ونشراً؛ لكونهم حفظةَ الدين، الذي هو أُسُّ السعادة الباقية، ونقَلَة العلم، الذي هو المِرْقاة إلى المراتب العالية، وقد روى مسلمُ بنُ الحجاج، صاحب «الصحيح»، فيما نقله عنه الإمام النووي ـ رحمهما الله تعالى ـ في ديباجة «طبقاته»: أنه قال: أولُ ما يجب على مبتغي العلم وطالبِه، أن يعرف مراتب العلماء في العلم، ورجحانَ بعضهم على بعض.

قلت: وكان الأصل فيه، قوله ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم»، ولا ريب أن المعرفة بالخواص آصرةٌ ونسبٌ، وهو يوم القيامة وُصْلَةٌ إلى شفاعتهم وسببٌ، والعالم بالنسبة إلى مقتبس علمه، بمنزلة الوالد بل أفضل، فإذا كان جاهلاً به، فهو كالجاهل بوالديه بل أَضَلّ.

وقال إمام الأئمة محمد بن إدريس الشافعي ﷺ: من عَلِم التاريخ، زاد عقلُه.

---

(١) جاء في الحاشية في أعلى الورقة: «الورقة الأولى مفقودة، والموجود من أول الورقة الثانية».

وقال مصعب الزبيري: ما رأيت أحداً أعلمَ بأيام الناس من الشافعي.

وروي عنه: أنه أقام على تعلُّم أيام الناس والأدب عشرين سنة، وقال: ما أردت بذلك إلا الاستعانة في الفقه.

قال الحافظ شهاب الدين أبو شامة: وذلك عظيم الفائدة، جليل العائدة، وفي كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، من أخبار الأمم السالفة، وأنباء القرون الخالية، ما فيه عبرة لأولي الأبصار.

وحدّث النبي ﷺ بحديث أُم زَرْع وغيرِه، مما جرى في الجاهلية، والأيام الإسرائيلية، ولم تزل الصحابة والتابعون فمَنْ بعدَهم، يتفاوضون في حديث مَنْ مضى، ويتذكرون ما سبقهم من الأخبار، وذلك بيّنٌ من أفعالهم، لمن اطلع على أحوالهم، وهم السادة القدوة.

وقال صاحب «التهذيب»: لولا التاريخ، ما تميز ناسخ من منسوخ، ومتقدم من متأخر، وما استقر من الشرائع وثبت، مما أُزيل ورُفع، ولا عرف ما كان أسبابها، وكيف مست الحاجة إليها، وحصلت وجوه المصلحة فيها، ولا عرفت مغازي رسول الله ﷺ، وحروبه وسراياه وبعوثه، ومتى قارَبَ ولايَنَ؟ وكم ساتر وخافَتَ؟ وفي أي وقت جاهر وكاشف، ونبذ إلى أعدائه وحارب؟ وكيف دبر أمر الله الذي ابتعثه له، وقام بأعباء الحق الذي طوقه ثقله، وأي ذلك قدم، وأيها أخر، وأيها بدأ، وبأيها ثنى وثلث، وأن الولد البر، ليتفقه ذلك من آثار والده، والصاحب الشفيق، ليعن بمثله من شأن صاحبه، حتى يعد ـ إن أغفله ـ مستهيناً به، مستوجباً لعتبه، فكيف بمن هو رحمة الله المهداة إلينا، ونعمته المفاضة عليه؟.

وطوّل القول فيه حتى قال: وفي الازدياد منه تذكير بآلاء الله؛ وتنبيه على نعم الله؛ بما اختص به من أنباء الأولين، وأبث من أخبار الآخرين، وبيّن من الآيات التي أمر الله تعالى بالمسير في الأرض لأجلها، ويعث على الاعتبار بها، فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[الروم: ٩].

فحث العاقل على استبقاء نعمة الله عنده ـ بالشكر الذي ضيعه ـ من سلب الله تلك النعم، ويتحرز من غوائل الكفر، الذي أحل بهم تلك النقم، وأيُّ أمر أقبح، وحالة أشنع، من أن يحل الرجل محل المشارك فيه، المأخوذ عنه، ثم يسأل عن الغزوتين من مشهور غزواته، والأثرين من مستفيض آثاره، فلا يعرف الأول من الثاني، ولا يفرق بين البادي والتالي؟!.

قال المحدث الحافظ عبد الرحمن الربيعي الزبيدي في كتابه «بغية المستفيد في أخبار زبيد»: لولا التاريخ، لقال من شاء ما شاء.

وقال حسان بن يزيد: لم يُستعن على الكذابين بمثل التاريخ.

حُكي لنا: أن بعض اليهود أظهر كتاباً، ادعى فيه: أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة جمعٍ، منهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وسعد بن معاذ ﷺ.

فعرضوا ذلك على الحافظ الخطيب أبي بكر البغدادي، فتأمله وقال: هذا زور، فقيل: من أين لك هذا؟ فقال: فيه شهادة معاوية، وهو أسلم عام الفتح، وكان فتح خيبر في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، ومات سعد يوم بني قريظة، قبل خيبر بسنتين. فأي منقبة أشرف من هذا؟.

وذكر الحافظ عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي، في تذكرته التي سماها: «نزهة الأبصار لما تآلف من الأفكار» وقد ملكتها ـ ولله الحمد ـ بخطه، في ثمان مجلدات كبار، ومن خطه نقلت ما نصه: مما نقله الوالد من مجاميع الميورقي: سمعت من أثق بدينه وعلمه يقول: إن الاشتغال بنشر أخبار فضلاء العصر ـ ولو بتواريخهم ـ من علامات سعادة الدنيا والآخرة؛ إذ هم شهود الله في أرضه، ويذكر الله ينزل الرضوان، ويذكر رسوله تنزل المحبة، ويذكر الصالحين تنزل الرحمة، وهم في السعادة جلساء مَنْ ذكرهم، ومن أحبَّ شيئاً أكثرَ من ذكره، ويرجى لمن أرخ جماعةً، أن يشفع السعيد منهم في الشقي، وفي الخبر الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». انتهى كلامه.

وقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ، في كل قرن سابقين من هذه الأمة إلى ورد مناهل ميره، واختص من كل عصر مقربين من الأعيان والأئمة، أطلعهم على لطائف سره، وأخبر عنهم، ونوه بمقامهم الفائق، في قوله تعالى في كتابه المكنون: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩].

وقال ﷺ: «لكل قرن سابق»، وقال ﷺ: «لكل قرن من أمتي سابقون» أخرجهما أبو نعيم في «الحلية»، وقال ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر، لا يُدرى أولُه خير أم آخره» أخرجه الترمذي.

ولا شك أن العلماء مظنة الخيرية، وأحق الناس بالتفضيل لوجود الأهلية، والخير لا يُنتزع من هذه الأمة في حين من الأحيان، وهذه الأحاديث مصرحَة بأن السبق لا يختص بالقرون الأولى خاصة، وأن سبق سابقي كل زمان باعتبار ذلك الزمان، وقد قام أهل الحديث، وغيرهم من أكابر العلماء في القديم

والحديث، شكر الله صنيعهم ومساعيهم، بالاعتناء بهذا الشأن، فألفوا التواريخ العديدة الحسان، على اختلاف أعصارهم، وتباعد أمصارهم.

وإني لم أزل ـ منذ زمن الحداثة ـ ذا عناية شديدة به، أتطلبه من مظانه وغيرها، وأصيد أوابده، وأقيد شوارده، وأتتبعه من معاجم الشيوخ وفهارسهم، وأتلقى ذلك من أفواههم ومجالسهم، ولم أجد لأحد من أفاضل العصر لأهل القرن الحادي عشر، تاريخاً بسيطاً، وبأخبار علمائه محيطاً، مع ما فيه من الأئمة الأعلام، والأولياء العظام.

ثم وقفت على «ذيل كتاب الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة» لشيخ الإسلام حافظ الشام نجم الدين محمد بن بدر الدين محمد الغزي، وعلى تاريخ العلامة القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال اليمني الصنعاني الذي سماه: «مجمع البحور» في مجلدات، ذكر فيه جماعة من أهل اليمن، وعلى تاريخ صاحبنا المرحوم العلامة محمد أمين بن فضل الله المحبي الدمشقي في مجلدين، وهو تاريخٌ لطيف.

واعتنى شيخنا السيد العلامة محمد بن أبي بكر الشبلي باعلوي الحسيني، بجمع وفيات أعيان هذه المائة، من الشيوخ الحضرميين، والسادة العلويين، واليمنيين، في تاريخ سماه: «عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر»، وأضاف إليه مما جمعه من أخبار المصريين والشاميين وغيرهم، وأراد تبييضه، واخترمته المنية، وبيضه بعض تلامذته بعد موته ـ رحمه الله ـ.

فعنّ لي أن أجمع ما يسره لي الله، من تراجم علماء هذا القرن، وأوليائه وكبرائه وأمرائه، وأهل البيت النبوي الطاهرين، والشعراء المجيدين، وشيوخي الذين لقيتهم أو عاصرتهم، ممن سمعت منه، أو أجاز لي الرواية عنه، وما دار

بيني وبين فضلاء عصري، والأئمة الذين يجب أن تكتب محاسنهم بالذهب المصري، مما بدأت فيه وراجعت، وقلدت فيه وتابعت؛ ليكون ذلك في هذه الأوراق مجموعاً، وتشبيب طائره في غضون الغصون منها مسموعاً.

واستخرت الله تعالى في تأليف ذلك، وإبرازه لطالبيه، وحفظه على مبتغي العلم وحافظيه، ورتبته على حروف المعجم؛ ليكون أسهل للكشف عن شيخٍ في هذا الكتاب مترجَم، وكنت عزمت أن أرتبه على الطبقات لا على الحروف، من حيث إن ترتيبه على الحروف يلزم منه أن يقع المفضول والآخِر، قبل الفاضل والأول.

ثم نظرت، فإذا ذلك هينٌ في جنب ما يحصل بترتيبه على الحروف، من التيسير على أكثر الناس، إذ الغالب أن أحدهم إذا طلب الوقوف على ترجمة واحد منهم، وقد عرف اسمه، لم يدر من أي طبقة هو حتى يطلبه في المسمَّين باسمه.

وقدمت المحمَّدين، ثم الأحمدين؛ تبركاً باسم نبينا محمد سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وإقتداءً ببعض المؤرخين، ثم أعود بعدهم إلى الترتيب المذكور، وأذكر من حال كلٍّ والتعريف به ما تنشرح به الصدور، وتتم به فائدة الكتاب، ويستحسن بين أولي الألباب.

وأُورد من كرامات الأولياء ما رواه عدلٌ متيقظ ضابطٌ عن مشاهدة، أو عمن يُقبل خبره كسائر الأخبار، ولا أثبتها بمجرد الاشتهار؛ فإن الكذب يقع فيها كثيراً، إلا أن أكثر العوام يجهل شروط النقل، وبعضهم مغفل، يروي كلَّ ما سمعه، ويحسن الظن بناقله، كائناً من كان.

ولم أتتبع عثرات العلماء ليقال، ولكن لأستقيل في تداركها عثراتي

فتقال، وأسلك مسلك الاعتدال، وإن كان المترجم من أهل الاعتزال[1]، وإني لا أعتقد أن قولي في مدحهم مقرب، ولا عن بعض محاسنهم معرب، وإنما حُمْتُ حول حَرَمهم، ولذت بجميل كَرَمهم؛ لعلي بجميل كَرَمهم لعلي أُعدّ من الواصفين لجلالهم، المتمسكين بأذيالهم؛ فإني من محبيهم، ومن أحب قوماً، رجا أن يكون منهم، أو يكون معهم؛ كما جاء في الحديث الشريف، وهذا هو علالة الضعيف.

لـــي ســـادةٌ مـــن عِـــزِّهم أقـــدامُهم فـــوقَ الجبـــاهْ
إنْ لـــم أكـــنْ مـــنهم فلـــي فـــي حـــبهم عـــزٌّ وجـــاهْ

وربما يفوِّق منتقدٌ نحوي سـهام العتاب، بذكري بعضَ المبتدعـة في هذا الكتاب، فجوابه: أني لم أخترع ذلك من تلقاء نفسي، بل سلفي في ذلك كثير من المؤرخين؛ إذ مقصود المؤرخ: ذكرُ خيار العلماء والناس من حيث هم، مع قطع النظر عن مذاهبهم.

وأدخلت فيه من الفوائد العلمية المنقولة عن المترجمين؛ رجاء أن يكون ديوان علم، تشرح له صدور الطالبين، وسميته: **«فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»**، والله أَسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ومقدماً في جنات النعيم، وأن يحسـن المعونـة على إتمامه بجوده العميم، وإنعامه الجسيم، إنه ولي ذلك، وهو على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبي ونعم الوكيل.

❏ ❏ ❏

(١) من المعلوم أن الاعتزال بدعةٌ مذمومة، وقد جانب المصنف الصواب في مدحهم، رحمه الله وغفر له.




المُحَمَّدُون

[١] محمد صفي الدين ابن القاضي محمد نجم الدين الزهيري الدمشقي(١).

أحدُ العدول بمحكمة الباب بدمشق، كان مقيِّداً للوقائع، مشهوراً بالنظافة والأمانة، منفرداً في عصره بصناعة الإنشاء، وله اطلاعٌ واسعٌ على الفروع الفقهية، وبراعةٌ في العلوم الأدبية.

مات بدمشق سنة إحدى بعد الألف، نقلت من خطه، في مجموعة له عن بعض شيوخه: البشر أفضلُ من الملَك، ولكن لا يجب على المكلف اعتقادُ ذلك، ولو لقي الله ساذجاً من هذه المسألة، لم يسأل. انتهى.

[٢] محمد بن محمد محيي الدين سبط الرجيحي القاضي العلامة، شمس الدين الدمشقي الحنبلي(٢).

كان من أعيان دمشق، والمعوَّل عليهم فيها، وكان ماهراً في علوم القضاء،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر للغزي» (١/ ٤٧) (٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣٢)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٧٢) (٢٩).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦) (٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٣).

مشهوراً فيها، وله محاضرة حسنة.

مولده في شوال، سنة سبع عشرة - بتقديم السين - وتسعمائة، كان أولاً يخدم قاضي القضاة وليَّ الدين بن الفرفور، ثم طلب العلم، وأخذ عن شيخ الإسلام الرضيِّ الغزي، وتفقه بموسى الحجّاوي، وشهاب الدين بن سالم، وحصل في دمشق فتنة، فسافر بسببها إلى مصر، واجتمع بالأستاذ الشيخ محمد البكري، وأخذ عنه، ولما همدت الفتنة، رجع إلى دمشق، ورُدَّ إلى منصبه قضاء الحنابلة بكبرى دمشق إلى أن مات في شوال ليلة الجمعة سنة اثنتين وألف.

ورآه شيخ الإسلام النجم الغزي في المنام، بعد موته بسنتين، فقال له: ما فعل الله بك؟ فضحك، وقال: يا مولانا الشيخ! أما علمت أني مت ليلة الجمعة؟ - رحمه الله -.

قلت: وفيه إشارة إلى الأمن من عذاب القبر وفتنته لمن مات يومها وليلتها، قال السيوطي في كتابه «اللمعة في خصائص الجمعة»: أخرج أبو يعلى عن أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «من مات يوم الجمعة، وُقي عذاب القبر».

وأخرج البيهقي في كتاب «عذاب القبر»، عن عكرمة بن خالد المخزومي، قال: «من مات يوم الجمعة، أو ليلةَ الجمعة، خُتم بخاتم الإيمان، ووُقي عذابَ القبر».

وأخرج الترمذي وحسنه، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، وغيرهم، عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو

ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر»، وفي لفظ الآبري: «من فتنة القبر»، وفي لفظ: «إلا وُقي الفتان».

قال الحكيم الترمذي: وحكمته: أنه انكشف الغطاء عما له عند الله؛ لأن جهنم لا تُسجر في هذا اليوم، وتُغلق فيه أبوابها، ولا يعمل فيه سلطانها، ما يعمل في سائر الأيام، فإذا قبض الله فيه عبداً، كان دليلاً لسعادته وحسن مآبه، وإنه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتبت له السعادة عنده، فلذلك تقيه فتنة القبر؛ لأن سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمنين.

وقال اليافعي في «روض الرياحين»: بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة؛ تشريفاً لهذا الوقت، قال: ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المؤمنين دون الكفار. انتهى.

وقال السيوطي أيضاً في كتاب «أبواب السعادة في أسباب الشهادة»: أخرج حميد بن زنجويه، في فضائل الأعمال، من مرسل إياس بن بكير، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات يوم الجمعة، كتب له أجر شهيد، ووقي فتنة القبر». انتهى.

[٣] محمد بن معروف بن محمد شريف الرومي الحنفي.

كان إماماً، عالماً، نحريراً، صوفياً، متبحراً في الحقائق، له شرح بديع على تائية العارف بالله الشيخ عمر بن الفارض، ولي قضاء مصر غرة شهر رجب سنة إحدى وألف.

وعرض له فالجٌ عطله عن الحركة، حتى مات يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى، سنة ثلاث وألف، وكان له مشهدٌ عظيمٌ، وصلى عليه بسبيل

المؤمنين برميلة مصر، إماماً بالناس العلامةُ محمد أفندي آلتي برمق، وحضر الصلاة عليه حافظ أحمد باشا وزير مصر ومن دونه، ودفن بالقرافة، تجاه مقصورة سيدي الشيخ عمر بن الفارض.

وكان من القائلين بوحدة الوجود، التي عليها مدار علم التحقيق والشهود(1)، ونقلت من خطه ـ رحمه الله تعالى ـ: إن من القائلين بوحدة الوجود، من يعلم أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ حقيقة جميع الموجودات وباطنها علماً يقيناً، ولكن لا يشاهد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ في الخلق.

ومنهم من يشاهد الحق في الخلق، شهوداً خالياً بالقلب، وهذه المرتبة أولى من المرتبة الأولى، ومنهم من يشاهد الحق في الخلق، والخلق في الحق؛ بحث لا يكون أحدهما صانعاً من الآخر، وهذه المرتبة الأخيرة أولى وأعلى من المرتبتين السابقتين، وهي مقام الأنبياء، والأقطاب بمتابعتهم.

ومن المحال أن تحصل المرتبة المتوسطة من تلك المراتب الثلاث لمن خالف الشريعة والطريقة، فضلاً عن المرتبة الأخيرة التي هي أعلى مما سواهما من المرتبتين. انتهى.

[٤] محمد أبو البركات بن محمد البزوري الدمشقي.

الشيخ العارف بالله تعالى، تلميذُ القطب الغوث، محمدِ بنِ علي بن عبد الرحيم بن عراق، اجتمع به بمكة، فسأله عن اسمه، فقال له: بركات،

---

(١) القول بوحدة الوجود قولٌ باطلٌ مردود، إن اعتقده صاحبه تمام الاعتقاد أفضى به إلى الكفر بالله تعالى، وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هو عين الحلولية، نعوذ بالله من الخذلان.

فقال: بل أنت محمد أبو البركات، ثم صافحه، ولقنه الذكر، وحرضه على قراءة قصيدته اللامية، الجامعة للأسماء الحسنى، التي أولها:

بــدأْتُ ببــسمِ اللهِ والحمــدِ أَوَّلا   على نِعَمٍ لم تُخْـصَ فيمـا تَنَـزَّلا

قال: في كل ليلة، أحسبه قال: بين المغرب والعشاء.

قال النجم الغزي في «الكواكب السائرة»: قلت لشيخنا أبي البركات: هذه القصيدة اللامية التي أشرتم إليها، هي من نظم سيدي محمد بن عراق؟ قال: نعم، هي من نظمه، وأنا أخذتها عنه، فلازمْ على قراءتها؛ فإنها نافعة، وأجازني بها، قال: وكانت وفاته في أوائل جمادى الأولى، سنة ثلاث وألف، وهو آخر من أخذ عن ابن عراق ـ فيما أعلم ـ. انتهى كلام النجم.

قلت: وكون القصيدة اللامية لابن عراق خلاف المشهور أنها للدمياطي، فليحرر، وابن عراق المذكور عالم كبير، وولي شهير، خصوصاً بالحرمين، وذريته فيهما موجودون، ومن الشائع بين المكيين: أن الدنيا لا تزال بخير ما دامت ذرية ابن عراق موجودين.

[٥] محمد بن محمد، السيد الشريف، كمال الدين بن عجلان، الميداني الشافعي(١).

شيخ مشايخ الحِرَف بدمشق، ووالد محمد نقيبِ الأشراف، الآتي ذكره، الرفاعي طريقة.

قال النجم الغزي، في ذيل الكواكب السائرة بأخبار المائة العاشرة الذي

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦٩) (١٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٤).

سماه: «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر»: كان سيداً جليلاً، حسن الأخلاق، من أولياء الله تعالى، كنت يوماً جالساً في الجامع الأموي، فدخل من باب العنبريين، وصلّى ما تيسر، فأسرع في الأركان، فخطر لي فيه أنه عامّي لا يحسن الطمأنينة، فسلم من صلاته، ثم قام من مجلسه، وأقبل عليَّ وصافحني، وقال لي: يا سيدي! لا تؤاخذني؛ فإني عامّي، وصلاة العامي لا تعجب العلماء، فعلمت أنه كشفٌ منه، فاعتذرتُ إليه، وزاد اعتقادي فيه[1]، وكان أثرُ الصلاح ظاهراً على وجهه.

توفي يوم الثلاثاء، سابع جمادى الآخرة، سنة أربع بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس، شيخُ الإسلام أحمد العيثاوي، بجامع مَنْجَك، ثم حمل فدفن بالجورة ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن فوائده ـ نفع الله به ـ: سخاء النفس عما في أيدي الناس أعظمُ من سخاء النفس بالبذل، وكان المترجَم ممن اشتهر في عصره بالسخاء والحياء، فأنفذ جميع ما بيده على وجوه البر، ولم يطلع أحداً على حقيقة حاله؛ حياء وشهامة، نفع الله به.

والميداني: نسبة إلى ميدان دمشق محلة معروفة بها.

[٦] حاجي محمد بن محمد الرومي.

كان ساكناً بقصبة أولوبورلي، وكان شيخاً صالحاً ديناً، صاحب أحوالٍ

---

(١) لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وهو سبحانه يُطلع من شاء من أنبيائه ورسله على بعض الغيب، أما دعاء الكشف فغير صحيح.

وكراماتٍ خارقةٍ، **توفي** سنة أربع بعد الألف.

[٧] محمد بن محمد السيواسي.

من خلفاء الشيخ شعبان دده القسطموني، كان شيخاً عالماً صالحاً، صاحب تصرفاتٍ وأحوالٍ، وتوطن «أدرنه»، وكانت له حلقة ذكرٍ، في جامعها المعروف بأوج شرفه، **توفي** سنة أربع وألف.

[٨] محمد دده بن محمد الأدرنوي.

من خلفاء الشيخ حسام الدين العشاقي، كان شيخاً صالحاً، صاحب أحوالٍ ومقاماتٍ، **توفي** سنة أربع وألف.

[٩] خواجه محمد يحيى بن محمد النقشبندي.

من أحفاد خواجه عبيدالله أحرار، كان من أكابر أولياء الله، ابتلي بمنصب الوزارة، عند سلطان الهند، جلال الدين الأكبر، وكان صاحب أحوالٍ وكراماتٍ، **توفي** سنة أربع وألف.

[١٠] محمد بن محمد الغوث، والعوام يسمونه: ممي دده.

وُلد بقلعة «بجينه» ببلغراد، وكان من أهل الكد، ثم لحقه جذبة إلهية، فاشتغل بحاله مدة، منجمعاً عن الناس، ثم برز واختلط بالناس، وصدرت منه كشوفات، وأحوال وكلمات عجيبة، وأفعال غريبة[١]، **توفي** سنة خمس وألف ببلده.

---

(١) الصوفية يتبعون كل من جُن واختبل، ويدعونه ولياً!! ويصنعون له الكرامات والخرافات وهو مجنون!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

[١١] **محمد بن محمد المغربي.**

الساكن ببلده «بجينه»، كان عالماً فاضلاً، كاملاً صالحاً، صاحب كرامات كثيرة، وخوارق ظاهرة، معتقد، ومن كراماته: أنه جاءت سفائن الكفار المعروفة بدوقة، على «بجينه»، فسمع المسلمون ببلدة «بجينه»، وهجموا عليهم وهزموهم، فهرب منهم شاب أمرد، واختفى بحانوتٍ خاليةٍ، بعث الشيخ رجالاً وقال: حظُّنا من الغنيمة في الحانوت الفلاني، فدخلوا وأخرجوا الشاب، وأحضروه بين يدي الشيخ(١)، توفي سنة خمس وألف.

[١٢] **محمد المعروف بمعيمع(٢).**

ذكره الشيخ عبد الرؤوف، في ذيل طبقاته «الكواكب الدرية في تراجم الصوفية»، فقال: كان والده حائكاً، فنشأ له هذا مجذوباً، وظهرت له أحوالٌ صادقةٌ، وأنفاسُ أنوارٍ صبحها دافقة، ومكاشفاتٌ وكراماتٌ، باهراتٌ فائقةٌ.

منها: ما حكاه الولد ـ أي: ولد المناوي، وهو زين العابدين، وتأتي ترجمته في حرف الزاي ـ: أنه كان إذا همَّ بشيء من المخالفات، أتاه صاحب الترجمة، ودفع له عمامته، وأمره أن يحلها ويعيدها كما كانت، فيفعل، فينصرف ذلك عنه.

وكان إذا قال له أحد: الفأرة في عُبِّك، قلع جميع حوائجه، وكان يضفر الخوص، ويتقوَّت منه، وربما ذهب إلى الغيطان ومحل المزارع، فيأكل من الطين.

---

(١) لا يُمكن لأحدٍ أن يكشف المستور ويعلم مخفي الضمائر والصدور إلا الله تعالى، ومثل هذا ربما يكون أخبره من رأى الغلام، والله أعلم.

(٢) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٥٦) (٨٩١).

قال حشيش الحمصاني: وكان لا يذكر ولدك باسمه، لا غيبةً، ولا حضوراً، بل بلفظ القاضي، ويقول: هو قاضي الفقراء. وسمعته مرة يقول: إنما أنت الروح، وكل ما في العصر الجسد، أقول ذلك لا لعلة ولا حسد.

مات بمصر، في أوائل هذا القرن.

[١٣] محمد الباقاني[١].

نسبةً لبلدة بقرب حلب، ذكره المناوي أيضاً، فقال: ملكٌ باصر، وصوفيٌّ بأحوال الطريق سائر، أخذ طريق البيرمية، عن جماعة من الأعيان، وقدم مصر في زمرة من الفقراء، وصارت له الوجاهة التامة، من الخاصة والعامة، ثم خرج منها ليلاً إلى الديار الرومية، ثم عاد لمصر منجمعاً منفرداً، فأقام مدةً، ثم رجع إلى بلاده، واجتمعت به، وأخذت عنه.

وحكي: أنه لما خرج من الخلوة، وقع بصره على فأرة، فاستحالت ـ بنظره لها ـ نوراً، فجاءت هرة، فأطلقها له، فلم تقربها، ولا سطت عليها، فتعجب الحاضرون من ذلك، فقلت: من أشرق عليه نور الجلال، لاتضره جناية[٢].

وكان له اليد الطولى في تعبير الوقائع، قال له ولده: رأيت أن القمر طلع من الأرض، وضرب بروقه عليّ، فقال له: لا بد من ولايتك القطبية.

[١٤] محمد بن محمد الشرمساحي.

نسبةً لبلدة من أعمال «منفلوط»، المجذوب الأقطع، ذكره المناوي

---

(١) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٥٧) (٨٩٢).

(٢) هذا كله من هراء المتصوفة، نسأل الله السلامة والعافية.

أيضاً، فقال: نشأ محترفاً بخدمة الدواب، وتزوج، وجاء له بعدة أولاد، فجنى عليه بعض الجند، فقطع يده، فجذب، ونزع ما عليه من الثياب، وصار عرياناً، صيفاً وشتاءً، ولبدنه بريقاً ولمعاناً، وليس في جسده ولا لحيته شعرة واحدة، بحيث لم ير في زمانه مثله[1].

ثم تحول من بلده، واستوطن بولاقاً، فظهرت له كراماتٌ وخوارقُ وإشاراتٌ، منها: أن الولد كان بباب الإمام الشافعي، فقدم عليه صاحب الترجمة، فقال في نفسه: ألهذا حال يحميه؟ فصاح عليه، وقال: مالك بي؟ ما فعلت معك؟ ما ذنبي؟.

ومن مزاياه الفاضلة: أنه مواظبٌ على زيارة القرافة كل جمعة، يجمع من البولاقية.

قال الحمصاني: لقيه ولدك مرةً، فقال له: أنت بالطريق أحرى، وإن لم تمدنا نعري، في الدنيا والأخرى.

[١٥] محمد المغربي القاطن بالقلعة[2].

ذكره المناوي أيضاً، فقال: صوفيٌّ مجذوبٌ، لكن الغالب عليه الصحو، فظهر له من الأحوال ما تقصر عن استيفائه العبارة، ومن كراماته: أنه لما فَحُشَ أمر جند مصر، شكوا له ذلك، فقال: سيأتيهم رجل يكون زوال سطوتهم على يده، ويريق دماء بعضهم، ويُذل آخرين، فكان كذلك.

---

(١) تعريه هذا الرجل دليل جنونه لا ولايته، علم ذلك كُل من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، سامح الله المصنف وغفر له.

(٢) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٥٨) (٨٩٤).

وهو ممن يتحمل عن أهل مصـر، وإذا بدا ما سيقع من المكروه في الظهور، طاف على أهل الحوانيت، ويقول: هل معكم إحسان للوالدة؟ ويأخذ منهم الدراهم، ويفرقها على محاويج الفقراء، فتندفع وتنحل.

قال الحمصاني: ودأبه أنه إذا وقع بصره على ولدك، قال: أدام الله هذا المدد، وربما قبل يده، ووقف تجاهه مطرق الرأس، ويقول: ما أقول في حق سلطاننا؟ يا سيدي! إن ترض عني، فلا أبالي، وإلا، فلا قال لي ولا موالي.

[١٦] محمد الصعيدي القاطن بالديوان[١].

وهو من بلدةٍ قريباً من أعمال أبريم، ذكره المناوي أيضاً في «الذيل»، فقال: صـوفيٌّ قُصـد للتبرك به من الآفـاق، واشتهر صلاحه، وبيمنه حصل الارتفاق، وظهر له من الكرامات الباع، ونحا له ظهر الانتفاع.

فمن كراماته: أن الأسد سُخِّر له يركبه متى شاء، ومنها: أن بعض الظلَمة جنى عليه، فقال للبحر: خذه، ولا تهمل، فصعد الماء حتى غرق الظالم، ثم عاد كما كان.

قال حشيش الحمصاني: سمعته يقول لولدك لما اجتمع به: أنا خلفك تابع، أَغترف من هذا الماء النابع، وقد رأيت المصطفى ﷺ يخصك من بين أصحابه بالخطاب.

[١٧] محمد المجذوب القاطن بقليوب[٢].

ذكره المناوي أيضاً في «الذيل»، فقال: ذو حالٍ وجلال، ومهابةٍ وكمال،

---

(١) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٦١) (٨٩٧).

(٢) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٦٢) (٨٩٨).

والغالب عليه السكر والجلال، مديمٌ لمحاسبة النفس في كل الفعال، وأخبر بعزل عدد من الباشات، وبولاية آخرين مسميات، فلم يخطئ.

قال حشيش الحمصاني: لقي ولدك، فقال: ما عليك لو صيرت لي من حالك أمره، وأكون كالعبد والمرأة؛ فإنك مرآة الوجود، وحالُ كل فقيرٍ عندك شاهدٌ موجودٌ.

[١٨] محمد بن محمد بن بركات، الشيخ ولي الدين بن الكيال الشافعي الدمشقي(١).

كانت له فضيلةٌ تامةٌ، وانجماع عن الناس، ولي نيابة النظر بالشامية البرانية، ثم تولى الظاهرية، فبقيت معه إلى أن مات غروب يوم الثلاثاء، رابع وعشرين شوال، سنة خمس بعد الألف، وهو في عشر الثمانين، وصلى عليه الشهاب أحمد العيثاوي، بعد ظهر يوم الأربعاء، ودفن بتربة بيت الكيال بباب الصغير ـ رحمه الله ـ، ذكره النجم الغزي في «ذيله».

قلت: واستوصاه بعض تلامذته، فأوصاه بقوله: مصلحات الدين: العلم، والحلم، والزهد، والورع، واليقين، وإكرام العشيرة، وذكر الله ﷻ. ومفسدات الدين: الجهل بالله ﷻ، وبأوامره سبحانه، وعدم الوقوف عند حدوده، والاقتداء بالمضلين. وأمهات الأخلاق الذميمة: الكبر، والحسد، والرياء، والعجب، والبخل، والحقد، والطيش، وحب الرياسة. انتهى.

قلت: وفي هذا كفاية لمن طلب الهداية، والله الهادي.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٣) (٧)، و«خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٥).

[١٩] محمد بن محمد اليمني القادري الشهير بفُقَيْه ـ بالتصغير ـ.

كان ساكناً ببلده «تعز»، وكان شيخاً، جليلاً، مرشداً، نبيلاً، عالماً، فاضلاً، كاملاً، بارعاً في أسرار الحروف، وخواص الأسماء، والوفق، والجفر، والتصرفات بها، وله كراماتٌ كثيرةٌ، وحالاتٌ عظيمةٌ.

انتهت إليه رياسة هذا الشأن، واجتمع عليه الأحباء والمريدون، وكان يأكل طعامَه كل يوم نحوُ ثلاثمائة، أو يزيدون، قال الشيخ محمد بن عطا الواعظ بالسليمانية بالقسطنطينية: صحبته مدةً، فأجازني، وقال: يا محمد! قد حفظني الله لحفظ هذه الأمة التي أودعتك إياها، وبعد هذا سأموت. قال: فمات بعد ثمانية أيام، صبحَ يوم الجمعة، من شهر رمضان، سنة خمس بعد الألف، وله ثمان وتسعون سنة. انتهى. كذا نقلته من «طبقات الأستاذ الشيخ محمد الشناوي» ـ قدس سره ـ.

[٢٠] محمد بن محمد اليمني القادري، الملقب بالشّداد ـ بفتح الشين المعجمة ـ.

كان ساكناً بجبل ثور، قريباً من بلدة «تعز»، وبنى به زاويةً، ومسجداً على أربع قباب، يقال: إنه اجتهد أولاً في العبادات، والرياضات والمجاهدات؛ كالمشايخ السابقين، ووصل إلى مقاماتهم وحالاتهم، وصار مرشداً كاملاً مكملاً، في الشريعة والطريقة، وله أصحاب وأحباب، وكان يتعيش بالرفاهية والحضور، مستغنياً عن الناس، ولم يكن له شيء من أسباب الدنيا.

روي: أنه لما بنى مسجده أولاً على قبةٍ واحدةٍ، وكان حسين بك بن حسن باشا أميراً ببلاد تعز، وكان شاباً حدث السن، فقيل له: إن خازن أبيك

يحب الشيخ، ويعث إليه مالاً جزيلاً من مال أبيك، بنى به المسجد، فغضب الشاب، وأمر بهدم المسجد.

فذكروا ذلك للشيخ، فسكت، فلما هدموا، دخل الشيخ إلى داره، ثم خرج، وفي يده خرقة فيها خمسة عشر ديناراً، وقال: هذا الذي بعث به إلي الخازن، فعلمت أن يكون الحال على هذا المنوال، وحفظتها، فادفعوها إلى الأمير يبعثها إلى أبيه، فمات الشاب بعد أيام، فقالوا له: أيها الشيخ! هذا شاب لا يعلم شيئاً، فكيف تدعو عليه، وأنت أعلم به؟ فقال: ما دعونا عليه، ولا نحتاج إلى الدعاء، لكن غيرة الله باقية، فينتقم في مثل هذا، إن رجا صاحبه أو لم يرج، ثم توفي سنة خمس وألف ـ رحمه الله ـ. كذا نقلت أيضاً من «طبقات الشناوي».

[٢١] محمد بن محمد كليبولي.

كان عارفاً كاملاً، توطن بقرية «مسرابة» من أعمال المرج بدمشق، ويجيء كل جمعةٍ إلى دمشق لصلاة الجمعة، ثم يرجع إلى قريته، وكان شيخاً صالحاً مجاهداً، وربما تصدر منه الخوارق، صحب الشيخ المعروف بالقطناني، وتوفي سنة خمس وألف.

[٢٢] محمد بن محمد صلاح الدين بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ابن داود، الشهير بالداودي المقدسي الشافعي، نزيل دمشق، الشيخ الإمام الحافظ، شمس الدين[١].

قال النجم الغزي في «ذيل الكواكب السائرة»: مولده سنة اثنتين وأربعين

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٥).

وتسعمائة، قرأ بالقدس على محمد بن أبي اللطف المقدسي، ثم رحل إلى مصر، وأخذ عن النجم الغيطي، والناصر الطبلاوي، ويوسف [بن] شيخ الإسلام القاضي زكريا، والخطيب الشربيني، والشمس الرملي.

وأخذ بدمشق عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وأعاد للشيخ إسماعيل النابلسي بالشامية، وأخذ عنه العلوم العقلية والنقلية، وكان له مشاركةٌ جيدةٌ في الفقه، ومسايرةٌ تامةٌ في المعاني والبيان، وسائر علوم العربية، واستحضار جيد للشواهد والأمثال، ودرايةٌ الحديث.

ولما دخل دمشق سنة ثمانين وتسعمائة، نوى على الإقامة بها، ثم رحل إلى الروم، في منتصف ربيع الأول، سنة ست وثمانين وألف، ووجهت إليه مدرسة العزيزية، ثم تزوج بدمشق، وسكن بتربة كيكندي، قريباً من المدرسة النورية، ثم ولي مشيخة الحافظية، خارج دمشق، وكان يقرئ بعد البدر الغزي، في الحديث وغيره، بالجامع الأموي.

وقرأ «البخاري» بجامع بني أمية، تحت قبة النسر، إلى أن وصل إلى باب: «كان النبي ﷺ إذا صلى، لا يكف شعراً ولا ثوباً»، ودرَّس بعده الشمسُ الميداني، من ذلك الباب إلى «مناقب عمار بن ياسر»، ودرس بعده النجم، إلى أن أكمله في ثلاث سنوات، ثم افتتحه وختمه، وأعاد قراءته، إلى أن وصل إلى باب «البكاء على الميت»، وتوفي ـ رحمه الله ـ.

وقرأ «شرح المنهاج» للمحلي، بقراءة محمد، فعمل دعوة حضرها جماعة حين ختمه من العلماء، فمما قيل في ذلك:

ويـومٍ قـد قطعنـاهُ سـعيدٍ لجيدِ الدهر قد أضحى مُحَلِّي

بــروضٍ زاهــرٍ جنبــاتِ نهــرِ ومــأكولٍ ومــشروبٍ مَحَلِّــي
قطعنــــاهُ بقــــرآنٍ وذكــــرِ وإخــوانٍ حَــوَوْا أســنى مَحَــلِّ
وكــانَ ختامُــه مــسكاً فقــالوا كــذلكَ فلـيكنْ خَــتْمُ المَحَلِّــي

وكان يعظ الناس في يوم الأحد والخميس، وولي إفتاء الشافعية بدمشق، ولازم الفتوى والوعظ والحديث، وحصل كتباً كثيرة نفيسة، وولي آخر الأمر تدريس الأتابكية بالصالحية، وله شعر لا بأس به، منه قوله:

لــولا ثــلاثٌ هُــنَّ مــن وردي ما كنتُ أخشى الرمسَ في لَحْـدي
أَنْ أنــشرَ الــسنَّةَ أَبغــي بهــا نــصراً علــى الحاســدِ والــضدِّ
وأَتلــــوَ القــــرآنَ لــــيلاً إذا نـامَ الـورَى فـي الفُـرْشِ والمَهْـدِ
وأن أُرى فــي عملــي مخلِــصاً لــذي الجــلالِ الواحــدِ الفَــرْدِ
فهــنَّ ثــلاثٌ أرتجــي فــي غَــدِ أَرقــى بهــا فــي جنــةِ الخلــدِ

وقوله مقيداً لأسماء من حفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ:

لقــد حفــظَ القــرآنَ عهــدَ نبيِّنــا ثمانيةٌ عن سيرةِ الحقِّ مـا مـانوا
أُبَــيٌّ أَبــو الــدَّردا مُعــاذٌ عُبَــادَةٌ تَمــيمٌ أبــو زيــدٍ وزيــدٌ وعثمــانُ

ومات بعلة الاستسقاء، يوم الأربعاء، ثالث شعبان، سنة ست بعد الألف، وصلى عليه بالجامع الأموي، إماماً بالناس، الشيخُ محمد حجازي، وحضر جنازته قاضي دمشق، يحيى أفندي بن زكريا، في جملة من العلماء، وكانت حافلةً، ودفن بتربة باب الصغير.

واتفق للمترجَم أنه كان جالساً في درسه، فجاء إليه بعض أكابر طلبته،

فقبل يديه ورجليه، فقال له بعض الحاضرين: هذا مَلَقٌ مذمومٌ إلا في طلب العلم؛ فإنه ينبغي أن يُتملق للأستاذ وشركائه، ليستفيد منهم. انتهى.

ومن فوائده قال: أخبرنا شيخ الإسلام بدر الدين بن رضي الدين الغزي، قال: أخبرنا شيخنا الكمالُ بن أبي الشريف بن المرحل لنفسه:

وقائلةٍ إقرأ كتاباً مُطَوَّلاً ... من النحوِ تُرغِمْ أنفَ من هو لائِمُ
فقلتُ لها ما قال قبلُ كُثَيِّرٌ ... لعزةَ لما أَنْ عَرَتْه العظائمُ
وَدِدْتُ ـ وما تُغني الودادةُ ـ أَنني ... بما في ضميرِ الحاجبيةِ عالِمُ

[٢٣] محمد بدر الدين بن محمد بن محمد، الكرخي، الشافعي[١].

نزيل مدرسة السلطان حسن بالقاهرة، الشيخ الإمام العلامة، ملحق الأصاغر بالأكابر، ومثقف علوم الأوائل في الدفاتر، بركةُ المسنِدين، وخاتمة المحدِّثين، كان عالماً عاملاً، وفاضلاً كاملاً، وفقيهاً مفسراً، ومحدثاً نيراً، مولده سنة عشر وتسعمائة.

وأخذ العلم عن جماعة:

منهم: شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: قرأت عليه سورة الفاتحة، وأجازني بجميع مروياته ومؤلفاته.

ومنهم: الشهاب أحمد الرملي، وولده الشمس محمد.

ومنهم: الشمس محمد بن إبراهيم التتائي المالكي.

قال: ومن جملة ما قرأته عليه، في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة: شرحهُ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٢)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦١).

على القصيدة التي في مصطلح الحديث، التي أولها:

غرامـــي فيـــكَ[1] صــحيحٌ والرجـــا فيـــك مُعْـــضَلُ
وحُزْنـــي ودمعـــي مرسَـــلٌ ومسلـــسَلُ

وله مؤلفات، منها: حاشيتان على «تفسير الجلالين»: كبرى في مجلدات، سماها: «مجمع البحرين ومطلع البدرين»، وصغرى في مجلدين ضخمين، سماها: «عرف النسرين تلخيص مجمع البحرين»، وله حاشيتان على «شرح المنهاج» للجلال المحلي.

توفي في ذي القعدة، سنة ست وألف، ودفن بجوار الإمام الشافعي، وذكر في بعض دروسه مسألةَ أن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها، فرد عليه بعض تلامذته: مثل: يدك، ودمك، وفيك، فأجاب على البديهة: إن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها التي استعملت على غير الأصل إلى أصوله المستعملة، وما ذكر من اليد وأخويه أصله غير مستعمل. انتهى.

[٢٤] محمد بن محمد الوسيمي الشافعي[2].

الشيخ العلامة المُعَمَّر، كان من أجلاء العلماء العاملين بالديار المصرية،

---

(١) «فيك» زيادةٌ ليست على المشهور من متن القصيدة.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٥)، وقال المحبي: رأيت ترجمته بخط صاحبنا الفاضل مصطفى بن فتح الله المصنف، قال في وصفه ـ رحمه الله تعالى ـ، وكأنه نقل هذه الترجمة من نسخة أخرى غير التي بين أيدينا؛ لأن فيها زيادة ذكر وفاته بقوله: وكانت وفاته يوم الاثنين، ثالث جمادى الأولى، سنة ست بعد الألف بمصر، ثم يقول المحبي: وعلى روايته عن الحافظ يكون عُمّر فوق المائة والخمسين سنة، وهذا غريب جداً، والله تعالى أعلم.

منعكفاً في بيته عن الناس، مقيداً بقول من قال:

لقـاءُ النـاسِ لـيس يفيـدُ شـيئاً ... سـوى الهـذيانِ مـن قيـلٍ وقـالِ
فَأَقْلِـلْ مـن لقـاءِ النـاسِ إلاَّ ... لأخـذِ العلـمِ أو إصـلاحِ حـالِ

أخذ عن شيخ الإسلام زكريا، ولازمه سنين، وأدرك الحافظ ابن حجر العسقلاني، وله عنه رواية، وبلغني: أن شيخ الإسلام كان يجله لذلك، كعادته مع كل من أدرك الحافظ المذكور.

ونقل لنا عن شيخنا البابلي عنه: أنه كان يقول في شأن الحافظ ابن حجر: الحديث فنه، والشعر طبعه، والفقه يتكلف فيه.

روى عنه: النور الزيادي، وسالم الشبشيري، وإبراهيم اللقاني، وعلي الأجهوري، وكثير، وكان أكثر إقرائه في منزله، ولا يترك قراءة الحديث صيفاً وشتاء ـ رحمه الله، ونفع به ـ.

[٢٥] محمد أبو السرور بن محمد بن محمد بن أبي الحسن، الملقب تاج العارفين بن جلال الدين، محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين بن عيسى بن داود بن نوح بن طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، سبط آل الحسن ﷺ[١].

الشيخ الإمام، الجامع بين علمَي الظاهر والباطن، محلل مشكلات

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٧)، ورتبه باسم أبو السرور بن محمد، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٧١) (١٨)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦١).

غوامض العلوم، وموشح رياض المنثور بجواهر المنظوم، ومرشح المعارف القدسية بوشائج الفصاحة القبسية.

ولد بمصر، وبها نشأ في حجر والده، وتمتع منه بطريفه وتالده، وأخذ عنه، وعمن عاصره من أكابر العلماء؛ كالشمس محمد بن أحمد الرملي، والشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وعبد القادر النطروني الشافعي، حتى طلعت شمس علومه بالقاهرة، واختفت نجوم فضائها والأشعة قاهرة.

هو الشمسُ علماً والجميعُ كواكبٌ ... إذا ظهرتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

أخرس ببلاغته فصحاء العرب بأنحائها، بعد ما هدرت شقاشِقُها في سرة بطحائها، وبذَّ بمنطقه الأواخر والأوائل، وسحبَ به ذيلَ العِيِّ سَحبانُ وائل، وكان مقيماً ببيت على بركة الفيل، المشرقة من آفاقها كواكبُ النيل.

بِأَمواهٍ تَصِلُّ بِه حَصَاها ... صَليلَ الحَلْيِ في أيدي الغَواني

وكان يتفيأ ظلال ذلك المقيل، إذا جرى على لجين الماء ذهب الأصيل، في هواء رق كأيام الهوى، وماء رقَّ كدمعة السرور بعد النوى، كما وصف بعض الشعراء للصاحب بن عباد داره بقوله:

هَواءٌ كأيامِ الهَوَى فَرْطَ رقَّةٍ ... وقَدْ فَقَدَ العشاقُ فيها العواذِلا
وماءٌ على الرضراضِ يَجْري كأنه ... صفائِحُ تبر قد سُبِكْنَ سَلاسِلا
كأنَّ بها من جِرْيَةِ الماءِ جُنَّتي ... وقد ألبسَتْهُنَّ الرياحُ سَلاسِلا

وله ذوقٌ صحيحٌ في معارف الصوفية، وبلاغةٌ كاملةٌ في إلقاء الدروس البكرية، وكان يدرس في الجامع الأزهر، وله اتساعٌ في الدنيا، ومداخلةٌ في

أمور كثيرة، وكان ـ فيما بلغني ـ أمثلَ من أخيه زين العابدين، وكان متقيداً بالعلوم النقلية والعقلية، وملازماً بالتدريس العلوم الشرعية.

وكانت تسعى لمنزله الأماثل، لعلمه الكامل، وكرمه الشامل، ونفعه للخاص والعام، واتفق أن الشمس الرملي حضر درسه في الفقه عند ختمه بدعوة منه، وجرى بينهما أبحاث لطيفة، ودرس بالخشابية، بعد شيخه الشمس الرملي.

قال النجم الغزي: لما سافر أخي أبو الطيب إلى القاهرة، سنة اثنتين وألف، صحبه، وكان المترجم يبالغ في إكرامه. انتهى.

قلت: وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «تفسير سورة الأنعام» في مجلد مختصر، و«فضل ليلة النصف من شهر شعبان» من «كتاب النبذة» لجله الشيخ أبي الحسن وشرحه، وسماه: «فيض المنان بشرح مختصر نبذة ليلة النصف من شعبان»، وقرظه له الشيخ العلامة عبدالله الدنوشري، فقال:

هــذا كتــابُ منــازلِ العِرْفــانِ ... ومَنــارةُ الألبــابِ والأذهــانِ
فــالزمْ قراءتَــه ولازمْ درسَــهُ ... إذْ ذاكَ فــيضُ الواحــدِ المَنَّــانِ
تلميــذُ مولانــا وحــافظُ عـصرِنا ... من نسل صـدِّيقِ النَّبِــي العـدنانِ
لا زال يرقـى فـي جنـانِ سـيادةٍ ... ما غـردَ القُمْـري علـى الأغـصانِ

وله في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾[الفتح: ٤] الآية، اعترض فيها على الفخر الرازي، وبيّن أبحاثاً غريبة التفسير، وأبان فيها عن كامل فضل وعلم غزير.

وقال الطالوي في «السابحات»: وعمل رسالةً رشيقة الألفاظ، دقيقة

المعاني، تتعلق بمباحث آيات السبع المثاني، حاك بُرودَ طُروسها على منوال التحقيق، وطرز حواشي سطورها ببيان التدقيق، وبعث بها من الديار المصرية، إلى دار السلطنة السنية، لا برحت دارَ عدل وأمان، ما اختلف المَلَوان، تتضمن طلب منصب إفتاء الشافعية بالقاهرة المعزية، وقد كان يومئذ منوطاً بشيخها على الإطلاق، وعلامتها المشهور في الآفاق، صاحبِ التصانيف العديدة، والتآليف المتداوَلة المفيدة، شمسِ الملة والدين محمد الرملي، وعُدّ ذلك الطلب منه على المحبة ذنباً واحداً، لكنه شنيع، وخَطْبٌ عند فضلاء الأمصار والأعصار فظيع، على أن لسان حاله أنشد معتذراً، مبرزاً من الضمير ما كان مستتراً.

وإذا المُحِبُّ أتى بذنبٍ واحدٍ ... جاءت محاسِنُه بألفِ شفيعِ

وإنما تم له ذلك بشفاعة يحيى أفندي بن كمال الدفتري.

لما كتب له صاحب الترجمة رسالة صورتها:

لو أَذِنْتم لِطَيِّبٍ من نسيمِ ... بسلامٍ يُحيي فؤادَ السليمِ
لتلقّاه من ودادي قَبولٌ ... قانعاً من شَذاكم بشَميمِ
أو لو ان الرسولَ وافى برَقْمٍ ... لمحبٍّ من شوقِه في جحيمِ
كانتِ النارُ مثلَ نارِ خليلٍ ... تنطفي بالسَّلامِ والتسليمِ
حينَ وافى الإخوانَ منكم طروسٌ ... نظمُها فائقٌ كدرٌّ نظيمِ
ثم جاءَ الأنام نحويَ سعياً ... يسألوا الصَّبَّ عن نباك العظيمِ
هل تناسى الأميرُ منكم وداداً ... وثناهُ الحُسَّادُ بالتلويمِ

قلتُ كلاَّ فإنَّ ودي أميري محكمُ النصر كالكتابِ القديمِ
إنَّ يحيى الأميرَ أعظمُ مولًى لا يبالي بعاذلٍ وزَنيمِ
إنَّما الكتبُ للمباعد معنًى يكتفي بالرقومِ أهلُ الرسومِ

ثم أعقب هذه القطعة البديعة بنثرٍ، هو لطراز حلة الأدب وشيجة، وهو قوله: خلده الله تعالى لدولة المجد والسعادة، وعدة الفخر والسيادة، وسمو مراتب، يعتذر عن لحاقها طائر الجو، وعلو مناقب، تَكِلُّ عن بلوغها رياحُ الدَّوّ، وسبوغ نعم لو أن سكان الجنان سمعت نبأها، لطاب إليها الخبر، وبلوغ آمال هي العين بل إنسانها وسوادها. . . سيدنا ومولانا وحبيبنا، المقر الكريم العالي، فخر أرباب الرتب العوالي، عين أعيان أمراء الدولة السلطانية، وكبراء الخلافة الخاقانية، حضرة مولانا يحيى أفندي، حرسه المُعيد المبدي، ولا زال يُسدي لأحبائه ويُهدي.

فأجاب على لسان المكتوب إليه، أبو المعالي درويش محمد الطالوي الدمشقي بقوله:

أسلامٌ من قولِ ربٍّ رحيمِ نعمَ الرَّوح منه رَوْحُ نسيمِ
جازَ بانَ الحِمَى وكثبَ المصلَّى واللِّوى وانثنى بعَرْفٍ نَمومِ
فيه من بانتَيْ زَرود وحزوى مهجةٌ شمُّها شفاءُ السقيمِ
فكأنَّ الصَّبا ثنت مسكَ دارينَ إليه في جُنحِ ليلٍ بَهيمِ
أو حظتْ مطلعَ الغُوَيْرِ فمرَّتْ بين باناتِ روضةِ الموهومِ
أو مشتْ بالأراكِ ممن سفحِ نجدٍ فانثنت من عَرَارِهِ بشَميمِ

بل أتتْ بسِقْط اللِّوى حيثُ ريَّا سَفَرَتْ فيه عن مُحَيّاً وسيمِ
فإذا ما انثنتْ فعن غُصنِ بانٍ وإذا ما رَنَتْ فعن لَحْظِ رِيمِ
أمْ رياضٍ باتَ الشمالُ يعاطي ثغرَ أزهارها كؤوسَ الغيومِ
فَغَدَتْ كالسماءِ غبت سماء زهرُها النجم مثل زُهْرِ النجومِ
وكأنَّ الغصونَ في الدار صبٌّ حارَ بين الوداعِ والتسليمِ
فرعتها وُرْقُ الحمائمِ تشدو فوقَ أغصانها بشوقٍ رخيمِ
أذكرتْنا بشجوها رنة العو دِ تغنَّتْ عليه بالمَزْمومِ
بين ربعي فُسطاط مصر ومجرى نيلِها العذبِ راقَ كالتَّسنيم
ألبسته الصَّبا مضاعَفَ بُرْدٍ نسجَتْه باللطف أيدي النسيم
حيثُ شَرْخُ الصِّبا إلى العِين عَوْني وشفيعي إلى ظباء الصريمِ
والهوى قائدي إلى روضةِ الـ ـمقياسِ مَغْنَى الهوى مقرٌّ النعيمِ
مع سُعْدى وزينبٍ وربابٍ وسُليمى وَفرْتَنى وظَلومِ
كلُّ خَمْصانة الوشاح رَداحٍ كرشا الرومِ بالحشا المهضوم
يا خليليَّ والهوى غيرُ خافٍ عنكما والمحبُّ غيرُ ملومِ
خَلِّياني ووقفةً في الرسومِ أقضِ من بعضِ بَثِّيَ المكتومِ
كم أُسَلِّي الفؤادَ عن ساحةِ الـ ـقصرينِ والقلبُ فيه نارُ الحميمِ
فَصِفا لي تلكَ الربوعَ لعلِّي أجتليها بطرفِ قلبٍ كليمِ
واذكرا لي ريحانةَ العمرِ فيها فهواها رُقْيا لقلبي السليمِ
يا سقاها دنوُّ عهديَ منها صادقَ النوءِ من ودادٍ قديمِ

ورعى مَنْ بها لعهدي يرعى ... من وليٍّ وصاحبٍ وحميمِ
سِيَّما ذاكَ الجنابُ المفدَّى ... عمدةُ الفاضلينَ شيخُ العلومِ
منتهاها أبو السرور أخو الـ ... ـمجد ومولاهُ والنوالِ الجسيمِ
صدرُ مصرَ البهاءُ وبدرُ سماها ... مستعيذُ العداةِ مُرْدي الخصومِ
والإمامُ الذي له الرأيُ ما ... زال منيراً في الخَطْبِ كُلَّ بهيمِ
هَذَّبَ المذهبَ الجديدَ وأحيا ... لابن إدريسَ قولَه في القديمِ
وأزالَ الخلافَ عنه بفكرٍ ... منتجٍ للصوابِ غيرِ عقيمِ
محرزُ السبقِ من بني الصدقِ فضلاً ... وقد استَجْمَعوا مكارمَ خِيمِ
جاء منهُ مع الرسول كتابٌ ... قابَلَتْه الأكفُّ بالتعظيمِ
وفضضنا ختامَه فدُهشنا ... بين دُرِّيِّ نثرِه والنَّظيمِ
وشهدْنا سحرَ البلاغةِ يبدو ... من حواشي مسطورِهِ والرقيمِ
فامتَثَلْنا لِما به قد أُمرنا ... وابتَدَرْنا للسعي في التتميمِ
وسلامٌ من خالصِ الودِّ يحيى ... منه عهد على الجنابِ الكريمِ

أيد الله أصول الشريعة النبوية، وأيد بنيان فروعها المصطفوية، لا برحت أعلامها مرفوعة اللواء، منصوبة المحل من غير استثناء، جارية أحكامها في الخافقين، باقية على الدهر بقاء الفرقدين ببقاء سيدنا المولى بحرِ العلوم الزاخر، فخرِ الأوائل والأواخر، الذي زهر به جامع الفضل وأنار، وأشرق برأيه المنير معلم العلم واستنار، وأطلع من سماء الإفتاء نجمَ الأحكام زاهرة، فأضحت بين علماء القاهرة لأعدائه قاهرة، ولأودَّائه باهرة، منهج الطلاب وبهجة الأصحاب.

فيا له مولًى بذَّ بمنطقه الشافي العِيّ، كلَّ من ناظرَه من أصحاب الشافِعيِّ، ولهذا أصبح حظُّه من العلوم سيما الدينية موفور، العلامة الشيخ أبو السرور، حرس الله مهجته، وضاعف سروره مدى الأيام وبهجته. آمين.

ولما تم ذلك المراد، طبقَ ما تمناه من قبلُ وأراد، كتب له العلامة درويش محمد الطالوي، على لسان حامل تلك الرسالة، مستهلاً بهذه المقالة، وهو قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[النساء: ١٧٦] إذ بيّن لكم بعلم الشرائع حرامه وحلاله؛ حيث جعل العلم في الدنيا نوراً، وفي الآخرة بهجة وسروراً، ورفع الذين أوتوا العلم درجات، وجعلم أئمة يهدون إلى سبيل النجاة، وخص الفقهاء الأعلام، بخلاصة الفتاوى والأحكام، وتمييز الحلال من الحرام.

لينتظم بذلك أمد المعاش بين الآنام، لإرادة جلت، وحكمة دقت، لا يعلم ذلك إلا الراسخون في العلم، والكاشفون عن حقائق الأشياء كما هي، فمن ثم لم يخل عصر وأوان، ولا مِصْرٌ في جميع الأزمان، من قائم لله بحجته، وموضحٍ لعباده نهجَ محجته؛ اعتناء بشأن هذا الإنسان، وإيماء إلى أنه العين المقصودة من الأكوان.

وكان ممن فاز بأوفر حظ من ذلك الظهور، وأحرز قصبَ السبق في مضمار تلك الحَلْبة من أولئك الجمهور، فريدُ زمانه، ووحيد عصره وأوانه، بل شيخ مشايخ عصره، وعميد أفاضل مصره، مولانا وسيدنا محمد أبو السرور، مفخر سبط آل الحسن، فرعُ دوحة الفصاحة واللَّسَن، بحر البيان الزاخر، فخر الأوائل والأواخر.

قرةُ عين أصحاب الإمام محمد بن إدريس، والحالُّ من تلك العصابة

محل الرئيس، والجوهر القاني النفيس، فهو الذي زركش مذهب الشافعي، بمنطقه الحاوي البلاغة والشافي العي، فلله منطقٌ ملكَ آية الإعجاز، وملك استعارته جانبي الحقيقة والمجاز، يصوغ المعنى الوجيز كالذهب الإبريز، وإذا حرر مسائل الخلاف، أزرى بزهر الروض الميناف، أو قررها بحسن لهجته، فيا خجلة ابن الوردي ببهجته.

فهو العالم الذي باهت به الأيام، وتاهت في يمينه ألسنة الأقلام، لذا أصبحت عيون المذاهب إليه ناظرة، وثمرة الخلاف في روضته ناضرة، كيف لا وهو غصن هاتيك الدوحة البكرية، وفرع شجرة تلك الشجرة الطيبة الصدِّيقية، فيا لها شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فقد نما ـ وأيم الله ـ على سائر فروعها وسما:

قومٌ لهم في سماءِ المجدِ منزلةٌ زُهْرُ الكواكب منها النورَ يقتبسُ
من كلِّ أزهرَ بادي البشرِ غُرَّتُه كأنها في دياجي ظُلمةٍ قَبَسُ
أبو السرور سما من بينهم فغدا سماءَ فضلٍ وهم من حولِه حَرَسُ

شعر:

يا أسرةَ الصدقِ والصدِّيقِ إنَّكُمُ في كل عصرٍ لعينِ المجدِ إنسانُ
طِبْتُم ولكنَّ بعضَ الشيءِ يفضُلُه ألا ترى أن بعضَ القولِ برهانُ

هذا، والمنهى لتلك الحضرة العالية الشان، الضاربةِ سُرادِقَ مجدها على هامة كيوان، بعد عرض أشواق لا يكاد يحصيها قلم كاتب، ولا يستقصيها رَقْمُ حاسب: أنه لما سار بنا الفلك السيار، وألقينا بمحروس قسطنطينية عصا التسيار، مرسى الفُلْك، ودارِ المُلْك، وأشرفنا على تلك المشارق السعدية،

وتشرقنا ببهلتيك المواقف السنية، أسبغ الله على كافة الخلق ظلالَها، وضاعفَ كلَّ حين جلالها وإجلالها، عرضنا عليها أملتكم، وأدينا إليها رسالتكم، فكان السعدُ طالعَها، بأن السعدُ طَالعَها، فزادت بذلك حسناً وبَها، وحلَّت من الشرف حيثُ الشُّها، فعند ذلك وُجِد محب القول مجال، وأطلق عِنانَ الوصف وجال.

ولم يزل في ذلك المقام يوشح بفضلاتكم أعطافَ الكلام، تقريباً للمرام، وتبعيداً من الملام، حتى إنه انعطفت عليكم العواطف السعدية، وأنعمت عليكم بمنصب إفتاء الشافعية، بعد عرضها على السدة السنية المرادخانية، والعَتَبة العلية الخاقانية، خلد الله خلافتها على مر الدهور والأعوام، وربط سلطنتها بأوتاد الخلود والدوام.

وقد أخرجنا لكم البراءة السلطانية، من السدة المحفوفة بالقدرة الصمدانية، حيث الأوامر فيها تُطاع، وهي في غاية الحسن ونهاية الإبداع، وجهزت إلى ذلك الجناب، المضمخةِ سوحُه بالإتاب، على يد قاصدكم فلان، بلغكم الله مآربكم ومقاصدكم في كل آن، بالنبي وعترته[1]، ومن اقتفى أثرهم من أسرته. انتهى.

قلت: وكانت وفاته بعد عصر يوم الأحد، بمنزله المطلِّ على بركة الرطلي، ودفن يوم الاثنين، تاسع شهر ربيع الثاني، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وألف، وعمره نحو ست وثلاثين سنة، ودفن عند والده، بجوار الإمام الشافعي ﷺ.

---

(١) لا يجوز التوسل بالنبي ﷺ وآل بيته عليهم السلام، وهو من التوسل المحرم.

[٢٦] محمد بن محمد بن عبد الرحمن مؤذن باجمال الحضرمي[١].

صاحب الأحوال، والمهابة والجلال.

وُلد سنة خمس وخمسين وتسعمائة، بعد وفاة والده، فسمي باسمه، وتربى في حجر ابن عمه، الفقيه عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن.

وحفظ القرآن، وقرأ على المذكور العلمَ الشريف، وقرأ الفقه على الفقيه عبد الرحمن بن سراج، وعلى والده محمد، وصحب جماعة من العلماء الأكابر؛ كالفقيه عبدالله بن سراج، والفقيه علي بن محمد بامهيد.

وحصل كتباً كثيرة، ووقفها على طلبة العلم الشريف، وكان صحيح القلب والجسم، معافًى من الأمراض، معاشراً بالمعروف والقيام بحقوق الإخوان، والمحبين في الله تعالى من الإكرام، وصلة الأرحام، له صبر شديد، وعقل سديد، شكوراً لله تعالى على نعمه الباطنة والظاهرة، له همة عالية، ومروءة نامية، في جميع أحواله، في لباسه ومخالطته، ووقف على عمارة كتبه وقفاً كثيراً، ووقف سقايتين، ووقف عليهما ما يقوم بهما.

وكانت **وفاته** عام سبع بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٢٧] محمد تركي بن محمد بن عبيد الشهير والده بالصبان الخلوتي[٢].

ذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في ذيل طبقاته «الكواكب الدرية في تراجم الصوفية»، فقال: كان شيخاً صالحاً، متعبداً متواضعاً مهدياً، ريض الأخلاق، حسن الشمائل على الإطلاق، جيد الخبرة بطريق التصوف، مشاركاً

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٨).

(٢) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٦٠) (٨٩٦).

في الحقائق لأهل التعرف.

ومع رفعة محله، وإرغامه لمن تصدى في عصره للأخلاء، لو فرض أنه من أهله، كان الجمهور لا يلتفتون إليه، ولا يعولون في كشف المنازلات عليه، والحظوظ لا تعلل، والدنيا لا تتوقف على تاج بالفضائل مكلَّل.

أخذ عن الشيخ كريم الدين الخلوتي، ثم عن أخيه عبدالله، وكان على الأول رَضاعه، وعلى الثاني فِطامه، وكان مع تخلقه بأخلاق القوم، وتمكنه في الطريق، لا يأكل إلا من عمل يده، فكان يعمل المناخل ويبيعها، وهو مع ذلك ملازم للجد والاجتهاد، بحيث لا يكاد يغفل طرفة عين.

وكان محمديَّ الصفات، إن ذكرتَ الدنيا، ذكرها معك، وإن ذكرتَ الآخرة، ذكرها معك، ولم يكن للغضب عليه سبيل، فقد لازمته سنين، فما رأيته غضب قَطّ، وقد كان انتهى إلى حالة يسمع فيها نطق الحيوانات والجمادات بالتسبيح، وكان إذا اشتغل بالذكر، شاركته الموجودات[1].

وأخبرني: أنه أقام ثلاثة عشر عاماً، لا يضع جنبه على الأرض بل يصلي الصبح بوضوء العشاء. وقال لي: إنه أقام بمكة سنين، يفتصد في كل أسبوع مرتين؛ لشدة حر القطر، وشدة حرارة لزوم الذكر، وهذه كرامة.

ووقع له أنه دخل بيتاً ليس فيه مصباح، فأضاء بدنه، وكان يتأسف على اندراس أهل الطريق، واختفاء آثارهم، ولم يزل ملازماً على الاشتغال، وتلقين الذكر والتربية، حتى حج وجاور، ثم عاد مريضاً إلى القاهرة، **فانتقل فيها إلى**

(١) قال سبحانه وتعالى: ﴿. . .وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء: ٤٤] وكفى بكتاب الله شاهداً ودليلا.

الآخرة، سنة سبع وألف، بعد نحو شهرين من قدومه، وقال في مرضه: قد فتشت مصر، وطفت الحجاز، فلم أر أحداً من الظاهرية، فيه أهلية التسليك.

وطريق الخلوتية الآن شاذلية، ودفن بجانب أخيه عبدالله الآتي ذكره، ولم يخلف بعده في طريقتهم أحد، وإنما هي دعاوى وهذيان، مع خلو عن علمي الظاهر والباطن، حتى صار الآن عقلاء فضلاء العلماء، يتضاحكون من هذه الطائفة، ويهزؤون بهم، وتضرب بجهلهم الأمثال، ومن يظهر منهم غير ذلك، فإنما هو لعلة أو نفع دنيوي، ولا قوة إلا بالله. انتهى.

[٢٨] محمد بن محمد بن خصيب، السيد الشريف، شمس الدين المقدسي، الشافعي، المعروف بالشام، بالسيد المقدسي(١).

مدرس العذراوية، كان له نظمٌ ونثرٌ، وهمةٌ عليةٌ، سافر إلى الروم، قال النجم الغزي في «ذيل الكواكب السائرة»: سمعته يقول: أول ما قرأت: «صفوة الزبد»، وكنت أسمع العلماء ببيت المقدس يقولون: من قرأ هذا الكتاب، لا بد أن يلي القضاء، قال: وكنت لا أرغب فيه، وكنت أقول: انخرمت العادة، فلما كنت بالروم، احتيج إلى قاضٍ شافعيٍّ؛ لأجل فسخ نكاح، فوليت القضاء في تلك القضية، فقلت: هذا تأثير ما قيل فيمن قرأ «صفوة الزبد».

ثم عاد إلى دمشق، وكان يزاحم أكابرهم على المناصب العلمية، ويكثر مداخلتهم، وانتهى أمره إلى أن ولي قضاء الشافعية، نيابة بالباب، بعد موت الكنجي، بنحو سنة، ثم عرض له فالج، منعه عن الحركة، حتى توفي

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦٦) (١٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٤).

بالإسـهال، يوم السبت ثالث عشر جمادى الآخرة، سنة ثمان وألف، ودفن بتربة باب الصغير ـ رحمه الله ـ.

[٢٩] محمد بن محمد بركات بن أبي الوفاء[١].

الشيخ القانت، مربي المريدين، أبو الفضل، الموصلي الأصل، الميداني الشافعي، الصوفي القادري، كان كأبيه جواداً سخياً، حسن الخُلق، تتردد إليه أكابر الناس وعلماؤهم، كريماً مضيافاً معظماً، وممن تتجمل به دمشق، ويرجع إليه فيها الخاص والعام، وكان بيته مورد الواردين، ورزق الحظ والجاه، والولد والعمر.

توفي أواخر ليلة الجمعة، رابع عشري شعبان، سنة ثمان بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس، أحمدُ العيثاوي، بجامع منجك، بميدان الحصا، ثم دفن بتربتهم، بجوار المسجد الملاصق للمصلى، عن نحو ثمانين سنة، أو يزيد عليها، وتأسف الناس عليه ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٠] محمد بدر الدين بن محمد بن يحيى بن عمر بن يونس، الشهير بالقرافي، المالكي[٢].

القاضي بمحكمة الباب بمصر، القاضـي الفاضـل، والعالم الكامل، كان فريـد زمانـه، ووحيـد وقتـه وأوانه، لا يضاهيه أحد من أقرانه، وكانت الحجة التي تصدر عنه لا يمكن نقضُها بحال.

رأيت في تأليفه المسمى بـ: «توشيح الديباج» في ترجمة جده لأمه،

---

(١) «لطف السـمر وقطف الثمـر» للغزي (١/ ١٠٩) (٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٠٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ١٠٤) (١١٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٨)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٤١).

القاضي محمد بن عبد الكريم الدميري المالكي ما نصه: وجدي هذا هو الذي لقبني بدر الدين، وذلك أني ولدت ليلة السابع والعشرين، من رمضان، سنة تسع وثلاثين، كما وجدته بخط والدي، وبلغني من طريق: أن السنة إنما هي سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة، وتكلم الناس في الليلة أنها ليلة القدر، فقال: لا ألقبه إلا بدر الدين. انتهى بحروفه.

وتولى القضاء بالباب، سنة ست وستين وتسعمائة، من حسن أفندي ابن عبد المحسن، واستمر إلى حين وفاته.

وتوفي في العشر الأخير من رمضان، سنة ثمان وألف، وصلِّي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربته التي أنشأها مع الضريح، بجوار القبة المعلقة المدفون بها بالقاهرة، فيما يقال بقرب البيت الكبير، الذي ينزل به قضاة العسكر، وهو محكمة مصر الآن.

وذكر في كتاب «التوشيح» أيضاً: أنه أخذ عن والده، وعن عبد الرحمن ابن علي الأجهوري، وعن الشيخ زين بن أحمد الجيزي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣١] الأستاذ محمد أبو الفضل الوفائي الشاذلي المالكي(١).

شيخ السالكين، ورأس العلماء العاملين، وأحد سادات السادات، الذين لهم بمصر مجد تقصر عنه الغايات، وصاحب النفس القدسية، المفاض عليها العلوم اللدنية، من بني وفاء، مَن بيتُهم بمصر معمور، ولواء فضلهم على كاهل الدهر منشور، ولهم مساعٍ ومآثر، ورثوها كابراً عن كابر، ما منهم إلا صاحبُ ديوان، نافذٌ في سبيل البلاغة بسلطان.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٦).

توفي بمصر، ثاني عشري جمادى الثانية، سنة ثمان بعد الألف، وهو كهل، وله نظم ونثر، وفضلٌ طيبُ النشر، ومن شعره: قوله من قصيدةٍ:

ألا صاحبٌ كالسَّيفِ حُلْوٌ شمائِلُهْ يُسائِلُني عن فتنتي وأسائِلُهْ
يدورُ غرامٌ بيننا كلَّما انقضَتْ أواخرُه عادَتْ علينا أوائِلُهْ

وقوله:

على وجنتيه جنةٌ ذاتَ بهجةٍ تَرى لعيونِ الناس فيها تزاحُما
حمى وردَ خديه حُماةُ عِذاره فيا حسنَ ريحانِ العِذارِ حما حما

والحَماحِمُ: نوع من الريحان، معروف لغةً وعرفاً.

وقوله أيضاً:

يا مَنْ يُبالغُ في سقايةِ خَدِّهِ ماءَ الحياءِ ولذاكَ قيلَ مُورَّدُ
في خَدِّكَ الراحُ التي بكؤوسِها أسكرتَ لحظَكَ فهو فِيَّ يعربدُ
سُدْتَ الأنامَ غداةَ خدُّكَ أبيضٌ واليومَ خدُّك بالعِذار مسوَّدُ
نسخَ العذارُ ملاحةً بملاحةٍ قلمٌ بخدِّكَ لا يزال يجوِّدُ
قلبٌ يميل إلى حديثِكَ بل له فيما يؤمِّل من وفائِك مسندُ
عكفت على مغناك أرواح الغناء له[1] فلأنتَ للطرفِ المحركِ معبدُ
فعلى مُحَيَّاك السلامُ فديتُه بالنفسِ بل بالعينِ فهو مؤكَّدُ
وعلى فؤادِ المستجير تحيةٌ ما طارَ نحو ربى الرياض مغرِّدُ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أرواح الغنا؛ حتى يستقيم الوزن.

وفيه مع التورية مراعاةُ النظير، التي ليس لها في الحسن نظير؛ لما فيه من الجمع بين التبييض والتسويد، المعروف بين المصنفين، وكذا التجويد؛ فإن معناه التحسين، ويطلق في العرف على حسن الخط، وفي عرف أهل الأداء: تحسين مخارج الحروف وهيئاتها. انتهى.

[٣٢] محمد بن محمد الغوث الرومي، والعوام يسمونه: محمد بن محمد دده المجذوب، المعروف بديوان دلوسي.

كان شيخاً مقيماً بالقسطنطينية، مجذوباً، مكاشفاً، له خوارق مشهورة.

توفي سنة ثمان وألف.

[٣٣] محمد بن محمد الجنيد.

المقيم بالمدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، كان صاحب سمت حسن، وإقبال على الخاص والعام، وله أولاد وفقراء، وزاوية عامرة بالطلبة.

توفي ليلة الخميس، حادي عشر رمضان، سنة عشر وألف، وخلف ولدين: قاسم، وصديق، وقام بعده الكبير قاسم ـ رحمهم الله ـ.

[٣٤] محمد بن نجم الدين محمد بن شمس الدين محمد الصالحي الهلالي الدمشقي[١].

الشيخ العلامة، على فضله الإتقان[٢]، شعره في أعلى طبقات الحسن،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٦٢) (٥٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٩)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٢٧) (٢)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٢٣).

(٢) كذا في الأصل.

لم يصرف لمدح كريم، ولا تغزل بمليح كريم، وحظه كذلك، وعلمه فوق ما هنالك.

ولد بدمشق، ورافق الشيخ إسماعيل النابلسي، والعماد الحنفي، في شيوخهما، وحضر دروس البدر الغزي، ولازم ولده أحمد، ثم رحل إلى القاهرة، واجتمع بالأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري.

وجاور بمكة، وأخذ بها عن القطب المكي، وعرض عليه ستة عشر كتاباً، وأجازه نظماً، ووقفت عليه بخطه، وأثنى على المترجم كثيراً، وقال: إنه من محاسن دمشق، بل من محاسن الدنيا.

وكان ديناً خيراً صالحاً، عالماً عاملاً، يميل إلى العزلة، ويشتغل في عزلته بالكتاب، وتلاوة القرآن، وكانت له حجرة في العزيزية، ولازم في آخر أمره دروس النجم الغزي، إلى أن توفي تاسع عشر صفر، سنة اثنتي عشرة وألف، ودفن بالصالحية، وله مؤلفات، منها «التذكرة الصالحية»، جمع فيها من كل علم فوائد سنية، وطرزها بأخبار ونكات أدبية.

وله ديوان سماه: «صدح الحمام في مدح خير الأنام»، قال في خطبته: وبعد: فإني لما نشأت بمكة المشرفة، والأماكن التي هي بالجوزاء ممنطقة، وبالثريا مشنفة، وقد كساني الزمان قشيب بروده، فطفقت أرفل فيها ما بين عقيق الحمى وزَروده، وغصنُ الصبا بأيام السعادة مورق، وبدر الشباب في سماء الكمالات مشرق.

خلي البال، منفي البلبال، لا دأب لي إلا توسم وفود العلوم في سوق عكاظها، ولا شغل لي إلا استكشاف وسائم وجوه المعاني المخبأة تحت براقع

ألفاظها، أستمرئ من أخلاق الأئمة المشايخ درر الفهوم، وأستخرج من بحر كلٍّ حبرٍ راسخ دررَ العلوم، أفاضل امتطوا من سائر العلوم غرائر الأنتاج، وأماثل فاضت بحارُ علومهم كما يفيض البحر المتلاطم الأمواج، اغترفوا من حياض المعارف نمير الحقائق، واقتطفوا من رياض الآداب ثمرات اللطائف والرقائق، لو سمع قُسٌّ فصيحَ لغاتهم، لأدركه العيُّ بسوق عكاظ، ولو شاهدهم سَحْبان، لولى يسحب ذيله خجلاً من جزالة المعاني ورقة الألفاظ.

شموسُ فضائلهم لم تزل دائمة الطلوع، ومُزن أدبهم ما انفك بقطار النثر والنظم هموع، وقى الله من بقي إلى هذا الآن حوادثَ دهره، وصبَّ سجالَ الرضوان على من درج منهم إلى وكر قبره.

ثم لما قضى الله بحمل عصا الرحال، وحلول انتياج الأجمال، وبطلت حركة ذلك الدور، وتنقل الزمان من طور إلى طور، وحكم بمفارقة تلك الأرجاء الشريفة، والأقطار المعظمة المنيفة، فأعملْنا حروف النجائب بنا البيداء في سراها، ولطمنا خد الأرض بأخفافها إلى أن بر السرى في بُراها[1].

فكم جاوزنا جبالاً شوامخَ زاحمت بمناكبها أكنافَ السحاب، وذرعنا بأذرع الناجيات قفراً فلم تُطو إلا بأيدي الركاب، وكم جسرنا بالجاسرات على ملاقاة زنجي الظلام، وكم راعنا أشرعنا إليه من الكواكب أسنة، وسللنا من البرق حسام، إلى أن بدت لأعيننا قباب المصلى كالقوانس، وشاهدنا عروس الشام تجلى في سندسي الملابس، وحق للمسافر أن ينشد المثل السائر، شعر:

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بها النوى ... كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

(١) كذا في الأصل، والصواب: برى السُّرى براها.

فنزلنا بأرض دمشق المحروسة، وحللنا رحابها المقدسة المأنوسة، فعكفتُ على ما كنت بمكة عليه، وفوَّقْتُ سهم عزمي إلى غرض كان مرماي قديماً إليه، من اقتناص الشوارد، وتقييد الأوابد، وصادفت بها سادة أئمة، وقادة يهتدى بنورهم في ليالي الجهل المدلهمة، أعيان مجد يشار إليهم بالأصابع، وأقران فضل لا طاعن فيه ولا مدافع، وصدور علم تتجمل بهم المجالس إذا التقت عليهم المجامع، وآساد بخت يتضاءل لصوتهم كلُّ معاند منازع، وفرسان كلام، في ميدان نثر ونظام.

أشرقت شموس فضائلهم في أفلاك السعود، ونظموا في سلك الفضائل كنظم الدر في أسلاك العقود، رياض آداب كلها أزاهر، وبحار علم كلها لآلي وجواهر، شعر:

قَدِ انتظموا في سِلْكِ فضلٍ قادة وكلُّهم وُسْطى فناهيك من عقدِ

فصحبتُهم برهة من الزمان، ونظمت من منثور فضائلهم قلائد العقيان، ثم إن غالب هؤلاء أخيراً ذكرتُهم، وحلبت أشطرهم في حال الصحة وخبرتهم، راسلتهم وراسلوني برائق شعرهم وسجعهم، وأداروا واردات كؤوس قوافي شعري على أفواه سمعهم، ومنهم من مدحته لا رغبة في نواله، ولا طمعاً في الارتواء من سَجْله يوم سِجاله، بل تلوت عليه غرائب أسماري استقداحاً لزناده، ورفعت إليه عرائس أفكاري استجلاباً لوداده، شعر:

فهن عَذارى مهرُها الودُّ لا النَّدَى وما كُلُّ من يُعزى إلى الشعر يستجدي

ثم عنّ لي واردٌ رباني، وخاطر إلهي رحماني، سار بفكري في مجاز الحقيقة، وأشهدني بنور عقلي عقبى الأمور السحيقة، فرأيت أن كل قول

لا ينفع صاحبه غداً فهو من زخرف القول الفاني، وعلمت يقيناً أن هذه الشقاشق لا تعقب في الآخرة سروراً ولا تَهاني.

وقوي العزم على أن أقدم بين يدي مقدمةً من نتائج الفِكَر، وحجة يقضي العقلُ بصحة ثبوتها؛ لتضمنها مدحَ خير البشر، عسى أنها إذا قُبلت تكون وسيلة إلى الفوز بالنجاة، وكفارة لذنوب اكتسبتها، وجرائم اقترفتها أيام الحياة، وظني أنها من القصائد المنتجة، وأن أبواب القبول مفتوحة لها غير مُرْتَجَة.

وهذه تسع وعشرون قصيدة، مرتبة على حروف الهجاء، تتضمن كل قصيدة نسيباً، والنصف الآخر الثناء، ومجموع عدد أبيات القصائد ألف وخمسمائة بيت وافية، ويتخللها للغير زيادة على العدد المذكور، سبعة عشر بيتاً مضمنة ضمنتها القافية، وقد ميزتها بقلم مخالف؛ ليعلمها إذا وقف عليها الواقف.

ومن عثر في نظمي على شيء للغير لم أقف عليه، ولم أُثْنِ عنان القلم لأجل التمييز إليه، فليعلم أنه ربما تتفق الخواطر، ويرد الواردُ منهلاً نهلَ منه ذلك الصادر، أو ربما كان في ذكري وأتت عليه السنون، فلا ينبغي لأحد أن يسيء بي إذا عزيته إلى الظنون، وما أظن أن هذا اتفق لي في هذا النظم، وإنما ذكره من باب الفرض والتقدير، والعطف على الوهم، وسميته: «صدح الحمام في مدح خير الأنام».

فهاك الآن عقودَ الدراري لا عقود النحور، ودونك مصوناتِ أبكار الأفكار، لا مصونات أبكار الخدور، وأَصِخْ إلى صدح الحمام في السحر، ومِلْ نحو شادٍ يُغْنيك بغنائه عن نغمات مواقع الوتر، وارتشف كؤوساً قد روق فيها مدامُ الكلام، واقطف ثماراً دانية القطوف على الدوام.

عقـوداً لولا من نُظمت له، لوقعـت فيها يد التفريط، وأبكاراً لولا من نضت إليه، لطُمسـت فيها وجوه المحاسـن، ومُحي من صدرها التخطيط، وحَماماً لولا صـدحه في مدح خير البشـر، لنـاح ولكن بالحزن لا بالسرور والبشر، وشادياً[1] لولا زمزمته في أبزة زمزم والحطيم، لما أصغى أحد إلى حسن صوته الرخيم، وكؤوساً لولا ساقي الأمة من حوضه في القيامة، لمجت أفواهُ الأسـماع ما فيها [من][2] مُدامـة، وثماراً لولا من حنَّ الجذعُ إليه، لصارت صاباً وحنظلاً لايعرج عليه.

ولعمري! لقد سهوت عليه، فأطنبت في هذا المقام، وذهلت، فنطقت بهذيان الكلام، وإلا، فما مقدار مدحي فيمن كان جبريلُ والملائكة له يخدمون، بعد ما مدحه الله في براءة ونون؟! وما مثلي إلا كمن يهدي إلى هجر الحشف البالي، والصدفَ إلى البحر الطامي، يقذف بالجواهر واللآلي، لكن من شأن الموالي أن يقبلوا من مواليهم القليل، ويروا تفضلاً منهم أن الشيء الحقير لديهم جليل.

والله أسأل أن لا يجعل صنيعي وسعيي هباءً منثوراً، وأن يقبل ما نظمتُه فيمن أرسله للعالمين بشيراً ونذيراً، إنه من سائله قريب، ولداعيه مجيب، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

قلت: ومما اخترته من المدائح النبوية: قوله ـ رحمه الله تعالى ـ:

أبـارقُ الثغـرِ تُبديـه الثنيَّـاتُ   أم ضـوءُ نـارٍ تجلِّيهـا الثنيـاتُ

---

(١) في الأصل: وشادٍ، والصواب ما أثبت.

(٢) زيادة ليست في الأصل.

أم البروقُ بأكنافِ السحابِ هفتْ | أم السيوفُ المواضي المشرفياتُ
وذاكَ نبلُ الحنايا قد رشقن به | أم وُبلُ قَطْرٍ له في الأرضِ رشقاتُ
كسا الوهادَ بروداً من صنائعه | وتُوِّجت منه بالأزهار هضباتُ
وأطلع الروضُ أنواعاً منوعةً | من الزهور فكلُّ الأرض زهراتُ
إذا انتشينا عبيرَ الروض فاحَ لنا | من عطرهِ نفحاتٌ عنبرياتُ
وشبب الريحُ لما صفقتْ سَحَراً | أوراقَ غصنٍ له بالرقصُ ميلاتُ
ودار بالروح خمرُ القطرِ فارتشفت | تلك الرياض وللأغصان نشآتُ
وهز للنهر ما بين الرياض لنا | سيفٌ جلته جلاءَ القينِ نسماتُ
كأنه إذ تلوَّى في ترقرقِهِ | أيمٌ له في خلالِ الروحِ عطفاتُ
يا ربَّ يومٍ يهاتيك الرياض مضت | لنا بكلِّ رضيع المجدِ أوقاتُ
تجرُّ أذيالَ أبرادِ الصّبا مَرَحاً | والدهرُ يومٌ إذا الأعوامُ ساعاتُ
يقتادُنا للتصابي كلُّ ذي هَيَفٍ | تحلو الصباباتُ فيه والخلاعاتُ
أغنُّ أحورُ ممشوقُ القوام له | تُعزى الرقاقُ العوالي السمهرياتُ
إذا تخطَّر في مَوْشي غِلالته | هفت بقلب الذي يهواه خَطْراتُ
كم قد أراشَ من الأهدابِ أسهُمَه | وكم له بسيوفِ اللحظِ فَتْكاتُ
إذا انتضاها من الأجفان مرهَفَةً | فكلُّ قلب به منها جراحاتُ
كم وردةٍ في رياضِ الخدِّ قد سُقيتْ | ماءَ الحيا فلها بالسقي نضرات
بمنهلِ الثغر ريقٌ ريّقٌ خَصِرٌ | حصبيات[1] تلك الثنايا اللؤلئياتُ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: حصباؤه، فبها يستقيم الوزن.

والهفتاهُ علـى بَـرْدِ الرُّضـابِ لهـا في القلبِ منه وفي الأحشا حراراتُ
نادمتُــه وعيــونُ الــدهرِ غافلــةٌ وللزمانِ وصـف العـيش عقـلاتُ
وقـد أدرنـا حـديثاً كـالعقيق لنـا به مدى الدهر صـبحاتٌ وغبقـاتُ
وقد وقانا هجيرَ الشمسِ مذ لقحتْ تلك الوهاد من الأزهـارِ خيمـاتُ
ومـدّ ممـا تـسديه القِطـارُ لنـا فـوقَ البـسيطة بُـسْطٌ سُندسـياتُ
وغردتْ فوقَ غصنِ البان صـادحةٌ لها بأعلى غصونِ الدوحِ سَجْعاتُ
حِرنا فلم ندرِ هل ناحـت مطوَّقَـةٌ أم رَدَّدَتْ لأغـاني اللحـن قَيْنـاتُ
حقَّت وأنَتْ على إلفٍ بـه رُزِئَـتْ واعتادَها منه في الأحشاءِ لوعـاتُ
فـي كـل يـومٍ لهـا درسٌ تكـرره مــن الحنــينِ وأنَّــاتٌ ورَنَّــاتُ
كأنها مذْ رأت صباً حليـفَ ضَـنًى واسـتأثرته الظِّبـاءُ الحاجريـاتُ
وصار نِضْواً يعاني النوحَ ذا قلـق له إلى الباب مـن نعمـان حـاءآت
رامَتْ تحاكيه من نَوْحٍ على غُصُن وفي اشتياقٍ له في القلب جمراتُ
ولا عجيــبَ إذا رامَــتْ حكايتَــه فأكثرُ العشقِ فـي الـدنيا حكايـاتُ
هيهاتَ تحكـي مُحِباً شَفَّهُ سَـقَمٌ له على الخدِّ مـن جفنيـه عَبْـراتُ
مبلبـلَ البـالِ مـسلوبَ الرقـادِ لـه لا هل يبلغ[1] مدى الأنفاس صَبْواتُ
مشوقَ قلبٍ إلى خير الأنـام ومـن لولاه لم توجـدِ الـسبعُ الـسمواتُ
ولا جبــالٌ ولا أرضٌ ولا فَلَــكٌ ولا نجــومٌ ولا نــارٌ وجَنَّــاتُ
محمدٌ خيرُ من يمـشي علـى قَـدَمٍ وخيـرُ مـن حمَلتْـه الأَرْحَبِـيَّاتُ

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: لأهل سَلْع.

فــردٌ تجمَّــع فيــه كــل مَنْقَبَــةٍ لمـا أتتـهُ المعـالي والكمـالاتُ
لاحت علـى الكـون أنـوارٌ ببعثتـه واستحكم البِشْرُ فيـه والمـسراتُ
دنــا مـــن الله تـــشريفاً وقَرَّبـــه ولا تقدَّمَـــهُ وعـــدٌ وميقـــاتُ
نصت إليه مـصونات العلـوم ومـا كانــت لترفــعَ لــولاه الــستاراتُ
حوى الجمالَ وكلَّ الحسنِ أجمعَه فاستمل بعض الذي تبدي الإشارات
فــالفرعُ ليــلٌ إذا تبــدو غياهِبُــه والفــرق نــورٌ لنـا منـه اقتباسـات
إذا رنـا قُلْـتَ ذا سـحرٌ يخامرنـا أم حانـةٌ روقَـتْ فيهـا المُـدامات
ترمي القلوبَ سهاماً غيـرَ طائـشةٍ تلك الجفونُ الكسيرات الكحيلات
راقـت بخديـه أمـواهُ النعـيم وقـد رقَّت بجنـات ذاك الخـد وَجْنـاتُ
لم تدرِ مَنْ شامَتِ الأبصارُ رونقَـه هـــل ذاك خَـــزٌّ وإلا ذاك مـــرآةُ
إذا انثنـى تنثنـي الألبـابُ حـائرةً وتُخجل القُضْبَ من عِطْفيه هَزَّاتُ
رامَتْ لتحكيه قضبٌ في النقا فبدا منها وقـد هـز للأعطـاف وقفـاتُ
يـستوقف الطـرف مـرآه وشـاءته وتعتريـه لفـرط الحـسن دهـشاتُ
إذا تكلـم فـج الـسحر مـن كلـم وتلقـط الـدرَّ هاتيـك العبـاراتُ
كأن منطقَه العـذبَ الفـصيح كمـا تـــردد اللحـــنَ وُرْقٌ أعجميـــاتُ
يُرجى ويُخشى لَدَى يومَي ردًى ووغًى كأنــه الزهــر[1] تــاراتٌ وتــاراتُ
إذا سـخا أخجـلَ الأنـواءَ نائلُـه وسَـحَّ بـالجود أيـدِ هاشـمياتُ
فمـا إذا جـادَ كعـبٌ أو مـضارعُه وما الهبات الضواري الكسرويات

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: الدهر.

ما زالَ مغرًى بإسداءِ الجميلِ وكم قد أتعبتْ بالعطايا منه راحاتُ
وإن سطا بحسامٍ يوم معركةٍ فغمدُه من كُماة الحرب هاماتُ
كم أشكلَ الخطبُ يومَ الحرب واتصلَتْ بحكمه الفصلِ هاتيك القضياتُ
ما أظلم النقعُ واسودَّتْ غياهبُه إلا وضاءت له فيها شعاعاتُ
لا تدفعُ الدرعُ طعناتٍ لذابله إذا غدا وله فيها انسياباتُ
ينساب فيها ولو كانت مضاعفةً كمثلِ ما انساب في الغدران حيات
كأنما حينَ تجتاب الضلوع له بين الجوانح والأحشاء حاجاتُ
يا سيدَ الرسلِ يا أزكى الأنامِ على له الجودُ والمعروفُ عاداتُ
كنْ لي شفيعاً إذا ما قمتُ مندهِشاً من مرقدي يومَ لا تُغني القرابات
من لي سواكَ أُرَجِّيه إذا نشرتْ مطويَّ ذنبيَ هاتيك الصحيفاتُ
صلى عليك إلهُ العرش ما تُليت في فضل ذاتِك أخبارٌ رواياتُ
كذا على الآلِ طابَتْ مغارسُهم ومن لهم في ذوي[1] العليا مقاماتُ
من كل أَرْوَعَ ما زالت عزائمُه بها إلى المجدِ والعلياء لَفْتاتُ
كذا على الصحب من شيدَت مناقبُهم ومن همُ الأنجمُ الزُّهْرُ المنيراتُ
من كلِّ ليثٍ حديدِ النابِ مفترسٍ لها ثَباتٌ وفي الهيجاء وَثْباتٌ
ما أنشد الصب مذ لاحَتْ قِبابُ قُبا هي المنازلُ لي فيها علاماتُ

وكتب إلى العلامة درويش محمد الطاوي قوله:

حذارِ فؤادي فالظباءُ فوارسُ وما غيرُ آساد العرين فرايسُ

(١) في الأصل: ذي، والصواب ما أثبت.

وإياكَ والإقدامَ في حَلْبَة الردى فخيلُ المنايا للنفوس تُخالِسُ
فللهِ من قلبٍ عصاني كأنه خصيمٌ لطرد القولِ مني يعاكسُ
فيا قلب كم هذي الغوايةُ في الهوى فحتى متى في الموت هذا التنافسُ
ألم يأن من سُكر الغرام إفاقةٌ فيصحو فؤادٌ للهموم مجالِسُ
ويا ظبيُ ما هذا النفارُ إلى متى أما آن أن تعطو الظباء الكوانسُ
سرى الطيف في وهنٍ من الليل يبتغي طروقَ عليلٍ أقلقته الوساوسُ
فهوّم جفنُ الصبِّ ساعَة قربه يظن بأن الطيفَ ضيفٌ مؤانسُ
ودارت عليه للعتاب وأينعت قطوفُ الأماني والظنونُ الهواجسُ
فما دامَ إلا أن أفاقَ إفاقةً إذ الدار شتى والقفار اليابس
لقد أبلَتِ الأيامُ فينا بَلاءَها وصارتْ صروفٌ بينهنَّ تجانسُ
وقائع أنستنا حروباً بوائلٍ وأربت على أضعاف ما جَرَّ داحِسُ
أما علمَتْ أني وإن كنتُ عاجزاً لينصرُني شهمٌ من الترك فارسُ
طويلُ نجادِ السيفِ يومَ كريهةٍ إذا قصرت عنها الكماةُ العوابسُ
إذا حققتْ في البحث راياتُ فكره تلتها جيوشٌ للطعان تداعسُ
كثيرُ رمادِ القِدْرِ دانٍ نوالُه وليس على أبوابه الدهر حارسُ
إذا عصفت نحوَ القفار رماحُه سقاها الحيا والهاطلاتُ البواجسُ
فيا بنَ الكرامِ الأقدَمين ومَنْ له عُلاً على هامِ السماكَيْن جالسُ
نظمتُ عقوداً من علاك استفدتُها وأقبسني من نور وصفك قابسُ
فدونكها كالزهر تُجلى لناظر كما جُليت في الروض منها عرايسُ

فإن صادفَتْ منك القبولَ فحسبُها فخـاراً بـه طـولَ الزمـان تنـافسُ
عسى السيدُ المولَى يكاتبُ عبدَه ليرتـاضَ دهـرٌ بالأحبـة شـامسُ
وشـرق بـنظمٍ قـد حكتـه أزاهـرٌ نواضِرُ لم يقطِفْ جناهن لامِسُ
فأنـت حيـاةُ الفـضل تنـشُرُ ميتَـهُ إذا ما عَفَتْ تلك الدروسُ الدوارسُ
ولا زالـتِ الآدابُ منـك نـواظراً مدى الدهرِ لا تذوي لهن مغارسُ

فأجاب الطالوي بقوله:

أتت تنثني كالغصن والغصنُ مايسُ وترنو بطرف أوطفٍ وهـو نـاعسُ
رداحٌ بخوط البـان تـزري نـشاطه وتهـزأ بـالخطيِّ حـين تقـايسُ
من القاصراتِ الطرفَ مهضومةُ الحشا لطيفـةُ طَـيِّ الكـشحِ هيفـاءُ آنِـسُ
يفـوقُ سـناها البَـدْرَ ليلـةَ تَمِّـهِ ويـأوي لـداني أفقـه وهـو يـائسُ
إذا ما رَنَتْ نحوَ الحليم استفزَّه هوًى واستمالَتْهُ ظنونٌ هـواجسُ
أتت منزلي تختالُ والليـلُ دامسٌ كما زارنـي وَهْنـاً حبيـبٌ مـؤانسُ
فما الروضُ بالأزهار كلّله النـدى كمـا كللـت تيجـانهن العـرايسُ
بكاه الحيـا حتـى تـضاحَكَ نَـوْرُهُ وحَلَّت عِزالَيْهـا عليـه الهـواجسُ
كـسته يـدُ الوسـميِّ بُـرداً كأنمـا حبتـه بـأنواع التـصاوير فـارسُ
فأصـبح غِـبَّ القطـرِ يزهـو لحبـه جنيٌّ جَناهـا لـم يـصافحه لامِـسُ
به الزهرُ في الأكمام يـسطع نـورُه لمزهىً به سيفُ المجـرةِ حـارسُ
يطـوف بـه واشـي النـسيم فتنثنـي غصونُ رباه الهيفُ وهـي قـوانسُ
وقام خطيـبُ الـدوح فيهـا مغـرِّداً عليه قميصٌ حالـكُ الطـلِّ دارسُ

يجاوبــــه وُرْقٌ بألحـــان معبـــدٍ ... وتشدو على الأغصان وهي أوانسُ
تـذكرني عهـدَ التـصابي فـأنثني ... وفي القلب من فرط الغرام وساوسُ
بأحسنَ منها بهجةً حيث أقبلتْ ... وحيثْ كما حيث البا كـوانسُ
فكيفَ ومن وَشّـى معاطفَهـا فَتًى ... نمتْه إلـى نحـو المعـالي مغـارسُ
رقى من ذُرا الآدابِ أرفـعَ هـضبةٍ ... فمن ذا يـضاهيه ومـن ذا يجـانسُ
فيا بن الأُلى شادوا الفخارَ بعزمِهم ... وليس لهم في غيـر مجـدٍ تَنـافُسُ
بعثـتَ عقـوداً بـل جُمانـاً منظّمـاً ... حكى درَّ دمعي حين بان المجـالِسُ
وكلفتنـي رَدَّ(١) الجـوابِ وحبـذا ... سـؤالٌ ولكـن أيـن منِّـي تجـانسُ
فـإن يـكُ منـه مـا يـروقُ لنـاظر ... فإني لـه مـن نـور وجهـك قـابسُ
فدونَكَها تمـشي الهوينـا وتنتـشي ... حياء وطرفُ العـين منهـا يخـالسُ
فإن صادفتْ منك القبولَ فحسبُها ... فخـاراً بـه طـول الزمـان تنـافسُ
عسى السيدُ المولى يكاتـب عبـدَه ... ليرتــاضَ دهــرٌ بالأحبــةِ شــامسُ
إلى بـابكم ترجـو القبـولَ تفـضُّلاً ... عساها بقربِ منكَ تحظى وتـأنسُ
فلا زلْت بالآداب تُتحـف صـاحِباً ... مدى الدهرِ ما طنت بعلمِ مدارسُ
ومـا نـاح قُمـرِيُّ الريـاضِ مغـرِّداً ... فحـنَّ مـشوقٌ نـازحُ الـدار آنـسُ

ومن شعره قوله:

وتجردت بِيضُ الصفاحِ وألبست ... علــقَ النجيــعِ كحلَّــةِ حمــراءِ
والشمسُ مذ سقتِ الدماء زِجاجَها ... أضــحت ثمــاراً أرؤس الأعــداءِ

(١) في الأصل: عند، ولعل الصواب ما أثبت.

وقوله من أخرى:

كأنما الخيل في الميـدان أرجلُهـا صـوالجٌ ورؤوسُ القـوم كـالأُكَرِ

ومن قصيدةٍ:

لا تحـسبنَّ المجـدَ شـيئاً هينـاً من لم يذق طعمَ الصبابةِ مـا دَرَى

وقد تبع فيه قول الأول:

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنـت آكِلُـه لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصَّبِـرا

[٣٥] محمد بن محمد بن سالم، الشيخ شمس الدين ابن الشيخ أبي البقاء، المعروف بالقصير الشافعي[١].

كان حافظاً لكـلام الله تعالى حفظاً متيناً، عارفاً بعلـوم القرآن، خطيباً واعظاً، ويحفظ غالب خطب الطيبي، وأخذ القراءة عنه، وعن ولده أحمد، وكان حريصاً على مصنفات الطيبي، ومناظيمه.

وكان ملازماً للجماعة في المسجد الأموي، وقت الظهر والعصر، وكان يصلي الجماعة أربع مرات، فليم على الزيادة عن مرتين، فلم يدع ذلك، وولي خطابة النورية، ومات في جمادى الثانية، سنة خمس عشرة بعد الألف، ودفن بمرج الدحداح، كذا نقله النجم الغزي في «الذيل».

أقول: الذي تحرر عندنا ـ معاشر الشافعية ـ. أن شرط صحة المعادة: أن تفعل مرة فقط، وأن تقع في الوقت، ولو ركعة، وأن يكون جميعها جماعة،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦٨) (١٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٩).

فلا تكفي الجماعة في بعضها، ولا بد من نية الفرضية فيها على المعتمد، وأن يكون فيها فضيلة من حيث الجماعة. انتهى. والظن بالمترجم أنه لا يعيدها أكثر من مرة عبثاً، فيمكن أن عليه صلوات يقضيها جماعة، وحسن الظن يبلغ الغايات، والله أعلم.

[٣٦] محمد بن محمد جانك القاضي شمس الدين الشافعي المعروف بالكنجي الدمشقي[١].

أخذ العلوم عن علاء الدين بن عماد الدين، وعن نور الدين النسفي، وناب في القضاء عن علي أفندي قنالي زاده، سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة، بمحكمة قناة العوني، ثم بالميدان، ثم بالصالحية، ثم بالكبرى بعد القاضي عمر بن المرقع، وعزل وأعيد، توفي سنة ست عشرة وألف، عن بضع وسبعين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٧] محمد بن محمد الاضطراري المغربي المالكي[٢].

كان عالماً بالتوحيد، له معرفةٌ تامةٌ بكتب السنوسي، وكان يجتمع الناس إليه بالجامع الأموي وغيره، ويأخذون عنه، ويحدثهم بالحقائق، وكان ينكر هو وجماعته إيمان المقلد، ويرتبون عليه أن الناس كلهم مقلدون، حتى علماء الظاهر.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٩)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٧) (١٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٧)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٨٩) (٥٨).

وسئل عنه الشيخ العارف بالله تعالى علي بن عمر العقيبي، فقال: هو ينظر بإحدى عينيه، يشير إلى أنه يتكلم على الحقيقة، ولا يعرف الشريعة، وقطن بدمشق أكثر من ثلاثين سنة، وكان للناس فيه اعتقاد كبير، ووقعت له مكاشفات كثيرة، وكانت وفاته في أواسط رمضان، سنة ست عشرة بعد الألف، وعمره ثمانون سنة أو أزيد ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٨] محمد القاضي العلامة محب الدين أبو الفضل العلواني بن تقي الدين محمد الحموي الشافعي ثم الحنفي[١].

ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان أبوه كاتباً بحماة، بين يدي القضاة، ومولده سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، وحمله والده بعد ولادته إلى الشيخ العارف بالله تعالى محمد ابن الشيخ علوان، فحنكه، ودعا له، ولما مات سيدي محمد بن علوان، كان عمره دون سبع سنين، قال: وأنا محقق أني نظرت إليه ثلاث مرات، وفي مرة أطعمني شيئاً من الصنوبر.

ثم لازم أخاه الشيخ أبا الوفاء بن علوان، وقرأ عليه فقه الشافعية، حتى وصل إلى قراءة «شرح البهجة»، وتحول بعد ذلك حنفياً، وكان أكثر تعبده على مذهب الإمام الشافعي، وأخذ عن شيخ الإسلام البدر الغزي الحديث والتفسير، وحضر دروسه كثيراً، وعن إسماعيل النابلسي، واختص به، وزوجه الشيخ إحدى بناته، وأولدت له الفاضل محب الله.

ولما سافر إلى الروم، مر على حلب، وأخذ عمن بها من علمائها، ولم

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١١٤) (٣٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٢٢)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٥٩).

يلحق ابن الحنبلي، وأخذ بالقسطنطينية عن جماعة، ولازم محمد أفندي جوي زاده، وعاد في صحبته إلى دمشق، ثم سافر معه إلى بيت المقدس، ثم إلى مصر، وأخذ بها عن الناصر الطبلاوي، وعلي المقدسي، وغيرهما، واجتمع بالأستاذ الشيخ محمد البكري، وحضر دروسه، وتولى بجهات مصر قضاء فوة، ثم ولي بعد ذلك قضاء القدموس من بلاد حماة.

ثم بعد موت ختنه شيخ الإسلام إسماعيل النابلسي، سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ـ بتقديم التاء فيهما ـ، صار وصياً على أولاده، وقبض متروكاته، من كتب وأمتعة وغلال وعقار ودواب وغيرها، وصار أولاده من عياله، وأحسن تربيتهم، ثم أثرى، وصار من رؤساء دمشق، وعامل أهل الشام بالمواساة والإكرام، وكان يقوم مقام القضاة عند الانفصال.

وولي تدريس الشامية البرانية، وبقيت بيده إلى أن مات، وكان آيةً في حسن الخلق، والرعاية والإكرام والإجلال وعموم النوال، مع سائر أهل العلم ووجوه الناس، علامةً نهايةً محققاً مدققاً، غواصاً على المسائل، طويلَ الباع في المنقول، قويَّ الساعد في المعقول.

ومؤلفاته محررة، أمة في النظم الرائق، والنثر الفائق، والاقتباسات التي لا نظير لها، والاستخدامات العجيبة، والتواري الغريبة، مستحضراً لمسائل الفقه، حافظاً لعبارات المتون، قادراً على التدريس والإفتاء، وخطه في غاية الحسن، ويعرف التركية والفارسية.

ويدرس في «تفسير البيضاوي»، مع مراجعته «الكشاف»، والحواشي، وتجتمع عنده أفاضل العلماء؛ كالشيخ تاج الدين القطان، والشمس محمد الميداني، وبدر الدين الموصلي، ومحمد الجوخي، وتقي الدين الزهيري،

وعبد الرحمن العبادي، ومحمد الحمامي، وأبو الطيب الغزي، وأحمد بن قلاق سيز، وعبد اللطيف القردير عرف بالجالقي، وأبي بكر المغربي مفتي المالكية، في آخرين.

قال النجم الغزي: وأنا لازمته، وقرأت عليه شرحه على «منظومة ابن الشحنة»، قال: وكنت أنظم شرحه، درساً بعد درس، فلما ختمت عليه الكتاب، جئته بالمنظومة كاملة، وقرأت عليه قطعة من «المطول»، وربع «البخاري»، وحملت عنه مسائل كثيرة.

وله تأليفات وتحريرات، منها: كتاب «عمدة الأحكام ومرجع القضاة في الأحكام»، وهي أرجوزةٌ ألفها في الرد على بعض المتعصبين على بيت الغزي، والمتعرضين لهم، سماها: «السهم المعترض في قلب المعترض»، وأخرى في المعنى المذكور سماها: «الرد على نجر وضح النجم بإلقامه الحجر»، وله شرح لطيف على شواهد الكشاف، وتحقيقات كثيرة، وتحريرات منيرة، ونظم في غاية الحسن والبلاغة، منه قوله:

فإنَّ مُداراةَ العدى ليس تنفعُ إذا أمكنت يوماً من اللَّسع تلسَعُ

توفي سحر ليلة الأحد، ثالث عشري شوال، سنة ست عشرة بعد الألف، ودفن بباب الصغير، بقرب تربة الشيخ إسماعيل النابلسي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٩] الدرويش محمد بن محمد المشهدي الرومي الحنفي.

نزيل دمشق، ذكره النجم الغزي في «الذيل»، قال: وإنما سمي بالمشهدي؛ لأنه كان مجاوراً بالمشهد الشرقي البراني، من مشاهد دمشق الأربعة، المعروفة بمشهد زين العابدين قديماً، والآن بمسجد المحيا، وكان

له في جـواره حجرة ينام فيها، وأكثر مجاورته في نفس المشاهد، معتكفاً صالحاً صامتاً.

وكان كل منهما يعتقد ولاية الآخر، وكان نظيف الثياب، بشوشاً، لطيف الذات، وللناس فيه مزيد اعتقاد، ويتردد إليه أكابر الدولة، ولا يتردد إليهم، وهو منجمع عنهم، غير مستشرف إلى شيء منهم.

وأقام بدمشق نحو خمسين سنة، وكان وقوراً مهاباً، حسن الخلق، وله ذوق تام في فهم كلام الصوفية ـ نفع الله بهم ـ ومعرفة تامة بالطب، وكان إذا خرج من الحمام، يصـب على رأسـه الماء البارد، ويقول: إنه يحفظ صحة الدماغ، وقلده في ذلك غالب أهل دمشق.

توفي يوم السبت، ختام رجب، سنة سبع عشرة بعد الألف، وقد قارب مائة سنة، ودفن بباب الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٠] محمد بن محمد بن محمود بن محمد بن علي بن شمس الدين، البصروي العاتكي(١).

أحد الشـهود بمحكمة القسمة، والكاتب بالتبريزية بدمشـق، كان من أعيانها وأدبائها، وله اليد البيضاء في كتابة الوثائق، بحيث يضرب به المثل، في ضبطها على القوانين الشرعية، لكمال معرفته بالفقه، والتبحر فيه، والإحاطة بفروعه وأصوله، مع التواضع، وعدم الدعوى، وكمال النصيحة، حتى إنه لم يخلـق بعده مثلـه في ذلك، **توفي** يوم الاثنيـن، غـرة ربيـع الأول، سـنة ثمان عشرة وألف، بدمشق.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٧٢) (١٩).

[٤١] محمد بن محمد بن محمود بن عبد الحق الغمري، الشافعي الخلوتي، الطرابلسي.

كان من أكابر فضلاء طرابلس الشام، ولم يكن بها في عصره من الشافعية أعلم منه بعلم الحلال والحرام، إلى ما حواه من الفنون العقلية، وسلوك طريق الصوفية، معتقداً مهاباً، لا يخاف في الله لومة لائم، مرجعاً لأهل بلده في المهمات الجزئية والكلية، ولما قدم الأمير منجك إلى طرابلس، اختص به، ومدحه بقصيدة مطلعها:

طَرابُلُسٌ هي الدنيا جميعاً ... إذا كان ابنُ عبدِ الحقِّ فيها

توفي سنة ست وثمانين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٢] محمد أمين بن محمد دفقه أردمشقي العجمي، الشهير بالدفتري[1].

كان فاضلاً محققاً، له اطلاع على علوم المعقول والعربية، وكان كثير المطالعة، واشتغل ـ لما قدم دمشق ـ بمطالعة كتب الأدب والتاريخ وأخبار الناس، وكان في أول خروجه من بلاده سالكاً طريق التجرد، ودخل دمشق، فضمه إليه ملا آغا العجمي، وسافر إلى بلاد الروم، وولي بعض الأنظار.

ثم عاد إلى دمشق، وتزوج بنت ملا آغا، ثم رجع إلى الروم، وخدم المولى سعد الدين الخوجة، وصار من جماعته، ثم رجع إلى الشام، متولياً دفتر داريتها، وسلك فيها مسلكاً حسناً؛ من التلطف بأهلها، وإكرامهم وقضاء حوائجهم، وكان حسن المحاضرة، يحب مجالسة العلماء، منصفاً في المذاكرة،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٩٧) (٦٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٩٠).

رجاعاً عند البحث، ورغب في الكتب، واشترى منها كثيراً.

مات بدمشق يوم الأربعاء، تاسع ربيع الأول، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، ودفن من الغداة، بعد أن صلى عليه بعد صلاة الظهر قاضي الشام السيد محمد بن معلول، بالجامع الأموي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٣] محمد بن ناصر الدين محمد بن علي البُلْيَني الشافعي[١].

أديبٌ طرازُ فضلِه بالأدب مذهب، وشمال لطفه وثمال لطفه، سلسبيل ماء براعته رائق للشرب، ومن القوم الذين هم في طرق الخير ساعون، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، وشعر حسن، إلا أنه يتجاوز عن رقة النسيب إلى كثرة التجنيس والوحشي الغريب.

مولده ـ كما رأيته بخطه ـ سنة أربعين وتسعمائة، **ووفاته** بمصر، يوم الخميس حادي وعشرين شوال، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف، ومن شعره قوله من قصيدة:

أهلاً به ملكاً في زي إنسانِ ... أهلاً ببدر أتى في شهر نيسان
وانتاشني بالسنا البيضاءِ سؤدده ... من أسودِ الخطب لما أن تخطاني
قد كنتُ غَصَّانَ بالماءِ الزُّلال فهل ... يجري سوى الماءِ في ثغرِ لغصانِ

وهذا المعنى كثير في كلامهم؛ كقول بعضهم:

من غصّ داوى بشربِ الماء غصته ... فكيف يصنعُ من قد غص بالماء

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٦).

والبليني ـ بضم أوله، ثم لام ساكنة، بعدها تحتانية مفتوحة ـ: نسبة لبلينة: بلد من الصعيد بحري.

[٤٤] محمد بن محمد العزي الحنفي.

نزيل المدرسة الأشرفية بمصر، الشيخ العلامة، شمس الدين، كان إماماً عالماً، له مؤلفاتٌ في فنونٍ كثيرةٍ، منها: «شرح على الأندلسية» في العروض، أخذ عن كثيرٍ من فضلاء عصره، منهم: السيد محمد بن موسى الجماري، ونقل عنه: أنه كان متقناً للعلوم الحرفية، وسمعه مرة يقول: علمُ التكسير أحسن من علم الإكسير، فرغب في أخذه عنه، ثم لم تطل مدته، فلم يتيسر له الأخذ عنه، توفي سنة تسع عشرة بعد الألف بمصر، ودفن بالقرافة، والعزي: نسبةً لمنية العز، بناحية فاقوس، من شرقية مصر.

[٤٥] محمد بن محمد بن أحمد الحمصي الأصل، المعروف بحمص بابن سماقة، وبدمشق بالحجازي[١].

لمجاورته بمكة بضع عشرة سنة، الشافعي، الشيخ الإمام العلامة، مولده تقريباً سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، وأخذ طريق القوم، عن الشيخ الانبلاقي اليمني القاطن بالمدينة.

ثم عاد إلى دمشق، وصحب بها منصور بن عبد الرحمن خطيب السقيفة، وأخذ عنه علم الزايرجة، والرمل، والكيمياء، والأوفاق، وأخذ الطب عن يونس بن جمال الدين رئيس الأطباء بدمشق، وحصل منه طرفاً صالحاً، ثم

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠) (٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٢).

قرأ الفقه والنحو على عبدالله المصطكاوي المصري، ودخل مصر، وأخذ عن بعض علمائها، ثم قرأ بدمشق «المنهاج» وغيره، على نور الدين النسفي، وأخذ قديماً عن موسى الكناوي.

واشتهر بمعرفة الأرصاد، والاستخراج من الجفر، والخط بالرمل وغيره، وكان الحكام يحبونـه لذلك، وحظي عند قاضي القضاة بدمشق محمد بن معلول، وبشره بأن زوجته تحمل وتلد ذكراً، وأمره أن يسميه محمداً، وبشره بأن يلي قضاء العسكر، فيكون فيه سبع عشرة سنة، فلما ولي قضاء العسكر الروم ايلي، كان المترجَم معه في القسطنطينية، فأعطاه تدريس التقوية، عن شيخ الإسلام البدر الغزي، ثم بعد سبعة عشر يوماً، عرض له عارض سوداوي، فانفصل به عن قضاء العسكر، وأعيدت المدرسة للنجم الغزي.

وكان ذا ثروةٍ ومالٍ واسـع، وكان يصوم العشـر الأخيـر، من جمادى الآخرة، ورجب، وشعبان، ورمضان، ولا يأكل اللحم في صومه، ولا يأكل عند الفطر، إلا من الحمص والزيت، ويعد الناس ذلك منه رياضة؛ لأجل التوصل إلى ما هو فيه؛ من استعمال الأسماء، وتوفيق الأوفاق، وهو في نفسه كان متضلعاً من العلوم الفقهية والعربية، علامةً فيها، وله استحضار للأبحاث والشواهد.

ولما كان أواسط شعبان، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، نزل عليه عارضٌ، منعه من الكلام والطعام والشراب، حتى **توفي** يوم الاثنين، لأربع وعشرين شعبان، ودفن بتربة باب الصغير، بالقرب من الشيخ ناصر الدين المقدسي، ولم يعش بعده ولده الشيخ عبد الحق، إلا قليلاً ـ رحمهما الله تعالى ـ، ذكره النجم في «الذيل».

[٤٦] محمد اليماني، شيخ اليمانية بجامع دمشق[1].

أقام بدمشق سنين، يتبرك الناس به، ويعتقدونه، ويجمع جماعته على ذكر الله تعالى، وإنشاد كلام القوم ـ على عادتهم ـ بألحانهم، وأخذ عن ولي الله الشيخ بكر اليماني.

توفي يوم الأربعاء، سادس عشر محرم، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، ودفن بوصية منه في الروحة، التي عند قبر سيدي جوشن، بالسويقة الممروقة خارج دمشق، عند قبر سيدي تقي الدين القربي، وكانت جنازته حافلة ـ رحمه الله تعالى ـ ذكره النجم في «الذيل».

[٤٧] محمد بن أحمد بن إسماعيل بن الأكرم الحنفي، المعروف بدمشق بغطا البر[2]، عطفاً على تلقيب أبيه بغطا البحر.

كان من المشتغلين بالعلوم على أنواعها، قرأ على البدر الغزي «الإحياء» للغزالي، وولي تدريس المقدمية بعد أبيه، وكانت سكنَه، وسكنَ أبيه، وهم ينتسبون إلى واقفها.

وتوجه إلى الروم، ولما عاد منها، عاد بهيبة عظيمة، ولقب بشيخ الإسلام، وكان يجمع الفقراء على الذكر عنده بالمدرسة، ويتردد إليه الصالحون، وتترنم في ذكره المنشدون، حتى يتواجدون، وكان يتظاهر بإنكار المنكرات،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٩٦) (٦٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٩٠).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٨٩) (٢٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٤).

وإذا مر على المقامرين، أمر بتكسير آلاتهم، وكان قليل الحظ من الدنيا.

توفي مبطوناً في وقت الغداء، من يوم الثلاثاء، ثالث عشري ذي الحجة، سنة تسع عشرة بعد الألف، وعمره يوم مات خمس وخمسون سنة، ودفن عند أبيه بمقبرة الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ، ذكره النجم في «الذيل».

[٤٨] محمد شمس الدين بن موسى شرف الدين بن عفيف الدين القابوني الشافعي(١).

سبط شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد بن بدر الدين الطيبي، عرف بجَدّي؛ لأنه كان يلازم جده الطيبي، فيقول له: جدي، جدي، فغلب عليه ذلك.

كان خطيب جامع منجك، المعروف بمسجد القصب، ومسجد الأقصاب، خارج دمشق كأبيه، ثم ولي إمامة الشافعية بالمقصورة، من الجامع الأموي، بعد موت الطيبي المذكور، سنة أربع وتسعين وتسعمائة.

وكان له معرفة تامة بالقراءات والتجويد، حسن القراءة، وعرضت له لثغة يسيرة بسبب ذهاب كثير من أسنانه، وكان بعض الناس يعترض عليه، وربما يمتنع بعض من الصلاة خلفه لذلك، ويقول: إنه يبدل سين المستقيم ثاءً مثلثة، قال النجم في «ذيله»: وكان شيخنا العيثاوي يقول: ليس في قراءته إبدال حرف بحرف، ولكن سينه ناقصة صغيرة، والاقتداء به صحيح.

توفي يوم الأحد، خامس عشر صفر، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء ـ

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٩) (٥٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٣).

بعد الألف، ودفن من الغد، يوم الاثنين، بمقبرة باب الفراديس، عند قبر جده وخاله الطيبين، وقد قارب سنه تسعين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٩] محمد بن محمود بن يوسف بن كريم الدين[١].

أحد العدول بمحكمة دمشق، كان فاضلاً، له معرفةٌ بالكتابة، وذكاءٌ وفهمٌ، توفي شاباً ليلة الجمعة، ثاني عشري شوال، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، ودفن عند أهله، بتربة الشيخ أرسلان ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٠] محمد بن محمد بن حسين بن حسين، الشهير بابن الشيخ سعد الدين الجباوي الدمشقي الشافعي[٢].

ذكره النجم في «الذيل»، فقال: الشيخ العارف بالله، المربي الجواد، تولى مشيخة بني سعد الدين، سنة ست وثمانين وتسعمائة، وتصدى لتلقي الصوفية، والزوار، والرواد المتبركين، واستعد للناس، بنفائس الأطعمة، وشفعه في ذلك أخوه إبراهيم، وكان المترجم يستمر بالزاوية، ويستنيب أخاه المذكور في حلقة الذكر، بالجامع الأموي، يوم الجمعة.

وكانا إذا ترددا على الحكام ووجوه الناس للسلام عليهم، كانا معاً، وعلت كلمتهم بمحلة القبيبات، وسائر أهاليها، بل في دمشق.

ثم مات إبراهيم، واستقل المترجم بالأمر والنهي والمشورة، وزاد في

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٢) (٤٨).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٥٦) (١٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٠).

الاستعداد للناس، وفتح وأخوه في الكرم باباً أغلق من بعدهما، وكان يعم الناس بنواله، وكل من يتردد عليه، يقدم له مائدة في أي وقت، وبعد ذلك الفاكهة إن كانت، والطيب.

وبالجملة: فقد كان من أفراد الدهر، ومحاسن العصر، وأعيان العلماء، ورؤساء الجند يلازمون مجلسه، وكان عيده أبداً أربعة أيام، وكل من أتاه فيها بالغ في إكرامه، ولا يخرج من عنده إلا مكتفياً راضياً.

ومن الملازمين لمجلسه: الشيخ علاء الدين بن المرحل، مفتي المالكية بدمشق، والعلامة الحافظ الشمس محمد الميداني، والقاضي تقي الدين الزهري، والسيد القاضي شهاب الدين الجعفري، والعلامة الشيخ أبو الطيب الغزي، وعبد الرحيم الأسطواني، والشيخ قطب الدين بن سلطان، وآخرون.

ورأس في آخر أمره بالشام؛ بحيث كان صدر المجالس، ومرجع الناس، وجدد زاويتهم، وعمل مجلساً آخر للضيافة، وعمر بيته عمارة الملوك، وكانت الهدايا تترادف عليه من سائر الأطراف، وملك دوراً كثيرة بالقبيبات، ومزارع، وأراضي، وبساتين، وحمامات، ودكاكين.

وكان ـ مع ذلك ـ محافظاً على تلاوة كتاب الله، والأوراد بكرةً وعشيةً، مبادراً إلى الصلوات في الجماعة، في أوائل الأوقات، مقيماً للذكر في زاويتهم، وبالجامع الأموي، ولا يثني رجله عن جنازة معروف له، ولو كان من آحاد الناس، ولا عن أفراحهم إذا دعي، زائد الاعتقاد في أهل الذكر دائماً، مكرماً للعلماء، راجعاً إلى قولهم، موقراً للكبير، محسناً للفقراء، جواداً سخياً متواضعاً، يحب المترددين عليه، ويعظمهم.

مرض يوم السبت عاشر صفر سنة عشرين بعد الألف، وكان مرضه ذات

الجنب، **ومات في ثلث الليل الأول**، من ليلة ثالث عشري الشهر، وجعلت جنازته بحيث إنها كانت كجنازة أخيه إبراهيم، وما حصلت بينهما جنازة كجنازتهما، وحضر جنازته قاضي الشام، وأمراؤها، وعلماؤها، وصلى عليه إماماً بالناس أحمد العيثاوي، خارج باب الله، غربي التربة المعروفة بتربة الحصين، ودفن عند أهله، وعمره يوم مات إحدى أو اثنتان وسبعون سنة، ومكث في مشيخة بني سعد خمساً وثلاثين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥١] محمد بن محمد بن سليمان، الشيخ العلامة ناصر الدين الأسطواني الحنبلي(١).

أحد العدول بدمشق، كان من أمثل الكُتّاب بمحكمة الباب، قال النجم الغزي: وكان شيخنا أحمد العيثاوي يثني عليه كثيراً، ويعدِّله، ويقول: هو أحسن الشهود كتابةً، وأدينُهم، وكان صامتاً، قليل الكلام، لا يدخل إلا فيما يعنيه، مكباً على المطالعة، والإفادة والاستفادة، **توفي في رجب**، سنة عشرين بعد الألف، والأسطواني نسبة إلى دير أسطوانة، من قرى بيت المقدس.

[٥٢] محمد شمس الدين بن محمد المهدوي المالكي الأزهري(٢).

كان من كبار النحويين بالديار المصرية، مع التضلع من العلوم المتداولة، حسنَ السمت، كثيرَ الصمت، ملازماً للتدريس، في الجامع الأزهر، انتفع به

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦٥) (١٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٢).

(٢) «خلاصة الأثر للمحبي» (٤/ ١٦٠)، «الأعلام للزركلي» (٧/ ٦٢)، وذكر وفاته في ١٠٢٦هـ.

كثير من العلماء، وبه تخرجوا.

وله مؤلفات منها: «شرحان على الآجرومية كبير وصغير»، ذكر فيهما إعراب كل شاهد ذكره، والكبير في تسعة عشر كراساً في نصف القطع بخط مضموم، سماه بـ: «التحفة الأنسية على المقدمة الآجرومية» رأيته بخطه.

توفي يوم الاثنين، ثالث عشر محرم، سنة عشرين بعد الألف، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن خارج باب النصر، بالقرب من حوض اللفت، بجوار العارف بالله سيدي إبراهيم الجعفري، نفع الله به.

ومن فوائده: أنه سئل عن مضاف إلى معرفة، لا يتعرف بالإضافة، والإضافة معنوية، وليس المضاف منقولاً في الإبهام، ولا إلى المضاف إليه معرفاً باللام الجنسية، ولا مصدراً، ولا أفعل التفضيل، فأجاب: بأن «أيّاً» الموصولة، إذا أضيفت إلى معرفة؛ نحو: اضرب أيهم قام؛ أي: الذي قام، كان تعريفها بالصلة، لا بالإضافة. انتهى.

ومن فوائده، مما نقلته بخطه: من غريب الجمع: «بَنُون»، جمع ابن؛ فإنه جمع مذكر سالم، ومع هذا يجوز أن تلحق فعله بتاء التأنيث الساكنة، فيقال: قامت البنون، باتفاق من النحاة؛ بخلاف غيره من جمع المذكر السالم، فإنه لا يجوز عند البصريين، وهو الصحيح.

وزعم الكوفيون أنه يجوز أيضاً، قولاً بأن الجمع بمعنى الجماعة، فعلى مذهبهم يجوز إلحاقها فعلَ كل جمع مذكر، سالماً أو غيره، وسواء كان الجمع المذكر بنين، أو غيره، ولله در القائل:

إنَّ قوماً تجمَّعوا ... وبذمي تحدثوا

لا أبـــالي بجمعهـــم   كـــلُّ جمـــعٍ مؤنـــثُ

والسير على مذهب البصريين: أن «بنين» لما تغير فيه بناء الواحد بحذف همزته، شابه الجمع المكسر لفظاً، فأعطى من أحكامه خطاً، فجاز إلحاق التاء بفعله؛ كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[يونس: ٩٠]، وبه يتجلى قول القائل:

أيـا فاضـلاً قـد حـازَ كـلَّ فـضيلةٍ   ومَـنْ عنـدَه حـلُّ العـويص يُـرادُ
أَبِنْ جمعَ تـذكيرٍ يجـيءُ مُـصَحَّحاً   وفـي فعلِـه تـاءُ الإنـاثِ تُـزادُ

[٥٣] محمد أمين بن صدر الدين محمد الشرواني[١].

من أعاظم المحققين المشهورين في سائر الأقطار، بفنون العلوم وقوة الأنظار، إلى خلق عظيم، وطبع كريم، كانت له في الروم رياسةٌ عظيمة، ومكانةٌ بين الموالي جَسيمة.

أخذ عن الملا حسين الخلخالي، وبه تخرج، وفاق في العلوم الحكمية أهل عصره، ثم ألف «حاشية على شرح العقائد العضدية» للملا جلال الدين الدواني، فعرضها على شيخه المذكور، فزيفها له، ثم لم يزل يعرض عليه مؤلفاته، إلى أن شهد له بأنه أفضل منه، ومن مؤلفاته: كتاب ألفه باسم السلطان أحمد، سماه: «الفوائد الخاقانية»، يشتمل على ثلاثة وخمسين علماً عدد اسم أحمد، وله «حاشية عظيمة على تفسير القاضي البيضاوي»، وله رسائل وتعليقات، على أماكن من تفسير البيضاوي، ومؤلفات أخرى، وكلها مفيدة.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٧٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٤١).

توفي سنة إحدى وعشرين وألف، بالقسطنطينية، وأعقب ذرية صالحين، ومن أحفاده: المولى صادق أفندي، صار شيخ الإسلام بالقسطنطينية مرتين، وهو من أعيان الفضلاء المحققين المشهورين، موجودٌ ـ سلمه الله تعالى ـ.

[٥٤] محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن محمد بن الفرفور الحنفي الدمشقي[١].

قال النجم في «الذيل»: أقرأه في العلوم، القاضي شمس الدين بن المغربي المالكي، وحضر دروس القاضي محب الدين الحموي الحنفي، وكان فاضلاً، له هيئة حسنة وظرافة، وشعره لطيف، منه قوله:

إذا أرادَ الإلهُ أمراً ... قضاؤه في النفوذ مبرَمْ
فوضتُ أمري وقلت خيراً ... ما دفع الله كانَ أعظَمْ

وكان ممن صحب الأمير محمد بن منجك، واختص به، إلى أن مات يوم الجمعة، حادي عشري شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، عن أربع وثلاثين سنة، وصُلي عليه بالجامع الأموي، ودفن بتربتهم، بجوار ضريح الشيخ أرسلان ـ نفع الله به ـ.

[٥٥] محمد بن محمد بن الجوخي الدمشقي الشافعي[٢].

مدرس الغزالية، الشيخ العلامة، شمس الدين، لزم الشيخ إسماعيل

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٤) (٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٦).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٥٠) (١١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٤٢) (٢١).

النابلسي، وأحمد العيثاوي في الفقه وغيره، وأخذ العربية والبيان عن عماد الدين الحنفي، والشمس محمد بن المنقار.

وسافر إلى مصر، فأخذ عن شيوخها، وملك كتباً كثيرة، كان رفيقاً للقاضي بدر الدين الموصلي، في الاشتغال بالعلم، وبينهما صداقة كلية، وكان فاضلاً ذكياً، له مشاركة في فنون كثيرة، وكان أبوه تاجراً متمولاً، وبقي ماله في يده، وفي يد أخيه محيي الدين، يتعاونان في تنميته، وكان له انزواء عن الناس، واشتغال بما يعنيه، ومع ما كان عليه من تقليب الأموال، لا يترك الاشتغال بالعلم.

وأخذ عنه جماعة من الفضلاء، وانتفعوا به، منهم: الشيخ محمد بدر الدين بن النجم الغزي، ومن ألطف ما وقع للنجم معه: أن الشيخ العلامة الملا أسد بن معين الدين التبريزي كتب للشيخ حسن البوريني لغزاً في اسم منقوص تخفى علامة نصبه، فأجابه في أبيات كتبها إليه، بأنه الاسم المنقوص المضاف إليه ياء المتكلم؛ فإن علامة نصبه تخفى، فلما بلغ النجم ذلك، كتب إلى البوريني قوله:

يـا حـسنَ القـولِ جميـلَ الفِعـالْ ... وسـيداً فـاق سَـراةَ الرجـالْ
يا مفرداً فـي العـصر يـا مَنْ غـدا ... في العلم والفضلِ كمثلِ الجبالْ
قـد قيـل لـي إنـك ألغـزتَ فـي ... رأيـتُ راجـي بغيـر احتفـالْ
نظمتـه عقـداً يتيمـاً لقـد ... راقَ وفـاقَ عقـودَ الـلآل
أرسلته إلـى العـالم المجتبى الـ ... ـمولى الذي شـدت إليـه الرحـالْ
أبـدى جوابـاً جيـداً واضـحاً ... كالسحر فـي لفـظ حـلا كـالزلالْ

والآنَ يـا مـولايَ قـد بـانَ لـي   مسألةٌ أجبت عنها السؤالْ
فقلـتُ لمـا أن بـدأت بهـا   الحمـد لله علـى كـلِّ حـالْ
ما اسمٌ هو المنقوصُ لكن غدتْ   فتحتُـه خفيفـةٌ لا تـزالْ
ولـم يـضف إليهـا يـا سـيدي   بيِّنْه لـي وابسطْ بحسنِ المقالْ
يـا كـاملاً وبالوصـفِ فاضـلاً   لـيس لـه بـين الـورى مـن مثالْ
لا زلـتَ فـي عـز وفـي نعمـةٍ   وصـحبةٍ لا يعتريهـا اعـتلالْ

فلما وقف عليه صاحب الترجمة، كتب للنجم هذه الأبيات:

رقيتَ المجدَ من غررِ الحجالِ   وحزتَ الفضلَ في غُررِ الكمالِ
أضـاء لنـا بـنجمِ الـدين ليـلٌ   ولـولا الـنجمُ مـا ضـاءَتْ ليالي
سألتَ ومـا رشيقُ القـدِّ أحلـى   شـمائلَ مـن. . .[1] هـذا السؤالِ
عـن اسمٍ عُـدَّ منقوصـاً وتخفـى   علامـةُ نـصبه فـي كـل حـالِ
فـذاك محـصل فـي كـلِّ اسـم   مركـبٍ مثـل معـدى فـي المثـالِ
فهـا قـد بـانَ لغـزُك فهـو دُرٌّ   معادنُـه علـت رأسَ الرجـالِ

فكتب إليه النجم بديهاً كالشاكر لصنيعه قوله:

أشمـساً قـد تبـاهى بالجمـال   وبـدراً قـد تنـاهى فـي الكمالِ
ويـا مـن غـاصَ لجَـة كـلِّ فـنٍّ   وأضـحى منـه فهمـي فـي شِكالِ
أمـا هـذا الـذي أهديتَنيـه   أبـدرٌ قـد أضـاء بـه الليـالي

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل، وعليها خط صغير.

فـإن الـشمس قـال النـاسُ قـولاً | غـدا مـن نورهـا نـورُ الهـلالِ
أم الخـودُ التـي تحكـي عروسـاً | فأمـسى حبُّهـا فـي كـل بـالِ
أم الـسحرُ الـذي أبـدى عجيبـاً | أم الـدرُّ المنـضدُ مـن لآلِ
بلـى والله كـشاف لمعنًـى | يَـدِقُّ الفهـمُ عنـه بـلا اختيـالِ
إذا مـا ركبـوا تركيـبَ مـزجٍ | كـلا جزأيـه بـالإعراب حـالي
وأُولـى الكلمتـين بهـا انتقـاصٌ | كمعـدي فـي مثالـك أو كقـالي
يكـون النـصبُ فيهـا غيـرَ بـادٍ | محافظـةً علـى أصـل المثـالِ
وكنـتَ سـألتَ البـدرَ لكـنْ | ضـياءُ الـشمس يغنـي عـن هـلالِ
جـزاكَ الله عنـا كـلَّ خيـرٍ | ورُقِّيـتَ المـدارجَ والمعـالي
ولا عجـبٌ إذا مـا الـنجمُ أثنـى | على شمسِ الهـدى بـينَ المـوالي

توفي ـ رحمه الله ـ في أوائل شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، ودفن بتربة باب الصغير ـ رحمه الله ـ.

[٥٦] محمد بن شمس الدين بن كمال الدين محمد بن عجلان(١).

نقيب الأشراف بدمشق، كان كأبيه شيخَ مشايخ الحرف والصنائع، وكان صاحبُ هذا المنصب قديماً يعرف بسلطان الحرافيش، ثم كني عنه احتشاماً بشيخ المشايخ.

ولما مات السيد محمد بن حسين النقيب، سنة ست عشرة بعد الألف،

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦١) (١٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٩).

بحماة قافلاً من حلب، وكان الشيخ محمد بن سعد الدين إذ ذاك بحلب، طلب النقابة عنه للمترجم، من مراد باشا، فوجهها إليه، وعرض له فيها، وتمت له، فوليها، وسلك فيها مسلكاً حسناً، وتلطف بالأشراف، وعاملهم بالإكرام، والمساعدة لهم في الأمور التي تنوبهم، وعف عن أموالهم، وأموال غيرهم، وتصدى لهم وللناس بالكرم وحسن الخلق، مع صغر سنه، وكان من أحسن الناس خلقاً وخلقاً، إلى صفات سنية حواها تدل على صحة الشرف والنسب؛ من حسن الموافقة، والحياء والسخاء، والإقبال على العبادة.

توفي يوم السبت، ثامن عشري رجب، سنة خمس وعشرين بعد الألف، بعد أن تمرض خمسة أيام، بحمى محرقة، ولم يبلغ أربعين سنة، ودفن بتربة الجورة، من ميدان الحصى، بالقرب من دارهم ـ رحمه الله تعالى ـ.

ودخل على قاضي دمشق مرةً، فلم يعطه حقه من زيادة تعظيمه، فقام من مجلسه وأراد الذهاب، فقال له ذلك المولى: اجلسوا ساعة، حتى يأخذ المجلس حقه من الحديث، فقال له: كيف اجلس عند رجل يحقرني، وأنا من آل محمد، وينبغي لك أن لا تنظر إلى السادات والشرفاء بنظر الحقارة، وإن خالفوا ظاهر الشريعة، فلعله يكون المخالف منهم من أهل البلاء، وسيؤول إلى طهارته الأصلية، مع أن في ذلك رعاية لحرمة جدهم، محمد ﷺ، فاعتذر إليه، وقبل يديه، وسأله العفو عنه.

[٥٧] محمد بن محمد، الشهير بزيرك زاده.

أحد علماء القسطنطينية وكبرائها، كان عالماً نحريراً، فقيهاً متبحراً، له «حواشٍ على الأشباه والنظائر»، أرخ إتمامها سنة ألف، **توفي** بعد العشرين وألف، بقسطنطينية.

[٥٨] محمد بن شمس الدين محمد(١).

أحد الموالي الرومية، ولي قضاء الشام سنة خمس وعشرين، ورأى أهل الشام في غاية التعب، لسبب النزول الوارد من قبل محمد باشا الوزير من حلب، وكان قد شتى بها مع العساكر؛ لأجل قتال قزل باش، فاستنهض شيخ الإسلام أحمد العيثاوي وغيره، واستعان بأكابر البلد؛ كالأمير محمد منجك وغيره، للذهاب للوزير، فذهب، وذهب معه جماعة آخرون، منهم شيخ الإسلام النجم الغزي، والسيد محمد بن عجلان نقيب الأشراف، والشيخ إبراهيم بن مسلم الصمادي.

فلما وصلوا إلى الوزير محمد باشا بحلب، أكرمهم غاية الإكرام، وخفف عن المسلمين النزول، ثم عاد إلى دمشق، وسار بالناس أحسن سيرةٍ سارها قاض في هذه الدولة العثمانية، وكان له صلابة في دينه، واستقامة وعفة، وتحرير في الأمور، وفضيلة تامة.

ثم عزل عن دمشق، وسافر إلى القسطنطينية، فمات بها في شعبان، سنة ست وعشرين بعد الألف، وصُلي عليه غائبةً بدمشق، تاسع عشر شوال، من السنة المذكورة، وأسف الناس عليه ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٩] محمد بن محمد بن أبي اليمن بن أبي السعادات بن المحب بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني، الطبري المكي الشافعي(٢).

إمام المقام الشريف، قال الإمام عبد القادر الطبري في تاريخ الطبريين

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٢٩) (٣٩).

(٢) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ١٢.

الذي أسماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»: **ولد في يوم الأربعاء، سادس شهر** ربيع الأول، سنة ست وثمانين وتسعمائة، ونشأ في حجر أبويه، وحفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح في المقام، وصلى الفرائض بالناس، وهو آخر من بقي من نسل الإمام أبي السعادات بن محمد. انتهى.

قلت: وكانت **وفاته** ثامن ذي الحجة، سنة ثلاث وثلاثين وألف، وصُلي عليه ضحًى بالمسجد الحرام، ودفن بترب أسلافه، ولم يعقب ـ رحمه الله ـ.

[٦٠] محمد بن محمد، المعروف بالْتي برمق الرومي صاحب السيرة النبوية التركية، أصله من بلدة أسكوب، ويعرف بابن الحقزقجي؛ أي: الخراط(١).

كان نادرة الزمان، عذب البيان، طلق اللسان، حلو المحاورة، لطيف المجاورة، شديد النفس، عظيم الجاه، مشهوراً في العالم بعظم القدر، مفرد زمانه، علامة محققاً، ونحريراً مدققاً، له قوة في العلوم العقلية.

قرأ فنون العلوم ببلاده، وأخذ طريق البيرامية عن السيد جعفر، المدفون بمدينة أسكوب، وحصل طرفاً عظيماً من العلوم والمعارف، ثم قدم قسطنطينية، ووعظ بها بجامع السلطان محمد، وحدث وفسر، واشتهر صيته.

ثم رحل إلى القاهرة، وألقى بها رحال الإقامة، وأحرز جرايات، وجهات وعظ، ومشيخة، وحج منها، ورجع وأقام بها موفور الجاه، محبوباً عند عامة الناس وخاصتهم، خصوصاً الأمراء، له في الوعظ يد طولى، ملازماً للطاعات، حسن السيرة، حتى **توفي** سنة ثلاث وثلاثين وألف، ومن آثاره: «ترجمة

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٧٤).

المطول» بالتركية والسيرة التركية، وهي «المعارج النبوية»، وكتاب نكارستان غفاري، سماه: «نزهة الجان»، وغير ذلك ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦١] محمد بن محمد بن حُبيقة ـ مصغراً ـ الدمشقيُّ الميدانيُّ، الطبيب(١).

كان طبيباً حاذقاً، له معرفةٌ تامةٌ في الطب، ومشاركةٌ في غيره من الفنون، أخذ الطب عن عمه يحيى وغيره، وعالج الناس كثيراً، وانتفعوا به، وكان مبارك اليد، لا يباشر أحداً في طب إلا عوفي غالباً، مع العفة والأدب والنزاهة، وحسن الخلق والبشاشة والتواضع، وتطييب نفس المريض، وإدخال السرور عليه.

وهذه الخصال هي رأس مال الطبيب، وما سلكها أحد من الأطباء خصوصاً، إلا عظم شأنه في بابه، وكان يداوي المرضى في معالجتهم، ويقول: لأن أترك المريض مع الطبيعة، وأكله البسيط، أحب إلي من أن يتولاه جهال الأطباء.

ومع تمام معرفته، ابتلي بالحمى سنتين أو ثلاثاً، حتى قال: ما رأيت أعجب من هذه الحمى التي تأخذني، ومات بها في شعبان، سنة ثلاث وثلاثين وألف، وقد جاوز السبعين، ولما أيس من الحياة، كان كثيراً ما ينشد:

بقراطُ مفلوجاً مضى لسبيله ... ومُبَرْسماً قد ماتَ أفلاطونُ
وأبو عليٍّ قد قضى من شَجَّة ... يوماً وليس يفيدهُ القانونُ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٩)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٧٢ (٢٠).

[٦٢] محمد بن ناصر الدين محمد الأسطواني الحنفي(١).

رئيس الكتاب، بمحكمة الباب، بدمشق، كان من رؤساء دمشق وفضلائها، بارعاً في العلوم الأدبية، مفرداً في صناعة التزويق، مرجعاً لأهل الشام في ذلك، ناصحاً في كتابة الوثائق، بحيث إن ما كتبه من ذلك، لا يمكن الحيلة في دفعه.

إلى ما حواه من تقوى وعفة، شهد له بها الخاص والعام، من أهل الشام، توفي بدمشق، في شهر محرم، سنة أربع وثلاثين وألف، ورثاه الفاضل عبد الكريم الطاراني بقوله:

أوحشْتَ يا شمسُ أفقَ فضلٍ ... وخيرَ خِلٍّ مضى وخِدْنِ
غالتك أيدي المنون حتى ... قرحت بالبينِ كلّ جَفْنِ
وعاد أهلوك في اكتئابٍ ... لعظيمِ رُزءٍ وفرطِ حزنِ
تبكي على فقدكِ البواكي ... حزناً بدمع كفيض مُزْنِ
لكنْ تبوأتَ خيرَ دارٍ ... بها ثمارَ الجِنان تَجْني
فإن تكنْ عن حمى شقيقٍ ... رحلتَ أو عن ذويكَ وابنِ
فقد سمِعْنا بشرى توالَتْ ... من هاتفٍ بالمنى يهني
إن قال أرخ (حباكَ ربٌّ ... من الأماني جناتِ عدنِ)
إليك مني السلام يُهدى ... ما ناح طيرٌ شدا بغصن

وتقدم وجهُ النسبة في ترجمة محمد بن محمد بن حسين بن سليمان الأسطواني.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٢).

[٦٣] محمد حجازي بن محمد بن شرف الدين السنديوني، الأحمدي العباسي الخلوتي.

أحد أكابر محققي الصوفية، أخذ عن أحمد العباسي الشناوي، من مؤلفاته: شرح على تائية ابن الفارض سماه: «الطراز المحبوك في شرح نظم السلوك» في مجلد كبير، نقلت منه: أن من حفظ التائية بنية، أعطيها، فمن حفظها للدنيا، أعطيها، ومن حفظها للسلطنة، أعطيها، ومن حفظها للمعرفة بالله، أعطيها، قال: وقد وقع لي ذلك بحمد الله.

ومن شعره: قوله في الوحدة المطلقة الوجودية[1]:

يا وحدةً في كثيرٍ حيرتْ ملأً ... من الحجابِ سروا بالحجب في وجل
ويا كثيرةَ عينٍ [و]هي واحدةٌ ... لأهل حقّ بالنور في خللِ[2]
تلونت من لباس النور في خِلَع ... من الجمالِ إلى العشاق من طللِ
فلطفتهم بها في الكائنات سروا ... بسرها فارتقوا حقاً على زُحَلِ

وقوله:

طريقنا مخبورة ... وبالولا مشهورة
وكل من أنكرها ... فما له بصيرة
وذات من يسلكها ... مضيئة منيرة
فاسلك إليها واتبع ... مسالكاً معمورة

---

(١) مضى التنبيه على شناعة بدعة الحلولية، فانظره فيما سبق.

(٢) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

ولا تكن تجحدها تعش بعين عورة

توفي سنة أربع وثلاثين وألف.

[٦٤] محمد بن محمد الزبيدي الشافعي، ابن العلامة إبراهيم بن إسماعيل بن عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر العلوي، الزبيدي الشافعي.

وله ولدٌ اسمه محمد أيضاً، وقد يميز عن أبيه بالصغير.

كان إماماً علامةً في فنونٍ عديدةٍ، واحد زمانه في العلوم الفلكية، أخذ عن عمه عبد الغفار العلوي، شارح «الجامع الصغير» في النحو، للعلامة ابن هشام، وكان محققاً في علم الكلام، عارفاً بكلام الصوفية، معتقداً للوحدة الوجودية، مداوماً على مطالعةِ «الفتوحات المكية» لابن عربي، وما شاكلها من كتب القوم[١].

وله في الأدب وفنونه اليدُ الطولى، وكان كثير الاستحضار للشواهد، ويوردها أحسنَ إيراد حالَ القراءة والمذاكرة، قرأ عليه كثير من العلماء الأعاظم؛ كالسيد أبي بكر بن أبي القاسم الأهدل، مؤلف «نفحة المبذل في أخبار السادة بني الأهدل»، وكان في سنة ثلاث وثلاثين وألف موجوداً.

والعلويون جماعة كثيرون بزَبيد، فيهم الفقهاء والوزراء في الدولة الرسولية اليمنية، نسبة إلى بني علي بن راشد بن ثولان العكي.

---

(١) «الفتوحات المكية» ملئها ابن عربي بعقائد الزندقة، وهو كتابٌ ضارٌ غير نافع، وقد حذر منه ومن كتابه جماعةٌ من علماء الإسلام، فوجب التنبيه.

ومن كلامه ـ نفع الله به ـ: من اعتقد أولياء الله والصوفية، كان في بحبوح حضرتهم، وهو لا يشعر. انتهى.

[٦٥] محمد حجازي بن محمد بن عبدالله، الشهير بالواعظ الأنصاري، الشعراني الشافعي[(١)].

الشيخ الإمام، العلامة شيخ الإسلام، وخاتمة العلماء الأعلام، كان من أكابر العلماء الراسخين، وأجـلاء أئمـة الدين، وممن جمع الله له بين العلم والعمل والتمكين، وحققه بحق اليقين.

واشتهر بالمعارف الإلهية، والكرامات الباهرة السنية، وبلغ في العلوم الحرفية، إلى الغاية القصوى العلية، ومع كونه كان الأغلب عليه حب الخمول، وكراهة الظهور، كما عليه الفحول.

مولده بأكرة، بطريق الحاج المصري، وضعته أمه وهي متوجهة إلى بيت الله الحرام، في الليلة السابعة عشرة، من ذي القعدة، سنة سبع وخمسين وتسعمائة، ونشأ بمصر، وحفظ القرآن وَجوَّده، وحفظ عدة متون في النحو والقراءات والفقه، وعرضها على علماء عصره.

وأخذ عن جماعة، منهم: محمد بن أركماس التركي، الساكن بغيط العدة، محلة بمصر، تلميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني، وعن أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي، وعن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، والشيخ كريم الدين الخلوتي، والشمس محمد الرملي، والنجم الغيطي، وجمال الدين ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وشحادة اليمين، والشمس محمد العلقمي،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٧٤) «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٢).

وأخيه إبراهيم، والشريف يوسف الأريموني، وغيرهم.

وبلغت شيوخه الذين أخذ عنهم فنون العلوم ثلاثمائة شيخ، جمعهم في فهرس لهم، وقفت عليه عند ولده شيخنا موسى بن حجازي.

وعنه أخذ شيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وسلطان المزاحي، وكانوا يثنون عليه، ويصفونه بالخير والصلاح، وكان مقيماً بحارة الأزبكية من القاهرة، مرجعاً لأهلها في المهمات، معتقداً عند عامة الناس وخاصتهم، مجللاً عند الكبراء، مهاباً في العلماء.

وحج سنة ثمان عشرة وألف، وأخذ عنه بمكة كثير، منهم: محمد بن علان، وعقد مجالس بالحرم المكي عند المنبر للكلام، على قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة: ١٢٤]. وحضره فيها غالب علماء الحرم.

وله المؤلفات النافعة المفيدة، منها ـ وهو أجلها ـ: شرح على «الجامع الصغير» للسيوطي، في اثني عشر مجلداً، خمسون كراساً، سماه: «فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير»، وهو شرح جامع مفيد، جمع فيه لباب النقول، وقفت عليه بالقاهرة.

و«شرح على ألفية الحديث للحافظ السيوطي»، و«سواء الصراط في بيان الأشراط»، وأوصلها إلى ثلاثمائة، و«القول الشفيع في الصلاة على الحبيب الشفيع»، و«شرحٌ على الطيبة الجزرية»، و«نظم طيبة على روي الشاطبية»، و«شرحها»، و«ثلاثة شروح على المقدمة الجزرية»، و«شرحٌ على الأربعين» المضاهية «للأربعين النووية للحافظ السيوطي»، و«شرحٌ على القواعد والضوابط النووية»، و«قطعة على مختصر البخاري» لابن أبي جمرة، و«قطعة على نظم التحرير للعمريطي».

ورسالة سماها: «القول المشروح في النفس والروح»، و«كشف اللثام عن آية: أحل لكم ليلة الصيام»، و«القول المقبول في كفارة ذنب المقتول»، و«وثوق اليدين بما يجاب عن حديث ذو اليدين»، و«الرقيم المسطور في علم الموتى بمن يزور القبور»، و«معترك الخلاص في تكرير سورة الإخلاص».

و«الجواب الشفيع عن الجناب الرفيع»، و«القول العلي في رؤية الملك العلي»، و«السراج الوهاج في إيضاح: رأيت ربي وعليه التاج والجلالة»، و«الموارد المستعذبة بمصادرة العمامة والعذبة»، و«البرهان في أوقاف السلطان»، و«الاستعلام عن رؤية النبي في المنام».

و«الجواب المصون في آية: إنكم وما تعبدون»، و«إتحاف السائل بما لفاطمة من الفضائل»، و«إطلاق العنان في رؤية الله في العيان»، و«تنبيه اليقظان في قول سبحان»، و«القول المثبوت في قصة هاروت»، و«كشف النقاب في حياة الأنبياء إذا تواروا بالتراب»، و«المجالس الوعظية»، وغير ذلك مما يطول ذكره.

وكانت وفاته بمصر، بعد أذان عصر يوم الأربعاء، سادس عشر شهر ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وألف، ودفن عند والده، بتربة فيها ولي الله تعالى الشيخ محمد الفارقاني، داخل جامع يعرف بالشيخ المذكور، بسويقة عصفور، بالقرب من المدابغ القديمة.

وأعقب ولدين، أكبرهما عبد الرحمن، كان عالماً جليلاً، خيراً تقياً، والثاني شيخنا موسى، كان من أفاضل عصره، ومن جمع بين العلم والعمل، إلى أخلاق رضية، ومكارم علية، قرأت عليه كثيراً في الفقه وغيره، ولازمته، وانتفعت به، وكنت لا أفارقه في غالب الأوقات، حتى نقله الله إلى دار كرامته،

سنة خمس أو ست وثمانين وألف بالقاهرة، وصلى عليه بالجامع الأزهر، شيخُنا خاتمة المحققين، علي الشبراملسي ـ رحم الله الجميع بمنه وكرمه ـ.

[٦٦] محمد حجازي بن محمد الأنبابي.

من أجلاء الشافعية وصدورهم بمصر، أخذ عن محمد الوسيمي، والنور الزيادي، وانتفع به خلق، منهم: الأستاذ الشيخ أبو الإسعاد بن وفاء، وشيخنا أحمد العجمي.

كان عالماً عاملاً خاشعاً، تاجاً على مفرق الزمان، إماماً تقاصر عن وجود مثله المَلَوان، توفي في حدود سنة خمس وثلاثين وألف، والأنبابي ـ بفتح الهمزة، وسكون النون، فموحدتان بينهما ألف ـ: نسبة إلى أنبابة: قرية بالبر الغربي بالجيزة، من أرض مصر.

[٦٧] محمد أبو المواهب ابن الأستاذ الشيخ محمد البكري[1].

وتقدم رفعُ نسبه في ترجمة أخيه محمد أبي السرور، كان ـ نفع الله به ـ منبع الكرم والجود، وبحر الإفضال والعطاء الممدود، أخلاقه رضية، ومحامده مرضية، في الذروة العليا من الأدب، والشعر والإنشاء، والعلوم الدينية، خصوصاً فن التفسير والأصول العربية، أوحد الزمان، ليس له في كلامه مُشابه ولا مُدان.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٤٥)، ورتبه المصنف المحبي ـ رحمه الله تعالى ـ باسم: أبو المواهب بن محمد، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٢٢٣) (١٥١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٠٠)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٨٩).

وُلد بمصر، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، وأخذ عن والده، حتى حظي من العلوم الإلهية بأعلى المراتب، وحاز من المعارف أسنى المناقب، وتخرج في العلوم الشرعية بالشيخ العلامة علي الحلبي، وكان بينه وبينه مودةٌ أكيدةٌ، إلى حسن سجايا، وطيب شمائل كزهر الرياض ونور الخمائل، وأدبٌ يروق كماء انساب في محيا، وسيمٌ إذا رأيته تعرف فيه نضرة النعيم:

أدب يروقـــــك نـــــضرةً فكأنــــه عـــصرُ التـــصابي
أو شـــــرخُ أيـــام الـــصِّبا فـــي ظِـــلِّ أفيـــاءِ الـــشبابِ

وكان هو وإخوته أعيان عصرهم، وأئمة مصرهم:

إذا ركبـوا زانـوا المراكـبَ هيبـةً وإن جلسوا كانوا صدورَ المجـالسِ

خلف أخاه زين العابدين في مشيخة البكرية، فأورق روضه وأثمر، ونادم العيش والعيش أخضر، وولي بعدَ والدِ زوجته شيخ الإسلام الشمس محمد الرملي تدريسَ المدرسة الأشرفية الصلاحية المشروطة لأعلم علماء الشافعية، وكانت له رفعة عظيمة بالديار المصرية، ومن سعادته: أنه إذا تغير خاطره على أحد ـ في الغالب ـ لا يزال ذلك المغضوبُ عليه في خمول وخمود وتعسرٍ ونكسٍ إلى أن يموت.

وكان كثير الاشتغال بالعلم، محباً لأهله، خصوصاً لأهل الحديث، مشاراً إليه في العلم، حسن الخلق والمحاضرة، يأخذ الفائدة من أصغر تلامذته، ويُعرض عن أكبرهم إذا لم يحسن السؤال والكلام، جمع مجامع بخطه وقفتُ على كثير منها فيها من كل غريبة، وكانت بركته شاملة للصغير والكبير، فهو إمام يقتدى به وبهديه في كل حال، ذو جود ونوال وإجابة

للسؤال، ومحاسن ومفاخر ومكارم ومآثر، وكان بفعل الخير موصوف، وبالميل إلى جهات البر معروف.

توفي ليلة السبت سابع شوال سنة سبع وثلاثين وألف، ودفن صبيحة يوم الأحد بتربة آبائه بالقرافة، وكان ابتداء مرضه من سابع عشري شعبان بمرض الصرع، وكان له مشهد حافل لم يشاهد مثله من كثرة العالم، مشى به العلماء والكبراء، ووزير مصر وقاضيها، وقضاة القضاء، وشيوخ الإشارات، وغيرُهم من الأمم التي لا يحصي عددهم إلا ـ الله سبحانه وتعالى ـ، ورثاه الجم الغفير من أكابر الأفاضل، وأعيانِ الشعراء والأماثل.

وممن أرخ وفاته: الشمس محمد الخطيب الشافعي بقوله:

يحقُّ لنا أن نبكي على خير عالِمٍ — وخيرِ وليٍّ حازَ أسنى المراتب
محمدٍ البكريُّ ماتَ فأرخوا — (فجاسر بالجنان أصل المواهب)

وله شعرٌ لطيفٌ، منه قوله:

عبد النبي قاتلي — بعينه وحاجِبِهْ
واعجباً لعبده — يقتلُ نجلَ صاحبِهْ

وكتب إلى الشيخ، عبد الرحمن المرشدي المكي، مفتي مكة، كتاباً صورته:

أرومُ الصَّفا والقربَ من خيرةِ المسعى — وأَجعلُ أجفاني لأقدامهم مسعى
فنارُ[1] الغضا في مهجتي وأضالعي — هي المنحنى والعين أرسلت الدمعا

(١) في الأصل: فزاد، ولعل الصواب ما أثبت.

ألا يا حمامَ الأيكِ هَيَّجْتَ لـوعتي إلى جانب الجَرْعا ومن حَلَّ بالجَرْعا

بلـى وعلـى أفـقِ الـسماءِ محلُّهـا أحنُّ إليها والذي أخـرجَ المرعـى

وفيهـا إمـام عـالم عامـل عـلا تقـيٌّ نقـيٌّ أتقـن الأصـلَ والفرعـا

ذخيرةُ أهل العلمِ كنزُ أولي النُّهـى له يا إله الحـقِّ فـي نعمـة فـارعى

فمـا هـو إلا مرشـدٌ وابـنُ مرشـدٍ به ربُّنـا للنـاسِ قـد أوجـدَ النفعـا

فيـا عابـدَ الـرحمنِ يـا خيـرَ سـيدٍ بإتقانـه والله قـد أحكـم الـشرعا

يراعُكَ علـمَ النحـو أصـبح متقِنـاً فلا عجبَ إذ يعمل الخفضَ والرفعا

ووالله شـوقي لازمٌ ومـضاعَفٌ وحبي لكم بين الورى لم يزلْ طبعـا

بعثتم مـع الخِـلِّ الكـريم بمهجـةٍ ولا برحَتْ كلُّ الوفود لكم تـسعى

ويحفـظ ربُّ العـالَمين كـريمَكم لكمْ ربُّنا الرحمنُ من فَضلِه يرعى

بجاهِ رسولِ الله(١) أشـرفِ مرسـلٍ ترى الأسدَ في الغاباتِ من خوفِه صرعى

عليـه صـلاةُ الله ثـم سـلامُهُ وأصـحابِه والآلِ أجمعِهـم جمعـا

وبعدها نشر الإخلاص، فيما بيننا فاتحة الكتاب والاختصاص، أشهر للناس من فلق الصبح الظاهر لأولي الألباب، فوالعصرِ إنك مفرده وسعده، وعضده وزنده(٢)، تَبَّت يدُ أعدائِك فهم الكافرون للنعم، وويل لكل في موقف الحشر من التغابن عند زلة القدم.

---

(١) التوسل بجاه النبي ﷺ من التوسل المحرم، وانظر للاستزادة: «قاعدةٌ جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٢) في الأصل: وسيده، والصواب ما أثبت.

تبارك الذي جعلك الإنسان الكامل، وأظهر لك. . . الذي خليت به من عموم العامل، وخصوص أبناء طه وياسين في صدور المحافل، واختارك للطالبين مرشدًا، وأنت المستعان المستغاث في حالة الندى.

أُهديك تحياتِ إعرابُها مبني على الضم والجمع، وتسليماتِ تحرك سواكن الأشواق، وتطلق عواملَ الدمع، كيف لا، وأنت المولى الذي لم تتخذ القلب عن عطفك بدَلا، وأصبح تأسيس تأكيد الحب الصادق عندك يجتلى.

أبقاك الله راقياً في معارج مدارج المجد، وتأجج مناهج مباهج السعد، ومروضاً روضَ الأدب بوابل فضلهِ، وجامعاً في البلاغة كلَّ شكل إلى شكله، مع عمر مديد يطاول الأبد، ومنح تستغرق العدد.

في عزة تتقاصر عنها مقاصر العلماء، ومجد تتطامن له رؤوس العظماء، وعلم مشتق القنا، مشحوذ القواضب، وفهم يختط فوق فرق السها، معاقد المجد، ومقاعد المراتب، حيث تخفق بنود العلوم، وتقذف أنوار الفهوم، ويتضح المنطوق والمفهوم، وينفخ إسرافيل، اللوح الإلهي في أصوار الأسوار أرواح الإلهـام، ويتلـو جبريل التنزيـل على الأعـلام في ذلك المقـام آيات الإعلام.

فيا أيها البحـر الذي ملك زمـام اليراعـة، وانقادت بيده أزمة البراعة، المشحونة بالمعقول والمنقول، والمفتي الذي فتواه جامعة للفروع والأصول، والفصيح الذي سـد على ذوي الفصحاحة الطرق، وجاء بالنجم مصعداً من الأفق، والبر الذي لم تبرح في شمائل أخلاقه العاطرة تتأرج، وعقائل أوضاعه الفاخرة تتبرج.

وصل إلي كتابكم المرقوم، ورد خطابكم المنظوم، الذي هو نور النبراس، ومدارك الحواس، ولذة السمع، أو مقلة الدمع، أو نفحة النَّدّ، أو صَبا نجد، أو نسيم السحَر، أو بلوغ الوطر، أو عقود اللآل، أو السحر الحلال، جمع لمنشئه فنون الأوائل والأواخر، وشنف الأسماع وحَلّى الأجيادَ بقلائد العِقيان والجواهر.

وكتب إليه أيضاً، منه قوله:

ما غصونٌ قد رَنَّحتها شَمولُ   فهي نَشْوى وما أُديرت شَمولُ
ما رداحٌ قد أشرقَتْ بجمالٍ   ما سعادٌ وعَزَّةٌ والشمولُ
ما رياضٌ أغصانُها مزهراتٌ   صحَّ فيها النسيمُ وهو عليلُ
مثلَ أسنى تحيةٍ وسلامٍ   لإمامٍ له مقامٌ جليلُ
عالم العصر والزمان بحقٍّ   مولى[1] والعروض نعمَ الخليلُ
هو شمسٌ قد أَشرقت وأضاءت   هو بدرٌ وما اعتراه أُفولُ
هو كشافُ مشكلاتِ المعاني   ببديعٍ في ضمنه التأويلُ
هو فخرُ الورى والسعد فاض   ما لشخصٍ إلى عُلاه سبيلُ
هو عبدُ الرحمن خيرُ إمام   قد تسامَتْ فروعُه والأصولُ
علمُه كاملٌ بسيطٌ مديدٌ   فضلُه وافرٌ سريعٌ طويلُ
وله منطقٌ بديعُ المعاني   ببيانِ حديثُه مقبولُ
حسنٌ مسندٌ صحيحٌ قديم   بالأمالي إسنادُه موصولُ

(١) كذا في الأصل، وعليها خط.

يـا فريـدَ الزمـان فـي كـلِّ علـم ... أنـا فـي حـب ذاتكـم لا أَحـولُ
وغرامــي بكــم يزيــدُ وإنــي ... إن شـكوتُ الهـوى فمـاذا أقـولُ
وثنــائي لا ينقــضي ودعــائي ... وإلهــي بمــا أُريــد كفيــلُ
دمـتَ بالنجـلِ بالغـاً كـلَّ قـصد ... مـا تـوالى الرجـا وجـاءَ الأصـيلُ
وصــلاةٌ مــصحوبة بــسلامٍ ... لنبــيّ لمجــدِه التفــضيلُ
وعلــى آلِــه الكــرام وصــحبٍ ... مـا غـصونٌ قـد رنَّحَتْهـا شَـمولُ

[٦٨] محمد أمين بن محمد الجرجاني.

صاحب «الفوائد المدنية»، كان من أعاظم علماء العجم، جاور بمكة سنين، وتوفي بها سنة سبع وثلاثين بعد الألف، والجرجاني نسبة إلى جرجان: بلد بالعجم مشهورة، وأهلها يغلب عليها اللؤم، أنشد القالي في أماليه:

قـال لـي القـائلون زُرتَ حبيبـاً ... لا يُـزار الكـريمُ فـي جرجـانِ

يريد أنها لا كريم بها فيزار، وإن زرت بها، إنما تزور لئيماً، كذا في شرح الأمالي المسمى بـ: «اللآلي على أمالي القالي» لأبي عبيد البكري.

[٦٩] محمد بن محمد بن عبد القادر بن أحمد ابن القاضي تقي الدين ابن محمد بن عبد السلام بن محمد بن روزبة بن محمود بن أهيم بن أحمد الكازروني، المدني الزبيري[1].

إمام الشافعية بمقام المصطفى، ومفتي المدينة ومدرسها بروضة الشفا، كان في العلوم بحراً زاخراً، وعلماً ظاهراً، ساهم في الفضائل، فأدرك ما أدركه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٧٧).

الأواخر والأوائل، وتخرج على يديه الفضلاء والأكابر، وتعطرت به الطروس والمحابر، مع عذوبة اللسان، وسعة الصدر وقوة الجنان، وحسن حظٍ أحق أن يقال: سبحان.

وكان مبتلى بالشك في الطهارة، مع كبر سنه وشيخوخته، وكانت رياسته في الصدور لا تجهل، ومحله فيهم المحل المبجل، أخذ عن الطاهر بن علي ابن الشيخ محمد بن عراق، ولازمه، وبه تخرج، ونزل له عن إمامته دون ولديه، وأشرك معه فيها محمد مكارم البنا، ثم إنهما فرغا لولدي شيخهما، محمد وأخيه علي بالثلث، بطيب نفس منهما، وانشراح صدر، فكان مقام الشافعية بطيبة خاصاً بهذه الثلاث وظائف، وهي الوظائف القديمة، فلم يكن لأحد سواهم فيه وظيفة.

وأخذ عن أكابر لا يحصون كثرة، منهم: ابن عمه أبو السعود الكازروني، وأحمد الصالحي، وعبدالله باولي، وكان ذا دنيا متسعة، بحيث إن ورثته تقاسموا النقد بالطاس، كما أخبرني بذلك من أدركه من الناس.

وكان **وفاته** يوم الجمعة، ثاني عشر ذي القعدة، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وثلاثين بعد الألف، بالمدينة الشريفة، وصُلي عليه بالمسجد النبوي، ودفن بالبقيع الغرقد، مدفن آبائه وأجداده ـ رحمهم الله تعالى ـ.

والكازروني ـ بفتح أوله وثالثه ـ: نسبة لكازرون ـ بفتح الكاف، وسكون الألف، وفتح الزاي، وضم الراء، وسكون الواو، وفي آخرها نون ـ: مدينة بفارس، بين البحر وشيراز، ويقال: هي دمياط الأعاجم، يعمل بها من الكتان على شبه القصب، وهي كلها قصور وبساتين، ونخيل ممتد عن يمين وشمال،

بينها وبين شيراز ثلاثة أيام، والزبيري ـ مصغر ـ: نسبة إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه؛ لأنه من ذريته.

[٧٠] محمد بن محمد العلمي المقدسي الحنفي.

ذكره النجم في «الذيل»، فقال: طلب العلم حتى فضل وبرع، فسافر إلى الروم، وأراد أن يسلك طريق التدريس والقضاء، قدم دمشق بعد التسعين والتسعمائة وعليه زي العلماء والقضاة متظاهراً بتحصيل الدنيا، فلم يلبث أن تزهد، وخرج عن الدنيا، وصدق في الخروج.

وأخذ طريقة التصوف عن العارف بالله الشيخ حسن القطناني، وترك العمامة الكبيرة والأكمام الكبار، ولف عمامة صغيرة من صوف، ولبس لباس الصوفية، وقعد في زاوية بدمشق يسلِّك الفقراء ويربيهم، ونشأ له ولد اسمه عبد الصمد بارع الشمائل، فاستخلفه أبوه بعد الألف، وكان يجلس في الحلقة وحده، وأقبل الناس عليه، ثم حج، فعاد معهما جماعة من الفقراء سنة إحدى عشرة بعد الألف، ورجع عبد الصمد، وجاور والده المترجم بمكة، ثم رجع في السنة الثانية، ولم يلبثا بدمشق، بل رحلا إلى بيت المقدس، وبقي المترجم على حاله من التصدر للفقراء والواردين، وملازمة الأوراد والدروس.

قال النجم: وهو الآن من بركات الوقت، وللناس فيه مزيد اعتقاد، وله منظومة في الطريق بديعة، وخلفاء وفقراء، ومات ولده وهو حي، ثم توفي في حدود سنة أربعين بعد الألف ببلده ـ رحمه الله تعالى ـ.

ذكره الأديب عبد البر الفيومي في «نزهة العيون والألباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب»، فقال: ولي الله تعالى بالعرفات، مكتسي شرفت

شمس معارفه بالإقليم المقدسي، فانتشرت فضائله، واشتهرت فواضله، وانكب عليه الناس، وأقبلت عليه أرباب الباس، فنفذت كلمته، وزادت حرمته، وله ديوان مشهور، وتائية في السلوك درها منثور على النحور، فافتتحها بقوله. . . لابن حبيب في تائيته:

باسمِ الإلهِ ابتدائي في مهماتي	فذاك حصنيَ في كُلِّ المُلِمَّاتِ
والحمدُ لله ربي دائماً أبداً	حمداً تُنال به أعلى المبراتِ
ثم الصلاةُ على المختارِ سيدِنا	محمدِ المصطفى عز الموجودات[1]
كذا سلام من المولى يضاعفه	منِّي إليه بأنواع التحياتِ
في كل حينٍ وآنٍ لا انقضاءَ له	من رحمة الله يأتي بالمسراتِ
كذا الآل والصحب الكرام ومَنْ	للدين قد أيدوا في كل حالاتِ

وهي كبيرة تشتمل على قواعد أهل الطريقة والحقيقة. انتهى.

[٧١] محمد بن محمد المناوي الشافعي.

كان من علماء الشافعية المعمَّرين، ومن أكابر المحدِّثين، له الأسانيد العالية، والنفس السامية، متبرعاً بالإفتاء والتدريس في العلوم النافعة، صارفاً أوقاته فيها، وكان في عصره من المتفق على ولايته، وكمال معرفته بالحقائق، والإيمان بالوحدة الوجودية، والاشتغال بكتب الصوفية.

أخذ الفقه، والحديث، والعلوم الشرعية عن الشمس محمد الرملي، وأبي النصر الطبلاوي، والنجم الغيطي، وعنه شيخنا أحمد العجمي، وعبد القادر

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

الصفوري، الشافعيان، وعبد الباقي الحنبلي، توفي بمصر، في نيف وأربعين بعد الألف، ودفن بتربة المجاورين.

[٧٢] محمد زمان بن محمد جعفر الرضوي المهدي.

كان من عظماء علماء العجم في عصره، توفي سنة إحدى وأربعين وألف.

[٧٣] السيد محمد باقر بن محمد الرضي الشهير بالداماد الحسيني[١].

قال السيد علي بن معصوم في «سلافته»: باقر العلوم[٢] ونحريره، الشاهد بفضله وتقريره وتحريره، إن عددت الفنون، فهو منارها الذي يهتدى به، أو الآداب، فهو موئلها الذي تتعلق بأهدابه، أو الكرم، فهو بحره المستعذب المنهل والعلل، أو الشيم، فهو حميد ما الذي يدب منه نسيم البر[٣]، وفي العلل، أو السياسة، فهو أميرها الذي تَجِمُ منه الأسودُ في الأَجَم، أو الرياسة، فهو كبيرها الذي هاب تسلُّطه سلطانُ العجم.

وكان الشاه عباس أضمر له السوء مراراً، وأسر له حيل غيلته مراراً؛ خوفاً من خروجه عليه، وفرقاً من توجه قلوب الناس إليه، فحال دونه ذو القوة والحول، وأبى إلا أن يتم عليه المنة والطَّوْل، ولم يزل موفر العز والجاه، حتى دعاه داعي أجله فلباه، فتوفي سنة إحدى وأربعين وألف بأصبهان.

ومن مصنفاته في الحكمة: «القبسات»، و«الصراط المستقيم»، و«الأفق المبين»، و«الإيماضات والانشراقات»، و«الحبل المتين»، وفي الفقه: «شارع

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٠١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٤٨).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: العلم.

(٣) كذا في الأصل.

النجـاة»، وله «حواش على الكافي في الفقه»، و«الصحيفة الكاملة»، وغير ذلك، وبينه وبين الشيخ بهاء الدين محمد العاملي مراسلات ذكرها صاحب «السلافة».

[٧٤] محمد بن محمد العلامك[١] البوسنوي الحنفي.

كان عالماً كبيراً متقشفاً، وفيه عُجب واحترام للعلم والعلماء، وسكينة وتودد بين الكبراء، تولى قضاء حلب، وسـافر منهـا وهو قاض، وقام مقام السـيد أحمد النقيب، فلما وصل إلى أسكدار، تألم منه الوزير السلحدار، وخاف عليه أن يبلغ خبره إلى السلطان، فيحصل له ضرر، فوبخه، ثم سيره إلى الحصـار، فأمـره بلزوم الخلوة، ووجهـت عنه حلـب بعد أيام، وأشاع أنه أصيب بالنقـرس، وحكي أنه جاءه رسول من جانب الوزير المذكور، ومعه منشـور بقضـاء الإسكندرية، فقال للرسـول: قل له: وجادَتْ بوصْلٍ حيث لا ينفع الوصلُ، فلم يمض إلا ثلاثة أيام ومـات، وكانت وفاته سـنة إحدى وأربعين وألف.

وكان يجري بينه وبين قضاة حلب أيام قضائها محاورات لطيفة، منها: أنه قال يوماً للنجم الحلفاوي: ابنُ النقيب يقول لك: إنك دونه في الفضل، فقال: صدق، هو أدقّ نظراً مني، وقال لابن النقيب مثل هذه المقالة، فقال: لا غرو؛ فإنه أستاذي، والأستاذ ألبتة له فضيلة السبق.

ومثل هذا يحكى أن السلطان تيمور قال يوماً للسعد: إن السيد له معنا صحبة، وهو نديم لنا، ويركب مثل هذه الفرس المبتذلة؟! فقال له: السيد

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: العلامة.

جبل من جبال العلم، فالعجب لدابة تحمله كيف لا تهزل؟! وقال للسيد: السعد يركب مثل هذه الفرس العظيمة، فكيف يسوغ له إظهار العظمة وهو من العلم بمكانته؟ فقال: يريد إظهار نعمة الله عليه.

وللمترجم مؤلفات منها: «حاشية على الزهراوين»، و«حاشية على شرح الشمسية للقطب»، و«حاشية على شرح المفتاح» و«حاشية على شرح الكافية للجامي»، كتب عليها السيد أحمد بن النقيب الحلبي مقرظاً:

حواشي إمامِ العصرِ بكرٌ عطارد ... محمد السامي على هامِ بهرامِ
صوارمُ أفكار إذا هز متنها ... نبا كلُّ هندي وكلُّ حُسامِ
وأبحُرُ تحقيقٍ إذا طم موجُها ... فهيهاتَ منها عاصِمٌ لعصامِ
وخمرة دقيق زكت فتسارعَتْ ... إلى حانِها أهلُ الفضائل بالجامِ[1]

ومثله قول صاحبنا الفاضل الأديب يوسف بن علي الكوكباني اليمني، مخاطباً شيخه خاتمة المحققين بصنعاء حسن بن محمد المغربي، وطالباً منه قراءة الجامي عليه:

أيا كعبةَ الفضلِ التي ليس دونَها ... حجابٌ عن الطلابِ مُنَّ بإكرامِ
وإقراءِ ضيف السمعِ مني وسقيِه ... سلافةَ نحوٍ يشتهيها من الجامِ

[٧٥] السيد محمد بن محمد أبي الخير الطحان.

أحد علماء مصر المشهورين بالعلوم الغريبة؛ كالجفر، والأوفاق، والزايرجة، والرمل، له فيها اليد الطولى، وفي علم الميقات والنجوم، إمام

(١) كذا في الأصل، والشطر الأول غير موزون.

لا يشق غباره، وبحر لا يخاض تياره.

أخـذ عن أحمـد بن عبد الغفار المالكي تلميـذ سـبط المارديني، وله مؤلفات نافعة في هذه الفنون، توفي بمصر سنة خمس وأربعين وألف، وممن أخذ عنه وانتفع به: شيخنا العلامة عبد المنعم النبتيتي الحنفي، إمام الحسين بمصر.

[٧٦] محمد شمس الدين بن محمد جلال الدين ابن الشيخ القطب محمد بن أبي الحسن البكري.

عالم متبحر، وإمام متبصر، وشـيخ جليل، وفاضل أصيل، ومدرس ملازم، ورئيـس لعقد المجـد ناظم، ذكرُه مستطير، ونجم سعده مستنير، وقواعد بيته مرفوعة، وأقواله بخطبه مسموعة.

أتقن العلوم الشرعية والعقلية، واشتهر ذكره بالديار المصرية، ونفع بفوائده، وحلى الطروس بفرائده، ودرس بالجامع الأزهر أعوام، ثم انتقل إلى رحمة الملك العلام، سنة اثنتين وخمسين وألف.

[٧٧] محمد بن محمد الكفوي الرومي.

عالم كبير، له بمصر شهرة عظيمة، قرأ بالروم، ثم قدم مصر، وأقام بها، على خير وعبادة، حتى توفي سنة اثنتين وخمسين وألف، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربة المجاورين، وله نيف وثمانون سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٨] محمد بن محمد أبو حميدة المدني.

شاعرٌ مجيدٌ، وأديبٌ يقلد النحر والجيد، إلى رقة طبعٍ كأنفاس النسيم،

وحسن خلق كغرة الوجه الوسيم، له شعر هو السحر، إلا أنه الحلال، وأدب هو البحر، إلا أنه الزلال، منه قوله مؤرخاً داراً بناها أحد قضاة المدينة:

صاح بين النقا وبين المصلى ... منزلٌ في حلى المفاخر يُجلى
مجلس من أتاه يسمعُ منه ... مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلا
فيه حبر وَهمتُ بل فيه بحرٌ ... جامعٌ للعلوم نقلاً وعقلا
جاء سهل التاريخ (من غير عيب ... هكذا من أراد يبني وإلا)

[٧٩] محمد بن محمد بن سلامة الأحمدي الشافعي البصير الشهير بسيبويه.

كان إماماً عالماً. . . . .[١].

[٨٠] السيد محمد بن الحسين بن يحيى بن أحمد بن محمد بن الحسين ابن صلاح بن عبدالله بن يحيى بن أحمد بن الإيادي بن عز الدين بن شمس الدين ابن الإمام عبدالله بن حمزة الجواد بن سليمان البر التقي بن حمزة النجيب بن علي العلم الزاهد بن حمزة النفس الزكية بن أبي هاشم الحسن الإمام الرضى بن عبد الرحمن الفاضل بن يحيى نجم آل الرسول بن عبدالله العالم بن الحسن الحافظ بن القاسم ترجمان الدين بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب المرتضى ﷺ، الحمزي الكوكباني.

درة تاج الشَّرف، الذي لا يحيط سجاياه الكاملة مَنْ وَصَف، نظمُه الدرُّ

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

المصون المُرَصَّف، ونثره كالزهر النضر المُفوَّف، فمن نظمه الذي يلحق بالنسيم لطافة، وتفعل ما لا تفعله السلافة: قوله يمدح السيد إبراهيم بن زيد الحجاف:

خَبِّـــروها أنـــي قتيـــلُ هواهـــا إن تنـــاءت دنوهـــا أو نواهـــا
ما عليها لو حَمَّلـت نـسمةَ الـصبـ ـــحِ سـلاماً يطيـب منـه شـذاها
لو سرت في الصباح نحوي نـسيمٌ بـسلامٍ منهـا حَمِـدْتُ سُـراها
آه مـــا لـــي وغـــادة أنحلتنـــي وَقَلَـــتْ مهجتـــي بنـــارِ قِلاهـــا
تركتهـــا علـــى شـــفا وشـــفاها شـــفتاها أو الحـــديث شـــفاها
مـــا رأينـــا لغـــادة قَـــطُّ عهـــداً تحسب الغـدر مـن عظـيم وفاهـا
تركـــت درَّ مـــدمعي ونظـــامي كلمـــا غـــابَ عقـــدها ولماهـــا
إن أحبـــت كانـــت أشـــدَّ وداداً وإذا أبغـــضت تنـــاهى جفاهـــا
غيـر أن الهـوى تحكـم فـي الـ ـمهجة من وقت صبوتي وصباها
إن بينـــي وبـــين صـــبريَ عنهـــا مثـلَ مـا بـين مقلتـي وكَراهـا
أبغـضتني ومـا هويـتُ سـواها وتـسلَّت ومـا سَـلَوت هواهـا
قـد غـدت آيـةَ الجمـال ولكـنَّ فـؤادي لَمَّـا نـأت مـا تلاهـا
وكـساها الجمـالُ أفخـرَ وشـيٍ فتناهَـتْ فـي لطفهـا وحُلاهـا
خَلِّ ذكـرَ الـشموسِ مهمـا تبـدى حـسنُها فـيم أنـتَ مـن ذكراهـا
صـانَها اللهُ كيـف تُقْـرن بالـشمس لإفـــراط نورهـــا وحَماهـــا
قـد حَمَتْهـا عنـي الفـوارسُ لكـنْ أنا وحـدي بكـل مـن قـد حَماهـا

إن حمتهـــا ذوابـــلٌ وصـــفاحٌ لـــم أخـــفْ غيـــرَ قـــدّها ورَناهـــا
آهِ لـــو ينفـــع التمنِّـــيُ نفـــساً لم تنـلْ فـي الغـرام أقـصى مُناهـا
مـــن رأى ليـــلَ فرعِهـــا فوقَـــه صـبحُ سـناها عـشيةً أو ضـحاها
فينـــل مـــن أبـــان أن منـــاه يلـــثمُ الـــوجنتين منهـــا وفاهـــا
ثـــم يطـــوي ذاك العتـــابَ وإن كـــان بـــه الـــود بيننـــا ببناهـــا
وإذا مـا انطـوى نـشرت لـواء الــ ــفخر للماجـد الـذي لا يُـضاهى
العظـيمِ المكـرَّمِ الحبـرِ إبـرا هـــيمَ بـــن ســـاد عتـــرة طَـــهَ
نجـلِ زيـدٍ مـن زاد قـدراً وعلمـاً وفخـــاراً فـــي العـــالمين وجاهـــا
إن تبـاهى الزمـانُ بالبـدر فـيهم فهـــو قـــد زاد بهجـــةً وانتباهـــا
عتـرةٌ قـد غـدت نجـومَ المعـالي وهـــو مـــن بيـــنهم كبـدرِ سَـماها
صـــغروا عنـــه زهـــي المعـــاني وبهـــــاه إذا أردتـــــم بهاهـــــا
أورع أروع نقــــــــــــــــــــي حـــرسَ اللهُ ذاتَـــه ووقاهـــا
وســـلام عليـــه مـــن قـــال مـــن تـــم قـــصيدٌ هنـــا يكـــون انتهاهـــا

[٨١] القاضي محمد بن محمد بن الحسن الحيمي.

خطيب جامع شبام، وسليل مستنبط الأحكام، الشاب الظريف، الماجد اللطيف، الذي ما بلغ العشرين إلا وصنف، وقرظ آذان العلوم وشنف، فهو غصن دوحة الوفاء، وزهرة عنصر أهل الصفاء، مقلد جيد الزمان بقلائدِ عقيانِ آدابه، وملبسُ شخوصِ تلك الأسجاع لطائفَ آدابه ونقابه.

صاحب الفكرة الوقادة، والقريحة المنقادة، ولعمري! إن ما وصفته

به هو بعض سجاياه، وأقل مما في كثير مزاياه، مع جبين كالهلال، ووقار عليه سيما الجلال، حماه الله من عين الحسود، وحرس ذاته عن الأسواء بطوالع السعود، ومن شعره ـ سلم الله قوله ـ:

عِقدٌ على عُنق الحسناءِ منضودُ ... أمِ المدامةُ أبدَتْها العناقيدُ
أم النسيمُ سرى وهناً فكان له ... بينَ الجوانح للمشتاق تبريدُ
وأذكرَ الصبَّ أيامَ النقاءِ روى ... عن معهدٍ هو بالأفراحِ معهودُ
فها أنا وحيد النازحين معا ... بما طوى النشر مسرورٌ ومسرودُ
قد هيجَتْ لي صَبا نجدٍ قديمَ هوى ... له ببالي على الأيام تجديدُ
أذكرتني يوسف الحسن البديع ومن ... له فؤادٌ كقاسي الصخر جلمودُ
وكيف أنساه إن جارَ البعادُ وفي ... سجن الفؤادِ له واللهِ تخليدُ
من ثغره إن تبدَّى كالعقود علا ... بديده فلدرٍّ العقدِ تبديدُ
وإن بَدتْ في دجى الأسحارِ طلعتُه ... فلي وللطرفِ تسهيدٌ وتسهيدُ
وإن رنا لحظُه أو لاحَ عارضُهُ ... فالسيفُ والروضُ مشهورٌ ومسهودُ
لا غرو أن تضحك الأزهار معجبة ... في خده ولشعر الصدغ تجعيدُ
لسيف ألحاظه حدٌّ وليس له ... في الحسن حدٌّ تراه وهو محدودُ
ما زال مجتهداً في صدِّه فله ... من دُرِّ دمعي وظلمي فيه تقليدُ
كشفت حالي عسى يرثي إذا وصفت ... والعطفُ عند حذا الغزلان مفقود
فجردَ السيف يهوي قتلتي فلهُ ... كما علمتُ على الكشافِ تجريدُ

[٨٢] محمد بن يحيى، الشهير بابن شرف الشافعي[١].

أحد أجلاء الفضلاء، وأعيان النبلاء، وممن برع في الفقه وجدّ فيه، وفاق فيه من يماثله من معاصريه، أخذ عن الشمس محمد الرملي، ولازمه سنين، واستفاد من فوائده، وأجزل عليه من فضائل عوائده، وأجازه بمروياته، ومستنداته، ومؤلفاته.

وجمع بين التقرير والتحبير، وألف «حاشية لطيفة على شرح التحرير» لشيخ الإسلام زكريا، وكانت وفاته بمصر، يوم الثلاثاء، سابع عشري ذي الحجة الحرام، سنة سبع بعد الألف، وهو شاب في عشر الثلاثين ـ رحمه الله ـ.

[٨٣] محمد بن أحمد المرداوي ـ نسبةً إلى مَرْدا من قرى نابلس ـ الحنبلي[٢].

نزيل مصر، شيخ الحنابلة في عصره بمصر، أخذ عن التقي الفتوحي، وعن عبدالله الشنشوري الفرضي، وعنه: مرعي المقدسي، وعثمان الفتوحي، ومنصور البهوتي الحنبليون، والشمس محمد الشوبري، وأخوه الشهاب أحمد، وشيخنا سلطان المزاحي، وكثير، توفي بمصر، سنة ست وعشرين وألف، ودفن بتربة المجاورين، بالقرب من السراج الهندي.

[٨٤] محمد بن مصطفى، الشهير بكتخدا زاده.

عالم بالروم مشهور، له «تكملة شرح عمه سنان الدين يوسف على

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٨).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٦).

شرح المفتاح»، **توفي** سنة تسع وثلاثين وألف.

[٨٥] محمد بن خضر الأماسي.

صاحب مختصر التلخيص، الذي سماه: «أنبوب البلاغة»، **توفي** سنة مائة وألف.

[٨٦] محمد بن خليفة بن سعد الدين بن علي بن محمد المرحومي.

شيخنا، **مات** في نيف وثمانين وألف، بمصر.

[٨٧] محمد البيروتي، نزيل دمياط.

أحد أكابر المحققين، أخذ بدمشق عن الشمس الميداني، والشهاب العيثاوي، وقدم مصر، وأخذ بها عن الحلبي، والزيادي، وأجيز سنة أربع عشرة وألف، وأقام بدمياط إلى أن **مات** في نيف وستين وألف.

[٨٨] السيد محمد بن حمزة بن أحمد بن علي بن الحافظ شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر بن علي ابن الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين المجتبى بن علي المرتضى بن أبي طالب بن عبد المطلب، الحسيني، الدمشقي، الشافعي.

يعرف بالسيد كمال الدين بن حمزة...[١].

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

[٨٩] صاحبنا السيد محمد القبع بن مكين صاحب بندار الصليف بن المقبول بن الهادي بن أبي القاسم بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن عمر ابن العزب.

وينتهي نسب بني القبع جميعهم، إلى العزب المذكور. . .[1].

[٩٠] السيد محمد بن مكين القَبَع بن حسن القبع بن المقبول بن المكين بن أبي بكر.

توفي السيد مكين سنة خمس وخمسين وألف بجدة، وبها دفن، وسبب تلقيبه بالقبع: أن أهله كانوا كرداً، ويتعاطون الزراعة، فتعلق صاحب الترجمة بأهل البحر، وطلب من والده أن يجعل له زعيمة صغيرة، يتعاطى فيها الصيد، فأبى عليه، فألح عليه.

ولم يزل حتى اقتضى الحال أن يعرض والده ذلك على أحد بني عمه، السيد أبي بكر بن حسن، وكان من أولياء الله، فلما قدما عليه، عرض عليه والده ذلك، فنظر إليه، وناداه إلى جنبه، ورفع ثيابه عن بدنه، حتى بقي بمحزم، ثم رفع عمامته عن رأسه، ومكث ساعة ينظر إليه، ويضرب بيده رأسه، ثم مكث ساعة وقال: لا تعترض ولدك فيما يرومه؛ فإن الله مكنه من مكانه هذا إلى مكة ـ شرفها الله ـ.

وألبسه قَبَعاً، وقال: هذا صاحب القبع، فاشتهر من حينئذ بالقبع ـ بفتح أوليه ـ، ثم تعاطى البحر، فجعل له جلبة، يسافر بها من اليمن إلى جدة، وكانت جلبته مطلقة عن المكس، من بيت الجلاب؛ إجلالاً له، وهي كذلك لولده

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

سيدنا محمد ـ سلمه الله تعالى ـ.

[٩١] السيد محمد بن عبد الواحد بن محمد الغرب، صاحب القنفذة[١].

[٩٢] محمد بن أحمد بن الهادي الشهير بالعبّادي.

نسبة لجده لأمه الشيخ محمد البكري العبادي، نسبة إلى عبادة: بلدة من بلاد مصر، وكان من كبار الأولياء، الآخذين عن الشيخ بدر الدين العادلي، ووالده أحمد، يلقب بابن عَصَبَة، وهو من ذرية الشيخ إسماعيل الحضرمي، موقف الشمس، المعروف في بلدة الضحى، بقرب زَبيد من اليمن.

وُلد صاحب الترجمة في سنة ثمان وعشرين بعد الألف تقريباً، في حجر والده، إلا أنه نشأ أمياً، وظهرت له في أواخر عمره خوارق عادات، مع أنه كان يسلك طريق الملامية، في تخريب الظواهر، بشرب الحشيش، إلا أن كثيراً ممن يتعاطى شربها عنده، أخبر بأنها ما أثرت فيه، مع أنه أكثر منها جداً، واستدل بذلك على انقلاب عينه، أو بطلان ضرره.

ومن كراماته، ما أخبرني به ثقة: أن جماعة وفدوا عليه للزيارة، فأمره أن يصب لهم قهوة من إناء معين، وقد تحقق خلوه من القهوة، ولم يستطع أن يواجه أمره بإبائه عن صب القهوة، فأمره ثانياً، فامتثل أمره، وأخذها، وإذا بها قد أوجد الله فيها قهوة، فصب لهم ما كفاهم.

ومنها: أن شخصاً أخبره بأنه رآه يطير في الهواء.

ومنها: أن شخصاً آخر قد رآه تصرف من الغيب في مال أنفقه، ولم يكن

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

عنده قبل، إلى غير ذلك من الكرامات التي يحفظها أصحابه[1].

وقد رأيته، وكان له إلي ميلٌ كثير، حتى إنه كان يحثني على المجيء إليه، فأعدُه وعداً معلقاً بالمشيئة، ثم لم آته؛ لسلوكه مسلك التخريب، ولم يزل على كماله، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر ربيع الثاني، من سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، ودفن في بيته الذي كان يسكنه، ملاصقاً لقبر أبيه وجده لأمه ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٩٣] محمد بن عبد الرحمن الخياري المدني الشافعي[2].

الأديب الأريب، واللوذعي اللبيب، مولده بالمدينة، في شعبان، سنة أربعين بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عمن بها من العلماء الأعيان، رحل إلى مصر والروم والشام.

واجتمعت به بمصر كثيراً، وحصل بيني وبينه الود التام، وكان لا يفارقني في غالب الأيام، ثم رجع إلى المدينة الشريفة، فتوفي بها في شهر رمضان، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، وحضرت مشهده ومدفنه بالبقيع بها، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله ـ.

وله شعر وسط، منه: قوله يمدح شيخ الإسلام يحيى المنقاري مفتي الروم:

في كل قُطر حيث ذكرُك يُنشر ... يبدو الثناء عليك مسكٌ أَذْفَرُ

---

(١) مثل هذه الكرامات لا تقع إلا لخيار عباد الله، لا لمن أظهر الفسق وتعاطي الحشيش، والله المستعان.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٩٣).

وتـــودُّ أربـــابُ المقـــام بأنهـــا — مــن تــربِ نعلِـك دائمـاً تتعطَّـرُ
شَــرُفَت بهــا الأيــامُ حتــى إنهــا — وَدَّتْ تــراك الماضــياتُ الأَعْـصُرُ
وأتـى الزمـانُ إليـك عبـداً طائعـاً — يُـصغي لمـا تنهـاهُ عنـه وتـأمرُ
وقد اقتصرتُ على امتداحِ جنابِكم — إذ مـدحُ خيـرِ الخلـقِ فـيكم أكبـرُ
في قولِـه العلمـاءُ ورثـة قـد كفـى — الـصادق المـصدوق فيمـا يخبـرُ
وإذا أردت بـأن أصـوغَ مـدائحاً — فـيكم فـإني مـا حييـتُ مقـصِّرُ
من أجل هذا قال قبلي مـن مـضى — بيتـاً وذاك البيـتُ فـيكم أشـهرُ
وعلــى تفــنن واصــفيه بحــسنه — يفنى الزمـان وفيـه مـا لا يحـصرُ
فإليـك يـا مـولاي صغْت دراريـاً — تُهدى إليـك وأيـنَ منهـا الجـوهرُ
ضــمنتها أوصــافَك الغُــرَّ التــي — مــا شــامها الـثقلانِ إلا كبَّــروا
لا ترتجــي إلا القبــولَ إجــازةً — وإجـازةُ الـشعراءِ أبـيضُ أصـفرُ
وأنــا محمــدُ عبــدُكم ومُحِــبُّكم — العبـدُ الاصـغَرُ والمحـبُّ الأكبـرُ

[٩٤] محمد بن عبد القادر الجعد اليمني.

سلك عند أبيه مدة، ثم رباه الشيخ محمد فُقيه، إلى أن كمل الطريقة، وتزوج ابنته، ثم قام مقام أبيه بعد أبيه، وله تصرفات، وأحوال عجيبة.

[٩٥] محمد دده المجذوب المعروف بديوان دلوسي.

كان ساكناً بالقسطنطينية، وكان شيخاً مجذوباً مكاشفاً.

[٩٦] محمد دده، المعروف بتاج زاده.

كان ساكناً بقلعة يقال لها: أبو غادي، من مضافات لواء، كان في

أول حاله تاجراً، يتردد إلى بلاد المغرب، ثم ترك التجارة، وسلك عند الشيخ المعروف بالكاتب، في مصر...[1].

[٩٧] حاجي محمد.

كان ساكناً بقصبة أولوبوري، وكان شيخاً صالحاً ديناً، صاحب أحوال، مات بعد الألف.

[٩٨] محمد بن أبي بكر الصهيوني الدمشقي، المعروف باليتيم.

ـ بضم الياء المثناة، وكسر الياء المشددة ـ، أخذ الطريق عن الشيخ محيي الدين الذهبي القيمري، كان شيخاً صالحاً، توفي سنة ست عشرة بعد الألف.

[٩٩] محمد دده بن محمد السيواس.

من خلفاء الشيخ شعبان دده القسطموني، شيخ عالم صالح، صاحب تصرفات وأحوال، توطن بأدرنة، وله حلقة الذكر في الجامع المعروف بأوج شرفه لي.

[١٠٠] محمد بن حسين النقشبندي.

من خلفاء الشيخ عبد اللطيف بن فتح الله النقشبندي، سكن بحجرة في الجانب الشرقي، الملاصق للحائط القبلي، بجامع آيا صوفيا بالقسطنطينية، نحو عشرين سنة، فلما اشتهر، وأقبل عليه الناس، ارتحل منها إلى خارج البلد، واتخذ مكاناً عند الماء الذي يقال له: أجمه صوبي، وهو ساكنٌ بها

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

الآن، شيخ صالح عابد، صاحب كشف، وإشراف على الخواطر.

[١٠١] محمد بن علي المكتبي الدمشقي الشافعي[1].

كان من علماء دمشق، المشهورين بها بالصلاح، وحسن السمت، **مولده** منتصف ذي القعدة، سنة عشرين وألف، وختم القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظه في سنة واحدة، وحفظ الشاطبية، وقرأ بالروايات على عبد الباقي الحنبلي وغيره، وأخذ علم الحديث عن النجم الغزي.

وحج سنة اثنتين وثمانين بعد الألف، واجتمعت به بمكة، وتأكدت بيني وبينه الصحبة، وأخذ بالحرمين عن عبدالله بن الطاهر العباس، وعلي العصامي، وعلي الأيوبي، وعن شيخنا إبراهيم الكردي، وعن السيد محمد البرزنجي، والسيد محمد الشلي، وكتبوا له إجازات سنية.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على خير وفي خير، إلى أن توفي يوم السبت، ثاني عشري جمادى الآخرة، سنة ست وتسعين وألف.

[١٠٢] محمد غضنفر بن جعفر بن إمام الحسيني البخاري.

القاضي، نزيل المدينة الشريفة، كان من أعاظم المحققين، قرأ ببلاده، وأخذ عن ملا محمد سعيد، تلميذ ملا حنفي، وعن الخطيب الكازروني، جد هبة الله بن عطاء الله الحسيني الحسني، وممن أخذ عنه: السيد العارف بالله، صبغة الله بن روح الله الحسيني، وأحمد بن علي الشناوي، وكثير.

وله مؤلفات، منها: «حاشية مفيدة على شرح النخبة» للحافظ ابن حجر،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٣).

أرخ إتمامها بالمدينة، سنة ألف واثنتين ـ رحمه الله ـ، وله «أنموذج العقول في امتحان الفحول»، وغير ذلك من المؤلفات النافعة.

[١٠٣] السيد محمد بن يحيى الوزير.

كان سيداً فاضلاً، براً تقياً، اشتغل بخويصة نفسه، وتعلم القرآن وتعليمه، وكان إمام مسجد جده، وعمّر نحو تسعين سنة، وقبضه الله إلى جواره سنة اثنتين وخمسين وألف.

[١٠٤] محمد بن عبدالله بن أحمد.

وبقية نسبه في ترجمة السيد عثمان بن علي الوزير، كان بقيةً في آبائه، وإماماً في معرفة أحوال سلفه، حميد الأوصاف، نسابةً لجميع الأشراف، فقيهاً في دينه، قويماً في رأيه، سريع الجواب، مع إصابة مليح الخطاب، ذا رشاقة ودعابة، إلى دين صحيح، وورع شحيح.

قرأ على عمه السيد صلاح أحمد كثيراً من كتب الحديث والسير وغيره، وقرأ في الفقه على السيد الإمام محمد بن عز الدين المؤيدي المفتي، وصحب السيد العلامة المجاهد شرف الدين الحسن ابن الإمام القاسم في كثير من أسفاره، أيام جهاده للترك، مثل أيام زَبيد وتَعز وغيرهما، وأبلى بلاءً حسناً، وأقام آخر مدته بالسر، في مغارب صنعاء، ومات به في أحد الربيعين، سنة ثمان وخمسين وألف، وقبره بصرح مسجد الحديدة.

ومن كراماته: ما نقله ولده السيد علي بن محمد الغدير، قال: لما طال حبس والدي، مع من حبس من الأشراف بقاهرة تعز، في دولة الأروام، وضاق حاله، وتشوش باله، وكان بسبب رواتب يعتادها، يسر الله له رؤيا صالحة

مضمونها: أنك اخرج من القلعة، ولا يريبك تبعُ السجانِ لك؛ فإنه سيهلك على يدك، وكان هذا السجان أحدَ الظلمة، كم أوذيت على يده حشاشة، وهلك بظلمه جماعة من الأشراف هنالك.

قال: فخرجت عشية ذلك اليوم، الذي رأيت في صبيحته تلك الرؤيا، فما زلت أتوكأ على عصا بيدي، في أثناء مدرج القلعة، وقد دهم الليل، وولدي علي بن محمد منتظرٌ لي في أسفلها.

فلم أشعر إلا بالآغا ناظرِ الحبس، فلما وصل إلي، لم أشكَّ أنه لا يريد بإرجاعي إلا إزهاق روحي، فقلت له: يا آغا! تقدم حتى تدلني على الطريق، وتأخذ بيدي في مضايقها، فتقدمني وهو ينفث نفثاتٍ يفصح مكنونُها عن خبث طويته.

فلما انتهينا إلى مضيق في الطلوع، قلت: ليتقدم الآغا قبلي حتى يأخذ بيدي، فلما أهوى للتقدم، وكان إلى جهة الفضاء الواسع الذي يهلك الرجل في أثنائه إذا سقط قبل أن يصل إلى الأرض، فغرزت تلك العصا في ظهره مع نهوضه، ثم دفعته دفعةً طارت به بلا جَناح، وقلت له: لا بأس عليك ولا جُناح، فخر في أثناء ذلك الهوى، وتبددت منه الأوصال والقوى.

ثم انثنيت نازلاً إلى ولدي، فوجدته بأسفل المدرج، فقطعت البلاد لوجه الليل، ولم نصبح إلا بالبلاد التي وطئتها إمامية.

وصاحب الترجمة هو: محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن أحمد ابن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوزير بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن العفيف بن المفضل بن الحجاج بن علي

ابن يحيى بن القاسم بن يوسف بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسين ابن الإمام الترجمان القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ.

[١٠٥] محمد بن يونس، الملقب: عبد النبي القشاشي، الشهير بالمدني.

توفي خامس عشر شعبان، سنة أربع وأربعين وألف بصنعاء.

[١٠٦] الشمس محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الحموي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الشهير بالميداني.

أخذ «صحيح البخاري» عن البدر الغزي، وأخذ بمصر عن الشمس الرملي أحمد بن أحمد الرملي، وعن أبي الحسن علي نور الدين القرافي، تلميذ السيوطي، وأخذ بدمشق عن العلامة أحمد بن أحمد بن بدر الصالحي.

[١٠٧] محمد بن حمزة بن أحمد بن علي بن الحافظ شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر بن علي ابن الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن المجتبى بن علي المرتضى بن أبي طالب بن عبد المطلب، الحسيني، الدمشقي، الشافعي.

يعرف بالسيد كمال الدين بن حمزة...[١].

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

[١٠٨] شيخ الإسلام محمد نجم الدين ابن شيخ الإسلام محمد بدر الدين ابن شيخ الإسلام محمد رضي الدين بن محمد بن عبدالله بن بدر بن عثمان بن جابر بن تغلب بن ضوء بن شداد بن عاد بن مفرج بن لقيط بن جابر ابن وهب بن ضباب بن جحيش بن معيض بن عامر بن لؤي بن غالب الغزي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ والوفاة، العامري القرشي الشافعي[١].

مفتي دمشق ومحدِّث الشام، وخاتمةُ مَنْ بها من الحفَّاظ الأعلام، وممن بوأه الله في الحديث منزلةً علية، وجمع له بين جميع العلوم السَّنِية، وممن استجيبت فيه دعوة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام والتحية، في قوله: «نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها»، فكان وجهه كالبدر في النورانية.

وممن افتخرت به دمشق على سائر البلاد، مع ما في ذلك العصر من العلماء الأمجاد، وأجمع على جلالته أهل المشرق والمغرب، وانفرد في عصره بعلو الإسناد، الذي هو للعالم أجل منصب.

وسمعت شيخنا شيخَ الإسلام محمد بن علاء الدين البابلي يثني عليه كثيراً ويعظمه؛ فإنه اجتمع به بمكة ـ شرفها الله ـ، ويكفيه شهادة هذا الحبر العظيم، الذي أجمع الناس على علمه الفخيم.

ولد سنة سبع وسبعين ـ بتقديم السين فيهما ـ وتسعمائة، ومات والده، وعمره سبع سنين، وأجازه بمروياته، وقرأ القرآن على الشيخ يحيى بن العماد

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٨٩)، وذكر وفاته في ١٠٦١هـ، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٣).

ولازم العلامة شهاب الدين أحمد بن جمال الدين العيثاوي وغيره من شيوخ دمشق، حتى برع في العلوم، وتصدر للإفادة والتحديث في مسجد بني أمية، وانتهت إليه في عصره رياسة العلم السنية، وتولى تدريس قبة النسر، بعد الشمس الميداني.

وعرض له في آخر عمره سكتةٌ في الدرس فقط، سببها: أن الشيخ العارف بالله حسين بن فرفره، كان يأتي إلى درسه، فيجلس في وسطه، ويتكلم بكلام لا يفهمه أحدٌ على طريقة المجاذيب، فأكثر يوماً الكلام في الدرس، فغضب منه الشيخ، وقال له: اسكت، فقال له: اسكت أنت، فسكت الشيخ من ساعته، واستمر ساكتاً لا يتكلم في الدرس بشيء.

وكان يأتي بعدها إلى الدرس، فيقرأ عليه القارئ الحديث إلى أن يتمه، فيتكلم الطلبة عليه بعضهم مع بعض، وهو ساكت، إلى أن يتم الدرس، وكان إذا ذهب لبيته يطالع الدرس، ويفهم العبارات، على ما كان عليه، ولكنه إذا سئل عن عبارة، لا يستطيع التكلم عليها، ولم يزل على هذا الحال، إلى أن توفي سنة إحدى وستين بعد الألف[1]، ودفن بتربة آبائه المعروفة ثَمَّ.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ تنيف على ثمانين مؤلفاً، منها: «الكواكب الزاهرة في أخبار المائة العاشرة» في مجلدين ضخمين، و«تاريخ آخر كبير ذكر فيه أهل عصره»، و«شرح على لامية ابن الوردي» التي أولها: اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزل، و«شرح بديع على ألفية ابن مالك»، وكتاب جمع فيه أشراط الساعة، وأوصلها إلى ألف، في مجلد ضخم، وسماه: «تحبير العبارات في تحرير

(١) سبق التنبيه على مثل هذا، ولا يخفى ما فيه من مبالغات الصوفية.

الأمارات»، و«عقد النظام لعقد الكلام»، و«شرح على ألفية جده الرضي الغزي في التصوف».

وكان يميل لفن الأدب، ومفاكهة أهله، ويمزج للطافته وحسن أخلاقه جدَّ القول بهزله، تارةً ينظم في الغزل ما تصبو إليه القرائح، وطوراً يجتني ثمار الوعظ والنصائح، فمن شعره الدري، ونفثه السحري قوله:

أعاطيه كؤوساً من لُجَيْنٍ فيجعلُ لي من الذهبِ الأداءَ
ولستُ مرائياً في ذا ولكنْ خيارُ الناسِ أحسنُهم قضاءَ

وقوله:

بلغتُ من الجوى ما ضقتُ عنه فخلِّصْني بفضلِك رَبِّ منهُ
إلهي إنَّ حبك في فؤادي فأنقذْهُ من البلوى وصُنْهُ

وقوله:

قال صحبي عن الدخانِ أجبنا هل له في كتابنا إيماءُ
قلتُ ما فرط الكتابُ بشيء ثُمَّ أرخت يومَ تأتي السماءُ

وقوله:

عن النبيِّ أتانا من رأى امرأةً أحل في قلبي للحسن توقعها[1]
فليأتِ زوجَتُه فليقضِ حاجَتَه إنَّ الذي مَعَها مثلُ الذي مَعَها

وقوله:

---

(١) كذا في الأصل.

تُلِمُّ المعاني بالقلوب كأنها عرائسُ تُجلى في عقودٍ من الدُّرِّ
وتذهبُ حتى لا تراها فإنْ تجدْ لها لَمماً بالقلبِ تخلجُ في الصدرِ
فبادرْ إلى تقييدِها بكتابةٍ فذلكَ ذخرٌ وهي من أنفعِ الذخرِ
فكمْ لاحَ لي أمرٌ وراحَ وعندَما أطالِعُه ألقاهُ من أعجبِ الأمرِ
وما العلمُ إلا روضةٌ مستنيرةٌ فطوراً إلى نورٍ وطوراً إلى ثمرِ
وما زلتُ في تلك الرياض مُعاطياً نفائسَ ما تحويه من أول العمرِ

وقوله:

انظر إليه كأنه متبرمٌ مما تُغازلُه عيونُ النرجسِ
فكأنَّ صفحةَ خدِّه ياقوتةٌ وكأن عارضَه خميلةُ سندسِ

وقوله:

لنا نفوسٌ إذا هي انصدعَتْ بلحظِ طَرْفٍ تقومُ ساعتُها
عَزَّتْ فعاشت بفقرها رغداً وفي اعتزالِ الأنام راحتُها

وقوله:

يارب........[1]

[١٠٩] محمد بن يحيى الشهير بابن شرف الشافعي[2].

أحد أجلاء الفضلاء، وأعيان النبلاء، وممن برع في الفقه وجدّ فيه،

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة ونصف بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٨).

وفاق فيه من يماثله من معاصريه، أخذ عن الشمس محمد الرملي، ولازمه سنين، واستفاد من فوائده، وأجزل عليه من فضائل عوائده، وأجازه بمروياته، ومستنداته، ومؤلفاته.

وجمع بين التقرير والتحبير، وألف «حاشية لطيفة على شرح التحرير» لشيخ الإسلام زكريا، وكانت **وفاته** بمصر، يوم الثلاثاء، سابع عشري ذي الحجة الحرام، سنة سبع بعد الألف، وهو شاب في عشر الثلاثين ـ رحمه الله ـ.

[١١٠] محمد بن محمد بن سلامة الأحمدي الشافعي البصير، الشهير بسيبويه[١].

كان إماماً عالماً، نحريراً محققاً، عارفاً للعلوم النقلية، والعقلية، متقناً لها، ولكنه اشتهر بالعربية؛ لغلبتها عليه، وكثرة إقرائه لها، وكان مرجعاً لحل المشكلات العلمية، وإذا قرر المسائل، تظهر للطلبة بأدنى إشارة، وتنطبع في قلوبهم، وذلك لأنه جمع الله له بين العلم والولاية، وكل من قرأ عليه نفعه الله، وكل من خدمه خدمة ما، أسعده الله ديناً ودنيا، وما بشر أحداً بشيء، إلا ناله ألبتة.

وكان عزباً لا يخرج من الجامع الأزهر، إلا إذا تعطلت فسقية الجامع، فيخرج لأقرب مكان لقضاء الحاجة، وكان ملبسه في الصيف والشتاء جبةً حمراء، وكان من الزهد في الدنيا، بحيث لا يأخذ من أحد شيئاً إلا بقدر الضرورة، ويأكل من الشربة المرتبة في الجامع الأزهر، ظهراً وعصراً.

وكان يعتريه في بعض أوقاته سكوت، فلا يقدر أحد أن يبتدئه بكلام،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٧٥).

حتى يكون هو البادي، وكل من بدأه بكلام متعمداً، حصلت له متعبةٌ دنيويةٌ بالتجربة، وعرف ذلك عنه غالب الناس.

وكان الغالب عليه الجمال، لا يُرى متكدراً، بل منشرح الصدر، متبلجاً متداعباً، ولا تُذكر الدنيا عنده بحال، ولا يعرفها، ولا يعرف أحوال أهلها، والغالبُ عليه سلامة الصدر، فلا يظن بالناس إلا خيراً، وإذا قرأ عليه أحدٌ ـ ولو درساً واحداً ـ يسأله عن اسمه واسم أبيه، ولا يزال يذكره، ويسأل عنه، وإذا غاب عنه سنين، وجاء إليه، يعرفه بمجرد تكلمه معه، ولا يغيب عنه ذهنه.

وكان إذا فرغ من الدرس، يشتغل بتلاوة القرآن، ولم يتخلف في سائر أوقات الصلاة من صلاة الجماعة، في الصف الأول بالجامع الأزهر، ويقوم فيه من النصف الآخر، ولا يزال يتهجد، حتى يصلي الصبح مع الجماعة، وبعدها يقرأ الناس عليه في القراءات إلى طلوع الشمس، فيذهب حينئذ إلى فسقية الجامع الأزهر، ويتوضأ، ويجلس للتدريس إلى قبيل الظهر.

هذا دأبه طول عمره، إلى أن نقله الله إلى دار كرامته، فتوفي إلى رحمة الله ورضوانه، في نيف وخمسين بعد الألف، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، إلا ثيابه التي عليه، ودفن بتربة المجاورين.

ولما مات، سمع الناس قائلاً يقول وهم في جنازته: مات العلم الخالص لوجه الله، وذهب الزهد فيما عند الناس بعد محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون، فضج الناس، وصاحوا وبكوا.

وقال لنا شيخنا محمد البابلي: ما رأينا في شيوخنا أثبتَ قدماً في الزهد منه، وجميع ما نحن فيه من بركاته، وقال بعض شيوخنا: إنه أمةٌ قد خلت.

قرأ في بدايته على شيوخ كثيرين، منهم: العلامة أحمد بن قاسم العبادي، وأبو بكر الشنواني، وعنه أخذ أكابر شيوخ عصرنا؛ كشيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، ويحيى الشهاوي، وشاهين الأرمناوي، وشيخنا محمد المنزلاوي، ومنصور الطوخي، ومحمد بن عتيق الحمصي، وعلماء كثيرون، ولم يمت أحد ممن أخذ عنه إلا بخير، وكراماته كثيرةٌ شهيرةٌ، نفعنا الله به في الدارين[1].

[١١١] محمد كمال الدين بن محمد الشهير بطاش كُبري الحنفي[2].

ممن شاع فضله حتى ملأ الآفاق، وعلى فضله وكماله وقع الاتفاق، تقلب في المناصب العلية، بالديار الرومية، تولى قضاء العسكر بناظولي، وولي قضاء العساكر بروم ايلي، ثلاث مرات، وكان في العلم طوداً راسخاً، لا يكاد يوجد له ضريب بين موالي الروم، سيما في فن الفقه والمعاني والبيان، وولي قضاء دمشق سنة خمس وألف.

ومن مؤلفاته كتاب سماه: «عمدة أرباب البداية في تحرير مسائل الهداية» أكمل تحريره سنة أربع وعشرين وألف، وقال في ذلك:

أحمدُ اللهَ الذي من فضلِه ... تَمَّ هذا الجمعُ لي والانتخابْ
قد بذلتُ الجهدَ في تحريرِه ... وتحرَّيْتُ له محضَ اللبابْ

---

(١) ينتفع المرء في الآخرة بأعماله الصالحة، لا بفلان وفلان، والله أعلم.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨)، وفي الخلاصة اسم والده أحمد، وهنا أثبت المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ اسم والده محمد.

غُـرر الفقــه غــدتْ ســافرةً فيـه حتـى مـا عليهـا مـن نقـابْ

فاجعـل اللهــمَّ سـعيي خالـصاً لـك مـشكوراً إذا قـامَ الحـسابْ

واكـسُهُ ثـوبَيْ قبـولٍ ورِضًـا من أولي الفضلِ وأصحابِ الصوابْ

فلكَـمْ أسـهرتُ عينـي متعِبـاً فيه فكـري أبتغـي حسنَ الثـوابْ

إن تـرمْ تـاريخَ إتمـامٍ لـه كـاملاً أرخـه (قبـل تـم الكتـابْ)

توفي بالقسطنطينية سنة ثلاثين وألف، وأرخ وفاته العلامة إبراهيم بن عبد الرحمن العمادي:

ألا إنمـا الـدنيا غـرورٌ نعيمُهـا ينغِّـصه تكـديرُها وزوالُهـا

قضى اللهُ للمولى الكمال بأن قـضى فأرخ (ديارُ الـروم مـاتَ كمالُهـا)

سنة ثلاثين وألف.

[١١٢] الدرويش محمد الهريري الحلبي.

نزيل دمشق، كان من فضلاء وقته، وكان نساخاً للكتب، وخطه في غاية الصحة، وكتب كتباً كثيرةً، وله أشعار كثيرة، منها: قوله محاجياً في مقراض، وأرسل بها إلى عبد الكريم الميقاتي، سنة أربع عشرة وألف:

يـا أيهـا البحـرُ الـذي منـه الأفاضـلُ تـستفيدْ

يـا فاضـلاً أقلامُـه قـد ذكـرتْ عبـدَ الحميـدْ

ومـن لـه فـي المـشكلا تِ الفهـمُ والقـولُ الـسديدْ

أوليـت كـل مكمـل مـن وفـرك البحـر المديـدْ

مـــا مثـــل قولـــك للـــذي | حاجيتـــه أحبـــبْ مريـــدْ

فأجابه بقوله:

يـــا مـــن تَبـــينُ المـــشكلا | تُ بفهمـــه العـــالي الـــسديدْ
ومـــن ابتنـــى بيـــتَ المعـــا | لـــي ســـامياً وغـــدا فريـــدْ
وحـــلا بحـــلِّ الغامـــضا | تِ محليـــاً بيـــتَ القـــصيدْ
بجـــواهرِ الـــدررِ التـــي | يعنـــو لهـــا ابـــنُ أبـــي الحديـــدْ
ولهـــا يَـــدينُ أبـــو نـــواسٍ | والمُفَـــضَّلُ مـــع لَبيـــدْ
يـــا كـــاملاً أســـفارُه | مـــن دونهـــا الـــدرُّ النـــضيدْ
أذكرتَنـــي ببلاغـــةٍ | نمقتَهـــا عبـــدَ الحميـــدْ
مـــستفهِماً عـــن آلـــةٍ | للقَـــصِّ يَـــدريها المريـــدْ
فطربـــت مـــن لفـــظ غـــدتْ | منـــه الأفاضـــلُ تـــستفيدْ
وفهمـــتُ منـــه لفـــظَ | مقـــراضٍ ومعنـــاه أجيـــدْ
لا زلـــتَ تُحيـــي ميـــتَ الـــ | آداب بالفـــضلِ المريـــدْ
وبقيـــتَ ترفُـــلُ فـــي ثيـــاب الـــ | ـــعزِّ والعـــيشِ الرغيـــدْ
مـــا نـــاحَ قُمـــريٌّ فهـــا | ج بلابـــلَ الـــصبِّ العميـــدْ

[١١٣] بير محمد المعروف بمفتي أسكوب(١).

كان أبوه مملوكاً، وولد هو بقسطمون، والتحق أولاً بطائفة البكتاشية،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥٦).

من الدراويش، ثم طلب العلم، وبرع ولازم ملا جوي زاده، ثم صار مفتياً بمدينة زغرة، ودرس بمدرسة إبراهيم باشا المقتول، ثم أعطي فتوى أسكوب، وبقي بها مدةً مديدة.

واشتهر صيته، وكان فقيهاً فاضلاً مطلعاً، وقد جمع ما وقع في زمان إفتائه من المسائل، وأضاف إليها نقولها، ورتبها على أبواب الفقه، وهي الموسومة بفتاوى الأسكوبي، وهي مشهورةٌ عند الروميين، وكانت وفاته في رجب، سنة عشرين وألف.

[١١٤] محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم بن علان بن عبد الملك ابن علي ـ مجدد المائة الثامنة كما هو مشهور على الألسنة والأفواه، شيخ المحقق الطيبي، والخطيب التبريزي صاحب «المشكاة»، علي مبارك شاه بن أبي بكر بن محمد بن طاهر حَشْمَوَيه ـ **ابن علان بن حسين بن يونس بن يوسف ابن إسحاق بن عمران بن زيد بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، الصديقيُّ، الأشعري، الشافعي، المكي، البكري، سبط آل الحسن**[١].

مفسر كتاب الله، وخاتمة المفسرين بالديار المكية، وخادم الآثار النبوية والسنن، المخصوص بحكمة الله، بإقراء «صحيح البخاري» وختمه بجوف كعبة الله، الشافعيُّ الأشعري.

من مؤلفاته: شرح أخلاق النبي ﷺ، لحافظ أصبهان أبي محمد عبدالله

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٨٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١١١) (٢٨٠)، «نفث النظر» للجيلاني (٥٨٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٧١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٣).

ابن محمد بن جعفر بن حيان ـ بالمهملة المفتوحة، والتحتية المشددة ـ، سماه: «البناء العظيم المبني بشرح أخلاق النبي»، ومنها: تفسير القرآن العظيم الذي سماه: «ضياء السبيل إلى معالم التنزيل»، و«رفع الالتباس ببيان اشتراك معاني الفاتحة وسورة الإخلاص».

و«شرح أذكار النووي»، و«شرح رياض الصالحين» للنووي، و«نظم أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي»، و«شرحها»، و«شرح منظومة السيوطي، في موافقات عمر ﷺ للقرآن»، ونظم أم البراهين، وسماه: «العقد الثمين»، و«شرحه»، ونظم عقيدة النسفي سماه: «العقد الوفي»، و«شرحه».

و«نظم مختصر المنار في أصول الحنفية»، و«شرحه»، و«نظم إيساغوجي»، و«شرحه»، و«شرح الهمزية»، و«شرح الزبد»، و«شرح الإيضاح في المناسك» للنووي، و«نظم القطر»، و«شرحه»، و«نظم الآجرومية»، و«شرحها»، و«حاشية على شرحها لخالد».

و«طيف الطائف في فضل الطائف»، و«عيون الإفادة في أحرف الزيادة»، و«داعي الفلاح شرح الاقتراح» في أصول النحو للسيوطي، ونظم قواعد الإعراب وشرحها، وسماه: «فتح الوهاب»، و«شرح أم البراهين»، و«نظم الاستعارات»، و«شرحها»، وغير ذلك مما يطول ذكره في فنون عديدة.

وله المؤلفات الكثيرة الفاخرة، التي هي كالبحر الزاخر، لا يعرف لها أول من آخر، وكان إذا سئل عن مسألةٍ، ألف رسالةً في الجواب عنها، سارت بتصانيفه الركبان، من قاص ودان، وملأ علمه الآفاق، ووقع على فضله الاتفاق.

قـرأ «صحيح البخاري»، وختمه بجوف كعبة الله، قال ـ رحمه الله ـ: وما أعلم أن كتاباً من كتب العلوم، خُتم في جوف بيت الله، فقد شرفني الله بالتخصيص، بمظهر ذلك أبداه من فضله علي، فختمته عام أربعين بعد الألف.

انتهى إليه في قطر الحجاز فنُّ التحديث، فكان سباقَ غايته، وحامل رايته، وحافظه الذي ملك جلَّ روايته، فحدث إذا حدث عن البحر ولا حرج، وانظر روضة من رياض الجنة طيبة الأرج، إلى ما حوى من فنون أربى فيها على نظرائه، وحسن حال ألحقه بأتقياء الله وأوليائه.

ولد بمكة ليلة الجمعة، عشـري صفر سـنة سـت وتسعين وتسعمائة ـ بتقديم التاء فيهما ـ، وقرأ على أجلاء شيوخ مكة، منهم: العلامة المحدث محمد بن محمد جار الله بن فهد المكي، والسيد عمر بن عبد الرحيم البصري، وعبد الملك العصامي، والصدر السعيد كمال الإسلام عبيدالله الخجندي.

وروى «صحيح البخاري» وغيره من كتب السنن، إجازةً عن كثير من الشيوخ الوافدين إلى مكة؛ كالشيخ العارف بالله الولي جلال الدين عبد الرحمن ابن محمد الخطيب الشربيني العثماني، وعالم الشام حسن البوريني، ومفتي الحنفية بمصر عبدالله النحريري، ومحـدث الديار المصـرية محمد حجازي الواعظ، إجازةً منه سنة عشرين بعد الألف.

وتصدر للتدريس والإملاء بالمسجد الحرام، وانتفع به الخاص والعام، كانت قراءته على أسلوب السلف، من إنشاء خطبة أول الدرس، تناسب ذلك الباب المقروء.

وكان حليماً وقوراً، له اطلاع على النقول الغريبة، وحفظ الفوائد العجيبة،

مرجعاً لعصره في المسائل المشكلة، في سائر الفنون، وإذا سئل عن مسألةٍ، ألف رسالة في الجواب عنها.

أخبرني صاحبنا الفاضل محمد بن عبد الوهاب النبلاوي الدمياطي: أنه اجتمع به، فقال له: رأى النبي ﷺ في المنام، وهو يعطي الناس عطايا، فقال له: يا رسول الله! وابن علان؟ فأخذ يحثو له بيده الشريفة حثيات، وقال له عصريُّه الشيخ عبد الرحمن الخياري نزيل المدينة: أنت سيوطيُّ زمانك، وكفى بذلك شرفاً.

وقال المترجَم: أخبرني بعض الصالحين عن بعضهم، في عام سبع وثلاثين وألف: أنه رأى النبي ﷺ، ليلة السادس والعشرين من رجب، على ناقته عند الحجون، سائراً إلى مكة، فقبل يده الكريمة، وقال: يا سيدي يا رسول الله! الناس قصدوا حضرتك الفخيمة للزيارة، فلماذا وصلت؟ قال: لختم «صحيح البخاري»، أو لختم ابن علان، شك الراوي.

ثم يوم الختم، الثامن والعشرين من رجب ذلك العام، حضر بعض الصالحين، فحصلت له واقعة، رأى خيمةً خضراء بأعلى ما بين السماء والأرض، فسأل، فقيل له: هذا النبي ﷺ، حضر لختم البخاري[1].

ومات بمكة، يوم الثلاثاء، حادي عشري ذي الحجة، سنة ثمان وخمسين وألف، ودفن بالمعلاة، وله شعرٌ، ربما أجاد فيه، فلم يحك مثاله من الزلال العذب صافيه، **فمنه قوله**:

وزمزمُ قالوا فيه بعضُ ملوحَةٍ ... ومنهُ مياهُ العين أحلَى وأملَحُ

---

(١) سبق التنبيه على مثل هذا، والعاقل ينكره فضلاً عن العالم.

فقلتُ لهم قلبي يَراها ملاحةً ... فما برحَتْ تحلُو لقلبي وتملُحُ

وقوله:

يا ربِّ أنتَ حبستَ الحسَن في قمرٍ ... حلوِ الشمائل لا يرثي لمن عشقَهْ
أكاد أدعو عليه حينَ يهجُرني ... لكنْ لفرطِ غرامي تمنع الشفقهْ

وقوله:

يا مالكاً رِقَّ قلبي ... رفقاً بنفسٍ رفيقِكْ
اللهُ بيني وبين السوا ... كَ في رَشْفِ ريقِكْ

وقوله مضمناً:

يا من يلم في هواه ... ولا يرعى الجمالا
بالله دَعْني فإني ... لقد فتنت انتحالا

وقوله:

كتبتُه ولهيبُ الشوق في كبدي ... والدمعُ منسكبٌ والبالُ مشغولُ
وقلتُ قد غابَ مَنْ أهواه واأسفي ... بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ

وأنشد بعضهم قوله:

الموتُ بحرٌ موجُه طافحُ ... يغرق فيه الماهرُ السابحُ
ويحَكِ يا نفسُ قفي واسمعي ... مقالَةً قد قالَها ناصحُ
ما ينفعُ الإنسانَ في قبرِه ... إلا التقى والعملُ الصالحُ

ومثله قول أبي نواس:

أيـــةَ نـــارٍ قـــدحَ القـــادُح وأيُّ جِـــدٍّ بلـــغَ المـــازحُ
للهِ دَرُّ الـــشيبِ مـــن واعـــظٍ وناصـــحٍ لـــو قبـــل الناصـــحُ
يـــأبى الفتـــى إلا اتبـــاعَ الهـــوى ومـــسلكُ الحـــق لـــه واضـــحُ
فاعمـــدْ بعينيـــك إلـــى نـــسوةٍ مهـــورُهن العمـــلُ الـــصالحُ
لا يجتلـي الحـوراءَ مـن خـدرِها إلا فتَـــى ميزانُـــه راجـــحُ
مـــن اتقـــى اللهَ فـــذاك الـــذي ســـيق إليـــه المتجَـــرُ الـــرابحُ
فاغـدُ فمـا فـي الـدين أغلوطـةٌ ورُحْ لِمـــا أنـــت لـــه رابـــحُ

ومن شعره قوله:

مـن حـلَّ فـي مكـة لا ينبغـي لـــه ســـوى زمـــزمَ أن يـــشربا
ولا يُزيـــل الـــشعرَ مـــن رأسِـــه إلا إذا مـــا نُـــسكا قَرَّبـــا
وكـــلَّ يـــومٍ فليطُـــفْ مـــرةً بحـولِ بيـتٍ فـي الهـدى ذا نبـا
لمـن يكـن يفعـل هـذا الهنـا وغيـــره أعـــرض لمـــا أبـــى

وقوله:

خَفْ من الله لا تخـفْ مـن فـلانِ مـا فـلانٌ مـع التقـى بفـلانِ
وادْرِ أن المقـضي يمـضي ومـالم يقـضِـه الله لـم يكـن بزمـانِ

وقوله:

لله جـل جلالـه فـي خَلْقـه نفحاتُ لطفٍ لـم تـزل متواصِلَهْ

فالجـأْ لـــه متعرِّضـــاً لنوالِـــه فعـساكَ تظفـرُ بالهِبـات الواصِـلَهْ

وقوله:

ولا عــذرَ للمكِّــي إذا كــان آمِنــاً على نفسِه فيها وقد نــالَ مـا كفـى
ويرحــلُ عنــا طالبــاً بــدلاً لهــا فـلا عـذرَ يلفيـه إذا هـو قـد لفـى

وقوله:

ولا عـــذرَ لـــذي أمـــنِ مقـــيمٍ بمكــةَ لـو يكــونُ بـضيقِ عـيشِ
بترحـــالِ إلـــى بلـــدِ ســـواها لخفضِ العيش إلا محـض طـيشِ

والأصل فيه قول جار الله الزمخشري:

وما عذرُ من أمـسى بمكـةَ رحلُـه على غير بؤسٍ لا يجوعُ ولا يعرى
ويرحــلُ عنهــا يبتغـي بـدلاً بهــا وحَقِّك لا عذراً وحَقِّك لا عذرا...[1]

[١١٥] محمد بن محمود بن يوسف بن كريم الدين.

أحد العدول بمحكمة دمشق، كان فاضلاً له معرفة بالكتابة، وذكاء وفهم، توفي شاباً، ليلة الجمعة، ثاني عشري شوال، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، ودفن عند أهله، بتربة الشيخ أرسلان ـ رحمه الله ـ.

[١١٦] محمد بن أحمد أبي عصبة بن الهادي.

من ذرية الشيخ إسماعيل، موقف الشمس، المدفون ببلدة الضحى، بقرب بيت الفقيه ابن عجيل، واشتهر بالعبادي نسبة لجده لأمه الشيخ

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض نصف صفحة بالأصل».

العارف بالله محمد البكري العبادي، نسبة إلى عبادة، من قرى مصر، وكان جده المذكور من أكابر الأولياء الآخذين من الشيخ القطب بدر الدين العادلي المشهور، قبره بمكة.

كتب لي شيخنا الحسن العجيمي المكي: أن صاحب الترجمة ولد بمكة سنة ثمان وعشرين بعد الألف تقريباً، ونشأ أمياً، وظهرت له في أواخر عمره خوارق عادات عجيبة، مع أنه كان سالكاً طريق الملامية، في تخريب الظواهر، بشرب الحشيش والإكثار منه، إلا أن كثيراً ممن تعاطى شربها عنده، أخبره بأنه ما أثرت فيه، مع أنه أكثر منها جداً، واستدل بذلك على انقلاب عينه، أو بطلان ضرره.

ومن كراماته، ما أخبرني به ثقة: أن جماعة وفدوا عليه للزيارة، فأمره أن يصب لهم قهوة من إناء معين، وقد تحقق المأمور من خلوه من القهوة، ولم يستطع أن يواجه أمره بالإباءة عن صب القهوة، فأمره ثانياً، فامتثل أمره، فتناولها ليصب منها، فوجدها ملآنة قهوة، فصب لهم منها ما كفاهم، وبقيت بحالها.

ومنها: أن شخصاً صادقاً، أخبر بأنه رآه يطير في الهواء.

ومنها: أن كثيرين شاهدوا منه الصرف من الغيب فيما ينفقه، في بعض أوقاته.

ومنها: أن شخصاً كان يحب آخر لغرض فاسد، فذهب معه إلى محل ليختلي به، فمرّ من تحت بيت المترجم، فرآه، فناداه فطلع عليه، فأمره بالجلوس مع صاحبه بقية يومه عنده، ومنعهما من الذهاب، وجلسا عنده

ذلك اليوم إلى آخر النهار، فأمرهما بالانصراف، وقال للمحب: يا فلان! ذهب عنك الحال الذي كنت فيه اليوم، قال: فزال ـ والله ـ من ذلك الوقت عني جميع ما كنت أجده من تلك المحبة المذكورة، وتبت إلى الله توبة خالصة.

وله من هذا القبيل كرامات كثيرة لا يمكن استقصاؤها؛ لكثرتها.

ومن غريب ما اتفق له: أن ثلاثة من أصحابه زاروه يوماً سنة موته، فتذاكروا الموت، فقال لهم على سبيل المداعبة: قد قربت وفاتي جداً، وأنت يا فلان تلحقني بسرعة، ثم فلان، ثم فلان، فصاحوا عليه، وقالوا له: ما كان لنا حاجة بهذا الكلام، فقال: لا بد من ذلك، فما مضت أيام قليلة، حتى مات، ولحقه المذكورون كما ذكر واحداً بعد واحد.

وكانت **وفاته** في يوم الأربعاء، ثالث عشري شهر ربيع الثاني، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، ودفن ببيته الذي كان يسكنه، ملاصقاً لقبر أبيه وجده لأمه ـ رحمهم الله ـ، بقرب جبل شظا، على طريق الذاهب إلى المعلاة ـ رحمه الله ـ.

[١١٧] محمد بن أحمد الأحسائي الحنفي ببغداد[١].

كان من العلماء المحققين في فنون كثيرة، قرأ ببلاده على إبراهيم الإحسائي الحنفي، وببغداد على مفتيها مدلج، وبرع وفاق أقرانه، وألف مؤلفات منها: «حاشية على شرح الألفية للسيوطي»، و«كتاب في التفريعات»، توفي ببغداد، سنة ثلاث وثمانين وألف.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣١٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٢).

[١١٨] السيد محمد بن أبي بكر بن محمد بن عفيف بن الهادي بن جَحْربة ـ بتقديم الجيم مع الباء الموحدة المتأخرة ـ ابن أبي القاسم بن أحمد ابن عبد الرحمن الشريعي ـ بضم الشين المعجمة وفتح الراء ـ ابن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن الشيخ علي الأهدل[١].

كان على قدمٍ عظيم من العبادة والزهادة، عاكفاً في مقصورة من مقاصير الجامع الظافري بزبيد، ولا يخرج إلا للحاجة، وكان عالماً عاملاً ورعاً، مقصوداً للقراءة عليه في الفقه غالباً.

أدركه السيد محمد بن الطاهر البحر سنة اثنتين وعشرين وألف، وقرأ عليه بعض «المنهاج»، وممن أخذ عنه أيضاً: السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، **توفي** شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف، وترك جملةً من كتب وقفها هو، وكتب على أكثرها بخطه ـ رحمه الله ـ.

[١١٩] محمد أبو النصر بن أبي بكر الحلبي الحنفي المعروف بحليم زاده.

القسام العسكري، بالديار المصرية والجيزية، الناظم الناثر، الكاتب الشاعر، **توفي** يوم الأربعاء، ثالث عشري جمادى الأولى، سنة خمس وعشرين بعد الألف، بمصر.

[١٢٠] محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن موسى المشرع العُجيل.

كان من الصالحين، القائمين بحقوق الوافدين، من الساعين في مصالح

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣١).

الأمة المرشدين للسالكين، **توفي** يوم الاثنين، ثاني عشر ربيع الآخر، سنة اثنتين وثلاثين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٢١] محمد بن نجم الدين بن أحمد بن محمد بن علي بن حسين ابن أحمد بن موسى بن خفاجة بن حسين بن محمد بن عليان بن يهوذا بن رحليل بن برور بن يوسف بن بنيا ميرا دينا[١] بن سليمان بن خالد بن الوليد ﷺ، الشهير بالخفاجي، الشافعي المدني.

كان عالماً كبيراً، أدرك الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وأخذ عنه، ولازمه، وكتب أكثر مؤلفاته بخطه، وكان حسن الخط صحيحه، وكان ملازماً للخلوة، منقطعاً عن الناس، مشتغلاً بما يعنيه من أمور دينه، مواظباً للقراءة والتدريس في بيته، ولا يخرج إلا لصلاة الجماعة، **توفي** في نيف وثلاثين بعد الألف، بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع.

[١٢٢] محمد بن أحمد صاحب العُدين ابن الإمام المؤيد الحسن بن علي بن جبريل[٢].

كان من أعيان فضلاء اليمن وأدبائه، وأجلاء أهله وأمرائه، عالماً فاضلاً، اشتغل في شبيبته بالفقه، والنحو، والبيان، والمنطق، وغيرها حتى بلغ الغاية في التحصيل، وصار من أهل الكمال والتكميل، وتصدَّر للتدريس، في كل علم نفيس.

ولم يزل كذلك، حتى ولاه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم

---

(١) هكذا وجدت في النص.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٤)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٨).

بندرَ المخا، فأقبلت عليه الدنيا من كل جانب، وعم إحسانه الأقارب والأجانب، وكان كريماً حليماً، لا يترك حقاً لوافد من التجار وغيرهم، محسناً للغرباء، كثير المداراة في أحكامه وشؤونه، مع العزة الشامخة، والمنزلة العلية الراسخة.

ولم يزل على تلك الحالة الحميدة، والإمارة السديدة، حتى أدركه أجله، ولم يصف له من الحياة ما أمله، فتوفي بالمخا، يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة، سنة اثنتين وستين بعد الألف، ونقل منها إلى حَيْس، ودفن بتربته التي أعدها له قبل موته؛ عملاً بوصيته، ويقال: إنه مات مسموماً. وله نظم رائق منه قوله:

طرباً يهيج اليَعْملاتِ سباني ... وجوًى بأطباق الفؤاد ذواني
وتعللي بخلت به ريق الصبا ... وتصبري كرست به أجفاني
إن الحبيب وقد تناءت داره ... أغرى فؤاد الصبِّ بالأحزان
لو زارني طيفُ الكرى متفضِّلاً ... بجمالِه وحديثه لشفاني
أو لو تفضَّل بالوِصال تكرُّماً ... أصبحتُ من قتلاه بالإحسانِ
يا عاذلي دَعْني فلستُ بمرعَوٍ ... عذلُ العدى ضربٌ من الهذيان
لولا طلوعُ الشمس في كبدِ السَّما ... خلناه أشرف من على كيوان
بهرَ الأنامَ جمالُه فكأنما ... .[1] على عظيم الشانِ
فكأنه السفاح منصور اللوى ... جاءت صوارمُه على مروانِ

---

(١) جاء في الحاشية: «باقي الشطرة لم يوجد بالأصل».

وكأنــه الهــادي بنــور جبينــه وكــأنني المهــديُّ فــي إذعــاني
وكـأن نـورَ جبينـه مـن يوسـفٍ فأنــا الرشــيد بــه إلــى الإيمــانِ
يــا أيهــا المــأمولُ عنــد إلهِــهِ والمُتْبِـــعُ الإحــسانَ بالإحــسان
والحاشرُ الماحي المؤمل للـورى تحت اللوى ذخـراً إلـى الـرحمنِ
المــصطفى الهــادي أجــلُّ مــن وَطِــئَ الثـرى وحبـاه بــالقرآن
الجارُ والـرحمُ الـذي أوصـى بـه ربُّ الــسما ودعــاكَ بــالإعلانِ
فــالله فــيّ أبــا شــبير وشــبّرٍ كـي لا أخـافَ طـوارقَ الحـدثانِ

[١٢٣] السيد محمد بن محمد الحصري الحسيني الدمشقي[١].

شاعرٌ عصريٌّ، كريم الطباع، له همةٌ عليةٌ، وسيادةٌ طويلة الباع، وأدبٌ غضٌ يطرد اطراد الغدير، وحديثٌ كأنه جنى النحل شفاءً للسمير، ومن شعره قوله من قصيدةٍ عارض بها قصيدَة أبي الحسن الحصري التي مطلعها:

يــا ليــلُ الــصبُّ متــى غــدُه أقيـــامُ الـــساعةِ موعـــدُه

ومطلع قصيدته:

صـــبٌّ بـــالهجر تهـــدِّدهُ قــد ذاب جَـوًى مَــنْ يُنجِــده
والـــسُقْمُ بـــراه وأَنْحَلَـــه فلـــذا مَلَّتْـــهُ عُـــوَّدُهُ
ســهران الطــرفِ لــه رُقــبٌ فــي الليــل نجــومٌ تــسهده
وغـدا يـشدو مـن فـرطِ جَـوًى يــا ليــلُ الــصبُّ متــى غــدُه

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٧٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٤٤٣) (٤٢).

حَتَّامَ يـــزور توعـــده … أقيـــامُ الـــساعة موعـــدُه
يهـــواه الـــصبُّ فيـــشغله … أســـفٌ للبـــين يـــردده
قمـــرٌ فـــي القلـــب منازلُـــه … فعجيـــب منـــه تباعـــدُه
ريحـــان العـــارض فيـــه جـــوى … خطـــا يـــاقوت مجـــوده
والحـــسنُ فريـــدٌ بـــل ملـــكٌ … فتعـــالى الخـــالقُ مُوجِـــدُهُ
طفـــل لحـــديثِ الـــسحر غـــدا … عـــن بابـــل طـــرفِ يـــسندُه
رشـــا الليـــث بمقلتـــه … يـــسطو للغـــاب يقيـــدُه
يرنـــو للحـــظ فيحـــسبه … للقتـــل دعـــاه مهنـــدُه
بـــاللهِ أُعيـــذك يـــا أملـــي … مـــن قتـــلِ شـــجٍ تتعمـــدُه
وارفـــقْ بالقلـــب فـــإنَّ بـــه … جمـــراً قـــد زاد توقـــدُه
واســـمحْ بـــالغمض لعـــل بـــأن … فـــي النـــوم خيالـــك يـــسعدُه
فـــي قيـــدك قـــد أمـــسى دنفـــاً … هـــل فـــي ذاك تخلـــدُه

وله في أخرى:

يـــا أخـــا البـــدر طلعـــة وجبينـــا … ونظيـــرَ الغـــصونِ قَـــداً ولِينـــا
مَن لنـــا إن تمـــنّ بالوصـــل يـــا مـــن … قد جعلتَ الصدودَ في الحب دينا
قـــد ضـــللنا بليـــلِ فرعِـــك حتـــى … ضـــاء صـــبحُ الجبـــين منـــه هـــدينا
نحن مؤمنيـــك فـــي الحـــب صـــرنا … فاغمـــد الـــسيف عـــن قتالـــك فينـــا
ليس تخشى حد الظُّبـا مـن أسـودٍ … بـــل وتخـــشى مـــن الظبـــاء العيونـــا
وكفانـــا يـــا منيـــة القلـــب أنَّـــا … مـــن سَـــقامٍ ومـــن نُحـــول خَفينـــا

لـو لقينـا الحمـامَ مـا كـان يـدعى بعظـيم ممـا بـه قـد لقينـا
فالأمـانَ الأمـانَ مـن طـولِ إعـرا ضِـك عمن في الحبِّ أمسى رهينـا
والمحـال المحـال أنـي أسـلو ك وأذنـي تُـصغي إلـى العاذلينـا
كيف أسلو والوجـدُ عنـدي عظيـ ـم والهوى في الضلوع أمسى دفينا

[١٢٤] محمد شفيع بن محمد علي بن أحمد بن كمال الدين حسين ابن محمد، الاسترابادي أصلاً ومحتداً، الأصفهاني منشأً ومولداً.

كان من كبار علماء عصره في العجم، مفرداً في العلوم الحكمية، مفنناً في علوم العربية، فصيح اللسان باللسان العربي، عالماً بالتاريخ والشعر والأدب، حسن الحفظ، كامل الأدوات في علوم الآلات.

متواضعاً صبوراً على البحث، دقيق النظر حسن الخلق، منصفاً في البحث، يعرف الفضل لأهله، مولده ـ كما أخبرني من لفظه ـ في شهر رمضان، سنة خمس وأربعين وألف.

وقرأ على شيوخ كثر، منهم: أجلهم والده، وآغا حسين الخونساري، وألف كتباً مفيدة، منها: «كتاب الأربعين في فضائل علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ»، و«شرح على عقائد التهذيب على قواعد الشيعة»، و«حاشية على شرح الإشارات للطوسي»، و«حاشية على شرح مختصر الحاجب للعضد»، و«رسالة في إثبات إعادة المعدوم»، و«رسالة في صفات الله تعالى»، و«رسالة في تحقيق الدلالات»، و«حاشية على كتاب الشافي للسيد المرتضى» لم تكمل، و«رسالة في العقائد الدينية» فارسية، و«إثبات الواجب» كتب لي بخطه منه نسخة، وأهداها إلي.

وقدم مكة حاجاً، سنة أربع ومائة وألف، وجاور سنة بمكة، واجتمعت به، وصحبته، وقرأت عليه طرفاً من «شرح هداية الحكمة للميبذي»، وحضرت درسه في «شرح الإشارات» للطوسي، وكان يملي عليه كلام الحكماء، وكلام القطب الرازي في «محاكماته»، ويجيب عن الإشكالات، من غير مشقة وتلعثم، ورجع إلى بلاده، فمرض في الطريق، وتوفي بالبحرين، في شهر ربيع الثاني، سنة ست ومائة وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٢٥] محمد بن أبي بكر مطير[1].

أحد أجلاء علماء اليمن، الذين لازموا تقوى الله في السر والعلن، وجمعوا بين العلم والعمل، وتحروا في تحقيق مسائل العلم عن الزلل، واشتهر ذكرهم شهرة القمرين، وجمعوا بين الشرفين، أخذ عن والده، وعمه عبدالله ابن إبراهيم، وغيرهما من أهل ذلك الإقليم، حتى برع واشتهر، عنه في البدو والحضر، وصنف وسبق وما تخلف.

وتوفي ثالث عشر شوال، سنة ست وثلاثين بعد الألف، بمدينة الزيدية، وله من الأشعار الصالحة ما هو مشهور، ومن خير الأمور، منها: قوله يمدح العارف بالله دهل بن إبراهيم حشيبر، صاحب الزيدية:

مـالي أراكَ كثيـرَ الهـمِّ والحَـزَنَ ... ولهانَ من شدة الأهـوالِ والحـزنِ
وذاهلاً هائماً والقلـبُ منـك غـدا ... خالٍ عن العقلِ والتدبير في الزمنِ
أمن فراق أنـاسٍ كنـت تـصحَبُهم ... في الدين كانوا كمثل الطود في السكنِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣٦).

وعلمُهم طـافحٌ بـل كـان شـغلُهم   حبَّ الاله مع التمكين في المـؤنِ
كانت مضاجعُهم بالليل عن جنبٍ   لا يسأمون خطابَ الله في الـدَّجَنِ
وسرت تقفو بعيدَ الدار عن وهـنٍ   والقـومُ قـد أدلجـوا والله بالرسـنِ
هم سادةُ الناسِ في الأحوالِ أجمعِها   وهو غياثُ الدنا بالفـضل فاسـتبنِ
لكن إذا رُمْتَ حجاً أو بلـوغَ منـى   فانهضْ إلى معدِنِ الأسرارِ والمِنَنِ
هذا الولي الكبير القطبُ مَنْ شهدت   له الأكابر بالتـصريف فـي الـزمن
وصـار بالـدهل المـشهور بلدتُـه   بها الرضـا والهنـا للـصابر الفطـنِ
بحـرُ المعـارفِ مـشهورٌ فمعـدِنُها   عينُ الرجال فحل القوم في السننِ
من ساء في سـوحه جـاءت منيتُـه   إليــه فجــأة فــي الــسر والعلــنِ
مـن حـل روضـتَه قـد نـالَ بغيتَـه   بكلِّ خيرٍ بحـسن الظـن ذاك غنـي
فــاعكفْ بتربتــه والــزمْ بعُروتــه   واستبقِ ذا دائماً ما دمت في المكـنِ
يوليك كلَّ العطا من جـود مِنْحتِـه   وأنت في مأمنٍ من كـل ذي إِحَـنِ
بـالله يـا زائـراً قبـراً لـه شـرفٌ[1]   اخلصْ قُلَيبَكَ لا تأتي على دَخَـنِ
فالفـضلُ شـيمتُه والنـصرُ خادمُـه   والغوثُ سيرتُه والله فـي المحـنِ
مطالعُ السعدِ لا تخفـى شـواهدُها   فالـسعدُ سـاعدُه كـالريحِ للـسفنِ
وكم ظهرت لـه فـي كـل معـضلةٍ   آياتُ حـقٍّ علـى الأعـداء بـالعلنِ
أبـادَ جمعَهُــمُ فــي سـاعةٍ عَلَنـاً   بالطعن والضربِ لا يرجعن عن حسنِ
إنَّ العنايـةَ فـي علـم لـه سـبقتْ   من الإلـه علـى التقـدير بالحـسنِ

---

(١) في الأصل: شرفاً، والصواب ما أثبت.

آلُ الحـشـيرِ مــن عــدنانَ إنَّهــمُ نجومُ أهلِ التبركِ[1] بالعارف الفطن
بـالله يـا نـسلَه كونـوا علـى نَهـجٍ من الشريعةِ والتقوى مدى الـزمنِ
يا سيدي الشيخ يا غوثي ومعتَمـدي عُبيدُكُمْ قاصدٌ للفضل غير غنـي[2]
فقم بنـا مـسرعاً وانهـضْ بحجتنـا فالعلمُ قد ضاع في شامٍ وفي يمنِ
طريقـةُ الحـق لا تمـشي لعزتهـا وصاحبُ الجهل قد أضحى على فنن
إنـا قـصدْناك فـي أمـرٍ أضـرَّ بنـا في الدين والمال والأرواح راغبني
فـانعشْ لغربتنـا وافـتحْ بـصائرنا واكبتْ لحاسدِنا في كل ذي وطنِ
واطمسْ عيوناً له تبقى علـى عَمَـهٍ هذا جَزا من بغى بـالخير لـم يـبنِ
إنــا لجيــرانكم والجــار حرمتُــه قديمةٌ ذُكرت فـي الـذكرِ والـسُّنَنِ
ارْعَـوْا لنـا ذممـاً كانـت لنـا قُـدُماً من أجلِ سالفِنا في سـالفِ الـزمنِ
لا تُهملونـا جميعـاً مـن إعـانتِكُمْ عطف[3] علينا عُبيداً بالمُطيرِ كُنـي
آلُ المطير لهـم فـي حقكـم نجـمٌ أُهَيلُ علمٍ سعوا فـي رافـع القُـنَنِ
بالعلم والدين والتحقيق ما برحوا في خدمة الشرع والأديان والسنن
وعــنكمُ سـيدي عقــدٌ لــسالفنا علـى الأمانـة أدوه لكـل نبـي[4]

(١) كذا في الأصل: ووضع فوقها خط.

(٢) لا يجوز أن يُدعى ولا يُرجى غير الله تعالى، وانظر: «قاعدةٌ جليلةٌ في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: عطفاً.

(٤) يلاحظ الاختلاف في القافية.

ونحـن أبنـاؤكم والكـل يطلـبكم ... ما عندكم من عظيم الفضل والمـنن
من كان في سوحكم من كل ذي نفس ... فحقُّه واجب فـاحمُوه مـن عَطَـنِ
وسامحوه على ما كـان مـن خطـأ ... فبحرُكم واسعٌ والكلُّ لـيس غنـي
عن منتهى جودِكم في كلِّ حادثـةٍ ... فالله أولاكُـمُ مـن كـل ذي حـسن
علـيكمُ مـن إلـهِ العـرشِ رحمتـهُ ... تغشى ضـريَحكم كالوابـل الهَـتِنِ
ثمَّ الصلاةُ على المختارِ من مُـضَرِ ... محمدِ المصطفى المبعوثِ من عدنِ
والآلِ والـصحبِ والأزواجِ كلِّهـم ... والتابعين لهم مـاشٍ علـى الـسننِ

[١٢٦] محمد بن أبي النصر السيوطي الشافعي.

كان أحد العدول بالباب بمصر، شاعراً مفلقاً، **توفي** ثمان عشر شوال سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ(١).

[١٢٧] محمد بن أبي بكر الشلي الحسيني محمد بن أبي بكر بن أحمد الشـلي بن أبي بكر بن عبدالله بن أبي بكر بن علوي بن عبدالله بن علي ابن الشيخ الإمام عبدالله بن علوي بن الأسـتاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم باعلوي الحسيني(٢).

شيخنا الإمام العالم النحرير، العامل بالاحتياط والتحرير، شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، قطب الشريعة وأساسها، وقطب الحقيقة الذي إذا صلح صلح رأسـها، المعول عليه عند كل صادر ووارد، الضارب مع الأقدمين بسهم،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أسطر بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٥٩).

وغيره يضرب في حديد بارد.

السيد الكبير، العلم الشهير، عديم المثيل والنظير، القائم بالأسحار، كثير التلاوة والأذكار، العابد الناسك، الورع السالك، المجتهد في العبادة، الحريص على طلب الاستفادة، والمناقب المشهورة، والكرامات المأثورة، سلالة السلف الصالح، وخلاصة الخلق الراجح، منبع السنة النبوية، ومقتفي الآثار المحمدية.

قد ترجم نفسه ﷺ في كتابه «المشرع الروي في مناقب بني علوي»، فقال: رأيت جماعة من العلماء العارفين، والأئمة المعتبرين، ذكروا تراجمهم لأنفسهم، لا لتزكية أنفسهم، بل لمقاصد عظيمة؛ كالتحدث بنعم الله الجسيمة، وكالتعريف بأحوالهم؛ ليقتدى بهم في أفعالهم، ويستفيد بها من لا يعرفها، ويعتمد عليها من أراد ذكرها، في تاريخ أو طبقات، أو في بعض الكتب المؤلفات.

منهم: الحافظ أبو شامة، والحافظ ابن حجر، والحافظ عبد الغافر الفارسي، والحافظ تقي الدين الفارسي، والعماد الكاتب الأصبهاني، ولسان الدين بن الخطيب، والإمام أبو حيان، والحافظ السيوطي، والحافظ السخاوي، والحافظ الربيع، وشرف الدين بن المقري، والشيخ ابن حجر الهيتمي، والسيد عبد القادر ابن الشيخ العيدروس، فاقتديت بهم في ذلك، وسلكت تلك المسالك، وإن لم أدرك غبار أولئك.

كان مولدي في منتصف شعبان، سنة ثلاثين وألف، وضبطها بعض الأدباء بحروف «جد برضاك»، وسماني والدي محمداً، ولقبني جماعة من

مشايخي: جمال الدين، وكناني بعض العارفين بأبي علوي، وهو أول أولادي.

وحفظت القرآن العظيم، على المعلم الأديب الأريب، عبدالله بن عمر باغريب، وختمته وأنا ابن عشر سنين، وحفظت «الجزرية»، و«العقيدة الغزالية»، و«الأربعين النووية»، و«الآجرومية»[1]، و«القطر»، و«الملحة»، و«الإرشاد»، وعرضت محفوظاتي، على مشايخي.

ثم منّ الله علي بالاشتغال بالعلوم، المنطوق فيها والمفهوم، ووفقني لسماع الحديث من المسندين، وقراءة ما تيسر من كتبه المعتبرة على الأئمة المعتبرين، مع الملازمة في تحصيل العلوم الشرعية، والفنون الإلهية، والقوانين العربية، لا سيما علم الفقه وأصله، تفريعاً وتأصيلاً، وعلم التصوف، بحلول نظر جماعة عليّ من العارفين، أولي التصرف والشهود والتمكين، فأخذت هذه العلوم عن العلماء العاملين، والأئمة المسندين، ممن يضيق المقام عن حصرهم، ويحسن الاقتصار على أشهرهم.

منهم: سيدي الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ، أخذت عنه الحديث، والتصوف، والنحو.

ومنهم: شيخنا فخر الدين أبو بكر بن شهاب الدين، أخذت عنه التفسير، والحديث، والأصول، والعربية، بقراءتي عليه، وسماع قراءة غيري.

ومنهم: شيخنا عبد الرحمن بن علوي بافقيه، أخذت عنه الفقه، والتصوف.

---

(١) في الأصل: والجرومية، والصواب ما أثبت.

ومنهم: شيخنا القاضي عبدالله بن أبي بكر الخطيب، أخذت عنه، الفقه، والأصول، والعربية، وجل انتفاعي به.

ومنهم: شيخنا محمد بن محمد بارضوان، الشهير بفقلان، أخذت عنه، الفرائض، والميقات، والحساب.

ومنهم: شيخنا القاضي السيد أحمد بن حسين بلفقيه، أخذت عنه الفقه، والتصوف.

ومنهم: شيخنا القاضي السيد أحمد بن عمر عيديد، أخذت عنه الفقه، والنحو.

ومنهم: شيخنا الشيخ محمد بن أحمد باجبير، أخذت عنه علم الفرائض، والفقه، والحساب.

ومنهم: شيخنا السيد عقيل بن عمران باعمر، أخذت عنه الحديث، والتصوف، بمدينة ظفار.

ومنهم: شيخنا عمر بن عبد الرحيم بارجا، المشهور بالخطيب، بظفار أيضاً.

فهؤلاء أشهر مشايخي، في تلك الديار، الذين كرعت من حياضهم والأنهار.

ثم ارتحلت إلى الديار الهندية، وأخذت عن جماعة علم العربية، وصحبت غير واحد من الصوفية، ثم ارتحلت منها إلى الحرمين الشريفين، وقضيت النسكين العظيمين، وتشرفت بزيارة سيد المرسلين، عليه وعليهم أفضل صلوات المصلين، وألفيت بهما من المحدثين، من إذا رتل المتن أنسى

الناس من درج، ومن العلماء من هو بحر في العلوم، فحدث عنه ولا حرج، فشمرت ذيل الجد في الطلب، وجثوت بين أيديهم على الركب.

منهم: الأستاذ الإمام الكبير، الذي لا تكاد الأعصار تسمح له بنظير، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن علاء الدين البابلي، فأسمعني الحديث المسلسل بالأولية، والمسلسل بسورة الصف، وسمعت عليه البخاري مرتين، والحديث المسلسل بيوم العيد، والمسلسل بقوله: «وأنا أحبك»، وحديث المصافحة.

وأخذت عنه بقراءتي وقراءة غيري، في الحديث رواية ودراية، والفقه أصولاً وفروعاً، وكذلك التفسير، والمعاني، والبيان، والبديع، والعربية نحواً وصرفاً ولغة، والمنطق، وأصول الدين، ولازمته في دروسه كلها، وكان يدرس وقت الضحى، وبعد العصر، وبعد المغرب، وبعد العشاء، وأجازني بجميع مروياته، ولقنني الذكر.

ومنهم: الشيخ، خاتمة الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، لازمته مدة إقامته بمكة، فأخذت عنه جميع العلوم المذكورة، إلا الفقه، فأرويه عنه بالإجازة، وسمعت منه الحديث المسلسل بالأولية، وسورة الصف، وسند الصحبة، وألبسني الخرقة الشريفة، ولقنني الذكر، وأجازني في جميع مروياته.

ومنهم: العالـم العامل، المربي المكمل الكامل، صفي الدين أحمد ابن محمد المدني الشهير بالقشاشي، قرأت عليه بعض «الجامع الصغير»، وناولنيه بيده، وأجازني بمؤلفاته ومروياته، ولقنني الذكر، وألبسني الخرقة الشريفة، وصافحني.

ومنهم: شيخ الإسلام، وعمدة الأعلام، الشيخ عبد العزيز الزمزمي، أخذت عنه الفقه، وصافحني، وأجازني بجميع مروياته.

ومنهم: العالم العلامة، البحر الفهامة، الشيخ عبدالله بن سعيد باقشير، والشيخ الإمام، الحبر الهمام، الشيخ علي بن الجمال.

ومنهم: الإمام، عالي الرتبة والمقام، الشيخ زين العابدين بن عبد القادر الطبري، قرأت عليه عدة كتب في علوم، وأجازوني في جميع مروياتهم ومؤلفاتهم، وقرأت علم الفرائض، والحساب، على الأولين من الثلاثة.

وقرأت علم الميقات، والحساب، وسند الخرقة، والصحبة، على شيخنا خاتمة المحققين، منقطع المثيل والقرين، محمد بن محمد بن سليمان المغربي، وأجازني، وأطعمني الأسودين، بسنده إلى سيد المرسلين.

ومنهم: السيدان المشهوران في الحرمين، إماما المشرقين والمغربين: الشيخ محمد بن علوي، والسيد زين بن عبدالله باحسن، أخذت عنهما علم التصوف، وصحبتهما، وألبساني الخرقة، وحكماني، وصافحاني، ولقناني الذكر.

وقد جمعت مروياتي عن مشايخي الأربعة الأولين، في معجم صغير، وأجازني غير واحد من مشايخي بالإفتاء والتدريس.

ولما توفي شيخنا علي بن الجمال، أمرني جماعة من مشايخي وغيرهم بالجلوس في محله من المسجد الحرام، فاعتذرت بأمور منها: اشتغالي بالطلب على المشايخ المعتبرين، اغتناماً لملازمتهم، قبل حلول وفاتهم، وذلك عندي أهم من التدريس، فلم يقبلوا، وألحوا علي في ذلك، فجلست

لذلك في المسجد الحرام، عدة أعوام، ثم انقطعت عنه لمرض شديد، وطلب مني جماعة القراءة في الدار، وكنت أستشفي بذلك، واستمريت على ذلك، ثم طلبوا مني العود إلى المسجد الحرام، فلم ينشرح صدري إليه.

وطلب مني جماعة أن أؤلف في علم الميقات، فألفت «رسالة في المجيب»، وانتفع بها الطلبة، ثم شرحتها شرحاً مفيداً، وانتفع به، وكتبه كثيرون، من أهل مصر واليمن والهند، وألفت «رسالتين مطولتين في علم الميقات بلا آلة»، و«رسالة في معرفة ظل الزوال كل يوم، لعرض مكة المشرفة»، و«رسالة في معرفة اتفاق المطالع واختلافها»، و«رسالة في المقنطر»، و«رسالة في الإسطرلاب».

وألفت «شرحاً على مختصر الإيضاح» للشيخ ابن حجر، فجمعت فيه ما في الكتب المتداولة، فجاء في مجلدين كبيرين، ولما قرأنا «التسهيل» على شيخنا عيسى بن محمد المغربي، جمعت من شروحه مسودات، ثم عنّ لي أن أجعلها شرحاً على «جمع الجوامع» للسنوسي، فشرحته، ولكنه لم يتم الآن، و«شرحت رسالة الإمام السيوطي في المنطق»، وشرحت مختصر الرحبية المسمى «بالتحفة القدسية» نظم الإمام ابن الهائم، سميته بـ: «المنح المكية»، وجمعت «ذيلاً على النور السافر في أخبار القرن العاشر» للشيخ عبد القادر ابن الشيخ العيدروس، فجاء في مجلد كبير، وجمعت «تاريخاً في أخبار القرن الحادي عشر» كتبت منه مجلداً.

وأخذ عني خلق كثير في عدة علوم، وطلبوا مني جماعة الإجازة فأجزتهم، ولبس مني الخرقة الشريفة جماعة كثيرون، ومدحني من مشايخي وغيرهم

بقصائد ظريفة، ما استحسنت ذكرها، واخترت الاستيطان في حرم الله، وبلده الأمين، لإسماع المقيمين والواردين، وأسأل الله العظيم، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ولقد أحسن القائل حيث يقول:

ادأَبْ على جمع الفضائل جاهداً ... وأدم لها تعبَ القريحةِ والجسدْ
واقصدْ بها وجهَ الإله ونفعَ مَنْ ... بلغته ممن جد فيها واجتهدْ

قلت: وقد تم كلامه، جزاه الله أفضل جزائه، ولو لم يكن إلا اعتناؤه بحفظ أنساب أهل البيت النبوي من آل أبي علوي، وإخراج الدخيل فيهم، وضبط هذه الشجرة الزكية، الهاشمية الحسينية، لكفاه منقبة ومزية إذ هي فضيلة جزيل ثوابها.

وقد صحبته ـ بحمد الله ـ مدة مديدة، وسنين عديدة، ولازمته كثيراً، وسمعت عليه الحديث المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعته منه، وقرأت عليه جميع ثلاثيات البخاري، وطرفاً كثيراً من كتابه «المشرع الروي في مناقب بني علوي»، وجميع شرحه على التحفة القدسية، وكتب لي بخطه في آخر نسختي منه إجازة به، وبجميع مؤلفاته ومروياته.

ولم يزل ملازماً لطاعة الله، حتى دعاه الله إلى لقائه فلباه، فكانت **وفاته** بمكة، ليلة الثلاثاء، تاسع عشري ذي الحجة، ختام سنة ثلاث وتسعين وألف، وصلى عليه ضحى يومها، بالمسجد الحرام، إماماً بالناس، شيخُنا علامة العصر، أحمد البشبيشي، ودفن بالمعلاة، بحوطة آل شيخان ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى فراديس الجنان، وحشرني في زمرته، ونفعني والمسلمين ببركته ـ، وعظم أسف الناس عليه، وكان له مشهد حافل، من مشاهد أهل الخير، ورثاه

الناس بقصائد طنانة، منهم: قول تلميذه، صاحبنا الفاضل الأديب، عبدالله بارجا الحضرمي:

أَحيــاةٌ تزهــو أعــيشٌ يَطيــبُ | أزمــانٌ يــصفو أيــسلو كئيــبُ
أبفقــدِ الحبيــب يــشفى محــبٌّ | ألــداءِ المنــون يُغنــي طبيــبُ
إن يكـنْ ذاك هـا أنـت يـا مدعيـه | وأرحْنـي فقـد عرانـي النحيـبُ
أو لـم تـدرِ فـاطَّرِحْني ودعْنـي | إنَّ شـأني وشـأنَ خطبـي عجيـبُ
وحـشتي وحـشةُ المخلـف فـرداً | فـي فـلاةٍ وحـرُّ شـمسٍ يُـذيبُ
ليس يـدري وجـهَ النهـار مـن الـ | ـليل استوى مَطلـعٌ لـه ومَغيـبُ
إن ترانـي ذهلـتُ أو زاغَ عقلـي | أو تـرى الفَـوْدَ قـد عـلاه مـشيبُ
لا تلمْنـي فـإن رُزئـي كبيـرٌ | ومصابي هـو المـصابُ المـصيبُ
غاب بدري عن أفقه وسطَ ليلٍ | أكـذا اعتيـدَتِ البـدورُ تغيـبُ
آهِ يـا دهرَنـا أسـأتَ علينـا | لـيس هـذا تبرمـاً فيعيـبُ
لـم تـزلْ مولعـاً بكـل كـريم | دأبـك الغـبنُ دأبـك التتبيـبُ
هكـذا هكـذا قطعـتَ اتـصالي | عـن مُغيـثٍ إذا دعـوتُ يجيـبُ
سـيدٌ مـشفق لطيـف رحـيم | نِعْمَ ذاكَ الجنابُ نعم ذاك الحبيبُ
عـالم عامـل رؤوف عطـوف | ناسـك عابـد أديـب أريـبُ
إن تبـدَّى حكـى الـصباحَ فـي | أمنـه وقـال مـا حكـاه خطيـبُ
مـا أتتـه الأجـلافُ إلا وعـادت | وحلاهـا الكمـالُ والتهـذيبُ
أجمـعَ الجمـعُ إذ حـوى الجمـع | والفرق عليه مرؤوسُهم والنجيـبُ

أنــه الــشامة المحــسنة الدهـــ ـــر لــدينا وأنـــه التهــذيبُ
معــشر العــالمين كــل مُعَــزًى صــار منـه إلـى الجميـع نـصيبُ
ذا بجـــودٍ وذا بعلـــم شـــفاه وبهــذين بعــضهم قــد أُثيبــوا
فهــو كالــشمسِ لا يُـضام بعيــدٌ فــي ســناها ولا يُـضام قريــبُ
إن لــيلاً قــضى بــه النحــبَ ويــلٌ ونهـــاراً فيـــه الفـــراقُ عــصيبُ
لكـــن الله بالقـــضاء قـــرن الـــ ـــلطف امتنانــاً فأســلموا وأنيبــوا
سنةُ الله قــد خلــت فــي عبــادٍ لا نكيــــرٌ لــــذا ولا تتريـــبُ
واســألوا اللهَ لطفــه حــين يغــشى كــل خــد مــن الثــرى تتريــبُ
وابــسطوا بالــدعاء مــنكم أكفًــاً لفقيـــدٍ دَمْعـــي عليـــه صَـــبيبُ
رحـــــمَ الله ذاتَـــــه وثـــــراه مـــا اســـتدام الأذانُ والتثويــب
وجنانـــاً مـــن بعـــده علويـــاً لــيس إلا بـــه تطيــبُ القلــوبُ
يــا بنــي الــسادةِ الكــرامِ تــدوموا طالعــاً إثــر طــالع لــن تغيبــوا
وكـــذا كـــل ذي علـــومٍ وتقـــوى تتقـــوى ويحـــصل التغليـــبُ
أتـــرى إذ يـــسود فينـــا جهـــولٌ أحيـــاةٌ تزهـــو أعـــيشٌ يطيـــبُ

[١٢٨] محمد بن أبي اليمن بن محمد أبي السعادات بن المحب محمد ابن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، الحسيني الطبري المكي.

إمام المقام الشريف الإبراهيمي، أخو إبراهيم الآتي ذكره، كان صالحاً عابداً تقياً، ملازماً للطواف، وتلاوة القرآن عن ظهر قلب، مواظباً للإمامة في

نوبته، ونوبة أقاربه، حسن التأدية للقرآن، عفيفاً قانعاً من الدنيا باليسير، قَلّما ينقطع عن المسجد الحرام.

اشتغل بالعلم، نحواً وفقهاً، ولازم صهره شيخ الإسلام الشهاب أحمد ابن حجر الهيتمي في دروسه، ولازم بعده تلميذه الشيخ عبد الرؤوف الواعظ، وبرع وتفقه، وحفظ «الشاطبية» وحلها، وجود القرآن، وجمع للسبعة، فكان يشار إليه في علم القراءات.

ولما جاور بمكة سنة تسعين وتسعمائة، شيخ العلماء والقراء، الشمس محمد النحراوي الحنفي لازمه، وكان يثني على المترجم كثيراً، وتزوج صفية بنت شيخه الشهاب أحمد بن حجر بخطبة أبيها إياه.

وتوفي يوم الأحد، رابع عشري صفر، سنة عشر بعد الألف، وصلي عليه بساباط المقام، بعد أن نادى له الريس بظلة زمزم، ودفن بتربة جماعته الطبريين ـ رحمهم الله تعالى ـ وهو أصغر من أخيه إبراهيم، ذكره الإمام عبد القادر الطبري، في تاريخ الطبريين الذي أسماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[١٢٩] محمد بن أبي السرور بن محمد سلطان البهوتي الحنبلي المصري[(١)].

شيخنا الإمام العالم، العلامة الفاضل، كان من أجلاء علماء الحنابلة بالديار المصرية، وله في الفقه والعلوم المتداولة بمصر اليدُ الطولى، قرأ على

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣٨).

عبد الرحمن، ومنصور البهوتيين الفقهَ وغيره، وأخذ الحديث عن شيخنا البابلي، ومعاصريه.

وله روايات في الحديث عالية، قرأت عليه طرفاً من «ألفية ابن مالك»، وكان يختمها في كل سنة، وكان بيني وبينه محبةٌ قوية، وكان مثرياً من الدنيا، ملازماً ليلـه ونهـاره الجامـع الأزهـر؛ لإقـراء العلوم، حسن السيرة، تاركاً ما لا يعنيه.

لم يـزل على خير وفي خير، حتى توفي يوم الخميـس، خامس عشر رجب، سنة مائة وألف، ودفن بتربة المجاورين.

ومن فوائده المجربة للحمى: أن تقرأ على مائة حبةٍ من البر، كل حبة سـورة الفاتحة، المجموع مائـة مـرة، ثم تربط على كم المحموم برباط من صوف، ويكون الرباط مما يلي الجسد، حال تلبس المحموم، فإن زالت، وإلا، فتنقل وتربط على الكم الأيسر. انتهى.

[١٣٠] محمد بن إبراهيم بن مفلح الحنبلي القاضي أكمل الدين[١].

ذكره الغزي في «الذيل»، فقال: كان شاهداً بمحكمة دمشق، ثم ولي قضاء بعلبك، ثم ناب في ناحية الزبداني، وكان أديباً عالماً، ذا دعابة، كثير الجمعية بالإخوان، متحملاً للأذى منهم، وألف تاريخاً، ترجم فيه جماعة من الشعراء وغيرهم، وذكر الشيخ حسن البوريني في تاريخه: أن القاضي أكمل الدين لم ينظم من الشعر إلا بيتاً واحداً، وهو قوله:

---

(١) «لطف السـمر وقطف الثمـر» للغـزي (١/ ٧٣) (٢١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣١٤)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٠٣).

ألـيس عجيبـاً أنَّ حظـي نـاقصٌ وغيـري لـه حـظٌ وإنـي لأكمـلُ

مات خامس عشر ذي الحجة، سنة إحدى عشرة بعد الألف.

[١٣١] محمد بن إبراهيم الفاسي، المدعو ببديع الزمان[١].

كان فاضلاً لَسِناً، فصيحاً وشاعراً صريحاً، له نظم رائق، ونثر فائق، مشتمل على المعاني الحسنة، والنكات المستحسنة، وكان حسن الإيراد، مقبول الإنشاد، مع ما فيه من رقة الحضارة، ودقة البدارة[٢]، قد جمع بين حسن البادرة، ولطف النكتة والنادرة.

رحل من المغرب إلى المشـرق، وهو في الأدب بدر مُشرق، وجال الآفاق والبلاد، ودخل قسطنطينية الروم، واجتمع بمن بها من العلماء الأمجاد، وذلك سنة إحدى وألف، ودار بينه وبين من بها من الأدباء والغرباء كؤوس محاضرة تقطر الأردان، وتشرب بماء العيون لا الأدنان، وتسمع منه ما يدلك على قوة مهارته، وغزارة أدبه وعلى مكانته.

ثم نزل مصـر القاهرة، وأقام بها إلى أن انتقل إلى الدار الآخرة، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وقد ذكره الفاضل الطالوي في «السانحات»، والعلامة الشـهاب الخفاجي في «الريحانـة»، وبينهم مكاتبات منهـا ما كتبه للطالوي بالقسطنطينية، وهو قوله:

لـدمعي بعـدَ بعـدِهِمُ انهمـالُ فلِمْ عن حفظِ عهدِ الصبِّ مـالوا

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣١١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٢١) (٣٧١)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٣٣) (٤٧).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: البداوة.

وحلُّـوا القلـب داراً واسـتحلوا   دمي عمـداً وعـن ودي اسـتحالوا
وحـان الحَـيْنُ حـينَ البـينُ بانـت   مطايـاه وأعـداها الرحـالُ
وقال القلـبُ مـع صبري وعقلـي   وأفراحـي لنـا عنـك ارتحـالُ
وأبقـت لنـا النـوى جـسماً كـأني   لفـرطِ الـسقم حـالٌ أو محـالُ
أفـدِّيهم بـأموالي ونفـسي   وهل لي فـي الهـوى نفسٌ ومـالُ
أأسـلوهُم مـدى الـدنيا سـلوهم   ولـو أصـلَوْا فـؤادي ثـم صـالوا
شـعاري حـبُّهم والمـدحُ دينـي   لمولى الفضلِ درويشِ بـن طـالو
هـو النحريـرُ بحـرُ العلـم مُهْبـى   أهـم الأمـر إن أعيـا الـسؤال
ذكـيٌّ ألمعـيٌّ لـوذعيٌّ   سـريٌّ مـا لـه حقّـاً مثـالُ
لـه علـمٌ حنيفـيٌّ محـيطٌ   وحِلْـم أحنفـيٌّ واحتمـالُ
وذكـرٌ عنـد ذي التحقيـق ذكـر   بـشكر الله مُغْـرًى لا يـزالُ
حـوى كـلَّ المعـاني والمعـالي   بعقـلٍ مـا لـه عنـه انعقـالُ
لـه نظـمٌ كـدرٌ فـي نحـور الـ   ـغواني دونـه الـسحرُ الحـلالُ
فريـدٌ فـي العُلـى مـن غيـر نِـدٌّ   فـدعْ مـا قيـل أو مـا قـد يُقـالُ
فـيمِّمْ داره وانـزلْ ذُراه   إذا جـارَ الأعـادي واسـتطالوا
وقل للمـدِّعي هـل حزت أصلاً   لـه بالطـالويين اتـصالُ
لقينـاه بإسـلامبولَ لَمَّـا   عـدمنا فيـه حُـراً يُـستمالُ
فوالانـا وأولانـا بـشاشاً   وبـشراً دونـه العـذبُ الـزلالُ
وأنـسانا بإينـاسٍ أناسـاً   لهـم فـي القلـب حِـلٌّ وارتحـالُ

ألا يا بن الألى قد حزتَ فخراً | لـه فـي وَجْنَـة البـدر انتعـال
وسدت اليوم أهلَ الأرضِ فاهناً | بعـزٍّ مـا لـه عنـك انتقـالُ
فخذْها مثلَ خلقٍ منك سهلٍ | على الأعداء صعب لا ينـالُ
كساها مدحُك المحمودُ حسناً | لهـا فيـه ازدهـاءٌ واختيـالُ
فتبـدي تـارةً دَلاً لـديكُمْ | ويعروهـا علـى الـدنيا دلالُ
ترجِّي أن تُنيلوها قبولاً | عسى يبدو بها منكَ احتفالُ
فإنْ أحسنتُ كان الأمر بدعاً | وإلاَّ منكُمُ يُرجـى الكمـالُ

وأتبعه بنثر صورته: رضي الله عنك وأرضاك، وأخصب في مربع المحامد مرعاك، سلام عليكم ورحمة الله، سلاماً يتخذه البدر برق محياه، وقام لإجلاله سنا شمس الضحى وحياه، وافتك حاسرة حسيرة، ونزهة يسيرة، يشرفها ذكرك، ويلزمها شكرك، والعذر واضح، وتفسير الواضح فاضح، فإن لي خاطراً متى تفكر تفطّر، وإن راجع وتدبر القدر تصبر، والحر علّ عاذر، واللئيم خَبٌّ غادر، ومثلك يغضُّ ولا يُغضي، وحلمك لا شك إلى الرضا يُفضي، والسلام.

[١٣٢] السيد محمد بن إبراهيم بن المفضل بن علي ابن الإمام يحيى شرف الدين.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو بحر العلم الخافق في الخافقَين، وبدر الدين الذي أنار في المشرقَين، إمامُ المعقولات والمنقولات، والمبرهن على حدودها وبراهينها والمقولات، صدر السادة، وبدر القادة.

كان ـ قدس الله سره ـ، نسيجَ وحدِه، وفريدَ وقته، وإنسانَ زمانه الكامل،

القاضي في العلوم على كل فاضل، والحاكم الذي لبه رزين، والواسطة التي بجواهر العقدين تزين، وكان ربانيَّ عصره، معمورَ الباطن والظاهر، مسعوداً ملحوظاً، إليه يعين التكريم أينما توجه، مع كمال في سمته، وجلالة باهرة، حتى قال بعض الفضلاء: أحسب أنه لو اجتمع الخلق في الحشر، وخرج السيد محمد بينهم، علم كلُّ أحدٍ أنه عالم.

وكان مع تلك الخلال، وذلك الجلال، سهلَ الأخلاق، غير مترفع، ولا ينقص ذلك من مقداره شيئاً، وكانت له فكرةٌ سامية، كما قال شيخه الوجيه عبد الرحمن الحيمي في صفته: إنه مستغرق الفكرة بالله ـ سبحانه وتعالى ـ، وهو مع ذلك ظاهـراً، هكذا ذكره لي شـيخنا مشـافهة، أيام قراءته عليه في «الكشاف».

وكانت أحواله أحوال الأمراء، وصيته أعلى من ذلك؛ لما حواه من هذه الكمالات، ولما له من النسب الشريف، الذي لا يسامى، وكان في أهل بيته الكرام، كالبدر بين النجوم.

ولد سنة اثنتين وعشرين وألف، ولم يزل مواظباً على العلم، إلى كبره، يستفيد منه الطالبون، ويراجعه الفضلاء بالكتب من الآفاق، ويستمطرون ديمة آدابه، ويفجرون مَعين علمه، فيأتيهم من قِبله، كل عجيب غريب.

وقرأ في الفنون بمدينة صنعاء، وبلدة كوكبان، وشـبام، ورحل إلى الطويلة؛ لقراءة شيء من كتب أصول الفقه، على السـيد العلامة عز الدين بن ذريب، وأكثر ما تعلق به في صنعاء، علم الأدوات، والتفسير.

وأما الحديـث، فأكثـر قراءتـه على شـيوخ وردوا إلى محله المبارك،

منهم: القاضي عبد الباقي بن عبد السلام النزيلي، ومن القاضي عبد الباقي بن عبد الرحيم النزيلي، ومنهم: القاضي عبد الواحد بن عبد المنعم النزيلي، وأجازوه، فقرأ من كل فن وجوه كتبه، وهيمن على غرائبها، وكان واسع الحفظ، نادرةً في ذلك، سيالَ الذهن، ولا يلقي المسائل إلا على جهة الإجابة.

واستوطن في آخر أيامه وادي ظهر، وأنس به الناس هنالك، وازداد الوادي به بهجةً، وعلق به من لا علاقة له به، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ استشارني لمكان المودة، في إنزال أهله إلى الوادي، فما رجح لي، وظهر له الرجحان، فكان الصواب رأيه، وهو الحري بذلك.

ومما كتبته إلى صديق أتشوَّق إلى هذا السيد من النوع المسى عند الأدباء: دوبيت:

وادي ظهر أنت وادي صدري ... جادك وكَافٌ غزير القَطْر
لو كنت تدري كفؤادي بدري ... أي حبيب فيك عظيم القدر

وله «نظم الورقات» لإمام الحرمين الجويني، في غاية الحسن، وكان شيخنا الوجيه يتعجب من حسنه، ويسر الله له أيام القراءة شرحها، بشرح مفيد، وغاب بين كتبه. انتهى.

قلت: وممن شرحها: القاضي العلامة، الجامع بين المعقول والمنقول، فخر الإسلام عبد الوهاب بن عبد الكريم بن المحدث الكبير عبد الرحمن بن المصنف الكبير الحسين بن أبي بكر بن داود النزيلي، سماه: «فتح المغلقات شرح نظم الورقات»، وممن شرحها: السيد العلامة، الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم، شرحاً مفيداً كتب منه نسخة لكثرة فوائده.

وله أيضاً: «السلوك الذهبية في السيرة المتوكلية» سيرة جده الإمام شرف الدين، قال: وكانت وفاته نهار الاثنين، غرة شهر رجب، سنة خمس وثمانين وألف، بمنزله بـ «بشام»، وكان لموته موقع عظيم عند العلماء وغيرهم، وما أحقه بقول الزمخشري، في الإمام ابن سمعان:

ماتَ الإمامُ ابنُ سمعانَ فلا نظرتْ ... عينُ البصيرِ إذا ضَنَّتْ بأدمُعِها
وأيُّ حوباء لا ضيمتْ ولا عميتْ ... ولا استفادت بمرآها ومسمَعِها
أين الذي لو شَرَيناهُ لما أخذتْ ... ببعضه هذه الدنيا بأجمعِها
أين الذي الفقهُ والآدابُ إن ذُكرت ... فهو ابنُ إدريسِها وهو ابنُ أصمَعِها
مَنْ للأمانةِ ضاعتْ عند قيمتِها ... من للبلاغة غيث عند تصقعها[1]
من للأحاديث يُمليها ويُسمعها ... بعدَ ابن سمعان مُمليها ومُسْمِعِها
سردُ الأسانيدِ كانت فيه لهجته ... كلف داودَ في تَسريدِ أَدْرُعِها
خلى الأئمةَ حيرى فقدْ أعلمِها ... على اتفاقِ وأزكاها وأورعِها

وعمّر عليه تربة، ورثاه من يعرفه ومن لا يعرفه، ومن جملة من رثاه: القاضي محمد بن الحسين الحيمي، وجماعته من بلاد كوكبان، أجادوا، والشيخ البليغ إبراهيم الهندي، والقاضي علي بن صالح بن أبي الرجال، ولم يحضرني من هذه المراثي غير ما يسره الله لي، ولست بكامل الصناعة في الشعر، وهي قولي:

الله أكبرُ فُلْكُ الصالحاتِ رسا ... اللهُ أكبرُ راد الأفق عاد مَسا

---

(١) كذا في الأصل.

والمجدُ هُدَّتْ على رغـمٍ قواعـدُه كَمْ معلمٍ بعـد عـزٌ الملـة اندرسـا
ومسمَعُ المجد والعليـا بـه صـممٌ ونطقُه عن فصيحات اللغا خرسـا
هـي المـصيبةُ عمـت كـلَّ ناحيـة يا أيها الناس هذا البدرُ قد طُمِـسا
فابكوا جميعاً فهذا الهـولُ عَمَّكـم هَدَّ القوى من رجال مـنكم ونـسا
مَـنْ ذا لعلـمِ رسـولِ الله ينـشرُه يُحييه يُمليه يُبـدي منـه مـا التبـسا
مَنْ للأصولَيْنِ مَنْ ذا للفروعِ ومَـنْ بالمنطق الفصلِ يُمليها لمن درسـا
لهفي عليه ومـا لهفـي شِـفا كَمَـدٍ سوى فؤادي وأورى في الحشا قبسا
آهٍ ومـا هـي فـي خطبـي بنافعـةٍ وإن رثى لي منها الـضرُّ والجُلـسا
مصيبةٌ قد دهت مَنْ قد مضى ودَنا وأعظمُ الناس خطباً معشرُ الرؤسا
قد كان فينا كشمس الـرادِ مـشرقةً ما إن نخاف ظلاماً أو نـرى غَلَـسا
وكـان فينـا كـثهلانٍ نلـوذُ بـه إذا الزمـانُ علينـا بـالخطوب أَسـا
وكـان فينـا فراتـاً مُرويـاً فـإذا يـدنّس الـدين أمـرٌ طهـر الدنـسا
مـاذا أقـول وقـولي فيـه ذو قـصرٍ ومنطقي بعدَ إفصاحي قدِ انحبـسا
بلـى أفـوزُ بـصبرٍ فـاز لائـذُه كم لاَنَ بالصبرِ ما للنـازلات قَـسا
مالي سوى الصبرِ في خطبي ألوذُ به عسى يخفف من قلبي الهمومَ عسى
يا من نأى عن فؤادي وهي موطنُه وفي سويداهُ حبُّ منـه قـد غرسـا
نأيتَ عنـا إلـى الجنـاتِ منتعمـاً مـع الأحبـة مـن آلٍ وأهـلِ كِـسا
ونحـن نبكـي كمـا تبكـي مولَّعَـةٌ بنجلِهـا إذ رأتـه صـار مفترسـا
لكننـا قـد رضـينا حكـمَ خالقِنـا وإن تَجَـرَّعَ كـلٌّ مـن نـواك حـسا

وسوف نفزعُ في ذا الخطب نحوَ أسى   كم بردت من حرارات القلوب أسا
مات النبيُّ وأهلُ الفضل قد غبروا   انظر هل الموتُ حاشا سيداً نُدسا
أيـن الملـوك حـاطوا الـبلاد معـاً   وأكثروا الجند والأتبـاع والحرسـا
ما دافعت عـنهم الأبـراج مـوتهم   ولا رأوا معقلاً يجـدي ولا فرسـا
وأين أهلُ الثرى والمالِ كم بخلتْ   نفوسُهم ثـم لـم يغنـوا بمـا نَفَـسا
وأيـن قـومٌ لغيـر الله قـد خـضعوا   وذللوا أنفـساً كانـت لهـم شُمُـسا
وحقروا الدارَ والـدنيا ومـا ذكـروا   لغير ما حاجـة عـشراً ولا خمـسا
أهل المحاريـب خيـر النـاس قـد   جعلوا الذِّكْرَ المبينَ في ليلهم أنسا
راضون عن ربهم في كـلّ أمـرِهـم   فيمـا يـدبر فيمـا سـر فيـه وأسـا
هـم الملـوكُ وإن ذَلُّـوا لخـالقِهم   ألفيـتَهم حـين يبـدو أمـره حُمُـسا
لا يرهبون بنـي الـدنيا وإن كثـروا   طوبى لمن بيـنَهم والله قـد جلـسا
جليسُهم ليس يشقى طابَ ذكرُهم   ما زال ذكرُهم كالشمس ما انطمـسا
صـلى علـيهم الهـي كـلَّ آونـةٍ   ما استنشقتْ أنفُ نجدي به نَفَـسا
وإن عِـزَّ الهـدى هـذا رئيـسُهم   وفخرُهُم إن ذكرنـا فـيهم الرؤسـا
صـلى عليـه إلهـي بعـدَ معـشرِه   مَنْ مجدُهم فوق هامات النجوم رسا

[١٣٣] محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي القاسم بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن علي بن أبي بكر ابن الشيخ علي الأهدل.

كان سيداً جليلاً، له مشاركةٌ في العلوم، ومعرفةٌ تامةٌ بالأنساب، وكان

يسعى دائماً بالخير بين العرب والولاة، ولهم فيه معتقدٌ عظيم.

توفي بعد أخيه عبدالله، سنة اثنتين وأربعين وألف، وخلفه ولده، السيد الجليل، العلامة المحدث أبو القاسم، وقام بزاويتهم، بعد والده وعمه، ولهم الجاه المكين عند الأمراء والعرب، خصوصاً أولاد الشريف ابن جابر، فإن لهم عليهم اليد المستطيلة، بفضل الله تعالى، وعلى الفخر والمهادلة.

وشُهر بين مهادلة الدنيا: أن كل من قتل قتيلاً، وركب على تربتهم، أو تربة سيدنا أبي بكر بن علي الأصم، عُفي عنه، ولا يؤخذ منه قودٌ ولا دية، ومسكنهم المنيرة، وهم قائمون بالجمعةِ والجماعة.

وامتحنوا أيام فضل الله باشا، بمغالطةٍ نسبت إليهم، وهي على العرب بني صليل، فاستشهد منهم جماعةٌ لسعادة سبقت، وأظن أن زوال دولة الأروام من اليمن بسعيهم؛ لأن السيد عبدالله بن أبي القاسم، لما قتلوا ولده وأسروه، جعل صرخةً إلى النبي ﷺ محفوظةً عندنا، وقال فيها: فبظلمهم وبجورهم أنزل بهم...، وتمام القصيدة معلوم، ولا نطيل بذكره. انتهى. ذكره السيد محمد بن الطاهر بن بحر.

[١٣٤] محمد بن أبي القاسم بن إسحاق جعمان.

كان علامة زمانه، توفي سنة خمس بعد الألف، أو سبع.

[١٣٥] محمد بن أبي القاسم بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي القاسم ابن إبراهيم بن أبي القاسم بن عبدالله بن جعمان الصريفي.

كان إماماً فاضلاً، عالماً عاملاً زاهداً، توفي سنة سبع بعد الألف، ببيت الفقيه ابن عجيل، وبها دفن ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٣٦] محمد بن أبي القاسم، صاحب المنيرة.

كان على جانب عظيم من الخير والصلاح والعبادة، **توفي في رمضان،** سنة ثلاث وأربعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ[(١)].

[١٣٧] محمد بن أبي اللطف المقدسي، الشيخ العلامة، رضي الدين.

إمام البيت المقدس وعالمه، له تعليقات مفيدة على «البيضاوي»، و«الكشاف»، و«أبي السعود»، ألفها ببلده، وأرسل بها إلى شيخ الإسلام أسعد أفندي.

[١٣٨] محمد الفشني الشافعي.

أحد العدول بمحكمة الزاهد، كان فاضلاً أديباً، ناظماً ناثراً، **توفي** يوم الثلاثاء، سابع عشري ذي الحجة، سنة سبع وعشرين بعد الألف، بمصر.

[١٣٩] محمد بن إبراهيم بن يحيى السحولي الصنعاني[(٢)].

خطيب صنعاء، إمامٌ فاضلٌ، وعالمٌ كامل، عريقُ النسب، في صناعة العلم والأدب، يمت إليها بأوفى ذمام، ويضرب فيها بأخوال وأعمام، كان طموحَ النظر إلى الرتب العلية، والمنازل السنية، تريه همته أنه بعناء الرياسة مستقل، فهو لكل ما ناله مستقل.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض سطران بالأصل».

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٤٤) (٢٣٦)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٢/ ٣٨٦) (٤٤٨)، وذكر وفاته في ١١٠٩هـ، «البدر الطالع» (٢/ ٩٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ٧٦) (١٤٦)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٩٠٧) (٥٥٩)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٠٤)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٣٩٩).

فسح العمر له بامتداده، وسمح له الدهر بمراده، فبلغ ما ظهر من علمه وأدبه، إلى غاية مطلبه، وهو أصل الإفادة، وكوكب السعادة، وغالب من ذكرناه من أهل صنعاء، وما والاها من أهل اليمن العصريين، فهو مغترفٌ من بحره، واختص ببلاغة قُسِّيَّة، ونفس عصاميَّة، وهِباتٍ حاتميَّة، إلا أن الزمان لم يسعفه في دنياه، فترامت به الأحوال.

ثم طلبه الإمام المهدي لدين الله، محمد بن أحمد بن الحسن إلى حضرته برداع، وأمره بأن يكون خطيب مصلاه، ومرجعاً في الفتاوى والوقائع العلمية، فاستمر على ذلك، وأظهر من خفيات العلوم كل ما بطن، ولأوقات قراءته بركةٌ تظهر، وفوائد تزهر، وله ورع في العلم يقضي بمتانة الدين، وسلامة الباطن من الرياء، وهو الداء الدفين، وكثيراً ما يعترف اعتراف المنصف، ويقول: واللهُ أعلم بقصدِ المصنِّف.

والحاصل: أنه سبق علماء قطره، في كل فن من الفنون، وافتخرت به الآباء والبنون.

قرأ على والده، وبه تخرج، ولازم العلامة عبد الرحمن الحيمي، قرأ عليه «الكشاف»، و«شرح الكافية» للرضي، وغالب أهل صنعاء أخذوهما[1] عنه؛ لإتقانه لهما، ومهارته في فهمهما.

ومولده بصنعاء، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، ووفاته في شهر محرم، سنة ألف ومائة وعشرة، بمدينة رداع، ورأيته بها مرات، ولم يتيسر لي الاجتماع به، والأخذ عنه، رحمه الله تعالى.

---

(١) في الأصل: أخذاه، والصواب ما أثبت.

ومن شعره: ما كتبه إلى الإمام المتوكل إسماعيل:

مولاي إسماعيل لي طفل بكم　　متبارك أدعوه إسماعيلا
قد عِيلَ صبري من مفارقتي له　　لا بالرباب ولا بأسما عيلا
منّوا بإسماعي نعم حاشاكم　　إن تقطعوا صلتي بإسماعي لا

وقوله:

سأجهد في نيل المعالي طاقتي　　فإن نلتها فالحمد لله وحدَهُ
وإن لم أنلْها كان عذري واضحاً　　على المرء أن يسعى إلى الخير جهدَهُ

وكتبَ إلى السيد الفاضل، جعفرِ بن المطهر الجرموزي، وهو متولٍّ على العُدَين، قصيدةً مطلعها:

نسيمُ بَلِّغْ لي إلى العُدَين　　سلامَ نقدٍ حاضرٍ بدَيْنِ
وقلْ لمن ظل ما أطال بيني　　اللهُ فيما بينَه وبيني

وقوله يمدح «شرح الكافية» للرضي:

عليكَ بالنجمِ إذا ما دَجَتْ　　ظلمةُ نحوٍ إن أردتَ المُضِيَّ
مَنْ شاء يدعى السيدَ المرتَضى　　في قومِه كان أخاً للرضِيّ

ومثله قول صاحبنا، العلامة القاضي، علي بن محمد العنسي:

كشفت الغوامض نجم الهدى　　لقوم لفضلك لا يجحدونْ
فليس لهم في دجى مشكل　　ظلامٌ وبالنجمِ هم يهتدونْ

وقوله:

تظـن مـا ألقـاه فيـك بـاطِلا فـلا تبـالي أن تكـون مـاطِلا
مـددت حـبلاً للجفـا طـائِلا فهـل رأيـتَ تحـت ذلـك طـائِلا
لو ملت نحوي أو عطفت مثل ما رأيـت عطفـك الرشـيق مـائلا
تحلـو لقلبـي إذ تمـر حاليـاً قلبـك لـي عـن الحجـا عـاطِلا
رفعت قصتي وقـد مـررت بـي تجـر ذيـلاً للـدلال زائِـلا
ومـذ فتحـت ناظريـك نـاظراً فـي قصتي نـصبت لـي الحبائلا
فرحـت مقتـولاً وكـان قـاتلي مـن لا يبـالي أن يكـون قـاتِلا
يـا قاتـلَ اللهُ العيـونَ مـا لهـا مـن حاجـة فـي أن تـرى قـواتلا
نواعـساً فـواتراً فـواطراً فواتكـاً لا تُخطـئ المقـاتلا
تـركن إذ فعلـن قلبـي دامياً فيـا لهـا تواركـاً فـواعِلا
تـصول فينـا بـالجفونِ تـارةً وتـارة تجـرِّدُ المنَاصِـلا
سقى الغَضا سقى الحِمى سقى اللِّوى سـقى الحَيـا تيـا لـك المنـازلا
منـازلاً عهـدتُها أقمارُهـا لـم تُمـسِ عـن بروجِهـا أَوافِـلا
دَلَّهتنـي بَلَّهتنـي أذهلَتْنـي صَـيَّرتني بـين الأنـامِ بـاقِلا
فـي كـلِّ عـامٍ أرتجيـكَ مقـبلاً نحـوي وإن لـم أرتجيـك قـابِلا
يا كمْ أرى فيـك الزمـانَ لـم يـزلْ لجـيشِ آمـالي فيـك خـاذِلا
مـا ضـرَّ لـو أطعتنـي تفـضُّلاً ولـو عـصيتَ واشـياً وعـاذلا
ولـو ذكـرتَ بـالحمى لياليـاً وطيـبَ أوقـاتٍ مـضتْ وأصـائلا

كـم قـد أقمـت فـي تثنـي قامـةٍ　　مـن الـدلال فـي الهـوى دلائـلا
وليلـة غازلـت منـك فـي الـدجى　　غـزالَ أنـسٍ يُـدهش المُغـازِلا
والـشهبُ مـن غـيظٍ تـودُّ أنهـا　　توقـدُ لـي مـن نارهـا مـشاعِلا
وطالمـا فزنـا بقـصرِ ليلـةٍ　　وذا هـو العـيشُ لمـن تطـاولا
أحلى الهوى ما كان في عصر الصِّبا　　لـو لـم يكـن حـالُ الـصبا حـائِلا

والسحولي: نسبةً إلى سَحُول ـ بفتح السين، وضم الحاء، المهملتين ـ واد مبارك باليمن، كثير الخير والمزارع، يشتمل على قرى كثيرة، خرج منه جماعة من العلماء والصالحين، وكُفِّن ﷺ، في ثيابٍ سحوليةٍ.

[١٤٠] محمد بن إبراهيم بن عبدالله الزهيري الشافعي الدمشقي.

عالم كبير، قدم مكة حاجاً، وجاور بها سنة تسعين وتسعمائة، وأخذ عنه كثير من علمـاء مكة وفضلائها، منهم: الإمام عبد القادر الطبري، وكتب له إجازة، ذكرها في كتابه «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

قلت: ووفاته سنة ست وألف، بدمشق ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤١] محمد بن إبراهيم المبلط.

أحد العدول الفضلاء بمحكمة الصالحية النجمية، كان من أكابر العلماء، حسن الخط، وكتبه بخطه كلها مقبولةٌ صحيحةٌ، يضرب بها المثل في ذلك، توفي يوم الجمعة، خامس عشري ذي الحجة، سنة أربع وعشرين بعد الألف.

[١٤٢] محمد الأكمل بن إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن محمد الأكمل ابن عبدالله بن مفلح الدمشقي.

أحد أعيان العلماء بها، أخذ عن السيد العلامة الحافظ كمال الدين بن

حمزة، وعن البدر الغزي، ومن في طبقتهما.

[١٤٣] محمد علي بن إسماعيل الحسيني الطبري المكي محمد علي ابن إسماعيل بن محمد بن أبي السعادات بن المحب محمد بن الرضي محمد ابن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر، الحسيني، الطبري، المكي[١].

إمام المقام الشريف، ذكره الإمام عبد القادر الطبري، في تاريخ الطبريين الذي سماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، فقال:

كان رئيساً عظيماً، جليلاً مهيباً فخيماً، حسن الشكل والهيئة، عزيز النفس، رفيع الجانب، مات أبوه عنه وهو صغير، وكفله عمه الإمام أبو اليُمن، ورباه وأدبه، وأشغله مع أولاده وهذبه، وقرأ واشتغل، وسعى وحصل، مع حسن فهم ثاقب، وزيادة ذوق يعد من العجائب، وسلامة طبعٍ في درك المسائل والمطالب.

اشتغل على مشايخ عصره في العربية، والفقه، والأدب، وشهد له مشايخه باستحقاق أن يقرؤوا عليه، لو جدّ في الاشتغال ودأب، قال له شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وقد قرأ عليه يسيراً: يا أبا محمد! لو بذلت جهدك في الاشتغال حق البذل، لاستحقيت أن أقرأ عليك.

وذكر لي من لفظه: أنه قرأ قطعةً من «شرح التلخيص المختصر» للسعد، على الشيخ نور الدين العسيلي المصري، وكانت للشيخ نسخة منه، في غاية الحسن والصحة، فامتحن صاحب الترجمة بفهم عبارة أوردها عليه،

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٠) (٢٧٢).

من الكتاب المذكور، وقال له: إن فهمتها على الوجه المطلوب، أعطيتك هذه النسخة، ففهمها، وأخذ الكتاب.

وكان مترفهاً متنزهاً، وتسلط على كثير من الفضائل، بقوة الفهم، وشدة الذكاء، وله النظر الرائق الفائق، الذي يزاحم المناكب ذكاءً.

سمعت من لفظ شيخنا عبد الرحيم بن حسان المكي ـ رحمه الله ـ: أن القاضي حسيناً الحسيني المكي المالكي، مرض في سنة تسع وسبعين وتسعمائة مرضاً شديداً، ثم شفي منه، فهنأه صاحب الترجمة بقصيدةٍ طنانةً، تشتمل على تاريخ صنيع جداً، وبيت التاريخ جاء تاريخه (بأبجد ضبطا)، حصل الأجر والشفا للحسيني، وجه الصناعة فيه، بأن قرئ قوله للحسيني بياء الإشباع التي لا تحسب في التاريخ، فيكون قوله: (بأبجد)؛ أي: بزيادة لفظ أبجد، وهو بعشرة، وإن قرئ بياء النسبة، فيكون المعنى بحساب أبجد، ولا دخل له في التاريخ، وهذا صنيع لطيف جداً.

وكان بين صاحب الترجمة، والسيد الشريف ثقبة بن أبي نمى، ألفةٌ ومحبةٌ شهيرة، ولما بنى السيد بيته الذي أنشأه بالرحبة، سنة تسعين وتسعمائة، جعل له المترجم قصيدةً طنانةً، مشتملةً على تاريخ، ورقمت في طراز مجلس البيت المذكور، اختياراً لها على سائر ما نظم، من القصائد والتواريخ، لإجماع الفضلاء الملازمين له: أنه لا يليق أن يرقم غيرها، فرقمت، وهي هذه:

قد بلّغَ اللهُ سلطانَ الورى أربَهْ ... وزاد مجدَ عُلاه فوقَ ما طلبَهْ
فشاد بيتاً على هامِ العلى شرفاً ... شدّتْ يدُ الملكِ في أفقِ السَّما طُنُبَهْ
ترى الملوكَ بني الزهراءِ قاطبةً ... تطوفُ في بيته المعمورِ كالحَجَبَهْ

بيتاً رقى منزلاً عَزَّتْ مطالبُه عن أن يُنال فلم يرضَ السُّهى عَتَبَهْ
بيتاً علا عن نظيرِ حسن منظره زانت سرادقُ عليا عِّزه حُجُبَهْ
سما السماكينِ والعَيُّوقَ منزلةً فاستصغرَ الأفقُ عن عليائه شُهُبَهْ
وجَرَّ ذيلاً على هام المجرة من مجدٍ وأرخى على شخصِ الضحى عَذَبَهْ
بكلِّ قصرٍ قصورٌ من عُلاه ولو يمدُّ حسناً إلى نحوِ السما سَبَبَهْ
دعامةُ المجدِ ما ذاتُ العمادِ وما إيوانُ كسرى إلى ما نال مقتربَهْ
شقيقُ جناتِ عدنٍ فهي تشبهُه في الحسنِ والزخرف الرقوم والرحبه
فعمَّرَ اللهُ منشيه وعَمَّرَه حتى القيامةِ لا يلقى به نَصَبَهْ
فهو المليكُ أجلُّ الخلقِ أعظمُ مَنْ شدَّ المُرَجِّي إلى أبوابه نُجُبَهْ
بحرٌ مَلاَ السمعَ من ألفاظه درراً وطوقَ الجيدَ من إحسانه ذَهَبَهْ
أغرُّ يستصغرُ الدنيا إذا وهبتْ كفاه شيئاً ولم يرضَ الذي وهبَهْ
من فيضِ كفيه من وجهِ الحياء حَيا أما تراهُ توارى ساحباً سُحُبَهْ
فاقَ العقولَ فما في الخلق منقبةٌ تستوجبُ الشكرَ إلا منه مكتَسَبَهْ
إن شئتَ أنْ تلقى الأحبة جميع الناس في رجلٍ ففي المليكِ ابنِ طَهَ المصطفى ثِقَبَهْ
مَن أنزلَ اللهُ آيَ المدح فيه ومَن ملا المهيمِنُ من أوصافِه كتبَهْ
لو يُنظم الدرُّ شعراً في مدائحه أعيتْ محاسنُه المُثني وما كَتَبَهْ

ووقع له اتصال في آخر الأمر بالشريف أبي نمي، وحصل له منه قبولٌ عظيمٌ، وميلٌ تام، فمما اتفق له معه، في بعض مجالسه الخاصة: أن أنشد الشريف قول الشاعر:

إنَّ الثمـــــانينَ وبُلِّغْتَهـــــا   قد أحوجَتْ سمعي إلـى تَرْجُمانِ

فأنشده الإمام أبياتاً، ضمن فيها الصدر الأول، من البيت الأخير وهي:

طـــول حيـــاة مـــا لهـــا طائـــلٌ   عـــدمتُ فيهـــا كـــلَّ مـــا يُـشتهى
صـــرتُ بهـــا كالطفـــل فـــي خلقِـــهِ   تـــشابَه المبـــدأُ والمنتهـــى
فـــلا تلـــمْ ســـمعي إذا خـــانني   إنَّ الثمـــــانينَ وبُلِّغتهـــــا

فوقعت عند الشريف الموقع العظيم، واستحضر تذكرته، وأشار إلى الإمام، أن يرقمها فيها بخطه، ففعل وكان ـ رحمه الله ـ جدّ، وحفظ القرآن العظيم، على كبر من سنه، وصلى به التراويح، في المقام الشريف، ولازم تلاوته، عن ظهر قلب، إلى أن توفي.

وأحفظ عنه: أنه امتحنني وأنا صغير، في مبدأ اشتغالي بالنحو، بإنشاد أبياتِ لأبي تمام، وهي:

لحقنا بأخراهم وقد حَـوَّمَ الهـوى   قلوبـاً عهـدْنا طيرَهـا وهـي وُقَّـعُ
محا ضوءُها صبغَ الدجُنَّةِ وانطوى   لبهجتهـا ثـوبُ الـسماءِ المُجَـزَّعُ
فردت علينا الشمس والليل راغـمٌ   بشمس لهم من جانب الخدر تطلعُ
فـــوالله مـــا أدري أأحـــلامُ نـــائمٍ   ألمَّتْ بنا أم كان في الركب يوشـعُ

فقال لي: كيف رفع المجزع، بعد جر السماء؟ فقلت له: إنه وصفٌ للثوب، فضحك، وأعجبه ذلك مني، ودعا لي، ثم سألته عن قوله: أم كان في الركب يوشـع، فأفادني أن يوشع كان نبياً، وكان من دينه: أنه إذا غربت شمس يوم الجمعة، لا يحـل له القتال، إلى أن ينقضـي يوم السبت، فقاتل

الجبارين يوم الجمعة، فغربت عليه الشمس وقد بقي منهم بقيةٌ، فرد الله تعالى عليه الشمس حتى استأصلهم، وأول ما سمعت ذلك منه، ثم رأيته منقولاً.

وجرى مرة عنده ذكر التدبيج، فسمعت منه بيتين لطيفين فيه، وهما:

ما يرى قاضي الهوى في محبٍّ ... صيرته صوارمُ المقلتينِ

أصفرَ اللون أحمَر الدمع يبكي ... أسودَ اللحظ أخضرَ العارضينِ

ولد في السنة الثانية والثلاثين وتسعمائة، وتوفي في جمادى الأولى، من السنة العاشرة بعد الألف، وصلي عليه في المقام الشريف، بعد أن نادى له الرئيس على ظلة زمزم، كعادة أسلافه، ودفن في قبة المحب الطبري.

ومن كرامته، وكرامة أسلافه، وكرامة المقام الشريف: أن حضر الصلاة عليه ملحد الحرم، عبد الرحمن بن عتيق ـ عامله الله بعدله ـ، فسأل عن وجه الصلاة عليه في المقام، فعرف بأن ذلك من خصائص الطبريين، من الأزمان القديمة، فاتفق أنه في ثاني يوم من موت المترجم، هلك شخصٌ من أعوان ابن عتيق، يقال له: بيا ولي الهندي، وكان نماماً ظالماً، فحضر ابن عتيق الصلاة عليه، وجعله في المقام الشريف، وصلى عليه فيه.

فلما بلغني ذلك وأنا غائب، قلت: قد انقضت مدة ابن عتيق، وقرب هلاكه؛ فإن للمقام الشريف كرامة، ولأئمته الأقدمين عليه غيرة، وهم من الله تعالى بمنزلة، وحيث استهزأ بهم، وانتهك حرمتهم، وحرمة المقام، لابد أن يعاجل بالهلاك.

فوالله العظيم! ما مضت يوميات يسيرة، إلا وانتقل الشريف حسن بن أبي نمي ـ رحمه الله ـ، وقبض على ذلك الملحد، وكان من أمره من الإهانة،

وهتك العرض، وخراب الدار والعمر، ما هو أشهر من الشمس، والعذاب للآخرة أشد وأبقى. انتهى.

ومن شعر المترجم: قوله يمدح الشريف حسن بن أبي نمي صاحب مكة:

أفديَّ مَهاةً تَسبي العقولَ أحيانا ... فتسلبُ العقلَ ممن كان أحيانا
أملتنا هجرُها المُولي القلوبَ أسًى ... يُذيب لولا رجاءُ الفضلِ أحيانا
لا عاشَ من يتمنى بعد نشأتِهِ ... من خمرة الحب أن يصحو ولا كانا
بمشرف الخد جنات لناظرها ... لكنها أَجَّجَتْ في القلب نيرانا
لولا سحائبُ جَفْنٍ سَحَّ وابلُه ... وأجرى بحاراً فأطفاها وغُدرانا
تريكَ من وجهها الضاحي وقامتِها ... بدراً على غُصُنٍ يختال نَشْوانا
هيفا يُميل الصَّبا من قدِّها غُصُناً ... كما تُميل الصَّبا في الروضِ أغصانا
جارتْ على قلبيَ المجروحِ مقلتُها ... وأتلفتْهُ وما أضمرتُ سلوانا
لا تُستمال وإن مالت معاطفُها ... تحملت من رياض الحسن أفنانا
ترنو بفاتر طرفٍ زاد صارمُه ... فينا عن الحدِّ مسنوناً فأفنانا
كأنما السيفُ بدرُ الملك أودعَه ... من طرفها الفاترِ الفتانِ أجفانا
ويحسبُ الناس من أهل البديع ومن ... أهل السليمية الغبرا ومعكانا
أو أهلِ خالد من أهدى ضلالهم ... نفوسهم فغدوا هدياً وقربانا
وغرهم فيّهم حتى غدت فئة ... فيأ وأخرى قضت لم ترج غفرانا
هذا مكبلٌ مأسورٌ وذا وردَتْ ... به القناص حياضَ الموتِ طوفانا
وجَرَّعَتْهم كؤوسَ الحَيْن مترعةً ... وقائعٌ تتركُ الولدانَ شِيبانا

جُهَّالُ لو عقلوا أمراً لما شَهَروا عضباً ولا اعتقلوا للحرب مُرَّانا
ولو يريدون خيراً أو يرادُ بهم كانوا على ما مضى من قبلُ غِلمانا
لكن قضى اللهُ باستئصالِهم فبغوا على نفوسِهِمُ ظلماً وعُدوانا
وشاهدوا جحفلاً ذابت نفوسُهم من خوفِه ملأ الآفاقَ فرسانا
تسلُّ أسيافُه أحلامَ نائمِهم عليه رعباً ويلقى الموت يقظانا
يؤمُّه البدرُ سيفُ الله من خضعتْ له السلاطينُ كِسْراها وخاقانا
السيدُ الحسنُ البدرُ المليكُ ومن رأيته فرأيتُ الناس إنسانا
ومن رأينا لعليا عزِه شرفاً لسالفِ الأمم الماضين إنسانا
خليفة الله في مكان حضرته من اصطفاهم له أصلاً وجيرانا
واختاره ملكاً فيها لهم فغدتْ أسنى الممالك سلطاناً وبلدانا
ما عز خطبٌ وأم الناسُ ساحتَه إلا رأيت عزيزَ الخطب قد هانا
كأنما الرزقُ والآجال في يدِه يُرجى ويُخشى ويُرضي اللهَ غضبانا
فالليثُ والغيثُ في يومي غطا وسطا تعلَّما منه إقداماً وإحسانا
تلقاه في ظلمة الهيجاء بدرَ دجًى وأوجهَ القومِ كالحرباء ألوانا
له من الرعب أنصارٌ مؤيدة تصيّر الليثَ مثلَ الضب حيرانا
يحفه من بنيه أسدُ معركة تروي القنا إن غدا الضرغامُ ظمآنا
بيتُ النبوة بيتُ الله من ورثوا أمرَ الخلافة سلطاناً فسلطانا
قد أنزل الله آيَ الملك فيه فما يفي به شاعرٌ لو كان سَحْبانا
يَفنى المديحُ ولا تُحصى محامدُه فدع زهيراً ودع كعباً وحَسَّانا

يا ابن تدلَّى إلى هام العلى قعدت أقدامُه لرؤوس المجدِ تيجانا
أقسمت لو كان آل المصطفى كتباً لكنت ما بين أهل البيت قرآنا
لو أنهم آلُ يعقوبٍ وعترتُه لكنت يوسُفَهم حُسناً وإحسانا
لولا الرسالةُ بالمختار قد خُتمت لكنتَ يا علك الدنيا سليمانا
لكنْ[1] جَدُّك طه سدَّ مسلكَها على البرية أبناءً وإخوانا
صلى عليه إلهُ العرشِ ما نظمت كلا أعاديه للخطِّي حرصانا
وآلِه الغرِّ والأصحابِ ما نثرت ظُباهم لطُلا الشجعانِ أعلانا
والسلمِ ودمْ مَلِكَ الإسلامِ ما نظرتْ عينٌ على وجه أرضِ الله عمرانا
مؤزرَ النصرِ ماضي الأمرِ ميزمَهُ يحطُّ شانَك وتعلو في الورى شانا

وقوله أيضاً يمدحه:

أسرتني بطرفها الفتانِ وبحسنٍ يفوق حُورَ الجنانِ
ذاتُ قرطٍ من طوقها مطلعُ الشمـ ـسِ فلدى حسنها البديع جناني
ما تبدت تختال إلا أرتنا بدرَ تمٍّ يُقِلُّه غصنُ بانِ
ما حكاها في جنة الخلد حورٌ لا ولا في مراتع الغزلانِ
قلدتها يدُ الجمال حلياً فاق حسناً قلائدَ العقيانِ
بخدودٍ موردات حِسانٍ ما حكتها شقائقُ النعمانِ
تيمتني فرقّ جسمي نحولاً من جفاها فعائدي لا يراني

---

(1) في الأصل: لكنك، والصواب ما أثبت.

وأذابت قلبي المُعَنَّى وجارت | وصلتني لواعج الأشجانِ
ليتها بعدَ بعدِها وصلتني | وكفاها ما مرَّ من هجرانِ
أرَّقت مقلتي فأذريتُ دمعاً | كالغوادي دماً عَبيطاً قاني
لا تسلْ ما جرى على الخدِّ منها | يا حبيبي فقد جرى ما كفاني
فجفوني على الدوام دَوامٍ | ودموعي مَشارعُ الغدرانِ
قيل مهلاً فمن صبا صيرته | موجباتُ الصبا أسيرَ الغواني
حبذا إن قضيت في الحب وجداً | وقضى حاكمُ الهوى بهوانِ
ظبيةٌ تقضي الهرير فيمسي | وهو ليثُ الشَّرى الأسيرَ العاني
تتقي الأسدُ في العرين سطاهُ | وهو يخشى من فترة الأجفان
كلمتني بفاتراتٍ مراضٍ | سحرها ذوبها قضى بافتناني
جاوز الحدَّ لحظُها فملاذي | حسن ذو الفخارِ والسلطانِ
خيرُ من يمتطي الغوارب طراً | ويجيل الجيادَ في الميدان
ملكٌ(1) إن أرابَ دهرٌ كريماً | قال دعْه فإنه في أماني
ملك في يديه عمرٌ ورزقٌ | فالمنايا مجموعةٌ والأماني
ملكٌ مفردٌ كريمُ السجايا | ما حكاه من سائر الخلق ثاني
ملك إن قضى بأمر ونهيٍ | ما ثناه من البرية ثاني
شرفٌ دونه النجوم حيارى | ومحيًّا لم يحكِه النَّيِّرانِ
الذي يحسب الغمام يديه | ويرجى لصرفِ ريبِ الزمان

---

(1) في الأصل: منك، والصواب ما أثبت.

إن تلاشى على الأنام ربيعٌ ... جاء من كفه ربيعٌ ثاني
لم تكن كفُّه الشريفة إلا ... للعطايا والسيفِ والمُرّانِ
أو لتحظى الثغورُ بلثمٍ ... أو لجذبِ الزمانِ أو للعِنانِ
أنزل الله فيه آيَ مديحٍ ... سُطِّرت في مصاحفِ القرآنِ
كلُّ مجدٍ وسؤددٍ مستعارٌ ... من علا ملكه العظيمِ الشانِ
نعمةٌ جلَّ قدرُها عن شبيه ... للمُوالي ونقمةٍ للشاني
إن نأى ليسَ للزمان ارتفاعٌ ... أو دنا كان رحمةً في الزمانِ
أو أجازَ القريض فضلاً فمدحي ... أوجبته سوابقُ الإحسانِ
دام ملكُه يحوطُ علاه ... سورةُ الملك والضحى والمثاني
وأصلِّي على شفيعِ البرايا ... سيدِ الرسل أحمدَ العدنانِ

وقوله فيه أيضاً:

إليكَ كلُّ الفخارِ ينتسبُ ... يا ملكاً مجدُه الحَسَبُ
شادَ لكَ اللهُ من مهابته ... مُلكاً وسمرُ الرماحِ والقُضُبُ
أنالكَ اللهُ رتبةً رفعت ... فانخفضت تحت فضلها الرتبُ
إن جُلْتَ فالأُسْد منك في وَجَلٍ ... تخشاكَ في غابها وترتقبُ
ما أرخَ الناسُ بعض ما فعلت ... كفاكَ يومَ الوغى ولا كتبوا
يا سائلي عن علاه دعني ... هل يمكن بالضبط تُحصر الشهبُ
وجهٌ حكى الصبحَ ضوءُه ويدٌ ... تفرق فيها البحار والسحبُ
ما شالت الخيل فارساً بطلاً ... مثلَ مليكِ الورى ولا النُّجُبُ

بـدرُ الملـوك الـذي لعزتـه ... تسجدُ شمسُ الضحى وتقتربُ
فـلا تقسْ بالأسـودِ هِمَّتَـهُ ... لا يستوي الجدُّ قَطُّ واللعبُ
شَرَّفَ هامَ العلـى بأخمَصِهِ ... فتاجُها تحتَ رجلـه ذهبُ
قد أنـزل الله آيـه مـدحاً ... في شأنه وامتلتْ بها الكتبُ
تعـود قُصَّاده وقـد بلغـوا ... من فيض جدواه فوق ما طلبوا
أثنوا بما حملوا ولـو سكتوا ... أثنـت عليه بـذلك الحِقَبُ
مهـذبُ الـرأي كلُّـه حسنٌ ... الاسـمُ والفعـلُ منـهُ واللقبُ
فـضلٌ ولفـظٌ كلاهمـا عجبٌ ... سـحرٌ حـلالٌ ونائـلٌ عَجَبُ
خليفـةُ الله فـي خليقتـه ... سـلطانُ أُمِّ القـرى أبٌ فـأبُ
ما نـابَ كِسرى وقيصَر أَبداً ... وتُبَّـعٌ ملكَـه وإن تعبـوا
فهـو ابـنُ طـه وحيـدر آلِهِـم ... هـذا الفخـارُ العلـى والنسبُ
أنتجـه مـن بنيّـه فلـذا ... رضـاه لله جـلَّ والغـضبُ
فـضل مـن الله لا يُنـال ولا ... بالجـد والمكرمـاتُ يُكتسبُ
فثبـتَ الله ملكَـه أبـداً ... مـا أشـرق النَّيِّـرانِ والـشهبُ

[١٤٤] محمد بن إسماعيل المغربي.

نقلت من رحلة الشيخ العلامة، عبدالله بن محمد العياشي المغربي ما نصه: كان هذا الرجل أعجوبةً في سائر أحواله، فإنه ممن حصل جانباً عظيماً من العلوم الشرعية، ولم يخل من جانب من الأذواق الوهبية، وجال البلاد شرقاً وغرباً، فلم يدع المغرب الأقصى، ولا أفريقية، وبلاد السودان.

وأقام بمصر مدةً، نحواً من سبع سنين، في حياة الشيخ اللقاني، وأخبرني أنه ختم المختصر بالأزهر، سبع مرات، ولقي مشايخ ذلك الوقت، وجاور بمكة والمدينة مدةً، ودخل اليمن، وادعى فيه المهدية أو ما يشاكلها، فلم يتم له ذلك.

ودخل العراق، وأقام مدة ببغداد، وانتسب للشيخ عبد القادر، وأخذ العهد على طريقه، ودخل في جملة أتباعه، ثم ذهب من هناك إلى القسطنطينية، وهو في كل ذلك يصرح بما في نفسه من الإمارة، ولا يكني، غير متهيب صولة السلطان ولا غيره.

ثم جاء من الروم إلى طرابلس، في سفينة، في سنة ستين، ولقيته إذ ذاك بـ: «مسراته»، وقال لي: إني قد أذن لي في نصرة الدين، وإظهار الحكمة، وأخبرني بذلك من لقيته من الصالحين، وقد جئت إلى هذا الشيخ أستأذنه، فأنا أنتظر الإذن من قبله.

وتركناه هناك، إلى أن بلغنا خبره: أنه بلغ إلى سواحل البحر الغربي، وزار سيدي عبد السلام بن مشيش، وأقام بتلك البلاد مدةً، فلم يتم له ما أراد، وكان أظهر أمره قبل ذلك بسنين عديدة بالسوس الأقصى، فلم يتم له الأمر.

ثم كر راجعاً من جبل عمارة إلى القليعة، وأقام بها مدة، ثم سار من هناك، إلى أن خرج إلى «فجيج»، وأقام بها مدةً، ثم لقيته بها، أوائل سنة أربع وستين وألف، فطلب منا المساعدة على ما يحاوله، فلم يصادف عندنا ما يحب، وأظهرنا له جلية أمرنا، وأنا لسنا ممن يتعرض لما ليس من شأنه، ولا ممن له قدرة على أقل ما يحاول.

فلما تحقق ذلك منا، أظهر التأسف والتلهف على ما مضى من عمره وسعيه في غير طائل، وقال: إني جبت جوانب الأرض كلها، فلم أجد من يبكي الإسلام، بالعين التي أبكي بها، فوالله! ما كَذبت ولا كُذبت، إلا أني عسى أن أكون قد غلطت في فهم ما أخبرت به.

فإني رأيت النبي ﷺ، فقال لي: أنت عالمٌ وغنيٌّ وسلطان، فأما العلم، فقد حصلت منه ما قسم لي، وإني لا أعدم الخمسمائة ديناراً وما يقاربها متى طلبتها، وأما السلطنة، فلعلها سلطنة الآخرة، وكنت أظنها في الدنيا.

وأنا الآن تائب مما أنا فيه، عالمٌ أن الله لم يرد بي ذلك، فنيتي الرجوع إلى الحج والزيارة، ثم أستوطن جوار الشيخ عبد القادر الجيلاني، أعبد الله حتى أموت، ففارقناه على هذه النية، فذهب من هناك إلى «تجورارن»، ومات بها سنة أربع وستين وألف.

وكان ـ رحمه الله ـ ينتحل السيمياء والكيمياء، ويحسن الأوفاق، ويخبر عن نفسه ببعض ذلك، وخلف كتباً كثيرةً، وأوصى بها لخدام الروضة النبوية، وأوصى بأن يصبّر شخصه بصبر وكافور، ويحمل إلى المدينة الشريفة، يدفن بها، وعين لمن يحمله نحواً من ثلاثمائة دينار من مخلفه.

وكان له فرسٌ أدهم، من عتاق الخيل، أوصى بها للجهاد، وأعتق عبيده، ودفع لكلٍّ حصةً من ماله، فلما مات، أنفذ أهل البلاد وصيته، إلا في حمله، فإنهم لم يجدوا من يحمله، معتلين بخوف ظلم الولاة بمصر والحجاز، أن يطالبوهم بماله، إذا رأوا جنازتـه محمولةً من الغرب، ويقولون: ما فعل به هذا، إلا وله أموالٌ تفوت الحصر، فدفنوه في بلادهم، بعد أن همّ بعض التجار برفعه.

وبقيت كتبه هناك مدةً، ثم حملوها إلى القليعة، فارين بها، لما بلغهم أن متولي البلد يتحدث بأخذها، ولم تزل هناك، إلى أن ذهب الشيخ علي الحفيان للحج، بعد ذلك بسنين، فبعثوها معه، وضاع كثيرٌ منها بسبب ذلك، وقد رأيت بعضها بالمدينة المشرفة، ورأيت زمام ما وصل منها، وليس يشبه ذلك عدة كتبه.

وقد أخبرنا قبل موته بسنة، لما لقيته بفجيج: أن كتبه تبلغ قريباً من ألف وخمسمائة تأليف، التي بلغ منها إلى المدينة، مائة وتسعون سفراً، رأيت منها جملةً كثيرةً، وهي كتب نفيسةٌ اقتنى أكثرها لما كان بمدينة قسطنطينية، اشتراها له الوزير الأعظم، بسبب حكاية وقعت معه، قبل أن يتولى الوزارة.

وذلك أنه لقيه ببغداد، عند ضريح قطب الزمان، الشيخ عبد القادر الجيلاني، والوزير إذ ذاك مصروفٌ عن عمالة كبيرة، من أعمال السلطان، فهو يتخوف ويؤمل الوزارة، فقال: يا سيدي! ادع الله لي، فإن توليت الوزارة، فاقترح علي ما شئت، فلما ذهب سيدي محمد إسماعيل إلى القسطنطينية، وجده قد تولى الوزارة، فأكرم مثواه، وأحسن نزله، فقال له: شأنك ما تقترح؟ فقال: إن بهذه المدينة كتباً نفيسةً، وليس لي ما أحصل به أمنيتي، فبعث إلى دلالي الكتب، وقال لهم: كل ما يقع بيدكم من الكتب، اعرضوه على هذا الشيخ، فما استحسنه منها، فاتركوه له، وخذوا الثمن من عندي لأربابه، فلم يزل ذلك دأبه، مدة إقامته هناك، ولو استقصينا أخباره، لطال الكلام.

ومن محاسنه: أنه لما دخل إلى طرابلس الغرب، قال له عاملها عثمان باشا: اقترح علي، فقال له: إني أريد أن تحرر كل من في عمالتك من الأشراف،

فلا يعطون شيئاً مما يعطيه غيرهم، وتحرر جيران الشيخ زروق، فعد من في عمالته من الأشراف، فوجد نحواً من خمسمائة دار، فحررت كلها، ولم يؤخذ منها شيء إلى الآن، ولعمري! إنها لفعلةٌ حسنة.

وأنشدني عند تأسفه على ما مضى من تطوافه في البلاد على غير طائل:

مشيناها خُطًا كُتبت علينا ... ومن كُتبت عليه خُطًا مشاها

وأرزاقٌ لنا متفرقاتٌ ... فمن لم تأتِه منها أتاها

وأنشدني:

فسدَ الزمانُ فما ترى من حاله ... وكذا عَوائدُ آخرِ الأزمانِ

وأولى من هذا قول الآخر:

يقولون الزمانُ به فسادٌ ... وهم فسدوا وما فسد الزمانُ

وبالجملة: فهذا الرجل كان أعجوبة زمانه، ونادرة وقته، سخاءً ونجدةً، وعلو همة وعبادة، ولولا ما ابتلاه الله به، من وسوسة الإمارة، التي توسوس في دماغه، فلا تدعه يسكن في مكان، ولا يقر له معها في أرض قرار - نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة من كل ما يقطع عنه بمنه وكرمه -. انتهى.

والقُلَيْعة: تصغير قلعة، وهي قريةٌ حصينةٌ، على حجر صلد، في سفح جبل منقطع، عند «سطا»، وبها آبارٌ كثيرةٌ طيبة الماء، ونخيل ليس بكثير، وهي من طاعة سلطان واركلا.

[١٤٥] الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي[١].

كان إماماً جليلاً، عالماً عاملاً، كثير الخوف من الله سبحانه، محباً للفقراء، صارفاً لبيت المال مصارفه، ورعاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، نشأ على طاعة الله تعالى من صغره، لم تُعهد له صبوة.

وقرأ فنون العلم في بدايته، على القاضي أحمد بن سعد الدين، وعلى السيد حسن بن المطهر الجرموزي، وأخذ الحديث عن محدث الشافعية باليمن، الشيخ عبد العزيز المفتي التعزي، وأحمد بن عمر الحبيشي التعزي، وغيرهم.

وحج سنة ست وستين بعد الألف، وزار النبي ﷺ، وعمره نحو سبعة عشر عاماً، ومعه جماعةٌ من أعيان العلماء، وأكابر الأعيان، أرسلهم والده معه، وأخذ عن علماء الحرمين، وأجازه كثير منهم، وشهدوا له بكمال الفضل، وتصدق بالحرمين بصدقات نافعة.

ثم رجع إلى اليمن، وتولى الأعمال المهمة، في زمن والده، وولي صنعاء مدةً مديدة، وكل بلدٍ تولاها أحسن سيرته فيها، ولما توفي والده، عرض عليه الإمامة، الإمام أحمد بن الحسن، فأباها بقوله: يأبى الله ذلك وأنت حي، فوليها الإمام أحمد بن الحسن، وكان المترجم أكبر أعوانه على معارضيه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٦)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٩٣٦) (٥٨٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٧).

ولما مات أحمد بن الحسن، أجمع الأئمة والعلماء وعامة الناس عليه، ولم يختلف عليه أحد، فوليها، وسار السيرة المرضية، وطريقة الأئمة الهادين، وغمر الناس برد ظل عدله، وأمر بإحياء العلوم والمدارس، وقرب العلماء، وتعهد أحوال الفضلاء، وأدى حقوق الضعفاء، وأمر برفع المظالم.

ولكن لكثرة حلمه، وعدم بطشه، وتوقفه عن الإقدام على الفتك، لم يمتثل أمره باطناً الأئمة من بني عمه وإخوانه، فكان إذا أرسل إلى أحد منهم برفع مظلمةٍ، امتثل أمره، وعمل به، فإذا رجع مأموره، عاد لحاله، وكل منهم بسط يده على البلاد التي هو فيها.

فكثرت الفتن بسبب ذلك، ولم ينتظم له حال، وكان مراده أخذهم بالحيلة والسياسة، فلم تطل مدته، وتوفي ثالث جمادى الثانية، سنة سبع وتسعين وألف، وكان مرضه علةً في رأسه، وربما انضم إليها غيرها من سمٍّ أو غيره.

فقد روي: أنه خرجت قطعة من كبده بالقيء، أمر بدفنها معه، وعرف سبب ذلك، وسئل عن سببه، فقال: الله سبحانه حسيبُ الفاعل، ولم يُظهره، وكان مرضه وهو بمعبر، من أعمال جهران، وحُمل إلى الحمام، في جهات ضوران، فمات فيه، ودفن عند أبيه ـ رحمه الله ـ.

وولي بعده الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، وبايعه غالب الأئمة والأعيان، ودانت له البلاد شهراً، ثم قام عليه ولده السيد عبدالله، مع جماعة من بني عمه، وخلعوه من الإمامة، وولوا الإمام يوسف ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وبايعه الناس والأئمة، وبسط عماله أيديهم على البلاد.

وجهز الجيوش على الإمام محمد بن أحمد، فحصره بقلعة المنصورة، الحصن المشهور شهراً، ثم خرج بجيوشه عليهم، وظفر بهم، وقويت شوكتهم، ودانت له اليمن، أعلاها وأدناها، واستقل بالإمامة، وحبس أعيان الأئمة بقصر صنعاء مدةً مديدة، حتى ضعفت شوكتهم، وصاروا كآحاد الرعايا، فحينئذ أخرجهم، وعين لكلٍّ منهم ما يكفيه، وقمع القطاع والمفسدين، وهابه كبير الناس وصغيرهم، ولم يختلف عليه بعد أحد، وكان في ولايته خير كثير ـ أطال الله عمره ـ.

[١٤٦] محمد بن إسماعيل بن فضل بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر ابن علي ابن الفقيه عبدالله بن يحيى ابن القاضي أحمد بن محمد ابن الفقيه فضل بن محمد بن عبد الكريم بن محمد[1].

هذا ما وجد من نسب آل أبي فضل، ولم يعلم إلى أين يرجعون، وفي الظن: أنهم يرجعون إلى قحطان، وكان غالب عرب اليمن من قحطان، ونقل الثقة، عن الولي العارف بالله، فضل بن عبدالله صاحب الشحر: أنهم يتصلون بسعد العشيرة.

ونسب سعد العشيرة مذكورٌ في «سيرة ابن هشام»، وغيرها من كتب السير، والتواريخ، والنسب، وفي «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» للملك الغساني: سعد العشيرة هو: ابن مذحج ـ بالذال المعجمة ـ بن أدد بن زيد ابن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود ـ عليه السلام ـ بن سالح بن أرفخشه بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٢).

ابن ملك[1] بن متوشلح بن أخنونخ بن أنوش بن شيث بن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ومذحج، هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «مذحج هامة العرب وغلصمتها». قيل: إن آل أبي الفضل ينتسبون إلى بني هلال. انتهى.

الشيخ الإمام، العلامة الفقيه، أحد الأعيان المشهورين، والعلماء المحققين، ولد بـ «تريم»، وبها نشأ، وحفظ القرآن، و«الإرشاد»، وعرضه على مشايخه، وتفقه على الشيخ حسين بن عبدالله بافضل، والسيد محمد بن حسن، وأخذ عن السيد شهاب الدين.

وحج بيت الله الحرام، وتفقه بمكة على الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي، ولازمه في دروسه الفقهية وغيرها، وأخذ عن تلميذه عبد الرؤوف، وسمع من خلقٍ كثير، وأذن له في الإفتاء والتدريس غيرُ واحد من مشايخه، وأثنى عليه جماعة من الأولياء.

وكان له ذهنٌ ثاقب، وحافظةٌ ضابطة، وقريحةٌ وقادة، وفكرةٌ قوية، ونظرٌ مستقيم، مع عقلٍ وافر، وأدبٍ ظاهر، وكمال مروءة، وحسبٍ وفتوة، ودرس وأفتى، وتقريره أمتن من كتابته، ورويته أحسن من بديهته.

واشتغل جماعةٌ من الأفاضل عليه، وتفقه به كثيرون، منهم: القاضي أحمد بن حسين بافقيه، والسيد أبو بكر بن محمد بافقيه، صاحب «قيدون»، وعبد الرحمن بن عبدالله بافقيه، وبنو عبد الرحمن بن شهاب الدين، وغير هؤلاء، وله فتاوى كثيرة، لكنها غير مجموعة، وهي مفيدة جداً.

---

(١) كذا في الأصل.

وكان من أورع أهل زمانه، وأكمل أهل عصره وأوانه، متقللاً من الدنيا، زاهداً فيها وفي مناصبها، متقشفاً في ملبسه ومأكله ومسكنه، وكان له خط حسن، يضرب به المثل في الصحة، وكتب بخطه عدة كتب، وجمع بين العلم والعبادة، والمجاهدة والزهادة، واشتهر في الديار الحضرمية، بانفراده بتحقيق العلوم الشرعية، ولم يزل على الحال المرضية، إلى أن **وافته المنية**، سنة ست بعد الألف بتريم، ودفن بمقبرة القريط، وتعب الناس لفقده، وعظم حزنهم من بعده ـ رحمه الله ـ.

[١٤٧] محمد بن إسماعيل ابن المفتي الزبيدي.

كان من علماء الظاهر أولاً، فحصلت له جذبةٌ بعد الأربعين، وسلك عند بعض المشايخ، حتى وصل إلى غاية ما يتمناه، وهو مستغرقٌ، منجمعٌ عن الناس، وله كراماتٌ ظاهرةٌ، وأحوال سنيةٌ، يقال: إنه غوث في هذا العصر.

ومن جملة حاله: أنه كان يكشف أحوال الرجال الذين يزورونه، بمجرد ما يراهم، قال المولى فروخ المكي: وصلت إلى خدمته، سنة أربع بعد الألف، فأقمت عنده مدة، ثم قلت له: يا سيدي! أريد أسافر اليمن، وأزور المشايخ، فقال: الذي تريد من المشايخ عندنا موجود، ولا ينبغي لنا أن يكون محبنا محتاجاً إلى آخر، فقلت: لابد من الرواح، فقال: تروح، ولكن تتعب كثيراً، قال: فكان كما قال أيضاً.

وقلنا له عند المفارقة: يا سيدي! قد آنست بك، والآن أذهب إلى الحرمين، فكيف يكون حالي إذا غلب عليّ الشوق للقائك؟ فقال: يمكن

أن تراني تحت الميزاب، أو عند الملتزم، قلت: وأنا أريد الارتحال إلى المدينة الشريفة، قال: وأنا أصلي العصر بها يوم الخميس، واشتغل بالصلاة على النبي ﷺ من العصر إلى آخر النهار، عند باب السلام. انتهى[1].

[١٤٨] محمد بن بدر الدين بن عبد القادر بن محمد بن بلبان الخزرجي البعلي الأصل، الحنبلي الصالحي المنشأ والمولد[2].

شيخ الشام زهداً وعبادةً وعلماً، كان أحد الأئمة العلماء المنقطعين إلى الله، بصالحية دمشق، لعبادة الله تعالى، وإقراء العلوم النافعة، ومكن الله منزلته في القلوب، وأجلَّه الخاص والعام، حتى كانت تقصده الرؤساء للزيارة والتبرك[3]، ويعرضون عليه المال، ولا يقبل من أحدٍ شيئاً، ولا يستشرف له.

وكان متواضعاً ربانياً متألهاً، حسن الخلق والخُلق، إذا رآه أحدٌ، عرف بمجرد رؤيته ولايته؛ لإحاطة النور به، من طاعة الله، حلو العبارة، كثير التحري في أمور الدين والدنيا، وحاصل حاله: أنه لم يكن في عصره بدمشق أزهد منه بالإجماع، وإذا ألجأ من أحد محبيه بشيء من الدنيا، يحضر جماعةً مستحقين، بحضرة صاحب المال، ويصرفه على يده، ولا يمسك منه شيئاً بيده.

---

(١) سبق التنبيه على مثل هذا، وأنه من مبالغات الصوفية، وربما كان من تعامل بعضهم مع الجن والله أعلم.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٠١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٥١).

(٣) التبرك لا يكون إلا بشخص النبي ﷺ وآثاره، ولو كان التبرك بمن بعده صحيحاً لتبرك التابعون رحمهم الله بالصحابة ﷺ، ومن المعلوم أن هذا لم يقع، فوجب التنبيه، ومثل هذا كثير الوقوع في هذا الكتاب، رحمه الله المصنف وغفر له.

وكان حسن الخط، يكتب بالأجرة، ويحصل الكتب بخطه، ويبيعها ويصرف منها، وكان إذا دخل الإنسان إلى بيته، وجد عنده من الطعام والفاكهة ما لا يجده عند الأغنياء، وكان لا يخرج من بيته إلا إلى الدرس، وصلاة الجماعة بمسجد السليمية، حسن السمت، صموتاً، مشتغلاً بما يعنيه من أمور دينه ودنياه.

قرأ في الفقه على الشهاب أحمد بن علي المفلحي، وفي غيره على الشهاب أحمد العيثاوي، والشمس الميداني، والنجم الغزي، وكثير، وعنه: أبو المواهب الحنبلي، وعبد القادر بن عبد القادر بن عبد الهادي، وحمزة الرومي، وعبد الحي العكري.

ولما قدم إلى دمشق الوزيرُ مصطفى باشا الكبرلي، بعد رجوعه من الحج، لازمه، وأخذ عنه، واختص به، وكان يعتقده كثيراً، وعرض عليه وظائف نافعة، فلم يقبل شيئاً، وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثلاث وثمانين وألف، بالصالحية، وصلى عليه إماماً بالناس، بالجامع المظفري، ولدهُ عبد الرحمن، ودفن بسفح قاسيون، في الطرف الشرقي، بالقرب من الروضة، وكان له مشهد عظيم.

وأخبرني تلميذه، صاحبنا الفاضل، محمدُ بن عثمان الهوش: أنه كان كثيراً ما يورد كلام الحافظ أبي الحسن علي بن أحمد الزيدي؛ نسبة لزيد بن علي بن الحسين؛ لأنه من ذريته، ويستحسنه، ويعمل به، وهو قوله: اجعلوا النوافل كالفرائض، والمعاصي كالكفر، والشهوات كالسم، ومخالطة الناس كالنار.

ومن غريب ما نقل بعض تلامذته عنه: أنه كتب ثمان نسخٍ من «فتح

الباري» لابن حجر، غير ما كتبه بالأجرة لنفسه، ومن كتب لا يحصى عدها، مع اشتغاله غالب نهاره بإقراء العلم والدروس، وكل ذلك من بركة الأوقات، وتقوى الله.

[١٤٩] محمد بن بركات بن محمد بن عبد الرحمن السقاف، عرف جده بكرشه باعلوي الحسيني.

صاحب المناقب المأثورة، والكرامات المشهورة، أحد أولياء زمانه، وأعجوبة دهره وأوانه، ولد بمدينة «تريم»، ونشأ بها، وصحب جماعةً من أكابر العارفين، ثم حصلت له جذبةٌ ربانيةٌ.

وربما حصلت منه أمورٌ ممنوعةٌ في ظاهر الشرع؛ كإتلاف الأموال بالنار، ورميها في البحر، من غير سبب ظاهر، والاعتذار عن مثل هذه الأفعال غير خافٍ على ذوي البصائر.

وكان لا يقيم ببلدٍ سنةً كاملةً، بل يتنقل في البلدان، كأنه المعني بقول أبي العلاء:

أبالاسكندرِ الملكِ اقتديتُمْ فلا تضعون في أرض وِسادا؟

أو كأنه على رأي الحريري في «المقامات» من الذين لا يتخذون أوطاناً، ولا يهابون سلطاناً، فرحل إلى الهند والحبشة والسواحل واليمن والحجاز، وكان يتردد إلى مكة المشرفة، وكان قاضيها ورئيسها القاضي حسين يحبه ويعتقده، وأملكه على ابنته.

وكلما دخل بلدةً، تصرف في أهلها ـ سيما ولاتها وحكامها ـ تصرفَ الملوك، وكان كل حاكم يأتي إلى اليمن، من قبل الدولة العثمانية، يكون

تحت أمره المطلق والمقيد، ويشتد بالأمر على خدمه وخاصته، وكانوا يعطونه من الأموال والجواهر، والملابس الفاخرة، والخيل المسومة والأمتعة، ما لا يحصى كثرةً.

وكان كثير الإنفاق على أصحابه، ومَن عنده من أحبابه، لاسيما إذا خرج إلى حضرموت، فكان يعمل الأطعمة النفيسة، ويمسك من جاءه زائراً إلى آخر الليل، وكان لا ينام إلا قليلاً، وما فضل من الطعام، يفرق على جميع جيرانه.

وكان عظيم الهيبة على جماعته، ذا نور يتطور لهم طوراً بعد طور، وربما أنكر عليه أنه إذا جاء وقت الصلاة، أمرهم بها، ولا يصلي معهم، بل يغيب عنهم، وكل من أنكر عليه حاله، إذا اجتمع به، زال عنه ذلك، وكان لا يجتمع إلا بآحاد الناس، وكان قليل الشطح، وكانت الملوك والسلاطين تعتقده، وإذا كتب لأحد في شيء، لا يستطيع رده.

وبالجملة: كان ذا بر وأحوال ومعروف، وطريق غير مألوف، وله كرامات خارقات، كما أخبرني بها بعض من شاهدها من الثقات.

منها: أنه كان يأخذ من التراب والمدر والحجر، ويعطيه من شاء من أصحابه، فيجده نقداً أو سكراً أو حلوى، على حسب ما طلبه منه ذلك الشخص، وهذه الكرامة مستفيضةٌ عند أهل مكة وحضرموت ممن شاهدها.

ومنها: أن أحد باشوات اليمن أتى إلى بيته لزيارته بخيله ورجله، فأكرمهم، وقال له خادمه: ليس عندنا شيء من البخور، فأدخل يده تحت ثيابه، وأخرج قطعة عنبر، وقال: بَخِّرهم بهذا.

ومنها: أنه اشترى بقرةً، ولم يكن عنده شيء من ثمنها، فاستمهل

صاحبها، فامتنع، فضرب صاحب الترجمة قرن البقرة ضربات، على عدة ثمن البقرة، فتناثر قدر ثمنها.

نقل هاتين الكرامتين شيخنا العلامة محمد بن بكر الشبلي العلوي، عن السيد عيدروس بن حسن البار ـ رحمهما الله ـ.

قال شيخنا المذكور:

ومنها: ما أخبرني خادمه عبدالله بن كليب، قال: أرسلني السيد إلى السلطان عبدالله بن عمر الكثيري، يستشفع في رجل، فامتنع وقال: هذا رجل لنا عليه أموال، وفعل أفعالاً قبيحة، قال: فأخبرت سيدي، فسكت وإذا بالسلطان يدق الباب، ففتح له، فاعتذر واستغفر، وقال: أصابتني ريح في بطني كادت أن تهلكني، فمسح بيده الشريفة على بطنه، فعوفي لوقته.

ومنها: أنه لما سافر إلى المدينة ـ على مشرفها أفضل الصلاة والسلام ـ، نزل خارجها، ولم يدخلها، وخرج له أكابر المدينة وأعيانها، ووقع في نفس شيخ الحرم شيء على السيد من عدم دخوله، وساء ظنه به، فدخل تلك الليلة الحجرة الشريفة، فوجد صاحب الترجمة عند القبر الشريف، داخل الحجرة، فبهت، واستعظم ذلك، فلما أصبح، خرج له معتذراً، فكاشفه السيد، وقال: أتظن أن هذه الجدران تحجبنا؟

وغير ذلك من الكرامات الشهيرة، والمناقب الكثيرة، مما فاح نشرها، ولاح فجرها، ويطول ذكرها.

ولم يزل يرد المناهل العذبة، ولم يقتصر على فرد منهل؛ عملاً بقول الأول: فلذَّاتُ الهوى في التنقل، ثم استقر في بندر «المخا»، وطنب به خيامه،

وقصد الاستقرار فيه والإقامة، فدعاه أجله فلبى، وقضى من الحياة نحبا، فتوفي في سنة ثمان وأربعين بعد الألف، ودفن خارج العمران، من جهة اليمن، وعمل قبره عريش من القصبان.

وقبره أشهر من نار على علم، مقصود محترم، ومن أساء الأدب عنده، عوجل بالعقوبة، إلا إن بادر بالاستغفار والتوبة، ووقع لبعض العجم أنه أساء الأدب في حضرته، فنهاه الخادم فلم ينته، فتزحلقت رجله، وصار يتحرك كالطير المذبوح، ومات لوقته، وهذه من كراماته، أعاد الله علينا من بركاته.

وذكر السيد محمد بن الطاهر بن بحر في «تاريخه»: أنه اجتمع بصاحب الترجمة في المخا، سنة إحدى وأربعين وألف، وحكى له: أنه كان يتردد إلى ظاهر المخا خمساً وعشرين سنة لم يدخلها، وذكر أن الشاذلي ـ نفع الله به ـ، لم يؤذن له في الدخول. انتهى.

[١٥٠] محمد بن برهان المحلي المصري.

كان إماماً في فنونٍ كثيرةٍ، خصوصاً المعاني والبيان والمنطق، وله مؤلفات، منها: «تأليف في الاستعارة وأقسامها»، وكان يتعاطى التجارة، وتكرر دخوله للحرمين واليمن، وأذن عنه شيوخ كثيرون، منهم: السيد أبو بكر بن أبي القاسم، وأخوه السيد سليمان، توفي بأرض مصر، في نيف وثلاثين وألف.

[١٥١] محمد بن بيري[١].

ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان حسن الخط، له معرفةٌ تامةٌ

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١١٠) (٣٤).

بكتابة الديوان، ومعرفةِ أساليبه، وكان عند كاتب الولايات، أول ما دخل بلاد الشام، وكان عنده دفترٌ بأراضي الشام، وضواحيها وقراها وأوقافها، بحيث صار آخر أمره مرجعاً لأهلها، وتفرغ آخراً عن المناصب.

وكانت له فضيلةٌ تامةٌ، ومعرفةٌ بالعلوم العربية، وكان يقتني كتب التواريخ والأدب والتفسير وغيرها، وملك من نفائس الكتب شيئاً كثيراً، وكانت علماء الشام تتردد عليه في المهمات، فيكرمهم غاية الإكرام، ويقضي حوائجهم.

وكان من أصحاب الرأي، وربما أصلح بين من يقع بينهم، وكانت الحكام ترجع إلى رأيه، وكانت له شفقةٌ زائدةٌ، ومحبةٌ لفعل الخير، خصوصاً من انتسب إليه، وأعتق مماليك كثيرة، بعد أن يحسن إليهم، ويأخذ لهم ما يكفيهم من المعاش.

وبالجملة: كان من محاسن دمشق، **توفي** بالعرار، راجعاً من البقاع، في أواخر ربيع الآخر، سنة خمس عشرة بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة، في فتنة ابن جانبولاد ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٢] محمد بن تاج الدين الكوراني الحلبي(١).

كان من أجلِّ الكتاب، المنفردين بأنواع الفضائل والآداب، لم يزل مدة عمره مبتلًى بخدمة القضاة، مقدماً على غيره؛ لعفته وتقواه، منفرداً بكتابة الوثائق والصكوك، ورد ألفاظه في قالب الفصاحة مسبوك، وله في القريض، أبياتٌ تخجل برقتها الخدود والوجنات؛ **كقوله في معذر**:

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦١٣) (١٢٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٢٤).

ومهفهفٍ كَمُلَتْ محاسنُ وجهِه   من فوقِ غصن قَوامِه المتمايلِ
وبدا طرازُ عِذارِه فكأنه   بدءُ الخسوفِ لبدرِ تَمٍّ كاملِ

وقوله:

لما تأمل بدرُ التمِّ عارضَه   وقد بدا في مُحَيَّا نوره سطعا
بدا به غيره خشف وشبهه   كأنه في محياه قد انطبعا

وقوله:

ومعذرٍ فتك الأنام بحسنه   وسطا بمرهَفِ لحظِه المتنعسِ
جعل العذار لثامه متنكراً   كيلا يحاطَ به لقتلِ الأنفسِ

وقوله:

ومعذرٍ لَدْنِ القوامِ ووجهُه   بدرٌ تبرقع بالعذارِ الأخضرِ
طلع العذارُ بخده فكأنما   فتقت لنا ريح الجلاد بعنبر

توفي بحلب سنة إحدى وخمسين وألف.

[١٥٣] محمد بن تاج الدين بن محمد محاسن، الشهير بالمحاسني، الدمشقي الحنفي، سبط الشيخ حسن البوريني[١].

وخطيب مسجد بني أمية، كان من سراة علماء دمشق وأدبائها، وأكابرها وعظمائها، قرأ وكتب، وبرع وخطب، ونافس أخدانه في العلم والأدب،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٠٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٥٣) (٢٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٦٢).

وتنقلت به المراتب العلية حتى تولى مدرسة قبة النسر بمسجد بني أمية، وحظي في عصره بالقبول والظهور، واشتهر أدبه وفضله عند البدو والحضور، وأخذ العلم عن النجم الغزي، والشمس الميداني، والشهاب البيضاوي، وعن شيوخ آخرين تنيف عن ثلاثين، وعنه: أخوه إسماعيل، وعلاء الدين الحصكفي، وعبد الحي العكري، وكثير، وقد رأيته وأنا دون الاحتلام بدمشق الشام، وكانت داره قريبة من دارنا، ولأهلنا به اختصاص كبير، توفي سنة سبعين بعد الألف، ودفن بباب الصغير بتربة دمشق المشهورة.

وله شعر حسن منه قوله:

لو كنتُ بمرأًى من حبيبٍ نَزَحا   ما كان دخيلُ الوجد مني فَضَحا
لكن بَعُدوا فصار سِرِّي عَلَناً   من بعدِهم وعاد كأسي قَدَحا

وقوله:

قسماً بالعفاف في الحبِّ عما   يغضبُ اللهَ من كلا الطرفينِ
لم يغيرْ ما بيننا البعدُ إلا   أنَّ طِيبَ الرقادِ فارقَ عيني

وقوله:

لكل بني الدنيا مرادٌ ومقصدُ   وإنَّ مرادي صحةٌ وفراغُ
لأبلغَ في علم الشريعة مبلغاً   يكون به لي في الجنان بلاغُ
ففي مثل هذا فلينافس أولو النهى   وحسبي من الدنيا الغَرورِ بلاغُ
فما الفوزُ إلا في نعيمٍ مؤبدٍ   به العيشُ رغدٌ والشراب مُساغُ

[١٥٤] محمد بن جابر، صاحب «المدحاية».

قريةٌ بأسفل المحويت القبلي، من جبل قيس، من أصحاب الشيخ عمر ابن جبريل، كان من أعيان القوم، وأكابر أهل الطريق، وكان له جمع للذكر، توفي قبيل سنة عشر بعد الألف.

[١٥٥] السيد محمد بن جماع.

من أعيان أشراف «صبيا»، وسكن «العرقوب» بقرب المحويت، وكان آيةً في الدين والصلاح، وكان السادة النزيليون يعظمونه ويعتقدونه، وله معهم كرامات كثيرة، مات بكوكبان سنة إحدى أو اثنتي عشرة وألف، ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٦] محمد بن تاج الدين بن محمد الحنفي، المقدسي الأصل، الرملي المنشأ والمولد، مفتي الرملة[1].

الشيخ الإمام العلامة، الصالح التقي الفهامة، الذي ركَّب اللهُ ذاته من اللطف، فتراه من رقة الطبع بمكان مكين، وأعطاه سبحانه من الصبر والحلم، ما يكلُّ عنه الوصف والتبيين، إلى صفاء باطنٍ، وقلبٍ سليم، وثبات جأشٍ، وحسن خلقٍ عظيم، وعلم بلغ به الغاية القصوى، وإظهار عجزٍ، وتبرِّي من الدعوى.

وبالجملة: فإنه نادرةٌ من نوادر بلاد فلسطين، ومنَّةٌ منّ الله به على أهل إقليمه بيقين، فإنه محضُ خيرٍ، ولا يسعى إلا فيه، ولذلك طيب الله عيشه، ونصره على مناوئيه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤١١).

مولده يوم الثلاثاء، ثاني شهر ربيع الثاني، سنة اثنتين وأربعين وألف بالرملة، وجاء تاريخ مولده: «يحفظه واحد ودود»، وحفظ القرآن وجَوَّده ببلده، وقدم مصر في شبيبته، وقرأ بالروايات على شيخنا سلطان المزاحي، جميع القرآن للسبعة، ثم ختمه أخرى، للعشرة من طريق «الدرة».

وأخذ عنه الحديث، وقرأ عليه «شرح ألفية ابن الهائم» للشيخ زكريا في الفرائض، وأجازه بمروياته، وأخذ الحديث أيضاً، عن محدث مصر شيخنا محمد البابلي، قرأ عليه «شرح ألفية العراقي» لشيخ الإسلام زكريا، وسمع عليه بعض «البخاري»، وبعض «سيرة ابن سيد الناس»، و«شرح الجوهرة» للقاني، وأخذ الحديث أيضاً عن العلامة المحدث عبد السلام بن إبراهيم اللقاني.

ولازم دروس شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وقرأ عليه بالروايات، من طريق السبعة، وفي «شرح ألفية الحديث العراقية» لشيخ الإسلام زكريا، وفي «الشرح المختصر على التلخيص» للسعد، و«حاشية الحفيد» للفهامة أحمد بن قاسم.

وأخذ الفقه عن فقيه الحنفية بالديار المصرية حسن الشرنبلاوي، قرأ عليه «الدرر بحاشيته عليه»، وكان معيد درسه، وعن شيخ الإسلام الشهاب أحمد الشوبري، قرأ عليه من أول «الهداية» إلى باب العتق، فقرأ الشيخ الفاتحة ثلاثاً قائلاً بعدها: اللهم أعتق رقابنا من النار، وكان ذلك آخر قراءته، ومكث أياماً قليلةً، وانتقل إلى رحمة الله ورضوانه، وقرأ على الفهامة، عبد الباقي الحنفي نزيل الأشرفية، وحفيد شيخ الإسلام، الشيخ علي المقدسي «شرح الكنز المنظوم» لابن الفصيح، وأجازه غالب شيوخه.

ورجع إلى بلده، ولازم خال والده شيخَ الإسلام، وعالم الشام، خير الدين الرملي الحنفي، زيادةً على عشر سنين، ولحظه بنظره، وأجازه بمروياته، ثم نزل عن إفتاء الرملة، وكتب إلى شيخ الإسلام إذ ذاك، يحيى المنقاري، مفتي القسطنطينية، يطلب منه الإجازة له بالفتوى، وأن يكون بدله فيها؛ لأهليته لذلك، فأجابه لملتَمِسه، وصار هو المفتي في زمان أستاذه، ولم يزل كذلك إلى أن توفي أستاذه المذكور، فانفرد بعده بالرياسة، وصار هو العمدة في ذلك الإقليم.

ولما مر الشيخ العلامة محمد بن سليمان المغربي، نزيل مكة، على الرملة، أخذ عنه، وأجازه بمروياته ومؤلفاته، وكذلك لما مر شيخنا، علامة عصره، يحيى بن محمد الشاوي، على الرملة، متوجهاً إلى القسطنطينية، سمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وقرأ عليه طرفاً من «الكشاف»، وغيره، وأجازه أيضاً بمروياته.

ومن إجازته له ولولده ـ رحمهم الله ـ:

أجزت أخانا الفاضل العَلَم الذي ... يسمى بمن في الناس في الحشر يشفع

ونجلاً له والله يُنجح قصدَه ... أباً للهدى والشخص بالاسم يرفعُ

وقال بهذا يحيى نجلُ محمدٍ ... ومن مغرب الأوطان واللهُ ينفعُ

ولما قدم مكة حاجاً، نزل قريباً من منزلي، وصحبته، وتأكدت المودة بيني وبينه؛ لما رأيته من صفاته السنية، وشيمته الزكية، وكتب لي بخطه إجازةً، بجميع مروياته.

ومما كتبه قوله:

يا مصطفايَ ومصطفى من أخلصا   إني أحبك والذي أحصى الحصا
إذ قد شهدت من المحاسن والتقى   جملاً وشاع عن النقاب ملخصا
كم أعطرت أوصافُ ذاتك مسمعي   لما شدا الشادي بها متفحصا
فلذاك قلدت الجنابَ تحيةً   للهِ لا لسواه حباً أخلصا
أعنيك قائلها الوفي محمد   من عاد كاهله بخبرك مرهصا[1]

ورجع مع الحاج المصري، قاصداً بلده، فأدركه أجله بالينبع من سواحل الحجاز، فتوفي في عاشر محرم، افتتاح سنة سبع وتسعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٥٧] السيد محمد بن حسن بن شدقم الحسيني المدني[2].

قال صاحب «سلافة العصر»: فرعٌ ثبت أصلهُ فنما، وزكا جَدّاً وأباً وأُمَّاً، طابت بطيبة مغارس جدوده وآبائه، وتفرعت بها مفارع مجده وإبائه، فانفسحت خطاه في الفضائل والمآثر، وأذعن لأدبه كل ناظم وناثر، وله شعرٌ غرد به ساجع براعته وصدح، وأورى زناد البيان بحسن براعته وقدح، فمنه قوله مذيلاً بيت أبي دهبل، مقتفياً للشريف المرتضى:

وأبرزتها بطحاءُ مكة بعدما   أصاتَ المنادي بالصلاة فأعتما
فأَرَّجَ أرجاءَ المعرَّفِ عَرْفُها   وأضوى ضِياها الزرقان[3] المعظما

(١) في الأصل: مرهقا.

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٥٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٣٠) (٣١٧).

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الزبرقان.

وحَيَّا محياها الملبون وانتشَوْا بنَشْر محياها الممنع واللما
وروض منها كل أرض مشت بها بحر التصابي بين أترابها الدما
هي الشمسُ إلا أَنَّ فاحمَها الدجا هي البدرُ لكنْ لا يزال مُتَمَّما
تجول مياهُ الحسن في وَجَناتها وتمنعُ سلسالَ الرّضابِ أخا الظما
وتسلبُ يقظانَ الفؤاد رشادَه وتكسو رداءَ الحسن جسماً مُنَعَّما
مهاةٌ يصيدُ الأسدَ سهمُ لِحاظها ومن عَجَبٍ صيدُ الغزالةِ ضَيْغَما
يُعَلِّلني كر الحمام ترنمٌ وما شَغَفي لولا الغزالةُ بالحمى
وأصبو لنجد الرياح تعللاً ومن فقدَ الماءَ الطهورَ تَيَمَّما

قال السيد المرتضى في كتابه «الدرر والغرر»: ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دهبل:

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما أصات المنادي بالصلاة فأعتما

وسألني إجازة هذا البيت، بأبيات تنضم إليه، وأجعل الكتابة عن امرأة، لا عن ناقة، فقلت في الحال:

فَطَيَّبَ ريّاها المقامَ وضوأتْ بإشراقِها بين الحطيمِ وزمزما
فيا ربِّ إن لقيت وجها تحية فحيي وجوهاً بالمدينة سهما
تجافَيْنَ عن مسِّ الدهانِ وطالما عصمن عن الحناءِ كفاً ومِعْصَما
وكم من جليدٍ لا يخامره الهوى شَنَنَّ عليه الوجدَ حتى تَتَيَّما[1]

(١) في الأصل: تيتما، والصواب ما أثبت.

أهانَ لهنَّ النفسَ وهي كريمةٌ		وألقى إليهنَّ الحديثَ المُكتَّما
سفهْنَ لما أن برزت بدارها		وعوجلت حين الحلم أن أتحلَّما
فعجت تقرَّى دارساً متنكراً		وتسأل مصروفاً عن النطق أعجما
ويومَ وقفنا للوداعِ وكلُّنا		يَعُدُّ مطيعَ الشوقِ من كان أحزَما
فصرتُ بقلبٍ لا يعنَّفُ في الهوى		وعينٍ متى استمطرتُها قطرت دما

قال السيد علي في «سلافته»، وقلت أنا ناسجاً على هذا المنوال:

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما		أصاتَ المنادي بالصلاة فأعتما
فَضَوَّأَ أكنافَ الحَجون ضياؤُها		وأشرقَ بين المأزِمَيْنِ وزمزما
ولما سرتْ للركب نفحةُ طيبِها		تغنَّى بها حاديهمُ وَتَرنَّما
أناة هي الشمسُ المنيرةُ في الضحى		ولكنها تبدو إذا الليلُ أظلما
تعلَّم منها الغصنُ عطفَة قدِّها		وما كان أحرى الغصن أن يتعلَّما
وأسفرَ عنها الصبحُ لما تلثَّمَتْ		ولو أسفرت للصبح يوماً تلثَّما
إذا ما رَنتْ لحظاً وماست تَأَوُّداً		فما ظبيةُ الجَرْعا وما بانةُ الحمى؟!
تراءت على بُعْدٍ فكبّر ذو التقى		ولاحت على قربٍ فصلَّى وسلما
وكم حَلَّلَتْ بالصبر قتلَ أخي الهوى		وكان يرى قبلَ الصدود محرّما
وظنَّتْ فؤادي خالياً فرمَتْ به		هوى عادَ دائي منه أدهى وأعظَما
ولو أنَّها أبقَتْ عليَّ أطقتُه		ولكنها لم تُبق لحماً ولا دما

قال: وأنشدني صاحبنا أحمد الجوهري لنفسه، قال:

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما		أصات المنادي بالصلاة فأعتما

فشاهدت من لو أبصر البدرُ وجهَها لكان بهـا مُـضْنًى وَلوعـاً ومُغْرَمـا
ولو عرضَتْ ركبَ الحجيج تصدُّه للبّـى لمـا يـدعو هواهـا وأحرمـا
وعَـرَّفَ بالكثبـانِ مـن عَرَصـاتها وقال. . . لي دارهـا حـين خَيَّمـا
فلا تعذِلوا فـي حـبِّ ظميـاءَ إنهـا لها مبسَمٌ يشفي الفؤاد مـن الظَّمـا
وأعذبُ من صَوْبِ الغمامةِ مرشـفاً وأضـوأُ مـن لمـع البـروق تبسُّما
وأجملُ من ليلـى وسـلمى وعـزةٍ وسُعْدى ولبنـى والربـاب وكَلْثَمـا
وكم ملـكٍ فـي قومـه كـان قـاهراً فأضحى ذلـيلاً فـي هواهـا مُتَيَّمـا
يَـدينُ بمـا تهـوى مطيعـاً لأمرهـا وإن ظلمَتْـه لـم يكـنْ مُتَظَلِّمـا
تظلُّ الملوك الـصِّيدُ تعثـر بـالثرى إذا قاربوا أو شاهدوا ذلك الحمى

وأما بيت أبي دهبل المذيَّل عليه، فهو من قصيدةٍ له، يصف ناقته، حدث موسى بن يعقوب، قال: أنشدني يوماً أبو دَهْبَل قوله:

ألا علـقَ القلـبُ المتـيمُ كلثَمـا لجاجاً فلم يلزم من الحبِّ ملزمـا
خرجتُ بها من بطنِ مكةَ بعـد مـا أصاتَ المنـادي بالـصلاةِ فأعتمـا
فما نـام مـن داعٍ ولا ارتـدَّ سـامرٌ من الحيِّ حتى جاوزَتْ بي يَلَمْلَما
ومرت ببطن الليـث تهـوي كأنهـا تبـادرُ بـالإدلاج نهبـاً مقـسَّما
وجارت على البزواء والليثُ كاسرٌ . . . بـالبزواء ورداً وأدهمـا
فما رد قرن الشمس حتـى تبينـت بـسيب نخـلاً مـشرفاً أو مخيمـا
ومرتْ على أشطانِ دوقةَ بالضحى فما حـدرتْ للمـاء عينـاً ولا فمـا
ومـا شـربَتْ حتـى ثنيـت زمامَهـا وخفـتُ عليهـا أن تجـرَّ وتَكْلَمـا

فقلتُ لها قد نلتِ غيرَ ذميمةٍ ... وأصبحَ وادي البرق غيثاً مديما

قال: فقلت له: ما كنت إلا على الريح، فقال: يا بن أخي! إن عمك إذا هم، فعل، وهي العجاجة هكذا، رواه أبو الفرج الأصبهاني، في الجامع الكبير، وفي رواية البيت المذيل بعض تغيير، كما رأيت الروايات تختلف.

قلت: وممن ذيلها العارف بالله السيد حاتم الأهدل ـ نفع الله به ـ، فقال:

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما ... أصاخ المنادي بالصلاة فأعتما

وسرَّحْتُ عيني في رياضِ خُدودِها ... فشاهدت روضاً كالربيع مُتَمَّما

سقته مياه الحسنِ فازداد بهجةً ... وغادر قلبي بالحطيم مُحَطَّما

حسينيةٌ حسناءُ لمياءُ نحرها ... توجه قلبي بالغرام وأحرما

سعيت إليها بالصفاء مسلِّما ... لروحي وقلبي طافَ سبعاً وزمزما

غزالٌ بعين الظبي لفتةُ جيدها ... وعن قدِّها المياسِ سل بانةَ الحمى

فأَتت تُعير الشمسَ بهجةَ وجهِها ... سناها بغيرِ الحسن لن يتلثَّما

غدا خصرُها جسمي سقاماً وجفنُها ... تعدَّى على جفني وللنوم حَرَّما

إليها ثنت قلبي الثنايا صبابةً ... فيا ما أحيلى ذلكَ الثغرَ واللَّما

إذا حَدَّثَتْ فاحَ الأَنابُ وأظهرت ... برمزتها مني الحديثَ المكتَّما

[١٥٨] محمد بن الحسن العياني.

من أهل «كوكبان»، كان من أهل الفضل، أخذ عن عبد الرحمن بن حسين النزيلي، وكان عظيم القدر، عند عامة الناس وخاصتهم، وهو الذي

تولى الصلح بين الأمير محمد بن شمس الدين، والوزير حسن باشا، **توفي** سنة سبع عشرة وألف.

[١٥٩] محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي، الشهير بالحماني.

نسبةً إلى الحيمة، قبيلةٌ مشهورةٌ بنواحي صنعاء، وكان منشؤه بكوكبان، من اليمن الميمون، ذكره صاحب «طوق الصادح»، فقال:

القاضي الفاضل، الماهر في صناعة العلم والأدب، والبحر الرحب، الذي يقال للمحدث عنه: حدث ولا عجب، والقمين بجملة الحمد، وكيف لا، وهو جوادٌ تحسد الأنواء أنواله، وندبٌ إذا سئل أسلة لسانه لا ينشا، وجب التسليم فيما نواله، وبدرٌ تتكلف البدورأن تحاكيه سناءً وسَناً، وصدرٌ توجد براعته، ويراعته للبائس الحزين غناءً وغنىً، وبحر قضاءٍ غدت شريعته على وقف مراد الشارع، وهمامٌ بعيد الهمة، له من سماء المناقب قمراها، والنجوم الطوالع، وخاتمُ نبوة القريض، فلا نبوة بعد محمد، وينبوعُ معين الأدب، فلو كان في الزمن السالف، احترق من جسده المبرد، وكعبةُ فضلٍ يطوف بها بعليائه، وهو عينه مقصر، ويهتز للذكرِ الجميل، فكأنما هزه وحاشاه، مسكراتي في شعره بكل بديع، يثني إليه لأعنة الأعنة، وقلد جيد الدهر بما أبداه من علومه، فمن به أي منه، وسحر ببيانه ألباب الألباء، وإن من البيان سحراً، وأرانا في سماء الآداب ورياضها زُهراً وزَهراً.

مولده ـ كما كتبه إليّ بخطه، سلمه الله ـ سابع عشري شهر رجب، سنة خمسين وألف، بمدينة شبام حمير، وقرأ في بدايته على والده، وغيره من علماء كوكبان، وجدّ في الاشتغال بالعلوم، حتى صار من أعيان فضلاء هذا

الزمان، ولطالما كنت أتشوق أخباره، وأتطلب آثاره، وتنائي الديار يحول عن ذلك، حتى جرى بيني وبينه من المكاتبة ما ذكره يطول، وسأورد منه ما يتحلى به جيدُ هذا الكتاب، وتقر به عيونُ ذوي الفضل والآداب.

توفي ببلدة شبام، سنة ألف ومائة وعشر.

فمن شعره الرقيق، الذي هو للروض شقيق، قوله:

سفكَتْ دماءَ العاشقين ولم يقلْ ... بجوازه المُفتونَ في المَفتونِ

لا تَعجبوا من عاشقٍ رضيَ الهوى ... في الناس وهو من الهوى في الهُون

فالغيدُ تقتنص الأسودَ بلحظها ... وتغادرَ المفتون حِلْفَ جنونِ

فعلام طَوَّلَ في الملام عواذلي ... وإليه تدعوني ولا يدعوني

وأنا الذي علقَ الهوى بفؤاده ... من مبدإ التصويرِ والتكوينِ

وحديثُ أشجاني قديمٌ في الهوى ... يُروى كما يروى كثيرُ شجون

ويمينُ من قال التسلِّي مذهبي ... وخذوا على ما أدَّعيه يميني

أو فاقنعوا بدليل ذاتي الضنا ... وبعارضٍ في عارضَيَّ هَتونِ

يا عاذلي دينُ المحبةِ واحدٌ ... أتريدُ تَلويني إلى تلويني

هيهاتَ أسلو من أحبُّ وحسنُه ... لصبابتي بصفاته يَسبيني

[١٦٠] السيد محمد بن الولي المشهور الجيلان بن أحمد، صاحب القبة المنيرة، ببيت عكاد، من أعمال بيت الفقيه، ابن حشيبر.

صاحب كرامات ومكاشفات، سكن «المخا»، وتوفي بها، في عشر الستين بعد الألف، وهو من بني هريرة، والمنتهي نسبتهم إلى الإمام

الهادي، المدفون بصعدة، يحيى بن الحسين بن أبي القاسم الرسي بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقيل: إنهم من ذرية جده إبراهيم بن إسماعيل، ولا يضر هذا الخلاف.

[١٦١] السيد محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن محمد[١].

قال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»: قائد الجحافل، وواحد المحافل، السلطان المسعود، وإنسان[٢] الأعلام المحمود، كان سَرِيّاً حُوَّلاً قُلَّباً، حنكته التجارب، وعرف المصادر والموارد، وصحبته السعادة، في الصغر والكبر، ولم يزل حميداً في الحالين، واستمرت أيامه على نمط واحد، غير ما لابد منه، في أوائل العمر، من الوقوف في الكتاب للقراءة، وأما مذ نيطت عنه التمائم، فما هو إلا مسود مقدم، محفوف بالجنود والبنود.

تولى صعدة ونواحيها، وما ذر الشعر بعارضيه، فحُمدت سيرته، واتصل به الفضلاء، ووفد إليه الأخيار، ونكى الأعداء، في ذلك الإقليم، على شراستهم وإبائهم، وغزا مغازي محمودة الأثر.

وقرأ ـ في أثناء هذه المدة ـ أكثر الكتب المعتمدة، على شيوخ مكة؛ كالقاضي أحمد بن يحيى بن حابس، والفقيه صديق بن رسام السوادي،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٢٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨٩).

(٢) في الأصل: وإنساد، ولعل الصواب ما أثبت.

وما يترك من مهمات العلوم فناً إلا وأبلغ جهده في الطلب، وقيلت فيه المدائح الغراء، أيام إقامته بصعدة، وأجاز الجوائز السنيات.

ولما توفي والده، وكان صاحب الترجمة يومئذ آيباً من زيارته إلى عمه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، فلما بلغ الإمام مرضه، نفذهُ إلى جهة ضوران، فوقف في الديار اليمنية متردداً بين ضوران وذمار، ثم سكن مدينتي أب وذي جبلة.

وجمع جنداً جراراً من وجوه العسكر، وكبراء الأمراء، من أعيان دولة والده، حتى توفي الإمام المؤيد، فدعا صاحب الترجمة إلى عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وسلم الأمر طوعاً له، على يدي أخيه السيد أحمد بن الحسن.

وولاه الإمام ولاية عظمى، في أقاليم وحصون ومدن، فاستمر على حالٍ حميدةٍ، محفوفاً بعساكر يضيق بها الرحب، في رفاهيةٍ ودعةٍ لما له من الإسعاد، واستمر حاله كذلك على نموٍّ وازدياد، من حدود سنة أربع وخمسين، إلى عام تسعة وسبعين، وكان يجعل شطر الإقامة بذمار واليمن الأسفل، وشطرها بصنعاء، كما كان يفعل طاوس الفقيه، من الإقامة أيام الشتاء بالجند، وأيام الربيع وما وراءها بصنعاء.

وقرأ ـ رحمه الله ـ في هذه المدة المتأخرة، تذكرة العلامة النحوي، على علامة اليمن محمد بن صلاح السلامي، وكملها على أحمد بن سعيد الهبل، وقرأ «الفصول اللؤلئية» على إبراهيم بن يحيى السحولي.

ومن مؤلفاته: «سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد» مختصر مفيد في

علم الكلام، و«شرح مرقاة الوصول إلى علم الأصول» لجده الإمام القاسم، سماه بـ «التسهيل»، وجواب مبسوط في حديث: «ستفترق أمتي»، سأله عنه العلامة أحمد بن مطير الشافعي ـ رحمه الله ـ.

وفي سنة تسع وسبعين، طلع من اليمن إلى صنعاء، وصادف قدوم عمه الإمام إسماعيل من[1] «شهارة»، متوجهاً إلى «ضوران»، فامتلأت الساحات بالخلائق، وامتلأت القلوب بالمسرة، فما كان أسرع من أن أصابه ألم، أحسبه ذات الجنب، **واختار الله له جواره**، بداره بدرب السلاطين، من أعمال الروضة، في الثلث الأول، من ليلة الخميس، ثامن شهر ربيع الأول، سنة تسع وسبعين بعد الألف، فاجتمع السادات بداره، والإمام هنالك، ودفن بقرب داره.

وكان الخطب جسيماً، لولا حضور الإمام، فإنه جبر الخواطر، واشتغل بصلاح شأن أولاده، وعرض عليهم الولاية، وحاول أن أخاه السيد أحمد بن الحسن يلم الشعث، ويحفظ البلاد والجند، فعف عن البلاد، قبل أن يعرف الإمام قدرها، فتأخر عن الجميع.

وبقي أولاد محمد بن الحسن، وهما: يحيى، وإسماعيل بعد أن بَعُد صيتهما، وذكر في الناس ذكر بأنهما قد كانا توليا ولايات من والدهما، فلذلك كان مقامهما قد كبر، فاختار الله ليحيى جواره، وكان قد ناهز الأشد، ومهر في علم الطب خصوصاً، ولما مات، بقي في يد أخيه إسماعيل جهة العُدين من مخلاف جعفر، فتوجه إليها عن أمر الإمام، فلم يصل إليها إلا وقد ألم به الألم، وتوفي في مذيخرة، فكان ذلك أنكى للقلوب، وأبكى

---

(١) في الأصل: بن، والصواب ما أثبت.

للعيون، فسبحان من له البقاء والدوام.

ولما كان ذلك، أَوَتِ العساكر إلى أخيه أحمد بن الحسن، وأعطاه الإمام إلى بلاده بلاداً، فاستوثق الأمر وانتظم.

ونُظمت في صاحب الترجمة المراثي البليغة، ووصلت التعازي إلى الإمام من مكة، وممن رثاه: ولده إسماعيل، وذكر فيها الحال، وذكر صنوه يحيى، وما أجد أوقع في القلوب منها؛ لأنها عين الحقيقة، ولا كلفة فيها، وعليها مَسْحة الحزن، ورب شاعر يشعر ويجيد، ولا يجد على مسحة ما تضمنته، من مرثية أو موعظة أو غزل، وأما هذه، فانظر بقلبك، وهي قوله:

هل أقالَ الموتُ ذا حذِرِهْ ... ساعةً عند انتها عمرِهْ
أو تراخى عن كحيلٍ رنا ... فاقَ كلَّ الغيدِ في حَوَرِهْ
أو رثى يوماً لمرضعةٍ ... طفلَها ما دبَّ في حجرِهْ
أو تراه هائباً مِلكاً ... صائلاً قد عز في نفرِهْ
أو تناسى من له نظرٌ ... تصدُر الأشياءُ عن نظرِهْ
أو تحامى روحَ سيدِنا ... مصطفى الرحمنِ في بشرِهْ
وأبا السبطينِ حيدرة ... وكبارَ الآلِ من عترِهْ
بل دهى من كان منتظِراً ... قربَه أو غيرَ منتظرِهْ
وسقاه كأسَ سطوته ... مُدْهَقاً من كف مقتدرِهْ
ما ترى عزَّ الأنام ثوى ... حفرةً إذ آبَ من سفرِهْ
لم يُقم في قصره زمناً ... غيرَ وقتٍ زاد في قصرِهْ

بعـــد مـــا قـــد كـــان غُرَّتُـــه تُرشـــد الـــساري إلـــى وطـــرِهْ

ونـــــدى كفيـــــه منهمـــــراً مـــنهلاً للـــروضِ مـــن مطـــرِهْ

كـــــان طـــــوداً لايحركـــــه أيُّ خطـــب جـــلَّ فـــي خطـــرِهْ

كـــان بحـــراً طالمـــا الـــتقط الطـــا لـــبُ المحتـــاجُ مـــن دررهْ

شـــاد ركـــنَ الـــدنيا ملتمـــساً لرضـــا الـــرحمن مـــن صـــغرهْ

وحـــوى الـــدنيا وديدَنُـــه طلـــبُ الأخـــرى إلـــى كبـــرهْ

فـــسقى الـــرحمنُ تربتـــه صَـــيِّبا ينهـــلُّ فـــي ســـحرهْ

وعمـــادُ الـــدين أزعجَـــهُ بعـــده يغـــدو علـــى أثـــرِهْ

لـــم ينـــل فـــي العمـــر بغيتَـــه لا ولا أفـــضى إلـــى وطـــرهْ

رحـــمَ الـــرحمنُ مـــصرعَه ووقـــاه الحـــرَّ مـــن ســـقرهْ

كيـــف أنـــسى شـــمسَ مفخرنـــا أو أرى الـــسلوانَ عـــن قمـــرهْ

فهمـــا قـــد أضـــرما لهبـــاً فـــي فـــؤادي طـــار مـــن شـــررهْ

وأســـالا مـــدمعاً بخلـــت أعينـــي دهـــراً بمنهمـــرهْ

لا أفـــي يومـــاً بحقهمـــا لـــو أســـلتُ الـــروح عـــن قطـــرهْ

غيـــر أن الـــصبر شـــيمتُه مـــن صـــوب الـــرحمن فـــي قـــدرِهْ

لينـــالَ الأجـــرَ منـــه إذا ذاقَ طعـــمَ الـــصابِ مـــن صَـــبرهْ

نـــسأل الـــرحمنَ خاتمـــةً برضـــا للمـــرء فـــي صـــدرهْ

ورثاه الشيخ البليغ، صارم الدين إبراهيم الهندي المهتدي، بقصيدةٍ فخيمةٍ منها:

قضى الفخارُ فلا عينٌ ولا أَثَرُ ... واحلولَكَ الخطبُ لا شمسٌ ولا قمرُ
أمهبطَ الوحيِ ما هذا الذي صنعَتْ ... يدُ القضاء وماذا أحدثَ القدرُ
وما الذي مادت الدنيا لصدمته ... تفجعاً وتوارى النجم والشجرُ
وما الذي منه باح الكونُ واضطربتْ ... له الجبالُ وريعَ الرادُ والسحرُ
وما الذي جزر البحرُ اللهامُ له ... واستشعر الحشرَ منه البدوُ والحضرُ
يا ناعيَ الجودِ والمجدِ الأثيلِ صَهٍ ... ماذا زعمتَ لفيك التربُ والحجرُ
أفق فإن جناح الجيش منخفضٌ ... مما ذكرت وقلب الملكِ منكسرُ
مهلاً رويدك فيما قد صدعْتَ به ... ذهبا بذهب فمنها السمعُ والبصرُ
مات الهمامُ أبو يحيى وحسبُك من ... رزيةٍ تتجافى حرَّها سقرُ
مات الذي كان للروادِ منتجَعاً ... وللعُفاة إذا ما أخلفَ المطرُ
مات المليكُ الذي كانت مواردُه ... للواردين عِذاباً ما بها كدرُ
هدت مباني المعالي يوم مصرعه ... ومربعُ المجد والعلياءِ مندمرُ
وأقلعت - يالَعَمْري - من أناملِه ... سُحُبٌ شآبيبُها الإبريزُ والبِدَرُ
وغاض بحرُ علومٍ منه كم حُفظَتْ ... مسائلٌ هن في جيد العُلا دررُ
وكان في صدره حلمٌ يحقِّر ما ... يجني المسيءُ وللزلاتِ يَغتفرُ

ومنها:

من للرعيل وللخيل العتاق ومن ... يزهو لديه بها التبجيلُ والغررُ
لم أنس نعشاً أضحتْ تُشيعُه الـ ... أفلاكُ والشهبُ والأملاكُ والبشرُ

ومنها:

ومـــن دعـــاء المـــؤمنين لـــه ... وسـيلة وهـي للزلفـاء والظفـر
ظهـر تحملـه ظهـرُ الـسرير ومـا ... تحملـت جـبلاً مـن قبلـه الـسررُ
يا أيها الملكُ المـولَى الخليفـة يـا ... مـن بقـاهُ لنـا المـأمولُ والـوطرُ
تعز في عـزٍّ ديـن الله سـيفُك مـن ... كانت به من هـز الآصـالُ والبُكَـرُ
وآس فيـه أخـاه الأحمـديَّ وقـلْ ... يا أحمدَ القومِ أنت الصارمُ الـذَّكَرُ
وشُدَّ أزرَ عمـادِ الـدين خيـرِ فتًـى ... لـه مخايـلُ فـضلٍ كلُّهـا غُـرَرُ
وآسِ أيضاً ضياءَ المكرماتِ تجـدْ ... مهـذباً طـاب منـه الخُبـر والخَبـرُ

وخلف أموالاً لا تعد ولا تحصى، وذكر أن خيله ألف وخمسمائة، وأما الجواري والعبيد، فكثير جداً.

[١٦٢] محمد بن حجازي بن أحمد بن محمد بن الرقباوي ـ بفتح الراء والقاف ـ الأنبابي، المصري[(١)].

نسبة لأمبابة، قريةٌ من بحري جيزة مصر، على شاطئ النيل، انتسب إليها جماعة من المتأخرين، وربما قيل لها: أُنبوبة، على وزن أُفعولة، وكأنه لِما يُزرع بها من القصب، فالأنبوبة ما بين كل عقدتين من القصب، ومن أشهر المنسوبين إليها: الأستاذ الشيخ إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤١٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٥٨)، «نفحة الريحانة» (٤/ ٥٩٩) (٣٤٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٦٩)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٧٩).

وكان المترجَم أحدَ شعراء العصر، وأدباء الدهر، ولد بأنبابة، ونشأ بمصر، واشتغل برهة من الزمان بعلوم الأدب، حتى فاق أقرانه، فنظم ونثر، وسار ذكره سير القمر، ورحل للحرمين، وتوطنهما مدةً.

ومدح الشريف زيد بن محسن، مدائح كثيرةً بليغةً شهيرةً، وكان يُعطيه العطايا الكبيرة، وجعل له كل سنة مرتباً ومعلوماً، وأنزله منزلاً كريماً.

ثم توجه لليمن، وغصن الزمان نضير، قبل أن يشغل عن الشعر الشعير، فمدح الأئمة بني القاسم، وانثالت عليه الجوائز بوجهٍ باسم، وكان له اختصاص بمحمد بن الحسين، وله فيه مدائح كالنجوم السوائر، سارت بها الركبان من ماشٍ وسائرٍ، وله باليمن الشهرة بالشعر العظيم، والمنزلة الجسيمة، ولازال يحل ويرتحل، حتى أدركه أجله، بمدينة أبي عريش، فتوفي ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وسبعين بعد الألف.

ومن شعره: قوله مادحاً للشريف زيد بن محسن، أمير مكة:

كلُّ صَبٍّ ما له في الخدِّ سفحُ ... لم يرق في عينه نجدٌ وسفحُ
ومتى يعلو ثنياتٍ في الهوى ... وله شأنٌ به فيه يشحُّ
إنما الدمعُ دليلٌ ظاهرٌ ... إن يكن للحبِّ متنٌ فهو شرحُ
والذي يصبو لأغصانِ النقا ... لم يكن عنها نعيمُ الطرفِ يصحو
يستحي من أين يوافيها الحيا ... وهو أوفى منه والغيم يمحُّ
كيف يستقى لها ماء السما ... وله جفن متى شاء يسحُّ
روضة للغيد كانت ملعباً ... وهي في لبة جيدِ الشرق وضحُ
كلما نقطها قطرُ الندى ... رشفَ الظل بها رندٌ وطلحُ

وإذا مــرت بهــا ريــح الـصَّبا ... ســحراً أَرَّجَهــا بالمـسك نفــحُ
وتغنـــت فوقهـــا وُرْقُ الحمـــى ... ولـداعي بُلبـلِ الأشـواقِ صـدحُ
ربِّ ريـــمٍ ذاتِ لحـــظٍ فـــاتنٍ ... فاتـكٍ بالكـسر والـسقم يـصحُّ
كنـت فـي ظـلٍّ ذيـاك النقـا ... وأذابَـتْ كـلَّ قلـب فيـه جـرحُ
بَـضَّةٍ مـذ غمـستْ فـي حـسنِها ... ما لها فـي لُجـج الإحـسان سبحُ
طنبت فـي مهجتـي واسـتحكمت ... فـيّ قطعـاً ليتهـا بالوصـل تـنحُ
أتراهـا اسـتعذبتْ يـوم النـوى ... لعـذابي كـأسَ بـين وهـو ملحُ
مـا لهـا لا عبـثَ الـدهرُ بهـا ... لا ترى الهجرانَ كـاف وهـو ذبحُ
كنـت أشـكو صـدَّها مـن قبـل أن ... تنتـوي والآنَ عنـدي فيـه شـبحُ
يـا نـوار اصـطنعيني باللقـا فلكـم ... قاليـت مَـنْ فـي العـشق يلحـو
إن تكوني شِمْتِ فـي اليـل الـصبا ... بارقـاً فهـو لـروض الحكـم فـتحُ
كـم جليـت الـشمس فـي غربيـة ... وسـمحتي وجنـاح الفـؤاد جنح
فاجعليــه شــافعاً فيمــا بــدا ... أيُّ ليـل مـا لـه يـا بـدرُ صبحُ
ولقــد أعلــم حقــاً لــم يكــن ... منك عن ذنب ظهور الشيب صفحُ
غيـر أنـي أرتجـي منـكِ الوفـا ... وهو في شرع ذواتِ الحسن قبحُ
كـم أداري فيـك عُـذَّالي وكـم ... ساءني فيـكِ علـى التبريح كـشحُ
وإذا فعــلَ الغـــواني هكـــذا ... كلُّ ذي سُكر بهم لا شكَّ يـصحو
ســـأذودَنَّ فـــؤادي راغبـــاً ... عن هوى من حبُّه بالـصدق مـزحُ
يـــا خليلـــيَّ اعــذِراني إنَّ لـــي ... نـارَ وجـدٍ مـا لهـا بالعـشق لفـحُ

خَلِّيـاني والـذي ألقـاه مـن ... زَنْـدِ شـوقي مـا لـه بالغيـدِ قـدحُ
أنـا عـن ألحـاظهم فـي معـزلٍ ... وحـديثي ظـاهرٌ وهـو الأصـحُّ
قـد نـسينا مـا حفظنـا مـنهمُ ... ورأينـا أن بعـض العـذر نـصحُ
كـم وردنـا وصـدَرْنا عـنهمُ ... وكفانـا غـضبٌ مـنهم وصـلحُ
وتحققنـا قُـصارى عِـزِّهم ... ليس يبقى وعقيب الوصـل نـصحُ
لا أرى العـيشَ صـفا مـا أعـشْ ... وفؤادي من حروف اللهـو يمحـو
وعـن التـشبيب مـا أغنـى ولـي ... في عُلا زيـدِ العُـلا شـكرٌ ومـدحُ
سـيدُ الـساداتِ سـلطانُ المـلا ... فارسُ الخيلين يـومَ الـروع سـمحُ
قـامعُ الأقـران فـي يـوم الـوغى ... تحتَ ظلِّ الـسُّمر والحـرب يفـحُّ
أبـيضُ الوجـه إذا النقـعُ دجـا ... واضـحُ النـشر إذا الفرسـانُ كُلْـحُ
كـم لـه يـومُ فَخـار مـستما ... ولوقـع البـيض بالهامـات رضـحُ
صـبح الإقبـال حربـا ولكـم ... شرقت مـن خيلـه حـربٌ وصـبحُ
يـوم أروي بقـديح المـصطلى ... قـدح زنـد وَرْيُـه بـالفوز قـدحُ
وعلـى العمـرة أربـت يـدُه ... ولـه فـي يومهـا عفـو وصـفحُ
اذكـر الـصفين إذ ذاك بهـا ... يـومَ صِـفِّين وللخيلـين ضـبحُ
ونُفـي عنـي ضـلالٌ بعـد مـا ... طاش من تصحيفه في فيـه ضـمحُ
ولكـم سـارعَ بالخيـل علـى ... حـرم الله وللأعمـار دلـحُ
مـانعُ الجـارِ فلـولا ذا الـدجا ... بعواليـه لمـا جَـلاَّه صـبحُ
وكـأن الـشمس تحكـي نـورَه ... ما علاها فـي ظـلام الليـل صبحُ

واهـب الأرواح فـي يـوم الـوغى — لأعاديـه الأُلـى بالمـالِ شَـحُّوا
ولقــد كــان أبــوه هكـــذا — ولمـاءِ الـوردِ بعـدَ الـوردِ نَـضْحُ
إن تـردْ مـا فـي يديـه فأتِـهِ — سلسـاً واحـذره إن أغـراكَ جمـحُ
فهـو كـالأَرْيِ وكالـشرى لـه — رونـق الـسيف وفـي خديـه مـدحُ
أشـغلَتْ هيبتُـه فكـرَ العِـدى — فهـمُ فـي غمـرةِ الإشـفاقِ طـرحُ
لـو رأوه فـي الكَـرى لانتبهـوا — ولهـم مـن خوفـه بالرعـب فـرحُ
وإذا شـافوا بروقـاً أيقنـوا — أن أعنـاقَهم بالبِـيض مـسحُ
وإن انقـضَّتْ نجـومٌ فـي الهـوى — زعمـوا أن أمطـار الـشهب رزحُ
بـأبي أفـديكَ يـا بحـرَ النـدى — يـا مـضي الـرأي إن أظلـمَ قـدحُ
يـا عقيـدَ الخيـل يـومَ الملتقـى — يـا شـديدَ البـاس والأقـران طلـحُ
يا عريضَ الجاه يا حـامي الحمـى — يا ملاذَ الكـون إن لـم يغـنِ كَـدْحُ
يـا حمـيمَ الفـضلِ والـسيفُ لـه — بغـدادين الطـلا حَـصْدٌ ومـسحُ
يـا رخيصَ العـرض فـي يـومٍ بـه — كـلّ سـيفٍ لاثـه سـيفٌ ورمـحُ
خـذْ حـديثي واستمع قـولي فمـا — كـلُّ مـن قـال قريـضاً فيـه صـح
أنـت أولـى النـاس بالمـدحِ ولـو — لم يكن للبحر مـن وصـفك نـزحُ
هـاك نظـمُ الـدر ممـن معدنـه — رايـقُ المعنـى لـه بالمـدح مـدحُ
فاجتـلِ الأبكـار فـي نـور الوفـا — واختبرهـا فهـي بالعرفـان فـصحُ
ضـمنَ الـدهرُ لهـا التخليـدَ فـي — صـفحاتِ الكـون والأيـام فـسحُ

لم...[1] في حيث تمسي ولها كمسير البرق في الآفاق لمحُ
وهي كالجُرْد السلاهيبِ لها بمجالِ الشكر في عَلياكَ مرحُ
حاصرت ما شاد فتح قبلها وتلت نصرٌ من الله وفتحُ
أحرزَ السبقَ ولكن فُقته لكَ يا بنَ الطهر والآداب وضحُ
لا يروق المدحُ إلا في الأُلى لهمُ الأنسابُ كالأحسابِ رجحُ
أين من جَدَّاهُ طه المصطفى وعليُّ المرتضى ممن يزحُّ
برز الغال بها من منطقي لك بالإسعاد والإيراد سنحُ
وأنا من فضلك يا غوثَ الورى لم يكن صوتي كما قيل أبحُّ
ولقد أغنيتني عن مطلبي منك بداو نظيري لا يلحُّ
لو درى النحاسُ أني بعده أصنعُ الإبريزَ لم يمسَسْه قرحُ
أشكُر الأيام قد روَّينني وينابيعي بإفضالك طفحُ
لا أرى الغربةَ ألوَتْ ساعدي ولباعي بنَداكَ الجَمِّ شبحُ
طالعي بالسعد وضاحُ الحِجا بكَ في برج الهَنا والرجوِ ضحُّ
أملي قد كان خاو وقبل أن تتلافاني فأضحى وهو مرحُ
ولقد بلغتني كلَّ المنى بأحاديثَ ما بالنفس سرحُ
نعمةٌ منك علينا لم تزلْ يقتفي آثارَها فوزٌ وربحُ
كل عام نبتُها مبتكرٌ لفراخٍ ما لهم كالبط سبحُ
وعن التصريحِ تعريضي بها لك يغنيني وباتَ المنحُ منحو

(1) فراغ في الأصل.

دمتَ يا شمسَ الهدى ما ابتسمتْ بـك أفـواهُ الـدجى وافتـرَّ صبحُ
مـا همـت عـينُ الغـوادي وبـدا بك في وجه الزمان الغَضّ رشحُ

وهي عروض قصيدة فتحِ الله النحاس، التي أشار إليها بقوله: «حاصرت ما شاد فتح» قبلها، وإن لم تكن مثلها، وقد ذكرتها في ترجمته.

[١٦٣] محمد بن أحمد حكيم المُلْك ـ بضم الميم، وسكون اللام ـ المكي، مولداً ومنشأ، الفارسي أصلاً ومحتداً[١].

قال صاحب «السلافة»: فاضلٌ تأزر بالفضل وارتدى، وسلك سبيل المكرمات واهتدى، سامَ في فنون العلم وسَرَح، وأوضح فنون الأدب وشرح، وهو من محل بيت رياسةٍ وجلالة، وقوم لم يرثوا الجد عن كلالة، وكان لسلفه عند ملوك الهند التيموريَّة، تتضوع المراتب رِيَّه، وتستسقي المناصب رِيَّه.

ولما وفد جده على السادة الأشرافِ الملوكِ من بني حسن، قابلوه مقابلة الجفن للوسَن، فأكرموا نُزُله، وقلدوا بأياد منهم بذله.

وولد صاحب الترجمةِ بمكة، فنشأ في حجر الفضل والمجد، وانتشق عَرْف خزامى تهامة، وشَميمَ عَرارِ نجد، فجمع بين تليد المجد وطارفه، ورفل من فضفاض الأدب في أبهى مطارفه.

ولم يزل متبوأ تلك الدار، محمود الإيراد والإصدار، مع تمسكه من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٦١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٩١) (٣١١)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٧٤) (٩٦)، «منائح الكرم» للسنجاري (٤/ ٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩).

سلطانها الشريفِ محسنٍ بالعروة الوثقى التي لا تنفصم، وحلوله لديه بالمكانة التي ما حلها ابن أبي دؤاد عند المعتصم.

حتى حصل عليه من الشريف أحمد بن عبد المطلب ما حصل، لما انحل عقد ولاية الشريف محسن منها وانفصل، فكان ممن نهب الشريف دارَه وماله، وقطع من الأماني أمانيه وآماله، فالتجأ مستأمناً إلى بعض الأشراف، فأمنه على نفسه بعد ما شاهد الوقوف على الهلاك والإشراف.

ثم سار مختفياً إلى اليمن، واستمر حتى قتل أحمد بن عبد المطلب، فلم ير من شريف مكة السيد مسعود ما كان يعهده قبل، فتوجه إلى الهند، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وثلاثين بعد الألف، فألقى بها عصاه، إلى أن بلغ من العمر أقصاه، فتوفي بها سنة خمسين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

صوادحُ البان وَهْناً شجوُها بادي ... فمن معينُ فتًى في فَتِّ أكبادي؟
صبٌّ إذا غنت الورقاء أَرَّقَه ... تذكيرُها نغماتِ الشادنِ الشادي
فباتَ يرعفُ من جفنيه تحسبهُ ... يرجرجُ المدمعَ الوَكّاف بالجادي
جافي المضاجع إلف السهد ساوره ... سُمُّ الأساودِ أو أنيابُ آسادِ
سُمَّارُه حين يُضنيه توحُّشُه ... فيشرئبُ إلى تأنيسِ عُوادِ
وجدٌ وهمٌّ وأشجانٌ وبرحُ جَوًى ... ولوعةٌ تتلظى والأسى بادي
أضناه تفريقُ شملٍ ظلَّ مجتمعاً ... وضنٌّ بالعود دهرٌ خطبُه عادي
فالعمرُ ما بين ظن ينقضي وضنًى ... والدهرُ ما بين إيعادٍ وإبعادِ
لا وصل سلمى وذاتِ الخال يرقُبُه ... ولا يؤمل من سُعدى لإسعادي

أشجى فؤادي واستهوى قوى جَلَدي أقوى ملاعب بين الهضب والوادي
عَفَّتْ محاسـنَهُ الأيـامُ فاندرسـت واستبدلت وحشةً من أنسها البادي
وعطلتهـا الرزايـا وهـي خاليـة بـــــــــــساكنيها ورواد ووراد
وعاث صرفُ الليالي في معالمهـا فما تجيبُ الصدى فيها سوى الصادي
دوارجُ الموت سارت في معاهـدها فغادرتها عـن الساحات والنـادي
وناعِبُ الموت نادى بالشَّتاتِ بهـا فأهلُهـا بـين أغـوارٍ وأنجـادِ
وطوحت بالبلى أطلالُهـا وخلـت رحابُها الفيح من هيدٍ ومن هـادي
أضحت قِفاراً تجرُّ الرامساتُ بهـا ريحا جنوبٍ وشملٍ ريحُها الجادي
كأنها لم تكن يومـاً لِبِـيضٍ مَهـاً مراتعاً قد خلت فيهن مـن هـادي
ولـم تظـل مغانيهـا بغانيـة تغني إذا ما ردى من بـدرها رادي
ولا عطـا بيتهـا ريـح ولا طلعـت بها بدورُ دجى فـي بـرج مـصطادِ
ولا تثنـت بهـا لميـاءُ سـاحبةً ذَيـلَ النعـيم ولا لايـنّ أنـداد
فارقتُهـا وكـأني لـم أظـلَّ بهـا في ظِلِّ عيش يجلِّي غـدرَ حسادِ
أجني قطوفَ فكاهـاتٍ محاضـرة طوراً وطـوراً أنـاغي ربـه الهـادي
هيفاء تـذري إذا ماسـت شـمائلُها بأملـدٍ مـن غـصونِ البـان مَيَّـادِ
بجانبِ الجيد يهوى القُرْطُ مرتعداً مهـواه جـدُّ سـحيقٍ فـوقَ أكبـادِ
شفاهُها بين حق الدرِّ قـد خزنـت ذخيرة الفحل ممزوجاً بها الجادي
إذا نَضَتْ عن محياها النقابَ صَبَا مـستهترا كُـلُّ سَـجَّادٍ وعبـادِ
وإن تحلَّت ففيما قد جلتـه دجـى لنـا بـه فـي المـرادي أيمـا هـادي

وميضُ بـرقِ ثناياهـا إذا ابتـسمتْ　بعارضِ الدمع من مهجورها حادي
ونــاظرانِ لهـــا يرتـــدُّ طرفُهمـــا　مهما رَنَتْ عن قتيـلٍ مـا لَـهُ وادي
وصــبحُ غُرَّتهـا فــي ليــل طُرَّتهـا　يوماي من وصلها أو هجرها العادي
تلك الربوعُ التـي كانـتْ ملاعبُهـا　أخنى عليها الذي أخنى على عـادِ
إلى ملاعبِ غـزلانِ الـصريح بهـا　يحنُّ قلبي المعنَّى ما شـدا شـادي
بُعـداً لـدهرٍ رمـاني بـالفراق بهـا　ولا سـقى كنفيـه الـرائحُ الغـادي
عمرى لئن عظمت تلك الفوادحُ من　خُطوبـــه وتعـــدّت حَـــدَّ تعـــدادِ
لقـــد نـــسيتُ وأنـــستني بوائقُـــه　تلك التي دهدهَتْ أملادَ أطـوادي
مصارعٌ لبنـي الزهـرا وأحمـدَ قـد　أذكرْنَ فَخَّاً ومن أردى بـه الهـادي
لفقدِهم وعلى المطلول من دمهم　تبكي الـسماءُ بمـزن رائـحٌ غـادي
وشق جيب الغمام البرق من حزن　علـــيهمُ لا علـــى أبنـــاء عيـــادِ
كانوا كعقدٍ لجيد الدهرِ مذ فرطت　مـــن ذاك واســـطةٌ أودى شـــدادِ[1]
وهو المليكُ الذي للملكِ كان حِمَى　مذ ماس من بُـرْده فـي خـز أبـرادِ
كانــت لجيــرانِ بيــت الله دولتــه　مهـاد أمـن لـسرحِ الخـوفِ زوادِ
وكان طود الدست للملك محتبياً　ولاقتنـــاص المعـــاني أي نهـــاد
ثـوى بـصَنْعا فيـالله مـا اشـتملتْ　عليه من مجـده فـي ضـيق إلحـادِ
فقد حويت به صـنعاء مـن شـرف　كما حوت صَعْدةٌ بالـسيد الهـادي
فيا حبذا أنتِ يـا صـنعاءُ مـن بلـدٍ　ولا تغـــشَّى زيـــاداً وَكْـــفُ رعَـــادِ

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

مـــصابهُ كـــان رزءاً لا يوازيـــه رزءٌ ومفتـــاحَ أرزاء وآســـاد

وكان رأساً على الشراف منذ هوى تتـابعوا إثـره عـن شـبه ميعـاد

لهفَ المضاف إذا ما أزمـةٌ أزمـتْ مـن قطـبِ نائبـةٍ للمـتنِ هـداد

لهفَ المضافِ إذا ما أفلحت سنة بضره في تمحلهـا الطـائي بـالزاد

لهفَ المضافِ إذا كر الجياد لـدى خـز الجـلاد أثـار النقـع بـالوادي

لهفَ المضافِ إذا جُلَّى بـه نزلـت ولـم يجـد كاشـفاً منهـا بمرصـاد

لهفَ المضافِ إذا ما يستباح حِمًى لفقـد حـامٍ بـورد الكَـرِّ عَـوادِ

لهفَ المضافِ إذا حمل المغارم في نيل العلى أثقـل الأعنـاق كالطـاد

لهفَ المضافِ إذا نادى الصريخُ ولم يجد له مصرخاً كالغيث للـصادي

لهف المضاف إذا الدهرُ العسوفُ سطا بـضيم جـارٍ لنـزل العـزِّ معتـادِ

بل لهفَ نفسي ذوي الآمال قاطبة علـيهمُ خيـر مرتـادٍ لمرتـادِ

كانت بهم تزدهي في السلم أنديـةٌ وفـي الـوغى كـلُّ قـداد ومـشادِ

على الأرائك أقمـار تـضيء ومـن تحـت الترايـك آسـادٌ لمـساد

تشكو أهم عداهم إذا شاكي السلاح بدا شك القنا ما ضفا من نـسل أبـراد

إلى النحور وما تحوي الصدور وما وارته في جنحها ظلمـات أجـساد

حناجنـاً فلقـاً تحـوي جآجرُهـا ممـا يقـصِّدُ فيهـا كـلُّ قَـصَّادِ

بـادوا فبـادَ مـن الـدنيا بأجمعِهـا مَـنْ كـان فَكَّـاكَ أصـفادٍ بأصـفادِ

وقـد ذوتْ زهـرةُ الـدنيا لفقـدِهِمُ وألبـست بعـدَهم أثـوابَ إِحـدادِ

واجتُثَّ غرسُ الأماني من فجيعتهم وأنـشدَ الـدهرُ تقنيطـاً لـرواد

يا ضيفُ أقفرَ ضيفُ المكرماتِ فخذْ	في جمع رحلك واجمع فضلة الزاد
يا قلبُ لا تبتئس من هولِ مصرعِهم	وعَزِّ نفسك في بؤس وأنكادِ
بمن غدا خلف يا حبذا خلف	في الملك عن خير آباء وأجدادِ
بحائزٍ إرثَهم حاوٍ مفاخرَهم	كما حوى الألفُ من آحادِ أعدادِ
وذاكَ زيدٌ أدامَ اللهُ دولتَه	وزادَه منه تأييداً بإمداد
سما به النسبُ الوضَّاحُ حيث غدا	طريفُه جامعاً أشتاتَ أتلادِ
لقد حوى من رفيعاتِ المكارمِ ما	يكفي لمشحنِ أجدادٍ وأحفادِ
أليس قد نال ملكاً في شبيبته	ما نالَه من سعى أعمارَ آبادِ
أليس في وَهَج الهيجا مواقفُه	مشكورةً بين أعدادٍ وأضدادِ
أليسَ أصبحَ بالتنعيم سابحه	لجَّ المنايا ليحيى قبل أجيادِ
أليس يثبتُ يومَ الليث أن له	وثباتِ ليثس يرجَّى ذودُ نقَّادِ
أليس يومَ العطا تحكي أنامله	خلجانَ بحرٍ بفيض التبرِ مَدَّادِ
أليس قد لاحَ [في] تأسيسِ دولتِه	من جدِّه المصطفى رمزٌ بإرشادِ
دامت معاليه والنعمى بذاك له	مصونُها وهو ملحوظ بإسعادِ
ما لاح برقٌ وما غنت على فَنَنٍ	صوادحُ البان شجوها بادي

تنبيه: قوله: «أليس قد لاح في تأسيس دولته» يشير به إلى ما وقع للشريف زيد؛ فإنه لما وردت الأوامر السلطانية بولاية الحرمين، وكان إذ ذاك بالمدينة المنورة، قصد زيارة النبي ﷺ، فأراد الخدم أن يفتحوا له الباب، فوجدوه مفتوحاً، وكانوا قد أغلقوه من قبل، فعلم الناس أنه إشارة إلى الفتح والظفر، وكان الأمر كذلك.

[١٦٤] محمد بن أحمد بن حسن الطنباوي، الشهير بالحتاتي، المصري الحنفي[1].

نابغةُ الزمان، وربُّ الفصاحةِ والبيان، ولجةُ بحرٍ لا تكدرها الدلاء، ومَحَجَّةُ فضلٍ لا يفتقر مالكُها إلى الإدلاء، حلَّ من رتب المعالي المحل الأسمى، ودلَّ عرفانه على أن الاسم عينُ المسمى، وسبقَ جوادُ قلمه في ميدان البلاغة وجلَّى، وطلع بدرُ آدابه في سماء الأدب وتجلَّى، فملك زمام البيان نثراً ونظماً، وأروى بما روى من بديعه وما أظما.

مع إتقانٍ لسائر الفنون، وغوصٍ على در الفضل المكنون، خصوصاً عِلْمي الطب والحكمة، فقد أنفذ في معرفتهما أمره وحكمه، طبعُه كذوقه سليم، يتوقد ذكاء وفضلاً، وقوته الفكرية أعلته على أقرانه محلاً، وله الخطُّ البديعُ المنسوب، مع الضبط المضبوط، والشعر المقتفى فيه المتنبي؛ في التخيلات الحسنة، وبديع البديهة، مع الغوص على المعاني المستحسنة.

نشأ بالقاهرة، وأخذ عن علمائها، فزها روضُ أدبه اليانع، بما حير الرائي والسامع، ثم رحل منها إلى الروم، سنة ثمان عشرة وألف، ومكث بها مدةً طويلةً، ولم يسعفه الدهرُ بما يروم، فتنقل في المدارس، وصار رئيس الأطباء بإسكي سرايا.

ثم رجع إلى القاهرة، متولياً قضاء أسيوط، ثم تولى قضاء الجيزة، فكانت بها منيته، وإلى الموت رحلته، وتوعك في عشري ذي القعدة، واستمر به إلى أن توفي في تاسع محرم، سنة اثنتين وخمسين وألف، وغسل بالجيزة،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٦٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩).

وحمل إلى مصر، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربة المجاورين.

وله مؤلفاتٌ عديدةٌ، منها: «حاشية على تفسير البيضاوي» أتى فيها بالأبحاث الرائقة، والتحقيقات الفائقة، ورحلةٌ جامعةٌ للفرائد، سماها: «الإسفار عن الأسفار»، و«تعليقات في فنون الحكمة»، وله شعر، قال الخفاجي في «ريحانته»: إنه يحط قدر الحطيئة، ويبلِّد لَبيد، وذهنٌ يدع إياس، من الذكاء في إياس، وبديهةٌ بديعةٌ، كان لها على كمين الأدب طليعة، **فمن قوله**:

أستَرجعُ اللهَ أحلاماً مضينَ لنا ... في غفلةِ الدهر أو في يقظة العُمُرِ

حيثُ التصابي معقودُ اللواء على ... جيشٍ من الأمر بين الأمن والظفر

أيام كانت كؤوسُ الصفو تلمعُ من ... أُفْق الأسارير والكاسات والثغرِ

والأنسُ تطفح عندي صفحتاه وإن ... طغى رقيبي رماه الكأس بالشرر

كأنني كنتُ في دار النعيم متى ... ما جال للنفس إلا لاحَ للنظر

لا عذل فيها ولا لغوٌ ولا كدرٌ ... سوى السُّلافِ وصوتُ الناي والقصر

وكم ليالٍ كست بدر الدجى شرفاً ... تمنت الشمس فيه رتبةَ القمرِ

أبدى لنا ضوءُه لحفاً بطائنُها ... ريحُ الصبا وافترشنا زهرةَ الزهرِ

ويقرب من هذا قول بعض المغاربة:

وفتيانِ صدقٍ عَرَّسُوا تحت دوحةٍ ... وليس لهم إلا العناءَ فراشُ

كأنهمُ والنورُ يسقط بينهم ... مصابيحُ تهوي بينهن فَراشُ

وبيت قصيدها قوله:

تلك الليالي التي لو أنصفت وصلتْ ... بالروح بعد سويدا القلب والبصر

وقريب من قوله: تلك الليالي، قول عبد البر الفيومي، في مدح المولى أبي سعيد، مفتي القسطنطينية:

أيام سعد به لـو أنـصفت وصـلت ... أنـوار سـاعاتها بالـشمس والقمـرِ
تلك الولايات خيلانُ الزمـان بهـا ... مــآربُ الــدين والآرابُ للبــشرِ
فقد[1] رويـداً علـى أبـواب سـدته ... تراه طوداً لأهل الفضل من عـصر
لا سـيما لفقيـرِ لـم يجـد فرجـاً ... إلا الالتجاء لباب دام فـي خفـر[2]

وقوله:

عمـرُ الفتـى قـالوا زمـانُ الرضـا ... بـــصفوة الأحبـــاب واليَـــسَرِ
صـدّقتُ مـا قـالواه كـي يُقبلـوا ... لينظـــروا شـــيخاً بـــلا عُمُـــرِ

ومثله قول أبي نواس:

ما العمـرُ مـا طالـت يـدُ الـدهور ... العمـــرُ مـــا تـــمَّ بـــه الـــسرور
أيـــام عـــزي ونفـــاذ أمـــري ... هـي التـي أحـسبها مـن عمـري
لـو شـئتُ ممـا قـد قللـن جِـدًّا ... عـــددتُ أيـــامَ الـــسرور عَـــدًّا

ولعلي بن منصور الديلمي:

يا من فقدتُ سروري بعدَ بعـدِهم ... قد صار بعدَكُمُ طولُ الأسى سَكَنَا
إن كـان يُعـرف إنـسانٌ بـلا أجـلِ ... يموتُ من شدةِ الأشواق فهـو أنـا

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: فقف.

(٢) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير مستقيم الوزن.

وقوله في مرجة دمشق:

بِـصَبَا المرجَـةِ المبلَّـلِ ذيلُـهُ علـل القلـب عـلّ ببـرد وَبَلُـهْ[1]
ومُـرِ الـروحَ أن تـسيل دموعـاً إن أبـى الجفـنُ أن يعينـك سبلُهْ
واذكُـرَنْ بالريـاض يـومَيْ حبيـبٍ سـلفاء الـسلاف تربـع خيلُـهْ
وتمـسك سـالفيه علـى البعـ ـد عسى الكرب ينجلي عنك ليلُهْ

وقوله:

تَـأَنَّ ولا تجـزعْ لأمـر تحاولُـه فخيرُ اختيار المـرء مـا اللهُ فاعلُـهْ
وما ضمنَ الرحمنُ لا تخشَ فوتَـه وما لا فلا تجهـدْ فمـا أنـت نائلُـهْ
دعِ المسعى فالمسعودُ تطلبه المنى وسعيٌ بـلا سـعد محـال يحاولُـهْ
هو السعدُ يدعو آخر الأمر ساعياً وحسبُك سعياً فـي المـرام تناولُـهْ
ولا تبتئس إن أخلفَ المجدُ واصطبرْ هو الشهدُ قد شـيبت بـضر أوائلُـهْ
تفيـأْ بظـلِّ اللهِ مـن روضِ قولِـه ألـيسَ بكـافٍ تلتحفْـكَ فواضـلُهْ
وعـزّ تهـن دنيـاك واغـن بتركهـا ولا تحتفـلْ بـالرزق فـاللهُ كافلُـه
تحـلَّ بتـاجِ القُنـعِ تَغْـدُ مُمَلَّكـاً تطولُ على هـام الرجـال كواهِلُـهْ

وقوله:

عرفتك دهري ليس لي فيك حيلةٌ يــروج بهــا فــضلي ويــسلكُ
سوى اليأس مما في يديكَ وإن يكنْ رجاءٌ ففي الأخرى التي لست تملِكُ

---

(١) كذا في الأصل.

وقوله:

صِلُوا مغرماً قد واصلَ السقمُ جسمَه ومن بعدِكم طيبَ المقامِ فقد فَقَدْ
بأحشائه نارٌ يشبُّ ضرامُها ومن لي بإطفاءِ الغرامِ وقد وَقَدْ

وقوله:

غمزُ الحواجبُ يدنيه ويَصرفُه كالماء كُلُّ صدٍ يأتيه ينهلُه[1]
والغصنُ أيُّ نسيم هبَّ يعطفُه وليس يقتُلني إلا تهتكه
مع الورى ومعي وحدي تعففه ....[2]

وفي عكس معنى البيت الأخير قلت:

أفدي الذي زارني بالليل مختفياً وهو بادي الوجه ضاحكُهُ
كالبدر سناء وأسنى منه طلعته مفلجُ الثغر جعدُ الشعر حالكُهُ
وقال لي وظلامُ الليل معتكِرٌ وضوءُ صبحيَ قد ضاقت مسالكُهُ
تُحبني عاشقي طبعاً فقلت له وحقٍّ عينيكَ قلبي أنت مالكُهُ
فقال هاكَ سُلافَ الريق فاهْنَ به فليس في طعمه الصَّهبا تشاركُهُ
وبات عندي بثوبَيْ عفةٍ وتُقىً أذوبُ وجداً إذا ما ارتجَّ عاتكُهُ
وليسُ يفرحني إلا تعففُه مع الورى ومعي وحدي تهاتُكه

وللسيد محمد بن موسى الحمّازي الحسيني: قوله مادحاً للمترجَم:

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: ينهكه.

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذكر بقية البيت».

وكنــــتُ إذا حدثتُـــه أو رأيتُـــه   تزول حراراتُ الـصَّبابة والجَـوَى
ولا سيما إن ظـلَّ يتلـو لمـسمعي   أحاديثَ أربـابِ المحبـةِ والهـوى

[١٦٥] السيد محمد بن أحمد بن عز الدين بن الحسين بن عز الدين ابن الإمام الحسن ابن الإمام عز الدين.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو المعروف في ألسن العامة «بابن العنز»؛ لأن أمـه ماتـت وهو يرضـع، فعطَّف الله عنزاً، كانت عند حاجته، تنفرد عن الغنـم من المرعى، وتجري حتى تدخل إليه، ثم تفحج له؛ حتى يمكنه الارتضاع.

كان من عباد الله الصالحين، وأهل التقوى والعقد، على أهل الطريقة، كثير الصمت، قليل الضحك، لم تسمع له قهقهة، وكان في أيام شبيبته يعتزل النسـاء، ويمضي في الشعاب والجبال، متخلياً متعبداً، ثم يعود إلى مسكنه برُبيع.

وكان له أصحابٌ صالحون، يتبركون بخدمته ولقائه، ويصفون عنه تمكناً في علم الأسماء، وأنه كان يأتي من المسجد، فيغلق مكانه على صفة الممازحة سـويعةً، ثم يفتحـه وهو مبتسـم، ولا يعرف الفاتح ولا المغلق، ولا يرى، وأنه استأجر حاجّاً لأبيه، وأعطاه أجرةً من الفضة الخالصة المعدنية، وكانت له فكرةٌ عجيبةٌ في كل شـيء، وعمل ناطوراً يدرك به البعيد، فأبصر به من صعدة إلى رُبيع، أو من رُبيع إلى صعدة، والحكم واحد.

ومولده ببيت الوادي رُبيـع، من أعمـال صعدة، في ثاني ذي القعدة، سنة ألف من الهجرة.

وشرح قصيدةَ الإمام الهادي عز الدين بن الحسن الرائية، وفيها معرفة المواقيت، تكلم على مواد نافعة من علم الفلك، وما يحققونه من الكسوف، غير متعرض للأحكام، صانه الله عنها، وأعمال الربع المجيب.

وكانت **وفاته** بهجرة فَلَلَة، مستقرٍّ سلفه الكرام، في الرابع والعشرين من ذي القعدة، سنة ثلاث وخمسين بعد الألف، ودفن في قبة جده، الإمام عز الدين بن الحسن، إلى جنب السيد الحسن بن يحيى ابن الإمام، إلى جهة اليمن ـ رحم الله الجميع بمنّه ـ.

[١٦٦] السيد محمد بن أحمد الأهدل[1].

صاحب المجامع، شريف ظهر ظهوراً بيناً، في دولة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وصار له جاهٌ واسعٌ، وبلغ من جاهه أنه كان يبات في أسفل لاعة السفلى، فتبرّه جميع قبائل لاعة السفلى، ثم يبات في أسفل لاعة العليا، فتبرُّه أهل لاعة العليا إلى ذلك المكان، ثم يمسي في مسجد حلل عيان، فتبرُّه أهل حجة وبلادها إلى ذلك، **توفي** في نيف وخمسين وألف ـ رحمه الله ـ آمين.

[١٦٧] محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف أبي المحاسن بن محمد بن يوسف الفاسي القصري.

الشيخ الإمام العلامة، المحدث الصوفي، المنفرد بعلو الإسناد في إقليم المغرب، المشهور بين العلماء الأمجاد، **ولد** ليلة السبت تاسع عشري رجب،

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٩٦).

سنة ثلاث وثلاثين وألف، بمدينة القصر الكبير، قصر كتامة، بالقطانيين منه، بدار جده الشيخ أبي المحاسن.

وقرأ بفاس على كثير، من أجلهم: عمه علامة المغرب في عصره، الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي، وبه تخرج، وأجازه غالب شيوخه، وتصدر للإقراء والإفتاء بفاس.

وألف الكتب النافعة المفيدة، منها: «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات»، وهو مفيد إلى الغاية، اختصره من «شرح دلائل الخيرات» للعربي الفارسي، وقد اشتهر هذا الكتاب بالمشرق، وكُتبت منه نسخٌ كثيرةٌ بمصر والشام والحرمين، وهو دليل على حسن نيته فيه، توفي بفاس سنة ألف ومائة وعشرة.

[١٦٨] محمد بن يوسف المراكشي التاملي(١).

أحد فقهاء المغاربة، الممتطين سنام الفضل وغارِبَه، عالمٌ ماضي شبا اللسان والقلم، وعلمُ فضلٍ أشهر من نار على علم، له في الأدب يدٌ لا تقصر عن إدراك غاية، وباعٌ تلقى راية البلاغة، فكان عرابة تلك الراية.

من نوابغ كلمه قوله من جملة كتاب: فعذراً لمن كان أخرس من سمكة، وأشدَّ تخبطاً من طائر في شبكة، وقوله في أرجوزة، ضمن فيها مصاريع من الألفية لابن مالك، مدح بها العلامة أحمد المقري، منها:

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧١)، وذكر وفاته فقال: «وكانت وفاته ببيت المقدس في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وألف»، «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٣٨) (٣٧٨)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٩٦)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٥٥).

ذاك الإمـــام ذو العـــلا والهِمَـــمِ   كعلم الأشخاص لفظاً وهـو عَـمِ
فلـن فـي تـرى فـي علمـه مثـيلا   مـــستوجباً ثنـــائيَ الجمـــيلا
ومدحـــه عنـــدي لازم أتـــى   في النثـر والـنظم الـصحيح مُثْبَتا
أوصـــاف سـيدي بهــذا الرجــز   تقــرِّب الأقــصى بلفــظٍ مــوجَزِ
فهـو الـذي لـه المعـاني تعتـزي   وتبـــسط البــذل بوعــدٍ منجَــزِ
رتبتُـه فـوق العلـى يـا مَـنْ فهـم   كلامُنـــا لفـــظٌ مفيـــدٌ كاســـتقمْ
وكـــم أفـــادَ دهـــره مـــن تحـــفِ   مبـــدي تـــأول بـــلا تكلُّـــفِ
لقــد رقـي إلـى المقـامِ البـاهرِ   كطـاهرِ القلـبِ جميـلِ الظـاهرِ
وفـــضلُه للطـــالبين وُجِـــدا   علـى الـذي فـي رفعـه قـد عُهـدا
قـد حَـصَّلَ العلـمَ وحَـرَّرَ الـسير   ومـــا بـــإلا أو بإنمـــا انحـــصر
فـــي كـــل فـــنٍّ مـــاهر فيــه ولا   يكـــون إلا غايـــةَ الـــذي تـــلا
سيرتُه سـارت علـى نهـج الهـدى   ولا يلـــي إلا اختيـــارا أبـــدا
وعلمُـــه وفـــضلُه لا ينكَـــرُ   ممـــا بـــه عنـــه مبينـــاً يخبـــرُ
يقـــول دائمـــاً بـــصدرٍ انـــشرحْ   اعـــرفْ بنـــا فإننـــا نلنـــا المِـــنَحْ
يقـــولُ مرحبـــاً لقاصـــدٍ ومَـــنْ   يـــستعن بنـــا يُعَـــنْ[1]

منها:

والـــزم جنابـــه وإيـــاكَ الملـــلْ   إن يستطلْ وصلْ وإن لـم يـستطلْ

---

(١) كذا في الأصل.

واقـصد جنابـه تـرى مـآثِرَهْ والله يقـضي بهبـاتٍ وافـرَهْ
وانـسبْ لـه فإنـه ابـنُ معطـي ويقتـضي رِضًـى بغيـرِ سُـخْطِ
واجعلْه نُصْبَ العين والقلـب ولا تعـدِلْ بـه فهـو يـضاهي المـثلا

ولما قدم صاحب الترجمة، سنة ست وعشرين بعد الألف، من مدينة مراكش إلى فاس، كتب إلى شيخه عالم المغرب، أحمدَ بنِ محمد المقري المذكور، يستدعي منه إجازة بقوله:

أموقظَ جفنِ العلم من بعد ما أغفى وباسطَ كفِّ البذلِ من بعدِ ما كَفَّا
ومحيي رسومِ الأكرمين التي عفتْ ومجري مَعينِ الفضل من بعد ما جَفَّا
أجزْنـي بمـا قـد قلدتـه ورويتـه ففضلُك يا ذا الفضل قد حيّر الوصفا
ويرغب مـنكم أن تجيـزوه مطلقـاً بمـرويِّكم كيمـا يفـوز بـه زلفـى
وينـشدكم بيتـاً تقـادمَ عهـدُه لصاحبِ شوقٍ إذ ينـادي بـه إِلفـا

وهي طويلة، فأجابه المقري بقوله:

أيا فاضلاً أعيتْ محاسنُه الوصـفا وإنسانَ عينِ الود والمنهلِ الأصفى
ومِـشكاةَ أنـوارِ القـراءات والأدا وساجن[1] ذيل الكمال على الأَكْفـا
وحائزَ أشتاتِ الفضائل إذ غـدتْ مفـاخرةً فـي أذنِ مغربِنـا شـنفا
بعثتم بطـرسٍ بـل بـروض بلاغـةٍ تعطرتِ الأرجاءُ مـن نَـشْرِه عَرْفـا
وأَمَّلـتمُ أعلـى الإلـهُ مقـامَكم وألبَسكُم من عِزِّه المُطرفَ الأصفا

---

(1) كذا في الأصل، ولعلها: وساحب.

من القاصرِ الباع [طلبتم] إجازة ألم تعلموا أن الصوابَ هو الإعفا
ولستُ بأهل أن أُجازَ فكيف أنْ أُجيزَ على أنَّ الحقائق قد تخفى
فأضواءُ فكري غيرتْها حوادثٌ فآونـةً تبـدو وآنـةً تطفـى
ولولا رجائي منكمُ صالحَ الدعا لما سطرتْ يمناي في مثل ذا حرفا
فأرجو من الرحمن جلَّ جلالُه ومن فضلِه أن يقبل العدلَ والصرفا
وها أنا إذ أشهدتُ أني أجزتُكم على السَّنَنِ المألوفِ والمقصدِ الأوفى
جميعَ تآليفي ونظمي وإن وهى ونثري وإن حاز الركاكةَ والضعفا
وكلَّ الذي أرويه عمن لقيتُه من السادة الغُرِّ الأُلى أحسنوا الوصفا
كسيدِنا شيخِ الأئمةَ عَمِّنا سعيدٍ فكم نلنا معارفَه قَطْفا
عن اشياخِنا من أهلِ فاس وغيرِهم كمثلِ ابنِ هارونَ فأعظمْ به كهفا
وهذا عن الشيخ ابنِ غازيٍ وصية شهير فلم يَحتج لتعريفه كشفا
رعى الله عهداً كان فيه إمامنا ووالى على مثواه رحمتَه عطفا
ولا تُغفلوني عن دعائِكُمُ إذا مددْتُم بباب الله سبحانه الكَفَّا
وعندَ ضريحِ الأولياء وذكرِهم عسى نرتوي من بحرِ غفرانه غَرْفا
وإن جهل الناسُ الحقوقَ بعصرنا فمثلُك مَنْ راعى الحقوق ومن وَفَّى
وكاتبُه المقريُّ أحمدُ مرتَجٍ من الله جَلَّ العونَ والبرَّ واللُّطفا
بجاهِ شفيعِ الخلق مأملنا الذي نؤمِّل يومَ الدين من حوضِهِ رَشْفا
عليه من الرحمن أزكى تحيةٍ تنال حسن الختام مع الزلفى

[١٦٩] **محمد أبو حامد العربي بن يوسف أبي المحاسن بن محمد القصري الفاسي**(١).

الشيخ الإمام المفنن، العلامة المتبحر النقاد، عالم المغرب في عصره غير مدافع، ولد في سادس شوال، سنة ثمان وثمانين وتسعمائة.

وأخذ عن والده العارف بالله أبي محمد عبد الرحمن بن محمد، وأخيه الحافظ أبي العباس أحمد بن يوسف، وعن الإمام القصار، والإمام أبي القاسم ابن محمد ابن القاضي، والمفتي الخطيب أبي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد المربي التلمساني، والفقيه المشارك أبي الحسن علي بن محمد بن أبي العرب، والفقيه الأديب أبي عبدالله محمد بن علي القنطري القصري، والقاضي أبي محمد عبد العزيز بن محمد المركني المعزاوي، والأمير أبي الطيب الحسن ابن يوسف الزناتي، وغيرهم، وعنه: كثير، منهم: ولد أخيه علامة المغرب، الشيخ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرح على دلائل الخيرات» في مجلدين، و«منظومة في الوفق المخمس الخالي الوسط وشرحها»، وكانت وفاته رابع عشر ربيع الثاني، سنة اثنتين وخمسين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٧٠] **محمد بن يوسف بن عبد القادر الدمياطي الحنفي المفتي**(٢).

إمامٌ تقدم على الأقران، وأمعن النظر في مذهب إمامه النعمان، وبرع في الفضائل، بل ومهر في حل مشكلات المسائل، وتكلم في المجالس،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧٣).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧٠)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٥٦) (٩١).

وظهر من درر بحره بالنفائس.

وجمع وألف، وكتب وأفاد، وأرسل فتاويه طائرة بأجنحة ورقها إلى البلاد، ولازم شيوخ الحنفية من المصريين؛ كشيخ الإسلام زين الدين بن نجيم، وأخيه المحقق الشيخ عمر، والشيخ علي بن غانم المقدسي وأجازوه، وتصدر للتدريس، ونفع الناس، واستمر على ذلك إلى أن توفي يوم الجمعة، سابع عشر ربيع الثاني، سنة أربع عشرة بعد الألف بالقاهرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٧١] محمد بن يوسف بن كريم الدين الدمشقي الحنفي، الشهير بالكريمي(١).

درةُ عقد الموالي، وجنة الأيام والليالي، وصدر العلماء الفخام، وقرة عين أولي المجد والاحتشام، وأحد أذكياء دمشق المشهورين، وأعيان أكابرها المعلومين، وممن ذكا أدبه، وعرف نبله، واشتهر بين أقرانه علمه وفضله.

ولد بدمشق، وبها نشأ، وأخذ عمن بها من أكابر علمائها، ولما قدم العلامة أحمد المقري إلى دمشق، اختص به، ولازمه، وصار أحد تلامذته، ومن جملة رواته، واجتنى من روض فضله يانع ثمراته، ومضت له بصحبته أوقات لقطع الرياض، ودارت بينهما أكؤس محاورات تسكر سكر الحدق المراض، حتى ظفر منهم بأنفس المزايا والفوائد، وتقدم ببركة خدمته على

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧٣)، وذكر فقال: «وتوفي ليلة الخميس سابع شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ». «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ١٦٧) (٩)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٥٥).

جميع الأكابر والأماجد، ثم لم يزل مقيماً على خدمة العلم والأدب، حتى وافاه أجله عن كثب، فتوفي وله ديوان صدحت بلابلُ أشعاره، على أغصان آماله وأوطاره، وبينه وبين أدباء عصره مكاتبات، ومراسلات ومحاورات، فمن رقيق كلامه، وبديع سحره ونظامه، قوله: . . .(١).

[١٧٢] المنلا محمد شريف بن المنلا يوسف ابن القاضي محمود بن المنلا كمال الدين الصديقي الشاهوئي الدويسي الشافعي(٢).

صدرٌ من صدور أئمة الدين، وكبير من كبراء الأولياء المهتدين، وقدوةٌ في أفراد العلماء الزاهدين، حاملُ لواء المعارف، ومحرز التالد منها والطارف، محافظٌ على الكتاب والسنة، قائمٌ بآداب الفرض والسنة، حاملٌ لأعباء صلاح الأمة.

باسطٌ للضعفاء وذوي الحاجات للعلوم الدينية جناحَ الرأفة والرحمة، ذا أورادٍ وأذكارٍ كان يعمر بها مجالسه، وجدّ في العبادة، وجدّ في الزهادة، ومواظبة صيامٍ، وملازمة قيامٍ، مع فضائل لا تحصى، ومناقب لا تستقصى، وصلابةٍ في الدين، وانقطاع عن الناس لرب العالمين.

أخذ العلوم عن والده، وغيره من علماء بلده، وأخذ عنه شيخنا إبراهيم ابن حسن الكوراني، وانتفع به وتخرَّج، وعلى فضائله عرَّج، فقرأ عليه ببلاده كتباً كثيرةً في علم المعقول، وبالمدينة طرفاً من «شرح المواقف»، وطرفاً من «فتح الباري» لابن حجر.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض بالأصل ثلاثة أرباع السطر».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٠).

وله مؤلفات، منها: «حاشيتان على تفسير البيضاوي» إحداهما إلى آخر الكهف، والبحث فيها مع سعدي جلبي الرومي، والأخرى إلى آخر تفسير القرآن، والبحث فيها مع مظهر الدين الكازروني، و«حاشية على شرح الإشارات» للطوسي، محاكمةٌ بينه وبين الإمام الرازي، و«حاشية على تهافت الفلاسفة» لخواجه زاده الرومي، محاكمة بينه وبين الإمام الغزالي.

وحج من طريق بغداد سنة خمس وخمسين بعد الألف، وجاور بالحرمين سنتين، ثم رجع إلى وطنه، ثم عاد إلى الحرمين، وجاور مدةً، ثم توجه إلى اليمن، وأخذ عنه به خلقٌ لا يُحصَون، وعرفوا جلالته.

ولما قدم المخا، أجلَّه أميرها السيد زيد بن علي الجحاف، ومن جملة ما سأله عن مقصده في هذه الرحلة: إلى أي مكان؟ فقال له: مقصدي القبر، فرحل بعد أيام من المخا إلى تعز، ومنها إلى أبّ، فتوفي بمدينة أبّ، في ثامن عشري صفر، سنة ثمان وسبعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ، ودفن برأس العقبة إلى السحول، وقبره معروف مشهور يتبرك به[1].

[١٧٣] محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين السلفي[2].

قال ابن أبي الرجال: كان بديع الزمان، ومربع الأوان، متبحراً في العلوم الشرعية، محققاً في العلوم العقلية، بليغَ الإشارات، فصيح العبارات، مطلعاً على المقالات، له همـةٌ عاليـةٌ، بلغ بها الرتب العالية، وأشير إليه بالأنامل

(١) من البدع المتكرر ذكرها في هذا الكتاب التبرك بالقبور، وقد سبق الكلام على ذلك، نعوذ بالله من الخذلان.

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٣٨) (٢٣٤).

بالفضائل، وكانت له مع هذه الصفات الحميدة، سابقةٌ أولى في الجهاد، وكان أحد الشجعان المغامرين للحرب، كما كان أبوه، ولم يزل مسعوداً مقدماً مذ نشأ، إلى أن انتقل إلى جوار ربه، وكان يقول متمثلا بشعر زهير بن الحباب:

مِنْ كلِّ ما نال الفتى   قد نلْتُه إلا التحية

ويقول: إذا كان هذه التحية، وهي: «أبيت اللعن» ثبتت، لما ولي إقليماً واسعاً، وهو بلاد حراز، وساس جمهوره، فلا أستثني ذلك.

قلت: وأول هذا الشعر:

أبنيَّ إن أهلكْ فقد   أورثْتُكُم مجداً بنيَّهْ
وتركتُكم أبناءَ سا   داتٍ زنادُكُمُ وَرِيَّهْ
مِنْ كلِّ ما نال الفتى   قد نلتُه إلا التحيَّه
والموتُ خيرٌ للفتى   فليهلكَنْ وبه بقيَّهْ
من أن يرى شهدته ولـ   ـدانُ المقامةِ بالعشيَّهْ

وكان رفيع المكان، صدراً في المحافل، خطيباً مفوهاً جزلاً، وكان أبناء الإمام يعظمونه، يلبس الفاخر من الثياب، مع بسطة جسمه، وكان إذا تلا القرآن، انتهى الركب.

حكي عن بعض الفضلاء: أنه حضره السيد ابن الحسين، متودعاً لهما، عند توجهه إلى صنعاء، وهم بضوران، ففعلا من الإحسان ما يليق بهما وبه، ونشرا عليه الخلع، قال: ولما انفصل عنهما، وقد رابني ذلك، التوسع منه،

في القبول للجوائز على علمه، فلما استوى على بغلته، تلا القرآن بتلاوةٍ كأني ما سمعت القرآن قبلها، فقلت في نفسي: يحق كل ذلك، واطمأنت نفسي.

وله عدة شيوخ، أما الفقه، فشيخه في كثير منه: العلامة عامر الصباحي، وكان يعظمه كثيراً، فاستنكر بعض التلامذة، فقال: يحق له هذا، وأما سائر العلوم، فعلى شيوخٍ كثيرين، ولما حج، لقي شيوخ الحرمين، وأخذ عن محدث عصره، العلامة محمد بن علان، وكتب له إجازةً عظيمةً جامعةً، وكان بينهما صحبةٌ أكيدةٌ، وكان يأنس به كل أحد؛ لحفظه كلام الناس.

وفي آخر أيامه كُفَّ بصرُه، فأقبل على الصدقات والتلاوة، ونفذ وصاياه، وعمّر في جامع القرية الأكثر منه، وتقرب بقربٍ مقربة، وتوفي سنة خمسين وألف بصنعاء، ودفن بخزيمة[1]، وكان يستروح للشعر الجزل الفحل، ويولع بقصيدة ابن دريد اللامية، التي أولها:

هل الحُرُّ إلا ما أفادَ فأفضلا ... وما المالُ إلا ما استُفيد لِيُبذَلا

دعيني لهذا المجدِ أرعى سوامَهُ ... وإن لم أعشْ إلا ملوماً مُعَذَّلا

وكان ينشدها مستروِحاً بها، بصوتٍ جهوري، ونظم على وزنها قصيدةً في السيد الحسن بن القاسم التي أولها:

كفى المجدَ فخراً أن غدا لك مرسلا ... وقد كان للماضين قبلك موئلا

وكانت تنشد هذه القصيدة في الحضرة الحسنية، في ليالي الجمع والأنس، وكان للحسن مجلسٌ كل ليلة جمعة، يجتمع بالناس؛ للأنس

(١) جاء في الحاشية: «قرية القابل بوادي ظهر، من مخاريف صنعاء».

والمخابرة، ويمر بهم الطيب، ثم تقرأ الأشعار، ويختم ذلك بتلاوة شيءٍ من القرآن، فكانت هذه القصيدة مما يقرأ فيها.

وكان في الحضرة رجلٌ يحسن إنشاد الشعر، وكان ينشد والموكبُ يسير بأبهته الكاملة في أثناء الطريق، فاتفق أن ذلك المنشد أنشدها بين الخيل، عند خروج الحسن من «أبّ» متنزهاً، والقاضي حاضر، فأرعى كلٌّ سمعه، والقاضي يزيد في الاستماع، فالتفت الحسن إلى القاضي يحيى بن علي الفلكي ينبهه على ذلك.

ومن شعر صاحب الترجمة يمدح السيد الحسين ابن الإمام القاسم، وكان تعلقه به أكثر: قوله ـ وأنشدني بعضها من لسانه ـ:

خلا أنها تسبي العقول وما تـدري وما عذرُها في ذاك إلا الهوى العذري

قلت: سمعت من لفظه «على أنها تسـبي العقول وما تـدري»، وإلا، فما في العالمين نظيرها، ويكفيك وصفاً أنها غرة الدهر.

سـرى طيفُهـا فـذكرني الأسـى وعهداً بليلى حيثما طيفُهـا يـسري
عذوليَّ صفحاً عن ملامـي وخلِّيـا فأذنـايَ عنهـا فيهمـا أيمـا وَقْـرِ
سلا هل سلا قلبي إذا لـم أزرْهُـمُ أم انطوت الأحشاء مني على جمر
هو الحبُّ إن يملـكْ فغيـرُ مـدافَع وإن تحتكم أسبابُه في الفتى يبري
ومن شأنِه حملُ الهوى مثلَ مذهبي فلـيس لـه غيـرُ التجلـد والـصبرِ
عساها يدومُ الوصـل منهـا تكرمـاً ففي وصلها بين الورى يشرف القدر
ومـا ليلـة يأتيـك عنهـا سـفيرُها ببشرى التلاقي غيرها ليلـة القـدرِ

إذا شُبِّهت بالأنجم الزهـر أنفسٌ فما أنصفت إن شُبِّهت هي بالبدرِ
وإن أطنبوا في وصف بيضاءَ دميةٍ فلا شكَّ يومـاً أنهـا بيـضةُ الخِـدْرِ
ألا لست لولا حبُّها أعرفُ الهـوى وما كنت أدري بالقريض وبالشعر
قفـا فلأمـرٍ مـا أُوَرّي بـذكرِها على عادةِ التشبيب بـالنظمِ والنثـر
حـلا غـزلا فـن القـوافي وأهلهـا كما حلت الغزلان في الحلل الخضر
فأسحرن في سبكِ المعاني بواكراً كما بان لي بعضُ البيان من السحر
وما علق التـشبيب صـدر شبيبتي سناء ولا ذات الخمار ولا الخمـر
ولكن مدح الطـاهر الـشيم الـذي كسا الناسَ ثوبَ الأمن في البر والبحر
وأجرى ينابيعَ الهدى في الورى معاً وأورى زنادَ الملك بالنهي والأمـر
وأروى السيوفَ المرهَفاتِ من العِدى أولي الفسقِ والفحشاء والبغي والنكرِ
وجـــرد فـــيهم همـــةً نبويـــةً فأفناهم بالجُرْد والبِيضِ والـسَّمْرِ
وأحيـا منـارَ الـدين بعـدَ خمولـه ببرهـانِ قـول دونـه فَلَـقُ الفجـرِ
ألا ذاكَ فامدحْه الحسين وما عسى يقصُّ ويحصي المادحون من الفخر
هو الشرفُ الأعلى هو الناس جملةً إذا قيل فيمن دونـه أوحـدُ العـصر
هو السيد المعروفُ بالحِلم والندى وبالعلم والتقوى وبالخيـل والبتـر
هُمامٌ كريمٌ همُّـه المجـدُ والعلـى وشـيمتُه عـم الخلائـق بـالوفرِ
رؤوفٌ بلا عجز رؤوفٌ بـلا وَنـىً حليمٌ يلاقي المـدلَهِمّات بالبِـشْرِ
إذا نـشرت أنظـاره عنـد مـشكل يحـلُّ وأن راياتـه تـأت بالنـصر
وسل عنه في الذكر الجميل مشاهداً يريـك ثنـاء طيبـاً زاكـيَ العطـرِ

فيومُ الأعادي لـم يـزل منه باكيـاً ... دماً إذَ لـهُ الأيـام ضـاحكةُ البِـشْرِ
إليـك أبـا يحيـى أتتـك تحيـةٌ ... تـضوَّعَ مـن أرجائهـا أَرَجُ البـشرِ
تجوبُ الفيافي نحوَ بابـك مـسلماً ... تأمون نحو البيت والركن والحجر
مـسربلةٌ بـردَ المعـاني قويمـةٌ ... كما زانَ نظمَ الدر في الصدر والنحرِ
لها شـرفٌ يزهـو بتقبيلهـا الثـرى ... لديكَ وممن سوح العلى مثلها يثري
بكرت لها فكراً ومن وصفك الـذي ... يَزين القوافي فيك ساعدني فكري
كما قيل في الباني الذي وجد البنا ... فلا عجبٌ إن طال ما شاد من قصرِ
وماذا يقول الواصفون وهـل أتـى ... لغيركم من هل أتى محكم الـذكرِ
وأثنى عليكم فـي المثـاني دلائـلاً ... جليات أحكام تَجِلُّ عـن الحـصرِ
ومن ذا الذي في الله شـادَ معالمـاً ... وإن ظنَّها فوق الـسِّماكَيْن والنَّسْرِ
وكفَّ الأذى عن ملَّةِ الـدين كافيـاً ... كما كفى الكفـارَ بالأَنْمُـلِ العَشْرِ
فلـو رام كـلُّ العـالمين توسـماً ... لشكر الأيادي منك لم تَفِ بالعُشْرِ
ولكنهـا تـأتي بهـذا توسـلاً ... وبعضُ وفاء الحر إن فـاه بالـشكرِ
وكيف يكـون المـدحُ زينـاً لأهلـه ... إذا قيل إن الشعر بالمرء قد يُـزْري
رأيت الذي في كـلِّ أمـر يـسوءُني ... شـددتُ بـه أَزري وملَّكتـه أمـري
وكلفتُ نفسي فـي رضـا الله أولاً ... أموراً أرى أعباءها أثقلَتْ ظهـري
وسعياً إلى ما عـم تكليفُـه الـورى ... وأوجبه الرحمنُ في السر والجهـرِ
وجريـاً علـى مرمـى مرامِـك إنـه ... على السنن المختار للـسادةِ الغُـرِّ
علـى وضـر مـن ذا الأنـام وليتمـا ... إذا لـم أجد نفعاً سلمت من الـضرِّ

ولكن هـذا النـاس مهمـا أردتهـم لأنفـسهم خيـراً يجـازون بالـشرِّ
أُصـــابرُ أيـــامي لـــديهم تجرعـــاً وأحملُها منهم على المركب الوَعْرِ
وأعطي على المكروه منهم توقفاً ويثنون لي صدراً على الغدر والمكر
وأكثـرهم مـن كـل شـيء تألقـاً وليسوا على شيء سوى التيه والكبرِ
أَلِيَّـة بَــرٍّ بالــذي بــرأ الــورى ومن وصف التقوى بالايمان والبرِّ
وبالقمرِ المشتق للشمس والضحى وبالفجر والـشفع المؤكـد بـالوترِ
لقد عِيلَ صبري عند قـومٍ قلـوبُهم لدى سبل التوفيق أقسى من الصخر
بعيدون عـن نهـج الرشـاد وإنمـا تجـارتُهم كـسبُ المـآثم والإصـر
وينسون حقَّ الفضل منهم تجاهلاً ولـم يفرقوا ما بين زيـدٍ ولا عمـروِ
فلا حصلوا طولاً علـى أيِّ طائـل ولا وصلوا فضلاً بعـسر ولا نُكْـرِ
لبانَ مـسيء فـي الأنـام ومحـسن كما بين هذا العدل في القول والجبرِ
ألا قيـــدتني فـــي حـــرار لـــوازم فما اسطعت[1] أمضي قيد شبر ولا فتـر
لك الخير رشني أنت يا شرف الهدى فخير الموالي من يريش[2] ولا يبري
فما خيبـت آمـالَ مـن أَمَّ فـضلَكُم وأنتم لها مستعذب الحوض والنهر
ولا انقبـضت أيـدِ أياديـك طولُهـا أمان بها طـول الزمـان مـن الكبـر
لعمـريَ مـا أخـشى وآلُ محمـدٍ هم العروةُ الوثقى لعمري وما عمري
بكم شَرُفَت أنـسابُنا حـين ننتمـي إلى تبع السامي الذي في العلى يجري

---

(١) في الأصل: استطعت، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: يرشن، والصواب ما أثبت.

وما كان وصانا بغير اعتصامنا بدوحة خير الخلق من دوحة التطر[1]
وأسلافنا من يهتدون بهديكم وإنا على آثارهم في الهدى نجري

[١٧٤] محمد باشا بن سنان باشا الوزير الأعظم[2].

صاحب الجوامع والتكايا، ولي الشام مرتين في حياة أبيه، ومرة بعد وفاته، سنة ثلاث عشرة بعد الألف، وتخوفت منه عساكر دمشق لكثرة عشيره؛ لأنه صار وزيراً أعظم، وكان متحجباً ممتنعاً بسبب أن زوجته سلطانة.

ولما كان يوم الاثنين، خامس عشري رمضان، سنة ثلاث عشرة، صبيحة النهار، دخل عثمان باشا نائباً بالشام، وأبرز من يده حكماً سلطانياً بالقبض على صاحب الترجمة، وجمع أعيان دمشق، منهم: الشيخ محمد بن سعد الدين، والقاضي محب الدين الحموي، وهو يومئذٍ قسام عسكر، والقاضي تاج الدين، وحسن جلبي نائب الباب، وطائفة من الينكجرية، وقرأ عليهم الحكم فأجابوه.

وعرضوا عليه الحكم ليسلم، فأبى، ثم سلم بعد أن أحاطت العساكر بدار السعادة، وحملوا السلاح، لما لم يجد بداً من التسليم، وخرج من دار السعادة إلى القلعة، ثم ورد حكم سلطاني بإخراجه من القلعة، وطُلب فأُخرج مكرماً، وفي أوائل جمادى الأولى، سنة أربع عشرة بعد الألف، وصل الخبر إلى دمشق بأن السلطان قتله بعد أن انتقدوا عليه أموراً، شُكي عليه بسببها ـ رحمه الله ـ، ذكره النجم الغزي في «الذيل».

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٢٥) (٣٨).

[١٧٥] محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان المروسي الأهنومي النسري.

كان من خيار عباد الله، وأهل التقوى والورع، والمعاملة لله في السر والجهر، قرأ عليه عدةٌ من الفضلاء، منهم: القاضي أحمد بن سعد الدين.

وكان يسكن بهجرة المكردم، وبها توفي في سلخ رجب، سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بسوق الغرفة، إلى جنب السيد حليف القرآن أحمد ابن يحيى، والقاضي سعد الدين ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[١٧٦] محمد بن شعبان الطرابلسي الحنفي[١].

من أهل طرابلس المغرب، ذكره في «ذيل الشقائق»، ووصفه بالفضل الباهر، وقال: قدم القسطنطينية، سنة ست عشرة وألف، وتناظر مع علمائها، فظهرت مزيته، ورعي حقه، وأقبل عليه شيخ الإسلام صنع الله، فأعطاه قضاء بلده، باعتبار المولوية، وأضاف إلى القضاء: الفتوى والتدريس، فتوجه إلى وطنه.

وله تآليف باهرة، منها: «شرح مجمع البحرين»، سماه «تشنيف المسمع في شرح المجمع»، وجمع «مناقب الشيخ أبي الغيث القشاشي»، وله غير ذلك من الآثار ما ليس له نهاية، وفتاويه كلها مسلمة، وكانت وفاته سنة عشرين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٧٧] محمد بن شعيب الخوانكي المالكي.

أحد أجلاء العلماء بمصر، أخذ عن الشمس محمد البهنسي، والشمس

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٧٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٥٩).

محمد الرملي، والشيخ أبي الحسن البكري، ومن في طبقتهم، وكان ممن زويت عنه الدنيا، فلم يلتفت إليها، وزوي عنه أهل الدنيا، فلازم باب الله، فرزقه التقشف والقناعة، اللذين هما خير بضاعة.

وله مؤلفات منها: «محاسن الأخبار في فضل الصلاة على النبي المختار وذكر محاسن السادة الأخيار» في مجلدين ضخمين، وقفت عليه، وهو بديع في بابه، جمع فيه فأوعى، ذكر أنه جمعه من أربعين كتاباً في هذا المعنى، وأرخ إتمامه، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ عشرة بعد الألف، ومنها: كتاب «موارد الإلهام»، وغير ذلك ـ رحمه الله.

[١٧٨] محمد بن الصديق الخاص الحنفي.

نزيل مدينة زَبيد ومفتيها، وناشر لواء الإفادة بناديها، كان على جانبٍ عظيمٍ من العلم والعمل به، صالحاً خيراً مشتغلاً بما يعنيه، إلى أن توفي سنة أربع وخمسين بعد الألف.

[١٧٩] محمد بن صلاح بن محمد الفَلَكي[١].

نسبة إلى الفَلَكة: قريةٍ من قرى «ذمار»، يعرف جده الأعلى بناصر الدين الفرائضي؛ لمهارته في الفرائض، هذا عِلم متوارَث فيهم، لم يترك هذا القاضي لمحقق تحقيقاً إلا من ورائه، فهو الغاية في الفرائض والحساب، والجبر والمقابلة، وغير ذلك مما يتعلق بهذه الفنون، وكان يتوقد ذكاء، سريع البادرة، مقبول الجد والهزل، وتضرب الأمثال بكلماته، وكان في الفقه نسيج وحده،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٩٩٠) (٦٢٤)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ١٣٠).

وجميعُ الطلبة بذمار أخذوا عنه، وكان محباً للعلم وأهله، وتولى القضاء مدة طويلة محمودَ الأثر، وكان يصدع بالقول، مقيماً للشرع إلى أن توفي ضحى يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وألف بذمار، ودفن في المقبرة المعروفة هنالك بمقبرة المجاهد غربي المدينة ـ رحمه الله ـ.

ومن العجائب: أن أعيان الفضلاء والشعراء والكبراء، منهم من رثاه، ومنهم من أرّخ وفاته، فممن أرّخ وفاته: السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم بقوله:

يامبليـــاتِ الليـــالي ... عــن الأفاضــل كُفِّــي
فقــد هــدمتِ علاهــم ... بفقــدِ أشــرف إِلْــفِ
محمــدِ ذي المعــالي ... مــن حــازَ أكمــلَ وصــفِ
تاريخُــه قيــل فيــه ... (شــمسُ العُلــوم تــوفِّي)

والشيخ إبراهيم المهتدي بقوله:

مــات أخــو العلــم فابـكِ منتحبـاً ... بمــدمع فــي الخــد منــسفكِ
فهــا نجــومُ القــضاء هاويــةٌ ... مذ حَلَّ في اللحدِ صورةُ الفَلَكِ

[١٨٠] السيد محمد بن صلاح بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم ابن الأمير بن الهادي بن إبراهيم بن المؤيد بن أحمد المهدي ابن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى العالم بن يحيى الكامل القطايري اليحيوي.

كان سيداً نجيباً فاضلاً، قد حصَّل جملة من العلوم، وصار له فضلٌ كبيرٌ، ولوالده دعوة، دعا في سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، بعد قتل الأمير

أحمد بن الحسن المؤيدي، ووفاة الإمام أحمد بن عز الدين، وتوفي بالحرجة من بلاد قحطان.

ولصاحب الترجمة شعرٌ لطيفٌ، ومما يحسن نقله: ما تساجل به هو والسيدان: يحيى بن صلاح أخوه، والسيد محمد بن عبد الرحمن المؤيدي.

قال صاحب الترجمة:

وقائلـة مـا لـي رأيتُـكَ فاركـاً لقربي أما لـي فـي هـواكَ نـصيبُ
ومالـكَ ترضـى بالبعـادِ وغربـةٍ وترغـب عنـي إنَّ ذا لَعجيـبُ
أما إن ذات الميسم[1] العذبِ واللمى وساجية الطرف الكحيـل عـروب

فقال السيد يحيى:

فقلتُ وقد أشـلتْ بقلبـي حـرارةٌ بمنطقهـا فالقلـبُ منـه كئيـبُ
أمـا وأبـي مـا غيـر الـدهر لوعـة فحبـك شـيء لـستُ عنـه أتـوبُ
ومـا مغـرمٌ بالمـاء حَـرَّانَ صـادياً يكـاد مـن الغـيظ الـشديد يـذوبُ
بأبرحَ من شوقي إلى طلبِ العلـى ولـستُ وبيـتِ الله عنـه أتـوبُ

وقال محمد بن عبد الرحمن:

دعـاني إليهـا محتـدٌ أيُّ محتـد وإنـي لداعيـه المهيـبِ مجيـبُ
علـى أنـي أدعـو العلـى فتُجيبنـي إجابـة محبـوبٍ دعـاه حبيـبُ
إلى المجدِ أرقا مـن علـيٍّ وفـاطمٍ ومن أَنجبا في الناس فهـو نجيـبُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: المبسم.

فإن لم أصنْ مجدي فما أنا منهما ... ولا لي فيما خَلَّفاه نصيبُ

[١٨١] **محمد بن صلاح السلامي**(١).

كان علامةً ماهراً في الفقه، وله في علم الكلام مسكة، وأكثر قراءته على العلامة إبراهيم الذماري، وممن أخذ عنه: العلامة إبراهيم بن يحيى السحولي، وكان يملي عليه من العلوم عجائبَ وغرائب.

وكان ثبتاً، راجحَ الرواية، خشن الملبس، غير متأنق فيه، مع وجاهته عند آل قاسم وجلالته، صحب السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم، وما زال يتردد بين وطنه سلامة، وذمار، والدامع.

ولما كانت الدعوة المتوكلية، كان جُذَيْلَها المُحَكَّك، وأول من وضع يده في يد الإمام للبيعة، فتفاءل الفضلاء بأنها دعوة سلامة، وكانت كذلك، توفي ببلده ذمار، في شهر جمادى الآخرة، سنة اثنتين وستين وألف، ودفن بمقبرة المجاهد، غربي المدينة المذكورة ـ رحمه الله ـ.

[١٨٢] **محمد بن صلاح بن أحمد بن صلاح بن يحيى بن المهدي الجحاف الحبوري**.

هذا السيد من أهل النسك والورع والمتانة في الدين، وله معرفةٌ ماهرةٌ في الفقه، ومشاركةٌ في فنون.

مولده سنة أربع وخمسين بعد الألف بـ «حبور»، وبها نشأ، وأخذ عن السيد إسماعيل، وأخيه السيد يحيى بن جحاف، وقرأ بصنعاء على القاضي

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٩٩٢) (٦٢٥).

محمد بن علي العنسي، وعلى القاضي محمد بن قيس.

ثم تصدر للتدريس بجامع صنعاء وأفاد واستفاد، وكان بيني وبينه صحبةٌ قويةٌ، وما رأيت في صنعاء، حين إقامتي بها، أحسنَ سمتاً منه ـ رحمه الله ـ.

توفي في شهر ربيع الثاني، سنة ألف ومائة وأربع عشرة بصنعاء، ودفن بجربة الروض ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٨٣] محمد بن الهادي بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن أبي الرجال[1].

فقيهٌ زاهدٌ، حاوٍ لجلال المحامد، متفق على الثناء عليه، أقام بصعدة، وبها مات، وكان رؤوفاً بالضعفاء، وكان الوافد إلى «صعدة» من الجهات اليمنية يقف في بيته، إلى أن يسعى في صلاح شأنه.

ولا يترك ليلتي العيدين، صدقةً عامةً للطلبة جميعهم، بجامع صعدة، ويقول: قال لي عمي الفقيه، علي بن محمد بن أبي الرجال: لا ترحم في هاتين الليلتين إلا الغريب؛ لأنه لا أهل له، والأسواق مصفدةُ الأبواب، وكلٌّ مشغول بشأنه.

وكان مواظباً لجمع الفضلاء ليلة الجمعة، على تلاوة القرآن العظيم مدارسةً، ومع ذلك فكان مقتر العيش، قليل المدد، وطولب بالقضاء في جهات، فامتنع، وطولب بالبقاء في ذي جبلة، من أعمال اليمن، فامتنع وقال: لا يحل له ذلك، فقلت له: ما المانع؟ فأجاب: بأني رأيت اليمن ينزله الثبت المحكك من الرجال، فيظهر صغره، وأما أنا، فنحاس ضعيف الحال، فعذر.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٠٩١) (٦٨٦).

وتقطعت أسبابه زمناً طويلاً، وكانت أهله تعوله، وكان من المشهورين بإجابة الدعوة، وكان الفقيه محمد بن عيسى شجاع الشقيقي يقول: إنه من الأبدال؛ لأن طاعتهم الصبر، وكان الإمام المؤيد بالله يقول: إن الفقيه محمد ابن الهادي رجلُ الدنيا والآخرة، وله كراماتٌ كثيرةٌ، ذكرها القاضي أحمد ابن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه».

وكانت له في الفقه اليد الطولى، والسابقة الأولى، قال مشايخه للإمام المؤيد بالله: في صعدة خزانة من الفقه، وهو الفقيه محمد بن الهادي، وكان شيخه السيد أحمد الديلمي يقول: ما أتمنى إلا سكنى شناع، هجرة القاضي جعفر بن أحمد، وأن يكون عندي الفقيه محمد يذاكرني في الفقه.

وله شعر مقبول، منه: ما كتبه إلى صنعاء للقاضي أحمد بن صالح، يوصيه بطريقته في الصبر، وهيهات أن يدرك الضالع شأو الضليع:

تَصَبَّرْ تلقَ إما رمتَ أمراً ... قرارُ العينِ بعدَ الاصطبارِ
فسرُّ الصبر مفتاحٌ تجلَّى ... كمثلِ الليلُ يتلى بالنهارِ

ومولده بـ «الخيسين»، بأعمال «مرهبة»، سنة ست عشرة بعد الألف، **ووفاته** يوم الاثنين، سابع شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وخمسين وألف، ولأهل عصره فيه مراثٍ كثيرةٍ، وممن رثاه: العلامة جمال الدين الهادي بن عبد النبي، المعروف بابن حطبة، فقال:

يُزَهِّدُ في الدنيا فراقُ الأفاضلِ ... وضمُّ علومٍ تحت صُمِّ الجنادِلِ
وقفرُ الندى عن دار قوم ترحَّلوا ... فدارُ القِرى قفرٌ على كلِّ نازلِ
ألا مبلغٌ عني أخلاءَ قد ثَوَوْا ... بدارِ اغتراب راحلٌ بعدَ راحلِ

أيا قبرَ عزٍّ الـدينِ واريـتَ شـامتي		وغيبـتَ بحـراً لا يـسدُّ بـساحلِ
فما لـي لا أبكـي العلـومَ وأهلَهـا		نجـوم سـماء آفـلٌ بعَـد آفِـلِ

[١٨٤] محمد بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن المحب محمد ابن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني، الطبري المكي الشافعي.

إمام المقام الشريف، ذكره ولده الإمام عبد القادر الطبري، في كتاب «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، فقال:

رأيت بخط والده: أنه **ظهر عشاء ليلة الجمعة**، سادس ذي الحجة، سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، وكان القمر في منزلة الغفر، وكان طالع ولادته السعد، ونشأ في حجر أبويه: يحيى، وفاطمة بنت الخطيب عبد الرحمن بن علم الدين النويري الهاشمي العقيلي.

وحفظ القرآن العظيم على قراءة عمرو، ومن طريق الدوري، وصلى به التراويح، في المقام الشريف، وكان ختمه ليلة الحادي والعشرين ـ على عادة الشافعية ـ مشهوداً، حضره أعيان ذلك الزمان؛ كالقاضي أبي القاسم، وأخيه القاضي أحمد ابني القاضي أبي السعادات الأنصاري، والقاضي تاج الدين، وأعيانها الفقهاء.

ثم حرر القرآن على الشيخ يوسف العجمي، وحفظ عدة متون، منها: «الإرشاد» لابن المقري، ثم أمّ بالناس في الفرائض، في المقام الشريف، وأخذ عن والده الحديث المسلسل بالأولية؛ لعلو سنده فيه.

واشتغل بالعربية على الشيخ عبدالله الفاكهي، وقرأ عليه شرحه على

متممة الأجرومية، واشتغل في الفقه على الشيخ أبي الفتح الجناني، وقرأ عليه: «أذكار الإمام النووي»، وحضر دروس شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وقرأ عليه: بعض «الإرشاد».

وسافر في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة إلى الديار المصرية، قاصداً الوصول إلى الديار الرومية للسعي في سعة المعاش، وكتب له محضراً بتسويد الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، وعليهما[1] خطه، وخط الشيخ محمد البكري، وخط القاضي حسين المالكي، وغيرهم من الأكابر والعلماء والأعيان، متضمنان[2] التعريف بقدره، وسرد نسبه، والتماس العناية به.

فلما وصل إلى مصر، أعرض عن التوجه إلى الروم، وغلب عليه الحنين إلى الأهل والوطن، وخشي أن يموت والده في غيبته، فتفوته بركته، فآثر ذلك على طلب الدنيا، وعاد من عامه إلى مكة صحبةَ الركب المصري.

وكان له عزم وشهامة في أموره وشؤونه، لا يبالي بأحد، ولا يتهيب، ويتم له ذلك؛ لصدق عزمه، وقوة همته، وبقي على مباشرة الأمانة عمراً طويلاً، إلى أن كمل ولداه، فباشراها.

ثم واظب على تلاوة القرآن من المصحف، والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، وغلبت عليه ملازمة بيته، فلا يخرج إلا قليلاً، وتيسرت له زيارة النبي ﷺ، مع المجاورة بالمدينة الشريفة مراراً.

وحصلت له في آخرها عنايةٌ عظيمةٌ، وهي أنه وقف ذات يومٍ تجاه

---

(١) كذا في الأصل، وفوق الكلمة خط.

(٢) كذا في الأصل.

الوجه الشريف، عند الشباك، فاستغرق، فكشف له عن الضريح الشريف؛ بحيث صار لا يرى الشباك ولا البناء، الذي هو موجود على الضريح، وصار يرى الوقت، كالوقت الذي يصلي فيه الحنفية صلاة الصبح.

فخطر في بالـه ما قيل في وصف أوقات الجنة؛ من أنها كهذا الوقت، فصـاح بأعلى صـوته، من غير اختيار، وهو يقول: مدهامتان، مدهامتان، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وسقط إلى الأرض، وسقطت عمامته، ففزع إليه خدام الحجرة الشـريفة، واحتملوه إلى محلهم الذي يجلسون فيه جهة المتهجد، واستمر إلى أن سكن روعه، فلما وعى، أجهش بالبكاء، وعاد له ذلك الحال، فاحتملوه إلى منزله.

وبقي مدة إقامته بالمدينة، يعتريه ذلك الحال، من البكاء والصلاة على النبي ﷺ، وبينما هو في ذلك، إذ دخل عليه الشيخ محمد باشعيب وهو يقول: هنيئاً لك يا إمام، نهنيك يا إمام محمد، فازداد بكاؤه واضطرابه.

واسـتمر إلى أن مات، إذا ذَكـر ذلك، أو ذُكر لـه، يبكي ويرتعش من غير اختيار، ولم يزل كذلك، إلى أن توفي أثناء ليلة الحادي عشر، من شهر ربيع الأول، سـنة ثمان عشرة وألف، وصلي عليه في المقام الشريف، بعد طلوع شمس ذلك اليوم، بعد أن نادى عليه الرئيس، بقبة زمزم، وشهد الصلاة عليه سلطانُ الحرمين الشريفُ إدريس بن الحسن بن أبي نمي، وجماعة من أعيان الأشراف، وعامة الفقهاء والأعيان، ودفن بالمعلاة، على أبيه، في قبر المحب الطبري ـ رحمهم الله ـ.

[١٨٥] محمد بن يحيى العزي الشافعي.

القاضي خليفة الحكم بمصر، ماجدٌ إذا تليت آياتُ أوصافه، ركع لها

القلم وسجد، تفرد بعلو سنده في الحديث، فأصبح دار علم بين العلياء والسند، فحديثه في الفضل مرفوع، وأثر سواه ضعيف ومقطوع، قال الخفاجي في «الريحانة»: وهو أحد الشيوخ بمصر الذين رُويت عنهم السنن، وتشرف أهل عصره بلقائه وطيبِ حديثه الحسن، ولم يزل بالقاهرة وثناؤه يتلو لسان الدهر ويحفظ فؤاده، وسكر طبعه المصري مما يحلو مكرره ومعاده، حتى توفي بها يوم الثلاثاء ثاني عشرة شوال سنة تسع عشرة بعد الألف.

وشعره يستحق أن يرسم بنور البصر، في عنفوان صحائف الأذهان والفكر، فمنه قوله في مليح نحاس:

عليّ رفقاً بمن ذابَتْ حَشاهُ ضنًى ... صبٌّ أزالَ الكرى من مقلتيه وصَبْ

خد قلبك يا نحاس يمنعُه ... لجينُ جسمِك والنومُ المصونُ ذهبْ

وله في صديقه الصحَّافي:

يا عاذلي في هواهُ ... تلاق قبلَ التلافِ

وهاتِ لي الدنَّ واجمع ... بيني وبين الصحَّافِ

[١٨٦] محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد، الشهير بالبطنيني الخباز الدمشقي الشافعي[١].

أحد كبار علماء الشام، المتبحرين في الفقه والحديث، والمشاركين في فنون كثيرة، كان حافظاً ورعاً، ذا صلابةٍ في دينه، ينكر المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم، حليماً وقوراً، صباراً على البحث، سريع الجواب، بديع

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٦٤).

الخطاب، حسن التحرير والتقرير.

وكان في بدايته خبازاً بدمشق، فطرقه طارق الخير، فرحل إلى مصر، وجاور بالجامع الأزهر سنين.

وجدَّ في طلب العلم، وأخذ عن النور الحلبي، وإبراهيم اللقاني، والشهاب أحمد القليوبي، والشمس محمد الشوبري، وشيخنا سلطان المزاحي، ومحمد بن علاء الدين البابلي، ومن عاصرهم من أهل طبقتهم.

وفتح الله عليه بعد رجوعه إلى بلده، فكان يدرس في فنون، ويملي من حفظه ما يطالعه بأحسن إملاء، خصوصاً علم الفقه والحديث، ثم عرض له عمى، فزاد علمه وحفظه؛ لأن الله سبحانه من فضله وجوده ما أخذ من أحد حاسةً، إلا عوضه خيراً منها.

ثم كثرت طلبته والآخذون عنه، ومنهم: شيخنا العلامة محمد البخش الحلبي، وعبد القادر بن عبد الهادي الغمري، وحمزة الرومي، وأبو السعود ابن تاج الدين البعلي.

ولم يزل ملازماً لدروسه، مواظباً على عبادة الله، حتى توفي سنة ثلاث وسبعين وألف بدمشق، ودفن بمرج الدحداح، وله مؤلفات منها: «فتح البرية بالجواب عن أسئلة الزيدية»، وهو أحد من رأيته وأنا صغير بدمشق، وكنت كثيراً ما أقبل يديه، ويدعو لي بدعواتٍ صالحةٍ ـ نفع الله به ـ.

[١٨٧] محمد نجم الدين بن يحيى الفرضي الشافعي الدمشقي[1].

الشيخ العلامة، عالم الشام، وشيخ أهل دمشق في عصره، خصوصاً

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٦٥)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٤١).

في علم العربية، لم يكن فيهم مثله، قرأ عليه الطلبة، وانتفع به الجماعة، كان يقرئ فنون العلم بمسجد بني أمية، بمحراب الحنابلة، وقت الضحى، وعنده طلبةٌ منتهون، ملازمون لمجلسه، لا يفارقونه وقت الإقراء.

وكان حسن الخلق والتفهيم، سهل العبارة، على المبتدي والمنتهي، قرأ على شيوخ كثير، منهم: الشمس الميداني، والنجم الغزي، واشتهر ذكره، وكان ورعاً مهاباً عند جميع الناس، مقبول الشفاعة، مسموع الكلمة، ملازماً لأفعال الخير، أجرى بدمشق من ماله، وعلى يده، نحوَ مائة وأربعين قناة ماء كانت داثرة، وله مؤلفات منها: «شرح على الأجرومية».

توفي عام تسعين بعد الألف بدمشق، ودفن بمرج الدحداح، ورئيت له بعد موته مناماتٌ صالحةٌ، منها: أن رجلاً من الصالحين رأى بعض أصحابه من الموتى، لابساً حلةً عظيمةً، لم ير مثلها في الدنيا، فسأله عن حاله، فقال: كنا بأسوأ حال، فلما دفن صاحب الترجمة في جنباتنا، ألبس الله جميع أهل الجبانة حللاً مثل هذه الحلة، وغفر لهم ببركته.

وهو من الشيوخ الذين أدركتُهم وأنا صغير، وكنت أقبل يده، ويدعو لي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٨٨] محمد بن ياسين المنوفي الشافعي(١).

العالـم الكامل، البارع الفاضـل، مهذِّب مباحث الجهابذة الفضلاء، ومحرَّر دلائل الطلبة النبلاء، ومَحَطُّ رحال العلماء الأماثل، ومصدر العلوم الجلائل.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٦٦)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٣٥)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٨) (٨١).

مولده بمصر، وبها نشأ، واشتغل بالعلم اشتغالاً تاماً مرضياً، وأخذ عن جمعٍ، منهم: أبو بكر الشنواني، ومحمد الميموني، ومحمد الخفاجي، وأحمد السنهوري، وغيرهم، وأجازوه، وتعاطى نظم الشعر، فبلغ فيه الغاية القصوى، وارتقى إلى أن زاحم بمنكبه فيه أكابر الشعراء؛ كالمتنبي، وأبي تمام، والبحتري، ومن في طبقتهم.

ثم توجه إلى الديار الرومية، وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة، ومدح من بها من الموالي العظام، والعلماء الأعلام، وتولى بنواحي مصر المناصب العديدة، ثم ترك القضاء، وعكف على التوجه إلى الله والعبادة، وحسنت حاله، واعتزل عن الاجتماع بالناس إلا أفراداً منهم، وترك النظم، إلا ما كان فيه استغاثةٌ أو مدح للنبي ﷺ.

إلى أن توفي بمصر، يوم الخميس، ثاني ذي الحجة، سنة اثنتين وأربعين بعد الألف، ودفن بجوار السادة الوفائية، بالقرافة الكبرى.

وكان بينه وبين العلامة الشهاب أحمد الخفاجي صحبةٌ أكيدةٌ، ومحاوراتٌ ومراسلاتٌ عديدةٌ، وقد ذكره في «ريحانته»، وأثنى عليه ثناءً حسناً، وأورد من شعره قوله:

تايهـــةٌ بالـــدلال يثنيهـــا ... عـــن حـــاير بـــالهوى تثنيهـــا
قَـــرَّحَ فـــيضُ الـــدمع مقلَتَـــه ... فاشـــتبكَ المـــاء فـــي مآقيهـــا
ومـــن نمـــت فـــي ســـواد مقلتـــه ... لـــواعجُ الـــشوق كيـــفَ يخفيهـــا
يُبعـــدها الـــصدُّ والهـــوى محـــنٌ ... عـــن نـــاظري والغـــرامُ يـــدنيها
بـــل بـــارق مـــا أرى أم ابتـــسمتْ ... فـــانتظَم الـــدرُّ فـــي تراقيهـــا

عـــن فتكهـــا قـــدُّها يحـــذرها ولحظُهـــا بالـــصدودُ يغريهـــا
إن أســـفرتْ فـــالهلالُ طلعتُهـــا أو خطـــرتْ فـــالعيون تحكيهـــا
أو نظـــرتْ فالظبـــاء فـــي خجـــلٍ أو نكهـــتْ فـــالعبيرُ فـــي فيهـــا
أو ســـخطتْ حبهـــا وقـــلَّ لهـــا كـــل صـــديق عـــساهُ يرضـــيها
لـــو ســـمحتْ بـــالكرى فـــارقَني وَهْنـــاً مـــن الليـــل خـــوفَ واشـــيها
أو بعثـــت طيفَهـــا لعرّفهـــا ماذقـــه الـــصب مـــن تجنيهـــا
شـــقة بـــين هجرنـــا نـــشرت فـــلا يكـــاد الزمـــان يطويهـــا
جرعنـــي الـــدهرُ بعـــدها غُصـــصاً أكتمُهـــا تـــارةً وأُبـــديها
يـــا بائعـــاً نفـــسَه بـــلا ثمـــنٍ أرخَـــصْتَها فـــالهوانُ يَـــشْريها
مـــا بـــالُ هـــذا الزمـــانِ يُتحفنـــي بمُـــضْمِياتٍ إلـــيَّ يُهـــديها
طلائـــعٌ للمـــشيبِ ضـــاحكةٌ لعـــارضٍ والـــشبابُ يَبكيهـــا

منها:

خُذْ روضـــةً فيك طـــابَ مغرسُـــها منهـــا ثمـــارُ المـــديحِ تَجنيهـــا
فـــي لَهَـــواتِ الـــرواةِ أثبتهـــا ذكـــرُ عـــلاك الـــذي يرويهـــا

وكتب إليه الشيخ العلامة، عبدالله الدنوشري سؤالاً: أي كلمةٍ اجتمعت فيها ثلاث زوائد، من غير فاصل؟ ونظمه بقوله:

ثـــلاث زوائـــد جمعـــت بلفـــظ بـــلا فـــصلٍ ألا يـــا صـــاحِ خبّـــر

فأجابه بديهةً بقوله: كلامه مستحسن، وهذا جوابٌ بديعٌ مشتملٌ على بديع التورية، فالميم والسين والتاء زوائدُ من غير فصل.

[١٨٩] محمد بن يوسف بن أبي اللطف المقدسي الشافعي ثم الحنفي الشيخ العلامة رضي الدين[١].

قدم دمشق، سنة سبع وتسعين ـ بتقديم السين في الأولى ـ وتسعمائة، قال النجم في «الذيل»: استجاز له والده من شيخ الإسلام الوالد، وعلق شرحاً على منظومته في الكبائر والصغائر، على حسب حاله، قال: وأوقفني عليه، وقرظت له عليه.

وأخبرني: أنه أخذ العربية عن ابن عم أبيه، الشيخ عمر بن محمد بن أبي اللطف، وكان في صحبته، في قدمته الأولى إلى دمشق، وأنه أخذ عن والده الفقه، وصحب بدمشق الشيخ حسن البوريني، واستفاد منه، وأخذ عنه، وكان فاضلاً بارعاً، ولما تطاول عليه الزمن، اقتضى أن يكون كاتباً عند قاضي بيت المقدس، ثم تحنف، وكان يلي النيابة، ومَنْ ذا الذي يا خِلُّ لا يتغيرُ؟

قال النجم: ودعوته حين قدم دمشق إلى بعض المتنزهات، وكتبت له لغزاً صورته:

يا عالماً فاقَ الورى ... بنظمِه ونثرِه
يا أيها المرضيُّ والـ ... ـمرجوُّ محضُ جبرِهِ
ما اسمٌ ثلاثيٌّ غدا ... عرفانُه كنكرِهِ
وفرعُهُ مشتهر ... بعلمه وشعرِهِ

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٦٤) (٥٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧٢)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٥٥).

وشـــــأنه معظَّـــــمٌ   فـــي شـــامِهِ ومـــصرِهِ
ونفعُـــه قـــد عمَّنـــا   فـــي حَـــرِّه وقُـــرِّه
ثـــم إذا أديلـــه   بعـــدَ تمـــامِ أمـــرِهِ
فاســـمٌ لمـــاءٍ قـــد جـــرى   بالـــشامِ وَسْـــطَ نهـــرِهِ
وإن حـــذفتَ جيمَـــه   بنـــت ســـما بـــذكرِهِ
أو هـــو وصـــف لـــك يـــا   مـــن عَمَّنـــا ببـــرِّهِ
ولـــيس وصـــف لـــك إن   رأيـــت حـــذف صـــدره
وإن تـــصحَّفَ بـــدؤه   حَرَّمتـــه بأســـرِهِ
أو اعتبـــرتَ قَلْبَـــه   فمـــنهم إن تـــدرِهِ
وصـــدرُ مـــا قلبتـــه   مـــن يلقـــه عـــن فكـــرِهِ
فاســـمٌ تـــراه غاليـــاً   علـــى ســـموِّ قـــدرِهِ
أو فعـــل نحـــو صـــاحبٍ   فـــي ســـرِّه وجهـــرِهِ
وحـــرف معنـــى نـــافع   فـــي قلـــه وذكـــرِهِ
محلـــه يُحلـــه   وجلـــه مـــن خـــدرِهِ
وحـــل عقـــد شـــعره   وحـــل عقـــد درِّهِ
لازلـــتَ كهـــفَ قاصـــدٍ   مغتـــرفٍ مـــن بحـــرِهِ
مـــا ازدانَ غـــصنُ روضـــةٍ   بَنـــوْرِه وزهـــرِه

قال: فأجابني، وألحق الجواب لغزاً آخر، فقال:

يـــا كـــاملاً فـــي عـــصره   وفاضـــلاً فـــي دهـــرِهِ

وعالمـــاً مـــا مثلُـــه فـــي شـــامِه ومـــصرِه
وشـــاعراً أهـــدى لنـــا مـــن دُرَرٍ مـــن بحـــرِه
أهـــدى إلـــيَّ غـــادةً أبرزَهـــا مـــن خِـــدْرِه
قلَّـــدَها جـــواهراً لكنَّهـــا فـــي ثغـــره
أرشـــفَني مـــن لفظِهـــا زلالَـــه مـــن خمـــره
يقـــولُ مـــن أبـــصرني لقـــد غـــدا فـــي سـكرِه
لا يهتـــدي للفظـــه يقولُهـــا مـــن غمـــرِه
ألغـــزَ لغـــزاً ســـيدي مـــستخرجاً مـــن فكـــره
أبـــردَ قلبـــي لفظُـــه ونهلُـــه مـــن نهـــره
لمـــا غـــدا مـــستعراً مـــن نفحِـــه وحـــرِّه
ثـــم كـــساني حلَّـــةً معـــدودةً مـــن بِـــرِّه
وقايـــةً لمهجتـــي تحرسُـــها فـــي قُـــرِّه
فـــإن تـــردْ تـــصحيفَه فـــلا تـــزدْ فـــي ذكـــرِه
وإن تـــصحِّف تَلْفَـــه مـــشبَّهاً بـــدهرِه
لـــه رفيـــقٌ شـــاطرٌ فاعجـــب لـــه فـــي شـــطرِه
يزيـــدُنا تعقـــلاً يجيـــدنا فـــي فكـــرِه
جمعـــاً أتـــى ومفـــرداً فاعجـــبْ لـــه مـــن أمـــرِه
لا تعتـــبنَّ ســـيدي إذ لـــم أُطـــل فـــي ذكـــرِه
مـــا كنـــت فيـــه كاتبـــاً لـــولا وجـــوبُ أمـــرِه

فاسلمْ ودمْ مطرزا | بردَ الهُدى ببرِّهِ
ما دامَ عبدٌ ذاكراً | لربه في سرِّهِ
وما تغنَّى طائر | عند العِشا وفجره
يا سيديَ قلَّدتني | جواهراً من دُرِّهِ
ما اسمٌ ثلاثيٌّ غدا | مرتفعاً في قدرِهِ
يراه من أبصرَهُ | محقَّراً من صغرِهِ
فإن تنقص أولاً | تجلّه عن حصرِهِ
وإن تصحّف قلبه | فمن مضافِ دهرِهِ
إن صل ليل دالج | في بره أو بحرِهِ
تراه يبدو هادياً | وإن نأى عن مصرِهِ
يراه كلُّ سائرٍ | أو قاطنٍ في قطرِهِ
لا ينتقص من زمنٍ | على توالي عصرِهِ
ولا تخاف سطوَه | لعسكرٍ في كَرِّهِ
هو سيدٌ لعبدِهِ | به تمامُ فخرِهِ
لا زال يبدو لامعاً | وسطَ الدجى مع فَجرِهِ

قال: فلما وقفت على لغزه، أجبته بديهةً، وهو حاضر بقولي:

حمد المُولي بره | مقترناً بشكره
ثم صلاةً وسلا | ماً فاحَ نشرُ عطره
على نبيٍّ شرفت | سطورنا بذكره

وآلــــــه وصــــــحبه مَــــنْ ظفـــــروا بنـــصره
يــا أيهــا الــشيخُ الــذي أعجـــز نفـــثُ ســـحرِهِ
ومـــن تنقَّـــى أصـــله بحـــسنِ طيـــبِ نـــشرِهِ
ألغــزْتَ لــي فــي اسمٍ بــدا بعـــدَ خفـــاءِ أمـــرِهِ
وكيـــف تخفـــي وصـــفه مـــع اتـــضاحِ نـــورِهِ
وفـــي اســـمه شـــاركتُه لكـــن ســـما بقـــدره
مـــن ثـــم صـــحَّ أننـــي أرعـــاه عنـــد كَـــرِّهِ
مـــن العِـــشا مُغلِّـــسا إلـــى بُـــدُوِّ فجـــره
تـــسلية لـــي عـــن هَـــوَى مـــن شـــفَّني بهجـــرِهِ
فـــي ليلـــةٍ داجنـــةٍ كأنهـــا مـــن شَـــعْره
يتيـــه فيـــه واصـــفٌ مـــن أبحـــر مـــن فكـــرِهِ
يقـــولُ مـــا أقـــول فـــي وصـــفِ أقـــاح ثغـــرِهِ
يـــا ليـــت هـــل أرشـــف مـــن سُـــلافةِ مـــن خمـــرِهِ
الحـــبّ مثـــلُ ردفـــهِ والجـــسمُ مثـــلُ خـــصرِهِ
يـــا قامـــة الخطـــيِّ قـــد أخجلـــتِ لـــينَ سُـــمْرِهِ
فهـــل أبيـــتُ ليلـــةً معانقـــاً لنحـــره
قيـــد النـــوى بأســـرِهِ وعـــضَّني بعـــسرِهِ
ومـــا ســـخا بيـــسره لكنني أرغـــب فـــي
رب الـــــورى وأجـــــره

لعلنـــي أخلـــص مـــن   وقـــت الـــردى وعـــصرِه
برحمـــــةٍ واســـــعةٍ   أنجـــو بهـــا مـــن وِزْره
فـــربَّ حالـــة لهـــا   نفـــع الفتـــى فـــي قبـــره
وربَّ دعـــوةٍ وفـــت   مـــن صـــالح فـــي ســـرِّه
فالقـــصدُ مـــن ســـيدنا   مـــن خَـــصَّنا بخيـــرِه
رضـــي ديـــن الله مـــن   سَـــحَّ ســـحابُ بِـــرِّه
أن لا يكـــون خلُّـــه   بمعـــزلٍ عـــن فكـــرِه
يـــدعو لـــه بـــالعفوِ عـــن   مأثَمِـــه وســـترِه
لا زالَ فـــي ســـعادة   وفُـــسحة مـــن عمـــرِه
مـــا دامَ ليـــلٌ داجيـــاً   منـــوَّرا بزُهْـــرِه

قال النجم: وهذه المنادمة من لطائف المحاضرات، وظرائف المحاورات، وكانت وفاته ببيت المقدس، في جمادى الآخرة، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، وصلى عليه غائبةً بدمشق، في منتصف رجب، القاضي بدرُ الدين الموصلي ـ رحمه الله تعالى ـ آمين.

[١٩٠] محمد بن يونس، المدعو: عبد النبي، الدّجاني الأصل؛ نسبة إلى دجانة، من قرى بيت المقدس، المدني المنشأ والمولد، الشهير بالقشاشي.

قطب دائرة الوجود، ومظهر تجليات عالَم الشهود، وركن الولاية والهداية، وبحر العلم والحلم والدراية، وغوث الأنام، وسيد العلماء والأعلام، وصاحب الكرامات الظاهرة، والإشارات الباهرة، ومرشد الفريقين،

والمتصـرف بعد موته من غير شك وَمَيْن[1]، الجوهر الفرد، الذي لا تميزه الأعراض والحدود، والإمام الذي أقر بفضله العوالم كلها، ما بين مجحود ومشهود.

ولد بالمدينة، وبها نشـأ، وحفظ القرآن وجـوَّده، وتمذهب بمذهب شيخه محمد بن عيسى التلمساني المالكي، ورحل إلى اليمن سنة إحدى عشرة بعد الألف، وأخذ عن أكثر علمائه وأوليائه، منهم: الشيخ الأمين بن الصديق المرواحي، والسيد محمد العزب، والشيخ أحمد السطيحة الزيلعي، والسيد علي القبع، والشيخ علي بن مطير، وأجازه أكثر شيوخه، وجال في الأقطار اليمنية.

وممن أخذ عنه: السيد العارف بالله، الطاهر بن محمد الأهدل، صاحب المراوعة، والعلامة محمد الفروي، وغيرهما، ثم أقام بصنعاء، ونشر بها لواء السيادة الصوفية، وصار له بها المنزلة العلية، وظهرت له الكرامات البهية.

منها: أن بعض أمراء الزيدية بصنعاء حبسه لما ظهرت أحواله، وعلا مقامـه ومقالـه، فدخـل الأمير بعد حبسـه؛ لقضاء حاجة في الخلاء، وأراد الخروج منه بعد فراغه، فلم يستطع، حتى أمر بإخراجه من الحبس، فخرج حينئذٍ.

ومنها: أن بعض أمرائهـا ـ أيضاً ـ بلغـه عن جماعـةٍ من أهل ولايته، ما يقتضي رفعهم إليه، وإهانتهم لديه، فأتوا بهم إليه، على حالةٍ غير حسنة،

---

(١) من انتقل من الحياة الدنيا إلى الآخرة لم يكن له حولٌ ولا قوةٌ ولا تصرف، رحم الله المصنف وغفر له.

فلما دخلـوا عليـه، رأوا الشـيخ خارجاً من عنده، وكان فيهم من يعرفه، فسلموا عليه، وذكروا له الحال، فقال لهم: اعقدوا على محبته ظاهراً وباطناً، ولا يصيبكم منه إلا خير، فقرؤوا الفاتحة على ذلك، فمجرد دخولهم عليه، رأوا منه من المحبة والإجلال، ما لم يخطر ببالهم، ورجعوا إلى بلدهم، ولم ينلهم منه مكروه.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرح على حكم ابن عطاء الله» في مجلدين، و«شرح على الأجرومية» سلك فيه طريق الصوفية، على أسلوب «نحو القلب» للقشيري.

وقد ذكرت في ترجمة سيدي الشيخ أحمد: أنه منسوبٌ إلى الشرف، فراجعه إن شئت، ولم يزل مقيماً بصنعاء، حتى توفي بها، في خامس عشر شعبان، سنة أربع وأربعين وألف، ودفن بها، وقبره بها مشهور، يزار ويتبرك به ـ رحمه الله ـ.

[١٩١] محمد، الملقب تاج العارفين، ابن أحمد بن محمد العواجي، ابن أحمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن يوسف بن عبدالله بن علي بن محمد ابن علي، صاحب الزهراء، ابن حسن بن حسين ابن الشيخ العارف بالله عبدالله ابن علي، الشهير بالبَلاّع الأسدي، العريشي اليمني الأصل، المكي المولد والمنشأ[١].

شيخ العلوم والمعارف، ومالك زمامهما من تليد وطارف، تستنشد منه الأعراب، وتروي عنه اللغات والنحاة الفصيح وشواذ الإعراب، مترفعاً

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١١).

عن أبناء الدنيا الدنية، رافلاً في خمول وعفة قوية، شهد له الداني والقاصي بالقوة، وجدّ جدّاً في صباه، ولم تستمله الصبوة، وكر على أخذ العلم اليانع النافع من أفواه المشايخ فلم تأخذه جفوة.

واستمر على هذا السَّنن، آخذاً بالسُّنن، إلى أن أربى على العمر الطبيعي، مع تمتعه بحواسه واستقامته، مع تكاثف خفض نصب الدهر، وتغيير باسه، يجلس بين أبناء جنسه من الفضلاء الأكابر مُنكَّراً، وهو معرفة وإمام، وإذا خاطبه الجاهل، قال: سلام، وهو من بيت علم وصلاح، مقيمين على التقوى والنجاح، مهلين مثنى وفرادى في المساء والصباح، ملبيّن من لبى بحيَّ على الفلاح، حقيق بأن ينشد حاله:

لسنا وإن كرمت أوائلُنا يوماً على الأحساب نَتَّكِلُ
نبني كما كانت أوائلُنا تبني ونفعلُ مثلَ ما فعلوا

راضياً بالكفاف، من الرزق الحلال الأرغد، ناصباً النساخة حبلاً لصيد معيشته؛ كما عليه السلف الطاهر الأمجد.

ومولده صبح يوم السبت، ثالث شهر ربيع الأول، سنة أربع وثمانين وتسعمائة، وقرأ بمكة، واشتغل بالفقه، وبرع وأعرب في النحو، قبل أن يترعرع، وأخذ من العلوم بنصيب وافر، ولازم الأئمة الأكابر؛ كالسيد عمر ابن عبد الرحيم البصري، وخالد المكي، وعبد الملك العصامي، وغيرهم، وأجازه عامة شيوخه، وعنه: ولده أحمد، وعلي العصامي، وعبدالله العباسي، وكثير.

وألف مؤلفاتٍ عديدةً مفيدةً، منها: «شرح الكافي في علم العروض

والقوافي» نحو عشر كراريس، و«اختصار المنهاج» للنووي، و«شرح على الآجرومية» مختصر، توفي بمكة سنة ستين وألف، ودفن بالشبيكة.

والأسدي ـ بفتح الهمزة، والسين المهملة، بعدها دال مهملة ـ: نسبة إلى أسد بن عامر، أحد الفقهاء العامريين، والأسديون كثيرون متفرقون في اليمن مشهورون، وهم بيت علمٍ وخيرٍ وصلاحٍ، وفي أبي عريش، المنسوب إليها المترجم ونواحيها منهم كثير.

منهم: الشيخ العارف بالله أبو محمد عبدالله بن علي الأسدي، المعروف بالبَلّاع صاحب الكرامات المشهورة، وكان يلقب بالمعمَّر؛ لأنه عُمِّر مائة وثمانين سنة، على ما قيل، وأصلهم من قبيلةٍ يقال لها: آل خالد، مسكنهم بنواحي جازان، من أرض اليمن، بقرية يقال لها: المنارة ـ بفتح الميم والنون، وألف بعدها راء مهملةٌ مفتوحةٌ ـ غربي قرية الريان، من نواحي جازان.

[١٩٢] محمد بن أحمد الجوهري الشامي(١).

ذكره صاحب «السلافة»، فقال: ناظمُ جواهر الكلام، وقاطف أزاهر البيان بأنامل الأقلام، تقدم في مضمار البلاغة وما تأخر، وذلل صعاب البراعة بأدبه وسحر، فمن محاسن قوافيه، وكامل قريضه ووافيه قوله:

باكر رياض النيرين(٢) وماسها ... وانظر إلى الأزهار في أجناسِها

ما بين زنبقها الأنيق وورِدها ... وبديعِ نرجسها الغضيضِ وآسِها

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (١٩٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٣١).

(٢) كذا في الأصل.

وتـرنم الأطيـار فـوق غـصونها تروي لطيفَ الوصل عـن مياسِـها
جمعتْ معاني اللطف في ألحانها وبيـانِ منطقهـا وحـسنِ جناسِـها
تغنيك عن صوتِ[1] المثاني عندما تـشدو أزاهرُهـا علـى جُلاسِـها
فترى الغصون لِما بهـا مـن نـشوةٍ تهوي إليك مـن الـسرور براسِـها
طـاف الغـدير بهـا فـأثمر فرعُهـا وغـدا يُخَبِّـرنا بأصـل غراسِـها
وسرت بها ريـح الـصَّبا فتأرَّجَـتْ جلـساؤها بالطيـب مـن أنفاسِـها
فانهض نديمي نصطبحْ فـي ظلهـا واتـركْ تبـاريحَ الهمـوم لناسِـها
وأَجِلْ لحاظَ العـين بـين رياضِـها واستجل بكراً أفرغَتْ فـي كاسِـها
عـذراء واقعهـا المـزاجُ فأنتجـت أطفـالَ درٍّ لـم تـرع بنفاسِـها
شـمس تزيـدُ سَـنًا إذا مـا غربـت في فيك أولئك القـوى بـشِماسِها
تَـذَرُ الـذليلَ معظَّمـاً فـي نفـسه بلطيـفِ مـسراها وشـدةِ باسِـها
من كـفِّ مَيَّـاس القَـوام إذا مـشى بينَ الغصون قـضى علـى مَيّاسِـها
أو ماس في أهل الهوى ضربت له أخماسـها بـالقهر فـي أسداسِـها
ما جيدُ غزلانِ الصريمِ إذا شاهدتَها أهدتْك سُـهداً مـن فتـور نُعاسِـها
قـم يـا حبيبـي لا برحْـتَ ممتعـاً داوِ القلوبَ مـن الكـروب وآسِـها
واسـمحْ وآنـسْ باللقـا يـا منيتـي مـا دامـتِ الأيـامُ فـي إيناسِـها

قلت: ضربت له أخماسها في أسداسها . . .[2].

---

(١) في الأصل: صون، والصواب ما أثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «أسداسها» بياض بالأصل سطران».

توفي المترجم في سنة نيف وستين وألف.

[١٩٣] شاه محمد بن أحمد بن أبي السعود المناستري الرومي.

من علماء الحنفية بالديار الرومية، له شرحٌ ممزوجٌ على ملتقى الأبحر، سماه: «منتهى الأنهر» ألفه سنة اثنتين وخمسين وألف، **وتوفي** سنة اثنتين وستين وألف.

[١٩٤] السيد محمد بن أحمد ابن الإمام الحسن بن داود بن الحسن ابن الإمام الناصر ابن الإمام عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل بن محمد بن علي ابن الإمام الداعي يحيى بن المحسن بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن ابن الأمير العالم المعتضد بالله عبدالله ابن الإمام المنتصر لدين الله محمد ابن الإمام المختار لدين الله القاسم ابن الإمام الناصر لدين الله أحمد ابن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم[١].

ذكره العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، فقال: السيد الباسل، الشجاع الكامل، الحليم الفاضل، عين الزمان، وفخر الأوان، بهجة المحافل، وزين الأماثل، صاحب الآراء الثاقبة، والمحامد الواسعة.

نشأ على العلم والصلاح، بعد موت أبيه، وصبر على مشاق الوقت، وقاسى في عنفوان شبابه، أموراً صبر لها حتى أفضت به إلى محل من الخير لا يدرك.

وقرأ بصعدة وصنعاء، وكان كثير المذاكرة وحضرته معمورة بالفضلاء، ومع ذلك، فهو يقود المقانب، ويشارك في المهمات كأحد أولاد الإمام القاسم

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٨٢) (٢٤٢).

ابن محمد، وكان لا يعد نفسه إلا منهم، ولا يعدونه هم إلا من أجلائهم، وتولى في حصار صنعاء، حصرها من الروضة، وحمد أثره، ولم يزل مع السيد الحسن ابن الإمام القاسم في جميع المشاهد، ثم ولاه العُدَين، وهو إقليم متسع، فحسنت حاله، واستقامت حال خلائق معه، وعلا صيته في العلم والجاه والرياسة، ثم كان أحد أعيان دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم، وكان بينهما ود أكيد، وتولى في أيامه مع العُدَين حَيْس من تهامة، وبندر المخا، وحينئذ ألقت إليه الدنيا أفلاذ أكبادها، وعاش حميداً، ولم يشتغل بتكلفة.

وشرح «قافية ابن الحاجب»، و«شرح الهداية في الفقه»، رأيت منه مجلداً، ولم أعرف إلى أي محل بلغ، وفتويات وإخوانيات، وغير ذلك، وكان يحب الأدب وأهله.

ولما كان الحج الكبير الذي اجتمع فيه أعيان آل القاسم وغيرهم، من جملتهم: السيد أحمد بن الحسن، والسيد محمد بن الحسين، والسيد محمد ابن أحمد بن القاسم، وكان معهم أعيان؛ كالقاضي أحمد بن سعد الدين، وأظنه عام ثلاث وخمسين، جعل الإمام المؤيدُ بالله محمدُ بن القاسم أميرَ هؤلاء جميعِهم صاحبَ الترجمة.

وتوفي ـ رحمه الله ـ يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة، سنة اثنتين وستين بعد الألف ببندر المخا، ونقل إلى حَيْس، فدفن بها في التربة التي أعدها له بوصية منه، ومن شعره قوله. . .[1].

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر الشعر».

[١٩٥] محمد بن محمد بن أحمد بن أبي يحيى الكواكبي الحلبي الحنفي(١).

مفتي حلب الشهباء، وشيخ الإسلام بها، وبدرُ مطالعِ أفقِ العلوم فيها ورئيسها، والمقدم فيها في الفنون العقلية والنقلية، مع سعة المال والجاه، ودرة عقد المنطوق والمفهوم بناديها، وكشاف غوامض التحقيق ومفتاحها، ومبين لطائف التدقيق وإيضاحها، كواكبُ الفضل مشرقةٌ من مشارق أقلامه، ودرر عقود النظم منثورةٌ من سلك بديع كلامه، فاق الأوائل والأواخر بنفسه، ويجده كابراً عن كابر.

مولده بحلب، وبها نشأ، وأخذ عن جمع من محققي علماء عصره، منهم: الشيخ جمال الدين البابولي، وبه تخرج وبرع وأفاد، ودرس وأفتى وأجاد.

وألف المؤلفات النافعة المفيدة، منها: «نظم الوقاية وشرحه» في الفقه، و«نظم المنار وشرحه» في الأصول، و«حاشيتان على تفسير البيضاوي»، الأولى التزم فيها مناقشة فاضل الروم، العلامة سعدي جلبي، بألطف عبارة، وأظرف إشارة، والثانية تكلم فيها مع المحقق، عصام الدين، و«حاشية على شرح المواقف» للسيد، وغير ذلك من الرسائل والتحريرات، والمباحث والتعليقات.

وله نثر ونظم، يخجل برقته خدود الغيد والزهر.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٧)، وذكر وفاته فقال: «وتوفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة سنة ست وتسعين وألف». «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠١).

فمن كوكب ألفاظه الدرية، ونفثات أقلامه السحرية قوله:

أورقاء عن عهد الحبيب تترجم ... ليهنك إلفٌ بالغوير يخيمُ
لئن تندبي إلفاً بمرأًى ومسمع ... فإني على شطِّ المزار متيمُ
وهب سجعك الموزون باللحن معرب ... فدمعي أوفى صامت يتكلمُ
لك مَثَل في العندليب وسجعه ... ولي مَثَل الفراش والفرق يُعلم

وقوله:

يا أيها البدرُ المنيرُ إذا بدا ... وإذا رنا يا أيها الريمُ
ومعلمَ الغصنِ الرطيبِ تمايلاً ... رقَّ النسيم له فصار يهيمُ
لم[1] ذا تموه عن صبابةِ عاشقٍ ... صبٌّ على طول الصدود مقيمُ
فارحم ضنى جسدي وحسن تصبري ... وارْعَ الجميلَ فما الجمال يدوم

وله مفرد:

فلا تعجبوا من لكنة في لسانه ... فمن حلو فيه لا يفارقه الحرف

وله قصيدةٌ على لسان القوم، ضمن فيها بيتي ابن عطاء الله.

توفي...[2].

والكواكبي: نسبة إلى كواكب، من بلاد العجم، ارتحل جده أبو يحيى منها إلى حلب، وتوطنها، وهم بيت علمٍ وصلاحٍ وولايةٍ، مشهورون في ذلك الإقليم شهرةً قوية.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: كم.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «توفي» بياض مقدار سطر بالأصل».

[١٩٦] السيد محمد بن الحسين بن محمد المحرابي.

كان سيداً فاضلاً، صالحاً مطلعاً، له إشرافٌ كاملٌ على العلوم، كثير المطالعة والقراءة، واسع الحفظ، متكففاً متعففاً.

لم يخرج من بلده المحراب إلا لزيارة الأئمة بشهادة، وكان يأكل من نذره كوالده، وكان والده من أكابر العلماء، وتوفي السيد في أفراد عشر الخمسين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٩٧] محمد بن حسين الحمامي العاتكي الدمشقي الحنفي، الشيخ، العالم، البارع، شمس الدين[1].

كان فاضلاً صالحاً، ديناً خيراً، برع في فنونٍ عديدةٍ، واشتغل بالفقه وغيره، على الشمس بن المنقار، حضر دروسه كثيراً، ودروس القاضي محب الدين في التفسير وغيره، وقرأ على الملا محمد البغدادي، والشمس محمد الداودي، وبحث مع الأفاضل.

واشتهر فضله، وعلا ذكره، وكان لين العريكة، رجاعاً في البحث، صحب ولي الله الشيخ، محمد بن اليُتيم العاتكي، وانتفع به، وحصل له بصحبته خيرٌ كثيرٌ؛ من ملازمة الأوراد، وقيام الليل، وولي من الوظائف الدينية إمامةَ المرادية، وغير ذلك.

توفي يوم الأربعاء، رابع شعبان، سنة ثمان عشرة بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس، شيخُ الإسلام، النجمُ محمد الغزي، عند باب المرادية،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١١٣) (٣٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٩).

ودفن بباب الصغير، وأسف أهل محلته عليه وفقدوه ـ رحم الله الجميع ـ.

[١٩٨] محمد حسين بن محمد، السيد الشريف الحسيني، المعروف بابن حمزة، نقيب الأشراف بدمشق[١].

قال النجم محمد الغزي في «الذيل»: كان رفيقنا في الاشتغال على شيخنا أحمد العيثاوي، حضر هو وأخوه السيد زين العابدين تقاسيم المنهاج، وكان فاضلاً ذكياً، ولي نقابة الأشراف، وأثرى، وكثر ماله وجاهه.

ولما كان الوزير مراد باشا بحلب، في وقعة ابن جانبولاد، قصده بها، مع شيخنا المذكور، ومحمد بن سعد الدين، والمشايخ الموصليين، وعيسى الصمادي؛ للشكاية على ابن معن، وما صنعه من مساعدة ابن جانبولاد.

فمرض وهو راجع في الطريق، بنزف الدم، ولما كان بقرية الطيبة، من قرى حماة، **مات بها**، في رابع صفر، سنة سبع عشرة ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، وحُمل إلى حماة، ودفن بها، ولم يجاوز أربعين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٩٩] محمد بن حسين الملا بن ناصر بن ناصر بن حسن بن محمد ابن ناصر ابن الشيخ القطب الرباني شهاب الدين الأشقر العقيلي، المعروف قبره بمدينة حماة ـ صانها الله وحماها ـ الحموي الحنفي[٢].

الشيخ الفاضل، البارع الكامل القدوة، كان فاضلاً ذكياً، له صحةُ فهمٍ،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٠٦) (٣٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٩).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٥٩).

ومشاركةً في علوم كثيرةٍ، مع طيب محاورة تسكر منها الأذهان، وتتعطر بها الأردان، ولهجةً صادقةً، وفكرةً رائقةً.

ولد بحماة، سنة أربع وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وقرأ القرآن على الشيخ العارف بالله، محمد الشربيلتي البكري، ولازم والده في العلوم العقلية والنقلية، وبه تخرج، وأخذ أيضاً عن خاله العلامة الخطيب أحمد بن يحيى علوماً متعددة، وتأدب به، وكرع من مشاربه.

ولما حادت(١) حكام تلك الإقليم على أهله، هاجر عليهم إلى دمشق، فكان ممن هاجر مع والده وأهله، وتوطن دمشق سنين عديدة، ورحل إلى مصر، وأخذ عمن بها من كبار علمائها؛ كالعلامة عامر الشبراوي، وحسن الشرنبلالي، وعمر الدفري، والشهاب أحمد الشوبري، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وغيرهم، وأجازه بعضهم.

وكتب بخطه كتباً كثيرةً، وتكرر تردده إلى مصر للتجارة، على عادة سلفه، وسافر إلى اليمن مرتين، وجاور بالحرمين سنين عديدة، ثم تدير مصر وتوطنها، وأقام بها على طلب العلم، والاشتغال به وبما يعنيه من أمور دينه ودنياه.

وهو خالي شقيق والدتي، وكفلني بعد موت والدي، وأحسن تربيتي، فجزاه الله عني أفضل جزائه، وأسبل عليه مزيد فضله وآلائه.

وله شعرٌ كالسحر، ونثر كالدر، لم يحضر منه، إلا قوله في غلامٍ اسمه عنيبي:

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: جازت.

قد مسني قلـق فـي وسـط سـاعية | والبين تُجري دموعي وهي تجري بي
من عشق ذي هَيَفٍ حلوِ اللَّمى غَنِجٍ | أزورُه خافيـاً والـصبحُ يُغـري بـي
أشكو إلى الله من ممـشوقٍ قامتِـه | وريـقِ ثغـرٍ عـذيبي منـه تعـذيبي

توفي بمصر، يوم الجمعة، تاسع جمادى الأولى، سنة أربع وتسعين وألف، ودفن على والدي، بتربة المجاورين ـ رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى بمنه ـ، ولما بلغني خبر وفاته، وكنت باللجبة، من اليمن الميمون، رثيته بهذه الأبيات، وأشرت بها إلى تاريخ الممات، وهي:

سـقى الإلـه ضـريحاً أعظـم مـن | حوى مـن الفـضل أسـناه وأغـلاهُ
خالي محمد المرحوم مَن عظمت | عنـدي مـصيبتُه مـذ جـاء منعـاهُ
قد كـان فينـا كريمـاً سـيداً عطفـاً | بمثلـه بخلـتْ أهـلٌ بـه تـاهوا
وطودُ علم على ما فيـه مـن خلُـق | ورقـة اللفـظ مـذ يبـدي ثنايـاهُ
وكـان بـراً شـفيقاً بـي وكنـت لـه | عبـداً مطيعـاً لأمـر كـان يرضـاهُ
وكـم لـه مـن أيـادٍ قـد أطـال بهـا | عليَّ مذ كنتُ طفـلاً كيـف أنـساهُ
أبكي عليـه إذا جـن الظـلامُ ولـي | عليـه دمـعٌ يحـاكي الـدرَّ مـرآهُ
كل المصائب عندي بعـدَ فجعتـه | قريبـةٌ مـذ سـحابُ التـربِ غـشَّاهُ
ولـو يفـدَّى بنفـسي كنـتُ مفديَـه | بهـا يقينـاً وحـسبي الـشاهدُ اللهُ
عليه مني سـلامُ الله مـا صـدحَتْ | على غـصونِ أراكِ الـدوح ورقـاهُ
إن رمتَ تاريخَه صاداً فـزده وقـل | محمـدٌ فـي جنـانِ الخلـدِ مـأواهُ

وكان كثيرا ما يتمثل بقول أبي محمد القرطبي:

سهرتْ عينٌ ونامت عيونُ ... لأمورٍ تكونُ أو لا تكونُ
فاطردِ الهمَّ ما استطعت عن النفـ ... ـسِ فحملانُك الهمومَ جنونُ
إن ربّاً كفاكَ بالأمس ما كا ... ن سيكفيكَ في غدٍ ما يكون

وكان يوصيني بتكريرها في الشدائد، ويقول: إنها مجربة للفرج، والمُلاَ بغير نونٍ بعد الميم، ونقل شيخنا خاتمة المحققين، عن شيخه الشهاب أحمد الغنيمي ـ رحمهما الله ـ، أنه يرسم: مَنْلا، وأن أصله: من لا نظير له، فاختصر بحذف ما بعد لا، ولهذا رسمته بالنون، وقد يُوجّه الأول؛ بأنه مختصر من المولى، الواقع في بعض العبارات، فليحرر.

[٢٠٠] محمد بن حسن الشبراوي(١).

رئيس المالكية بمصر، وإمام مذهبهم، وأجل تلامذة الشمس محمد البنوفري، **توفي** بالقاهرة، يوم الأحد، تاسع عشر جمادى الأولى، سنة سبع عشرة بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٠١] محمد بن حسن بن علي بن محمد الحر الشامي العاملي(٢).

قال السيد في «سلافته»، بعد أن أطال في ترجمته: له شعرٌ مستعذبُ الجناب، بديعُ المجتلى والمجتنى، **منه قوله:**

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١٠٢) (٤٧٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٢)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٣٣٧) (١٠١).

فضلُ الفتى بالبذل والإحسان والجودُ خيرُ الوصف للإنسانِ
أو ليس إبراهيمُ لما أصبحتْ أموالُه وقفاً على الضيفانِ
حتى إذا أفنى اللُّهى أخذَ ابنه فسخا به للذبحِ والقربانِ
ثم ابتغى النمرودُ أمراً قاله فسخا بمهجته على النيرانِ
بالمال جادَ وبابنِه وبنفسِه وبقلبِه للواحدِ الديَّانِ
أضحى خليلَ الله جلَّ جلالُه ناهيك فضلاً خُلَّةُ الرحمنِ
متح[1] الحبيب به فيا لك رتبةً تعلو بأخمصِها على التيجانِ

وأصل هذا حديثٌ قدسي، رواه أبو الحسن المسعودي، في «أخبار الزمان»، قال: إن الله أوحى إلى إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ: إنك لما أسلمتَ مالَكَ للضيفان، وولَدك للقربان، ونفَسك للنيران، وقلبَك للرحمن، اتخذناك خليلاً. انتهى.

قدم صاحب الترجمة، إلى مكة، سنة سبع وثمانين وألف، ورجع إلى العجم، فمات بها، رحمه الله تعالى.

[٢٠٢] السيد محمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام يحيى شرف الدين[2].

كان من رؤساء العلماء، وخواص الكتاب النبلاء، عند السيد الحسن بن القاسم، توفي سنة ثمان وأربعين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٥٣) (٢٠٧).

[٢٠٣] بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الكاملي الحارثي[1].

قال السيد علي في «سلافته»، بعد أن أطال في ترجمته: مولده بعلبك، عند غروب شمس يوم الأربعاء، لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وانتقل به والده إلى بلاد العجم، وأخذ عن والده، وغيره من الجهابذة؛ كالعلامة عبدالله اليزدي، حتى أذعن له كل مناظر ومنابذ.

فلما اشتد كاهله، وصفت له من العلم مناهله، ولي بها مشيخة الإسلام، ثم رغب في الفقر والسياحة، واستهبَّ من مهاب التوفيق رياحه، فترك تلك المناصب، ومال لما هو لحاله مناسب، فحج بيت الله الحرام، وزار النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ثم أخذ في السياحة، فساح ثلاثين سنة، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أرباب الفضل.

ثم عاد، وقطن بأرض العجم، وهنالك همى غيث فضله وانسجم، فألف وصنف، وقرظ المسامع وشنف، وقصدته علماء تلك الأمصار، واتفقت على فضله أسماعهم والأبصار، وغالت تلك الدولة في قيمته، واستمطرت غيثَ الفضل من دِيمته، فوضعته في مفرِقها تاجاً، وأطلعته في شرقها سراجاً وهاجاً.

وتبسمت به دولة سلطانها الشاه عباس، واستنارت بشموس رأيه عند اعتكار حنادس الباس، فكان لا يفارقه سفراً وحضراً، ولا يعدل عنه سماعاً

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٤٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٦١)، «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ٦٠) (١٤٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٢٩١) (٩٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٠٢).

ونظراً، إلى أخـلاق لو مـزج بها البحر، لعذب طعماً، وآراء لو كحلت بها الجفون، لم يلف أعمى، وشيمٍ هي في المكارم غررٌ وأوضاح، وكرم بارقِ جودِه لشائمه لامعٌ وضاح، تتفجر ينابيع السماح من نواله، ويضحك ربيع الإفضال، من بكاء عيون آماله.

وكانت له دارٌ مشيدة البناء، رحبة الفِناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويَفِد إليها الراجي والآمل، فكم مهدٍ بها وُضع، وكمِ طفلٍ بها رَضَع، وهو يقوم بنفقتهم بكرةً وعشياً، ويوسعهم من جاهه حناناً مغشياً.

مع تمسك من التقى بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة على الدنيا، والآخرةُ خيـرٌ وأبقى، ولـم يزل آنفاً من الإيحاس إلى السـلطان، راغباً في الغربة عن الأوطان، يؤمل العود إلى السـياحة، ويرجو الإقلاع عن تلك السباحة، فلم يقدر له حتى وافاه حِمامه، وترنم على أفنان الجنان حَمامه.

وأخبرني بعض ثقات الأصحاب: أن الشيخ قصد ـ قُبيل وفاته ـ زيارة المقابر، في جمع من الأجلاء الأكابر، فما استقر بهم الجلوس، حتى قال لمن معه: إني سـمعت شيئاً، فهل منكم من سمعه؟ فأنكروا سؤاله، واستغربوا مقاله، وسألوه عما سمعه، فأوهم وعمَّى في جوابه لهم.

ثم رجع إلى داره، فأغلق بابه، ولم يلبث أن أجاب داعي الردى فأجابه، فكانت وفاته لاثنتي عشرة خلون من شوال، سنة إحدى وثلاثين بعد الألف بأصبهان، ونقل قبل دفنه إلى طوس، فدفـن بها في داره، قريباً من الحضرة الرضوية.

ومن مصنفاته: التفسير المسمى بـ: «العروة الوثقى»، والتفسير المسمى

بـ: «عين الحياة»، و«الحبل المتين»، و«مشرق الشمسين»، و«شرح الأربعين»، و«الجامع العباسي» فارسي، و«مفتاح الفلاح»، و«الخريدة في الأصول»، و«الرسالة الهلالية»، و«الاثني عشريات الخمس»، و«خلاصة الحساب»، و«المخلاة»، و«الكشكول»، و«تشريح الأفلاك»، و«الرسالة الإصطرلابية»، و«حواشي الكشاف»، و«حاشية على البيضاوي»، و«حاشية على خلاصة الرجال»، و«دراية الحديث»، و«الفوائد الصمدية في علم العربية»، و«التهذيب في النحو»، و«حاشية الفقيه»، وغير ذلك من الرسائل المختصرة، والفوائد المحررة.

وأما أدبه، فالروض المتأرج أنفاسه، المتضوع بنثره ونظمه ووروده وآسه، المستعذب قطافه وجناه، المستظرف لفظه ومعناه.

فمن شعره: قوله وقد سأله بعض أصحابه أن يعارض قصيدةً رثي بها والده، مطلعها:

جارتـا كيـف تحـسنينَ ملامـي ... أيـداوى كَلْـم الحـشا بكـلامِ
خلِّيـاني بلـوعتي وغرامـي ... يـا خليلـيَّ واذهبـا بـسلامِ
قـد دعـاني الهـوى فلبـاه قلبـي ... فـدعاني ولا تُطـيلا ملامـي
إن مـن ذاق نـشوةَ الحـب يومـاً ... لا يبـالي بكثـرة اللُّـوَّامِ
خـامرتْ خمـرةُ المحبـة قلبـي ... وجـرت فـي مفاصـلي وعظـامي
فعلـى الحلـمِ والوقـارِ صـلاةٌ ... وعلـى العقـل ألـفُ ألـفِ سـلامِ
هل سبيلٌ إلى وقـوفي بـوادي الـ ... ـجزع يـا صـاحبيَّ أو إلمـامي
أيهـا الـسائر الملـحُّ إذا مـا ... جئتَ نجـداً فعُـج بـوادي الحـرامِ

وتجاوز عـن ذي المجـاز وعَـرِّجْ　　عـادلاً عـن يمـين ذاك المقـامِ
وإذا مـا بلغـت جَـزْوى فبلِّـغْ　　جيـرةَ الحـيِّ يـا أُخَـيَّ سَـلامي
وأنـشدَنْ قلبـيَ المعنَّـى لـديهم　　فلقـد ضـاع بـين تلـك الخيـامِ
وإذا مـا رَقُّـوا لحـالي فـسلْهم　　أن يمنُّـوا ولـو بطيـفِ منـامِ
يـا نـزولاً بـذي الأراكِ إلـى كَـمْ　　تنقـضي فـي فـراقكم أعـوامي
ما سرتْ نسمةٌ ولا ناح في الـدَّوْ　　حِ حَمـامٌ إلا وحـان حِمـامي
أيـن أيامُنـا بـشرقيِّ نجـدٍ　　يـا رعاهـا الإلـهُ مـن أيـامِ
حيث غصنُ الشباب غَضٌّ وروضُ الـ　　ـعيشِ قـد طرزتـه أيـدي الغمـام
وزمـاني مـساعدٌ وأيـادي اللَّهْـو　　نحـوَ المنـى تجـرُّ زِمـامي
أيهـا المرتقـي ذُرا المجـد فـرداً　　والمُرَجَّـى للفادحـاتِ العظـامِ
يا حليفَ الندى الذي جمعت فيـه　　مزايـا تفرقـت فـي الأنـامِ
نلـتَ فـي ذِروةِ الفَخـار محـلاً　　عَـسِرَ المرتقـى عزيـزَ المـرامِ
نـسبٌ ظـاهرٌ ومجـدٌ أثيـلٌ　　وفخـارٌ عـالٍ وفـضلٌ سـامي
قـد قَرَنّـا مقـامكُم بمقـالٍ　　وَشَـفَعنا كلامَكُـم بكـلامِ
ونَظْمنـا الهـامَعَ الـدرَّ فـي سـمط　　وقلنـا العبيـرُ مثـل الرغـامِ
ألـم أكـنْ مُقْـدِماً علـى ذا ولكـنْ　　كـان طوعـا لأمـرِكم إقـدامي
عمـركَ الله يـا نـديميَ أنـشدْ　　جارتـا كيـف تحـسنين ملامـي

وقوله يرثي والده، وقد توفي بالمصلى، من قرى البحرين، لثمان خلون من شهر ربيع الأول، سنة أربع وثمانين وتسعمائة، عن ست وستين سنة

وشهرين وسبعة أيام، ومولده أول يوم من محرم، سنة ثمان عشرة وتسعمائة.

قفْ بالطُّلول وسلْها أين سَلْماها ورِوِّ من جُرَعِ الأجفان جَرْعاها
وردِّدِ الطرفَ في أطرافِ ساحتِها وأرجِ الوصلَ من أرواحِ أرجاها
فإن يفتك من الأطلال مخبرُها فلا يفوتنك مرآها وريّاها
ربوعُ فضل تباهي التبرَ تربتُها ودارُ أنس تحاكي الدرَّ حصباها
عدا على جيرةٍ حَلُّوا بساحتِها صرفُ الزمان فأبلاهم وأبلاها
بدورُ تَمٍّ غمام الموتِ جَلَّلَها شموسُ فضل سحابُ التربِ غَشَّاها
فالمجدُ يبكي عليها جازعاً أسفاً والدينُ يندبها والفضلُ ينعاها
يا حبذا أزمنٌ في ظلهم سلفتْ ما كان أقصرَها عمراً وأحلاها
أوقاتُ أنس قضيناها فما ذكرت إلا وَقَطَّع قلبَ الصبِّ ذكراها
يا جيرة هجروا واستوطنوا هَجَراً واهاً لقلبي المعنَّى بعدكم واها
رعياً لليلاتِ وصلٍ بالحمى سلفَتْ سقياً لأيامنا بالخَيْف سقياها
لفقدِكم شُقَّ جيبُ المجدِ وانصدعتْ أركانُه وبكم ما كانَ أقواها
وخرَّ من شامخات العلم أرفعها وانهدَّ من باذخات العلم أرساها
يا ثاوياً بالمصلى من قرى هَجَرٍ كُسيتَ من حُلَل الرضوان أضفاها
أقمت يا بحرُ بالبحرين فاجتمعت ثلاثةٌ كُنَّ أمثالاً وأشباها
ثلاثة أنتَ أنداها وأغزرُها جوداً وأعذبُها طعماً وأصفاها
حويتَ من دُرر العلياء ما حَوَيا لكنَّ دُرَّك أعلاها وأغلاها
يا أعظُما وطئت هامَ السهى شرفاً سقاكَ من ديم الوسميِّ أسماها

يا ضريحاً علا فوق السماك عُلاً | عليكَ من صلواتِ الله أزكاها
فيك انطوى من شموس الفضل أضوؤها | ومن معالم دين الله أسناها
ومن شوامخ أطوادِ الفتوة أرساها | وأرفعُها قدراً وأبهاها
فاسحبْ على الفلك الأعلى ذيول عُلاً | فقد حويتَ من العلياء أعلاها
عليك منا سلامُ الله ما صدحَتْ | على غصون أراكِ الدوح ورقاها

[٢٠٤] القاضي محمد بن خليل الأحسائي[١].

قاض قضى من الأدب الأرب، وحظي بارتشاف الضَّرَبِ من لسان العرب، وما زال بكعبة الفضل طائف، حتى تقلد سنة أربع وثلاثين بعد الألف، قضاءَ الطائف، وكان شديد العارضة في علم العروض، مبيناً لطلابه منه السنن والفروض، مع إلمامٍ جيد باللغة والإعراب، ومفاكهاتٍ تُنسى معها نوادرُ الأعراب، وهو من أبدع الناس خطّاً، وأتقنهم للكتب نقلاً وضبطاً، كتب ما ينوف على الألوف، وخطُّه بالحجاز معروف.

توفي سنة أربع وأربعين وألف بمكة، ودفن بالمعلاة.

ومن شعره: قوله مخاطباً للقاضي تاج الدين المالكي، وقد طلب منه شيئاً من شعره:

لديك أخا العلياء والفضلِ والعلمِ | ومن جَلَّ من بين الأجلاَّء بالفهم
تحل رحال الظاعنين ومن غدا | إليك بدا في حامِلي العلم كالنجم

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٦٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٣٧) (٢٨٧)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٢٧).

لئن كان ربُّ الفضلِ كالرأس في الورى فأنـتَ لـه تـاجٌ يـضيء بـلا كـتم
طلبـت مـن الـنظم البـديع لآلئـاً فدونكَها كالعقد في حسن الـنظمِ
تـشنِّفُ أسـماعَ الـرواة بـدرِّها وتقطـعُ أفـلاذَ الغبـيِّ مـن الغـم
فيـا أيهـا القاضـي المولِّـدُ طبعُـه من العلم أفنانـاً تجلُّ عـن العقـم
نوائبُ هذا الدهر غالَـتْ قريحتـي ودقَّتْ عظامي بعد تمزيقها لحمي
فلو أن هـذا الـدهرَ يُبـدي تعطُّفـاً لظلَّ بديعُ النظم والنظم في سـهم
ولو أن جزءاً مـن غمـومي مفرقـاً على الخلق عامراً في بحار من الهَمِّ
وسـامح فمنـديلُ القـرارِ مقطـعٌ ورقَّ لقلـبٍ لا يقـرُّ مـن الفـدم
ودمْ أبـداً فـي نعمـة ضـدها لهـا يطأطئ رأساً في الرغام على الرغم

وكتب إلى القاضي أحمد بن عيسى المرشدي، يهنيه بزيارة النبي ﷺ، سنة ثلاث وعشرين وألف:

زيــارة رفعتهــا للقبــولَ يــدُ وسَـفْرَةٌ أسـفرت فـي طيهـا مـددُ
يهنيك زورةُ خيرِ الرسلِ في رجبٍ يـا مـن ربيـعُ يديـه دائمـاً لبـدُ
اللهُ والـشافعُ المختـار قـد نظـرا إليكَ والركـبُ إذ سـايرته سـعدوا
أخلصْتَ لله فـي هـاتي الزيـارة إذْ شددْتَ وجنـاءَ لا تـشكو إذ تَخِـدُ
وفـزتَ فـي لـثمِ أعتـابٍ مقربـةٍ إليـه قـوم بهـا فـي زيهـم حمـدوا
نعــم لكــم ذمــةٌ منــه بتــسمية يهني محمد من ذا الحمد ما يجدُ
قد سِرْتَ لله سيرَ الـصالحين إلـى نبيِّــهِ وعلــى الألطــافِ تعتمــدُ
قصدْتَ سوح إمامِ الرسلِ سيدِهم غوث العباد إذا في حشرهم جهدوا

ورُمْتَ من فضله فضلاً تريدُ به فضائلاً هي في عليائِكَ السندُ
طابَتْ بطيبةَ أوقاتُ الأُلى قصدوا تقبيلَ تربته والخيرَ قد وجدوا
هَبَّتْ عليهم نسيماتُ الرضا سَحَرا فزال عنهم لهيبُ القلبِ والكمدُ
زاروا جسوماً وزُرْنا نحنُ أفئدةً في سببِ الوجدِ والأشواقُ تَطَّرِدُ
بُشراكَ يا زائرَ المختارِ لا بَرِحتْ عليك مبرات سمَت تردُ
لا زلتَ تقصِدُه ما سارَ زائره إليه في كل عام نجمُه يَقِدُ

فأجابه بقوله:

أذي زهورُ رياضٍ زانَها النضدُ أم الدراري التي في أُفقها تفدُ
أم ذي جواهرُ تيجانِ الملوكِ على جواهرِ التاج إن فنيت بها تيد
أم العقودُ أم المنظوم من كِلمٍ أعانَ ناظَمه التأييدُ والمددُ
أم ذي عرائسُ أفكارٍ محجَّبة أماطَتِ السترَ عنها للأديب يدُ
يدٌ طويلةُ باعٍ في العلوم لها في كلِّ ما يعجز الأفهام منتقدُ
كأنها حين وافتني على غررٍ أرى قتيلَ الهوى عذبَ اللمى الصردُ
قد أذكرتني أياماً حلَّت وخلت واغتالَ لذتَها في طيها الأبدُ
وافت تهنِّي مُحَيًّا لم يزلْ قلقاً إلى لقائك صبًا وهو مضطهدُ
وكان لما أتت أخرى بتهنئة بها لما أطفأت من حر ما يجدُ
وقلتَ فيها وزُرْنا نحنُ أفئدةً مُعرّضاً فانجلى ما جنّه الخَلَدُ
فالحمدُ لله زار المصطفى الجسدُ مع الفؤادِ وحقَّ الأجرُ والرشدُ
لأن كلَّ اعتدالٍ من سواك يُرى يفوقُه منك عندي ذلك الأَوَدُ

عليـكَ منِّـي تحيـاتٌ مـضاعفة		مـن المهـيمنِ تَتْـرَى مـا لهـا أَمَـدُ

[٢٠٥] محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الحموي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الشيخ العلامة، شمس الدين، الميداني، الدمشقي، الشافعي، عُرف بابن حنتوش(١).

قال النجم الغزي في «الذيل»: كان أبوه رجلاً حلاجاً، ثم صار صوافاً، يبيع العباءة وغيرها، تحت قلعة دمشق.

وأراد الله بولده خيراً، فقرأ القرآن العظيم على الشيخ قريحة، إمام جامع منجك، بميدان الحصا، خارج دمشق، وقرأ بالروايات على حسن الصلتي، والفرائض على الفرضي الحيسوب، محمد التنوري الميداني، ثم قرأ بالروايات ـ أيضاً ـ على شيخ الإسلام الشيخ، شهاب الدين الطيبي الأوسط، وشهاب الدين الغزي، وكان يحضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي، وإسماعيل النابلسي، وعماد الدين الحنفي، ومحمد الحجازي، وأحمد العيثاوي.

ثم وقع بينه وبين بعض مشايخه، في مسألة الكأس الموضوع الآن في ضمن الجامع الأموي، فكان الشمس يقول بصحة الوضوء منه؛ لأنه يتحرك الماء بحركته، وهو زائد على القلتين، وكلُّ ما تحرك الماء بحركته، يعتبر فيه القولان، وشيخه يخالفه في ذلك، ويشنع عليه، وكان إذ ذاك شاباً.

ورحل إلى مصر، سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، ومكث في الجامع

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٧٢) (٥٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٧٠)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٢).

الأزهر تسع سنين، وحضر دروس شيخ الإسلام، الشمس محمد الرملي، والنور الزيادي، ومن عاصرهما، قال: دخلت مصر، وأنا لا أملك شيئاً، فما خرجت منها، إلا وقد وجبت علي الزكاة.

ثم قدم الشام سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، فتصدر بها للتدريس والإقراء، واجتمع إليه الطلبة لما مات الشمس الداودي المقدسي، وكان يقرئ الحديث في الأشهر الثلاثة، فلما آن أوان الإقراء، جاءت الطلبة إلى شيخ وقته أحمد العيثاوي، يطلبونه أن يجلس مكانه، فاعتذر لهم، بضعفه وعجزه، وقال لهم: إن الشمس الميداني قدم من مصر، ومعه كتبٌ كثيرةٌ على البخاري وغيره، فاقصدوه.

فأجمعوا على ما قاله، فوافقهم الشمس، واختار أن يكون جلوسه تحت قبة النسر، وكان الداودي يجلس تجاه محراب الشافعية، وكان يحسن القراءات والتجويد جداً، ويعرف الفنون العربية، والغالب عليه الفقه والحديث؛ لأنه كان متبحراً فيهما.

وكان مهاباً وقوراً، عفيف النفس، لا يتردد على أحد، معتزلاً عن الناس، ملازماً للتدريس والاشتغال بالعلوم النافعة.

قال النجم: وانفرد بمسائل، كان يفيدها ويعتمدها، على خلاف المذهب.

منها: أنه كان ينكر أن يقال: تحية المسجد، ويقول: قولوا: تحية رب المسجد، ويحتج بما تأول به ابن العماد: قولهم: تحية المسجد، وهو خلاف المنقول الجاري، على ألسنة العلماء قديماً وحديثاً.

ومنها: أنه كان يقول بتفضيل الملائكة مطلقاً، وهو قول المعتزلة، وتبعهم بعض الأشاعرة.

ومنها: إنكار أن تكون قراءةُ كل قارئ، بالنسبة إليه متواترة، إلا أن يتلقاها عن مشايخ يبلغ عددهم التواتر.

وربما كان يصمم في الفقه على الأقوال الضعيفة، لذا عورض بنصوص المتأخرين، أنكر عليهم، ونصرها.

وكان يخطب بجامع الصابونية، وله إمامتان في جامع بني أمية: واحدة في المقصورة، والثانية في الخارج، ويباشر فيهما مع شركائه، ويقصده العالم لسماع خطبته.

وكان إذا أقبل من بعيد، يشم له رائحة مسك؛ بحيث إن غالب الناس يعرفها قبل وصوله، وكان مبتلًى دائماً بالقولنج.

ووقع بينه وبين شيخ الإسلام نجم الدين الغزي مناقشةٌ، سببها: أنه وجهت إليه مدرسة الشامية البرانية عن النجم، وتوجه النجم إلى الروم، فلم تتم له، وكان شيخ الإسلام - إذ ذاك - يحيى بن زكريا، فاقتضى رأيه أن عوض النجم عنها بمدارس أخرى، ثم صارت بينهما شطرين، ثم لما توفي المترجَم، رجعت له.

وكان المترجَم مهاباً، مقبول الكلمة عند عامة الناس وخاصتهم، قليلَ المداراة، شديدَ الحدَّة، مجللاً، وكان له ولدٌ أعمى اسمه محمد، له فضيلةٌ تامةٌ، فمات ولم يكن له غيره من الذكور، فوجد لفقده، وحمله حزنه على أن تفرغ عن وظائفه، وسافر إلى مكة صحبةَ الشيخ سعد الدين، وجاور بها سنة، ثم رجع سنة ثلاثين.

قال النجم: ومما اتفق لنا معه: أن ضمنا مجلس عند عثمان باشا نائب الشام، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وكان فيه شيخُنا شيخُ الإسلام أحمد بن يونس العيثاوي، والشيخ علاء الدين الطرابلسي إمام الحنفية بالجامع الأموي، فتذاكرنا فضل دمشق وجامعها، حتى ذكرنا فضل معاوية بن أبي سفيان، وأنه مدفون بباب الصغير، وقبره معروف يزار، وكان الذاكر لذلك الشيخ علاء الدين، فقال له الشمس الميداني: هذا المشهور بباب الصغير، معاويةُ الصغير، لا معاوية الكبير، ومعاويةُ الصغيرُ معاوية بن يزيد بن معاوية، كان صالحاً يخدم أباه يزيد، فقال له الشيخ علاء الدين: فأين قبر معاوية الكبير؟ قال: في بيته في قبلة الجامع الأموي، وقيل: إن قبره غير معروف، واختفى.

فعجبنا من الشيخ شمس الدين؛ إذ أتى بما هو خلافُ المشهور المستفيض، لكني لم أعارضه في المجلس، وقلت: من حفظ حجةٌ على من يحفظ، ثم راجعت «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي، فرأيته قد قال في ترجمة الشيخ نصر المقدسي: إنه دفن بباب الصغير، عند قبر معاوية، وأبي الدرداء رضي الله عنهما، و«طبقات ابن السبكي»، فرأيته قال فيها: إنه دفن عند قبر معاوية رضي الله عنه، والترضّي يدل على أنه الصحابي، ثم رأيت السيوطي قال في «تاريخ الخلفاء» في ترجمة معاوية رضي الله عنه: إنه دفن بين باب الجابية وباب الصغير، قال النجم: فكتبت للشيخ شمس الدين هذه الأبيات:

يا أيها الشيخُ الذي أضحى ... لعلم الفقه من أحبارِه وبحارِهِ
يهدي إلى الناس العلومَ ليهتدوا ... مهما اقتَفَوا منه على آثارِهِ
لسمعتُ عنك وقد تكلم بعضُهم ... حيثُ اجتمعنا قال في تذكارِهِ

بـابُ الـصغير بـه معاويـةُ الـذي صحبَ النبيَّ وكـان مـن أصـهارِهِ
فأفـدتَ لـيس بـه بـل ابـن يزيـده والجَـدُّ مـدفونٌ بأوسـطِ دارِه
أو لـيس يُعـرف قبـرُه فـي بقعـة مـأوى لهـا مـن كـان مـن زوارِهِ
فمرادُنـا مـن فـضلِكم لتبينـوا من سـاق ذلـك عنـه فـي أخبـارِهِ
ليفيـد ذلـك عـنكم وليطمـئنَّ الـ ـقلبُ عنـد النقـل باسـتقراره
إذ غيـرُ ذلـك شـائعٌ بـين الـورى مـا شـكَّ فيـه فتًـى لـدى أسـمارِه
حتـى النـواويُّ الإمـامُ فـإنَّ فـي تاريخـه التـصريحَ فـي تـذكارِهِ
فـامننْ بإيـضاحِ القـضيةِ إنـه أمـرٌ قـد احتجْنـا إلـى اسـتظهارِهِ
فـالعلمُ لـيس حياتُـه إلا بـأن تتـذاكر العلمـاءُ فـي آثـارِهِ
وإذا تجنـبَ أهلُـه فيـه الهـوى سطعَ الهدى في القلب من أنـوارِهِ
دُمْ سالماً تهدي إلى وجـه الـصوا بِ مُسائِلاً يرجوك فـي اسـتخبارِهِ

وبعث بها إليه، فلم يجب، وطالبتُه مع الرسول بالجواب، وهو يُسَوِّف، وقلت له: يجيبُ نثراً إن تعذَّرَ النظم، فلم يأتنا منه جواب.

توفي فجأةً، في وقت الضحى، من يوم الاثنين، ثالث عشر ذي الحجة، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، وصلي عليه قبل صلاة العصر، ودفن بباب الصغير، عند قبر والده، ولما أنزل إلى قبره، عمل المؤذنون بالبدعة التي ابتُدعت بدمشق؛ من الأذان عند دفن الميت سنة، وهو قول ضعيف، ذهب إليه بعض المتأخرين، ورده الشيخ ابن حجر، في «شرح العباب» وغيره، فأذنوا على قبره، عند دفنه ـ رحمه الله تعالى ـ.

وله من التحريرات: «حاشية على شرح التحرير» لشيخ الإسلام زكريا، لم تشتهر ـ رحمه الله ـ.

ورأى الشيخ علي المكْتَبي، ليلة وفاة المترجَم، وهو نائمٌ في خلوته بالمرادية: أنه حاضرٌ لسماع خطبته في الصابونية، وإذا به قد خرج من بيت الخطابة، وعلى رأسه عمامةٌ بها تُروك عدتها أربعون، وكل ترك منها له علامةٌ مميزةٌ بعَذَبةٍ مَرْخِيَّةٍ فوق الجميع، فخطب خطبة أولى، ونزل ولم يتم الثانية، فهم في هذا الفكر، وإذ بالنجم الغزي قد خرج من باب الخطابة، وعليه تلك العمامة بعينها، من غير تغيير لها، فخطب الخطبة الثانية، وصلى بهم الجمعة، ودخل باب الصغير، المقابل للجامع المذكور، والمقتدون في وجلٍ عظيمٍ، فقام من مقامه وجلاً.

وعلم من التأويل: أن الميداني قضى نحبه، فتوضأ، وصلى ركعات، وإذ بالمؤذن قد دخل، وهو يهلل جهراً، ويحادث بعض جماعة ويقول: إن الشيخ شمس الدين الميداني قد مات، وأول هذه الرؤيا، بأن الشمس رأس الأربعين، وأن النجم هو القائم بعده بوظائفه، وكان الأمر كذلك.

[٢٠٦] محمد بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي[(١)].

قال ابن أبي الرجال: عالمٌ ابنُ عالم، كان من أهل الأدب ورعاته، مطلعاً على مقاصد الأدباء ومناهجهم، ومع ذلك، فهو مكثرٌ في علوم الأدوات، وتعاطي الاستنباط، والتكلم في المسائل عن نظره، من غير متابعةٍ، وذلك في آخر أمره.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٥٥)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٦٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٠٢).

واشتغل بشرح آيات الأحكام، التي جمعها السيد المحدث محمد بن إبراهيم بن الوزير، وعددها مائتا آية ونيف وعشرون آية، ففسرها، واستنبط منها، وأظهرعجائب من علمه، وأخرج الأحاديث من أمهاتها.

وكان من أعيان الدولة المتوكلية، من وجوه سادات أهلها، في البسطة منهم، وكان بعد موت والده مقيماً بالبستان غربي صنعاء، يحف به فقهاء، وجماعة من الجند.

ولم توفي الإمام المؤيد، وحصل ما حصل من الاختلاف، قصد حضرة عمه الإمام إسماعيل المتوكل، إلى ضوران، وكان طريقه على أعشار، وهي طريقة مسلوكة، فأمنه الإمام، وأنزله منزلته التي يستحقها.

ثم وجهه إلى خِدار؛ للقاء العساكر الخارجة من صنعاء، من جانب السيد أحمد ابن الإمام القاسم، فاتفقت حروب في خدار، وما زالت الحروب مماسيةً مصابحةً للفريقين، حتى طلع السيد أحمد بن حسن بن القاسم من ذمار لحصار صنعاء، فاجتمعا لذلك، ثم نفذا إلى «ثلا»، واتفق تسليم أحمد بن الحسن بثلا، والأمير الجليل الناصر بن عبد الرب، ثم عاد مكرماً، وارتفعت حاله، وعلت كلمته، واجتمعت له جنود مثل جنود أبيه، وولي أصقاعاً عن أمر الإمام وأبيه ـ رحمهما الله ـ.

ثم توجه في جنده، مع السيد أحمد بن الحسن، إلى نجدة السلف؛ لقتال سلاطين المشرق، واقتضت تهيئته جعله من جانب مفرد، فقضى الأمر، وكان النصر الذي لم يعهد مثله في ساعة من نهار، وذهبت سلاطين المشرق ـ على كثرتهم ونجدتهم ـ بين قتيلٍ وأسيرٍ، في لمحة الطرف، فلم يصل إلا

وقد انجلت المعركة عن الفتح والنصر.

فلم يزل حريصاً على أن يظفر بمثلها، فكان في يافع ما كان من الحرب؛ لأنهم لم يسلِّموا يومئذٍ تسليم طاعة، فاجتمعوا، وطلع، وتلاه السيد أحمد ابن الحسن، وأخوه محمد بن الحسن، وهو أحد أقطاب الحرب في نجدة السلف، وأبلى بلاءً حسناً، فطلعوا جبل يافع، وتم النصر، واستراح قلب صاحب الترجمة، وظفر بنصيبٍ وافرٍ، وعاود هو والسيد أحمد بن حسن مرة أخرى إلى هنالك، وكان النصر المبين.

والتفت في آخر أمره، إلى العلم التفاتَ أمثاله، وكانت الشيوخ تفد إليه، واجتمع عنده من الكتب ما لا يجتمع إلا للسلاطين.

وكانت وفاته بعد عصر الجمعة، ثامن شوال، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وستين بعد الألف، ودفن بالتربة المشهورة بالبستان، بباب صنعاء الغربي، وبجواره فيها السيد أحمد بن علي الشامي، وعمه السيد يحيى ابن الإمام يحيى ابن الإمام القاسم، ويحيى هذا كان سيداً قد تأهل للرياسة، وتولى أموراً نيابةً عن أخيه الحسين بن القاسم، وكانت له مكارم في ريعان الشباب، وتوفي عام وفاة صنوه السيد يوسف ابن الإمام القاسم، توفي بالجما، ودفن هنالك هو والرئيس السيد الهادي بن علي الشامي، أظنهما في تابوت واحد.

وكان يوسف هذا من كملة أهله، ووجوه السادة، ذا مكارم أخلاق، ومع ذلك، فكان يزاحم إخوته الثلاثة في الصلاحية، والرتب العلية، ومكافحة الأعداء، وكان محبباً إلى الأمة المحمدية، ولعل ذلك سر محبة والده له؛ فإنه كان عنده يوسفَ إخوته، وكمله الله كماله في الخلق اليوسفي.

ومات في عام موتهما، السيدُ الحسن بن الشهيد علي بن القاسم، وكان سيداً، تلوح عليه أشعة الرياسة، يحب المعالي، وتمكن من ركوب الخيل تمكناً عجيباً، فيه يضرب المثل، وتوفي بضوران، وقبر بالمقبرة التي تأخذ من جانب القبلة إلى جانب الغرب عن مدينة الحصين، وكان موتهم في وقت متقارب، في حدود سنة خمس وأربعين بعد الألف، أو قبلها بعام، ولم يحضرني ما أعتمده، وفي هذا المعنى كتب السيد الحسين بن القاسم، إلى أخيه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم قوله:

سادة عجلوا بكأس المنايا عجبا ما أمرُ كأس المنيَّهْ
من فقيدين سيدين بصنعاء وبضورانَ قتلُ نفسٍ زكيَّهْ
ثم مَنْ بالحمى أجلُّ فقيدٍ يوسفُ ذو المحاسن اليوسفيَّهْ
يا لها أوجهاً عدت في لحود كالنجوم التي تضيء بهيَّهْ
ما رعى الموتُ في علاهم ذِماماً للمعالي وللخلال السنيَّهْ
أودَع القلبَ فقدُها حَرَّ نارٍ ضاعفَ الله أجرَها من رزيَّهْ

[٢٠٧] محمد بن الناصر بن عبد الحفيظ بن عبدالله بن المُهَلاَّ الأنصاري اليمني.

من العلماء المجيدين، والفقهاء المبرزين، يحفظ في علم الفقه فوقَ أربعة آلاف بيت، من «الزهرة الروضية» للعلامة البوسي، التي شرحها صنوه الحسين، وأحاط في شرحها بالفقه مذهباً وخلافاً، وأورد الأدلة من الصحاح الستة وغيرها، أحسنَ إيراد، مع الترجيح بين الأدلة، وتحقيق المتن والإسناد.

وللمترجَم هذا حفظٌ وعلمٌ وأدبٌ، مع صدق بهجةٍ وإصابةٍ في الآراء،

ومحافظةٍ على وظائف العبادة، ومحاسن تروق الأسماع والأبصار، صادق اللهجة، قوال بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم.

[٢٠٨] الشريف محمد بن عبدالله بن الحسن بن أبي نمي[١].

أمير مكة، كان شجاعاً مقداماً رئيساً، ولاه والده الشريف عبدالله إمارة مكة في حياته، وأشرك معه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي، غرة صفر سنة إحدى وأربعين وألف، وخطب لهما على المنابر، إلى شعبان من السنة المذكورة، فوصلت الجلالية من اليمن، في قصة ذكرتها في ترجمة السيد زيد بن محسن.

فوقع اللقاء بالقرب من وادي البيار، بين السادة الأشراف، وبين الأتراك، فحصلت ملحمةٌ عظيمةٌ، وقتالٌ شديدٌ، وقتل صاحب الترجمة، وقتل معه جماعة من الأشراف، منهم: السيد أحمد بن حراز، والسيد حسين بن مغامس، والسيد سعيد بن راشد، وخلق آخرون، وأصيبت يد السيد هزاع بن محمد الحارث، فقطعت، وتعلقت بباقي جلدتها، ولم تنفصل، ودخل بها كذلك إلى مكة، ومر على جهة سوق الليل قائلاً: عذري يا أهل مكة ما ترونه.

وتوجه بقية الأشراف إلى وادي مر، ودخل الأتراك إلى مكة، ونودي بالبلد للسيد نامي بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمى، وكان دخولهم من جهة بركة ماجن، فتعب الناس أشـد التعب، وحصل الخوف الشـديد، وتسلطت العساكر على الناس، وأتعبوهم فسقاً ونهباً وظلماً، وتقطعت الطرق، وغصت الأعراب.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٤٠).

وحمل صاحب الترجمة في عصر ذلك اليوم، ودفن بالمعلاة، في مقابر أسـلافه، بعد أن قاتل قتال من لا يخاف الموت، وكانت مدة ولايته، سبعة أشهر، إلا ستة أيام ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٠٩] محمـد بن عبدالله بن عمر بن عبد الرحمـن بن عبـد المولى المنقول بن محمد بن عبد المولى بن جعمان[١].

كان إماماً عالماً عاملاً، وجده الفقيه عبد المولى بن محمد، وأخوه عمر ابن محمد، صاحب الموخر، كانا في بيت الفقيه بن عجيل، في أيام السلطان عامر بن عبد الوهاب الأموي، وكان الفقيه عمر بن محمد مفتي بيت الفقيه، وصاحب رياستها، على ولايةٍ عظيمةٍ مشهورةٍ.

واستولد بها عبد المولى، ثم تزوج في محل الأعوص، القرية المعروفة، فاستولد بها أيضاً، فلما توفي، قُبر في تربة الفقيه أحمد بن موسى العجيل، فرآه أخوه في المنام، وكأنه يقول: انقلني إلى محل الأعوص، فانتبه الفقيه عمر من نومه، فقال: هذه رؤيا منام، والنقل عند الفقهاء حرام، ونبش الميت أعظم خطيئة، فجاءه ليلةً أخرى، ثم في الثالثة كذلك، فقال له: لئن لم تنقلني، وإلا خرجت من القبر، فجاء الفقيه المذكور إلى التربة؛ لينقل أخاه، فرآه خارج القبر بأكفانه، فحملوه، فنقل إلى قبره الآن، بمحل الأعوص، فسمي: المنقول، وهذه الكرامةُ مستفاضةٌ، والفقيه الرائي ثقةٌ عارف.

توفي صـاحب الترجمـة بالروحاء، بعد أن زار النبي ﷺ، سنة خمس وخمسين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧).

[٢١٠] محمد بن عبدالله بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي[(١)].

كان هذا السيد حسنةً من حسنات جده الحسين، وديناراً من مخلص سبيكة تلك العين، نادرة في آل الحسين، له معرفةٌ في الفروع شافية، ومشاركةٌ في سائر الفنون كافية، مع أخلاقٍ سنيةٍ، وخلالٍ علويةٍ.

وله حواشٍ علقها على «شرح الهمزية» لابن حجر، تدل على غزارة المادة، والسلوك في الإنصاف على نهج الجادة، وأما البلاغة، فهو روضتها الزاهرة، وشمس محاسنها الباهرة.

ومن شعره: قوله مجيباً عن قصيدةٍ أرسلها إليه السيد إبراهيم بن زيد الجحاف:

صبحُ اللقا عن قريبٍ يكشفُ الغَلَسا ... ويشهد الشمس... في الهوى شمسا

لا تيأسَنْ وإن شَطَّ المزارُ بهم ... فربَّما فاز بعد اليأسِ من أَيِسا

إنَّ الفراقَ لجمعِ الشملِ داعيةٌ ... والجمع للفرق داعٍ باتَ ملتمسا

فاستقبل الزمنَ الميمونَ طالِعُهُ ... مستدبراً من زمانِ الفجرِ ما نحسا

واشربْ بكأسِ غرامٍ أنت شاربُه ... وجُرَّ أذيالَ تيهٍ يسلبُ الكيسا

أما ترى عزةَ الإقبالِ لائحةً ... سلَّت حساماً ما على الأدبار مختلسا

وكل ثغرٍ له برقٌ يضاحكنا ... ترى سوادَ الليالي حولَه لَعَسا

مُدامةُ الشوقِ والتذكارِ بي لعبتْ ... ولينت ما قَسا مني وما يبسا

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٣/ ١٧٤) (٤٩٨)، «البدر الطالع» (٢/ ١٩٠)، «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ١٢٢) (١٥٤).

منها:

يا شادياً شدَّ من وجدي ومن شغفي | على صميم فؤادي في الحشا مرسا
لله أيـامُ وصـل فيـكَ قـد سـلفَتْ | قضيتُ أوقاتهـا فـي طيبهـا عَرسـا
أيام أغـشى ديـارَ الحـيِّ يخفرنـي | عـزمٌ أذودُ بـه الواشـينَ والحَرَسـا

ومنها:

كـأنني لقـوامٍ منـك معتقـل | وشاهر سيفِ لحظٍ يخطَفُ النفسا
وماءُ خديك في نـارين مـضطرب | فاعجب لجاري حياءٍ مازجَ القَبَسا
تقاصرتْ عنكَ أوصافُ الجمال كما | تقاصرتْ عن معالي الصارم الرؤسا
سـليل زيـد الـذي أبـدتْ بديهتُـه | من المعـارف والآداب مـا التبـسا

ومنها:

وبنـتُ أفكـارِه وافـتْ علـى قـدر | وأظهرت فضلَ من أنشا ومن هَجَسا
أودعتها الصدر مني غيـرة وهـوًى | وصنتها عن هوى الأقران والجلسا
وقد أجبـتُ امتثـالاً حيـنَ كَلَّفنـي | كما يكلف جري الخيل من حبسا
وباقـلٌ لا يجـاري فـي فـصاحته | قُسّاً وكم بين مِنْطيقٍ ومَـنْ خَرِسـا

ومنها:

خلدت ذكري بمرفوعٍ رسمت بـه | اسـمي وخلفتـه نَـصّاً لمـن دَرَسـا
تركتـه بـين أعـلامِ الـورى علمـاً | وشِمْتَ مِنِّي حساماً كـان منغمسا

وهي طويلة.

[٢١١] محمد بن عبدالله بن أحمد ابن الشيخ العلامة عبد الرؤوف الواعظ المكي[1].

تلميذ شيخ الإسلام أحمدَ بن حجر الهيتمي، وشارح «مختصر الإيضاح» له، أحد الفضلاء الأذكياء، والأدباء الأتقياء، وممن نشأ في طاعة الله، ولازم تقواه، واشتغل بما يعنيه، من أمور دينه ودنياه، وجد في طلب العلم النافع، فأدرك ما لم يدركه الكبار وهو يافع.

مولده بمكة، عام أربع وأربعين وألف، واشتغل بالعلم، فأخذ عن عبدالله بن سعيد باقشير وغيره، وصحب السيد العارف بالله سالم بن أحمد شيخان، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة، ولازمه، واختص به، وفتح الله عليه بفتوحات سنية، واخترمته وهو شابٌّ المنية، فتوفي في شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وخمسين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، وهو والد صاحبنا الشيخ الفاضل عبد الرؤوف.

ومن شعره: قوله يمدح السيد أبا بكر بن سالم شيخان، ويشير إلى ثبوته على حلقة الذكر، التي كان يعقدها والده في المسجد الحرام، ومنعه من أراد أن يتعدَّى عليه بمنعِه منها في المسجد، ونصرِ الله له على أعدائه.

سَلُوا عن غرامي في الهوى كلَّ شائقِ ... وعن شوقِ كُلِّي لِلُّوَى كلَّ سائقِ

وكلَّ فتى قد سال مثلي صبابةً ... ولا مالَ عن نهجي ولا بمفارقي

يخال بأن الحبَّ لم يبق من ضنى ... بقايا للُقيا أو لرؤيا المفارِقِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٦٧) (٢٩٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٣٤).

صبٌّ بالصبا قسمةً لكلّ فتى صبابةٍ | فهي مثله حيث منه قلب خافقِ
ومن حب ليلى ثم هند وزينبٍ | ترافع سعد في المواضي الهوارقِ
إذا لاح من تلك الثنايا بُوَيرقٌ | تثنت المنايا وافتتنا بطالقِ
وإن لاح في شرق بريقٌ شروقها | وجاءتْ بريقٍ من وميضِ البوارقِ
فإني الصّدي الصادي لطيفِ خيالها | بمهجـةِ إيقـادي ومقلـةِ رامـقِ
وإن ماسَتِ الأعطافُ منها من الصّبا | ومالَـتْ بهـا الأردافُ سـيلاً كـآنقِ
تسترت الأغصانُ في قضب دوحها | حيـاءً وعـدنا كالقيـام الطـوارق

ومنها:

ومـن كلِّهـا كلـي قتيـلُ جمالهـا | وتفـصيلُه منــي فلـيس بلائــق
ومن هَـزِّ عِطْفَيهـا بقلبـي جراحـةٌ | ومـن سـحر عينيهـا أمرنـا بوامـق
ومن قدّها قـد قـدّ قـدّي سناؤُها | وأسـنانُها لاحــت ببـارقِ بـارقِ
أسيرُ على الأجفـانِ إن قيـل إنهـا | تُنيل الفتـى الوسـنانَ عهـدَ وثـائق
فعندي عقدُ الوعد لـو طـال بيننـا | كأهنى وصالٍ عند أصـدقِ صـادقِ
ومن عرفاتِ الوصلِ صارت قبابُها | ومالت إلى جمع المنى والحقـائق
وظلت مطايا الحبِّ تطوي مُحَسّراً | فيا حسرةَ العشاقِ من قلـب تـائق
وفي منحنى ضلعي وخَيْـف منائِـه | هنـاك المَنـى فيـه المنايـا لآبِـقِ
وفي الجمراتِ اللاءِ خَيَّمْنَ في الحشا | علامـاتُ نيـرانِ الهـواء لوائــق

ومنها:

سـقى الله أيامـاً مـضت ولياليـاً | عرفتُ الهوى فيها وحلَّتْ بـسابق

لقد جاء نصرٌ من الله حَفَّنا | وفتحٌ قريب عَمَّنا مثلَ وادِقِ
على فرقة الفرقِ الذين عموا على | بصيرة أبصارِ ورشدِ لحاذقِ
يريدون أن يُطفوا ضياءَ الإله بالـ | ـعقولِ التي قالت بقولِ منافقِ
فَرُدوا بغيظٍ لم ينالوا به العلا | وباؤوا بخسرانِ جزاءً لفاسقِ
على أنهم لم يعلموا الحقَّ ظاهراً | فكيف بما هو باطناً غير طارقِ
ألا إنهم من إفكهم شفعوا الذي | تفردَ عن فردِ وعن كلٍّ لاحِقِ
على الحقِّ لا يعلو على كلِّ باطلٍ | على جُرُفٍ هارِ وليس براهق

ومنها:

بليثٍ همامٍ زاكي الأصلِ سيدٍ | كريمِ السجايا نسلِ أعلى الخلائق
حليمٍ لدى الأمر العظيم ولم يزل | على إثر آثار الجدود السوابق
وفي الذروة العليا التي لا ينالها | جميعُ الألى كانوا وكلُّ اللواحق

ومنها:

حمانا بسيف الصدق من كلِّ معتدٍ | تعدَّى بدعوى الجهلِ ليس بصادقِ
السيدُ العالي أبو بكرِ الذي | سما عن سماء المجد من كل شاهِقِ
ونجلُ وحيدِ الدهر سالمِ مَنْ غدا | سليلاً لشيخانَ إمامِ الطرائقِ
مفيدِ الورى عن سرِّ أسرار مَنْ مضى | ومظهرِ دينِ الحقِّ ثم الحقائقِ
فمن رام أن يُحصي صفاتِ كمالِه | كمن رام أن يلقى شريكاً لخالقِ
وصلَّى إلهي ثم سلَّمَ ما حدَتْ | حداةَ المطايا نحوَ أصدقِ ناطقِ
عليه وآلٍ ثم صحبٍ ومن غدا | وريثاً لهم في علمهم غير راهق

[٢١٢] محمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبد الرحمن باعلوي الحسيني، اشتهر بنا مرَّة[١].

بالسيد الكبير العلم الشهير، الفريد في جهته، الوحيد في سمته وصفته، **ولد** بمدينة هَيْنَن، وتحلى بالخلق الحسن، ولازم التقوى في السر والعلن، وكان وافر العقل، شائع الفضل، كريماً يعطي عطاءً عظيماً، ملجأً للوافدين، مكرماً للضعفاء والمساكين.

وكان يزور أهـل «تريم»، ويصحب أهل الفضل العظيم، وأخذ عنهم العلوم الشرعية الشريفة، ولبس من جمعٍ الخرقة المنيفة.

ورحل إلى الحرمين الشريفين، وأدى النسكين، وزار جده ـ عليه الصلاة والسلام ـ، واجتهد في الطاعات، وأكثر من أنواع القربات، ولم يزل يزداد، من زاد المعاد، إلى أن وافاه الميعاد، **فتوفي** بمكة أم القرى، وفاز بأوفر القرى، سنة ثلاث بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢١٣] محمد بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف باعلوي الحسيني[٢].

أحد السادة الأولياء الأكابر، أولـي المناقـب والمفاخـر، **ولد** بمدينة تريم، سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، وظهرت عليه لوائح الفلاح، وعلامات الولاية والصلاح، فسلك طريق الأقدمين، ولازم التقوى والاشتغالَ بعلوم الدين.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩).

وأكثرَ الاستعداد ليوم المعاد؛ من ملازمة الجماعات، وكثرة الصلوات، في الخلوات والجلوات، وأخلص لله أعماله، وحفظ أقواله وأفعاله، وكان معظماً عند الملوك والأمراء، مكرماً محترماً عند الأغنياء، وانتفع به الخاصة والعامة، واشتهر بالولاية التامة، واستمر على حسن السيرة، جميل الطريقة والسريرة، إلى أن هجمت عليه المنية، وعظمت فيه الرزية، فانتقل بالوفاة إلى رحمة الله سنة خمس وألف، ودفن بمقبرة زنبل.

[٢١٤] محمد بن عبدالله بن سليمان باشيخ الحضرمي[١].

أحد الصالحين، العباد الزاهدين، صحب السادات، واجتهد في العبادات، وأكثر من الزاد، ليوم المعاد، وكان محبوباً عند العباد، كثير الفرح والسرور، والجذل والحبور، وأنعم الله عليه بنعمٍ باطنةٍ وظاهرةٍ، وأمده بمداد نعمائه الوافرة، إلى أن تبلبل باله، وذهب ماله، وتغير ودنا انتقاله، وهكذا حال هذه الدار.

شعر:

دار متى ما أضحكَتْ في يومِها　　　أبكَتْ غدا تَبّاً لها من دارِ

فتوفي سنة عشر بعد الألف، ودفن في جنان بشار ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ.

[٢١٥] محمد بن عبدالله بن عبدالله المُهَلاً بن سعيد بن علي النَّيساري ثم الشرفي[٢].

---

(١) «الفت النظر» للجيلاني (٥٧٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٦).

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٨٨) (٢١٩).

ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في تاريخه «مطلع البدور ومجتمع البحور»، فقال: كان عالماً لبيباً بليغاً، له خط عجيب، وله في الأدب مع جودة العلم أوفرُ نصيب.

وكان كثير المُلَح واللطائف، نزهةً من النزه، تعلَق به الأدباء، وتروي عنه الفضلاء، وكانت كلماته تهز أعطاف الأدباء.

ومن شعره: إلى شيخنا القاضي أحمد بن سعد الدين، وكان كثير الملازمة له أيامَ طلبه للعلم، وزوجه ابنته، ببلدة الشجعة، من الشرف الأعلى، الأبيات التي منها:

قلْ للشهابِ ابنِ الميامين الغُررْ ... الماجدِ الحبرِ الأبرِّ ابنِ الأبَرّْ
يا مَنْ له قلبٌ علينا كالحَجَرْ ... هَجَرْتَنا من غير جرمٍ في الهجرْ
أو ما علمتَ أنَّ خير الناس مَنْ ... حفظَ المودةَ واستمرَّ وما استمرْ
زُرْ من تحبُّ إذا ما علمتَ ودادَه ... إنَّ الكريم يزور وإن لم يُستزرْ
وإذا رأيتَ ملامةً من صاحبٍ ... فاهجرْ حِماه وذكرن فيمن ذكرْ
فالناسُ منهم من يُنيلك ودَّه ... صفواً إذا ما غاب يوماً أو حضرْ
والبعضُ من يبدي بشاشةَ وجهه ... زُوراً وإحناءَ الضلوعِ على الشررْ

فأجابه شيخنا بأبيات أجاد فيها، منها:

يا بحرَ علم بالجواهر قد زَخَرْ ... يا بنَ الذي أحيا الفضائلَ واشتهرْ
تاللهِ ما طلب الفؤادُ سواكُمُ ... فلأنتم أُنسُ القلوب بكم تُسَرْ
وبكم رياضُ المجد ناضرةٌ لنا ... وبها تفوق [على] الأصائل والبُكَرْ

وهي طويلةٌ.

ومن شعره فيما أحسب:

وأغيدَ معسولِ الشنائب واللَّمى ... يسائلني عن شرح جَمْعِ الجوامع
فقلتُ له والعينُ تسكب عبرةً ... هم يا خليلي شرح جمع الجوى معي

وهذه رأيتها بخطه، ولم ينسبها إلى أحد.

ومن شعره قوله:

شريفٌ تهاميٌّ لقاني وقال لي ... أريدُ من المولى نوالاً وناموسا
فقلتُ له ما الاسمُ؟ قال: أنا موسى ... فقلت: لقد أوتيتَ سُؤْلَك يا موسى

وهو من مشايخ الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وأوصاه أنه كلما ذكره، دعا له بالرحمة ـ رحمه الله ـ، ففعل الإمام ذلك ـ جزاه الله خيراً ـ.

[٢١٦] محمد بن عبد الباقي بن سنبل بن عبدالله الحبشي الحنفي المكي.

كان فاضلاً أديباً، له مهارة في العلوم الأدبية، وخطٌّ بديعٌ يضرب به المثل، وكان من أتباع مُصْلي الرومي، كاتبِ الحرم، ومقرئ المراسيم السلطانية، المتوفى سنة خمس وثلاثين وألف، وكان هو المتولي عمارة المسجد الحرام.

وحصلت له رياسةٌ عظيمةٌ، مع الاشتغال بالعلوم، وأخذ عن شيوخ، منهم: العلامة محمد بن علان، وبه تخرج، وله مؤلفات، منها: شرح على منظومته في التجويد، الذي نظم فيها الرسالة المسماة بـ: «الإرشاد» لأبي الحسن بن ناصر، سماه: «غنية المهتمين في شرح منية المجدين»، **وتوفي**

سنة خمسين وألف بمكة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢١٧] محمد أبو عبدالله بن عبد الحسين بن إبراهيم بن أبي شبابة الحسيني البحراني[1].

قال السيد في «سلافته»: عَلَم العِلْم ومنارهُ، ومقتبس الفضل ومُستنارُه، فرعُ دوحة الشرف الناضر، المقرُّ بسموِّ قدره كلُّ مناضلٍ ومناظرٍ، أضاءت أنوار مجده مآثراً ومناقباً.

شعر:

كالبدر من حيثُ التفتَّ رأيتَهُ　　يُهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا

أما العلم، فهو بحره الذي طمى وزخر، وأما الأدب، فهو صدره الذي سما به وفخر، وكان قد دخل الديار الهندية، فاجتمع بالوالد، ومدحه بمدائح، وقابله من الإكرام بما استوجبه واستحقه، وذكره عند مولانا السلطان، فعرف له حقه، ثم ارتحل إلى ديار العجم، وأقام بأصفهان.

قلت: ثم توفي بها، سنة إحدى وثمانين وألف، ونقل إلى «طوس»، ودفن بالمشهد الرضوي، بقرب تربة الشيخ بهاء الدين العاملي.

ومن شعره: قوله مادحاً للسيد أحمد بن معصوم:

أرى عَلَماً ما زال يخفق بالنصر　　به فوق أوج الموج تعلو يدُ الفخرِ

مضى العمرُ لا دنيا بلغتُ بها المنى　　ولا عملٌ أرجو به الفوزَ في الحبرِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٨٠)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٩٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٨٦) (١٨٠).

ولا كسب علـمٍ فـي القيامـةِ نـافع ... ولا ظفرتْ كفي بمغنٍ مـن الـوَفْرِ
وأصبحتُ بعد الدرس في الهند تاجراً ... وإن لـم أفـزْ منهـا بفائـدة التَّجْـرِ
طويتُ دواويـنَ الفـضائلِ والتقـى ... وصرتُ إلى طَيِّ الأمـانِيِّ والنـشرِ
وسَوَّدْتُ بالأوزارِ بِيضَ صـحائفي ... وبيضت سودَ الشَّعر في طلب الصَّفْر

ومنها:

وبعتُ نفيسَ الدينِ والعمرِ صـفقةً ... فيا ليتَ شعري ما الذي بهما أَشري
إذا جنني الليـلُ البهـيمُ تفجَّـرت ... عليّ عيونُ الهم فيهـا إلـى البحـر
تفرقـتِ الأهـواءُ منـي فبعـضُها ... بشيرازَ دارِ العلم والبعضُ في الفكر
وبالبصرةِ الفيحاءِ بعـضٌ وبعـضها ... القوى بيت الله والـركنِ والحِجْـرِ
فما لي وللهند الـذي مـذ دخلُتها ... محت رسمَ طاعاتي سيولٌ من الوِزْرِ
ولـو أن جبرائيـلَ رام سـكونَها ... لأعجزَهُ فيهـا البقـاءُ علـى الطهـرِ

ومنها:

لئن صيدَ أصحابُ الحجا بشباكِها ... فقد تأخذ العقـلَ المقـاديرُ بـالقهرِ
وقد تُذهب العقلَ المطـامعُ ثـم لا ... يعودُ وقد عادت لميسُ إلى العتـرِ

هذا تلميحٌ إلى المثل المشهور، وهو قولهـم: «عـادت إلى عترها لميس»؛ أي: رجعت إلى أصلها، والعِتْر ـ بكسر المهملة، وسكون المثناة من فوق ـ: الأصل، يضرب لمنْ رجع إلى خُلقٍ كان قد تركه، وليس هو المثل بعينه، حتى يعترض بأن الأمثال لا تغير.

مضتْ في حروب الدهرِ غايةُ قوتي ... فأصبحتُ ذا ضعف عن الكَرِّ والفَرِّ

إلامَ بأرض الهند أُذهِبُ لذتي ... ونضرةَ عيشٍ في محاولة النضرِ
وقد قنعت نفسي بأوبةِ غائبٍ ... إلى أهله يوماً ولو بيدٍ صِفْرِ
إذا لم تكن في الهند أصنافُ نعمة ... ففي هَجَرٍ أحظى بصنفٍ من التمرِ
على أن لي فيها حُماةً عهدتُهم ... بُناةَ المعالي بالمثقَّفةِ السُّمْرِ
إذا ما أصاب الدهرُ أكنافَ عِزِّهم ... رأيتَ لها غاراتِ تغلِبَ في بكرِ

ومنها:

ولي والدٌ فيها إذا ما رأيتُه ... رأيتُ به الخنساءَ تبكي على صخرِ
ولكنني أُنسيت في الهندِ ذكرَهم ... بأحسابِ من يسلي عن الوالد البَرِّ
إذا عَرَتْني في الزمان صروفُه ... وجدتُ لديه الأمنَ من ذلك الذُّعرِ
وفي بيته كلَّ يومٍ وليلةٍ ... أرى العيدَ مقروناً إلى ليلة القدرِ
ولا يدرك المُطري نهايةَ مدحِه ... ولو أنه قد مُدَّ من عُمُرِ النَّسْرِ
وفي كل مضمارٍ لدى كلِّ غاية ... من المشرق الأوفى له سابقٌ تجري

ومنها:

إذا ما بدتْ في أول الصبح نقمةٌ ... ترى فرجاً قد جاء في آخر العصرِ
فقل لي أبيتَ اللعنَ إنْ عنّ مفظعٌ ... أَأَصبرُ أم أحتاجُ للأوجهِ الغُبْرِ
إذن لا علت في المجدِ أقدامُ هِمَّتي ... ولا كان شِعْري فيك من أنفس الشِّعر

ومنها:

وإني لأرجو من جميلكَ عزمةً ... تبلِّغني الأوطانَ في آخرِ العمرِ

تقـرُّ عيونـاً بـالفراق سـخينةً	وتبـرد أكبـاداً أحـرَّ مـن الجمـرِ
وتـونسُ أطفـالاً صـغاراً تـركتُهم	لفـرقتهم مـا زال دمعـيَ كـالقطرِ
وعيش بهم قد كان حلُّوا وبعـدَهم	وجدتُ لذيذَ العيش كالعلقم المُرِّ
إذا مـا رأونـي مقـبلاً ورأيـتُهم	تقـولُ أيـومُ القَـرِّ أم ليلـةُ النَّفْـرَ
وما زلـتُ مـشتاقاً إلـيهم وعـاجزاً	كما اشتاقَ مقصوصُ الجناح إلى الوَكْرِ
ولكنمـا حـسبي وجـودُك سـالماً	ولو أنني أصبحتُ فـي بلـدٍ قَفْـرِ
فمنْ كان موصولاً بحبـلِ ولائِكـم	فلـيس محتاجـاً إلـى صـلةِ البِـرِّ

ومن شعره قوله على لسان أهل الحال، وأجاد:

لعمري لقد ضلَّ الدليلُ عن القـصد	وما لاح لي برقٌ يـدل علـى نَجْـدِ
فبـت بليـلٍ لا ينـام ومهجـةٍ	تقلَّبُ في نـار مـن الهـم والوجـدِ
وقلتُ عـسى أن أهتـدي لـسبيلها	بنفحةِ طيبٍ فـي عَـرارٍ ومـن رَنْـدِ
فلما أتيتُ الـدهرَ أبـصرتُ راهبـاً	به ثَمَلٌ مـن خمـرة الحـبِّ والـوُدِّ
فقلتُ له أين الطريقُ إلـى الحمـى	وهل خبر من جيـرةِ العَلَـم الفـردِ
فقال وقد أعلى مـن القلـب زفـرة	وفاضت سيولُ الدمع منه على الخد
لعلكَ يا مـسكينُ ترجـو وصـالَهم	وهيهاتَ لو أتلفت نفـسك بالكـدِّ
إذا زمرةُ العشاقِ في زمرة الهـوى	تساوى غرامٌ من كهول ومـن مُـرْدِ

ومنها:

أَلَـمْ تَـرَ أنـا مـن مُدامـة شـوقهم	سُكارى ولم نبلغ إلى ذلـك الحـدِّ
فكم ذهبت من مهجة في طريقهم	وما وصلت إلا علـى غايـة البعـدِ

فقلـتُ أدنـو قـال مـن كـل محنـة فقلتُ أرجو قال شـيئاً مـن الـضدِّ

ومنها:

ألـم ترنـا صـرعى بدهـشة حـبهم نقلِّبُ فوق الترب خَدّاً علـى خَـدِّ
فكم طامعٍ في قربهم مـات غُـصَّةً وقد كان يرضى بالمحال من الوعدِ

قوله: فقلت أدنو، البيت فيه نوع من أنواع البديع: المراجعة، وهي كثيرة في كلامهم، ومنها: قول صاحبنا رجب بن حجازي الحريري:

وإن قال انْـحُ النحـوَ قلـت نـسيتُه وإن قال صرفاً قلتُ عني إلى القبر

وقوله:

قـالوا أترضـى إذا الرقيـب قـضى وقطعتـــه صـــوارمٌ ومُحـــي
فقلــتُ لا أرتــضي فقيــل لِمــا فقلتُ أخـشى أمـوتُ مـن فرحـي

[٢١٨] محمد بن عبد الحق بن علاء الدين الحميدي.

نسبة إلى الحميدي شيخ البخاري، الحجازي؛ لكثرة مجاورته بالحجاز، مفتي الشـافعية بدمشـق، وجمـال علمائها، وشيخ مشايخها، له في العلوم الشرعية والعقلية اليدُ الطولى، واعتناء تام بعلم الطب، وكان مختصاً بصحبة الشيخ يونس رئيس الأطباء بدمشق، قال: بينا أنا في مجلسه، وإذا بقاصد من قبل العلامة القاضي معروف الصهيوني، ومعه سكرجة يستهدي فيها شيئاً من التركيب المسمى بـبرء ساعة، وفي طراز السكرجة هذه الأبيات:

لا زالَ كـــــلُّ رئـــــيسٍ يريـــكَ ســـمعاً وطاعَـــهْ

وكــــــلُّ ربٍّ مــــــــزاجٍ بكـــــم يرجّـــــي انتفاعَــــــهْ

عبـــــدٌ أتــــــاكم محـــــبٌّ قـــد مـــدَّ كـــفَّ الـــضراعَهْ

يــــــــــــشكو أذًى ودواهُ لـــــــديكم بُــــزءُ ســــاعَهْ

فقضى حاجته، وكتب تحت السكرجة في أقل من دقيقة:

العبــــدُ عبـــدٌ محـــــبٌّ أبــــدى قبـــولاً وطاعَـــــهْ

كالـــــسِّحر بـــــل أمـــــرا مطـــــــــرزاً بالبراعَـــــــهْ

أُهـــــدي إلـــــيكم دواءً مهــــــذباً بالـــــــصناعهْ

يـــــشفي بفعــــــل وحــــي علـــى المكـــان ابـــن ســـاعهْ

قال الطالوي في «السانحات»: كذا أخبرني من لفظه بمسجد الجامع القلعي داخل سور دمشق غرة ذي القعدة، عام ست بعد الألف، انتهى.

وكان صحب الشيخ موسى الكنَّاوي الصوفي، وأخذ عنه، وأعرض عنه الكناوي آخر الأمر، قيل: إن سبب إعراضه: أن الكناوي ذكر حديثاً فيه رخصة، فقال الحجازي: إن النبي ﷺ عجرف في ذلك، فغضب الكناوي، وقال: لا تعد إلينا بعدها، ولم يعد حتى سافر إلى مصر، ثم جاء بعد مدة ومعه من الهدية أشياء للشيخ، فلم يقبلها منه، وقال: يا رجل! خرجنا عنك لله، فلا تعد.

ورأيت من شعره، في مجامع بعض المكيين: قوله:

بـدا كالبـدر يُجْلَـى فـوق غـصنٍ يمـيسُ بحـسنِ قَـدٍّ وابتـسامِ

وأرخـى فـوق خديـه لثامـاً فمـا أحـلاه فـي ذاكَ اللثـامِ

بغـــار البـــدرُ منـــه إذا تبـــدَّى ... ويخفـــى تحـــت أذيـــالِ الغمـــامِ

ومنه:

كحيــلُ الطــرف ذو خَــدٍّ أسـيلٍ ... نحيــلُ الخــصر ممـشوقُ القــوامِ

لـــه مُقَـــلٌ مِـــراضٌ قـــاتلاتٌ ... فـــواترُ راميـــاتٌ بالـــسهامِ

رمـــى بـــسهامِ مقلتـــه فـــؤادي ... فمـــا أحـــلاه مـــن رَشَـــأٍ ورامـــي

فـــو أســـفاهُ كيـــف أمـــوتُ وَجْـــداً ... ولا أقـــضي مـــن الرامـــي مَرامـــي

لـــه ثغـــرٌ حـــوى فيـــه رحيقـــاً ... بـــه يـــشفى العليـــلُ مـــن الـــسقامِ

أنـــا المـــضنَى المتـــيمُ فـــي هـــواه ... وجفنـــي مـــن جَفـــاه جفـــا منـــامي

ومن شعره قوله:

يـــا خـــل ذا الحبـــشي يفـــتن واقفـــاً ... من شرطه قاضي الهوى قد حار في

يقضي بـذاك الـشرط فـي عـشاقه ... فالـصبُّ مقتـولٌ بـشرط الواقـفِ

[٢١٩] محمد بن عبد الخالق المنزلاوي الشافعي(١).

شيخنا الإمام، العلامة الصالح، الولي الزاهد، الجامع بين العلم والعمل، كان مجداً في إقراء العلوم النافعة لأهلها، في كل وقت، وكانت له معرفةٌ جيدةٌ في علوم كثيرة، وكان يختم في كل سنة، نحو عشرةِ كتبٍ كبارٍ في فنون.

وقراءته تحت اللفظ، لا يتعدى المقصود بالذات من الكتاب، ويقول: إن الوقت ضاق عن التوسع في الكلام، والاختصار في هذا الوقت أفود؛ فإن

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٨٧).

الهمم قصرت، والأفهام كلّت، وربما أدى التوسع إلى ترك القراءة، مع كونه إذا سُئل عن مشكلٍ فيما يقرؤه، أجاب عنه بأحسن عبارة، وألطف إشارة.

ومن شيوخه: البرهان اللقاني، والنور الزيادي، وسالم الشبشيري، وأحمد الغنيمي، وعلي الحلبي، وعنه أخذ غالب من أدركناه من مشايخنا، منهم: شيخنا منصور الطوخي، وأحمد البشبيشي.

قلت: وقد اجتمعت به، بعد أن فلج، واستمر به الفالج سنين، وهو منقطع ببيته، وتأتي إليه الطلبة، ويقرؤون عليه، وهو بهذا الحال، وأخبرني أن سببه: كثرة انهماكه في شبابه على النكاح؛ بحيث لا يتركه ليلاً ولا نهاراً، قال: ونصحني بعض شيوخي عن ذلك، وقال لي: إن كثرته هكذا، تورث الفالج بالتتبع، فلم أمتثل، حتى كان من أمر الله ما كان.

سمعت عليه طرفاً من «تفسير الجلالين»، ومن «شرح الألفية» للمرادي، بقراءة شيخنا موسى بن حجازي الواعظ، وحضور صاحبنا الشيخ الصالح منصور القليوبي، وأجازنا بمروياته، وأخبرنا عن شيخه العلامة طه السفطي المالكي: أنه كان يأتي إلى الدرس بعصاة، يضرب بها من يسأله سؤالاً غير مناسب للمقام، فإن أصابته، وإلا قام من الدرس، ولحقه حتى تصيبه، واتفق أنه كان يقرأ في «مختصر خليل»، فسأله بعض طلبته سؤالاً من ذاك القبيل، فضربه، فأنشد بديهة:

لقد نلتَ يا طه مقاماً ورفعةً ... فما نالها بين الأنام أمير

تقرر في معنى خليل بمطرق ... كأنك تراسٌ ونحن حمير

والتراس: سائق الحمير، بلغة المصريين، **توفي** سنة اثنتين وثمانين بعد

الألف، وعمره نحو ثمانين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ آمين.

[٢٢٠] محمد بن عبدالله الخرشي المالكي[١].

الشيخ الفقيه، ذو العلوم الوهبية، والأخلاق الرضية، والشيم الحسنة الزكية، اتفق أهل مصر على فضله وولايته، وحسن سيرته، ونطقت الألسن بالثناء عليه، وتطابقت القلوب على محبته.

ولد سنة عشر وألف، وقدم مصر، وأخذ عن إبراهيم اللقاني، وعلي الأجهوري، وغيرهما، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، وأشرق درسه وأزهر، وصار شيخ المالكية بالقاهرة، وحضر درسه غالب علماء مذهبه، واشتهر بالنفع لمن قرأ عليه؛ لحسن نيته، وكمال طويته، وعمت شفاعته، واعتقده عامة الناس وخاصتهم، ولقد كان كذلك، وكان أثر ذلك ظاهراً على هيئته، منها: عظيم هيبته، وحسن صورته، حتى إذا تأمله الناظر، رأى النور عليه، من فوقه إلى قدمه، إلى تواضع وسكينة، وحسن خلق.

وألف مؤلفاتٍ عديدةً، مع اشتغاله بالدروس في غالب الأوقات، وما ذاك إلا أن الله سبحانه بارك له فيها، منها: «شرحه على مختصر خليل» في أربع مجلدات، تلقاه أهل عصره بالقبول، وكُتبت منه نسخ لا تحصى، وله ـ أيضاً ـ شرح على مختصر خليل أكبر من هذا الشرح، و«شرح رسالة ابن أبي زيد»، و«شرح أم البراهين»، و«شرح الآجرومية وحاشية عليه»، وله أيضاً: «حاشية على شرح التتاني على مختصر خليل»، وغير ذلك.

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٦٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٧٩٦)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٤٠).

قرأت عليه طرفاً من «صحيح البخاري»، وأجازني سائره مع الكتب الستة، وغيرها من كتب الحديث ومؤلفاته، وكتب لي إجازةً حافلةً عليها خطه، توفي بمصر سنة إحدى ومائة وألف ـ رحمه الله ـ آمين. آمين. آمين.

[٢٢١] محمد بن عبدالله بن شيخ العيدروس[(١)].

الشيخ العارف، المتحلي بالمعارف، معدن الأنوار، وصاحب الأسرار، ذو الأحوال الظاهرة، والمقامات الفاخرة، والسرائر الباهرة، إمامُ أهل وقته علماً وحالاً، وعملاً ومقاماً، وزهداً وتحقيقاً، وورعاً وتدقيقاً.

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبعين ـ بتقديم السين ـ وتسعمائة بمدينة تريم، وضُبط عام ولادته بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر: ١]، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وعدة متونٍ مفيدةٍ، في فنونٍ عديدةٍ.

ولازم والده، وتخرج به، وتفقه على السيد محمد بن الحسن، والفقيه محمد بن إسماعيل، والسيد عبد الرحمن بن شهاب، وأخذ التصوفَ عن جماعةٍ، وسمع الحديث من حَمَلته، ولازم العبادة، وجرى على قانون الشرع وإن خالف العادة، وسلك سبيل سلفه السادة، وأثنى عليه مشايخه وغيرهم، بل انعقد الإجماع على فضله وكماله.

ورحل إلى «أحمد أباد» من الهند؛ للأخذ عن جده لأبيه السيد شيخ ابن عبدالله، سنة تسع وثمانين وتسعمائة، بطلبٍ منه، وأشار إلى ذلك السيد شيخ بقوله في بعض قصائده: «فيه قدومك حافظ للشمل»، فأخذ عن جده، ولازمه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٦)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥٦).

ملازمةً تامةً، ولبس منه الخرقة الشريفة.

وأخذ عن عمه السيد عبد القادر بن شيخ، وكتب إلى والده بقوله: يكفيك فخراً يا عبدالله، خروجُ مثل هذا الولد من صلبك، وناهيك بشهادة هذا السيد الجليل. وقال بعض العلماء لوالده عبدالله: ولدك محمد أفضل منك، فسجد لله شكراً، وقال: كل أحدٍ لا يرى أن يكون أحد أحسن منه إلا ولده.

ولما انتقل جده شيخ إلى رحمة الله تعالى، بعد أن أقامه مقامه، فكان الوارث لأبيه وجده، وحامل الراية من بعده، وولي عهده، وقام بمنصب جده أتم قيام، باذلاً ماله وجاهه في إيصال النفع للخاص والعام، إلى أهل الإسلام، مع المواظبة على إطعام الطعام، وصلة الأرحام.

ثم بعد انتقال والده بتريم، أقام بمقامه بها، فكان قائماً بمقام جده بالهند، وبمقام أبيه بتريم، ثم انتقل من أحمد أباد، إلى «بندر سورت»، وتديرها، فصار كهفاً لأهلها، وملجأً للوافدين، ومأوى للفقراء والمساكين، وعم بره الصغير والكبير، مقبول الشفاعة، وله عند السلطان جاه عظيم.

وكان زاهداً في الرياسة، حافظاً لأوقاته، لا يُرى إلا في تدريسٍ، أو مطالعة كتابٍ، أو قراءة قرآن، أو ذكرٍ أو فكرٍ، وربما استغرقه في بعض الأوقات؛ بحيث لا يشعر بمن دخل عليه، ولم يزل على هذا الحال حتى توفي «بسورت» ليلة الثلاثاء، سابع عشر ذي الحجة، سنة ثلاثين بعد الألف.

وجاء تاريخ وفاته: «لاح في الهند ضياء»، وما أحسنَ هذا التاريخَ، وما تضمنه من الأسرار، الدالة على حسن فضل الله الكثير المدرار، وقبره ثمة، أشهر من نارعلى علم ـ رحمه الله، ونفع به ـ.

وكان هو الخليفة لعمه القطب العارف بالله أحمد بن شيخ العيدروس ـ قدس سره ـ كما رأى بعض الفضلاء الصلحاء، ليلة وفاة السيد أحمد: كان السيد أحمد لابس التاج على رأسه، وإلى جنبه صاحب الترجمة وكان السيد أحمد يشير إلى صاحب الترجمة ويقول له: محمد بن عبدالله! ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [ص: ٢٦]، وأُرخت تلك الرؤيا، فكانت ليلة وفاة السيد أحمد ـ رضي الله عن الجميع، ونفع بهم في الدارين ـ.

[٢٢٢] محمد جمال الدين بن عبدالله بن عبد المعطي الطبري، الشافعي، الحسيني، المكي[1].

أحد الأئمة الجلة، وأوحد تلك البدور والأهلة، الضارب في كل فن بسهم، والقارع صفاةَ كل قريحة وفهم.

ولد بمكة سنة أربع وستين وتسعمائة، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ العلوم عن شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي وغيره من علماء عصره، وأجازه شيوخه.

ونقل عنه: أنه كان ينكر على الإمام الغزالي كلامه في كتاب «الإحياء»، ويقدح فيه، فرأى النبي ﷺ، والإمام الغزالي بين يديه، فشكاه إليه ﷺ، وقال له: يا رسول الله! إن هذا يقدح في كتابي «الإحياء»، فجلده ﷺ بيده الشريفة تسع عشرة جلدة، فأصبح وأثرُ الضرب ظاهر عليه، وتاب إلى الله تعالى، وكتب من «الأحياء» نسخةً عظيمةً، محلاةً بالذهب، ولازم قراءتها، وعرف

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٤) (٢٧٣)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٦٣)، «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط الورقة (١٣).

مقدار الإمام الغزالي، وصار من أكبر معتقديه.

ونقل عنه أيضاً: أنه كان يتوسل بالشيخ عبد القادر الكيلاني إلى الله تعالى، في أن يعطيه مرتبة القطبية، فتوسل بعض الصالحين بالشيخ عبد القادر أيضاً أن يحصل له شيء من المال، فجاء إليه الشيخ عبد القادر في المنام، وقال له: اذهب إلى الإمام محمد ـ المترجَم ـ، وقل له: يقول لك الشيخ عبد القادر أعطني خمسمائة ذهب، بأمارة طلبك حاجةً عنده، فلما أصبح الرجل، ذهب إلى الإمام محمد، وذكر له كلام الشيخ عبد القادر، فدفعها له.

وكان يحفظ القرآن العظيم، وصلى في ثاني عشر صفر، سنة اثنتين وستين وتسعمائة بمكة به التراويح في المقام، ومات عنه والده قبل البلوغ، وكفله أعمامه، واشتغل بالعلم والتحصيل، وأمّ بالناس عمراً طويلاً، وبرع في فنون عديدة، وأخذ عنه علماء عصره، وألف الكتب المفيدة، مع مزيد العبادة والمواظبة عليها، وشرف النفس، وحسن الأخلاق، ووافر التقوى، ومراعاة حفظ المروءة.

وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام مدةً مديدةً، وأفتى على مذهب الشافعي، وقُصد بالفتوى من الجهات، قال الإمام عبد القادر الطبري في ترجمته: سمعت من كثيرٍ من الصالحين ترجمته بالولاية، وأنه من أهل الإدراك.

ومن تصانيفه: «شرح العدة والسلاح في أحكام الطلاق والعدة والنكاح»، و«سُلَّم الاستقامة في إثبات الكرامة»، و«نظم الآجرومية وشرحه»، و«منظومة شروط الوضوء وفروضه وسننه»، وعليها تقريظ شيخه أبي النصر الطبلاوي، وإجازته إياه بمروياته.

وكانت وفاته ليلة السبت رابع عشر صفر، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف، وصلي عليه في ساباط مقام إبراهيم، ضحى اليوم المذكور، بعد أن نادى الرئيس عليه من قبة زمزم، بخطبةٍ بليغةٍ، من إنشاء بعض الطبريين، وكانت جنازته حافلةً مشهودةً، مشى فيها الأشراف والأعيان، وتكاثر زحام الناس على حملها؛ بحيث لم يشاهد جنازةٌ مثلها من زمان طويل.

ودفن بالمعلاة، على والدته، بقبر الشيخ أبي بكر الطبري جده الأعلى؛ فإنه: محمد جمال الدين بن عبدالله بن عبد المعطي بن مكرم بن المحب محمد ابن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن علي ابن فارس بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن موسى ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وعنهم أجمعين ـ.

قال السيد علي في «سلافته» في ترجمته: وكان لصاحب الترجمة قريض يُزري بقُراضة الذهب، أثبت في صفحات الصحائف حسنة وماء ذهب، منه قوله:

أسيرُ العيونِ الدُّعْجِ ليس له فَكُّ ... لأن سيوفَ اللحظ من شأنها الفتكُ
حذارِ خليَّ القلب من عُلقِ الهوى ... فأولُها سقم وآخرُها فتكُ
ورحْ سالماً قبل الغرام ولا تقسْ ... عليَّ فإني هالكٌ فيه لا شكُّ
ألم ترني ودَّعت يومَ فراقهم ... حشاء لعلمي أنما دونه الهلكُ
وكيف خلاصي من يدي شادنٍ إذا ... بدا ابيضَّ في الديجور من نوره الحلكُ

وهيهات أن تُرجَى لمثلي سلامةٌ وقد سلَّ بِيضَ الهند ألحاظه التركُ
يقولون ترك الحرب أسلمُ للفتى نعم صدقوا إن كان يمكنه التركُ

ومنه:

دعوني وذكرى بين باناتِ لعلعٍ غريباً هواهم في المواقف لي نسكُ
وإن رمتمُ إرشادَ قلبي فكرروا أحاديثَ عشقٍ طاب في نظمها السبكُ
أما والخدودِ العندمياتِ لم أحُلْ وكل الذي عني روى عاذلي إفكُ
وما بمصونِ الثغرِ من ماء كوثرٍ وكأسِ عقيق ختُمه خالُه المسكُ
لقد لَذَّ لي خلعُ العِذارِ وطابَ في هوى الخُرَّدِ الغيدِ الدُّمى عنديَ الهتكُ

تنبيه: قوله: «لاشك» قد يتوهم أن فيه لحناً، على أن «لا» نافيةٌ للجنس، واسمها في مثل ذلك مبنيٌّ على الفتح، ولا لحنَ فيه، بل فيه وجهان:

أحدهما: منع كونها فيه للجنس، بل عاملة عمل ليس، والخبر محذوف، جوازاً؛ كقول الحماسي:

من صدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ

والثاني: أن تكون نافية للجنس، إلا أنها ملغاة، والرفع بالابتداء، ولم يجب تكرارها؛ لجواز تركه في الشعر، فاعلم.

وكتب إلى شيخه العلامة عبد الرؤوف بن يحيى الواعظ المكي، مُسائلاً بقوله:

يا أيها الحبرُ يا من منه العلومُ تفجَّرْ
ومفردَ العصرِ من قد لمسجد الله أزهَرْ

بالاشـــــــتغال دوامـــــــاً	بقـــــرب بيـــت مطهَّـــــز
مــا الحكــمُ فــي أكــلِ قــاتٍ	وكفتـــــة هـــــو منكَـــــز
أم لا لنـــــا فـــــأبينوا	لـــديكم الـــصعبُ يظهَـــز
أنــــتم مـــــلاذٌ أوامـــــا	فـــي الحكـــم كُـــلٌّ تحيَّـــز

فأجابه بقوله:

الحمـــــــد لله حمـــــــداً	أفـــــرادُه لـــيس تُحـــصَرْ
ومنـــــه خيـــــرُ ثنـــــاء	لأحمـــدَ الطهـــرِ ينـــشَرْ
الحكـــمُ فـــي ذَيْـــنِ حِـــلٌّ	والتـــركُ للـــضرْ أظهَـــرْ
عبـــد الـــرؤوف وشـــاه	يرجـــو لمـــزلات تغفـــر[1]

ومن نظمه: تصديرٌ وتعجيز قصيدة ابن الفارض، ومنها:

مـا بـينَ ضـالِ المنحنـى وظلالِـهِ	رَشَـأٌ سـبى الألبـابَ عبـرَ جمالـه
فـي ليـلِ طُرَّتـه وصـبحِ جبينـه	ضـلَّ المتيَّـمُ واهتـدى بـضلاله
وبـذلك الـشعب اليمـاني منيـةٌ	مـا بـين سـفحٍ قويـه وجبالـه
من دونهـا حتـفُ النفـوسِ وبغيـةٌ	للـصبِّ قـد بعـدت علـى آمالـه
يا صاحبي هـذا العقيـقُ فقـفْ بـه	واحرِزْ فؤادكَ من لحـاظِ غزالـه

ومنها:

فإذا وصـلت الجـزعَ قـفْ بقببـه	متولهـاً إن كنـت لـست بوالـه

---

(١) كذا في الأصل.

وانظُرْه عني إن طرفي عاقني ... ياقوته بصفا لُجين رمالِه

ما رام منه ذاك إلا صدَّه ... إرساله دمعي وعن إرسالِهِ

واسألْ غزالَ كِناسِهِ هل عندَه ... خبرٌ بمن أَضحى قتيلَ نِزالِهِ

أو عندَه مما ألاقي من أَسًى ... علمٌ بقلبي في هواه وحالِهِ

والطبريون من بيت علم وشرف، مشهورون في مشارق الأرض ومغاربها، وهم أقدم ذوي البيوت بمكة؛ فإن الشيخ نجم الدين عمر بن فهد ذكر ذلك في كتابه «التبيين بتراجم الطبريين»، وقال: إن أول من قدم منهم: الشيخ رضي الدين أبو بكر محمد بن أبي بكر بن علي بن فارس الحسيني الطبري، قبل سنة سبعين وخمسمائة، أو في التي بعدها، وانقطع بها.

وزار النبي ﷺ، وسأل الله تعالى عنده أولاداً علماء هداةً مرضيين، فولد له سبعة أولاد، هم: محمد، وأحمد، وعلي، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وكانوا كلهم فقهاء علماء مدرسين[1].

وكان دخول القضاء، وإمامة مقام إبراهيم، في بيتهم، سنة ثلاث وسبعين وستمائة كما ذكره النجم بن فهد في تاريخه «إتحاف الورى بأخبار أم القرى»، وذكره الفاسي في تاريخه «العقد الثمين في تاريخ بلد الله الأمين»، ولم تزل إمامة المقام المذكور مخصوصةً بهم، لا يدخل معهم في ذلك أجنبي، وكل من كمل منهم للمباشرة يباشر، ولا يحتاج إلى إذن جديد؛ لوقوع الإذن المطلق

(١) الدعاء عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام بدعة، واستجابة الدعاء ليس دليلاً على جوازها، رحم الله المصنف وغفر له.

لهم من زمن السلاطين السابقين، والأشراف المتقدمين.

واتفق في عام إحدى[1] وأربعين وألف: أن إنسـاناً رام الدخول معهم في ذلك، ووقع كلام طويل في ذلك، ثم منعه الشريف عبدالله بن الحسن، ثم ورد أمـر من وزير مصـر حينئذ محمد باشا بمنع المذكور أيضاً، واستمر ذلك إلى الآن، وما زالت المناصب العلية في أيديهم، يتلقونها كابراً عن كابر، ويعقدون عليها في مقام الافتخار بالخناصر، من القضاء والفتوى والتدريس، والإمامة والخطابة ببلد الله النفيس.

وكان منصب الخطابـة قديماً ينتقل بمكة في ثلاثة بيـوت: الطبريين، والظهيريين، والنويريين، وبيت الطبري أقدمُهم في ذلك، كما يعلم من كتب التواريخ القديمة، ومن خطباء الطبريين، المحب الطبري، والبهاء الطبري.

ثم إنه في حدود الثلاثين بعد الألف، جدد خطيب مالكي، ثم حنبلي، ثم آخـر حنبلي، في عام ثلاثة وأربعين، وكان منصب الخطابة محفوظاً عن أحداث الناس، فلا يُقلده إلا العظيم علماً أو نسباً.

واتفق في عام إحدى[2] وأربعين أن باشر الخطابة الشيخ محمد المنوفي، فورد أمر من وزير مصر، مخاطباً به صاحب مكة، وقاضيها، وشيخ حرمها، بمنعه من ذلك، فلما جاءت نوبته، امتنع قاضي مكة ـ إذ ذاك ـ شكر الله أفندي من الصلاة خلفه، فأرسل إلى الشريف زيد، وكان بمصلاه بالمسجد الحرام، وقد صعد المنبر وخطـب، فأرسل إليه الشريف، ومنعه من الصلاة، وأشار

(١) كذا في الأصل، والصواب: واحد.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: واحد.

إلى غيره، فصلى بالناس.

ثم الخطباء في زماننا بغاية الكثرة، بحيث إنه لم يصل الواحد منهم إلى نوبته إلا بعد مضي سنة.

مع مزيد التقوى والورع والصلاح، وتوفر أسباب الخير والفلاح، وزيادة الألفة بينهم، وبين ولاة مكة الشريفة، والتراسل بينهم بالأشعار الحسنة اللطيفة، مما هو مذكور في التواريخ المذكورة وغيرها.

حتى إن تلك الألفة بينهم، اقتضت المواصلة والمصاهرة، وأكملت ما هو من أسباب المفاخرة؛ فقد نقل الفاسي: أن زينب بنت قاضي مكة الشهاب أحمد ابن قاضيها أيضاً الجمال محمد الطبري، كانت زوجة للشريف عجلان صاحب مكة، سنة سبعين وسبعمائة، ثم اختلعت منه؛ لتسريه عليها.

ومن طالع «العقد الثمين»، وقف على ما لهم من المناقب، وما اشتملوا عليه من عليّ المناصب، بالمقامة التي أنشأها الحافظ جلال الدين السيوطي، مهنئاً المحب الطبري المتأخر، لما عزل أبا السعادات، وأخاه أبا البركات ابني ظهيرة عن خطة القضاء، وولي ذلك بمفرده، مع ما أضيف إليه من المناصب، بسعاية الشريف أبي القاسم بن حسن بن عجلان صاحب مكة، ومن جملة المقالة:

إن القضاة بمكة لثلاثةٍ طبقاً لما قد جاء في الأخبار
شيخُ المقام وقد مضى في جنة والقاضيان كلاهما في النار

وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد، في تذكرته المسماة: «نور العيون بما تفرق من الفنون»، قال: لما كنت بالقاهرة المحروسة، سنة ست وثلاثين

وثمانمائة، ورد إليها القاضي أبو البركات بن علي بن ظهيرة، ساعياً لأخيه أبي السعادات في عوده لمنصبه قضاء الشافعية بمكة.

وصحبته سؤالان، معناهما: أن رجلين من طلبة العلم الشريف بها تنازعا في مسألةٍ فرضيةٍ، فقصد أحدهما بالسؤال عنها أخاه أبا السعادات، وامتنع الآخر، فحلف الأول بالطلاق الثلاث أنه ليس بمكة وأعمالها أحدٌ أعلم منه، فهل يقع على الحالف حنث أم لا؟ وهل بالبلد من يساوي المشار إليه في العلم أو يفوقه؟

فأجاب شيخ الإسلام الحافظ الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني الكناني، والإمام البساطي بعدم الحنث، وأطلق الأول بانفراده في وقته، وعدم مساواته، فضلاً عن أن يفوقه أحد في بلده، وقيد الثاني بأنه إذا سئل في الفقه أجاب في الحال، من «الرافعي» و«الروضة»، أو في الأصول، فمن ابن الحاجب، أو البيضاوي، وكذا الحديث والتفسير، كما شاهده منه في مجاورته ببلده.

فلما اطلع على السؤالين وجوابهما الإمام أبو المعالي المحب بن الرضي الطبري، كتب في سنة سبع وثلاثين وثمانمائة قصيدةً لاميةً من نظمه إلى الحافظ ابن حجر، مضمونها الإنكارُ عليه، وعلى البساطي في الفتيا، وهي هذه:

يقبِّلُ الأرضَ عبدٌ قد أحبَّكُم ... طفلاً وفي كِبَرٍ في الحبِّ ما عدلا
ويسأل اللهَ أن يحظى برؤيتكم ... على الصفا فعسى أن يبلَغ الأملا
يا واحدَ العصر خذ منا مراسلةً ... تشكو لما قد حكي عنكم وما حصلا

من مكةٍ صدرتْ تشكو لخالقها   أيضاً وتروي لكم عن الشّن الفضلا

ومنها:

ما بال سيدِنا زلَّتْ أناملُه   واللهِ تلك لعمري زلّةُ العُقَلا

جاءت لمكةَ فتيا قد جزمت بها   بأن أفضلَها هذا الذي خذلا

وقلتَ هذا طلاقٌ لم يقع ولقد   قال المحقُّ طلاقُ الأحمقِ اتصلا

إن كان أعلمُها مَن قد ذكرتَ فقد   صارتْ بلا عالمٍ والعلمُ قد هَزُلا

رامَ الترقِّي إلى العليا فانزله   ذا الدهرُ من طيشِه لازال مشتغلا

قد أوقع الحبر فيما ليس شيمته   كان الإمامُ عن التحريف منعزلا

ومنها:

ارجعْ هداك اللهُ أعطاك منزلةً   عن ذي المقالةِ والأمرِ الذي نُقلا

ما يحمد الله في الدين الهوى ولقد   ذم الذي بالهوى قد كان مشتغلا

هلا كتبتُم أدامَ اللهُ دولتكم   مثلَ البساطيِّ إذ من أكلةٍ وحلا

خذ زادك اللهُ حرصاً ذكرَ سيرته   عن واحد لم يزد فيها وما جَهِلا

أبو السعاداتِ هذا من شبيبته   وفي كهولته ما حاز قطُّ عُلا

لم يأخذِ العلمَ عن شيخ يعرّفه   وجَه الصواب ولا أصغى ولا قَبِلا

يُفتي من الكتب إن أخطا فعادتُه   وإن أصابَ فوجه الذم ما جهلا

والنحوُ لم يدر فيه قَطُّ مسألة   مثلَ الحمار إذا ما فيه قد سُئلا

كذا الأصولُ إذا ما قلت مبحثه   يُنشي الرياسة إذ كانت له شُغُلا

علمُ الفرائض لم يحسنْ لمسألةٍ / منه ولا لحسابِ الأصلِ قد عملا

ومنها:

قد ضيعَ العمرَ حسداً للملا وله / عُجب وكِبْرٌ وحِقدٌ بئسَ ما فعلا
أضحى بمكةَ يؤذي الخلقَ من حمقٍ / وليس في الناس شخصٌ من أذاه خلا
له مثالبُ أخرى غير ما ذكرت / إني عقلتُ لساني عنه فاعتقلا
جميعُ جيرانِ بيتِ الله يعقلُها / إن اتهمت فسلْ عن ذاكَ من عقلا
فكيف يُنسب من هذا له صفة / بأنه عالمٌ والحال ما نقلا
فكن رعاك الإلهُ اليومَ معتذرا / عما جنيتَ وقلْ واللهِ قد جهلا
اللهُ يبقي لنا هذا المليكَ لقد / أراحَ مكةَ من أحكام من عزلا
كانت ولايتُه للحكم نازلةً / والحمدُ لله عنا زالَ ما نزلا
أستغفرُ الله في تقصيرِها فلقد / جاءت بذبٍّ لنا بالناس قد حصلا
وصلِّ ربِّ على المختار من مضرٍ / وآلهِ وأَجِبْ يا خيرَ من سُئلا
كذلك الصحب والأتباع ما طلعت / شمسٌ ولاح ضياءُ الأفق أو أَفَلا

وقد أطلقنا عنان القلم في ميدان المداد، وإن كان ليس من شرطنا المراد، إذ الحديث شجون، والكلام يجر بعضه بعضاً.

هذا وقد قال شيخ الإسلام وحافظ الدنيا، الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني، المتقدم ذكره، في بعض كتبه: إن قول الأقران بعضِهم في بعض غير مقبول، قال: وما علمتُ عصراً سلم أهلُه من ذلك، غير عصر الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. انتهى كلامه.

قلت: وفي قوله: غير عصر الصحابة والتابعين تأمل؛ إذ لم يسلموا أيضاً من ذلك؛ كما يعرفه من طالعَ سيرهم، فالظاهرُ العموم، ولعل كلامه مبني على الأكثر، والغالب؛ لقلته بالنسبة لمن بعدهم، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

والطبري: منسوبٌ إلى طبرستان ـ بفتح الطاء والباء الموحدة والراء ـ: إقليمٌ متسعٌ مجاورٌ لخراسان، من بلاد العراق، ويشتمل على بلادٍ كثيرةٍ، أكبرها آمُل ـ بهمزةٍ ممدودةٍ، وميمٍ مضمومةٍ، بعدها لام ـ، وأربل، والنسبة إلى طبرية الشام: طبراني، وإليها ينسب الحافظ الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة الحديثية، وكان بعض الطبريين ينتسب تارةً إلى الإقليم المذكور، فيقول: الطبري، وتارة إلى كل من بلدتيه المذكورتين، فيقول: الآملي، والأربلي.

[٢٢٣] حاجي محمد باشا بن عبدالله الوزير[١].

تولى اليمن في مصر، بعد أن عزل عنها، في زمن السلطان أحمد بن محمد خان، فوصل إلى بندر البقعة، في شهر شعبان، سنة خمس وعشرين بعد الألف، وكان رجلاً حليماً في سفك الدماء، حازماً في جميع الأحوال، صبوراً على الشدائد.

ودخل صنعاء في شهر صفر، سنة ست وعشرين وألف، وكان يقول: إنه أدرى الناس بأحوال اليمن، وكان كاتب الديوان بمصر للوزير حسن باشا صاحب اليمن؛ لأنه كان يختبره، ويرقم في دفتره، فما كان في حكمه في اليمن، إلا من ذلك الدفتر المضبوط، ولسانه يقول:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٩٦).

مـا أنـت أول سـاع غَـرَّهُ قمـرٌ   ورائـدٌ أعجبتْـه خـضرةُ الـدِّمَنِ

وما أجدرَه بقول الشاعر:

مـن تحلـى بغيـر مـا هـو فيـه   كذبتـه شـواهدُ الامتحـانِ

ففتح وجه الحرب، وناصحه عقلاء البلاد بأن هذا الأمر لا يتم في اليمن، إلا بعد تملك رؤوس القبائل، وترغب جنودك بعطائك، وتشحن الأنبار السلطاني بالحبوب، فما حصل منه القبول، بل تجلد وتنمر، وقال: إما المُلك، وإما الهُلك.

وجرى في السباق جريَ سكيتٍ   خلفتـه الجيـادُ يـومَ الرهـان

فلم يحصل من ذلك على طائل، فأتعبه الجند بطلب الترقيات والإنعامات، مع عدم نهضتهم ونصحهم في الحرب، فاتخذ له عوناً الأميرَ محمد بن سنان باشا، وجعله كخياله، فكان عليه، وكان كما قال الشاعر:

فكـان كالـساعي إلـى متعـبٍ   مـوائلاً عـن سُـبُلِ الراعـدِ

وفي «روض الأخبار»: من استبد بتدبيره، زلّ، ومن استخف بأسيره، ذل. وسمعته يقول في حال عزله: كنت أعتمد على دفاتري وحفظي، من أخبار اليمن، وأقول: كذب، ما قال هذا إلا خصماً لنفسه، ليس أحد أعرف مني بأحوال اليمن، وأعترف الآن أني دخلت اليمن، وخرجت منه، وما حققت ولا عرفت من أحواله قدر أنملة.

وكان قائماً على قدم الثبات، ذا عزيمةٍ ماضيةٍ، مع ظهور القحط وعمومه في جميع البلاد، وإفراط العساكر في طلب الإنعامات والترقيات، مرةً بعد

مرة، فعجز الفريقان، فانعقد الصلح بينه وبين الإمام القاسم؛ بأن لكل واحد ما كان تحت يده حال الحرب، وضبطت الحدود والأطراف، وكان انعقاد الصلح على يد الأمير بن المطهر بن الشويع محمد بن عبدالله، في شهر جمادى الأولى، سنة ثمان وعشرين وألف.

وبعد انعقاد الصلح، فك الوزير محمد باشا قيد الحديد من السيد الحسن ابن الإمام القاسم؛ لأن خروجه ما كان في شرائط الصلح، وبقي في دار الأدب، إلى أن وصل المتسلم من جانب الوزير فضل الله باشا إلى صنعاء، والسيد الحسن يعمل الحيل في خلوصه، حتى حصلت له الفرصة، فخرج متنكراً - على بعض القول - في غفلة الحارس، فلما وصل الوزير فضل الله باشا إلى صنعاء، في شهر رجب، سنة إحدى وثلاثين وألف، صلب الآغا الذي كان على دار الأدب؛ لتسهيله.

ولنرجع إلى المقصود، فنقول: كانت وفاة الإمام القاسم، عقب الصلح، نهار الاثنين، خامس عشر ربيع الأول، سنة تسع وعشرين وألف، وقام في مقامه ولده السيد محمد، وجدد الصلح بينه وبين الوزير الحاج محمد باشا على ما كان في زمن والده، من غير زيادة ولا نقصان.

واستمر القحط، وطال في زمان صاحب الترجمة، حتى ابتاع حملَ جمل من الحنطة بأربعين حرفاً، وعبرة حمل الجمل ثلاثون قدحاً صنعانياً، وبيضة الدجاجة ببقجة، وهي عبارةٌ عن كبيرٍ واحدٍ في مقابلة عثمانيين، وكان زمانه أوله حرب وفتن، وآخره نهب ومحن، وله آثارٌ عظيمةٌ في تعمير القلاع السلطانية، ما سبقه إلى مثله أحد، وبنى جامعاً في صنعاء، وله غير ذلك من الخيرات.

وكان خروجه من صنعاء في غرة شهر صفر، سنة إحدى وثلاثين وألف، ولما سمع الوزير محمد باشا بمجيء الوزير فضل الله باشا، أسرع بالنهوض، فخالف التقدير التدبير، وتقاربوا في المنازل بالقرب من زبيد، فأرسل فضل الله عليه عسكراً وسرداراً، فرموا عليه وعلى أولاده بالرصاص لأجل الجلب.

وكان فضل الله باشا معذوراً في ذلك؛ لأنه كأنه مريضاً مطروحاً في فراشه، وكانت أم البنين تعرض نفسها على ولدها؛ خوفاً عليه من الرصاص. انتهى كلام محمد بن كاني في «تاريخه».

وكان وصوله إلى مكة منفصلاً عن وزارة اليمن، في غرة شعبان، من العام المذكور، وصام بها رمضان، وتصدق، وفعل أفعالاً عديدةً من الخيرات، وكان وصل معه في مركبه بحراً فيلٌ صغيرٌ، أراد أن يهديه إلى الحضرة السلطانية العثمانية، ثم إن هذا الفيل استمر بجدة أياماً، فجاء الخبر بوفاة السلطان عثمان بن أحمد خان.

ثم انتقل حاجي محمد باشا المذكور، إلى رحمة الله تعالى ليلة سابع عشري شوال، من السنة المذكورة، ودفن ضحى صبيحة تلك الليلة بالمعلاة، وبني عليه قبةٌ باقيةٌ إلى الآن، ووقع بعد وصول الفيل غلاءٌ شديدٌ بمكة، قال فيه مؤرخاً، العلامة عبد القادر الطبري، وهو على غير وزن الأبحر المتداولة:

حَرَمُ الله حلَّ ساحتَه ... قدمُ الفيل ضلَّ عن رشده
كثر الهمُّ يا فتى أَرِّخْ ... (سنةُ الفيل همُّها يشده)

سنة إحدى وثلاثين وألف.

وفي هذا القرن يضرب المثل بالغلاء الواقع بمكة، في سنة تسع بعد الألف، ونهاية ما وصل فيه الأردب المصري ثمانية عشر ديناراً ـ على ما سمعت من الثقات المشاهدين لذلك ـ.

ولم يستمر هذا الغلاء إلا نحو ثلاثة أشهر، وفيه أكل الناس لحوم الكلاب والبسس، وسمعت من الوالد ـ رحمه الله ـ: أن الفقراء كان يأخذون دم الشاة، ويجعلونه في إناء على النار، ثم يستعملونه.

ثم وقع بعد عام تسعة غلاءٌ متعددٌ، منها: الغلاء الذي ذكرناه، ثم في عام سبعة وثلاثين بعد الألف وقع غلاءٌ عظيمٌ، واستمر متزايداً إلى عام ثمانية وثلاثين، فبيعت الكيلة الدخن في هذا العام بأحد عشر محلقاً، ثم وقع في عام تأليف هذا الكتاب غلاءٌ أضرم بالأفئدة نيران الاشتعال، وأعمى بصائر الناس من التفرغ للاشتغال، وسمع بسببه بكاء الحرم والأطفال، وكثرة الفقراء من النساء والرجال، أبيعت الكيلة المصرية بثمانية محلقة، وتسعة، وعشرة، فمن ظفر بهذا السعر، فكأنما نال من اللذات تطلبه، وقضى وطره.

واستمر أشهراً عديدةً، ومدةً مديدةً، ثم انحل بعض انحلال بوصول السفن التي فيها بعض حبوب فقراء الحرم، ثم عاد قريباً مما كان، وفي الغالب: أن الغلاء إنما يكون في أنواع الحبوب، وقد يقع في السمن وغيره، من أنواع المأكولات، ونرجو الله أن يكون تكفيراً للسيئات، وتكثيراً الحسنات، ولقد صدق من قال:

مساكينُ سكانُ أمِّ القرى ... فكلٌّ ينوح على نفسه

حيـــاتُهم كلهــــا ســـــلفت　　　علــى فَلَــسٍ أو علــى عكــسِه

ذكره الإمام علي بن عبد القادر الطبري في «الأرج المسكي»، و«التاريخ المكي».

[٢٢٤] محمد كبريت بن عبدالله بن محمد بن شمس الدين بن أحمد ابن قاسم بن شرف الدين بن يحيى بن شرف الدين بن حسين بن فخر الدين ابن موسى بن كريم الدين بن محمد بن إبراهيم بن داود بن محمود بن حسن ابن عباس بن علي بن محمد بن حمزة بن أحمد بن جعفر بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه في الجنة ـ الحسيني المدني(١).

السيد الجليل، العلامة الجامع للمعارف الإلهية، والعلوم الدينية، إن عُدَّ فخاره، وحُـدَّت آثاره، فعد الحصى قبل نفـودها، وكيف لا، وإن ذكر الشرف، فهو ابنُ بَجْدَته، أو العلم، فهو عاقد بُردتـه، أو الدين، فهو ساكن بلدته، أو الجود، فهو لابـس جلدتـه، أو التواضع، فهو الصابر لشدته، أو الرأي، فهو الصائل بحدته.

ولد بالمدينة سنة إحدى عشرة بعد الألف، وبها نشأ، واشتغل بفنون العلوم، ثم توجـه إلى الروم سـنة تسع وثلاثين وألف، وألف رحلةً بديعةً،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٥٥) (٣٢١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٥٦)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٣٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٤٠).

سماها: «رحلة الشتاء والصيف»، ذكر فيها ما وقع له في سفرته هذه من الغرائب، وما رآه من العجائب، وجمع فيها فوائد جمة، ودخل مصر والشام، وأخذ عمن بها من الأعلام.

ثم رجع إلى وطنه المدينة، وأقام بها، واختص بصحبة رئيسها في عصره القاضي محمد مكي المدني، فكان لا يفارقه في غالب أوقاته، مع الانهماك على بث العلوم ونشرها، ثم اشتغل بالذكر، وطريق القوم، وانهمك في آخر عمره على علوم الحقائق، وصارت له ملكةٌ عظيمةٌ في حل الدقائق.

وألف مؤلفاتٍ كثيرةً بديعةً، منها: كتابٌ سماه: «نصر من الله وفتح قريب» شرح فيه أبياتاً لبعض أفاضل عصره جمع فيه من كل غريبةٍ، ومنها: «بسط المقال في القيل والقال» في مجلدين، و«ركاز الركاز في المعمَّى والألغاز»، وكتاب «محك الدهر»، وكتاب «حل العارض في شرح ألغاز ابن الفارض»، وكلها مقبولةٌ متداولةٌ، وقد وقفت على غالبها وطالعته، فوجدته أحسن الجمعَ فيها جداً ـ رحمه الله ـ.

توفي بالمدينة ليلة الحادي والعشرين من رمضان، سنة سبعين بعد الألف، ودفن بالبقيع الغرقد، وله شعر حسن، منه قوله:

يا من تباد الهجرَ ما له سببٌ ... وصدَّ عمداً يرى في ذاك تبكيتي
كأنَّ وصلَك بعدَ الهجر يا أملي ... أوائلُ النار في أطرافِ كبريتِ

وهو تضمين في قول بعضهم:

ولازَوَرْدِيَّةٍ تزهو بزُرْقتها ... بينَ الرياض على حُمْرِ اليواقيتِ

كأنها فوق باناتٍ ضَعُفْنَ بها   أوائلُ النار في أطرافِ كبريتِ

وقوله:

الحمدُ لله على ما أرى   من ضَيْعَتي بين هذا الورى
صيرني الدهرُ إلى حالة   يرثي لها الشامتُ مما يرى
بُدِّلْتُ من بعد الرخا شدةً   وبعدَ خبزِ البيت خبزَ الشرا
وبعد سكنى منزلٍ مبهجٍ   سكنت بيتاً من بيوت الكِرا
ولو تحققت الذي نالني   لارتفعَ الشكُّ وزال المِرا

وقوله:

وما الشامُ في البلاد إلا كشامةٍ   وأقمارُ واديهِ الشميم تمامُ
فحيَّا محيَّاها الإلهُ وزانَهُ   ولا زال برقُ الحسنِ فيه يُشامُ

وقوله في الصالحية، حين زارها سيدي الأكبر الشيخ محيي الدين بن عربي ـ قدس سره ـ:

الصالحيةُ جنةٌ   والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلِها   مني التحيةُ والسلامُ

ومن فوائده: قال ﷺ: «يحاسب الناس على قدر عقولهم،» وفي رواية أخرى: «يحاسب كل امرئ على قدر عقله»، وفي بعض الآثار: «ما جعل الله لرجل عقلاً وافراً، إلا احتسبه عليه من رزقه»، وقيل: «من زيد في عقله، نقص من نقصه»[1].

---

(١) هكذا جاءت في النص، وصوابه: «رزقه».

ومن فوائده: ما أنشده لأحمد بن محمد النصيري:

لا تـأمنَنَّ الـدهرَ وهـو مـسالِمٌ ... سـلسُ القيـاد فقـد يعـود محاربـا
واحـذرْ تقلُّبَـه ولا تعجـبْ لـه ... أن أركبَ الماشي وأمشى الراكِبـا
واصـبرْ علـى أحداثـه فلكَـمْ فَتَـى ... قـد كـان مـسلوباً فأصـبح سـالِبا
ولكَـمْ ذليـلٍ سـاعَدَتْه عنايـةٌ ... من ذي الجـلالِ فعـزَّ فيهـا جانبـا

وأنشد لأبي الفتح البستي:

إن كنت تطمعُ في العلياء تـسكُنها ... وتبتغـي منـزلَ التكـريم تـسكُنهُ
لا تُخْلِ نفسَكَ من علمٍ تـسودُ بـه ... فقدرُ كُلِّ امـرئٍ مـا كـان يحـسنُه

[٢٢٥] محمد بن عبدالله العُثْمي.

الساكن بمدينة «ذمار»، أحد العلماء الأخيار، والفضلاء الكبار، والأدباء المشاهير، له شعر رائق نضير، ونثر يفوق الدر النثير.

فمما كتبه إلى شيخنا القاضي الحسين المهلاً قوله:

رياضُ علومٍ فارَ بالمسكِ نورُهـا ... وشمسُ فنونٍ يملأُ الكـون نورُهـا
لـسيدنا الحبـر الـذي أشـرقت بـه ... شموسُ المعالي واستنارت بنورها

منها:

به أوضحَ التحقيقُ عن حال أسـرةٍ ... لهم في دواوين المعالي صدورُها
فكم مشكل حلُّوا وحلـوا ظلامـةً ... بذا انشرحت للمـؤمنين صـدورُها
لهم همـمٌ هـامُ الـسماكَيْنِ دونَهـا ... لهـم رتـبٌ فـوق المجـرة دورُهـا

ومنها:

لعبد الحفيظ الحبرِ والناصر ابنهِ كذلك تُحمى بالحسين ثغورُها
فحاموا عليها بالبراهين تُحْمَدوا تنالوا جناناً قد تهيأنَ حورُها
بقيتم سماك[1] الملحدين فأنتم بكم يُتَّقى كيدُ العدا وشرورُها
إليكم نظاماً من محبٍّ مقصِّرٍ فباعي قصيرٌ والشهودُ قصورُها

ومنها:

وعذراً من التطويل فيها فإنني محبٌّ لكم لم يشفِ قلبي قصيرُها

وله من بدائع النظم ما يحلِّي بنضاره صفحاتِ البياض، ويروق للأبصار كما راقت الرياض.

[٢٢٦] محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، الخطيب التمرتاشي، نسبةً إلى الشيخ تمرتاش الوليِّ المشهور، المدفون خارج مصر، جهة باب النصر؛ لأنه من ذريته، أو جماعته، الغزي، الحنفي[2].

علامةُ غَزَّةِ هاشمٍ، وخاتمة من بها من العلماء الأعاظِم، وفقيهُ زمانه، وفهامة عصره وأوانه، ورئيس علماء ذلك الإقليم، وخاتمة كبرائه، والمعول عليه في تمييز الحلال من الحرام، وإمام المعقول والمنقول، والمرجع في الفروع والأصول، وشيخ مذهب النعمان، والمشارُ إليه في ذلك بالبنان، وقطبُ دائرة تلك الديار، ومركز محيط ذلك الدوار، والمتخلق بالأخلاق

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: سمام.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٨) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٣٩).

الإلهية، والمتصف بالصفات الربانية.

وصاحب التآليف العديدة المفيدة، التي منها: «متن تنوير الأبصار وجامع البحار بين مسائل الهداية والمنار»، و«شرح منح الغفار» الذي اشتهر في سائر الأقطار، وصار عليه العمل في الفتوى في غالب الأمصار، في ثلاث مجلدات، بالقطع الكامل كبار، وكتاب «تحفة الأقران».

و«منظومة في الفقه وشرحها»، و«شرح يقول العبد»، و«منظومة في التوحيد وشرحها»، و«شرح مختصر المنار»، و«شرح العوامل الجرجانية»، و«قطعة من شرح الوقاية»، وجمع مجلدين من فتاواه، ورتب «فتاوى قاري الهداية»، و«فتاوى شيخه الشيخ زين الدين بن نجم الدين».

وله «رسالة في العشرة المبشرة بالجنة»، و«رسالة في عصمة الأنبياء»، وأخرى في «دخول الحمام»، و«رسالة في التجويد»، و«أخرى في القضاء»، و«أخرى في الكنائس»، و«أخرى في مسح الخفين»، و«أخرى في النقود»، وفي «منع القراءة للمؤتم خلف الإمام»، وفي «الكراهة إذا أطلقت».

ومن شيوخه: أمين الدين بن عبد العال، وعلي أفندي قنالي زاده، وأخذ عنه كثير، منهم: ولده صالح، والعلامة درويش محمد طالو، وكانت وفاته سنة خمس بعد الألف بغزة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٢٧] محمد بن عبدالله الطبلاوي.

السيد الشريف، الفاضل المفنن، أخذ عن العلامة حسين بن رستم الشهير بباشا زاده، وعن أبي النصر الطبلاوي، وعن الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وعن الشمس محمد الرملي، والنور العسيلي، وكريم الدين البرموني.

[٢٢٨] محمد بن عبد الرحمن ابن الفقيه محمد بلفقيه، اشتهر بالأعسم(١).

السيد الأعظم، والإمام المعظم، أحد العلماء العاملين، والفقهاء الكاملين، **ولد** بمدينة «تريم»، وحفظ القرآن العظيم، وصحب جماعة من أكابر العارفين، والأئمة الوارثين، منهم: عمه السيد الجليل عبدالله بن محمد بلفقيه، صاحب الشبيكة، ومن في زمانه من أكابر العلماء؛ كالشيخ الأكبر السيد أحمد بن علوي باجحدب، والسيد محمد بن حسن، والشيخ حسين بن عبدالله بافضل.

وكان كثير العبادة، محباً للصوفية، وله الشأن العظيم، والشأو الذي يجل عن التعظيم، كثير المسامحة والسماح، ظاهر الولاية والصلاح، واسع الصدر، رفيع القدر، لم يزل ملازماً للتقوى، متمسكاً بالسبب الأقوى، **إلى أن انتقل إلى رحمة الله** سنة سبع بعد الألف، ودفن بمقبرة زنبل.

[٢٢٩] محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحموي الحنفي(٢).

كان إماماً عالماً بالفقه والقراءات، والتفسير والأصول، وعلوم العربية، مستحضراً للأحاديث النبوية، خصوصاً المتعلقة بالأوراد والفضائل، خصوصاً لأقاربه، كثير الزيارة والموافاة لأصحابه، حسن الصوت بالقراءة، كثير النصح والمحبة لأحبابه، ملازماً للاشتغال بالعلم والتصنيف، من أكمل الرجال علماً وعملاً.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٨٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٨٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٦٥) (٣٤١)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٤٧) (٨٨)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٩٦).

قرأ بالروايات على الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي، واشتغل بالفقه، وعلوم العربية على علي بن غانم المقدسي، وبه تخرج، وبعلومه انتفع، وعلى فضله عرَّج، وأخذ عن السراج عمر بن الجامي، وعن محدث مصر سالم السنهوري، والعلامة محمد حجازي الواعظ.

وله مؤلفاتٌ، منها: «حاشية لطيفة على شرح قواعد ابن هشام» للشيخ خالد، و«رسائل في العربية والبيان»، و«حاشية على مغني اللبيب»، وكانت وفاته بمصر يوم الأحد تاسع عشر شوال، سنة سبع عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

والحموي: نسبة إلى حماة، وهي بلدةٌ لطيفةٌ بالشام، بها عدة مدارس ومساجد، ويسقيها النهر العاصي، وإنما قيل له: العاصي؛ لمخالفته في جريه لسائر الأنهار، ويسميه الأقدمون: النهر المقلوب، وهو طيب الماء، لطيف الهواء، فيه يقول الشيخ تقي الدين بن حجة من قصيدة:

خَلِّ التعللَ في حِمى بيرين ... فهوى حماةَ هو الذي يَبْريني

وأطعْ ولا تذكر مع العاصي حِمًى ... ما في وراء النهر ما يُرضيني

قالوا تسلَّى عن ثمار شطوطها ... فأجبتُ لا والتينِ والزيتونِ

يا عاذلينَ على محبتها لكمْ ... في ذاك دينُكم ولي أنا ديني

[٢٣٠] محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عمر، أحمر العيون، اشتهر والده بالحَيقَن باعلوي[1].

السيد السند الأمجد، المعروف بالكرم، فلا يقاس إلا بحاتم، وتأتي

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٦٢).

على قدر الكرام المكارم، **ولد** بتريم، ونشأ بها، ثم طلب الارتحال، فطاف وجال، ولقي الرجال، وأخذ عن أهل الكمال، وجد في صالح الأعمال.

ولازم طريقة آبائه وأجداده الأخيار، ولازم سيرة جده المختار، وكان حسن الأخلاق، حليماً على المسيئين وأهل الشقاق، ذا رأي مصيب، وتدبير عجيب، ولم يزل محبوساً للنوس، إلى أن **انتقل إلى رحمة الله تعالى** ببندر مخا المحروس، سنة ثمان بعد الألف، وخلف: أحمد، وعلوياً، وعبد الرحمن ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٢٣١] محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الجمال محمد ابن الشهاب أحمد بن أحمد(١).

قدم جدُّه من المغرب، وهو فقيرٌ جداً، فقطن الحجاز، وترقى ابنه بخدمة الشريف بركات بن أبي نمي، صاحب مكة، وكان فيه خير؛ بحيث وقف في مرض موته على البيمارستان المكي بعضَ الأماكن، وخلفه ابنه في الترقي، وله إخوة.

البنوني: نسبة إلى «لبنونة» بالمغرب، من أعمال تونس، المالكي المكي، مولداً ومنشأً، كان ذكياً ماهراً كاتباً شاعراً.

ولد بمكة، ونشأ بها، وتأدب وحفظ أشعار العرب، ونافس أقرانه في علوم الأدب، حتى توفي بمكة عام سبعة عشر ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٩٠)، وذكر وفاته فقال: «وكانت وفاته في سنة ثمان عشرة وألف، ودفن بالمعلاة».

وله أشعار حسان، منها: قوله مجيباً للبرهان إبراهيم المهتار، عن قصيدة نظمها في الراح، وأرسلها إليه ليعارضها، ومطلعها:

دعِ الوقوفَ على الأطلالِ بالنُّجُب ... ولا تعرِّجْ على مجهولها الخَرِب

وهي هذه:

ما دام كأس المحيّا باسمَ الشَّنَبِ ... فتركُ لثمي له من قلةِ الأدبِ
لا سيما إن كان ممزوجاً بريقَةِ مَنْ ... أهوى ومَنْ لي بطعم المسك والضَّرَبِ
فاستجْلِها بنتَ كرمٍ مَعْ ذوي كَرَمٍ ... من كفِّ ساقٍ بِبُرْدِ الحسن محتجِبِ
كالبدرِ يسعى بشمسِ الراح في يدِه ... فاعجبْ لبدرٍ سعى بالشمس للشُّهُبِ
إذا رنا قلت خِشْفٌ في تَلَفُّتِهِ ... وإن تَثَنَّى فغصنٌ ماسَ بالكُثُبِ
من لي بها وهى تملي في زجابتها[1] ... ومونسي مونسي باللهو والطرب
شَمول مسطار شعشاع معتقة ... تُنشي السرورَ وتَنْفي همَّ ذي التعبِ
مع رفقةٍ كالنجوم الزهرِ ساطعةٍ ... حازوا جميعَ النهى والذوقِ في العرب
قمْ هاتِها يا نديمي فالصباحُ بدا ... وكوكبُ الصبح ولَّى وهو لَمْ يغبِ
والوُرْقُ تشدو على الأغصان قائلةً ... باكرْ صبوحَك بالطاساتِ والنُّخَبِ

وهي طويلةٌ، أجاد فيها كل الإجادة.

وقوله:

أنحلَ اللهُ خصرَ ذاتِ المشالي ... فهي واللهِ لا ترقّ لحالي

(١) كذا في الأصل، ولعلها: زجاجتها.

وأرانـــي لحاظَهـــا فـــي انكـــسارِ ولظـى جمـرِ خـدُّها فـي اشـتعال

وأصلُه قول ابن الوردي:

أنحلتنـــــــي حبيبتـــــــي أنحـــــــلَ اللهُ خـــــــصرَها
كـــــــسرتني جفونُهـــــــا ضـــــــاعفَ اللهُ كـــــــسرَها

ومثله قول إبراهيم بن مشعل المكي ـ رحمه الله تعالى ـ:

أضـــــعفَ اللهُ فـــــاتِني ضـــــاعفَ اللهُ حُـــــسْنَهْ

أيضاً:

ســـــقمي مـــــن جفونـــــه لا عـــــدل الـــــسقمُ جفنَـــــهْ

وقوله:

لا طفـى اللهُ جمـرَ خـدٍّ حبيـبٍ قـد كـواني بهجـره والـصُّدودِ
وحمـاه مـن عـارض وأرانـي سـقمَ عينيـه دائمـاً فـي مزيـدِ

وكتب إليه الأديب إبراهيم المهتار قصيدة مطلعها:

بقلبـي سـيف اللـواحظ سـنَّهْ وافـرض وجـدي وهجـري سُـنَّهْ
غـزالٌ مـن العـربِ النـازلينَ برامـةِ جـادَ الحَيَـا حَيَّهُنَّـهْ

وقد ذكرت جميعها في ترجمته.

فأجابه بقوله:

أجيبـكُ مـولايَ مـن غيـرِ مِنَّـهْ فذوقُك قـد خـصني الفـضل منَّهْ
وإنـي مطيعُـك فيمـا أمـرتَ وودي القـديمُ كمـا تعهَدُنَّـهْ

عجبتُ لسحرِ عيونِ الظِّبا تصيدُ القساورَ من غابِهِنَّهْ
وهُنَّ الدُّمى الخُرَّدُ الآنساتُ ومن لهم الشعب أضحى مَظِنَّهْ
كفى ما بقلبي من لوعةٍ ووجدٍ إلى بردِ أنيابهنَّهْ
فكمْ دونَ أخدارِهِنَّ مهلك وكم حوله من جيادٍ معنَّهْ
ببيضِ الصِّفاح وسُمْر الرماح وصُفرِ القِسيِّ وزُرْقِ الأسنَّهْ
فحيًّا حمى الشعب من عامر حَيًا لم يزلْ يسقِ أطلالَهُنَّ[ـهْ]
فَثَمَّ الغواني المِلاحُ الصِّباحُ يرنُّ الوشاحُ بأعطافهنَّهْ
فطيرُ الحَشا لم يزلْ واجِباً عليهِنَّ إن لُحْنَ في جبهنَّهْ[1]

ومنها:

وبي ثم أَحْوى بديعُ الجمال حوى اللطفَ والزينَ من بينهنَّهْ
إذا ما بدا بينَ أترابه تغارُ الغزالةُ ممن حُسنهنَّهْ
ظريفُ الشمائل زينُ الخصائل ظبيُ الخمائل بدرُ الأَكِنَّهْ
رَشَأٌ خَصرُهُ مُضْمَرٌ ناحِلٌ إذا قامَ والردفُ ما أَرْجَحَنَّهْ
مليحُ السوالفِ عذبُ المراشفِ لَدْنُ المعاطِف لم أعْدُ عَنَّهْ
فوجنتُه مذْ دَبَّ العذار حكَتْ يا ذوي العشقِ ناراً وجَنَّهْ
غزالٌ جهولٌ غدا لاعباً بأهلِ العقولِ على صغر سِنِهْ
فكالغُصْنِ قَدّاً وكالوردِ خَدّاً وكالنَّجم بُعْداً وكالمسكِ نُتَّهْ

(١) كذا في الأصل.

لقـــد حيرتْنـــا ملاحاتُـــه	وقد فاق في الحسن بـدرَ الدُّجُنَّـهْ

ومنها:

إذا مـا بــدا مُقـبلاً فـي الحِمـى	فمـــن ذا رآه ولـــم يفتنَـــنَّهْ
رَشَــأٌ لــم يـزلْ دهــره ثــاملاً	بخمـرِ الـشبيبة لـم يـصحُ مِنَّـهْ
يُحــاكي نــسيمَ الـصَّبا رقــةً	ولطفــاً فللــه مــا أحــسنَنَّهْ
لــه شَــنَبٌ فــاقَ زهــرَ الأقــاحِ	تــراءى تــرى الفـرقَ مـا بينهُنَّـهْ
تحكَّـمَ فـي مهجتـي كيـف شـاءَ	وعــذَّبَ قلبــي فمــا أظلمَنَّـهْ

ومنها:

فكـم مـن أسـير بـه فـي الهـوى	طليــقِ المــدامعِ يبكــي بإنَّــهْ
فمــذْ شــفَّني هـــذا الغـــزالُ	بقلبــي ســيفُ اللــواحظِ سَــنَّهْ
وسلـسلَ دمعــي وأجـرى دمــي	وأفـرضَ وجـدي وهجـري سُـنَّهْ
ومـذ عـزَّ لـم ألـقَ لـي مخلـصاً	مـن الحـبِّ حتـى ثنيـتُ الأعِنَّـهْ
ووجَّهْتُ قصدي لمـدح الرسـولِ	شــفيعِ الأنــامِ إلــى ربِّهِنَّـــهْ
محمــد المــصطفى مــن رقــى	طبــاقَ العُــلا واعتلاهــا مَهنَّـهْ
فــذاكَ مــلاذيَ يــومَ المعــادِ	إذا أحـضرَتْ ثـم إنـساً وجِنَّـهْ
فــإني أُرَجِّــي بـــه إن أفــز	مــع الفــائزين بطاعاتِهِنَّـــهْ
وحاشـا يخيِّــبُ راجيـاً فـضلَه	إذا أحـسنَ الـشخصُ بـالله ظَنَّـهْ
عليـــه صــلاةٌ مـــن الله مـــا	تراءتْ بروقُ الحمـى فـي الدُّجُنَّـهْ
كـذا الآل والـصحبُ مـا غـردتْ	قُمـــاري الأراك بأوكارِهِنَّـــهْ

وله أيضا مضمناً:

عــذيبُ الثنايــا أمــاطَ اللثــامَ ... وأبــدى لنــا دُرَّ ذاك الوشــامْ
فقلنــا أبــدرُ الــدجى قــد بــدا ... أم البــرقُ قــد لاح بــينَ الغمــامْ
ســويجي الرنــا أهيــفٌ أغيــدٌ ... جميــلُ المحيَّــا رشــيقُ القَــوامْ
نعمْنــا بــه ليلــةً وانتهــى ... بنــا البــسطُ حتــى بلغنــا المــرامْ
وحيَّــا علينــا بكــأسِ الطِّــلا ... وأبــدى لنــا مــن رقيــقِ الكــلامْ
حــديثاً هــو الــدرُّ لكنَّــه ... من الشهدِ أحلى وكأسِ المُدامْ
فقلنــا كمــا قــال أهــلُ النُّهَــى ... كــلامَ الملــوكِ ملــوكُ الكــلامْ

[٢٣٢] محمد ابن الفقيه عبد الرحمن بن سراج باجمّال الحضرمي.

كان من العلماء المحققين، له الباع الطويل، وانتهت إليه رياسة الفقه في وقته، وكان من الأسخياء المشهورين، ولم يكن للدنيا عنده مقدار، وله الهمة العلية، والفتوة الصوفية، وكان على قدم عظيمة من الزهد في الدنيا، وله في طريق القوم المشرب الهنيّ.

قرأ العلم على والده، ثم ارتحل إلى الشحر، فقرأ على المحقق علي ابن علي بن يزيد، وفتح الله عليه، وتصدر للفتوى والتدريس، وتولى القضاء في عدة أماكن: الغرفة، وشبام، وتريم، والشحر، ودرس في عدة أماكن؛ كسيؤون، وأقام في عدة أماكن، كدوعن، والمستفاض.

وله رحلة طويلة، ودخل الهند في أيام شبابه، وله النظم البديع الرائق، وكانت له الحظوة التامة، والقبول عند الخاص والعام، محبوباً عند الأنام، كثير البكاء والخشوع عند المواعظ، وكان إذا خطب من آيات الله الباهرة؛

من الفصاحة والجهر، وعذوبة المنطق، وحسن الصوت.

وله البسطة التامة في العلم والجسم، جمالياً في شعائر العلم، وقد لحظه العارف بالله الشيخ معروف بلحظاتٍ مباركةٍ؛ لأنه اجتمع به في حياته، وصحب الشيخ أبا بكر بن سالم باعلوي، وكان يحبه ويثني عليه بالنور من قرنه إلى قدمه، وتخرج عليه جماعة من الفقهاء.

وله تآليف كثيرةٌ مفيدةٌ نافعةٌ، منها: «نظم الإرشاد وشرحه»، و«منظومة كبرى وصغرى في النكاح»، وكتاب «مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف» باجمّال، و«الدر الفاخر»، وله فتاوى كثيرة، لكنها لم تجمع، وإنما يوجد بأيدي الناس شيءٌ كثيرٌ منها، وتفصيل ما كان في أيامه، وما له من الفضائل، يطول شرحه.

وحصل له قبل موته بسنة إعراضٌ عما سوى الله تعالى، وتوفي ببلده «الغرفة»، من وادي حضرموت، في شعبان، سنة تسع ـ بالمثناة فوق ـ وعشرة بعد الألف، ودفن في مقبرة آل أبي جمّال النجدية ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٣٣] محمد بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري، الأشعري، المالكي المصري.

كان من أعيان علماء عصره وأجلائهم، توفي يوم السبت، ثالث عشري صفر، سنة عشرين بعد الألف.

[٢٣٤] محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الرجبي الأصل، الخاتوني المنشأ والمولد.

الشيخ الفاضل، الحجة الصالح، أحد فضلاء العراق، وأجلاء علمائه،

قدم حاجاً عام سبع وتسعين وألف، واجتمعت به بمكة، وتأكدت بيني وبينه الصحبة، وذاكرته وذاكرني بفنون العلوم، وأوقفني له على أبحاثٍ لطيفةٍ، وأخبرني أن مولده سنة أربع وخمسين وألف، بالخاتونية من قرى سنجار.

وقرأ بـ «ماردين» على الملا قاسم بن جمعة المحكمي، وعلى الملا أحمد المارديني، الشهير بأخي، وعلى مخزوم الديري، وقدم دمشق، وقرأ بها على محمد الخباز، وعثمان القطان، الشهير بابن كريم اللحية، وعلي الكاملي، وولده محمد، وعلى السيد عبد الرحمن بن المنير، وعبد الباقي الحنبلي، وإسماعيل بن الحائك، وأخذ ببغداد عن محمد الأحسائي، وعن مدلج، وولده طاهر، وأجازه جمع من شيوخه، ورحل إلى الموصل وتديرها، وقرأ بها في المعقولات على الملا صالح بن زين العابدين، وأقام بالموصل بعد رجوعه من الحج، يدرس بها، وينفع الطلبة ـ سلمه الله تعالى ـ[1].

[٢٣٥] محمد بن عبد الرحيم جعمان.

كان إماماً عالماً فاضلاً، على جانبٍ كبيرٍ من الخير والزهد، وكان إذا طلب منه أحدٌ كسوةً، أعطاه لباسه الذي عليه، وكان بينه وبين السيد الحسين بن الأهدل أخوة في الله تعالى، توفي سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٣٦] محمد بن عبد الرحيم بن عبد الباقي بن حسين النزيلي.

كان من أكابر أهل العلم والفضل، تولى التدريس في حياة أبيه، وأقر عينه، ثم جرت بينهما منابذة، ومات أبوه وهو راض عنه، ثم رزقه الله كثرة

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض أربعة أسطر بالأصل».

الأوراد، وسهر الليل، سيما في آخره، واتفق أن بعض جماعة بات ليلة عنده، فقرأ القرآن من أوله إلى آخره، ثم بدأ مرة أخرى إلى سورة الأحزاب.

ورزق الجاه الواسع، وكان مِطعاماً، حسن الأخلاق، جرت بينه وبين الأمير الناصر بن عبد الرب منافسة، فذهب إلى الإمام المؤيد محمد بن القاسم، ومات عنده في بلاد الأهنوم، ببيت القابعي، سابع عشر جمادى الثاني، سنة ثلاث وأربعين وألف.

[٢٣٧] محمد بن عبد الرحمن الخياري المدني[١].

الأديب الأريب، واللوذعي اللبيب، كان فاضلاً محصِّلاً، عظيم الهمة، قوي الجأش، مولده بالمدينة في شعبان، سنة أربعين بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عمن بها من العلماء، وتخرج بأخيه إبراهيم حتى برع، وفاق أقرانه.

ثم رحل إلى مصر، والشام، والروم، وأقام في الغربة مدةً، وهو مقيمٌ سوق النزاهة والأدب، ملازمٌ للعلم والطلب، واجتمعت به بمصر كثيراً، وحصل بيني وبينه الود التام، وكان لا يفارقني في غالب الأيام.

ثم رجع إلى المدينة الشريفة، فتوفي بها في شهر رمضان، سنة ثلاث وثمانين وألف، واتفق أني كنت مجاوراً تلك السنة بها، فحضرت مشهده ومدفنه بالبقيع.

وله شعر وسط، منه: قوله يمدح شيخ الإسلام يحيى المنقاري مفتي القسطنطينية:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٩٣).

في كـل قطـر حـين ذكـرُك يُنـشر		يبـدي الثنـاء عليـك مـسكٌ أذفـرُ
وتَــوَدُّ أربـــابُ المقـــام بأنهـــا		مــن تـربِ نعلِـك دائمــاً تتعطّـرُ
شــرفَتْ بـك الأيـامُ حتـى إنهـا		ودَّتْ تـراكَ الماضيـاتُ الأَعـصُرُ
وأتـى الزمـانُ إليـك عبـداً طائعـاً		يـصغي لمـا تنهـاه عنـه وتـأمرُ
وقد اقتصرتُ على امتداحِ جنابِكم		إذ مـدحُ خيـرِ الخلـق فـيكم أكبرُ
في قولـه العلمـاءُ ورثـة قـد كفـى		الـصادق المـصدوق فيمـا يخبـرُ
وإذا أردتُ بـأن أصــوغ مــدائحاً		فـيكم فـإني مـا حييـتُ مقـصِّرُ

ومنها:

من أجل هذا قال قبلي من مـضى		بيتــاً وذاك البيــتُ فـيكم أشــهرُ
وعلــى تفــنن واصــفيه بحــسنه		يفنـى الزمـان وفيـه مـا لا يُحصرُ
فإليك يـا مـولايَ صـغتُ دراريـاً		تُهدَى إليـك وأيـن منهـا الجـوهرُ
ضَــمَّنتها أوصـــافَك الغُـــرَّ التـــي		مـــا شـــامَها الـــثقلانِ إلا كَبَّـــروا
لا ترتجـــي إلا القبـــولَ إجـــازةً		وإجـازةُ الـشعراءِ أبـيضُ أصـفرُ
وأنـــا محمـــدُ عبـــدُكم ومحـــبُّكم		العبـدُ الاصـغرُ والمحـبُّ الأكبـرُ

[٢٣٨] محمد شمس الدين أبو عبدالله بن عبد الفتاح الطهطائي، نسبة إلى طهطا: قرية بصعيد مصر، ثم القاهري الأزهري، نسبةً إلى الجامع الأزهر من القاهرة، المالكي.

الشيخ الإمام، العالم الصالح، المخلص الزاهد، الورع الكامل، الضافي

أثواب الصيانة، البين أسباب الديانة، الناهل من سلسال العرفان مورداً عذباً، والجاني من رياض المواهب اللدنية ثمراً رطباً.

نشأ على الاشتغال بالعلم بالجامع الأزهر، بجد صادق، وعزم نافذ، فشارك في فنون كثيرةٍ، فقهاً وحديثاً، وعربيةً وأصلين، وغير ذلك، وأدرك جلة العلماء، وأعيان الفضلاء.

فسمع على حافظ مذهبه، وشيخ الحديث أبي النجا سالم بن محمد السنهوري أطرافاً من الكتب الستة، وغيرها، وأخذ عن العلامة المحقق أحمد السنهوري المالكي الفقه وغيره، وعن الشهاب أحمد بن عيسى الكلبي المالكي، ولازمه كثيراً، وانتفع به في طريق القوم خصوصاً، وأخذ عنه عدة كتب في التصوف، وعادت عليه بركته، وكان وارث مقامه.

وعن خاتمة المحققين والفقهاء والمحدثين إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي، وعن المسند شمس الدين الشبراوي المالكي، وعن شيخنا نور الدين أبي الإرشـاد علي بن محمد الأجهوري، وعن خاتمة الحفاظ عبد الرؤوف المناوي الشافعي، في آخرين.

وتصدر بالجامع الأزهر للإقراء، ثم انجمع عن ذلك، ولزم العزلة، وأنس بالخلوة في المدرسة العينية، غاضَّ البصر عن زهرة الدنيا، نافراً من الاجتماع بما عدا الفقراء، مقبلاً على مولاه، متودداً لقاصده وزائره في الله، مظهراً له مزيدَ الحنان والشفقة، لينَ الجانب متواضعاً، حسن الظن بالناس، سـريعَ الدمعة، عديمَ النظير في سَمته وهديه، توفي في نيف وسبعين وألف بالقاهرة، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربة المجاورين.

[٢٣٩] **محمد بن عبد العظيم، الشهير بابن عتيق، الحمصي، الشافعي**(١).

نزيل مصر، شيخنا العلامة، كان إماماً فاضلاً، قوي الذكاء، شديد الفطنة، حسن الإشارة، فصيح العبارة، ذا دعابةٍ لطيفةٍ، وطباعٍ مستقيمةٍ شريفةٍ، ولد بحمص سنة عشرين وألف.

وحفظ القرآن وجوده، وقدم مصر في شبابه، واشتغل بفنون العلوم، وأخذ عن البرهان اللقاني، وعلي الحلبي، وعلي الأجهوري، وعبد الجواد الجنبلاطي، وحسين النماوي، ومحمد النحوي الشهير بسيبويه، وياسين بن زين الحمصي، وشيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وسلطان المزاحي، وغيرهم.

وجد واجتهد، حتى فرغ من فنونٍ عديدةٍ، وفاق أقرانه، خصوصاً في المعقولات، وتقوى على حل المشكلات العلمية؛ بحيث صار يشار إليه بذلك، وألف «حاشية على المختصر» للسعد، ورسائل في فنون.

وأقام بمصر فقير الحال جداً، وضاقت عليه المعيشة، فاستشار بعض أهل بلاده في حاله، فأجابه: بأنك قد حصلت من العلم ما يكفي، والآن ينبغي لك أن تأخذ حانوتاً للبيع والشراء، واجمع بين العلم والدنيا، بقدر ما يمكنك.

وكان المترجَم من بيت تجارةٍ، وله معرفة، خصوصاً بصنعة الحرير وشغله، فامتثل أمر صاحبه، وفعل وجد واجتهد في البيع والشراء؛ بحيث إنه أعرض عن المطالعة والمراجعة نحو عشرين سنة، فأثرى وكثر ماله جداً.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢١٠).

ثم طرقه طارق الخير، فانسلخ عن البيع والشراء، ورجع إلى ما كان عليه من الجد والاشتغال بالعلم، وصحح جميع ما عنده من الكتب بالمقابلة، وجد في تحصيل كتب الحديث، وكتب شيئاً منه بخطه، وكان حسن الخط، ولم يزل كذلك حتى توفي في شهر جمادى الأول، سنة ثمان وثمانين وألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين.

ورآه بعض أصحابه بعد موته في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وكتبني عنده من العلماء، فقال له: وكيف وقد كنت تركت الاشتغال بالعلم مدةً؟! فقال: الفضل أوسع، وما رأيت إلا كلَّ خير، وإن أردت النجاة في الآخرة، فعليك بالاشتغال بالعلم؛ فإنه من أعظم أسباب المغفرة عند الله تعالى، وإياك والتكلم في أحد بسوء؛ فإن عليك رقيباً أيَّ رقيب.

فانظر يا أخي بركة الاشتغال بالعلم، وما يؤدي بصاحبه إلى الخير، جعلنا الله وإياك من المشتغلين بطاعته، في كل آنٍ بمنّه وكرمه. آمين.

والحمصي نسبة إلى حمص، وهي بلدةٌ كبيرةٌ جداً، إلا أن غالبها خراب، ويجري بها النهر العاصي، وكانت من محاسن بلاد الشام، إلا أنها دثرت الآن، قال القطب المكي في «رحلته»: والموجود الآن في دفتر العوارض أربعة آلاف وأربعمائة بيت، وذلك خارجٌ عن ألف بيتٍ تقريباً ليسوا في الدفتر؛ لأنهم لا يعطون شيئاً من العوارض، وفي نسائهم جمالٌ وحسنٌ ليس في غيرهن من أهل ذلك القطر، وحمص اسم رجلٍ من العماليق، سميت به؛ لأنه أول من نزلها، وهواؤها أعدل هواء مدن الشام.

قال صاحب الروض المعطار: إنها مطلسَمَةٌ، لا تدخلها حيةٌ وعقرب،

ومتى دخلت، هلكت، وافتتحها أبو عبيدة بن الجراح ﷺ سنة أربع عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

قال القطب: وقد شاهدت فيها طلسم العقرب المذكور، وهو بيتٌ مربعٌ، مسدس الجوانب، لا يدرى ما باطنه، وهو في سوق الحدادين، بقرب تربة عمرو بن عنبسة ﷺ، أسلم أول ما بُعث رسول الله ﷺ، وسأل عن النبي ﷺ وعَمَّن معه، فقال: «حر وعبد»؛ يعني: أبا بكر، وبلالاً ﷺ، قال: فلقد رأيتني وأنا رابع الإسلام، في حديث طويل، ذكر بعضه صاحب «الاستيعاب» في أسماء من صحب النبي ﷺ.

ووقفت في الجانب القبلي من هذا الطلسم، فرأيت الناس يأخذون الطين ويكسونه، ويضربون به حجراً في الجدار القبلي من هذا البناء، فما سقط منه تركوه، وما ألصق به الحجر أخذوه في البلدان برسم الهدية، هو دواء مجرب للعقرب، يطعمون الملسوع منه، ويضعونه على اللسعة فتبرأ، ويحلونه في الماء، ويرشون جوانب الدار التي فيها العقرب، فتموت عقاربها.

قال: وقد حملت معي جانباً، ورأيت في حمص أيضاً طلسم الزنبور، في موضع متهدم، وفيها أيضاً: موضعٌ خراب، كان طلسم النمل، هدمه بعض أمراء الجراكسة، يظن أن تحته كنزاً، فوجد فيه طبقاً من السبع معادن، في وسطه نملة من ذهب، فظهر به النمل من ذلك اليوم في حمص.

ورأيت في حمص من المزارات: تربة خالد بن الوليد ﷺ، وتربة ولده عبد الرحمن، جددها أحمد باشا بن سعيد باشا بن اسفنديار نائب الشام الآن؛ لزعمه أنه من ذريته.

وذهبت طائفةٌ من المؤرخين، إلى أن خالداً لم يعقِّب، وبني اسفنديار يقال لهم: قزل أحمد أوغلَّري، وهم طائفةٌ من ملوك الطوائف في بلاد الروم، صاروا تبعاً لبني عثمان، وفي الهند طائفةٌ كبيرةٌ يقال لهم: الأوغان، يزعمون أنهم من ذرية خالد بن الوليد ﷺ، والله أعلم بذلك.

ورأيت من المزارات في حمص: تربة فضة، مولاة النبي ﷺ، ذكرها الذهبي في «تجريده»، وقال: إنها نوبيةٌ، جاريةٌ لفاطمة ﷺ.

ورأيت تربة سعد بن أبي وقاص، وجعفر الطيار، وكعب الأحبار، وثوبان مولى رسول الله ﷺ، ووحشي، وعبيدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود ـ على خلاف فيه ـ، ودحية الكلبي.

وفيها مسجدٌ عظيمٌ، واسع الفناء، محكم البناء، من بناء الأكراد الأيوبية، وتكيةٌ عظيمةٌ، بناها الوزير الأعظم رستم باشا. انتهى.

[٢٤٠] محمد بن عبد الغني عالم الروم المشهور(١).

كان إماماً جليلاً، مفرداً في العلوم العقلية والنقلية، له «حاشية على البيضاوي» وصل فيها إلى نصف البقرة، في نحو خمسين كراسة، توفي سنة ست وثلاثين وألف، بقسطنطينية ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٤١] محمد بن عبدالله ابن الإمام شرف الدين(٢).

من أعيان ملوك «كوكبان»، المشهورين بالفضل والإحسان، نشأ في

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٠٣) (١٥٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٧٤) (٢٠١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٤٠).

حجر الخلافة والإمامة، ودرج في حجرات العلم والورع، وألقى إلى أكفها زمامه، وطلب العلم من جهد ووجد، وكدح في اكتسابه، حتى انتهى إلى أقصى غاية وجد، لم يزل لاهجاً بطلابه، مغرًى باكتسابه، حتى ألحق الأكابر بالأصاغر، وغدا كل كبيرٍ له صاغر، وعقد عليه عند ذكر العلماء بالخناصر.

فما من فنٍّ من الفنون، إلا وقد بلغ غايته القصوى، وفاز بقدحه المعلى، وكان نظمه يفوق الجواهر المنظومة، ويفعل في العقول فعل الأسحار المرقومة، وكان يميل إلى التصوف والصوفية.

ذكره السيد العلامة أحمد بن حميد الدين في كتابه «ترويح المشوق»، فقال: هو العلامة الذي يستغرق مدحه الكلام، وتحفي في مسافة أوراقه جاريات الأقلام، ويطأطئ البلغاء رؤوسهم عند سماعه.

إن نظم، قال النظام: لا محالة أن جوهر عقدك الفرد، أو نثر، قال الفاضل: أنت ملك الكلام ومولاه، وأنا العبد، أو جد، قال المزاح: رُعْتني بجدك، وقال القاضي السعيد: ما أرى السعد إلا لجدك وجدك، وما هو إلا سورة النور في الشعراء والآية البينة التي حام الأفاضل يتلونها زمراً.

وقد تتبع السيد عيسى بن لطف الله نظمه، بطرحٍ[1] عند شعر ابن مطروح، ونظمها في أحسن سلك، وهل يقوم جسم الفصاحة إلا بالروح؟

فمنها قوله:

يا طلعةَ البدر في دَيَجورِ أغلاسِ ويا هلالُ على غصنٍ من الآس

(١) في الأصل: لطف الله تفاسير نظمه الله بطرح، ولعل الصواب ما أثبت.

يا من كتمتُ الهوى صوناً له فإذا ... فاهوا بذكر اسمه غالطتُ جُلاَّسي
يا من إذا ضُربت في حبه عنقي ... ما مال إلا إليه مسرعاً راسي
يا منيةَ القلب ماعنِّى أتاك فقد ... أوحشتني يا حبيبي بعد إيناس
فقد أتاني حديث منكَ أرّبني ... وزاد واللهِ في همي ووسواسي

ومنها:

أذاب نفسيَ ممّا جاء منك فلو ... لا أدمعي أحرقتني نارُ أنفاسي
وحين عاينت صبري عنك ممتنعاً ... وبتُّ أضرب أخماساً بأسداس
كتبتُ والدمع يمحو ما تخطُّ يدي ... حتى بكت لي أقلام وقرطاس[1]
فاعطفْ على مستهامٍ عاشقٍ دَنِفٍ ... بين الرجاء لطيفٍ منكَ والياسِ
ماذا الصدودُ الذي ما كنتُ آلفُهُ ... متى يلينُ لما بي قلبُك القاسي

ومنها:

لو أن لي ساعة أشكو عليك بها ... حالي وقد نام حُسَّادي وحُرَّاسي
ما لي أُمَلِّك نفسي مَنْ يعذِّبها ... بالصدِّ عني ومالي أذكرُ الناسي
يا ناسُ هل لي من مجيرٍ من هوى رَشَأٍ ... مهفهَفٍ كقضيبِ البانِ مَيَّاسِ
أذاب قلبي وسَلَّ النومَ عن مُقَلي ... لفاتنٍ فاترِ الأجفانِ نَعَّاس
من لي بزورته جنحَ الظلام وقد ... غاب الرقيبُ ونامت أعينُ الناسِ
أمسي أعانقه ضَمّاً إلى كبدي ... ما في العناقِ وما في الضمِّ من باس

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أقلامي قرطاسي.

وأَنثني عند رشفي خمسَ مبسمه   شكراً وأسكر من ما ريقه الكاسي

عسى الذي قضى بالحب يجمعنا   يا طلعةَ البدر في ديجور أغلاسي

وقوله:

يا راقد الليل لم يشعر بمن سهرا   .... (1)

قلت: ووفاته في جمادى الأولى، سنة عشر بعد الألف، كان عالماً شاعراً مجيداً، مائلاً إلى الترك، ولازمهم، وكان مستقراً في كوكبان، ويتردد إلى رؤساء الترك، وجرى بينه وبين الإمام القاسم مكاتباتٌ عديدةٌ في شأن الإمامة.

وكان تزوج بامرأةٍ أبوها من جند المطهر ابن الإمام، يقال له: والي مسيح، فلما زفت إليه، شغف بها شغفاً كلياً، وأخذت بمجامع قلبه، **فقال:**

غزالة تبعثُ أنفاسُها   قتلى هواها وأبوها المسيح

وكيف لا تبعث أنفاسُها   كلَّ قتيل لرناها ذبيح

وله فيها:

هم الترك حبُّهم يتلف   أما والذي باسمِهم أحلفُ

جمالهم يسترق النفوس   وحبُّهم للنهى يشغف

وإن لبسوا الحسن مستطرف   بديعا كما يُلبس المطرفُ

فلا غَزْوَ أمُّهم سارةٌ   ولا بِدْعَ عمُّهم يوسفُ

---

(1) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض ثلثا صفحة، ومكتوب أمامه: يكتب من المجموع».

وله مؤلفـات، منهـا: «كفاية الطالـب في مناقـب علي بن أبي طالب» ـ كرم الله وجهه ـ، و«نظم المائة الكلمة التي لأمير المؤمنين علي» ـ كرم الله وجهه ـ، و«نظم نظام الغريب في اللغة».

وكتب إلى والده عبدالله ابن الإمام شـرف الدين بن شـمس الدين ابن الإمام المهـدي لدين الله رسـالةً مفيدةً، وهي: مطالعـة الملوك طليعة باله، ولسان حاله، وترجمة بلباله، وحديث سره، وبيان خبيئة صدره، مظهر غليل برحائه، ومصدر دخيل دائه، عبراتها أجرتْها عينُ جنانه في عبارة لسانه، وزفرةٌ صعد بها لوعة أشجانه، في إشارة بنانه، مهجةٌ أهدتها في أثناء سلامه لهبة أُوامه، وحشاشةٌ أسالتها في لسان أقلامه، شعر:

هـي نفـسٌ أودعتهـا نفـس الـشو ... ق وقلبـي تجـري بـه الأقـلامُ
وهي دمع تفيض مـن لوعـة البيـ ... ـن ومـن أدمـع المـشوق كـلامُ

بل هي رجع صدى، أو وسواس الشوق والنزوع، ومجرى الزفرات المرددة من وهج الضلوع، برهان ما أكنُّ الداء الدفين، وعنوان ما أجنُّ من كلف الفؤاد الحزين، شعر:

وهـي مـرآةُ صـفاتي إنمـا ... أتـراءى لـك فـي مرآتهـا
وإذا مـا شـاهدتْها مقلـةٌ ... شـاهدَتْ نفـسي علـى عِلاَّتهـا

مرآة نفس رقت وجداً وكآبةً، ولم تدع منها صَبابةُ الفراق غير صُبابة، فلو أنها عرضٌ، لكان جوًى في فؤاد مهجور، أو لوعةٌ في جرم، لكان ياقوتة نزاح، أو جوهراً، لما كان إلا من جواهر الأرواح، شعر:

رق قلبــي ولفظــي مــن البــين والنــوى

واستوى قلبي المشوقُ وشكوى من الجوى

فهمــا مثــلُ أدمعــي حــين تجـري مـن الهــوى

أنــا صَــبٌّ علــى الــصبابة قلبــي قــد انطـوى

ســاهر العــين لــوعتي تــوهن الــصبرَ والقــوى

لــم يــسقني لِـوى العقيــق ولا جيـرة اللـوى

لا ولا غرّنــي الـصبا بالحـديث الـذي روى

ما شجاني هوى الغزال لا ولا البدر كي هوى

لـيس بـي ذائـلُ القَـوام إذا مـال واسـتوى

لستُ أنوي هـوى المِـلاح وللمـرء مـا نـوى

إنمــا دائــي الــذي قــد تمـادى فــلا دوا

وغليــــل الــــذي إذا بلَّـــه المـــاءُ وارتـــوى

من فراقـي لكعبـة العلـم والحلـم لا سـوى

أروعٌ يبهــر الــورى حَــسَنُ الــسمتِ والـرُّوا

ألمعــيٌّ بــه يقــومُ مــن الأمــر مــا التــوى

ســـيدٌ راح والفخـــارُ علـــى رأســـه لـــوى

بــدرُ علــم يلــوح فــي أُفْــقِ حلــمٍ فــلا

هــوى قلبُـه طـودُ حكمــةٍ لا مَـنْ قلبُـه هـوى

ذلك شمسُ الفضل المستوي على عرش الكمال، وقمر الفخر السابح

في فلك السؤدد والفعال، مركز السماحة والحماسة، وقدوة الملوك الساسة، شعر:

فتـــى مـــن طيبـــةِ المجـــدِ ومـــاءِ الـــسؤددِ العـــدِّ
جـــواهرُ مجـــده انتظمـــتْ نظـــامَ جـــواهرِ العقـــدِ
كـــريمٌ عَـــرْفُ ريَّـــاه يفـــوح بنفحـــةِ النَّـــدِّ
مـــساعيه مـــشنفةٌ يواقيـــتٌ مـــن المجـــدِ
فمـــن حَيَّـــا بغُرَّتِـــهِ غـــدا بالكوكـــب الـــسعدِ

شمائله مفترةٌ من برد النسيم، وأخلاقه منسجمةٌ من الروض الوسيم، ومحاورته محتسبةٌ من الدر النظيم، وأنواره تقتبس منها محيا المجد في الليل البهيم، ذكره أطيب من نفس الحبيب، وروحه أخف من مغيب الرقيب، ومفاكهته أشفى من رشف الثغر الشنيب، وأخلاقه أوسع من الأفق الرحيب، شعر:

رحيبُ فِناءِ الصدر ليس بضيقٍ ولا حرجٍ لكن يُعيد كما يُبدي
ففيه مجالٌ للتواضع والعلا وفيه نصيبٌ للفكاهة والجِدِّ

نور العترة وفخرها، وملاك الأمة وسرها، وسيد الأسرة بأسرها، ابن بجدتها، وأبو عذرتها، الطيبُ اللُّبّ، السريُّ النَّدْب، الواضع الهنا موضع النقب، الندسُ المهذب، الحُوَّلُ القُلَّب، عُذَيقها المُحَكك، وحجرها المونب، جُنَّة الدهر، ودُرَّة تقصاره الفخر، الرحلة، العلامة الشهير، مصباح زين النبوة، وسيد أرباب الفتوة، فحسبه صميم، ونسبه كريم، وآباؤه أهلَّة المحامد، وأقمار المشاهد، وشجى فؤاد الحاسد، فهم المجلُّون في جلبات

العليا، والفائزون بالفذِّ والتوام من أزلام الدين والدنيا، والمحلِّقون في فضاء العز غايته القصوى، شعر:

قوم غذتهم لبانُ العزِّ والكرمِ ... مشوبة بسهاد الحلم والحكم
بيضٌ بَهاليلُ يستقى الغمامُ بهم ... في المحل إن ضنَّ يوماً هاطلُ الدِّيَمِ
تبوؤوا بيتَ مجد من يلوذ به ... كأنه من صروف الدهر في حَرَمِ
لا يدفع الخطبُ يوماً بحرَ ساحتِه ... ولا يمر لديه غيرَ مبتسمِ
ولا يدير إليه عينَ حادثةٍ ... ولا يمد عليه كهفَ مهتطمِ
أُسْدٌ إذا لمعت في جُنْح معترَكٍ ... سيوفُها أمطرتها من عَبيطِ دمِ
مُدَّرعون دِلاصاً من شجاعتهم ... مقلَّدون بأسيافٍ من الهِمَمِ
قد أُلبسوا من بُرودِ الفخر أرديةً ... بجيدها كرُم الأخلاق والشيمِ
كادت تخرُّ نجومُ الأرضِ ساجدةً ... لهم وقد طلعوا من مشرق الكرمِ
يفوح عَرْفُ المعالي إن ذكرتَهُمُ ... ويعبق الأفقُ مسكاً من حديث فَمِ

أولئك القومُ الصابة، والمعشر الذي تأسى به همم أرومة، سيد الأسرة، وجرثومة سرة البسرة، من علماء العترة، غرة أبناء البطين، وناظورة أهل البيت الأمين، محيي الدين المفضل عبدالله أمير المؤمنين، المهدي لدين الله، رضوان الله عليهم أجمعين، شعر:

سلسلةٌ من ذهبِ ... منوطةٌ بالشهبِ
ونسبةٌ ترددتْ ... بين وَصِيٍّ ونبي
سبحانَ من قدَّسها ... عن سيئات النسب

لا برح نسبه تميمةً في أجياد الحسب، ولا انفك حسبه رقيةً في لبات المكارم والأرب، وأدبه حليةً لعاطل الأدب، وجمالاً لشرف الأسماء والنسب، ولا برحت أردية العليا محبرة بمساعيه، وريطة الفضل معلمةً بأياديه، وركاب الفواضل والفضائل معكوفةً بناديه، ولا فتئ عاكفاً تحت سرادق الكرم، واقفاً في رواق من حسن الشمائل والشيم، تخفق عليه أعلام العلم، وتنشر أمامه ألوية الحلم، ما طلع نجم في برجه، ونجم طالع في مرجه، شعر:

دامــت فــي روضــة النعيــ ـم تغنيه على أيكة الهنـا أفـراح
لا خـلا مـن هلالـه فلـك المجـ ـد ولا غـاب نجمُـه الوضَّـاحُ
فلجيــد العليــاء منــه عقــودٌ ولِعطْـفِ الفَخـار منـه وشـاحُ

فلا أصابته عين الكمال، ولا سلب الدهر بفقده ثوب الجمال، ولا برح كعبةً للجود، ونصـرةً للمنجود، ونـوراً يلوح في أبناء الوجـود، آمين اللهم آمين.

أما بعد: فإنها لما فاحت نسمات الأشواق، ودارت على كؤوسها دور الرفاق، قدمت كتابي إلى الحضرة، ينهي إلى مولاي أن شوقي إلى مرآه البهي، ومحيَّاه السني، شوقَ الغريب إلى الوطن، والنازح إلى السكن، والمهجور إلى العناق، والممنوع إلى الكأس الدِّهاق، والصَّديان إلى الماء القراح، والحيران إلى تبلج الصباح.

ويحدثه أني من بينه فقيد الجَلَد، عميد الخلَد، جديد الكمَد، بالي الصبر والجسَد، يهزني إليه الأصيل، وينكيني مباسُم البرق الكليل، ويشجوني نوحُ الحمام على الهديل، وأني لا أزال من فراقه متلفعاً بأبراد الضنى، متعلقاً

بأذيال المنى، لا يجمعني والسلوانَ فِناء، ولا يفرق بيني وبين الأسف إلا القرب والغناء، شعر:

مــا بدعــة إن جــرّ حَيْنــي	جزعــي وأجــرى المقلتــينِ
طــال الثــوى والليــل طــال	وبــت أرعــى الفَرقَــدَينِ
ولقــد شــجاني مــا شــجا	قلبــي هــديلُ حمــامتينِ
يتناوحـــان فيفرحـــا	نِ جـــوانحي بـــالنغمتينِ
مـــا ناحتـــا إلا وملـــ	ـــت تمايُــلَ الــرمحِ الرُّدَينــي
أبكـــي بكاؤهمـــا العيـــو	نَ ومـــا أســـالا عـــينَ بينـــي
جمـــدتْ عيونُهمـــا فقلـــ	ـــتُ إليكمـــا عبـــرات عينـــي
وســـمحت بالـــدمع الغزيـــ	ـــر وبحـــتُ بالـــسر المـــصون
لفـــراق منقطـــع القريـــ	ـــن بكيـــت وانقطعـــت قرونـــي
لـــم يبكنـــي ســـفحُ العذيـــ	ـــبِ ولا رســـومُ الـــرَّقْمتينِ
لكـــنْ فـــراقُ مهـــذَّب الـــ	أخـــلاق هَـــيْنِ الطبـــع لَـــيْنِ
لفـــراقِ عبـــدِالله همـــ	ـــتٌ شـــوقاً وهمَـــتْ شـــؤوني

ولعمري! لولا علمي أن رأفة سيدي بولده، وعطفه على بضعة جسده، وفلذة كبده، قد فضل كل بر مألـوف، وأربى على عطف كل أب عطـوف، لأرخيت عنـان العلم[1] في ميادين الشكوى، ونشرت دفين الألم الذي عليه قد انطوى.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: القلم.

لكنني ذممت جناحه، وكسرت جناحه، وحظرت عليه مسرحه ومراحه، فرقاً أن تألم نفسُ سيدي مولاي، وإشفاقاً أن يلتاح قلبه من جرّاي، وأمرته أن يرد فناء سيدي مسروراً فرحاً، وأن يسحب ذيله في ساحته مرحاً، وينشر طلاقة وبشراً، ويفتر ثم بمبسم خريدة عَذْرا.

ملتثماً للأرض بين يديه، قاضياً بعض ما يجب من الثناء عليه، إذ ليس بممكن أداء الثناء بوجهه، ولا بلوغ غايته وكنهه، هيهات هيهات، ذاك أعز من بيض الأنوق، وأبعد من العيوق، والأبلق العقوق، غير أن الحياء مع عظمة تلك العقوة، والجلال لأبهة تلك الربوة، قد كسرت من نشاطه، لما ضربه بسياطه، فلم يقدم إلا مدهوشاً فشلا، مصوناً ناصيته خجلا، فها هو قد قد ذلك النديّ، وهو أحي[1] من هدي، شعر:

ها قد أتى يسحب أذيال الخجلِ   يبسط كفاً للرجاء والأملِ
يسأل خيرَ الناس طُراً عن كمل   أسبال أذيال التعاطي والكلل
عما حوتْ من خطأ ومن خطل

فليضْرب سيدي عن ذنبه صفحاً، ويصرف عن تبعاته عفواً وصفحاً، فقد جاء متلفعاً بالمعاذير، معترفاً بالقصور لا بالتقصير، وسيدي أكرم شنشنة، وأولى من ستر سيئة ونشر حسنه، فلعل سيدي أن تغمض عيناه على قذى القاضي، ويلاحظه بعين محب راضي؛ فإن الرضا عيونه عن العيوب حسيرة، كما أن عين السخط بالذنوب بصيرة، والكريم من أقال عثرات الكرام، واللئيم

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: أحيا.

على هفوات المقترفين نمَّام، والإنسان إلى شاكله يجمح، وكل إناء بالذي فيه ينضح، **شعر**:

مـــا كـــريمٌ مـــن لا يقبـــل عِثـارَ الكـريم ويـستر العَـوْراءَ
إنمـا الحـرُّ مـن يجـر علـى الزلـــ اتِ منـــه ذيـــلاً ويُغـــضي حَيـــاءَ

وأنا أسأل الله أن يجمع الشمل عن كثب، ويبلغنا أقصى الأمنية وقصارى الأرب، وأن يهدي إلى حضرة سيدي سلاماً لذيذ الورود، رقيق البرود، ألطف من ورد الخدود، وأحسن من تفاح النهود، وأعذب من ماء البارق، وأرق من فؤاد العاشق، وأوضأ من نَوْر غيضة، وأبهى من بَضَّة في روضة، وأبهج من خريدةٍ مشنفةٍ في حبراتٍ مفوفةٍ، وأنظر من الدهم المعزفة، والنمارق المزخرفة، وأحلى من رشف الثغور، وأسنى من الدر في بحور النحور.

سلام لو تصور، لكان مسلكاً نافحاً، ونوراً لائحاً، لو كان نوراً، لكان إيماناً في قلوب الصالحين، ويقيناً في سرائر القوم المفلحين، **شعر**:

ســـلام لـــه لـــذة الـــواردات يـــروق علـــى المـــؤمن المحـــسن
فلـــو لاح كـــان ســـنىً يـــستكن القلـــوبَ ويعلـــو علـــى الأعـــينِ
ولـــو كـــان نـــوراً لكـــان اليقـــين فـــي ســـر كـــل فتـــى مـــوقنِ

سلام يفوح من مقعد صدق قدسي، ويلوح من فوق عرش كرسي، تهبط به السكينة بأسراره المصونة، وتنزل به الملائكة والروح، إلى تلك الربوات والسوح، وتعينني تلك النفس التي ساورتها رجس النفوس، بتقدير من الملك القدوس، ويُحيًّا بها عن الحي القيـوم، بختام الرحيق المختوم،

ورحمةِ الله سبحانه ورَوْحِه وريحانه، آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّمَ تسليماً.

وليعلم سيدي أني أعفيت فواصلَها، وعريت فقرها عن تفصيلها بشعر ليس من قريحتي، وبنات فكرتي، وذلك أستر لشتامتها، وأخفى لدمامتها، فعساني لو أودعتها نتائج قرائح البلغاء، وأفكار الفصحاء، وسوانح روياتهم، وشوارد بدائههم، لأكون كمن نصب مناراً على غيبها، وأقام دليلاً على بهرجها وزينها، أو كمن قلد سوقها[1] بعقود الدر المصون، ووشحها بأوشحة الإبريز المفصل باللؤلؤ المكنون، وألبسـها أرجوانيات الإبريسم، وحبرات الوشي المعلم، وأكون كمن نظم حصاة إلى شذوره، وأضاف فحمة إلى دره.

ومن المعلوم أن الطبع للتطبع يقهر، وأن فضل الضد عند ضده يظهر، وخسر من بذل دينار غيره بفلسه، والإنسان بصير على نفسه، أوضحت ذلك لمولاي؛ كيلا ينسب عند انتقادها إلى سـواي بهرجها وزيفها، أو يعزو إلى غيري خطلها وحيفها، فالسـفيه جد السـفيه، من يرمى برياء يعيب هو فيه، والاعتراف كفارة في الاقتراف.

والأمل طامح أن يحملها سـيدي على كاهل التسـامح، ويقلها على صهوات القاضي، ويمشـي بها في جادة التجاوز، ويسلك بها سبيل الصفح عما تضمنته من العيوب، لسيدي قدوة أرباب العفو، وإمام أهل التجاوز، وقبلة ذوي السماح، ودليل أولي الفضل للفضل، بعد السلام، وهو في كنف رعاية الله وفناء حياطته، وظلال حفظه، آمين.

---

(١) في الأصل: سوها.

فأجابه والده عبدالله، بكتاب، وهو:

رجوعُ شبابٍ أو ورودُ كتابِ ... أزالا خُطوباً للنوى بخطابِ
وأبدل وهني قوةً وأعاد لي ... وقد كنت شيخاً عُنفوانَ شبابي
صدور بها شرح الصدور وجدتُها ... طلاسم قد جاءت بكلِّ عجائبِ
تعلقتها عند الكروب تميمةً ... لتفريج همٍّ أو لنيلِ طِلابِ
وما ذاكَ نفث السحرِ إذ هو باطلٌ ... وهذي أتت ملأى بكل جوانبِ

ومنها:

فلي ترى لي في الإجابة مسلكاً ... يناسبها إذ رمت ردَّ جوابِ
فبسطاً لعذري أيها الولدُ الذي ... بخفض جنابي عنه رفعٌ جنابي

روضة بلاغةٍ أنيقةٍ، وحديقة فصاحةٍ عذيقةٍ، رشفتْ سماءُ المعالي أرض ألفاظها، فزكا نباتها، وهبتها لواقح البيان، فنتجت في أحسن الصور أبناؤها وبناتها، وتبختر فيها بديع زخرف أنواره، فاهتزت وربت بزواهي زواهر مكنونات أسرارها، فأوراقها من أوراق الجنة، وأزهارها ضاحكة مفترةٌ مفتنةٌ، تفتر عن كل ثغر بديع.

وكل فصولها دائمة الفواكه، دانية القطوف، فكل فصل منها ربيع يتبارى فرسان نفائس المعالي على مضمرات مراكيبها من يكون المجلّي والسابق، ويتنافس منظومها والمنثور في السبق إلى ما بين العُذَيب وبارق، فكلها مُحَلٌّ هناك لا مُصَلٌّ ولا لاحِق، ، فقد تبالغت في البلاغة إلى أن غذت الفرائد سالمتها خوارق، موشحةً بسموط نظمٍ لها من نفسها معبد ومُخارِق.

خرائد لم ترض همةُ منشئها بين أبكارها لا ما هو مبتكرها، وأبت قريحة التزين بعواريّ العواري، فما حلا لذوقه مكَّرُرها، فبـرزت للجنان جنان، حورُها عِينٌ لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان، فلا ينفك المتنعم بها في كل آن هو في شـان، حتى ينتهي منهـا إلى ما لا عيـن رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على الأذهان.

ولم لا تكون كذلك، ومنشيها ذو اليد البيضاء في معجزات البلاغة، الذي آنس من جانب الطور ناراً، والضارب بقلمه نحرَها فانفلق، فلم يقبل الدر إلا كباراً، فلذلك رجع وهو من نفثة سحرها الكريم الكليم، فأصبح وعصيُّ حجته تلقف ما صنع كل سحّار عليم، حتى أُلقي سحرتُها سجّداً مؤمنين، برب حديثها القديم، قد رأوا من آياته عجباً من أسرار كهفه والرقيم.

لا، بل هو قاموس البلاغة خاتمهم الأحمـد المحمد، كيف لا يكون ذلك وهو من العترة الطاهرة المحمدية ابن عبدالله محمد، فعليه من السلام أسنى سلام، ومن الإكرام إكرام ذي الجلال والإكرام، ومن التحيات أحيا تحيات الحي القيوم، ومن الرحمة رحمة الرحمن الرحيم المدخرة لذلك اليوم المعلوم، ومن البركـات أنمى بركـات وأدومها وأزكاها، وأطيب الطيبات وأذكاها.

وبعد: فإن الولد الفذ البذ، المتخلق من أطيب الخلال، بما طاب وعذب ولذَّ، نوّر مصابيح زجاجات القلوب، وروّح الأرواح، وهز معاطف الأعطاف، ورنح أغصان الأشباح، وسر سرائر أسرار نفيس الأنفس، بروح ريحان الارتياح، وشرح صدور الصدور، بنفائس عرائس حور تلك المعاني المقصورات، من الإعجاز في القصور، التي اعتقدت مقاعد الصدق من سطور تلك الصدور،

التي كل مواضع مفرداتها ومركباتها، من المنظوم والمنثور، بملوك مغانيها العزيزة في مقاعد أعجاز الغريزة كلها صدور.

فهي سموات فضل دارت أفلاك فخرها بدراري أنوار فصل الخطاب، وأردان منبع رفيع رقيمها بمصابيح السليقة العربية، التي اختارها الله لأفضل شيء وأجلّ كتاب، فلا برحت قريحة لواحق آداب من تأدب، ذلك أنها أخذت بجميع مجامع أحاسن القول وفصوله، ولم تدع نوعاً من إحسان الإحسان، إلا وأحاطت بذاتيةٍ وعرضيةٍ، مقطوعةٍ وموصولةٍ، ولا غادرت تهيج زخرف بديع، إلا وسحبت فواصل حبر حسنه، في ميادين إعجاز الإعجاز وتطويله، محيطةٌ بفنون الافتنان.

فلذلك انتظمت في أساليب الحسن كل فن، مفعمةً بلطيف الإدماج المثير بلطيف طريفه إلى إستعياب كل معنىً حسن، لم تترك طريقاً من البلاغة إلا طرقته، ولا معنى ذا أسلوبٍ من البلاغة إلا خرقته، فلم تدع لمتكلمٍ في قوس المعاني منزعاً، ولا أبقت لِمنْطيقٍ من مواضع الإحسان موقعاً.

فبماذا يحيى من حاول الجواب لذلك القول الجامع، وقد أخذ من جميع طرق الإحسان بالمجامع، إلا عسى بالإعادة على ما حوته من اللفظ والمعنى، والقنوع بهنات السرقات، ومن ذا بالسرقات استغنى؟ ولو شاء موشيها لترك للإجابة طريقه، ووسع لمخاطبته في الإشفاء لمطارحته طريقه.

فكم أردت ذلك، فتبين بُعد المناسبة بين بناته وبناتي، وكنت كلما حاولت ذلك، يضيق صدري، ولا ينطلق لساني، فلم أر في شرع البلاغة محبراً لأن أقابل بحديد فكري من ذهن منشيها ذهبا إبريزاً.

لكن لزوم الإجابة، أوجبها مع الإصابة، وغير الإصابة، فلو استوى الابتداء والجواب في حسن المخاطبة، وأن لا يتفاوتان في كمال المناسبة، لما سمي رجع صدى جواباً، ولا عدت حركات الحواجب، وغمزات الجفون بين الأحباب خطاباً.

لكن ذلك عجزٌ ملأ حوض سري سردرايه، حتى قال: قطني، فلم أقرع على ما فاتني من الإحسان سني؛ إذ كان فخراً ممن يقول: أنا منك وأنت مني، وأقول: أنا أبوك وأنت ابني، وأنّى لي بالشكر، وهو ممن يقول: أنت شجري، وأقول له: أنت ثمري، فغير بديعٍ أن تفضل الثمرة الشجرة، فليجعل الولد أكثرَ من بره، إن تعذر في الإساءة إياه، فضلاً عن الإحسان فإنه أباه.

ولكنه أعاد الفرح به شباب السرور، وشب نار الحياة في القلب فشبت في سبح الروح والحبور، فلا برحت غريزتك في العلوم النون، ولسانك في البيان القلم، وصدرك اللوح وما يسطرون.

واللهَ سبحانه أسأل أن يجعلك ممن هو على خلق عظيم، وأجره غير ممنون، وأن لا يقطع عنا وعنك المرغبات بمعقبات رعايته، إنه حميد مجيد، وصلوات الله على جدنا محمد المختار، وعلى آبائنا الأبرار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد سر أباك ما حققت في كتابك الأخير، مما أنعم الله به عليك، وعلى الولد العلامة لقمان بن أحمد، من ختم الكتاب النبيل، الكاشف لخرائد نكت القرآن وبيان التنزيل، والتلذذ بعرائس بدائع دقيقه والجليل، على حضرة من هو في الدنيا وارث النبوة، أشباه الأنبياء كالخليل، بقية الصالحين من علماء الأمة المحمدية، ومن هو أمة وحده، ولانفراده عد فيه وحده إجماع الأمة

المصطفوية، فخر الملة والدين، عبدالله بن القاسم، أطال الله بقاءه في الخيرات، وعلى غرته أفضل التحيات والصلوات، فليهنكم تلك النعم الكاملة، ونسأله أن يديم لكم ما خولكم من تلك الفواضل الفاضلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. **تمت الرسالة**.

وذكره السيد محمد بن عبدالله ابن الإمام شرف الدين السيد الجليل عيسى ابن لطف الله بن المطهر ابن الإمام شرف الدين، في كتابه «روح الروح فيما حدث في المائة التاسعة من الفتن والفتوح»، فقال:

كان أوحد دهره في النظم والنثر، إن نظم، آمن به المتنبي، ودعا إليه، وإن نثر، أسلم الصابي بين يديه، احتفلت بجمع شعره المتفرق، وألفت شارده المتمزق، وتعبت في تحصيله من أيادي الناس، والتمسته من المنتدين غاية الالتماس، فلما بلغه ذلك، ونمى إليه ما هنالك، عمل إلي قصيدةً جملتُها قوله:

دمتَ تبني شرفَ الآ ... لِ فتسمو وتطولُ

أنت عيسى وهو روح ... لضنى الجسمُ يزيلُ

وكان نظمه يفوق الجواهر المنظومة، ويفعل في العقول ما تفعل الأسحار المرقومة.

فمن شعره وقد تزوج بامرأة من بنات الأروام، وكان أبوها من جند المطهر ابن الإمام، فقال:

غزالةٌ تبعث أنفاسَها ... كلٌّ قتيل لرُناها ذبيحُ

وكيف لا تبعث أنفاسُها ... قتلى هواها وأبوها المسيح

وله رحمه الله تعالى:

هـــم التـــرك حـــبُّهم يتلـــفُ ... أمـــا والـــذي باســـمه أحلـــفُ
جمـــالهم يـــسترقُّ النفـــو ... سَ وحـــبُّهم للنُّهـــى يـــشغفُ
فـــإن لبـــسوا الحـــسنَ مـــستظرفاً ... بـــديعاً كمـــا يلـــبس المُطـــرَفُ
فـــلا غـــروَ أُمُّهـــمُ ســـارةٌ ... ولا بِـــدْعَ عَمُّهُـــمُ يوســـفُ

وله أيضاً فيها، وهي تزيد على مائة بيت، منها:

علقتها من بني الأتـرك قبـل صـبا ... سنا ويقـصر عنهـا كـل مـن بلغـا
كأنهـا حاجـبٌ قـد لاح مـن قمـر ... يجلو الدجى أو كقرن الشمس إذ بزغا

ونظم «كفاية الطالـب في مناقـب علي بن أبي طالب» ـ كرم الله وجهه في الجنة ـ، ونظم المائة الكلمة التي لأمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ، وسماها: «سمط الحكمة»، و«نظم نظام الغريب في لغة الأعاريب».

ومن أحسن ما قال وأوعظه.

تمنيـتُ فـي عـصر الـشبيبة أننـي ... أعمَّـر والأعمـارُ لا شـكَّ أرزاق
فلمـا أتـاني مـا تمنيـتُ سـاءني ... وصولُ الذي قد كنت أهوى وأشتاقُ
يخيل لي فكري إذا كنـت جالـساً ... ركوبي على الأعناق والسيرُ إعناقُ

ومنها:

ويُـذْكِرني مـر النـسيم وروحـه ... حفائرَ تعلوها مـن التـرب أطبـاقُ
وها أنا في إحدى وتـسعين حجَّـةً ... لهـا فـيّ إرعـادٌ مهـولٌ وإبـراقُ

يقولـــون دريـــاقٌ لمثلـــك نـــافعٌ   ومـــا لـــي إلا رحمـــةُ الله دريـــاقُ

وكان سيداً جليلاً، فاضلاً نبيلاً، ورعاً تقياً، براً حفياً، توفي - روّح الله روحه - في جمادى الأولى، سنة ألف وعشر.

[٢٤٢] محمد بن عبد العليم بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن الشيخ علي الملقب بالأهدل - بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح المهملة آخره لام -؛ كما ضبط بعضَ ذلك الإمام اليافعي في «نشر المحاسن»، ويكنى بأبي الأشبال، وهو ابن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن حمحام بن عون بن الحسن بن الحسين - مصغراً - ابن زين العابدين، وفي موضع آخر، وهو الظاهر: عون ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -[1].

كذا ذكر نسبه الأهدل جماعةٌ، وجزموا به، منهم: السيد الحسين بن الصديق الأهدل، ومحمد بن الطاهر بن حسين الأهدل، في كتابه «بغية الطالب في ذكر أولاد علي بن أبي طالب»؛ حيث قال بعد ذكر موسى الكاظم، وكونه خلف من الولد نحو ثلاثين، ما بين ذكرٍ وأنثى.

ومن أولاده: عون، وإليه يرجع نسب سيدنا الشيخ الكبير، صاحب الكرامات الظاهرة، أبي الحسن علي الأهدل؛ لأنه علي بن عمر إلى آخره صاحب «المراوعة» - بفتح الميم، وكسر الواو - القرية المشهورة، على مرحلة قبلي بيت الفقيه ابن عجيل.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٨).

وأول من توطنها منهم: محمد بن سليمان؛ فإنه قدم من العراق، هو وجد السادات آل باعلوي أحمد بن عيسى، في حدود سنة أربعين وخمسمائة، فأقاما عند بني عمهما من النسب، أشراف «الحسنية» البلدة التي إلى اليمن، على قدم التصوف، بوادي سُرْدد ـ بضم السين المهملة، وسكون الراء، وبدالين معجمتين، الأولى منها تضم وتفتح ـ، وهو معروف باليمن.

ثم بعد ذلك، انتقل محمد بن سليمان المذكور إلى وادي سهام، وتوطن المراوعة، وذهب ابن عمه أحمد بن عيسى، إلى حضرموت، واستوطنها، وحصل لكل منهما شهرةٌ وذريةٌ طيبةٌ ـ رحمهم الله تعالى ـ.

كان المترجم سيداً جليلاً، له رياسة الحُدَيدة، الثغر المشهور باليمن، ذا جاهٍ ومكارم أخلاق رضيةٍ، ودنيا واسعة، صحب السيد الطاهر ابن بحر، وتوفي بالحديدة عام سبعة أو ثمانية وألف، وصلى عليه إماماً بالناس السيدُ الطاهر المذكور.

ومعنى الأهدل كما قال بعض العارفين: الأدنى الأقرب، يقال: هدل الغصن: إذا دنا وقرب، ولان بثمرته، وفيه إيماءٌ إلى ما كان عليه الشيخ ﷺ من كمال التواضع لله سبحانه، ولعباده، الناشئ عن كمال معرفته بالله تعالى، وقال بعضهم: لقب الأهدل؛ لأنه على الإله دل. انتهى.

وفي كتاب الطاهـر «عقد الجواهـر النقية في بيان العصابة الأهدلية»، حكايةً عن بعض أهل المعرفة، ما لفظه: أصل هذه الكلمة ـ أعني: الأهدل ـ: على الإله دل، كلمتان، فصارتا ـ لكثرة الاستعمال ـ كلمةً واحدةً؛ كأنه كان يقال: علي على الإله دل، فاستثقلت الكلمة، وأدرج بعضها في بعض؛ لخفة

النطق، فقيل: علي الأهدل؛ كما قيل في النسب إلى عبد شمس: عبشمي، وإلى عبد الدار: عبدري، والله أعلم. انتهى بحروفه.

وقال السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، في كتابه «نفحة المندل»: وسمعت من بعض فضلاء الأهل: أنه يقال في سبب تلقيب الشيخ بالأهدل: أنه في حال صغره، علقت أرجوحته بسدرة[1]، فهدلت؛ أي: تدلت عليه أغصانها؛ لتقيه من حر الشمس ونحوه. انتهى.

[٢٤٣] القاضي محمد بدر الدين بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس النابلسي الأصل، المصري، القرافي، الأنصاري، المالكي[2].

قاضي قضاة المسلمين، وأولى ولاة الموحدين، وينبوع العلم واليقين، وخاتمة العلماء الراسخين، ومدقق أئمة الدين، وبدر العلوم الشارق، وبحرها العذب الرائق، العادل الأعدل في أحكامه، المراقب لله[3] في فعله وكلامه، عين إنسان الزمان، وإنسان عين البيان، ورئيس السادة المالكية، وشيخ القاهرة المعزية، ومهذب مذهب إمام دار الهجرة الأصبح مالك، ومن أصبح لازمه الخلاف دون أصحابه مالك. شعر:

رأيت به بدراً أضاء بطلعةٍ لبهجتها كلُّ البدورِ استسرَّت

فيا له من فقيه مالكي المذهب جليله، لا يضاهيه من أصحاب مالك

---

(١) في الأصل: بدرة.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٨)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٤١).

(٣) في الأصل: المرقب الله.

إلا خليله، ما قُرن به فاضل بمصر إلا رجحه، ولا أُلقي إليه مهمٌّ في العلم إلا كشفه وأوضحه، له صادقاتُ عزائم، لا تأخذه في الله لومة لائم، إلى عفةٍ ونزاهةٍ وديانةٍ، وهمةٍ عليةٍ وصيانةٍ، وطلاقة وجه، وخلق وضيء وخُلقٌ رضيّ.

فهو الجواد الذي لو جاراه أشهب العلوم، لكبا عن مجاراته، أو باراه بهرام النجوم، نبا عن مباراته، هذا إلى عاطر سجايا كفاعمة الرياض النواضر، وباهر مزايا تحار فيها الأعين النواظر. شعر:

فكأنهـــا زهـــرُ الريـــاض	تنفـــست عنـــه الكِمـــام
أو ثغـــرُ باســـمة الأقـــاح	مـــن الحيـــا فيـــه ابتـــسام
أو شـــرخُ مقتبـــل الـــشباب	ســـقى معاهِـــدَه الغمـــام
وشـــدت بألحـــان الغريـــ	ـــض ومعبـــدٌ فيـــه الحمـــام

أقام سوق الأدب بشوارع مصره؛ بما أحيا من سنن شرائعه، وحط عن بنيه ما تحمل من أثقال إصره؛ بما أبداه من سنن بدائعه.

مولده بمصر في رمضان، عام تسعة وثلاثين وتسعمائة، وأخذ عن الأجهوري، والتاجوري، والزين الجيزي، وسمع الحديث على الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، والنجم الغيطي، والصالح بن عبدالله بن أبي الصفا البكري الحنفي.

وولي قضاء المالكية، وألف كتباً منها: «عطاء الله الجامع الجليل لما عليه شرح جميل على مختصر خليل»، و«القول المأنوس على القاموس»، و«تعليق على أوائل ابن الحاجب»، و«ذيل الديباج» لابن فرحون، فيه نيف وثلاث مائة شخص، في أربعة كراريس أو خمسة، و«شرح الموطأ»، و«شرح

التهذيب» بين فيه المشهور، خصوصاً ما في «التقييد» من الخلاف، هكذا ذكر هو في «فهرسته».

ولم يزل في القضاء على سنن السلف سائحاً، ولمحل رقها الموشى بالكتابة مالكاً، حتى توفي بمصر، يوم الخميس، ثاني عشري رمضان، سنة ثمان وألف، عن اثنتين وسبعين سنة ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره: ما كتبه إلى سري الدين بن الصائغ، رئيس الأطباء بمصر، وقد دفع عنه ديناراً في مصلحةٍ، فأرسله إليه؛ ظناً منه أنه يقبله بقوله:

ماذا جنيتُ لتلقاني بمنقَصَة ... مضمونُها الشيخُ في أخذي لديناري
إن كنتُ لم انتسب يوما لمكرمة ... فأين علمي وحفظي حرمة الجار

فأجابه السري بقوله:

يا بدرَ تَمٍّ بلا نقصٍ وإقتار ... وقاضياً في البرايا حكمُه ساري
لقد صرفت عن القاضي نقيصَتَه ... فكيف تبدل ديناراً بدينارِ
حاشاك تُنسب للوفا ولذا ... جرتْ بحارُك بالنعمى على الجارِ
منك البداءةُ بالإحسان حاصلةٌ ... ملكتني الرقَّ فضلاً منك لي ساري
ألهمتني بعده عتقا لتكرمتي ... فاختم بخير به عنقي من النار

وكتب إليه العلامة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن الدنوشري:

أتينا لكم قصداً لتقبيلِ أقدامِ ... يا من على خير له حسنُ إقدامِ
ويا من هو البدرُ المنير أبو الهدى ... غدا مشرقاً في أُفْق سعدٍ وإعظامِ
نظرتُم إلينا في الطريق وما لنا ... سواكم لنُجْح في الأمور وإعلامِ

قطفْنا زهوراً من رياضِ علومِكم وفاحَ شذاها مذْ قطفنا لأفهامِ[1]
فسحباً لذيلِ الصفحِ والعفوِ والرضا على عيبِ مثلي بل على نشر أوهامي
أيا عالمَ الإسلام يا عَلَمَ الهدى ويا قِبلةً للفضل زِينَ بإفهامِ
عليك سلامُ الله ما هَبَّتِ الصَّبا وما دبَّجَ الأوراقَ وشيٌ لأقلامِ
نشرْنا لواءَ المدح والحمدِ والدعا لكم لا برحتم منهمين لأعلام

فأجابه صاحب الترجمة:

زواهر بداها[2] لنا خير أعلام وأبدى مقالاً فيه أبلغُ إعلام
قريضٌ أتانا بارعاً بفصاحةٍ وأحكمِ إحكامٍ كدرٌ نظامِ
فيا أيها المفضالُ إني عالِمٌ بأنك في أوج المعالي بإقدامِ
وإني على دهري لأثني بهمة لفضلٍ به زانت مفاخر أقلامِ
وإنا أحطنا أن ما قد نظمتَه لموفٍ طريقاً فيه أحسنُ إعظامِ
محامدُ أبداها جليلُ مقالهِ عبيرٌ به قلبٌ يُسر بإنعامِ
وإني لما أبديته لمقصرٌ وخيرُ رداءٍ فيه ستر لآلامِ
بقيتَ لإبداء الفرائد دائماً ودمتَ لأهل الفضل دهراً بإكرامِ
بحرمة خيرِ الخلق أكملِ كاملٍ ورحمةِ ربِّ العالمين لأسقامِ

ولما قدم العلامة محمد درويش الطالوي دمشق، لازمه للأخذ عنه، وكتب إليه مستجيزاً منه بقوله:

---

(١) في الأصل: الأفهام.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: أبداها.

كيف أرضى لمهجتي بتلاف وهو لا يرضى لها بتلافي
شادنٌ من ظباء وَجْرَةَ ريمٌ ناعسُ الطرفِ ناعمُ الأطرافِ
كم لَوى باللِّوى عهودي لَمَّا راح عن وصلِ صَبِّه متجافي
ظبيُ إنس يرعى حشاشةَ نفس في هواه قد آذنت بتلافِ
بِتُّ منه مسهَّداً جنح ليلٍ ناشر طولُه جناحَ غُدافِ
خصَّ منه قوادم النسرِ لما مدَّ فيه غرابه بخوافي
وهو في الوكر واقع إن تراه قلتَ في مهمه ثلاثُ أثافي
فكأن الظلامَ لجةُ بحرٍ ما يرى المرج دائم الترجافِ
وكأن المجرَّ فيه خليجٌ والدراريَّ عليه دُرٌّ طافي
وكأن النجومَ عقدُ لآلٍ سرت في غدير ماءٍ صافي
وكأن الجوزاءَ فيه وشاحٌ والثريا عقدٌ بجيد صوافي

منها:

سأل النجمُ من دجاه عن البد ر يا ليلُ ما لبدرِكَ خافي
قال قد غاب خجلةً عندما لا ح محيّا بدر العلوم القرافي
الإمامُ الجليل مَنْ حقّ أن ينـ ـقل عنه الخليلُ علمَ الخلافِ
من به مصر أشرقت فاستنار الـ ـفسطاطُ منها وسائرُ الأكنافِ
مالكيٌّ لو أن أشهبَ جارا ه كبا دونه على الإيجافِ
عالمٌ زانه التقى وكساه الـ ـحلمُ ثوبَي صيانةٍ وعفافِ
ثاقبُ الفكر والروية والرأ يِ حليفُ الندى أليفُ القوافي

قلت لما أتيت مصر وجاءت		منه نحوي كرائمُ الألطافِ
دمتَ بدراً بمصر تنشر علماً		صيتَه عَمَّ سائرَ الأطرافِ

منها:

فلذا يممت حماكَ قوافٍ		عن سِنادٍ عرتْ وعن إصرافِ
طالما استوطنت دمشقَ محلاً		بين قصرٍ وروضةٍ مينافِ
حين تجلى عرائسُ الدوح في جنـ		ـب نِميرٍ عليه ظلٌّ صافي

منها:

يا سقاها دنو عهديَ فيها		ورعى من بها لعهدي وافي
من أناس حَلُّوا بقلبي محلاً		بين سودائهِ وبين الشغافِ
قصدت تمسك الفرات فقلد		جيدها من لآلىءِ الأصدافِ
وأجزها روايةً من علومٍ		حزتَها من مشايخٍ أسلافِ
لا أغبَّ رباك سحبُ الغوادي		وسقتها بوابلٍ وَكَّافِ
وكساها الربيعُ خلعةَ وشيٍ		سندسيٌّ من بردِهِ الأفوافِ

[٢٤٤] محمد بن يحيى، الترجمان عند قضاء العسكر بمصر، منهم: ابن الياس أفندي مملوك السلطان قايتباي المصري.

الورع الزاهد، الناسك العابد، أصله من الجراكسة، ونشأ على زيهم من المنافسة، ثم ترك ذلك الزي، وجلس بمكتبٍ يقرئ الأطفال، ثم حبب الله إليه سلوك سبيل الرجال، وطلب صحبة أرباب الأحوال.

فأخذ عن الشيخ يوسف الكردي طريقته السنية، وطريقتُهم تسمى: طريق الخواطرية؛ لكون أسلوبهم إذا أراد إنسان أن يسأل عن شيء، ابتدأ بقوله: يا سيدي خاطر! ثم يذكر ما خطر له من خير أو شر، فيتكلم عليه الشيخ، ويأمره وينهاه بما رأى فيه صلاحه، ويأتي له بآياتٍ قرآنيةٍ، وأحاديث نبويةٍ، فيها ترغيبٌ وترهيبٌ يناسب حاله.

ولما مات شيخه، تقرر في الإمامة بجامع إسكندر باشا، بباب الخرق[1]، وعمل فيه مجلساً عقب صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر، وحضره خلق كثير، انتهى أمره، وعلا ذكره، وقبلت شفاعته، واحتُرمت جماعته.

ولم يزل على هذه الحال العظيمة إلى أن دعاه الباشا إلى وليمةٍ عظيمةٍ، فحضرها بعد الغروب، ثم نزل من القلعة شاكياً وهو مكروب، فما مضى نصف الليل، إلا وقد قضى نحبه، سنة أربع بعد الألف، ودفن قبالة تربة قايتباي بالصحراء، وعمل عليه بعض أركان الدولة ضريحاً ظاهراً ـ رحمه الله ـ.

ومن ورعه: أنه لم يأكل من عسل القصب مدة حياته، وشفع لإنسان عند بعض الأمراء، فأهدى له ذلك الإنسان هديةً اشتراها بثمانين نصفاً، فأبى أن يقبلها، فألح عليه كثيراً، فقبلها منه جبراً لخاطره، ثم أعطاه مائة نصف.

وأعطى مرةً بعض تلامذته دانقاً يشتري به زيتاً، فلما حضر بالزيت ورآه،

---

(١) جاءت في الأصل: «باب الخرق»، ولعل صوابها: «باب الخلق» المعروف بالقاهرة.

قال: كم الذي زدته من عندك؟ فسكت، فكرر القول، فأخبره بالزيادة، فدفعها له، وكان ينهى إخوانه عن شراء الحوايا والرؤوس والكوارع والفريك والكشك وبيض القمار ـ رحمه الله، ونفع به ـ آمين.

ورأيت في «تاريخ الشيخ مدين»: أنه كان إماماً بمدرسة إسكندر باشا، بخط باب الخرق، وأنه كان خطيباً بمدرسة حاجي كتخدا، وكان على قدم عظيمةٍ من حفظ القرآن، والتعبد بالسنة الشريفة، قال: وكنا نحضر مجلسه بعد صلاة العصر بالمدرسة المذكورة، مع جملة من الناس، فيقول الإنسان: يا سيدي خاطر! فيقول له: قل، فيقول الإنسان ما خطر بباله، فيجيبه عنه بآياتٍ قرآنيةٍ، وأحاديث نبويةٍ، ويرشده إلى الصواب.

وكنا أيضاً نحضر نحن وإياه، وشيخنا أحمد المتبولي، شارح «الجامع الصغير»، عند الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، في المقعد الذي بجوار قبة والده؛ لأجل مقابلة الشيخ أحمد المذكور، شرحه على الكتاب المذكور، بحضور الشيخين المذكورين.

وكان لا يتردد على أحد من أرباب الدولة، وكان معتدل القامة، أبيض اللون، نير الوجه، حسن الثياب، حسن الصوت في المحراب، محباً للناس، وله من المؤلفات: «قطع العلائق عن الخلائق».

قال: وكانت **وفاته** في شهر رمضان، سنة ست وألف، عن خمس وستين سنة، ودفن تجاه تربة المرحوم السلطان قايتباي، قال: وأخذ عن الشيخ يوسف الكردي، وعن الشيخ عبد الوهاب الشعراني. انتهى.

قلت: وكان امتناعه عن عسل القصب؛ لأن الغالب عليه النجاسة.

[٢٤٥] محمد بن داود الأطرش[١].

أحد الموالي الرومية، قاضي دمشق، كانت له معرفةٌ بالفنون العقلية، واختصر «تاريخ ابن خلكان»، وكان لطيف الطباع، سليم الصدر، وله زوجةٌ مشغولةٌ باللهو واللعب، سمع ليلةً وجيب الآلات، واجتماع النسوة، فقال: ما هذا؟ فقالت: أذان المؤذنين يذكرون في المنارة، فصدق قولها، وما أحراه بقول القائل:

بُلينا بقاضٍ له زوجةٌ ... عليه أوامُرها قاضيهْ

فيا ليتَه لم يكن قاضياً ... ويا ليتها كانتِ القاضيهْ

مات في حدود سنة ثمان وعشرين وألف بالقسطنطينية، ذكره النجم الغزي في «الذيل».

[٢٤٦] محمد بن داود بن سليمان العناني الشافعي[٢].

نزيل الجنبلاطية خارج باب النصر بمصر، كان من أكابر العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، قطع شبيبته وشيخوخته في الاشتغال بالعلم ونشره، مع ملازمة الكتابة للكتب النافعة.

قرأ بالروايات على عبد الرحمن اليمني، وأخذ الحديث على إبراهيم اللقاني، وأحمد المقري، ولازم العلامة علياً الحلبي مدة، واختص به، وأخذ عن الشهاب أحمد الخفاجي، وأجازه بمروياته، وكان بينه وبينه مودةٌ أكيدةٌ،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٢٤) (٣٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٦٣).

(٢) «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٢٠).

وكان يبيض له مسودات مؤلفاته، ويعتمد عليه في ذلك؛ لكمال معرفته وإتقانه، وكنت أتردد عليه كثيراً ـ رحمه الله ـ في منزله، وكان يدعو لي كثيراً ـ نفع الله به ـ.

توفي سنة خمس أو ست وتسعين وألف بمصر، ودفن خارج باب النصر، والعِناني: نسبة إلى الشيخ العارف بالله محمد بن عنان، المترجم في «طبقات الشعراني»؛ لأنه من ذريته ـ رحمه الله تعالى ـ. آمين.

[٢٤٧] محمد بن دغفان الصنعاني(١).

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو من آل أبي عمرو، الذين كانوا أهل البلاغة والمكانة في الفضل بصنعاء، منهم: ابن فراس، ودعثم، وغيرهما، وكان شاعراً مجيداً، محمود المقاصد، وله في الإمام القاسم فرائد من الشعر، من ذلك قوله يوم فتح صنعاء:

هِمَمُ الخطير جليلةُ الأخطار ... محمودةُ الإيرادِ والإصدار
وتفاضُل العزماتِ في أربابها ... يجري بحسبِ تفاضُل الأقدارِ
والناسُ مشتبهو الذواتِ وإنما ... ليسَ المعادنُ كلُّها بنُضارِ
إنَّ اليواقيتَ الثمينةَ لم تكُنْ ... مما يُقاس بسائر الأحجارِ
جاء ابنُ حمزةَ في القياسِ بمعجزٍ ... من جنسٍ مفخرِ جدِّهِ المختارِ
وأتى ابنُ بنتِ محمدٍ كمحمدٍ ... ما أشبهَ الآثارَ بالآثارِ
كنا عن المنصور نرجو مخبراً ... حتى بدا يغني عن الأخبار

وهي طويلةٌ، وله قصائد منتخبات ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٨٤) (٢٤٣).

[٢٤٨] محمد، ويكنى بأبي الطيب، ويلقب نجم الدين بن رضي الدين ابن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد ابن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري الشافعي المكي.

ولد ليلة السبت تاسع عشري رمضان، سنة سبع وتسعين وتسعمائة، وحفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح بمقام إبراهيم، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، في سنة تسع بعد الألف، وصلى به أيضاً سنة ثلاث عشرة.

وحفظ «الأربعين النووية»، في الأحاديث النبوية، و«الإشارات النووية»، و«الأربعين السيوطية»، و«الآجرومية»(١)، و«الزبد»، و«منظومة شروط الاقتداء»، وكان له ذكاءٌ وفطنةٌ.

مات شاباً، في حدود سنة عشرين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بتربة جماعة الطبريين ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٢٤٩] محمد بن زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن محمد، وتقدم أول الكتاب رفعُ نسبه إلى الصديق ﷺ البكري، الأشعري، سبط آل الحسن.

شمس الملة والدين، شيخ الإسلام والمسلمين، الطاهر الأصل والأحساب، والظاهر الوصف والانتساب، السلالة الصديقية رداؤه، والأصالة القرشية ابتداؤه وانتهاؤه، جمع ـ قدس الله روحه ـ بين كمالي الشرف والنسب، وجمالي المجد والحسب، وتصاعد في درج الشرف والسيادة، ولم يبق لغيره محلاً للزيادة.

---

(١) كذا في الأصل.

ولد ﷺ بمدينة مصر المحروسة، سنة خمس بعد الألف، وكناه والده: أبا الأفراح، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وتأدب بوالده، ونشأ في حجر سعادته، واشتغل بطلب العلوم، وأتقن المعقول والمنقول، وبرع في كثير من الفنون، سيما علم التفسير، وحج.

وله في علوم القوم وأصول الطريق القدم الراسخ، وكانت الولاية لائحةً عليه ﷺ، وأنوار الهداية ظاهـرةً لديه، مع الدين المتين، والعقل الرصين، والتظاهر بالنعمة في ملبسه ومأكله.

وصحبه أكابر العلماء، وسراة الرؤساء، ولازمه خلق من اللطفاء، فكانت حضرته في جميع الليالي والأيام، معمورة بالعلماء الأعلام، والأدباء الفخام، وكان ﷺ من أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً.

رئيسَ السادة البكرية، مجللاً عند الوزراء والكبراء بالديار المصرية، ذا جاهٍ عريضٍ، معتقداً عند عامة الناس وخاصتهم، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة، إليه يرجع في مشكلات الأمور، رافلاً في حلل المسرة والسرور، قائلاً في ظل عيشٍ ظليلٍ، ومجدٍ أثيلٍ، كريم الأخلاق والشيم، رفيع المجد والهمم، قطف زهرة عمره، فكانت أوقاته كلها أصيلاً وسحراً، وأيامه ولياليه في وجه الدهر غُرراً.

وكان في ريعان شـبابه يقـرئ في الجامـع الأزهـر الأنـور في الليالي المشهورة؛ كليلة المولد، والمعراج، والنصف، على أسلوب سلفه الكرام، ويسحر الألباب ببديع تقريره، ولطيف تحريره، ثم ترك ذلك لكبر سنه، ومشقة المجيء عليه.

وقد اجتمعت به، وتشرفت بحضور مجلسه في بيته كثيراً، وقبلت يده

الشريفة، وحصلت لي بركة دعائه، وكان جماعتنا من المنسوبين في مصر إليهم، ومن الملازمين لهم في مجالسهم.

وله شعر أرق من السحر الحلال، وأعذب من الماء الزلال، وديوان جمع فيه ما نظمه، من قصائد وموشحاتٍ، ومقاطيع ومعمياتٍ.

فمن ذلك قوله ـ قدس الله روحه ـ يمدح شيخ الإسلام يحيى المنقاري، وأرسلها إليه من مصر، بعد عزله عنها، وتوليته منصب فتوى السلطنة الشريفة بالقسطنطينية، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف:

أمسكيةُ الأنفاس أم عبقةُ النـدِّ ... وناسمةُ الأزهار أم نفحةُ الوردِ
ونشوانةُ الألحاظ أم ريمُ حاجرٍ ... وثغرُ الغواني الزهرِ أم لؤلؤ العقدِ
ومياسةُ الأعطاف أم خوطُ بانةٍ ... ووجهُ الذي أهواهُ أم قمرُ السعدِ
أعزَّ بني الدنيا قدراً ورفعة ... ومن رفع السماء من رتبِ المجدِ
ومعتقدٌ من صهوة المجد سابقاً ... إذا ما ونى حَدُّ المُطَهَّمَةِ الجُرْدِ
ومعتقلٌ للعز صهوة عزمه ... أنابيبُها رعافةٌ يومَ الأسدِ[1]
ومرسلُ أرسالِ العطايا مبارياً ... بأيسرها وَطْفَ الغمائم بالرفدِ

ومنها:

أيا مفتيَ السلطانِ إنك واحدٌ ... كمالاً وهذا لستُ أشهدَه وحدي
وأنتَ ومن يهواك في ذروة العلا ... بفخرٍ ومن يشناك في وهدة الطردِ
وإنك والرحمن حلفةَ صادقٍ ... لأمثلُ من أهدي له دررَ الحمدِ

(١) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

فلا زالَ أصلُ العلم يحيا بفـرعِكم		بفـضلِ إلـهٍ فيـضُه زادَ عـن جـدٍّ
رعـى الله أيامـاً مـضينَ كأنمـا		أتتْ خلسةً للناس من جنة الخلـدِ
توليـتَ فيهـا مـصرَ توسِـعُ أهلَهـا		نوالاً يفوق النيلَ فـي واسـعِ المَـدِّ
وعـززت فيهـا الـشرع أيـةَ عـزةٍ		بحدِّ حسامٍ سُلَّ بـالعزم عـن جـدِّ

ومنها:

فيا من له ودِّي مـن النـاسِ كلِّهـم		ومن هو لي من بينهم غايةُ القصدِ
ومن صرتُ في مدحي علاهُ كأنني		حمامـةُ جَرْعـا فـوقَ ميالـة الملـدِ
على أنني مـا فُهـت يومـاً لماجـد		سـواه بـشعرٍ لا بقـربٍ ولا بعـدِ
ولكن دعاني الشوق لبيت مـسرعاً		وهذا وما أخفيه بعض الذي أُبدي
أَلِيَّةُ مَحْنِيِّ الـضلوع علـى الأسـى		يحار الأسى فيما يراه مـن الوجـدِ
لـه زفـراتٌ مـن فـؤاد تـصرَّمَتْ		به نارُ شوقٍ دونها النار فـي الوَقْـدِ
لأنتَ الذي ما حلَّ في القلب غيرُه		ولا حـال فيـه مـن ذلـك العهـدِ
ولـم تـرَ عينـي مثلَـه بعـدَه وهـلْ		يميل إلى غورٍ فتى عاش في نجـدِ
ولي بنجيب الـدهر نجلِـكَ عُلْقَـةٌ		إلهيـةٌ مـضمونةُ الـنجحِ والرشـدِ
هـل الـشبلُ عبـدُالله لا زال هاديـاً		أميناً ومأموناً رشـيداً بكـم مَهْـدي
أقـومُ إذا مـا الليـل مـدَّ رُواقـه		وأسأل ربَّ العرش في شأنه جَهْدي

ومنها:

وإنـي أرجـو الله أنـي أراكمـا		كما أبتغي واللهُ ينجـز لـي وعـدي

أنـا نجـلُ زيـنِ العابـدينَ محمـدٍ وصِدِّيقُ خيرِ المرسلين غدا جَدِّي
وسبطُ رسـولِ الله أشـرفِ مرسـلٍ لأبوابه تـسعى الكـرامُ مـن الوفـد
عليـــه صـــلاةُ الله ثـــم ســـلامه وآل وأصحاب ثنـائي لهـم أُهـدي
علـى مـدة الأيـام مـا قـال شـيقٌ أمـسكيةُ الأنفـاسِ أم عبقـةُ النَّـدِّ

وله غير ذلك من الرسـائل والمنظوم والمنثـور، ولـم يزل ـ قدس الله روحه ـ على أحسن حال، وأنعم بال، إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الجمعة، ثاني عشري شهر ربيع الأول، سنة سبع وثمانين وألف، وصلى عليه بالجامع الأزهر إماماً بالناس، شيخُنا العلامة الشيخ منصور الطوخي ـ رحمه الله ـ بين الظهر والعصر، في مشهدٍ عظيمٍ حافلٍ، لم تر العين مثله، وما منّ الله به عليّ حضور غسـله، والصـلاة عليه ـ حشرنا الله في زمرته ـ آمين، ودفن بالقرافة الكبرى، في قبة آبائه وأجداده المعروفة هناك.

ومما اتفق له ـ رحمـه الله تعالى ـ: أنه أرسـل لغازي محمد باشا بعد عزله من ولاية مصر، حين كان بالسجن في مصر، في شأن بعض مال أخذه منه تعدياً، في زمن دولته، رسالةً من جملتها:

إن كان الذي أخذ منا من المال، عاد عليكم، فأنتم في حل منه، وإن كان عاد إلى الغير، فلا بأس بالإعلام به؛ لنسترجعه، فكتب إليه الجواب بيتاً، ولم يزد عليه، وهو:

شربْنا وأهرقْنا على الأرض جرعةً وللأرض من كأس الكرام نـصيبُ

وهذا من أحسن الأجوبة اللطيفة المسكتة، فرحمه الله ما كان ألطفه! ثم ورد بعد أيام أمرٌ بقتله، وهو في السجن، فقتل ـ عفا الله عنه ـ.

[٢٥٠] محمد بن بيري.

أحد أكابر دمشق ورؤسائها، كان حسن الخط، وافر الفضيلة، له معرفةٌ تامةٌ بكتابة الديوان، ومعرفةِ أساليبه، وكان عند كاتب الولايات، أول ما دخل الشام، وكان عنده دفترٌ بأراضي الشام وضواحيها، وقراها ونواحيها، وأملاك الناس وأوقافهم؛ بحيث صار آخر أمره مرجعاً لأهلها.

وكان يتردد إليه العلماء، ويرونـه من أصحاب الرأي، ويشاورونه في المهمات، وربما أصلح بين من يقع بينهم، وكانت الحكام ترجع إلى رأيه، وكانت له شفقةٌ على الناس، وستر على عوراتهم، وأعتق عبيداً كثيرةً بعد أن يحسن إليهم، ويجعل لهم ما يكفيهم، وله معرفةٌ تامةٌ بفنون العربية، وكان يعتني بكتب التاريخ والأدب والتفاسير وغيرها، وملك كتباً كثيرةً.

وبالجملة: كان من محاسن دمشق، **توفي** بالعرار، راجعاً من البقاع، بين ربيع وجمادى، سنة خمس عشرة بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ. ذكره النجم الغزي في «الذيل».

[٢٥١] محمد بن سعيد باقشير المكي الشافعي(١).

أديبٌ بارعٌ، وشاعرٌ له من مناهل الأدب مشارع، علت رتبته في القريض، وسمت ثغور محاسنه وابتسمت، كل ذلك من غير تكلف نحو وعروض، بل قريحة تذلل له جواهر الكلم وتروض، فجاء نظمه السهل الممتنع، ونزهة الناظر والمستمع، **توفي** بمكة، سنة سبع وسبعين بعد الألف،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٦٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٤٨) (٢٩٠)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢١٨)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٣٩).

ومولده سنة ست يعد الألف ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره قوله:

بذي العَلَمينِ من شرقيِّ حاجرِ ... تَوَقَّ أخا الغرام ظُبا المحاجرْ
فكمْ برباه من صَبٍّ عميدٍ ... يُسائل دمعهُ الثجاج ناهِرْ
به السودُ التي في السودِ منها ... فِعالُ السُّمرِ والبِيضِ البواتِرْ
فأيُّ حَشًا تمرُّ به خلياً ... وقد رمقته هاتيك الجآذِرْ
به البيضُ العرابيبُ السوافرْ ... وآسادٌ بقسورةٍ مساوِرْ

ومنها:

لعمرُكَ ما سيوفُ الهند يوماً ... بأمضى من بواترها الفواتِرْ
عيونٌ ما مُنِحْنَ السُّقْمَ إلا ... لِقَدّ القلبِ أو شَقِّ المرائِرْ
مرضْنَ وما مرضن سدًى ولكن ... لسلبِ قلوبِ أربابِ البصائِرْ
بأمي ثم بي وأبي ربيبٌ ... غضيضُ الطرف مكحولُ النواظرْ
نحيلُ الخصر عبلُ الردفِ أحوى ... أَزَجُّ الحاجبينِ أغرُّ نافرْ

ومنها:

يميل بمثل غصن البان لَدْنٍ ... ترنّحه الصَّبا والغصنُ ثامرْ
ويسفر عن محيًّا لو رآه ... صباحاً والهداية ضل حائِرْ
ويبسم عن شهيِّ الظَّلْمِ عذبٍ ... ترقرقَ فيه سلسالُ الجواهِرْ
جفا جفني الكرى مذ بان عني ... فجفني مذ نأى ساهٍ وساهِرْ

وقوله:

الآلِ ما أرى أم حَبَبُ ... أم أقاحٍ لا ولكن شَنَبُ
حَرُمَتْ وهي حلالٌ قد جرى ... في خلالِ الطَّلع منها الضَّرَبُ
ما درى بارقُ ذياك اللَّمَى ... أن لي قلباً به يلتهبُ
دع لما نقل التراك لنا ... عن لماه ما روته الكتبُ

وقوله:

آهِ ما أعذَبه من مبسمٍ ... وهو لو أجاد به لي أعذبُ
ليت لو أنَّ منالاً منه لي ... غير أن البرق منه خُلَّبُ
جُؤْذَرٌ يرنو بعينَيْ أغيدٍ ... من مها الرمل أغنٌّ أغلبُ
ومحَيَّا كلفَ الحسنُ به ... فغدا ينشدُ أين المذهبُ
هزَّ عِطفيه فلم يدر النقا ... أَقَناً ما هزَّه أم قُضُبُ
رقَّ فاستعبد أربابَ الهوى ... فله في كل قلب ملعبُ
يا لها من نعمة في ضمنها ... مهلكٌ هان وَعزَّ المطلبُ

وقوله:

كيف التخلصُ من حبِّ المِلاح وقد ... تبادت لفنائي أعينٌ سَحَرَهْ
تغزو لواحظُها في العاشقين كما ... تغزو جيوشُ بني عثمان في الكَفَرَهْ

[٢٥٢] محمد بن سعد الكُلْشَني الصوفي الدمشقي(١).

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٦٨)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٨٨).

عارفٌ شاد ربوع المعارف، وسالكٌ نهج أوضح المسالك، صالحٌ فضلُ فضوفي حتى لقب الصوفي، وله شعرٌ وسطٌ.

منه قوله: مادحاً للشيخ أحمد المقري، حين قدم دمشق، بقصيدة أولها:

ظبيٌ بوسطِ الفؤاد قائِلْ   أعجزَ بالوصفِ كلَّ قائلْ
ظبي بأجفانه سباني   وسحرُها ينتمي لبابلْ
يرمى بسهم اللحاظ لما   يرمي فيصمي الفؤادَ عاجلْ
قد فتنَ العقلَ من تجنٍّ   عليَّ حتى غدوتُ ذاهِلْ
له قوامٌ كخوطِ بانٍ   أو كالقنا مائدٌ ومائلْ
بدرٌ بدا كاملَ المعاني   في القلب والطرف راحَ نازلْ
قد أسر القلبَ في هواهُ   ومطلقُ الدمع فيه سائِلْ
وما بقي لي منه خلاص   سوى مديحي مولى الأفاضلْ
أحمدَ المقري مَنْ قد   سما على البدر في المنازلْ
مولى جواد له أيادٍ   كالغيث تهمي لكل سائلْ
عَلاَّمةٌ حاز كلَّ فضلٍ   مديدُ جودٍ لكل آملْ

[٢٥٣] محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن أبي بكر الميرغني السوسي ثم المراكشي(١).

إمام مسجد المداسين بها، كان إماماً في فقه مالك، وفي العربية،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٧٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٦٠٨)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٣٩).

والتفسير، وإليه النهاية في فن الحديث وروايته، وغالب علماء العصر، من سمعنا به من أهل المغرب، يروي عنه الحديث، أو عن تلامذته، وأما علم الميقات، والحساب، والفرائض، والأوفاق، والرمل، والزايرجا، فلم يكن له فيها نظيرٌ في عصره بالمغرب، وله فيها منظوماتٌ شهيرةٌ.

قرأ ببلاده بالروايات، على عالم المغرب في عصره، السيد الشريف أبي محمد عبدالله بن علي بن طاهر بن الحسن الحسني السجلماسي، وسمع عليه ربع البخاري، بقراءة ابنه المحقق أبي محمد عبد الهادي، وسمع عليه كثيراً من سيرة رسول الله ﷺ، وكثيراً من التاريخ، والفقه، وعلوم الحديث، وعلوم القراءة، والرسم، وغير ذلك؛ من النحو، والبيان، واللغة، وتفسير القرآن، والناسخ والمنسوخ، والغريب، والتأويل، وسبب النزول، والإعراب والتصريف، والتصوف والإشارات، وغير ذلك مما يطول ذكره.

وحدثه بذلك كله، وأباح له روايته عنه، ورواية ما رواه عن شيوخه، وما وضعه من التآليف والفوائد، في كل علم، نثراً ونظماً، وكان ذلك عام سبعة وثلاثين وألف، بأغيا في جبال مدغرة، أيام محنة شُرفاء سجلماسة، وكتب له بخطه إجازةً حافلةً، وأخذ عنه أيضاً فهرس شيخ الجماعة ابن غازي، وفهرس العلامة أبي العباس المنجور الفاسي، مع العلوم الشرعية، التي قال فيها شيخه أبو بكر بن يوسف السكتاني:

تفقهْ بتفسير الحديث مؤرخاً ... بوقت بيان الإرث أصل المحجَّةِ
ولا تُغفلَنْ نحواً بضمنِ لغاته ... تصوَّفْ بسرٍّ في علوم الشريعةِ
تنل منه مرقًى من مراقي أفاضلٍ ... وتحظَ بنيل المجد أبلغَ منةِ

وقوله: «بسر» يشير به إلى أن علم التصوف، هو سرُّ هذه العلوم ولبابها، وعنوان السعادة المطلوبة به وبابُها.

وأجازه أيضاً بـ «فهرس الحافظ ابن حجر العسقلاني»، وابن مرزوق، والإمام المنتوري، والعلقمي، وأخذ عن العلامة أبي بكر بن يوسف السكتاني العلومَ الشرعية، التي أنشد فيه ما تقدم، وقرأ عليه جميع «صحيح البخاري»، و«مسلم»، و«الموطأ»، و«مختصر خليل»، و«مناسكه»، و«مناسك يحيى الحطاب»، و«الأنوار السنية في الألفاظ السنية» لابن جزي، وسمع عليه من لفظه جميع «الجامع الصغير»، و«ألفية الزين العراقي» في المصطلح، و«النخبة» لابن حجر، وحضر دروسه في كثير من العلوم، وسمع منه مسائل كثيرة، وفوائد جمة، وقيد عنه كثيراً من الفنون.

ومن شيوخه بفاس: الإمام العلامة اللغوي النحوي السيد عبد الواحد ابن عاشر، ومنهم: عاشر الزمان، ومصباح الأوان، القاضي الشهير، الجهبذ النحرير، أبي[1] سالم إبراهيم الكيلالي المزياتي، الفقيه ببلدة عمارة.

وله «فهرسٌ» في مجلدٍ حافلٍ بجميع مروياته وشيوخه، وله «منظومة بديعة في علم الفلك وشرحها»، و«منظومة في المخمس الخالي الوسط» و«منظومة في علم الحجر»، و«منظومة في التصوف»، و«منظومة في الفقه»، و«أخرى في النحو».

وكان ملازماً للتدريس والإقراء، وانتهت إليه بمراكش في عصره في العلوم الرياسةُ، وكان يكثر من إقراء الكتب الستة، و«الشفا»، وإسماعها لطلبة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أبو.

الحديث النبوي، وأخذ عنه خلقٌ لا يحصون، وتخرج به في طريق التصوف كثير.

ولازمه أفاضل عصره، من المغرب الأقصى والأدنى، وممن أخذ عنه، وتخرج به: الشيخ العلامة محمد بن سليمان الروداني، وشيخنا العلامة إبراهيم ابن محمد السوسي، ومحمد النوفراني، وكانا كثيراً ما يذكرانه، ويحاضران بأخباره الغريبة.

منها: أن رجلاً شكا إليه والي بلده، وذكر له مظلمته، فقال له: سر إليه وقل له يقول لك محمد بن سعيد: لا تجلس في البلد، فلم يلبث بها، وفارقها، ولم يرجع إليها، فبلغ السلطانَ خروجُه منها بغير إذن منه، فطلبه، وسأله عن السبب، فقال له: لما أرسل إلي، لم يستقر لي قرار بالجلوس، وخرجت بغير اختياري، فأرسل السلطان والياً للبلد غيره.

ومنها: أن رجلاً اجتمعت عليه ديونٌ كثيرةٌ، وعجز عن قضائها، فشكا إليه ذلك، فقال: اذهب إلى المكان الفلاني، واقرأ سورة الإخلاص، إلى أن يأتيك رجلٌ صفته كذا، فقل له: يقول لك محمد بن سعيد: أعطني، واطلب منه ما تريده، فذهب، فأتاه الرجل، وأعطاه ما طلبه.

توفي شهيداً بالطاعون، سنة تسعين وألف، بمراكش، وصلي عليه بجامع المداسين، ودفن بتربة باب غُماة، وعمره خمس وتسعون سنة، وله شعرٌ وإنشاءٌ كثيرٌ، عاقت عن تقييدهما المقادير.

[٢٥٤] محمد بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري الأشعري المالكي المصري.

كان من أعيان علماء عصره وأجلائهم، **توفي** يوم السبت ثالث عشري

صفر، سنة عشرين بعد الألف.

[٢٥٥] محمد أبو عبدالله، الملقب بعبد العظيم المكي، ابن منلا فروخ ابن عبد المحسن بن عبد الخالق المُوروي، نسبةً إلى «مورة» بلدةٌ بالروم، وهو من ناحيةٍ منها تسمى «فكوريّه».

كان عالماً عاقلاً، ولد بمكة سنة ست وتسعين وتسعمائة، وبها نشأ، وتربى في حجر والده، وحفظ القرآن وهو صغير، وقرأه وجوده على الشيخ علاء الدين المصري، تلميذ التعزي، تلميذ الشيخ زين بن نجيم.

وأخذ العلم عن جماعةٍ، منهم: الملا علي قاري، والشيخ أحمد بن علان، وأخذ «صحيح البخاري»، وبقية الكتب الستة، عن الشيخ خالد المالكي الجعفري، وكتب له إجازةً حافلةً، بطريقين: أحدهما[١]: عن الشمس محمد الرملي، والأخرى عن سالم السنهوري.

وكان فقيهاً، يحب الفخر، لقب نفسه بـ: فقيه النفس، وبإمام الهدى، وشمس الأئمة، وبعبد الرحيم، وبعبد العظيم؛ تبركاً بالحافظ عبد العظيم المنذري، وله في ذلك نظمٌ قرضه[٢] له علماء عصره، منهم: الشيخ عبد الرحمن المرشدي، والإمام عبد القادر الطبري، وابنه الزين الطبري، وكذا ابنه الإمام علي، وغيرهم.

وكتب على الفتوى، وهو ابن عشرين سنة، ويفتي حسبة، وتجمعت فيه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إحداهما.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قرظه.

جملة من المناصب السنية، بمكة البهية، منها: أنه كان مدرساً بمقام الحنفي، وظيفةً وظفها السلطان أحمد خان، ومدرساً بمدرسة محمد باشا، ثم بالمدرسة المرادية، وإماماً بمقام الحنفي، بالمسجد الحرام، وخطيباً به، وبمسجد نمرة، ومسجد المشعر الحرام.

ثم في آخر عمره ترك الفتوى، وكتب على بابه بالمنع؛ لما اعتراه من خلط السوداء، واعتراه شك زائدٌ في الطهارة، وقويت عليه السوداء؛ بحيث كانت تبدر منه بوادر غير لائقةٍ مع كل أحد.

وله عدة رسائل في مذهبه، منها: «القول السديد في مسائل الاجتهاد والتقليد»، و«إعلام القاصي والداني بمشروعية تقبيل الركن اليماني»، و«رسالة في حكم صوم الست من شوال»، و«رسالة في حكم الاقتداء من سطح خلاوي السلطان قايتباي»، واختصرها وسماها: «المقتدى في الاقتدا»، وله كتاب على «شرح النقاية» للبرجندي سماها: «إعلام الأعلام بما وقع للبرجندي من الأوهام» من أوله إلى باب الأذان، وكتابة سماها: «القول الجهر فيما يتعلق بالحب والضر»، توفي ليلة الأحد، ودفن صبيحتها في المعلاة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٥٦] محمد بن عبد القادر النحراوي الحنفي.

عالم الحنفية بالديار المصرية، قدم مكة سنة تسعين وتسعمائة ـ بتقديم التاء فيهما ـ، وجاور بها سنةً، وأخذ عن أكابر علمائها، منهم: الإمام عبد القادر الطبري، كتب له إجازةً حافلةً، ذكرها في كتابه «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، ورجع إلى مصر، وأقام بها، إلى أن توفي بعد الألف.

[٢٥٧] محمد بن عبد القادر المقاطعجي العدني[١].

أحد سَحَرة القريض، المقتطفي[٢] نور روضة[٣] الأريض، نطق عن لسان الإحسان، ونشر من البلاغة رفرفها الخضر، وعبقريها الحسان، إلى مجدٍ ونسب، ومنطقٍ يملك الأسماع إذا مدح أو نسب، وله ديوانٌ يشتمل على غرر وقلائد، وفرائد تحسدها عقود الولائد.

ومن شعره متغزلاً:

أحوى حوى البرق مني ثغره الشنب ... ومبسمٌ لاح في جرياله الحَبَبُ
حلوُ التثنّي إذا ريحُ الصَّبا عطفت ... معاطفَ القدِّ منه تخجلُ القضبُ
مهفهفُ القدِّ ميَّاسُ القوام إذا ... ما اهتزَّ كالغصن ليناً هزني الطربُ

ومنها:

دمي مباحٌ لسيفٍ من لواحظه ... إن كان غير هواه للحشا أربُ

ومنها:

لا تعذِلوني إذا ما همتُ من شغفٍ ... بمن سباني أيها العربُ
قد بان عذرُ غرامي في محبته ... عندَ العذول وشأني في الهوى عجبُ

[٢٥٨] محمد بن عبد القادر الجعد اليمني.

سلك عند أبيه مدةً، ثم رباه العارف بالله الشيخ محمد فُقَيّه، إلى أن

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٤٣) (٢٥٨).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: المقتطف.

(٣) كذا في الأصل، ولعلها: روضه.

أكمل الطريقة، وتزوج ابنته، ثم قام مقام أبيه بعده، وله تصرفاتٌ وأحوالٌ عجيبةٌ، توفي بعد الألف.

[٢٥٩] السيد محمد بن عقيل بن شيخ بن علي بن عبدالله وَطْب ـ بفتح الواو وسكون الطاء المهملة آخره موحدة ـ باعلوي الحسيني[١].

ذو الوصف الجميل، والفضل الجزيل، والسيد الذي لم يسمح الدهر له بمثيل، إمام الصوفية، وشيخ طائفة العصرية، المشهور بالديار الحضرمية، الحائز قصب السبق في العلوم الشرعية، القائم بوظائف السنن على طريقة الكمال، وبأنواع الطاعات في الغدو والآصال.

ولد بمدينة «تريم»، وحباه الله بفضله الجسيم، فحفظ القرآن العظيم، وتلاه على طريقة التجويد، واشتغل بعلم التوحيد، وقرأ العلوم الشرعية، وحقق طريقة الصوفية، فتفقه على القاضي محمد بن محمد ابن الشيخ علي، وأخذ عن السيد شهاب الدين بن عبد الرحمن، والشيخ حسين بن عبدالله بافضل عدةَ علوم.

ثم لازم إمام زمانه، وفارس ميدانه، أحمدَ بن علوي ملازمةً تامةً، واقتدى به في أحواله الخاصة والعامة، فكان يجتهد في جميع المقاصد، بالورع والزهد والعفاف، منهمكاً على التلاوة والاعتكاف، ملازماً للمسجد المشهور بمديحج ـ تصغير مدحج ـ، لا يخرج منه إلا لعذرٍ مانعٍ، أو لصلاة جمعةٍ في الجامع.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٥١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٧).

مواظباً على الجماعات، ويصلي في جميع الصلوات، في أول الأوقات، وكان يحضر الصلاة خلفه خلقٌ كثيرٌ، وجمعٌ غفيرٌ؛ بحيث إن المسجد يضيق بالمصلين، ويصلي كثيرون في شارع المسـلمين، ومن لم يكن متوضئاً قبل الوقت، لم يدرك معه الصلاة؛ لأنه يأمر بإقامتها بعد صـلاة الراتبة، عقب الأذان.

وتصدى لنفع العباد، وقُصد من أقاصي البلاد، وطاب للوارد من منهل علومه صفاء المشرب، وطاف حول كعبته من الوافدين من يريد وفاء المأرب، وتباهت به مدينة تريم، وانهلت بها سحائب النعيم.

وإذا تكلم في علم التصـوف في المجالـس، أتى من درر بحر صدره بالنفائس، وممن تخرج به: السيد أبو بكر بن علي معلم خرد، والسيد عبد الرحمن ابن عقيل، والسـيد عبد الرحمن بن عمر بارقبة، وبنو أخيه عبدالله: عقيل، وعلي، ومحمد، وأحمد.

وكان له اعتناءٌ تامٌ بكتاب «إحياء علوم الدين»، فكان يقرأ منه جزءاً كل يوم، سوى غيره من الكتب، وكان عارفاً بعدة فنون، ملازماً للتقوى في الحركة والسكون، وله اجتهاد في أنواع الطاعات، وكثرة رياضات في سائر القربات، وهو كشيخه حصور، تقديماً للأهم من الأمور.

وله كرامات، لكن عند الضـرورات، وكان قليل النوم والكلام، كثير الصوم والقيام، معرضاً عن العَرَض، مشغولاً بالمسنون والمفترَض، طاهر اللسان، وافر الإحسان، لطيف الذات، لا يعرف اللذات.

ولم يزل مقيماً على الإرشاد، وأمره دائماً في ازدياد، حتى وافاه الحمام،

وبكى عليه أهل الإسلام، فكانت وفاته سنة خمس بعد الألف، وحضر الناس تشييع جنازته من كل البلدان، حتى ضاق بهم المكان، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله، وأعاد علينا من بركاته، ونفحنا بنفحاته ـ.

[٢٦٠] السيد محمد بن عقيل باعلوي.

ترجمه تلميذه السيد شيخ بن عبدالله في «السلسلة»، فقال: كان عظيم الجاه، منقطع القرين، كثير المجاهدة، ملازماً للعبادة؛ بحيث ما كان له شغلٌ غيرها، منقطعاً إلى الله بقلبه وقالبه، متخلياً عن العلائق كلها.

لم يتزوج قط، ولا غرس نخلاً، ولا بنى بيتاً، ولا تعلق بشيءٍ من من أسباب الدنيا، فراراً من قوله ﷺ: «من غرس نخلاً، أو بنى بيتاً، فقد ركن إلى الدنيا»، وهكذا كان ﷺ، ومن تبعه من السلف الصالح، لم يضع لبنةً على لبنةٍ، ولا قصبةً على قصبةٍ، إلى أن فارقوا الدنيا، وسبب ذلك: أنهم رأوا الدنيا جسراً منصوباً على نهر عظيم، وهم عابرون عليه، راحلون عنه، ولا غرو أن من بنى على مثل ذلك، فقد تعرض للتلف.

ولقد سمعت عن الشيخ المجذوب صندل الحبشي، صاحب «المخا»، حكايةً تؤدي إلى ذلك، وذلك أن بعض ملوك الهند أرسل إلى فقراء الشيخ صندل بمالٍ، وأمرهم أن يبنوا له بيتاً يسكنه، ويكون بإشارةٍ منه، في أي موضعٍ يريد.

فلما أعلموه، والتمسوا منه الإشارة إلى أي موضعٍ يريد؛ ليقوموا في العمارة، فقام وخرج بهم إلى ساحل البحر، ثم أشار إلى الباحة في البحر، وقال: ابنوا هناك، فتحيروا في ذلك.

فسأل الفقيه علياً الجازاني، فتعجب من ذلك، وأشار عليهم بالذهاب إلى الفقير، وكنت إذ ذاك بالمخا، عند رجوعي من الحج، سنة سبع عشرة بعد الألف، فقلت لهم: الله أعلم أن مقصود الشيخ صندل، بالإشارة إلى البحر: الإشارةُ إلى فناء الدنيا وزوالها، وأن من بنى فيها، فكأنما بنى على أمواج البحر.

ولم يزل صاحب الترجمة على خيرٍ، حتى توفي سنة ست بعد الألف ـ نفع الله به ـ.

[٢٦١] محمد بن عقيل الضمدي[١].

القاضي الفاضل، العالم الكامل، من أجلّ قضاة اليمن الميمونة، ومن الذين يقضون بالحق، وبه يعدلون، مع الملازمة لكتاب الله العظيم، وقراءة القرآن، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والانهماك على طاعته تعالى آناء الليل، وأطراف النهار.

مولده ليلة الاثنين، ثاني عشر ربيع الأول، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وأربعين وألف، بوادي ضمد، من أعمال صبيا، وحفظ القرآن وجوده، وهو ابن ثمان سنين، وأخذ عن كثيرٍ، منهم: عمه عبدالله بن علي النعمان الضمدي، ولازم السيد يحيى بن أحمد الشرفي خمس سنين، وكان لا يفارقه حضراً أو سفراً، وقرأ عليه النحو، والأصلين، والبيان، وغيرها، وأجازه بمروياته، قال: ورباني بالحال أعظمَ مما رباني بالمقال.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٨) (٥١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣١).

ثم رجع إلى بلده، وعظم بها قدره، وتولى القضاء بالمخا، وكلما مر ببلدٍ، يكون هو القاضي فيه، ونفذت كلمته، وقويت شوكته، حتى كانت حكام الأقاليم، يخشون سطوته؛ لما هو عليه من سلوك طريق الحق والاستقامة.

اجتمعتُ به عام أربع وتسعين وألف بالمخا، وصحبته ولازمته، وصار لا يفارقني في غالب الأوقات.

ومما كتبه إلى شيخه السيد المذكور، في صدر كتابٍ متمثلاً بقول الصفي:

أَستطلعُ الأخبار من نحوكم وأسأل الأرواحَ ردَّ السلام
وكلما جاء غلامٌ لكم أقولُ: يا بشرى هذا غلام

[٢٦٢] محمد بن عبد الملك البغدادي[١].

أحد أعاظم المحققين، له «حاشيةٌ على البيضاوي» جعلها ذيلاً على «حاشية الملا خسرو»، إلى سورة البقرة، أرّخ تأليفها سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ذكره صاحب «كشف الظنون».

[٢٦٣] محمد بن منصور التايب البغدادي[٢].

كان فاضلاً ملازماً للشيخ أحمد العيثاوي، وفرغ له عن تولية مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر بالسفح القاسيوني، ثم ولي نيابة القضاء، ووقع بينه وبين النجم ما يقع بين المتعاصرين، فقال فيه النجم:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣١).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٧) (٥٠).

إن ابـنَ منـصورٍ علـى جهلـه قـاضٍ وهـذا الأمـر لا يُرتَـضَى
يحكـم فـي النـاس بآرائـه فليـت كـان المـوت قبل القـضا

توفي سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٦٤] محمد ابن الشيخ العلامة المحدث منصور بن محب الدين، الشيخ العلامة شمس الدين الحنفي الفقيه المقري(١).

مولده سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة؛ كما نقلته من خط المحيوي الشيخ عبد القادر النعيمي، وحفظ القرآن وجوده، وأخذ القراءات عن الشيخ الطيبي، وحسن الصلتي، وغيرهما، والفقه عن شمس الدين البهنسي، وغيره، وانتفع به في الفقه ولداه: إبراهيم، ويحيى، والشيخ عبد الرحمن العمادي.

وكان منقطعاً في بيته، يتلو كتاب الله تعالى، وكان يغلب عليه الصلاح، وتوفي سنة ثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٦٥] محمد بن عبد المنعم الطائفي المكي(٢).

الشيخ الإمام العلامة، الفقيه المتبحر، كان إماماً فاضلاً، مشهوراً بالخير والصلاح، والعلم والعمل، مواظباً على الطاعات، والاشتغال بما يعنيه من أمور الدارين.

مولده بمكة سنة أربع بعد الألف، وحفظ القرآن، ثم نسيه، فقيل له:

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٨) (٥١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣١).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٢).

لم لا تحفظه ثانياً؟ فقال: أخشى أن أنساه ثانياً، اشتغل بالعلم، فقرأ على السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري، وبه تخرج وانتفع وبرع.

وكان والده من تلامذة الشمس الرملي، فسأله أن يجيز ولده المترجم، فأجازه وهو في بطن أمه، وأخذ عن الشيخ أحمد بن إبراهيم بن علان، وعن أحمد الحكيمي، وعبد الملك العصامي، وأجازه غير واحد من شيوخه.

وأخذ عنه جماعةٌ، منهم: السيد محمد بن عمر البار، وعبد الجامع بن أبي بكر بارجا، وكان الشيخ أبو الحسن النبتيتي ـ مع جلالته ـ يحضر درسه، وكذلك الشيخ أبو الجود المزين كان يحضر درسه.

وكان حسن الأخلاق، الغالب عليه الوفاق، وكان براً بوالدته، لا يخالفها في كل ما أمرته به، وترك الزواج؛ خوفاً من أن يتكدر خاطرها، وكان كثير العبادة والتهجد، شديد الخوف من الله سبحانه، يحب الفقراء والمساكين، ويفر من الأمراء والسلاطين، قانعاً من الدنيا باليسير، متجنباً في أموره كل عسير.

وكان ملازماً للتدريس بالمسجد الحرام، وحصل به النفع للخاص والعام، وكتب على «التحفة» لابن حجر حواشٍ[1] لطيفةً مفيدةً، وهي غايةٌ في الحسن لو جردت، وله «شرح حسن على الآجرومية» أملاه على بعض طلبته، و«حاشية على شرح المنهج»، و«كتابات على النهاية» للشمس الرملي، وكان بينه وبين الشيخ غرس الدين الخليلي محبةٌ أكيدةٌ، وله فيه قصيدةٌ مطلعها:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: حواشيَ.

والله إنـــي مغـــرمٌ بالطـــائفِ　　　لـم لا وذاكـم كعبـةُ الطـائف[1]

أَصْلي خليلي القدسِ من شامٍ سَمَت　　　لا بدعَ أن أُشـربتُ حـبَّ الطـائف

توفي يوم الخميس حادي عشري رمضان، سنة اثنتين وخمسين وألف بمكة، ودفن بالمعلاة.

[٢٦٦] محمد بن عبد الواحد النزيلي.

كان من أكابر أهل العلم والفضل والنسك، لازم المسجد في «هجرة المحويت»، وأحياها بضروب العلوم، ووفدت إليه الطلبة، وولي بها القضاء إلى أن توفي.

[٢٦٧] محمد بن عباس المهذَّب ـ بفتح الذال المعجمة ـ الزبيدي الشافعي.

كان إماماً عالماً، فقيهاً محدثاً محققاً، حريصاً على تفهيم الطلبة، معتنياً بإقراء العلم وتدريسه، لا يضن على أحدٍ بكتبه للمطالعة والتحصيل؛ إقتداءً بقول شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ:

كتبـي لأهـل العلـم مبذولـةٌ　　　أيـديهم مثـلُ يـدي فيهـا

مهمـا أرادوهـا بـلا منـة　　　عاريـةً فليـستعيروها

أعارنـا أشـياخُنا كُتْـبَهم　　　وسـنةُ الأشـياخ نحييهـا

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: اللطائف.

وكان مجداً على اكتساب الفضـائل، في الضحى والأصائل، مشتغلاً بعبادة ربه، تاركاً الدنيا وأهلها، أخذ العلوم عن كثير، من أجلِّهم: السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، صاحب المحيط، وأخيه[1] سليمان، وكانت وفاته سنة إحدى وألف ـ بزبيد، ودفن بباب سهام ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٦٨] محمد بن عبد الهادي الهروي الطاطبي.

نزيل المدينة الشريفة، الشيخ الإمام العلامة الصوفي المحقق المسلِّك، كان أحد مشايخ الطريقة، الجامعين بين الشريعة والحقيقة، قرأ في بدايته العلوم على فنونها، وبرع فيها، ودرس بإذن من شيوخه ببلاده سنين، واشتهر ذكره، ثم طرقه طارق الخير، فاشتغل بالعبادة، وسلك طريق القوم، ومطالعة كتبهم، وصار من أكابر العارفين، ولم تطب له بعد الإقامة بالعجم؛ لكثرة البدع فيها، فتوجه إلى بلاد ما وراء النهر، وأقام مدة، ثم ذهب بأهله وأولاده إلى الحرمين الشريفين، وانقطع إلى الله، ولزم بيته، واشتغل بعبادة ربه، وكف عن الناس، وآثر الخمول على الظهور، فأقام بمكة نحو سنتين، ثم زار المدينة، وأقام بها إلى أن قضى نحبه، ولقي ربه، فتوفي بها سنة ألف ومائة واثنتي عشرة، ودفن بالبقيع.

ولما قدم مكة، لازمته، وأخذت عنه شيئاً من علوم الطريقة، وتلقيت منه الذكر، وأجازني، وألبسـني الخرقة ـ نفع الله به ـ، وكانت له في الطريق قدمٌ راسخةٌ؛ فإنه أخذ عن بعض تلامذة الأستاذ اليارساه. . .[2].

(١) كذا في الأصل، والصواب: أخوه.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران بياض بالأصل».

[٢٦٩] محمد بن عبد الهادي العُمَري الشافعي[1].

شيخ دمشق وواحدُها في عصره في طريق القوم، المربي العابد الزاهد، الصوام القوام، المتهجد بالليل والناس نيام، وأحاطت به المعارف والأسرار، وشهر شهرة تغني عن التعريف في سائر الأقطار.

كان ـ نفع الله به ـ إذا رُئي، يقضي مشاهِدُه بأنه من أهل الجنة؛ لما حواه من اتباعه للكتاب والسنة، وإذا قرر المسائل العلمية، رسخت في القلوب، وإذا لمح إنساناً بإكسير نظره، فتحت له أبواب الغيوب، وإذا صلى، صلى مخبتاً خاشعاً، كأنما يقطر دماً تضرعاً وخشوعاً، جمع الله له بين العلم والعبادة، وملئ قلبه علماً وحكمةً.

ومن أخلاقه: دوام الفكر، وطول الصمت، وقلة المحادثة، وهذا من أوضح العبارات على علم الباطن، وصدق المعرفة، ولقد أنصف من قال في حقه: إنه رجل وصل إلى مقصوده.

ولد سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، ونشأ على طاعة الله، لم يعهد له صبوةٌ قط، واشتغل بالفنون العلمية، حتى بلغ فيها النهاية، ثم طرقه طارق الخير، فساح سياحةً طويلةً، وأخذ الطريق عن شيوخ كبار، حتى صار من أهل الكمال، وبلغ مبلغ الرجال.

وزهده الله في الدنيا، وحقرها في عينه، فكان لا يلتفت إليها بطرفه، وجاءته صاغرةً راغمةً، وهكذا جرت عادة الله سبحانه في خلقه: أن من طلبها منهم، أبته، ومن تركها، أتته.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٣).

وبلغ من العز؛ بحيث إن جميع معاصريه من علماء وكبراء خضعوا له، وأذعنوا بعظيم فضله، واستمدوا من مدده، وهو ـ مع ذلك ـ من التواضع بمكان لا يشاركه فيه غيره، ومن اللين واللطف للكبير والصغير بما لا يمكن وصفه.

وكان بيننا وبينه محبة، وكان أهلنا من فقرائه، والملازمين له، والمختصين بصحبته، وكان يأخذنا معه إلى بلدته عقربا، من قرى الغوطة، ونجلس عنده أياماً للنزهة، وإذا خرج معنا، يخرج ماشياً مع كبر سنه، وما قطُّ ركب معنا دابة، مع عرض الدواب عليه، ويأبى ركوبها، وأعطاه الله من القوة على المشي شيئاً عجيباً، وكل ذلك من أثر التقوى، وقيام الليل؛ فإنهما مجربان لذلك.

وكنت ـ وأنا صغير ـ لا أفارق بيته في غالب الأوقات، وكان يدعو لي كثيراً، وأرجو قبول ذلك ـ إن شاء الله ـ، وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وألف.

[٢٧٠] محمد بن عبد الوهاب النبلاوي الدمياطي.

فاضلٌ أديبٌ، وعالمٌ أريبٌ، مؤثرٌ للخمول، مشتغل بنفسه، وما يعنيه من أمور دينه ودنياه، ملازمٌ للعبادة وطاعة الله، معتكفٌ في بيته لا يخرج إلا لحاجة.

اجتمعت به بمكة سنة اثنتين وتسعين وألف، ثم بجدة، وكان مقيماً بها، وأخبرني أن مولده سنة ثمان وثلاثين وألف بدمياط، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ فنون العلوم عن جماعةٍ، منهم: العلامة محمد البيروتي نزيل دمياط، وعبدالله الديري، ومحمد القياني، وغيرهم.

ثم قدم القاهرة، وأخذ عن جملةٍ من علمائها، منهم: الشهاب أحمد القليوبي، وسلطان المزاحي، وأجازوه، وحج سنة أربع وخمسين بعد الألف، وجاور بمكة، وأخذ بها عن محدث عصره محمد علي بن علان الصديقي، وأجازه بمروياته ومصنفاته، وعنه أرويهما إجازةً، وله شعرٌ كثيرٌ وسطٌ، وغالبه يلتزم فيه الجناس.

ولما حصل بمكة في ثاني وعشري ذي الحجة ختام سنة إحدى وتسعين وألف، يومٌ شديدٌ على الحاج المصري، السيلُ الذي لم يُعهد مثله في هذه الأعصار؛ بحيث إن الماء وصل في المسجد الحرام إلى قريب حزام البيت الشريف، وهدم نحو ثلاثمائة بيت، وغرق به خلقٌ كثيرٌ، وذهب من الحاج المصري خلقٌ كثيرٌ، وعظمت المصيبة بأم القرى، وذهبت أموال كثيرٍ من الناس ممن كان بيته في ممر السيل، وكانت مدته نحو ساعتين، ووقته ضحى.

قال فيه المترجم:

بحمدِ إلهٍ إليه الهربْ ... بدأتُ ليأمنني من رَهَبْ
له الأمرُ ما شاءه كائنٌ ... وما لم يشأ لم يكن يُرتقَبْ
ولا يُسأل الحقُّ عن فعلِه ... وهو يُسألون رضىً وغضبْ
وثَنَّيتُ صلَّى على المصطفى ... سلامٌ بأزكى السلامِ الأحَبْ
محمدِ الحاشرِ العاقبِ ... الرؤوفِ الرحيمِ الكريمِ النسبْ
ومن سادَ إنساً وجناً وزاد ... وجادَ على عجمِها والعربْ

ومنها:

به الغيثُ والغوثُ يومَ المعاد ... وعنهُ المعاش لأمرٍ حَزَبْ

وآلٍ وصــحبٍ نجــومِ الهــدى رُجـومِ العـدا يـومَ كـرّ الكـربْ

إذا لاح بــرقٌ لــدى الأبــرقينِ ونـاح ضُـحًى ورقُهـا بـالطربْ

وبعــدُ فــإنَّ الهــوى للهــوانِ يجـرُّ ويجـري ببحـر العطـبْ

ومـن يرتكِبْـهُ غـدا فـي ارتبـاكِ يغرِّقْـــهُ عـــرقُ اللبـــبْ[1]

ويقـضي بـإهلاكِ حـرثٍ ونـسلٍ ويقـضي بـسوءِ الأسـى والـسَّغَبْ

بــه عــمَّ كــلَّ الـبلادِ الـبَلا وأُمُّ القـرى أَمَّهـا مـا وَصَـبْ

وألقـــى بـــلالاً بمـــسجدها كـالقِلال بلاهـا تـلاه تعـبْ

ويـا ليـتَ حَـفَّ وخلـفَ المقـام عليـه عـلا فـارتقى وارتقـبْ

وطـافَ بـه نحـوَ طوفـان نـوح فكـم نـاح صَـبٌّ بـه وانتحـبْ

ومنها:

وكـم مـن رديـمٍ عـديمٍ وكـم بـه مـن غريـقٍ عريـقِ النـسبْ

وكـم مـن قـصور تخـرُّ وكـم تُجَـرُّ صـخور كجِـدرِ الخـشبْ

ولمـا طغـى المـاء فيهـا عـلا ثلاثـاً وعـشرين شـبراً نـصبْ

أعـلَّ القلـوبَ وكـرَّ الكـروبَ وأغلـى الحبـوبَ فقـلَّ الـذهبْ

ومـن فـوقِ منبـرِ قـد رقـى[2] بعيـرٌ لكـربٍ وخطـب خطـبْ

وعـمَّ الـسواري وعـمَّ الـذراري وما سر حتى سـرى فـي الـسربْ

وهـذا الجليـلُ قليـلٌ بجنـب العقـوقِ الكثيـرِ ومـا يجتنـبْ

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

(٢) كذا في الأصل، والشطر الأول غير موزون.

ومنها:

فإنـــا إلـــى رَبِّ الـــورى راجعـونَ فُـرادى ليـومِ النَّـصَبْ
وتـم لألـفٍ وعـامٍ وتـسعين يـوم بـدور الحجـيج انتـدبْ
بـالاثنين إذ ودعـوا أرخـوا (تـوالى بمكـةَ سـيلٌ سـكبْ)
والحمـدُ لله ختمـي وبـدئي بحمـد إلـه إليـه القـربْ

وقد أرخ هذا السيل ـ أيضاً ـ صاحبنا الشيخ حسين بن أحمد بن محمد شاجور اليمني، بقوله سبحانه: (فلا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمه) بزيادة فاء في أوله، وهاء في آخره[1].

وتوفي صاحب الترجمة يوم الثلاثاء، ثالث أو خامس رمضان، سنة ألف ومائة وتسع بجدة، وبها دفن ـ رحمه الله ـ.

[٢٧١] محمد بن عثمان بن محمد بن علي الهُوش، الصالحي مولداً، الدمشقي منشأ، الشافعي[2].

صاحبنا الفاضل الأريب، البارع الكامل الأديب، ذو العقل المتين، والعلم والتمكين، والمعارف والعوارف، والظرائف واللطائف، والهمة العلية، والشيم المرضية، مع خلقٍ حسنٍ، وصدرٍ سليمٍ، وتواضعٍ للعدو والحميم، والحفظ للسانه، والإقبال على شانه، والمحاضرة اللطيفة البديعة، والتمسك من المحامد بأقوى ذريعة.

---

(١) جاء في الحاشية: «لا معنى لزيادة الفاء في أوله، بل تم التاريخ بزيادة الهاء في آخره؛ كما هو ظاهر».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٧).

ولد سنة ثلاثين بعد الألف، وقرأ القرآن وجوده، وأخذ عن جماعةٍ من العلماء، منهم: عبد الباقي الحنبلي، ومحمد بن بلبان، ثم رحل إلى مصر، وأكثر تردده إليها، وكان من أخيار التجار الواردين، وأخذ عمن بها من فضلائها.

وحج مرات، وجاور بالحرمين كذلك، وقد كان صديقاً لي صادقَ الوداد، ورفيقاً لي من الرفقاء الأمجاد، وبيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ خالصةٌ شديدةٌ، وطلاقة الوجه، وفصاحة اللسان، ما يطول شرحه.

وله شعرٌ وشعورٌ، هما من خير الأمور، وتخميس لامية ابن الوردي، حفظت منه قوله بعد قوله:

والْـهُ عـن آلـةِ أطربـتْ وعـن الأمـردِ مـرتجِّ الكَفَـلْ
أعربـتْ عنـه لغـاتُ الفـصحا إنـه كالبـدر بـل شـمس الـضحى
قـل للعـاذل إذ فيـه لحـا إن تبدى تنكسفْ شمسُ الـضحى
وإذا قِـسناه بالبـدر أَفَـلْ
حـلَّ بالقلـب وعظمـي وَهَنـا ونفـى عـن نـاظريَّ الوَسَـنا
مـذْ تبـدَّى ولعِطفيـه ثنـى زادَ إن قِـسناه بالـشمس سَـنا
وعـدلناه ببـدر فاعتـدلْ

ولم يزل ممتعاً بدنياه، شاكراً الله على ما حباه، حتى ناداه داعي أجله فلباه، فرحل من مصر إلى دمشق، بعد أن فارقها سنين، فوافاه حمامه حين وصوله إليها، ولقي رب العالمين، وتوفي ليلة الخميس ثاني عشر رجب،

سنة إحدى وتسعين بعد الألف، وصلي عليه ظهر يومها بمسجد بني أمية، في مشهدٍ حافلٍ ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٧٢] محمد أمين الدين بن عثمان الصالحي(١).

أحد العدول بالمحكمة الكبرى بدمشق، كان لطيف الذات، حلو النادرة، ينظم الشعر والزجل.

ومن ألطف ما وقع له: ما كتبه على خاتمه:

يرجو ابنُ عثمانَ الأمينُ الصالحي ... من ربه حسنَ الختام الصالحِ

وكان يكثر من الهجاء، فقيل له: مالك لا يجود شعرك إلا في الهجاء؟ فقال: خاطري لا يغرف إلا من البحر المنتن.

وهجا يوماً أهل مجلسه، فقال:

قضاتُنا أربعة ... جميعُهم لا يفقهون

شهودُنا عِدَّتُهم ... تسعةُ رهطٌ يفسدون

والكنجيا والترجمان ... في جهنمَ خالدون

ودخل على أبي السعود الكاتب، فقال:

يا من به رقَّ شعري ... وجال بالفكر وصفه

قد مزق الدهرُ شاشي ... والقصدُ شاش ألفه

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣١) (٤٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٤).

فكساه شاشاً، توفي أوائل شعبان سنة أربع بعد الألف ـ رحمه الله ـ، ذكره النجم في «الذيل».

[٢٧٣] السيد محمد بن عز الدين المفتي بن محمد بن عز الدين بن صلاح الدين بن الحسن ابن أمير المؤمنين علي ابن الإمام المؤيد المؤيدي[1].

إمام العلوم المطلق، ومنتهى المحققين، وبقية المدققين، كان فارس العلوم في كل فن، مع حسن تأديته وتعليمه، ولطفه وترغيبه، وبذله لنفسه لكل طالب.

قرأ «الحاجبية» على أحمد الضمدي، المسمى بالخصيب، من آل النعمان، و«المطول» على عبدالله المهلا، وبعض «الرضي» على ابن بنت الناصر، وفي أصول الفقه، على السيد صلاح بن أحمد الوزير، وعنه أخذ طرق الحديث.

وقرأ في أصول الفقه على والده، وفي الفروع على أخيه المهدي، وعلى سيد العلماء عبدالله بن أحمد بن الحسين المؤيدي، وقرأ الحديث، على الشيخ الخاص الحنفي الزبيدي، وأجازه فيه وفي غيره، وعلى العلامة الصابوني، وعلى محمد شلبي الرومي، وقرأ «الشمسية» بمكة على أحمد ابن علان الصديقي.

وكان والده عز الدين أولَ من خرج من صعدة إلى صنعاء، أخرجه الأروام قسراً، وبقي في الحبس حتى أخرجه بعد أن أخرج الأمراء أولاد الأمير أحمد بن الحسين بن أحمد، وأحمد وعبدالله والحسين، وجده محمدُ بن عز

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٠٢١) (٦٤٣)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٠٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٦٧).

الدين هو جامع «الحاشية المفيدة على الحاجبية»، توفي بصنعاء يوم الاثنين، ثاني عشر شعبان، سنة خمسين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٧٤] الدرويش محمد بن علي بن علاء الدين المقدسي الحنفي، عرف بابن غزالة[1].

كانت له فضيلةٌ ظاهرةٌ، وحشمةٌ وافرةٌ، ومحاضرةٌ حسنةٌ، وسافر إلى الروم غير مرة، واشتهر بها، وحسن حاله فيها.

وكان يميل إلى مطالعة كتب ابن عربي، ويعرف علم الحرف، وحل الزايرجة، وأعطي تدريس بقعةٍ بالجامع الأموي، ورحل إلى مصر، واجتمع بالأستاذ الشيخ محمد البكري وغيره، ثم قطن دمشق، وسكن بحجرة بالبادرائية، وكان كثير التردد إلى الأمير محمد بن منجك.

قال النجم الغزي: وحدثني أن الأستاذ الشيخ محمد البكري حدثه قال: كنت مولعاً بمطالعة «الفتوحات»[2]، فدخل علي والدي الأستاذ الشيخ أبو الحسن، فقال لي: ما هذا الكتاب؟ فقلت: فتوحات الشيخ محيي الدين بن عربي، فقال: هذه فتوحاته، فأين فتوحاتك أنت؟ فأثر كلامهُ في قلبي، ثم تركت مطالعة الكتب، وأقبلت على ملازمة الوالد، وعلى الاجتهاد، حتى فتح الله لي.

ثم سافر هو والأمير محمد بن منجك من دمشق إلى القسطنطينية،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٩) (٤٥).

(٢) سبق الكلام حول هذا الكتاب، وتحذير العلماء من مطالعته، وما فيه من الزندقة والإلحاد، والله الهادي إلى سواء السبيل.

صحبةَ مصطفى أفندي بن بستان قاضي دمشق، فتوفي بآق شهر، من أعمال قزمان، ووصل خبر موته إلى دمشق سابعَ محرم، سنة خمس بعد الألف، عن خمسين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٧٥] محمد الباقر بن عمر بن عقيل بن محمد بن أحمد بن عبدالله ابن جمل الليل محمد بن حسين ـ رحمهم الله تعالى ـ، اشتهر كسلفه بـ: باحسن[١].

ذكره شيخنا السيد محمد الشلي في «مشرعه»، فقال: باقر العلم ومحرره، وناشر الفضل ومقرره، ذو الشرف الذي ينطح النجوم، والكرم الذي يفضح الغيث السجوم، والعزم الذي يروع الأشبال، والعز الذي يقلقل الجبال.

ولد سنة ست وعشرين وألف بـ «تريم» المحروسة، ونشأ في أرجائها المأنوسة، وحفظ القرآن، وفاق في حفظه ولدان الزمان، وسعى في نيل غايات الفضائل والآداب، وكرع من حياضها مما هو أشهى من رشف الرضاب.

وأخذ عن أخويه: عقيل، وعلوي، والشيخ زين العابدين، والشيخ عبد الرحمن العيدروسيين، والشيخ عبدالله بن زين بافقيه، وحضر درس الشيخ أحمد بن عمر عَيْديد، والشيخ أحمد بلفقيه.

ثم اشتاقت نفسه إلى السفر والارتحال؛ لبلوغ المقاصد والآمال، فارتحل إلى الحرمين الشريفين، وأدى النسكين، وزار جده سيد الكونين، وأخذ بهما عن جماعة من السادة، ورجا بصحبتهم نيل السعادة.

ودخل الهند، واتصل بولاتها، فوصلته بأسنى صلاتها، ثم رجع إلى

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٣)، «الفت النظر» للجيلاني (٥٧٧).

بلده بالسلامة، ولكن لم تطب له به الإقامة، فدخل الهند ثانياً، وأقام بها زمناً طويلاً، وشمر في نيل الفضائل ذيلاً، وأكثر في نواحيها الترداد، يرحل من بلاد إلى بلاد، والمعالي تناديه من كل ناد، إلى تقدس نفس وذات، ومداعبات مستلذات.

وحظي من العربية والأدب، وتميز بهما نظماً ونثراً بأعلى الرتب، ومنحه الله تعالى مكارم الأخلاق، الطيبة الأعراق، وإحساناً للخاص والعام، متصل الدوام، لا يعتريه ملال ولا سآم.

اجتمعتُ به في الديار الهندية، وقد اجتمعتْ فيه الصفات العلية، واشتملت على كرم الطباع شمائُله، ودلت على النجاح والفلاح مخائله، فتعاشرنا معاشرة صديق صدقٍ ووفاءٍ، وترادنا وداد محبةٍ وصفاءٍ، ثم عاد إلى وطنه، واستقر به النوى، وألقى من يده العصا.

ثم عكف على العلوم الصوفية، عكوفَ مَيّةَ على حبِّ الأخيلية، ولازم قراءة كتاب «الإحياء» ملازمة غيلانَ دار مَيّة، ولزم صحبة شيخ البلاد والعباد، صاحب الإرشاد والإمداد، السيد عبدالله بن علوي الحداد، فحصل له الإسعاد، وفتحُ الجواد، وتجرد عما كان عليه من تلك الأوصاف، ولم يتطلع إلى ما فوق الكفاف، ولبس ثوب القناعة والعفاف، فأسفرت له وجوه المحاسن سافرة النُقب، ظاهرة الجمال من وراء الحجُب، ولم يصادف إلا من قال: أهابك إجلالاً، وناداه كل محب: هكذا هكذا وإلا فلا لا، وكان صدر المحافل إذا عقدت، وصيرفيَّ الأمور إذا انتقدت.

ولم يزل في جميع أوقاته محفوظاً، وبعين عناية الله ملحوظاً، إلى أن دعاه داعي المنون فأجابه، وانتقل إلى رحمة الله، فوفاه حسابه، وكانت وفاته

سنة تسع وسبعين وألف بتريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[٢٧٦] محمد بن عيسى الميموني الشافعي[١].

الشيخ الإمام، عالم عصره، وواحد مصره، كان جليل المقدار، لا يُشق له غبار، مولده في نيف وثلاثين وتسعمائة، وقرأ على والده، وبه تخرج، وأخذ عن الشمس محمد الرملي، والشيخ شهاب الدين البلقيني، والشيخ أحمد قاسم العبادي، والشيخ محمد شمس الدين الصفوي الشافعي الواعظ، والشيخ عبد الحميد السمهودي.

وعنه: كثيرٌ، منهم: ولده محمد، وشيخنا سلطان، ومحمد البابلي، ومن في طبقتهم، وله من المؤلفات: «مختصر الآيات البينات» للفهامة ابن قاسم، و«رسائل تتعلق بآياتٍ شريفةٍ قرآنيةٍ».

توفي في شهر صفر سنة ثلاث وعشرين وألف، ودفن في تربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٧٧] محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن محمد بن إبراهيم الشامي العاملي[٢].

قال السيد في «سلافته»، كعادته في تعظيم شيعته: شيخنا العلامة، البحر الغطمطم الزخار، والدر المشرق في سماء المجد بسناء الفخار، الهمام البعيد الهمة، المجلوةُ بأنوار علومه ظُلَم الجهل المدلهمَّة، فضلٌ تغلغل في شعاب

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٥).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٦٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٢٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ٩٣) (١٥٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٣٤٦) (١٠٢).

العلم زلاله، وتسلسل حديث قديمه فطاب لراويه عذبُه وسَلسالهُ.

وأطنب في ترجمته إلى أن قال: وأما الأدب، فعليه مداره، وعليه إيراده وإصداره، فما الدر النظيم، إلا ما انتظم من جواهر كلامه، ولا السحر العظيم، إلا ما نفثت به سواحر أقلامه.

ولد بالشام، ونشأ بها، ثم توجه إلى الديار العجمية، فأقام بها برهة من الدهر، عاكفاً على بث العلم ونشره، ثم استدعاه بعض وزراء الهند إلى حضرته، وأحله من كنفه في بهجة العيش ونضرته.

ثم قصد الحج، وأقام بمكة سنين، ورجع إلى الهند، فأقام بها مدةً، ثم رجع إلى العجم، وتوفي في نيف وسبعين وألف.

وذكر نبذةً من شعره، فمنه قوله:

قفْ بالمنازل حيث أوقفَكَ الهوى   وكِلِ البكاءَ إلى الحمامِ الفيفِ
إني غسلتُ من العيون أناملي   ونفضتُ من ألم البكاءُ كفوفي

ومنها:

وقفت بيَ الوَجْناءُ بين طُلولهم   لولا مكانُ الذيبِ طالَ وقوفي
أرتادُ في عرصاتهنَّ كأنني   طيفٌ ألمَّ بناظرٍ مطروفِ
فصممْنَ حتى لا يجبنَ مُسائلي   وعَمِينَ حتى لا يرينَ عكوفي

وقوله:

إذا أبصرتُ شخصَك قلتُ بدرٌ   يلوح وأنتَ إنسانُ العيونْ
جرى ماءُ الحياة بفيك حتى   أمنتُ عليك من رَيْب المنَونْ

وقوله:

أجدك شايعتَ الحنينَ المرجعَّا ... وغازلتَ غزلاناً على الخيفِ رُتَّعا
وطالعتَ أقماراً على وَجْرَةِ النَّقا ... وقد كنتُ أنهى العينَ أن تتطلَّعا
ولم أرَ مثلَ الغيدِ أعصى على الهوى ... ولا مثلَ قلبي للصبابة أَطوَعا
ومن شِيَمي والصبرُ مني شيمةٌ ... متى أرَ أطلالاً بعينيَّ تدمَعا
وقورٌ على رأس الهوى ورجائه ... فما أتحسَّى الهمَّ إلا تَجَرُّعا

ومنها:

خليليَّ ما لي كلما هبَّ بارقٌ ... تكاد حصاةُ القلب أن تتصدَّعا
طوى الهجرُ أسبابَ المودةِ بيننا ... فلم يُبقِ من قوس التصبُّرِ منزعا
إلى الله كمْ أغضي الجفونَ على القذى ... وأطوي على القلب الضلوعَ توجُّعا
ألا حبذا الطيفُ الذي قَصَّر الدجى ... وإن كان لا يلقاك إلا مودِّعا
ألمّ كَحَسْوِ الطيرِ صادف منهلاً ... فأزعجه داعي الصباح فأسرعا

ومنها:

وناضلته باللحظ حتى إذا رمى ... بسطتُ له حبل الهوى فتورَّعا
قسمتُ صفاءَ الودِّ بيني وبينه ... سواءً ولكني حفظتُ وضَيَّعا
وحزّت نياطَ القلب أسبابُ نأيه ... فلله قلبي ما أرقَّ وأجزعا

وقوله:

هاتِها هاتِها سنيةَ حولِ ... قد توانَتْ ولاتَ حينَ تواني

كسقيطِ الندى على وجنات الـور ... د أو كالـــدموع فـــي الأجفـــانِ
من يَـديْ شـادن رقيـقِ الحواشي ... فـــوق خدَّيـــه وردةٌ كالـــدِّهانِ
هــي فــي خــده سـبيكُ نـضارٍ ... وبفيـــه عـــصارةُ العِقْيـــانِ
نـــسجتْ ســحرَ بابــل مقلتــاه ... فتنبّـــى فـــي فتـــرة الأجفـــانِ
فـــي ربـــوعٍ كـــأنهن جِنـــانٌ ... عطفــتْ حورُهــا علــى الوِلــدانِ

ومنها:

وريـــاض كـــأنهنَّ ســـماءٌ ... أطلعــت أنجمــاً مــن الأُقحــوانِ
بـــين وُرْقٍ كـــأنهنَّ قيـــانٌ ... رُكِّبـــت فـــي حلـــوقهنَّ مثـــاني
وغـــصونٍ كـــأنهنَّ نـــشاوى ... يترقَّــصن عــن قــدودِ الغــواني
وأقـــاح كـــأنهن ثغـــورٌ ... يتبــسمن فــي وجــوه الحِــسانِ
ونـــسيمُ الـــصَّبا يَـــصِحُّ ... ويعتــلُّ علــى بــرده حَــرُّ جَنــاني
كلَّمــا غنــت البلابــل فيهــا ... رَقَّــصَ الــدمعُ بالبكــا أجفــاني

ومنها:

عطفتنــي علــى الريــاض قــدودٌ ... خلعــتْ ليلَهــا علــى الأغــصانِ
يتلقـــاني الأقـــاح بنـــشرٍ ... وغـــصونُ النقــا علــيّ حــداني
قــل لعتــبٍ ومــا أظــن نــوالاً ... عنــد عتــب لواجــدٍ أسـيانِ
أيــن قلبــي لا أيــن إلا طلــولاً ... أذهبْتهـــا الريـــاح منـــذُ زمـــانِ
أذكرتنـــي معاهـــداً وربوعـــاً ... كـــاد يـــدمى لـــذكرهن بنـــاني

حيث غُصني من الشباب رطيبٌ وعيونُ المها إليَّ رواني

أطردَ النومَ عن جفونٍ نَشاوَى بحديثٍ أرقَّ من جُثماني

وقوافٍ لو ساعد الجدُّ نيطتْ موضعَ الدرِّ من رقابِ الغواني

سائراتٍ بيوتُهنَّ عن الألسن سيرَ الأمثالِ في البلدانِ

قصدٌ كالفِرنْد في صفحات الدهر أو كالشّنوف في الآذانِ

عاصياتٍ على الطباعِ ذلولٌ يُتغنى بهنَّ في الركبانِ

ساقطت والندى يُطلُّ علينا من عيونِ المها حصا المرجان

. . .[1].

[٢٧٨] محمد بن علي بن قيس الصنعاني[2].

كان هذا القاضي مشاركاً في الفنون، أخذ عن السيد محمد بن إبراهيم المفضل، ومن في طبقته.

[٢٧٩] محمد بن علي الشاه بندر الحلبي[3].

هذا الأديب من أبناء أكابر التجار، له طيب خيم، وشرف أصل ونجِار، ولد بحلب، وبها نشأ من صغره، في رياض النعم، مقتطفاً ثمرات المجد والحلم ببنان الجود، ولطف الطبع، وحسن الشيم.

صارفاً أكثرَ أوقاته في فنون الآداب، مغتنماً لذيذ العيش في غفلة الدهر

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا البيت الأخير سطران بياض في الأصل».

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٠٤١) (٦٥٦).

(٣) «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٨٦) (١٠١٠).

بمنادمة الأحباب، لم يزل يتقلب من حال إلى حال، حتى آذنت شمس فضله بالزوال، فتوفي سنة سبعين وألف.

ورأيت له نبذاً من أشعاره، تدل على علو مقامه في الآداب، ورفعة مقداره.

منها: قصيدةٌ أرسلها لبعض من تملَّك حبُّه سويداه، ولم يسمح به الدهر الخؤون بعد بعده بلقياه، وهي:

ذَرِ الصَّدَّ إني لستُ أقوى على الصدِّ ... وعُدْ للذي عَوَّدتني منك من ودِّي
فطامي عن ثدي الولا متمنّعٌ ... وطفلُ نزوعي لا يُعلَّل بالمهدِ
حَنانَيْك ما هذا التجنِّي فإنني ... لفي نُكُرٍ من مزجِ هزلِكَ بالجِدِّ
لئن بك شَطَّ الوهمُ عني لهفوةٍ ... فعدّ وعد وابشرْ فغفرانُها عندي
وحَقِّك لم أحسبك قطُّ مفارقي ... ولم يك ظني فيك خُلفكَ للوعدِ
فكيف ثنائي ويح غيرك هاشما ... حباك بمحض الودِّ في القرب والبعدِ
فوالهفي لو كان يغني تَلَهُّفي ... وواأسفي إذ صرتُ أبطأ من فندِ
فما هكذا عهدي بفقدك إلفتي ... أأحدثت أمراً لم يكن ذاك في عقدي
لقد كنتَ لي حسبَ اقتراحي ومُنيتي ... مفَدًّى إذا أشكو وأنت الذي أفدي
مجيباً بمطلوبٍ ملبٌّ بدعوةٍ ... مزاح بمرغوب سريعاً إلى رفْدي

ومنها:

فماذا عسى أنكرتَ مني وما الذي ... أباحكَ تعذيبي وقتلي عن عمدِ
أراك وقد خلَّفتني ذا لواعجٍ ... من البين ذا قلب أشدَّ من الصلدِ

لمن صرتَ لا زلَّتْ بك النعلُ غادياً حليفاً وذا أهل وقد كنتَ لي وحدي
فيـا ناسـياً للـوُدِّ إنِّـيَ ذاكـرٌ ويا ناقضَ الميثاق إني على العهـدِ
أبى الله أن أرعـى ذِمامـك جاهـداً وتبخَسَني حقِّي وتكثرَ في جهـدي

ومنها:

فلا كـان لـي قلـبٌ بغيـرك جـانحٌ ولا صحبتني مقلةٌ فيـك لا تنـدي
فقــدتُك إبــراهيمُ فقــدانَ آدمٍ على دَعَـةٍ مـن أمـره جنـةَ الخلـدِ
أُعَلِّــل قلبــاً لا تحيــل تعلــة به عنـك ذا تـوق جزيـل وذا وقـد
وأنشدُ بيتاً سـالفاً حـسبَ لـوعتي إذا هاج تَهْيامي وقد فاتني قصدي
لعـلَّ الـذي أبلـى بحبـك يـا فتـى يردُّكَ لي يوماً على أحسنِ العهـدِ
أقلِّــبُ طرفــي لا أراك فينثنــي بوابلِ دمعٍ كالجُمـانِ علـى خـدي

ومنها:

وددتك تدري ما الذي بي من الجوى عسى كنتَ ترثي لي من الهم والوجد
أما تذكرون مـا دارَ بالوصـل بيننـا أبـاريقَ لـذاتٍ ألـذَّ مـن الـشهدِ
لأيـةِ حـال قـد تناسـيتَ خُلَّتـي وكيف استجزتَ الهجرَ والنكثَ للعهد
سلامي على اللذاتِ بعدَك والهوى وحلوِ التـصابي والتـشوقِ للمُـرْد

ومنها:

فيا ليت شعري من تبدَّلْتَ بي ومن غدا يحاسدني في القرب بالبين والبعد
فما أُمُّ خِشْفٍ راعهـا حبـلُ صـائدٍ فأذهلَها عنه وغابـتْ عـن الرشـدِ

تحـنُّ فتـستهدي الأسـودُ لغابهـا — فـلا أثـراً تلقـى ولا هاديـاً يهـدي
بأفجعَ منـي حـين فارقتـه ضُـحًى — حليـفَ أوارٍ لا أعيـدُ ولا أبـدي
لئن كنتَ أخلفتَ العهودَ وخُنْت بالـ — ـمواثيقِ عن جهلٍ وملتَ عن الرشدِ
فحبُّك في قلبي وذكرُك فـي فمـي — وأنت لعيني ما حييتُ إلـى اللحـدِ

[٢٨٠] محمد بن فضل الله البرهانبوري الهندي الحنفي.

سلطانُ الصوفية الأبرار، وملاذ علماء تلك الديار، كان إماماً فاضلاً، زاهداً عابداً ورعاً، اشتهر بالصلاح والورع والزهادة، وبلغ في ذلك مبلغاً لم يبلغه أحد، وذلك أنه كان يحاسـب نفسـه كل يوم في آخر نهاره، وكان من طريقته: أن يكتب جميع ما يقع منه، وتصرف فيه، وكان عظيم الخوف من الله تعالى، يتوقع الموت كل وقت.

وبالجملة: فإنه كان سيد الصـوفية وحجتهم، وبطانة خالصة للعلماء بالقول والفعل سالكاً محجتهم، وإمام أهل الشريعة.

أخـذ عن كثير من العلماء بالهند، من أجلِّهم: الشيخ وجيه الدين ابن القاضـي نصـر الدين العلـوي الأحمـد آبادي، به تخرج، وكان رفيقاً للسيد صبغة الله البروجي الحسيني، في سلوك طريق المحققين.

ومن أكابر القائليـن بالوحـدة الوجوديـة، التي عليها إجمـاع محققي الصوفية(١)، وألف فيه رسالةً سماها: «التحفة المرسلة إلى النبي ﷺ»، وشرحه شرحاً لطيفاً، أتى فيه بالعجب العجاب، واعتذر فيه عما يقع من هؤلاء الطائفة

(١) سبق التنبيه على فساد هذه العقيدة، وتكفير العلماء لمنتحلها، وفيما سبق كفاية، والله الهادي إلى سواء السبيل.

من التشحطات الموهمة خلاف الصواب، اعتذاراً يقبله من أراد الله له الزلفى وحسن المآب، وقد قرأهما[1] تحملاً بالهندي، شيخنا محمد قاسم الكجراتي، نفع الله به.

وسمى الرسالة بـ: «التحفة المرسلة»؛ لكون عادة العلماء في بلاد العراق والهند ومصر والشام والحجاز، إذا ألف أحدهم كتاباً أجاد فيه وأتقنه، أتحف به ملك قطره، وجعله برسمه واسمه.

وهذا الإمام ـ أجزل الله ثوابه ـ لم ير في الوجود أعظمَ ولا أفخمَ قدراً من رسول الله ﷺ، فجعل رسالته هذه تحفةً مرسلةً إلى روحه ﷺ؛ لكونه أصلَ ومنبعَ فيضها ومددها، على اختلاف أجناسها وامتداد فروعها؛ لأن روحه المقدسة أول مخلوق على ما جاء في الأحاديث.

فكأن الرسالة موضوعة فيه ﷺ، فناسب إرسالها إليه، ولقد أصاب مرسلها، وأتى البيوت من أبوابها، ووفق لما ذهل عنه غيره، ممن همُّه الدنيا وزهرتها، ولذلك عَمَّته بركة هذه الرسالة.

ولقد أخبرني شيخنا خاتمة المحققين إبراهيم الكوراني: أن بعض أصحابنا الجاويين، وكان يقرؤها عليه إذ ذاك، ونحن عنده: أنه أخبره: أن هذه الرسالة ببلادهم قد طار صيتها، واشتهر أمرها، فصارت تقرأ في المكاتب، ويتعملها الأولاد كالرسائل الصغار التي في مبادئ العلوم.

ولقد علم كل منصفٍ: أن ذلك إنما حصل لها ببركة نسبتها إلى النبي ﷺ، وبركة نية مؤلفها، وإلا، فهذا العلم قد صار من الغرابة؛ بحيث أنكرته أذواق

---

(١) في الأصل: قرأتهما.

كثير من فحول العلماء المحققين، فضلاً عمن دونهم من المترسمين، فضلاً عن العوام، فضلاً عن صبيان المكاتب.

ولكن إذا أراد الله بعبدٍ خيراً، حبب إليه الإيمان، وزينه في قلبه، وزين إليه أسبابه، فكما يوفق العبد إلى أخذ العقائد الدينية الواجبة على عامة المؤمنين، فيتلقفها تقليداً، من غير أن يحصل له كبير فهمٍ لمعانيها، حتى إذا تكامل عقله، وبلغ مبلغ المدركين لحقائق العلوم، سهل عليه إدراك معانيها، وانشرح صدره لقبول أنوارها، لإلفها له قبلُ تقليداً.

فكذلك عقائد الأكابر، التي لا يدركها عوام الخلق، إذا وُفق العبد لأخذها في صغره تلقيناً، ثم خلق الله له في كبره استعداداً لفهمها، وجمعه معارف عدة بأنوارها وتحقيقها، انشرح صدره لقبول ذلك وفهمه، وإدراكه بسرعةٍ بلا كبير مؤنةٍ؛ لإلفه لسماعه، واعتقاده تقليداً.

لكن ظهر لي أنه الحق، وأولى بالصواب، وأظنه هو الواقع عندهم في بلادهم، أن يلقن الصبي أولاً العقائد المشهورة المألوفة، التي كلف بها سائر الخلق، الظاهرة من نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح، ويؤمر بقراءة صغير الرسائل المؤلفة في ذلك لأئمة أهل السنة.

ثم بعد ذلك، إن شاء وليه أن يقرئه أيضاً شيئاً مما هو خاص بعقائد الأكابر؛ تيمناً بهم، وتبركاً بكلامهم، ويعلمه أن هذا الذي لقنه الآن ليس هذا أوان فهمه، وأن له رجالاً مخصوصين، هم صفوة الحق من عباده، وخلفاء أنبياء، قلوبهم مملوءةٌ بمعرفته ومحبته، لم يبق فيها مساغ لغيره.

ويكون فائدة تلقين ذلك في الصغر: أن لا ينشأ على جمود القريحة،

على ما اعتادته أولاً وتلقفته من الصغر، فيعتقد أن ليس هناك أمرٌ وراء هذا، ولا فهمٌ أعلى منه، ولا ذوقٌ أحلى، يمنحه الله من شاء من خُلَّص أحبابه، زيادة على ما علمه غيرهم، من عوام الخلق، غير منـاف لما في الكتاب والسنة، ولا مباين لما أمر باعتقاده عوام البشر، ولا أنه أعلى منه وأدق وأرق، وأصفى وأحلى وأغلى؛ فإن اعتقاد العبد أن ليس وراء ما أدركه من العلوم والمعارف مَرْقًى ولا مطلب، أعظمُ حجاب، وأكبرُ مانع له من الوصول، إلى ما وصل إليه غيره، خصوصاً هذه العلوم التي هي أذواقٌ ومعارفُ، وكشوفاتٌ حقيقيةٌ، وإدراكاتٌ وهبيةٌ غير مكتسبة بتعمّل، ولا متسلق عليها بمجرد بضاعة العقل، فقلما تحصل لمن لم يتقدم له حسنُ ظن بأهلها، واعتقادُ وجودها، وتعظيمُ أربابها.

ولذلك ـ والله أعلم ـ زاد المتأخرون من العلمـاء في ذكر العقائد التي ينبغي اعتقادها، وإن لم تكن من الإلهيات، ولا من النبويات: اعتقادَ أن الأئمةَ أربابَ المذاهب على هدًى من ربهم؛ لئلا ينشأ المكلف على رديء التعصب، المؤدي إلى تضليل الباقين، فيُحرم بركة الانتفاع بأقاويلهم وأقاويل أصحابهم، فيفوته جانب عظيمٌ من علوم الديانة؛ إذ ما من فن من علوم الشريعة إلا وقد ألف فيه أرباب المذاهب كلهم، والمشتغل بذلك الفن لا يقتصر على كتب أهل مذهبه فيه، فكم من مالكي ـ مثلاً ـ انتفع بكتب الشافعية في التفسير والحديث والتصـوف، وبالعكس، فلو أن المشتغل بقراءة هذه الكتب لا يعتقد تعظيم صاحبها، ولا هدايتهم، لقلّ انتفاعه بها، أو عُدم رأساً.

ولأجل ذلك ـ أيضاً ـ ينبهون في العقائد على أن طريق الجنيد ﷺ وصحبه

طريقٌ مقوَّمٌ مقدَّمٌ، وكذلك الشاذلي، والجيلي، وأضرابهم من رؤساء أئمة الصوفية، الذين لهم مذاهب معروفة في طريق القوم، وآراء منتخبةٌ.

إذا اعتقد الإنسان ـ في حال صغره ـ عظمتهم ومحبتهم، وأنهم على هدى، ساقه ذلك في كبره إلى الاقتداء بهم، واتباع طريقتهم، واعتقاد ما يسمع من كلامهم، ولو لم يفهم معناه؛ لعلمه أن قائليه أهل حقٍّ وهدى، وبصائر نافذة، وقلوب مطهرة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

توفي المترجم ببلده، سنة تسع وعشرين وألف تقريباً، وخلف أولاداً أمجاداً، وهم إلى عصرنا موجودون ببرهانبور، سالكون لطريقة سلفهم، لهم شهرةٌ عظيمةٌ هناك ـ نفع الله بهم ـ آمين.

[٢٨١] محمد أبو الخير بن عموش الرشيدي الشافعي الفرضي الميقاتي.

الشيخ الإمام العلامة، مفتي المسلمين، ومعيد الطالبين، كانت له اليد الطولى في العلوم النقلية والعقلية، وإليه النهاية في الميقات والعلوم الرياضية، وله مؤلفات، منها: «نزهة الأفكار في عمل الليل والنهار».

وهو أحد المعمَّرين المسندِين، ولنا رواية عنه، وهي الحديث المسلسل بالأولية، فحدثنا شيخنا أحد البنا الدمياطي، وهو أول حديث سمعته منه: حدثنا محمد بن عبد العزيز المنوفي، وهو أول حديث سمعته منه: حدثنا محمد ابن عموش، وهو أول حديث سمعته منه، في ربيع الأول، سنة اثنتين بعد الألف: حدثنا شيخ الإسلام والمسلمين، أبو يحيى زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه، فذكره، وبقية السند مذكورٌ في «فهرس» شيخ الإسلام المذكور ـ نفع الله به ـ.

[٢٨٢] أبو السعود محمد بن الشرف يحيى بن أحمد أبي السعود بن تاج الدين أبي السعود بن جمال الدين القاضي الجمال محمد بن أحمد صفي الدين بن محمد بن روزبة بن أبي الثناء محمود بن إبراهيم بن أحمد الكازروني المدني الزبيري، نسبة إلى الزبير بن العوام ﷺ، الشافعي إمام الشافعية بطيبة الطيبة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ[1].

ولد عام ثمانين وتسعمائة بالمدينة، وحفظ القرآن العظيم وجوده وكتباً في الفقه والأصلين، و«ألفية ابن مالك»، و«الشاطبية»، و«الرحبية»، وغيرها، وقرأ على كثير من المشايخ؛ كالسيد حسين السمرقندي المدني، وأخذ عن عمه الإمام محمد تقي الكازروني «المنهاج وشرحه» لابن حجر، وعن خاتمة المحققين عبد الملك العصامي، ومولات المالكي، وأحمد بن منصور، والعلامة عبد الرحمن الخياري، وغيرهم.

وكان ذا همة عالية، ونفس مطمئنة، ومحاضرة لطيفة، وجاه عريض، مع خشية الله تعالى، والتورع في كثير من أمور الدنيا، والتقلل فيها، والتعفف عنها، خطبته المناصب السنية، فأباها، ورفعت له عن نقاب زخرفها، فنهاها.

وكان له همة علية في النسخ، لم يضيع أوقاته بلا شيء منه، فجمع بذلك كتباً نفيسة بخطه، وكان ملازماً لورد العارف بالله سيدي أحمد بن موسى العجيل؛ كما أوصاه به والده، من حين خرج من المكتب إلى وفاته، وأوصى هو به ولده صاحبنا الفاضل الخطيب عبد الرحمن، وكان يقول له: إنه درهم الكيس.

---

(1) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٢٤).

وكان ملازماً لصلاة الجماعة في المسجد النبوي؛ بحيث لا يفوته معها فرض إلا لعذر، وكان لا يخرج من المسجد إلا آخر الناس، خصوصاً بعد صلاة العشاء، ويقول: أحب أن أكون آخر الناس خروجاً، وأولهم دخولاً.

وكان والده يلزمه ـ وهو مراهق ـ بحضور صلاة الصبح مع الجماعة، وحضور قراءة الوظائف، واستمر على ذلك، ومن عادة أهل المدينة ـ غالباً ـ إذا جاء وقت الصيف، يخرجون إلى النخل.

قال: وكان لوالدي نخل بالقعرة، عند المال الأسود، فطلعه، وطلعنا معه، والوقت صيف، فانتبهت ليلةً من النوم، وكانت مقمرة، فتوهمت أن النهار أسفر، وفاتني حضور الجماعة، ثم توضأت، وفتحت باب النخل، وذهبت إلى أن وصلت محل الراعي بباب الجمعة، فإذا الرئيس أول ما ابتدأ في التهليل على المنارة، فتحيرت حينئذٍ، واعترفت أني اغتريت بالقمر، وأن الليل باقٍ، ولا يمكنني الرجوع إلى المحل؛ لأني أهاب الدخول بين تلك النخيل، ولا أجد قدرةً على الدخول إلى البقيع في تلك الساعة؛ لكون المحل مهاباً عادةً.

ثم ألهمني الله تعالى، وقوى جناني، إلى أن عزمت على التقدم إلى البقيع، فتقدمت باسم الله، إلى أن جلست على باب عمات النبي ﷺ، واتكأت على باب القبة، ووضعت العباءة على رأسي.

فبعد ساعة لم أشعر إلا بفانوسٍ، أقبل من جهة سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ حتى وقف به حامله بالقرب مني، ومعه جماعةٌ مبيضون، ثم بعد ساعة أقبل فانوس آخر من جهة قبة العباس ﷺ، ووقف به حامله بالقرب من باب الجمعة، ومعه جمع مبيضون أيضاً.

ثم بعد ساعة أقبلت جماعةٌ كثيرون من الدرب الذي أتيت منه، إلى المحل الذي أنا به، من درب الغنم، ومعهم فانوس، ولهم حركةٌ عظيمةٌ، فسلم واحدٌ منهم على الجمع الأول، فردوا سلامه.

قال: فرأيت باب الجمعة قد فتح، فدخلوا جميعاً، فدخلت معهم، فمروا على الحارة، حتى وصلوا إلى باب الجبر، فإذا هو مفتوح، فدخلوا ودخلت معهم، فقصدوا باب السيدة فاطمة ﵂، فإذا هو مفتوح، فدخلوا ودخلت معهم.

وقصدوا جهة الصحابة، فأردت الدخول معهم، فوقف لي رجلٌ منهم وقال لي: هاهنا حدُّك، فوقفت عند قبر السيدة فاطمة أتهجد ساعة، ثم خرجوا من باب الجبر، ثم من باب الجمعة، وخرجت معهم، فوقفوا هناك، بعد أن توجهوا إلى القبلة، ودعوا وأنا معهم.

فالتفت إليّ رجلٌ منهم وضيء، وقال لي: من أنت؟ فقلت: أبو السعود ابن يحيى الكازروني، فرفع يده، وطبطب بها بين كتفي، وقال: بارك الله فيك، حصلت لك العناية ولذريتك.

ثم تفرقوا على أسرع ما يكون، حتى كأنه لم يكن، والوقت باقٍ، فرجعت للمكان الذي كنت فيه بقية ليلتي، فبعد هنيهةٍ، إذا أنا بحس قافلةٍ مقبلةٍ، أسمع ولا أرى، ثم بعد ذلك رأيت رجلاً مقبلاً من جهة درب الجنائز يقود جملاً، عليه شُقْدفٌ(١) عليه ثوب أبيض، ورجل من خلف الجمل يسوقه، وهما في

---

(١) قال الزبيدي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تاج العروس» (٢٣/ ٥٢٥): «الشُّقْدفُ؛ كقنفذ: مركب معروف بالحجاز، يركبه الحجاج إلى بيت الله الحرام، والجمع شقادف».

صـفة يمانييـن بإزار فقط.

فقلت: هذه قافلة لبعض أهل الحارة تحط هنا، أتونَّس بها إلى أن يفتح الباب، فإذا هما طلعا إلى البقيع، وأخذوا في السير، فبقيت معجباً من هذين الرجلين، من أين؟ وإلى أين؟ إلى العُريض، فما هو وقته، أو إلى العوالي، فما اتفق أن أحداً يذهب إليه بشقدف.

فإذا هم قصدوا جهـةً بالقـرب من سـيدنا إبراهيم بن رسـول الله ﷺ، فبركوا الجمل، ثم أخذوا في الحفر، وأنا أراهم من مكاني، والوقت مقمر، والبقيع لم يكن به جَذْر خطير ولا عبرة، حتى انتهى الحفر، أراهم أخرجوا من ذلك القبر شـيئاً، وأدخلوه في الشـقدف، وأخرجوا من الشقدف شيئاً، وأدخلوه في ذلك القبر، ثم دفنوه، وأنا أنظر إليهم من مكاني، وبعد ساعة أثاروا الجمل فقام، وإذا بالشقدف وعليه ثوبٌ أسودٌ بعد ذلك البياض الأول، فمروا عليّ، فلما حاذوني، قمت لهم، فمسكت قائد الجمل من يده، وقلت له: من تكون؟ فقالا: إليك عنا، نحن الملائكة النقالة، فتأخرت عنه، واقشعر جلدي، وذهب لبّي.

ثم أذن الرئيس للصبح، وفُتح الباب، فكنتُ أول من دخل، فقصدتُ المسجد، وزرتُ الحضرة الشريفة، وصليتُ سـنة الفجر، ثم قامت الصلاة المفروضة، فصليتُ مع الجماعة، ثم حضرتُ وظائفي، فقرأتُ مع أصحابي، ورجعتُ للنخل، وأخبرتُ والدي بذلك كله، فقال: لا بقيت تذهب، أنا أقيم في وظائفك نائباً عنك، وناب عني. انتهى.

هكذا أخبرني ولده صاحبنا الخطيب الفاضل عبد الرحمن ـ سلمه الله تعالى ـ.

ولصاحب الترجمة نظمٌ ونثرٌ ثابتٌ في مجاميعه، ولم أقف على شيء منه، وله تذكرةٌ لطيفةٌ، جمع فيها من كل غريبةٍ ونادرةٍ، ولما وقف عليها صاحبه الفاضل علي بن غرس الدين الخليلي ثم المدني، قال مادحا له:

لله دَرُّ بـــارعٍ أتحفَنا بتـــذكرهْ
حــوت علومـاً جمــةً علـى التقـى مـذكرهْ
تغنـي عـن المغنـي فـي نحـو لمـا قـد ذكـرَهْ
وفقهُهـا يكفـي الفقيـهَ عـن كتـابٍ حـررَهْ
وشـعرُها ربُّ الـشعورِ مـن كـلام الخيـرَهْ
عروضُـها يعـرض أن يـدعى لـه بـالمغفرَهْ
فيهـا أحاديـثُ عـن المـولى علـيٍّ حيـدرَهْ
أبـي الحسين مـن زكـا أصـلاً وضـاءت زهـره
وكـم حـديثٍ ثابـتٍ عـن حـافظٍ قـد قـررَهْ
وطرفـةٍ طريفـةٍ بظرفهـا مطفـرَهْ
ونكتـةٍ بديعـةٍ علـى العـدا مظفـرَهْ
وتحفـةٍ نفيـسةٍ بروضِـها مـسطَّرَهْ
قـد نُقلـت عـن مـسندٍ مـن صـحفٍ مطهَّـرَهْ
وكتـبٍ مرفوعـةٍ بـين الـورى محـررَهْ
لا سـيما وهـي علـى أيـدي كـرام بـررَهْ
وجـوهُهم وجيهـةٌ علـى الـدوامِ مـسفرَهْ

مبيــــضَّةٌ مـــن التقـــى	ضـــــاحكةٌ مستبـــــشرَهْ
وقـــد أنـــارَ ســـلكها	بــــــدرةٍ وجــــــوهرهْ
مـــن نظمِــه البــديعِ مــعْ	نثـــرٍ لـــه قـــد نثــرَهْ
أبـــو الـــسعودِ الفاضـــلُ	المفــضالُ نجــلُ الخيــرَهْ
أعنــــي الحــــواريين	والـــصديقَ نعـــمَ المِـــدَرَهْ
وهـــو الإمـــامُ للـــورى	فـــي طيبـــةَ المطهـــرَهْ
فـــدامَ محفوظـــاً مـــع	النجـــلِ وأبقـــى عمـــرَهْ
مـــا أظهـــرَ الـــنظم	يراعـــي فيهمـــا ونثـــرَهْ

توفي في ذي القعدة، سنة ثمان وخمسين بعد الألف بالمدينة، وصُلي عليه بالمسجد النبوي بعد صلاة العصر، ودفن بالبقيع الغرقد، بقرب تربة والده وأسلافه، عند قبر سيدنا إبراهيم بن رسول الله ﷺ.

[٢٨٣] السيد محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد بن عبد الرسول بن قَلَندر بن عبد السيد بن عيسى بن بايزيد بن عبد الكريم بن عيسى بن بابا علي بن يوسف بن منصور بن عبد العزيز بن عبدالله بن إسماعيل المحدث ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ البرزنجي الحسيني الموسوي، وأمه الشيخة النقية البرة الزكية المعمرة فاطمة بنت شكر الله بن نور الله بن شكر الله بن أسد الله الكورانية الخالدية، لها أسانيد عالية في الحديث، ذكرها ولدها المترجم في معجمه[1].

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٦٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٠٣).

شيخنا علامة المعقول والمنقول، وإمام أهل الفروع والأصول، الجامع للفنون العلمية، المتضلع من أذواق السنة النبوية، الذي سار ذكره مسير الشمس والقمر، وعم فضله البدو والحضر.

واجتمع عنده من الفضائل، ما يعجز عن ذكره الناقل، إلى كرم نفسٍ وشيمٍ، وفصاحةٍ مع علو هممٍ، وخوفٍ من الله تعالى في السر والإعلان، ووقوفٍ مع الحدود الشرعية، وجمعٍ للكمالات الإنسانية، وتواضعٍ وسكينةٍ وحميَّةٍ.

مولده ليلة الجمعة، ثاني عشر ربيع الأول، سنة أربعين بعد الألف، بـ «شهرزور»، وبها نشأ، وقرأ القرآن وجوده على والده، وبه تخرج في بقية العلوم، وقرأ ببلاده على جماعةٍ، منهم: الإمام المحقق الملا محمد شريف الكوراني الصديقي، ولازم شيخنا خاتمةَ المحققين إبراهيم بن حسن الكوراني، حضراً وسفراً.

ودخل همدان، وبغداد، ودمشق، والقسطنطينية، ومصر، وأخذ عمن بها من العلماء والأعيان، وأجازوه، فأخذ بـ «ماردين» عن أحمد السلاحي الماريني، وبحلب عن أبي الوفاء العرضي، ومحمد الكواكبي، وبدمشق عن عبد الباقي الحنبلي، وعبد القادر الصفوي، وببغداد عن الشيخ مدلج، وبمصر عن شيخنا البابلي، والشبراملسي، وسلطان المزاحي، ومحمد العناني، وأحمد العجمي.

وبالحرمين عن الوافدين إليهما؛ كالشيخ إسحاق بن جعمان الزبيدي، وعلي الربيع، وعلي العقيبي التعزي، وعيسى بن محمد الجعفري، وعبد الملك

السجلماسي، ومحمد بن ناصر، وغيرهم، وعن علي بن الجمال، وعبدالله باقشير، وغيرهما.

ثم توطن المدينة الشريفة، وتصدر بها للتدريس في المسجد النبوي، وصار من سراة رؤسائها، وكبار علمائها، وله الكلمة النافذة فيها.

وألف التصانيف العجيبة، المفيدة الغريبة، منها ـ وهو أجلها ـ: «أنهار السلسبيل في شرح أسرار التنزيل» للبيضاوي، و«الإشاعة في أشراط الساعة»، و«النواقض للروافض»، وشرح على ألفية السيوطي، في مصطلح الحديث، سماه: «المصطبح لإيضاح ألفية المصطلح».

و«العافية شرح الشافية» لم يتم، و«خالص التلخيص» مختصر تلخيص المفتاح، قرأت عليه طرفاً كبيراً منه، و«مرقاة الصعود في تفسير أوائل العقود»، و«الضاوي على صبح فاتحة البيضاوي».

ورسالة ألفها في الانتصار لمذهب الشافعي، في الجهر بالبسملة أول الفاتحة، أو أنها آية منها، ذكر أن سبب تأليفها: أن بعض طلبة الحنفية قال له: لا مستند للشافعي قطعي في ذلك، أحسنَ فيها كلَّ الإحسان، وتصرف فيها تصرفاً حسناً، وذكر الأدلة الواردة في ذلك، وبنى القطع بها على ما اشتهر عند متأخري المحدثين: أن ما اشتمل عليه الصحيحان البخاري ومسلم، يلحق بالمتواتر؛ لتلقي الأمة لهما بالقبول، شرقاً وغرباً واشتهار أحاديثهما عند علماء النقل.

وكانت له قوة اقتدار على الأجوبة عن المسائل المشكلة، في أسرع وقت، وأعذب لفظ، وأسهله وأوجزه وأكمله، حتى إنه لما تنازع علماء العصر

من أهل الحرمين، في تكفير أحمد السرهندي وعدمه، بسبب الرسائل الفارسية التي ألفها، فالمكفرون يزعمون أنه تكلم فيها على النبي ﷺ، إلى أشياء منكرة، والمؤولون أولوها، وأبقوه على إيمانه، فألف في تكفيره عشر رسائل، بعضها عربية، وبعضها فارسية.

وألجئ إلى التوجه سنة أربع وتسعين وألف إلى الهند رسولاً من شريف مكة سعيد بن بركات، إلى السلطان محمد أورنك زيب ملك الهند، ورجع من عامه، ولم يحصل له من السلطان إذن بوصوله إليه، وسببه: أن شريف مكة المذكور استولى على الصدقة المرسلة إلى الحرمين من سلطان الهند، ولم يفرقها على أربابها، فبلغه ذلك، فغضب، وأمر برد شيخنا من بعض الطريق، وتشفع فيه بعض الأمراء، فلم يفد ذلك شيئاً، وتعب في هذه السفرة تعباً شديداً لم يتفق له مثله.

ورجع إلى اليمن، وخرج إلى المخا، واجتمع بالعلامة السيد حسن بن مطهر الجرموزي أمير المخا، فبالغ في إكرامه، وحصلت بينهما محاورات علمية، منها: مراجعةٌ في الجمع بين أحاديث الابتداء، ودارت بينهما مكاتباتٌ أدبيَّةٌ، وأشعارٌ رائقة.

ثم توجه إلى مكة المشرفة، وكنتُ باللحية، فركبت معه في سفينة واحدة إلى جدة، ثم حج وتوجه إلى المدينة، وأقام بها مدة، حتى حصلت له بها كائنةٌ مع أكابرها، فرفعوه إلى القاضي، وأراد بعض المتعصبين قتله، وسلمه الله، وحُبس أياماً لإطفاء الفتنة، فخرج إلى مكة، ثم منها صحبة الحاج الشامي إلى الروم.

وكانت له في الروم منزلةٌ عليةٌ عند كبرائها؛ لأنه تكرر ذهابه إليها، فشكا ما حصل له من أناسٍ في المدينة عينهم، وأخرج فيهم أوامر سلطانية على ما أراد، ورجع إلى المدينة الشريفة، ومرض قبل وصوله إليها أياماً، ووصل إلى المدينة أول النهار، وهو مريض، ومات ظهر ذلك اليوم، وأراد الله سبحانه به خيراً، إذ لم يجر على يديه أذية أحدٍ بها.

وكانت **وفاته** غرة محرم سنة ثلاث ومائة وألف، وهو أحد شيوخي الذين لازمتهم سفراً وحضراً، مع المحبة الشديدة، والمودة الأكيدة، ورأيت منه من الإجلال والاحترام لي ما لم أره من أحد من أصحابي، فضلاً عن الشيوخ.

فإنه كان ـ رحمه الله ـ من الكمال بجانبٍ عظيمٍ، متواضعاً سليم الخاطر، خصوصاً لمن ألان له جانبه، وسلم له أحواله؛ فإنه كان حاد المزاج، يغضب لله، ويرضى له، وينكر المنكر، ولا يستطيع السكوت عنه، ولذلك عاداه غالب الناس، ولكن الله سبحانه أجرى عادته معه أن ينصره على أعدائه، وينفذ كلمته في الغالب.

كل ذلك من حسن نيته، وسلامة طويته، وكتب ـ رحمه الله تعالى ـ إجازةً حافلةً بمروياته وسنداته ـ رحمه الله تعالى، وأفاض علينا من بركاته ـ آمين. آمين. آمين.

[٢٨٤] محمد بن عبد السلام بن عبد الملك بن حسين النزيلي.

الإمام العلامة الشهير، فاق الأوائل، وجمع الفضائل، وكان غايةً في الحفظ والفهم، أخذ عن والده، وعن علي بن محمد مطير، وبرع وفاق،

ومات في حياة والده في شهر ربيع الآخر، سنة ثلاثين وألف.

[٢٨٥] محمد بن عبد العزيز المفتي الحبيشي التعزي الشافعي.

الشيخ الإمام العلامة، انتهت إليه رياسة العلم والفتيا بتعز، والبلاد اليمنية، وكانت أحواله حسنةً، وترد عليه السؤالات من جميع الجهات.

وبالجملة: مات وليس في اليمن أفضل منه، **توفي** يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة، سنة خمس وألف ـ رحمه الله ـ.

[٢٨٦] محمد أبو مفلح بن فتح الله بن محمود البيلوني الحنفي(١).

القاضي الفاضل، وشاعرٌ لواء شعره على رؤوس الأشهاد منشور، طيب الأعراق، دمث الأخلاق، كثير الدعابة، حسن التودد للناس، منصفاً في البحث، خبيراً بالقضاء، حسن السيرة، طاهر السريرة، له سمتٌ وهديٌ حسن، وطريقٌ سديدٌ، ومحبةٌ للصوفية، وملازمةٌ لأهل الخير والصلاح، وترداد لمجالس العلم.

ولد بحلب، وبها نشأ، وتأدب بوالده، وأخذ عن أبي الوفا العرضي، ومن عاصره، ثم رحل إلى الديار الرومية، وتولى قضاء المناصب الست، واحداً بعد واحد بالديار المصرية، واجتمعت به بمصر، سنة خمس وثمانين، وقد ناهز الثمانين.

ومما أنشدني من شعره قوله:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٤٧٧) (١١٢)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٢٩) (٩٩٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٢٧).

دمت يا مربعَ الأحبة تندى		كاسياً بالزهورُ بردا فبُردا
يا له مربعاً إذا جاءه النو		ءُ مساءً في الصبح يقطف وردا
وإذا انساب في جداوله الما		ءُ حساماً جلا النسيمُ الفِرنْدا
جنة والغصون في حلل الأز		هارِ حورٌ بها ترنح قَدًّا
وتهادى معاطفِ البانِ سكراً		تهادي العناق أخذاً وردًّا
ويدير الصَّبا كؤوسَ شدا النو		ر على نغمة البلابل سَرْدا
كيف جزت الطريق نحوي ومن خوفـ		ـك دمعي بالدمع سدَّ لك سَدًّا

منها:

لو رعيت العهود أحسنت لكنْ		قلما تحفظُ المليحةُ عهدا

ومن شعره: قوله يمدح شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسام الدين مفتي القسطنطينية:

صبابةٌ لا اصطبارَ يُضمرها		ومهجةٌ لا خليل يغدُرها
ودمعةٌ لا الزفير يُنضبها		وزفرة لا الدموع تُضمرها
وعشقةٌ قد بان أولُها		أن هلاك المحب آخرُها
وكل نار وإن علت خمدتْ		سوى التي وجنة تسعِّرُها

منها:

ويحَ جريحِ اللحظ علَّته		في الطبِّ حيثُ الطبيب خنجرُها
تبات عينُ الحبيب ليلته		كالنجم لكن أبيت ساهرها

لــولا الكــرى قامــت مرنحــةً لم تكن أيـدي الجفـون تهـصِرُها
لــي زفــرة لــم أزلْ أصــعِّدُها ودمعــــةٌ لـــم أزل أُقَطِّرُهـــا
والــدمعُ لــولا الــدما تحمِّــرُه بـــسقمه وجنتـــي يـــصفِّرُها
مــا العــشقُ إلا كالكيميــا وأنــا دونَ الأنــــام جابِرُهـــــا
تبــسمُ إن كلّمــتْ مــشاكِلَها ودرٌّ دمعـــي غـــدا يناظِرُهـــا
هيفــاءُ مــا الغــصنُ مثــل قامتِهــا لكـــنَّ أعطافَـــه أشـــائِرها

ومنها:

أعـشق مـن أجلهـا الكثيـبَ أمـا تـــضمُّ أمثالـــهُ مآزرُهـــا
وأحــسدُ البــدرَ فــي محبتهــا فغيـــرُه لا يكـــاد ينظرُهـــا
وألـثم المـسكَ والعبيـرَ عـسى يكــون ممــا فتَّــتْ ظفائِرهــا
لله مــا فــي الهــوى أعــالجُ مــن لــواعجِ فــي الجفــا أصــابُرها
يــا حبــذا خلــسةٌ ظفــرتُ بهــا فــي غفلــةٍ للزمــان أشــكُرها
حيــثُ لعهــدِ غــدتْ تمــدُّ يــداً لــم تــدرِ أســرارَها أســاورُها
يــسألها خــاطري الوصــالَ ولا تجيـــبُ عنـــه إلا خواطرُهـــا
لا ينطــق اللفــظُ باســمه فرَقــاً عليـــه مـــن زفـــرةٍ يجاورُهـــا
ليـتَ ليـالي الوصـل لـو رجعـتْ وليـــتَ قلبـــي معـــي فيـــذكرُها

ومنها:

تلــك عهــود مــضت أوائلُهــا وســـابَقْتها فيـــه أواخرُهـــا
خلـت فلـم يبـقَ للحُـشاشة مـن ملـــكٍ لـــنفسٍ إلا تحـــسُّرُها

سـقاكَ يـا معهـدَ الأحبـةِ مـن سـحبِ دمـوعِ العيـنِ زاخرُهـا
ما شاقني مـذ ظعنـتُ عـن حلـبٍ أرضٌ ولا راقنـي نواظرُهـا

ومنها:

وهـل يطيـبُ المقـام فـي بلـدٍ للـنفسِ فـي غيـره تفكُّرُهـا
لـولا ظنـونُ اللقـا قـضيتُ أسًـى لكـنْ تعلِّلنـي فيـه بـشائِرها
كـلُّ أمـانٍ لـم تقـضَ فـي حلـبٍ غيـرَ لقـاءِ الإمـام أُنكرُهـا

ومنها:

فخـرُ المـوالي العظـام ركـنُهم وابـنُ كبيـرِ الـورى وأكبرُهـا
الـشهمُ عبـدُ الـرحمن ذو همـمٍ يـردي كبيـرَ الخطـوب أصـغرُها
الـسيدُ الـوارثُ المفـاخرُ لا تنفـكُّ أفعالـه تؤزِّرُهـا
مـلاذُ أهـل النهـى مـبلِّغُهم مقاصـدَ الأرجـاءِ يحـصرُها
أخلاقُـه كالريـاض مزهـرة مـا زالَ غيـثُ النهـى يباكرُهـا
وَجـودُه كالـسيلِ شـيمتُه مـن شـتم أخلاقـه تحـدُّرُها
شـيدَ للمجـد والعـلا دُوَلا تحيـا بأنعامـه مآثرُهـا
تـنظمُ أيـدي نـداه عقـدَ نـدًى تُنثـر فـي مدحـه جواهُرهـا
وفـضلُه كـالبحر قـد طمـى دررا ألفاظُـه فـي القلـوب تـسطرُها
إن مسّ طرساً للمشكلِ اتـضحتْ فيـه معـانٍ بـالفهم تـسحرُها
فالفـضلُ واللطـفُ والمحامـدُ والجـودُ صـحابٌ لـه يُـسامرُها
والعـزُّ والفخـرُ والمـآثرُ والمجـد أرقـاؤه يُحَرِّرُهـا

لـذتُ بـه والـصروفُ تعـدِلُ بـي		عـن طُـرقِ نجح المـرام جائرُهـا
فاستلّ مـن جـوده سـيوفَ عُـلاً		لمثـلِ هــذا المقــامِ يَــذْخَرُها
إذْ لَــهُ همــةٌ يــذلّ لــدى		صـغيرِها فـي الأنـام أكبرُهــا
تُنطقنــي بالمــدح أنعمُــهُ		فهــي كمــا شِــمْتُها أقرُّهــا

ومنها:

قلـدتُ جيـدَ الزمـانِ مـن مـدحي		فيــه عقــوداً تبغــى مفاخرُهــا
مـا كــلُّ مــن يَـنظِمُ القـصائدَ		إن بـدتْ لـشمسِ النهـار يبهرُهـا

ومنها:

لـو لـم يكـن فـضل الجـدير بـأن		يكرمُهــا مــا بــدا مُخَــدَّرُها
يَهنيـك يـا سـيدي قَـضا حلـبٍ		ويَهْنهــا مــن نــداك عامرُهــا
فمعـدِنُ المجـد والوفـا حلـبٌ		وأنـــت بالمكرُمــات تفخرُهــا
كنـا نـرى الفخـرَ للـولاةِ بهـا		وفخرُهــا حيــث أنــت آمرُهــا

ومنها:

مـولاي دهــري ذنوبُــه كثـرتْ		أنــت بعــون الإلــه تغفرُهــا
لـي حاجـةٌ لـم تـزل تخاصـمني		الأيــامُ فيهــا وأنــتَ تزجرُهــا
أنــتَ وحــقّ النهــى وحقّــك		للمطــالع الباليــات ناشــرُها
تلـك ظنـوني ومـا عهـدتْ بـأن		يكــذبني فــي المقــال مخبرُهــا
فاسـلمْ ودمْ ظـافراً بـرغم عِـدًا		تجيــر أهــلَ النهــى وتنــصرُها

[٢٨٧] السيد محمد أمين بن فضل الله بن محب الله ابن القاضي العلامة مفتي دمشق وعالمها محب الدين، الحموي الأصل، الدمشقي المنشأ والمولد، العلواني الطريقة، الحنفي، الشهير بالمحبي[١].

سيد لا حدَّ لفضله فيحصر، ولا غاية لمجده فتذكر، فهو كما قلت فيه من قصيدةٍ:

ورثَ المعالي عن أبيه وجدِّه وتفاخرت بعلومه آباؤُهُ

كريم الأخلاق والشيم، ليس له قرين في علو الهمم، دمث الأخلاق، طيب الأعراق، بحر علم لا ساحل له، وروض أدب لا نظير له، وخليل للمجد ليس له في الفضل مثيل، إلى ذات شريفة، وطلعة منيفة، ووجه علوي، ونور نبوي، **مولده** بدمشق سنة اثنتين وستين وألف، وبها نشا، وقرأ فنون العلوم على جماعة، منهم: إبراهيم الفتال، حتى حصل منها الكثير الطيب، وألف التآليف النافعة المفيدة، منها: في «التشبيه» في مجلد، وكتاب «اعتراضات على القاموس»، وتاريخ لأهل عصره في مجلدين، ورسائل كثيرة، ومقامات شهيرة، وديوان شعر فاخر، ومن شاهد شيئاً منها، قال: كم ترك الأول للآخر!

قدم مكة حاجاً سنة ألف ومائة وواحد، وجاور، وناب في الحكم بها مدة، محمود السيرة، طاهر الظاهر والسريرة، وصار من أهل مكة كالروح من الجسد، وأجلَّه كل أحد؛ لما هو عليه من الفضل والكمال، والمجد والجلال،

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٨٦)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٩٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٤١).

وفي أثناء تلك المجاورة كاتبه أدباء مكة وشعراؤها وأجابهم بقصائد طنانة، وإني وصفته، وهو يقيناً فوق ما وصفته، وغالب ظني أني في التعريف بفضله ما أنصفته، ولما جاور، اتخذني سميره، فكنت أسيرهَ، ثم رجع إلى دمشق الشام، وفرقت ما بيننا الأيام، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير، ثم بلغني خبر وفاته ببلده، في شهر رجب، سنة ألف ومائة وعشرة، وبيني وبينه مكاتبات كثيرة.

منها ما كتبه إلي وهو بمكة قوله:

من يُصَب في الحب من نظره ... أيُّ نفعٍ منه في حذَرِهْ
خَلِّه إن رمتَ تنصحُه ... نفعهُ بالنصح من ضررِهْ
ربَّ ليل يأته أرقاً ... قارحَ الأجفانِ من سهرِهْ
مغرمٌ لو زراها خبره ... كان أغنى الناس عن قمرِهْ
يشتكي طولَ الظلام إذا ... ما اشتكى الخالونَ من قصرِهْ
لو يشحُّ النوءُ عوَّضَهُ ... بوليِّ الدمع عن مطرِهْ

ومنها:

من عَذيري في هوى رشأٍ ... قتلُ من يهواه من وطرِهْ
مسكرٌ بالسحر منطقُه ... لذةُ الألباب في سمرِهْ
غصنُ بانٍ فوقَ رابيةٍ ... تجتني الأحداقُ من زهرِهْ
منيتي والحبُّ أكبر لو ... زِيدَ من عمري إلى عمرِهْ
ملكٌ بالتيه مشتملٌ ... وملوكُ الحسنِ من نفرِهْ
علَّموه ليتهم رفقوا ... مهلكَ العشاقِ في صغرِهْ

خلــــتِ الأيــــامُ مــــن فِــتَنٍ ... لــو خلــتْ عينــاه مــن حَــوَرِهْ

ومنها:

ضــلَّ عنــدي مــن يُــشَبِّهُهُ ... بظبــاءِ الــوحش أو عَفَــرِهْ

صــاحَب المــوتُ الحيــاةَ فيــا ... أعجــب الأشــياء فــي نظــرِهْ

واصــطفاه الخلــقُ حــين حكــى ... مــصطفى فــي الطبــع مــن بــشرِهْ

ماجــدٌ لــو شــئتَ مِدحْتَــهُ ... قــصرَ الإغــراقُ عــن قــدرِهْ

ســادَ أهــل الفــضل قاطبــةً ... قبــل خَــطِّ الــشيب فــي شَــعَرِهْ

مــن كــرام لا يدنِّــسُهم ... مُفْحِــمٌ فــي يــوم مفتخــرِهْ

نــسبٌ فــي المجــد منــتظمٌ ... كانتظــام العقــد مــن دررِهْ

ومنها:

كــم لهــم فــي الــدهر مــن سِير ... تنــسخُ المحفــوظَ مــن ســيرِهْ

رســخوا والنــاسُ طائــشةٌ ... أيــن فــضلُ الحبــر مــن شــررِهْ

وإذا عــدَّ الكــرام بهــم ... عقــد المُخْــصي علــى عــشرِهْ

منــذُ حيَّــاني بزورتــهِ ... قــد أمنــتُ الــدهرَ فــي خطــرِهْ

ولقيــتُ الفــضلَ أجمعَــهُ ... غايــةً فــي البــاب مــن أثــرِهْ

خَــصّني بــالجود مبتــدِئاً ... فــوقَ مــا لُقِّيــتُ مــن خبــرِهْ

فأنــا فــي روضِ مِنَّتِــهِ ... أجتنــي الأمــالَ مــن ثمــرِهْ

ومنها:

ســيدي يــا مَــنْ بنائِلِــهِ ... نــالَ كــلَّ منتهــى وَطَــرِهْ

هاكَهـــا ورقـــاءَ مطربـــةً طـرب الـشحرورِ فـي سـحرِهْ
واغتفــرْ جهــدَ المُقِــلّ أتــى بفــضولِ القــول مــن هَــذَرِهْ
مــا ثنــاكَ الجَــمُّ يقــدرُهُ نــاطقٌ يُعــزى إلــى حَــصَرِهْ
وابــقَ فــي دهــرٍ تــساعفُ مــنْ غالَــه بالخطــب مــن غِيَــرِهْ

فأجبته بقولي:

بــاح بالــشكوى علــى حــذرِهْ مــذ بــراه الحــبُّ فــي صـغرِهْ
عاشــقٌ كتمــانُ حالتِــه لــيسَ يُغنيــه علــى خطــرِهْ
ليلُــه إن جَــنَّ أرقــه شــوقُه والــدمعُ فــي أثــرِهْ
لا يُقاويـــه تــصُبُّرُهُ بــل يبــت حيــرانَ فــي فكــرِهْ
فجيــوشُ الــصبر مركبُهــا بــين نــابِ الليــثِ أو ظُفُــرِهْ
مــا لــدى الأشــجانِ أرفــعُ مــن ذُلِّــه للحــبِّ أو نفــرِهْ

ومنها:

ســيَّما إن كــانَ خــامره دلّ معــشوقٍ علــى أثــرِهْ
مَــرَّ لــي عــصرٌ بجِلَّــقَ كــم طــالَ ليلــي فــي هــوى قمــرِهْ
عــذّبت قلبــي محبتُــه وبقيــتُ الآن فــي أَسَــرِهْ
نــامَ عــن ليلــي وأســهرَني لــيس مــن ليلــي ولا سـمرِهْ
ليتــه وافــى لمدَنفِــهِ فيزيــد الوصــلُ فــي عُمُــرِهْ
مــا رقيــت القلــب مــن لِمَمِــه ومــسحتُ الجفــنَ مــن سـهرِهْ

ومنها:

ولــــئن راودت مـــــن ســـنة   إنمـــا أرتـــادُ مـــن نظـــرهْ
فـــي خيـــالٍ لـــو ســـرى لخفـــى   مـــا يـــصدر الـــصب مـــن ضـــررهْ
لـــست أنـــسى نـــورَ طلعتِـــه   بـــينِ بـــيضِ الحـــيِّ مـــن سُـــمُرهْ
وزمانـــاً لـــي بعـــشرتِهِ   عيبـــهُ مـــا كـــان مـــن قِـــصَرهْ
فـــسقى الـــرحمنُ جيرتَنـــا   بـــينَ جيـــرونَ ومنهـــدرهْ

ومنها:

ويكـــى بـــاكي الغمـــام بـــه   بـــين منهـــلٍّ ومنهمـــرهْ
فلكـــمْ خِـــلٌّ هنـــاك لنـــا   قـــد جنينـــا الـــودَّ مـــن ثمـــرهْ
بكـــلام رقَّ جانبُـــه   بـــين منظـــومٍ ومنتثـــرهْ
قـــسماً بـــرّاً يـــشفعه   قـــسمي بالبيـــت مـــع حَجَـــرهْ
قـــد ســـلوتُ الكـــلَّ أجمعَـــهُ   بفريـــدِ العـــصرِ فـــي غُـــرَرهْ
وقـــرينِ البحـــرِ فـــي دررهْ   الـــسريِّ البـــرِّ فـــي ســـيرهْ
المُجتبـــيُّ الأمـــينُ علـــى   سُـــنَّةِ المختـــارِ مـــع أثـــرهْ
الإمـــامِ الحبـــرِ ســـيدِ مَـــن   خبـــر الأحبـــارُ مـــع خبـــرهْ
الـــشريفِ المنتمـــي نـــسباً   لأبـــي الـــسِّبطينِ مفتخـــرهْ
ملا(١) نفـــوسِ الـــدهرِ مـــن شـــرفٍ   نـــورِ عـــين المجـــد مـــشتهرهْ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ملء.

نـشأةُ الـشيخ الـرئيس لـه فلـهُ العليـاءُ مـن صـغرِهْ
أذرتْ بـالنجمِ همتُـهُ وهـو زاكـي الفهـم فـي كبـرِهْ
كامـلُ الأوصـافِ لـيس لـه مـن مُـدانٍ فـي عُـلا قـدرِهْ

ومنها:

وكـريمُ الطبـعِ مـا وجـدت مثلَـه الأيـامُ فـي خفـرِهْ
وأجـلُّ النـاس فـي حسـبٍ بـين أيـاديهم[1] ومحتـضرِهْ
وعريـقٌ طـاب مغرسُـه مـن محـبُّ الـدينِ منتـصرِهْ
سـيدٌ الـسعدُ يخدمُـه فـي مُطَوَّلِـهِ ومختـصَرِهْ
شـرفُ النظـارِ فـي سـفرٍ طابـت الأخبـارُ مـن سِـيَرِهْ
كـلُّ مـا فـي النـاس مـن شـرفٍ فهـو منـسوبٌ إلـى خطـرِهْ

منها:

غـرةُ الـدنيا وزهرتُهـا مـا حوتـه الآنَ مـن غُـرَرِهْ
لـيس طـولُ المـدح يرفعُـه إنمـا اللـذاتُ فـي ذكـرِهْ
صـرتُ مملوكـاً لحـضرته فـي ورودٍ منـه أو صَـدَرِهْ
مـذْ أتتنـي منـه غانيـةٌ أسـكرتْ فكـري علـى سَـكَرِهْ
أخجلتْ شمسَ الضحى وحكت وجهَـه الزاهـي علـى قمـرِهْ
وأتـتْ تختـال فـي شـرفٍ كبهـاء الملـكِ فـي سـررِهْ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: باديهم.

أشــبهتْ فــي الــشهر غُرتــه | وأصــيلَ الوقــت مــع ســحرِهْ
أو كــشمسِ الأفــقِ مــشرقة | أو كَعْــرفِ الــروض فــي بُكــرِهْ
حركــتْ منــي رســيسَ هَــوًى | كــان قبــلَ الآن فــي فِكَــرِهْ
وصــفا وقتــي بزورتهــا | حــين جــاءتني علــى قَــدَرِهْ
فبلغــتُ الجهــدَ مبتــدراً | بجــوابٍ غيــر معتبــرِهْ

ومنها:

يــا طويــلَ البــاع معــذرةً | لقــصيرِ الــسعرِ محتقــرَهْ
أيــن درُّ اللفــظ مــن صَــدَفٍ | أيــن فــصلُ القــول مــن هَــذَرِهْ
عفــوُكَ المــأمولُ يجملــه | أن يــساوى النــاس فــي عُجَــرِهْ
ثــم فــضلٌ فيــك منتقــلٌ | مــن أصــولِ غيــرُ مبتكَــرِهْ

ومنها:

دمــتَ فــي عِــزٍّ مؤبــدةٍ | مــا بــدا صــبحٌ لمنتظــرِهْ
وأمــالَ الغــصنَ ريــحُ صَــباً | حــركَ القُمــري علــى شــجرِهْ

وله المقصورة البديعة، الشهيرة الذكر الرفيعة، مدح بها النبي ﷺ، وهي قوله:

دع الهــوى فآفــةُ العقــل الهــوى | ومن أطاعه مـن المجـد هـوى[1]

---

(١) جاء في الحاشية: «وفي ترجمة العالم العلامة عبد الباقي بن أحمد الدمشقي، الشهير بابن السمان، قال المترجم له الشيخ عبد الرحمن الذهبي، بعد أن أطال ■

وفي الغرام لذةٌ لو سلمت ... من الهوانِ والملامِ والنوى
وأفضلُ النفوس نفسٌ رغبت ... عن عَرَض الدنيا وفتنة الظُّبا
والعشقُ جهلٌ والغرامُ فتنةٌ ... ومَيِّتُ الأحياءِ مغرمُ الدُّمى
قالوا لنا الغرامُ حِلْيَةُ الحِجى ... قلنا لهم بل حليةُ العقلِ التقى
وهل رأيتمْ في الورى أذلَّ من ... معذبٍ تلهو به يدُ الهوى
أو أحداً أغبنَ من متيمٍ ... تقودُه شهوته إلى الردى
وللقوافي فتنة أشدُّ من ... قتل النفوس والفتى من ارعوى

ومنها:

وما على ساجي الجفونِ راقدٍ ... من دنَفٍ يبيتُ فاقدَ الكرى
ومن أعدَّ للشتا كافاته ... فلا تريعُه برودةُ الهوا
مظنةُ الجهل الصِّبا وإنما ... مفسدةُ المرءِ الشبابُ والغنى
والنفسُ ما علمتها فإن تجدْ ... ذا عفة فزهدُه من الريا
والناسُ إما ناسكٌ بجهله ... أو عالمٌ مفرِّطٌ أولا ولا
كأنهم أفيالُ شطرنجٍ فلا ... يظاهرُ المرءُ أخاه في عَنا
وإن خفيت بينهم عذرتهم ... فشدةُ الظهور تورثُ الخفا

= مدحه، قال: فمن قصائده الدرية، وفرائده الفردية، مقصورته التي امتدح بها سيد الأنام ﷺ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين الكرام، وهي:

دع الهوى فآفة العقل الهوى ... ومن أطاعه من المجد هوى

وفي الغرام لذة... إلخ، فتبين أنها لعبد الباقي المذكور العالم المشهور.

وفدفـــدٍ طويتُـــه بـــضامرٍ		يـسابق البـرقَ ويـسبِقُ القـضا
يقـبض رامـي سـهمِهِ عنانَـه		خـشيةَ أن يـصيبه مـن القفـا

ومنها:

وليلـةٍ بـتُّ أعـدُّ نجمَهـا		والليلُ قاني الصبغ محلولُ الوِكا
ولـم يطـل ليلـي ولكـنَّ الجـوى		يعيد ليل الـصيف مـن ليـل الـشتا
والـشوقُ كالليـل إذا الليـلُ دجـا		والليـلُ كـالبحر إذا البحـرُ طمـى
كأنمـا المـريخُ عـينُ أرمـدٍ		أو جمرةٌ من تحتِ فحمةِ الـدجى
كأنمـا الـسُّهى أخـو صـبابةٍ		يكـادُ يخفيـه الـسقامُ والـضَّنى
كأنمـا سُـهيلُ راعـي نَعَـمٍ		أو فـارسٌ يقـدُم جـيشَ الـوغى
كأنمـا الجـوزاءُ عقـدُ جـوهرٍ		أو سبحةٌ أو مبسمُ العـذبِ اللَّمـى
كأنمـا مـنقضُ النجـومِ شـررٌ		نثيـرُه الريـاح مـن جمـر الغَـضى

ومنها:

كأنمـا الـسحبُ سـتورٌ رُفعـت		أو مـوجُ بحـر أو شـوامخُ الفـلا
كأنمـا الرعـدُ زئيـرُ ضـيغمٍ		قد فقـدَ الـشبالَ أو صـوتُ رحـى
كأنمـا البـرقُ حـسام لاعـبٍ		يـديره فـي يـده كيـف يَـشا
كانمـا القَطْـرُ لآلٍ نُثـرت		علـى بـساطِ سـندسٍ يـومَ جـلا
والـثلجُ كـالقطنِ أجـادَ ندفَـه		قوسُ السحابِ فـوقَ حُلَّـةِ الربـى
كأنـه بـرادةُ الأفـلاك مـن		كثـرةِ دورِهـا بقبـةِ الـسما
كأنمـا الـسهمُ غـريمٌ مقـسِمٌ		أن لايغيـبَ لحظـةً عـن الحـشى

كأنما القلبُ مكلَّفُ بأن يحمل منه ما تحمل الورى
كأنما وجهُ البسيط شقةٌ لا تنطوي ولا لِحَدِّها انْتِها
كأنني موكَّلٌ بذرعِها من قبل الخضرِ بأذرعِ الخطى
لا أستقرُّ ساعة بمنزل إلا اقتضا أمرٍ يجدد النوى
ولا تراني قطَّ إلا راكباً في طلب المجد وتحصيل العلا

ومنها:

والحُرُّ لا يرضى الهوانَ صاحباً وليس دارُ الذلِّ مسكنَ الفتى
والعقلُ في هذا الزمانِ آفةٌ وربما يقتل أهلَه الذكا
وذو النهى معذَّبٌ لأنه يريد أن ترى الأنامُ ما يرى
والناسُ حمقى ما ظفرت بينهم بعاقل في الرأي إن خطبٌ دهى
وكلما ارتقى العلا سريُّهم كفَّ عن الخيرات كفاً وطوى
يهوى المديح عالماً بنقده ودون نقده تناول السهى
وإن طلبتَ حاجةً وجدَته كمسحبٍ من حيث جئتَ فهو لا

ومنها:

إن وعدوا فالفعلُ قبل قولهم أو وعدوا فإنهم كالشعرا
والآن قد رغبتُ عن نوالهم وتبتُ من مدحهم قبل الهجا
لا ينبغي الشعر لذي فضيلة كيف وقد سُدَّت مذاهبُ الرجا
وخابت الآمالُ إلا في الذي حِماه مَلْجا العفاة الضعفا
محمدِ الحبيبِ صاحبِ اللوا ومنبعِ الجود ومشرقِ الهدى

خلاصـــةِ الحـــقِّ وسِـــرِّ آدمِ	وخيـــرةِ الخلـــق وقبلـــةِ الـــدعا
ومــــن رأى بعـــينِ رأســـه	ولـــم يكـــن بنـــاطقٍ عـــن الهـــوى

ومنها:

لـــولاه مـــا كـــان الوجـــودُ جملـــة	هـــل تظهـــر الأشـــياءُ إلا بالـــضيا
شُـــقَّ لـــه البـــدرُ وشُـــقَّ صـــدرُه	وفـــاض مـــن كفيـــه جـــدولُ النـــدى
أبـــى الفحـــولُ مدحَـــه لأنهـــم	لـــم يجـــدوا معنًـــى يليـــق بالثنـــا
وكيف يـستوفي البليـغ مـدحَ مـن	مادحُـــه ربُّ الـــسمواتِ العـــلا

ومنها:

يا خيرَ من يشفع في الحشر ومـن	أفلـــح قاصـــدٌ لبابـــهِ التِجـــا
يـــا ســـيدَ الخلـــق وملجـــأَ الـــورى	وخـــاتمَ الرســـل وخـــاتمَ الـــسخا
بحقِّ مـن خـصَّك بالفـضل الـذي	بجمعُـــه أصـــبحتَ واحـــدَ المـــلا
بالصاحبِ الصدِّيق خيرِ من مشى	بعـــدَ النبيـــينَ علـــى وجـــه الثـــرى
بعمـــرَ الفـــاروقِ ضـــيغَمِ الـــورى	خليفـــةِ العـــدلِ وفـــاتحِ القـــرى
بجـــامعِ القـــرآنِ عثمـــانَ الـــذي	يقطُـــر مـــن وجنتـــه مـــاءُ الحيـــا
بالفـــارسِ الكـــرار معـــدِنِ الوفـــا	وزيـــرِكَ العـــدلِ الإمـــام المرتـــضى
بزوجِـــه البتـــولِ مـــن كـــان بهـــا	علـــى الرجـــال يتقـــدم النـــسا
بالحـــسنَيْن نيَـــرَّي أفـــقِ العـــلا	وغـــصَنِي المجـــدِ وبحـــرَيِ العطـــا
بيـــومِ كـــربلا الـــذي تأســـفا	فـــي كـــل قلـــبٍ منـــه كـــربٌ وبَـــلا

ومنها:

بليثِ دينِ الله حمزةَ الذي حمى النقا بالمرهَفات والقنا

بعمّك العباسِ ذي السقيا ومن يخجل نورُ وجهه شمسَ الضحى

بآلِكَ الأطهارِ آسادِ الوغى بصحبك الأخيارِ زهرِ الاهتدا

كنْ لي شفيعاً يومَ لا مشفَّعٌ سواكَ يُنجي الخائفين من لظى

قد عظُم الخوفُ لما جنيتُه والعفوُ عند الأكرمين يُرتجى

وليس لي عذرٌ سوى توكلي على الكثيرِ العفوِ للذي عصى

ومنها:

لولا الذنوبُ ضاع فيضُ جودِه ولم يبنْ فضلُك بين الشُّفَعا

وهاكَها خريدةً مقصورةً على معاليك ومهرُها الرِّضا

إن قُبلت فيا لها من نعمةٍ وهل يخاف واردُ البحر الظَّما

صلى عليك ذو الجلال كلما صلى عليك مخلصٌ وسَلَّما

وباكرت ذاك الضريحَ سحرةً حواملُ المزن يحثها الصَّبا

ما سُلَّ عَضْبُ الفجرِ من غمدِ الدجى وما سرى ركبُ الحمى مدلجا

ولما توجه المترجَم إلى قسطنطينية الروم، اختص بصحبة قاضي العساكر الإسلامية العلامة المولى شيخ محمد بن لطف الله المعروف بعزتي، وأنزله عنده خير منزل، وكان يتفقده بالإحسان، فألبسه يوماً فروة من ملبوسه، فكتب إليه يمدحه بقوله:

شأن المولَّهِ أن يعيش مُتَيَّمَا والحبُّ ما منع القرارَ المغرَما

هو ما علمتُ غرامُ صَبٍّ دمعُه ... ما زالُ يُظهر سِرَّه المتكتِّما
وإذا الصبابةُ خامرتْ قلبَ امرئٍ ... وجدَ العذابَ من الحبيب تنعُّما
ولربَّ مغبرٍّ الأديمِ قطعتُه ... من فوق مبيضٍّ القوائمِ أدهما
لا تستطيع الشمسُ ترسمُ ظلَّه ... مهما مشى سبقَ القضاءَ المبرَما
والليلُ بحرٌ قد تدافع موجُه ... وترى الكواكبَ فيه تسري عُوَّما

وقال:

وكأن وجهَ الأفق منقدُ فضةٍ ... والبدرُ تحسبُه عليه درهما
وكأنما المريخُ شعلةُ قابسٍ ... أو رأسُ نصلٍ خضبته يد دما
أسري وشخصُك لا يزال مُسامري ... وأرى التصبّر عنك مُرًّا علقما
يا آفةَ الأرواحِ ما ألهاكَ عن ... دَنِفٍ لذكرِ هواك يهوى اللوَّما
لله عهدٌ كنت بدرَ ضيائه ... أيام نلقى كل وقت موسِما
في روضةٍ لبست رداءَ زمردٍ ... صبغتْ جوانبَه الشقائقُ عَنْدَما

وأيضاً:

وكأنَّ قاماتِ الغصون كواعب(١) ... أظهرْنَ عِقداً في النحور منظَّما
لا تسمعُ الآذانُ في أرجائها ... إلا هديرَ هَزارِها مترنِّما
وشربتُها صهباءَ من يدِ شادنٍ ... فضحتْ محاسنُه الغِزارُ الأنجُما
نادمتُه والراحُ يعطف عِطْفَه ... كالغصن مَرَّ به النسيمُ وهَيْنَما

---

(١) في الأصل: كواعباً، والصواب ما أثبت.

فهصرتُ قدّاً كالقضيبِ مهفهفاً ولثمتُ خداً كالأقاحِ ومبسما
مهلاً فلستُ بمن يقود زمامَهُ إلا الصبابةُ مُنجِدًا أو مُتْهِما
وأظنُّ لي في الدهر حظاً كاملاً كالنار أُودِعَتِ الزنادَ الأبكما

وقال:

ما لي وللأيام أبغي مَنَّها وإلى جناب العِزَّتي ليَ انتِما
علامةِ الثقلينِ أفضلِ ماجدٍ حلفِ الزمان بمثلِه لن ينعِما
مولى إذا ظلم الزمان فما يرى إلا إلى عزماته متنظِّما
جارى الملوكَ إلى مقامات العلا فتأخروا عنه وكان مقدَّما
لو مدّ راحتَه لثغرِ مقبّلٍ أنف الثريا أن تكون له فما
أو تنطقُ الدنيا بمدحةِ ماجدٍ نطقَ الزمانُ بمدحه وتكلَّما
دعواتُه تجلو القلوبَ وعزمُه لو يلتقيه الموتُ مات توهُّما
ولو استجارَ به النهارُ من الدجى لم تبصرِ الأحداق شيئاً مظلما

ومنها:

قد حَكَّم المعروفَ في أمواله والرعبَ في أعدائه فتحكَّما
يعطي الألوفَ سماحةً متكتماً والجودُ ليس بممكن أن يُكْتَما
ومتى تخيلَتِ القرائح مدحةً سبقت جوائزهُ القريضَ تكرُّما
متوقدٌ كالبدر ليلةَ تَمِّهِ فإذا تحركَ للعطاء تبسَّما
ملأ الزمانَ مهابةً من عدلِهِ حتى أخاف الظبيُ منه الضَّيْغَما
وسرت له سِيَرٌ معطرةُ الربى فكأنما كانت صَبًا متنسِّما

ومنها:

يـا مـن نلـوذ مـن الزمـان ببابـه ... ونـرى نـداه لمـا نؤمّـلُ مغنَمـا
مـاذا نقـول سـموْتَ عـن أفهامِنـا ... حتى استوتْ فيك البريـةُ أعجمـا
لله أنعُمُـك التـي مـن بعـضها ... لـم تبـقِ فـي الـدنيا فقيـراً معـدما
وخصالُك الزُّهْر التي لـم يُرضـها ... أن تجتلـي قمـمَ المراتـب أنجُمـا
ألبستَني نعمـاً رأيـتُ بهـا الـدجى ... صبحاً وكنت أرى صباحي مظلِمـا
فبقيتُ يحسدني الـصديقُ وقبلَهـا ... كـان العـدوُّ يمـرّ بـي مترحِّمـا
مـا عـذر مَـن شَـرَّفْتَهُ بفـضيلةٍ ... أن لا ينـال بهـا الـسُّهى والمرزَمـا

ومنها:

هيهاتَ لستُ بشائمِ جـودَ امـرئٍ ... من بعدِ ما عاينْـتُ جـودَك منعِمـا
فاليكَهـا زهـراءَ ذاتَ بلاغـةٍ ... لـو رامَهـا قُـسٌّ لأصـبح أبكمـا
مـن كـل بيـتٍ لـو تجشم لفظـه ... لرأيتـه وشـياً عليـك مهنّمـا
وتهـنَّ بالعـامِ الجديـد ممَّتعـاً ... بـسعادةٍ رحـبَ الجَنـان معظَّمـا
واسـلمْ لنـشرِ فـضيلة معلومـةٍ ... لولاك طال علـى المـلا أن تُعْلَمـا
إن العـلا بـدأت بـذكرك مثلمـا ... آلت بغيرك في الورى لـن تختمـا

ومن مقاطعيه قوله:

لـم أنـس لـيلاً حيّـا وقـد غفلَـتْ ... عنـا عيـونٌ تبيـتُ ترمُقُنـا
بتنـا كَـرُوحَين فـي حـشا جـسدٍ ... تحيّـر النـومُ كيـفَ يطرُقنـا

[٢٨٨] محمد بن فواز الشافعي[١].

الشيخ الفاضل البارع، كان من علماء دمشق وأفاضلها المشهورين، لقي العلماء، وأخذ عنهم، وكان من أخص الناس بالشيخ محمد الحجازي، وولده عبد الحق بل اشتهر أن عبد الحق، إنما برع بصحبته ـ رحمه الله ـ، ذكره النجم الغزي في «الذيل».

[٢٨٩] محمد بن شمس الدين بن قاسم المنقار، الحلبي المولد والمنشأ، ثم الدمشقي الحنفي[٢].

مولده بحلب سنة أربع وثلاثين وتسعمائة، وقرأ بحلب على ابن الحنبلي وغيره، ثم وصل إلى دمشق في أواسط المائة العاشرة.

ورافق الشيخ إسماعيل النابلسي، والشيخ عماد الدين، والملا أسد، وطبقتهم في الاشتغال على الشيخ علاء الدين بن عماد الدين الشافعي، وعلى الشيخ أبي الفتح الشبستري، وغيرهما، وحضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي.

وكان علامةً متميزاً على أقرانه، سريع الغضب، سريع الرضا، وإذا

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٨٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٤) وسماه المحبي: «محمد بن عمر بن فواز الملقب شمس الدين الدمشقي الشافعي»، وذكر وفاته فقال: «ومات وله من العمر نيف وخمسون سنة تقريباً، وورد خبر موته إلى دمشق في عشري صفر سنة ست بعد الألف».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٤٣) (٤٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١١٥)، «عرف البشام» للمرادي (٤٠) (١٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ١٢٨) (١٣)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ١٤٨) (٩٣٧).

غضب، لا يقوم لغضبه شيء، وإذا داراه الرجل، يصفو له، وبسبب حدته وقع له مع علماء دمشق وقائع كثيرة.

منها: أنه وقع بينه وبين الشمس محمد الداودي عند بعض القضاة مشاجرةٌ، فقال للداودي: أنا صخرة الوادي إذا هي زوحمت، وأنت يا ابنَ داود

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرْها وأوهى قرنَه الوعلُ[1]

ووقع بينه وبين النجم الغزي منافسةٌ وخصومةٌ، وظهر عليه النجم فيها، وقامت العوام على المترجَم، وكادوا يقتلوه، وكسفت الشمس ذلك اليوم، فقال النجم:

بعامِ ثمانٍ بعدَ تسعينَ حجَّة وتسعِمائة مرَّتْ جرى الأمرُ والحُكْمُ
بأنْ حضرَ الشمسُ بنُ منقارِ الذي تحرَّى حلالاً حين زايله الحُرْمُ
وناظرنا يومَ الكسوفِ فلم يطقْ لنا جدلاً بل خانَه الفكرُ والفهمُ[2]
فقيل وبعضُ القوم لا شكَّ حكمةٌ وعندَ كسوفِ الشمسِ قد ظهرَ النجمُ
ولولا تلافي الله جل جلاله أصاب تِلافاً حين تابعه الرَّجْمُ

وكان سليماً من الصبوات، ناهضاً إذا استنهض في المهمات، لا يبخل بالشفاعات عند الحكام، وله جرأةٌ عليهم وإقدام، وكان يفتي، ويدرس الدروس الخاصة والعامة.

---

(١) في الأصل: الوعلا، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: الفهم والفكر، والصواب ما أثبت.

وله شعرٌ مستحسنٌ، ومنه قوله في «شرح الكافية» للجامي:

ألا قد جلا الجامي ببستانِ شـرحِه   لكافيــةِ الإعــرابِ كــأسَ مُــدامِ
فحـافظْ عليـه تلـقَ سـعداً مؤبـداً   وخـذْ جامَـهُ واشـربْ بغيـر مَـلامِ

توفي عند غروب الشمس يوم الثلاثاء، رابع عشري شوال، سنة خمس بعد الألف، وصـلي عليه من الغد، بعد صلاة الظهر، ودفن غربي تربة باب الصغير ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٩٠] محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي، الغرناطي أصلاً وأباً، القصار لقباً[١].

مفتي فاس، وريحانة ذلك الكِناس، ومحدث المغرب الأقصى، الذي فضائله لا تعد ولا تحصى، وفقيه عصره، وعلامة قطره.

ولد سنة تسع وثلاثين وتسـعمائة ـ بتقديم التاء فيهما ـ وحفظ القرآن العظيم وجوَّده، وأخذ علوم الفقه والحديث عن ولي الله أبي النعيم رضوان ابن عبدالله الحمولي الفاسي، وعن المنفرد بالمنطق والكلام، وأصول الفقه والتبيان بفاس، جار الله محمد خروف الأنصاري التونسي، وعن الأستاذ أحمد النسُّولي، وعن أبي عبدالله محمد بن جلال، وغيرهم، من مشايخ المغرب.

وأخذ بالإجازة العامة عن شـيخ الإسـلام البـدر الغزي مفتي دمشق

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٢١)، وذكر وفاته فقال: «كانت وفاته في فاس سنة اثنتي عشرة بعد الألف ـ رحمه الله تعالى برحمته ـ»، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦)، «الإعلام بمن حل مراكش» (٥/ ٢٢٧)، «موسـوعة أعلام المغـرب نشر المثاني» (١١١٤).

ومحدثها، وعنه أخذ علماء العصر من أهل المغرب؛ كالشيخ العلامة أحمد المقري، ومحمد بن أبي بكر الدلائي القشتالي، والسيد عبد الهادي السجلماسي الحسني، وأبي عبدالله محمد بن يوسف أبي المحاسن العربي الفاسي.

وكان سوق المعقول كاسداً في فاس، فضلاً عن سائر أقطار المغرب، فنفق في زمانه ما كان كاسداً من سوق الأصلين، والمنطق، والبيان، وسائر العلوم؛ لأن أهل المغرب كانوا لا يعتنون بما عدا النحو والفقه والقراءات، مما يوصل إلى الرياسة الدنيوية، وكان من قبل هذا القرن فيه ـ أيضاً ـ كذلك وأكثر.

إلى أن رحل البيستني إلى المشرق، فأتى بشيء من ذلك، ثم ورد الشيخ خروف التونسي، وكان إمام ذلك كله، والمقدم فيه، إلا أنه جاء من غير كتب؛ لابتلائه بالأسر، وغرقِ كتبه في البحر، ومع ذلك كانت بلسانه عُجمة، مع ميله إلى الخمول، فلم يقدروا قدره.

وإنما انتفع به الشيخ أحمد المنجور، والشيخ القصار صاحب الترجمة، وكانت للمنجور مشاركةٌ في فنونٍ كثيرةٍ، وتنقيح عبارةٍ ومعرفةٍ بالتدريس، وكان للقصار عبارة قاصرة، مع زيادة تحقيق، وكمال معرفة وتحرير، وغوص على المسائل، فما انتفع به إلا من صلحت نيته، ولم يثنه عنه عبارةٌ ولا خمول، وإليه وإلى المنجور مرجعُ شيوخ المغرب، مع ملازمة القصار أكثر؛ لانفراده بعده.

ومن نظم القصار قوله:

تسعٌ أبى منها أولو ... الأحلام والهمم السنية

إلا بحـــالِ ضـــــرورةٍ　　تـدعو لهـا مـع حـسن نيـةْ

وهـــي الـــشهادةُ والوســـا　　طـةُ والحكومـةُ فـي القـضيةْ

وكـــذا الإمامـــةُ والوديـــ　　ـــعةُ والتعـــرُّضُ للوصـــيةْ

ثـــم الإجابـــةُ للطعـــا　　مِ والـــولائم والهديـــةْ

فـــسدَ الزمـــانُ وأهلُـــه　　إلا القليـــلُ مـــن البريـــةْ

[٢٩١] السلطان محمد خان بن مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان[1].

سلطان البرين والبحرين، وخادم الحرمين الشريفين، تولى السلطنة بعد والده سنة ثلاث بعد الألف، وكان عمره خمس عشرة سنة، وكانت سلطنته خالية من الكدر والاختلاط.

وغـزا الكفـار، ففتـح أكرى، بعد أن تجيشـت عليه عساكر النصارى المجـر، في عدد يزيـد ـ على ما قيل ـ، على أربعمائة ألف مقاتل، وفر عن السـلطان أكثر عسـاكره، حتى نزلت النصارى على خزينته، وطلب الخوجا سعد الدين، وكان صحبته، فحضر بين يديه، فجعل يثبته، ويستنهض عساكره الخاصة.

فلم يكن بأسرع من أن كُسرت النصارى، وولوا منهزمين، ووقع السيف فيهم وهم فارون، حتى قتل بعضهم بعضاً من الزحام وغيره، وحصل الفتح

---

(١) «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٢) (٤٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢١٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩٦)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١١٢٤)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٥٢٥)، وذكر وفاته في ١٠١٢هـ.

والنصر، وشاهد جماعة من الصلحاء الأعيان سيدَ ولد عدنان محمداً ﷺ، وجماعةً من الصحابة يقاتلون معه هؤلاء الكفرة.

وقد أُفرد لذلك مؤلفٌ باللغة التركية، وآخر بالعربية، وجاء تاريخ موته: (مات السلطان محمد بن مراد) وقيل في تاريخ سلطنة ولده: (وسلطن السلطان أحمد على العباد) ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٩٢] السيد محمد بن موسى بن محمد الحجّازي؛ نسبة إلى الأمير عز الدين حجاز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبدالله بن طاهر بن يحيى بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، الحسيني المالكي المدني[1].

أحد الفضلاء الأعيان، وواحد أئمة البيان، أحرز من الأدب طرفاً، وحوى منه جانباً مستظرفاً، كانت له بمصر منزلةٌ ومكانةٌ، وتولى بها النيابة في القضاء بمحكمة طولون، وقصد الناس محله ومكانه.

وكان ملازماً للاشتغال بالعلم، ومن شيوخه: محمد بن محمد العزي الحنفي، وخاتمة الفقهاء علي الأجهوري، لازمه سنين عديدة، وعبد الواحد الرشيدي إمام برج مغيزل، والشيخ مرعي الحنبلي، وله مؤلفاتٌ مفيدةٌ، منها: «شرح الأندلسية في العروض»، و«نظم أم البراهين»، وكانت وفاته بمصر سنة خمس وستين وألف.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٦٣٦) (٣٦٠)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٩٩)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١١٩).

ومن شعره قوله في النعال الشريفة النبوية:

مذ شاهدتْ عيناي شكلَ نعاله		خطرتْ عليَّ خواطرٌ بمثالِهِ
فغدوتُ مشغولَ الفؤاد مفكِّراً		متمنياً أني شِراكُ نعالِهِ
حتى ألامسَ أَخْمَصيه ملاطِفاً		قَدَماً لمن كسف الدجى بجمالِهِ
يا عينُ إن شطَّ الحبيبُ ولم أجد		سبباً إلى تقريبه ووصالِهِ
فلقد قنعتُ برؤيتي آثارَهُ		فأمرغُ الخدينِ في أطلالِهِ

وأصل هذا قول علاء الدين بن سلام بن جلال الدين بن خطيب داريّا:

يا عينُ إن بعدَ الحبيبُ ودارُه		ونأتْ مراتعُه وشطَّ مزارُهُ
فلقد ظفرتُ من الزمان بطائلٍ		إن لم تَرَيْهِ فهذِهِ آثارُهُ

ومثله قول لسان الدين بن الخطيب السَّلماني:

إن بانَ منزلُه وشطَّ مزارُه		قامت مقامَ عيانِه أخبارُهُ
قَسِّمْ زمانَك عَبرةً أو عِبرةً		هذا ثراهُ وهذه آثارُهُ

ومن شعره أيضاً يمدح السيد زكريا نقيب الأشراف بمصر:

إن بُعدي وغُربتي واشتياقي		وافتراقي كفرقةِ الاعتزالِ
واصطباري على المقام هواناً		بين قومٍ كعصبةِ الدجَّالِ
لم يُفيدوا علماً ولم يَستفيدوا		إن فيهم تهافتاً مع جدالِ
وتقضّى الزمانُ في تُرَّهات		آفةُ العلم قلةُ الاشتغالِ
لا حياة هنية في عيالٍ		وارتكابِ لأخبثِ الأعمالِ

وهي طويلةٌ.

ومن شعره: قوله ينبئ عن حاله:

لو أن ما بـيَ بـالأقلام مـا مُـشقت ... وصيّر الصّمَّ مثلَ العهن وامتشقت

وكُوّر الشمسُ والبدرُ المنيـر معـاً ... والنجمُ يُطمس والأيامُ لا اعتسفت

أو بالميـاه لغاضـت مـن بحيرتهـا ... أم مزنِ سحبٍ لأفناها وما غـدقت

أو بالنباتِ وبالأشجار وما خضلت ... كذاك بالدهرِ والأفلاكِ ما خلقت

ومنها:

توهم الـدهرُ أنـي قـد فـضلْت بـه ... حكمُ الظنون لعمري وهي ما صدقَتْ

استعملَ الدهُر جثماني لـه غرضـاً ... بأَسْهُمٍ وسطَ أحشائي لقد رشـقَتْ

صبرٌ جميل وحسنُ الظن لي أمـلٌ ... فقسمة الرزق تأتي حسبما قُسِمَتْ

فـإنني أرتجـي حـسناً لخـاتمتي ... فالنفسُ من رِّبها بالفوزِ قد وَثِقَـتْ

لم نتعظْ بنـذيرِ الـشيب مع هـرمٍ ... فإنها في بحورِ الذنب قـد غرقَـتْ

ومنها:

فحـسبها فطـرةُ الإسـلام معتقَـدٌ ... وخوفُ نار لأهل الزيغ قد حرقَتْ

نجاتُها الفوزُ بالجنات فـي غُـرَفٍ ... حتى أراها نسيم العَرف قد نشقَتْ

شفاعةُ المصطفى الهادي الذي ثبتت ... له الـشفاعةُ والآيـات قـد نطقَـتْ

عليه أزكـى سـلامٍ طـاب منـشقها ... مع السلام بطيِّ النـشرِ قـد عبقَـتْ

والآلِ والصحبِ رضوانٌ لهم أبـداً ... بحسنِ نظمٍ على طول المدى اتسقَتْ

[٢٩٣] محمد بن موسى بن علي العُسيلي الشافعي المقدسي(١).

كان من أجلاء علماء بيت المقدس في عصره، أخذ عن محمد شرف الدين، وعن العارف بالله محمد الدّجاني، شارح الألفية، وقدم مصر، وأخذ بها عن جماعةٍ، منهم: الشمس محمد الرملي.

وله مؤلفاتٌ، منها: «نظم القطر لابن هشام»، و«حاشيةٌ على شرحه للفاكهي»، و«حاشيةٌ على شرح القواعد للشيخ خالد»، و«حاشيةٌ على شرح الألفية لابن الناظم».

ولم أقف على وفاته، إلا أني وقفت على تقريظٍ على «حاشية الفاكهي» للعلامة أحمد بن محمد الكواكبي، أثنى فيه على المترجم كثيراً، وأرخه سنة ألف وأربع عشرة، وكان موجوداً ـ رحمه الله تعالى ـ(٢).

[٢٩٤] محمد بن موسى البوسنوي(٣).

كان إماماً فاضلاً، له براعة في علم المعقولات، له «تعليقةٌ على البيضاوي» وصل فيها إلى آخر سورة الأنعام، وكتبها على طريق الإيجاز، بل على سبيل التعمية والإلغاز، و«حاشيةٌ على شرح المفتاح للسيد»، وله «شرح على الشمسية» ممزوجٌ بديعٌ.

توفي سنة ست وأربعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٤)، وذكر وفاته فقال: «وكانت وفاته في سنة إحدى وثلاثين وألف»، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١١٩).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض ثلاثة أسطر».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٠٢)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١١٩).

[٢٩٥] **محمد أبو عبدالله بن موسى السريعي الفجاج المغربي المالكي.**

كان شيخاً جليل القدر، كثير المكاشفات، أخذ عن أبي عبدالله الصباغ القصري وغيره، وعنه كثير؛ كالشيخ عبد القادر الفاسي، وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٩٦] **محمد بن نور الدين الجَيْلاني.**

صاحب العمشة، وهي قريةٌ بأعلى الصلبة، من المخلاف[1] السليماني، كان من أعيان العلماء المفيدين، عابداً ناسكاً، يختم في رمضان القرآن كل يوم بين الظهرين.

انتهت إليه في عصره رياسة الفقه والتدريس، في بلاد لاعة، وممن أخذ عنه: علي بن محمد مطير، في سنة عشر وألف، ومولده سنة عشرين وتسعمائة[2].

[٢٩٧] **محمد أبو سرْين بن المقبول بن عثمان بن أحمد بن موسى ابن أبي بكر بن عيسى ابن الشيخ صفي الدين أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي، صاحب اللُّحَيَّة[3].**

ليست تحضرني عبارة تنبئ عن محله، وعلو منزلته في العلم والولاية، والقدم الثابت في مراقبة الله والرعاية، سارت بذكره الركبان، وبلغ الشرق والغرب ما له من علو المكانة.

---

(١) في الأصل: المخالف، والصواب هو المثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٢٨).

كان في عصره مرجع «اللحية» وما والاها من القرى، والعرب مطيعون له إطاعة الأمراء، وكانت دولة الأتراك لا تصدر إلا عن رأيه وإشارته، ولا تخرج جميع الحكام عن طاعته، وكان رئيساً عالي الهمة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، صاحب عبادة وزهادة، مُمَدّاً من الله سبحانه بالسعادة، حافظاً للقرآن العظيم عن ظهر قلب، كثير التلاوة له، عظيم القيام به.

وكانت «اللحية» في زمنه كالحديقة المزهرة، ووجوه بني الزيلعي بنور وجهه ضاحكةٌ مستبشرة، وهو مرجعُهم في المهمات، والمدار عليه من بينهم في الملمات، وله المهابة في القلوب، والجلالة في النفوس، وبرؤيته ينجلي كل هم وبوس، وكان من الكرم في ذروته العالية، ومن التواضع بمكانةٍ عاليةٍ، مقدماً في قومه، معظماً في عشيرته.

ولد سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وخمسين وتسعمائة باللحية، وبها نشأ على خير وفي خير، وكنى بأبي سرّين؛ لأنه كان له سرتان، ولما وُلد، واجتمع الناس من أصحاب والده لتسميته في سابعه، أتى به أبوه إليهم، ووضعه بينهم، وقال لهم: من يقدر منكم يرفع رأسه من الأرض فأخذ كل منهم برأسه، فلم يقدروا على رفعه، فقال لهم والده: هذا صاحب المنصب بعدي، وكان له إخوة كبار أمهم عربية، وصاحب الترجمة أمه أم ولد، فأراد والده تنبيههم على ذلك، وأنه الأحق بما هنالك، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

وله مع الأتراك وقائع كثيرة، وكراماتٌ شهيرة، وكان لا يتعرض له أحد بسوءٍ إلا عطب، وتصرفه في عصره مشهور، وعند جميع الناس مذكور، وكانت وفاته ثاني شهر رمضان، سنة ثمان وأربعين وألف، وعمره ثمانون سنة.

ومن كراماته: أنه وُشي به إلى السيد الحسن ابن الإمام القاسم: أنه يُعين الأتراك، ويُمدهم بمال من عنده، ويقدم لهم الهدايا، ويحثهم على محاربة الأئمة، فأرسلَ إليه جماعةً من أتباعه يأمره بالوصول إليه، فأتوا به إليه، وهو مريضٌ محمولٌ على سرير، وكان أراد قتله بمجرد وصوله إليه، فلما أتوا به إليه، ورآه، أجلَّه وأكرمه، واعتذر له من فعله، وأمر برجوعه إلى بلده مجللاً معظماً، ثم اشتغل عنه، فأرسل إليه: إني مريض، ومرادي أموت ببلدي فجهزني سريعاً، واعلم أنك ميت على أثري، فجهزه لوقته، ورجع إلى بلده «اللحية»، فلما وصل إليها، جلس أياماً قليلةً، وتوفي إلى ـ رحمة الله ـ، ومات في إثره السيد الحسن بن القاسم؛ كما ذكر المترجم له ـ رحم الله الجميع بمنّه ـ.

[٢٩٨] محمد بن إلياس المدني الحنفي الخطيب[1].

أحد الفضلاء الأكياس، المثرين من نقود الآداب الفائقة، على نفود الأكياس، طابت أنفاسه بأنفاس «طابه»، وملأ من نفائس الآداب والفضائل وِطابهَ، فهو إذا خطب، خطب عرائس الأفكار، وأجيب إليها، ونصت عليه في أرائك البلاغة، فبنى عليها.

وإذا كتب، كبت العدوَّ والحسود، وأقر بفضله السيدُ والمَسود، لم يزل في جوار رسول الله ﷺ، حتى انتقل إلى جوار ربه ليلة الأحد، ثاني شهر ربيع الثاني، سنة ست وسبعين بعد الألف، بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٧)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٦٩).

ومن شعره: ما كتبه مجيباً للقاضي تاج الدين المالكي، وقد أرسل إليه بهدية قوله:

مـولايَ قـدرُك أعلـى ... مـن كـل شـيء وأغلـى
وقـد بعثـت بمـا إن ... ينـسبْ لقـدرِكَ قَـلاَّ
ولا أراه يـوازي ... نـداك حاشـا وكَـلاَّ
مـن ذا يبـاري كريمـاً ... فـي الجـود حـاز المُعَلَّـى
أَمْ مَـنْ يجـاري جـواداً ... فـي حِليـةِ الفـضل جلَّـى
فاقبـلْ لتـشفعَ فـضلاً ... بـه تَطَوَّلْـتَ فـضلا

فأجابه القاضي تاج الدين بقوله:

يـا سـيداً وإمامـاً ... قـد طـاب فرعـاً وأصـلا
حـزتَ المكـارمَ قـدماً ... وطبـتَ قـولاً وفعـلا
غمـرْتَ بـالجود عبـداً ... لا زلْـتَ للفـضلِ أهـلا
ودمـتْ مـولًى كريمـاً ... فأنـت أحـرى وأولـى

[٢٩٩] أبو السعادات محمد بن محب الدين بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري المكي، إمامُ المقام الشريف[١].

وُلد ليلة الخميس، سابع عشري رمضان، سنة سبعين وتسعمائة، وكان

---

(١) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ٤٣.

طالع ولادته، كما وجد بخط أبيه البطين، في برج الجوزاء.

وحفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح في مقام إبراهيم، وأمّ بالناس، وحفظ عدة متون، منها: «البهجة الوردية» في الفقه، و«ألفية ابن مالك»، وعرض محفوظاته على مشايخ عصره، وكتبوا له الإجازات، وكان حسن الخَلق والخُلق، جميل السيرة، أخذ عن الشيخ أبي البقاء العمري.

وتوفي سنة ست بعد الألف، ودفن في تربة جماعة الطبريين ـ رحمهم الله تعالى ـ، ذكره الشيخ عبد القادر الطبري، في «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[٣٠٠] محمد ابن الفقيه معروف بن عبدالله بن أحمد العصبي باجمّال[١].

أحد عباد الله الصالحين المواظبين على طاعة رب العالمين، كان ورعاً زاهداً قانعاً، يحب الخمول، ويكره الشهرة، محباً للصالحين، حسن الظن بالمسلمين، صحب خالداً العارف بالله عبدالله بن عمر باجمّال، وحصلت له نظرات ولحظات ودعوات، ظهر عليه بسببها عظيم البركات.

وله صدقات كثيرة، وأوقاف شهيرة، منها: بناء المسجد المعروف بالحمام في وسط مدينة «الغرفة»، وآبار كثيرة وقفها على المسلمين، وله أوقاف على مساجد بمدينة «هَيْنَن» وأوقاف على قرابته، وصدقات تقسم على الفقراء يوم عاشوراء، وحصل كتباً كثيرة، ووقفها، ووقف على عمارتها، هذا مع قلة ماله، وليس له صنعة ولا تجارة، وكان إذا رئي، ذكر الله، محبوباً عند الناس، معتقداً مقبولاً، توفي ليلة السبت منتصف صفر سنة اثنتين وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٣٥).

وآلُ باجمّال، قال الفقيه عبد الرحمن بن سراج في كتابه «مواهب البر الرؤوف بمناقب الشيخ معروف»: من المعلوم قديماً وحديثاً أنهم بيت علم وصلاح، ولهم من شرف النسب وكرم التقوى الحظُّ الأوفر، لم تزل رفعتهم وعظمتهم واحترامهم عند السلاطين والملوك وكافة الأنام أشهر من الشمس في رابعة النهار، لا يجهل مقدارهم، ولا يضام جوارهم، وأموالهم مصونة محترمة، وأعراضهم مبجَّلة مكرَّمة إكراماً وتعظيماً لشعائر الدين؛ إذ هم موضحو شريعة سيد المرسلين.

وقال الفقيه أحمد بن محمد باجمّال الأصبحي في كتاب «مطالع الأنوار في بروج الجمال ببيان مناقب آل باجمّال»: إن باجمَّال ـ بتشديد الميم ـ ينسبون إلى كِنْدَة القبيلةِ المشهورة، وكانوا ملوك حضرموت في الجاهلية.

ونقل عن محمد بن عبد الرحمن بن سراج: أنه قال في «مواهب البر الرؤوف»: إن جد آل باجمّال ثور بن مُرَتِّع ـ بضم الميم وفتح الراء وكسر المثناة الفوقية المشددة ـ ابن معاوية بن ثور بن عفير، وثور بن عفير هذا هو كندة كما في «التهذيب»، وكانوا ولاة ثور، فأخذها آل بانجار، فانتقلوا إلى شبام، وجدهم الجامع لجميعهم هو الشيخ أحمد بن إبراهيم، فجميعهم منسوبون إليه، وكان معاصراً للشيخ عبدالله بن محمد باعبّاد القديم.

ثم قال: فإذا كانت القبيلة منحصرة في جدٍ معلومٍ، وتشعب أولاده أفخاذاً، فإذا مات واحدٌ منهم، وجُهل أقربهم إليه، مع تحقق أن جد هؤلاء الموجودين والميت زيد، لكن جهلت الوسائط، فقد اختلف المتأخرون، فأفتى أبو قضام: بأنه لا بد من ذكر المتوسطين، بين الميت والجد المذكور والأحياء والجد هذا؛ لتعرف اتصالهم المعدودة.

وأفتى به جماعة من الفقهاء، تبعاً لأبي قضام، وخالف العلامة عبدالله ابن عمر بامخرمة، وقال: هذا من الإرث المحصور بالاستحقاق، قال: ومحل معرفة الوسائط في القبيلة المنتشرة، وأما مع الانحصار المحقق، فلا يحتاج لمعرفة الوسائط.

فإن عُلم أعلى درجة من أولئك، فالإرث له، وإن لم يُعلم، وادعى ذلك كل واحدٍ من أرباب الميراث المحصورين، في ذلك الجد المذكور، فيوقف الميراث إلى تقارّهم بالأقرب، أو مناقلتهم بالنذر لأحدهم؛ لأن ـ الإرث والحالة هذه ـ محققٌ محصورٌ فيهم.

وجرى على ما قاله أبو مخرمة الفقيهُ عبدالله بن سراج، قال: وفي كلام العلامة الشهاب أحمد بن حجر ما يشهد لذلك، والذي نعتمد: ما قاله أبو مخرمة؛ لأن العلة مقتضيةٌ لذلك، والله أعلم.

[٣٠١] الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام الملقب بالمنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد ابن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن يوسف الملقب بالأشل بن القاسم ابن الإمام يوسف الداعي ابن الإمام المنصور يحيى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين صاحب «صعدة» ابن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ[1].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٢٢)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٠٤٩) (٦٦٤)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٣٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٤٨) (١٩٥)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦).

كتب إلي شيخنا القاضي العلامة الحسين بن الناصر المهلا في ترجمته:
إنه السيد الذي ظهرت فضائله في البلاد، وأذعن لها كل حاضر وباد، وأوتي من الإحاطة بالعلوم، وصدق الفراسة، وتنوير القلب، وصفاء الخاطر، ما لم يؤتَ غيرُه.

ولي الإمامة بعد والده، فقام بأعبائها، مباشراً للأمور بنفسه، لا ينام من الليل إلا قليلاً، وكان محباً للفقراء، حافظاً للبلاد، أصلح الله بولايته بين الخلق، العدو وعدوه فإنهما إخوان، وأمَّن الله الطرقات في أيامه ببركة نيته.

ومكث في الإمامة نحواً من سبع وعشرين سنة، لم ينكب فيها، ولم يشاجر إلا قليلاً، واجتمعت كلمة اليمن إليه، وأخرج منه عساكر الروم، الذين كانوا من بقية جند السلطنة بأسرهم، وأقبلت عليه الفتوحات، من كل الجهات، وقام بنصرته إخوته: الحسن، والحسين، وأحمد أبو طالب، وإسماعيل.

واستوزر جماعةً، منهم: الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، واختصه بمجالس النظر الخاصة في العلوم، ولم يزل في ازدياد، إلى أن توفي يوم الخميس بين الظهرين، سابع وعشري رجب، سنة أربع وخمسين وألف، بشهارة، ودفن بقبة والده.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، تشتمل على علمٍ واسعٍ، وأجوبةٍ في أنواع العلوم، مشهورةٍ بين الأفاضل.

ولما توفي، بويع بالخلافة ولي عهده، أخوه وشقيقه أحمد أبو طالب، بشهارة، ثم دعا أخوه إسماعيل إلى نفسه، بطوران، فبايعه جمعٌ من الناس، وكذلك دعا السيد محمد بن الحسن بن القاسم إلى نفسه، فبايعه أهل اليمن، في «أب»، و«ذي جبلة»، وما بينهما، ولقب نفسه بالهادي.

ودعا السيد إبراهيم بن محمد ـ عُرف بابن حورية ـ ببلاد صعدة، ثم بايع الإمام المتوكل، ولما تفاقم الأمر، وتفرقت الأحوال، اتفق رأي العقلاء، فاجتمع السيد محمد بن الحسن، وأخوه السيد أحمد، وجماعةٌ، وفوضوا الأمر إلى إسماعيل، فبايعوه.

وكان رأياً سديداً، وعزماً حميداً، فأقبلت عليه الناس، وأمراء البلدان من كل جهة، وأطاعوه، وجهز على أخيه السيد أحمد أبي طالب، السيدَ محمدَ ابنَ الحسين، فسار يريد مدينة «ثلا»، فلما علم بقدومه أحمد أبو طالب، أغار من «شهارة» بأعيان من فيها، وصحبته القاضي أحمد بن سعد الدين، وجماعةٌ من الكبراء، منهم: إبراهيم بن أحمد بن عامر، فالتقى الجمعان فيما بين الطريق إلى «ثلا»، واقتتلوا، فكانت الطائلة لجماعة إسماعيل، واجتاز أحمد أبو طالب في ثلا، فحصروه فيها.

ثم قدم أحمد أبو طالب إلى أخيه إسماعيل، من ثلا إلى ضوران، فسلم له الأمور، وبايعه يوم عيد الفطر، سنة أربع وخمسين وألف، وصحبته الأمير الناصر بن عبد البر صاحب «كوكبان»، والناصر بن راجح، وجمعٌ من الأعيان، وكان يوماً مشهوداً لاجتماع عصا المسلمين، وإصلاح ذات البين، ثم توجه أحمد أبو طالب إلى صعدة، متولياً عليها من قبل أخيه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ـ رحمهم الله ـ.

وكان في المترجَم من حسن الخلق والدهاء ما يعجز الوصف، وبَعُد صيته حتى قصده الناس من الهند والبصرة والأحساء والقطيف والعراق وبلاد فارس، واجتمعت عنده الأخلاط، وامتدت إليه الأطماع؛ لكرمه وإحسانه، وخضعت له الرؤوس، ودان له كل متمرد.

وكان شديد الانتقام لمجاوزة الحدود، فطفيت نار الفساد، وخاف المرتاب، وكان لا يشتغل عن خدمة العلم والقراءة طرفي النهار، ولما اتسعت عليه المملكة، ونظرت إليه العيون، صار بعيد المرام، لا يقضي الحاجة إلا بعد شهور، حتى كان بعض الوفاد يجلس نحو خمسة أشهر، إلا أن كفايته على الإمام، ثم إذا فسح له، وقَّع ما عليه من الديون وقضاها.

وكان شديد الشكيمة، لا يبالي من أحد، ولو شُكاي عليه من نفسه، لأنصف منها، ولما شكا أهل «الحيمة» إليه من أخيه السيد الحسين، عزله عن عمله.

ومن حسن سياسته: أن أخاه لما عزله من الحيمة، جرت بينهما منابذة، ثم أتاه الحسين يزوره، في نحو ثلاثة آلاف وستمائة، فأقاموا ببيت القابعي أياماً، ثم طلب الإمام أهل الإدراك، وكساهم ألفاً[1] وسبعمائة كسوةٍ من الجوخ وغيره، وأعطى سائر العساكر، كل نفر قرشاً، ثم طلب رؤوس العساكر، وقال لهم: أنتم مستوفون معلومكم، في كل شهر، أم يماطلكم الحسين؟ فقالوا: بل يماطلنا، فقال: ليوقع كل واحد من الرؤوس ما بقي لأصحابه، ففعلوا، فأعطوهم جميع ما وقعوه.

فلم يعرف السيد الحسين، إلا والعسكر قد تفرق عنه، ولم يبق معه إلا ذووه[2]، فحينئذ طلبه الإمام المؤيد، وقال له: يا حسين! اطلع اقرأ في «شهارة»، فإني أخاف عليك أن تنسى العلم، فامتثل أمره، وطلع، وكُفي أمره وفتنته.

---

(١) في الأصل: ألف، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: ذويه، والصواب ما أثبت.

ومن حسن سياسته: كان من تمرد، هرب إلى خولان، فحموه، فطلب مشايخهم وقال: ائتوني بقبائلكم أجمعين، فكانت تأتي كل قبيلة نحو ألف وأقل، فيكسوهم، ويعطيهم حتى ملك قلوبهم، واستمال أهل يافع، ووفدوا إليه، وأعطاهم مالاً كثيراً حتى صاروا تحت طاعته.

وفي زمنه كان أكثر الحجاج يأتون طريق السراة؛ لأمانها، مع كثرة من بها من المتلصصين، وكان من أراد من قبائل قحطان فساداً في طريق الحج، منعه مشايخهم؛ خوفاً من الإمام.

وكانت مراكب الهند تدخل إلى «جدة»، ويقولون: إن درهم جدة مبارك، فلما ولي الإمامة، ورأوا منه العدل الزائد، تركوا جدة، وصاروا يدخلون سواحل اليمن، وكانت تجارة مصر والحرمين، تأتي إلى المخا وعدن، ويشترون من تجار الهند.

وكان الإمام المؤيد أعانه على أخذ اليمن من الترك: أمورٌ:

منها: طول الهدنة، فاجتمعت إليه أموال، وانساقت إليه البلاد، وسلط طريق العدل والإنصاف.

ومنها: عقلة حيدر باشا بشرب الخمور، عن النظر في عواقب الأمور، حتى أن المشتكي كان يقف في بابه الشهر والشهرين، ولا ينصفه، واتخذ لنفسه مثل المِحَفَّة، تجرها الجمال والبغال، ويجلس فيها، ويتمشى إلى نحو الروضة.

ومنها: الظلم الذي ظهر في البلاد من الأتراك، فكادت النار تشتعل في أرجاء اليمن.

ومنها: حسن أخلاق الإمام، وبذل النائل، وإعطاء السائل، ولين

الجانب، والرفق بالطالب، مع الحزم والنظر في عواقب الأمور.

ومنها: كون أعوانه، جميع إخوانه، وهم أطوع له من بنانه.

ولما عزم على نبذ العهد، الذي كان بينه وبين الأتراك، وسبب ذلك: أن الفقيه العثماني كان يقبض للإمام الزكاة من تجار صنعاء، والنذور، فأمر حيدر باشا بقتله، فقتله صالح سعدان، فكتب إليه الإمام المؤيد أن يرسل إليه بقاتله، فأبى حيدر باشا، وحينئذٍ أرسل أخاه الحسين، فأخذ من الشرف، وأحاط بالجبال، فمر منه إلى أسفل حفاش، ثم حراز، وأشرف من حَضُور، ووصل أسفل قبلة جبل تَيْس، ومرلاعة، ثم حراز، ثم الحيمة، فحضور.

وأرسل أخاه أحمد أبا طالب، فداس المشرف، إلى جبل مضبعة عيال يزيد، وأرسل أخاه الحسن، فاخترق المشرق، إلى ذراع الكلب، وشنَّ الغارات، من كل الجهات، وسُقط في أيدي الترك، وفُلَّ حدُّهم، وقُطع سيفهم[1]، وأفاق حيدر باشا من سكرته، وندم على تفريطه، وسلمت له حصون حجَّة، وعمران، وكوكبان، ومدينة ثلا، وما والاها من البلاد.

ولما استقر له الأمر، وتمت له الكلمة، ودامت الأمانة، ثقلت على الناس، حتى إن بعض فقهاء الزيدية كتب كتاباً ورماه في شهادة؛ ليصل إلى الإمام، فوصل، وهو صورة سؤالات:

منها: هل يجوز للإمام بقاء الشكاة الشهر والشهرين؟

ومنها: هل يجوز للإمام التفريط في بيوت الأموال، بالعمارات، فلا يزال يعمر منها؟

---

(1) في الأصل: سيفه.

ومنها: هل يجوز للإمام أن يعلم بمنكرٍ يقدر على إزالته، فلا يزيله؟ وأسئلة كثيرة.

فأجاب عن الأول: أن وظيفة الإمام أن لا يعطل أمور المسلمين، ونحن نقضي كل يوم حوائج ناس كثيرين، لا نعطل يوماً غالباً.

وأجاب عن الثاني: بأننا لا نبني إلا ما تحققنا أن لبيت المال فيه مصلحة.

وأجاب عن الثالث: والسائل أراد أنهم علموا أن في عسكر السيد الحسن نساء ضربن لهن أمكنة، ويتهمن بالفجور، فأجاب: بأنا بحثنا فلم نجد إلا طالبة، أو شاكية، أو متعيشة لا ريبة تشهد عليها.

[٣٠٢] محمد بن علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف ابن محمد ـ حوي الدَّويلة بوزن الطويلة ـ ابن علي بن علوي بن الأستاذ الأعظم الفقيه المُقدم بن علي صاحب مرباط بن محمد بن علي خالع قسم بن علوي ابن محمد بن علوي بن عبيدالله ـ بالتصغير ـ بن أحمد بن عيسى بن محمد ابن علي العُريض بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، باعلوي الحسيني التريمي نسباً(١).

كان عليه من شمس الضحى نور(٢)، ومن فلق الصباح عمود(٣)، سيد جليل المطالب، اللدني المواهب، حميد الصفات والمناقب، حسن النظر في

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٦٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٧).

(٢) في الأصل: نوراً، والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل: عموداً، والصواب ما أثبت.

إصلاح العواقب، عالمٌ حَسُن عملُه، وزاهدٌ قَصُر أمله، آثار فضله مأثورة، ومناقبه في جهته مشهورة.

ولد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، وأخذ عن والده، ولازمه حتى تخرج به، ولبس منه الخرقة، وسمع كثيراً من المحدثين، ولزم الطاعات، ولازم الجمعة والجماعات، وكان والده يثني عليه، ويشير إليه، ولما ولد، رأى والده وغيره في جبهته آية الكرسي، واعتقد بعض جهلة العوام: أنه المهدي المنتظر، ولم يزل مقيماً ببلده، حتى توفي عام اثنين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

وآل باعلوي منسوبون إلى علوي، وهذه النسبة ـ وإن لم تكن من وضع العربية ـ، ولكنها عُرفٌ لأهل الديار الحضرمية، فإنهم يلزمون الكنية الألف بكل حال على، لغة القصر، فيقولون لبني علوي: باعلوي، ولبني حسن: باحسن، ولبني حسين: باحسين.

وعلوي هو ابن عبيدالله بن أحمد بن عيسى؛ فإنه جدهم الأكبر، الجامع لنسبهم الأفخر، ونسبهم مجمعٌ عليه عند أهل التحقيق، متواترٌ عند أرباب التدقيق، مشهورٌ عند العلماء الأعيان، مذكورٌ في كتب هذا الشأن.

وقد اعتنى ببيانه جمعٌ كثيرٌ من العلماء، وجمٌّ غفيرٌ من الفضلاء، وذكر بعضهم أن السادة بني علوي، لما استقروا بحضرموت، أراد بعض أئمة ذلك الزمان أن يؤكد تلك النسبة المحمدية، والوصلة الأحمدية، فطلب منهم تصحيح نسبهم الشريف، وتحقيق شرفهم المنيف، بحجة شرعية، وأدلة مرضية.

فسافر الإمام شيخ الإسلام، الحافظ المجتهد، أبو الحسن علي بن محمد

ابن جديد، إلى العراق، وأثبت نسبهم، وأشهد على ذلك نحو مائة عدل، ممن يريد الحج، ثم أثبت ذلك بمكة المشرفة، وأشهد على ذلك جميع من حج من أهل حضرموت.

فقدم هؤلاء الشهود، في يوم مشهود، وشهدوا بثبوت نسبتهم المحمدية، وسلسلتهم النبوية، فعند ذلك انقشعت سحب الأوهام، وتبلجت غرة الشرف، وأميط عنها اللثام، ولقد أحسن من قال:

وجحودُ من جحدَ الصباحَ إذا بـدا   من بعدِ مـا انتـشرت لـه الأضـواءُ
مـا ذاك أن الـشمس لـيس بطـالع   بـــل أن عينـــاً أنكـــرت عميـــاءُ

وجديدُ المذكورُ ـ بفتح الجيم ودالين مهملتين بينهما تحتية ـ أخو علوي المذكور، وله أخٌ شقيقٌ آخر اسمه بصري، كانا إمامين عالمين، أفرد ترجمتهما بالتأليف، ولهما ذرية، اشتهر منهم جماعة بالعلوم الشرعية، والتفنن في العلوم العقلية، والاشتغال بالعبادة، وتوفي الثلاثة بقرية سُمَل ـ بضم المهملة وفتح الميم ـ وهي على نحو ستة أميال من مدينة تريم، سميت باسم الذي اختطها، ولا يعرف الآن إلا قبر علوي.

وقيل: إن جديداً انتقل ببيت جبير، وكانت رياسة العلم والفضل لبني بصري، ثم انقرضوا في أثناء القرن السادس، وانتقلت الرياسة لبني عمهم جديد بني عبيدالله، ثم انقرضوا على رأس المائة السادسة.

واختص الذكر المخلد، والثناء المنضد ببني علوي بن عبيدالله بن أحمد، فطبقوا الأرض، وعـم نفعُهم الطـول والعرض، ذكرُهم باقٍ على صفحات الزمان، معلوم عند القاصي والدان، وتوطنهـم حضرموت، إن الله لما أراد

بأهلها خيراً، أهدى لهم السيد المذكور، استقر بها هو وأهله ومواليه قاطبةً، وتديرًّها.

وكان سبب هجرة جدهم أحمد بن عيسى من البصرة وما والاها من البلاد: ما حصل بها من الفتن والأهوال، حتى وجبت الهجرة منها، فهاجر منها سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وسافر معه ولده عبدالله لصغره، وتخلف ولده محمد على أمواله، واستمر محمد بالبصرة إلى أن توفي بها.

وارتحل مع الإمام أحمد المذكور من بني عمه اثنان:

أحدهما: محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمد بن حمحام بن عون بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، جدُّ السادة بني الأهدل، وسيأتي الكلام عليهم.

والثاني: جد السادة الأشراف، بني قُديم ـ بضم القاف مصغراً ـ الذي اشتهر منهم كثيرون، وسيأتي ذكر جماعة منهم في هذا الكتاب.

وتوطن جد السادة المهادلة بوادي سهاد، والسيد الكبير جد بني قديم بوادي سُرْدُد، بضم المهملة ـ وسكون الراء، وضم الدال المهملة المكررة ـ.

وهذان الواديان مشهوران باليمن، خرج منهما كثيرون اشتهروا بالفضل والولاية، وقد ألف الشيخ العلامة محمد بن أبي بكر الأشحر رسالةً سماها: «در السمطين فيمن بوادي سردد من ذرية السبطين»، فقال جملة أبيات الحسنين...[1].

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الحسنين» بياض، سبعة أسطر بالأصل، ومكتوب على الهامش: يكتب من المشرع».

ثم قدم المدينة الشريفة ـ على ساكنها الصلاة والسلام ـ وأقام بها ذلك العام، وفي هذه السنة دخل أبو طاهر بن أبي سعيد القرمطي مكة المشرفة بعسكره يوم التروية، والناس حول الكعبة، ما بين مصلٍّ وطائفٍ ومشاهدٍ، فدخل المسجد الحرام بفرسه، وركض بسيفه، وهو سكران ووضع هو وجماعته السيف، وقتلوا في المطاف ألفاً وسبعمائة، ورموا بهم في بئر زمزم، وقتلوا خارج المسجد أكثر من ثلاثين ألفاً، وملؤوا بهم الآبار والحفر، ونهبوا الديار، وسبوا الصغار، وأخذوا خزانة الكعبة، وما فيها من القناديل والكسوة والباب، وقسم ذلك بين أصحابه، وطلع على الباب وأنشد:

أنا بالله وبالله أنا ... يخلقُ الخلقَ وأُفنيهم أنا

ولم يسلم إلا من اختفى في الجبال، ولم يقف بعرفة ذلك العام إلا قليل، وأمر بقلع الميزاب، فطلع لقلعه رجلٌ، فأصيب بسهم من أبي قبيس، فخر ميتاً، وطلع آخر، فسقط ميتاً، فهابوا، فقال أبو طاهر: اتركوه حتى يأتي صاحبه، يعني: المهدي، الذي يزعم أنه منهم، وأراد أخذ المقام، فلم يظفر؛ به، لأن سدنته غيبوه في بعض الشعاب، وصار بزندقته يقول:

فلو كان هذا البيت لله رَبَّنا ... لصبَّ علينا النارَ من فوقنا صَبًّا

لأنا حججنا حجةً جاهليةً ... مجللةً لم تبق شرقاً ولا غربا

وأنا تركنا بين زمزم والصفا ... جنائز لا تُبقي سوى ربها رَبَّا

وأول بلد أقام بها مدينة الهجرين، وهي من مدينة تريم على نحو مرحلتين منها، ثم سكن قارة بني جُشَير ـ بضم الجيم، وفتح الشين المعجمة، ثم ياء تحتية، ثم راء، تصغير جَشَر بالتحريك ـ وهو الرجل الغريب.

ولم تطب له، فرحل عنها، إلى الحُسَيِّسَة ـ بضم الحاء، وفتح السين المهملتين، بينهما تحتيةٌ مشددةٌ مكسورةٌ ـ، وهي قرية على نصف مرحلة من تريم، واستوطنها، وقام بنصرة السنة حتى استقامت بعد الاضمحلال، وطلعت شمسها بعد الزوال.

وأظهر إمامة الإمام الشافعي، بنشر مذهبه، وأقعد النسب الهاشمي في علياء رتبه، وتاب على يديه خلق كثير، ورجع عن البدعة إلى السنة جمٌّ غفيرٌ، ولم يزل كذلك حتى مات بالحسيسة.

واستوطن أولاده سُمَل، واشتروا بها أموالاً، ثم بعد برهة من الزمان، ارتحلوا عنها، وسكنوا بيت جُبَيرْ ـ بضم الجيم، فموحدة، فتحتية، فمهملة، تصغير جبر ـ، ثم توطنوا مدينة تريم، وكان حلولهم بها سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

وأول من سكنها منهم: السيد علي بن علوي الشهير بخالع قسم، وأخوه سالم، ومن في طبقتهما من بني بصري وجديد، وهي ـ بمثناة فوقية، فراء، فتحتية، وآخرها ميم بوزن عظيم ـ، سميت باسم الملك الذي اختطها، وهو تريم بن حضرموت، وقيل: إن الذي اختطها سعد الكامل، ومن أسمائها: الغنّا ـ بفتح الغين المعجمة، والنون المشددة ـ سميت بذلك؛ لكثرة أشجارها وأنهارها.

وتسمى: مدينة الصديق ﷺ؛ لأن عاملها زياد بن لبيد الأنصاري، لما دعا لبيعة الصديق، أول من أجابه أهل تريم، ولم يختلف عليه أحد منهم، وكتب بذلك، فدعا الله تعالى لها بثلاث دعوات: أن تكون معمورةً، وأن يبارك في مائها، وأن يكثر فيها الصالحون، ولهذا كان الشيخ محمد بن أبي

بكر باعياد يقول: إن الصديق ﷺ يشفع لأهل تريم خاصةً، وكان إذا ذكرت عنده يقول: سعد أهلها.

وأعظم خصائص هذه المدينة العظيمة: هذه الذرية السنية الكريمة، فلقد شرفت بهم وسمت، واتسمت من الفضائل بما أتسمت، فهي بهم كالعروس، تتهادى بين أقمار وشموس، ومن ثم قال بعض الصوفية: إنهم المعنيون بقوله ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»، فأكرمْ بها من بلدةٍ زكت بأطيب الفعال، وشرفت بأهل الكمال.

وما مدحت الديار، إلا لكونها محلاً للأخيار، وقد تكلم على جميع ما يتعلق بها، شيخُنا المقدسي الشريف العلامة محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي الحسيني، في كتابه «المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي»، وبيّن أخبارها كل البيان، وأحسن كل الإحسان، فليراجعه من أراد الوقوف على ذلك.

[٣٠٣] محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري المقري[١].

شيخُنا، نسبة إلى دار البقر على غير قياس، من قرى مصر، من أعمال المحلة، بناحية الغربية، وكناه الشيخ أبو الإكرام الوفائي بأبي حافظ، الإمام العالم، العامل الفاضل الكبير، البصير بقلبه، العارف بربه، المنفرد في عصره بعلوم القرآن، والمشهور فيها بمزيد الإتقان، مع الصلاح الظاهر، لكل باد وحاضر.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٥)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٦)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٧).

ولد سنة أربع عشرة وألف، كما أخبرني من لفظه، وعَمِيَ بالجدري، وعمره نحو سنتين، وقرأ القرآن ببلده، ثم قدم مصر، وقرأ بالروايات على جمعٍ، من أجلّهم: الشيخ الإمام عبد الرحمن بن شحاذة اليمني الشافعي، شيخ الفقهاء والقراء في زمانه، من طريق «الشاطبية»، و«الطيبة»، و«الدرة».

وبرع في علم القراءات والتجويد خصوصاً، واشتهر به بحيث إنه يستحضر جميع الوجوه من جميع الطرق، من غير مراجعةٍ وتكلف، واشتهرت بركته لمن قرأ عليه، وعم النفع به، وأخذ عنه خلق، وتخرجوا به، وانتفعوا الانتفاع التام، من المشرق والمغرب، وسارت بفضله وعظيم نفعه الركبان.

وروى الحديث والفقه، وغيرهما من العلوم النافعة، عن جمعٍ، منهم: شيخ الإسلام والمسلمين علي الحلبي، صاحب «السيرة النبوية»، والبرهان إبراهيم اللقاني، والشهاب أحمد المقري، والشمس محمد الشوبري، وعامر الشبراوي، وشهاب الدين القليوبي، ومحمد النحوي المشتهر بسيبويه، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم من مشايخ الأزهر الأنور، ممن يطول ذكرهم، وأجازوه، وله في كل علمٍ سهمٌ مصيبٌ، وحفظ عجيب.

ومصنفاته كثيرةٌ مفيدةٌ، منها: «شرح على الآجرومية» حسنٌ سهلٌ لطيفٌ، جمع فيه فوائد غريبة، ونكاتٍ[1] عجيبة، قرأت عليه طرفاً منه، وأجاز لي سائره، ومنها: كتاب «غنية الطالبين ومنية الراغبين» في علم التجويد، في نحو خمس كراريس، قرأته عليه كاملاً، وكتب لي في آخر نسختي إجازةً بخط

(١) في الأصل: ونكاتاً، والصواب ما أثبت.

تلميذه صاحِبنا الفاضل، الشيخ محمد البديري الدمياطي، الشهير بابن الميت، سنة خمس وثمانين وألف بالجامع الأزهر.

وقرأت عليه جميع «شرح الجزرية» لشيخ الإسلام والمسلمين أبي يحيى زكريا الأنصاري، وأجازني به، وبجميع ما يجوز له روايته، وقرأت عليه غالب «ألفية السيرة» للحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي، مع مراجعة شرحها، للشيخ عبد الرؤوف المناوي.

وطالعت معه كتباً كثيرةً، في فنون عديدة، وكنت كثير الاجتماع به، وبيني وبينه مودة أكيدة، وهو من المشهورين في الجامع الأزهر بالدين والعبادة، مواظباً للجماعة خلف الإمام الراتب، في الصف الأول فيه، مع ملازمة الصيام، وقيام الليل، وعدم التردد إلى الناس، إلا في مجالس الخير والقرآن ـ نفعني الله ببركاته، وأعاد عليّ وعليهم من بركات علومه، وجزاه خير جزائه ـ.

توفي في العشر الأول من شهر رجب، سنة ألف ومائة وعشرة بمصر، وصلى عليه ضحًى، بالجامع الأزهر، إماماً بالناس، الشيخُ أحمد المرحومي، ودفن بتربة المجاورين، بقرب تربة شيخنا البابلي ـ رحم الله الجميع بمنّه ـ آمين.

[٣٠٤] محمد بن صالح بن محمد بن صالح بن عبدالله بن حنش.

كان من أفضل أهل وقته، في سمته الحسن وخلقه، وإعراضه عن الدنيا وأهلها، طاهر القلب، قد اتفقت القلوب على محبته، والرضا بحكمه، وكان حاكم «ذيبين»، في أيام الإمام المؤيد بالله، وصدرٍ كبيرٍ من ولاية أخيه المتوكل

على الله، وكان راضياً بميسور العيشة، مع كمال العبادة، وتوفي بذيبين قبيل فجر ليلة الأحد، ثامن عشر رجب، سنة ثمان وستين وألف.

[٣٠٥] محمد بن مبارك باكُراع الحضرمي محتداً، المدني مولداً[١].

قال صاحب «السلافة»: أديبٌ مستعذب الموارد، مقتنص الأوابد والشوارد، إلى أدبٍ سندُ حديثه مسلسل، وعتيقُ رحيقه تسلسل، ومحاضرةٍ تنسى معها محاضرات الراغب، ومحاورة بوسى[٢] باسترواحها اللاغب، ونظمٍ نَظَم به عقود الجمان، وقلد بفرائده نحر العصر وجيد الزمان.

فمنه: ما كتبه إلى القاضي تاج الدين المالكي، مهنئاً له بالزيارة:

إكليلَ رأسِ المجدِ والفضلِ والتقى ... وسابقَ شأوِ السعدِ والعزِّ والبَها

ومن عُقد الاجماعُ واللهُ شاهدٌ ... على فضله عقلاً ونقلاً ولا ازدهى

قدمت بحمد الله تاجاً لدينه ... ودمتَ بشكر الله في حيمة السهى

وزرتَ رسولَ الله والحالُ منشدٌ ... هنيئاً مريئاً نالَ فضلك ما اشتهى

فأجابه بقوله:

أيا مَنْ حوى الإفضالَ والفضلَ والنهى ... وحاز التقى والدين والحسنَ والبَها

وأصبح فرداً في الكمال كأنما ... تصوّر في تكوينه مثل ما اشتهى

تطوّلْتَ لما أن بعثتَ برقعةٍ ... إذا ما حكاها الروضُ قيل تشبَّها

وكللتَ تاجي من جواهرِك التي ... تعالى بها قدراً على مفرق السهى

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٢)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٨٨).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: يوصى.

فدمتَ ولا زالت صفاتُك كلما تلاها محبٌّ زاد فيكَ تولُّها

توفي بالمدينة في نيف وسبعين وألف، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٠٦] شيخ محمد مرزا الرومي الحنفي.

من أحسن قضاة الدولة العثمانية في عصرنا، وأعفهم، وأصلحهم سيرة، قرأ على والده، وبه تخرج، وأخذ عن سليمان الواعظ، وخليل بن حسن، وغيرهم، في الفقه والتفسير والعربية وفنون العلوم، وبرع وترقى في المدارس، على عادة الروم.

وولي قضاء «أدرنة»، ثم قضاء مكة سنة ألف وعشرين، وكان بها في قيام الحق، ونصرة الدين، سيفاً ماضياً، وصار كل من أهل الصلاح به راضياً، وكانت سيرته في قضائه، في غاية الحسن؛ بحيث يضرب به المثل في العفة وحسن الخلق، أظهر فيه اليد البيضاء، ولم يلتفت بهمته المَسُودة إلى البيضاء والصفراء. **شعر:**

وما سمعنا قَطُّ أن امرءاً أهدى إليه شيئا ولا قد رشاه

ولم يزل في القضاء على سنن السنة سالكاً، ولمحرر رقها الموشى بالكتابة مالكاً.

وبالجملة: فهو من العلماء العاملين، وهو ـ والله ـ عفيفٌ نزهٌ، وله عرض مصون ما اتهم، وخبير بمداراة الورى، ومداراة الورى أمر مهم، حليم إلى الغاية، إلا في أمر الدين، ومصالح المسلمين، فإنه صلب يغضب لله تعالى، ويسمع غالب الدعاوى بنفسه، ولم يقبل من أحد هدية ولا رشوة على حكم، وانكسفت الظلمة في زمانه.

وجلستُ بمكة عمراً، ولم أر قاضياً أعفَّ وألطف وأورع منه، إلى فصاحة في العربية، وحسن طوية.

ولما عزل من مكة، وتوجه إلى قسطنطينية، بكى الناس عليه، وتأسفوا لعزله، وتمنوا لو دامت ولايته عليهم، ولجلالة قدره، وعظيم خطره، صاهره شيخُ الإسلام فيضُ الله أفندي المقتول، فزوجه ابنته، ولما قتل شيخ الإسلام، لم يحصل له من الدولة مكدر، كل ذلك لحسن سيرته، وسلامة طويته.

ولما كان قاضياً بمكة، أقرأ بمدرسة قايتباي «تفسير البيضاوي» قراءةً عجيبةً، يناظر فيها بين الحواشي، ويحكم بينهم، ووصل في القراءة إلى آخر سورة الفاتحة، وكنت ممن حضره فيه ـ زاده الله رفعة ـ.

ومما كتبته إليه، متمثلاً بقول بعض المتأخرين، وهو قاض بمكة:

يا مفردَ العصر في علمٍ ومعرفة ... وعفةٍ ما عهدتُها لمن سلفا
ورفعةٍ لمقام العلم مغترفاً ... من نهله ولأهل العلم معترفا
قد عز مقدارهُ أيامَ دولتكم ... وازداد مع شرفٍ فيه لكم شرفا

وبلغني أنه تولى قضاء القسطنطينية الآن.

[٣٠٧] محمد بن إسحاق ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي[1].

من أجلاء الأئمة القاسميين، وفضلاء العصر المشهورين، والأدباء

---

(١) «البدر الطالع» (٢/ ١٢٧)، «نسمة السحر» للصنعاني(١/ ٣٣١) (٢٨)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٠). ووفاته في ١١٦٧هـ.

المذكورين، مولده. . .[1]، اشتغل بما يعنيه، من أمور دينه ودنياه، وقرأ بصنعاء على مشايخ منهم. . .[2]، فأورق عودُه وأثمر، وإذا عُدَّت السجايا عرضاً، فسجاياه جوهر[3].

وبرع وأفاد، ونظم الشعر المستجاد، وأقر بفضله الأضداد، إلى حسن أخلاق، وطيب أعراق، ولا بدع في ذلك، فإنه من أهل بيت النبوة، ومعدن الفضل والفتوة، وماذا عسى يبلغ في المدح المثني عليهم، وقد قال أبو نواس، وقد ليم على عدم مدح الإمام علي بن موسى الرضا ﵇:

قيل لي أنت أشعرُ الناس طُرًّا بمقالٍ من البديعِ نبيهِ
فلماذا لم تمدحَنَّ ابنَ موسى والصفاتِ التي تجمَّعْنَ فيه
قلتُ لا أستطيع مدحَ إمام كان جبريلُ خادماً لأبيه

وحاصل شأنه: أنه روض فضل خصيب زاهر، وبحر علم لا ساحل له، وكم ترك الأول للآخر، ولأدبه وكماله، وعفة نفسه وجلاله، ولاه عمه إمامُ العصر، المهدي لدين الله محمد بن أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم، الأعمالَ المهمة، وسمعت عنه أنه يثني عليه كثيراً في مجالس عامة، ويصفه بالأوصاف الجميلة، وكمال العلم والتقوى، ومن شهد له خُزَيمة فحسبهُ.

وهو الآن ـ سلمه الله ـ متولي البلاد الوصابية، من مشاهير البلاد اليمانية، ولم يتفق لي الاجتماع به، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[الشورى: ٢٩]،

---

(١) ورد في الحاشية: «لم يذكر التاريخ».

(٢) ورد في الحاشية: «لم يذكر المشايخ».

(٣) في الأصل: جوهراً، والصواب ما أثبت.

وقد وقفت على كثيرٍ من شعره بمدينة ذمار، فمنه قوله: . . .[1].

[٣٠٨] السلطان محمد أوْرَنـك زيـب عَالَـم كير بن خُرّم شان جهان ابن جهان كير بن شاه أكْبَر بن أبي نصر محمد همايون بن أبي الفيض رواح الدين محمـد باكير بن عمر شـيخ بن أبي سعيد بأقران بن محمد بن محمد شاه بن مران شاه جهان كير ابن أمير تيمورلنك[2].

السلطان المشهور، سلطان الهند في عصرنا، وأمير المؤمنين وإمامهم، وركن المسلمين ونظامهم، المجاهد في سـبيل الله، سـلطان الهند، العالـم العلامة، الصوفي العارف بالله، الملك القائم بنصرة الدين، الذي أباد الكفار في أرضه، وقهرهم وهدم كنائسهم، وأضعف شوكتهم، وأيدَّ الإسلام، وأعلى في الهند مناره، وجعل كلمة الله هي العليا.

وقام بنصرة الدين، وأخذ الجزية من كفار الهند، ولم يأخذها منهم ملكٌ قبله؛ لقوتهم وكثرتهم، وفتحَ الفتوحات العظيمة، ولم يزل يغزوهم، وكلما قصد بلداً، ملكها، إلى أن نقله الله إلى دار كرامته، وهو في الجهاد.

وصرف أوقاته للقيام بمصالح الدين، وخدمة رب العالمين؛ من الصيام والقيام، والرياضة، التي لا يتيسـر بعضها لآحاد الناس، فضلاً عنه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكان موزعاً لأوقاته، فوقتٌ للعبادة، ووقت للدرس، ووقت لمصالح العساكر، ووقت للشكاة، ووقت لقراءة الكتب والأخبار الواردة عليه كل يوم

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياضٌ صفحة وثلث».

(٢) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ١١٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٤٦).

وليلة من مملكته، لا يخلط شيئاً بشيء.

والحاصل: أنه كان حسنةً من حسنات الزمان، ليس له نظير في نظام سلطنته ولا مُدان، وقد أُلفت في سلطنته، وحسن سيرته الكتبُ الطويلة بالفارسية وغيرها، فمن أرادها، فليطلع عليها.

مولده سنة ثمان وعشرين وألف، وجاء تاريخه بالفارسية: (أفتاب عالم تاب)، وربي في حجر والده، واشتغل بحفظ القرآن من صغره، حتى حفظه وجوده، واشتغل بالخط، حتى كتب الخط المنسوب، الذي يضرب بحسنه المثل، وكتب مصحفاً بخطه، وأرسله للحرم النبوي، وهو معروف.

ثم شرع في تحصيل العلوم، حتى حصل منها الكثير الطيب، وصار مرجعاً للعلماء، وحضرتُه محطُّ رحال الفضلاء، ثم اشتغل بعلوم الطريق، وأخذ عن كثيرٍ من أهله، العارفين بالله، حتى حصلت له نفحةٌ من بعض أولياء الله تعالى، وبشره بأشياء حصلت له.

واشتهر ذكره في حياة والده، وعظم قدره، وولاه الأعمال العظيمة، فباشرها أحسن مباشرة، ثم حصل على والده فالجٌ، عَطلَّه عن الحركة، وكان ولي عهده من بعده، أكبر أولاده دارَشَكُوه، فبسط يده على البلاد، وصار هو المرجع، والسلطان معنى.

فلم ترضى نفس المترجَمِ، وأخيه مراد بخش بذلك، فاتفقا على أن يقبضا عليه، ويتولى المملكة منهما مراد بخش، فقبضا عليه، فاحتال أورنك زيب على مراد بخش أيضاً، وقبض عليه، ووضع أخويه في الحبس، ثم قتلهما، لأمور صدرت منهما، زعم أنهما استوجبا ذلك، وحبس والده،

واستقل بالمملكة، من سنة ثمان وستين وألف.

وأراد الله بأهل الهند خيراً، فإنه رفع المظالم والمكوس، وطلع من الأفق الهندي فجره، وظهر من البرج التيموري بدرُه، وملكُ مجده دائر، ونجم سعده سائر، وأسر غالب ملوك الهند المشهورين، وصارت بلادهم تحت طاعته، وجبيت إليه الأموال، وأطاعته البلاد والعباد.

ولم يزل في الاجتهاد في الجهاد، ولم يرجع إلى مقر ملكه وسلطنته، بعد أن خرج منه، وكلما فتح بلاداً، شرع في فتح أخرى، وعساكره لا يحصون كثرةً، وعظمته وقوته لا يمكن التعبير عنها، بعبارة تؤديها حقها، والملك لله وحده، وأقام في الهند دولة العلم، وبالغ في تعظيم أهله، حتى قصده الناس، من كل البلاد.

والحاصل: أنه ليس في عصره نظيرٌ في ملوك الإسلام؛ في حسن السيرة، والخوف من الله سبحانه، والجد في العبادة، وأمرَ علماءَ بلاده الحنفيه أن يجمعوا باسمه فتاوى، تجمع جلَّ مذهبهم، مما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية، فجمعت في مجلدات، وسماها بـ: «الفتاوى العالم كيرية»، واشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية، وكتبتْ منها نسخ عديدة، وُجهت للأقطار، وعم النفع بها، وصارت مرجعاً للمفتين، ولم يزل على ذلك، حتى توفي بالدَّكن في شهر ذي القعدة، سنة ثمان عشرة ومائة وألف، ونقل إلى ترب آبائه وأجداده، وأقام بالملك خمسين سنة.

[٣٠٩] محمد بن علي الحصكفي الحنفي(١).

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٣) (٤١).

الشيخ العلامة شمس الدين، كان فاضلاً نحريراً، مدرساً بالعمرية، والجاركسية، كلاهما بالصالحية، سافر إلى الروم كثيراً، وأخذ عمن بها من علمائها، وكان كريماً، شهم النفس، له همةٌ عليةٌ في تحصيل الكمالات.

مات يوم الثلاثاء رابع عشري ربيع الثاني، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، عن نحو تسعين سنة ـ رحمه الله ـ.

[٣١٠] السيد محمد بن علي بن أحمد باقليد بن عبدالله الأعين ابن السيد العارف بالله محمد مولى عيديد، اشتهر جدُّه ببا فقيه[1].

أحد السادة الأفاضل، المشار إليهم بالأنامل، السالك طريق القوم، بالصلاة والصوم، ولد بمدينة تريم، وحفظ القرآن، وصحب جماعةً من أولي العرفان، وجمع بين المجد والدين، وسلك سبيل الأقدمين، وتمسك بالسبب الأقوى، من الدين والتقوى، وأكثر أنواع العبادات، والفضائل والقربات، إلى أن توفي في ربيع الأول سنة سبع بعد الألف، ودفن بمقبرة زنبل.

[٣١١] محمد بن علي العَلَمي المقدسي الحنفي سبط ابن أبي شريف[2].

الشيخ العلامة شمس الدين، طلب العلم ببيت المقدس، ثم رحل إلى مصر، وقرأ الفقه على أمين الدين بن عبد العال الحنفي، والزين بن نجيم صاحبِ «الأشباه»، وعلي المقدسي، وغيرهم، وأخذ النحو عن محمد الفارضي، وغيره.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٦٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥١).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٤) (٤٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٣).

ثم دخل دمشق، وقطنها آخراً، وصحب زين الدين بن سلطان، وكان يتردد إليه كثيراً، وعلى القاضي محب الدين الحموي، وكان القاضي محب الدين يعظمه كثيراً، وكان يفتي بعده.

وولي تدريس القضاعية الحنفية، بعد الشمس محمد بن المنقار، وكان صالحاً متواضعاً، حسن الاعتقاد في الناس، ليّن العريكة، حسن المودة، منصفاً في البحث، حسن الاستحضار.

قال النجم الغزي في «الذيل»: أنشدني المترجم، قال: أنشدنا شيخنا محمد الفارض المصري الحنبلي، وذكر أن القاضي البيضاوي خطّأ من أدغم الراء في اللام، ونسبه إلى أبي عمرو، فقال:

أنكر بعضُ الورى على من ... أدغمَ في اللام عند راء
ولا تخطِّئ أبا شعيب ... والحقُّ يغفر لمن يشاء

قال: وأنشدنا له:

اجررْ محلاً وانصبَنْ وارَفعْنا ... في ربنا مع أننا سمعنا

توفي يوم الاثنين، سابع ذي القعدة، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير، وصلى عليه أحمدُ العيثاوي، ولقَّنه ـ رحمه الله ـ.

[٣١٢] محمد بن علي بن محمد البعلي الشافعي[١].

الشيخ العلامة شمس الدين بن علاء الدين، كان مفتياً ببعلبك زمناً

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٧) (٤٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٤).

طويلاً، وكان فاضلاً متمكناً، له اطلاع على علومٍ كثيرةٍ، لكنه كان قليل الحظ في الدنيا، فألجأتـه الضـرورة، حين تداعـت بعلبك للخراب، بعد فتنة ابن جانبولا، وجلا أهلها عنها، فصار كاتباً بمحكمتها، ثم دخل إلى دمشق وتوطنها، ثم ألجأته الحاجة، وحب الوطن، فرجع إليها، وصار كاتباً بالمحكمة إلى أن مات يوم الاثنين، سـابع عشري ربيع الآخر، سنة أربع وعشرين بعد الألف ببعلبك وصُلي عليه غائبةً بدمشق، في الشهر المذكور ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣١٣] محمد بن علي بن إبراهيم الاسترابادي[١].

صاحب «كتب الرجال» الثلاثة المشهورة، نزيل مكة، كان عالماً كبيراً، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرح آيات الأحكام»، ورسائل مفيدة، توفي بها، لثلاث عشرة خلون من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٣١٤] محمد بن علي بن أحمـد الحرفوشـي الحريـري، الشـافعي العاملي[٢].

قال السيد علي في «سلافة العصر»: منار العلم السامي، وملتزَمُ كعبة الفضل وركنُها الشامي، ومشكاة الفضائل ومصباحها، المنير به مساؤها وصباحها، وخاتمة أئمة العربية الذي ألف بتآليفه أشتات الفنون، وصنف بتصانيفه الدر المكنون، وكان قد انتقل من الشام إلى ديار العجم، وقطن بها إلى أن توفي بها في ربيع الثاني سنة تسع وخمسين بعد الألف، ومن مصنفاته: «شرح الزبدة

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٣).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٩)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣١٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ١٨٩) (١١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٣).

في الأصول واللآلي السنية في شرح الآجرومية»، و«شرح على شرح القواعد الهشامية للكافيجي»، و«المختلف في النحو»، و«ظرائف النظام ولطائف الانسجام في محاسن الأشعار»، و«رسالة في الحال»، وغير ذلك.

وله الأدب الذي أينعت ثمارُ رياضه، وتبسمت أزهار حدائقه وغياضه، فحلا جناها لأذواق الأفهام، وأنشقَتْ عَرْفَها كلَّ ذي فهم فهام.

فمن مطرب كلامه، الذي سجعت به أغصان على أنامله عنادلُ أقلامه:

قوله مادحاً شيخه نور الدين الدمشقي، سنة ست وعشرين وألف:

إذا ما منحت جفوني الفرارا[1] ... فمرْ طارقَ الضيفِ يُدني المزارا

فعلَّكَ تُثلج قلباً به ... تأجَّجَ وجداً وزادَ استعارا

وأنى يزورُ فتًى قد براهُ ... مقام يُمِضُّ ولو زار حارا

خليليَ عَرِّجْ على رامةٍ ... لأنظرَ سلمى وتلك الديارا

وعُجْ بي على ربعِ مَنْ قد نأى ... لأسكبَ فيه الدموعَ الغِزارا

فقلبيَ من منذ ذم المطي ... ترحَّلَ عني إلى حيثُ سارا

فهل ناشدٌ لي وادي العقيـ ... ـقِ عنهُ فإني عدمتُ القرارا

بروحي رَشَأ فاتكٌ فاتنٌ ... إذا ما انثنى هامَ فيه العذارى

وإن ما رنا باللِّحاظِ انبرتْ ... قلوبُ الأنام لديه حَيارى

ومن عجب أنها لم تزلْ ... تعاقبُ بالحَدِّ وهي السُّكارى

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: القرارا.

وأعجـبُ مـن ذا رأينـا لهـا انـــ … ـكسـاراً يقـودُ إليهـا انتـصارا

ومنها:

ولـم أر مـن قبلـه سـافكاً … دماً ولـم يخشَ في القتـل ثـارا
يُعيـرُ الغزالـةَ مـن وجهـه … ضـياءً ويـسلب منهـا القـرارا
وتحمـي بمرهـفِ أجفانِـه … ضـياء مـن الـورد والجلنـارا
تملكننـي عنـوة والهـوى … إذا مـا أغـارَ الحِـذارَ الحِـذارا
يـروق العـذول إذا مـا رأى … غرامـي ويمنحنـي الاعتـذارا
ومـن رشـقه سـهام اللحـاظ … فقـد عـزّ بـزّ ونـاء اصـطبارا

ومنها:

حنانيـك لـستُ بـأولِ مـن … دعـاهُ الغـرام فلبَّـى جِهـارا
ولا أنـتَ أول صـبٍّ جنـى … على نفسِه حـين أضحى حيـارى
ترفَّـقْ بقلبـك واسـتَبْقِهِ … فقـد حكـم الوجـد فيـه وحـارا
وعُجْ عن حديث الهـوى وافـزعَنْ … إلى مدحِ من في العلا لا يجـارى

ومنها:

إمـامٌ توحّـد فـي المكرمـات … ونـال المعـاليَ والافتخـارا
وأدركَ شـأوَ العـلا يافعـاً … وألـبس شـانيه منـه الـصغارا
سـما فـي الكمـال إلـى غايـةٍ … وناهيـك مـن غايـة لا يبـارى
مناقبُـه لا يطيـق الـذَّكِيُّ … بيانـاً لمِعْـشارها وانحـصارا

غـــدا كعبـــةَ الاقتـــدا للـــورى وأضـحى لباغي الكمـالِ المنـارا

ومنها:

إليــــه المفــــاخرُ منقـــــادةٌ أبــت غيـرة أن تكـون الوجـارا
هــو البحـــر لا ينقــضي وصــفهُ فحـدث عـن البحـر تلـقَ اليسارا
إذا أظلــمَ البحــرُ عــن فكــره توقــد غــاد لديــه نهـــارا
يفيــد لراجــي المعـــالي العـــلا ويمـنح عمـا فـي يديـه النـضارا
وبكــــر تجـــــرِّرُ أذيالهــــا إليــك دلالاً وتــسعى بــدارا
أتتـك مـن الحـسن فـي مطـرف تثنـى قوامــاً أبـى الاهتــصارا
تَــضوعُ عبيـــراً وتختـــال فـــي ملابـسِ وشـيٍ أبـتْ أن تعـارا

ومنها:

تَــشَكّى إليــك زمانــاً جنـــى عليهـا بنـوهُ وكـانوا الـذمارا
وهَمُّــوا بإطفـــاء مـــصباحها فلـم يجـدوا حـين رامـوا اقتـدارا
فبـــاؤوا بخفّـــيْ حُنــينٍ وقـــد علاهـم خـساراً ونـالوا وبـارا
وكيـف وأنـت الـذي قـد قـدحت زنــاد ذكاهـــا وأوريــتَ نـــارا
فهـــاك عروســـاً ترجّـــي بـــأن يكــونَ القبــولُ لــديها اليـسارا

ومنها:

ومنـكَ إليـكَ أتـتْ إذ عـدوت[1] لهـا منـشأ واضـحاً والنجـارا

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: غدوت.

ودمْ واحـدَ الـدهر فـردَ الـورى تنـالُ سـموًّا وتحـوي وقـارا
مدى الدهر ما لاحَ شمسُ الضحى ونـاوحَ بلبـلُ دوحٍ هَـزارا
ووَاصَـل صـبا حبيـبٌ ومـا تـذكَّر نجـداً فحـنَّ ادكـارا

ومن مقاطيعه قوله:

كأنما الخالُ فوقَ الثغـر حين بـدا وقـد غـدا فتنـةَ الألبـاب والمُقَـلِ
هـذا[1] سـعى فـي روضـةٍ أُنُـفِ لمنهـلٍ راجيـاً رِيّـاً فلـم يَـصِلِ

وقوله:

أقامـت. . . . .[2] لأن فـي خـده تحـرس ذاك الـورد والجلنـارْ
كأنهـا حبـاتُ مـسكٍ علـى لـوحٍ مـن اليـاقوت أو مـن نُـضارْ

وقوله:

من لي بهيفاء أذكَتْ مـن تباعُـدِها في القلب ناراً ولم تسمح لمـضُنْاها
واهاً لها من فتاةٍ إن رنـت فعلَـتْ مـا لـيس يفعلُـه الهنـديُّ عيناهـا

وقوله:

يقولون في الغليون أفرطتَ رغبـةً ولـيس بـشيء تقتنيـه وتختـار
فقلـتُ لهـم مـا ذاك إلا لكونـهِ مضاهي ما لا ينفكُّ في قلبه النـارُ

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

[٣١٥] محمد بن علي بن صلاح بن محمد العباني.

ونسبه مذكورٌ في ترجمة أبيه، كان من وجوه أهل عصرنا، على منهاج آل محمد، يعرف نصوص العلماء، وأحوالهم وآثارهم، وله أشعارٌ حسنةٌ.

منها قوله:

مـــن خالفـــت أقوالُـــه أفعالَـــه ... تحولَـــتْ أفعالُـــه أفعـــى لَـــهْ

من أظهرَ السِّر الـذي فـي صـدرِه ... لغيـــرِه وَهَـــى لـــه وهَالَـــهُ

مـن لـم يكـنْ لـسانُه طوعـاً لـه ... فتركُـــه أقوالَـــه أقـــوى لَـــهُ

ومـن نـأى عـن الحـرامِ طالبـاً ... عـن رشـدِهِ حـلا لـه حلالُـهُ

توفي سنة ستين وألف.

[٣١٦] محمد بن علي بن عبدالله العيدروس، صاحب الشبيكة، ابن محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم ـ رحمهم الله ـ، المشهور كأبيه وجده بالعيدروس[1].

وهو السيد الذي رقي من المكارم ذراها، وتمسك من المحامد بأوثق عراها، ولد بمكة المشرفة، ونشأ بها، وأسبلت عليه الكعبة ستورها وثيابها، ورباه حجر السيادة، وحرك عهده ساعد السعادة، وحفظ القرآن، ولزم عبادة الرحمن، وتفقه بالشيخ عبد العزيز الزمزمي، والشيخ عبد القادر الطبري، وصحب أباه وغيره من أكابر الأولياء، وأئمة العلماء الأصفياء.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٥٦)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٦٨).

وظهر في حلل الجمال، ورتع في رياض الكمال، وكان واحدَ عصره في مصره بالإجماع، وشـيخ زمانه الذي تصغي لما يقوله الأسماع، وانتهت إليه الرئاسة، فملك أعنة المحاسـن، وورد مناهلها عذباً غير آسن، وكان يلبس الملابس الفاخرة، وتهابه الملوك إذا جلس للمحاضرة، لا ترد له شفاعة، ولو تكررت منه كل ساعة، وكانت الملوك تهدي إليه العطاء الفائق، فيجازيهم به الجزاء اللائق، وكان يقيم بمنى المدة المديدة، والأشهر العديدة، فيفد عليه الأعيـان، من القاصـي والـدان، فيكرمهم بالأطعمة الفاخرة، ويعمهم بخيراته المتصلة الوافرة، وكان يعطي عطاء جزيلاً، ولا يقبل له جزاء ولا بديلاً، وكانت سـيرته سـيرة الملوك في اقتنـاء الأموال، ومحاسن الأرقاء ومشاهير الرجال.

ثم شملته العناية الإلهية، وأحاطت به المنح الرحمانية، فانخلع عن تلك الحالات، وترك اللهو والملذات، وتجنب صحبة أهل الظواهر، وصـحب العارفين والأكابر، وتجرد للطاعـة والعبـادة، ورغب في صحبة بني عمه من السادة، فانفصلت من ذلك النظام عروته، وقلت بعد تلك الأموال ثروته، ثم ابتلي في آخـر عمـره بمرض لم ينفع فيه طب ولا طبيب، ورثى له كل بعيد وقريب، ولم يزل على أحسن سيرة، وما يرضاه عالم العلانية والسريرة، إلى أن شرب كأساً يشربه كل طائع وعاصي، وولج باباً يلجه كل دان وقاصي.

وكانت وفاته سنة ست وستين وألف، ودفن في قبر والده في مشهدهم الشهير، وحضر جنازته جم غفير، من كل فج عميق، حتى ضاقت بهم الطريق.

وكانت له كرامات، خوارق للعادات:

منها: ما نقله شيخنا الإمام محمد الشلي باعلوي في «مشرعه الروي»، قال: كنت جالساً عنده، فجاءه بدوي، فسألني عنه، فأشرت إليه، فلما سلم عليه، قال له: هات النذر الذي معك، فبهت البدوي، ثم قال: أخبرني ما هو؟ فقال له: هو كذا كذا، فأكب البدوي على رجله يقبلها، ثم قال لي: ما علم أحدٌ بنذري إلا الله.

ومنها: أن بعض الفقراء شكا إليه حاله، فقال له: اذهب إلى شريف مكة يحصل لك مطلوبك، فذهب إلى الشريف، وأنشده قصيدةً وافقت ما في ضميره، فطرب لذلك، وأمر له بكسوة عليه، وجائزة سنية.

ومنها: أن طعامه أنفس الأطعمة، ويحضره جماعة كثيرون؛ بحيث إن بعض البدو إذا رآه يقول: آكلُ هذه الأطعمة وحدي؛ لنفاستها وقلتها بالنسبة لمن حضرها، فيأكل كل من يحضرها؛ لأنها كانت مبذولة لكل من حضر، حتى يشبع الحاضرون، وتبقى بقية كثيرة.

ومنها: أن حاكم مكة مات، وطلب مرتبته من شريف مكة جماعة من المتأهلين لها، ووقفوا على باب الشريف، ينتظر كل واحد منهم أن يوليه إياها، وكان الأمير سليمان بن مَنْدَيه يعتقد صاحب الترجمة، فجاء إليه، وأخبره بذلك، وكان لا يرومها؛ لضعف حاله، وقلة ماله، فألبسه السيد ثوباً من ثيابه، وقال له: اذهب الآن إلى الشريف، فأنت حاكمها، فلما دخل على الشريف، وجده متفكراً فيمن يوليه من الطالبين للحكومة، فلما رآه، انشرح صدره، وانحل ما عنده من الغيظ والفكرة، وخلع عليه خلعة الإمارة، وتألقت شموسه وأقماره، وترنمت على أغصان السرور أطياره، فعلم القوم أنها منحة ربانية، وعطية رحمانية.

ومنها: أن عين مكة انقطعت، وقرب مجيء الحجاج، والبرك فارغة، وكان الشريف بعيداً، فكتب لحاكم مكة أن يجتهد في ملء البرك بأي وجه، وعلم الحاكم عجزه عن ذلك؛ لقرب المدة، فأتى إلى صاحب الترجمة، وشكا حاله عليه، فقال له: أعط الخادم خمسة حروف، يتصدق بها على الفقراء، فلما أصبحوا، أمطرت السماء، وسالت أودية، وامتلأت البرك من السيل[1].

وغير ذلك من الكرامات ـ رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه دار القرار ـ.

[٣١٧] محمد بن علي بن محمد بن مطير.

العلامة الشهير، الولي الكبير، أما العلم، فلا يختلف فيه اثنان، وأما الصلاح، فمن حين عُرف ما قطع صلاة الجماعة، وقد قال ﷺ: «من صلى الخمس في جماعة، فقد ملأ البر والبحر عبادة». نجب في حياة أبيه، وأقر عينه، ودرس في كل فن، فهو البحر المحيط، والقابوس الوسيط، ورزق حس الأخلاق، والسمت الحسن، والأجوبة الشاهدة بفضله.

[٣١٨] السيد محمد بن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن بن يحيى ابن علي بن أحمد بن عيسى بن محمد بن سليمان بن محمد بن سالم بن يحيى ابن مهنا بن سرور بن نعمة بن فليتة بن حسين بن يوسف بن نعمة بن علي ابن داود بن سليمان بن عبدالله البر بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ

---

(١) وهذه الحكايات ومثلها يُصورها أصحابها أنها من الكرامات والخوارق، وإنما هي صناعة بشريةٌ مكشوفة، لا تسوغ إلا على ضعاف العقول وأهل الجهل.

الحسني النعمي، نسبةً إلى جدهم نعمة[1].

ولادته كانت بقرية الدهنا، من أعمال صبيا، باليمن الميمون، فيما كتب إلي صاحبنا الأديب علي بن الهادي المنسكي، عام ست وعشرين بعد الألف.

ووفاته في عشري جمادى الآخر، سنة تسع وسبعين بعد الألف، وبها دفن، وكان جمالَ العلماء، وتاج الحكماء، سيداً جليلاً، وأديباً نبيلاً، علم المعاني الحسان، والناسج من وشي البليغ ما يقصر عنه بديع الزمان.

له الشعر الرائق، والنثر الفائق، عني بجمعه ابن أخيه صفي الدين أحمد ابن الحسن بن علي بن حفظ الله في ديوان، فمنه قوله ـ رحمه الله ـ متغزلاً:

مــن لقلــبٍ مزاجُــه الأهــواءُ وعيــونٍ أودى بهــنَّ البكـــاءُ
لـــشجيٍّ متـــيمٍ مـــستهامٍ همُّــه النــوُح ذائبــاً والأَســاءُ

ومنها:

يــا خليلــيَّ بالبكــا ســاعدا لــي فــي عــروضٍ ربــوعُنَّ خــلاءُ
دارُ ليلـــى ودارُ نُعْـــمٍ وهنـــدٍ وديـــارٌ تحلُّهـــا أســـماءُ
وقفــا بــي هُــديتما لــو وقوفــاً فوقــوفي علــى الطــلالِ شــفاءُ

ومنها:

أيهــا الرســمُ هــل تجيــبُ سؤالا لمـــشوقٍ أودت بـــه البُرَحـــاءُ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٥٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢١) (٢٢٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣٠)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٤)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣١٤).

كانيـا عـن ودادِ ليلـى بهنـدِ وبـنعمٍ وشـوقه أسـماء
وكـذا كـلُّ مولَـعٍ بحبيـب يتكنّـى وهـل يفيـد الكنـاءُ
بـخْ غراماً إن كنـت حلسَ ودادٍ وقـل اللـوم فـي الحسان هـذاءُ
أنـا حلـفُ الغـرام فـي كـل حيـنٍ وفـؤادي مـن الـسلوِّ هـواءُ
كلمـا أزمـعَ الفـؤادُ سُـلُوّاً أذكرتنـي وهناتِـه هيفـاءُ
عيطمـوسٌ كأنهـا فـرعُ بـانٍ حللتـه[1] عمامـةٌ سـوداءُ

ومنها:

وعيـونٌ فـواتِرٌ سـاجياتٌ رُسـلُ المـوت بينهـا كُمَنـاءُ
قـائلاتٌ لمـن تمنـى لِقاهـا لا بقـاءٌ مـع اللقـاء لا بقـاءُ
وقـدودٌ بميلِهـا تتثنـىَّ ضـاميات أكفـالهن رواءُ
يُطمـع الـصبَّ ليُّهـا فـي لقاهـا وهـل الـصبُّ صـخرةٌ صـماءُ
لـم أنلهـا بالعيـب إلا اختلاسـاً ردَّ عينـي عـن الـصفات الـضياءُ

ومنها:

وعـداني عـن ازديـاري حماهـا رُقَباهـا وصـدَّها الرقبـاءُ
فترانـي أهـوى الممـاتَ طماعـاً لازديـاري منهـا وبـئس الرجـاءُ
أو أرجـي يـومَ النـشور لقاهـا وكثيـرٌ مـن الرجـاء هبـاءُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: جللته.

إنمـــا الحـــبُّ ذلـــةٌ وغـــرورٌ   وسَـــقامٌ يكـــلُّ عنـــه الـــدواءُ

وقوله:

سمحَتْ بوصل المستهامِ العاشـقِ   هيفـاءُ خُـصَّتْ بالجمـالِ الفـائقِ
بيـضاءُ صـامتةُ الموشَّـحِ طفلـةٌ   تـزري القـضيبَ بلـينَ قَـدٍّ باسـقِ
من بعدِ ما شحَّتْ بطيـبِ وصـالِها   نحوي ولم تـسمحْ بطيـفِ طـارقِ

وقوله:

وافت وثوبُ الليـل أسـودُ حالـكٌ   في جـسم عاشِـقها وزيِّ الـسارقِ
باتَـتْ ذوائبُهـا الحـسانُ قلائـدي   وموسَّـدي نعـمَ الـذراعُ الرائـقُ
نشكو الجوى ونبـثُّ سرَّ غرامنـا   فـي غفلـةِ الرقبـا ونـومِ الرامـقِ

وقوله:

لله مـــن وصـــلٍ هنالـــك نلتـــهُ   فـي جُـنحِ ليـلٍ غيهبـيٍّ غاسـقِ
فـي ليلـةٍ ظَلْمـا كـأن نجومَهـا   فـي لُـجٍّ بحـرٍ أُوثقـتْ بوثـائقِ
مـن شـادنٍ غـنجٍ أغـنَّ مهفهـفٍ   أحوى العيون بديعِ صنعِ الخـالقِ
ملـكَ الفـؤادَ بدلِّـه ودلالـهِ   فجـوانحي كجنـاحِ طيـرٍ خـافقِ

وقوله:

تـا للهِ لا أنـساه ليلـةَ قـال لـي   لا تـنسَ مني محـضَ ودٍّ صـادقِ
واسـأل فـؤادَك عـن فـؤادي إنـه   يُنبيـك عمـا جـنَّ قلـبُ الوامـقِ
وإليـكِ يـا سـبطَ المكـارم حلـوةً   عـذرا تَـضَوَّعُ عنبـراً للغاسـقِ

ألقــتْ إليــك زمامهــا منقــادةً وتبــرزتْ نحــو اللبيــب الحــاذقِ

فاجعــلْ إجازتهــا الجــوابَ فإنــه طــبُّ الفــؤادِ المــستهامِ العــالقِ

وقوله أيضاً:

تيمنتنــي ذاتُ الخــدود الرهــافِ وبرتنــي ذاتُ القــدود اللطــافِ

طفلــةٌ تفــضح القــضيبَ قوامــاً تسبلُ الليـلَ فـوقَ رمـل الحقـاف

صــوّر الله شخــصَها مــن ضــياء ولجــينٍ ولؤلــؤِ الأصــدافِ

أعَلَــى مَــن هــوي لتلــك مــلامٌ لا وربِّ الحديــد والأحقــاف

وقوله أيضاً: . . .[1].

[٣١٩] محمد بن علي بن محمد بن علي الشبراملسي المالكي[2].

الشيخ الإمام الجليل، الجامع للعلوم، صرف أوقاته في التحصيل، والتفريع والتأصيل، وانفرد في عصره بالديار المصرية، بالعلوم الحرفية، والأوفاق، والجفر، والزايرجة، والعلوم الرياضية، والميقات.

فكان بحراً زخاراً لا يجارى ولا يمارى، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «الدرة البهية في وضع بسائط فضل الدائر بالطرق الهندسية»، و«بهجة المحادث في أحكام جملة الحوادث».

أخذ عن إمام عصره أحمد بن علي الشناوي الخامي، وكثير، وعنه:

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «أيضاً» نصف صفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٢).

شيخنا موسى القليبي، وعبد المنعم النبتيتي، توفي سنة إحدى وأربعين وألف تقريباً ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٢٠] محمد بن علي البُسْكري المغربي المالكي.

كان إماماً فاضلاً، وعالما كاملاً، قدم من المغرب إلى مصر، وحج منها، وجاور بمكة، وأخذ عنه كثيرٌ من العلماء بها، وكاتبهم وكاتبوه.

ومما كتب إليه، الشيخ العلامة، عبد الملك بن جمال الدين العصامي ملغزاً بقوله:

أيهذا العَلمُ المُفْرَدُ تحقيقاً وفضلاً ... أين أضحى الرفعُ تقديراً لفتحِ اللام[1] نقلا

فأجابه بقوله:

يا إماماً حاز فضلاً ... وزكا فرعاً وأصلاً
وسما في المكرمات الـ ... ـغُرِّ يبغيها محلاً
لغزٌ منكم أتاني ... بمعانيكم تحلًّى
لم أكنْ لولا اقتباسٌ ... منكُم عن قولِ أهلاً
نصُّه قد جاء في ... بيتٍ من النظم المعلًّى
أين أضحى الرفع تقديـ ... ـراً لفتح اللام نقلا
قلت في أفعله من ... بعد ما كدت تجلى
أصلُه أفعلها والحذف ... والنقل استقلا
علة في حذفِ لامِ ... وهو مرفوعٌ محلاً

(١) في الأصل: باللام، والصواب ما أثبت.

وعلــــى هـــــذا جـــوابي فاصـــفحوا فـــضلاً وعـــدلا

وســــــقامي دون ذاكــــــم أنــــتم أســــمى وأعلــــى

وســــــلامُ الله يغـــــشى رَبَعكُـــم طـــــلاً ووبــــلاً

وحاصل اللغز: أي فعل مرفوع، وعلامة رفعه مقدرة لأجل النقل؟ **وحاصل الجواب**: أنه الفعل المضارع في قول الشاعر: «ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعلـه»، وذلك أن الأصـل: بعد ما كـدت أفعلها، فحذفت الألف اعتباطاً؛ أي: لغير علة، ثم نقلت حركة الهاء إلى اللام، التي هي آخر الفعل، بعد سلبها ضمتها التي هي علامة الرفع، فصار الرفع مقدراً؛ لأجل نقل حركة الهاء إلى محلها.

تنبيه: كتبتُ لفظ تجلى والمعلى وتحلى وأعلى بالألف، والقاعدة في مثل هذا: أن تكتب ألفه مقصورة بصـورة الياء؛ لما ذكر بعض الأئمة، أن الاختيار عند علماء الكتاب، فيما إذا كان آخر البيت الأول كلمة حكمها أن تكتب بالألف، أن تكتب نظيرتها من الأبيات التي بعدها كذلك، وإن كان حكمها لو انفردت [أن] تكتب بالياء، تحصيلاً للمناسبة والمشاكلة، وحاصل ذلك: أن تلك القاعدة مخصوصة بغير الصورة المذكورة؛ للمعنى المذكور، وهو متجه حسن. انتهى[١].

[٣٢١] محمد بن علي بن محمد الأدفيني البحيري الشافعي[٢].

كان إماماً فقيهاً، محدثاً فرضياً حيسـوباً، أتقن علوماً شتى، إلى زهد

---

(١) كتبت الكلمات المذكورة في الأصل بألف مقصورة؛ طبقاً للقواعد الإملائية.

(٢) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٥).

وعبادة، وتقللٍ من الدنيا، وإكبابٍ على الإفادة والتصنيف، مع شدة تواضع، وخشونة ملبس، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر.

أخذ عن النور الزيادي، ومن في طبقته، وألف تآليف منها: حاشيةٌ مفيدةٌ على شرح الرحبية للشنشوري، سماها: «اللؤلؤة السنية على الفوائد الشنشورية»، توفي في نيف وأربعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ وإيانا.

[٣٢٢] محمد بن علي الدلجموني المالكي.

شيخ الفرضيين والحساب بالقاهرة، كان عالماً عاملاً، صالحاً متقشفاً، راغباً في الآخرة، زاهداً في الدنيا، جامعاً للعلوم الشرعية، إلا أنه غلب عليه الاشتغال بالفرائض والحساب، ملازماً للتدريس فيهما بالجامع الأزهر، منقطعاً فيه جميع نهاره، صارفاً أوقاته للخير، ولا يخرج عن الجامع إلا لحاجة مهمة.

أخذ الفقه والحديث عن البرهان اللقاني، والنور علي الأجهوري، وكان الأجهوري يقول في شأنه لتلامذته: اغتنموا دروسه في الفرائض والحساب؛ فإنه انفرد فيهما في عصره، وله شباكٌ في المناسخات، على أسلوب شباك ابن الهائم، في نحو عشر كراريس، و«حاشية على مختصر خليل» في الفقه.

وممن أخذ عنه: شيخنا العلامة الولي شعبان الفيومي، وصالح بن حسن الحنبلي الفرضي، وشعبان الفرضي، وعلي المنصوري، وكثير، وكان المترجم مختصاً لصحبة سيدنا الأستاذ العارف بالله علي بن أبي الإسعاد الوفائي، ومن الملازمين له، وكان الأستاذ من جملة من أخذ عنه.

وحضرت مجلسه كثيراً بالجامع الأزهر، وبلغني أنه حج، ورجع من

مكة إلى دمشق، وأقام بها شهوراً، وأخذ عنه كثيرون من فضلائها، **توفي** سنة خمس وثمانين وألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله ـ وإيانا.

[٣٢٣] محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي النقيب بن خليل بن عماد بن زهيف بن عثمان بن قيس بن علي الرئيس بن منصور بن طاهر النقيب بن المحسن بن علي بن الحسين بن حمزة بن محمد ابن علي بن الحسين بن الحسين بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم المرتضى ابن موسى الثاني الأصغر بن إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، السيد الشريف الحسيني الشهير بالقُدسي نزيل دمشق(١).

كان من حسنات الدهر علماً وأدباً وفضلاً، ومن علماء العصر المشهورين، مجللاً معظماً عند عامة الناس وخاصتهم، مشهور الذكر، حليماً خيراً كريماً، حسن الصورة جداً، عظيم الهيئة، أبيض مشرباً بحمرة، يعرف شرفه بمجرد رؤيته؛ لبديع خلقته، وجمال طلعته، قرأ بدمشق على النجم الغزي ومَنْ في طبقته وبرع في فنون شتى، وصار مرجعاً للمشكلات العلمية، إلى طبع في الشعر، واطلاع على فنونه دقيق.

ومن شعره قوله:

يا أكرمَ الأكرمينَ كنْ لي ... عوناً فإني ضعيف بُنيهْ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٦٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٣٦) (٢٠).

ما لي إذا شكوت فقري   عن باب مولاي قط غنية

وقرأت بخطه: أنشدني الأمير المنجكي بداره بدمشق، سنة خمس وأربعين وألف:

ولما طارتِ الآمالُ شرقاً   وغرباً بي ولم أر لي معينا

بسطتُ جناحَ ذلي ثم إني   وقفتُ بباب عزِّكَ مُستعينا

قال: ثم بعده تأملتهما، ومعناهما، وقلت: ما أحقَّ مثلي بهما، وما أحلاهما! وجعلت إذ ذاك بيتين من الوزن، وهما:

ولما ضاقتِ الأيام ذرعاً   بأحوالي ولم أر لي نصيرا

سرحْتُ فؤاد آمالي بذلِّي   وقمتُ بباب عزته فقيرا

رأيته وأنا صغير بدمشق، وكانت داره ملاصقة لنا، قريباً من مشهد السلطان نور الدين الشهيد، المعروف الآن بالنورية، وتوفي في نيف وثمانين بعد الألف بدمشق، ودفن بباب الصغير.

[٣٢٤] محمد بن علي الحُر العاملي الشامي[1].

قال السيد علي في «سلافته»: له شعرٌ يسلب نهى العقول بسحره، ويحل من البيان بين سحره ونحره، فهو أرق من خصر هيفاء مجدولة وأدق، وأصفى من صهباء يشعشعها أغن ذو مقلة مكحولة الحَدَق.

---

(١) «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ٨٩) (١٤٩)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٦٠)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٢١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٢)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩٠).

قدم مكة سنة ثمان وثمانين بعد الألف، وفيها قتلت الأتراك بمكة جماعة من العجم لما اتهموهم بتلويث البيت الشريف، حين وُجد ملوثاً بالعذرة، في قصة يطول شرحها، وكان صاحب الترجمة قد أنذرهم قبل الواقعة بيومين، وأمرهم بلزوم بيوتهم؛ لمعرفته ـ على ما زعموا ـ بالرمل[1].

فلما حصلت الفتنة، خاف على نفسه، فالتجأ إلى السيد موسى بن سليمان أحد أشراف مكة وسأله أن يظهره من مكة إلى نواحي اليمن فأخرجه مع أحد رجاله، فأدركته منيته باليمن، في السنة المذكورة.

ومن شعره قوله:

يراكم بعين الشوق قلبي على النوى ... فيحسدُه طرفي فتنهلُّ أدمعي
ويحسدُ قلبي مسمعي عند ذِكركم ... فتزكو[2] حراراتُ الجوى بين أضلعي

وقوله مورياً بلقبه:

قلتُ لما لجئت إلى هجوِ دهرٍ ... بذلَ الجهدَ في احتفاظ الجهولِ
كيف أشكو صروفَ زمانٍ ... تركَ الحرَّ في زوايا الخمولِ

قلت: وللشعراء كثير أشعارٍ تتعلق بأسمائهم وألقابهم، من ذلك قول السراج الوراق:

---

(١) وهذا من ادعاء المغيبات والكشوف، وهو من الأباطيل والخرافات المنهي عنها شرعاً، والتعامل مع أهل الكهانة والسحر، ثم نجده لما تقع له الفتنة يلجأ إلى البشر لحمايته، ولم ينفعه ما يدعيه من علم الغيب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: فتذكو.

بُنَـيَّ اقتـدى بالكتـاب العزيـز   فـزادَ سـروراً وزدتُ ابتهاجـا
فمـا قـال لـي أفٍّ فـي عمـرِهِ   لكـوني أبـاً ولكـوني سـراجا

وقول الشهاب الخفاجي:

قـالوا نـراكَ سـقطتَ مـن رتـبٍ   أتـرى الزمـان بمثـل ذا غَلِطـا
قلـتُ الـشياطينُ اللئـامُ علـوا   ولـذا الـشهابُ مـن العـلا سـقطا

[٣٢٥] محمد بن علي المكتبي الشافعي الدمشقي(١).

كان من علماء دمشق المشهورين بها بالعفة والصلاح، وحسن السمت، مولده منتصف ذي القعدة، سنة عشرين وألف، وختم القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظه في سنة واحدة، وحفظ «الشاطبية»، وقرأ بالروايات على عبد الباقي الحنبلي، وغيره.

وأخذ علم الحديث عن النجم الغزي، وبقية العلوم عمن عاصره من علماء دمشق، وحج سنة اثنتين وثمانين بعد الألف، واجتمعت به بمكة، وتأكدتْ بيني وبينه الصحبة، وأخذ بالحرمين عن عبدالله بن الطاهر العياشي، وعلي العصامي، وعلي الأيوبي، وعن شيخنا إبراهيم الكردي، والسيد محمد البرزنجي، والسيد محمد الشلي، وكتبوا له إجازات.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على خير، وفي خير إلى أن توفي يوم السبت، ثاني عشري جمادى الآخرة، سنة ست وتسعين وألف.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٣).

[٣٢٦] محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن علوي بن أحمد بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف رحمهم الله[1].

نزيل الحرمين المشرفين، وإمام المغربين والمشرقين، المتفرع من دوحة السيادة، المترعرع في روضة السعادة، المرتقي إلى أشرف مقام، علم العلماء الأعلام، عين الأعيان، ونادرة الزمان، المشار إليه بالبنان، درة العقد الفريد، وغرة أطلعها الشرف في وجهه كما يريد، سطع نور فضله فأشرق، وأغصَّ الحسادَ بزلاله وأشرق.

ولد سنة اثنتين وألف ببندر الشحر المحروس، ونشأ بسرحه المأنوس، وحفظ القرآن، ولازم قراءته في أكثر الأزمان، وصحب العلماء الأعيان، فأول من صحبه: الإمام العارف بالله تعالى ناصر بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وتربى في حجره، ولاحظه في جميع أمره، وأخذ التصوف والفقه عن الفقيه السيد عمر باعمر.

ثم رحل إلى مدينة الأشراف، تَريم المحفوفةِ بالألطاف، وأخذ عن شمس الشموس، زينِ العابدين بن علي بن عبدالله العيدروس، وعن السيد الجليل، عبد الرحمن بن عقيل، وعن السيد الكبير أحمد بن حسين العيدروس، والعارف بالله عبدالله بن أحمد العيدروس، والعارف بالله تعالى زين بن حسين بافضل، وغيرهم.

وأمره شيخه عبد الرحمن بن عقيل بالخلوة في زاوية مسجد الشيخ علي أربعين، ففعل، وحصل له الفتح الأنفس، والشرف الأقعس، وظهرت

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠١).

له أمور كالصبح إذا تنفس، ثم رحل إلى قرية السادات، المشهورة بعينات، فأخذ عن إمامها المقدم على أقرانه، وقدوة أهل زمانه، الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم، وعن إخوانه الحامد، والحسن، وغيرهم من السادة الكبار، وأخذ عن الشيخ العارف بالله الأريب، الإمام حسن بن أحمد باشعيب الأنصاري.

ورحل إلى الهند، وأخذ عن السيدين الجليلين: الشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبدالله، والشيخ محمد بن عبدالله العيدروسيين، وأمره الشيخ عبد القادر بالرحلة إلى الشيخ الولي، السيد عبدالله بن علي، فرحل إليه وهو بالقرية الشهيرة بالوهط، بقرب عدن، ولازم صحبته، وألبسه الخرقة الشريفة، وأمره بالحج، فحج سنة تسع عشرة وألف حجةَ الإسلام، وزار جدَّه ـ عليه السلام ـ.

ثم عاد إلى شيخه، وقد أحرز من الفضل النصيب الأوفر، وتمسك بما أخجل طيبُ نشره المسكَ الأذفر، فأقبل عليه بوجهه الكريم، واختبره بامتحان عظيم، وعركه عركَ الأديم، حتى تحلى بأدب تثنى عليه الخناصر، وفضل تثني عليه العناصر، وكمال باهر، وزوجه ببنته، وأسكنه في باطن مهجته.

ثم انتقلِ شيخه سنة تسع وثلاثين وألف إلى رحمة الله تعالى، فحج عن شيخه حجةَ الإسلام، وزار طيبةَ ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، فورد من منهل أمله العذب المعين، وفتح عليه من المدد النبوي المبين، ثم رجع إلى وهط اليمن، وأراد أن يجعلها محلاً للوطن، فلم تطب له الإقامة بها؛ لتغير أمرها، وظلم أميرها على مأمورها، وأنشد لسانُ حال معمورها:

أمـــا الخيـــامُ فإنهـــا كخيـــامِهم وأرى نـــساءَ الحـــيِّ غيـــرَ نـــسائها

فانثنى إلى وطنه بندر الشحر المعمور، وكان إذ ذاك بالفضل مغمور، وكان ـ رحمه الله ـ تعالى في غاية الخمول المبين، ويخفى حاله حتى لا يكاد يبين، فما مضـى عليـه زمن قريب، إلا حصل له ظهور عجيب، ظهرت منه خوارق البرهان، واشتهر في جميع تلك البلدان، وقصده الناس من كل مكان.

ثم قصـد قطـر الحجاز، ونصـب فيه خيامـه، وعـزم فيه على التوطن والإقامة، واعتقده أهلُه، فوضـعوه في المفارق تاجاً، وأطلعوه في أفقهم سـراجاً وهاجاً، وانعقد على ولايته الإجماع، وتفرد بالكمال، فسر النواظر والأسماع، واصطفيت له الحدائق الزاهية، وشيدت له القصور العالية، فكان ملجأً للوافدين، وعلماً ظاهراً للقاصدين، ومن قصده، قام في ظل وريف، ومن لجأ إليه، ظل من ثمرات فضله في خريف.

وهو أحد مشايخ شيخنا السيد الجليل محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي، في علم الشـريعة والطريقة، ومن أجل مشايخه في علم الحقيقة، وأخذ عنه الطريق، ولبـس منه الخرقة الأنيقة كثيرون، لا يحصوهم عد، ولا يضبطهم حد، وكانت حضرته معدن المعارف والعلوم، ونزهة تزيل كل الهموم، وأما كرمه، فعباب لا يكدره الدلاء، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء.

ومن كراماته الظاهرة العظيمة: استقامته على الطريقة المستقيمة؛ فقد قيل: الاستقامة أوفى كرامة، يواظب على الجمعة والجماعة، ولا تمضي عليه ساعة، إلا وهو مشتغل بطاعة.

ومنها: أن الدنيا لا تذكر في حضرته الحشيمة، ولا الغيبة ولا النميمة،

كما يشاهده العيان، ويشهد به الأعيان.

ومنها: أن من رآه، ذكرَ الله، ومن شاهده، ذهل عن آخرته ودنياه، وعمل بما يرضاه ربه ومولاه.

ومنها: أنه ما دعا لأحد من أصحابه، إلا استجيب دعاؤه، وحصل للمدعو له ما تمناه.

ومنها: ما قاله شيخنا محمد الشلي: أنه عند أول ملاقاته له، خطر بباله وفكره، أن يلقنه الذكر، فما استتم خاطره، إلا وقد نظر إليه، وأقبل بوجهه عليه، ولقنه الذكر الذي خطر في نفسه.

وله كرامات وخوارق للعادات، لكنه لا يظهرها إلا عند الضرورات، أو عند المهم من الحاجات، وهي كثيرة، وعند أصحابه شهيرة.

ولم يزل ينتقل من حرم إلى حرم، وقد حل في رأس الكمال الذي لا يداس بقدم، إلى أن دعي فأجاب، وكأنه الغمام أمرع البلاد فانجاب، **فتوفي** بمكة المشرفة بعد صلاة الجمعة، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني، سنة إحدى وسبعين وألف، وحضر جنازته سلطان مكة فمن دونه، ودفن بمقبرة المعلاة، بقرب مشهد أم المؤمنين خديجة الكبرى ﵂.

[٣٢٧] محمد بن علاء الدين الطرابلسي الشافعي.

الشيخ الإمام، العلامة المشهور بالبلاد الشامية، **ولد** بعد عشاء ليلة الجمعة، مستهل جمادى الأولى، سنة سبع وتسعين وتسعمائة، **وتوفي** ليلة السبت، خامس عشر ربيع الأول، سنة أربع وأربعين وألف، ودفن بتربة والده ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٢٨] محمد أبو عبدالله بن علاء الدين البابلي؛ نسبة إلى بابل، قرية بمصر، القاهري الشافعي الأزهري[1].

شيخنا شيخ الإسلام، جمال العلماء الأعلام، بقية المسندين الحفاظ، مالك زمام المعاني والألفاظ، علامة الزمان، المغني بشهرته في الأقطار الإسلامية عن وصف لسان القلم، وقلم اللسان.

كان ـ رحمه الله ـ نادرة من نوادر الدهر، ورحمة من الله على أهل هذا العصر، أما حفظه، فيعجز عن وصفه الواصف، وأما حسن تقديره وصوته، ووضع كل من المسائل في موضعه، ومعرفة أسلوب تقرير علوم الحديث، فأمر عجيب غريب، في القديم والحديث؛ بحيث إن الطالب يقابل ورقتين أو ثلاثاً من تقريره على الشروح، فيجده يقرر ذلك بحروفه، من غير تغيير ولا تبديل، وأما دقة نظره ـ رحمه الله ـ، وجودة فهمه، وحسن سبكه، وزيادة حلمه، وتواضعه مع جلالته، فأمر يطول شرحه، وأما حسن محاضرته، وبديع ألفاظه، فأحلى من الماء الزلال، وأرق من السحر الحلال.

انتهت إليه ـ رحمه الله تعالى ـ، رياسة العلم في عصره، وانفرد بعلوم الحديث، وبعد صيته، ووفدت إليه الناس من الممالك الإسلامية، وأخذوا عنه العلم، وكان ـ رحمه الله ـ ملازماً للدرس، وإقراء العلوم العقلية والنقلية، ونقله يزيد على تصرفه، سريع الحفظ، بعيد النسيان، مواظباً على تلاوة القرآن سريعها.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٦١٧) (٨٨٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٣)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٣٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٧٠).

متودداً للطلبة، متفقداً لهم بالإحسان، وإذا غاب عنه أحد منهم سأل عنه، فإن كان مريضاً، عاده، وإن كان مشتغلاً، أرسل إليه بالسلام، محباً للفقراء من طلبته خصوصاً، وجلالتُه في عصره أشهر من نار على علم؛ بحيث إن الأمراء والقضاة والحكام، يأتون إليه، ويجلسون بين يديه كالخدام، وإذا توجه إلى أحد منهم لشفاعة أو زيارة، يكون ذلك اليوم عنده من أشرف الأيام، ويبالغ في التعظيم له والإكرام.

ولد ـ رحمه الله ـ سنة ألف بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن بالروايات، وحفظ «الشاطبية»، و«البهجة الوردية»، و«ألفية الحديث» للعراقي، و«ألفية ابن مالك» و«جمع الجوامع» و«تلخيص المفتاح» وغيرها من المتون النافعة، وكتب بخطه كتباً كثيرةً، منها: «شرح البخاري لابن حجر العسقلاني».

وأخذ العلوم الشرعية والعقلية عن جمع من شيوخ المذاهب الأربعة بمصر، منهم: النور علي الزيادي، وأبو بكر الشنواني، وأحمد الغنيمي، والنور علي الحلبي، وسليمان البابلي عمه، وأحمد بن خليل السبكي، وحجازي الواعظ، وصالح بن شهاب الدين البلقيني، وسالم الشبشيري، وعبد الرؤوف المناوي، وموسى الدمشيتي، وعبدالله الدنوشري الشافعيين.

وعن إبراهيم اللقاني، وعلي بن محمد الأجهوري، وسالم بن محمد السنهوري، وأحمد بن عيسى الكلبي شيخ المحيا بالجامع الأزهر، ويوسف الزرقاني، وأحمد السنهوري المالكيين.

وعن أحمد بن محمد الشلبي، وعبدالله بن محمد النحريري، ومحمد الجابري الحنفيين، وعن الشيخ سيف الدين المقري.

وأخبرنا ـ رحمه الله ـ أن والده جاء به وهو صغير دون التمييز، للشيخ الإمام خاتمة الفقهاء، الشمس محمد بن أحمد الرملي الشافعي، وهو منقطع في بيته، ودعا له، ودخل في عموم إجازته لأهل عصره.

وروى عنه جمع من الأكابر، منهم: شيخنا منصور الطوخي، وشيخنا أحمد البشبيشي، ومحمد بن خليفة الشوبري، ومحمد بن قاسم البقري، وعبد القادر الصفوري الدمشقي، وأحمد العجمي الشافعيون.

ومنهم: السيد أحمد الحموي، وشاهين الأرمناوي، ويحيى الشهاوي، وعبد الباقي المقدسي الحنفيون.

ومنهم: يحيى بن محمد الشاوي المغربي، وعبد الباقي الزرقاني، ومحمد الخرشي المالكيون.

ومنهم: محمد البهوتي الحنبلي، وغيرهم من علماء المشرق والمغرب.

وجاور بالحرمين لمدة سنين، وأخذ عنه جل علمائه المحققين؛ كالشيخ علي الأيوبي، وعبدالله العباسي، وعلي العصامي، وأحمد باقشير، والسيد الجليل محمد بن أبي بكر الشلي، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان، وشيخنا الفهامة الحسن بن علي العجيمي، والشيخ أحمد النخلي، وغيرهم ممن لا يحصون كثرة.

وكان شريف مكة السيد زيد بن محسن، يجله ويحترمه، ويحبه ويعظمه، ورجع إلى مصر، وأقام فيها على بث العلم ونشره، وطاعة الله وذكره، وأرسل يطلبه ملك الروم، السلطان محمد بن إبراهيم خان، فذكر له ذلك وزير مصر ـ إذ ذاك ـ عمر باشا، وأخبره بطلب السلطان له، وأنه يريد

التبرك به، فامتنع من الذهاب إلى الروم، واعتذر بكبر السن، وعدم الاستطاعة للسفر، فعرض وزير مصر للسلطان ما اعتذر به، فقبل ذلك منه.

وأُلجئ من الوزير أحمد باشا الكبرلي في تأليف كتاب في الجهاد وفضائله، فألف فيه في أيام قليلة كتاباً حافلاً، أتى فيه بالعجب العجاب؛ من الآثار الواردة فيه، وأحكامه المختصة به، وكان ينهى عن التأليف، ويقول: التأليف في هذه الأزمان من إضاعة الوقت؛ فإن الإنسان إذا فهم كلام المتقدمين الآن، واشتغل بتفهيمه، فذاك من أجل النعم، وأبقى لذكر العلم ونشره، والتأليف في سائر الفروع مفروغ منه.

وإذا بلغه أن أحداً من علماء عصره ألف كتاباً، يقول: لا يؤلف أحدٌ تأليفاً، إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التأليف في غيرها، وهي: إما أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه.

قلت: ويجمع ذلك جميعَه قولُ بعضهم: شرط المؤلف أن يخترع معنى، أو يبتكر مبنى.

وأخبرني بعض طلبته: أنه صادف ليلة القدر، وكشف له عنها، ودعا الله أن يكون مثل الحافظ ابن حجر العسقلاني في الحديث، واستجاب الله دعاءه؛ بدليل أنه لم يشتهر أحد من علماء عصره شهرته في الحديث، وكثرة اشتغاله به، وإتقانه لأصوله وفروعه، وسعة حفظه فيه.

وكان إذا أراد بعض تلامذته يطالع له الدرس الذي يريد قراءته؛ لأنه

كُفَّ بصرُه قبل موته بنحو ثلاثين سنة، يقول له: أسرع في القراءة؛ بحيث إن الجالس لا يفهم ما يقرؤه التلميذ، ويقرر الشيخ ـ رحمه الله ـ في الدرس جميع ما طالعه التلميذ له حرفاً بحرف، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تردد في العبارة، وكان من أحسن الناس صوتاً في التقرير.

والحاصل: أني لا أستطيع حصر ما فيه من الفضائل، وما رأيت ـ فيمن رأيت من أهل عصرنا ـ أحفظَ لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها، ورجالها، وصحيحها وسقيمها منه، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان صحيح الذهن، جيد الفهم، ذا ذوق وفطنة، ومهابة وكرم نفس، وطيب أخلاق، وما اجتمع به أحد إلا استفاد منه، ديناً أو دنيا.

واتفق أني كنت يوماً عنده في بيته، وبعض جماعة يطالع له في شروح البخاري، لما كان يقرؤه في الجامع الأزهر، ويسرد القراءة؛ بحيث أن الحاضرين لا يفهمون ما يقول، فسألته بعد الفراغ: إن أحداً من الحاضرين لا يفهم ما يقول، فأنتم يا سيدي كيف تفهمون كلامه؟ فضحك وقال: يا ولدي! كل ما يقوله أحفظه، وإنما يطالعه لي؛ خشية أني نسيت شيئاً، فيذكرني به.

وما اتفق أني دخلت عليه، وهو وحده، إلا ورأيته مشتغلاً بقراءة قرآن أو ذكر، ورزقه الله من العزة، ما لمْ يرزقه أحدٌ من علماء عصره، حتى إنه إذا دخل مجلساً حافلاً بمصر، وهو غاص بأقرانه من العلماء، ومن هو أسن منه، يصدرونه عليهم، ولكنه يأبى من ذلك، ويجلس وسطهم، أو آخرهم، ويعظم علماء عصره ظاهراً وباطناً في غيبتهم وحضورهم.

ومجلسه محفوظٌ من الغيبة، مشحونٌ بالفوائد، ولا يقوم الإنسان منه إلا وهو ممتلئ ببركة أنفاسه الطاهرة ـ رحمه الله تعالى ـ، وأثرى في آخر

عمره، وأقبلت عليه الدنيا من كل حدب، وكان يقول: إن الأجل قريب؛ فإن للعالم علامات، إذا علا مات.

واتفق له بمكة: أنه دخل على الشريف زيد بن محسن، أمير مكة، وعنده أعيان مكة، ورؤسائها وقضاتها وعلماؤها، فقام له الشريف ومن في المجلس، إلا أنهم لعظمهم في أنفسهم، لم يقدمه أحد عليه في المجلس، حتى جلس الشيخ حيث انتهى مجلسه.

فلما استقر، قام الشريف زيد من مرتبته، ونزل إلى مكان الشيخ، وجلس بجانبه، وقال: صدر المجالس حيث حلَّ رئيسها، وشرع في توبيخ الحاضرين، وزجرهم على قلة أدبهم، فمنعه الشيخ من ذلك، وقال: إني ما جاورت بالحرم، إلا بقصد التبرك به وأهله، وأنا راض منهم بذلك، فقام جميع من بالمجلس وقبل يديه، واعتذر إليه.

وجاور مرةً بمكة خمس عشرة سنة، وختم بها إقراء البخاري، وأخرى سنين قليلة، وله وقائع كثيرة من هذا القبيل، يطول الكلام عليها.

سمعت عليه ـ رحمه الله تعالى ـ بمجلسه بالجامع الأزهر، طرفاً من «صحيح البخاري»، و«سيرة ابن سيد الناس اليعمري»، وطرفاً من «شرح المنهاج» للمحلي، وغير ذلك بقراءة الشيخ العلامة محمد بن خليفة الشوبري، وله فهرسٌ بجميع مروياته وشيوخه ومسلسلاته، جمعها تلميذه العلامة عيسى ابن محمد الجعفري المغربي، في نحو خمس كراريس، وقد أجازنا ـ ولله الحمد ـ، بجميع ما فيها من مروياته.

ولم يزل على أحسن حال، وأجل نوال، مشتغلاً بالعلم النافع وإفادته،

إلى أن توفاه الله إلى دار كرامته، يوم الثلاثاء، خامس عشري جمادى الأولى، سنة سبع وسبعين ـ بتقديم السين فيهما ـ وألف، وصلى عليه بالجامع الأزهر، إماماً بالناس شيخنا خاتمة المحققين، علي الشبراملسي، في مشهدٍ حافلٍ لم يعهد مثله في هذا العصر، وعظمت مصيبة المسلمين عليه؛ إذ كان آخر المجددين بالديار المصرية، ودفن بتربة المجاورين، ورثاه كثير من الشعراء، منهم: صاحبنا العلامة الأديب أبو بكر بن محمود العصفوري الشامي بقصيدة، وهي:

مـا أرى نقـصَها مـن الأطـرافِ غيـرَ مـوتِ الأئمـةِ الأشـرافِ

[٣٢٩] السيد محمد غَرْب بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن عمر ابن الغَرْب بن محمد بن يوسف بن محمد بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن الحسين بن علي بن آدم بن إدريس بن الحسين بن محمد التقي، ويلقب أيضاً بالجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ(١).

السيد العارف بالله والدالُّ عليه، صاحب الكرامات المشهورة، والأحوال الخارقة المأثورة، أخذ في بدايته عن السيد محمد بن إبراهيم القُدَيمي، ودخل صحبته إلى زَبيد، وكان له مجلس فيها اتخذه للذكر، ووقع له في زبيد وقائع مع الخضر؛ لأنه اجتمع به، وبشره بأشياء حصلت له، وقال له: إن البركة صارت فيك مغروسة، وأمره بزيارة النبي ﷺ، وقصد التوجه إلى المدينة

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٧).

الشريفة، وحصلت له كرامات في طريقه، ولما وصل إلى القنفذة، واجتمع بمن فيها من بني الغرب، عرضوا عليه السكنى بها، فلم يرغب لذلك حتى رأى النبي ﷺ في المنام، وأمره بالسكنى بها، فلما رجع من زيارته ﷺ، ومضى إلى حَلى، اجتمع بالسيد الولي المُخَنْجَف بن إبراهيم، فأهّله، ورحب به، وزوجه بنته الشريفة زهراء، فرجع إلى القنفذة، وصار هو العمدة فيها، وعليه مدارها، وحصل له من الجاه والقبول ما لم يعهد لمثله مثلُه، وكان فيها سيفاً مسلولاً، لا يعارضه أحد في أمر إلا عُطب، وهابه الناس، وزاد اعتقادهم فيه.

وظهرت له الكرامات الكثيرة:

منها: أن الشيخ عمر بن علي الطواشي كان في أول أمره سالكاً غير طريق سلفه، مصاحباً للأعراب الجفاة، فلقيه المترجم، فلامه على ذلك، وأمره بترك ما هو عليه، فامتثل أمره، وأراه تلك الساعة مكة المكرمة والحرم، فوقع مغشياً عليه، فلما أفاق، أمره بالمسير إلى مكة، فسار، ورجع منها بمال عظيم، من لحظة نفع الله به.

ومنها أيضاً: أن إبراهيم بن سيف كان معه مرة بمكة، والناس في تعب شديد من الغلاء، وكان إبراهيم يعتاد الطواف بالليل، وكان المترجم في تلك الأيام مريضاً، فخرج إبراهيم من الحرم لقضاء حاجة، فلما خرج من باب إبراهيم، إذا بستة رجال أو سبعة، كلهم في الطول وحسن الهيئة سواء، وعليهم محازم إلى صدورهم، وهو يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى، ويدعون بدعاء خفي، وهو مستقبلو الكعبة.

فوقف عند آخرهم، وقال كالذي رق لحالهم: الله تواب، الله غفور

رحيم، وهم على حالهم من الاشتغال بالدعاء، فذهب عنهم، فلما أصبح جاء إلى المترجم، فأخبره ابتداءً بخبر الجماعة وما كان من أمره معهم وهو يبكي، حتى غاب عن حسه، فلما أفاق، سأله إبراهيم عنهم، فقال: إني في تعب شديد من أجل ذلك، فإن الذين رأيتهم الأوتاد، أو قال: الأبدال، الذين هم أقرب أهل الأرض إلى الله ﷻ، ولا يدعون بشيء إلا استجيب لهم، والبارحة رُدَّ دعاؤهم، وما دعوا إلا والباب مغلوق، وهم هذا مقامهم عند الله سبحانه، وما دعوا الله إلا بالرحمة لعباده، فبكيت من هذه الحالة، وإن لم يحصل للناس رحمة إلى خمسة عشر يوماً، وإلا فالناس عليهم سخط من الله تعالى، ثم بعد أيام قال المترجم لإبراهيم: حصلت الإجابة من الله، وبعد أيام قليلة فرج الله سبحانه عن أهل مكة(1).

وكانت **وفاته** ليلة الاثنين، ثالث عشري صفر، سنة أربع عشرة وألف بالقنفذة، وقبره في القبة الملاصقة لزاويته، ومن دخل زاويته وهو خائف مستجير، أمن، ومن تعرض له، عاقبه الله سريعاً ـ نفع الله به ـ.

[٣٣٠] محمد شمس الدين بن عمر سراج الدين الحانوتي المصري الحنفي(2).

قال النجم في «ذيله»: **مولده** ـ كما وجدته بخطه ـ ليلة الجمعة،

---

(١) يتكرر في كتب الصوفية مثل هذه المصطلحات والمسميات، مثل الأبدال والأوتاد والأقطاب، وسوى ذلك من المراتب، ويجعلون لهم مرتبةً خاصةً، وتأثيراً في حياة الناس دنيا وآخرة، وهذا كله من الأباطيل والخرافات التي لا أصل لها في الدين.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٤١) (٤٦) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣١٧).

تاسع عشر صفر، سنة ثمان وعشرين وتسعمائة.

وأخذ عن شيخ الإسلام الفتوحي، وقاضي القضاة شمس الدين الشامي المالكي، وقاضي القضاة نور الدين الطرابلسي ثم المصري الحنفي، وشمس الدين أحمد بن يونس الشلبي، والشيخ ناصر الدين بن حسن اللقاني المالكي، والعلامة شهاب الدين الرملي، والشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي، والأستاذ الشيخ أبي الحسن البكري، والشمس محمد بن محمد الدلجي شارح «الشفا»، والعلامة محمد بن يوسف الشامي الصالحي ثم المصري صاحب «السيرة النبوية»، والشيخ محمد الداودي تلميذ السيوطي، والمظفري، وأخذ الفقه عن والده، وابن عمه، وكانت وفاته سنة عشر بعد الألف بالقاهرة ـ رحمه الله ـ وإيانا.

[٣٣١] السيد محمد بن عمر بن سالم بن أحمد بن شيخان بن علي ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عبود بن علي بن محمد مولى الدّوَيلة بن علي بن علوي ابن الفقيه محمد المقدَّم، عُرِف جد جده بشيخان، باعلوي الحسيني(١).

ذكره شيخنا السيد العلامة محمد بن أبي بكر الشلي في «المشرع الروي في أشراف بني علوي»، فقال: فريد هذا المكان، ومن ألقت إليه الأقران، مقاليد السلم والأمان، الجامع بين الرواية والدراية، والرافع لخميس المكارم أعظم راية، حوى الفضائل والفواضل والنهى، وحاز الدين والحسن والتقى، وتفنن في كل الفنون، وافتخر به الأبناء والبنون.

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٦٨).

ولد بأم القُرى، وحظي بأوفر القِرى، وكانت ولادته ثاني عشر محرم، سنة إحدى وخمسين وألف، ونشأ بها والفلاح يشرق من محياه، وطيب أنفاسه يفوح من رياه، وحفظ القرآن العظيم، ونال به الفضل الجسيم.

ثم شرح الله تعالى صدره للعلوم شرحاً، وبنى له من رفيع الذكر في الدارين صرحاً، وحظي باستجلاء أنوار معاهدها، واستملاء تنزلات مناسكها ومعاقدها، وحفظ بعض «الإرشاد»، و«متن المنهج»، و«الألفية»، وغيرها من متون العلم والآلية، فأخذ عن الإمام العلامة أحمد بن عبدالله بن عبد الرؤوف المكي عدة علوم، ثم لازم الشيخ العلامة علي بن الجمال في دروسه الفقهية، وغيرها من العلوم الأدبية.

ثم حضر دروسي في الفقه والحديث، لا سيما «شروح الإرشاد»، التي اعتنى المتأخرون بالكلام عليها، في القديم والحديث، وقرأ «شرح المنهج»، و«المنهاج»، المرجوع إليهما عند تلاطم الأمواج، وجمعوا فيها الصحيح، وفاقوا بالترجيح، وأخذ عن الشيخ محمد بن سليمان عدة علوم، وأجازه بمروياته.

وهو الآن بمكة، لازالت شموس الفضائل في سمائها مشرقة من أعيان فضلائها، وأعاظم كبرائها، وله ـ مع ذلك ـ في الأدب طول باع، وفي العربية سعةُ إطلاع، وكرم نفس وحسن طباع، مع ما منحه الله من أدب أزهى من الأزهار، وخلق ألطف من نسيم الأسحار، ومنطق ألذ من تغريد الطيور على صفحات الأنوار، وتمسك بالسبب الأقوى من التقوى، واجتهاد في الأعمال الصالحة، لا تطيق أترابه حمله ولا تقوى، وإليه المفزع في كشف كل حادثة عجماء، وداهية دهياء، إلى كرم لا يقاس بحاتم، وصدع بالحق لا يخاف بطشة

ظالم، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. انتهى كلامه.

قلت: وكان ـ رحمه الله ـ أجلَّ خدن لي، أتمتع في رياض فضائله بمقيل ظله الوريف، وأتضوع من عبير عَرْفه اللطيف، وصحبتُه مدة تزيد على أربعين سنة، حضراً وسفراً، لا أفارقه ولا يفارقني في غالب الأوقات، ولم أر منه إلا خيراً وإحساناً، وإفضالاً وامتناناً.

حتى توفي في الثلث الأخير من ليلة الجمعة، ثامن شهر ربيع الثاني، سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، وصلى عليه ضحى يومها، بالمسجد الحرام، إماماً بالناس الشيخُ أحمد النخلي، في مشهدٍ حافلٍ، وكنت ـ ولله الحمد ـ من المباشرين لغسله وتكفينه ـ رحمه الله تعالى، وجمعني به في مستقر رحمته، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً ـ.

[٣٣٢] محمد بن عمر بن حسن بن علي باعلوي الحسيني[١].

اشتغل بالعلوم على عمه القاضي محمد بن حسين، حتى شارك في كثير من الفنون، ثم حصلت له جذبةٌ إلهية، إلى أن توفي سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء بعد الألف ـ.

[٣٣٣] محمد بن عمر بن عبدالله بن أحمد باجمّال[٢].

أحد عباد الله الصالحين، والأولياء العارفين، صحب أخاه عبدالله المشهور، وأخذ عن غيره، وحصل طرفاً من العلوم، وجد في العبادة، ولازم ذكر الله، واعتزل الناس، وزهد فيما عندهم، وملأ الله قلبه من محبته.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٧٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٢٤).

(٢) «الفت النظر» للجيلاني (٥٨٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٣٦).

وكانت له حركة عظيمة عند السماع، وكان يرفع صوته في حال الوجد، ويقول: والله! ما محبوبي إلا الله، وفي بعض الأوقات، يرمي نفسه من أعلى شاهق، ولا يضره(١).

توفي يوم الثلاثاء، في صفر، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، وآل باجمّال بيت سلف صالحين، مشهورين ببلاد حضرموت، وللناس فيهم اعتقاد كبير.

[٣٣٤] القاضي محمد بن عمر بن عاشق الأزبكي الأصل، ثم المدني الحنفي.

كان من أكابر علماء عصره، وممن بلغ رتبةً عليةً في علوم المنقول والمعقول، قرأ على الشيخ عبدالله الأنصاري، المعروف بمخدوم الملك ابن شمس الدين، وكان حسن الخط، وكتب بخطه كتباً كثيرةً، واجتهد في ضبطها وتصحيحها.

وتولى إفتاء الحنفية بالمدينة، وله مؤلفاتٌ منها: «شرح على الشمائل» جمع فيه بين شرحي الملا عصام الدين، والملا محمد حنفي، وأجاب عن غالب اعتراضاته، **توفي** بالمدينة، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف.

[٣٣٥] السيد محمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن بن عمر ابن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر ابن الشيخ علي بن عمر الأهدل الحسيني(٢).

---

(١) وهذا من تلاعب الشيطان بالإنسان واستحواذه عليه، نعوذ بالله من الخذلان.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٧).

كان هذا السيد من كبار مشايخ الصوفية، أهل الحل والعقد، المستعان بهم في النوائب والشدائد والشفاعات، صاحب زاويةٍ وإكرامٍ، وإفضالٍ وإنعامٍ، وشهرته تغني عن شرح حاله.

أخذ عن والده، ونصبه جده عبد القادر وهو في سن الصغر دون التمييز شيخاً، فكان يقول له: يا شيخ! والله! إن لك جَدّاً، لو نظر إلى أهل الأرض، لصاروا كلهم مشايخ. انتهى.

وكان صاحب الترجمة كثيراً ما يتلو القرآن بالجهر، تلاوةً مجودةً، بترتيل وصوت حسن، مواظباً لزيارة جده الشيخ الكبير علي الأهدل كل يوم، ثم يقف عند كل قبر من القبور المعروفة هناك ساعةً، ثم يدخل مسجد التربة، فيصلي فيه ركعتين، ويدعو، وينصرف إلى بيته.

ولم يزل ذلك دأبه، إلى أن توفي ليلة الجمعة، رابع عشر شوال، سنة اثنتين وثلاثين وألف، وهو والد السيد طاهر الآتي ذكره.

[٣٣٦] محمد بن عمر بن أبي بكر بن يوسف بن محمد بن أبي بكر عُبادة بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن إسماعيل بن محمد الأحنف، مصنف كتاب «الثمرة في الفقه» بن إسماعيل بن عمر بن يحيى بن عمر بن محمد بن أحمد بن علي بن الشَويش بن علي بن وهب بن صريف ابن دؤال، ويأتي إن شاء الله تعالى بقية النسب في ترجمة إسحاق بن جعمان، فبنو عبادة وبنو جعمان يجتمعون في عمر بن محمد[١].

كان صاحب الترجمة إماماً عالماً، فقيهاً ورعاً زاهداً، قام في محل آبائه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٩).

في التدريس والفتوى أتم قيام، وموطنهم «بيت الفقيه ابن عجيل» ـ رحمه الله تعالى ـ، توفي في شعبان، سنة خمسين بعد الألف.

[٣٣٧] محمد بن عمر بن الصديق الحُشَيْبِري[١].

مفتي الديار اليمنية ومحدثها، كان إماماً فقيهاً عالماً محققاً نقالاً ورعاً زاهداً عابداً، صاحب تربية وأخلاق رضية، وأفعال مرضية، وله أحوال وكرامات خارقة، وله رؤيا منامات تدل على تمكنه، وقرب منزلته عند الله تعالى وصلاحيته.

صحب السيد العارف بالله الطاهر بن بحر، وأخذ عن العلامة محمد بن أبي القاسم بن جعمان، والشيخ محمد بن أحمد صاحب الحال، وعبد الرحمن الخَلِّي، وكثير.

توفي في شهر ذي الحجة سنة خمسين بعد الألف، ودفن ببيت الفقيه الأيمن، في تربة جده الفقيه الولي علي بن أحمد حشيبر، وجدهم الفقيه الولي محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ، وحصل بموته التعب الشامل لجميع المسلمين، ونزل العلم بموته درجة؛ لأنه لم يخلف بعده مثله في الحفظ والإتقان ـ رحمه الله تعالى ـ.

ورثاه السيد محمد بن الطاهر بقصيدة مطلعها:

دهتنا الليالي بموتِ الفقيهِ ... إمامِ الهدى غوثِ أهلِ الزمنْ

وبنو حشيبر...[٢].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٨٠).

(٢) جاء في الحاشية: «هنا ثلاثة أسطر بياض بالأصل».

[٣٣٨] محمد بن عمر بن نور الدين بن عبد القادر الأحدب.

كان شاعراً مفلقاً، له «ديوان مدائح في النبي ﷺ»، توفي سنة خمسين وألف.

[٣٣٩] السيد محمد بن عمر بن محمد بن علوي بن أبي بكر بن علي ابن أحمد بن محمد أسد الله بن حسن بن علي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم باعلوي الحسيني، نزيل مكة المشرفة، واشتهر هو بالغزالي، وبالحبشي كسلفه(١).

صاحب المناقب المشهورة، والأحوال المأثورة، غزالي عصره وأوانه، وجُنيد دهره وزمانه، سالك نهج أوضح المسالك، وعارف بالعلوم النقلية والعقلية والمدارك، وعالم حوى اللطائف والطرائف، وكامل شاد ربوع المعارف، صافَى فصُوفي، حتى سمي بالغزالي، وارتقى بذلك الرتب العوالي.

ولد بتريم، وحفظ القرآن وغيره، وصحب السيد عبدالله ابن الشيخ العيدروس، والسيد القاضي عبد الرحمن بن شهاب الدين، والسيد عبد الرحمن ابن عقيل، والسيد أحمد بن محمد الحبشي، والسيد عبدالله بن سالم، وغيرهم؛ ممن يطول ذكرهم، وتفقه بجماعةٍ منهم: الشيخ محمد بن إسماعيل بافضل.

ولزم الطاعة، فتفيأ ظلها الظليل، وحمل كاهله من العبادة الحمل الثقيل، واعتنى بكتب الإمام الغزَّالي، المعاني منها والألفاظ، وقامت له

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٨٠)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٧١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٢).

بها سوقٌ لا يدعيها ذو المجاز ولا عكاظ، واعتنى بالعمل بما فيها، ولا اعتناء الفقهاء والحفاظ، ومن ثم قُيل له: الغزالي؛ لكونه صار فيها الجوهر الفرد الغالي.

ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، وصحب بهما جماعة من العارفين، وأخذ عن السيد عمر بن عبد الرحيم البصري، والعارف بالله أحمد بن علان، ثم صحب السيد صبغة الله، والسيد أسعد، والشيخ أحمد الشناوي، والشيخ تاج الدين الهندي النقشبندي نزيل مكة.

وترك علم التصوف والرقائق، واعتنى بعلم الحقائق، ورغب: [في] الشيخ محيي الدين بن عربي، ولزم طريقته، واعتقد مجازه وحقيقته، فوقف غرضه عليه، ووجه دواعيه وهممه إليه، وربما حصل منه بعض شطح، وتكلم فيه بعض الفقهاء بقدح.

وتوطن أم القرى، ومُنح له فيها أتمُّ القرى، وأكثر المحققين من العلماء العارفين، لم يثبتوا له قدماً في التربية والاقتداء، وجعلوه ممن يعتقد ولا يقتدى به أبداً، وله نظمٌ فائقٌ، وأكثره في الحقائق.

فمن نظمه الرائق قوله:

تجلَّت عن تحلِّيها فسلْني ... فقابلها بما أعطى التثنيّ

بذاتٍ لاتصالٍ في افتراق ... بجمعِ الجمعِ في عينِ التجنيّ

فكان الفرد والزوجين لا مت ... تلاهت لاتها والفردُ يثني

فكنا فيه بل هوَ كان فينا ... فطِبْنا ربٌ زدني ربٌ زدني

فكأسي لا تزيده الروايا ... وفيض لاتساع الفقر يغني

ولــم لا والمحــيط الحــقُّ منــي بمنزلـــة النجـــوم علـــيّ منـــي

سألت ومـا علمـت سـواي لكـنْ بحكم الفـرق كنـت رميـت عنـي

فأســهمُك التــي نفــذت بــإذني وصــنعُك صيُه مــن جـرح إذنــي

ولـولا الرتـقُ بعـدَ الخـرقِ أبقـى لــسحرِكَ فــي البيــان لكــلٍّ فَــنِّ

لمــا كتــب المــدادُ ســوادَ عــينِ ولكـــن بالنــضار قِــران قرنـــي

ثم ابتلي ببعض الأسقام، منعه من طيب المنام، واستمر به إلى أن وافاه الحمام، فانتقل يوم الأربعـاء، ثامن عشـر صفر، وقد جاوز السبعين، سنة اثنتين وخمسـين وألف، بمكـة المشـرفة، ودفن بالمعـلاة، بحوطة السـادة آل شيخان.

[٣٤٠] محمد بن عمر بن شـيخ بن إسماعيل بن أبي بكر بن إبراهيم ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف ـ رحمه الله تعالى ـ اشتهر كسلفه بالبيتي؛ لكون جده الأعلى أبي بكر كان يسكن «بيت مسلمة»، من قرى تريم، فنسب إليها[١].

وهذا السيد هو طراز العصابة، وسهم الإصابة، المخصوص بأوفر حظ من العلا والإحسان، المقتفي لأهل الفضل والعرفان، السالك للطريقة الموصلة لرضا الرحمن.

ولد بتريم مدينة السـادة، ونشـأ بها في حجر السـعادة، وحفظ القرآن العظيم، ومنحه الله عواطف بره العميم.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٨١).

وصحب أكابر العارفين، وأخذ عن العلماء العاملين، فتفقه على الشيخ محمد بن إسماعيل بافضل، وأخذ عدة علوم عن الشيخ الكبير السيد القاضي عبد الرحمن بن شهاب الدين، والشيخ زين بن حسين بافضل، وعن الشيخ العارف بالله السيد عبدالله بن شيخ العيدروس، وابنه زين العابدين، ولازم صحبته.

ورحل إلى الحرمين الشريفين، وأخذ عن السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري، والعارف بالله أحمد بن علان، والشيخ سعيد بابُقَيّ المقبور بأبي قبيس، والشيخ الكبير عبد الرحمن باوزير، قرأ على هذين «الإحياء»، وأخذ التصوف عنهما، وعلى السيد الجليل عبدالله بن سالم حَبْلَه.

وأخذ باليمن وغيره عن جمٍّ غفيرٍ، وكان كثير التردد إلى الحرمين الشريفين، والمجاورة بهما، ثم لزم الإقامة بمدينة تريم، ولازم صحبة الشيخ العارف بالله السيد عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس في دروسه، وكان يحضر درس السيد العلامة أبي بكر بن أحمد الشلي باعلوي العام، بعد العشاء في مسجد القوم المعروف ثَمَّ كلَّ ليلة، وصحبه ولد شيخه شيخِنا السيد محمد ابن أبي بكر الشلي زماناً طويلاً.

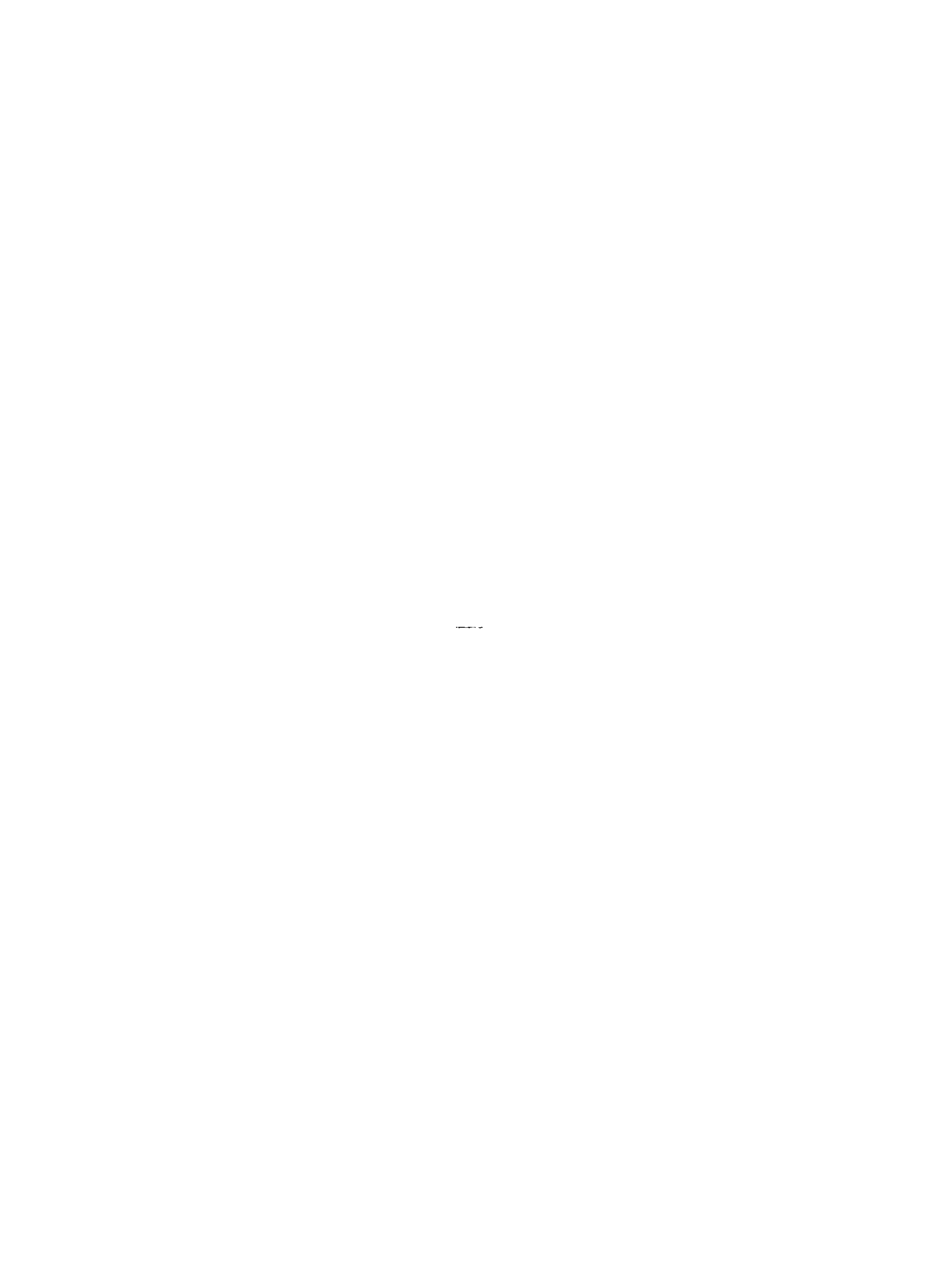
وكان كثير الأوراد والأذكار، لا سيما بما ورد في الأخبار، يتلوها في الليل والنهار، وكان مواظباً على الجماعات، في أول الأوقات، ولا يترك الجماعة في مسجد بني علوي، ومسجد السقاف، إلا عن عذر شرعي.

وكان كثير الزيارة للقبور، لا سيما قبر الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم، فكان لا يترك زيارته، إما بليل أو نهار، والغالب عليه العزلة عن

الناس، فلا يجتمع بهم إلا في مسجد جماعة، أو مجلس علم، وكان له خلقٌ أرق من نسيم الهبوب، ومحاسن تملأ العيون والقلوب.

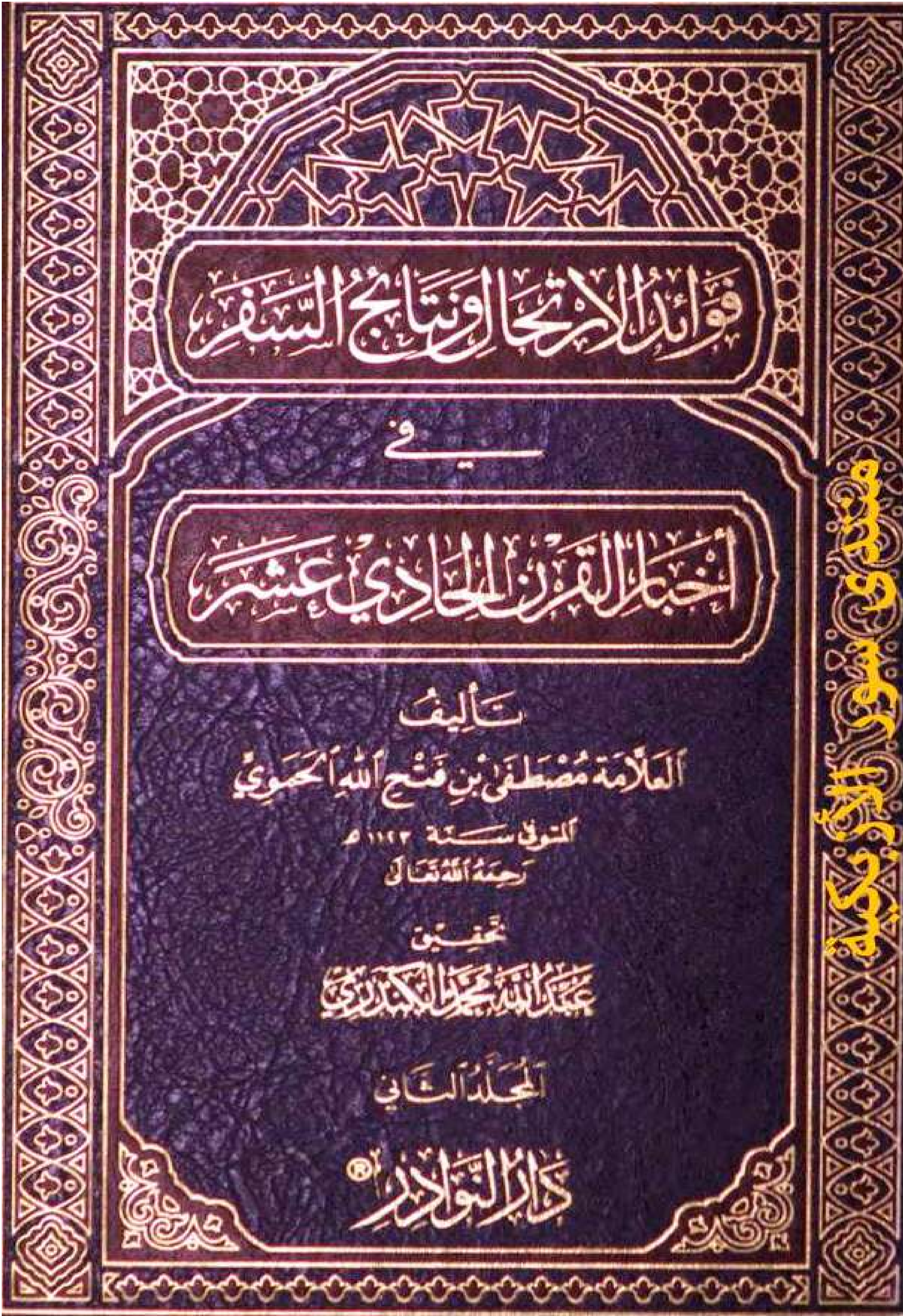
ولم يـزل مواظباً على العلم والعمل، ما شـياً على طريقة لا عوج فيها ولا خلل، إلى أن دعاه مولاه، فأجابه ولباه، فانتقل إلى ـ رحمة الله، وكانت **وفاته** سـنة اثنتين وخمسـين وألف بتريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

❐ ❐ ❐






فهرس الموضوعات


فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر
تأليف
العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي
المتوفى سنة ١١٢٣هـ
رحمه الله تعالى
تحقيق
عبد الله محمد الكندري
المجلد الثاني
دار النوادر
منتدى سور الأزبكية




فوائد الارتحال ونتائج السفر

في

أخبار القرن الحادي عشر



(٢)

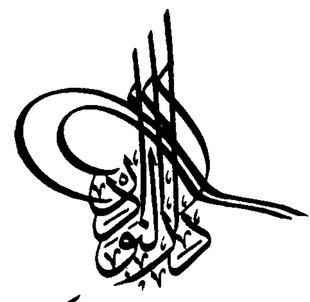






الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك : ٩٧٨ - ٩٩٣٣ - ٤١٨ - ٩٤ - ٦ : ISBN
9789933418946



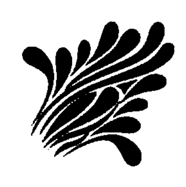
سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النوادر م. ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش. م. م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية ذ. م. م - الكويت
سورية - دمشق - ص. ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب : ١٤/٥١٨٠ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص. ب : ٤٣١٦ حولي - الرمز البريدي : ٣٢٠٤٦
هاتف : ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس : ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com









فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٣ هـ

رحمه الله تعالى

المجلد الثاني

تحقيق

عبد الله محمد الكندري

دار النوادر®







بسم الله الرحمن الرحيم







تابع المحمدون

[٣٤١] محمد بن عمر الرَّوضي المالكي.

أحد العلماء الذين يُقتدى بهم، والصلحاء الذين يهتدى بهم، كان عالماً وقوراً، وعند أهل عصره مشكوراً، أخذ عن النور علي الأجهوري، ومن في طبقته، وألف مؤلفات، منها: «تذكرة القاري بذكر رواية مسلم عن البخاري»، وكتاب: «رد الاعتراض والقدح في جواز الإطناب في الثناء والمدح»، وكتاب في «المغارسة»، توفي بمصر سنة سبعين وألف ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٣٤٢] السيد محمد بن عمر بن عبد الوهاب العُرضي الحلبي الحنفي(١).

كان فاضلاً أديباً، ماهـراً أريباً، له في كل علم سـهم مصيب، وحذق عجيب، ويد طولى في العلوم النظرية، وسـعة إطلاع على النقول الفقهية، واستحضار لدقائق العربية، ومحاضرة بديعة سنية.

وكان بديع النظم والنثر، رقيق الطباع والشـيم، دقيق حواشـي المجد والكرم، أخذ عن أخيه العلامة أبي الوفاء، وبه تخرَّج، وحصَّل من العلوم

---

(١) «خلاصة الأثـر» للمحبي (٤/ ٨٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٤٨٣) (١١٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣١٧)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٢٩٩) (٩٨٤).

طرفاً صالحاً، إلا أنه كان صارفاً أوقاته في الصحبة والمنادمة جل أوقاته، وكان يقول له أخوه: لو تركت ما أنت فيه، لم يكن في حلب مرجع غيرك في العلوم.

وكان دخل الروم، مقدراً أن المتاع بأرضه يسترخص، وأن المرء يبلغ مناه في أي وجه يشخص، فلم يحصل على طائل، ورجع إلى بلده، وأقام بها، إلى أن توفي سنة سبعين وألف، بعد أخيه أبي الوفاء بخمسين يوماً.

وله تذكرةٌ لطيفةٌ وقفت عليها، جمع فيها جملة من أفاضل حلب، والوافدين عليها، والأدباء الواردين إليها، أحسن فيها كل الإحسان، وفاقت ألفاظها عقود الجمان.

ومن شعره:

على وَجَناته خالٌ عليه تبدَّت شعرةٌ زادتْه لطفا
كقطعةِ عنبرٍ من فوقِ نارٍ بدا منها دخانٌ طاب عَرْفا

وقوله:

ويلاه من جيدٍ كماء الحياة حَفَّ به ريق كشطِّ الفراتِ
كأنما أطواقهُ حولَه فوارةٌ تمطرُ ماءَ الحياةِ

وقوله:

لله يا عصرَ الصبا والهوى ما كان أهناكَ وأحلاكَ
إذ فيك ليل الخيل ريحانة أشمُّها في ظل ممشاك
تمسّك الليل بأذيالنا حتى حسبتُ الليلَ ليلاك

وقوله مضمناً:

لـئن سـلبوني لؤلـؤاً كنـتُ صـنتُه ... بأصداف صـدري لـم يثْقُبـه ثاقبُـهْ
وإن غلبتنـي الأغنيـاء وطيَّــشَتْ ... سهامي وعيشي كان صفواً مشاربُهْ
فللــه قــوسٌ لا تطـيش ســهامُها ... ولله ســيفٌ لـيس تنبـو مـضاربُهْ

وقوله:

طويتُ رقعةَ حـالي عـن شـكايتها ... وقد سكنتُ زوايـا الفقـر واليـاسِ
وقد قطعتُ حبالي عن رجـا بـشرٍ ... معـوضٍ بـسهام المـوتِ والبـاسِ
حينــاً يجــود وأحيانــا تبخّلــه ... خلائــقُ أوحــشته غِــبَّ إينــاسِ
وقد لجأتُ إلـى مـولًى أرى ثقتـي ... بفضلِه نـسختْ أحكـامَ وسواسـي
هــو النـصيرُ لعبـدٍ لا نـصير لــه ... ترميه بالهوى ظلمـاً أعـينُ النـاس

وقوله:

قيــل لــي كَـمْ وكَـمْ تتمــادى ... في الهـوى والطريـقُ وعـرٌ قَـصِيُّ
قلــتُ ظنــي بــالله ظــنٌّ جميــلٌ ... وبخيــر الأنــام جَــدِّي علــيُّ
إن لله رحمـــــةً تــسع الخلــــ ... ـقَ جميعـاً فمـن هـو العُرضِــيُّ

وقوله:

إن يغـبْ كـلُّ صـاحب وصـديق ... والرزايــا بــساحتيك أنابــتْ
فاســــتمدَنَّ رَوحَ روحِ نبــــيٍّ ... إنَّ روحَ النبــيِّ مــا قَـطُّ غابــتْ

وقوله:

وقالوا تركتَ الشعرَ فيمن تحبه ... ولم تخترع معنى قديماً ولا بِكْرَا

فقلتُ تجلَّى بعضُ أنوارِ حسنهِ ... على طُورِ أحشائي فأحرقَتِ الفِكرْا

وقوله:

إن خالَ الحبيب لمَّا دهاني ... وشجاني منه الجفا والمِطالُ

قلت إذ زاد نكهةً وصفاءً ... قمْ أَرِحْنا بقبلةٍ يا بلالُ

وقوله:

وجه كعبة حسن ... ولما ماء زمزَمْ

خلت ذاك الخالَ منه ... حَجَرَ الأسودِ يُلثم

وقوله وقد أمره العلامة الشهاب الخفاجي، يأكل قطعة من البرش:

وما كان أكلي البرشَ مولاي كي أرى ... بطربة نشوانٍ وغبطةِ مسرورِ

ولكنني كنتُ السليم لبيتكم ... فكان لآلامي به بعضُ تخدير

وقوله في لاعب شطرنج:

يحاول أن يُميتَ النفسَ ظبيٌ ... بشاماتٍ حكتْ عشراتِ حاسِبْ

تُرى أحظى به في الدهر يوماً ... أراني راكباً من فوق لاعِبْ

وقوله في مكاتبه:

هل من خليل بشهبانا نُخالِلُهُ ... وهل غزالٌ إذا عدانا نُغازِلُه

عهدتُها وشموسُ الراحِ جاء بها   بدرُ التمام وغصنُ البان حاملُه
إن ماس من دلّه وأذلّ عاشقَه   حَتَّام يغني إذا ما اهتزَّ عامِلُهُ
ترى إذا ما قرعنا بابَ ساحتِه   يُولي الجميلَ وإلا خاب آمِلُهُ
وهل يودُّ فتًى شطَّتْ منازلُه   وربْعُه قد خلا والبيتُ نازِلُهُ
ما حيلتي وطُروقُ الطيفِ أقلقَني   كأن عيشاً لنا ما زال زايِلُهُ
طال الفراقُ فلا وافٍ يراسلُنا   على البعاد ولا آتٍ نُسائِلُهُ [1]

[٣٤٣] محمد بن عمر العباسي؛ نسبة إلى العباس ﷺ عم النبي ﷺ، الخلوتي الصالحي، ثم الدمشقي الحنبلي، وأمه من ذرية الشيخ أبي عمر بن قدامة الحنبلي[2].

كان من أكابر العارفين، والأولياء المتمكنين، ولد بصالحية دمشق، في حدود سنة ألف، وأخذ الفقه عن أبي الوفاء المفلحي، ومن شيوخه: العلامة إبراهيم بن الأحدب، والنجم الغزي، وأخذ طريق القوم عن العارف بالله الشيخ أحمد العُسالي، لازمه بقرية عُسال، من قرى دمشق، وتخرج به، ثم صار خليفة من بعده.

وكان يؤثر الخمول على الظهور، إلى أن أراد الله سبحانه ظهوره، لما حبس الغيث عن دمشق، سنة سبعين تقريباً، واستسقى أهلها مرات، فلم يمطَروا، وكان المترجم لا يخرج معهم؛ هضماً لنفسه، فأنطق الله بعض

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أرباع الصفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٣).

المجاذيب: بأنكم إن أردتم الغيث، فاستسقوا بصاحب الترجمة.

فحينئذٍ أمره ولي الأمر بالخروج للاستسقاء بهم، فخرج وهو في غاية الخجل، وقال: اللهم إن هؤلاء عبادك، قد أحسنوا الظن بي، فلا تفضحني بينهم، فسُقوا من ساعتهم، وما رجعوا إلى البلد إلا بمشقة؛ من كثرة المطر، واستمر ثلاثة أيام.

فاشتهر بعد ذلك ذكره، وعلا قدره، ولازمه المريدون، وتسلك به جماعة صالحون، ثم انقطع عن الناس، وكان لا يقبل من الحكام هدية، ولا يتردد عليهم.

وله كرامات كثيرة مشهورة عند أهل دمشق، منها: أن بعض المجاورين بمكة من أهلها، رآه يصلي الأوقات الخمسة بالمسجد الحرام، بالمقام الحنبلي، وهو بدمشق[1]، توفي عام ستة وسبعين وألف، ودفن بتربة مرج الدحداح.

[٣٤٤] محمد بن عمر الكفرسوسي الشافعي[2].

الشيخ الصالح العامل، ولي الدين بن زين الدين ابن شيخ الإسلام شمس الدين الكفرسوسي، قال النجم في «الذيل»: كان من أجل الوعاظ بدمشق، إلى ما حواه من كمال الفضيلة، وإتقان العلوم.

توفي ليلة الأحد، ثامن رمضان، سنة خمس عشرة بعد الألف، ودفن بتربة باب الفراديس، عند أبيه وجده ـ رحمهم الله تعالى وإيانا ـ.

---

(١) إدعاء رؤية المشايخ في الأماكن الفاضلة مثل الحرمين وبيت المقدس، دعوى باطلة يُكثر منها أهل التصوف وأدعياء الطريق، نسأل الله السلامة.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٨) (٤٤).

[٣٤٥] السيد محمد بن عمر بن يحيى بن المَسَاوي السُّرديني الحسني، ينتهي نسبه إلى إدريس بن جعفر بن نعمة بن علي بن داود بن سليمان بن عبدالله الكامل بن المؤيد بالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ [(١)].

القطب العارف بالله، المتوجه بكل كليته إلى مولاه، الذاهل عن الأكوان بنظره إلى مكونها، المربي السالكين بأحواله على تفننها.

أحاطت به المعرفة من كل جانب، فظهرت منه العجائب والغرائب، كان في بدايته مشتغلاً ليله ونهاره بقراءة القرآن، مجداً في عبادة الرحمن، ثم أخذ باليمن عن شيوخ من السادة بني الأهدل وغيرهم، ثم قدم الحرمين، وجاور بهما سنين، ولازم بالمدينة شيخ شيوخ الطريق أحمد بن محمد القشاشي، وأخذ عنه، وبه تخرج، وانتفع كثيراً.

وكان شيخه المذكور يشير إليه كثيراً، ويقول في شأنه: إذا لبس السيد محمد خرقةً، فهي خرقة نبوية.

ورأى صاحب الترجمة النبي ﷺ في المنام قائلاً له: قدمك كقدمي، ومسجدك كمسجدي.

ورأى بعض الصالحين، في عالم الرؤيا أيضاً، قائلاً يقول: محمد ﷺ أمين الله على خزائن الأرض، ومحمد بن عمر أمين رسول الله ﷺ.

وكان ؓ يعتريه في بعض أوقاته حالٌ يغيب فيه عن شعوره، فيجلس

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٤).

اليوم واليومين مصطلماً لا يتكلم.

ومناقبه وكراماته لا يحصيها عدّ، ولا يحيط بها حدّ، فلنكتف بما ذكرناه؛ فإنه أشهر من أن يُعرف حاله.

واستمر على المجاهدة والصيام، والصلاة والقيام، وإطعام الطعام، والإنفاق على الفقراء، والإحسان إليهم مدى الأيام؛ بحيث ينفق جميع ما يحصل له من بلاده ومزارعه ـ على كثرتها ـ في وجوه البر.

ولما قربت وفاته، قرأ من أول سورة الأنعام إلى قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام: ١٢٤]، ثم خرجت روحه الشريفة، وكان ذلك اليوم الأربعاء، رابع شهر ربيع الأول، سنة ست وتسعين وألف، ودفن بقرية السِّنان ـ بكسر السين ـ من بلاد بني جل، من أعمال الشرف، من اليمن الميمون، وصُلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام، بعد صلاة الجمعة، سادس عشر ربيع الثاني، من السنة المذكورة ـ نفعنا الله به ـ.

[٣٤٦] محمد بن عبد القادر بن أحمد بن أبي بكر بن إسرائيل بن إسماعيل بن محمد بن عمر(١).

الشيخ الإمام العلامة، الذي ظهر شرفه، وعلت غرفه، وأنبأ عن جوهر كلمه صَدَفُه، صنف عدة كتب، في فنونٍ كثيرةٍ، منها: تفسير غريب القرآن العظيم، المسمى: «شذور الإبريز في لغات الكتاب العزيز»، وهو كتاب يعجز الواصفون عن وصف جماله، وتغشى العيون من شموس كماله.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١١)، «لفت النظر» للجيلاني (٥٧٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢١٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٢).

وله «رسالةٌ في القهوة» وأخرى في علم المساحة سماها: «المُشِمَّة النفاحة بتحقيق المساحة» جمع فيها الكثير المتفرق من الكتب في هذا الفن، على أقصد سبيل، وأقرب مأخذ.

وله نظمٌ حسنٌ، ورد على الشيخ العلامة محمد بن عمر بحرق، في قصيدة له في السلطان بدر الكثيري في قوله: وكأنما أنصارك الأنصار، فقال صاحب الترجمة: أتقيس غفلاً جاهلاً بنبينا؟!

ومن نظمه في القهوة:

يا شاعرا فاقَ في أقواله الشُّعَرا ... أبدى لنا من قوافي نظمه دُرَرا
أطربتني إذ وصَفْتَ القافَ تُتبعه ... هاءً وواو وهاء بعده زُمرا
حققت في وصفها وصفي كفى ورقا ... بل قد شفى وجلا عن قلبي الكدرا
فإنها قوةٌ مهما حذفتَ لها ... هاء تبيَّنَ ذا مَنْ في الأنام قَرا
كذاك ناسبها في ذكرك اسم قوى ... موافقاً عدَّها فاعدُدْه واعتَبِرا
فقافُها قويت أعضاء كلٍّ فتى ... وهاؤها لهدى والواو منه جرى
بين الأنام الوفاء والهاء آخرها ... منه الهباتُ وهذا السرُّ قد ظهرا
فاشربْ هنيئاً فما في ذاك منقصةٌ ... كلا ولا حرمةٌ تَخْشى بها ضررا

توفي يوم الأربعاء، لثنتي عشرة بقيت من رجب، سنة خمس عشرة وألف، بروضة بني إسرائيل بحضرموت ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٣٤٧] الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر بن أبي بكر ابن الأمير إبراهيم ابن الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم ابن الأمير منجك اليوسفي

الناصري، مملوك الناصر محمد بن قلاوون أمير الأمراء بالديار المصرية في الدولة الجركسية[1].

كان أمير الأمراء بدمشق، مفرد عصره في الكرم والجود، مشهوراً في الآفاق؛ بحيث إنه لم يكن له قرين في الإحسان إلى الفضلاء، والإنعام إلى الفقراء، قوي الشوكة، ملك من العقارات والبساتين والضياع في بلاد الشام، ما لم ينله أحدٌ في عصره، وله القصر المشيد العالي، الكائن بالشرق القبلي، المطل على المرجة الخضراء، وهو من متنزهات دمشق، ولما أتم الأمير بناءه، نظم الشعراء له تواريخ، منها: قول الشيخ أبي بكر العمري:

وقــصر تــودُّ قــصورُ الجِنــا ... ن لــو أنهــا بابــه تخــدمُ
وكوثرُهـــا دائـــرٌ حولَـــهُ ... وأشـــجارُها تربَهـــا تلـــثمُ
بنــاه الأميــر فتــى منجــك ... محمـــد والفـــارسُ المُعْلَـــمُ
وشـــرفه فغـــدا قـــدرُه ... عظيمـــاً وتاريخُـــه أعظـــمُ

ولولده الأمير منجك شاعر عصرنا قصائد فيه، منها: قوله:

قصر الأمير بوادي النيربين سقى ... رباك عني من الوسميِّ أمطارُ[2]

توفي ليلة الخميس خامس عشري شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وثلاثين وألف، وخلف الأمير الشهير منجك باشا، والأمير عمر.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٢٩).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «أمطار» خمسة أسطر بياض بالأصل».

ولشعراء عصره فيه مدائح ومراث بديعة، منها: قول العلامة أحمد ابن شاهين:

مـصابٌ لَعَمـري بـالأمير كبيـرُ ... ورزءٌ لـه أضـحتْ دمـشقُ تمـورُ
وفقـدُ كبيـرٍ صـغرَ العـيشُ قـدرَه ... فكـلُّ لذيـذٍ فـي الحيـاة حقيـرُ
وميـتٌ تمنـى كـلُّ حـيٍّ بأنـه ... يـصيرُ لـه مثـل الأميـر مـصيرُ
مضى ما مضى إلا وخلفتَ روعـةً ... مُـرورٌ لهـا بـين الحـشا وكُـرورُ

منها:

أميـرٌ معاليـه إذا مـا ذكرتهـا ... تفـوحُ عبيـراً أو تلـوح بـدورُ

ومنها:

بني منجـكٍ يـا عظَّـمَ اللهُ أجـرَكم ... فقـدرُكُمُ بـين الأنـام خطيـرُ
نعـزِّيكُمُ حتـى كـأن فؤادَنـا ... خَلِـيٌّ ولكـنَّ الفـؤاد سـعيرُ
أميـرُكم بالحمـد راح فـأرخوا ... (بـأيمنِ حمـدٍ جنـةٌ وحريـرُ)

ومنها:

أميرَ دمشقَ الـشامِ يـا روحَ أهِلهـا ... رحلـتَ فأجـسادُ الأنـام قبـورُ

ولولده الأمير منجك وقد اجتاز بالقصر المذكور:

مـن مبلـغٌ قـصرَ الأميـر بأنـه ... فجَعتُـه فـيمن قـد بنـاه منـونُ

ومنها:

قد أَسْكَنَتْهُ بعدَ مـا وَطِـئَ الـسُّهى ... جـدثاً فأمـسى فيـه وهـو رهـينُ

هـين. . . . .[1] فيـه الحـدائق   أبـداً ولا مـادتْ بهـن غـصونُ
وجفـا ملـثُّ الغاديـاتِ رسـومَه   وأذيـل فيـه الـدمعُ وهـو مـصونُ

ومنها:

ولـئن خـلا منـه فبـين جـوانحي   ربـعٌ لـه طـولَ المـدى مـسكونُ
أقـوى فغَّـشْت كـلَّ قطـرٍ وحـشةٌ   ونـأى فكـلٌّ قـد عـراه أنـينُ
يبلـى الزمـانُ وذكـره متجـدد   إن الزمـانَ بفـضله مـشحونُ

ومنها:

ولكـل عـزٌّ فـي سـواه مذلَّـةٌ   ولكل صـدرٍ فـي المجـالس دونُ
فسقاه مـن نِعَـم المهـيمن صـيِّبٌ   يهمـي علـى ذاك الـضريحِ هتـونُ

[٣٤٨] محمد بن عبد الكريم، الشهير بقاضي زاده.

كان والده قاضي الأحساء، ثم ترك القضاء، وجاور بالمدينة الشريفة، ومعه أولاده: محمد المترجم، ويحيى، قرأ بالروم على كثيرين، وبالحرمين على القاضي عبد الرحمن بن عيسى المرشدي مفتي مكة، وبه تخرج، وعلى محمد أفندي الشعراني قاضي المدينة، وأقام بالمدينة، على بث العلم ونشره، إلى أن توفي بها ثاني ربيع الأول، سنة ثلاث وسبعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٣٤٩] محمد بن مصطفى بن بستان مفتي التخت العثماني[2].

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٠٢) (٣١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٢٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٧٣) (١٤٧).

الإمام العلامة، الأوحد المحقق الفهامة، شيخ الإسلام، ولي قضاء الشام، فقدمها حادي وعشري ذي الحجة، سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، ثم ولي قضاء مصر، ثم قضاء العسكرين، ثم ولي قضاء مصر.

ثم كتب إليه السلطان مراد خان: بأني لم أعزلك عن مصر، فأقم من شئت بها مقامك، ثم جئنا زائراً؛ فإنا أنعمنا عليك بمشيخة الإسلام، وإفتاء الأنام في الأحكام، فدخل دمشق في رمضان، سنة أربع وتسعين، ـ بتقديم التاء فيهما ـ.

قال النجم الغزي: فاجتمعت به إذ ذاك، في صحبة شيخنا أحمد العيثاوي، في مجالس كانت حافلة بالعلماء، وكان فصيح العبارة، عالماً بعلوم العربية فهامة.

قال النجم: وعرضت عليه بعض مؤلفاتي، فقبلها، وأثنى عليها، وعلى شيخ الإسلام الوالد، وقال: سرُّ بيت رضيِّ الدين لا ينقطع بالشام، كما لا ينقطع سرُّ بيت البكري بمصر، وأمر بكتابة بعض تحريراتي، وكتب منظومتي في «مورثات الفقر والنسيان» التي نظمت فيها رسالة الإمام العلامة المحدث إبراهيم الناجي.

ثم سافر إلى القسطنطينية، فصار بها شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، ومرجع الخاص والعام، وكان محمود السيرة في قضائه، نافذ الأحكام، مع الحلم الزائد، وحسن الخلق، والمداراة، ولين الجانب، مع العلم الوافر، والفضيلة التامة.

وبقي في منصب الإفتاء، إلى أن توفي رابع شعبان بالقسطنطينية، سنة ست بعد الألف، وهو اليوم الذي مات فيه شيخ الإسلام الشمس الداودي

بدمشق، ووصل الخبر بموته يوم الاثنين، ثامن عشري رمضان، وصُلي عليه غائبةً يوم الجمعة بعده ـ رحمه الله ـ.

قلت: وللعلامة درويش محمد الطالوي فيه مدائح كثيرة، ذكرها في كتابه «السابحات».

[٣٥٠] محمد بن مصطفى الشهير بداود زاده.

كان من علماء الروم المشهورين، له اختصار القاموس سماه: «الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط»، توفي سنة إحدى عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٣٥١] محمد بن مصطفى الشهير بقاضي زاده.

من مشاهير علماء الروم، له مؤلفات منها: «رسالة في صلاة الرغائب وعدم جوازها بالجماعة»، وله «رسالة الميزان» ألفها بإشارة شيخ الإسلام صنع الله أفندي، وكانت وفاته سنة أربع وأربعين وألف.

[٣٥٢] محمد بن مصطفى الواني المعروف بواز قولي الرومي[1].

عالمٌ مشهورٌ، نقل «صحاح الجوهري» إلى اللغة التركية، وحذف منها الأمثال والشواهد، حتى بقي في عشر حجمه، توفي سنة ألف ـ رحمه الله ـ.

[٣٥٣] محمد بن مصطفى الشهير بكاني جلبي الحنفي[2].

الرومي الأصل، اليمني المولد والمنشأ، كان من أجلاء الأعيان، وأهل

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٧/ ٩٩).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٢٥)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٩٩).

الفضل والبيان، وكان أميراً من جهة الأتراك، حين كانوا مستولين على اليمن، وكان حسن السيرة، صافي السريرة.

له اطلاع على العلوم الأدبية، ومعرفة جيدة بعلوم العربية، وله تاريخ سماه: «بغية الخاطر ونزهة الناظر»، ابتدأ فيه من أخباره ﷺ، وأحواله، من زمان ميلاده إلى هجرته، وصل فيه إلى سنة ثلاث وثلاثين وألف، وذكر فيه الأئمة الدعاة من الزيدية، وغيرهم، وملوك آل عثمان، وحكامهم في اليمن، وجعله باسم الوزير محمود باشا، وقد وقفت عليه، ونقلت منه ما هو من شرطي.

وله أشعارٌ حسنةٌ، منها: قوله يمدح النبي ﷺ:

يا نبياً كمَّل الله له ... كلَّ وصفٍ زيَّنته الشيمُ
والذي من بأسه نارُ لظى ... وأياديه الزلالُ الشيمُ
والذي قد أصبحت أمته ... يتدانى من علاها الأممُ
من لصَبٍّ ليس يَشفيه البكا ... وهو من أجفانه منسجمُ
ولقلبٍ ولبرقٍ مثله ... تحت جلبابه الدجى يضطرمُ
وكئيبِ القلب صَنْعا دارُه ... ما بدا رسم له أو معلَمُ
حبٌّ جرعا طيبةٍ جَرَّعَه ... كأسَ شوق ما حكاه العلقمُ

ومنها:

يا أحبابي وأيام خلت ... هي أيام مضتْ أو حلمُ
وعهود قد حفظناها لكم ... ما نرى أنكم ضَيَّعتمُ

وهــواكم وهــو عنــدي قــسمٌ   بـــسواه حالفـــاً لا أقـــسمُ

بُعـــدُكم لـــم يغيـــر بَعـــدكم   غيـر دمـعٍ قـد جـرى وهـو دمُ

وســـقامٍ لا يداويـــه ســـوى   مـــن برؤيـــاهُ يـــداوى الـــسقَمُ

حيـــث لا تبـــصر إلا رحمـــةً   فـــي جِنـــان ظلهـــا مـــرتكمُ

فـــي ربـــا طيبـــةَ طابـــت تربـــةٌ   حيـث حـلَّ المـصطفى والحـرمُ

ومنها:

مضجَعٌ حـلَّ الحبيبُ المـصطفى   فـــي ثـــراه والعـــلا والكـــرمُ

بقعـــةٌ ضُـــمت بهـــا أعـــضاؤه   أفـــضلُ الأرض بقـــولٍ يجـــزمُ

بلـــدٌ بالمـــصطفى الهـــادي لـــه   كـــلَّ يـــوم وقفـــةٌ أو موســـمُ

النبـــيُّ الهاشـــميُّ المجتبـــى   سـيدُ الخلـق وإن هـم رَغِمـوا

صـــفوةُ الله ومـــا مـــن آدمٍ   كـان فـي الكـونِ ولا كـانوا هـم

جمـــعَ الله بـــه أشـــتاتَنا   مـــن شـــتاتٍ كـــادَ لا يلتـــئمُ

ومنها:

بـات يرعانـا ويحمـي سـوحَنا   وكأنـــا حيـــث كنـــا نعَـــم

هـو مـسكٌ طيـبٌ مـن أجـل ذا   أنبيـــاءُ الله منـــه خُتمـــوا

نجلُ إسماعيلَ فـي عـرق الثـرى   وابـنُ إبـراهيم فـانظر مَـنْ هـمُ

ومنها:

يـا خليـلَ الله هـل مـن نفحـةٍ   يخَجـل البحـرُ بهـا والـديمُ

يـا رسـولَ الله هـل مـن جذبـة … حيـث حـل الـركنُ والملتـزَمُ

يـا حبيـبَ الله هـل مـن شـربةٍ … تـروي العطـشان منـه زمـزمُ

يـا عظـيمَ الجـاهِ هـل مـن غـارةٍ … هـي بالنـصر المرجَّـى موسـمُ

ومنها:

يـا أجـلَّ الخلـق هـل تـسمعني … مثـل مـا قـال الأجـلُّ الأكـرمُ

وإليـك اليـومَ أشـكو خلـةً … أسـقمَتْ جـسمي ومـا بـي سـقمُ

خـوفُ أعـدائي ونفـسي والهـوى … وشـياطين عـن الحـق عَمُـوا

بـل أنـا عبـدٌ مـسيءٌ مـذنبٌ … منـذ وافـى سـائلاً لا يحـرمُ

ومنها:

يـا جميـلَ الخلـق فعلـي سَـيِّيءٌ … فاسـأل الـرحمن يـا مـن يـرحمُ

فأنـا المـضطرُّ وإنـي سـائلاً … جـودَ مـولًى مـا عـداه الكـرم

لـست بالكـافي لمـا أشـكوكم … أنـتمُ بالحـال منـه أعلـمُ

وحيـاء لـم أقـل لـي ذمـةٌ … باسـمك المحمـود ذاك الأعظـمُ

فكنيـتُ الاسـمَ إجـلالاً وإن … صـحَّ لـي منـه الـذمامُ المحكَـمُ

ومنها:

فعليـك اللهُ صـلَّى دائمـاً … مـا هـدى الـساعي إليـك القـدمُ

وكـذاك آلُـكُ أربـابُ التقـى … وكـذا الـصحبُ الهـداةُ الأنجُـمُ

[٣٥٤] محمد بن المطهر بن محمد. . .[١] الجرموزي الحسني[٢].

السيد العلامة الأديب، والشاعر الماهر الأريب، فصيح اليمن، وعمدة الزمن، ذو الحكم الباهرة، والنوادر النادرة، والشوارد التي سارت بها الأمثال السائرة، لا يوصف ما اتصف به من بدائع بداتة ارتجاله، وغزارة اطلاعه على الشعر وسعة مجاله، مع كونه حاز قصب السبق في غالب الفنون، وافتخرت به الآباء والبنون، وشهد أهل الفضل له بالكمال البارع، وأذعنوا أن ليس له في العصريين مشابه له ولا مضارع.

ولما رأى الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل ما فيه من كرم الخصال، وكمال الفضل والجلال، جعله من خواص ندمائه، وأجَلَّه وفضّله على أكثر وزرائه، وأحلَّه منه محلاً كريماً، وأنزله عنده منزلاً جسيماً.

مولده ـ كما أخبرني صنوه ـ العلامة السيد الحسن بن المطهر، أمير المخا ـ عام تسع ـ بتقديم ـ التاء وثلاثين بعد الألف، وقرأ بصنعاء على أكابر شيوخها، وجّد في الطلب لاكتساب بضاعة العلم والأدب، ونظم الأشعار الحسان، التي تزري بعقود الجمان.

فمنها: قوله مضمناً بيت ابن تومرت:

فيا حجرَ النجدِ حتى متى ... تسنُّ الحديدَ ولا تقطعُ

---

(١) جاء في الحاشية: «قبل كلمة «الجرموزي» سطر ونصف بياض بالأصل».

(٢) «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ١٩٣) (١٦٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٠٦) (٢٢٢).

ألا انهمـــري أيهـــا الأدمـــعُ وذوبــي جَـوىً أيهــا الأضــلعُ
ونــوحي علــى مَــنْ لـه أزمعـتْ كبــار المعاصــي التـي يـصنعُ

ومنها:

فكم خـاضَ جهـلاً بحـارَ العمـى ومـــن عنـــده يوجـــد المهيَـــعُ
علـــى أنـــه واعـــظٌ إن رقـــى علـــى منبـــرٍ روعـــه يـــردَعُ
فمثِّلْـــــه إن شـــئت تمثيلَـــــه بمثـــل الـــذي قالـــه المبـــدعُ
فيــا حجــرَ النجـد حتـى متـى تـــسنُّ الحديـــدَ ولا تقطـــعُ

وقوله:

قفـا حـدِّثا عـن لـوعتي وغرامـي ففي القلب نارٌ أُجِّجـت بـضـرامِ
وعني خذا الأشواق والوجد والهوى فلـيس دَعِـيٌّ فـي الهـوى كإمـامِ
وفي الجزع حيٌّ كلما شاقَ ذكرهم نـــسيم اشـــتياق لا يلـــذ منـــامِ
جَفَوا مغرماً لم يثنـه عـن ودادِهـم ســـلوٌّ ولا أرواه شـــربُ مُـــدامِ
ولا لحـــنُ شـــادٍ معبـــديٌّ غنـــاؤه يرجِّـــع ألحانـــاً كـــسجع حَمـــامِ

ومنها:

إذا سلوةٌ رامت إلى القلب مسلكاً يقول لهـا الوجـدُ ارجعـي بـسلامِ

وهي طويلة.

وكتب إلى الفقيه الأديب حسين بن علي الوادي، وهو إذا ذاك بصنعاء، سنة إحدى وستين وألف: **قوله:**

السحب أرخى أدمعاً لا تفيقْ ... فألبس الأغصان ثوباً أنيقْ
ودبّج الأرضَ فمن أخضرٍ ... أو أصفر أو أحمر كالعقيقْ
وكلما مرت بنا نفحةٌ ... أهدت من الأزهار مسكاً سحيقْ
روت حديثاً عاد دمعي له ... مسلسلاً بالردّ لا يستفيقْ
إن الربا قد كُلِّلَتْ بالكلا ... وانتظمَ المنثورُ بين الشقيقْ
والطيرُ في أرجائها منشدٌ ... هذا هو العيشُ الرقيقُ الأنيقْ
لا تهجروا إخوانكم واغْنَموا ... زمانكم أو تهجرون العتيقْ
فإنما الدهرُ قصير أبداً ... وقلما يُدرَك عيشٌ رقيقْ
يا أيها الوادي الذي نشرُه ... قد ملأ الأرجاء نشراً عبيقْ
بُعدُك عني والوفا شيمتي ... ما لي إلى السلوان عنه طريقْ

فأجابه الحسين بقوله:

إن الذي صيرني حبُّه ... دمعاً جريحاً وفؤاداً رقيقْ
لم يكتفي عن مهجتي بالغضا ... ولا عن العين بسفح العقيقْ
واحرَّ قلباهُ ومَن نافعي ... منه إذا بجرح قلبي الحريقْ
مِن قمرٍ يفعل بالقلب مر ... آه ولا فعلَ سلافِ الرحيقْ
مكوثَرِ الريق لم لي دم(١) ... ومدمع في حبه قد أُريقْ
ما لي عن عشقه سلوةٌ ... ولا أرى السلوانَ عنه يليقْ

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الأول غير موزون.

إلا حـديثاً فـي جمـال الهـوى كأنمـا حُـلَّ بمسـكٍ سـحيقْ

وهي طويلة.

وقوله إلى الحسين أيضاً:

قم يـا رسـولي نحـو دار الحسينِ وقـل لـه الوعـدُ شـبيةٌ بَـدْينْ
ما زلـتَ تُـدلي فـي حبـال المنـى بوقفـة والأمـر فـي ذاك هَـيْنْ
وكـلَّ يـوم نلتقـي تقـلْ غـداً سـآتيكم ومـا ذاكَ مَـيْنْ
فأرقـبُ الـساعاتِ حتـى مـضى ميعـادُكم وأستخلف الحسرتَيْنْ
يـابنَ علـيٍّ أنـت أطربتنـي ولـم أنـلْ منـك سـوى وقفتَيْنْ
للهِ واديـك ومـا حـازه مـن نغمـات مـن كـلا الجـانبينْ
بليلـة بلبـل فلـم أزلْ أراعـي فـي الـدجى الخـافقينْ

فأجابه بقوله:

ذكـرتَ أن الوعـدَ ديـنٌ نعـم الوعـدُ عنـد الحـرِّ لا شـك ديـنْ
وكيـف يخفـى فـيكمُ سـائلي وسـائلي قـد مـلأ الخـافقينْ
فهـل سـألتَ الربـعَ عـن وقفـة وقفتُهـا فيـه بـلا وقفتَيـنْ
وقلـت للـوادي هـل جاءنـا الـ ـوادي وفينـاه فمـا الأمـر هَـيْنْ
إن كـان ذا مطـل فنفـسي لهـا صـبرٌ جميـلٌ تقبـل الحـالتين

وهي طويلة.

وله يمدح صنعاء:

أرى المدائن شوهاً كلَّما ذُكرت صنعاءُ والبابُ منها بابُ ستِرانِ
ما حلَّ فيها امرؤ إلا وعاينَها جناتِ عدنٍ عليها حورُ رضوانِ
إياك إياك لا تعدلْ بها بلداً هيهاتَ ما الدرَّ والحصباءُ سيانِ
تاهت على الأرض ما نهر الأُبُلَّة والـ ـوادي المقدَّس أو ما شِعْبُ بَوَّانِ

توفي في شعبان سنة سبع ومائة وألف بضوران ـ رحمه الله ـ.

[٣٥٥] محمد بن نور الدين الدَّرّا الدمشقي[1].

مالكُ أعنة الشعر، وناهج طريقه، العارف بترصيفه وتنميقه، الناظم بعقوده، الراقم لبروده، المجيد لإرهافه، العالم بجلائه وزفافه، تصرف في فنونه كيف شاء، وأتبع دلوه الرشاء، فشعشع القول وروَّقه، ومدّ في ميدان الإعجاز طلعه، فجاء نظمه أرقَّ من النسيم العليل، وآنقَ من الروض البَليل، يكاد يمتزج بالروح، وترتاح إليه النفس كالغصن المَرُوح.

ولد بدمشق، وبها نشأ وبرع، وتأدب وترعرع، وأخذ عمن بها من الفحول، علمَ الفروع والأصول، ورحل إلى مصر، وأخذ بها علوم العربية، ثم قصد مكة البهية، فأدى النسكين، وزار سيد الكونين، وأقام بمكة نحو عامين.

وألف بها: «شرح كتاب سقط الزند» لأبي العلاء المعري، باسم الشريف زيد، ملك الحرمين، ومدحه بمدائح طويلة أنيقة، وأشعار رقيقة، ورجع

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٤٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٢١٥) (١٣)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٢٦).

إلى بلده دمشق، فتوفي بها يوم السبت، وقت الزوال، سادس شهر رمضان، سنة خمس وستين بعد الألف.

وله ديوان شعر، كله غرر، وجواهر ودرر، منه قوله: . . .[1].

[٣٥٦] السيد محمد بن صلاح بن الهادي الوَشَلي اليمني[2].

سيد عظيم، وعالم كريم، ذو قدر فخيم، له السبق في الجهاد، ونظم أعمال البلاد والعباد، وتولى الأعمال الكبار، بأبي عريش وجازان، من جهة الأئمة بني القاسم.

ومن شعره: ما كتبه إلى العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، وقد عاد إلى بلاده من أبي عريش ونواحيها، بعد أن ارتحل إليها، لصلاح أمر عظيم، بين السادة النعميين، وأهل صبيا، عن أمر الإمام المؤيد بالله محمد ابن القاسم، وهو قوله:

لستُ أنسى رقةَ العيش الذي ... زاد في الرقة حتى انقطعا
في ربا الشجعة كنا جيرةً ... وأخلائي وأَخداني معا
جنةٌ عندي رباها زُخرفت ... سيما والكرمُ فيها نبعا
وسقى الله لُييلاتِ الحمى ... وكَلاَه وحَماه ورعى
وصديقاً زارني من بعدِ ذا ... بجلابيبِ الظلامِ ادّرعا
قطع البيداء نحوي مسرعاً ... والفيافي والمرامي قطعا

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد ذلك بياض بالأصل».

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٧٧) (٢٤٠).

زار كالطيف اختلاساً ومضى ... ثم ما سلّم حتى ودّعا

وقوله:

أودعَ القلبَ أسى إذ ودَّعا ... فجميلُ الصبر مني امتنعا

وسعى الحادي به مستخفراً ... ليته بالخدن يوماً لا سعى

إن يكنْ لذَّ لسمعي خبر ... بعد أن فارقتكم لا سمعا

أو ظننتم أن جفني هجعا ... فلعمري بعدكم ما هجعا

عِيل صبري إذ رحلتم جزعا ... وفؤادي ذاب فيكم ولعا

وقوله:

كان ينهاني الحيا أن أشتكي ... فغرامي لحيائي منعا

فاقصد الناصر فضلاً إنه ... خيرُ بحر للمعاني جمعا

واسألا لي مِنْ نداه دعوةً ... فهو بَرٌّ ومُجاب إن دعا

وهي طويلةٌ رائقةٌ.

وله عدة رسائل، نظماً ونثراً، إلى الناصر المذكور، تضمنتها مجموعاته، وتوفي سنة ثمان وسبعين وألف، بأبي عريش، وبها دفن ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٣٥٧] السيد محمد بن الطاهر بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر بن أبي بكر شعاع بن علي الأبيع بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد النجيب بن حسن بن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن الحسين بن علي بن آدم بن إدريس بن الحسين بن محمد الجواد ابن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي

السجاد زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، هكذا نقل نسب بني البحر محمد بن أبي بكر الأشخر، في كتاب «كشف العين فيمن بوادي سُردُد من ذرية السبطين»، وأن نسبهم فيه ثلاث عشرة قبيلة، من أشراف سردد الحسينيين ـ بالتصغير ـ، يجمعهم الحسن بن يوسف، وأم المترجم عائشة بنت أحمد بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر المتقدم[1].

الشيخ الولي، العارف بالله الشهير، كان من أصحاب المقامات العلية، وأهل الكرامات السنية.

مولده ثامن عشر رمضان، سنة اثنتين بعد الألف بالمنصورية، وهي قرية من أعمال بيت الفقيه ابن عجيل، من قرى اللاميين معروفة، بينها وبين زبيد مرحلة كاملة، من جهة القبلة.

وكان أسلافه بمدينة الحرجة ـ بفتح الحاء المهملة والراء والجيم ـ من أعمال بيت الفقيه الكبير ابن حشيبر، بقرب اللحية، بلدة معروفة، خربت قديماً.

وأول من قدم من أجداده إلى المنصورية: أحمد بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر، ومعه أخوه أبو القاسم بن أبي الغيث، المقبور برباط الشيخ محمد بن عمر النهاري، المشهور بقمر الصالحين، وقبره هناك يزار، ويتبرك به، فسكنوا بمحل يقال له: منيبر، بقرب محلتهم الآن من الشرف، ويقال: إن ذلك باستدعاء عامر بن عبد الوهاب.

ودخل صاحب الترجمة إلى زبيد، سنة إحدى وعشرين بعد الألف

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٧٨).

للقراءة، فقرأ بالروايات على شيخ[1] القراء عبد الباقي بن عبدالله العَدَني، للشيخين، ثم لحفص عن عاصم، وقرأ في الفقه والحديث على إبراهيم بن محمد جعمان بعض «المنهاج»، و«الأذكار»، وجملة من «البخاري».

وعلى القاضي أبي الوفا أحمد بن موسى الضجاعي، وعلى محمد بن أحمد المُرَيْري الأزهري، وعلى محمد بن أبي بكر حجربه، صاحب مقصورة الجامع بزبيد، وفي العربية على الشهاب أحمد بن محمد بن يحيى المطيب الحنفي، وسمع «صحيح البخاري ومسلم» مراتٍ متعددة على الشيخ العلامة علي بن أحمد الفقيه المقرّب أحمد المدني، في مدة نحو عشرين سنة، وحج عام أربعة وأربعين وألف، وأخذ بمكة عن محمد علي بن علان، قرأ عليه في التفسير والحديث، وأجازه بمروياته.

وكانت **وفاته** عشية الاثنين، رابع شهر محرم، سنة ثلاث وثمانين وألف بالمنصورية، ودفن عند أسلافه.

وله مؤلفاتٌ، منها: «تحفة الدهر في نسب الأشراف بني بحر ونسب من حقق نسبه وسيرته من أهل العصر» ـ رحمه الله ـ.

[٣٥٨] السيد محمد بن الطاهر بن أحمد بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر.

كان سيداً جليلاً، حافظاً للقرآن، محافظاً على الجماعة والنوافل، قرأ على السيد محمد بن الطاهر: «الأذكار» للنووي، وكانت **وفاته** في شهر ربيع الآخر، سنة خمس وخمسين وألف.

---

(١) في الأصل: شيخه.

[٣٥٩] محمد بن محمد بن محمد الشرنبابلي الشافعي.

شيخنا الإمام الفقيه، النحوي، المفنن في العلوم المتداولة، المنفرد بالقاهرة في علوم الحساب والفرائض والميقات، قرأ على شيخنا سلطان، وبه تخرج، وأخذ عن شيخنا علي الشبراملسي، ومحمد البابلي، ومحمد الدلجموني، ومنصور الطوخي.

وتصدر للإقراء في حياة شيوخه بالجامع الأزهر، وأخذ عنه كثيرٌ من أكابر الأفاضل، وصار رئيس العلماء بالجامع الأزهر، حضرت درسه في «شرح المنهاج» للمحلي، حين رجوعي إلى مصر، سنة سبع وتسعين وألف، وأجازني بمروياته ومسموعاته ـ سلمه الله ـ ثم قدم مكة، فحج، وجاور بها، وقرأ بها نبذة من «شرح المنهاج»، وغيره، وأخذ عنه أكابر فضلائها.

فتوفي ـ رحمه الله ـ، نصف ليلة الثلاثاء، ثالث وعشري شعبان، سنة اثنتين ومائة وألف، وصُلي عليه ضحى اليوم المذكور بالمسجد الحرام، وكان له مشهدٌ حافلٌ، وأمّ الناسَ الشيخُ أحمد النخلي، وغسله بيده مع جماعة من الفضلاء، ودفن بالمعلاة، بحوطة السادة آل شيخان، وكنتُ القائم بتجهيزه؛ لما بيني وبينه من كمال الخصوصية، والناظر على ولده وأهله بعده إلى أن ذهبوا إلى الديار المصرية، بأمر منه ـ رحمه الله ـ.

وكان ينظم الشعر الحسن، بغير تكلف، فمنه يمدح النبي ﷺ:

أيا ساجعاتِ الوُرق خَلٌ ملامي ... لقد حرك التغريدُ نار غرامي
معاذَ النوى لا ذقتِ طارقةَ النوى ... ولا أُنْبِتَت أرجاؤه بثمام
ويا عَذَباتِ الرندِ جددتِ لوعتي ... وحركتِ أشجاناً لدى مستهامِ

ويـا جبلَـيْ نعمـانَ بـالله خَلِّيـا نسيمَ الـصبا يـسري بطيـبِ مـدامِ
أيا ليتَ شعري عن طلالِ ندى اللوى وسـكانُ ذاك الحـيِّ أهـلُ خيـامِ
. . .[1] الحمى يا من همو كلُّ بغيتـي ويا منتهـى قـصدي وكـل مرامـي

إلى أن قال:

وُفـوداً أتينـا والنـواحي بعيـدةٌ وُشـقَّتها طالـت وَحـرُّ أُوامـي
أتينـاكُمُ أنـضاءَ فقـرٍ ومـا لنـا غِنًـى عـن نَـداكم يـا أعـزَّ كـرامِ
أتيـتُ وظهـري أثقلتـه خطيئتـي وجنـدُ الـردى قـد قـادني بخِطـامِ
جنيتُ على نفسي فأثقلتُ حملَها وكم من ذنوبٍ بالنـصوصِ عظـامِ

ومنها:

فيـا طالمـا حَمَّلتهـا مـن جـرائمٍ وخاضت بحار الذنب جنحَ ظـلامِ
وفَرَّطت في جنب الإلـه فلـم أُقِـمْ فرائـضَه الغَـرَّا بوجـهِ تمـامِ
وضيعتُ عمـراً طالمـا قـد لهوتـه فيـا خجلتـي منـه وطـولَ نـدامِ
وقائلـةٍ لمـا رأتْ مـا أصـابني وحلَّ بقلبي مـن لهيـب ضِـرامِ
وحرقـةِ أحـشاءٍ تـوالى زفيرُهـا وتنفيـسِها الـصُّعدا بغيـر كـلامِ
تـيمَّمْ بـذلٍّ نحـوَ أكنـافِ طيبـةٍ وأكـرِمْ بهـا مثـوًى ودارَ مقـامِ

ومنها:

فقـفْ بحماهـا واسـتظلَّ بظلِّهـا وحـيِّ رُبـاً فاحـت ونـشرَ بَـشامِ

---

(١) بياض في الأصل.

فشيمتُها الإغضاء عن ذي جرائمِ وحــطُّ الخطايــا شــأنُها بــدوامِ
فيا طالما أغضتْ ويا طالما عفـتْ ويــا طالمــا أشـفَتْ عُـضالَ سـقامِ
فيا صـاحِ إن وافيـتَ تربـةَ أحمـدِ ولذتَ بذي الجاه المنيـع وحـامي
فقـمْ بـين تيـاكَ الريـاضِ مؤدَّبـاً وأهــدِ تحيــاتي وطيــبَ ســلامي
وقـل يـا رسـولَ الله وقفـةَ مـذنبٍ أسـيرِ خطايــا قــد رمــى بــسهام
فيا كعبةَ الآمال يـا رحمـةَ الـورى ومن خُصّ بـالمحمود يـومَ زحـامِ

وله، وكتب بها إلى السيد محمد بن أحمد الحارث:

عقــودُ ســلامٍ بالــسعودِ اتــساقُها ونــشرُ تحيــاتٍ يطيــبِ انتــشاقُها
نسيمُ سـلامٍ عطـرت كـلَّ محفـلٍ وروضــةُ عــز قــد تــرنَّم ســاقُها
تُـساق هـدايا مـن محـبٌ متـيمٍ إلـى ملـك العليـا إليـه اسـتباقُها
شجاعُ لدى الهيجا صدوقٌ لدى اللقا صــبورٌ إذا طالــت وعــز افتراقهــا
أرادت تُجاريـه الأسـودُ فقـصَّرَتْ وعادتْ حيارى حين ضنَّ لحاقُهـا

ومنها:

فمن ذا يساوي في التسامي محمداً وقد قلـد الجـوزاء خـتم انتـساقها
ولكنهــا رامــتْ بغايــة وُســعها تجــاري أياديــه فكــل وفاقُهــا
وكيف وقد جاءت أحاديثُ جـوده بنقــل رواة صــحَّ عنهــا ســياقُها
فلا زال نـوءُ المجـد يـورق يانعاً وســحبُ أياديــه يَــصُبُّ انبعاقُهــا
ولا بـرح الوَسْـمي يجـودُ بـداره وجرعاؤها الأنـواء يبـدو ائتلاقُهـا

ومنها:

فيا ليت شِعري هل أُقيم بظلّه ... فتحيا به روح عادى اشتياقُها[1]

وهل يأتينّي من حماهُ مبشّرٌ ... فتسكن آلامي ويبرى فراقُها[2]

منها:

فهاكَ عقوداً قد تسامى نظامُها ... وراقت فرَّقت نشرُها ورحاقُها

منها:

عليكَ سلامُ الله يا أفصحَ الورى ... ومن دانت العليا له ونطاقُها

كذا الآلُ والأصحابُ ما قال قائلٌ ... عقودُ سلامٍ بالسعودِ اتساقُها

وله من أخرى، يمدح السيد محمد أيضاً:

خليليَّ قد طفت المعاهدَ كلَّها ... وسرَّحْتُ طرفي بين تلك المحافلِ

فلم أر غوثاً يرتجى لملمةٍ ... سوى جيرةِ الحي الكرامِ الأصايلِ

أبا الحارثِ المعروفَ في كل أزمةٍ ... إذ الحربُ شبت فاصطلى كلُّ باسلِ

له راحةٌ من بأسها يتقي الردى ... وجودُ نداها مبدأٌ للمناهل

ومنها:

سألت الندى والجودَ ما لي أراكما ... تقلدتما عقداً سما عن مُشاكلِ

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: فواقُها.

وما بالُ روضِ العز أصبح يانعاً | يميسُ ويرقى فوق أعلى المنازلِ
فقالا أقمنا تحتَ ظلٍّ محمدٍ | له شيمٌ فاقت كرامَ الأوائلِ
فكنا له عبدين في كل مشهد | نروح ونغدو عند سيرِ المحاملِ
فصارتْ لنا تلك المزايا كما ترى | وكمْ من أيادٍ كاثرت جودَ وائلِ

ومنها:

فقلت فهل لي من سبيل لأشتكي | له قصتي أو أن أبث مسائلي
فقالا تيمَّمْه فإن له يداً | وهِمَّتُه تكفيكَ في كلِّ نازلِ
كريمٌ إذا الأزماتٌ قد شطَّ وليُها | فعادت عواديها كغيثٍ مواصلِ

وله من قصيدة يمدحه:

وقائلةٍ لي أطلتَ بوصفِه | وجمعِ سجاياه بعقدِ نظامِ
وجُسْتَ خلالَ المجد تختارُ صفوه | فجئتَ نعوتاً في رقيقِ كلامِ
وكررْتَ مغناه على كلِّ مسمعٍ | وهمتَ به مرحاً أشدَّ هيامِ
وواليتَ ذا في كل وادٍ ومشهدٍ | وقمتَ بذكراه أتمَّ قيامِ

ومنها:

فقلت لها كُفِّي عن العذل واسمعي | مقالَ نصوحٍ لا يعي لملامِ
فلو شاهدَتْ عيناك كثرةَ جودِه | وبسطَ أياديه وحفظَ ذِمامِ
لغُصتِ بحارَ الدرِّ تستخرجينها | وتنسقها(1) نعتاً لكل مرامِ

---

(1) كذا في الأصل.

ومنها:

فكـم زاحمتنـي فـي معانيـه أمـة — مـن الـشُّعرا كـلٌّ أتـى بمقـامِ
فمن ناظمٍ حـاكى عقـوداً تنسقت — ومـن نـاثرٍ يُنـشي عبيـر تمـام[1]
فليس نظامي أولَ الـشعر فـاعلمي — ولا قـوسُ إنـشائي بـأولِ رامـي
وإني وإن أكثرتُ في الوصف والثنا — لـنظم قـصور لا يفـي بغـرامِ
وكيـف وفـي الأحـزاب آيـةُ إنمـا — يريدُ ومدحُ الأهل في الآي سامي

ومنها: . . .[2]

عُريبَ الحي أهـدي إلـيكم تحيـةً — تحيـةَ مـشتاقِ الفـؤادِ خليـلُ
يمازجهـا نشـرُ الريـاض وحـسنُها — فتحيـا بهـا الأرواحُ وهـي عليـلُ
أكـاتبكم فـي البعـد أهـلَ مـودتي — وقد عاقَني عجزي وعز وصولي[3]
وكنت حريصاً أن أشـاهد أنـسَكُم — ولكـن حـظَّ العاشـقينَ قليـلُ
فـإن توصـلونا فالحيـاةُ قريـرةٌ — وإلا فقـد مـرتْ وشـطَّ سـبيلُ

منها:

أيا كعبةَ الأنس الذي طـاب أصلُه — وطيـبُ الـسجايا شـاهدٌ ودليـلُ
جمعتَ نعوتاً ضاق عنهـا نظامُهـا — وعـاد إليهـا الطَّـرْفُ وهـو كَليـلُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: ثمام.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «منها» أربعة أسطر بالأصل».

(٣) كذا في الأصل، ولعلها: وصولُ.

وله:

سقى اللهُ بالوسميِّ رَبْعَ سعودي ... وروَّى رُبا ذاك الحمى بعهودِ
وسقى ربوعاً حازتِ البشرَ والندى ... وبسطةَ كفٍّ وانقباضَ حسودِ
فكم لي بها شجوٌ وفرطُ صبابةٍ ... وعقدُ ولاءٍ ثم حفظُ عهودِ

ومنها:

بها جيرةٌ عزت وطابت أصولُها ... سجاياهُمُ الهيجا وصدقُ وعودِ
وإني وإن وَرَّيْتُ بالربع والحمى ... فروحُ حياة الرقمتينِ شهودي
فلم تر عيني كابن أحمدَ سيداً ... هو الناصر المدعو لحلِّ عقودي
له سؤددٌ فوق السماكين رفعةً ... وذاك تراثٌ من كرام جدودِ
شجاعٌ إذا ما الحرب شبَّ لهيبها ... وعافت سيوفُ القوم ردَّ عمودِ
صبورٌ إذا الهيجا ترادفَ هولُها ... وهاجت بموجٍ مع كثيرِ جنودِ

ومنها:

فهيهاتَ من يلقى صدوقاً لذا اللقا ... يخوض حياضَ النقع عند ورودِ
كما الناصرِ المعروفِ في كل أزمةٍ ... كريمِ السجايا حافظٍ لحدودِ
فيا كعبةَ الآمال يا طَيِّبَ الثنا ... أبى اللهُ إلا أن ترى في صُعودِ

[٣٦٠] الفقيه محمد المشلول الزيلعي العقيلي(١).

الشيخ الأستاذ، العارف بالله، المجمع على جلالته وولايته، ولد

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣١٣).

بجـازان، في نيف وثلاثين وألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وقرأ ما يكفيه لمعاشـه ومعاده، كان كبيـر الحال، مؤثراً الخمول على الظهور، ويأبى الله إلا اشتهاره.

مهاباً ذا سـكينة، إذا رآه مـن لم يعرفه، تحقق ولايته، لطيف الطباع، متحملاً للأذى، لا تكاد تسـمع منه كلمة تغضب جليسه، ولو أساء الأدب، وكان سيفاً مسلولاً، إذا ألجئ إلى ظهور شيء من الكرامات، أتى بالعجب العجاب منها.

ولذلك كانت تهابه أمراء السـواحل، إذا وصـل إليها، وكان معه جلبة يتعيش بها تستراً، ولا يسـتطيعون أخذ شيء منه من المكوس، على جاري عادتهم، واتفق له كثيراً أنه يخرج الحمول البز من الفرضة، فيراها المكاسون حبوباً، ويكون قد أعطاه أصحابها شيئاً من المال، على أن يخرجها لهم من الفرضة، من غير شيء، وله من هذا القبيل أشياء كثيرة مشهورة.

وكان ـ نفـع الله به ـ بيني وبينه محبـةٌ وصحبةٌ، ولي معه وقائع عديدة باهرة شاهدتها منه، توفي بعد رجوعه من الحج إلى بلده في جلبته، في شهر صفر، عام ستة وتسعين وألف، ودفن بالقنفذة ـ نفع الله به ـ آمين.

[٣٦١] السيد محمد بن الهادي ابن الإمام أبي الفتح الديلمي القطابري(١).

من أكابر أبناء الأئمة وأفاضلهم، له الأدب العظيم، والبلاغة السائرة، مع الكفاية التامة في الأعمال الكبار، والمحاسـن المشـرقة إشراق النهار، ولما أمره الإمام المهدي أحمد بن الحسن بالسـير إلى الجهة الحَيْرانيَّة، من

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٧١) (٢٣٩).

أعمال الشرف الأسفل؛ لقطع دابر المفسدين فيها، الذين عاثوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد.

فصال عليهم بعزيمة واجتهاد، وقطع دابرهم، وأرسلهم في الأغلال إلى الإمام، وقد كان الإمام أمره أن لا يقطع أمراً فيهم، إلا عن أمر القاضي الحسين المهلا، فامتثل أمره، وتم بمقتضى الشرع الشريف عن نظره.

وله إلى القاضي المذكور عدة رسائل نظماً ونثراً، **فمنها هذه البديعية**:

عُـــجْ بالغـــضا ولَعْلَـــعِ ورامـــــةِ والأجـــــرعِ
وقـــفْ هنـــاك معلنـــاً بـــــصوتكِ المرجَّـــــعِ
واســـأل أُهيـــلَ المنحنـــى عـــن قلبـــيَ المـــستودعِ
قلـــبٌ بـــه نـــارُ الهـــوى والوجـــد بـــين أضـــلعي
مـــن لا يـــرى دموعـــه فـــي الخـــدِّ أيَّ هُمَّـــعِ
يبكـــي اللـــويلاتِ التـــي ســــلامُها تــــودِّعي
لـــيلاتِ وصـــلٍ عَبَـــرت عبـــورَ بـــرقٍ مـــسرعِ
أيـــامَ لـــي ثـــوبُ الـــصِّبا وصـــفوه مـــدرّعي
ســـقا الحيـــا زمانـــهَ وعيـــشنا ذاك رُعـــي

ومنها:

لهفـــي علـــى مواقـــفِ مـــضتْ بـــذاك المربَـــعِ
كنـــتُ بهـــا فـــي غفلـــةِ ونعمـــةِ لـــم تُنـــزَعِ
وشـــادنٍ جفونُـــه نبالُهـــا لـــم تُـــدفَعِ

واصَــــلَني تكرمــــاً ... طبعــــاً بــــلا تطبُّــــعِ
فليــت شــعري مــا لــه ... شَــــطَّ عــــن المولَّــــعِ

ومنها:

آهِ علــى العــيش الــذي ... طــالَ لــه تــوجُّعي
نــديرُ كاســاتِ الطِّــلا ... بلفــظِ ربِّ ألمعــــي
فــي حَــيٍّ حــيٍّ كلُّهــم ... كالبــدرِ عنــدَ المطلــعِ
شــموسُ علــمِ نــورِهم ... مــا زال ذا تشعــشعِ
مــن آلِ طــه معــشرٍ ... ذوي الــسيوفِ القُطَّــعِ
ليــوثِ حــربٍ إن دُعــوا ... لَبَّــوا بــبطشِ الأنــزعِ
أكــرمْ بهــم مــن ســادةٍ ... صــدورِ كــلِّ مجمــعِ

ومنها:

وأنــت يــا ســعدُ إذا ... نوديــتَ يومــاً فاســمعِ
أبلــغْ حــسيناً مــن لــه ... فــي المجــدِ خيــرُ موضــعِ
قاضــي القــضاة يــا لَــهُ ... مــن عــالمِ وأروعِ
وعابــدٍ وزاهــدٍ ... وناســكٍ وأورعِ
بــوركَ للعــالَم فــي ... حياتــه والمربــعِ
فخلِّنــي مــن غيــره ... كــم صــنم مُلَفَّــعِ
أكــرمْ بــه مــن عَلَــمٍ ... وعــالمٍ ممتَّــعِ
وباســلٍ عرفتُــه ... بــالكفِّ عــاري الأشــجَعِ

إن صـــرف الـــدهر لـــم يجـــر ولمّـــا يمنـــعِ
يمنتــــــه مــــــسلماً بحالــــــةِ التـــــودُّعِ

ومن جواب القاضي إليه:

يـــابنَ الوصـــيِّ الأروع ونـــورَ كـــلٍّ مجمـــعِ
نَجْـــلَ النبـــيِّ مـــن لـــه قـــالَ الإلـــه فاصْـــدَعِ
ومـــن أبـــوهُ الناصـــرُ الـــ ـــبحْرُ الإمـــامُ الألمعـــي
ومـــن غـــدا برهانُـــه فـــي العلـــم أيَّ مرجـــعِ
وافـــى إلـــيَّ نظمُـــه كزهـــرِ روضٍ مُمْـــرِعِ
فـــي جنـــةٍ راقـــت لـــدى فـــضلٍ بتلـــك مولَـــعِ
أنهارُهـــا كفـــضةٍ تجـــرى بتلـــك الأربُـــعِ

ومنها:

كأنمـــا مـــرّت علـــى ســـوحِ العظـــيم الأروعِ
محمـــدٍ مَـــن علمُـــه فـــي النـــاس ذو تنـــوُّعِ
وإن بـــدا فـــي محفـــلِ مـــشَّرفٍ ممنَّـــعِ
رأيـــتَ بحـــراً زاخـــراً أمواجُـــه لـــم تـــدفَعِ
يُملـــي علومـــاً جمـــةً لمـــسمع ومـــسمَعِ
يـــوري الحـــديث مـــسنداً وإن يُحـــدِّثْ يرفَـــعِ
مـــدبجاً ومرســـلاً كالغيـــث إمَّـــا يهمَـــعِ
معنعنـــاً معـــضلَها مسلـــسلاً لمـــن يعـــي

كـــم خبـــرٍ منـــه لنـــا   غريبُــــه لـــم يرجـــعِ
يزيـــلُ كـــلَّ منكـــر   موضـــوعُه لـــم يـــسمَعِ

وهي طويلة.

ومما كتبه إلى القاضي الحسين المذكور، في يوم الأربعاء، رابع وعشرين من شهر شعبان، سنة إحدى وتسعين بعد الألف: **قوله**:

لئن[1] صرفت عني الهمومُ الطوارقُ   وساعدني دهري وما عـاق عـائقُ
وأيـــدني ربُّ العبـــاد بنـــصرِه   وتأييدِه لم أخشَ مـا قـالَ فاسـقُ
وحـسبُ الفتـى أن يتقـي الله ربَّـه   وما غضبُ المخلوقِ إن يرضَ خالقُ
وأيُّ فتـــى غيـــرَ الإلـــهِ وبطـــشِه   أمنـتُ ولـي ربُّ الـسماء مرافـقُ
فقل للأولى قد يحسدوني على العلا   لُحيتم أما فيكم مدى الدهر صادقُ
تبـاتُ كأعيـان الغـواني عيـونُكم   تملُّكُــمُ عنـد الخمـولِ النمـارقُ

ومنها:

ولي مقلٌ شُهْرَ الجفـونِ ومفـرشٌ   سروجُ المذاكي والحسامٌ المعـانِقُ
وسُرْدُ الدِّلاصِ الزغْفِ أشرفُ ملبسٍ   علـيَّ وللنقـع الكثيـفِ سُـرادقُ
ولي عزماتٌ تـسلب الليـثَ شـبلَه   وعـزمٌ لـه تعنـو الـذرا والـشواهقُ
ورأيٌ إذا أعملتُـهُ[2] فـي ملمـةٍ   يفلُّ فِرِنْدَ الـسيفِ والـسيفُ فـالقُ

---

(١) في الأصل: لأن، والصواب ما أثبت.
(٢) في الأصل: أعلمته، والصواب ما أثبت.

سـجيةُ آبـاءٍ كـرامٍ غطـارفٍ ... إلى المجد سُبَّاقٍ وإنـي لَلاحِـقُ
نَمَتْهُم إلـى العليـا نفـوسٌ كريمـةٌ ... تخاف أعاديهـا وترجـو الأصـادقُ

ومنها:

ومـا هـي إلا نعمـةٌ قـد تحـدثَتْ ... بهـا شـفتي والحـرُّ بـالحقِّ نـاطقُ
أيا سعدُ عجْ لي بالحسين الذي له ... علومٌ لها بحرٌ علـى النـاس دافـقُ
فتًى يُدهش الأبصارَ رأياً وحكمـة ... وحلماً وعلماً فهو للنـاس خـارقُ
ونـادِ بناديـه وقـلْ يـابنَ ناصـرٍ ... عليـكَ سـلاُم الله مـا ذَرَّ شـارقُ

ومنها:

لقد أرعدتْ في الأرض من قبل صبوتي الـ ... ـلئامُ وللأوبـاشِ ثَـمَّ بـوارقُ
ومـا صـولتي لـولا الإمـامُ بقولـه ... فبـورك قـولاً فهـو للخيـر سـابقُ
أتت نحوه منكَ الطـروسُ مـذكّراً ... فلبتـك منـه بِيـضُه والسـوابقُ
يقودُهم من ليس للخصم مـدخلٌ ... عليـه ولا للقِـرْن إن ضـاق مـارقُ
فتًى شبَّ في نصر الخليفة جاهـداً ... وشاب وما شابَ الزمـانُ الغرانِـقُ
وقـام بـأمر الحـقِّ عـن أمـرِ قـائمٍ ... هو العدلُ إن جار اللئيمُ المنـافقُ
وأنفذت سُبْلاً للمساكين لـم يـزلْ ... بهـا مـاردٌ طـاغٍ ومـا زال بـارقُ

ومنها:

وجاء معي وجهٌ مـن الحـقِّ أبلـجٌ ... أضاء بـه الإسـلام فالغـشمُ زاهـقُ
ولكننـي أدعـوه دعـوةَ وامـقٍ ... ونفثةَ مـصدورٍ بـه الـصدرُ ضـائقُ

ذوى البغي في الأصفاد حرب وآخرٌ لـه شـهاب وهـو والله سـارقُ

لعـلَّ أميـرَ المـؤمنين يحقّـق الـ ـذي قلتُ أو يدري لما أنا راشـقُ

ومـن يعلـم التلميحَ غيـر طليقـه ولولاه ما في الخلـق أروعُ حـاذقُ

وكيف يصحُّ الجسم والرّأسُ موجَعٌ وكيـف ينيـر العـدل والجـو رائـقُ

إليـكَ علـى بعـد الـديارِ نـصيحة لها الودُّ والإخـلاصُ داعٍ وسـابقُ

ومنها:

فـإن نطقـت عنـي بحـقٍّ فأهلُـه وإن كذبَتْ فالمجدُ عنـدي طـالقُ

ويا أيها القاضي الهِزَبْر وخيرَ مـن يُنادى إذا ما الظلـمُ للرفـقِ مـاحقُ

سـلامٌ علـيكم بعـد جَـدِّي وآلـهِ سـلامَ امـرئٍ إن رُمْتَـه لا ينـافقُ

تحيـة ذي قلـبٍ تحـرَّق بـالجَوى ولِـمْ لا وقـد قـلَّ الـوليُّ الـصادِقُ

ولولاكَ في هـذي الرُّبـى للعنتُهـا وأوصـيتها مـا لاح أو ذَرَّ شـارقُ

وإخوتُـك الـصيدُ الكـرامُ علـيهم تحيـةُ حـبٍّ بـالمودةِ واثـقُ

يقول إذا ما ضم شـملي بـشملكم فريقـا هـوى منـا مـشوقٌ وشـائقُ

ولِمْ لا ولم أُلْـفِ امـرأً ذا حفيظـة بهـا لا ولا قـرمٌ فَتـوقٌ وفـاتقُ

سواك وإخـوانٍ لهـم قـد عـرفُتهم ودادُهُمُ فـي قـائم الـدهر صادقُ

وتوفي بصنعاء، عام سبعة وتسعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٣٦٢] محمد بن نجم الدين بن محمد بدر الدين بن محمد رضيِّ الدين بن محمـد بن عبدالله بن بدر بن عثمـان بن جابر بن تغلب بن ضوي ابن شداد بن عاد بن مفرج بن لقيط بن جابر بن وهب بن ضباب بن جحيش

ابن معيض بن عامر بن لؤي بن غالب، الغزيُّ الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، العامري القرشي الشافعي[1].

محدث الشام، وخاتمة من بها من الحفاظ الأعلام، وممن بوأه الله في الحديث منزلة عليّة، وجمع له بين العلوم السنية، وممن استجيبت فيه دعوة المصطفى ﷺ، فكان وجهه كالبدر في النورانية، وممن افتخرت به دمشق على سائر البلاد، مع كثرة ما في ذلك العصر من العلماء الأمجاد، وأجمع على جلالته أهل المشرق والمغرب، وانفرد في عصره بعلو الإسناد، الذي هو للعالم أجلُّ منصبِ.

سمعت شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي يثني عليه، ويقول: إنه حافظ الدنيا في عصره، ويكفيه شهادة مثل هذا الحبر الفخيم، الذي أجمع الناس على علمه العظيم.

وذكره جماعة من المؤرخين، منهم: صاحبنا السيد العلامة محمد أمين ابن فضل الله المحبي الدمشقي، في كتابه «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، فقال: النجم الأرضي، وأبوه البدر المضي، وجده الرضي، ثلاثة في نَسَق، طلعوا فأناروا الغَسَق، وقدمُهم في النباهة، أعلى قدرهم في الوجاهة، فمن يدانيهم، وإلى الكواكب مراميهم، وهم في القديم والحديث، أئمة التفسير والحديث.

لم يبرح المجدُ يسمو ذاهباً بهم حتى أزاح الثريا وهو ما قنعا

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٨٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٥٤٠) (٥١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٦٣).

والنجم المعقودة الخناصر عليه، وسعده ونوره العائد بسببه إليه، كقوله والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، والذي به يقتدي المقتدي، وبسمته يهتدي المهتدي، شعر:

هو النجمُ يهدي جميعَ الورى ... فمن دونه البدرُ والشمسُ دونْ
وقد صار في الأرض حيثُ انتهوا ... وحيث انتحوا فبه يقتدونْ
إذا ظلمةُ الغي ألوتْ بهم ... أضاء فبالنجمِ هم يهتدونْ

وله دعاء يستجاب، وخواطر ليس بينها وبين الله حجاب، فلو خُثِّرَ به المنهمكُ في غوايته، لأمسك، أو خُوطب به المتهالك في عصيانه، أناب وتنسَّك، شغل بالإفادة أيامه ولياليه، ونظم على جيد الأيام فرائدَه ولآليه، وتأليفاتُه كاثرتْ رملَ النقا، وأربت على الجواهر في الرونق والنقا، مع ما له من كرم يخجل الأجواد، وسخاء أضحت عوارفه كالأطواق في الأجياد، لم يُرو في التواريخ كأحاديثه الحسان، ولم يسطر كآثاره في الحسن والإحسان، وله شِعر كقدره ثمين، إلا أنه كالياسمين، فيكتب لشرفه، لا لكثرة طُرفه. انتهى.

قلت: مولده سنة سبع وسبعين - بتقديم السين فيهما - وتسعمائة، ومات والده وعمره سبع سنين، وأجازه بمروياته، وقرأ القرآن العظيم على الشيخ يحيى العماد، وبالروايات على حسن الصلتي، ولازم العلامة الشهاب أحمد العيثاوي سنة تسعين وتسعمائة، وقرأ عليه «المنهاج» تقسيماً وانفراداً، وشَرْح والده الصغير، وسمع عليه نبذةً من «شرح الإرشاد» لابن حجر، بقراءة الشيخ شرف الدين الدمشقي.

وكان الشيخ العيثاوي يحبه، ويجله، ويعامله معاملة الوالد لوالده، واستنابه في حياته في وظائفه وخطبه، ثم زوجه إحدى بناته، فولدت له بدر الدين محمد، المتقدم ذكره، ثم ماتت، فزوجه أختها، فولدت له الشيخ العلامة السُّفودي، ولما حضرته الوفاة، أذن له بالكتابة على الفتوى، فكتب على الفتاوى، وأمره أن يباشر تدريس الشامية البرانية عنه، فباشرها، ثم فرغ له عنها.

وتولَّى المترجَم إفتاء دمشق، فكان محدثها ومفتيها، وناشر لواء الإفادة بنواديها.

ومن مشايخه: الملا أسد الدين التبريزي، والقاضي محب الدين الحموي، وكتب له بالإجازة شيخ الإسلام الشمسُ محمد الرملي، والشيخ نور الدين الزيادي، وعلي بن غانم المقدسي.

وكان المترجم يميل لفن الأدب، ومفاكهة أهله، ويمزج ـ للطافته وحسن أخلاقه ـ جِدَّ القول بهزله، فتارة ينظم في الغزل ما تصبو إليه القرائح، وطوراً[1] يجني الأجنة بما يجتني ثمار الوعظ والنصائح.

وحج مراراً، وأخذ عن علماء الحرمين في عصره، وأجازوه، وقد جمع أسماء شيوخه، ومن روى عنه في فهرس كبير، وأخذ عنه خلقٌ لا يحصون، منهم: محمد بن بلبان، وعلي القروي، وعبد القادر الصفوي، ونجم الدين الرضي، وأخوه الكمال محمد العيثاوي، ومحمد الخباز، ومصطفى بن سوار، والسيد محمد بن كمال الدين النقيب.

---

(١) في الأصل: فَطوراً، والصواب ما أثبت.

وبالجملة: فإنه كان في عصره شيخ الشام على الإطلاق، جامعاً للكمالات الجميلة، ومحاسن الأخلاق، وحائزاً أنواع الفضائل والعلوم، ومحتوياً على بدائع المنثور والمنظوم.

وإذا تكلم في الحديث بلفظه الجاري، أقر كل مسلم بأنه البخاري، وأجمعت على تفرده في عصره بعلوم الحديث علماء البلاد، واتفقت على ترجيحه بعلو إسناد والده البدر الذي اشتهر في الآفاق، وفاق علماء عصره بالاتفاق، خصوصاً بتفاسيره الثلاثة المنظومة، أكبرها في ثلاثين ألف بيت، والوسط في عشرين ألف، والصغير في عشرة الآف، مزج فيها جميعها القرآن مزجاً غريباً سهلاً من غير تكلف، وكذلك شروحه على ألفية ابن مالك الثلاثة المنظومة.

والحاصل: أنهم ذرية بعضها من بعض، ملأ فضلهم طول الأرض والعرض، فعلمُهم لا يخفى على أحد، وفضلُهم شاع وذاع في كل بلد ـ قدس الله أسرارهم، وأعلى في الدارين منارهم ـ.

وله المؤلفات الكثيرة الفاخرة، منها: «الكواكب السائرة بأخبار علماء المائة العاشرة»، وذيله المسمى: «لطف السمر وقطف الثمر بتراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر»، و«كتاب جمع فيه أشراط الساعة» نظماً أوصلها إلى ألف، وشرحه في مجلدٍ ضخمٍ سماه: «تحبير العبارات في تحرير الأمارات»، و«مقصورة في أحوال أبناء عصره» تبلغ ستة عشر ألف بيت.

وله «التنبه في التشبه» في أربع مجلدات لم يؤلف قبله مثله، وعقد «النظام لعقد الكلام»، و«شرح على ألفية جده الرضي في التصوف»، و«شرح منظوم

على منظومة والده النحوية» المرسلة إلى مصر للشمس الرملي، فقرظ له عليه نظماً، ذكرته في ترجمة الشمس الرملي، وكتاب «الدر النضيد»، و«شرح على لامية ابن الوردي» التي أولها:

اعتــزلْ ذكــرَ الأغــاني والغــزلْ وقــلِ الجِــدَّ وجانــبْ مــن هَــزَلْ

وابتُلي في أواخر عمره بالسَّكتة في الدرس فقط.

سببُها أن الشيخ المجذوب حسين بن فرقرة كان يأتي إلى درسه بالجامع الأموي تحت قبة النسر، وهو يُقرئ الحديث، فيجلس في وسطه ويتكلم بالهذر من الكلام الذي لا يفهم على طريقة المجاذيب ويرفع صوته بذلك، فأكثر الكلام يوماً، وأشغل الحاضرين، فقال له الشيخ: أُسكت يا حسين، فقال له: أُسكت أنت، وصادف حالاً له، فسكت الشيخ من ساعته، وصار من ذلك الآن لا يستطيع التكلم في الدرس بكلمة واحدة، وكان يأتي بعدها إلى الدرس، فيقرأ عليه القارئ الحديث إلى أن يُتمّه، فيتكلم الطلبة بعضهم مع بعض، وهو ساكت إلى أن يُتموا الكلام فيما بينهم على الحديث، وإذا أشكلت عليهم مسألة رفعوها إليه في بيته، فيحُلّها لهم، ولم يَخْتَل على الشيخ شيئ من حاله وعلمه وفهمه، إلا عدم استطاعته التكلم في الدرس ثم لم يزل على هذا الحال إلى أن توفي ثامن عشر جمادى الآخرة، سنة إحدى وستين وألف بدمشق، ودفن بتربتهم، بقرب الشيخ رسلان ـ نفع الله به ـ.

ومما امتحن به ـ رحمه الله ـ: أنه لما مات شيخه الشيخ أحمد العيثاوي، وكان مدرس الحديث بمسجد دمشق، تحت قبة النسر، وكان يظن أنه لا يعدل به عنه؛ لقرابته من الشيخ، وكمال علمه، فلم يتم له، ووجه للشيخ شمس

الدين الميداني؛ لكونه أسن منه وأشهر منه، إذ ذاك، فحصل له غاية التعب.

ثم توجه إلى الروم؛ رجاء أن تتم له من ثمة، فوصل إلى القسطنطينية، ونزل على شيخ الإسلام إذ ذاك ـ أظنه يحيى بن زكريا ـ، وكان تولى دمشق سابقاً، ويعرف الشمس والنجم ومكانتهما، فعرض عليه مدارس أخرى غيرها، ومعاليم جسيمة بدلها، فلم يقبلها، وصمم على طلب التدريس المذكور.

فلما أيس المفتي منه، تلطف به، وألان له القول، وأعمل له المكيدة والحيلة، وكتب براءتين سلطانيتين بالتدريس المذكور: واحدة باسم الشمس الميداني، وأخرى باسم النجم الغزي، وأمضاهما بالعلامة السلطانية المعروفة عند أهل الروم، ثم عرض البراءة التي باسم النجم، وأشرفيها عليه، فاستقر خاطره، وسُرَّ بذلك، وأمر المفتي خادمه أن يكتب عليه كتاباً ويختمه، ويضع البراءة باطنه، فذهبا الخادم ليختمه، وكان مواعداً لخادمة أن يضع البراءة التي للشمس باطن الكتاب، ويبقي عنده براءة النجم، ففعل الخادم ذلك، ثم دفعه للنجم، وأمره أن لا يفتح الكتاب إلا بين يدي قاضي دمشق، إذا وصل إليها؛ ليكون أقوى له وأثبت.

فلما وصل النجم إلى الشام، خرج إليه أكابرها وعلماؤها، يتلقونه من خارج البلد؛ كجاري عادتهم إذا وصل أحد من الروم، وحصل له بها قبول، ودخلوا به إلى بيته، ثم ذهبوا جميعهم إلى قاضي البلد؛ ليسجل له المرسوم السلطاني.

فدفعه للقاضي مختوماً، فلما أراد القاضي فتحه، قال له النجم: لا تفتحه إلا بحضور الشمس الميداني، فأرسل بطلبه، فأتى إليه، ودخل عليه، وهو

لا يظن إلا أن التدريس خرج عنه، وصار للنجم الغزي، فقال له القاضي: يا مولانا جاءنا مرسوم سلطاني، مرادنا نقرؤه عليكم، ففتح القاضي الكتاب، وفي باطنه المرسوم السلطاني، فلما شرع في قراءة المرسوم بنفسه، فإذا مضمونه: إن جميع ما على الشمس الميداني من المعاليم والتداريس، وتدريس القبة المذكورة، باقٍ عليه، مقرر به غير معارض من أحد، كائناً من كان، وإن النجم الغزي لا يعارضه فيه، ولا في شيء من وظائفه، مع تأييد شديد، وعظيم تأكيد على الواقف على المرسوم، من خدام السلطنة العلية، أن يزيدوا في تعظيم الشمس وتوقيره، وقبول شفاعته.

فلما قرئ المرسوم، تعجب القاضي ومن في المجلس من أكابر البلد وعلمائها، وكاد النجم الغزي يموت حياءً، وتحقق المكيدة من المفتي، ورجع بخفي حنين، وذهب الشمس الميداني إلى بيته، ولم يظهر منه تغير حال، ولا انبساط ولا عجب، وقبض المرسوم من القاضي، وأوصله القاضي إلى خارج باب مجلس الحكم، واستمر عليه التدريس إلى مات، فوجه للنجم الغزي، بغير معارض ولا مشقة، إلى أن مات أيضاً رحمه الله بمنّه ـ.

ومن غريب الاتفاق: أن النجم جلس في التدريس المذكور، تحت قبة النسر مدرساً سبعاً وعشرين سنة، بقدر الشمس الميداني الذي كان قبله.

ومن شعره: هذه الزائية، التي عارض بها قطب مكة الذي عليه المدار، وقمر أفقها الذي يأبى غير الإبدار، وهي قوله:

سبحانَ مَنْ للوجود أبرزْ ... رَشَأً بحكمِ الهوى تعزَّزْ
زادَ على الريمِ في دلالٍ ... وعن جميع المَها تميَّزْ

أحـــوى وللطـــرفِ لـــيس منـــه	أحـــوى ولا للبهـــاء أحـــوزْ
لقـــد كـــساه الجمـــالُ ثوبـــاً	بـــألطفِ اللطـــفِ قـــد تطـــرَّزْ
رنـــا بطـــرفٍ جـــآذِريٍّ	كأنـــه للوصـــال ألغَـــزْ
وعـــداً ولكـــن بـــلا نجـــازٍ	يـــا حبـذا الوصـلُ منـه لـو تنجَّـزْ
بعثـت بـاثنين مـن خـضوعي	وثالـــثٌ بعـــدَ ذيـــنِ عـــزَّزْ
أرجـــو وصـــالاً منـــه بعـــزٍّ	مـــن عَـــزَّ وصـــلُه فقـــدَ بـــزَّ
فمـــا رثـــى لـــي ولا وفـــى لـــي	وقـــد قـــسا قلبُـــه ولـــزَّزْ
وعـــفَ إلا عـــن قتـــل مثلـــي	فإنـــه عنـــه مـــا تحـــرَّزْ

قوله: من عز بز، مَثَلٌ معناه: من غلبَ، سلبَ، قالت الخنساء:

كـأن لـم يكونـوا حِمًـى يتقـى	إذِ النـاسُ إذ ذاكَ مَـنْ عـزَّ بـزّا

قال المفضَّل: أول من قال ذلك: رجل من طيء، يقال له: جابر بن رألان، أحد بني ثُعل، وكان من حديثه: أنه خرج ومعه صاحبان له، حتى إذا كانوا بظهر الحيرة، وكان للمنذر بن ماء السماء يومٌ يركب فيه، فلا يلقى أحداً إلا قتله، فلقي ذلك اليوم جابراً وصاحبيه، فأخذتهم الخيل بالثوية، فأُتي بهم المنذر، فقال: اقترعوا، فأيكم قرع خليت سبيله، وقتلت الباقين، فاقترعوا، فقرعهم جابر بن رألان، فخلى سبيله، وقتل صاحبيه، فلما رآهما يقادان ليقتلا، قال: من عَزَّ بَزَّ، فأرسلها مثلاً.

وقصيدةُ القطب مطلعها:

أقبـلَ كالغـصنِ حـين يهتـزَ	ميـلَ قـدودٍ تميـل فـي الخَـز

وللمترجم:

أخوك فـي الإسـلام يجـديك فـي ... علـــمٍ ورأيٍ منـــه أو أنـــسِ
كـان قـد احتجـت إلـى نفعـه ... وإذ بـه قـد صـار فـي الـرمسِ
مـا أحـوجَ المـرءَ إلـى خلِّـه ... وأحـوجَ الجـنسَ إلـى الجـنسِ
ويـلاه مـن عـصرٍ رُزِئْنـا بـه ... علـى افتقـادِ الكُمَّـل الخُمـسِ
لـسنا نـرى ممـن مـضى واحـداً ... ولـو بلغنـا مطلـعَ الـشمسِ

هذا معنى موجود في الأثر، وذلك ما أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن سليمان بن موسى الأشدق، قال: أخوك في الإسلام إن استشرته في دينك، وجدت عنده علماً، وإن استشرته في دنياك، وجدت عنده رأياً ما لك وله، وإن فارقك، لم تجد منه خلفاً. انتهى.

ومن هذا ما نقله الشعراني في «طبقاته» عن الشيخ أبي المواهب الشاذلي: أنه كان أهل الخصوصية من هو وفيهم أيام حياتهم، فتأسف عليهم بعد مماتهم، وهناك يعرف الناس قدرهم، حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم، وقد قيل في هذا المعنى:

تـرى الفتـى يُنكـر فـضلَ الفتـى ... مـا دامَ حيـاً فـإذا مـا ذهـبْ
يحملـه الحـرص علـى لفظـةٍ ... يكتبهـا عنـه بمـاء الـذهبْ

ومن مقاطيعه قوله:

تواضعْ تكـنْ كـالنجمِ لاحَ لنـاظرٍ ... على صـفحاتِ المـاءِ وهـو رفيـعُ
ولا تـكُ كالـدخانِ يعلـو بنفـسهِ ... إلـى طبقـاتِ الجـوِّ وهـو وضـيعُ

وقوله:

لا تكـرهَنَّ حسوداً ... يجـديك نشر الفضيلهْ
كَـمْ مـن حسودٍ مفيـدٍ ... مـا لـم تفـدْهُ الفضيلهْ

ومثله لوالده البدر:

الحمـدُ لله علـى فـضلِه ... إذ صَيَّرَ الحاسـدَ لـي يخـدمُ
يجهـدُ فـي رفـعِ مقـامي وفـي ... رفـعِ علـومي وهـو لا يعلـمُ

ومثله لابن الوردي:

سبحانَ من سخر لي حاسدي ... يحـدِثُ لـي فـي غَيبتـي ذِكْـرا
لا أكـرهُ الغيبـةَ مـن حاسـدٍ ... يُفيـدني الشهرةَ والأجـرا

ولأبي حيان:

عِـدايَ لهـم فـضلُ علـيّ ومِنَّـةٌ ... فلا أذهبَ الرحمنُ عنِّي الأعاديـا
همو بحثـوا عـن زلتـي فاجتنبتُها ... وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليـا

ومن نظمه، في حديث ابن ماجه، عن أبي سعيد يرفعه: «سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم، فقولوا لهم: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ»: **قوله:**

لقد أوصى النبيُّ الصحبَ يوماً ... بقـومٍ يسألون العلـمَ عنـهُ
إذا جـاؤوهم أن يكرمـوهمْ ... ويُنبـوهم بمـا سـمعوه منـه
فمن طلـب الحديث يَجِـلُّ قـدراً ... ولا يـدرَكْ لـه كنـهٌ فكنـهُ

وقوله:

يا ربِّ جـدْ لـي بالنـدى والهـدى   لا ملجــــأَ منـــك إلا إليـــكْ
يـا ربِّ آنـسني لـك حمـداً علـى   فـضلك لا أحـصي ثنـاء عليـك

وقوله مفرد:

ظلـمُ الظلـومِ مثـلُ نـارِ الحَلْفـا   فـــوراً تثـــورُ وســـريعاً تُطفـــى

وقوله:

دبــــرتُ أمــــرَكَ عنــــدما   كنــتَ الجنــينَ بــبطنِ أُمِّــكْ
وعليــــكَ قــــد حَنَّنْتُهــــا   حتــى لقــد جــادتْ بــضمِّكْ
فاذهــبْ عــن التــدبير فــي   كــلِّ الأمــور بكــلِّ عزمِــكْ
إنَّـــا لكـــافوكَ الـــذي   يــأتي بعزمــكَ أو بِهمِّــكْ
ولعلمِنـــا بـــكَ يـــا فتـــى   نُغنيــك عــن تــدقيقِ فهمِــكْ
فالجـــأْ إلينـــا ضـــارعاً   نأخــذْ بكفــك فــي مُهِمِّــكْ

وقوله:

أُعاطيــه كؤوســاً مــن لُجَــينٍ   فيجعـلُ لـي مـن الـذهب الوفـاءَ
ولــستُ مرابيــاً فــي ذا ولكــنْ   خيــارُ النــاسِ أحــسنُهم قــضاءَ

وقوله:

انظـــر إليـــه كأنـــه متبـــرمٌ   ممـــا تغازلـــه عيـــونُ النـــرجسِ
فكـــأنَّ صـــفحةَ خـــدهِ ياقوتـــةٌ   وكـــأن عارضـــه خميلـــةُ ســـندسِ

وقوله:

لنـا نفـوس إذا هـي انـصدعتْ بلحـظِ طـرفٍ تقـوم سـاعتُها
عـزَّتْ فعاشـت بفقـدِها رغـداً وفـي اعتـزالِ الأنـامِ راحتُهـا

وقوله:

بلغتُ من الجَوى مـا ضـقتُ عنه فخلِّـصْني بفـضلك ربِّ منـهُ
إلهـي إن حُبَّـك فـي فـؤادي فأنقـذْه مـن البلـوى وصـنْهُ

وقوله:

قـال صـحبي عـن الـدخان أجِبْنا هـل لـه فـي كتابنـا إيمـاءُ
قلـتُ مـا فَـرَّطَ الكتـابُ بـشيء ثـم أرخـتُ (يـوم تـأتي الـسماءُ)

وقوله:

عـن النبـيِّ أتانـا مـن رأى امـرأة أحـل فـي قلبـه للحـسن موقعَهـا
فليـأتِ زوجتَـهُ فلـيقضِ حاجتـهَ إن الـذي معهـا مثـلُ الـذي معَهـا

وقوله:

تلـمّ المعـاني بـالقلوب كأنهـا عرائسُ تُجلى في عقود مـن الـدُّرِّ
وتذهبُ حتى لا تراهـا فـإن تجـدْ لها لمماً بالقلب يخلج في الصدرِ
فبـادرْ إلـى تقييـدها بكتابـة فذلكَ ذخرٌ وهي من أنفـعِ الـذخرِ
لكـمْ لاح لـي أمـرٌ وراحَ وعنـدما أطالعُـه ألقـاه مـن أعجـب الأمـرِ
ومـا العلـمُ إلا روضـةٌ مـستنيرة فطوراً إلى نـور وطـوراً إلـى ثمـرِ

وما زلتُ في تلك الرياض معاطياً   نفائسَ ما تحويـه مـن أول العمـرِ

[٣٦٣] محمد بن محمد السُّوداني.

نزيل المدينة الشـريفة، كان من أكابـر الفضـلاء، جال بلاد المغرب، وقرأ ببعض نواحيه، ثم توجه منه إلى الحج، واستوطن المدينة مدةً طويلةً، مرموقاً بعين الإجلال، مظنوناً به الصلاح.

ثم توجه إلى بغداد، ودخل الكوفة، وحصلت له هناك وجاهةٌ عند أهل تلك الناحية من المالكية، وتزوج هناك، وانتفع الناس به، ثم حصلت له آفةٌ في عينيه، فكف بصرُه، ثم رجع إلى المدينة، واستقر بها، وصار من المدرسين، يُقرئ في فنون العلوم، حتى نيفٍ وستين وألف، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٦٤] محمد بن محمد الهُرَيري ـ مصغراً ـ الحلبي[1].

نزيل دمشق، كان من فضلاء وقته، عالماً وعاملاً، منكفاً عن الناس، نساخاً للكتب، وخطه متوسط، لكنه صحيح مبيّن مضبوط، لا يكاد يُرى فيه تحريف، ولذلك كان يُرغب في خطه، حتى كتب كتباً كثيرةً مقبولةً إذا عرضت.

توفي بدمشق، في نيف وستين وألف، ودفن بمرج الدحداح.

وله أشـعارٌ كثيرةٌ، منهـا: قولـه محاجياً في مِقراض، وأرسل بها إلى عبد الكريم الطاراني الميقاتي بدمشق، سنة أربع عشرة وألف:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٠٠)، وذكر وفاته في سنة سبع وثلاثين وألف، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٢).

يـــا أيهـــا الحبـــرُ الـــذي   منــــه الأفاضــــلُ تـــستفيدْ
يـــــا فاضـــــلاً أقلامُــــــه   قـــد أذكـــرت عبـــدَ الحميـــدْ
ومـــن لـــه فـــي المـــشكلا   تِ الفهـــمُ والقـــولُ الـــسديدْ
أوليــــتَ كـــلَّ مكمـــل   مـــن وفـــرك البحـــر المديـــدْ
مـــا مثـــل قولـــك للـــذي   حاجيتـــه أحبـــبْ مريـــدْ

فأجابه بقوله أولها:

يـــا مـــن يُبـــين المـــشكلا   تِ بفهمـــه العـــالي الـــسديدْ
ومـــن ابتنـــى بيـــتَ المعـــا   لـــي سـامياً وغـــدا فريـــدْ
وحـــلا بحـــلِّ الغامـــضا   تِ محليـــاً جيـــدَ القـــصيدْ
بجـــواهرِ الـــدررِ التـــي   يَعنُـــو لهـــا ابـــنُ أبـــي الحديـــدْ
وبهـــا يـــدين أبـــو نُـــوَا   سِ والمفـــضَّلُ مـــع لَبيـــدْ
يـــا كـــاملاً أشـــعارُه   مـــن دونهـــا الـــدرُّ النـــضيدْ
أذكرتَنـــي ببلاغـــة   نمقتَهـــا عبـــدَ الحميـــدْ
مـــستفهماً عـــن آلـــة   للقـــصِّ يـــدريها المريـــدْ
فطربـــتُ مـــن لفـــظ غـــدتْ   منـــه الأفاضـــلُ تـــستفيدْ
وفهمـــتُ منـــه لفـــظَ مقـــ   ـــراضٍ ومعنـــاه أحيـــدْ
لا زلـــتَ تُحيـــي مَيِّـــتَ الـــ   آداب بِالفـــضلِ المديـــدْ
وبقيـــتَ ترفُـــلُ فـــي ثيـــا   ب العـــزِّ والعـــيشِ الرغيـــدْ
مـــا نـــاحَ قمْـــريٌّ فهـــا   ج بلابـــلَ الـــصبِّ العميـــدْ

[٣٦٥] محمد بن محمد المكنى الطرابلسي.

ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: من أعلم أهل بلده طرابلس المغرب، كانت له مشاركةٌ حسنةٌ في فنونٍ كثيرةٍ، أخذ عن محمد ابن مساهل مفتي طرابلس، وعن غيره، وكان له عقلٌ، وزيادة نبل.

ومهر في فنون عديدة، وفاق أقرانه، ولما عزل شيخه المذكور عن الفتوى، وليها، فحمدت سيرته، وظهرت نجابته، وسدد في فتواه، وولي بها تدريس الجامع الكبير، والخطابة والإمامة.

لقيته بداره، واستعرت منه «المطول» لسعد الدين، فأعاره، وكانت له خزانة كتبٍ ليس مثلها لأحدٍ من أهل بلده، ثم استعرت منه «العضد على مختصر ابن الحاجب»، وكان ذلك قبل رحيلنا، فأعاره، وكتبت له مع الرسول بيتين وهما:

فَمُنُّوا به قبل الرحيل لنا كما ... تطوَّلتُم من قبلهِ بالمطوَّلِ
فإنكم أهلٌ لكل فضيلةٍ ... كما أنكم أهلٌ لكل تفضُّلِ

توفي والده قريباً من سنة ست وخمسين بعد الألف، وتوفي المترجم بعد سنة خمس وسبعين وألف ـ رحمهما الله تعالى ـ.

[٣٦٦] محمد بن محمد بن محمود بن عبد الحق العمري الشافعي الطرابلسي.

عالم الشافعية في عصره بطرابلس الشام، كان إماماً جليلاً، عالماً عاملاً زاهداً، منكفاً عن الناس، مشتغلاً بما يعنيه من أمور دينه ودنياه، قرأ ببلده على كثير، وأخذ بدمشق عن النجم الغزي، ومن في طبقته، وأجازوه.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على نشر العلم، والاشتغال به، إلى أن مات سنة ثمانين وألف تقريباً، ولما قدم الأمير منجك إلى طرابلس، اجتمع به، وصارت بينهما ألفةٌ ومودةٌ، ومدحه بقصيدةٍ مطلعها:

طرابلس هي الدنيا جميعا ... إذا ما كان ابنُ عبدِ الحقِّ فيها

ولم يكن فيها في عصره من الشافعية من هو أفقه منه، إلى ما حواه من العلوم العقلية، وسلوك طريق الصوفية. . .[1].

[٣٦٧] محمد بن محمد بن محمود بن محمد بن أحمد بن محمد ابن خضر بن محمد بن خضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي المناشيري الصالحي الدمشقي الشافعي[2].

كان صاحب فضلٍ كبيرٍ، وأدبٍ غزيرٍ، قرأ على والده، وعلى علي النجار، والقاضي حسين العَدَوي، ومحمد بن بلبان، وعلي الغَزْوي، وعبد الوهاب الفُرفوري، ومحمد الأسطواني، ومحمد المحاسني، وعبد الباقي الحنبلي.

مولده يوم الثلاثاء، بين الظهر والعصر، رابع عشر شهر ربيع الثاني، سنة سبع وعشرين وألف، ووفاته في نيف وثمانين وألف، والمناشيري نسبة إلى المناشير، وهي رقاع الأحكام، وكان جده خضر الأدنى كاتبَ الإنشاء بالديار المصرية ـ رحمه الله ـ.

[٣٦٨] محمد بن محمد بن محمد العيثاوي الدمشقي الشافعي[3].

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطر بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠٠).

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠١).

فاضل وافي الفضيلة، ذو فنون جليلة، عارفٌ بحقائق التنزيل، ماهرٌ في معرفة التفسير والتأويل، إمام في الفقه، مشارك في جميع العلوم، صحيح الفهم في كل منطوق ومفهوم، ذو رتبة عالية المقدار، ومنزلة رفيعة المنال والمنار.

أخذ عن النجم الغزي، ومن في طبقته، وأخذ عنه كثير، من أجلهم: عبد القادر بن عبد الهادي العمري، وأبو السعود بن تاج الدين، وباشر الوظائف الدينية، ودرس تحت القبة النسرية بجامع دمشق، ولم يزل يدرس في فنون العلوم، حتى وافاه أجله المحتوم، سنة ثمانين وألف.

وقد رأيته في سن الصغر، ودعا لي بدعواتٍ أرجو بها الظفر، وسأله بعض تلامذته في درسه: لم دخل النفي [على] لا إله إلا الله؟ فأجاب على البديهة: إنما دخل النفي في هذه الكلمة؛ لتحقيق الإثبات؛ فإن قولك: لا صديق لي إلا أنت، أشدُّ تحقيقاً من قولك: أنت صديقي. انتهى.

والعيثاوي: نسبةٌ إلى عَيْثا ـ بفتح العين، وسكون الياء التحتية المثناة، بعدها ثاء مثلثة، وألف مقصورة ـ: قرية من قرى دمشق.

[٣٦٩] محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو الدرعي، نسبة إلى «درعه»: واد بالمغرب الأقصى(١).

كان عالم المغرب في عصره، إماماً في التفسير والحديث وفقه مالك، يعرف «المدونة» معرفةً جيدةً، وكثيرٌ من أولاده يحفظها؛ لعنايته بها، وكان

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٩) (٦٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٨٣)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٣).

ممن اجتمعت القلوب على حبه واعتقاده؛ حيث كان مجللاً، حسن الخلق، متواضعاً كريماً، صاحب زاوية في بلده، وبيته منزل للوافدين عليه من الغرباء وطلبة العلم، مشهورٌ بالمغرب شهرةً قويةً.

ولد في شهر رمضان، سنة إحدى عشرة وألف، وقرأ بالمغرب على شيوخٍ كثيرين، منهم: العلامة محمد بن سعيد المَيْرَغني المراكشي، وأجازه إجازةً حافلةً بمروياته، ومن شيوخه: علي بن يوسف الدرعي، كان إماماً محققاً، من أكابر أولياء الله تعالى، وكان يرى النبي ﷺ يقظةً، ومنهم: محمد بن أحمد المصمودي، نسبة لمصمودا: قرية بالمغرب، ومنهم: الشيخ أبو بكر السجستاني، تلميذ الشيخ إبراهيم اللقاني.

وقدم مصر للحج مرةً سنة سبعين وألف، وأخرى سنة ست وسبعين، واجتمعت به فيها، وأخذت عنه، وأجازني بمروياته، وكان ينزل في مصر، ببيت الشيخ عبد السلام اللقاني؛ لما بينهما من المودة القديمة بالمكاتبة، وأخذ بمصر عن شيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وعبد السلام اللقاني، وعبد المعطي المالكي، وأخذ عنه كثير، منهم: العلامة محمد بن سليمان الروداني، وعبد الملك السجلماسي بالمغرب، وشيخنا منصور الطوخي، وأحمد البشبيشي.

وله مؤلفاتٌ، منها: «غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب»، ومنها: «وسيلة العبد الضعيف إلى مولاه اللطيف»، و«سيف النصر على كل ذي بغي ومكر»، و«مناسك الحج»، و«منظومة في قواعد الإسلام».

توفي في شهر صفر، سنة خمس وثمانين وألف، ببلده وادي درا،

وأعقب ذريةً صالحةً، من أجلهم: ولده شيخنا أحمد، قدم مكة مرتين أيضاً، واجتمعت به في الثانية، سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، وأخذت عنه أيضاً، وأجازني بمروياته، ولقنني أذكاراً نافعةً، ورجع إلى بلاده ـ بلغه الله سلامته وكرامته ـ وأخبرني أن مولده، في شهر رمضان، سنة سبع وخمسين وألف، وأكثر أخذه عن والده.

[٣٧٠] محمد بن كمال الدين محمد بن محمد بن حسين بن كمال الدين بن محمد بن حمزة بن أحمد بن علي بن الحافظ شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر بن علي ابن الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط المجتبى بن علي المرتضى بن أبي طالب بن عبد المطلب الحسيني الدمشقي الحنفي(١).

نقيب الأشراف بدمشق، ورئيسها في عصره، كان علامة دهره في غالب العلوم، كما شهدت بذلك أهل الفهوم، من العرب والروم، واشتهر صيته وذكره، وعلا في الخافقين قدره، وبوأه الله في العلم منزلةً عليةً، إلى ما حواه من النفس الرضية، والشيم الهاشمية، والمكارم الحاتمية، والشرف الذي ينطح النجوم، وتخضع له التخوم، والجاه العميم، والخلق العظيم.

مولده في غرة رجب، بدمشق، سنة أربع وعشرين وألف، وبها نشأ، وقرأ القرآن العظيم، وأخذ الحديث والفقه عن محمد بن منصور بن المحب،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٢٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٥).

وعلي القَبْرْدي الصالحي، ومحدث دمشق النجم محمد الغزي، وحج، وأخذ بمكة عن محدثها محمد علي بن علان، وأجازه بمروياته.

وعنه أخذ العلامة محمد بن سليمان المغربي، وشيخنا عبد القادر البغدادي، لما قدما دمشق، ومحمد أبو المواهب الحنبلي، وعبد الحي العكري، وعثمان القطان، وعبد القادر بن عبد الهادي، وأخي محمد شاهين، وغيرهم.

وكان منزلنا بدمشق قريباً من داره، وبينه وبين طائفتنا خصوصيةٌ ومحبةٌ، وكان يمازحني كثيراً وأنا صغير، ويقول لأخي محمد شاهين: إني أتفرس في أخيك أن يصير عالماً فيه بركة، ولعل الله يحقق ذلك.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرح تنوير الأبصار»، و«حاشية على البيضاوي»، و«حاشية على شرح الألفية» لابن الناظم.

وكان له ولدٌ فاضلٌ نحريرٌ، أكبر أولاده، اسمه عبد الرحمن، توفي قبله بقليل، وجزع عليه كثيراً، وله فيه مرثيات، وبعد وفاة ولده بأيام، عزل من منصب النقابة، فسافر إلى الروم، ورجع بمنصبه.

ثم توفي سلخ صفر، سنة خمس وثمانين وألف بدمشق، ودفن بالصالحية، بالتربة الإيجية، تربة آبائه وأجداده.

وله الشعر الأنيق، البديع الرقيق، منه: قوله يمدح السيد عبدالله الحجازي الحلبي، حين قدم دمشق، قاصداً للحج:

جاد الغمامُ الروضَ سَحًا ... فاستجْدَ من ريَّاه نَفْحا
واستجلِ من زهر الربى ... قبل ابتسامِ الصبحِ صُبحا
واجنحْ لوانية الأصا ... ئل في الخمائل تلقَ نُجْحا

واصِــــغْ لهينمـــــةِ الــــصَّبا　　　واســـمع مـــن الغِرِّيـــد صَـــدْحا

يغنيــــك عـــــن ألحــــانِ معـــــ　　　ـــــبد أو زنــــام إن أَشَـــــحا

واشــربْ علــى ضــففِ الغديــــ　　　ــــرِ بهــا كــؤوسَ الــراح طفْحــا

وأجِــــــدْ محادثــــــةَ النديــــــ　　　ــــمِ تجـد سـقيمَ الـودِّ صَـحّا

ومنها:

وتـــــولّ إفـــــراغ المعـــــا　　　نـي فـي مبـاني القـول لَقْحـا

فهمـــــا الغنيمـــــةُ بافتنـــــا　　　نـك فـي البيـان مناكَ سَـمْحا

مــــا البكــــرُ إلا التبــــر إن　　　عاصــاك زنــدُ الفكــر قَــدْحا

إنــــا بمـــــدح مـــــسددٍ　　　فــالفكرُ يرشـــح فيـــه رَشـــحْا

ومنها:

فـــــإذا تـــــولى وجهـــــه　　　فُتحــــت لـــه الأبـــوابُ فَتْحـــا

كـــصفاتِ تِـــرْبِ المكرمـــا　　　تِ أخـي العـلا المرغـوب مـدحا

فـــرعُ الكـــرامِ الرافعيـــــ　　　ـــن لهـم بـأوج المجـد صَـرْحا

مـــولًى أحـــاط بكـــل منـــــ　　　ــقبة فـأغنى عنـك شَـرْحا

وأقـــامَ ســـوقَ الفـــضل كـــا　　　ســدةً فـضاعفَ فيــه رِبْحــا

ومنها:

مـــا جـــال طـــرفُ مـــضائه　　　فــي البحــث إلا كَــرَّ سَــبْحا

وافــــى دمــــشقَ ركابـــــهُ　　　فأفادنـــا أدبــــاً ونُـــصْحا

وأنالنـــــا شــــــرفاً أفـــــا د صـــــدورَنا بـــالأنس شَـــرْحا
وكفـــى الفتـــى زمـــنٌ بـــصفـ ـــوِ مـــسرَّةٍ أمـــسى وأضـــحى
مـــولاي يـــا مـــن سَـــرَّ أفـــ ـــئدةً بلطـــفٍ منـــه قَرْحـــى

ومنها:

يـــابنَ الفـــواطمِ والمكـــا رمِ مُثْبَتـــاتٍ لـــيسَ تُمْحـــى
أوليتَنـــــي نظمـــــاً يـــرقْ قُ فيـــسترقُّ الحـــرَّ سَـــمْحا
مـــصقول ألفـــاظٍ تكـــا د تـــرى المعـــاني فيـــه لَمْحـــا
هـــو لا ســـواه الكيميـــا ءُ لأنهـــا فـــسدَتْ وصَـــحّا
لا البحتـــريُّ ولا الـــسَّرِيْ يُ يـــدانيان مـــداهُ فَـــسْحا
مـــا عارضـــتْهُ قريحـــة إلا وعـــادت منـــه قَرْحـــى

ومنها:

كَلِفَـــتْ بـــه شُـــمُّ المعـــا طـــسِ حـــين ذاقـــتْ منـــه ملحـــا
وبـــه رُفِعـــتُ مـــن الحـــضيـ ـــض وصـــرتُ للعليـــاء سَـــطْحا
أفـــلا أتيـــهُ بـــه وإن صـــادفتُ مـــن مرمـــاه قَـــدْحا
وأجـــرُّ أذيـــالَ الفخـــا ر ولا ألام بـــه وأُلحـــى
مـــولاي عـــذراً إنهـــا مـــن فكـــرة بـــالبين مرحـــا
منحـــتْ بمـــدحك فاستقلْـــ ـــلَت أن تـــروم ســـواك منحـــا
وتباركـــت عـــن كاشـــح وتزينـــت جِيـــداً وكَـــشْحا

واسـلمْ بقيـتَ نـسيجَ وحْـ ـدِكَ مُفْـضلاً جـوداً وصَـفْحا

وقوله:

أمـل لـيس ينقـضي فـي تمنـي نظـرة تـستفادُ عنـد التفاتِـكْ
لستُ أرضـاك مـسرفاً فـي تجنيـ ـك بحالِ والحُسْنُ بعضُ صفاتِكْ
لك في كل مهجـة راضـها الحبْـ ـبُ هوى يُستطاب فـي مرضـاتِكْ
بقـوام يملـي علـيَّ إذا مـا لَ حـديثَ الرمـاح فـي قناتِـكْ
ومُحَيًّـا يـرى ضـئيلَ نحـولي لعـذولي والـصبحُ للـستر هاتِـكْ

ومنها:

وسـنا مبـسم إلـى الرشـد يهديـ ـها بما ضلَّ في دُجـى مرسـلاتِكْ
يا بـديعاً تحكـي الريـاض سـجايا ه أقِـلْ مهجتـي شَـبا لحظاتِـكْ
أنـا مـن لا يجيلُـه فـرطُ إعـرا ضك عن مذهب العـلا وحياتِـكْ
وعلـى مقلتـي رقيـبٌ مـن الوجـ ـد أرى فـي لقـاه بهجـةَ ذاتِـكْ
حـسبُ قلـبِ ونـاظرِ يتمنـا ك بـأن لا يَـرى سـوى حـسناتِكْ
مُلَـحٌ تـسلبُ النهـى ومزايـا أنهـا تـستطاع واللحـظُ فاتِـكْ

وكتب للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني، حين قدم دمشق، واجتمع به، **قوله:**

وكنـتُ أسـائلُ الركبـانَ عمَّـن أقـامَ بمهجتـي ونَـأتْ ربوعُـهْ
فلمـا ذرَّ شـارقُه منيـراً بـأفقِ الطِّـرْس عـاوَدَه هجوعُـهْ

فأجابه بقوله:

أيـا ربَّ المـوالي والمعـالي ... ومـن بـالرق لبَّـاه مطيعُـهْ
لقـد كُمِّلْـتَ فـي خَلْـقٍ وخُلْـقٍ ... بـأعظمِ مـا تخيَّلَـه سـميعُهْ
وشـرَّفت الرقيـقَ برفـع ذكـرٍ ... علمـت بـأنني حقّـاً وضـيعُهْ
فـدمتَ ضـياءَ أفـقِ الـشام حَقّـاً ... بـلا أفـق الوجـود إذن جميعُـهْ
وقـد قَـرَّتْ بمـرآكم عيـوني ... جـريحُ الطـرفِ عـاودَه هجوعُـه

[٣٧١] محمد مرزا بن محمد السروجي الدمشقي الشافعي[١].

كان شيخاً جليلاً، عالماً عاملاً، فاضلاً كاملاً، خيراً تقياً، صالحاً نقياً، ملازماً لعبادة الله وطاعته، وذكر الله وخشيته، له معرفةٌ جيدةٌ بعلم الحقائق، واطلاع على كتب الرقائق، واعتقادٌ ومحبةٌ للقوم ـ نفع الله بهم ـ، وجمع من كتبهم شيئاً كثيراً، سيما كتب الشيخ محيي الدين بن عربي، ورزق فهماً لكلامه ـ نفع الله به ـ.

مولده سنة أربع بعد الألف بدمشق، وبها نشأ، وكان في ابتداء أمره في حانوتٍ يصنع سروج الخيل ويبيعها، ثم طلب العلم، ولازم أكابر الشيوخ، وأخذ عن محدث دمشق وحافظها الشمسِ محمد الميداني، وعن محدث العصر في المغرب الشهاب أحمد بن محمد المقري التلمساني ثم الفاسي، حين قدم دمشق، حضر دروسه، وقرأ عليه كتباً عديدةً، منها: عقيدته المسماة: «إضاءة الدجنة»، وكتب له في آخر نسخته إجازةً بخطه بها، وبجميع مؤلفاته ومروياته.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٤).

ولازم العلامة المحدث النجم محمد الغزي، وأخذ عن العارف بالله عبدالله الرومي البوصنوي، شارح «الفصوص»، قرأ عليه غالب مؤلفاته، وأجازه بمروياته، وعن الشيخ غرس الدين الخليلي المدني، وغيرهم من كبار الشيوخ، أهل التمكين والرسوخ.

ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، وجاور بهما عمراً طويلاً، وكان غالب إقامته بالمدينة، وأخذ عن عارف زمانه تاج الدين النقشبندي، وأخذ عن السيد الجليل سالم بن أحمد شيخان، والعارف بالله أحمد القشاشي، وعن كثيرٍ من مشايخ الحرمين، وأجازه جل شيوخه.

ولما توجهتُ إلى المدينة الشريفة، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، نزلت عنده، وأكرمني، وكان في غالب أوقاته لا يفارقني، ويفرحه ما يفرحني، ويكدره ما يكدرني، ويحزنه ما يحزنني، فجزاه الله عني أفضل الجزاء وأجزله، وأحسنه وأكمله، وقرأت عليه نبذةً من «الفتوحات المكية»، وجميع «نظم مراتب الجيلي» لشيخه غرس الدين، وشرحه لشيخه عبدالله الرومي، ورسائل كثيرة، وأجازني بمروياته.

وكان ـ رحمه الله ـ يأمرني دائماً بذكر لا إله إلا الله، وتلقنتها منه، وقال لي: إنه تلقنها من علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ مناماً، وقرأت عليه سورة الكوثر، وقال لي: إنه قرأها على رسول الله ﷺ مناماً أيضاً.

ولم يزل ـ رحمه الله تعالى ـ تاركاً ما لا يعنيه، مشتغلاً بنفسه وذويه، ملازماً لطاعة رب العالمين، متحققاً بحق اليقين، سالكاً طريقة الناسكين، حتى توفي سنة تسع ـ بتقديم التاء وثمانين ـ رحمه الله، وأسكنه عليين.

ومن وصاياه لي: لا تتعرف من لا تعرف، ولا تداخلْ من تعرف، إلا

لضرورةٍ داعيةٍ؛ فإن الوقت فاسد.

وأخبرني صاحب الترجمة: أنه لقي - في بعض حجاته - رجلاً فقيهاً من أهل تلمسان، حكى عنه أحوالاً غريبة، منها: أنه رافقه من مكة إلى المدينة، وكان يختم كل يوم كذا وكذا ختمة، قال: فلما وصل إلى المدينة، ودخلنا المسجد النبوي، وتقدمت إلى الزيارة، ووقفنا بالمواجهة، قال: فلما فرغتُ من الزيارة على الوجه المعتاد، رجعتُ إلى الروضة، وجلست أنتظره، فأبطأ هنيهةً، فإذا هو داخل، فقلت له: ما أبطأك عليّ؟ فقال لي: ختمت ختمةً أمام وجه النبي ﷺ، ثم جئتك.

وهذا لا يُستبعد على سبيل الكرامة وخرق العادة، لا شك أن من ألف قراءة القرآن واعتادها، قد يبلغ إلى ختم ثلاث أو ما يقرب من ذلك في اليوم.

وقد ذكر الناس في كرامات الأولياء: أن بعض أصحاب الشيخ أبي مدين حج في السنة التي حج فيها السهروردي، فذُكر له عنه أنه يختم في اليوم والليلة سبعين ألف ختمة، فبعث بعض ثقة أصحابه يختبر له ذلك، فوجده يقرأ، فتبعه من الركن إلى قريب من الحجرة، فختم عدداً كثيراً من الختمات.

وفي هذا خرق عادة للقارئ والسامع؛ لأن سماع مثل هذا في هذه المدة لا يمكن عادة، وهذا قريب من ختمة في كل نَفَس، فقد قيل: إن أنفاس الآدمي المعتادة في اليوم والليلة نحو من ذلك العدد، وعلمُ الله أوسع من أن يحاط به. انتهى.

[٣٧٢] محمد فريد بن محمد شريف الصدِّيقي الحنفي الأحمد أبادي.

أحد العلماء المشهورين بالديار الهندية، أخذ عن السيد معظم البلخي،

ومن في طبقته من علماء بلده، وكان حافظاً للقرآن، من أفراد الزمان، أشرقت بالهند شموسُ علمه وآدابه، وزها نورُها إذ زها في عوده ماء شبابه.

وممن أخذ عنه، وتخرج به: صاحبنا الفهامة محمد قاسم الأحمد أبادي، وكان يثني عليه كثيراً، ويقول: ما رأيت في الهند أفضل منه.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ منها: «حاشية على شرح التلخيص» للسعد، و«حاشية على شرح الهداية» للمبيدي، و«حاشية على المطول»، و«حاشية على حاشية الخطابي على المطول»، و«حاشية على التلويح»، وغيرها، توفي سنة تسع وثمانين وألف ببلده ـ رحمه الله ـ.

ونقل لي عنه صاحبنا محمد قاسم المذكور: أنه كان في مجلس بعض الأمراء، فجرى ذكر قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾[الإسراء: ٨٨] الآية وقول البيضاوي: لم تذكر الملائكة؛ لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة... إلخ، فقال: لا نسلم أن إتيان الملائكة بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة، ولعل عدم ذكر الملائكة ليس لعدم صدور المعارضة منهم، أو لدلالة النص على عدم اقتدارهم على الإتيان بمثله؛ لأن الإنسان مع شرفه لا يأتي بمثله، فغيره بطريق الأولى. انتهى.

قلت: وعدم صدور المعارضة منهم؛ لكونهم معصومين، لا يعصون الله ما أمرهم، وأما الجواب الثاني: فيخدشه: أنه لا يأتي إلا على القول بتفضيل البشر على الملك، وعلى تسليمه، فيمكن أن يوجد في المفضول مزيةٌ لا توجد في الفاضل، فلا يتم ما ذكره. انتهى.

[٣٧٣] محمد بن محمد بن أحمد المنوفي الشافعي المكي.

كان من صدور العلماء المدرسين، والأئمة والخطباء المعتبرين، فقيهاً

محققاً مفنناً، له اطلاع واسع على كثير من العلوم الدينية، مجللاً عند الأشراف الحسينيين ملوك مكة، موفر الجاه.

ولم يزل كذلك حتى امتحن من محمد بن سليمان المغذف، في دولة الشريف بركات بن محمد أمير مكة، ورمي عنده بأنه من أعوان الشريف سعد ابن زيد، فخشي منه مكيدةً، وكان المترجم من الدهاة، فأخرجه من مكة مع جماعة من أهلها من أتباع الشريف سعد، فمكث بمصر سنين، واجتمعت به فيها، ثم حصلت لهم شفاعة من بعض كبراء مصر، فرجعوا إلى مكة، وأقام المترجم بمكة، إلى أن مات بها سنة إحدى وتسعين وألف، ودفن بالمعلاة.

وكان ـ رحمه الله ـ عذب المصاحبة، خبيراً بموقع الكلام، ذا فطنةٍ قويةٍ، وفكرةٍ ألمعيةٍ، وتأنٍّ في الأمور، حازماً لأمور دينه ودنياه، وكان في دولة الشريف زيد بن محسن، ثم في دولة ولده سعد، قارئ المنشورات السلطانية، مرجواً للدولة الحسنية، حسن السيرة، طاهر السريرة، له فضائل كثيرة، ومآثر شهيرة، وهو والد صاحبنا الفاضل، المتحلي بأجل الفضائل، سعيد المنوفي ـ أطال الله عمره ـ.

[٣٧٤] محمد مكي بن محمد ولي الدين الحنفي[(١)].

الرومي الأصل، المدني المنشأ والمولد، رئيس الحرمين، وقاضي البلدين، وسعيد الدارين، الذي اشتهر صيته وذكره، وعلا عند جميع الأنام قدره، وحصل له من العزة ما لم يعهد لأحد من أقرانه، وأهل عصره وزمانه، إلى كرم نفس وشيم، وأخلاق رضية وعلو همم.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٧).

كان مرجع المدينة الشـريفة في عصره، ولا يصدر شيء إلا عن رأيه، وكان معاملاً لأهل المدينة بالإحسان والامتنان، وكلهم مرجعهم إليه في كل مهمة؛ لأنه كان كالأب الشفيق عليهم، يحبه الصغير والكبير، والغني والفقير؛ لما هو عليه من الأدب، والاعتناء بحاجات أهلها من غير طلب.

ولد سنة تسع عشرة وألف، وجاء تاريخ مولده بغاية الضبط (محمد بن ولي عاش مبرورا)، ومراده بغاية الضبط: الطاء، وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم النافع، وأخذ الطريق، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من السيد العارف بالله سالم ابن أحمد شيخان، ولازمه وانتفع به، وحصل منه علوماً مفيدةً في الدين والدنيا، وكان من أعز جماعته عنده.

وبشره بأشياء ظهر له من بعد ذلك حقيقتها.

منها: أنه يعيش سـعيداً، ويمـوت كذلك، فرفـل في ثياب السعادة، وأعطاه الله الحسنى وزيادة.

ومنها: أنه لا يتعرض له أحدٌ بسوء إلا قصم سريعاً، وشوهد له من هذا شيء كثير، وهو مشهور في واقعة أهل المدينة، وما فعل بعضهم معه؛ من شكواه إلى الأبواب العلية السلطانية، فخذل، ولم يظهر بشيء، وكانت النصرة للمترجم، وهو غافل، وغالبُ من تعرض له مات في حياته، بأسوأ حال.

ومنها: أنه بشره أنه من أهل الجنة، بلا سابقة عذاب.

وقد صحبته مدةً مديدةً، وأجازني بمروياته.

ومما اتفق له في مجاورته بمكة، سنة اثنتين وسبعين وألف: أنه ورد

إليه من الروم تفويض الحكم الشرعي بطيبة، من قاضيها المولى بها من الديار الرومية تفويضاً مطلقاً، واتفق أن قاضي المدينة المعزول عنها، وهو محمد أفندي المرغلي، أُعطي قضاء مكة، وجاء له المنشور السلطاني في مجلس درسه، في الروضة المطهرة، وهو يقرر تفسير قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌ﴾[المطففين: ٢٦]، فأرسل هو أيضاً بتفويض حكم مكة إليه، فباشر النيابة عن القاضي بنفسه بمكة، وأقام من يباشر عنه في المدينة، حسبما أبيح له في ذلك، فقال في ذلك الشيخ العلامة أحمد بن عبد الرؤوف المكي:

وضحَتْ لرائدِ مدحكم طرقُ البيان ... وتحدثت بنسيبكم خُرْسُ اللسانِ
وأتتْ بأسجاعِ الهديلِ حمائمِ ... الترسالِ عن أوصافك الغُرّ الحِسانْ
وتقلدت تيهاً نظامَ حليها ... وتطاولتْ شرفاً لها عنقُ الزمانْ
وشدا بها حادي علاكَ محدثاً ... ولقد روى الحسن الصحيح عن العيانْ
سعتِ المناصبُ نحو بابك خطبةً ... وترومُ نحلتها القبولَ لأن تُصانْ
وأتت إليك خلافةٌ مقرونةٌ ... بفرائد التسديد يقدمها الأمانْ
لقضاء مكةَ والمدينةِ مفرداً ... إذ لا يكونُ لنجم سعدِكم قرانْ
فلذاك نَادَيتُ الغداة مؤرخاً ... (يا حاكمَ الحرمينِ في وقتٍ وآنْ)

توفي بالمدينة ليلة الخميس، ودفن ضحى يومها، الخامس عشر من شهر محرم، افتتاح سنة أربع وتسعين وألف، وصلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله ـ.

ورثاه جماعة، منهم: ولده الفاضل أحمد، فقال:

سبحانَ من قَدَّرَ الآجالَ تقديراً ... لا نستطيعُ لها رَدّاً وتأخيرا

نبكـي لفرقـةِ أحبـابِ وبيـنَهُمْ بكاءَ ثَكْلى على ابنٍ صارَ مقبـورا
وليسَ يجدي البكا والنوحُ ذا أسفٍ ترى الثرى بـدما عينيـه ممطـورا
ولا يـردُّ عليـه فائتـاً حَـزَنٌ كلاً غدا تحت حكـم الله مقهـورا
لكنْ على مثلِ ذا الرزءِ الجليلِ إذا أفنيتُ صبري ودمعي[1] كنت معذورا
أبكي على جوهرِ الفضلِ الكريمِ ومَنْ في دينه والدُّنا قـد كـان مـشكورا
حبرٌ هو البحرُ المعـروفُ شيمتُه بذاك قد كان في الأقطار مـشهورا
فقل لطالـبِ عـامِ الانتقـال اصِـخ بـشطر بيـت تـراه فيـه مـسطورا
وزده يـا راحمـاً جـوداً يؤرخـه (محمـدُ بـنُ ولـي مـات مبـرورا)
عليـه رحمـةُ ربـي دائمـاً أبـداً تملا ثرى مضجَعٍ [قد] حلَّه نـورا

[٣٧٥] محمد أبو عبدالله المرابط بن محمد بن أبي بكر، شُهر بالصغير، الدلائي الفِشْتالي المغربي المالكي[2].

شيخنا العلامة، نادرة الدهر، وفريد العصر، لم يأت من أرض المغرب في عصرنا له شقيق، فهو ـ لَعَمري ـ بجميع الفضائل حقيق، ذو حسب تليد، وباع في المجد طويلٍ مديد، وله في كل علم سهم مصيب، وحذق عجيب، خصوصاً العربية؛ فإنه رأس المؤلفين فيه في زمانه، وسار ذكره به سير المثل بين أقرانه.

ولد بالزاوية من قـرى الدلا، وبها نشـأ، وقـرأ القرآن، وروى الفقـه

---

(١) في الأصل: ودمع.

(٢) «خلاصة الأثـر» للمحبي (٤/ ٢٠٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ١٩) (٣٧٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٠)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٤).

والحديث والعلوم العربية عن والده، وعن إمام المغرب في عصره بلا مدافع أبي عبدالله محمد العربي بن يوسف أبي المحاسن الفاسي.

وعنه أروي «شرحه لدلائل الخيرات»، وعن ولي الله السري السني الحسني السيد أبي محمد عبد الهادي ابن عالم المغرب في الحديث، وعلوم القرآن أبي محمد عبدالله بن طاهر السجلماسي، وغيرهم، وبرع وفاق علماء عصره، واشتهر صيته في الآفاق، وأخذ عنه خلق، وانتفع به كثير من فضلاء المغرب، وتخرجوا به.

ولما قدم القاهرة المحروسة، لا زالت ربوعُها عامرةً آهلةً مأنوسةً، سنة ثمانين وألف، مريداً الحج، أقبل عليه فضلاؤها، ولازمه علماؤها، واستفاد منه نجباؤها، وعقد بها درساً بالجامع الأزهر.

وجرى بينه وبين شيخنا علامة العصر، شهابِ الملة والدين، أحمَد البشبيشي، مطارحاتٌ وأسئلةٌ وأجوبةٌ منظومةٌ في العربية، **منها**: ما كتب به إليه شيخنا أحمد المذكور ـ قدس سره ـ، وهو قوله:

ألا أيها النحريرُ عالمُ عصره ... ومَن غَرف الروّادُ من فيض بحرِهْ
ومن قلّدَ التسهيلَ عقداً منظماً ... تنزّه عن طعن الحسود ومكرِهْ
أبينوا لنا إعرابَ نعم وتلوِها ... إذا كانت اسماً تُفصحون بأمِرهْ
وهل هي من قسم المعارف أو أتتْ ... منكرةً تستطردون لذكِرهْ
وهل أحدٌ منهم بذاك مصرِّحٌ ... أم الشيخُ فيها يستبدُّ بفكرِهْ

ومنها:

فإن قلتمُ التعريفُ فيها محصَّلٌ ... فمن أيِّ قسمٍ يا جديراً بخبُرِهْ

وإن قلتمُ التنكيرُ فيها فما الذي ... أساغَ ابتداءُ يا فريداً بعصرِهْ

فلا زلتمو أهلا لبذلِ فوائدٍ ... وجبرِ فقيرٍ مع تزيُّدِ فقرِهْ

فأجابه بقوله:

أيا عالماً قد عاد فرداً بدهره ... إذا ما شدا بالنظم أو حينَ نثرِهْ

حنانيْكَ إن الرفعَ لا شكَّ واحدٌ ... لدى متعاطي النحوِ يا فخرَ مصرِهْ

سوى أن حاوي المدح والتلو قد غدا ... كتاب وقرِناه مسمًّى بأسرِهْ

لدى رأسِ أهل الكوفة القوم إذ أتى ... مسمًّى به الممدوحُ نافحُ عطرِهْ

فعاد بذاك اسماً مجازاً وإنما ... هو الفعلُ ملتاحا وقالوا بنصرِهْ

وقد زعم القراءُ إذ ذاك أنه ... خليفةُ مطويٌ يضنُّ بنشرِهْ

فمن ثَمَّ أَسمَوْه ادعاءً لأن غدا ... يحرر سربالا يضوع بنشرهْ[1]

وإذ ذاكَ ما المخصوصُ قد عاد مسنداً ... لهاتيك إذ نمَّتْ بمكنونِ سِرِّهْ

وأما على رأي الجماهير منهم ... فنعمَ ابتداء رافعٌ ما بإثرِهْ

مبيناً على الممدوح أي منوّه ... كما ماز ممدوحاً حريّاً بنكرِهْ

وذلك رأيُ الألمعيِّ ابن حمزةٍ ... ويحيى ارتواء من مَشارعِ نهرِهْ

فتاليه محكومٌ به أو عليه أو ... تشا كسار ذا قياساً فأَجْرِهْ[2]

طموحاً لمشتقٍّ جليٍّ مؤولٍ ... به فاصغِ واقطفْ بالحِجا ينعَ ثمرِهْ

فسيغَ ابتداءٌ فيه إن كان عاملاً ... كما شامتِ الأفكارُ أنوارَ بدرِهْ

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

وناهيكَ منه في القضية حاكماً ... كما ذاكَ قول الكوفةِ الغرِّ فادرِهْ
بلى عزموا عقدَ الترافعِ فيهما ... جنوحاً لأصلٍ ثابتٍ بمقرَّهْ
وقال ابنُ كيسانَ لتالٍ متى بدا ... بيانٌ أو أبدلْ واقدُرْهُ حَقَّ قدرِهْ
وسمٌ تاليَ التالي الذي عَنَّ مسنَداً ... بذاكَ وأملِ اللفظَ تسمُ بجبرِهْ
وقد قلتُ رأياً وما كنتُ عالماً ... بقولِ أناسٍ مُرْتَوين بغُدرِهْ
وقد زعموا قولاً سنياً فنوَّهوا ... به علما يجترُّ أثوابَ فخرِهْ
فلا زلتَ طوداً في المعارفِ شامخاً ... يلوذُ بك العاني ويُجلى بأمرِهْ

وله مصنفاتٌ عديدةٌ شهيرةٌ، منها، وهو أجلها: «نتائج التحصيل في شرح التسهيل» لابن مالك، في مجلدات، قرأت عليه شيئاً منه، وأجازني به، وناولني إياه، و«فتح اللطيف للبسط والتعريف»، و«المعارج المرتقاة[1] إلى معاني الورقات» لإمام الحرمين، و«البركة البكرية في الخطب الوعظية»، و«الدرة الصدفية في محاسن الشعر وغرائب العربية»، و«فصل الخصمين في متعلق الظرفين»، و«الدلائل القطعية في تقرير النصب على المعية»، و«التحرير الأسمى في إعراب الزكاة اسما»، و«رفع اللبس عن ورود تفعَّل بمعنى فعل وبالعكس»، وغير ذلك، وله «ديوان شعر» بليغ كبير الحجم، من طالعه، عرف في البلاغة مكانه.

سمعت منه ـ رحمه الله ـ الحديثَ المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعته منه، وقرأت عليه طرفاً من «صحيح البخاري»، وغيره من الكتب

(١) في الأصل: المرتقات.

الحديثية، وطرفاً من غالب مؤلفاته، وأجازني بسائرها، وتلقنت منه الذكر، وصافحني المصافحة المتصلة إلى النبي ﷺ، وكتبت إليه أبياتاً استدعي منه الإجازة، مطلعها:

مليكَ نُحاةِ العصرِ علامةَ الدهرِ ... ويا علماً في العلم مرتفعَ القدرِ

منها:

وقبلك ما كان ابنُ مالكَ هكذا ... وعمرو نسيناه وعاد بلا ذكرِ
أجزني بما ألفته وقرأته ... على السادة الأعلام أشياخِك الغُرِّ
بقيتَ بقاء الدهر يا غايةَ المنى ... وبُلِّغتَ ما ترجوه يابن أبي بكرِ

فكتب إليّ إجازات سنية بمروياته، أعاد الله علي من بركاته.

ومن شعره قوله:

سبَّحْتُ إذا أومضتْ للصبِّ عيناك ... وفكرتُ أقضي هَوًى من حسنِ مرآكِ
يا من ثملتُ براحٍ من لواحِظها ... للهِ ما فعلتْ فينا حُمَيَّاكِ
تكاملتْ فيكِ أوصافٌ جللتِ بها ... عندي فسبحانَ مَنْ بالحسن حَلاَّكِ
يا أختَ ظبيِ النقا دَلاً وفرطَ بَها ... ردِّي ودائعَ قد أودعتها فاكِ
فلا تجوري فأنتِ اليوم مالكةٌ ... ذوي الصباباتِ فاستَبْقي رعاياكِ

ولما رجع من الحج إلى بلاده، أذن له مولاي الرشيد سلطان المغرب في عصره أن يسكن فاس، فأقام بها إلى أن توفي سنة تسعين بعد الألف - رحمه الله -.

وكان أخوه الأكبر سيدي محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر سلطانَ

فاس ومكناس والقصر، وما والاها من أرض الدلاء وسلا، وغيرها من الأقاليم المعتبرة بأرض المغرب، ومكث ملكاً أربعين سنة، فلما خرج مولاي الرشيد الشريف الحسني في أرض المغرب، انتزع الملك منه، ومن غيره من ملوكها، وملوك السوس الأقصى، واجتمعت كلمة المغرب عليه، وحبسه إلى أن مات مسجوناً.

ولما انتـزع الملك منـه، ومن ولده عبدالله، خرّب مدينتهم المعروفة بالزاوية، زاوية والده الشيخ محمد بن أبي بكر، فتفـرق جمعُهم، وتشـتت شملهم، والدهر لا يبقى بحال واحدة، ورحلوا بأجمعهم إلى مدينة تلمسان، بقرب الجزائر، من الممالك العثمانية.

وسميت مدينتهم بالزاوية؛ لأن والدهم الشيخ محمد بن أبي بكر بنى بها زاويةً عظيمةً، كان يطعم بها الطعام للفقراء والمساكين، وكانت منزلاً لمن يفد عليهم من الغرباء والفضلاء المترددين؛ بحيث إنه لم يسمع بذلك الإقليم بزاوية مثلها، فسميت البلد باسمها، وهي قريبةٌ من فاس، بينهما نحو ثلاث مراحل، في أرض تسمى: الدلاء، وغالب أهلها لهم معرفةٌ جيدةٌ بلسان البربر، وفيها منهم خلقٌ كثيرٌ، ويقال: إن أصل الشيخ محمد بن أبي بكر منهم.

ولما قدم صاحب الترجمة إلى مصر، ووصل معه ابن أخيه فخر الدين عبدالله بن محمد الحاج، وكان في زمن والده أميرَ سلا وأعمالها من قِبل والده، ومن خبره: أنه لما ملك الرشيد بلادهم، جمع كنوزه وأمواله وذخائره، وحبس نهراً بالدلا، وحفـر فيـه مكاناً يعرفه، ووضـعها جميعاً، وأجرى عليه الماء وتركه، وبلغ الرشيد ذلك، فعالج كثيراً في معرفته، فلم يقدر.

ولعبدالله هذا ولدٌ اسمه أحمد، من أكابر الفضلاء، تصدَّر بأرض المغرب

لقراءة العلوم النقلية والعقلية، وله شعرٌ بديعٌ، أوقفني والده على شيء منه، ولم يتيسـر لي تقييده، وبينـه وبين والـده مكاتباتٌ بديعـة، وأخبرني بعض المغاربة: أنه خرج بعد موت مولاي الرشيد، وولاية أخيه مولاي إسماعيل بعده، طالباً للملك، ومعـه خلقٌ كثيرٌ، لكنـه لم تطَل مدته، فمات في أثناء ذلك، وأباده الدهر كما أباد أهله ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٣٧٦] محمد بن محمود بن أبي بكر الوطري التنبكتي المالكي[١].

عرف بيَغْبُع ـ بباء مفتوحة، فغين معجمة ساكنة، فباء مضمومة، فعين مضمومة، قال تلميذه العلامة أحمد بابا، في كتاب «كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج» مختصـر كتابـه «الذيل»، الذي ذيـل به كتاب «الديباج المذهـب في معرفة أعيان أهـل المذهـب» للإمام برهان الدين بن فرحون، المسمى: «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»:

شـيخنا وبركتنا، الفقيه العالم المتفنن، الصالح العابد الناسك، كان من صالحي خيار عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين، مطبوعاً على الخير، وحسن النية، وسلامة الطوية، والانطباع على الخير، واعتقاده في الناس، حتى كان الناس يتساوون عنده، في حسن ظنه بهم، وعدم معرفة الشر، يسعى في حوائجهـم، ويضـر نفسـه في نفعهم، ويتفجع لمكروههم، ويصلح بينهم، وينصحهم، إلى محبة العلم، وملازمة تعليمه، وصـرف أوقاته فيه، ومحبة

---

(١) «خلاصة الأثـر» للمحبـي (٤/ ٢١١)، «نيـل الابتـهاج» (٦٠٠) (٧٣٦)، «كفاية المحتاج» (٤٧٦) (٦٤١)، «شجرة النور الزكية» (٢٨١) (١٠٥٨)، «تعريف الخلف» (٢/ ٥٠٩)، «الأعلام» للزركلي(٧/ ٨٨)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٠٦٧).

أهله، والتواضع التام، وبذل نفائس الكتب الغريبة العزيزة لهم، ولا يفتش بعد ذلك عنها، كائناً ما كان من جميع الفنون، فضاع له بذلك جملةٌ من كتبه ـ نفعه الله بذلك ـ وربما يأتي لبابه طالبٌ يطلب كتاباً، فيعطيه له من غير معرفة من هو، فكان العجب العجاب في ذلك؛ إيثاراً لوجهه تعالى، مع محبته للكتب، وتحصيله لها شراءً ونسخاً، وقد جئته يوماً أطلب منه كتب نحو، ففتش في خزانته، فأعطاني كل ما ظفر به منها.

إلى صبرٍ عظيمٍ على التعليم آناء النهار، وعلى إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر، حتى يمل حاضروه، وهو لا يبالي، حتى سمعت بعض أصحابنا يقول: أظن أن هذا الفقيه شرب ماء زمزم؛ لئلا يمل في الإقراء؛ تعجباً من صبره.

مع ملازمة العبادة، والتجافي عن رديء الأخلاق، وإضمار الخير لكل البرية، حتى الظلمة، مقبلاً على ما يعنيه، متجنباً الخوض في الفضول، ارتدى من العفة والمسكنة أزين رداء، وأخذ بيده من النزاهة أقوى لواء، مع سكينة ووقار، وحسن أخلاق وحياء سهلةِ الورود والإصدار.

فأحبته القلوب كافة، وأثنوا عليه بلسان واحدٍ إلى الغاية، فلا ترى إلا محباً مادحاً، ومثنياً بالخير صادقاً، طويل الروح، لا يأنف من تعليم مبتدئ أو بليد، أفنى فيه عمره، مع تشبثه بحوائج العامة، وأمور القضاة، لم يصيبوا عنه بدلاً، ولا نالوا له مثيلاً، طلبه السلطان: لتولية القضاء بمحله، فأنف منه، وامتنع وأعرض عنه، واستشفع، فخلصه الله تعالى.

لازم الإقراء، سيما بعد موت سيدي أحمد بن سعيد، فأدركته أنا يقرئ من صلاة الصبح أول وقته إلى الضحى الكبيرة، دولاً مختلفة، ثم يقوم لبيته،

ويصلي الضحى مرة، وربما مشى للقاضي في أمر الناس بعدها، أو يصلح بين الناس، ثم يقرئ في بيته وقت الزوال، ويصلي الظهر بالناس، ويدرس إلى العصر، ثم يصليها، ويخرج لموضع آخر، يدرس فيه للاصفرار أو قربه.

وبعد المغرب يدرس في الجامع إلى العشاء، ويرجع لبيته، وسمعت أنه يحيي الليل على الدوام، وكان محققاً دَّراكاً ذكياً، فطناً غواصاً على الدقائق، حاضر الجواب، سريع الفهم، منور البصيرة، سكوتاً صموتاً وقوراً، وربما انبسط مع الناس، ويمازحهم، آية الله في جودة الفهم، وسرعة الإدراك، معروفاً بذلك.

ولد عام ثلاثين وتسعمائة ـ على ما سمعت منه ـ، وأخذ العربية والفقه عن الفقيهين الصالحين: والده، وخاله، ثم قطن مع أخيه الفقيه الصالح سيدي أحمد شقيقهِ، بـ «تنبكت»، فلازما الفقيه أحمد بن سعيد، في «مختصر خليل».

ثم رحلا للحج، فلقيا بمصر الناصر اللقاني، والتاجوري، والشريف يوسف الأرميوني، والبرهمتوشي الحنفي، والإمام محمد البكري ـ رحمهم الله ـ، وغيرهم، فاستفادا ثمة، ثم رجعا بعد حجهما، وموت خالهما، فنزلا بتنبكت، فأخذا عن ابن سعيد، الفقه والحديث، قرأا عليه «الموطأ»، و«المدونة»، و«المختصر»، وغيرها، ولازماه.

وعن سيدي ووالدي الأصول، والبيان، والمنطق، قرأا عليه: «أصول السبكي»، و«تلخيص المفتاح»، وحضر عليه شيخنا حمل الخونجي، ولازم مع ذلك الإقراء حتى صار خير شيخٍ في وقته في الفنون لا نظير له، ولازمته أكثر من عشر سنين، وذكر مقروءاته عليه.

ثم قال: وباحثته كثيراً في المشكلات، وراجعته في المهمات.

وبالجملة: فهو شيخي وأستاذي، ما نفعني أحدٌ كنفعه ويكتبه ـ رحمه الله، وجازاه بالجنة ـ. وأجازني بخطه جميع ما يجوز له، وعنه، وأوقفته على بعض تآليفي، فسُرّ به، وقرظ عليه لي بخطه، بل كتب عني أشياء من أبحاثي، وسمعته ينقل بعضها في دروسه؛ لإنصافه وتواضعه، وقبوله الحق حيث تعين.

وكان معنا يـوم الواقعة علينا، فكان آخـر عهـد به، ثم بلغني أنه توفي يوم الجمعة، في شوال، عام اثنين وألف، وله تعليق وحواشي، نبه فيها على ما وقع لشراح خليل وغيره، وتتبع ما في «الشرح الكبير» للتتائي من السهو نقلاً وتقريراً، في غاية الإفادة، جمعتها في جزءٍ تأليفاً ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٧٧] محمد بن محمد بن سليمان الرُّوداني المغربي المالكي(١).

نزيل الحرمين، الشيخ الإمام، العلامة المحدث، المسند، المفنن في ضروب العلم، المشهور عند العرب والروم، حكيم الإسلام، وآخر العلماء الأعلام، المتوقد فطنة، والمتوهج ذكاء، الممتلئ حكمة وإيماناً، ولم يرشح له وعاء، ولا حُلَّ له وِكاء، الذي توغل في أقطار الأرض، وبلغ على حداثة سنه مبلغاً عجز عنه فحول الرجال، وتحلى بمحاسن الأوصاف وما حال.

قرأت بخطـه: أن والـده أخبره: أن مولده سـنة تسـع ـ بتقديم التاء ـ وثلاثين، بمدينـة «تارُودَنْت» قاعدة بلاد السـوس الأقصى، وكان ممن أُلهم الرشد في صغره، فاجتنى ثمر رشده في كبره.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠٤)، «طيب السـمر» للحيمي (٢/ ٥٤١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٦)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٦٧٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٥١).

فلما بلغ مبلغ الرجال، تاقت نفسه إلى تعلم العلم، فخرج فاراً من أبويه، فبلغ بلاد درعة، واستقر عند صالح علمائها، وعالم صلحائها، شيخِنا الشيخ محمد بن ناصر الدرعي ـ رحمه الله تعالى[1] ـ، فاقتبس من علومه، ولازمه أربعة أعوام، في التفسير والحديث، والفقه والتصوف، وغيرها، وصحبه، وتخرج به.

ثم خرج من عنده رحالاً[2] في أقطار المغرب، ودخل سجلماسة، وغيرها من البلاد القبلية، ثم وصل إلى مراكش، وأخذ عن كثير، من أجلهم: مفتيها قاضي القضاة عيسى السجستاني الشهير بالسُّكتاني، والعلامة محمد ابن سعيد الميرغني المراكشي، ثم إلى «تادلا»، ثم إلى «فاس»، ولقي بها أوحدَ زمانه، في سلوك طريق الصدق، العديم النظير في معرفة أدب معاملة الحق والخلق، الشيخ محمد بن عبدالله معان الأندلسي.

وكان دخوله فاس بقصد تعلم العلوم الرسمية، سيما علوم الحكمة؛ من هيئة، وتنجيم، وحساب، ومنطق، وما شاكل، فقد كانت له اليد الطولى في ذلك، شديد البحث عمن يتقن بعضها، فلم يظفر في بلاد المغرب بمن يشفي غليله في ذلك.

فلما دخل فاس، ولقي بها العارف بالله الشيخ محمد بن عبدالله المذكور، زجره أشد الزجر عن تعاطي هذه العلوم، وغيرها من العلوم الرسمية، ومنعه من لقاء علماء الوقت، وألزمه بالرجوع إلى والديه، والأخذ بخاطرهما، فرجع

---

(١) في الأصل: ﷺ.

(٢) في الأصل: رجال.

إلى والديه، حتى طابت قلوبهما، وأذنا له بالسفر.

فرجع إلى مراكش، وأقام فيها مدةً، وانتفع بعلمائها؛ كسيدي محمد ابن سعيد، المتقدم ذكره، وحكيمها المريد، وغيرهما، ولم يزل يتنقل في البلاد، إلى أن وصل الجزائر، وأقام فيها مدةً، وانتفع بعلمائها؛ كالشيخ سعيد ابن إبراهيم قُدورة الحنفي الجزائري، ومنه تلقن الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عنه علم المنطق وغيره.

ولقي رجلاً بالجزائر من أجلاء الصالحين، وكان يواظب الجلوس عنده، وهو ـ في الغالب ـ ساكت لا يتكلم، وذات يوم ضاقت عليه نفسه، ولم يدر إلى أين يتوجه من البلاد، فجاء الشيخ، فلما جلس عنده، قال له: أنت مسجون عند النبي ﷺ، وقد آل الأمر إلى ما قال؛ فإنه انتهت سياحته إلى المدينة المشرفة، ولم يخرج منها: من لدن وصلها، إلا إلى مكة.

ثم دخل كثيراً من البلاد الأفريقية، ثم ركب البحر إلى القسطنطينية، ووقعت له وقائع مع بعض علمائها منها: أنه دخل على بعض عظمائها، من القضاة، فقدم إليه القهوة والدخان، وذلك عندهم من جملة الإكرام، فامتنع من ذلك، وألح عليه، فلجَّ في إبائه.

فقال له: هذا زهدٌ أم تزهُّد؟ فقال: بل فرار من حرام أو شبهة، فدار الأمر بينهما في ذلك، قال: ومنّ الله علي بقوة القلب، واستحضار الجواب، وكنت ـ إذ ذاك ـ قريب عهدٍ بالقراءة، وقد أتقنت طرفاً من أصول الفقه والمنطق، فلم يأت بدليل، إلا ومنّ الله عليّ بإبطاله، حتى أفحمته، وانفصل المجلس، وتسللت من عنده، واختفيت في بعض الأماكن، وشاع الخبر في البلد: أن مغربياً دخل على فلان، وناظره، وكذا، وكذا حتى أفحمه، ولم أزل

مختفياً إلى أن خرجت منها بعد مدة.

ثم وصل إلى مصر، ولم تطل إقامته بها، وأخذ عمن بها من العلماء الأعيان؛ كالشيخ علي الأجهوري، والشيخ أحمد بن محمد الخفاجي، والشهاب أحمد بن سلامة القليوبي، وشيخنا خاتمة الفقهاء سلطان المزاحي، وأجازوه، ثم سافر إلى الصعيد، وأقام بمدينة «جرجا»، إلى أن سافر منها إلى الحجاز، فحج، واستوطن المدينة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، وكان سكناه بها آخراً، ببيت منفرد، برباط السلطان، فيه طاقات يشرف منها على الحرم الشريف النبوي، فاعتزل فيه عن الناس، ولم يعاشر أحداً في المسكن، وتعاطى أسباب معاشه بيده، وترك الخروج نهاراً، وربما خرج بليلٍ للزوارة، أو لمهم آخر، وربما أغلق على نفسه بابه شهراً أو أشهُراً لا يراه أحد، فثبتت له بذلك هيبة في القلوب، وحصل له ناموس عند الخاصة، وربما تعاطى القراءة مع بعض خواصه في بيته، في وقت معلوم، لا يأذن فيه لغيرهم.

وقد لامه صاحبه الشيخ عبدالله العياشي على كثرة الانزواء، وعدم التدريس في المسجد لنفع العام والخاص، فاعتذر بفساد الوقت، ونيات أهله، ومشاهدة المناكير، مع عدم القدرة على زوالها؛ كلبس الحرير، وتعاطي الدخان.

وقال: كيف أجلس إلى قومٍ أعلم حالهم، وحالَ مكاسبهم؛ من أكل المكوس، وتعاطيهم للعقود المحرمة شرعاً، مع العلم بذلك، فإن نهيتهم وزجرتهم، وقعت معهم في أشد مما وقعوا فيه، وإن سكتُّ عنهم وباسطتهم، وألنت لهم القول، كنت معيناً لهم، وممالئاً لهم على ما هم فيه، وتركت

الواجب عليَّ من هجرانهم بلا عذر، إلى غير ذلك مما هو معلوم.

وكان ـ رحمه الله ـ شديد الورع، ضيق الحوطة في تحمل أعباء ملاقاة الخلق، مقبلاً على شانه، لكنه غير عارف بزمانه، كما قيل:

كان لا يَدري مُداراة الورى ومداراةُ الورى أمرٌ مُهِم

وكان معاصراً ـ في الحرمين ـ للشيخ أبي مهدي عيسى الثعالبي المغربي، وكانا في حاليهما ـ في ذلك ـ على طرفي نقيض، مع صلاح حالهما معاً، وديانتهما، ووفور علمهما ورعاً، عاب كل منها على الآخر ترك ما عاب عليه فعله، وقال له صاحبه الشيخ عبدالله العياشي ذات يوم: إن الشيخ عيسى يقول: ما أحسنَ فلاناً لو أنه كف من عزلته شيئاً، وألان جانبه للخلق! فقال له: وأنا أقول: ما أحسنه وأعلمه وأجرأه على منهاج السلف، لو انقبض عنهم شيئاً، وترك مداهنتهم في الحق!

وكلٌّ على هدًى، إلا أن النفس إلى ما عليه الشيخ عيسى أقبلُ؛ لأن اعتزال الخلق في هذا الزمن، وعدم الاختلاط بهم، والتجهم لهم، وحجبهم عند الاستئذان، مع معرفتهم له، واستشعارهم لخصوصيته، مما يزيدهم فيه إغراءً، وله مطالبة، فيشار إليه بالأصابع، ويحمل من يرى في نفسه أنه مشارك له في علمه وخصوصيته، على التطلع لعوراته، والتتبع لزلاته، والقعود له بالمراصد؛ ليُسْقِط منزلته من قلوب الخلق، فينصب نفسه غرضاً لسهام ألسنتهم، فيتضرر بذلك في دنياه وفي دينه، إن كان ممن يكتم تألمه بما يبلغه عنهم، ويؤثر ذلك عنده حقداً.

وإنما ينبغي ذلك ممن كان مغموراً بين الناس، لا يؤبه له، ولا يفتقد

إن غاب، ولا يُستأذن عليه إن احتجب، فيجد الراحة في نفسه؛ من عدم مشاهدتهم ومخالطتهم، من غير أذًى يصل إليه منهم، فيسلم له دينه ودنياه.

وأما من كان مشهوراً بينهم، موسوماً بخصوصية تستشرف النفوس إلى لقائه ومخاطبته، فلا ينبغي له أن يحتجب عنهم، ويظهر الانزواء عنهم، والتكره للقائهم، سيما إن كان يصرح بذمهم، ويعيب ما هم عليه، فإن ذلك ـ وإن كان حقاً في نفسه ـ إلا أنه عرّض به نفسه لآفاتٍ كثيرةٍ كان في غنى عنها، اللهم إلا أن تكون له حال قاهرة، فيُترك وما انتحل من ذلك؛ فإن الله جاعل له عنه فرجاً ومخرجاً.

وكان ـ رحمه الله ـ ميمون النقيبة، له ورعٌ تامٌّ، ولا يقبض من أحدٍ شيئاً، إلا قليلاً ممن علم وجوه مكاسبه، وتحقق استقامته فيها.

ومن ورعه: أنه لا يتقوت ـ في الغالب ـ إلا من كسب يده، وكانت له يدٌ صناعٌ، يحسن غالب الحرف المهملة، سيما الرفيعة العمل، الرائقة الصنع؛ كالطرز العجيب، والصياغة المتقنة، وتجليد الكتب، والخرازة.

ولقد أُخبرتُ: أنه لما كان بمراكش، كان لا يتفرغ في الأسبوع إلا يوم الخميس، فيطلّع فيه شيئاً يشتغله، فيبيعه، ويتقوت به إلى الخميس الآخر، وله يد طولى في عمل الإسطرلابات، وغيرها من الآلات التوقيتية؛ كالأرباع والدوائر والأنصاف، ومن أعجب ما رأيته من صناعته: أنه يجبر قوارير الزجاج المتصدعة بحسن احتيال، ولطف تدبير، إلى أن لا يكاد صدعها يتبين، ويصير مثل الشعرة الرقيقة.

ومن ألطف ما أبدعه، وأدقّ ما صنعه، وأجلّ ما اخترعه: الآلة الجامعة

النافعة في علمي التوقيت والهيئة، ولم يسبق إلى مثلها، ولا حذَى أحد على شكلها، بل ابتكره بفكره الفائق، وصنعه الرائق، كرة مستديرةُ الشكل، منعمةُ الصقل، مغشـاةُ ببياض الوجـه، المموه بدهن الكتان، يحسبها الناظر بيضةً من عسجد؛ لإشراقها، مسـطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة، منقسـمة نصفين، فيها تخاريـم وتجاويـف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها مصقلة، مصبوغة بلون الأخضر، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها نظر رائقٌ، ومخبر فائقٌ.

وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك؛ لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مشاهَدٌ فيها، وتخدم لسائر البلاد، على اختلاف أعراضها وأطوالها. وحاصل القول فيها: إن الوصـف فيها لا يكـاد يحيط بها، ولا يعلـم قدرها ومزيتها إلا من شاهدها.

وكانت له معرفة بالعلمين، فيرى ما يذهل الفكر، ويحير النظر، ويُعلم أن من اهتـدى لاسـتخراج ذلك للعيان، بعد أن كانت القرائح الجيدة تحير في تصوره هنا، قد أيِّد بنور الهدى، وإلهام ربّانيّ.

وقد ألف رسالة في وصفها، وكيفية العمل بها، في سائر المطالب التي تدرك بغيرها وزيادة، ولما شاعت هذه الرسالة عند الناس، تنافس الناس في اقتناء هذه الآلة، ولا يقدر أحد على عملها وإتقانها إلا هو، فكان يبيع الآلة منها بثمنٍ غالٍ.

والعجب أنها مصـنوعة من الكاغـد، ومع ذلك، لو ألقيت من شاهقٍ

لا تنكسر، فهي مع صلابتها خفيفة الحمل، لينة المجس، وصفة ما تتخذ منه ـ على ما أخبر به هو رحمه الله ـ أن يؤخذ الكاغد، فيلقى في الماء حتى يتحلل، ويصير مثل العجين، ثم يأخذ الصمغ العربي، فيلقيه [في] الماء حتى يتحلل، فيعجن بمائه ذلك الكاغد عجناً ناعماً، ثم يتخذ منه الكورة، ويجهد في تكويرها، حتى تكون متساوية الأقطار بالنسبة إلى المركز؛ بحيث لو ألقيت على سطح مستوٍ، لوقعت على نقطة واحدة.

وقد أخبر ـ رحمه الله ـ: أن ذلك شق عليه، حتى أخذ مسماراً، وأدخله في وسطها، ثم أخذ نصف دائرة من نحاس منقوب الطرفين، فأدخل طرفيه في رأس المسمار الخارجين عن جنبي الكرة، ثم أخذ يدير نصف الدائرة المذكورة على ذلك العجين المكور، ويزيل الناتئ منه، مثلويزيد على المنخفض حتى تكورت غاية التكوير، ثم طلاها ببياض الوجه، ثم كتب عليه ما احتاج إلى كتابته، ثم دهنها بدهن الكتان فوق الكتابة، فلأجل ذلك لا تمحى الكتابة المذكورة، ولو أصابها بلل من عرق اليد أو غيره.

وكذلك أيضا الدائرة التي فوقها، مصنوعة من مثل ذلك، إلا أنه يخرمها ما دامت رطبة، فإذا يبس شيء منها قبل تمام خرمه، شق عليه؛ لأنه لا يكاد يعمل فيه الحديد إلا بمبرد من الهند يبرده به كما يبرد النحاس والحديد.

وقد أخبر ـ رحمه الله ـ: أن الآلة الأولى التي استخدمها بقي في وضعها نحو عام، واحتاج إلى كثير من الآلة في اصطناعها، ثم بعد ذلك سهلت عليه حتى صار يصنعها في مدةٍ قليلةٍ.

وبالجملة: فهو أعجوبة الدهر في الذكاء وصنعة اليد، فلا يكاد يتعاصى

عليه شـيء من الصـناعات المندرسـة التي لم يبـق إلا أخبارهـا، فضلاً عن الموجودة.

وقد حقق علم التنجيم بجميع أنواعه، مع ما يتوقف عليه من علوم الحساب وغيره، إلا أنه يتحامى تعاطي ما يدل منه على الحوادث المستقبلة ديانةً منه ـ رحمه الله تعالى ـ وكان يقول: إن ما يتبجح به بعض المنجمين من المعاصرين؛ من علم حوادث الجو؛ من الخسـوفات والكسوفات، ونزول الأمطار والصواعق، وما هو بسبيل ذلك، أمرٌ قريبُ المدرك، سهل التناول، والتحقيق في هذا العلم أمر وراء ذلك، والتشـاغل بمثل ذلك بطالةٌ وتمويهٌ على العوام بأمور تشبه إدراك الغيب، وذلك مذمومٌ شرعاً.

وله ـ رحمه الله تعالى[1] ـ «قصيدة في علم التوقيت» أكبر من «الروضة» بالغ في تجويد نظمها، وأتقن فيها الفن غاية الإتقان، وخالف كثيراً من المؤلفين في ذلك الفن في أشياء بيّن حقيقتها بالدليل والبرهان، وقرب العمل بضوابط وقواعد مبنية الأرصادات الصحيحة، الواقعة في هذه الأزمنة الغريبة؛ كأرصاد السـلطان أولغ بيك أحدِ ملوك العجم المتأخرين، تمهرَّ في هذا الفن غاية، وجمع من علماء مملكته من هو مثله في تحقيق الفن، فاستعان بهم في تحقيق ما رامه من ذلك، ولم يقلِّد الأقدميـن، ولا من بعدَهـم في شـيء من تلك الأشـياء، فرصد بنفسـه هو وأصـحابُه ما احتاج إلى رصـده، حتى تحقق له ما بنى عليه الأعمال المطلوبة، حسبما ذكر لهم ذلك، في أول زيجه الذي هو أصح الأزياج في زماننا هذا، على ما قال أرباب ذلك الفن.

---

(١) في الأصل: نفع الله به.

ولصاحب الترجمة شرحٌ على منظومته المذكورة، أجاد فيها غاية الإجادة.

ولم يزل ـ رحمه الله تعالى ـ مقيماً بالمدينة، حتى طرقه طارق المجاورة بمكة، فتوجه من المدينة إلى مكة، وأقام بها مدةً مديدةً، وألف بها مؤلفات مفيدة، منها: «مختصر تلخيص المفتاح وشرحه»، و«حاشية على شرح التوضيح»، و«حاشية على التسهيل».

ولازم الإقراء في فنون شتى، وأكب على الإقراء والتصنيف، ثم جد في تحصيل علم الحديث، وجمع كتبه، واجتمعت إليه الطلبة الفضلاء ولازموه، ومنهم: السيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان، والشيخ عبدالله بن سالم البصري، والسيد محمد بن أبي بكر الشلي، والشيخ حسن بن علي العجيمي، وكثير، واختصر «تفسير الوصول إلى جامع الأصول» للعلامة المحدث عبد الرحمن الربيع، أحسن في اختصاره، وأجاد كل الإجادة، وبين فيه أوهاماً وقعت لأصله.

ولما قدم مصطفى باشا، أخو الوزير الأعظم أحمد باشا الكبرلي، سنة إحدى وثمانين وألف، اختص به، وأخذ عنه، وولع به، واصطحبه[1] معه إلى الروم، فلما وصل إلى مصر، أجلَّه أهلها في غاية الإجلال، وأخذ بها عمن بها من شيوخ عصره، ومنهم: شيخنا خاتمة المحققين الشبراملسي، وأجازه.

وتوجه من مصر إلى دمشق، فمر بطريقه على «رملة» فلسطين، فأخذ بها عن خاتمة العلماء المحققين الشيخ خير الدين الرملي الحنفي، وأجازه، ولما وصل إلى دمشق، اجتمع إليه علماؤها، وبالغوا في تعظيمه، وأخذ بها عن

---

(١) في الأصل: واصحبه.

خاتمة المسندين الشيخ محمد بن بلبان الحنبلي الصالحي، وعن السيد محمد ابن كمال الدين نقيب الأشراف بدمشق.

ولما وصل إلى قسطنطينية، حظي عند الوزير أحمد باشا الكبرلي فمن دونه، ومكث ثمةَ نحو سنة، ورجع إلى مكة مجللاً معظماً، وحصلت له الرياسة العظمى، التي لم يعهد مثلها لمثله، وفوض إليه من السلطنة العلية النظر في أمور الحرمين مدةً، حتى صار شريفُ مكة بركات بن محمد لا يصدر إلا عن رأيه، وأنيطت به الأمور العامة والخاصة، ونال من الجاه، ما يتجاوز الوصف، إلى أن مات الوزير المذكور، فرق حاله، وانحطت مرتبته. شعر:

لكلِّ شيءٍ إذا ما تَمَّ نقصانُ ... فلا يُغَرَّ بطيبِ العيشِ إنسانُ

ثم ورد أمر سلطاني إلى مكة، سنة ثلاث وتسعين وألف، بإخراجه من مكة إلى بيت المقدس، وسببه عرض الشريف بركات أمير مكة فيه إلى السلطنة، أن يخرجوه من مكة، وزعم أنه تضرر منه، وكان ذلك يوم عيد الفطر، وألح عليه قاضي مكة وأميرها الشريف سعيد بن الشريف بركات بن محمد، في امتثال الأمر السلطاني، والخروج من مكة، فامتنع من الخروج في هذه الحالة، وتعلل بالخوف من قطاع الطريق، وأبى أن يسلم نفسه وماله للسراق في هذه الحالة، فأمهل بعد علاجٍ شديدٍ وتوجهٍ من بعض الأشراف، إلى مجيء الحجاج إلى مكة.

ثم توجه صحبةَ الحاج الشامي، وأبقى أهله بمكة، فلما وصل إلى دمشق، أقام بها إلى أن توفي في عامه، في حادي عشر ذي القعدة، سنة أربع وتسعين بعد الألف، ودفن بالصالحية، بسفح قاسيون، بالتربة الإيجية المعروفة ثمة.

ورثاه جماعة من أهل دمشق، بقصائد طنانة، وكان له مشهدٌ عظيمٌ ـ رحمه الله تعالى ـ، وله فهرسٌ بجميع مروياته وشيوخه، سماه: «صلة الخلف بموصول السلف»، وقد وقفت عليه، فوجدته مأخوذاً من فهرس العلامة المحدث محمد بن طولون الدمشقي.

وذكر في آخره: أنه وقع له بالمغرب عجائب، منها: أنه كان مجتازاً على بلد العارف بالله أبي عبدالله محمد بن محمد الواورُغتي التادلي، وهو قاصد بلداً أخرى، فسأل عن البلد، فقيل له: إن فيه شيخاً مربياً، صفته كذا وكذا، قال: فجذبني الشوق، ولم أملك نفسي حتى دخلت بلده، فلقيني رجلٌ خارجٌ إليّ، وقال: أمرني الشيخ أن أخرج إليك وآتيه بك.

فلما دخلت عليه، رفع بصره إليّ، فوقعت مغشياً عليّ بين يديه، وبعد حين أفقت، فوجدته يضرب بيده بين كتفي، ويقول: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[الشورى: ٢٩]، ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾[القصص: ٦١]، فأمرني بملازمته، ومذاكرة أولاده بالعلم، فقلت له: إني طلبت كثيراً، لكن إلى الآن ما فتح الله لي في شيء، ولا أقدر على استخراج كتاب، ولا الآجرومية، وكنت إذ ذاك كذلك.

فقال لي: اجلس عندنا، ودرِّس كل علم شئت، في كل كتاب شئت، ونطلب الله أن يفتح لك، فجلست، فدرست طائفة من الكتب التي كنت قرأتها، وكنت إذا توقفت في شيء، أحسُّ بمعاني تُلقى على قلبي، فكأنها أجرام، وغالب تلك المعاني هي التي كانت مشايخنا تقررها لنا، ولا نفهمها، ولا أتذكرها قبل ذلك.

وكان مسكني قريبـ[ـاً] من مسكنه، فكنت أعرف أنه كان يختم القرآن العظيم بين المغرب والعشـاء يطلب بها النوافل، ورأيته يوماً تصفح جميع المصحف الشـريف، وجميـع «تنبيه الآنام»، وجميـع «دلائل الخيرات» في مجلس، فتعجبت منه، وسألت بعض الحاضرين، فقال لي: من ورد الشيخ أن يختم ثلاثتها بعد صلاة الضحى(١).

وشاهدت له العجب العجاب، في نزول البركة في الطعام، وغير ذلك مما هو محض كرامة الله تعالى لأوليائه.

ومنها: أنه لقي يوماً العلامة عيسى المراكشي، وقد احتفَّ به خلقٌ كثير يزدحمون على تقبيل ركبته وهو راكب، قال: فزاحمتهم حتى أقبل يده تبركاً، فانحنى إليّ دون الناس، وقال لي: أجزتك بجميع مروياتي، فكأنما طبعها في قلبي إلى الآن.

وكان ذلك قبل اشتغالي بطلب العلم، ولست متزيياً بزيِّ طلبته، حتى يقال: إنه رأى علامة الأهلية، ولا أن ذلك من عادته مع المتأهلين للإجازة، بل لم يظفر بالإجازة منه إلا القليل من أخصائه فيما أظن، ثم بعد غيبتي عنه ثمانية أعوام في طلب العلم الشريف، منّ الله عليّ بالرجوع إليه، وتجديد الأخذ عنه، سنة ستين بعد الألف، قبل وفاته بسنة، ولله الحمد. انتهى.

قلت: وقد اجتمعت به كثيراً، وقرأت عليه من كل الكتب الستة، وأجاز

---

(١) هذه الأباطيل وأمثالها مما يُروج لها أدعياء الطريق، وأهل الشطح والتصوف، وإلا فمن له شيءٌ من دين أو مسكة من العقل لا يقبل من هذه الخرافات، رحم الله المصنف وغفر له.

لي روايتها، وحضرته مجالس في «صحيح مسلم»، وفي «شرح المسايرة» لابن أبي شريف، ببيته بالمسجد الحرام ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٧٨] محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البخشي بن محمد بن أحمد البكفالوني، ثم الحلبي الشافعي[١].

سيد أهل الأثر والحديث، واللابس من أردية الفضل كل قديم وحديث، وكعب الأحبار، وجُهينة الأخبار، وكنز الفنون العربية، ومعدِن العلوم الدينية، وسر المواهب اللدنية، ومورد المناهل الدنيوية.

أحاديث فضله على أعلام الرواة مرفوعة، وأسانيد مجده على سرر المراتب موضوعة، فهو البحر الذي وقفت كل الأفاضل على ساحله، والحبر الذي لا يعُرف في الفضل أواخره من أوائله، سنده في العلم أعلى سند، وأوصافه في المجد جلَّت عن العدد، وذاته مرآة الزمان، وصدره مجموعة العرفان.

ولد بـ «بكفلون»، وهي قرية من أعمال حلب، في شهر ربيع الأول، سنة ثمان وثلاثين وألف، وبها قرأ القرآن العظيم، ونشأ في حجر والده في أرغد عيش ونعيم، قرأ في بدايته بحلب، على أبي الوفاء الفرضي، ثم رحل إلى دمشق الشام، وأخذ عمن بها من علمائها الأعلام.

وأخذ الطريق عن العارف بالله أيوب الخلوتي، وقرأ عليه جملة من فنون، وأطلعه على كثيرٍ من أسرار علمه المكنون، حتى نال منه غاية الأمل،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦٤٥)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٥)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٧٦) (١٠٠٥).

وأثمرت له من غيث دعائه أغصان العلم والعمل، فرجع إلى أهله بنعم وافرة، ومزايا متكاثرة، ثم توطن حلب، وأخذ بها عن عالم عصره محمد الكواكبي، وأقام بها على بث العلم ونشره، في غالب أوقاته.

وله من التآليف الشافية: «نظم الكافية»، و«شرحٌ لطيفٌ على البردة»، وغير ذلك مما لم يعتن بإظهاره، ولم يطلع عليه أحدٌ لعدم اشتهاره.

وله في حلبة الأدب سباقٌ مشهورٌ، ودررُ قلائدَ تودُّها اللبَّاتُ والنحور، فمن دره الرطيب[1]، وجوهر نظمه الغريب: قوله يمدح الشريف سعداً، وأخاه أحمد ابني الشريف زيد بن محسن أمير مكة، وهما بالقسطنطينية، دار الخلافة العثمانية:

خليليَّ إيهٍ عن حديثِ صَبا نجدِ ... وإن حركت داء قديماً من الوجْدِ
فآهاً على ذاكَ النسيمِ تأسُّفاً ... وآهٍ على آهٍ تروح أوتجدي
عليلةُ أنفاسٍ تصح نفوسا[2] ... معطرةُ الأردانِ بالشيحِ والرندِ
وهيهاتَ نجدٌ والعُذَيبُ ودونه ... مهامِهُ تغوي الكبد فيها عن الوردِ
ومن كل شمَّاخ الأهاضبِ خالط السْـ ... ـسَحاب يرومُ الشمسَ بالصدِّ والردِّ
وتسري الصَّبا منه فتمسي وبيننا ... من البون ما بين السماوة والسِّندِ

ومنها:

سقى الله من نجد هضابا بأرضها ... تَنَفَس عن أذكى من العنبر الورد

(١) في الأصل: الرطب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: نفوسنا.

وحيَّـا الحَيـا حَيًّـا نَعِمْنـا بظلِّـه		بنعمـانَ مـا بـين الـشَّبيبة والرفـد
نغازلُ غزلاناً كـوانسَ فـي الحـشا		أوانسَ في ألحاظها مقنصُ الأُسْـدِ
تحاكي الجوارِ الكنَّسَ الزُّهْرَ بهجةً		وتفضُلُها في رفعة الشانِ والـسعدِ
حجازيةُ الألفـاظ عذاريـةُ الهـوى		عراقيـةُ الألحـاظ ورديـة الخـدِّ
بعيدةُ مهوى القُرط معسولةُ اللمى		مرهَّفـة الأجفـانِ عَـسَّالة القَـدِّ
تميُس وقد أرختْ ذوائـبَ فرعِهـا		فتخطـرُ بـين البـان والعَلَـمِ الفـردِ
وتعطف بجيدٍ عطل الحليُ حـسنَه		كـأَن ظبيـةٍ تعطـو إلـى ريِّـق الـردِّ

ومنها:

وكـم ليلـةٍ باتـت يـديها حمـائلي		وباتت يدي من جيدها مطرحَ العِقْدِ
نـدير سـلافاً مـن حـديث حَبابهـا		على حين ترشاف ألذَّ مـن الـشهدِ
ولما تمطَّى الصبحُ يطلـبُ علمَنـا		تَكَنَّفنـا ليـل مـن الـشَّعَر الجَعْـدِ
عفيفـينِ عمـا لا يليـق تكرمـاً		على ما بنا من شدة الشوقِ والوجـدِ
وقد كان يسعى الدهرُ في شتِّ شملِنا		ولكن تـوارى شـفعنا عنـه بـالفرد
فأصـبحتُ أشـكو بينَهـا وفراقَهـا		بشطِّ النوى شكوى الأسير إلى القِدِّ

ومنها:

وإني قد اسـتطلعت دَرْكَ مطـالبي		وتبليـغَ آمـالي ومـا نـدَّ عـن جـدِّ
بطلعة نجلَيْ رويةِ المجد غاربِ الـ		ـمعالي سنامِ الفخر بل غرةِ الحمـدِ
إمامِ المصلَّى والمحصَّب والـصَّفا		وراثـةَ جـدٌّ عـن نمـيٌ إلـى جَـدٌّ
أبي أحمدٍ زيدِ الصناديدِ في الوغى		بني حسنِ الأسدِ الكواسـرةِ الحـدِّ

بُـزاةِ العـلا الغـر الميامنـة الألـى سما قدرهم يومَ التفـاخر عـن نِـدٌ
غيوثٌ إذا أعطوا ليـوثٌ إذا سـطوا مناقبُهم جلَّـت عـن الحـدِّ والعـدٌ
فما أفلَتْ شـمسٌ لزيـدٍ وقـد بـدا لنا من ضياها شمسُ أحمدَ والسعدِ

ومنها:

همـا نيِّـرا أوجِ المعـالي وشَّـرفا بروجَ قصورِ الروم في طالعِ السعدِ
ومذ رحلا عن مكـةٍ غـابَ أنـسُها فكانا كنصلِ السيف غابَ عن الغمد
أضاءت بهم أرضُ الشآمِ وأصبحت ضواحي نواحي الروم تنضحُ بالنَّدٌ

ومنها:

وقـد طالمـا ذابـتْ قـديما تـشوُّفاً إلى نيـل تقبيـل المـواطئ بالجـدٌ
إلـى أن تجلَّـى الله جـل حلالـه عليهنَّ بالإنعـامِ والـيمنِ والرشـدِ
فأصـبحْنَ يحكـين الجنـان تبرجـاً ويرفُلْن من نور الخمائل فـي بـردِ
جواديْنِ في شوطِ المماجـدِ جَلَّيـا وحازا رهانَ السبقِ في خنقِ الضدٌ
براحاتهم إن تنسب الجودَ في العطا فتلك بحـورٌ تتقـي الجـزرَ بالمـدٌ
وإن أحسنَ السحُب النباتَ بمائها فكم أحيتِ الراحاتُ أنفسَ مُسْتجدِ
ريـاضٌ لمرتـادٍ حـصونٌ للائـذٍ رجـومٌ لمـستعدٍ نجـومٌ لمـستهدِ
شـمائلُ تهـزو بالـشمائلِ لطفُهـا وعطفُ شَمولِ الراح هزتـه تُبـدي
إذا ما دجا ليلُ الخطوبِ بمعـضلٍ أماطَ لثامَ الكشفِ عن ذاك بالجـدٌ
بهم شرُفَت أرضُ الحجازِ وأمنت ظباها وأَمَّتْهـا الوفـودُ إلـى الرفـدِ

ومنها:

بنو هاشمٍ إن كنتَ تعـرفُ هاشـماً ... ومـا هاشـمٌ إلا الأسـنةُ للمجـدِ
بهم فخرتْ قحطان والعربُ كلُّهـا ... ودانت لهم قحطانُ أهلُ القنا الصَّلدِ
فمن مجدِهم يُستقبس المجدُ كلُّـه ... ومن جودهم أهلُ المكارم تستجدي
هنيئاً بني المصطفى الشرفُ الـذي ... تسامى فلا يُحـصى بعـدٌ ولا حـدٌ
بمدحتِكم جاء الكتابُ فما عـسى ... تقولُ الورى من بعد حواميمَ والحمدِ
وعـذراً بنـي الزهـراء إنـي ظـامئ ... إلى المدح والأيامُ تُنسي عن الوردِ
يـودُّ لـساني أن يتـرجمَ بعـضَ مـا ... لكم في فؤاد الصبِّ من صادق الودِّ
وقـد تعبـتْ منـي القريحـة نـضبة ... على حذرٍ من حاذرٍ أحـذر الزُّنْـدِ
كنفثـةِ مـصدورٍ ولمحـةِ عاشـقٍ ... تـسارقُه عـينُ الرقيـبِ علـى بُعـدِ
فإن أعطـتِ الأيـام بعـضَ قيادهـا ... رأيتم له من مدحكم أعظمَ الـوردِ

سمعت عليه بمنزله بمكة، بمدرسة قايتباي، الحديثَ المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعته منه، بروايته له عن أيوب الخلوتي، وهو أول حديث سمعه منه، بروايتـه له عن إبراهيم الأحدب، وهو أول حديث سمعه منه، بروايته له عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وهو أول حديث سمعه منه، بسنده المشهور في معجم شيوخه.

وكان ذلك بسـؤالٍ منـي له في ذلك، بحضور شيخنا الحسن بن علي العجيمي، وصاحبنا الفاضل سـليمان بن أحمد وغيرهما، وأجاز لي برواية ذلك، مع بقية مروياته، وحضرت دروسه بالمسـجد الحرام، في «صحيح البخاري»، وبالمدرسة المذكـورة في «رسـالة القشيري»، و«الحكم» لابن

عطاء الله، و«التنوير»، وغيرها.

توفي ـ رحمه الله ـ بمكة، ليلة الثلاثاء، الخامس من شهر ربيع الثاني، سنة ثمان وتسعين وألف، وصلى عليه إماماً بالناس، ضحى يومها، بالمسجد الحرام، الشيخ الصالح أحمد النخلي، في مشهدٍ حافلٍ، حضره شريف مكة أحمد بن زيد، وقاضيها، وغالب أعيانها، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة السيدة خديجة زوجة النبي ﷺ ـ رحمه الله، ونفعنا به في الدارين ـ.

وأخبرني: أن بعض الأولياء بحلب، أخبره: أنه يقيم بمكة إقامةً طويلةً جداً، فقدم مكة في موسم سنة ست وتسعين، وأقام بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور، فكان في كلام ذلك الولي إشارةٌ له أنه يموت بمكة، فإنه لم تطل إقامته حياً، كما أخبر ذلك الولي، وكان يظن أن تطول إقامته حياً، فلم يقدر ذلك، وكانت إقامته ميتاً، فهنيئاً له إذ أراد الله له سعادة الدارين، وجعل تربته بأفضل الحرمين.

وكان ـ رحمه الله ـ ذا خلق رضي، وسمت حسن نبوي، كثير التحمل للأذى، مدارياً لأهل وقته، عارفاً بأحوال زمنه، معنياً بما يعنيه من أمور دينه ودنياه، متواضعاً سخياً، ينفق جميع ما يأتيه على وجوه الخير، وكان محباً للفقراء، معظماً لهم، كثير الاعتقاد للمجاذيب، وإذا جاء أحدٌ منهم، يُجله ويعظمه، لا يتكلم إلا في خير، ولا يذكر أحداً إلا بخير ـ رحمه الله ـ.

[٣٧٩] محمد بن محمد بن محمد البُديري ـ مصغراً ـ الدمياطي الشافعي، الشهير بابن الميت(١).

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٧/ ١١٤٠).

صاحبي ورفيقي في الطلب، وشريكي في الجثي بين يدي المشايخ على الركب، الشيخ الفقيه، المفنن النبيه، العالم الصالح الكامل، الصوفي السريرة، الحسن العشرة والعشيرة، اللطيف الطباع والشيم، المطبوع على الصدق والحياء والكرم.

مولده بدمياط، سنة أربع وخمسين وألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وقرأ بالروايات جميع القرآن العظيم، على شيخنا مقرئ مصر في عصره محمد البقري، وأجازه بمروياته، ولازم شيخنا أحمد البشبيشي، في دروسه الفرعية وغيرها، وأخذ عن شيخنا علي الشبراملسي، وغيره من علماء المصريين.

وقرأ ببلده دمياط على الفقيه زين الدين الدمياطي، والفرائض والحساب على محمود القباني الدمياطي، وحصل من العلم ما تنشرح له الصدور، وتقر به العيون، في غالب الفنون المتداولة بالديار المصرية.

وأقام ببلده للتدريس والإفادة، ورزقه الله الحسنى وزيادة، وكان في مدة مجاورته بالجامع الأزهر، لا يفارقني في غالب الأوقات، وأتذاكر معه في دقيق العبارات، ونتجاذب أكؤس المنادمات، حتى حالت بيني وبينه الأسفار، وفرق الدهر بيننا وأبعد الدار، ثم قدم مكة، واجتمعت به، ورجع إلى بلده.

واتفق أني كنت وإياه في منتزه من منازه مصر، فغضب بعض الحاضرين في المجلس على عبد له اسمه سالم، وضربه ضرباً وجيعاً، وكان سبق منه أن ضربه مرات عديدة، في مجالس حضرتها، فقلت للمترجم: أكثر ما يضرب سالم، فتوقف في هذا التركيب، وقال لي: كيف إعراب سالم؟ فقلت له:

يجوز فيه الرفع والنصب، نظيره ما أجازه بعض شراح «أدب الكاتب»، في قول ابن قتيبة فيه: إن اللمع بياضٌ في الشفتين، وأكثر؛ ما يعتري ذلك السودان، استجازوا رفع السودان، ونصبه، فالرفع على أنه خبر أكثر؛ أي: أكثر من يعتريهم ذلك السودانَ، والنصب على أنه مفعول يعتري، وما مصدرية؛ أي: أكثر اعتراء ذلك السودان، وهذا المفعول هو الذي أغنى عن الخبر؛ لأنه الجزء المستفاد من الكلام، فأعجب به، ثم عرضه على شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي، فاستحسنه ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٨٠] محمد بيك بن يار محمد بن خواجة محمد بن مير موهب[1].

البخاري الأصل، البرهانبوري المولد والمنشأ، الهندي النقشبندي الحنفي، الشيخ الإمام، العلامة المحقق، نور الدين، صاحب الفضائل والمعارف، والعلوم الباطنة والعوارف والأصول.

قد ترجم نفسه في مؤلفٍ مستقلٍ ذكر فيه أحواله، فقال: إن جده خواجه محمد قدم من ناحية بخارى إلى بلاد الهند، وصحب بعض ملوكها، وأقام بها، وسكن ببرهانبور، وولد المترجم بها، آخر ليلة أربع عشرة، في شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وألف، وتوفي والده وهو صغير، فقرأ القرآن، وختمه قبل البلوغ.

واشتغل بالعلم الفارسي حتى بلغ، فذهب يوماً لصلاة الجمعة إلى مسجد الشيخ الإمام الأكمل، منبع الأسرار الإلهية، ومعدن العلوم اللدنية،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١١٠)، «هدية العارفين» (٢/ ٣٠٦)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٣٥).

الشيخ عبد اللطيف البرهانبوري، فصلى الجمعة معه، ثم دخل الشيخ إلى بيته لأداء سنة الجمعة، وكان المصلون بعد أداء الصلاة جالسين، منتظرين لقدوم الشيخ، حتى خرج من بيته، وجلس في صحن المسجد يعظ الناس، وهم كأن الطير على رؤوسهم، فأثرت رؤيته له وكلامه فيه تأثيراً عظيماً، وانقطع خاطره عن بعض التعلقات الدنيوية.

وكان الشيخ صاحب حال ومقال، وأكثر الناس تابوا على يديه توبةً نصوحاً، وحصلت لهم بركة كبيرة بصحبته، واستقاموا على جادة الشريعة، حتى إن السلطان محمد أورنك زيب سلطان الهند، اجتمع به ليلة من الليالي، فأثرت صحبته فيه تأثيراً بليغاً، فاشتغل بالصوم والصلاة، وقيام الليل، واكتساب المعارف، وصار مولعاً بالعبادة، وغلبت عليه التقوى، وإجراء أحكام الشريعة، والعدل في بلاده بحسب المقدور والإمكان، ولم يزل على هذه الصفة، إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته، وكان السلطان المذكور يذكر الشيخ كثيراً بالتعظيم والتكريم، في غالب الأحيان، وأحوال هذا الشيخ السنية، واستقامته مشهورة في الهند، مستغنية عن البيان.

ثم شرع المترجم في قراءة علم الصرف على الشيخ الجامع بين العلوم النقلية والعقلية، صاحب السلوك والمعرفة في الطريق الحسنية الشيخ محمود، ولما فرغ من قراءة الصرف، قرأ عليه النحو، ثم ماتت أمه وهو ابن ثمان عشرة، فتوجه إلى مدينة «ملتان»، وكان بها إذ ذاك السلطان محمد أورنك زيب، فقصد ملازمته على قواعدهم، وخدمه نحواً من سنتين، ثم خطر له خاطر رحماني، فعزم على ترك ملازمة السلطان، والاشتغال بكسب العلم.

فتوجه إلى لاهور سنة اثنتين وستين وألف، ولقي علماءها وصلحاءها،

وخدم الشيخ العارف بالله نور محمد القادري، وكان مجذوباً مسلَّكاً، يربي المريدين بالنظر والصحبة، بغير تلقين ذكر، فحصلت له ببركة صحبته الرغبة في السلوك، والاشتغال بخدمة ملك الملوك.

واشتغل بها بالعلم الظاهر عند الشيخ نعمة الله الحافظ البصير البلخي، فقرأ عليه «شرح الكافية» للجامي، ثم سافر بإذن الشيخ نور محمد المذكور إلى بلدة الغزني، وزار مزاراتها، ثم رجع منها إلى كشمير، وأخذ عن الشيخ محمد أمين الدار النقشبندي، قال: ورأيته يوماً توجه إلى قلب مريده، فغاب مريده عن حواسه، وظهر من قلبه صوت من ذكر الله تعالى.

ثم جاء صحبته إلى لاهور، ومكث فيها مدةً، ثم سافر منها إلى دار السلطنة، دهلي جان آباد، وأقام بها ثلاث سنين، وزار أكابرها، واشتغل بها بالفقه والمعاني، والمنطق والحساب عند الشيخ كليم الله، والشيخ محمد صالح، وكان من العلماء العاملين، والصوفية الزاهدين.

ثم قدم إلى دهلي أيامَ إقامته بها الشيخُ محمد سعيد، والشيخ محمد معصوم، والشيخ يحيى، أبناء إمام العارفين، ومقتدَى السالكين، الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، فتشرف بلقائهم، وسمع من بعض مريديهم: ذكر لفظ الجلالة بالقلب، وكان مشغولاً به.

ثم سافر من دهلي في سنة ست وستين وألف، إلى بلدة مراد آباد، وقرأ في الأصول كتاب «المنار»، و«البزدوي» على الشيخ عبدالله تلميذ الملا عبد الحكيم السالكوتي، وأخذ بها السيد عبد الجليل الذكر القلبي، وكان هذا السيد من مشايخ الطريقة القادرية والنقشبندية والخشتية، مرتاضاً زاهداً في الدنيا، يستفيد المريدون والسالكون منه أحوالاً عظيمة.

ثم سار من مراد آباد، إلى بلدة جونبور، وزار على طريقه من كان من المشايخ، واستمد منهم صالح الدعاء، فبلغه أن قرية «سلون» فيها شيخ صاحب حال وكرامات، اسمه الشيخ بير محمد، فقدمها، واجتمع به، وكان من مشايخ الخشتية والقادرية، فلما رآه، استبشر به، ولقنه الذكر النقي، والأثبات مع الإرادات الخمس، بالقلب بحبس النفس، وأمره بحفظ الأنفاس، وقطع من شعر رأسه قليلاً بالمقص، وقال: فيه إشارة إلى قطع العوائق الدنيوية الفانية، وكان في خدمته زماناً، حتى حصل له الحضور بالذكر، ثم لقنه لفظ ذكر الجلالة، بتحريك اللسان بلا صوت.

وكان مشغولاً بكسب العلم الباطني بحضرته، حتى ألقى الله على قلبه واردةً، انكشفت له بها مسألة وحدة الوجود، ويمدد روح المولى عبد الرحمن الجامي وكلامه ـ قدس سره ـ فتح عليه باب علم الحقائق والتصوف، وأجازه الشيخ بير محمد بالطريق الخشتية، بسنده المتصل، في فهرس المترجم.

ثم سافر إلى بلدة جونبور، سنة تسع وستين وألف، وزار المشايخ الذين كانوا فيها، ومنهم: علامة المنقول والمعقول، العارف بالله الشيخ عبد الرشيد، واستمد منه الدعاء، وقرأ على الشيخ العلامة عبد الشكور، كتاب «المطول» للسعد، و«شرح المواقف» للسيد، و«التوضيح مع التلويح»، و«الهداية في الفقه»، و«تفسير البيضاوي»، وكان مشتغلاً بالعلم الباطني، مع اكتساب العلم الظاهري.

ثم توجه إلى بلدة يَتَنَهْ، سنة إحدى وسبعين وألف، ولقي بها الإمام الأكمل، مرشد السالكين، ومقتدَى العارفين، الشيخ سلطان النقشبندي، فلقنه ذكر اسم الذات على الطريقة النقشبندية، وتوجه إلى قلبه زماناً، وألقى الفيض

الإلهي فيه، وأجازه بطريق النقشبندية وغيرها من الطرق التي وصلت إليه من المشايخ.

وقرأ «شرح حكمة العين»، «وشرح الجغميني»، و«شرح التذكرة في علم الهيئة»، و«تحرير إقليدس في علم الهندسة»، و«الشرح العضدي مع حاشية الشريف الجرجاني عليه»، و«معرفة الإسطرلابات»، و«القانونجة في علم الطب» على العارف بالله السيد جعفر، وقرأ «زيج مرزا ألغ بيك»، وبعض العلوم الجزئية، وبعض مسائل «الشفا» لأبي علي بن سينا، و«شرح الإشارات» على الشيخ حبيب، وحصل له منه حظ وافر، وأخذ عن الشيخ محب الله الإله آبادي، شارح «فصوص ابن عربي»، وصاحب المؤلفات الكثيرة في التصوف، بعض الفتوحات والفصوص.

قال: ومن الاتفاقات الحسنة: أن جميع شيوخه الذين قرأ عليهم كانوا متصفين بالعلوم الظاهرة والباطنة، زاهدين في الدنيا، عاملين بالتقوى.

ثم سار من يَتَنَه إلى فير زبود، موضع الشيخ الأجلّ زبدة الصلحاء الواصلين، السيد نعمة الله القادري، وكان صاحب جاه وجلال، فزاره به، وسمع عليه بعض المسائل من «الحاشية القديم على شرح التجريد»، وفرغ من تحصيل هذه العلوم الرسمية، وهو ابن ثلاثين سنة، فوقع في قلبه إرادة الحج، وزيارة النبي ﷺ، فتوجه إلى هذا السفر.

قال: وكان في أثناء الطريق يستغرق في الذكر، فإذا وقعت الواردات على قلبه، ألقته في بحر التوحيد والوجود، الذي لابتداء له ولا انتهاء، في جميع الجهات، وهو مستغرق فيه، وغلبت على قلبه وبصيرته، هذه الخواطر، حتى كان ينظر في هذا البحر المحيط بجميع الكائنات بالبصر، وقلبه مملوء

بالحضور، ولا يميز وجوده من بحر هذا الوجود، ويرى جميع حركاته وسكناته فيه؛ كحركات السمك وسكناته في البحر، والله أعلم بحقيقة هذا الحال.

ثم وصل إلى قرية دَرَيْنكه، وكان فيها صاحب العلوم الفائقة، السيد صفي الدين القادري الشطاري، فجلس عنده أياماً، وأعطاه إجازة بما وصل إليه من مشايخه من الطرق والأوراد والذكر.

ثم توجه إلى قرية راجَكِير، وبها معبد الشيخ شرف الدين يحيى المنيري، صاحب الكرامات المشهورة، والمصنفات المشهورة في علم الحقائق والسلوك، فاعتكف فيه أربعين يوماً، ففتح الله عليه بعض الحالات والكيفيات.

ثم انتقل منها إلى بلد اجْمِير، وزار فيها مقام الشيخ معين الدين الجُشْتي، ومنها إلى بلدة أُجَير، ومنها إلى مسقط رأسه برهانبور، ولازم الشيخ برهان، وكان مقتدَى أهل عصره، فلقنه الذكر على طريقة الشطارية، ودعوة الصراط المستقيم من الجواهر الخمس للسيد محمد الغوث.

ثم سافر إلى قرية حالَنابُور، وكان فيها العارف الكبير جان محمد، فاجتمع به، وأدخله الخلوة، وأجازه بدعوة الأسماء الأربعين، وحصل له حالٌ عظيمٌ، ثم سافر منها إلى بندر سُورت، ومنها إلى بلدة أحمد آباد، وزار المشايخ الذين كانوا فيها.

ثم رجع إلى سورت، وأقام بها، حتى قدم إليها حاجاً العارف بالله الشيخ يحيى بن أحمد السَرْهَنْدي النقشبندي، فركب معه البحر، ونزل معه بندر المخا، ومنه إلى زَبيد، وأخذ عن مشايخها.

ثم وصل إلى مكة المشرفة، سنة خمس وسبعين وألف، فاجتمع بها بالشيخ العلامة عيسى بن محمد الجعفري، والشيخ المحدث محمد بن

سـليمان المغربي، وأخذ عنهما الحديث، وأخذ عن عبد الوهاب المصري علم التجويد، ثم وصل السيد عبد الرزاق بن شرف الدين القادري إلى مكة، فأخذ عنه طريق القادرية.

ثم ذهـب إلى المدينة المنـورة، وزار النبي ﷺ، وسـمع بها «صحيح البخاري» على الشيخ ياسين الخليلي المدني، ثم سافر إلى مصر، وقرأ في الجامع الأزهر «ألفية العراقي» في أصول الحديث، و«الجامع الصغير»، ثم سافر إلى دمياط، ومنها إلى غزة، وأخذ بها عن الشيخ عبد القادر الغصين، ثم زار البيت المقدس، واجتمع بمن به من مشايخه.

ثم رجع إلى مكة المشرفة، فسمع من بعض الصالحين بذكر شيخ كامل ببلخ، صاحب كرامات وخوارق، وهو الشيخ حاجي علي النقشبندي البلخي، فسـافر من طريق اليمن، حتى وصل إلى المخا، ومنها إلى مسكت من بلاد عمان، ومنها إلى ريك بنـدر، وأراد أن يسـافر إلى شيراز، فوصل إلى عقبة كازرون، فآذاه الروافض، فرجع إلى البصرة، وزار النجف وكربلاء، ووصل إلى بغداد، وأخـذ عمن بها من المشـايخ، ثم توجه إلى همدان، وقزوين، ونيسابور، وسمنان، وطوس، وزار بها الإمام موسى بن علي الرضا.

حتى وصل إلى بلخ، سنة ثمانين وألف، فاجتمع بالشيخ المذكور، فأكرمه وأجلسه عنده، وكان معتكفاً في المسجد، وقد نوى اعتكاف أربعين يوماً، قال: فتوجه إلى قلبي، وكنت جالساً في حلقة مريديه معه، وكلهم كأن على رؤوسهم الطير، متوجهون إلى الله مستغرقون في الحضور والذكر.

وكل من كان يجلس في هذه الحلقة من المعتقدين، يحصل له الحضور بلا تلقين، وكم من شـخصٍ حصـل له الفنـاء، وهو الجذبة والذهول عن

الخواطر، وكانوا لغلبة هذه الجذبة كأنهم سكارى، وكانت صحبته مؤثرة، ولم يكن يلقن مريديه إلا هذه الكلمة: اعلموا أن الله تعالى حاضرٌ في جميع الجهات، وهو وراء الجهات.

قال: وكنت يوماً جالساً عنده، بعد صلاة التهجد معه، في حلقة مريديه في المراقبة وإذا بالنور حلّ في جسدي وملأه، وأنا أحسه في الباطن، وكنت على هذه الحالة حتى [إذا] تحركت، زال، هكذا كنت في هذه الكيفية دائماً.

ثم سافر بإذن الشيخ إلى سمرقند، وحبس بها مدة، وأخذ عن مشايخها، وزار بها خواجة عبيدالله الأحرار، وسائر أوليائها، ثم سافر إلى بخارى، واجتمع بعلمائها، ومشايخ الطريقة بها، وأخذ عنهم.

ثم رجع إلى بلخ، واستأذن من الشيخ في السفر، فأذن له، فسافر إلى كابل، وهي بلد كبيرة مشهورة، وزار مشايخها وعلماءها، ومكث بها مدةً، واجتمع بالشيخ العارف بالله الملا يا منده كلكار النقشبندي، من تلامذة الشيخ محمد معصوم النقشبندي السرهندي.

قال: ورأيته أخذ كاغداً، فقطعه مدوراً مثل الدينار، فقرأ عليه الفاتحة والإخلاص، وبلعه، وتوجه إلى قلبه، فخرج من حلقه فضة مسكوكة بسكة الهند، تسمى رُبِيَّة، وهكذا كان يفعل كل وقت الاحتياج(١).

ورأيت منه كرامات كثيرة أيضاً، ثم جئت إلى جلال آباد، ومنه إلى بيشار، ومنه إلى آتك، ومنه إلى كشمير، ومنه إلى لاهور، قال: ورأيت من

---

(١) إذا لم يكن هذا من حال من يتعامل مع الجن مثلاً، أو أن الحكاية من صناعة خرافات المتصوفة فماذا تكون، أعاذنا الله من الخذلان.

العجائب والتجليات والفتوحات ما لا يدرك إلا بالذوق، ولا ينال إلا بالشوق.

وأقام بلاهور مدةً، واختلى بها للرياضة مدةً، حتى قدمها الشيخ العارف بالله محمد نقشبند بن محمد معصوم، أما الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، فزاره، وطلب منه التوجه، فتوجه إلى قلبه، وأفاض عليه علوماً فيضية.

ثم جاء إلى سرهند، واجتمع بالشيخ يحيى السرهندي ابن الشيخ أحمد الفاروقي، والشيخ عبدالله، والشيخ سيف الدين، ثم سافر إلى قرية يتن، وزار بها قبر الشيخ فريد الدين شكر كنج، واعتكف في مسجده أربعين يوماً، وحصلت له معارف إلهية.

ثم جاء إلى بلده دهلي، وزار مشايخها ومزاراتها، وأخذ عنهم، ثم منها إلى بلدة أكبرآباد، وكواليار، وزار بها قبر سيدنا ومولانا السيد الغوث مصنف كتاب «الجواهر الخمس» في فن الدعوة.

وكان إذا وصل إلى موضع أو قرية، زار قبور أوليائها وصلحائها وعلمائها، واستمد منهم، ثم استخار الله تعالى، وألقى القرعة في أي بلد يسكن، فخرجت للحرمين الشريفين، فجاء إلى مكة سنة أربع وثمانين، فحج، ثم زار النبي ﷺ، والعلماء الذين بهما، واجتمع بالسيد العارف بالله عبد الرحمن بن أحمد الإدريسي، واستمد من دعائه، وحضر بمكة دروس عيسى بن محمد الجعفري، ومحمد بن سليمان، وسمع منه الصحاح الستة، وكتب له إجازة بمروياته، على ظهر فرسه الذي سماه: «صلة الخلف بموصول السلف»، وألبسه الخرقة.

وأقام بمكة على خير وفي خير، يقرئ الناس فنون العلم، تارة بالمسجد

الحرام، وتارة بخلوته برباط الداودية، وأخذ عنه كثير من الفضلاء، واستفادوا منه، وألف مؤلفات كثيرة، منها: شرح القسمين الأخيرين من التهذيب في المنطق، سماه: «زبدة عقائد الإسلام في شرح تهذيب الكلام»، و«شرح على أشكال التأسيس» قرأت عليه طرفاً منه، وأجازني به وبمؤلفاته ومروياته، و«خلاصة الرسائل» في بيان فضائل مكة.

و«رسالة في الحج والعمرة»، و«الرسالة الكاشفة لهيئة الأرض والسموات بالأحاديث والآيات»، و«رسالة في جواب أسئلة السيوطي عن حروف الهجاء»، و«رسالة في بيان خوارق العادات لسيدنا بهاء الدين نقشبند»، و«رسالة فائض المنيبين في السلوك والحقائق»، و«رسالة في علم المعاني».

و«جواب سؤال للسيد أحمد الحموي» وقع في حاشيته على «الأشباه والنظائر»، عند قوله: الإيمان تصديق ﷺ في جميع ما جاء به من الدين ضرورة، و«رسالة في تعريف الإيمان وأركانه وشرائطه»، و«رسالة في علم الصرف».

و«الفوائد الفاخرة في بيان أحوال الدنيا والآخرة»، و«شرح الإرشاد في النحو»، و«جامعة الدلائل الشافية لمذهب الحنفية»، و«رسالة في أجوبة أسئلة وردت من الهند»، وتاريخ سماه: «خلاصة السير»، و«رسالة في سير الشمس والقمر وتقويمهما»، و«رسالة في الإسطرلاب»، و«رسالة أجاب بها عن اعتراضات السيد محمد البرزنجي على الشيخ أحمد السرهندي النقشبندي».

و«رسالة مفرح القلوب في آداب السلوك»، و«مرآة المقصود في دفع شبهات وحدة الوجود»، و«الفوائد السنية في بيان الأمور الدنيوية والضرورية،

و«شرح تهذيب المنطق»، وبعض عبارات وقعت في شرحه للملا عبدالله اليزدي، و«مختصر شرح التحرير لابن الهمام»، و«رسالة في حروف الهجاء»، و«رسالة في تقليد الحنفي للشافعي»، و«ترغيب الحسنات وترهيب السيئات» في الحديث.

و«رسالة في بيان حقيقة الكعبة»، و«مناسك الحج»، و«فضائل مكة والمدينة»، و«رسالة في عمرة المكي في أشهر الحج»، و«رسالة في رد مذهب الروافض»، و«رسالة في الفرائض وبيان في سهام الورثة»، و«رسالة في أن الأصل في الأشياء الحل»، و«رسالة في بيان تعريف العلم والاعتراضات الواردة عليه وجوابها»، وغير ذلك.

[٣٨١] محمد بن يحيى بن أحمد نظام الدين بن معصوم الحسيني[١].

ذكره أخوه السيد علي في «سلافة العصر»، فقال: ماجدٌ ثبتت في المجد وشائقه، وفاضلٌ نشبت بالفضل علائقه، أحرز من الأدب النصيب الأوفر، وتمسك منه بما أخجل نشرُه المسكَ الأذفر.

قلت: ولد بمكة سنة ثمان وأربعين وألف، وجاء تاريخ مولده قول بعضهم من أبيات:

إن قلت ما تاريخُ مولِدِه فقل (جبر الزمان بدا بأشرف طالع)

ونشأ بمكة، وقرأ القرآن، وطلب بها من العلم قدراً صالحاً، ثم ذهب إلى والده بالديار الهندية، وأقام بها إلى أن توفي سنة اثنتين وتسعين وألف.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٩٦) (٢٩٧)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٦).

وله شعرٌ يأخذ بمجامع القلوب طرائقه، ويملك مسامع أولي الأشواق شائقه ورائقه، **فمنه قوله:**

تـذكرتُ أيـامَ الحجـيجِ فأسَـبلتْ ... جفوني دماءً واستجدَّ بـيَ الوجـدُ
وأيامنـا بالمـشعرينِ التـي مـضتْ ... وبالخَيْفِ إذ حادي الركاب بنا يحدو

وقوله مخاطباً لأخيه السيد علي:

وما شوقُ مقصوصِ الجناحين مقعدٍ ... على الضيمِ لم يقدر على الطيـرانِ
بـأكثرَ مـن شـوقي إليـك وإنَّمـا ... رمـاني بهـذا البعـدِ منـك زمـاني

وقوله:

ألا لا سـقى الله البعـادَ وجـورَهُ ... فـإنَّ قلـيلاً منـه عنـك خطيـرُ
وواللهِ لـو كـان التباعـدُ سـاعةً ... وأنـتَ بعيـدٌ إنـه لكثيـرُ

وقوله:

ألا يـا زمانـاً طـال فيـه تباعُـدي ... أمـا رحمـةٌ تـدنو بهـا وتجـودُ
لألقى الذي فارقتُ أنسي مذ نـأى ... فهـا أنـا مـسلوبُ الفـؤاد فريـدُ

[٣٨٢] محمد بن أحمد النُّوري الميداني الشافعي(١).

الشيخ العلامة، الفرضي الحيسوب، انتهى إليه علم الفرائض والحساب في عصره، حتى صار مشهوراً في الآفاق، ورحلت إليه الطلبة، وكان متهماً

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٨٧) (٥٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣١٤).

بعمل الكيمياء، وله صلاح وحسن اعتقاد.

قال النجم الغزي: حدثني أنه كان مريضاً، فدخل علي الشيخ مسعود المغربي يعوده، فقال له: نصبر أو نحمل عنك، فقلت: يا سيدي! لا صبر لي على المرض، فقال: يحصل الخير، قال: فما خرج من عندي، حتى عرقتُ وذهبت الحمى عني ببركته، وعُمِّر نحوَ ثمانين سنة، ومات سنة ثلاث أو أربع بعد الألف.

[٣٨٣] محمد بن أحمد الشيخ العالم الصالح شمس الدين ابن الشيخ شهاب الدين الناصري الصالحي الشافعي، المعروف بابن الرومي[١].

مولده سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، كانت له فضيلةٌ تامةٌ، وفهم رائق، وحذق فائق، وسكينة وتقشف، وتقى وتعفف، وكان رفيقاً للقاضي محمود العَدَوي في الاشتغال، وحضر دروس إسماعيل النابلسي، والشمس بن المنقار، وقرأ على الملا أسد، وقرأ على أحمد العيثاوي «شرح الإرشاد» لابن حجر.

وتوفي يوم السبت، بعد الزوال، رابع عشر شهر ربيع الآخر، سنة أربع بعد الألف، ودفن من الغد بسفح قاسيون، عند والده، فوق تربة السبكيين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٨٤] محمد بن أحمد بن شهاب الدين بن هلال الحمصي الأصل، الدمشقي الحنفي[٢].

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٩٥) (٢٨).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٩١) (٢٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٤١).

قال النجم في «الذيل»: مولده تقريباً سنة عشرين وتسعمائة، وقرأ الفقه على القطب ابن سلطان، والشمس بن طولون، وأبي الفتح المالكي، وقرأ على علي أفندي قِنالي زاده، وبرع في الفقه، وشارك في غيره، وولي إمامة السليمانية، وكان يكتب رقاع الاستفتاء، وهو المفتي في نفس الأمر، ولم يكن بدمشق في زمانه أعلم بالفقه، وأقوال فقهاء الحنفية منه، وله قدرة على استخراج نقولهم، ولشيخه أبي الفتح فيه:

إن الكتابةَ للفَتاوى لم تجدْ ... أحداً سواك يحلُّ من إشكالها
حلَّتك مقلتها فيا إنسانَها ... أنت ابنُ مقلتِها أم ابنُ هلالِها

وشعره لا بأس به، وله مراثٍ في شيخه ابن عماد الدين، **منها قوله**:

لقد فارقت نفسي وانبعاسي[1] ... إلى أيام حزني وانبعاثي
لتكرارِ النواحي في النواحي ... وتجديد القوافي والمراثي
على من كان في الدنيا ملاذي ... وملجأ غربتي وبه غياثي

توفي سنة ثلاث بعد الألف تقريباً.

[٣٨٥] الخوجة محمد بن أحمد الباقي النقشبندي الهندي الحنفي[2].

كان ـ قدس الله سره ـ آيةً من آيات الله سبحانه، ونوراً من أنواره، وسراً من أسراره، صاحب علمٍ ظاهرٍ وباطن، وتصرفاتٍ كبيرة، كثير الصمت والتواضع والانكسار، ذا خلقٍ حسن، لا يتميز عن الناس بشيء، حتى إنه كان

---

(١) في الأصل: وانبعاثي.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٨).

يمنع أصحابه من أن يقوموا لتعظيمه، وأن لا يعاملوه إلا كما يعامل بعضهم بعضاً.

وممن أخذ عنه، ولازمه، وانتفع به: العارف الشيخ تاج الدين النقشبندي، كتب الخوجة إليه كتاباً، وكان الخوجة في لاهور، والشيخ تاج في سَنْبَل، فلما أتاه كتابه، عزم على زيارته، فلما وصل إليه، توجه إلى سلوك طريق الأكابر النقشبندية، فتم سلوكه في ثلاثة أيام، ثم أجازه بتربية المريدين.

وهو أول من أجازه، وصحبه عشر سنين، وكانت الصحبة بينهما كصحبة شخصين لا يُدرى أيهما عاشق، وأيهما معشوق، كانا يأكلان في إناء واحد، ويرقدان على سرير واحد، ثم ظهرت له التصرفات العظيمة، فصار كل من يقع نظره عليه، أو يدخل في حلقته، يصل إلى الغيبة والفناء، ولو لم يكن له مناسبة، وكان الناس مطروحين على بابه كالسكارى، يحيي واحداً، ويميت آخر، وبعضٌ كان ينكشف له في أول الصحبة عالَمُ الملك والملكوت، وكل هذا كان من غلبة الجذبات الإلهية.

وكان مولده ومنشؤه بنواحي كابل، من بلاد العجم، التي تحت يد سلطان الهند، وكان جاء إلى الهند لأمر من الأمور الدنيوية، فجذبته الجذبات الإلهية، فترك الدنيا وأربابها، ودار في الطلب عند أكثر مشايخ وقته، ومضى عليه زمان في السياحة، والأخذ على المشايخ في طرق شتى، حتى حضرت له روح الشيخ عبيدالله أحرار ـ قدس الله سره ـ، فعلمه الطريقة النقشبندية، وتم أمره.

ثم رجع إلى بلاد العجم؛ لأخذ الإجازة من الشيوخ، ثم عاد إلى الهند،

وتوطن مدينة ذهلي، وظهرت منه الأمور العجيبة، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ في مدة قليلة، وما انشرت هذه السلسلة في الهند إلا منه، وما كان أحد يعرفها منهم قبله.

وتوفي ـ نفع الله به ـ يوم الأربعاء، رابع وعشري جمادى الآخر، سنة أربع عشرة وألف بمدينة ذهلي جهان آباد، من بلاد الهند، وله أربعون سنة وأربعة أشهر، وقبره بها على غربيها، عند أثر قدم الرسول ﷺ، يزار ويتبرك به.

[٣٨٦] محمد علي بن سليم.

وزير مكة المشرفة، وقدوة أعيانها، ونخبة أهل الفضل بها وسكانها، وزر لسلطان الحرمين الشريفين زيدِ بن محسن بن حسين مدةً من أيامه، ثم لولده الشريف سعد، وكان يجله ويعظمه، ويأتمر لأمره، ولا يصدر إلا عن رأيه.

ولما صار على الشريف سعد ما سنذكره في ترجمته؛ من الإجلاء عن الوطن، والتوجه إلى أبواب السلطنة، توجه هو بأهله وأولاده إلى اليمن من طريق البر سنة ثلاث وثمانين وألف.

ولما وصل القنفذة ساحل البحر، وبلغه أن مُلك مكة صار للشريف بركات بن محمد، فأضمر العودَ، وكتب إلى الشريف بركات بذلك، فأجابه: إني مشتاق إليك، وأود وصولك، لكن محمد بن سليمان المغربي لا يقبل ذلك، وأخشى عليك من مكره.

فثنى عنانه إلى نحو اليمن، وركب السفن، فوصل جازان، ونزل من

البحر إلى ذلك البندر، وألقى عصا التسيار، فقابله أعيان ذلك الإقليم بما يليق به؛ إذ كان لهم به سابق معرفة، وصنائع مودعة.

ثم رحل لزيارة إمام اليمن ـ إذ ذاك ـ إسماعيل المتوكل على الله، فقابله بالقبول، وقرر له ولأولاده ما يقوم بهم حيث أحبوا الإقامة، واختار الإقامة بصبيا، ودرت عليه الصلات الإمامية هناك مدة ثلاث سنين.

ثم مر به أمير من أمراء الهند، يقال له: عابد خان، قاصداً الحج، فاجتمع به في البحر، قريباً من جازان، في سنبوك نزل فيه الخان المذكور، فأعجبه لفظه وأسلوبه، فحسَّن له دخولَ الهند، والاجتماع بملكها محمد أورنك زيب، فمال الوزير محمد علي بن سليم؛ ليأسه من عودة مخدومه الشريف سعد من الديار الرومية إلى رأيه، ووعده الاجتماع في المخا.

ثم شرع في انتهاز فرصة الحركة، وطلب الإذن من إمام اليمن إذ ذاك، وهو أحمد بن الحسن الملقب بالمهدي، فحاوله البقاء بأرض اليمن، فلم يساعده على ذلك، فأذن له إلى المخا.

وما عاد عابد خان إلى المخا إلا وهو بها، فأركبه أحد مراكب السلطان، واصطحبا إلى بندر سورت، بأهله وأولاده، ثم منها إلى جهان آباد، مقر سلطان الهند حينئذٍ، وهو السلطان العادل محمد أورنك زيب، فأكرمه بما يليق به من الإكرام، وقرر له في كل يوم عشر روبيات، وجعل لأولاده مناصب، وكانوا ثلاثة: عمر وهو أكبرهم، وأبو بكر وهو أوسطهم، وعلي وهو أصغرهم، فأقاموا مدة ثلاث سنين.

ثم حدثته نفسه بالعود إلى ديار العرب، فطلب الإذن من السلطان،

فأذن له بعد ما أدرَّ عليه من الإنعامات ما هو لائق به، وأمر بإركابه في أحد مراكبه، فركب إلى بندر المخا، وكان العامل به السيد حسن الجرموزي، فقابله بما هو أهله، ثم قصد إمامَ اليمن إذ ذاك، وهو المؤيد بالله محمد بن إسماعيل المتوكل على الله، فأكرمه غاية الإكرام، وعين له ولأولاده ما يكفيهم، وأنزلهم داراً عظيمة بتعز، فأقاموا بها ثلاث سنين.

فوصل إليه مكتوب أخي مخدومه، الشريف أحمد بن زيد، يستدعيه فيه إلى مكة المشرفة، ويشوقه إلى أوطانه، فأقلع عن سكنى اليمن، ويمم نحو الحجاز وظعن، وذلك في أوائل سنة ست وتسعين وألف.

فأحلّه الشريف أحمد محل الروح من الجسد، ولم يزل مقيماً بها إلى أن وافاه داعي الحمام، فأجاب إلى دار السلام، وذلك في شهر ربيع الأول، سنة ثمان بعد المائة والألف، ودفن بالمعلاة، في تربة السادة آل أبي علوي؛ لمحبته لهم، وكمال عقيدته فيهم، ومولده كما أخبرني من لفظه، بمكة المشرفة، سنة أربع عشرة بعد الألف.

وكان فصيحاً بليغاً، يحفظ القرآن حفظاً عجيباً، حسن الصوت ـ رحمه الله تعالى ـ، وكانت له درايةٌ تامـةٌ بعلم العروض، وله النظم الرائق الفائق، والتخميسات العجيبة.

فمن نظمه: قوله مؤرخاً عود الشريف أحمد بن زيد، إلى مكة المشرفة سلطاناً:

حين بشرى الشريفِ أحمدَ وافت   ملأ الكونَ بشرُها وتجدَّدْ
عاود التخت مالكاً قلت أرِّخْ   (عودُ يمنٍ بذلك العودِ أحمدْ)

وقوله في حكيم يصبغ لحيته:

دُعـي حكيمـاً غلطـاً ظالمـاً أضـله الله علـى حكمتـه
دليـلُ هـذا أنـه لـم يـزلْ شـاهدُه يكـذب فـي لحيتـه

[٣٨٧] محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الرحيم، صاحب المَسْوَح.

كان من الفقهاء المحققين، والعلماء الراسخين، نجب في حياة والده، وقرت عينه به، ثم أصيب به بموته، بعد أن أنست به هجرة المَسْوَح في حياة والده، وتصدر للتدريس، وانتفع به كثير، وكان مولده سنة سبع وسبعين - بتقديم السين فيهما - وتسعمائة، ووفاته سنة اثنتي عشرة وألف، عن خمس وثلاثين سنة - رحمه الله تعالى -.

[٣٨٨] محمد بن أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي[1] نسبة إلى رملة، وهي قريةٌ صغيرةٌ على البحر، قريبةٌ من منية العطار، تجاه مسجد الخضر، بمنوفية مصر، الأنصاري الشافعي.

الشيخ الإمام، فاتح أقفال مشكلات العلوم، ومحيي ما اندرس من آثارها والرسوم، أستاذ الأستاذين، وأفضل علماء الدين، وأحد أساطين العلماء، وأعلام سائر الفقهاء، علامة المحققين على الإطلاق، وفهامة المحققين بالاتفاق، ناشر سنة سيد الأنام، عمدة أهل مصر والشام، من أجمع

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٧٧) (٢٢)، (خلاصة الأثر) للمحبي (٣/ ٣٤٢)، (خلاصة الخبر) لعمر بن علوي الكاف (٤٥٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٧)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٠٨٢).

الناس على جلالته شرقاً وغرباً، ونوه بفضله السراة عُرباً وعجماً.

ولد بمصر، في سلخ جمادى الأولى، سنة تسع عشرة وتسعمائة - بتقديم التاء فيهما -، ونشأ على تحصيل العلوم والمعارف، والأخذ عن أكابر الطوائف، سالكاً الطريقة الجميلة، مالكاً أزمة المعرفة والفضيلة.

واشتغل على أبيه، وأغناه عن كثرة التردد إلى كل فقيه، وبث فيه ما كان عنده من خالده وتالده، فكانت بدايته كما قيل بنهاية والده، وحفظ القرآن، و«البهجة»، وغيرها من المتون، في كثير من الفنون.

وأخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، قال - رحمه الله تعالى -: أخذ بيدي والدي وأنا صغير، وتوجه بي إلى شيخ الإسلام زكريا، وأجازني بجميع مروياته ومؤلفاته، ودعا لي ببعض صالح دعواته.

وأخذ عن برهان الدين بن أبي شريف، قال - رحمه الله تعالى -: رأيت الشيخ زكريا كالألف في الانتصاب، ورأيت الشيخ برهان الدين وهو قاعد إلى هيئة السجود أقرب من الهرم، فقلت لوالدي: ما بال الشيخ زكريا مع كونه أسن من الشيخ برهان الدين أصحُّ جسيماً، ومنتصب القامة؟ فقال: كان الشيخ برهان الدين يكثر الجماع جداً، فأسرع إليه الهرم، وأما الشيخ زكريا، فكان معرضاً عن ذلك جداً.

وقرأت بخطه: أن له رواية عن أحمد بن النجار الحنبلي، ويحيى الدميري المالكي، وشيخ الإسلام الطرابلسي الحنفي، والشيخ سعد الدين الذهبي الشافعي، وغيرهم، وأنه قرأ على والده في الفقه والتفسير، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والتاريخ، وبلغني عن بعض طلبة والده: أنه سمع والده

يقول: تركت محمداً ـ بحمد الله ـ لا يحتاج إلى أحـد من علمـاء مصر، إلا في النادر.

قال: ولم يزل له الاعتقاد التام في طائفة الصوفية؛ تبعاً لوالده، وكان فهمه عجيباً، إذا دعي للمعنى الغامض، كان مجيباً، جمع الله له بين الحفظ والفهم، والعلم والعمل، وكان موصوفاً بمحاسن الأوصاف، مواظباً على الإفادة والقيام والاعتكاف.

قال العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني ـ رحمه الله تعالى[1] ـ: صحبته من حين كنت أحمله على كتفي إلى وقتنا هذا، فما رأيت عليه ما يشينه في دينه، ولا كان يلعب في صغره مع الأطفال، بل نشأ على الدين والتقوى والصيانة، وحفظ الجوارح، ونقاء العرض.

رباه والده فأحسـن تربيته، ولما كنت أحمله، وأنا أقرأ على والده في المدرسة الناصرية، كنت أرى عليه لوائح الصلاح والتوفيق، فحقق الله رجائي فيه، وأقر عين المحبين به؛ فإنه الآن مرجـع أهل مصر في تحرير الفتاوى، وأجمعوا على دينه وورعه، وحسن خلقه، وكرم نفسه، ولم يزل ـ بحمد الله ـ في زيادة من ذلك. انتهى.

وجلس بعد وفاة والده للتدريس، ورفع لواء مذهب إمام الأئمة محمد ابن إدريس، ودرس في كل علم نفيس، وبرع في العلوم النقلية والعقلية، والمدارك النظرية، وطار اسـمه في مشـارق الأرض ومغاربها، وملأ قفارها وسباسبها، وسار ذكره سير الشمس، وصفت له الحواس الخمس.

---

(١) في الأصل: ﷺ.

وجلس في الجامع الأزهر، وأضاء به مصباحه الأزهر، فأبدى من العلوم العجائب، وأظهر من المعارف الغرائب، واستمرت الشهرة له في عصره في الفقه والعلوم الشرعية، وللأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري في معارف الصوفية.

وحج على عادة أهل مصر مرات، وجاور في مرة منها، وشرح في تلك السنة «الإيضاح في المناسك» للإمام النووي، وسماه: «الغرر البهية في شرح المناسك النووية»، وهو عندي بخطه، ولله الحمد والمنة، وكان ركوبه في الذهاب والإياب، في المحفة المحفوفة بالإخوان والأحباب.

وحضر دروسه أكثر تلامذة والده؛ كالشيخ محمد الخطيب الشربيني، والفهامة أحمد بن قاسم العبادي، ولازمه، وانتفع به كثيراً؛ كالشيخ نور الدين الزيادي، وسالم الشبشيري، وعلي الحلبي، ومحمد الخفاجي، وولده الشهاب، والشمس محمد الشوبري، والشهاب أحمد القليوبي، ومحمد المأموني، وولده إبراهيم، والشيخ منصور الطبلاوي، وأبي بكر الشنواني، وأحمد الغنيمي، وعلي الأجهوري، ومن الشاميين: الشمس محمد الميداني، ونعمان الجبراصي، وعمر بن الكاسوحة، وأبو الطيب الغزي، لما رحل إلى مصر سنة اثنتين بعد الألف.

وولي عدة مدارس، وتزينت بحضوره المحافل والمجالس، وتشرفت الطلبة بحضور مجالس دروسه العامرة، واقتبست الناس من أنوار فوائده الغامرة، وكان مجلس درسه بالجامع الأزهر، في صدر المقصورة، من جهة يسار المحراب، ومجلس درس الأستاذ الشيخ البكري من جهة يمين المحراب، وإذا اتفق جلوسهما في الفقه في آن واحد، يحضر مشايخ العلماء من أهل الإفتاء

والتدريس عند المترجم دونه، وإذا اتفق جلوسهما في التفسير، تحضر المشايخ المشار إليهم عند الشمس البكري دونه ـ رحمه الله تعالى ـ.

وعاش حتى صار علماء الشافعية بمصر كلهم تلامذته، إلا النادر، فلا يوجد الآن عالم شافعي، إلا وهو من طلبته، أو تلامذة طلبته، وأرسلت إليه الأسئلة من سائر الأقطار، ووقف الناس عند قوله أكثر من أقرانه ـ رحمه الله ـ.

وولي منصب إفتاء الشافعية، بالقاهرة المعزية، فباهت به الأيام، وتاهت في عينه ألسنة الأقلام، وأصبحت عيون المذاهب إليه ناظرة، وثمرة العلوم في روضته ناضرة، وحُملت إليه مسائل الفتاوى من كل جانب، ووفد إليه الناس من المشارق والمغارب، ووسعت أخلاقه الأقارب والأجانب، وجزم بنصب المشايخ ورفع قدرهم، فأكرم به من رافع جازم ناصب.

ثم شرع في التأليف، ورتبه بحسن الترصيع والترصيف، فشرح المنهاج وسماه: «نهاية المحتاج»، وفاق بالترجيح عند تلاطم الأمواج، وأتى فيه بالعجب العجاب، ودعا قصي الإجادة، فكان المجاب، وصار هو العمدة عند المصريين، والمرجع للمفتين، و«شرح البهجة الوردية» في مجلدين ضخمين، وهو عندي بخطه أيضاً، ولله الحمد والمنة، وشرح «العقيدة الهذلية» سماه: «التحفة البهية»، وشرح «الطريق الواضح» للشيخ أحمد الزاهد سماه: «عمدة الرابح»، وشرح «العباب» للمزجد، لكنه لم يتمه، وشرح «الزبد» لخص فيه شرح والده، وهو مزجُ وشرحُ أبيات السيوطي التي أولها:

يتبعُ الفرعُ في انتسابٍ أباه ولأمٍّ في الرقِّ والحريهْ

وشرح رسالة والده في شروط الإمام والمأموم سماه: «غاية المرام»، وشرح «مختصر الشيخ عبدالله بافضل الصغير»، وله «حاشية على شرح التحرير» لشيخ الإسلام، و«حاشية على العباب»، و«شرح على الآجرومية»، وشرح منظومة ابن العماد التي في العدد، وسماه: «فتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد»، و«شرح مناسك الحج» التي نظمها تلميذه الشيخ سليمان الدلجي، ومنها شرح على المنظومة النحويـة المسـماة بـ «العنقود ونظم العقود» لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الموصلي الخليلي التي أولها:

لله ذي العـزِّ الـذي رفـعَ العـلا فأحمدْ وصلِّ على النبيِّ ومن تـلا
واعلمْ بـأن اللحـنَ يُـزري بـالفتى والمرءُ يُـسبر فـي الكـلام ويُبتلـى

يسبر؛ أي: يجرب، ويبتلى؛ أي: يختبر، وسمي الشرح المذكور: «فتح الملك المعبود بشرح العنقود».

وله فتاوى جمعها بخطه، يقول فيها: سئلت فأجبت، وقد أخذها تلميذه الشيخ أحمد السبكي، وزاد عليها من وقائع الحال شيئاً كثيراً، وأخذها أيضاً تلميذه الشيخ أحمد المتبولي، وزاد عليها من وقائع الحال أيضاً.

وله مؤلفات أخرى، منها ما كمل، ومنها ما لم يكمل، واشتهرت كتبه في جميع الأقطار، واعتمـدها العلماء الأخيار، ومما اشـتهر عند أشـياخنا المصريين: أن مشايخهم أخذوا عليهم العهود أن لا يفتوا إلا بقوله، وهم على ذلك إلى الآن، فإنه إذا اختلف ابن حجر والمترجمَ في مسألة، أفتوا بقوله.

والظاهر: أنه مجدد القرن العاشر؛ لأنه لم يشتهر الانتفاع بأحدٍ ممن انقضى القرن وهو موجود مثل اشتهاره، واحتياج الناس لكتبه، لا سيما فيما

يتعلق بالعلوم الشرعية، وقد تمت المائة العاشرة وهو بين الأنام، يُرجع إلى قوله وأفعاله عند الخاص والعام، وهذه الشروط المذكورة، قد اجتمعت فيه كما هي مسطورة، وهي شروط المجددين؛ كما ذكر بعض العلماء العارفين، قال ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها» أخرجه أبو داود، وغيره، وفي رواية: «من أهل بيتي».

وزعم الجمال النزيلي: أن المجدد في العاشر الشيخُ علي بن مطير، وقال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس: إنه عبد الملك بن دعسين، ويحتمل أنه الشيخ محمد البهنسي.

وقال الشيخ الغزي في «ذيل الكواكب السائرة»: وقد مد الله في عمره، حتى كان مجدد هذه الأمة. قال: وأرسلتُ إليه مؤلفيَّ المنظومين: «شرح اللمحة» للوالد في النحو، و«شرح منظومة ابن الشحنة في علم البلاغة»، فكتب على كل منهما تقريظاً منظوماً، وصورةُ ما كتبه على شرح اللمحة:

حمداً وشكراً دائمين أبدا ... لربنا جلَّ تعالى سرمَدا
ويعدُ فالعلامةُ البدريُّ ... هو البليغُ الحافظُ الغزيُّ
ألف نظمَ اللمحةِ البدريهْ ... في النحو تنحو نحوَها الألفيهْ
فألفَ النجمُ عليها شرحا ... يا حسنَهُ مؤلفاً قد صَحَّا
فالنجمُ نجلُ البدرِ لا بِدْعَ يُرى ... من فرعِ هذا الأصلِ نوراً بهرا
أجزتُه بكلِّ ما ألفتُه ... وما رويتُه وما سمعتُهُ
وفقه اللهُ لخيرِ العملِ ... وإنني أسألُه الدعاءَ لي
وقاله العبدُ الفقيرُ الرملي ... محمدٌ نجلُ الشهابِ العدلِ

في عام سبع ثم تسعين مضتْ ... من بعد تسعمائة قد سُجِّلَتْ

وصورة ما كتبه على شرح منظومة ابن الشحنة:

حمداً لمن علمنا البيانا ... وعلَّمَ العلومَ والقرآنا

هذا وشمسُ الدين بن الشحنهْ ... قاضي القضاة قد رقى في السنهْ

من علمه البلاغة القديمهْ ... ألف نظماً سامياً في القيمهْ

بشرحه قد فاز نجمُ الدينِ ... نمقه بنظمهِ المُبينِ

ألف هذا دون عشرين سنهْ ... فكم له كرامة مبينهْ

وفقه الله وزادَه علا ... والحمدُ لله على ما حصَّلا

وقاله الرمليُّ نجلُ أحمدَ ... محسبِلاً محوقِلاً طول المَدَى

وكانت وفاته آخر يوم السبت، وصلى عليه إماماً بالناس الأستاذُ الشيخ زين العابدين البكري، زوج ابنة المترجم، يوم الأحد، ثالث جمادى الأولى، سنة أربع بعد الألف، ودفن على والده، في التربة التي بقرب من جامع الميدان، المطل على الخليج الحاكمي.

ومات بعده بشهر الشيخُ علي بن غانم المقدسي، فرثاهما يوسف المغربي، وأرخ وفاتهما بقوله:

لما قضى الرمليُّ شيخُ الورى ... من كان على مذهب الشافعي

ثم تلاه المقدسيُّ الذي ... حوى علومَ الصحبةِ والتابعِ

أرختُ في موتهما قائلاً ... (مات أبو يوسفَ والرافعي)

وتوفي والده الشهاب الرملي في تاسع عشر جمادى الأولى، سنة

سبع وخمسين وتسعمائة، وماتت والدة المترجم في سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفنت بحوش الدير، خارج باب النصر، بالقرب من الشيخ إبراهيم الجعفري، وكان كثيراً ما يقصدها بالزيارة، ويذكر أنها كانت من أولياء الله ـ رحم الله الجميع، وأعاد علينا من بركاتهم ـ.

[٣٨٩] محمد بن أحمد العجمي، الحلبي الأصل والمحتد، الدمشقي المنشأ والدار.

كان من كبار تجار سوق الذراع بدمشق، ومع ذلك كان عالماً كبيراً بالفرائض والحساب، والجبر والمقابلة، والارتماطيقي، وغالب أهل عصره كانوا يقرؤون عليه هذه الفنون.

وهو والد جامع أشتات الفنون الأدبية، مصطفى أبي الصفا بن محمد العجمي، المترجم في «الريحانة الخفاجية»، و«السانحات الطالوية»، ولكونه ليس من شرطنا، لم نذكره؛ لأنه توفي ثاني شهر رمضان، سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة، وعاش بعد والده المترجم، إلى سنة ست وألف، فتوفي فيها بدمشق ـ رحمه الله ـ.

[٣٩٠] محمد بن أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس[(١)].

السيد المزيل كل هم وبوس، المشهور بالولاية التامة، المعروف بنفع الخاصة والعامة، من بوعظه تنجلي غياهب الكروب، وبذكر الله على لسانه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٤٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٣٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠).

الفصيح تطمئن القلوب، ولد بمدينة تريم الشهيرة، ونشأ بساحتها المنيرة، وطلب الفضائل، وصحب السادة الأماثل.

وأخذ عن والده إمامِ الطريقة وبحر الحقيقة، وصحب تاج الدين، وشيخ العارفين، محمد بن علوي باجحدب، وجد في الاجتهاد، وعمل بما يرضاه رب العباد، حتى فاق الأقران، وساوى من تقدمه من فضلاء الزمان، وسار بذكر أحواله الركبان، وقصده الناس من سائر البلدان، وصحبه خلق كثير، ولبس منه خرقة التصوف جم غفير.

وكان كبير القدر، واسع الصدر، له كرامات، وأحوال ساميات، وأفعال صالحات، وحج بيت الله الحرام، وزار جده ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هو وأخوه الشيخ عبدالله، وحصل لهما مزيد الأنس والصفا، وتأرج به الحجون والصفا.

ورجعا إلى وطنهما «تريم» سالمين، ووصلا منزلهما غانمين، ولم يزل نفعاً للعباد ممدوداً بمزيد الإمداد، إلى أن انتقل إلى دار المعاد سنة ست بعد الألف، ودفن بمقبرة زنبل، بقرب مشهد جده الشيخ عبدالله العيدروس، وقبره ظاهر، ونوره باهر ـ نفع الله به ـ آمين.

[٣٩١] محمد أبو الغواير بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد العجل بن محمد بن يوسف بن إبراهيم ابن الإمام القطب الغوث الفرد الجامع الفقيه أبي اللفيف أحمد بن موسى بن علي بن عمر العجيل ابن محمد ابن حامد بن رزيق بن وليد بن زكريا بن محمد بن حامد بن مغرب بن عبيد ابن محمد الفارس بن زيد بن ذؤال بن شبوة بن ثوبان بن عبس بن سحاره

ابن غالب بن عبدالله بن عك بن عدنـان اليمنـي الذؤلي صاحب بيت الفقيه ابن عجيل[1].

الإمام العارف بالله، صاحـب الأحـوال الباهـرة، والكرامات الخارقة الظاهرة، والأنفاس الطاهرة، الذي تواتر حديث فضله وجلالته، وأجمع الناس على ولايته، وعمت بركاته الحاضر والبادي، في كل وادٍ ونادي.

كان ـ نفع الله به ـ إمام أهل العرفان، المشار إليه بالبنان، وقطب دائرة اليمن الفخيم، ومركز محيط ذلك الإقليم، متخلقاً بالأخلاق النبوية، متصفاً بالصفات الربانية، شيخ المريدين في عصره، وأستاذ الأستاذين في دهره.

جُنَيْدِيُّ الطريقة في زمانـه، غزاليُّ الرقيعة لإمكانه، ابن عربي الحقيقة بشانه، ومن أرباب الأحوال السنية، بل المقامات العلية، بهرَ بجميل جماله أطوادَ العقول، وأثلج ببرد لطفه المناكب والصدور، ونال منه تلامذته الوصول.

وله ببلده الظهورُ الكبير العجيب، والجاه الطويل العريض الغريب، قلد أعناق الرجال باليمن المِنَن، ودانت له النفوس وإن خالف السرُّ العلَن، وامتد في المقامات والأحوال باعهُ، وعمرت بإقباله رِباعُه، وقصده الغادي والرائح، وخدمته القرائح بالمدائح.

وكان ﷺ حريصاً على سلوك طريق أهل السنة والجماعة، مواظباً على الخير، لا يصرف من أوقاته ساعة في غير طاعة، حافظاً لأزمانه وأوقاته، مقبلاً على طاعات ربه وعباداته، حسن الصمت والسيرة، نير القلب والسريرة، مع كرامات أشهر من الشمس في رابعة النهار، وخوارق اشتهرت في سائر الأقطار.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٠).

أخـذ الفقـه والحديـث وغيرهما من العلوم الدينية عن محدث اليمن وحافظـه في عصـره عبد الرحمن الدَّيْبَع صاحب «تيسير الوصول إلى جامع الوصول» لابن الأثير، وأجازه إجازة عامة بمروياته.

وأخذ الطريق عن السيد الولي العارف بالله أبي القاسم بن علي، المعروف بصائـم الدهـر، ولازمـه مدةً مديدةً، وأجازه بالإرشاد، ووصل إلى خدمة الشيخ محمد الفتى، وعرض عليـه إشـكالاته، فحلها له، ويقال إنه: غسل أقدام الشيخ، وشرب ماءها، فانبسط الشيخ وأخذ رُطَباً ومضغه، وأخرجه من فيه، ووضعه في فم المترجم، فلما ابتلعه، كشف له الحال، ووصل رتبة علية، ونصبه للإرشاد، وصار من جملة خلفائه[1].

وأخذ عنه خلق كثير لا يحصون، في مشارق الأرض ومغاربها، منهم: ولدُه وخليفته من بعده أحمدُ أبو الوفا الآتي ذكره.

وكان على طريقة شيخه صائم الدهر، دائم العبادة، عالماً بالعلوم الظاهرة والباطنة، كاملاً مكملاً، مرشداً حقيقياً، بارعاً في علوم الطريق، وله آثار كثيرةٌ وأخبار شهيرةٌ، متداولة باليمن.

ورأيت بخطه ـ نفع الله به ـ ما نصه: أخبرني الشيخ الصالح نجم الدين ابن أحمد الفيومي المصري: أنه رأى في حال سِنَةٍ، يومَ عيد الفطر، سنةَ سبع بعد الألف، كأن النبي ﷺ في محل قبره الكريم بارزٌ، والنور يخرج من جميع

---

(١) وهـذه الأفعـال والأباطيل من سـلوكيات أهل الطريق كما يدعون، التي يفخرون بها، وليـس لها أصـلٌ في كتـابٍ أو سـنة، نسـأل الله السـلامة والعصـمة من هذه الخرافات.

أجزائه، ويخرج من صدره الكريم نورٌ له جرم، وحلق السبابة والإبهام، وقال: مقدار هذا.

قال: ورأيت ذلك ممتداً من محله، حتى اتصل بسيدي محمد العجل، وهـو إذ ذاك في حال قـراءة المولد والذكر بمسجده، وصار النور يدخل في صدره مستمراً على ذلك، ورأيت جمعاً من الأولياء ينالهم نور من ذلك، ولكنه صغير الجرم، ومثله الرائي بالخيط في مقتضى الجس.

قال: واستيقظت، والحال على ما هي؛ من اتصال نور النبي ﷺ بصدر سيدي الفقيه محمد، ودخوله فيه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. انتهى.

ويقال: إنه ـ نفع الله به ـ استـمر نحو سنتين مرتاضاً، فكان في النهار يذهب إلى الهيجا، ويأتي بالليل إلى تربة جده الفقيه أحمد بن موسى العجيل، حتى ظهر له في ليلة، وأعطاه أصبعه فمصها، وأمره بالرجوع إلى البلد للتربية والإرشاد، ويقال أيضاً: إنه أتاه في منامه، وقال له: لازم مطالعة كتب الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، ونحن ندافع عنك بالسيف والترس.

ولـم تزل نسمات نفحاته عاطرة الأرج، وزجاجات وارداته ظاهرة الوهج، إلى أن أحب مولاه لقاه، فأجاب داعيه ودرج، وبروحه اللطيفة إليه عرج، وكانت وفاته ظهر يوم الخميس، سابع شهر ربيع الثاني، سنة إحدى عشرة بعد الألف، ببلده بيت الفقيه ابن عجيل.

وبُنى عليه قبةٌ عظيمةٌ، أمر ببنائها الوزير حسن باشا، وكان ختم بنائها يوم الخميس، رابع عشر شوال، سنة اثنتي عشرة وألف، وقبره درياق مجرب

لقضـاء الحاجـات، وقد مـنّ الله سبحانه عليّ بزيارته عام رحلتي إلى اليمن الميمون، سنة أربع وتسعين وألف، وكنت نازلاً ببيت حفيده شيخنا العارف بالله موسى بن أحمد بن محمد المترجم ـ أعاد الله عليّ من بركاتهم ـ؛ كما سيأتي ذلك في ترجمته.

والذُّؤلي ـ بضـم الذال المعجمة ـ: نسبة إلى ذؤالة، وهي ناحية على نحو نصـف يوم من زبيد، والعُجيل: تصغير العجل، وبنو عجيل بيتُ علمٍ وصلاحٍ، ورياسةٍ وسيادةٍ، وشهرتهم تغني عن التعريف بهم.

وكان جدهم العارف بالله إبراهيم بن علي بن عمر، صاحبَ ماشيةٍ بين قومه من المغاربة، فأراد يوماً أن يسقي دوابه، فلم يمكنه؛ لكون الدلو لغيره، فذبح عجلاً، وفرى جلده، وسقى دوابه، فكان قومه يقولون: صاحب العجيل، فلما كثر ذلك وعُرف به، حذفوا المضاف، وأقاموا المضاف إليه مقامه، فقالوا: عمر العجيل، واستمر ذلك في ذريته ـ نفع الله بهم ـ آمين.

[٣٩٢] محمد بن أحمد بن محمد(١).

الشيخ المربي الجواد، السيد الشريف محب الدين الحصني الشافعي، ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان ـ رحمه الله تعالى ـ عالماً عاملاً، ورعاً متقشفاً، ملازمًا للاعتكاف بمسجد الحِصْنِيّة، بحارة المزَار، بالشاغور البراني من دمشق.

وكان على إقامة مطبخ آبائه بخان الكشك، المقابل لخان ذي النون، بالقرب من قرية الخيارة خارج دمشق، معمراً له بإصلاح الحلوى والطعام في

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٢).

كل عام لملاقاة الحاج، وكان سخياً لا يملك شيئاً، وكان يستدين ويطعم، حتى مات وعليه أموالٌ كثيرةٌ، فسومح بها بعد موته، وذلك ببركة سخائه وكرمه، وكانت وفاته يوم السبت، حادي عشر رمضان، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وقيل في تاريخ وفاته:

إن الشريفَ محمدَ القطب الـذي ... يدعى محبَّ الدين للأخرى انتقلْ

إن تـسألوني أيـن حـلَّ أرخـوا ... (في وسط جنات النعيم قد نـزل)

[٣٩٣] أبو المعالي درويش محمد بن أحمد بن محمود الطالوي الأم، الرومي الأب، الحنفي الدمشقي[١].

أحد أفراد الدنيا فضلاً وأدباً، وشعراً، وفصاحةً وبلاغةً، وأجلُّ الطالويين، من ذرية الملوك الأرتقيين، الذين هم من المجد والملك بمكان مكين، وممن جمع بين مهارة العلم، وغزارة الأدب، وصرف نقد أوقاته في طلب العلوم، ولها اكتسب.

فهو مجمع البحرين، الجامع بين الفخرين، وكنز الهداية، ومعدن الدراية، الذي أوصافه السنية تجل عن التعداد، وفضائله الجسيمة اشتهرت في كل ناد وواد، وشهد ببراعة عبارته كل حاضر وباد، ريان الفضائل والعلوم، بارع المنطوق والمفهوم.

ولد بدمشق سنة خمسين وتسعمائة تقريباً، وكان في أول أمره، على

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٣٩) (١٥٦)، وورد فيه اسمه: درويش بن محمد، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٤٩)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٥٣)، «عرف البشام» (٤٦) (١٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٩٧)، (٦٩).

طريقة أهله، يلبس لبس الجند، فنظر إليه الشهاب أحمد بن البدر الغزي، فتوسم فيه قابليّة العلم، فجذبه إليه بلطف، حتى حبب إليه طلبه، فلما طلب العلم، وذاق حلاوة الفضل، أشار إليه بترك زي الجنود، ولبس زي العلماء.

وأخذ عن شيخ الإسلام البدر الغزي، فحضر مجالسه في التفسير، بالتقوية، والجامع الأموي مدةً، مع ملازمة ولده شهاب الدين المذكور، وعن نجم الدين البهنسي خطيب دمشق ومفتيها، ثم بعد وفاته قرأ الفقه والمعاني والبيان على عماد الدين الحنفي.

وأخذ عن جماعة من فضلاء العجم الواردين إلى دمشق، منهم: المنلا محمد بن حسن المغاني، أنزله في مدرسة جده الأمير علي بن طالو الأرتقي، وقرأ التصوف، على ملا غياث الدين الشهير بمير محمد التبريزي، وأخذ عن سراج الدين التبريزي نزيلِ مكة، وصحبه برهةً لما قدم من مكة إلى دمشق.

وأخذ خرقة التصوف عن محمد المناشري اليمني نزيل المدينة، وإمام مسجد قبائها.

ثم صحب الشيخ الإمام أبا الفتح محمد بن عبد السلام التونسي الخروبي المالكي نزيل دمشق، ولزمه مدةً مديدةً، واختص بصحبته، وسلك على طريقته، واستفاد من درر فوائده، وغرر عوائده، حتى صار من أجل تلامذته، فقرأ عليه الأدب، والرياضي والمنطق، والحكمة والتصوف، وغيرها، واكتسب منه فنوناً عديدة.

وكان يملي عليه لطائف الأسمار، ومحاسن الأخبار، مما يزري لطفه بفعل العقار، حتى صار أعجوبة في الكمال، ونادرة في محاسن الخلال،

وألف رسالةً في ترجمته سماها: «هدايا الكرام في أخبار محمد أبي الفتح ابن عبد السلام».

ثم رحل إلى مصر، وأخذ عن شيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الرملي، وخاتمة الحُساب والفرضيين عبدالله الشنشوري، قرأ عليه «شرحه على الرحبية»، وكتاب «النزهة في الحساب» وبعض «شرح الترتيب» له، وغيرها، وأجازه بمروياته.

وقرأ على الجامع بين الشريعة والحقيقة، والحاوي للعلوم الرقيقة والدقيقة، خاتمة الحنفية بالديار المصرية، علي بن غانم المقدسي، طائفةً من «صحيح البخاري»، وبعض «صحيح مسلم»، ونبذةً من كتاب «الهداية» لأبي الحسين علي بن عبد الجليل المرغيناني، مع مراجعة شرحها للكمال ابن الهمام، وكثيراً من كتاب «كنز الدقائق» لأبي البركات حافظ الدين النسفي، مع المباحثة في شروحه، وجملة من كتاب «المنار في أصول الفقه» للنسفي أيضاً، وأجازه بمروياته، سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، في إجازةٍ طويلةٍ كتبها له، ذكرها في كتابه «السانحات»، وقال فيها: إنه شرف مجالسه بالحضور.

وأخذ عن شيخ الإسلام محمد النحراوي البصير الحنفي غالبَ الكتب التي ذكرناها، و«مجمع البحرين» لابن الساعاتي، وبعض «مغني اللبيب» لابن هشام، و«حاشيته للدماميني»، و«حاشيته للشمني[1]»، وأخذ عن العلامة البدر القرافي، وأجازه.

وأخذ عن الشيخ الرئيس داود الحكيم أنواع الكتب العلمية، وأصناف

(١) في الأصل: للسمني.

المؤلفات الحكمية، في الأقسام الطبيعية، والفلسفية الإلهية، وما صنف في ذلك من الكتب المعتبرة، والرسائل المحررة، ودون في نوعي الحكمة المشائية والإشراقية، لمتأهلي حكماء الإسلام، ومتأخري فضلاء الأنام، وسائر العلوم، من منثور ومنظوم، سيما الفنون الأدبية، وما ينحاز إلى ذلك من الدواوين الشعرية، وتواريخ الأمم السالفة، التالدة والطارفة، وكتب السير والمناقب والأخبار، وظرائف النكت من المقاطيع والأشعار؛ ككتاب «رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا» للحكيم الفاضل، والفيلسوف الكامل، أبي القاسم سلمة بن أحمد المجريطي، يشتمل على إحدى وخمسين رسالة، في فنون شتى.

وكتابيه الموسوم أحدهما «برتبة الحكيم»، والآخر «بعناية الحكيم»، ومن كتب الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا «كتاب الشفا»، و«القانون» و«النجاة»، و«الحكمة الشرفية»، و«كتاب التعليقات»، و«رسالة الأجرام السماوية»، و«الرسالة التبريزية»، كتب بها لبعض سلاطين عصره، و«الرسالة العلائية» التي كتبها لعلاء الدولة بالفارسية، وما شاكل ذلك من الكتب والرسائل، وكتاب «الإشارات» الذي هو آخر تصانيفه، مع شرحه للمحقق نصير الدين الطوسي، والإمام الفخر الرازي، والمحاكمات بين الشرحين للعلامة قطب الدين الرازي، وحواشيه لسيد المحققين الشريف الجرجاني.

ومن كتب الشيخ المقتول شهاب الدين السهروردي، على طريقة المشائين: «المسارح والمطارحات»، وكتاب «التلويحات مع شرحه» للفاضل هبة الله بن كمونة البغدادي، وكتاب «الألواح العمادية» سلك فيه طريقة وسطى بين الحكمتين، صنفه للملك العادل عماد الدين بن داود بن أرتق، ومن

كتبه على الطريقة الأخرى: كتاب «الرموز اللاهوتية»، و«الإشراق مع شرحه» لأفضل الحكماء المتألهين قطب الدين محمود بن مصلح العلامة الشيرازي، وما ضاهى ذلك من رسائله؛ «كالهياكل النورانية وشرحها» للمحقق جلال الدين محمد بن أسعد الدواني.

ومن كتب الأدب، كتاب «الغرر والدرر» للشريف المرتضى، وكتاب «نهج البلاغة» لأخيه الشريف الرضي، مع شرحه للعلامة عز الدين بن أبي الحديد الكرخي المدائني، و«القصائد السبع العلويات» له في مدح أمير المؤمنين، ويعسوب الموحدين، علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه في الجنة ـ، وشرحها لبعض العلويين.

ومن دواوين الشعر: «ديوان الحكيم الأديب والفيلسوف الأريب محمد ابن هانئ الأندلسي»، و«ديوان سقط الزند» للشيخ العلامة أبي العلاء أحمد ابن سليمان المعري، مع شرحه لتلميذه أبي يحيى زكريا الخطيب التبريزي، وشرحه المسمى بـ: «ضرام السقط» للقاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي، الملقب بصدر الأفاضل، وشرحه للعلامة محمد ابن السيد البَطَلْيُوسي الأندلسي.

ومن التواريخ: كتاب «العقد» لابن عبد ربه، وكتاب «المسالك والممالك» لابن فضل الله العمري، وكتاب «الملل والنحل» لمحمد الشهرستاني، وابن كمونة البغدادي، وما جمعه ابن خلدون، ونحو ذلك.

ومن كتب المناقب: «مطالب السُّول في مناقب آل الرسول» لمحمد بن طلحة القرشي العدوي النصيبي، وما ألف الحافظ زين الدين عبد الرحمن

ابن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي في هذا المعنى، وكذلك ما صنعه في مناقب آل البيت الخطيب المدني الشهير بالزرندي الأنصاري، وما دونه الفاضل شمس الدين محمد بن يوسف المعروف بالكنجي، وسماه: «كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» رتبه على مائة باب.

ومن غرر القصائد في مدح أهل البيت قصيدة دِعْبِل الخزاعي التي مطلعها:

مدارسُ آياتٍ خلتْ عن تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العَرَصاتِ

وهي إحدى وستون بيتاً.

والقصيدة الدالية ليحيى بن سلامة الحصكفي التي أولها:

أقوتْ مغانيهم فأقوى الجسدُ ربعانِ كلٌّ بعد سلمى فَدْفَدُ

وعدة أبياتها ثمانية وخمسون بيتاً، وهي من أرق الشعر لفظاً ومعنىً، وأرشق القريض عروضاً ووزناً، إلى غير ذلك.

وأجازه بمروياته وسائر مؤلفاته.

وأخذ بغزة هاشم عن شيخ الإسلام محمد بن محمد بن محمد الخطيب التمرتاشي الحنفي، وأجازه بما يجوز له روايته، وبمؤلفه في الفقه الذي سماه: «تنوير الأبصار وشرحه».

وقرظ له غالب مشايخ مصر على رسالته التي ألفها في شأن سلفه أهل طالو، الذين شادوا في رتب العلى وطالوا، وأثنوا عليه، وشهدوا له بالتقدم في العلوم، وأن له فيها المقام المعلوم.

وتكرر شعره[1] إلى البلاد الرومية، ودار الخلافة السنية، قسطنطينية المحمية، وانتظم في سلك علمائها، وقارن فيها بدور سمائها، ومدح من بها من الموالي العظام بأنواع المدائح، مما لا تسمح بمثله القرائح، قبل أن تأفل من سمائها تلك الشموس الطوالع، وتغيب بدورها عن هاتيك المنازل والمطالع، وتستتر بيد المحاق غرر أقمارها، وتظلم جيوب الآفاق بمحو أنوارها.

وما ذاك إلا بأنه رأس من كان فيها من أساطين علمائها، وأفاضل مواليها، وانتقاص أرضهم من أطرافها، بموت أولئك الرؤساء من أشرافها في ناديها، في زمان لم يكن في القصر إلا لمح البصر، أو لطرفة عين، حتى صاروا أثراً بعد عين، كما قال القائل:

جرتِ الرياحُ على ممرِّ دِيارهم ... فكأنهم كانوا على ميعادِ

وقال:

أتى على القوم أمرٌ لا مَرَدَّ له ... حتى قَضَوْا وكأنَّ القومَ ما كانوا
وصارَ ما كان من علمٍ ومن أدبٍ ... كما حكى عن خيالِ الطيفِ وَسْنانُ

ثم رجع إلى دمشق، وولي تدريس الخاتونية داخل دمشق، ثم اتصل بخدمة قاضي القضاة محمد بن بستان، حين كان قاضياً بدمشق، وناب عنه، ثم دخل معه القسطنطينية، وتنقل في المدارس نحواً من ثلاثين سنة، حتى بلغ طريقة المولوية، على أسلوب أقرانه من الموالي الرومية.

---

(١) في الأصل: «شعره»، ولعل الصواب: «سفره»؛ ليستقيم المعنى، والله أعلم.

ثم عاد إلى دمشق مسقط رأسه، سنة تسع وتسعين وتسعمائة، وصحبه بها جماعة من أصحابه القدماء وغيرهم.

ومن لطيف ما دار بينه وبين الشيخ حسن البوريني من المذاكرة: أن الشيخ حسن نقل عن الشيخ الطيبي بيته المشهور:

ولا تضفْ شهراً إلى اسمِ شهرِ　　　إلا الذي أولُه الراءُ فادرِ

فمر بهم في المطالعة في حواشي «الكشاف» للسعد: أن إضافة لفظ شهر إلى رجب ممتنع، فقال الطالوي: ينبغي أن يستثنى ذلك مما يقتضيه كلام الطيبي، فقال له البوريني: تفضلوا بنظم، فقال الطالوي:

إلا الأصم فهو فيه ممتنع.

فقال البوريني مجيزاً:

لأنه فيما رووه ما سُمع.

وبهذا علل السعد المنع.

ثم سافر إلى الروم، ولم يزل يحل ويرتحل، ويبرود العز يشتمل، حتى وصل إلى دمشق سنة ثلاث عشرة وألف، متولياً تدريس السليمانية، وإفتاء الحنفية بها، وتوفي يوم الأربعاء، ختام رمضان، سنة أربع عشرة بعد الألف، وصلى عليه بالجامع الأموي إماماً بالناس، المولى نيالي أفندي، قاضي دمشق إذ ذاك، ودفن بمقبرة باب الصغير، عن نحو سبعين سنة.

وبالجملة: فإنه كان غرة جبهة الدهر، وهالة طلعة البدر، شمائله أرق من النسيم، وأنفاسه شفاء كل سقيم، وله شعرٌ بديعٌ رائقٌ، ونثرٌ حسنٌ فائقٌ، ينحو فيه نحو المتنبي والرضي ومهيار، ولا يقصر عن جزالة شعر حسان

وبشـار، وكان إذا مدح، أبدع، وإذا رثى، تفجع، رأيت ديوان أدبه بخطه، فأجلتُ فيه طرف الطرف، فوجدته ظرفاً ملئ من الظرف، ووعاءً اشتمل على اللطف، ونقلت منه ما عز وندر، من غرائب نفائس الدرر.

ثم اطلعت على كتابه «سانحات زي القصر في مطارحات بني العصر»، فرأيت ألفاظـه اللطيفة من المعاني في بحر، وهو كتاب جمع فيه ما دار بينه وبين فضلاء عصره وأدبائه، من المكاتبـات الفائقة، والمراسـلات الرائقة، بالديار الرومية والشامية، والقاهرة المعزية.

وافتتحه بترجمة شيخه أبي الفتح بن عبد السلام المالكي، ونقلت منه ما لذ وطاب، وحسُن عند أهل الخطاب.

فمن فوائده المنظومة، ونوافج مسـكه المختومة، التي تغار منها درر الأسلاك، وتغور لحسنها درراي الأفلاك: ما كتب به من دمشق، إلى صديقه العلامة موسى بن شهاب الدين السيوري الخشابي، وهو مجاورٌ بمكة، سنة سبع وسبعين وتسعمائة، قوله:

سلوا الركبَ عن صبٍّ بأعتابكم مُلْقَى ... وعن مدَمع فيكم مدى الدهر لا يرقى
ولا تـسألوا غيـرَ المطايـا فإنهـا ... تُخَبِّرُكم عن شرح حالي وما ألقـى
ألا فاسألوا عن مغرمٍ كيـف حالُـه ... حليف عنّي يشكو الصبابة والعشقا
يحـنُّ إلـيكم كلُّمـا هبـتِ الـصَّبا ... سُحَيراً ويصبو كلَّما صدحت وَرْقا
ويطرب من ذكرى حبيـبٍ ومنـزلٍ ... وعيشٍ تقضَّى مَعْكُـمُ يانعـاً طَلْقـا
معنىً بكم لو رامَ إظهارَ بعضِ مـا ... يحنُّ[1] من الأشواق لم يستطع نُطْقا

(١) كذا في الأصل، ولعلها: يُجِنُّ.

ومنها:

إذا ما جرى والريحَ في حَلبَة الضَّنَى ... لفـرطِ نحـولٍ مَسَّه أحـرزَ الـسَّبقا
يذوب جوًى حتى إذا عنّ ذكـرُكم ... جرى دمعُه في خده يُخْجل الورقا
أيا نازلي سفحِ المحصَّب من مِنًى ... ويا زائري البيتِ الحـرامِ ألا رِفْقـا
فبـي مـنكمُ داءٌ بقلبـي حبُّـهُ ... وسَوْرَةُ أشجانٍ معي أبـداً تبقـى
أأحبابنَـا إن شـتّتَتْنا يـدُ النـوى ... وأبدتْ صروفُ الدهر فرقتَنَا حَقًّـا
فـإني علـى مـا تعهـدون وحَقِّكـم ... ولم أبـغِ يومـاً مـن ولائِكُـمُ عِتْقـا

ومنها:

سـقى الله أكنـافَ الحجـازِ وأهلَـه ... لقد صرتُ في حكم الغرام لهم رِقًّا
وخَصَّ كرامَ الناس في خيـرِ بلـدةٍ ... وحَيَّا الحَيـا عَنِّـي سـويقةَ والفلقـا
إلهَ الـورى إنـي دعوتُـك ضـارعاً ... بخيرِ الورى المختارِ أفصحِهم نُطْقا
تُجَمِّعُنـا عمَّـا قريـبٍ فإننـا ... أضرَّ بنـا طـولُ البعـاد ومـا نلقـى
عليكم سـلامُ الله مـا هـامَ عاشـقٌ ... وشامَ معنًّى الحزنِ من نحوِكم بَرقْـا

ومنه: ما كتبه إلى قاضي صفد صالح بن محمد الكوراني، سنة خمس وثمانين وتسعمائة، مضمناً شطر مطلع لأبي الطيب:

جوانحُنـا شـوقاً إلـيكمْ جـوانحُ ... وألبابُنَـا تـصبو لكـم والجـوارحُ
ومغناكم مغنىَ الهوى ياشقى الهوى ... وأيامـه غـادٍ مـن المـزن رائـحُ
وخصَّ الصَّبا حيثُ الـشبيبةُ أيكـةٌ ... بأغـصانها وُرْقُ الأمـاني صـوادحُ

وحيثُ الحمى روضٌ لطارح[1] أهلَه		أحاديثَ أشجاني بهم وتطارحُ
معاهدُ أحبابي ومربَى مآربي		وأوطانُ أوطاري إذ العيشُ صالحُ
وإذا مامن حسانة الجيد ناعماً		أغادي الهوى فرطَ الصّبا وأراوحُ
متى ابتسمتْ عن ذي لَمًى قلتُ منشِداً		بأدنى ابتسام منك تحيا القرائحُ

ومنه قوله:

بين سقطِ اللِّوى ومعطفِ بانه		وأثيلاتِ ملتقى كثبانِهْ
ظَبَياتٌ عندَ الطّلا قاصراتُ الطْـ		ـطَرف ترنو بأوطفٍ وسنانِهْ
ناظرات عن نرجسِ الروضِ غَضٍّ		باسماتُ الثغور عن أُقحوانِهْ
مشرقاتُ الوجوهِ أقمارُ حسنٍ		مخجلاتُ البدرِ في عنفوانِهْ
كلُّ خمصانةِ الوشاحِ ثَنَتْهُ		عقدُ درٍّ مفصَّلٌ بجمانِهْ
وبأجيادِها من اللؤلؤ الرطْـ		ـب عقودٌ نُظِمْن في مَرْجانِهْ

وقوله:

قد كساها الشبابُ ديباجَ وَشْيٍ		جلت وردَ الخدودِ من أُرجوانِهْ
فهيَ تهتزُّ فيه حسناً وفي		آخر تحكي الرياض عن ألوانِهْ
ليَ فيهن مائسُ العِطْفِ أَلْمَى		ناعسُ الطرف نَدَّ عن غزلانِهْ
كالقضيبِ الرطبِ يعلوه بدرٌ		فوق دِعْصٍ من الظبا ريّانِهْ
يرتقي حبه الفؤاد بديلاً		عن مرير الأراكِ في أغصانِهْ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أطارحُ.

وقوله:

لا تَسَمْهُ سرحَ اللحاظ وذُدْهُ ... عن حماه واستكفِ وقعَ سنانِهْ
وتجنبْ مراتعَ الظبي واحذرْ ... لفتةَ الريم في مرابعِ بانِهْ
لا تعر نظرةً لساحرِ طرفٍ ... قطُّ يوماً واسألْهُ حفظَ أمانِهْ
قد رماني من بينها ذلك الريـ ... ـمُ بسحرِ اللحاظ من أجفانِهْ
ملكَ القلبَ فهو سلطانُ حسنٍ ... كاملٍ فيه جلَّ عن نقصانِهْ
فقلوبُ العشاق بين يديه ... صِرْنَ مثلَ الكُراتِ في صَوْلجانِهْ

وقوله:

لم يزلْ بي حتى تملَّكَ لُبِّي ... فجفاني ولجَّ في هجرانِهْ
أنا واللهِ هالكٌ من جَفاهُ ... وهو لاهٍ عني برفعةِ شانِهْ
والذي حف يانعاً وردَ خديـ ... ـهِ بآسِ العِذارِ من ريحانِهْ
وأمالَ الرُّضابَ راحاً بثغرٍ ... رصَّعَ الدرّ منه في عِقْيانِهْ
لا أطعتُ الوشاة فيه ولو ... أسرفَ في ظلمِه وفي عدوانِهْ
غيرَ أني أشكو جفاهُ لمولىً ... هو قطبُ الأوانِ سعدُ زمانِهْ
الإمامُ الجليل غوثُ البرايا ... غيثُها المرتجى ندى إحسانِهْ

وقوله:

ناصرُ الحقِّ والشريعة والديـ ... ـن بغربي سنانِه ولسانِهْ
ذو سجايا مثل الرياض سقاها ... وابلُ القطر من ندى هَتَّانِهْ
بحرُ جودٍ له جداولُ عشرٌ ... في يديه تدفقتْ من بَنانِهْ

عــــالمٌ عامــــلٌ تقــــيٌّ نقــــيٌّ   خاشــعٌ للإلـــه فـــي رضــوانِهْ
ســار فــي الخــافقينِ ذكــرُ عــلاه   وعــــلا قـــدرُه علـــى كيوانِـــهْ
فــائضُ العلــم عــن رويــةِ فكــرٍ   كــاد يجلــو ســرَّ القــضا لعيانِــهْ
ثاقــبُ الفهــم كــم خبايــا علــومٍ   قد جلاهــا بالكــشفِ عــن برهانِــهْ
بــسنا منطـــقٍ فـــصاحةِ قُـــسٍّ   عنـــدَه باقـــلٌ لـــدى سَـــحْبانِهْ
فهــو كــشافُ مــشكلاتِ معــانٍ   حلَّـــى ألفاظَـــه بـــديعُ بيانِـــهْ

ومنه قوله:

أيهــا الــسعدُ قــد سـموتِ محــلاً   قــصَّر المــدحُ عــن بلــوغ رعانِــهْ
كيــف يتلــو المقــالُ آيــةَ وصــفٍ   لك جاءت فــي الـذكر مـن قرآنِــهْ
فــإذا قلــت والحــديثُ شــجونٌ   فاستمعْ منــه فيــكَ بعــض حــسانِهْ
أنــت عــينُ الوجــودِ مــن أعيانِــه   بــل محــلُّ الإبــصار مــن إنــسانِهْ
وأرى أنــك المــرادُ مــن الكـــو   نِ وقــصدُ المحــيطِ مــن دورانِــهْ
علـــــمَ اللهُ كيـــــفَ فأعطـــــا   كَ المحــلَّ الجليــلَ مــن ســلطانِهْ
ظلُّـــه الـــوارفُ الظـــلالِ مـــرادُ   الحقِّ مجلِّي الوجــودِ مــن أكوانِــهْ

وقوله:

قـــرن الله ملْكَـــه بـــك ســـعداً   فلكـــاً دائـــراً بـــسعدِ قرانِـــهْ
حطــت أركانــه بحــزمٍ وعــزمٍ   قـــد أقامــا الميّــادَ مــن بُنيانِــهْ
كـــاد لـــولاكَ ركْنـــه يتـــداعى   لا تــداعى وشــدَّتْ مــن أركانِــهْ

ما يـراه أولـو النهـى غيـر جـسمٍ أنــت روحُ الحيــاة فــي جثمانِــهْ
ورآك العبــادُ مــن نعــمِ اللــــ ــــه عليــه وطَوْلِــه وامتنانِــهْ

وقوله:

إيـهِ سـعدَ الـورى لعلـك تـصغي نحـوَ وصّـافِ مـدحِكم حَـسَّانِهْ
عبـدِك الطـالويِّ مـن قيـل فيـه شـاعرُ العـصر بحتـريُّ زمانِـهْ
كـم لـه فيـكَ مـن فرائـدَ غُـرٌّ كالـدراريِّ يُخجلْـن درَّ عُمانِـهْ
مثـلِ سـيارةِ النجـومِ رواةٍ سـرنَ فـي الخـافقينِ مـع ركبانِـهْ
فهي حليُ الزمان فـي جيـده العـا طـلِ بـاقٍ والـشنفُ فـي آذانِـهْ

وقوله:

أنت سـعدُ الـورى ونيرهـا الأعــ ـظمُ والـسرُّ شَـفَّ عـن كتمانِـهْ
عجبَ القومُ من سـناكَ وقـد أشـ ـرقَ هـذا الوجـودُ مـن لمعانِـهْ
وأضـاءَ الأكـوانَ شـرقاً وغربـاً وتـوارى عـن منزلـي ولمعانِـهْ
مـا تـوارى أسـتغفرُ الله ضَـنًّا بـل لحـظ مـا زال فـي حرمانِـهْ

وقوله:

فعسى نظـرةٌ مـن الـسعد تُـدني عـينَ حرمانـه إلـى رحمانِـهْ
دمـتَ للعـالمين سـعدَ البرايـا بـاهرَ الفـضل فـي علـوِّ مكانِـهْ

ومن مشهور شعره وبديعه: القصيدة الرائية، التي كتبها من الديار الرومية، سنة إحدى وألف، إلى دمشق الشام، لا أغبها صوب الغمام، متشوقاً لسكانها

من الفضلاء، وحماة ساحتها من الأمراء، ومشايخها الصوفية الكبراء، وهي قوله:

أنـــسيمةَ الـــروضِ المطيـــرِ بالعهـــد مـــن زمـــن الـــسرورِ
وأنيـــــقِ أيـــــام الـــــشبا بِ وعيـــشه الغـــضِّ النـــضيرِ
ووثيـــــقِ أيـــــام التـــــصا بـــي يـــا لمَعهـــدِها الخطيـــرِ
ومعاهـــــدٍ كـــــان الـــــشبا بُ وشـــرخُه فيهـــا سـمـيري
هومـــتُ فيـــه فـــصاحَ بـــي داعـــي الـــصباحِ المـــستنيرِ
فطفقـــتُ أنظـــرُ منـــه فـــي أعقـــابِ بـــرقِ مـــستنيرِ

وقوله:

قـــد كـــان حـــسانُ المـــرا بـــع فيـــه حـــسانَ البـــدورِ
أيـــامَ غـــصنُ شـــبيبتي ريـــانُ مـــن مـــاء الغـــرورِ
حيـــثُ الـــشبيبة روضـــةٌ غَنّـــاءُ صـــافيةُ الغـــديرِ
. . .[1] رائـــدها المهـــا ةُ الـــرودُ مـــن ريـــمِ الخـــدورِ
مـــن كـــل مخطَفَـــةِ الحـــشا كـــأخي الرشـــا أخـــتِ الغريـــرِ

ومنها:

طلعـــتْ بليـــلِ ذوائـــبِ أبهـــى مـــن القمـــرِ المنيـــرِ
بيـــضاءَ وشّـــحتِ التـــرا ئـــب والنحـــور مـــن الثغـــورِ

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

وكـــسا معاطفهـــا الـــشباب الـــروق حـــسان الحبيـــرِ
تمـــشي أنـــاة الخطـــو فيـــ ـــها روعـــةُ الظبـــيِ النفـــورِ
قويـــتْ علـــى قتلـــي وفـــي ألحاظِهـــا ضـــعفُ الفتـــورِ
وبمـــا جـــرى يـــوم النـــوى مـــن درٍّ مـــدمِعها النثيـــرِ
كالعقـــدِ أســـلمَهُ النظـــا م مـــن الترائـــبِ والنحـــورِ
وبوقفـــة التوديـــعِ والـــ أنفـــاس تـــصعدُ بـــالزفيرِ

ومنها:

ويـــدُ الفـــراق تـــشبُّ فـــي الـــ أحـــشاءِ نيـــرانَ الـــسعيرِ
ألا ســـريتِ مـــع الـــصَّبا يـــا نـــسمةَ الـــروضِ المطيـــرِ
فاجتزتِ من أرض العراق على الخوَرْ نَـــقِ والـــسديرِ
ووقفـــت بـــالزوراءِ وقـــ ـــفةَ زائـــرٍ وفًّـــى مـــزورِ
وحملـــتِ للكـــرخِ التحيْـــ ـــيةَ مـــن أخـــي ســـجنٍ أســـيرِ
ونزلـــتِ مـــن نهـــرِ الأبُلْـــ ـــلَةِ والمـــصراة علـــى شـــفيرِ
وأقمـــتِ فـــي شـــطِّ الفـــرا تِ بملتقـــى العـــذبِ النميـــرِ
وســـمعتِ هينمـــةَ الريـــا ض وصـــوتَ جائـــشةِ الخريـــرِ

ومنها:

وجـــدبت فـــي تلـــك الحـــدا ئـــقِ طـــوقَ ســـاجعة الهـــديرِ
حفـــت بـــسروٍ كالقيـــا نِ تلفعَـــتْ خُـــضْرَ الحريـــرِ
ولثمـــتِ خـــدَّ الـــروضِ فيْـــ ـــه نبـــاتُ ريحـــانٍ طريـــرِ

وثنيـــتِ عطفـــكِ والـــصبا ‏ حُ يكـــادُ يُـــؤذِنُ بالـــسفورِ
وأتيـــتِ بابـــلَ فاصطحبـــ ‏ ـــتِ بمثـــلِ مـــصباحٍ منيـــرِ
يغنيـــك متهمـــةً ومنـــ ‏ ـــجدةً ســـناها عـــن خفيـــرِ

ومنها:

ثـــم انبريـــتِ مـــع الجَنـــو ‏ ب وجِـــذْتِ عـــن مَـــسْرى الـــدَّبورِ
حتـــى نزلـــتِ بـــذي الأرا ‏ كـــةِ أو رثيـــتِ علـــى ثبيـــرِ
فـــسقطتِ مـــن أرض الخـــزا ‏ مـــى والبَـــشام علـــى الخبيـــرِ
وشـــممتِ مـــن طفـــلِ العـــشيْـ ‏ ـــيةِ نفحـــةً عنـــد المـــرورِ
وطلعـــتِ نجـــداً والـــدجى ‏ ينيـــل مـــن أثـــوابِ قيـــرِ

وقوله:

ومـــشيتِ فـــوقَ عـــرارِهِ ‏ مـــا بـــين خـــردانٍ وخيـــرِ
وهبطـــتِ غـــورَ تهامـــةٍ ‏ والـــشهبُ مالـــتْ للغـــويرِ
ونزلـــتِ فـــي ســـفح الأرا ‏ كِ وســـفتِ راهبـــةَ البريـــرِ
وســـلكتِ مـــن وادي العقيـــ ‏ ـــقِ منابـــتَ العمـــمِ الـــشكيرِ
وأملـــتِ فيـــه ذوائـــبَ الـــ ‏ أغـــصان مـــن طلـــحٍ نـــضيرِ
وهـــصرْتِ بانـــاتِ النَّقـــا ‏ هـــصرَ الـــروادفِ للخـــصورِ

ومنها:

فحملـــتِ عنهـــا مـــن غـــوا ‏ لـــي المـــسك فاغمـــة الزهـــورِ

وعبـــرتِ داريـــن العطـــا ... ر وســـمتِ عاليـــةَ العبيـــرِ
وازددتِ مـــن أَرَجِ الكبـــا ... وانثنيـــتِ مـــع البكـــورِ
وجرعـــتِ وادي الـــشَّحْر ليـــ ... ـــلاً ورنـــدَه عنـــد المـــسيرِ
والـصبحُ يخطـرُ فـي الـدجى ... كـالوحيِ يخطـرُ فـي الـضميرِ
والنَّـــسْر فيـــه واقـــعٌ ... خـوفَ الـصباح لـدى الوكـورِ
وكواكـــبُ الجـــوزاء ممـــ ... ـــسكةُ الأعنـــةِ عـــن مـــسيرِ

ومنها:

خافـــت سُـــهيلاً فانتـــضتْ ... ســـيفاً مـــن الـــشعرى العَبـــورِ
والـــنجمُ يهـــوي للغـــرو ... بِ كأنـــه كـــفُّ المـــشيرِ
فهبطـــتُ ربـــعَ الـــشامِ دا ... رِ اللهـــوِ بـــل مغنـــى الـــسرورِ
ونزلـــتُ بـــالوادي المقـَّــدْ ... دَسِ شـــاطياً غيـــر الـــشطيرِ
وخطـــوتُ مـــن بطحـــاءِ وا ... دي النيـــربينِ علـــى الـــصخورِ
ووقفـــتُ فـــي تلـــك الربـــى ... مـــا بـــينَ روضٍ أو غـــديرِ

ومنها:

وقـــرأتُ ســـكانَ القـــصو ... رِ بهـــا الـــسلامَ بـــلا قـــصورِ
لا ســـيما شـــيخِ العلـــو ... مِ مفيـــدِ أربـــابِ الـــصدورِ
شـــمسِ الهدايـــةِ والـــدرا ... يـــةِ شـــيخِ جامعِهـــا الكبيـــرِ
كـــشافِ أســـرارِ الـــبلا ... غـــةِ عمـــدةِ الفـــتحِ القـــديرِ
مُعلـــي منـــارِ الـــشرعِ مغـــ ... ـــني المقتفـــى كنـــز الفقيـــرِ

ومنها:

ورئيـــسِها قاضـــي جمـــا ... عتهـا المحكَّـمِ فـي الأمـورِ
الفاضـــلِ اللـــسنِ المفـــوْ ... وَهِ والمنـــزَّهِ عـــن نظيـــرِ
أعنـــي بـــه القاضـــي محبْـــ ... ـــبَ الـدينِ ذا الـرأيِ المنيـرِ
مـــــولًى أراعَ براعـــــةً ... قلـبَ الطـروسِ مـع الـسطورِ
ببـــديعِ وشـــيِ محجـــلٍ ... وشـــيَ البـديعِ أو الحريـــري
وأبـــي الـــضيا حـــسنٍ ... خليفـة الفـضلِ والأدبِ الغزيـرِ

ومنها:

عجبـــاً لـــه فـــاق الأوا ... ئـلَ وهـو فـي الـزمنِ الأخيـرِ
أدبٌ يروقُـــك مثـــل زهـــ ... ـرِ الـروضِ غِـبَّ حَيًّـا مَطيـرِ
وجنـابِ سـامي القـدرِ عبـ ... ـدِ الحـيِّ ذي الفـضلِ الـشهيرِ
والأكرمـــــيِّ الأريحيْـــــ ... ـيِ الألمعـيِّ أبـي الـسرور
ومـــــشيِّدِي أركانِهـــــا ... أمـــراءِ معلَمِهـــا الخطيـــرِ

ومنها:

مـــنهم جنـــابُ الطـــالويْ ... يِ سـليلِ أرتـقَ ذي الـسريرِ
فـي الـسلم كالغيـثِ المطيـ ... ـرِ والحـربِ كالليـثِ الهـصورِ
محيـــي مكـــارمِ حـــاتمٍ ... بـين الأنـامِ بـلا نكيـرِ
وعلـــيٌّ المـــصريُّ كهـــ ... ـفِ الجـود أمـنِ المـستجيرِ
والمنجكـــيُّ محمـــد الـــسْـ ... ـسَامي علـى الفلـكِ الأثيـرِ

ومنها:

فهـــو الأميـــرُ ابـــنُ الأميـــ ـــرِ ابـــنُ الأميـــرِ ابـــنُ الأميـــرِ
وشـــيوخِها البـــدلاءِ أهـــ ـــلِ الكـــشفِ حقّـــاً والحـــضورِ
وأئمـــةِ العرفـــانِ منـــ ـــهم شـــيخنُا موســـى الـــسُّيور
والـــشيخُ ناصـــرُ عـــامرُ الـــ أوقـــات بالـــذكرِ الجَهيـــرِ
ذكـــرتْهم الأنـــواءُ ذكـــ ـــرى بالعـــشايا والبُكـــورِ
وكـــساهمُ خلـــعَ الـــشبا بِ الـــروقِ مقتبـــلُ الـــدهورِ

وهي عروض قصيدة الرضيِّ التي أولها:

نطـــق اللـــسانُ عـــن الـــضمير والبـــشرُ عنـــوانُ الـــسرورِ

وعروض قصيدة المنخّل؛ كما في «حماسة أبي تمام»، التي مطلعها:

إن كنـــتِ عـــاذلتي فـــسيري نحـــوَ الحجـــازِ ولا تجـــوري

ولإبراهيم بن المدبر قصيدةٌ على هذا الرويِّ، في مدح المتوكل:

يـــومٌ أتانـــا بالـــسرور والحمـــــدُ لله الكبيـــــرِ
أخلـــصتُ فيـــه شـــكرَهُ ووفيـــتُ فيـــه بالنـــذورِ

منها:

البـــدرُ ينطـــق بيننـــا أم جعفـــرٌ فـــوق الـــسريرِ
فـــإذا تـــواترتِ العطـــا ئـــمُ كنـــتَ منقطـــعَ النظيـــر

وللأديب العلامة عبد البر بن عبد القادر الفيومي، صاحب كتاب «منتزه

العيون والألباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب» قصيدة على هذا البحر، مطلعها:

يــا روضـــةَ الــسفحِ الخـــضيرِ هــل فيــكِ مــن غــصنٍ نَــضيرِ

ومن شعره يذكر جامعَ يلبغا، تحت قلعة دمشق الشام، وهو من محاسنها، والقصيدة في نفس الأمر مدح لدمشق، ويرثي شيخه أبا الفتح المالكي:

ألمـمْ بـساحةِ يلبغـا مهمـا انبـرَتْ منـك الهمـومُ ومـلْ إلـى شِـبَّاكِهِ
واستجلِ روضاً مـن سـماءِ زمـردٍ طلعتْ نجـومُ الزهـر فـي أفلاكـهِ
ينـسابُ فيـه كـالمجرة جـدولٌ حـصباؤه كالـدرِّ فــي أســلاكِهِ
حاكتْ له الأنوارُ مـن حُلِـلِ البهـا وشـياً يحـار الطـرفُ فـي إدراكِـهِ
ورسا النسيم بساحتيهِ كمـا رسـتْ طيـرٌ قـديمُ الـشجوِ فـوقَ أراكِـهِ

ومنها:

مـا بـين شُـحرورٍ كراهـبٍ بِيَعـةٍ قـد رتـبَ الإنجيـلُ فـي أحلاكِـهِ
وغنـاءِ قمـريٍّ وسـجعِ حمامـةٍ ورجيــع ســنٍّ مولــع بــشباكِهِ
وخريـرِ نهـرٍ مـن لجـينٍ مـاؤه ذهبُ الأصيل جرى خلالَ حباكِـهِ
ذو شـاطئٍ لـو قـد رأى رقراقَـه نهـرُ الأُبُلَّـةِ فـاضَ وسـطَ نباكِـهِ
حفَّـت بـوادرُ بأسـه أرجـاءه حتـى ثـوتْ منـه مكـانَ مـساكِهِ
يسقون فيـه علـى التـصابي قهـوةً كالمنـدَلِ الـشحريِّ غـبَّ مذاكِـهِ
من كفٍّ ساجي الطرفِ مهما أن رنا أسـرَ الفـؤادَ فعـادَ فـي أشـراكِهِ
ولكمْ جلوتُ به الهمومَ وصُحبتي شيخٌ علـومُ الـشرع تحـت مِلاكِـهِ

ومنها:

كانت على الأيام منه بهجةٌ ونضارةٌ بقيت بُعيدَ هلاكه

فسقى إلهُ العرشِ تُرباً غيثُ تلكَ العلومَ ببدر نو أسماكِهِ

وغدتْ تحايا الربِّ كل عشيةٍ تُهدى إليه على يدي أملاكِهِ

وله من قصيدة وهو بالروم يتشوق لوطنه قوله:

على الشامِ منّي كلما هبتِ الصَّبا سلامٌ كنشر الروضِ طابَ له نشرُ

بلادٌ كأنفاس الشَّمولِ شِمالها وتربتُها مسكٌ وحصباؤها دُرُّ

سقاها وحَيَّاها الإلهُ معاهداً سحابَ دنو العهدِ وافى به البشرُ

فيا حبَّها زدْني جَوًى كلَّ ليلة ويا سلوةَ الأيامِ موعدُك الحشرُ

وله يستدعي بعض أصدقائه إلى منتزه، في بعض الأيام:

قد غازلَ النسرينُ لحظَ النرجسِ في مجلسٍ سُقي الحيا من مجلسِ

يرنو إليه كما رنتْ من خشية الرْ رَقباءِ غيدٌ عن لحاظِ نُعَّسِ

والوردُ أخجلَه الحيا فكأنه خدٌّ تورَّدَ من لهيبِ تنفُّس

في فتيةٍ نشرتْ حدائق بردها فزهت على زُهْرِ الجواري الكُنَّسِ

ومنها:

دارتْ سُلافُ الذكر منك عليهمُ فغدت تمايَلُ كالغصونِ المُيَّس

ترجو قدومَكَ كي يتمَّ سرورُها وتقرَّ عيناً يا حياةَ الأنفسِ

لا زالَ وردُك يانعاً في روضةٍ وشبابُكَ الفتانُ زاهي الملبسِ

مــا غــردت وُرْقٌ بــأعلى أيكــةٍ ... في روضةٍ كسيت مطارفَ سندسِ

ومما كتبه إلى الشمس الصالحي، معاتباً له عن قولٍ بلغه عنه:

قــسماً بطــرة كــلّ بــدر زاهــرِ ... وبطلعــةِ القمــرِ المنيــرِ الزاهــرِ
وبفترةِ الأجفانِ ترشق في الحشا ... سُـهمَ المنيـة عـن لحـاظِ جـآذرِ
وبكــلِّ هيفــاءِ القــوامِ إذا بــدتْ ... أزرَتْ بحوطِ نقا الريـاض الناضـرِ
من كل خَوْدٍ وازنت شمسَ الضحى ... غيــداءَ تهــزأ بــالغزالِ النــافرِ
ريّــا المُخَلْخَــلِ ذاتِ قَــدٍّ نــاعم ... غرثـى وشـاحٍ ذاتِ طـرفٍ فـاترِ
رُعبوَبـةٍ تختـال مـن مَـرَحِ الـصَّبا ... كخميلـةٍ بــالروضِ ذاتِ أزاهــرِ
لا بــل بعــزمٍ كالحــسامِ البــاترِ ... وبثبــتِ عــزمٍ للأعــادي قــاهرِ

ومنها:

وبهمـةٍ هـامَ المجـرةِ قـد علـتْ ... فسمتْ على سرِّ السماك الظـاهرِ
وبطـارفِ الـشرفِ الرفيـعِ محلـه ... وبتالـدِ الحـسبِ المنيـعِ الطـاهرِ
لأنَا الكميُّ الثبـتُ فـي الهيجـا إذا ... شـنَّت لـي الحـسادُ غـارةَ ثـائرِ
مِن كلِّ مَن لـم أرضَـهُ خِـلاً ولـم ... أعــدُدْهُ يومــاً مــن سَـراة منـابرِ
أسدٌ علـيَّ وفـي الحـروبِ نَعامـةٌ ... فَتْخـاءُ تنفِـر مـن صَـفيرِ الـصافرِ
زعــمَ العــدوُّ بــأنني متنحّــلٌ ... مــا قلتُــه يــا ويحَــهُ مــن جـائرِ

ومنها:

إن شئتُ وشَّيْتُ القريضَ بمدحِـه ... ووصــــفتُه ونعتُّــــه بمــــآثرِ

مـن كـلِّ قافيـةٍ إذا مـا أُنـشدَتْ   تركتْ جريـراً فـي العديـدِ الآخِـرِ
حتـى يـرى أنـي امـرؤٌ مـن إمـرةٍ   شادوا المعالي فـي الزمـانِ الغـابرِ
لكـن لـي جرثومـةً قـد أسـبلت   ذيـلَ الوفـاء علـى الزمـانِ الغـادرِ

ومنها:

يـا فاضـلاً قـادتَ لنـا أفكـارُه   غررَ المعاني فـي النسيب البـاهرِ
حلَّيْتَ جيـدَ الـدهر عقـدَ فرائـدٍ   وكـسيتَه وشـيَ الثنـاءِ الفـاخرِ
بقائـدٍ طنانـةٍ مـا غـادرتْ   لبنـي القطيعـة مـن عَجـاج ثـائرِ
خُذْها إليـك أرقَّ مـن مـرّ الـصَّبا   سـحراً وألطـفَ مـن خيـالٍ زائـرِ
تعدو على سَحْبانَ تـسحبُ ذيلَهـا   وتجرُّ مِـرْطَ اللهـو فـوقَ الحـاجرِ
وكـنِ الـضنينَ بهـا فـإنَّ محلَّهـا   بمكـانِ أسـودِ نـاظرٍ مـن نـاظري
لا زلـتَ ربعـاً بالفـضائل عـامراً   تُنشي قريضَ الـشعر بـين معاشـرِ
مـا نـاح قُمـريٌّ بـروضٍ زاهـرٍ   وغـدتْ تجاوبـه حمامـةُ حـاجرِ

فأجابه الصالحي بقوله:

أسـماءُ زهـر أم ريـاضُ أزاهـرِ   سحبتْ عليها الذيلَ نـسمةُ حـاجرِ
مبلولـةُ الأذيـالِ تـستبدي شـذا   دارَيـن نـشراً مـن عبيـرِ عـاطرِ
أم درةٌ مكنونـةٌ مـا ثَقَبـتْ   أصـدافَها فكـرُ الـذكيِّ المـاهرِ
أم بنـتُ فكـرٍ بالحيـاءِ تلفعـتْ   وأتـتْ تهـزُّ الـردفَ تحـتَ مـآزرِ

منه:

مـذ غـازَلتنْي مـن جفـونِ نـواظرٍ   ونـضَتْ نقابـاً عـن جبـينٍ زاهـرِ

غَضَّيْتُ طرفي خوفَ بارقِ ثغرِها ... مـن أن يمـرَّ كلمـحِ لحـظٍ بـاهرِ
سـايرتُها والـنجمُ فـي آفاقِهـا ... يرنـو بطـرفٍ للنـديمِ الـسامرِ
وتلـت حـديثاً كالأمـانِ لخـائفٍ ... وألـذَّ مـن غَفَـلاتِ عـينِ الساهرِ

وقال:

أكـرمْ بهـا مـن غـادةٍ فتانـةٍ ... لو لـم تـشبْ ودِّي بـصدٍّ الهـاجرِ
فطمتْ ولائي والمعـارفُ نُكِّـرت ... يـا فـاطمَ الـذكرى لعاهـدِ غـابرِ
وأتـتْ تعرِّفُنـا بـأن مقالَهـا ... فـوقَ الـسماك وفـوقَ نـسرٍ طائرِ
وتقولُ نظمي فوقَ نظمِ الحـاجري ... وكـذا جريـرٌ فـي العديـدِ الآخـرِ
شـاهدتُها فالرعـدُ فـي أرجائهـا ... يحـدو فخـاراً كالـسَّخاءِ البـاهرِ
والبـرقُ منـي حـين قابـلَ رعـدَها ... أندى انسياباً مـن حـديثِ الفـاخرِ
واريـتَ تـضميناً لبيـتٍ سـائرٍ ... ففهمت معنى مـن صـفيرِ الـصافرِ

وقال:

من ذا يبارز فـي الحـروب غزالـةً ... فافهمْ أخي كحسنِ قـصدِ الـشاعرِ
ما[1] راعني فـي الـنظم إلا قولُهـا ... شَـنَّتْ لـيَ الحـسادُ غـارةَ ثـائرِ
يا ليتَ شِـعري والحـوادثُ جمـةٌ ... والـدهرُ يُبـدي كـلَّ أمـرٍ نـادرِ
ماذا ترى الحـسادُ حتـى يحـسدوا ... ابـنَ الـسراةِ المنتمـينَ لكـابرِ

---

(١) في الأصل: فما، الصواب ما أثبت؛ ليستقيم الوزن.

تَعِس الذي يرجو الوفا من آمرٍ   أَوَ ما رأى فلكَ الزمانِ الدائرِ
فدعِ التفاخرَ والقريضَ لمعشرٍ   إن سُوجلوا أو فُوخروا بمفاخرِ
برقَتْ غمائُمهم لغيثٍ ماطرٍ   وروى عطاؤهم الندى عن جابرِ
لكن هذا النظمَ يصلح للذي   خطَّ القصائدَ في بطون دفاترِ

ومنها:

وأرى مصاريعاً بخطك علقتْ   فأذاعَ هذا القول بين عشائر
غيري جنى وأنا المعذَّبُ فيكُم   هذا لعمري حكُم خصمٍ جائرِ
يا هذه لا تحسبي هذا الجفا   مما يكدر موردي ومصادري
أنتَ العُذيب وإن مضى ذاك النقا   وتبدلَتْ غزلانُه بقنابرِ
وسكنتَ عندي في سوادِ الناظرِ   وحللتَ مني في سُوَيدا خاطري

ومنها:

يا فاضلاً سحَّتْ سحابُ بَنانه   ببديعِ نظمٍ كالعبابِ الزاخرِ
خذْها إليكَ ونظمها في ليلةٍ   تُبدي قصوراً من ضعيفٍ قاصرِ
كالسيفِ يضحكُ والحتوفُ بحدِّه   ويلينُ هَزّاً في يمينِ الباترِ
لا زلتِ أُفْقاً بالدراريَ نيِّراً   يهدي السبيلَ لجائرٍ ولحايرِ
ما اعتلَّتِ النسماتُ من نوماتها   ورقى خطيبُ الورقِ عودَ منابرِ
ثمَّ الصلاةُ على النبيِّ وآلهِ   أهلِ المفاخر والنِّجارِ الطاهرِ
ما غنَّتِ العشاقُ في ركبٍ وما   قصدَ الحجازَ وحنَّ قلبُ الذاكرِ

[٣٩٤] أحمد بن أحمد الكردي صائم الدهر(١).

نزيل دمشق، ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان من جماعة الشهاب أحمد الغزي، وقرأ عليه كثيراً، ثم قرأ الفقه بعده على جماعات، منهم: أحمد العيثاوي، ولازمه كثيراً، وقرأ على الشمس محمد الميداني.

وكان مجاوراً بالجامع الأموي، ملازماً لقراءة القرآن، متعبداً شديد الورع، متجرداً عن الدنيا والنساء، قال النجم: حكى لي: أنه اقتات بمكة ثلاثة أيامٍ بماء زمزم، واستغنى به عن غيره، قال: فعرض علي بعض الناس قطعة خبزٍ، فأكلتها، فذهبت عني تلك الخاصيّة.

وقطن بدمشق أكثر من أربعين سنة، وهو على خيرٍ وفي خيرٍ، إلى أن توفي يوم الثلاثاء، سابع جمادى الأولى، سنة أربع عشرة بعد الألف، ودفن بمرج الدحداح، خارج باب الفراديس ـ رحمه الله ـ.

[٣٩٥] الملا محمد بن أحمد البغدادي الشافعي ثم الحنفي(٢).

قال النجم الغزي في «الذيل»: قدم دمشق فيما أخبرني شيخنا أحمد العيثاوي، في سنة سبع وسبعين ـ بتقديم السين فيهما ـ وتسعمائة، فحضر درس شيخ الإسلام الوالد، ولازم إسماعيل النابلسي، وقرأ فقه الشافعية، ثم تحنف.

---

(١) جاء في الحاشية: «لعله محمد بن أحمد».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٩١) (٦٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣١)، وسماه: محمد بن عبد الملك.

وكان مجاوراً بالمدرسة العزيزية، بجوار الكلاسة، بالقرب من الجامع الأموي، وكان قديماً من جماعة الملا مصلح الدين الراوي، ثم لما عمر جامع الدرويشية بدمشق، صار فيها مدرساً حنفياً، ثم ولي وظائف أخرى، وأثرى، وصار من رؤساء دمشق.

وكان علامةً في المنطق والبيان، والكلام والهيئة، مشاركاً في العربية والفقه، وكان يحضر دروسه أفاضل دمشق، وكان ضيق العبارة، حسن التحرير.

توفي ليلة الاثنين، عشرين شعبان، سنة ست عشرة بعد الألف، ودفن شمالي مرج الدحداح في أقصاها عن بضع وستين سنة ـ رحمه الله ـ[1].

[٣٩٦] أحمد بن أحمد بن علي القاضي شمس الدين المغربي الدمشقي المالكي[2].

قال النجم الغزي: قرأ القرآن العظيم على شيخنا يحيى العمادي، وكان يثني عليه، وكان يحفظ القرآن، حسن الصوت، وأخذ الفقه عن القاضي علاء الدين البعلي المالكي، عُرف بابن المرحل، وسافر إلى مصر، وأخذ عن علمائها؛ كالبنوفري، وغيره، وحج وجاور، وقرأ على أفاضل مكة، وقرأ بدمشق في العلوم على إسماعيل النابلسي الشافعي، وعلى رفيقه العماد الحنفي، وعلى الشمس بن المنقار.

---

(١) جاء في الحاشية: «أو يكون محل هذه الترجمة فيما قبل».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٩٥) (٢٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥٣).

وناب بمحكمة قناة العوني، ثم بالباب عن شيخه القاضي علاء الدين، وكان يدرس بالأموي، ويفتي، واستقرت له الفتوى منفرداً بعد شيخه المذكور، وكانت سيرته في القضاء حسنةً، وكانت له معرفةٌ تامةٌ بالعربية، وغيرها من العلوم الأدبية، وله حسن معاشرة.

ولما دخلت السليمانية إلى دمشق، في وقعة ابن جانبولاد، دخلوا عليه وهو مريض ببيته، بحارة قصر حجاج، خارج باب الجابية، وانتهبوه وأهانوه، فـزاد مرضـه، إلى أن مـات يوم الخميـس، ثامن عشـر ربيـع الأول، سـنة سـت عشـرة بعد الألف، وصلى عليه شيخنا أحمد العيثاوي، إماماً بالناس بالسـبيانية، خارج باب الجابيـة، ودفن بباب الصغير، وممن أخذ عنه، وبه تخرج، محمد بن أحمد بن الفرفور ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٣٩٧] أحمد بن أحمد المعروف بالعيشي.

أحد علماء الروم الكبار، اختصر «الصحاح في اللغة»، وهو نافع، وأفيدُ من «مختار الصحاح» للرازي، غير أنه غير مشهور، وله: «مختصر الطريقة والحقيقة»، توفي سنة عشر وألف.

[٣٩٨] أحمد أبو عبدالله بن أحمد، الشهير بابن الوحِي الرومي.

كان بحراً فياضاً في العلوم، خصوصاً فنون العربية، مفنناً في غيرها، عظيم الجاه، موفور النعمة، كريم الأخلاق، حسن السيرة، وجده علي بيك المذكور في «تذكرة الشعراء»، ومطلع شمس وجودهم بلدة أزنيق، وبها ولد المترجم، سنة تسعمائة وأربعين.

وقرأ فنون العلوم، وأخذ الطريق وأكمله على بعض مشايخها، ثم جلس

على سجادة الذكر والوعظ، إلى أن مات وُسنَه أفندي، سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة، وكان محدث دار الحديث، المنسوبة لوالدة السلطان، بمدينة أسكدار، فأعطيت له، مع وعظ الجامع المنسوب إليها أيضاً.

ولم يزل على ذلك، حتى توفي سنة ثمان عشرة وألف، ومن آثاره الجليلة: «شرح مغني اللبيب لابن هشام» في مجلدين، وهو شرحٌ مفيدٌ حافلٌ، يدل على سعة اطلاعه، وطُول طَوله وباعه، وله على تفسير البيضاوي تعليقات لطيفة، وغير ذلك ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٩٩] أحمد بن أحمد بن إدريس الحلبي، ثم الدمشقي الحنفي، المعروف بابن قلاق سيز، وهي لفظةٌ تركيةٌ معناها: مقطوع الأذن[1].

مولده بحلب، سنة ست وثلاثين وتسعمائة، في خامس وعشري ربيع الأول، وقرأ بها على ابن الحنبلي، الأصولَ والفقه والحديث، وعلى الملا أحمد القزويني، في المعاني والبيان والتفسير، وأخذ الفقه أيضاً عن البهنسي، والحديث أيضاً عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وقرأ «صحيح البخاري» على النسفي، والفرائض عن عبد الوهاب الحلقي، والقراءات عن الطيبي، والمنطق عن الملا إبراهيم الكردي القزويني الحلبي.

وكان يحب العزلة والانجماع عن الناس، ملازماً للاشتغال بالعلم، وتفقه عليه كثير، منهم: ولده أحمد، ومات في حدود إحدى وعشرين بعد الألف.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٨٨ (٢٤))، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٥)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ١٨٦) (٩٤٩).

[٤٠٠] أحمد بن أحمد البيطار[1].

إمام مسجد منجك بمحلة القصب، كان من الفضلاء المشهورين، وهو آخر طلبة العلامة شهاب الدين الطيبي، وكان مقرئاً مجوداً، قليل الحظ في الدنيا، توفي ليلة السبت، عشري محرم، سنة إحدى وعشرين بعد الألف، وقد بلغ من العمر أربعاً وثمانين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٠١] أحمد بن أحمد القَرَماني.

أحد علماء الروم المشهورين، له «حاشية على الدرر والغرر» في فقه الحنفية، توفي سنة إحدى وعشرين وألف.

[٤٠٢] أحمد بن أحمد الصلتي الحنفي[2].

إمام الدرويشية خارج دمشق، كان من تلامذة الشيخ حسن البوريني، الملازمين له، حتى إنه تعلم منه الفارسية، وكانا يتكلمان بها في المجالس، وكان فاضلاً عالماً عاقلاً، عليه سكينةٌ ووقارٌ، توفي يوم الثلاثاء، تاسع عشر محرم، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٠٣] أحمد كمال الدين بن أحمد طاش كبري الرومي الحنفي[3].

عالمٌ كبيرٌ شاع فضله في الآفاق، ووقع على فضله وكماله الاتفاق، كان

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٩٩) (٦٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٩٤).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٩٨) (٢٩).

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٠١) (١٥٥) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨).

طوداً راسخاً في فنون العلوم، لا يكاد يوجد له ضريب بين موالي الروم، سيما في علم الفقه والعربية والبيان.

وبلغ في الرياسة والعزة، ونفوذ الكلمة، ما لم تبلغه أقرانه، وكان ذا مروءةٍ وإحسان، وتواضع في رفعة بغير امتنان، حسنة من حسنات الزمان، حليفاً للسنة والقرآن، يخشى الله كأنه يراه، ولا يداري في دين الله.

ولي قضاء دمشق سنة خمس وألف، وسار فيها أحسن سيرة؛ من العفة وصفاء السريرة، وحل من أهلها محل الروح من الجسد، ولم يشك منه أحد، ثم تقلد في المناصب العلية، بالديار الرومية، فولي قضاء العسكر الأناطولي مرتين، وقضاء العسكر الروم ايلي ثلاث مرات.

وكان ـ مع ذلك ـ ملازماً للاشتغال بالعلوم النافعة، والكد في إقرائها، وألف مؤلفات كثيرةً نافعةً، منها: كتاب «عمدة أرباب البداية والنهاية في تحرير مسائل الهداية»، وجمع جميع ما فيه المسائل، وجردها من الدلائل، وأورد نبذةً من الشروح المحتاج إليه في حلها، وأهداه إلى السلطان أحمد بن عثمان خان، أكمل تحريره في جمادى الآخر سنة أربع وعشرين وألف، وقال في ذلك:

أحمدُ اللهَ الذي من فضلِه ... تمَّ هذا الجمعُ لي والانتخابْ

قد بذلتُ الجهدَ في تحريرِه ... وتحريتُ له محضَ اللبابْ

غررُ الفقهِ غدتْ سافرةً ... فيه حتى ما عليها من نقابْ

فاجعلِ اللهمَّ سعيي خالصاً ... لك مشكوراً إذا قام الحسابْ

واكسُه ثوبيَ قبولٍ ورضًا ... من أُولي الفضل وأصحاب الثوابْ

إن تــــرمْ تـــاريخَ إتمـــامِ لـــه كـاملاً أرخـه (قـل تـم الكتـابْ)

توفي بالقسطنطينية سنة ثلاثين وألف، وأرخ وفاته العلامة إبراهيم بن عبد الرحمن العمادي بقوله:

ألا إنمـا الـدنيا غـرور نعيمُهـا ينغِّـصه تكـديرُها وزوالُهـا
قضى اللهُ للمولى الكمال بأن قـضى فأرخ (ديارُ الـروم مـات كمالُهـا)

[٤٠٤] أحمد بن أحمد المَرْداوي، نسبة إلى مردا، من قرى نابلس الحنبلي[1].

نزيل مصر، شيخ الحنابلة في عصره بالديار المصرية، أخذ عن التقي الفتوحي، وعن عبدالله الشنشوري الفرضي، وغيرهما، وعنه كثير، منهم: مرعي المقدسي، وعثمان الفتوحي، ومنصور البهوتي الحنبليون، وممن أخذ عنه الحديث وعلوم العربية: الشمس محمد الشوبري، وأخوه الشهاب أحمد، وشيخنا سلطان المزاحي.

توفي بمصر، سنة ست وعشرين وألف، ودفن بتربة المجاورين، بالقرب من السراج الهندي ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان من المنتصرين لشيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي، غير مُسَلِّم لشيخ الإسلام الشهاب ابن حجر الهيتمي ما قاله فيه من الضلال والإضلال، ويقول: إن جميع ما نقل عنه من المقالات الشنيعة مكذوبٌ ومفترى عليه، وسمعت أن شيخنا سلطان كان يميل إلى قول المترجم، والله أعلم.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٦).

[٤٠٥] أحمد بن أحمد المنوفي المكي[1].

قال صاحب «السلافة»: إمام الأئمة الشافعية، ورب الفطنة الألمعية، ملك للعلوم زماماً، وتقدم في مقام الفضل إماماً، مولده بمكة، وبها نشأ وترعرع، وبرع في جميع العلوم، ثم رحل منها إلى الروم، وبلغ من المناصب ما يروم، فلما عاد إلى وطنه، نصبت له المنون أشراكها في طريقه، وأغصَّته إذا أساغت له أمانيه بريقه، فتوفي بدمشق عام أربع وأربعين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

عتبت على دهري بأفعاله التي ... أضاقَ بها صدري وأضنى بها جسمي

فقالت ألم تعلم بأن حوادثي ... إذا أشكلتْ ردَّت إلى من كان ذا علم

وسئل وهو بدمشق عن التجُّشي، هل ينبغي بعده الحمد؛ من حيث إن الشبع نعمةٌ مباحةٌ، أو الاستغفار؛ لأنه نشأ عن خلاف الأولى، وهو الشبع؟ فأجاب على البديهة، بأنه يجمع بينهما، فيحمد الله اعتبارا بالنعمة، ويستغفره لسوء أدبه في أكله. انتهى.

قلت: ولم أر في كتب أئمتنا الشافعية التصريح بهذه المسألة، بعد التتبع، ثم وقفت عليه في بعض كتب المالكية، فذكر مثله، وزاد: أنه يخفي المتجشئ صوته ما أمكنه. انتهى.

وفي «القاموس»: التجشؤ: تنفس المعدة؛ كالتجشية، والاسم كهُمَزَة. انتهى. أي: جُشَأَة.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٧٢) (٢٩٣)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٢٤).

[٤٠٦] أحمد بن أحمد الروحي السَّفطي؛ نسبة إلى محلة روح، وسفْط القدور بقرب المحلة الكبرى، بغربية مصر، المالكي.

الشيخ الإمام، العارف بالله، والدال عليه، قطب الناسكين، وأجل العلماء العاملين، أخذ عن محمد بن سلامة البنوفري، وعبد القدوس الشناوي، وشرف الدين الروحي، وغيرهم، وكان معظماً عند علماء عصره، ولذلك كان العلامة النور الأجهوري يجله، ويزوره كثيراً، ويسأله الدعاء، وكان ـ نفع الله به ـ كريم النفس، ينفق جميع ما يحصل له من الفتوحات على زائريه، **وكثيراً ما ينشد:**

إذا المرءُ وافى منزلاً قاصداً ... إليك ودلَّته عليكَ المسالكُ
فكن باسماً في وجهه متهلِّلاً ... وقلْ مرحباً أهلاً قدومٌ مبارَكُ
وقدِّم إليه ما نويتَ من القِرى ... عجولاً ولا تبخلْ بما هو هالِك
فقد قيلَ في الأمثال بيتٌ مصدَّقٌ ... تداولَه زيدٌ وعمرٌو ومالِكُ
بشاشةُ وجهِ المرء خيرٌ من القِرى ... فكيف إذا جاء بالقِرى وهو ضاحكُ

وذكر عنده بعض أصحابه رجلاً كان يتجاهر بالمعاصي، وكان يتردد إليه، فملس يده على وجهه، وقال: بأبي وجهٌ لا يفلحُ أبداً، **قال الشاعر:**

فإذا رأى إبليسُ غرةً وجهه ... حَيَّا وقال فَديتُ من لا يفلحُ

فكان سبباً لتوبته، ورجوعه إلى حال حسنة. **توفي في نيف وأربعين وألف.**

[٤٠٧] أحمد أبو عبدالله بن أحمد الفجيري القَصْري المغربي المالكي.

كان صاحب حالٍ عظيم، ومقامٍ جسيم، وكراماتٍ كثيرة، وأحوالٍ

خارقة شهيرة، أخذ عن أبي محمد عبدالله بن حسُّون السلاسي، **وتوفي** سنة أربع وأربعين وألف.

[٤٠٨] أحمد بن أحمد المعروف بابن النيشانجي الرومي[١].

عالمٌ كبيرٌ مشهور، قرأ بالروم حتى برع وفاق أقرانه، وألف ترتيب جامع الفصولين في فقه الحنفية، تصرف فيه بزيادة ونقص، وإبرام ونقض، وسماه: «نور العين في إصلاح جامع الفصولين»، وهو من أنفع الكتب وأجمعها لمسائل الدعاوى لمن ابتلي بالقضاء، **توفي** سنة إحدى وثلاثين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٠٩] أحمد بن أحمد الشرانسي.

أحد كبار المحققين في العلوم العقلية، له في الروم شهرة تامة، ومؤلفات مفيدة، منها: «حاشيته على جزء النبأ من تفسير البيضاوي»، و«شرح على الرسالة العضدية الوصفية»، **توفي** سنة إحدى وثلاثين وألف.

[٤١٠] أحمد أبو عبدالله بن أحمد الحنَّان الغرناطي المدحي[٢].

كان إماماً فقيهاً، متبحراً في العلوم الدينية، متبعاً للسنة النبوية، مظهراً للحقائق الربانية، والمواهب الرحمانية، لاحت أنواره، وعظمت آثاره، وأكثرُ أهل المغرب الأقصى من أهل فاس وغيرهم أخذَ عنه؛ لاشتغاله بالأهم فالأهم من العلوم، إلى ما حواه من العلم اللدني، والحلم والصبر على الطلبة، والاهتمام بتفهيمهم، مع ملازمة الصيام والقيام، واشتغاله بعد قراءة العلم

---

(١) «هدية العارفين» (٢/ ٢٧٢)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨).

(٢) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٣٦٧).

بقراءة القرآن، وذكر الله على الدوام، والصلاة على سيدنا محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ.

ولد سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وأخذ عن ابن مَجْبَر، والقدومي، والبدري، والسراج، والحميدي، والمنجور، وعنه كثير من العلماء؛ كالشيخ أحمد بن عمران، والشيخ عبد القادر الفاسيين، وقاضي فاس محمد بن سودة، وغيرهم.

وطال عمره، وبارك الله له في أوقاته، وألف التآليف النافعة، ولم يزل معمَّراً ظاهرَه وباطنه، ممتَّعاً بحواسه، حتى توفي آخر ذي الحجة، سنة خمسين وألف بفاس ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤١١] أحمد بن أحمد الشويري، نسبةً إلى شَوْبَر؛ ككوثر: قريةٌ بمصر[١].

شيخ الإسلام، وعلامة الأنام، وحامل لواء الإمام الشافعي المُطَّلبي على كاهله، والراقم له تحريراً بأنامله، وصدر الشافعية بالديار المصرية، ومفرد الإفتاء والتدريس، بالجامع الأزهر في كل علم نفيس، الذي اشتهر ذكره في الممالك الإسلامية، وحظي في عصره في الفقه حظوةً لم يحظها أحد من الشافعية؛ بحيث إن جميعهم كان يرجع إليه في المسائل المعضلة، والعبارات المشكلة الفقهية، وجلالته في بقية العلوم المتداولة أشهرُ من نار على علم، وكان يلقب بالشافعي الصغير؛ لما حواه من العلم الكبير.

أخذ عن شيخ الشافعية الشمس محمد بن أحمد الرملي، ولازمه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٨٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١١).

سنين، وقرأ عليه: «البهجة» قراءةَ بحث وتدقيق، وأجازه بالإفتاء والتدريس وبجميع مروياته سنة ألف، وجرد حواشي «شرح الروض» للشهاب الرملي سنة خمس عشرة وألف، وكان ملازماً للشيخ عبد المنعم الطائفي، والفهامة الشيخ منصور سبطِ الشيخ ناصر الدين الطبلاوي، والعلامة الرباني النور علي الزيادي، وبه تفقه، والقدوةِ الشيخ صالح البلقيني، والعلامة البرهان إبراهيم العلقمي، وغيرهم، وأجازه غالب شيوخه، وشهدوا له بالفضل التام، واشتهر بالعلم والجلالة عند الخاص والعام.

وهو آخر من قرأ بالجامع الأزهر: «شرح الروض»، و«متن العباب»، و«مختصر المزني»، وغيرها من الكتب القديمة، وكان غالب ميله إليها، ومعوّله في المراجعة عليها، وكان ثابت الفهم، دقيق النظر، متثبتاً في النقل، متأدباً مع العلماء، وكان حسن الخلق، عظيم الصورة، طويل القامة، لطيف الخلق، ولا يستطيع أحد أن يملأ نظره منه لهيبته، ملازماً للعبادات، وصنوف الخيرات، معتزلاً عن الناس، إلا في مجلس علم، أو حضور جمعة أو جماعة، غير متردد إلى أحد من الحكام، بل هم يأتون إليه، ويقبلون يديه، وهو لا يعبأ بهم، ويبالغ في نصيحتهم وزجرهم.

روى عنه كثير، منهم: شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي، والمحقق النحرير علي الشبراملسي، والفهامة ياسين بن زين الحمصي.

وأفاد الشيخ عبدالله العياشي المغربي في «رحلته»: أنه أجاز لمن أدرك حياته.

وله مؤلفات، منها: «حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني»، و«حاشية على شرح المنهج»، و«أخرى على شرح التحرير»، و«حاشية على شرح الأربعين

لابن حجر»، وغير ذلك من رسائل عديدة، وأجوبة مفيدة.

وكان **مولده** في حادي وعشري، شهر رمضان، سنة سبع وسبعين وتسعمائة، **ووفاته** فجر ليلة الثلاثاء، سادس وعشري جمادى الأولى، سنة تسع وستين وألف بمصر، بعد أخيه العلامة الشهاب أحمد الشوبري الحنفي بنحو عامين أو ثلاثة، ودفن بتربة السيدة سُكينة، بقرب محلة طيلون ـ رحمه الله تعالى، ونفع به ـ.

نقلت من إجازة كتبها للشيخ العلامة أحمد بن شهاب الدين العجمي المصري ما نصه: وأشترطُ عليه أموراً:

أحدها: أن الإفادة ولا الاستفادة، ما استطاع من الدأب في تحقيق المشكلات، وجميع المآخذ التي بها كمال الانتفاع.

وثانيها: أن يراجع في جوابه عن الحادثة المنقولة، وأن لا يحكم عقله، وأن يعتمد على عدد من النقول.

وثالثها: أن لا يُتبع نفسه هواها، وأن يلزمها تقواها، مع التفكير في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾[طه: ١٣١] الآية. انتهى.

[٤١٢] أحمد بن أحمد بن أبي الفتح بن شمس الدين بن ناصر الدين، الأسطواني الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الحنفي(١).

كان عالماً كبيراً في الفقه والحديث والأصول، متضلعاً من العلوم الشرعية، ورعاً ناسكاً، متقشفاً مخشوشناً، مخلولقاً، كثير العبوس في وجوه

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٦).

الناس؛ لما يكرهه منهم، شديد الإنكار عليهم فيما يخالف الشرع، لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره، مطبوعاً على الالتذاذ بذلك، متحملاً للأذى من الناس بسببه.

وكان من أوحد زمانه في الوعظ، ومن رجال الدهر أدباً وحزماً، وعلماً وفهماً، لطيف الطبع، حسن المحاورة، حلو الإيراد، مليح المفاكهة، بديع الصفات، من أوعية الفضائل، مجموع خير وعلم، متكلمٌ بالحق، ويعمل به، ولا يخاف في الله لومة لائم.

قرأ في بدايته بدمشق على الشمس الميداني، والنجم الغزي، ومن في طبقتهما، ثم رحل إلى القاهرة، فأخذ بها عن البرهان اللقاني، والشمس المحلي، والنور الحلبي، وغيرهم، وبرع حتى فاق أقرانه.

وسافر من مصر من طريق البحر إلى الروم، فأسره النصارى، وبقي في بلادهم مدة، ثم فك من أسره، ومكث بالقسطنطينية دهراً طويلاً، وصار بها واعظاً نبيلاً، وألف بها رسائل باللغة التركية مشهورة نافعة، ثم رجع إلى دمشق، وأقام بها على بث العلم ونشره، والملازمة على التدريس في العلوم النافعة، حتى توفي سنة ثمانين وألف تقريباً، ودفن بباب الصغير، وهو ممن أدركته، وكنت أحضر دروسه وأنا صغير، مع خالي العلامة محمد بن حسين الملا -رحمهم الله تعالى-.

[٤١٣] أحمد بن أحمد بن عمر حَماده الحمادي الشافعي(١).

صاحبنا الفاضل الأديب، الكاتب الأريب، كان من رؤساء الكتاب

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٩).

بديوان دِجرْجا، قصبةِ الصعيد العظمى، قدم سنة ثمان وسبعين وألف إلى مصر، واجتمعت به، وتأكدت بيني وبينه الصحبة.

وكان عذب اللسان، قوي الجَنان، صالحه لدينه ودنياه، مرجعاً لحكام الصعيد في قواعد الدولة، ومعرفة الأمور السلطانية، وكان من أهل الخير والصلاح، يدافع الحكام بالتي هي أحسن، ويستر على الرعية ويراعيهم، وجميعهم راضون عنه.

وكانت له معرفة بعلوم الطريق، وألف رسائل لطيفة، وله معراجٌ على أسلوب غريب، وهو أنه جرد من نفسه سؤالاً في صفة الخمرة التي يتغزل فيها العارفون، وإليها يشيرون، وعنها يخبرون، ويصفونها بالسكر والغيبة، وفي كيفية الاتصال إلى تلك المرتبة، ومتى يتقرب إليها من اجتباه الله تعالى وقربه.

فأجاب عنه، وتسلق منه إلى المعراج النبوي بوجه لطيف يعرفه من وقف عليه، وقد أهداني منه نسخةً، وأخبرني أنه قرأ بالصعيد على شيوخ كثيرين، وبمصر على شيخنا سلطان ومعاصريه، وله روايةٌ عليةٌ في الحديث.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، أنشدني منها قصيدة لم أذكر منها إلا قوله:

وسرتُ إلى ما أحجمَ العقلُ دونَه ... ونلتُ أموراً لا يحيط بها فكري

توفي بعد رجوعه من مصر، ببلده دِجرْجا، سنة ثمانين وألف، بعد مرض طويل ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٤١٤] أحمد بن أحمد بن أحمد القشوي الشبامي الكوكباني.

فاضلٌ كريم النجار والفخر، سليم الصدر، أخف على الخاطر من

الريشة، تطيب بمجالسه العيشة، وله نظم أحلى من السكر، وأشهى من وصل الغادات، منه قوله:

يا بديعَ الجمالِ أشكو مـن الحـب ... فقـــد حـــرك الجـــوى وأثـــارَهْ
فاسـقِني مـن لَمـاك بـاردَ ريـقٍ ... عَـلَّ يُطفـي بهـا رسـيسَ الحـرارَهْ
وتعطـفْ ولـو بطيـفِ خيـالٍ ... وأغثنـــي وصـــلاً ولـــو بإشـــارَهْ

[٤١٥] أحمد بن أحمد بن علي البُهُوتي؛ نسبةً إلى البهوت، من غربية مصر، الحنبلي الخلوتي[١].

شيخنا العلامة، جامع الفنون البعيدة والقريبة، والعلوم المعروفة والغريبة، وراضعُ دَرِّ التحقيق ولِبانه، وواضع دُرِّ التدقيق عقداً على لَبانه، ورافع طراز سندس المعقول وراياته، وكشاف أسرار التنزيل وحكم آياته، ومنتهى إرادات طالبي علوم الدين، وأقصى غايات المحصلين، ومجمع بحرَي المعقول والمنقول، ومنبع نهرَي الفروع والأصول، وحامل أعباء التدريس والإفتاء المسدد الذي عليه المعوَّل، على مذهب إمام الأئمة أحمد بن حنبل.

ولد بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن وجوده، وأخذ الفقه عن العلامة عبد الرحمن البهوتي الحنبلي تلميذِ الشمس محمد الشامي، صاحب «السيرة النبوية»، ولازم منصوراً البهوتي، وبه تخرج في الفقه، وأخذ علوم العربية والأصول والكلام عن الشهاب أحمد الغنيمي، وبه تخرج فيها وانتفع.

واختص بعده بملازمة خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وصحبه،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٠)، «السحب الوابلة» (٢/ ٨٦٩)، «رفع النقاب عن تراجم الأصحاب» (٣٥٨).

فكان لا يفارقه في دروسه في العلوم العقلية والعربية، ويجري بينهما في الدرس محاورات سنية، ونكات دقيقة لا يعرفها من الحاضرين إلا من كان من أكابر المحققين، وكان شيخنا المذكور يُجله، ويثني عليه، ويعظمه ويحترمه وهو بين يديه، ولا يخاطبه في درسه إلا بغاية التعظيم، ؛ لما هو عليه من الفضل الجسيم، ولكونه رفيقه في الطلب، وشريكه في بضاعة العلم والأدب، ولم يـزل ملازماً له ملازمة المحـب للحبيب، حتى قضـى نحبه، وتلقاه الموت بتكريم وترحيب.

وكانت وفاتـه بعد نصـف ليلة الجمعة، تاسـع عشر ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وألف، وصُلي عليه بعد صلاة الجمعة بالجامع الأزهر في مشهدٍ حافل، وكثر عليـه النحيب والأسـف، ولم يكـن له في مذهبـه خلف، وله تعليقـاتٌ ومؤلفـاتٌ كثيرةٌ، منها: «نظم رسـالة الوضع وشرحها على شرح الاستعارات للعصام».

وهو أحد شيوخي الذين أخذت عنهم، بالجامع الأزهر، وكان بيني وبينه محبة واتحاد، وكان مولعا بالسماع وحضورِ مجالسه؛ بحيث يذهب إليها قصداً وهي غير لائقة به، فقلت له يوماً: يا سيدي! حضور مثل هذه المجالس لا يليق بك، فقال لي: يا ولدي! أنا أعرف ذلك، غير أن في باطني داء خطيراً يتحرك عليَّ، ويؤذيني، ولا يسكِّنه عليَّ إلا السماع، وهذا عذرٌ ظاهرٌ، عند أهل الشرع والبصائر.

ومن شعره قوله:

سـمحت بعـد قولهـا لفـؤادي ... ذُبْ أَسًـى يـا فـؤادَه وتفتَّـتْ

ونجـا القلـب مـن حبائـل هجـرٍ نـصبتْها لـصيدِه ثـم حلَّـتْ

وفي قوله تفتت وحلت تورية لطيفة.

وقوله:

كأنَّ الـدهرَ فـي خفـض الأعـالي وفـي رفـع الأسـافلةِ اللئـامِ
فقيـهٌ عنـده الأخبـار صـحَّتْ بتفـضيل الـسجودِ علـى القيـامِ

يشير إلى أن كثرة السجود أفضلُ بناء على مذهب الحنابلة.

[٤١٦] محمد بن أحمد بامَشْمُوس الدوْعني الحضرمي الشافعي.

الشيخ الفقيه، العالم العامل، النبيه الورع الكامل، العارف الواصل، كان صاحب أحوال وتربية، وعلم غزير من علوم القوم، وكرامات أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تذكر، لقي السيد العارف بالله عمر العَطَّاس باعلوي، وأخذ عنه، ولازم بعده الشيخ علي باراس الدوعني، وبه تخرج وانتفع، واشتهر ذكره في بلاده.

ومن كراماته: ما أخبرني به بعض أصحابنا: أن رجلاً أهدى له تمراً في زنبيل، وكان فيه شبهة حرام، وقدمه إليه، فلما وضعه بين يديه، عرف بطريق الكشف أن فيه شبهة، ففتح الزنبيل الذي فيه التمر، فقال له: ما هذه الزنابير التي أتيت بها إليّ؟ فلما رآها الرجل، بُهت، ورجع به إلى البيت، ففتحه ثانياً، فوجده تمراً على حاله، وعلم عند ذاك اطلاع الشيخ على حاله[1]، **توفي في** حدود سنة تسعين وألف ببلده.

---

(١) مثل هذه الحكايات لا تروج إلا على قليل العقل والدين، نسأل الله السلامة.

[٤١٧] أحمد بن أحمد بن مساهل الطرابلسي المغربي[1].

من أحسن أهل بلده سمتاً ودَلاًّ، وأصدقهم قولاً وفعلاً، له مشاركةٌ في العلوم، وحسن اطلاعٍ على فروع المذهب، طالت ولايته للفتوى نحو أربعين سنة، وحُمدت سيرته فيها، ثم استعفى منها فأُعفي، وبقي ملازماً لداره ومسجده للتدريس فيه، مستريحاً من التكاليف، مشتغلاً بمطالعة التآليف، ولا يقطع القراءة ـ في الغالب ـ صباحاً ومساءً، شتاءً وصيفاً، يقرأ ما تيسر من فقه ونحوه وما يشاكل ذلك، ويختم بشيء من كتب الوعظ والتذكير.

ومع ذلك له ميل قوي إلى طريق القوم، وقد أخذ الطريق عن ولي الله بلا نزاع بين تلك البقاع، سيدي محمد الصيد ﷺ، والصيد في لغة أهل هذا القطر هو الأسد، وسمي بذلك؛ لكثرة ردعه للظلمة، وقهره للجبابرة، حتى كان لا يجترئ أحدٌ على معارضته فيما أمر به، ولا يتعرض لمن انتسب إليه، وظهرت له كرامات.

وقد أخذ الطريق عن سيدي عيسى بن محمد التلمساني المشهور بأبي معزة، وهو أخذ عن الولي الكبير، والعلم الشهير، سيدي أبي عمرو القسطالي المراكشي، ولأجل هذه النسبة لم يزل ولد الشيخ المذكور، سيدي عبد الحفيظ يبالغ في تعظيم أولاد سيدي أبي عمرو، بل تعظيم كل من يمت إليهم بقرابة، أو خدمة، أو جوار، وغير ذلك، وإن اتفق قدوم أحدٍ منهم عليه، فلا يبقي ولا يذر في إكرامه، والمثول بين يديه كأصغر الخدام وأحقرهم.

ولقد حج معنا سنة ستين، سيدي محمد بن أبي القاسم، من أولاد

---

(١) «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥١٧).

سيدي أبي عمرو، وتلقاه بالبشر والتعظيم، وأنزله عنده، وبالغ في إكرامه، وشيعه في الذهاب والإياب نحواً من سبع مراحل.

ولقد أخبرني من حضره ذات يوم، وقد غسل سيدي محمد بن أبي القاسم يده ورأسه من حناء، وكان بماء في إناء، فأخذ سيدي عبد الحفيظ ما اجتمع من الغسالة في ذلك الإناء وشربه ـ نفع الله بحسن اعتقاده ـ.

ولهذا السيد اعتقاد حسن في كل من ينتسب إلى الصلاح، وقد نفعه الله بذلك، فطار صيته وانتشر في البلاد أكثر من أبيه، وهابه الولاة فمن دونهم، وله ـ كما قيل ـ دنيا عريضة من المال، وآتاه الله نعماً وحرثاً وغيرهما، يطعم منها الواردين، ويواسي المحتاجين ـ أعانه الله على ما به تولاه، ورزقه الشكر على ما أولاه ـ، وتوفي الولي أبوه سيدي محمد الصيد سنة خمسين وألف.

وقد أخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل: أنه ـ منذ عرفه ـ لم يترك صلاة الجمعة عنده إلا لعذر ظاهر، ولم يزل على ذلك إلى الآن، منذ أزيدَ من أربعين سنة، يذهب كل يوم جمعة ضحى إلى محل الشيخ المذكور، بالقرية المسماة: بـ «المنشير»، وبينها وبين المدينة ستة أميال، فيصلي هناك الجمعة، ويدرس هناك في مسجد الشيخ، إلى أن يصلي العصر، ويرجع إلى المدينة، لا يترك ذلك دائماً.

لطيفة: أخبرني شيخنا هذا: أن شيخه المذكور قال له: إن لأهل الله مراغة كمراغة الإبل، لا يمر بها أحدٌ منهم، إلا تمرغ بها، وإني لأرجو أن يجعلك الله مراغة لأوليائه، ولأجل دعوة هذا الشيخ، لا يدخل أحدٌ هذه المدينة، ممن له انتساب إلى هذا الطريق المبارك، إلا كان إيواؤه إلى هذا الشيخ، إما بنزول عنده، أو بالتردد إليه، وكان ﷺ يقوم بحوائجهم قدر الإمكان،

ويواسيهم ـ نفعه الله بقصده الجميل ـ.

ولقد وجدناه في هذه السنة منقبضاً منزوياً عن أكثر الناس؛ لأجل ما حصل له من التوجع على صهره زوج ابنته، وكان من شأنه أنه هو وأخوه من طلبته، وكان من أنجب طلبته الحنفية، وكانت له المنزلة الرفيعة في البلد وعند العسكر.

وكان الشريف المتولي لطرابلس قبل محمد باشا، المقتول سنة أربعين وألف، قد خلف ولداً صغيراً، وبقي في كفالة خديمه محمد باشا، الذي ولي الإمارة بعده، فلما مات، وأفضت الإمارة إلى عثمان باشا مملوكِ الشريف المذكور، رفع بِضَبْعَي ولد سيده، ورقاه مراقي الرياسة.

فلما تمكنت قهرة الرياسة الممزوجة بحداثة السن من رأسه، منّت نفسه الثورة على مملوك أبيه عثمان باشا، وظن أن المراتب الدنيوية بالاستحقاق، وأن نسبه الرفيع يحصل له به في سوق الدلالة النّفاق، ولم يعلم أن الناس أعوان من واتته دولته، وهم عليه إذا خانته أعوان.

وصادف ذلك ما كان من الرعية لولاية هذا الأمير لكثرة ظلم أعوانه، فمالت أنفس كثيرٍ منهم إلى معاونة الشريف، وشيخ ذلك عندهم تأزره واعتضاده بولد نُوَير رئيس عرب الناحية الغربية من طرابلس، وكان ذا شهامةٍ وبأسٍ شديدٍ، وقد أظلم الجو بينه وبين أمير البلد، فاتفقت كلمته وكلمة الشريف، ومن دان بدينهم من الرعية؛ كأهل تاجورا، وساعدهم على ذلك مفتي الحنفية المذكور، وطائفةٌ قليلة من العسكر.

فلما كاد أمرهم أن يتم، ونمّت على سريرتهم أساريرُ وجوههم، وإشاراتُ

أقوالهم، أوحى بذلك إلى الأمير بعض بطانتهم؛ ممن أراد بذلك اتخاذ يد عنده، فأوجس الأمير في نفسه خيفة منهم، وكان ممن لا يُقعقَع له بالشَّنان، فاحتال في القبض عليهم خفية[1]، وأظهر التجاهل والغفلة عن أمرهم، وبادر بالخروج إلى ناحية «تاجور» محلِّ ربطهم وحلهم.

وأوعز إلى بطانته ـ بعد تحصين البلد ـ بالقبض على الشريف والمفتي ومن ساعدهم إثـر خروجـه، وأظهر للرعية عدم المبالاة بذلك، وقال: قد علمت أنكم برآء مما نسب إليكم، فخدعهم بذلك؛ لئلا يثوروا ثورة واحدة، واستعان على تسكين روعتهم، بالشيخ سيدي عبد الحفيظ، وخضع له وتذلل، فلما رأت الرعية استكانته لجانب الشيخ، اطمأنوا، ولم يزل كذلك إلى أن فرغ من أمراء الشريف وأتباعه، فكرَّ على الرعية بقتل ذريتهم وعوام أتباعهم بما جعلهم عبرة لغيرهم.

فلما خـلا له الجو من هذه الطائفة، أخذ يتجسس عن كل من مالأهم بكلمة أو إشارة، فربما أشير إليه: أن شيخنا سيدي محمد بن مساهل ممن له في ذلك إشارة من شيخنا، ذلك بأن صهره مفتي الحنفية لا يقطع أمراً دونه، فتفكر له الأمير في باطنه، ولم يبده للناس؛ لوجاهة الشيخ في البلد، بعلمه وورعه، فلما علم الشيخ بذلك، استعفى من الفتوى، فأعفي، وبقي ملازماً لداره ومسجده للتدريس فيه، مستريحاً من التكاليف، مشتغلاً بمطالعة التآليف ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

لطيفة أخرى: أخبرني شيخنا ابن مساهل عن بعض مشايخه: أنه قال:

---

(1) في الأصل: خفية، والصواب ما أثبت.

إذا أُذن خلف مسافر، فذلك أمان له حتى يرجع من سفره، وروى في ذلك حديثاً، وقد فعل لنا ذلك ﷺ حين ودعنا خارج داره، فرأينا بركته، ولله الحمد.

غريبة: أخبرنا أيضاً: أن شيخه علياً[ـاً] الخضيري، ذكر في شرحه على المختصر»: أن الزباد ـ المسمى في عرف غربنا بالغالية ـ نجسٌ، وإن كان عرق ـ حتى بمروره بمحل البول ـ. قال: وكان بعض الصالحين لا يتطيب به لذلك، وأظنه الشيخ اللقاني، قال شيخنا: وكنت أتوهم، إلى أن بعثت بحضرة الشيخ عبد الحفيظ إلى قطٍّ من القطوط التي يستخرج منها الزباد، وكان عند بعض الأتراك، فلما أُحضر، أمرنا متولي استخراج الزباد منه بإخراجه بحضرتنا، ففعل، فشاهدنا محل اجتماع ذلك منه خارجاً عن محل البول لا يمر به أصلاً، وإنما هو جليدة رقيقة عن يمين المحل أو يساره، يجتمع فيها ذلك العرق، ويشتد عليه وتنطوي حتى يؤخذ منها، قال: فحينئذ اطمأنت نفوسنا، وأيقنا بطهارته.

غريبة: أخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل، سنة أربع وستين، في الرحلة التي قبل هذه: أنهم سمعوا في سنة اثنتين وستين وألف صوتاً هائلاً في ناحية البحر؛ كصوت المدافع الكبار، من قرب الضحى إلى الليل، قال: وظنناه سفناً للمسلمين تلاقت مع بعض سفن النصارى.

وكما سمعنا ذلك الصوت، سمعه أهل هذا الساحل إلى «مسراته»، وسمعه حتى أهل فزارة والإسكندرية، وسمعه من الناحية الغربية أهل جربة، وسوسة، وتونس، وكلٌّ يقرُّ أنه قريب منه، وبعد شهر أو شهرين، قدمت مراكب من بر الترك، وأخبروا أن ذلك الصوت لأمرٍ هائلٍ.

وذلك أن جزيرةً من جزائر الترك خرجت في بعض نواحيها حجارةٌ تطلع من البحر، حتى إذا ارتفعت على الماء، وعلت في الهواء، تصدعت، ويخرج منها نارٌ، ويسمع لها ذلك الصوت، فإذا خرجت النار، وقعت الحجارة على الماء خفيفةً كهيئة الجعابة، ودام ذلك إلى الليل، وارتفع من ذلك الجو دخان كثير، فيه رائحة الكبريت.

وأعجبُ من هذا: أنهم قالوا: إنه أصبح في ذلك البلد كل ما عندهم من الفضة نحاساً، في تلك الليلة، والله أعلم بغيبه.

وهذه المدينة معروفة بأهل الصدق في الأحوال من المجاذيب، وقد أدركنا بها رجلين أو ثلاثة من المجاذيب تُوتر عنهم كرامات وحكايات غريبة تَدلُّ على صدقهم في مَوَاجِدهم.

وكانت فيما مضى فيها مزارات كثيرة، تكثر من أكابر الصالحين، ولا يعرف منهم الآن إلا قليل؛ كسيدي سالم المنشاط صاحب المسجد الجامع الذي بأقصى المدينة، وقبره يزار.

وسبب خفاء كثير من قبور الصالحين المدفونين فيها؛ أن البلد قد تداولتها أيدي المسلمين والنصارى مراراً عديدة، وقد استولى عليها النصارى في أيام السلطان أبي عناق، وافتَدَاها منهم بحمل قناطير من الذهب العَيْن، فعُدَّ ذلك من مآثره، وقد استولى عليها النصارى ـ أيضاً ـ في القرن العاشر.

ومما كتبه إليه سيدنا الشيخ عبدالله بن محمد العياشي، لما قدم من المغرب الأقصى ثانياً، وكان قد اجتمع به في السفرة الأولى: **أبياتاً منها قوله**:

أسيدَنا مفتي الورى ابنَ مساهلٍ ومنهلَ فضلٍ فاق كلَّ المناهلِ

عليك سلامُ الله ممن غـدت بكـم | عليـه أيـادٍ فـي العـصور الأوائـلِ
بنورك يِستهدي إذا الأرضُ أظلمت | على أهلها بالجهل أهلُ السواحل
فكم قد أنلتَ العرف سـائلَه وكـم | مننـتَ بـلا سـؤلٍ وجُـدتَ بنائـلِ

[٤١٨] محمد بن أحمد الفزاري[١].

نزيل المدينة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، الشيخ الناسك، الخاشع العابد الخاضع، المقري الفصيح، البر النصيح، الزاهد حليف المساجد، الفقيه النبيه، قدم من بلاد فزارة، التي بين أعالي النيل وأرض السودان، فاستوطن المدينة قريباً من أربعين سنة، وكان من قدماء المجاورين فيها، ومن أكثرهم زيارةً للأماكن التي تزار، وله مشاركةٌ تامة في فقه مالك، ومعرفة بعلوم القرآن، وكان يقرئ الأطفال بمؤخر المسجد النبوي، من دون مشارطة على أجر معلوم، فمن دفع له شيئاً، أخذه.

وتأوي إليه الغرباء، فيكرمهم، ويقوي قلوبهم ويثبتهم، ويحضهم على آداب المجاورة، ويعاملهم بما يقدر عليه من المعروف، وكانت تحت يده، خزائن من كتب الوقف، منها: كتب السيد محمد بن إسماعيل المناوي، التي أوقفها، ويعث بها من الغرب، وكان المترجم يرى النبي ﷺ كثيراً في النوم، ولقي كثيـراً من الأعلام القادمين على المدينـة وغيرهـم، وانتفع بصحبتهم، وغلبت عليه العبادة، إلى أن مات بالمدينة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وأخبر: أنه كان بالمدينة رجل مغربي من أهل العصر، في السنة التي مات

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٦/ ١١).

فيها الولي الصالح محمد بن أحمد العياشـي، قال: جاءني ذات يوم وقال: إني رأيت في النوم أختي، ورأيت رجلاً جالساً، مقطوعَ اليد، يسيل دماً، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الإسلام، قطعوا يدي بـ «سلا»، قال: فلما أخبرني، قلت له: الذي يظهر من رؤياك: أن الرجل الصالح المجاهد الذي كان بسلا قد قتل، قال: وبعد ذلك في آخر العام، قدم الحجاج من الغرب، وأخبروا بموته ﷺ.

[٤١٩] محمـد علي بن أحمـد بن كمـال الدين بن حسين بن محمد الاسترابادي.

نزيل أصفهان، كان إماماً في العلوم العقلية، خصوصاً الرياضيات، وكان في الفقـه والعربيـة بحراً زاخراً، وغيثاً مدراراً، وله في الفرائض والحساب اليد الطولى، وله فيها مؤلفات سنية.

مولده باستراباذ، في غرة رجب، سنة عشر بعد الألف، وقرأ بخراسان، على السـيد أبي القاسم الرازي الفندرشـكي، نسـبة إلى فنـدركش[١]، قرية باستراباذ، والملا محمد باقر اليزدي، والسيد محمد باقر الشهير بالداماد[٢]، والسيد قاسم القهباي، وأخذ عنه كثيرٌ من الفضلاء، منهم: ولده شيخنا العلامة محمد شفيع، والمنلا محمد الباقر المجلسي[٣] محدث أصفهان ومفتيها.

وتوفي بأصفهان في غرة رجب، سنة أربع وتسعين وألف، وبني عليه

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: فندرشك.

(٢) في الأصل: بالرماد.

(٣) في الأصل: المحلسي.

قبةٌ عظيمةٌ بأمرٍ من الشاه، هكذا نقل لي من ترجمته ولدُه، صاحبنا الفاضل كمال الدين حسين، لما كان مجاوراً بمكة، مع أخيه شيخنا محمد شفيع، سنة أربع ومائة وألف.

[٤٢٠] محمد بن أحمد بن عيسى بن جميل الكلبي المالكي(١).

شيخ المحيَّا النبوي بالأزهر، الإمام العلامة، المفيد الفهامة، كان عالماً جليلاً، حسن الأخلاق، سمح النفس، كثير الإحسان، لا يفتر ـ خصوصاً ليلة المحيا، بالجامع الأزهر ـ عن الصلاة على النبي ﷺ وصنوف الخير والعبادة، ذكياً محصلاً، كثير التقييد للفوائد العلمية(٢).

أخذ عن والده، وبه تخرج، ولازم علماء عصره بالجامع الأزهر، وأجازه كثيرٌ منهم، وشهدوا له بالتقدم في الفضيلة، وصار شيخ المحيا بعد والده، ووالده جلس بعد الشيخ محمد البلقيني، وهو جلس بعد والده القطب الرباني الشيخ صالح، وهو جلس بعد والده شيخ الإسلام والمسلمين شهاب الدين البلقيني، وهو جلس بعد الأستاذ العارف بالله الشيخ نور الدين الشوني، المدفون بمصر بزاوية سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن إذن من النبي ﷺ.

وله وقائع مشهورة مشهودة مع النبي ﷺ، غالب المجالس المعدة للنبي ﷺ، بمصر والروم والشام والحرمين، فهي من طريقه ـ نفع الله به ـ، وله صلواتٌ مشهورةٌ مشروحةٌ، ظاهرة النفع لملازمها في الدين والدنيا.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٨).

(٢) وهي العادات الشنيعة التي أنشأها أهل البدع من المتصوفة في بلاد المسلمين، ورسموا لها مشيخةً وطقوساً ما أنزل بها من سلطان، وليست من الدين في شيء.

وكان المترجم ناظر وقف الإمامين: الشافعي، والليث بن سعد بالقرافة، وسار في ذلك بأحسن سيرة، مع الإحسان لخدمة المكانين، ولم يزل على أحسن حال، إلى أن توفي يوم الثلاثاء، رابع ذي الحجة، سنة سبع وخمسين وألف، وصُلي عليه في الجامع الأزهر، في مشهدٍ حافلٍ، ودفن بالقرافة الكبرى.

ورثاه الشيخ علي العامري، رئيس العدول بمحكمة باب الشعرية بقوله:

مات قطبُ الأنامِ مفتي البرايا — أحمدُ الزاهدُ الرفيعُ المقامِ
عالمُ الأزهر الذي كان حبراً — عابداً ذاكراً بطول الدوام
نسلُ من كان للأمين شبيهاً — شيخُ محيًا الرسول خيرِ الأنامِ
فعليه من السلام سلامٌ — ما سقى قبره بسحب الغمامِ
من قضى للجنان قد أرخوه — (مات قطب الورى جنان السلام)

والكلبي نسبة إلى دحية الكلبي؛ لأنهم من ذريته.

[٤٢١] محمد بن محمد بن سلامة الشافعي الأحمدي البصير، الشهير بسيبويه[١].

كان إماماً عالماً، نحريراً نحوياً محققاً، عارفاً بالعلوم النقلية والعقلية، لكنه اشتهر بالعربية؛ لغلبتها عليه، وكثرة إقرائه لها، وكان في عصره مرجعاً لحل المشكلات العلمية، وإذا قرر المسائل، تظهر للطلبة بأدنى إشارة، وتنطبع في قلوبهم، وذلك لأنه جمع الله له بين العلم والولاية، والتقرير والتحرير،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٧٥).

وكل من قرأ عليه، أو أخذ عنه، نفعه الله، ومن خدمه خدمةً ما، أسعده الله ديناً ودنيا، وما بشَّرَ أحداً بشيء، إلا ناله ألبتة.

وكان عزباً، مقيماً بالجامع الأزهر، لا يخرج منه إلا إذا تعطلت الفسقية المعدة لقضاء الحاجة، فيخرج منه حينئذ لقضائها، وملبسه في الصيف والشتاء جبةٌ حمراء، وكان زاهداً في الدنيا، ولا يأخذ من أحدٍ شيئاً إلا إذا اضطر، ومأكله من الشربة المرتبة في الجامع الأزهر لمجاوريه، ظهراً وعصراً.

وكان يعتريه في بعض الأحيان سكوت، فلا يقدر أحدٌ أن يبتدئه الكلام، حتى يكون هو المبتدي، وعرف ذلك عند غالب الناس، فكانوا يتحاشون ذلك حال جلاله، وكان الغالب عليه الجمال، لا يُرى متكدراً، بل منشرح الصدر، متبلجاً مداعباً، ولا تذكر الدنيا عنده بحال، ولا يعرفها، ولا يعرف أحوال أهلها، سالم الصدر، لا يظن بالناس إلا الخير، وإذا قرأ عليه أحدٌ درساً واحداً، سأله عن اسمه واسم أبيه، ولا يزال يذكره، ويسأل عنه إذا غاب، وإذا جاءه بعد مدةٍ، يعرفه بمجرد تكلمه معه، ولا يغيب عنه ذهنه.

وإذا فرغ من الدرس، اشتغل بتلاوة القرآن، ولا يفارق صلاة الجماعة في الصف الأول، في الخمسة الأوقات، بالجامع الأزهر، ويقوم من نصف الليل الآخر، ويستمر يتهجد حتى يصلي الصبح، وبعدها يجلس لقراءة القرآن عليه بالروايات إلى طلوع الشمس، ثم يذهب إلى فسقية الجامع فيتوضأ، ويجلس للتدريس إلى قبيل الظهر، هذا دأبه طول عمره.

إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته في نصف جمادى الأول، سنة أربع وخمسين وألف، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، إلا الجبة التي عليه،

فغسلت، وقطعت قطعاً كثيرةً، وتقاسمها الناس، وأبقوها عندهم تبركاً بآثاره.

وكان له مشهدٌ حافلٌ، ودفن بتربة المجاورين، ولما مات، سمع الناس قائلاً يقول وهم في جنازته: مات العلم الخالص لوجه الله، وذهب الناس فيما عند الناس بعد محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون، فضج الناس بالبكاء.

وقال عنه شيخنا محمد البابلي: ما رأينا في شيوخنا أثبت قدماً منه في الزهد، وجميعُ ما نحن فيه من بركاته.

وقال لي بعض شيوخنا ـ وقد تذاكرنا في شأنه ـ: إنه أُمَّة قد خلت.

قرأ في بدايته على شيوخٍ كثيرين، منهم: الشهاب أحمد القاسمي، والشمس محمد الرملي، والنور الزيادي، وأبو بكر الشنواني.

وعنه أخذ شيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، ومحمد المنزلاوي، ومنصور الطوخي، ومحمد بن عتيق الحمصي الشافعيون، ويحيى الشهاوي، وشاهين الأرمناوي الحنفيان، وغيرهم، ولم يمت أحدٌ ممن أخذ عنه إلا بخير وفي خير، وكراماته كثيرة ـ رحمه الله، ونفع به ـ.

[٤٢٢] محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف أبي المحاسن ابن محمد بن يوسف الفاسي القَصْري.

الشيخ الإمام العلامة، المحدث الصوفي، المنفرد بعلو الإسناد، المشهور بالمغرب بين العلماء الأمجاد، ولد ليلة السبت، التاسع والعشرين من رجب، سنة ثلاث وثلاثين وألف بمدينة القصر الكبير، قصر كتامة بالقطانين منه، ثم بدار جده الشيخ أبي المحاسن.

وقرأ بفاس على شيوخ كثيرين، من أجلهم: عمُّه علامة المغرب في

عصره غير مدافع، عبد القادر بن علي الفاسي، وأجازه كثير من شيوخه، وتصدر للإقراء والإفتاء بفاس، وألف الكتب المفيدة، منها: «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات»، وهو من أنفس شروحه المتداولة، مقبولٌ خصوصاً بمصر والحرمين، توفي بفاس سنة عشر ومائة وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٢٣] محمد صاحب الخال بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد ابن عمر بن أحمد بن موسى بن أبي بكر صاحب الخال الأكبر بن محمد ابن عيسى بن سلطان العارفين بالله الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي صاحب «اللحية» بن حسين بن ملكاي بن عقيل بن حسين بن طَلَلَه بن علي بن أحمد ابن حسين بن عمر بن أحمد بن جبرائيل بن عبد الرحمن بن حسين بن سليمان ابن حسن بن أبي بكر بن علي بن محمد بن زكريا بن إبراهيم بن محمد بن جبرائيل بن محمد بن سراج الدين بن حامد بن عبدالله بن صالح بن أحمد بن حسين بن زين العابدين بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، الشافعي العقيلي، شيخنا الإمام العلامة، الفقيه المتبحر، قاضي «اللحية» بعد والده، وشيخ الشافعية بالديار اليمنية[1].

ولد ـ كما أخبرني من لفظه ـ عام أربعة عشر وألف باللحية، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، و«الإرشاد»، و«الملحة»، «و«الرحبية»، وغيرها من المتون النافعة، وأخذ عن والده، وكرع من مشاربه، وتأدب بآدابه، ولازم العلامة الشهير جمالَ الدين محمد بن عمر حُشَيْبر، والشيخَ العارف بالله أبا بكر بن محمد القُمري، والشيخ العالم محمد باوزير الحضرمي، والإمام

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٤).

الجليل محمد بن الطاهر قَخم.

وقدم للحج سنة أربعين بعد الألف، وأخذ عن أكابر علماء الحرمين، منهم: السيد العارف بالله أحمد الهادي باعلوي، والحافظ المحدث محمد علي بن علان، والشيخ الفقيه محمد بن عبد المنعم الطائفي، وأجازه كثيرٌ من شيوخه، وعنه أخذ كثيرٌ من الشيوخ؛ كأخيه الولي العلامة أبي بكر بن أحمد، والعلامة إسماعيل بن محمد بن عمر حُشَيْبِر، وشيخنا الفاضل الدُّهَل ابن علي الحشيبري.

كان ـ رحمه الله تعالى ـ أعلم أهل قطره ـ فيما أحسب ـ بعلم الفقه، متبحراً فيه، متحرياً في الأحكام الشرعية، مع الزهد في الأمور الدنيوية، والقناعة باليسير من الدنيا الدنية، والانعكاف عن الناس، والرضا بالوحشية من الإيناس، إلى خلقٍ عظيم، وطبع أرق من النسيم، وجلالة عند الخاص والعام، ونفوذ كلمة عند الأمراء والحكام، وتثبتٍ في الأحكام الدينية، والصدق في المقال، وحسن الطوية، وملازمة لقراءة القرآن، والتهجد في الليل والصيام، وبُعد عن الريب، وتنزهٍ عما يشان به.

ولقد حلف لي بالله العظيم: أنه منذ تقلد قضاء اللحية وأعمالها، ما ارتشى، ولا أكل مال وقف، ولا مال يتيم، ولا تعمد حكماً باطلاً، وتالله! إنه لصادق، فقد بلي من أناس كثيرين، فلم يُر فيه ما يزنُّ به، ولا يجد عائبُه فيه ما يقول.

وكان الغرباء الوافدون للحج؛ من أهل مليبار، وديبه محل، وما والى أهل تلك الأقطار، إذا مروا عليه، يضعون عنده ـ على سبيل الأمانة ـ جميع ما يخافون عليه من مال، حتى يرجعوا، ويغيب الوافد منهم سنين عديدة،

حتى ييأس من خبره، فيكتب إلى أهل بلده، أو يسأل عنه الوفدين إليه، فإن أخبروا بموته، سأل عمن له من الأهل ثمة، وأرسل إليهم يعرفهم بما له عنده؛ حتى يوكِّلوا بقبض ما عنده من الأمانة.

مع شدة الفقر والحاجة، والقناعة باليسير من الرزق؛ بحيث إنه كان في رياضة من حيث لا يشعر، كما شاهدته من أحواله في معاشه، وكان ـ مع كبره، وضعف قوته ـ لا يصلي إلا قائماً، ويطيل الوقوف والقراءة؛ بحيث إن الشاب يعجز عن فعل مثله، وكذلك إذا وقف لزيارة جده العارفِ بالله الشيخ أحمدَ ابن عمر الزيلعي، يطيل الوقوف؛ بحيث يتعاقب عليه زائرون متعددون، وهو واقف، وقد منّ الله عليّ بصحبته، والأخذِ عنه، عام رحلتي لليمن الميمون، سنة أربع وستين وألف، وكتب لي إجازةً بمروياته، وحصلت لي بركة دعواته، ورأيت له كرامات خارقة، لا أحصي عدّها.

وبالجملة: هو من أفضل من لقيته باليمن بعلم الحلال والحرام، ومحاسنه تربو على غيرها، وكنت يوماً عنده، فاستشير من بعض عمال الدولة في ولاية شخصٍ عملاً من الأعمال، فلم يرضَهُ لذلك، فقيل له: لو وُلِّي قليلاً حتى يُختبر، فإن وافق، وإلا فالعزل قريب، فقال: لا، الدفع أسهل من الرفع، وهذه من فوائده.

توفي ليلة السبت، لعله سادس وعشري صفر، سنة مائة وألف، باللحية، ودفن بتربتهم المعروفة ثمة، عند صاحب القَصَب، وصُلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام، بعد صلاة الجمعة، خامس جمادى الأولى من السنة المذكورة ـ رحمه الله وإيانا ـ.

❐ ❐ ❐




الأحْمَدُونَ(١)

[٤٢٤] أحمد ابن العلامة الولي محمد بن عبد الرحيم باجابر الجابري، نسبةً لبني جابر، قبيلةٍ مشهورةٍ بالشحر الشحري(٢).

الفرد الجامع لأشتات الأدب من شعاب مواده، والبليغ الذي بلغت سيول بلاغته الربى، فوقفت عند مراده، الأديب الباهر في جمعه وتصنيفه، الأريب الماهر في ترتيبه وترصيعه، والإمام الذي إذا فاه، انقاد الكلام له بسلاسل سلاسة تأديته وبيانه، وخضعت له المعاني طائعةً تحت علم جنانه وعلم لسانه، والمشار إليه بالبنان، في البيان بين الأنام، والمنقاد له صعاب القوافي، والمذلل له سبل الكلام:

إذا ارتجلَ الخطابَ بدا خليجٌ ... بفيه كأنه بحرُ الكلامِ

(١) ورد في الحاشية: «سبق ذكر بعضها».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧٤)، وذكر وفاته، فقال: «وكانت وفاته ببلدة لاهور من الديار الهندية في ليلة الثلاثاء، رابع عشر شوال سنة إحدى بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ»، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٠٢) (٢٤٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥).

كـــلامٌ أم مُـــدامٌ أم نظـــامٌ   مـن اليـاقوت أم حـبُّ الغمـامِ

سبق من تقدمه من أئمة الأدب، حتى أذعن له كل من اشتغل ودأب، فلله درُّه من متأخرٍ أظهر ما انزوى عن كثير من المتقدمين من نفائس الجواهر، فهو المشار إليه: بـ: كم ترك الأول للآخر!

والفاضل الذي يرجع إليه في هذا الفن إذ كان عماده، والواصل بمقاطيعه في مراقي الحسن الحسنى وزياده، والفصيح الذي أضحى قسَّ الفصاحة لديه باقِل، والخريتُ الساحبُ ذيلَ البلاغة على سحبان، فمن ذا يناظره أو يناضل؟! والسابح في بحار الأدب، بفكره الثاقب الصارم، والفاتح الذي ختمت به رسالة الأدب، وغير عجيب لأحمد كونُه الفاتح الخاتم.

له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «الروضة الفائقة في الأشعار الرائقة»، وهو كتاب صدّق اسمُه مسمَّاه، وحقق شرف أصله ومنتماه، وأودعه جواهر النظم ودرَرِه، ونفائس لباب الحكم وفقرَه، وذكر فيه كثيراً من نظمه.

ومما اخترت منه قوله:

قـــد تعـــشَّقتُ غـــزالاً   فيـــه لـــي قـــولٌ ومـــذهَبْ
طـــال منهـــاج غرامـــي   فـــي هـــوى الظبـــيِ المهـــذَّبْ

وهو كقول تقي الدين السروجي:

تفقهت في عشقي لمن قـد هويتـه   ولي فيه بـالتحرير قـولٌ ومـذهبُ
وللعـين تنبيـهٌ بـه طـال شـرحُه   وللقلـب منـه صـدقُ ودٍّ مهـذبُ

ومثل قول بعضهم:

الـروضُ والبهجـةُ يـا سـيدي   فـي الخـدِّ مجمـوع لـه حـاوي
وقـد غـوى سـالكُ منهاجِـه   فـامنن بإرشـادك للغـاوي

وله:

كتبتُ على الخدود لفرطِ شوقي   سـطوراً مـن دمـوع مـستهلَّة
فـلا تعجـبْ لخـطٍّ فـاقَ حسناً   وحقِّـكَ إنـه خَـطُّ ابـنِ مُقْلَـة

وله:

ما هب نـشرُ صَبًا لنحوي منهمُ   إلا وأحيـا المـستهامَ عليلُـهْ
فالقلبُ مصرٌ وهـو منـزلُ يوسـفٍ   والحـسنُ روضـتُه ودمعـيَ نيلُـهْ

وله:

شـادنٌ جـاورَ واقتـدْر   ورمـى فـي القلـب ذا الكـدرْ
دَرَّ دمعـي فليتَـه   جـاد بالوصـل وقـت دَرْ

وله:

زارنـي البـدر ليلـةً   وحبـاني بكـل مـا
وبجـسمِ أبـاح لـي   مثـلَ خَـزٍّ وأنعَمـا

وله:

بروحي بدرٌ في المحاسن مفردٌ   إذا ما تثنى للغصون قد انتمى
أجـاد بخـدٍّ إذ أتـاني زائـراً   له مثلُ روضٍ في الربيع وأنعما

قلت: هو ثقة في استعمال وصف الروض بالنعومة، المفضل عليها نعومة الخد.

وله مضمناً:

فديتُ من الملاح غزالَ حسنٍ ... لــــه قَـــدٌّ تثَنَّـــى بالريـــاحِ
وخـــدٌّ رائـــقٌ يزهـــو كـــوردٍ ... وثغـــرٌ زانــه حـــسنُ الأقـــاحِ
وإن فخـرَ النهـارُ بـضوءِ صـبحٍ ... فـــإني بالثلاثـــةِ ذو انـــشراحِ
جبـــين والمقلـــة والثنايـــا ... صـباحٌ فـي صـباحٍ فـي صـباحِ

وله:

وملـــيحٍ بمقلتـــه ســـباني ... وسـبى الـشمسَ إذ بَـدتْ بمحيًّا
سُـلب القلـبُ فـي هـوى ناظريـه ... وضـــعيفان يغلبـــان قويًّـــا

وهو من قول ابن نباتة:

ومليحٍ قـد أخجـل الغـصنَ والبـد ... رَ قوامـــاً رطبـــاً ووجهـــاً جليـــاً
غلـب الـصبر فـي لقـا ناظريـهِ ... وضـــعيفانِ يغلبـــان قويًّـــا

وله:

ريـــمٌ رمـــاني مـــن ظِبـــا الفَـــلا ... ســـهمَ لحـظٍ قـد أتـى مرسَـلا
فالشمسُ تـروي عـن سـنا وجهـه ... عـن نـورِه عـن خـدِّه المجَتلَـى
وقـد روى مكحـولُ عـن طرفِـه ... لكنَّ ضـعفَ الجفـنِ قـد أعـضلا

وله:

بـــأبي أفـــدي غـــزالاً لـــم يـــزل بـــاللحظ نائـــلْ
أزهـــري اللـــون يـــروي ســـيف لحـــظ عـــن مقاتِـــلْ

وله:

لـو لـم يكـن مـن بابـل لحظُـه مـــا هـــيّم الـــصبَّ ولا بَلْـــبَلا
أو لـم يكـنْ كالبـدر فـي طلعـةٍ مـــا كـــان ذا القلـــبُ لـــه منـــزلا

وله:

بي ساحر الألحاظ أطلـق مـدمعي والقلـــبُ منـــه مقيـــدٌ فـــي حبـــسِهِ
لا غروَ إن هملَـتْ عيـوني إذ رنـا فلكـــلِّ شـــيءٍ آفـــةٌ مـــن جنـــسه

والأصل فيه قول القاضي أمين الدين الطرابلسي:

إن كان شرعُ هواك أطلقَ مـدمعي فوكيلُ شـوقي عـاجزٌ عـن حبـسِهِ
أو كان منك الطرفُ أسهرَ نـاظري فلكـــلِّ شـــيء آفـــةٌ مـــن جنـــسِهِ

وقول الشمس النواجي:

ظبـي إذا لمـح الغـزال بطرفـه فـالرأيُ أن ينجـو الغـزالُ بنفـسِهِ
وتَفُـلُّ بـيضَ الهنـدِ سـودُ عيونـه ولكـــل شـــيء آفـــة مـــن جنـــسه

وله مكتفياً:

قـد سـلبَ الأغـصانَ مـن لينهـا قَـــدُّ غـــزالٍ فـــاقَ ريـــمَ الفـــلا

قالـت مِـلاحُ العـصرِ لمـا انثنـى ذا مفردٌ في الحسن بين المـلا(ح)

وله:

وبروحـي مهفهـفُ القـدِّ ألمـى ليـتَ بالوصـلِ لكئيـب أعانـا
قد خفَى الـصدر منـه نهـدٌ ولكـن مـذ تبـدَّى ومـاس بالقـدِّ بانـا

وله:

بروحـي رشـيقٌ لـه قامـةٌ يميـلُ بهـا الـريح مـن لطفِـهِ
فلـولا جـوارحُ ألحاظِـهِ لغنَّـى الحَمـام علـى عِطفِـهِ

وله في معناه:

أفديه من رشـأ فـي حـسن طلعتـه كأنـه البـدرُ يـسري فـي غمامتِـهِ
لولا جوارحُ ألحـاظِ لـه صـدحَتْ وُرْقُ الحمـامِ علـى مَيَّـادِ قامتِـهِ

وله:

إن مـاسَ حِبـيَّ أو بـدا خـدُّه أظهـرتُ فيـه كـلَّ معنًـى دقيـقْ
فقـدُّه لابـنِ رشـيقٍ روى وخـدُّه الزهـري روى عـن شَـقيقْ

وله:

يا صاحِ إن جزتَ أعلامَ العقيقِ فرِدْ دموعَ عينـيَ منهـا المـاءُ ينـسكبُ
وإن مررتَ بأردافِ الحبيب دُجـىً قفْ بي عليها وقلْ لي هذه الكُثُبُ

وله:

تبـدَّى العـذارُ بخـدِّ الحبيـبِ فقلـتُ ولـم أخـشَ مـن لائمـي

أمولايَ سَدْتَ مِلاحَ الورى فأنتَ الْمَسَوّدُ في العالمِ

وله :

أفديه غصناً وبدراً إن بدا ومشى حذارِ منه إذا ما ماسَ أو سَفَرا
بنورِ شمسِ جبينٍ صادَ كلَّ فتًى ونملِ زخرفِ ليلٍ هَيَّمَ الشُّعرا

وله :

أفدي حبيباً عزيزَ الوصل تيَّمني في كلِّ ليلى منه موعدٌ ونبا
بزخرفِ النملِ صاد الصبَّ عارِضُه وهامَتِ الشعرا في هل أتى وسبا

وله :

بأبي مليحٌ لم أزل في أَسْره مُذِ ارتشفْتُ سلافةً من ثغرهِ
وسبى القلوبَ بنملِ عارضٍ زخرفٍ من فوق شمسٍ ضحى الجبين وعصرِهِ

وله :

وحبةِ خالٍ بخدِّ الحبيبِ تلوذُ بعارضِهِ السائلِ
تفانى الرجالُ على حبِّها فما يحصلون على طائِلِ

وله :

بثغرِهِ الدرُّ شِبْهُهُ وجْنَتُهُ حَمَّالةُ الوردِ لا حمالةُ الحطبِ
رشفتُ ريقَتَه فازددتُ من عجبٍ إذ بان لي جوهراً قد حُفَّ بالذهب

وله :

إذا تبسَّم من أهوى فأنشده يا مطلباً ليس لي في غيره أربُ

وقل لبرقِ الحمى إن لاح معترضاً لقد حكيتَ ولكن فاتك الشَّنَبُ

وله:

يا شادناً ملكَ الفؤادَ بطلعةٍ شاهدتُ منها البدرَ ليلَ تمامِ
عجباً لثغرك باردٌ في طعمه وله عِذارُ من سيفِ لحظِك حامي

وله:

ثغر الذي أهوى له بارقٌ قد لاح للصادرِ والواردِ
مبردٌ في الثغر عنه روى وخدُّه يروي عن الواقد

وله في مثله:

هام الفؤادُ بظبيٍ فاقَ كلَّ فتًى بنورِ طلعته الغراءِ والأدبِ
ثغرُ له عن صحاحِ الجوهريِّ روى وحسنُ خدٍّ له يروي عن الذهب

وأصله من قول ابن الوردي:

ومليحٍ إذا النحاةُ رأوه فضَّلوه على بديع الزمان
برضابٍ عن المبرّدِ يروي ونهودٍ تروي عن الرماني

وله أيضاً:

وربَّ ساقٍ كبدر التمِّ طلعتُه قد ضَنَّ بالراح لما غاب من عشقا
ولم يزل عفيف الذيل يمطلنا بالراح واللثمِ حتى زاره فسقا

أخذه من قول الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني:

وســـاقٍ منـــع الـــسقيا وقـــد غـــاب الـــذي عـــشقا
ومـــا زال عفيـــف الذيـــــل حتـــى زاره فـــسقا

وله:

بـــالروحِ أفـــدي مغـــنّ فيـــه تزايـــدَ عـــشقي
ملكتُـــه بـــشراءٍ فـــصار مالِـــكَ رقّـــي

وله مكتفياً:

قـــال لـــي فـــي الـــدوح حِبِّـــي وبـــه الأنهـــارُ تجـــري
قـــم بنـــا فـــي الـــروض نغـــدو بـــين ريحـــانٍ ونَـــسْرِ(يـــن)

أخذه من قول البدر الدماميني:

يقـــول مـــصاحبي والـــروضُ زاهٍ وقـــد بـــسط الربيـــعُ بـــساطَ زهـــرِ
تعـــالَ بنـــا إلـــى الـــروض المفـــدَّى وقم نـــسعى إلـــى وردٍ ونـــسرِ(يـــن)

وله فيمن أضاف أصحابه برجله:

ضـــاف أقوامـــاً ببقلَـــهْ مَـــن غـــدا فـــي البخـــل مُثْلَـــهُ
مـــا كفـــاهُ اللـــؤمُ حتـــى مَـــدَّ للأضـــيافِ رِجْلَـــهُ

وله:

يـــا غـــائبين ســـرى لنحـــوي مـــنكمُ ذاك النـــسيمُ وذيلُـــه مبلـــولُ
فـــأتى إلـــيَّ مـــع الـــصباحِ بَعْـــرفكم وشفـــى ســـقامَ الـــصبِّ وهـــو عليـــلُ

أخذه من قول ابن نباته:

يداوي أسى العشاقِ من نحوِ أرضكم نـسيمُ صَـباً أضـحى عليـه قبـول
بروحــيَ ذيــاكَ النــسيم إذا ســرى طبيبٌ يداوي النـاس وهـو عليـلُ

وله وأجاد:

يا صاحِ إن هبَّ النسيم من الحمى وغــدا يجــرُّ مــن الحيــاء ذُيــولا
فأشــتمَّ أنفاســاً مملكــةَ الــشذى مهمــا تــأرَّجَ بكــرة وأصــيلا
ولقــد تكفَّــل للــسقيم بــصحةٍ لمَّـا سـرى سَـحَراً وجـاء علـيلا
لا غَـرْوَ إن أجـرى الـدموعَ فإنـه دَنِــفٌ حكــاني رقَّــة ونُحــولا
فهـي الرسـولُ مـن الأحبـة ليتنـي كنت اتخذتُ مـع الرسـولِ سـبيلا

قلت: ورأيت بخط بعض الفضلاء. . .[1].

[٤٢٥] السيد السند أحمد بن مكي الحسني الحموي الحنفي[2].

شهاب علمٍ يهتدي به أهل البصائر في المشكلات، ويرجع إليه في المعضلات، مشهورٌ بمدينة مصر بين العلماء بالتحقيق، وسعة العلم والتدقيق، **ولد** بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن كثير من علمائها؛ كالشهاب الخفاجي، والسري الدروري، وأخيه أحمد، وحسن الشرنبلالي، وسلطان المزاحي، ومحمد علاء الدين البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم من شيوخ عصرنا.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الفضلاء» ثلثا الصفحة بياض بالأصل».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٩)، «هدية العارفين» (١/ ١٦٤).

واشتهر صيته في الآفاق، وأخذ عنه جمعٌ، وأفاد وأجاد، ودرس بالأزهر، وألف كتباً عديدةً، منها: «شرحه على الأشباه والنظائر لابن نجيم»، ومنها: «شرحه على الملتقى»، و«شرح البسملة»، و«رسالة في الاستعارات»، وغير ذلك من الرسائل في غالب الفنون.

توفي ليلة الجمعة، سابع وعشري شهر صفر، سنة ألف ومائة وواحد، ودفن يومها بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

وله شعرٌ في غاية الرقة والانسجام، منه: قوله يمدح الأستاذ سيدي زين العابدين بن الأستاذ محمد بن زين العابدين البكري ـ نفعنا الله به ـ:

ورقيقِ خصرٍ بالنحولِ ممنطقٍ ... قد ريشتْ بالهدب في أجفانهْ
غصن على دعصٍ يميل مع الصَّبا ... سكرانُ من خمر الصبا نشوانُهُ
مكحولُ أطراف الجفون غضيضُها ... قد خُضِّبت بدم القلوب بنانُه
ما السحرُ إلا ما حوته جفونُه ... والطيبُ إلا ما حوت أردانُه
ما الوردُ إلا ما حوته خدودُه ... وعذارُه ريحانُه سوسانُهُ
ما الصَّعدةُ السمراءُ تشبه قَدَّه ... كلاً ولا غصنُ النقا فَيْنانُه
سلطانُ حسنٍ بالجمالِ متوَّجٌ ... شاكي السلاح سهامُه أجفانُه
قد حَجَّبوه بالأسنةِ والظُّبا ... كالبدرِ حُجِّب بالغمام عيانُه
فهو العزيزُ ومصرُه قلبُ الشجي ... وسوادُ ناظره به إيوانُه
مبذولُ ما فوق اللثامِ لناظرٍ ... ممنوعُ ما تحت الإزار مصانُهُ
قد زارني والليلُ قلَّصَ ذيلَهُ ... والصبحُ قد طعن الظلامَ سنانُهُ

والـوُرق تبكيـه وتنـدب فقـدَه والديكُ صاح وقـد علـت أحزانُـه
فـي منـزلٍ عـمّ السـرورُ رحابَـه والعـودُ يفـصح بالـسرور لـسانُه
والـوردُ والمنثـورُ يعبـق نـشرُه والنَّـدُّ يـسطع إذ عـلاه دخانُـه
وحـديثُنا قِطَـعُ الريـاض أظلَّهـا أنـدى الربيـع ومـا أطـلَّ زمانُـه
جاذبتـه هُـذْبَ الحـديثِ مورِّيـاً عن فرط شـوق قـد ذكـتْ نيرانُـه
فأبـاحَ مـا تحـت اللثـامِ لنـاظري وأبـاحني الثغـرَ النـضيدَ جمانُـه
فلثمتُـه ورشـفتُ صَـهْبا ريقـهِ وشـفيتُ قلبـاً شـفني خفقانُـه
وضـممتُه وهـصرتُ بانَـةَ قَـدِّه وعففـتُ عمـا ضـمَّه هميانُـه
وغفرتُ ذنبَ الدهر مما قد جنـى وشـكرتُ مـولًى عمنـي إحـسانُه
ومدحتُ قطبَ الوقت عارفَ عصرِه مَنْ قد عـلا الفلـكَ الأثيـرَ مكانُـه
زيـنَ العبـاد وزينـةَ الـدنيا التـي شَـرُفت بـه وهـو الأخيـرُ زمانُـه

وله أيضاً:

وغضيضِ جفنٍ بالنعـاسِ مكحَّـلٍ سـلبت حـشاشةَ مهجتـي عينـاهُ
لا شيء أطيـبُ مـن أقـاحي خـدِّه والـورد أخـضلَه النـدى خـداهُ
ما الـدرُّ يـشبه لحظَـه والـدرُّ يـشـ ـبه لفظَـه سـبحانَ مـن أنـشاهُ
قد بـانَ عـذري مـذ أطـلَّ عِـذارُه وازدادَ بـي وجـدي وطـاب هـواهُ

وله:

تبـدَّى ذا العـذارُ شـبيهَ لامٍ علـى ورد بـه زهـتِ الخـدودُ
غـدتْ كـلُّ البرايـا منـه سَـكْرى لـدى لاميـةِ الـوردي شـهودُ

وله:

بـأبي وغيـرِ أبــي عــذارٌ ســائلٌ كالمسك سالَ على بيـاضِ العـاجِ
أبــداً أَديـــنُ بحبـــه وبمدحِـــه فلْيَلْحَني اللاحي ويهجـو الهـاجي

وله يرثي شيخيه الشهابين: أحمد الخفاجي، وأحمد الشوبري ـ رحمهما الله ـ مضمناً:

مضى الإمامان في فقهٍ وفـي أدب الشوبري والخفاجي زينـةُ العـربِ
وكنت أبكـي لفقـد الفقـهِ منفـرداً فصرتُ أبكي لفقد الفقـه والأدبِ

[٤٢٦] مولاي أحمد المعروف بالذهبي، أبو العباس المنصور بالله ابن أبي عبدالله المهدي القائم بأمر الله الشريف الحسني، سلطان المغرب وابن سلطانه[1].

تفرع من جرثومـة الفضـل والنبوة، وتـدرع جلباب الشـرف والمجد والفتوة، فطلع من المغرب بدرَ علا مشرقاً، وراح لعداته بماء حسامه مُغِصّاً مُشرِقاً، فهو كما قال بعضهم فيه، لما بلغه من احتفاله بالفضل وتحفيه:

بدر عُلاً مشرقُه المغرب، ومُبدع في مجده مغرِب، له مزايا لا تناهى ولا يعرب عن تبيانها معرِب، لم يزل على سرير الملك سامياً، وغيث نواله

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٢)، وذكر وفاته فقال: «وتوفي في سنة اثنتي عشرة بعد الألف»، «سـلافة العصـر» لابن معصـوم (٥٦٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٢٨٩) (٤٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٥)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١١٢٤).

هامياً، لا يرفع قصب المجد إلا بدعائم الرماح، ولا يسقي رياض الفضل إلا بغمام السماح، وليس لِبيضه أغماد سوى الطلى، ولا لسُمره مراكز غير الكلى، تسعد به الأصحاب والشيع، وتشقى به الروم والصلبان والبِيَع.

لا يدانيه في سمو قدره مدان، حتى أنزله عنه منزل سيف ذي يزن من رأس غمدان، فدجت بعد إشـراقها مغاربـه، وفلت بعد مضائها مضاربه، فبكت عليه ممالكه وجنوده، وخفقت قلوب أوليائه كما خفقت بنوده، وهذه غاية كل ملك ومملوك، ونهاية كل غني وصعلوك

قال العلامة أحمد المقري وقد أطنب الكلام على ترجمة الوزير الكبير عبد العزيز الفشتالي في كتابه المسمى بـ: «مناهل الصفا في فضائل الشرفا»، وعهدي به أكمل منه ثمان مجلدات، وهو مقصور على دولته وذويه، وألف كاتب أسـراره الرئيس أبو عبدالله محمد بن عيسى فيه كتاباً سماه: «الممدود والمقصور في سناء السلطان المنصور»، وهذه التسمية وحدها مطربة.

ومن شعره قوله:

تبدى وزندُ الشوق تقدحـه النـوى ... فتوقــد أنفاســي لظـــاه وتُــضرِمُ
وهشَّ لتوديعي فأعرضـتُ مـشفقاً ... علـى كبـدٍ حَـرَّى وقلـبٍ يقـسّمُ
ولـــولا ثـــواهُ بالحـــشا لأهنتُهـــا ... ولكنهـــا تعـــزى إليـــه فتكَـــرمُ
فأعجب لآساد الشرى كيف أحجمتْ ... علـى أنـه ظبـيُ الكنـاس ويقـدمُ

وقوله مورياً:

إن يومـــاً لنـــاظري قـــد تبـــدَّى ... فتملّـــى مـــن حـــسنه تكحـــيلا

فـال جفنـي لـصنوهِ لا تلاقـي   إن بينـي وبـين لقيـاكَ مِـيلا

وقوله في وردة مقلوبة بين يدي محبوبه:

ووردةٍ شفعت لـي عنـد مرتهنـي   وافتْ وقد سجدتْ للفاترِ الحَـدَقِ
كأن خـضرتَها مـن فـوقِ حمرتِهـا   خـالٌ على خـدِّه مـن عنبرٍ عبِـقِ

وقوله مورياً:

لله تمـــرٌ طيـــبٌ   وافــى علـى البـشر انطـوى
يـــا حــسنَهُ مجتمعــاً   يحلــو لنـــا بــلا نـــوى

وقوله مورياً بمصانعة الثلاثة: البديع، والمسرة، والمشتهى:

بستانُ حسنك أينعت زهراتُـه   ولكم نهيت القلبَ عنه فما انتهى
وقـوامُ غـصنك بالمـسرة ينثـني   يا حسنَ منتسه البـديع المـشتهى

[٤٢٧] أحمد السطيحة بن المقبول بن عبد الغفار بن أبي بكر بن المقبول فيش العالم رمضان في المهد ابن أبي بكر صاحب الخال الأكبر ابن محمد ابن عيسى بن أبي الأولياء سلطان الطرفين بالله أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي، صاحب اللحية[1].

التي قال في شأنه الولي الكبير أبو الغيث بن جميل، حين [illegible] يتعجب [illegible] بفتحه. وقد سأله تلامذته عنه. وعن سبب تعجبه [illegible] بفتحه. [illegible] غيره من [illegible] على وجه لا [illegible] على [illegible]. [illegible] يعرف

(1) [illegible]

به يوم القيامة، وأكون أنا وأنتم تحت لوائه.

أحد أولياء الله الكبار، العارفين الأخيار، الذين اشتهروا في سائر الأقطار، بعجابة الشأن وعلو المقدار، وممن اشتهرت كراماته، وعمت بركاته، وحُمدت صفاته، وعمرت بالخير أوقاته، وعظمت عبارته، وكثرت إشارته.

مولده «اللحَيَّة»، وبها نشأ، وأُقعد وهو صغير، وأخذ عن الأكابر، الذين ليس لهم في عصره مشابه ومناظر، وعنه أخذ كثيرون من العارفين، والأئمة الصالحين، منهم: الختم الإلهي أحمد بن محمد القشاشي، والولي الشهير المقبول بن أحمد المحجب الزيلعي، وغيرهما.

وكانت **وفاته** ـ نفع الله به ـ نصف ليلة الأحد، ثامن شهر ربيع الثاني، سنة اثنتي عشرة بعد الألف باللحية، ودفن بقرب تربة جده الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

ومن كراماته: أن بعض أكابر السادة جاءه وهو مقعد، وكان يتعلم القرآن وهو صغير قبل البلوغ، فقال له في أذنه لما رأى الأطفال قاموا يتمشوا ويلعبوا بعد انفضاضهم من القراءة: نقيمك يا سطيحة تمشي معهم؟ فقال له مجيباً: إن أقمتنا، أقعدناك، فصاح، وخرج هارباً. انتهى.

ومنها: أنه قبل موته بأيام كان يقول لزوجته: إذا مت، فلا تصيحوا، ولا تنوحوا عليّ؛ فإني متوجه من مكان إلى مكان آخر، وهي تقول له، وكانت أيضاً من أولياء الله: ما يمكن نخالف أهل بلدنا؛ فإنا إذا لم نفعل ذلك، يعيبونا، ويقولون: إنك عندنا ممتَهن، فقال لها: إن كنتم تفعلوا ذلك، تفتشوا عليّ ما تجدوني.

فلما مات، ناحوا عليه وبكوا، فلما جهزوه، وأتوا به إلى المسجد ليلاً ليصلوا عليه، فبينما هم ينتظرون أمام المسجد ليصلَّى عليه، جاء بعض الناس ومسّه ليتبرك ببدنه، على عادة أهل اليمن في تسليمهم على الميت عند الصلاة، فلما وضع يده على الساتر الذي يضعوه فوق التابوت، لم يجده في التابوت، فأخبر الناس، فضجوا وتحيروا، وصاروا يفتشوا، ويظنوا أنه سقط، حتى جاء بعض أكابر بني الزيلعي، وأمرهم أن يقرؤوا سورة ياسين أربعين مرةً، فلما أتموها، وجدوه مكانه. انتهى(١).

[٤٢٨] أحمد بن إبراهيم الضوّي(٢).

الشيخ العارف بالله، كان مقيماً بـ «قلمة»: قرية بقرب «قليوب»، من شرقية مصر، لا يأوي غالباً إلا الكيمان، وكان بينه وبين النور بن العَظْمَة ما يكون بين الأقران، حتى إنه لم يدخل مصر مدة حياته؛ مهابةً له.

وله كراماتٌ كثيرةٌ، وأحوالٌ غزيرةٌ:

منها: أنه دخل على زوجة الحمصاني، وقال لها: هل عندك شيء آكله؟ فقالت: ما عندي إلا جبن، فقال: بل عندك لبن ادخرتيه لزوجك، وكانت ادخرته، ولم يعلم به أحد.

وكان له اطلاع على الخواطر، وما وقف إنسان تجاهه إلا وكاشفه بما عنده.

---

(١) هذه الحكايات والأباطيل من صناعة أهل الخرافات، ومن تلاعب الشياطين بعقول أهل الجهل.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٨).

ومنها: أنه وجد رجلاً معه عنز، فقال: بعني هذه العنز، فقال له: أعطيت فيها خمسين نصفاً، فقال: خذ هذا ثمنها، فوضع في كفه خمسة أنصاف، فأعادها له، وقال: أقول لك: خمسين، فما زال يدفعها له بعينها، وهي كل مرة تزيد، إلى أن صارت خمسين نصفاً.

وأخبر الحمصاني: أن ولده كان جالساً في قبة الشافعي ضحوة نهار، وإذا بجمعٍ قادمين ركباناً ومشاة، فلما أشرفوا على القبة، وضعوا سلاحهم ودوابهم بفنائها، ووقفوا تجاه الباب، وعرضوا عليه أن صاحب الترجمة محتضر، وأنه يدفن من الغد، فأشار الإمام بحضور الولد ودفنه، فلما كان الغد، أرسلت الولد إلى «قليوب» لبعض أصحابي، فوجدوه توجه إلى «قلمة»، فتبعه، فوجد أحمد المذكور محمولاً على الأعناق، ولا يدرون أين يدفنونه فيه، فبمجرد وصول الولد، وضع، ودفن في المحل الذي وقف فيه.

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ـ بتقديم السين ـ وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٢٩] أحمد بن معوضة الجربي[(١)].

منسوب إلى الجربيين، بالقرب من بلاد آل عابس، أقرب إلى شرقي الجهة الذمارية، كان عالماً عاملاً عابداً، ورعاً إلى الغاية، إماماً في الفقه، قرأ عليه السيد العلامة عبدالله بن أحمد المؤيدي، استقر بذمار، ثم دخل صنعاء، واشتهر مقامه، وصيّر إليه الناس واجباتهم؛ ليصرفها في أربابها، فكان لا يقبل ذلك، ولا يتولى قبضه، بل يتركه عند أربابه، ثم يفعل للمستحقين

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٠٩) (١٠٤).

ورقاً بأيديهم، وكان لا يجعل لنفسه ـ مع فقره ـ إلا ما يفعل لرجل من ضعفاء المسلمين.

وعمي في آخر عمره، فتوجه لعبادة ربه بمسجد داود بصنعاء، وله ولدان عالمان، الأكبر منهما محمد بن أحمد، كان على طريقة أبيه، في الورع والتقشف، مبارك العلم، من قرأ عليه، منحه الله، وكان إماماً لمسجد داود، وكان لا يفارق المسجد إلا عند مبيته، متواضعاً يقضي حوائجه بنفسه، ولا يسأل أحداً شيئاً، وله من وظيفة المسجد شيء يسير يكتفي به.

والثاني عبدُالله بن أحمد، كان عالماً يتوقد ذكاءً، وله في علم الكلام جليلهِ ودقيقهِ اليدُ الطولى، وفي الفقه ترجيحات، وهما حريَّان بإفراد الترجمة لهما، فإن أمكن، فهو ذكر نعمان، وانتقلا جميعاً إلى «الروضة» من أعمال صنعاء، واستفاض عند كثيرٍ من أهل بيوته رؤيةُ النور من قبورهما.

وكانت وفاة المترجم سنة خمس عشرة بعد الألف، وقبره بجرية الروض بصنعاء ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٣٠] أحمد شهاب الدين بن علي بن الملا قاسم بن نعمة الله الشيرازي محتداً، المكي مولداً[١].

قال السيد في «سلافته»: شهابٌ طلع في سماء المكارم بدراً، وشرح لاقتناء المعالي والمآثر صدراً، بفلك أعنة المحاسن، وورد من مناهلها عذباً غير آسن، إلى أدبٍ لم يقصر في مداه من غاية، ونظمٍ رفع به للقريض راية.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٣١) (٣٠٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٨٢).

منه: قوله مادحاً للوالد، وقد قصده بالديار الهندية، سنة أربع وسبعين بعد الألف:

سقى الله ربعاً بالأجارع من نجدِ وحَيًّا الحَيا وادي الأراكة والرَّنْدِ
مغانٍ بها كان الزمانُ مساعدي بأفنانِ بشرٍ من أَسِرَّته تُبدي
وريمٍ إذا ما لاح ضوءُ جبينه بفرع حكى ليلَ التباعدِ من هندِ
أرانا محيًّا كالغزالةِ في الضحى أو البدرِ في برج التكامل والسعدِ
له مقلةٌ وسناءُ ترشُق أسهماً تُصيب الحشا قبلَ الجوارح والجلدِ
وثغرٌ إذا ما ضاء في جنحِ دامسٍ توهمت دُرّاً قد تنضَّدَ في عقدِ
يدير بها ظَلْماً كأن مذاقَه جنى الطلعِ أو صِرْفَ السلافِ أو الشهدِ
وتالعُ جيدِ ما الغزالةُ إن عطَتْ بمنعرج الجرعاء طالبة الوردِ
وصعدةُ قَدٍّ إن تقُل غصن النقا بقول لها هيهاتَ ما ذاك من نِدٍّ
وردفٌ تشكى الخصر إعياء ثقلِهِ فناءَ به حتى تضاءل عن جهدِ

ومنها:

فلله هاتيك الليالي التي خلت وعرضت عنها بالقطيعة والبعدِ
وأصبحتُ والأحشاءُ يذكو لهيبُها أليفَ النوى حلفَ الجوى دائمَ السهدِ
أروح وأغدو واجداً بين أضلعي لهيبَ جَوًى لم يخلُ يوماً من الوقدِ
أعضُّ سناني حسرةً وتأسفاً وأندب عصراً لم أبت خالياً وحدي
وأرسل دمعاً كالغمام إذا همى فهيهاتَ أن يغني التأسفُ أو يُجدي
إلى الله أشكو جَوْرَ دهر إذا عدا على المرءِ حاجاتٍ بألسنةٍ لُدٍّ

وقائلـةٍ والعـيشُ يزعجُهـا النـوى وعبرتُها كالطلِّ يـسقط فـي الـوردِ
لبئس المنى أن تقطعَ البيدَ بالسرى وترحلَ عن وادي المحصَّبِ للهندِ
فقلـت لهـا واللهِ مـا القـصدُ منيـةٌ ولا نيلُ سُؤْلٍ من عُروض ومن نقدِ
ولكنْ لأقضي شكرَ سـالفِ نعمـةٍ مـشيدةِ الأركـان بـالأبِ والجَـدُّ
لأكرمِ مـولًى ألبـستْ يـدُه الـورى مطـارفَ نعمـاءَ تجـلُّ عـن الحـدُّ
مبيدِ العدا ربِّ الندى غوثِ صارخٍ ملاذٍ لأهل الأرض بل غاية القصدِ
مليكٍ غُـذى دَرَّ المكـارمِ والنهـى ونيطت به العلياءُ وهو على المهدِ
مليكٍ إذا ما جال في حَوْمَةِ الوغى تدرَّعَ جلبـابَ البـسالةِ عـن سـردِ

منها:

به افتخرت آباؤه الصِّيدُ في العـلا إذا افتخـر الأبنـاء بالحَـسَبِ العـدُّ

ومنها:

فـدونكها يـا نجـلَ طـه خريـدةً تميس اختيالاً من مديحك في بُرْدِ
تُهني بعيد الـيمن والـسعد والعـلا ونحر عدوٌّ لم يـزل واغـلَ الحقـدِ
فلا زلتَ منصوراً مدى الدهر ناصراً كريمَ المساعي في وعيدٍ وفي وعدِ
تحفـك أبطـالٌ إذا شـبّت الـوغى يؤماك نجـلاك المؤيـدُ والمهـدي
ويتلـوهم مـن آلِ خاقـانَ زمـرةٌ تخوض غمارَ الموت حاسرةَ الزندِ
وإن كنتُ لم أكملْ مـديحَك حقَّـه فذلك عـبء لا يقـوم بـه جهـدي
وقد أوجبَ التطفيل ما ليس خافياً عليك من الإخلاص والصدق والودِّ

فلستُ كشخصٍ ودُّه في لسانه ... وفي طيِّ أحشاهُ الذي يبدي[1]
ودمْ راقياً من أرفعِ المجدِ رتبةً ... تؤمُّ فِناها الصِّيدُ طالبةَ المدِّ

وله من قصيدة:

يا أخلائي بجرعاءِ الحمى ... ما لصافي ودِّنا عاد أُجاجا
وليالٍ بمنًى قضَّيتها ... مع نديمٍ لم يكن في الحبِّ داجَى
ومليحٍ كغزالٍ ناعسٍ ... يُخجل الأقمار حسناً وانبلاجا
فسعى في شتنا دهرٌ بنى ... بيننا من فادح البين رِتاجا
فتناءَوا وتبدلْتُ بهم ... فتنةً حادت عن الحق اعوجاجا

ومن شعره مجيباً للسيد علي صاحب «السلافة» عن أبيات كتبها إليه، لغَرضٍ عَرَض:

أبا حسنٍ لا زالَ سعدُك غالباً ... وجدُّك مسعوداً ونجمُك ثابتا[2]
ولا زالتِ العلياءُ تجني ثمارها ... لديك وتحوي في المعالي الأطايبا
أنا في قريضٍ منك قد جرّ ذيلَه ... على الأطلسِ الأعلى وفاق الكواكبا
يشير إلى خِلٍّ تغيرَ ودُّه ... وأصبح من بعدِ التصافي محاربا
أبى الله أن يَثني عنانَ ودادِه ... ولو مَطرتْ سُحْبُ الغوادي قواضِبا
ولكنه يا مفخرَ العرب امرؤ ... يُجَرَّعُ من هذا الزمانِ مصائبا

---

(١) كذا في الأصل، الشطر الثاني غير موزون.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: ثائباً.

فجرَّدَ[1] عزماً للتجافي عن الورى وأصبح منحازاً عن الخلق جانبا

ومنها:

فصبراً لهذا الدهر إن صُروفَه لعمرُكَ تبدي من قضاها عجائبا
سيصفو شرابٌ مرَّ دهراً مكدَّراً ويرضى محبٌّ ظلَّ حيناً مُغاضِبا
فإنَّ ضميري لا يزال منازعي بأنك ترقى في المعالي مراتبا
مراتبَ تسمو للسِّماكين رفعةً تقود بها خيلَ الفخار جنائبا
فذلك عندي عن تقيٍّ مكرمٍ صدوقٍ إذا ما قال لم يُلْفَ كاذبا
وما زلتُ أرعى قولَه في مواطن فألفيتُه ثبتَ المقالة صائبا
ودمْ راقياً للمجدِ أرفعَ رتبةٍ تبيدُ الأعادي أو تُنيلُ الرغائبا

[٤٣١] السيد أحمد بن نهشل بن داود بن جعفر بن قاسم بن يحيى ابن جعفر بن الحسين ابن الأمير ذي الشرفين محمد بن جعفر ابن الإمام القاسم ابن علي بن عبدالله [بن][2] محمد بن محمد بن القاسم بن إبراهيم[3].

كان سيداً جليلاً، عالماً نبيلاً، من تلامذة الإمام يحيى شرف الدين، وقرأ عليه شيخُ الأئمة الحسن بن شرف الدين الحَمْزي، وكانت وفاته سنة عشرة وألف، ودفن بقبة الحويت، في الظفير.

وفي هذه القبة جدُّه جعفر بن قاسم، وبجنبه الفقيه مسعود بن محمد

---

(١) في الأصل: فتجرد، والصواب ما أثبت.

(٢) كلمة [ابن] سقطت من الأصل.

(٣) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٨٧) (٨٤).

الحويت صاحبُ المدرسة، والفقيه ناجي، وبعد ذلك دفن فيها السيد يحيى ابن أحمد بن محمد بن المنتصر ـ رحمهم الله ـ، كذا ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

[٤٣٢] أحمد بن صلاح بن حسن بن محمد بن علي بن مهدي بن علي ابن حسن بن عطية بن محمد المؤيد الدوّاري، المعروف بالقصعة[١].

كان من كبار العلماء الأخيار، زاهداً في الدنيا، كثير الإحسان، لا ينظر إلى الظلمة، ولا يتردد عليهم، وكان كريماً، إذا حضر طعامه بصعدة، أمر رسولاً يأتي بمن في الجامع من الغرباء.

وكان بحراً في العلوم لا يجارى، وصنف كتاباً في أنواع الحديث مبسوطاً، وله كتابات متفرقة، في علوم متعددة، وأمه جاريةٌ هنديةٌ؛ لأن والده كان كثير السفر إلى الهند، ومولدُه بـ «كنبايه».

ومن شيوخه: الحسين المسوري، والسيد محمد بن عز الدين المفتي، مؤلف «الحاشية على الكافية»، قرأ عليه «الحاجبية»، وحاشية عليها، والسيد علي ابن الإمام شرف الدين، والسيد فخر الإسلام مظهر بن تاج الدين، **توفي** ليلة الثلاثاء، ثالث وعشري شوال، سنة ثمان عشرة وألف، وقبره بصعدة.

[٤٣٣] أحمد بن عبد الرحمن الناشري الزبيدي الشافعي.

كان إماماً ورعاً، زاهداً عابداً، **توفي** يوم الخميس، في شهر رجب، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٤٨) (٥٥).

[٤٣٤] أحمد بن مسعود الحسني.

مترجم في المجموع، الذي أوله رسالة الأشخر.

[٤٣٥] السيد أحمد بن شيخ بن عبدالله بن شيخ العيدروس[١].

الشيخ العارف بالله، الولي المجذوب، **وُلد** بـ «تريم»، سنة تسع وأربعين وتسعمائة، وجاء تاريخ مولده: (ولي الله شمس الشموس)، ونشأ بها، وقرأ القرآن، ودخل أرض الهند مرتين، آخرهما سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، واستمر مقيماً بأحمد آباد، عند والده، ولازمه إلى أن توفي، ثم انتقل إلى مدينة «بروج».

وحصل عليه غيبة عن إحساسه، فكانت ترد عليه الواردات العوال، التي لا يحملها إلا فحول الرجال، وكان يظهر عليه آثارها؛ من دهش وانزعاج، وقلق واهتياج، وكان يعتقده أهل الهند اعتقاداً تاماً، وظهرت منه كراماتٌ كثيرة.

وكانت **وفاته** يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة أربع وعشرين بعد الألف ببندر بروج من الديـار الهندية، وقبره معروف يزار، ويلتجأ إليه، ويتبرك به ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٣٦] أحمد بن يحيى بن سالم بن علي بن محمد بن موسى الذويد الصعدي[٢].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢١٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١١١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤١).

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٣٣) (١١٦).

كان عالماً غريب الصفات، قليل النظير في وقته، جمع أنواعاً من العلم، أما الشرعيات، فكان إمامها على الإطلاق، وأما المعقولات، فكذلك، له «شرح على تلخيص المفتاح» بسط فيه، وله في كل علمٍ قدمٌ راسخة، خصوصاً الطب؛ فإنه بلغ فيه الغاية، وكذلك الرمل ولواحقه، والزيجات، وحل السحر، وقرأ التوراة.

وكان آية من آيات الله، مع مكارم الأخلاق تفضح النسيم العبور لطفاً، وتخجل شميم العبير عَرْفاً، وكان كلفاً بالكتب وتحصيلها، وبعض إخوانه يتعاطى التجارة، ووالدهم إذ ذاك حي، وأثرى، وكثر ماله، وجمع خزانةً من الكتب لم تجتمع في عصره لغيره، توفي يوم الاثنين، خامس عشر جمادى الأولى، سنة ست وعشرين وألف.

[٤٣٧] أحمد ابن الفقيه عبد الرحمن بن سراج باجمال الحضرمي الشافعي[(١)].

كان من الفقهاء المحققين المبرزين، والعلماء المتضلعين، قرأ على والده، وتولى الجامع ببلدة «الغرفة»، وأضيفت إليه الأحكام، وقصده الناس بالفتوى، وكانت له اليد الطولى في تحقيق المشكلات، والاطلاع على المسائل العويصات.

وكان غزير العقل، قوي الذهن، كريم النفس، له القريحة الوقادة، والعبارة المنقادة، سريع الحفظ لما يعانيه، وله النظم الرائق، والأجوبة المحققة الواضحة المرضية، جمعها ولده الفقيه محمد، وقد فات منها لطول الوقت

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٣).

كثيراً[1]، واختصر «فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن حجر الكبرى» في مجلد، والتقط فتاوى كثير من المتأخرين.

توفي سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن شرقي ضريح العارف بالله تعالى عبدِالله بنِ عمر باجمال، ببلدة الغرفة، من حضرموت.

[٤٣٨] أحمد أبو المواهب بن علي بن عبد القدوس ابن الشيخ العارف الولي المشهور محمد بن علي بن أحمد بن عبدالله الشناوي القرشي الشافعي العباسي، الشهير بالحامي الشافعي، وينتهي نسبه إلى سيدي عمر الأشعث، تلميذِ سيدي أحمد البدوي، الفرد الأكمل، والد الكمّل، ترجمان القدم والأزل بالوراثة، ملحق الأواخر بالأوائل، غوث الإغاثة[2].

كان ـ قدس الله سره ـ إماماً في العلمين: علم الشريعة، والحقيقة، وشيخ أكابر أهل الوحدة والطريقة، كنز العلوم والدقائق، ومركز مدار الحقائق، سبحَ في أبحرالمعارف بباعه الواسعَ، وجمعَ إليه من كل فنٍّ بديع شاسع.

ولد في سابع شوال، سنة خمس وسبعين وتسعمائة، بمحلة روح، من غربية مصر، وأخذ عن القطب الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، وحسن الدُّنْجيهي، وأحمد المعرِّي، وعن الشمس محمد الرملي، والشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وغيرهم من علماء القاهرة.

وأخذ الطريقة الأحمدية عن والده، حتى بلغ الغاية في الطريق، وانتهت

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٤٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٨١).

إليه في عصره بمصر الرياسة في علم القوم والتحقيق، وفي تلقين الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عنه أكابر، منهم: الشيخ الشمس محمد الشوبري، وأخوه أحمد، وشيخنا سلطان المزاحي، وكمال الدين السوداني، وأبو بكر القعود، والعارف بالله حسن البدوي، ومحمد بن علي الشبراملسي.

ثم توجه إلى مكة، ومكث بها سنين، ووقعت له وقائع مشهورة، ثم استقر بالمدينة، وأخذ بها عن السيد غضنفر بن جعفر البخاري، وصحب بها السيد العارف بالله صبغة الله بن روح الله الحسني، وأخذ عنه طريق الغوثين، وتلقن الذكر، ولبس منه الخرقة، وبه تخرج في التحقيق، وعلوم الطريق، وأرضعه من درِّ ضرعه لِبان المعاني والبيان، ورباه بعد أن فطمه عن شائبة الغير في حِجر حَجْره، إلى أن فاز بالكشف والعيان.

وقام بعده مقامه للناس، في التربية والتلقين والإلباس، وتمكن حاله، واشتهر مقاله، وصارت له اليد الطولى في الطريق والكرامات، التي لا يحصرها عدّ لبلوغها النهايات، ومن أجلّها: أنه عاهد روحاني، أن لا يؤذوا مريديه بشيء من المخوِّفات، وتعهد بعدم الرجعة لمن صدق من مريديه، في إخلاص النيات.

وكان يقول ـ كما أخبرني شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي ـ: لو كان الشعراني حياً، ما وسعه إلا اتباعي، وكان يقول: لا يدخل النار من رآني، أو رأى من رآني، إلى يوم القيامة[1]، ونقل عنه أنه قال: عهدنا يحفظ، وإن لم يحفظ، واشتهرت تلامذته وخلفاؤه في كل أرض، وسلمت له أهل عصره،

(١) غفر الله للمصنف ورحمه إذ نقل هذه الأباطيل، وإلا فمن يستطيع أن يدعي هذه الدعوى من أهل العقل والدين.

وأنه لا يتكلم إلا عن إذن الهي، ونفث روعي.

وجمع ما تشتت في طرق القوم، وظفر فيها بما غلا في السوم، فكم له من منّة على من سلكها، وكم التقط من الكنوز جواهر ومعادن، وبمعرفته في كل مشكل سبكها، فجزاه الله خيراً بما هو أهله، فكم أتحف مريديه بكف يشكر بها فضله.

منها: أنه قال: أجزت لكل مسلم تبرأ إلى الله من الشرك الظاهر والباطن؛ كخدع نفسه وهواه، أن يتوب إلى الله، ويلقن الذكر، ويصافح، ويلبس الخرقة، بشرطي هذا، على وفق أهل السنة، من سنة ألف إلى قيام الساعة، بإجازة قوله ﷺ: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، وقوله ﷺ: «من كثَّرَ سوادَ قومٍ، فهو منهم»، وبإجازة: قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[التغابن: ١٦].

ولم يسقط الحكم بوجود العذر، كما ورد: «سيأتي على أمتي زمان، العامل فيه بِعُشر ما أُمِر به، مثلُ أبي بكر وعمر فيكم»؛ إذ المرض لا يسقط الطلب، والميسور لا يسقط المعسور.

ثم قال: وأجزت بلبس الخرقة أيضاً، لتنوير الباطن بزيّ القوم؛ لخبر: «من تزيا بزيّ قوم، فهو منهم»، فإذا ثبت أنه منهم، يكون له ما لهم، وعليه ما عليهم، فيحسن الظن بالله، ويقوي يقينه لخبر: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»، وخبر: «تعلموا اليقين[1]؛ فإني أتعلمه»، ثم قال: فعليك بنسبة التوبة، ونسبة الخرقة؛ لخبر يوم القيامة: «ينقطع كل نسب إلا نسبي وحسبي».

---

(١) في الأصل: التفتي.

ثم قال: وأصحُّ طرقنا ما أخذه المخبر أحمد بن علي عن والده، وكل عن الذي بعده، وعبدالله عن جده لأبيه سيدي عمر الأشعث عن سيدي أحمد البدوي، وهو وسيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي علي الشناوي، الثلاثة عن السيد الشريف عبد السلام بن بشيش ـ نفع الله بهم ـ.

ومنها: أنه قال ـ كما رأيته بخطه ـ: إذا تحيّرتم في الأمور، فعليكم بزيارة القبور، قال: وليس بحديث كما زعمه ابن كمال باشا، ولكنه كلام حقّ، فقد ردّ عليّ بصري من سيدي أحمد البدوي، وفتحت لي البلاد إلى قبرس، ولي مع الحضرة النبوية وقائع لا تحصى.

والحاصل: أنه كان آية من آيات الله، لا تفي عبارة بنعته، وصفة كماله، فالغاية الاختصار، والأولى الاقتصار.

وله المؤلفات العظيمة، ومن أجلِّها: شرحه على جواهر الغوث، في مجلدين ضخمين، سماه: «ضمائر الأسرار الإلهية في شرح الجواهر الغوثية»، ومن وقف عليه، عرف مكانته في المعارف الذوقية، وفن الدعوة الأسمائية، وشرح آخر مختصر سماه: «تحلية البصائر بالتمشية على الجواهر»، ومنها: «التأصيل والتفصيل»، و«السطعات الأحمدية»، و«فواتح الصلوات الأحمدية في لوائح مدائح الذات المحمدية»، و«بيعة الإطلاق».

و«رسالة في الوحدة الوجودية التي عليها إجماع أكابر الصوفية»، وكتاب «خلاصة الاختصاص وما للكمل من الخواص»، و«موجبات الرحمة وموثقات العصمة»، و«نظم الزورا»، و«مناهج التأصيل»، ومنظومة سماها: «صادحة الأزل»، و«شرحها»، وغيرها من التصانيف، التي لم ينسج على منوالها،

وتحير الألباب بحسن طلاوتها وإدلالها.

وتلامذته في الحرمين أعظم الناس، وعليهم المدار في علوم الطريق والإلباس، ومنهم: السيد سالم بن أحمد شيخان باعلوي؛ فإنه خِرّيجه، الذي عليه تعويله، ومنهم: العارف بالله أحمد بن محمد القشاشي، وغيرهما، وناهيك بهما.

توفي قبيل مغرب يوم الأربعاء، رابع أو سادس ذي الحجة، ودفن صبيحة يوم الخميس، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، ودفن ببقيع الغرقد، خلف قبة سيدنا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، في جوار شيخه السيد صبغة الله ـ رحمهما الله تعالى ـ، وجاء تاريخه: (خير المنزلين).

وله الشعر البليغ البطين، الذي بجودته لجلالته يبين، جمعه في ديوان كبير.

من ذلك: قوله مخمساً قصيدة العارف بالله الشيخ عبد الهادي السُّودي المدفون بمدينة تعز ـ نفع الله به ـ:

كيف يبدو العينُ بالأثَرِ ... وهي تأبى العيبَ كالخَصَرِ

صحَّ فيها قولُ معتبرِ ... ليس عند الخلق من خَبَرِ

عنكَ يا أغلوطةَ الفِكَرِ

صارت الأنباءُ عنك عما ... وشهودُ الكشف فيك دما

وعليمُ القوم مصطلما ... حارت الألبابُ فيك وما

ميزت وِرداً من الصَّدَرِ

وحـــدة عـــزتْ مهيمنـــة جمعـــتْ للـــصدر مرتبـــة
وجلـــت للعـــين تعميـــة حيـــرة عمّـــت فـــأيُّ فتـــى
رام عِرفانـــاً ولـــم يَحـــرِ
فجـــلا لاهوتُـــه ظلـــلا فبـــدا ناســـوتُه مـــثلا
وعـــــلا إطلاقـــــه أزلا عميـــتْ أنبـــاء ذاك علـــى
كلِّهـــم فـــي البـــدوِ والحـــضر
فحكـــى القيـــوم نـــزلهم وجـــلا فـــي العـــين ريمهـــم
فبـــدا عـــنهم وهـــم وهـــم وغـــدا يـــسأل بعـــضهم
عنـــكَ بعـــضاً عَـــلَّ مـــن ظفـــرِ
قـــصدوا جمعـــاً بـــه صُـــدِعوا فرقـــوا فـــي الجمـــع وانقطعـــوا
وهـــمُ عـــنهم بـــه منعـــوا فـــانثنوا والله مـــا وقعـــوا
لا علـــى عـــينٍ ولا أثـــرِ
فمحـــيطٌ كيـــف يحجبـــه فأبـــت عـــنهم مذاهُبـــه
وضـــيا الإمكـــان واجبـــه بـــل عظـــيمُ القـــوم مطلبُـــه
شـــدةٌ التحبيـــرِ والحـــصرِ
إن دون الحـــق لـــيس نبـــا فـــسوى القيـــوم منـــه هَبـــا
وجمـــالُ الوجـــه مـــا احتجبـــا كيـــف حـــاروا فيـــك واعَجَبـــا
يـــا مُنـــى ســـمعي ويـــا بـــصري
حكمـــه مـــاء بمنعقـــدِ وقيـــام الفـــرد فـــي عـــددِ

قمـت فـيهم غيـر متحـدِ | أنـت لا تخفـى علـى أحـدِ

غيـر أعـشى الفكـر والنظـرِ

أو علـى رسـمي لـه شُـبَه | أو علـى وسـمي بـهَ ولَـهُ

أو علـى مـن فَرْقُـه عَمَـهٌ | أو علـى شـخصٍ بـه كَمَـهُ

لـم يـشاهدْ صـورةَ القمـرِ

فـالوجودُ الحـقُّ ذا رتبـا | وعلـى التحويـل فيـه أبـا

وعلـى التنزيـل مـا سـلبا | بـالظهور الـصرف محتجبـا

أنـت هـذا صـحَّ فـي الأثـرِ

فعلـى تحقيـق رتبـتهمْ | أنـت فـي إطـلاقِ نـسبتهمْ

وعلـى تعيـين وجهـتهمْ | أنـتَ فـيهم ظـاهرٌ وبهـم

ولهـمْ لـولا بقـا الأثـرِ

فهـمُ مـنهم بهـم عـدم | ولهـم فـي علمـه قـدم

وهـم مـن وجهـه الأمـم | لـو تلاشـت عـنهم ظلـم

وانمحـوا عـن عـالَم الـصورِ

فهـمُ خلـقٌ ببـسط وطـا | وهـم حـقٌّ بكـشفِ غِطـا

فلـو انهلـوا هـدى وسـطا | شـاهدوا معنـاك منبـسِطا

سـارياً فـي سـائر القطـرِ

ورأوا واللهِ مـا حكمـوا | وبعـين الله مـا علمـوا

وبوجـه الحـق قـد عُـصِموا | ودَرَوْا أن الحِجـابَ هُمـوا

عـــن شـــهود المنظـــر النَّـــضِـــرِ

فجــلا فـــي العـــين غايَتَـــهُ وحكــــى للوجـــه هالَتَـــهُ

فـــأدار البـــدءُ غايتـــه وقـــضى يعقـــوبُ حاجتَـــهُ

وانتهـــى زيـــدٌ إلـــى الـــوطر

وقوله ﷺ مادحاً للسادة آل أبي علوي ـ نفع الله بهم ـ، وشارحاً لألفاظ جدهم الفقيه محمد بن علي المقدم ﷺ في كلماته المشهورة، في قوله: «لا حاجة لي بمحمد ولا بمحمدة»، وقوله، «والله إني الله» وهو تلخيص مفيد.

تقطعتِ الأسبابُ دونَ جنابِكم فعروتُكم وُثْقى هي المجدُ والكرمْ

فكم آيةٍ كبرى وكم عصمةٍ بدت وكم همةٍ عليا بها تُدفع الدهمْ

جُعلتم على المجد الأثيلِ أهلَّةً بإقليدِ مجدِ العزِّ والطَّولِ والعصمْ

فحطت بكم ذاتُ المكارم سِّرها ولم تَعد بعد السُّوحِ وجها ولا أممْ

أقمتم لواءَ الحمد في كل ذروة وكنتم ولاةَ الدين بالعلمِ والحكمْ

وخضتم بحاراً أغرقت كلَّ ساحل فلا دونها مَرْمى ولا خلفَها عَصم

وعُدتم علينا بالجواهر حسبةً ومن دون هذا الجودِ ما تم من كرمْ

بذلتم نفوساً للإله كريمةً لأعداءِ دينِ الله إذ قامَ وانحتمْ

وتمت بكم آياتُ وحي بها تلتْ بأخباركم أحكام رسلٍ مع الأممْ

وقد جاء وحيُ الله عهداً مؤكداً بتطهير أهلِ البيتِ حقاً فذا الكرمْ

فكلُّ الملا والأنبيا وملائكٌ لمجدِ أبيكم كيف كانوا هم الخدمْ

فأنت وجوهُ العالمين بلا امْتِرا وكيف ووحيُ الله في ذاك قد حكمْ

محبٌّ لهم في كلِّ وجه أتوا به فحبُّهم ديني به العهدُ ملتزمْ
فحبِّي لهم فخراً إذا أنا أحمد وكم لي شملٌ من ولاء الدين منتظمْ
وقد عهد الآباء أنا نحبُّهم أجبنا بما قد كان في سابق القدمْ
وقمنا بفضل الله ديناً نودهم ولم نعدُ عنهم قط في عهدهم قدمْ
ولم لا وهم في الناس في كل موكبٍ هم الوجهُ في العلياء وجهاً ومختتمْ
وقد سبقت كل القرون قريشهم على الدرة البيضاء تعبد باللزمْ
وقدوتهم منى عليٌّ فحبذا إمامُ الملا من قبل أن يخلق النسمْ
وعترتُه للعالمين أولو النهى أئمتُنا في الدين في كل مُدلهمْ
وأكبرُهم حوزاً وأكثرهم ندًى وأطولُهم باعاً عليٌّ المجدِ والكرمْ
بنو العَلَوي باللهِ وافوا عليَّهم بأعظمِ عهدٍ في المعارفِ والحكمْ
فسادوا النهى من كل فضلٍ قد انتهى مقدمهم من حيث لا حيث وانبهمْ
لذا قال لِمْ أفتى ولستُ كمثلكم لتحقيقه في العين بالعين والقدمْ
وليس يضاف الشيءُ منه لعينه وليس يُجامَع أو يرافع فما انضمْ
وليس له وصفُ افتقارٍ ولا غِنًى فقد حاطَ وجه الجمع بالمعهد الأعَمْ
ولا حاجة لي عند طه حميدة لطيٌّ جهاتي فيه بالذات واللزمْ
ففي الوجهةِ الكبرى أتى وجهُ نزلها وفي النزلةِ الغرا فلا حكمَ للعدمْ
فمن كان في الإمكان لم تقض ذاتُه وجوداً له منه، ولا يقتضى عدمْ
فقد حقَّ أن الوجهَ منه بذاتُه بواجهه بالذات في رتبة يومْ
وليس لها إلا الموت رتبةً يقوم بها في العالمين لهم أممْ

إذا كانت الأشجارُ فيها تكلم بآية موسى فالمرادُ هنا أتمْ
وفي عمر قال العلي بلسانه وفي سمع الله الحديث به استقمْ
على أن هذا الوجهَ دون تحققٍ فذا الذكر والاشغالُ يأتي لمن تأمْ
ومن كان معلوماً برؤية ممكنٍ تحكم فيه العاد واقتحمَ الدهمْ
فليس له تغني أحاديثُ قومه ولا الآيُ والإنذار بل صفقةُ الندمْ
وأقسم لهو الله بالله صادقاً ولا كان سكراناً ولكن على قدمْ
فمن صحوه المعلومِ محوُ هويه فلم يك إلا الله قد قال ما حكمْ
فليس سوى وجهِ المحيط انية فواصل تنزيل على العين تحتكمْ
فليس لها قلبُ الحقيقة فهي في وجودٍ لها في الطيِّ في أسفل العدمْ
وإقليدُ حكم الذات ما لواؤه فلم تخفِه تلك التماويهُ والشيمْ
وأصلُ أصولِ الحقِّ في جمع جمعِه فما الفرقُ إلا حكم مرتبة تومْ
وعند استواء الشمس يعدَمُ ظلُّها وتطوى الجهاتُ الستُّ في وجهة الأمْ
وقد حملت منا الأمانات رتبةً فوفَّتْ بما قال المحيطُ بها فتمْ
فرتبةُ صحوِ العلمِ في نحوِ وهمِه يقيمُ على التحقيق مرتبةَ القدمْ
وقد حمل الأميُّ ابنُ عليّنا بما قال عنه اللهُ فهو على عصمْ
ومنك الوفا فيهم لهم عنهم اقتفى دواماً على التأييد من فضلك الأعمْ
ورتبتهم عينُ الوجود عليُّهم أنله بك العَليا افتتاحاً ومختتَمْ
ووالِه وُدًّا كلَّ وقتٍ برفعةٍ تنلْه من الآباء ما عنه معتظمْ
وقابلْ به منكَ الرضا فهو مرتَضَى لِما إن له من نيلِ أنبائك اللممْ

وقوله نفع الله به موالياً:

إذا ما اللفظُ لحظ العين جالت بخال الوجه في دورٍ مسلسل
فقل للأقربِ الأدنى هلمّا وقل لك بعد الأقصى تسلسلْ

وقوله ـ رحمه الله تعالى ـ:

إياك تصحبك في مجلاه أو مسراك بل كنْ بلا كونٍ واحذر فيه من إشراك
فالفرقُ والجمعُ والأسما له إشراكُ والعينُ للعين تحكي الوجهَ في مرآك

وقوله ـ قدس سره ـ:

العرشُ والفرشُ والمشهورُ تَمْثيلُكُ والصورُ والطورُ والمنطورُ تحويلُكْ
والخلقُ بالخلقِ بالتأصيلِ تفصيلُك والعينُ بالعينِ أو بالنفسِ تحوي لكْ

وقوله ﷺ:

جلا وجودك به المشهود في شاهد حتى أقام بفرض العين لك شاهدْ
أنت الشهيدُ فما المشهودُ للشاهدْ شيئاً سواه بما يُبديه من شاهدْ

ومن فوائده ـ أمدنا الله بمدده ـ: مقاله في شرح «الجواهر الغوثية الصغير» الذي سماه: «تجلية البصائر بالتمشية على الجواهر» عند قول الغوث ـ قدس سره ـ في أعمال الدعوة، وترك الحيوانات الجمالية والجلالية. . . إلخ.

أقول: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[إبراهيم: ٤]، وفي الشرع اختلاف المطالع في الصوم والفطر مؤثر، فلا يهولنك طوية هذا الأمر؛ فإن الدين يسر، وقد أخذ ﷺ العهد على من لم يصل إلا العصر والصبح فقط، فنظر إليه أبو بكر ﷺ، فقال ﷺ: «سيصليها كلها».

وفي مبادئ الأمر وقعت مسامحة، وحكمه بإيمان الجارية، ومن القواعد الفقهية: الضـرورات تبيح المحظورات، وإذا ضـاق الأمر، اتسع، وصحّ: «ما شـادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه»، و«من شق على أمتي، فاشقق اللهم عليه»، و«مَن أمَّ، فليخفِّفْ»، و«أفتانٌ أنتَ يا معـاذ؟!»، والسنة مشحونةٌ بالرحمة، والقياس جار بهذه الحكمة، مما لا مطمع في إحصائه، ولا سبيل إلى استقصائه.

وقد أخذت مرة على نفسي بِكد في التجريد بولاية الرياضات، حتى شق ذلك على والدتي، فرأيت ببركتها واحتراقها عليّ النبي ﷺ في المعاملة، فإني أجد على نفسي بحسم مادة النوم، وسمعت منه بعض آية في المعاملة، وبعضها في النوم اليقظة، قائلاً يقول بأعلى صوته الشريف: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٧٨]، فأفضت امتثالاً لأمره ﷺ، في الأخذ بالرحمة، وقطعت الحبل الذي جعلته سبباً لمنع النوم، ونمت مستلقياً، فرأيته ﷺ ثانياً، وهو يتلو عليّ الآية، وسـألته عن أسماء الخلوة، فأقرأنيها، وكأنه كتبها في كفي.

وكنت إذ ذاك مشتغلاً بطريق الخلوة، فعاملت قومي فيها بالرُّخص، وكنت أُجلس الجمَّ الغفيرَ منهم في قبةٍ واحدةٍ، ويأكلون المعتاد، ويصومون، ويفطر بعضهم، ويذكرون فيها، ويخرج بعضهم إلى السبب، وربما سافر نحو مسـافة القصـر، وربما يأتي أحـدٌ آخر ليلة، ويـدرك ما أدركه القوم، ويرى ما يرون من أنوارٍ وأقمارٍ وشـموس، وهو لم يصم يوماً واحداً، ولما تأهبوا له مشاهداً وشاهداً، ولموصولهم عائداً.

كل ذلك ببركة إذنه ﷺ، وأخذها عنه بالرحمة، التي هي شأنه بإشارة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وحكـم «أنا جليس من

ذكرني»، فلا بدع أن تصب الرحمة العظمى بعطائه الذاتي الذي لا يتوقف على شرط، ولا زوال مانع، فهو الفياض على الدوام، الكريم الذي لا تتعداه الآمال، المعطي لوصفه، لا لتلاوة اسم، ولا لرقم حرف، فلا تزعجه الأذكار، ولا تلحقه الأفكار، وما في الأزل لا يكون بعمل، والوهب الذاتي لا يعلل بعلل.

وكيف يتعدى فيض الرحموت همم الآمال، وهي له من جملة الأمثال، حاش لله أن يتعدى القديم الحادث أو يقارنه، ويخرج من الغيث باعث أو يصادره، هذا مع أن الدعاء ليس إلا فتح باب المكالمة، والفوز من الحق بلبّيك عبدي.

وذلك لا يتوقف على شرط؛ فإن ما في العلم لا يتخلف، والدعاء بما هو كائن تحصيل حاصل، وبما لم يكنْ محالٌ باطل؛ لانقلاب العلم جهلاً، وكيف بما في الأزل يعلَّل بالمعلل، لكن إذا جرى على عبد سيما العمل، فهو علامة أنه سعيد الأزل، ومن شعر الصديق الأكبر ﷺ:

لو لم ترد نيلَ ما أرجو وأطلُبه   من فيضِ جودك ما علَّمْتَني الطلبا

وصح: «من أعطي الدعاء، لم يُحرم الإجابة»، وقد أجاب الله إبليس وفرعون، وصح: «اتقوا دعوة المظلوم، ولو كافراً»، ونحن لا نقول ببطلان هذه الشروط، لكنها إذا لم تتيسر، فبعضها، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[التغابن: ١٦]، وصح: «إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم، إن الله يحب أن تؤتى رُخصه كما يحب أن تجتنب معاصيه».

وربَّ طبعٍ لا يقبل ترك الحيوان، والأطعمة الجلالية، وبلادٍ لا تقبل

ترك المخيط ولا العراء، فضلاً عن الجبة، فيخاطب كل قومٍ بحسب مزاجهم، كما ينظر ذلك طبعاً في علاجهم، فإياك وسوء فهم المقلد المحض، فمن لم يجعلِ الله له نوراً، فما له من نور. انتهى.

ثم قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[الطلاق: ٧]، ومفهوم الدين قاضٍ أن العسر غير الدين، وقد حقق الله تعالى على مَن رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً، وأن عيسى عبدالله، بأن يدخل الجنة على ما كان منه من عمل، وعمن رضي بالدِّين، فآمن، واخترم، أو عجز عن النطق بالشهادتين؛ كالأخرس، مؤمن.

وفي الطهر: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[النساء: ٤٣]، ويسوون بين فقيد الماء والتراب، ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة: ٦]، وفي صلاة الخوف: كيف يصلي ضارباً ورائحاً ومتضمخاً بالدم ومستدبرَ القبلة، والعاجز يصلي قاعداً ومستلقياً، فإن لم يستطع، فيومئ، أو يمر الصلاة بقلبه، وفي الزكاة: يزكي الخليطين زكاة الواحد، ولو ذهب، أو نهب، سقطت، والحج يسقط بعد الاستطاعة، والمعضوب يحج عنه غيره.

فإذا شرع التخفيف في أركان الدِّين، فأولى ما بني عليها. على أنك إذا تأملت، تحققت هذه الشرائط والرياضات الشاقات كلها لنيل أعراضٍ هي حظوظ نفسانية؛ كولايةٍ، وغيرها في سائر الأحوال والمقامات، والتوجه إلى الله تعالى بريء من كل اعتبار، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ

دَآيِمُونَ﴾[المعارج: ٢٣]، وصح أنه ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه، ومن جملة الأحيان: نومه، ومقتضى طبيعته، فعُلم أن جميع ما كان عليه ذكرٌ مخصوصٌ؛ لحضوره مع الله تعالى في كل أحواله.

وفي المحمديين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم والإبراهيمي، وليس ذلك المقام إلا رؤية القيومية، وبراءة البشرية عن الأثرية، بحكم: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾[الأنعام: ١٦٢] الشاملة لكل ميل وصلة ﴿وَمَحْيَايَ﴾[الأنعام: ١٦٢] بمقتضى لوازم الطبيعة ﴿وَمَمَاتِي﴾[الأنعام: ١٦٢] بجميع أحكامه ومقتضياته ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢] ذكراً أو شأناً، واسماً وحكماً، والمحمدي ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾[النمل: ٩١] بلدة بنية الطبيعة الشاملة للحضرات الخمس، وهي التي حرمها عن ظهورها، وفيها، ولها بل، هي تحولاته وتنزلاته، بل جميعها آياته.

وتأمل ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ إلى ﴿بِأَمْرِهِ﴾[الروم: ٢٠ ـ ٢٥]، فأي شيء غيره إلا به، فهو الذي حرمها، وله كل شيء، فالمحقق ذاكر الله تعالى أبداً حتى بنسيانه قائم بطلانه، دائم الطاعة حتى بعصيانه، لدفع بينونته، وزوال ثنويته ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[الطلاق: ٢]، و﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[الطلاق: ٤].

قال بعض الأكابر: لو لقيت إبراهيم الأدهمي ﷺ، لأوصلته إلى الله، وهو على كرسيه.

وقال السابري ﷺ، حين استقرت به الحقائق: لو درينا، ما جاهدنا، فإياك والانحرافَ بإجحاف حاق التجريد؛ فإنه ـ ولو أنتج علوماً ـ لا يعتدّ بها؛ لشهرتها بضعف الطبيعة، وانحراف القوابل.

وإياك تسمع قول الإمام محمد بن علي الترمذي ﷺ، وقد وقع له: أنه كبل نفسه، وألقاها من سفينة في الدجلة؛ كرامة وتجاوزاً إلى أعلى مقام. ونحوه عن الشبلي ﷺ، وفي إلقاء الشيخ بهاء الدين النقشبندي ﷺ نفسه سبعة أيام كالميت لا يتحرك، حتى فتح عليه.

وسيدي أبو العباس الحُرَيْثي ﷺ سد خلوته عليه، فجاءه ملك بصحن أرز، وقال: كُلْ، فأبى، فأراد أن يطعمه، فأبى، فقال: إن الله أمرني بوصول هذا الطعام جوفك، فإن أكلت، وإلا شققت بطنك، فتأدبَ وأكلَ.

وأخذ الأجعدي ﷺ الاطراح مسجًّى كالميت، ثلاثة أيام طريقاً.

وكل تلك الخرافات ظهرت منهم بمقتضى سكر الأحوال، وغلبة الحال، فلا تتخذ سبباً، ولا تجعل ديدناً، وأنت خبير بأن السنة جاءت على معيار الاعتدال، والخطاب بما أمكن، والعمل على ذلك هو الهداية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة: ١٩٩]. انتهى.

[٤٣٩] أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقْيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كُدَالَة بن مكي بن يَتَق بن لف بن يحيى بن تَشَت بن تنفر بن حيراى ابن أكنجر بن أنصر بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسني السوداني، يعرف ببابا[1].

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٠)، «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» (٢/ ٣٠٢) (٢٣٢)، «شجرة النور الزكية» (٢٩٨) (١١٥٧)، «فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور» (٣١) (٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٠٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٢٧٧).

قد ترجم نفسه في آخر كتابه «كفاية المحتاج»، فقال: مولدي - كما وجدته بخط والدي رحمه الله - ليلة الأحد، الحادي والعشرين من ذي الحجة، ختام عام ثلاثة وستين وتسعمائة، ونشأت على طلب العلم، فحفظت بعض الأمهات.

وقرأت النحو على عمي أبي بكر الرجل الصالح، والتفسير والحديث، والفقه والأصول، والعربية والبيان، والتصوف، وغيرها على شيخنا العلامة محمد بَغْيَع، ولازمته سنين، وقرأت عليه جميع ما تقدم عني في ترجمته، وأخذت على والدي الحديث سماعاً، والمنطق، وقرأت «الرسالة»، و«مقامات الحريري» تفقهاً على غيرهم، واشتهرت بين الطلبة بالمهارة على كلال وملل في الطلب.

وألفت عدة كتب، تزيد على أربعين تأليفاً؛ «كشرحي على مختصر خليل» من أول الزكاة إلى أثناء النكاح، ممزوجاً محرراً، وحواشي على مواضع منه، والحاشية المسماة: «منن الرب الجليل في تحرير مهمات خليل» تكون في سفرين، و«درر الوشاح بفوائد النكاح»، و«مختصر كتاب الوشاح» للسيوطي، وغيرها.

قال صاحب «الثقة» أبو عبدالله محمد بن يعقوب الأديب المراكشي، في «فهرسته» في ترجمته: كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم، والإدراك التام الحسن، حسن التصانيف، كامل الحظ من العلوم؛ فقهاً وحديثاً وعربيةً وأصلين وتاريخاً، مليحَ الاهتداء لمقاصد الناس، مثابراً على التقييد والمطالعة، مطبوعاً على التأليف.

ألف تآليف مفيدة جامعة، فيها أبحاثٌ عنديات ونقلية، وهي كثيرةٌ؛

كوضعه على «مختصر خليل» من الزكاة إلى أثناء النكاح في سفرين، و«تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف» في كراس، وتعليق على أوائل الألفية سماه: «النكت الوفية على شرح الألفية»، وآخر سماه: «النكت الزكية» لم يكملا، و«نيل الأمل في تفضيل النية على العمل» في شرح حديث: «نية المؤمن أبلغُ من عمله»، وآخر سماه: «غاية الأمل في تفضيل النية على العمل».

و«غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة» في كراستين، وآخر سماه: «النكت المستجادة في مساواتهما في شرط الإفادة»، و«التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس» يريد: بألفاظه العربية، في ورقات، و«جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الظلمة أولي الظلمة» في كراسين، و«شرح الصغرى للسنوسي» في ثلاثة كراريس.

و«نيل الابتهاج بالذيل على الديباج»، و«المطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب» تعالى في كراسة، و«ترتيب جامع المعيار» للونشريسي، كتبت منه كراريس، وله مسائل وأسئلة في المشكلات وقفت على بعضها، ومن تآليف المترجم: «إسماع الصم في ثبوت الشرف من الأم».

قلت: وله مختصر سماه: «كفاية المحتاج لذيل الديباج»، وهو مقدار الثلث من الأصل كما ذكره في أوله.

ثم امتحن في طائفة من أهل بيته، بثقافهم في بلدهم، في محرم، عام اثنين وألف، على يد محمود بن زرقون، لما استولى على بلادهم، وجاء بهم أسارى في القيود، فوصلوا مراكش أول رمضان من العام، واستقروا مع

عيالهم في حكـم الثقاف، إلى أن انصـرم أمر المحنة، فسرحوا يوم الأحد، الحادي والعشرين لرمضان، عام أربعة وألف، ففرحت قلوب المؤمنين بذلك ـ جعلها الله لهم كفارة لذنوبهم ـ.

ثم ذكر مقروءاته على صاحب الترجمة، وقال: وكان من أوعية العلم ـ صان الله مهجته ـ. انتهى.

قال المترجـم، ولم ألـق بالغرب أثبـتَ مـنه، ولا أوثـق ولا أصدق، ولا أعرف بطرق العلـم منـه ـ رحمـه الله تعالى ـ: ولما خرجنا من المحنة، طلبوني للإقراء، فجلست بعد الإباءة بجامع الشرفا بمراكش، من أنوه جوامعها، أقرأ كتباً، وسردها، ثم قال: وازدحم الخلق عليّ، وأعيان طلبتها، ولازموني.

بل قرأ عليّ قضاتُها؛ كقاضي الجماعة بفاس العلامة أبي القاسم بن أبي إبراهيم الغساني، وهو كبير ينيف على ستين، وكذا قاضي مكناسة، الرحلةُ المؤلف، صاحُبنا أبو العباس ابن القاضي المكناسي، له رحلة للشرق، لقي فيها الناس، وهو أسنُّ مني، ومفتي مراكش الرجراجي، وغيرهم.

وأفتيت فيها لفظاً وكتباً؛ بحيث لا تتوجه الفتوى فيها ـ غالباً ـ إلا إلي، وعُينت لي مراراً، فابتهلت إلى الله تعالى أن يصرفها عني، واشتهر اسمي في البلاد، من سـوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها، وقد قال لي بعض طلبة الجزائر، لما قدم علينا مراكـش: لا نسمع في بلادنا إلا باسمك فقط، وأنك وأنك. انتهى.

هذا مع قلة التحصيل، وعدم المعرفة، وإنما ذلك كله مصداق قوله ﷺ: «إن الله لينزع العلم»، وقد ناهزت الآن خمسين سنة، بتاريخ يوم الجمعة،

مستهل صفر، عام اثني عشر وألف. انتهى كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ.

قلت: ووفاته ببلدة تُنْبُكْتُو، ودفن بتربة أجداده المعروفة هناك، في سابع شعبان، سنة اثنتين وثلاثين وألف، كذا ذكره الشيخ عبد الرحمن ابن العلامة عبد القادر الفاسي، في الكتاب الذي أفرده لترجمة والده ـ رحمه الله ـ.

ومن لطائف ما نقله عنه بعض شيوخنا: إذا حضر طالب العلم مجلس الدرس غدوةً، ولم يفطر، نادى مناد من قعر جوفه: الصلاة على الميت الحاضر.

[٤٤٠] الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد، الشهير بابن عبد الغني البنا الدمياطي[١].

أحد الرجال الجامعين بين الشريعة والحقيقة، ولد بدمياط في ثالث عشر رمضان، سنة ست وثلاثين وألف، ونشأ بها، وحفظ القرآن، ثم ورد إلى مصر، واشتغل في بدايته بالعلم اشتغالاً تاماً مُرضياً، وقرأ بالروايات على الشيخين: الأمين سلطان العلماء في عصره، الشيخ سلطان المزاحي، والشيخ المحقق نور الملة والدين علي الشبراملسي ـ رحمهما الله تعالى ـ، ولازمهما في بقية العلوم ملازمةً كليةً سنين عديدة.

وقرأ على الشيخ علي الشبراملسي جميع القرآن، من طريق «الطيبة»، وختم له بالجامع الأزهر ختماً حافلاً، حضره أكابر العلماء، ورؤساء الأمراء، وأخذ عن الشيخ محمد الشوبري، وعن الشيخ شهاب الدين القليوبي، وعن

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٧)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٧٣٧)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٤١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٤٠).

غالب مشايخ الأزهر في عصره، وأجازوه.

وأفـاد وأجاد، وكتب بخطه كتباً جليلةً، منها: «النشر»، و«التحفة»، و«النهاية»، و«تفسير البيضاوي»، وغيرها من الكتب المعتبرة، ودرس وأفتى، واشتهر بدمياط بالعلم والعمل، وألف كتاباً حافلاً سماه: «إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر»، و«منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات»، لخص فيه ما صح وتواتر من القراءات العشر، حسبما تضمنته الكتب المعتمدة، المعول عليها في هذا الشـأن، على وجه سهلٍ ممكنٍ، ويتيسر معه الوصول إلى دقائق هذا الفن لكل طالبٍ، مع الاختصار الغير مخل، وزاد فيه فوائد وتحريرات، تحصلت له حال قراءته على الشيخين السابقين.

ثم غلبت عليه العبادة، وإيثار الخلوة، وانتقل من دمياط إلى البُغاز المعروف بها، وحج مراتٍ عديدة، وجاور بالمدينة سنة خمس وستين وألف، وأخذ بها الطريق، وتلقين الذكر، ولبس الخرقة، من الختم الإلهي، الشيخ صفي الدين أحمد بن محمد القشاشي، ولازمه مدة.

ثم توجه لليمن، ورحل إلى زَبيد، وأخـذ بها عن وحيـد دهره الشيخ عبد الباقي بن الزين المزجاجـي الزبيدي طريقَ القوم، وتلقـن منه الذكر، ولبس الخرقة، ولازمه ملازمةً كليةً، وتخرج به، وانتفع به انتفاعاً عاماً، ثم رجع إلى مصـر، ومكث بدمياط مدةً، على خيرٍ وعبادةٍ ورياضةٍ، سالكاً طريقة السلف الصالح، معتزلاً عن الناس.

ثم رجع للمدينة، وجاور بها مدةً، ولازم شيخنا الإمام المحقق برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني ـ متع الله المسـلمين ببقائه ـ، وشاركته ـ على شيخنا المذكور ـ في قراءة: «مواقع النجوم» للشيخ الأكبر، وقرأ عليه

طرفاً من «الفتوحات المكية»، وغيرها من كتب الشيخ الأكبر، وكتب الشيخ القونوي، وحضره في الحديث، وأجازه شيخنا بمروياته، وسمعت شيخنا يثني عليه كثيراً، وهو حري بذلك، وبيني وبينه مودةٌ صادقةٌ، ومحبةٌ أكيدةٌ.

وله ـ حفظه الله ـ وقائع غريبة، وكرامات عجيبةٌ:

منها: ما أخبرني به، قال: حججت سنةً بوالدتي، وكانت سنةً مجدبةً، وكان معي بعيران، اشتريتهما من مصر، وحججنا عليهما، فلما قضينا الحج، وقصدنا التوجه للمدينة، مات البعيران في المدينة، ولم يكن معنا مال لنشتري به غيرهما، أو نستأجر مع أحد.

فضقت ذرعاً لذلك، وذهبت لشيخنا صفي الدين أحمد القشاشي ـ قدس الله روحه ـ، فأخبرته بحالي، وقلت له: إني عزمت على المجاورة بالمدينة؛ لعجزي عن السفر، حتى يفرج الله تعالى، فسكت هنيهةً، ثم قال: اذهب في هذه الساعة إلى قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب عمِّ رسول الله ﷺ، واقرأ ما تيسر من القرآن، وأخبره بحالك من أوله إلى آخره كما أخبرتني، وأنت واقفٌ على قبره الشريف.

فامتثلت أمره، وذهبت على الفور ضُحًى إلى قبره، وقرأت ما تيسر من القرآن، وأخبرته بحالي، على ما أمرني به شيخنا، ورجعت فوراً قبل الظهر، فدخلت إلى مِطْهرة باب الرحمة، فتوضأت، ودخلت إلى المسجد، وإذا بوالدتي في المسجد، تقول لي: ها هنا رجلٌ يسأل عنك، فاذهب إليه، فقلت لها: أين هو؟ فقالت: انظره في مؤخر الحرم، فذهبت إليه، فلما أقبلت عليه، رأيته رجلاً ذا لحيةٍ بيضاء مهاباً، فقال لي: مرحباً بالشيخ أحمد، فقبلت يده، فقال لي: تسافر إلى مصر؟ فقلت: يا سيدي! مع مَن أسافر؟ فقال: قم معي

حتى أستأجر لك مع رجل.

فذهبت معه إلى أن وصلنا إلى المناخة مَحَطِّ الحاج المصري بالمدينة، فدخل خباءً لبعض أهل مصر، ودخلت معه، فلما سلم على صاحب الخباء، قام له، وقبل يده، وبالغ في إكرامه، فقال له: مرادي تأخذ الشيخ أحمد ووالدته معك إلى مصر، وكانت الجمال في تلك السنة عزيزةً؛ لكثرة الموت بها، والكراء متعسر، فامتثل أمره، فقال له: كم تحسب عليه؟ فقال: يا سيدي! مهما تريد، فقال له: كذا، فأجاب بالقبول لذلك.

ودفع غالب الكراء من عنده، وقال: قم اذهب هات والدتك ومتاعك، فقمت وهو جالسٌ عنده، وأتيت بهما، وشرط عليه أن أدفع له بقية الكراء بعد وصولنا، فقبل ذلك، وقرأ له الفاتحة، وأوصاه بي خيراً، وقام من عنده، فذهبت معه، فلما وصلنا إلى المسـجد، قال لي: ادخل فاسبقني، فدخلت وانتظرته حين حضرت الصلاة، فلم أره.

وكررت الطلب عليه، فلم أجده، فرجعت إلى الرجل الذي استأجر لي معه، فسألته عنه وأين مكانه؟ فقال: إني لا أعرفه، ولم أره قبل اليوم، ولكني لما دخل عليّ، حصل لي من الخوف والهيبة منه ما لم يحصل لي قط في عمري، ثم رجعت وكررت الطلب، فلم تقع عيني عليه، فذهبت لشيخنا صفي الدين أحمد ﷺ، فأخبرته بذلك كله، وسألته، عنه فقال: هذه روحانية السيد حمزة تجسَّدَت لك[1].

---

(1) وهذه جرأة عجيبة على مقام الصحابة ﷺ، نسأل الله سبحانه السلامة، ونعوذ به تعالى من الخذلان.

ورجعت إلى صاحبي الذي استأجر لي معه، وتوجهت معه صحبة الحج إلى مصر، ورأيت منه من المودة والإكرام وحسن الخلق ما لم أجده من مثله في سفر ولا حضر، كل ذلك ببركته ﷺ، والحمد لله على ذلك.

ثم بعد سنين قدم مكة سنة ألف ومائة وخمس عشرة للحج مع أهله وأولاده، واجتمعتُ به، وعرض له فالج عطله عن الحركة والكلام، وتوجه وهو على هذا الحال إلى المدينة الشريفة، وزاد به الفالج، وأراد أهله أخذه معهم إلى مصر، فلما أتوا بالجمل ليركبوه إياه، لم يقدروا على رفعه من الأرض، فأبقوه عند بعض تلامذته.

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد خروج الحاج من المدينة في شهر المحرم سنة ست عشرة ومائة وألف، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله تعالى، ونفعنا به ـ آمين.

[٤٤١] أحمد بن محمد بن أبي اليمن بن أبي السعادات بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني، الشافعي الطبري المكي، إمام المقام الإبراهيمي الشريف(١).

وُلد يوم السبت، تاسع عشر رمضان، سنة سبع وسبعين ـ بتقديم السين ـ وتسعمائة، وحفظ القرآن، وصلى به التراويح مرات بالمقام، وحفظ عدة متون، منها «متن بهجة ابن الوردي» بتمامها، و«الشاطبية» بكمالها، وعرض محفوظاته معنا على المشايخ، سنة تسعين وتسعمائة، وأمّ بالناس مدةً، وكان

(١) «المؤلفين العثمانيين» (١/ ٢٢٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٥).

حسن القراءة، طيب النغمة.

ومات في حياة أبيه شاباً، ليلة السبت، ثامن شعبان، سنة اثنتين بعد الألف، ودفن في تربة جماعة الطبريين بالمعلاة، ذكره الإمام عبد القادر الطبري في تاريخ الطبريين، الذي سماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[٤٤٢] أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزي الشافعي الدمشقي[1].

ذكره في «ذيل الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة»، فقال: الشاب الفاضل، مولده بعد عصر يوم الجمعة، ثالث وعشري رجب، سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، ومات والده وعمره أربعة أشهر وتسعة أيام، ورباه النجم، وقرأ القرآن العظيم، ثم اشتغل بالعلم، وأكب على تحصيله.

وقرأ في الفقه والعربية على القاضي محب الدين الحموي، وفي الفرائض والحساب على محمد التنوري، ومهر في العلوم، وكان منوراً، نظيفَ الثياب حسَنها، ورعاً متقشفاً، اختطفته المنية، فمات شهيداً في طاعون سنة اثنتين بعد الألف، في ثامن عشر رمضان، وكان عمه أبو الطيب يومئذٍ بمصر، فلما بلغه موته، قال يرثيه:

إن الخطوب على ممرِّ مذاقها ... وعلى تعاوُرِ فتكها وشقاقِها
ليستْ على نسقٍ يلمُّ ويغتدي ... هذا بذلك في عناء لحاقِها
لو كانت الأرزاء قسماً واحداً ... كان التأسي منتهى درياقِها

(1) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧٥) (١٠٢)، ووردت ترجمته ضمن ترجمة والده في «الكواكب السائرة» (٣/ ١٨٠).

لكنهـا تـسعى بأحكـام القـضا متفاوتاتِ الخطـوِ فـي اسـتطراقِها
هـذا يزيـغُ وذا يريـع وذاك يـر شُق فـي الحـشا أوّاه مـن رشاقِها
ومـصيبة جلّـى ورزء وقيعـةٍ صدعَ القلوبَ وجدَّ فـي إحراقِها
وبليـة مـا إن لهـا مـن دافـع يُرجـى ولا ينحـلُّ شـدُّ وثاقِهـا
ورزّيـة كـم أورثـتْ نكـداً وكـم أبـدتْ لنـا غُصـصاً بمـر مـذاقِها
هي هـازمُ اللـذاتِ يـا ويـلاهُ مـن نفـسِ الـشهابِ لنعيِهـا لرفاقِهـا
بلغتـه عنهـا بمـصرَ فأظلمـتْ أرجاؤهـا والـشمسُ فـي آفاقِهـا
جانبتهـا فرأيـت علمـاً باذخـاً وهجرتُهـا لا بغيـةً لفراقِهـا
كانـت علـى تقـوى الإلـه قـصيرة برياضـةٍ تـزداد فـي أخلاقهـا
يـا أيهـا الـنفسُ الرضـيةُ فـادخلي فـي جنـةٍ تـشتاق مـن مـشتاقِها
وروى فـسادَ فـشاعَ حـسنُ ذكائـه فغـدا شـبيهَ ذُكـاءَ فـي إشـراقِها
يـا طالمـا سـامرتَني بمباحـثٍ بـرزتْ لنـا تنجـابُ عـن أعلاقِهـا
ولأنتَ هذا الآن ترتـعُ فـي الجِنـا نِ مشاهد الإحـسانِ مـن خلاقِهـا
وأنا الذي أُذري الـدموعَ فيغتـدى حـرُّ الفـؤاد يـصونُ عـن إغراقِهـا

[٤٤٣] أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن جمال الدين عبدالله ابن عمر، القطب الشهير، الشيخ الكبير إبراهيم المتبولي الشافعي[1].

إمام علامة أشهر من أن يُنبه عليه، وأجل من أن يُعرف بالإشارة إليه، لا يجاذَب رداءُ فضله، ولا تدور العين في أصحابه على مثله، كبير علماء عصره

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧٤).

بلا مدافع، وحامل لوائهم من غير منازع، مبرز في حلبة العلوم الشرعية، حائز قصبات السبق في الفنون العقلية، وسعةُ اطلاعه على السنة سارت بها الركبان، من قاص ودان.

أخذ عن الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، وعن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني، والشمس محمد الرملي، وغيرهم، وله «شرح حافل على الجامع الصغير للسيوطي» في مجلدات، و«نيل الاهتداء في فضل الارتداء»، و«مؤلف في عرض الأعمال»، ورأيت شرحه للجامع الصغير مجلداً بالقاهرة ذكر فيه انه شرح الهمزة في ثلاثة عشر مجلداً، والسفر الذي رأيته كبير، وليس فيه إلا الكلام على حديث: «إنما الأعمال بالنيات»، وكان شيخنا خاتمة المحققين إبراهيم الكوراني شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات، في نحو سبع كراريس، وأهداني منه نسخة، فذكرت له ما رأيته بالقاهرة، فقال لي: التطويل في مثل هذا إنما هو بأمور خارجة عن معنى الحديث المشروح، أو بأمور ليست من التحقيق في شيء؛ كالاشتغال بجلب الأقوال عن النية، والاسترسال في جلب الفروع الفقهية المتعلقة بذلك، واختلاف الفقهاء في ذلك، وأما تحقيق معنى النية، وزبدة الأقوال المقولة في معناها، وكيفية انطباقها وشمولها لسائر الأعمال، هو ما أودعته في رسالتي المؤلفة في ذلك، ولقد صدق في دعواه.

قال: ولقد أطلعني شيخنا أبو مهدي عيسى الثعالبي على رسالة القرافي المسماة بـ: «الأمنية»، فأحكمت مطالعتها، فلم أجد فيها زيادة على ما ذكرت.

قال: وحين أطلعته على رسالتي، حكم بأن رسالتي أتم تحقيقاً، وأوجز لفظاً. انتهى.

توفي يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر سنة ثلاث بعد الألف.

ومن فوائده: أنه سئل عما ورد فيمن مات بطريق مكة أو المدينة ذاهباً أو راجعاً، فأجاب: روى الأزرقي في «تاريخ مكة» مرفوعاً: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو راجعاً، لم يعرض، ولم يحاسب، وكتب له في كل سنة حجة وعمرة، إلى يوم القيامة».

قلت: ولم يذكر المدينة، ولعلها مقيسة على مكة؛ بجامع أنهما يقصدان للزيارة، فليحرر.

[٤٤٤] أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف بن حسين بن يوسف بن موسى الحصكفي الأصل، الحلبي المولد والدار، الشافعي، المعروف بابن المنلا، جده لأبيه كان قاضي قضاة تبريز، وشهرته ملا جامي، وشرح المحرر، وجده لأمه من بني أجا[1].

مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، ونشأ في كنف أبيه، واشتغل بالعلم، فقرأ على ابن الحنبلي في «مغني اللبيب»، وغيره من كتب النحو، وفي «شرح المفتاح»، وفي المنطق، والقراءات، والحديث، وفي مؤلفاته، وصحب سيدي الشيخ محمد بن علوان الحموي، وهو بحلب، سنة أربع وخمسين، وسمع منه نحو ثلث «البخاري»، وحضر دروسه ومواعيده، وسمع المسلسل بالأولية من البرهان العمادي، وأجاز له، وقرأ في التجويد على إبراهيم الضرير الدمشقي،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦٥٥) (١٣٨)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٨٩) (١٠٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٥)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ١٣٥) (٩٣٦).

نزيل حلب كثيراً، وأجاز له سنة خمس وستين.

ورحل إلى دمشق رحلتين، وأخذ بها عن البدر الغزي، وحضر دروسه بالشامية، وبحث فيها بحوثاً حسنةً مفيدةً، أبان فيها عن يد في الفنون طولى، وكلما انتقل من مسألة إلى غيرها، قال لسان حاله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾[الضحى: ٤]؛ كما شهد بذلك السيد في إجازته له، وقرأ على النور السنفي، قطعةً من «البخاري»، و«مسلم»، وحضره في دروس من «المحلى»، و«شرح البهجة»، وأجاز له، وقرأ بها: «شرح ملا زاده على هداية الحكمة» على محب الدين التبريزي، مع سماعه عليه في التفسير، وقرأ قطعتين صالحتين من «المطول»، والأصفهاني على أبي الفتح الشبستري، ورحل سنة ثمان وخمسين إلى القسطنطينية، فأخذ «رسالة الإصطرلاب» عن نزيلها غرس الدين الحلبي، واجتمع بالسيد عبد الرحيم العباسي، واستجاز منه رواية البخاري، فأجاز له، ومدحه بقوله:

لك الشرفُ العالي على قادةِ النـاسِ ... ولمْ لا وأنت الصدرُ من آل عباسِ
حويـتَ علومـاً أنـت فيهـا مقـدَّمٌ ... وفي نثرها أصبحتَ ذا قدمٍ راسـي
فيا بدرَ أفقِ الفضل يا زاهـرَ الـسنا ... ويا عالمَ الدنيا ويـا واحـدَ النـاسِ
إلـى بابـك العـالي أتـاك ميممـاً ... كليمٌ بعضبٍ عدتَ أنت لـه آسـي
فتى عاري الآداب يا ذا الحجى فما ... سواك لعارٍ من سنا الفضل من كاسي
فأقبسْه مـن مـشكاةِ نـورك جـذوةً ... وعلله من ورْدِ الفـضائل بالكـاسِ
وسـامحْه فـي تقـصيره ومديحـه ... فمدحُك بحرٌ فيه من كل أجنـاسِ
فلا زلتَ محمودَ المفاخرِ حاوي الـ ... ـمفاخر مخصوصاً بأطيبِ أنفـاسِ

مدى الدهر ما احمرَّتْ خدودُ شقائقٍ وما قام غصنُ الورد في خدمة الآسِ

ودرَّس وأفاد، وصنَّف وأجاد، وله شرحٌ عظيمٌ في أربع مجلدات، على «مغني اللبيب»، جمع فيه بين حاشيتي الدماميني، والشمني، وشرح شواهده للسيوطي، وهو المشهور الآن بـ: «الشرح الجديد»، وهو من أنفس شروحه وأحسنها، ونظم الشعر الحسن.

ومن شعره في مليحٍ لابس أسود قوله:

ماسَ في أسودِ اللباسِ حبيبي ورمى القلبَ في ضِرامِ بعادِهْ
لم يمس في السواد يوماً ولكن حلَّ في الطرفِ فاكتسى من سوادِهْ

وله مضمناً:

ظبيٌ كساني حلةً وأدار لي كأسَ الرحيق على رياضِ الآسِ
وغدا يقولُ عذارُه اشربْ يا فتى واجعلْ حديثك كلَّه في الكاسِ

توفي شهيداً، قتله الفلاحون في قرية باتننا، من أعمال المعرة ظلماً وعدواناً، سنة ثلاث بعد الألف، ودفن في الجبل، بالقرب من تربة جده إسكندر ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٤٥] أحمد بن محمد بن مفلح الحنبلي(١).

القاضي شهاب الدين، كان رئيس الكتبة بمحكمة قناة العوني بدمشق، ثم صار قاضياً بها وبغيرها، وكان فاضلاً، محمود السيرة في القضاء، صَيِّنَ

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٧) (٩٦).

العرض في طريقه، فقيراً عفيفاً تقياً، مات في عشري ذي الحجة، سنة ست بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٤٦] أحمد بن محمد المغربي المجذوب.

كان من أكابر الصالحين، وكان غالب إقامته بقصبة البندقانيين: سوقِ معروف بمصر، وصحوُه أكثرُ من سُكره، ويتكلم بما لا يفهم له معنى، وكان أهل الطريق يعظمونه، ويعرفون مكانه.

اجتمع بالخضر(١) ـ عليه السلام ـ، فقال له: اذهب إلى زين العابدين المناوي، وأقرئه مني السلام؛ فإن قدمه تحت النجوم، وفوق الغمام، وأعطي سبعين ألف مقام، وسدانة المقام المصطفوي ودار السلام، توفي سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف. انتهى.

ذكره الشيخ عبد الرؤوف المناوي في «طبقات الصوفية».

[٤٤٧] أحمد بن محمد القاضي العلامة شهاب الدين الشُّويكي، نسبةً إلى شُوَيْكة ـ مصغراً ـ: محلةٌ معروفةٌ بدمشق، الحنبلي(٢).

كان من أفضل الحنابلة وأذكاهم بدمشق، وله طيب محاورةٍ، وفيه مزاح لطيف وتواضع، وكان يرد الزوجة إلى زوجها بعد الطلقات الثلاث، على مذهب ابن تيمية خفيةً، ثم صار يُظهر أمره، فأنكر عليه شيخ الإسلام أحمد

---

(١) دعوى رؤية الخضر عليه السلام في اليقظة والمنام، دعوى متكررة عند أهل التصوف، يجدون فيها وسيلة لإثبات أباطيلهم، وطريقة لنشر خرافاتهم.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٧) (٩٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٨٠).

ابن أبي الوفا مفتي الحنابلة، وغيره من علمائهم.

قال النجم الغزي في «الذيل»: وكان يحضر مجالسي بجامع دمشق، فذكرت له مرةً: أنه لا يجوز أن يرد الرجل زوجته بعد وقوع الطلقات الثلاث، على مذهب أحد من المسلمين، إلا ما كان من رأي ابن تيمية، الذي لا يجوز تقليده فيه؛ لشذوذه، وأنَّ الذي يفتي بمذهب ابن تيمية...[1].

[٤٤٨] أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام يحيى شرف الدين[2].

وتقدم رفع نسبه، السيدُ الفاضل، عالم الأدباء، وأديب العلماء، وتحية البيت الذي ارتفع قدره وسما، وذو الخلق الذي تستعِر من نشره الأزهار وتعبق، والفضيلة التي تجري الألسن إلى محامدها وتطلق، شهاب الملة الساطع، وبدر الكمال الطالع، وواحد الزمن علماً ونظراً، وحامل لواء المعارف النقلية حديثاً وأثراً، ومحقق العلوم العقلية، وجامع الفنون الأدبية.

أما ملكة التعبير، فلا يتطاول ابن زيدون أن يزيد عليه؛ في سعة

---

(١) جاء في الحاشية ما نصه: «بعد هذا بياض ربع صفحة في الأصل»، وفي «ذيل الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة» عند البدر الغزي المسمى: «قطف الثمر في الطبقة الأولى من أعيان القرن الحادي عشر» تتمة الخبر، والذي جاء فيه: «يجب تعزيره، وأن شبهة خلافه لا تسقط الحد عمن جامع المردودة إليه، ولا عنها، وشددت النكير وهو يسمع، وكان من قَرب منه من الناس ينظرون إليه، وربما تكلموا بما أخجله»، «قطف الثمر» (١/ ٢٦٧) (٩٧).

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٣١) (٢٠٦)، وسماه: أحمد بن الحسين، «البدر الطالع» (١/ ٤٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١١٢)، ووفاته في ١٠٨٠هـ.

العبارات، وأما مباحث التنقير، فما سلك الرئيس مسالكه في دقائق الإشارات، وأما المناظرة، فقد رقى فيها على درج، وأما حسن المحاضرة، فناهيك به، وكأنه أبو الفرج، وأما الترسل، فله على الفاضل فضل، وأما صناعة التجنيس والترصيع، فبينه وبين العماد ضمير فصل. شعر:

هـــــذا أرقُّ محاســـــــناً والفـــرقُ مثـــلُ الـــصبح ظـــاهِرْ

وأما تاريخ مَنْ غبر، فهو بحر سعدٍ يبدي أصدافه، وأما حفظ الأثر، فهو ذو المنزلة التي فاقت، وما اتفقت لأسلافه، مع ما هم عليه من الفضل والجلالة، والمجد والبسالة، وأما الشعر، فهو أدنى منازله، وأيسر فضائله:

فقد وجدتُ معاني الفـضلِ بـاهرةً فإن قدرتَ علـى أوصـافِه فَـصِفِ

ولد بكوكبان، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر العلماء الأعيان؛ كالسيد العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل، والقاضي المحقق عبد الرحمن بن محمد الحيمي، قرأ عليه: جميع «شرح الكافية» للرضي، وأجازه إجازاتٍ عديدةً حافلةً، أشار فيها إلى علو مقداره، وقفتُ عليها.

وله شيوخٌ كثيرون، ومؤلفاتٌ منها: «ترويح المشوق في تلويح البروق»، وهو كتاب إن نظرت إلى حسن سياقه، هز منك الأعطاف ذلك السياق، أو إلى بديع اتساقه، ثملت سكراً من صناعة ذلك الاتساق، أو تأملت عجيب استطراده، وتصيده الشوارد بقوة استمداده، قلتَ: سبحان المانح، ما أقوى ملكة مؤلفه على اقتياد الجوامح، إلى عباراتٍ حلوةٍ، وبلاغةٍ هي من الكمال في الذروة، ولطائف فِقر، وبنات فكر، تورث الحليم صبوة، وغرائب مسائل علمية، ونكاتٍ أدبية، تزهى بفنون حلاها القراطيس، وتجذب بعيون محاسنها

الأرواح، فكأنها مغناطيس، وقد قرظ له عليه علماء عصره، ومنهم: السيد العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل، فقال في مدحه:

مـا صـبا قلبـي لتـأليفٍ حـوى | غـررَ الحـسنِ كتـرويحِ المـشوقْ
كتــبُ الآداب عــن آخِرهــا | قــدرُه يعلــو عليهــا ويفــوقْ
صاغه شمسُ المعالي مَـنْ غـدت | تستمدُّ الشمسُ منه فـي الـشروقْ
ســابقُ طِـرِف عــلاه نطقــتْ | بلـسان الحـال هيهـاتَ اللّحـوقْ
دامَ فـي منــصب علـمٍ شـامخٍ | مـا صـبا صـبٌّ لتلـويح البـروقْ

ومن شعره القاضي بأنه إمامُ فنونه، ومالكُ أبكاره وعيونِه، قوله...[1].

توفي ـ رحمه الله ـ بداره بروضة خاتم، سنة...، وحمل إلى روضة خزيمة... ولهذا اتفقت هذه اللطيفة لبديع الزمان الفقيه حسن بن علي بن جابر الهَبَل؛ حيث قال بيتين، وهما:

يــا قبــرَ أحمــدَ كــمْ حويـــ | ـــتَ مكارمــاً ومحامــداً
شــــهدَتْ بـــذاكَ خزيمــــةٌ | وكفــــى خزيمــــةُ شـــاهَدا

ورثاه القاضي العلامة محمد بن إبراهيم السحولي، فقال:

جزعي عليكَ مـدى الحيـاة معـي | حتى أُوارى فـي الـضريح البلقَـعِ
ويقلُّ أن تجري عليـك حُـشاشتي | وتفيضَ بعدَك مهجتي في أدمعـي

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض نصف صفحة في الأصل، كذلك لم يذكر التاريخ بعد كلمة «سنة»».

ويقلُّ فيك إذا هجرتُ مشاربي ... ومطامعي وهجرت بعدك مضجعي
ويقل أنـي لا يمـرّ بخـاطري ... أحـدٌ سـواك ولا يمـر بمـسمعي
لـو أنني وفَّيتُ حقك كـان فـي ... ميعادِ مصرعِك المروِّعِ مصرعي
ليتَ المنـون تريـدُ منـا فديـةً ... حتـى بمثنـى أو ثـلاث ومربـعِ
أو ليتَها طـوعي فكنـتُ أمرتُهـا ... ليقال تنـزع مهجتـي مـن أضـلعي
فجع على فجـع ولا مثـل الـذي ... ألقى لعـذرك مـن فظيـع تفجعـي
لـولا التـيقن أننـي بـك لاحـقٌ ... وكَرَبْعِك الخـالي سـيخلو مربعـي
لقتلـت نفـسي. . .[1] الوحـو ... ش العُصْمُ[2] في شمِّ الشوامخِ أربعِ
سـحقاً ليـوم جـا بأشـأم طـالعِ ... ولليلـةٍ طلعـتْ بـأبخسِ مطلـعِ
ما مثل يوم رحلـتَ نحـو خزيمـةٍ ... وعلى سريرك رحـتَ خيـرَ مشيَّعِ
قـد شـيعتك صـواهلٌ وذوابـلٌ ... ومناصِـلٌ مثـلُ البـروق اللمَّـعِ
وأئمـةٌ مـن آل أحمـدَ سلـسلوا ... لحديث يومك من سلاب الأدمـعِ
فارقتنـا كرهـاً بـرغم أنوفِنـا ... وبـرغم كـم مـن أَصْيَدٍ وسَمَيْدَعِ
مـا كنـتُ أخشى أن أودِّعَ مـالكي ... هــذا الــوداعَ ولا أراه مــودِّعي
هـذا وداعـي لا تلاقـيَ بعـدَه ... إلا إذا مــا حــانَ يــومُ المفـزعِ
يـا خيـرةَ الأطهـار يـابنَ مطهـرٍ ... وابنَ الإمـام الحبـرِ يحيـى الأذرعِ
يـا أحمـدَ المـسعود وقـتَ حياتـهِ ... ومماتِـه حقّـاً وذاكـي المنبـعِ

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) في الأصل: الفقظم، ولعل الصواب ما أثبت.

ما قبلَ لحدِك ملحدٌ شمسُ الضحى هبطتْ إليه من المحلّ الأرفعِ
ما متَّ أنتَ وإنما مات التقى حقّاً وكلُّ تحرُّجٍ وتورعِ
والعلمُ والعملُ الذي هو صالحٌ والعلمٌ مشفوعٌ بخلقٍ أوسعِ
يا قادرَ الدنيا الدنيّة قدرَها يا داخرَ الحسنى ليومِ المرجعِ
لله درُّك من إمام عاملٍ علاّمةٍ ندسٍ ذكيٍّ ألمعي
كم قد رأيتَ بلطفِ ذهنِك مرةً ما لا يُرى وسمعَت ما لا يُسمعِ
مَن للمعارف والعوارف والمعا لي والمعاني والبيانِ الأبدعِ
من للبلاغاتِ التي عرباؤها وصلتْ إليك عن البطينِ الأنزَعِ
من للعلومِ دقيقِها وجليلِها ولحلِّ مشكلِها بفهمٍ مسرعِ
جَمَّتْ مناقبك التي لم يؤتَها أحدٌ سواك ولا دعاها من يعي
طابتْ وطبت ورقتها كل الورى في منظر أبدَ الزمان ومسمعِ
طُوي البساطُ بساطُ كلِّ فضيلةٍ لا يدعيها بعدَ يومك مُدَّعي
وعليكَ لا برحت عن عَزالي رحمةٍ تسقي عبيرَ تربِك المتضَّوعِ
والله ُندعوه بجبر مصابِنا بكَ فهو أَولى من أجابَ ومن دُعي
وهو الذي نرجوه يجمع شملَنا في جنة الفردوس أسنى المطمعِ
وإلى هنا أرثيك واعلمْ أنني جزعي عليك مدَى الحياة معي معي

[٤٤٩] أحمد بن محمد بن علي بن عبد القادر المالكي المدني.

الأديب الماهر، الأريب الباهر، أحد الخطباء بالحرم الشريف النبوي - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام -، ومتولي خطة الفتوى على مذهب مالك

بالمدينة المشرفة، أصلُ سلفه من بلاد المغرب، ولأسلافه بالمدينة صيت، وبيتهم مشهورٌ بالعلم والتقدم في مذهب مالك، إلى أن تشعبت بهم الآراء، فانتقل بعضهم إلى مذهب الحنفية، وصار اليوم أمثل من فيهم من تمذهب بمذهب مالك، صاحب الترجمة، وأخوه صاحبنا الخطيب عبد الرحمن.

إلا أن صاحب الترجمة مع ما أُعطي من فرط الذكاء، وجودة القريحة، ألهاه عن الاشتغال بالعلم الولوعُ بالفلاحة والزراعة، وتثمير المكاسب بالقيام على ضياعه ورباعه، فيغيب في العوالي أياماً عديدةً، فلا يكاد يرى في المسجد، إلا أيام الجمعة، أو ما ضاهاها.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، ولْنذكر من نظمه، ليستدل به على قدر نبله؛ فإن كلام المرء ميزان عقله.

فمنه: قوله يمدح النبي ﷺ:

بشراكِ يا عينُ هـذا منتهـى الأمـلِ ... وذا الجوادُ الذي بالمكرمات مُلي
هذا الرسولُ الذي ما خاب سـائلُه ... فاستمطري من ندى إحسانه وسَلي
هذا الذي قد رقى فوقَ البراق إلى ... أدنى من الْقَاب فضلاً غير منتحـل
هـذا الـذي قـد بـراه الله جـلَّ ثنـا ... نعمةً للـورى يُنجـي مـن الخَطَـلِ
محمودُ أحمدُ المحمودُ أفضلُ مَن ... هدى سواه طريقـاً واضـحَ الـسبلِ
محمـد أحمـد المـاحي ببعثتـه ... ريبَ الطغـاة بغايـة الزيـغ والزلـلِ
محمـدٌ سـيد الكـونين أكـرمُ مـن ... مشى على الأرض من حافٍ ومنتعلِ
ولا تُعـد ولا تُحـصى فـضائُله ... فكـلٌّ فـضل لـه مـن سـابقِ الأزلِ
فكم لـه معجـزاتٍ لـيس ينكرُهـا ... إلا الجحودُ بزورِ الإفك والجـدلِ

نطقَ الغـزالُ وضَـبٌّ والـذراعُ ورا   د الشمس منها ومنها منطقُ الجملِ
والجـذعُ حـنّ إليـه حـين فارقَـه   حنينَ ثكلى شـجتنا لوعـة الثكـلِ
ومنبـعُ المـاء عـذباً مـن أصـابعه   أروى به الجيشَ بعد الريِّ بالنَّهَـلِ
وكـم أفـاد مريـضاً لمـسُ راحتـه   برءاً أزالَ الذي يـشكو مـن العلـلِ
وكـم شـواهد صـدقٍ للنبـي أتـتْ   كالشمسِ ما إن يراها غيرُ ذي مُقلِ
توراةُ موسى وإنجيلُ ابن مريم قـد   جاءا بتصديق وحيٍ في الزبور تُلي
بأنـه خـاتمُ الرسـل الكـرام وخيـ   ـرُ الخلق طَرّاً من الإتيـانِ والأُوَلِ
وحـسبُ طـه كـلامُ الله معجـزةً   وحـيٌ مـن الله غيُـر مفتعَـلِ
يتُلى ويُعجـز عنـه أن يعـارَض أو   يُؤتى بمثلٍ لـهُ والحـقُّ فيـه جَلـي
فيـا نبـيَّ الهـدى إنـي ببابـك لا   أرجو سواكَ لما أَلقى مـن الوجـلِ
وقفـتُ بالبـاب مـالي سـواه وإن   كنتُ المسيءَ بما كُلِّفت من عمـل
ولـيس يـأوي الفتـى إلا لـسادتهِ   إن نابه خطبُ سوءٍ كان فـي جلـلِ
يا صاحبَ النجدة العظمى أغثْ دنِفـاً   أودى به الحالُ في حـل ومرتَحَـلِ
لا تتركَنْه لأيـدي الحادثـات ففـي   جميل جودك ما يغني عـن الحِيَـلِ
وكـنْ لـه ولأسـلافٍ لـه سـلفوا   واشفعْ له ولهم يـا أسـعَد الرسـلِ
عليـك منـي صـلاةُ الله يـصحبُها   أزكى سلام لدى الإشراق والطَّفَلِ
وآلكِ الطهرِ والصحبِ الكرام ومَـن   دانَـى سـبيلَهُمُ وكـلٌ وَلـي

[٤٥٠] أحمد بن عمر الحُبيشي ـ بالتصغير ـ الشافعي التعزي.

شيخ الإسلام في اليمن بلا نزاع، وإمام الشافعية من غير دفاع، الذي

أظهر من العلوم فوائدها، وأحكم فرائدها، وأجاد نسق نظامها، وأفاد ملح أحكامها، المحقق لدقائقها وغوامضها، القائم بأحكام سننها وفرائضها، العالم بمدلولاتها، العامل بمنقولاتها ومعقولاتها، المشار إليه في تصحيحها وتحقيقها، المعول عليه في إيضاح منهاجها وطريقها.

ولـد بتعـز، وبها نشـأ، وحفظ القرآن وجـوده، وأخـذ عن محمد بن عبد العزيز المفتي، ومحمد القصيعي، والعلامة أحمد القرواني المغربي، والمحقق الملا محمد شريف الكوراني، وآخرين، وأجازه شيوخه، وتصدر للتدريس ببلده، وأخـذ عنه خلق لا يحصون، منهم: العلامة عبد العزيز بن محمد المفتي، وانتهـت إليه في بلده الرياسـة، وهو الآن بها مقيم...[1]، توفي سنة خمس ومائة وألف بتعز المحروسة.

[٤٥١] أحمد بن إبراهيم المزجاجي الزبيدي، المعروف بالخَيِّر ـ بفتح الخاء المعجمة وكسر التحتية المشددة، وربما أشبعت، وبعده راء ـ.

كان شـيخاً صـالحاً، حصلت له عنايةٌ ربانيةٌ جذبته عن أهله ووطنه، فتركهما، وفرّ إلى موضع من الجبل، شرقي بلده السلامة، على دون مرحلة منها، فلزم موضعاً لا يخرج عنه، واعتزل الناس ولم يخالطهم نحو تسع سنين، فصار معتقداً يُقصد للزيارة والتبرك، ونقل عنه كثيرٌ من الكرامات.

ثم رجع إلى السلامة، وعقب رجوعه احتفر بئراً عند قبر جده، واستمر على حالةٍ مرضيةٍ؛ من إيثار الخمول والتقشف، ومحبة أهل العلم والتواضع،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «مقيم» سطر ونصف بياض بالأصل».

والبعد عما عليه غالب متصوفة الوقت؛ من الدعاوى العريضة التي لا طائل تحتها[1]، ثم بنى مسجداً عند بئره، وهي خارج القرية من قبليها، ونقل مسكنه إلى هناك، ولم يزل ملازماً لبيته، لا يخرج عنه قط، بل من قصد زيارته، والتماس دعائه، دخل عليه في مكانه، حتى توفي يوم النحر، عام ثمان وثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٥٢] السيد أحمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى[2].

قال ابن أبي الرجال: كان محققاً في العلوم الشرعية، معقولاتها ومنقولاتها، وصدراً في العصابة الهاشمية، وأما أصول الفقه، فروى عنه القاضي العلامة أبو القاسم السني: أنه قال: هو عندي بمثابة الفاتحة، ووصفه السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم بالاجتهاد، وناهيك به! ومن شهد له خزيمةُ فهو حسبهُ، وكان استقراره بـ «شهارة» إماماً بجامعها ويدرس بالجامع في غالب الأوقات، ومع ذلك، فإنه كان فقير العيش إلى الغاية، وما زاده ذلك إلا كلفاً بالعلم، وحرصاً عليه.

وألف كتباً منها: «شرح الأساس»، و«شرح الكامل»، وكان ينهى أن تكتب الصلاة على النبي ﷺ بصورة «صلعم» ونحوها، ويأمر بإثبات الترضية على الصحابة إذا ذكروا؛ لأنهم مع الاجتماع معصومون، و«شرح تهذيب

---

(١) لاحظ قول المصنف رحمه الله في وصف متصوفة عصره.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠٢)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٨٣) (٨٢)، «البدر الطالع» (١/ ١١٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧).

المنطق» و«حشّى على المفصل»، و«الفصول اللؤلئية»، وأوائل «المنهاج» لجده، و«نظم الشافية»، ولم يزل بشهارة حتى كانت الفتوحات الإمامية في الأقاليم جميعها، فاقتضى نظر الإمام المؤيد أن يرسله إلى الطويلة، فتوجه إليها، وكان على يديه فتحٌ، وانضاف إليه العساكر من وجوه أصحاب الدولة بكوكبان؛ لأنه جليل القدر نسباً وحسباً.

وكان له سعيٌ صالحٌ، وعزيمةٌ صادقةٌ بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويتولى الخطبة بنفسه، وكان عنده من العلماء أعيانٌ كثيرون، ثم لما اقتضى نظر الإمام المؤيد التوجه إلى مكة المشرفة، بعد دخول الجلالية إليها، وجهه بعسكر كثيف، وبلغ مرحلة الليث، وكان بينه وبين جيوش الجلالية هناك حرب، حصره الشريف زيد بن محسن، وروي عن الشريف زيد: أنه كان يقول: ما رأيت أشجع منه، وكان في الحرب يحث الشريف على الثبات، فثبت ثبات مثله، ولما كانت الدائرة على أصحابهما، وكذلك عادات الحرب، لا تزال دولاً، أبى المترجم الفرار، واستقر في محل يرمي بالبندق:

وأثبتَ في مستنقَعِ الخيلِ رجلَه ... وقال لها من تحتِ أخمصِكِ الحشرُ

فجاء بعض أهل تهامة فحمله، ثم رجع إلى بلاد تهامة المخلاف السليماني، وتولى أعماله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأزال كثيراً من بدع الجهال، ومن أعظم ذلك: قضية مرجانة، وذلك أنه كان بجهة بيس، أو قريباً منه رجلٌ يدعي أنه امرأة، وتسمَّى بمرجانة، وكان الناس يأتون إليه بالحريم، لمداواة الحبل يظنونه امرأة، ومن عجيب الامتحان: أنه قد يتفق ذلك، فلبث الأمر على اللبس، حتى جاء بعض أشراف تهامة بامرأته إلى محل

المذكور، يريد المداواة، وكانت شريفةً من الطاهرات، فعرفت حقيقة الحال، فدافعت حتى اتصلت بزوجها، وأخبرته بالحقيقة، فعرّف السيد، فاستجلى السيد ذلك، فاتضح، فقتله.

وكان من العجائب أن الله تعالى كشف ستره، ورمى به السيل إلى موضع عال، وانتفخ ذكره وكبر.

ومن عنايات السيد مسألة: الختان؛ فإنهم بتهامة، وأطراف الحجاز، يسلخون الجلد عن الذكر والعانة، إلى قريب من السرة، كما يسلخ أديم الكبش، فيفنى بذلك من يفنى، وإنما السلامة مظنونة، ويمقتون من لم يفعل ذلك، وينسبونه إلى الجور في طبعه، فأزال ذلك.

واستقر أياماً، فعرض له مرضٌ اقتضى طلوعه إلى قلعة عمار، فجلس فيها أياماً حتى نقله الله إلى دار كرامته وقت الفجر، يوم الخميس، تاسع شهر رجب، سنة تسع وثلاثين وألف، ودفن عند مسجد عمار بالقبة التي فيها السيد العلامة أحمد بن المهدي، وولده صلاح الدين.

ووفاة السيد صلاح الدين ووالده في ذي الحجة، عام أربعة وأربعين وألف، وموت السيد أحمد بن المهدي قبل ولده السيد أحمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، كان من العلماء الأخيار، أهل الهمة في تحصيل العلوم، فضله كلمة إجماع، قال فيه بعض علماء زمنه: إنه منقطع القرين، وإنه رجل اليمن، كان ورعاً لا يأكل إلا من الحلال الطيب، وكان إذا خرج بالعساكر إلى البلاد الشامية، يفعل بالجنود الموائد الواسعة، وتوضع بين يديه قطعةٌ من خبز الشعير يأكلها ـ أعاد الله من بركته ـ.

وله شعر بديع، منه قوله . . .[1].

توفي بصعدة في حدود سنة أربعين بعد الألف، ورثاه أخوه السيد إبراهيم ابن محمد بقصيدةٍ مطلعها:

صبٌّ بأهل الحمى هاجتْ صبابتُه ودمعــه لا تُــرى إلا صُــبابته

وأخوه إبراهيم كان زين الوجود، وعين الموجود، ترجمان الشريعة، متبحراً في العلوم، له شرحٌ على الهداية سماه: «تنقيح الأنظار» في ثلاثة مجلدات، وله «الروض الحافل شرح الكافل»، وله «كتاب في صناعة خط المصاحف»، وله «القصص الحق المبين بالبغي على أمير المؤمنين»، وغير ذلك، وله شعرٌ بديعٌ، وكان والدهما السيد محمد رئيساً من أعيان آل محمد، مملوءاً بالوقار، وهو الذي فتح «صعدة» للإمام القاسم.

[٤٥٣] أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المَقَّري التَّلمسِاني ـ بكسر أوله وثالثه: بلدٌ بالمغرب بين الجزائر وفاس ـ الأصل والمولد، والفاسي الدار، المالكي[2].

نزيل القاهرة، الشيخ الإمام العلامة، الحافظ السند الفهامة، رحلة الدنيا، شهاب علم، روض فضله نضير، ماله في سعة الحفظ نظير، جنى من ثمرات العلوم العقلية والنقلية، فواكه شهدت له بها البرية، إن حاكته الشمس، كانت

---

(١) ورد في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض ربع صفحة بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٠٢)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٨١)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ١٧٤) (١٣٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٢٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٢٩٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧).

سراجاً، أو فاخره البدر، يزيد عليه ابتهاجاً، أما الفضائل، فهو من السابقين في حلبة ميدانها، وأما الفصاحة، فهو من الغر المحجلين يوم رهانها، وأما فقه مالك، فهو أجل سيد مالك، وأما الحديث، فقد بوأه الله فيه تكرمة بين العلياء والسند، وجد في إرث المجد من غير كلالة عن أكرم أب وجَدّ:

مـضتِ الـدهورُ ومـا أتـينَ بمثلـهِ　　　ولقـد أتـى ففخَـرنْ عـن نُظرائِـهِ

وُلد هو وأبوه وجده وجد جده بمدينة تلمسان، ونشأ بها وقرأ القرآن، وارتحل عنها في زمن الصبا إلى مدينة فاس سنة تسع بعد الألف، ثم رجع إلى بلده آخر عام عشرة بعد الألف، ثم عاود الرجوع إلى فاس سنة ثلاث عشرة بعد الألف.

وقرأ بالروايات على جمع من شيوخ المغرب، ولازم في الفقه والحديث وبقية العلوم النقلية والعقلية شيخهَ وعمه سعيد بن أحمد المقري مفتي تلمسان ستين سنة، وأخذ عن مفتي فاس أبي عبدالله محمد بن قاسم القصار القيسي الغرناطي، وعن العلامة أحمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي المكناسي، وعن غيرهم من مشـايخ عصـره، وعلماء قطره، وأجازوه، وتصدر للقراءة وإملاء الحديث النبوي وغيره من العلوم بمدينة فاس، وأخذ عنه جمع من أكابر العلماء، منهم: الشيخ العلامة أحمد بن عمران الفاسي، وعالم المغرب عبد القادر بن محمد الفاسي، وحظي عند ملوك المغرب وكبرائها، واشتهر في الأقطار المغربية، ثم ارتحل من فاس للمشرق أواخر شهر رمضان عام سبعة وعشرين وألف، **وقال عند خروجه منها:**

قطـــــرٌ كـــــأن نـــــسيَمه　　　نفحـــــاتُ كـــــافورٍ ومـــــسكِ

وكــــأن زهـــــرَ رياضــــــه دُرٌّ هـــوى مـــن نَظْـــمِ سِـــلكِ

ودخل مصر بعد أن طاف غالب المغرب الأدنى، وأخذ عنه أكابر علمائه في شهر رجب عام ثمانية وعشرين بعد الألف، وحج في تلك السنة بيت الله الحرام، وزار قبر النبي ﷺ، ثم عاد إلى فاس، وتولى الخطابة والإمامة، ثم رجع إلى المشرق، فحج أيضاً، ثم عاد إلى مصر، ثم توجه إلى دمشق الشام في شعبان عام سبعة وثلاثين وألف، فحل من أهلها محل الروح من الجسد، وتنافسوا في خدمته ومدحه ما لم يعهد مثله لأحد، وفرحوا به كما فرح بالعافية أيوب، وكان كل لفظ منه في مسامعهم قميص يوسف في أجفان يعقوب، وآب منها أواخر شوال من العام المذكور إلى القاهرة، وكرر منها الذهاب إلى البلاد الطاهرة.

وتوجه عام تسعة وثلاثين وألف إلى مكة، وجاور بالحرمين، وحصلت له بالمجاورة فيها المسرات، وحج خمس مرات، وأملى فيها دروساً عديدة، ووفد في تلك المجاورة على طيبة المعظمة سبع مرات ميمماً مناهجها السديدة، وأطفأ بعوده إليها ما بالأكباد الحِرار، واستضاء بتلك الأنوار، وألف بحضرته ﷺ ما منّ الله به عليه في ذلك الجوار، وأملى الحديث النبوي، ثم رجع إلى مصر مفوضاً لله في جميع الأمور، ملازماً خدمةَ العلم الشريف بالأزهر المعمور، فتلقاه أهلها بصدر رحيب[1]، ما بين إكرام وترحيب، وألقى بها عصا التسيار، ونفض عن برد همته غبار الأسـفار، وأصبح طراز العلوم به مذهباً، ودرَّس بالجامع الأزهر فنون العلم وتربع واحتبى:

---

(١) في الأصل: رجب، والصواب ما أثبت.

وصار فيهم غريبَ الفضل منفرداً كبيتِ حسانَ في ديوانِ سَحْنونِ

والعصر إذ ذاك بالأفاضل مشحون من جميع الفنون، وأناخ بها ركائبه، وقضى منها مآربه حتى أدركه أجله، فتوفي بها يوم السبت خامس وعشري جمادى الأول، سنة إحدى وأربعين بعد الألف، ودفن بتربة الأثلة قريباً من تربة المجاورين ـ سقاه الله رحيق غفرانه بين روح وريحان، وأسكنه فسيح الجنان ـ.

وأما مؤلفاته، فمنها: «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب»، وهو في ثلاث مجلدات ضخام، قال في آخرها: وكفى أنه لم يوجد مثله في فنه.

ومنها: «أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض».

ومنها: «فتح المتعال في مدح النعال»، واختصره في كتاب سماه: «النفحات العنبرية في وصف نعال خير البرية»، وكتاب «الشفا في بديع الاكتفا»، و«قطف المعتصر من أفنان المختصر»، و«حاشيتان على شرح أم البراهين للسنوسي»، وأرجوزة في العقائد بديعة سماها: «إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة»، و«أرجوزة في الوفق المخمس الخالي الوسط»، و«روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس»، و«الجنابذ»، المعدة لسكنى من لقيت من الجهابذ وهو أعم مما قبله، و«أزهار الكمامة في اختيار العمامة»، ولم يخرجه من مسودته، و«الدر الثمين في أسماء الهادي رسول رب العالمين».

والمقري ضبط على وجهين:

أحدهما: بفتح الميم وسكون القاف، وعلى هذا الوجه سمى ابن مرزوق كتابه الذي ألفه في التعريف بالشيخ محمد بن أحمد المقري جدِّ صاحب الترجمة بـ «النور البدري في التعريف بالفقيه المقري».

والوجه الثاني، وهو الذي عليه الأكثرون: أنه بفتح الميم وتشديد القاف، وهم لغتان في البلدة التي نسب إليها، وهي مَقَّرة من قرى زاب أفريقية.

ومن شعره قوله مادحاً للأمير منجك:

كـرر حـديثَك يـا نـديمي ... عـن حـسن معهـدنِا القـديِم
واذكـر ليـالي أُنـسنا ... بـالغرب فـي ظـل النعـيمِ
ومواسـمَ العمـر التـي ... راقـتْ بمرآهـا الوسـيمِ
أيـامَ أنجـزت الـسعو ... دُ وُعـود مطلـوبٍ عظـيمِ
ورسـائل الأحبـاب فـي ... عنوانهـا بـردُ الـسقيمِ
لـم أقـض واجـبَ حقهـا ... جهـلاً بمربعهـا الـسليمِ
لا درَّ درُّ البـينِ كْـم ... للبـينِ مـن مَرْعَـى وخـيمِ
وسـقاكَ يـا مغنـى الغـرام ... مـضاعَفُ الغيـث العمـيمِ
أرضـي التـي غادرتهـا ... مـن أجـل زمـزمِ والحطـيمِ
ونأيـتُ لا عـن جفـوةٍ ... عـن أفقهـا غيـرِ الـذميمِ
وأدلـتُ عـن دعـة لهـا ... حركـاتِ وَخْـدٍ أو رَسـيمِ
وأثـار تـذكارُ الخليـ ... ـلِ بهـا جَـوى قلبـي الكلـيمِ

يـــا قلـــبُ لا تـــشكُ[1] الجَفـــا		إلا لمــــــولاكَ الـــــرحيمِ
واصـــبرْ علـــى حكـــم القَـــضا		وذاك أمـــــرٌ مـــــن حكـــيمِ
فالحـــــال منتقـــــلٌ وقـــــس		حـــالَ الرضـــيع علـــى الفطـــيمِ
والـــــدهر ألـــــوانٌ وكـــــم		قـــصر المـــدى بالمـــستديمِ
فغـــــدا يمـــــزِّق شـــــملَه		ويقـــــدُّه قَـــــدَّ الأديـــــمِ
والـــــدهرُ يـــــوقظ غـــــافلاً		مـــن هجعـــة الغـــر المتـــيمِ
ويُـــــصيِّر النـــــدبَ الكريـــــ		ــــمَ مـــؤملاً بـــابَ اللئـــيمِ
ويُزيـــــل أنـــــوارَ النهـــــا		ر بظلمـــةِ الليـــل البهـــيمِ
يـــا مـــن لنـــاءٍ أقعدتْـــ		ـــهُ عزيمـــةُ الـــشوق المقـــيمِ
يهفـــو إلـــى بـــانِ الحمـــى		ويهـــيم فـــي ريـــم الـــصَّريمِ
حيـــرانَ حالفَـــه الـــسها		دُ فليلُـــه ليـــلُ الـــسليمِ
ويـــدُ النـــوى عبثـــتْ بـــه		لعـــبَ التكاســـلِ بـــالغريمِ
ورجـــا يخلِّـــص شـــجوَه		مـــن باعـــث العظـــمِ الـــرميمِ
وحـــدا الركـــاب بجلِّـــقٍ		مـــيلاً لمنهجهـــا القـــويمِ
فانزاحـــتِ الظلمـــاءُ عنـــ		ــه وأجفلـــتْ مثـــلَ الظلـــيمِ
حيـــثُ التقـــديس[2] ضـــامنٌ		نُجحـــاً وحـــسبُك مـــن زعـــيمِ
حيـــث الريـــاضُ الـــسندسيـ		ـــيَةُ تـــستفزُّ نُهـــى الحلـــيمِ

---

(1) في الأصل: تشكو، والصواب ما أثبت.

(2) كذا في الأصل.

والـــوُرق يُطـــرِب لحنُهـــا   فــي الجنــكِ بالــصوتِ الــرخيمِ
وربــى البطـــاح تمـــيسُ فــي   حُلـــلٍ مـــن الوشـــي الـــرقيمِ
والـــروحُ قلَّـــده النـــدى   والزهـــر بالـــدُّر النظـــيمِ
والجـــــوُّ ذاكِ عَرفــــهُ   كثنـــاءِ ذي القـــدرِ الجـــسيمِ
المنجكـــــيُّ المرتقـــــي   فـــي ذروة الحَـــسَب الـــصميم
فهـــو الأميـــرُ ابـــنُ الأميــــ   ــــرِ والكـــريمُ ابـــنُ الكـــريمِ
خُلُـــقٌ كمـــا شـــاء الكمـــا   لُ ورقـــةٌ مثـــلُ النـــسيمِ
يُـــسْلي غريـــبَ الـــدار عـــن   أهـــلٍ وعـــن خِـــلٍّ حَمـــيمِ
وينيـــف ســـؤددُه علـــى   مـــن ينتمـــي لزكـــيِّ خِـــيمِ
فـــابنُ العميـــدِ مقـــصرٌ   عـــن شـــأوه وابـــنُ العـــديمِ
وأبـــو فـــراسٍ لا يُجـــا   ريـــهِ ببيـــتٍ أو قـــسيمِ
يـــا نـــاظمَ الكلـــمِ التـــي   أربـــتْ علـــى الـــدرِّ اليتـــيمِ
مـــن للحـــسامِ الحـــاجريْ   يَ بمثـــلِ نظمـــكَ أو تمـــيمِ
وإليكَهـــا عـــذراءَ تُبــــ   ــــدي العـــذرَ عـــن وســـمٍ بـــريمِ
لـــم ينـــتج الإبـــداعُ منْــــ   ــــطقَها مـــنَ الـــشكلِ العقـــيمِ
فاســـلمْ ودمْ متحريـــاً   صـــونَ الـــصراطِ المـــستقيمِ

ومنه قوله:

يـا شـفيعَ العـصاةِ أنـت رجـائي   كيف يخشى الرجـاء عنـدك خيبَـةْ
وإذا كنـت حاضـراً فـي فـؤادي   غيبةُ الجـسم عنـك ليـستْ بغيبَـةْ

ليس بالعيشِ في البلاد انتفاعٌ أطيبُ العيش ما يكونُ بطيبَهْ

ولما أراد السفر إلى المشرق خاطبه بعض أهل المغرب بقوله:

أمفتي الغرب حقّاً قد سمعنا بأنك قد سئمت به إقامَهْ
وأنك قد عزمتَ على ارتحالٍ لشرقٍ قد سَمَوْت به علامَهْ
لقد زعزتَ منا كلَّ قلبٍ أقمْ باللهِ لا تقم القيامَهْ

ومن شعره قوله:

تركتُ رسومَ عزِّي في بلادي وصرت بمصر منسيَّ الرسومِ
ونفسي رُضْتُها بالذلِّ فيها وقلتُ لها عن العلياء قومي
ولي عزمٌ كحدِّ السيفِ ماضٍ ولكنَّ الليالِيَ من خصومي

وقوله:

وبي ولها إذا الكاسات دارَتْ محادثةٌ تَحُلُّ حُبَا الهمومِ
ألذُّ من المدُامة للندامى وبثُّ هوى أرَقّ من النسيمِ

وكتب وهو بمصر لشيخ الإسلام عبد الرحمن العمادي مفتي دمشق كتاباً منه قوله:

يا حاديَ الأظعانِ نحوَ الشامِ أبلغْ تحياتي لتلك الفئامِ
وابدأ بمفتيها العمادي الرضى وأم به[1] شمل الهنا في الشّام

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وأَمُمْ به.

فأجابه بقوله:

إلى أهالي مصرَ أُهدي السلامْ   مبتدئاً بالمَقَّريِّ الهمامْ
من ضاعَ نشرُ العلم من عَرْفه   ولم يضعْ منه الوفا للذمامْ

أهدي تحف التحية، إلى حضرته العلية، وذاته ذات الفضائل السنية الأحمدية، التي من صحبها، لم يزل موصولاً بطرائف الصلات والعوائد، الأوحدية الجامعة التي لها منها عليها شواهد:

وليسَ على الله بمستنكَرٍ   أن يجمعَ العالَمَ في واحدِ

فيا من جذب قلوب أهل عصره إلى مصره، وأعجز عن وصف فضله كل بليغ، ولو وصل إلى النثرة بنثره، أو إلى الشعرى بشعره، ومن زرع حب حبه في القلوب فاستوى على سوقه، وكاد كل قلب يذوب بعد بعده من حر شوقه، وظهرت شمس فضله من الجانب الغربي فبهرت بالشروق، وأصبح كل صب وهو إلى بهجتها مَشوق، زار الشام، ثم ما سلم حتى ودَّع، بعد أن فرع بروضها أفنانَ الفنون فأبدع، وأسهم لكل من أهلها بنصيب من وداده، فكان أوفرهم سهماً هذا المحب الذي رفع بمحبته سماك عماده، وعلق لمحبته شغاف فؤاده، فإنه دلَّى، من قلبه فتدلَّى وفاز من حبه بالسهم المعلَّى، أدام الله لك البقاء، وأحسن لنا بك الملتقى، ومنّ علينا منك بنعمة قرب اللقاء، آمين بمنّه ويمنه.

هذا وقد وصل من ذلك الخِل الوفي كتاب كريم، وهو اللطف الخفي، بل هو من عزيز مصر القميص اليوسفي، جاء به البشير ذو الفضل الأسنى السني، الخل الأعز الأجل التاج المحاسني، مشتملاً على عقود الجواهر،

بل النجوم الزواهر، بل الآيات البواهر، تكاد تقطر البلاغة من حواشيه، ويشهد بالوصول إلى طرفها الأعلى لموشِّيه، فليت شعري فبأي لسان أثني على فصوله الحسان، العالية البيان، الغالية الأثمان، التي هي أنفس من قلائد العقيان، وأبدع من مقامات بديع الزمان، فطفقت أرتعُ من معانيها في أمتع رياض، وأقطع أن منشئها به اعتياضاً لهذا الدهر عن عياض. شعر:

ليتَ الكواكبَ تـدنو لـي فانظِمهـا   عقودَ مدحٍ فلا أرضى لكم كلمـي

ولا سيما فصل التعزية والتسلية، المشتمل على عقيد التخلية، بل عقود التحلية، لتلميذكم الولد إبراهيم؛ فإنه له كرقية السليم، بعد أن كاد يهيم، فجاء والله درة في أحسن المَحالّ، ووقـع الموقع حتى كأن الولد أنشط من عِقال:

وإذا الـــشيءُ أتـــى فـــي وقتـــه   زاد فـــي العـــين جمـــالاً لجمـــالِ

فجزاكم الله عنا أحسن الجزاء، ثم أحسن جميل العزاء، فيمن ذكرتم من كريمي الأصل والفرع، وأبقى منكم ما كثاً في الأرض من به للناس أعمُّ النفع، وأما مصيبة من كان وليِّي وسميِّي ومنجدي، الشهيد السعيد عبد الرحمن المرشدي، فإنها وإن أصابت منا ومنكم الأخوين، فقد عمتَّ العربينَ، بل طمَّت الثقلين، ولقد عد مصـاب في الإسلام ثلمة، وفقد به في حرم الله من كان يدعى للملمة، ولم يبق بعده الآن من يدعى إذا يحاس الحيس واستحق أن ينشد في حقه وإن لم يقس به قيس:

وما كان قيسٌ هُلْكُه هلـكَ واحـدٍ   ولكنـــه بنيـــانٌ قـــومٍ تهـــدَّما

فالله تعالى يرفع درجاته في عليين، ويبقي وجودكم للإسلام والمسلمين،

وتلامذتكم الأولاد، يرجون من بركة أدعيتكم الإمداد، ويهدون أكرم التحية، إلى حضرتكم العلية، ونبلغكم دعاء صاحب السعادة، أدام الله إسعادكم وإسعاده، ونحن في صحبته الشهية، في رياض فنون أدبية، أبهاها لمعات محاضرة في ذكر شمائلكم الجميلة، تنور المجالس، وأشهاها نسمات محاورة بنشر فضائلكم الجميلة تعطر المجالس، وسلام جملة الأصحاب من أهل الشام، وعامة الخواص والعوام، والدعاء على الدوام، من المخلص الداعي عبد الرحمن العمادي، مفتي الحنفية بدمشق المحمية.

ومن شعر صاحب الترجمة قوله:

محاسنُ الشام جلَّت ... عن أن تُقاس بحِدٍّ
لولا حمى الشرعِ قلنا ... ولم نجاوزْ لحدٍّ
كأنها معجزاتٌ ... مقرونةٌ بالتحدِّي

وتبعه النجم الغزي فقال:

محاسنُ الشام جلَّت ... عن أن تحد بحدٍّ
عن حسنِها فحدِّثْ ... وعن سواها فعَدِّ
واللهِ لولا فَناها ... لقلتُ جنة خلدِ

وتبعهما عبد الباقي الحنبلي البعلي، فقال:

محاسنُ الشام قالتْ ... كلٌّ المدائن جُندي
فلا تَقِسني بغيري ... واترك لشوم[1] التعدِّي

(١) كذا في الأصل.

ومثله لصاحبنا علي البجع:

محاسنُ الشام نادت أنا الفريدةُ وحدي
وكلُّ حسن لغيري فإنما هو بعدي

ومن شعر صاحب الترجمة أيضاً قوله:

أما دمشقٌ فخضرةٌ لعبت بألبابِ الخلائقْ
هي بهجةُ الدنيا التي منها بديعُ الحسن رائقْ
منها الصالحية فاخرتْ بذوي الحقائق
والروضةُ الغناء حَيْـ ـيَتْ بالورود وبالشقائقْ
والنهرُ صافٍ والنسيـ ـم اللَّذْن للأشواقِ شائقْ
والطيرُ بالعيدانِ أبـ ـدى في الغِنا أحلى الطرائقْ
ولآلئُ الأغصان حَلَّتْ جيدَ ظبيٍ راحَ فائقْ
ومَراوِدُ الأمطار قد كحلت بها حدق الحدائقْ
لا زال مغناها مصو نـاً آمناً كلَّ البوائِقْ

...(1).

[٤٥٤] أحمد الزجاجي.

نزيل المدينة الشريفة، كان سخياً جليلاً، صاحب زاوية، وخُلق حسن، يسير بقافلة إلى المدينة كل عام للحج، توفي في شوال، سنة اثنتين وأربعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاث صفحات بياض».

[٤٥٥] السيد أحمد بن الهادي بن علي بن مهدي بن محمد بن الهادي ابن محمد بن حسن بن أبي الفتح بن مدافع بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن الإمام الناصر أبي الفتح الديلمي المدافعي(١).

كان عالماً بالفقه وفنونه، قرأ على القاضي عامر بن محمد الذماري، وكان القاضي يثني عليه، واشتهر على ألسنة الفقهاء تسميته بالباقر؛ لبقره في العلم، وقد كان يضرب به المثل، وكانت له خصالٌ حميدةٌ، وخرج للجهاد بالبلاد الصنعانية.

وكان له تلامذةٌ رحلـوا إليـه، منهم: الفقيه محمد بن الهادي بن أبي الرجال، وتخرج به، ووقف عند الهجرة اليحيوية مدةً، وعلق كل منهما بصاحبه لعلاقة الفقه، حتى إنه أخبرني الفقيه محمد الحسن، من ملازمي خدمة السيد: أنه لما وصل السيد هجرة سناع، تمنى الانقطاع إلى العلم، والسكون في تلك الهجرة، بشرط كان الفقيه من بني الهادي عنده.

واتفق أنه أُمليت في حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم مسألةٌ في الطمأنينة بعد تكبيرة الإحرام، في سجود السهو، هل تثبت أولا؟ فقال الإمام: هذه مسـألةٌ كان الفقهـاء يختبـرون فقه الرجل بها، ولما وصل المترجم إلى شهارة، رصده الطلب في هذه المسألة، ففعل ما هو الصواب، فعرفوا، فقهه.

توفي في شهر ربيع الثاني، سنة اثنتين وأربعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٥٦] أحمد بن موسى بن مُقبل بن سُهيْل، العلامة شهابُ الدين.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٢٥) (١١٤).

كان شيخاً معمراً، حضر بيعة الإمام الحسن بن علي، وكان يلي قبض الزكـوات بصـعدة، وعملُه أكثر من علمـه، كان وافر العقل إلى الغاية، فهو مصداق قول الفقهاء: أزهدُ الناس أعقلُهم، وكان من شيوخ الطريقة، يداخل الأعمال، وغذاؤه خبزُ قفار بغير إدام، يُدخلـه في كمه، ولا يزال ينزع نفسه إلى الأكل، فيمنعها، ويقول لها: الصـدقة أفضل، فإذا تمكن منها، تصدق بقوته، وقد يؤثر الأكل لمصالحه.

وكان عالماً بالطب، ومن عالجه، فعلى يديه الشفاء، وله مسائل أوردها على الإمام القاسم، وكان بنو الإمام الهادي بالصيغة يرونه أباً لهم.

واتفقت له غريبة: وهو أنه كان ليلةً في مضجعه، وليس عنده شكٌّ في صحة عمارة البيت الذي هو فيه، فرأى أمير المؤمنين علياً ـ كرم الله وجهه ـ يقول له: قم؛ فإن بيتك سيخرب، فاستيقظ، واستعاذ بالله من شر تلك الرؤيا، وعاد إلى نومه، وظن أن ذلك عبارة عن أمر دينه، فـرأى أمير المؤمنين ثانياً يناجيه بمثل ذلك، فاستعاذ أيضاً، ثم نام فرأى أمير المؤمنين جذب بيده حتى لم يستيقظ إلا وهو قائم، فخرج من المكان، ثم انهدم سريعاً.

توفي بصعدة، سنة خمس وأربعين وألف، ودفن بموضعٍ، ثم نقله ولده يحيى إلى محل آخر، بعد سبعة أشهر، فوجده على صفته، لم يتغير منه شيء.

[٤٥٧] أحمد بن عامر بن محمد الذماري الصباحي.

كان من أهل العلم بالفروع، والثبات في الأصول، مقداماً رأساً، صادعاً بالحق، جواداً متلافاً، له ـ مع علمه بمعالم الدين ـ علمٌ بمعالم الرمي بالبندق، فكان يضرب به المثل، وله في البسالة آثار، وحسبه أنه لما غزا الأروام هجرة

شوكان، ووقع في أيديهم، وكتفوه، خرج من بينهم هرباً، مع وجود أهل النجدة فيهم والقوة، وتولى القضاء للسيد الحسن بن القاسم، توفي قبل والده، بعد أن طلع من الحمى، ليلة الأحد، من شهر رجب، سنة خمس وأربعين وألف، ودفن بقبة التهامي بعاشر.

[٤٥٨] أحمد بن عيسى المرشدي المكي الحنفي(١).

رب البراعة والبلاغة، ومالكُ أزمَّة الصناعة والصياغة، مَنْ ألقت إليه الفصاحة مقاليدها، وصغرت جهابذها وصناديها، واعترف له لتقدمه الأقران، وشهد له بالفضل القاصي والدان.

ولد بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره، وكان يضرب بحذقه المثل، ومعرفتُه بالفقه وأبوابه، أشهرُ من نار على جبل، فهو صدر الشريعة، المتسنم في ذروتها الرفيعة، ومجمع بحري المنطوق والمفهوم، ومنبع نهري المنثور والمنظوم، وكان قد ولي القضاء بمكة المشرفة، فنال من أمله ما طمح إليه نظره واستشرفه.

ولما حصل أخوه شيخ الإسلام عبد الرحمن، في قبضة الشريف أحمد ابن عبد المطلب، ومُني منه بذلك الفادح الذي قهر به وغلب، حصل هو أيضاً في القبض والأسر، وأردف معه على ذلك الأدهم بالقسر، حتى جرع أخوه تلك الكأس، وأنعم عليه بالخلاص بعد اليأس، فراش الدهرُ حاله، وأعاد منها ما غيره وأحالَه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٦٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٦٨) (٢٧٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٩٢).

ولم يزل فارغ البال، من شواغل النكد والبلبال، إلى أن انقضت أيامه، وتنبه له من دواعي المنون نيامه، فتوفي سحر يوم الأحد، رابع ذي الحجة، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وأربعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

وقد وقفت له على شعرٍ وإنشا، بهما طراز المجد موشًّى.

فمن شعره قوله يمدح الشريف مسعود بن إدريس:

عوجا قليلاً كذا عن أيمنِ الـوادي ... واستوقفا العِيسَ لا يحدو بها الحادي
وعَرِّجا علـى ربـعٍ صـحبتُ بـه ... شـرخَ الـشبيبة فـي أكنـافِ أجيـادِ
واستعطفا جيرةً بالشِّعْب قد نزلـوا ... أعلى الكثيب فهم غيّي وإرشـادي
وسـائلا عـن فـؤادي تبلغـا أملـي ... إن التعلـل يـشفي غُلَّـةَ الـصادي
واستشفِعا تشفعا تـسآلكم فعـسى ... بقــدر الله إســعافي وإســعادي
واحملاني وحطا عـن قَلوصِـكما ... في سرحِ مردي الأعادي الضيغم العادي
مسعود عين العلا المسعود طالعُه ... قلبُ الكتيبة صدرُ الحفل والنادي
رأسُ الملوك يمينُ الملك سـاعدُه ... زندُ المعالي جبينُ الجحفل البادي
شهم السراةِ الأُولى سارت عوارفُهم ... شــرقاً وغربــاً بــأغوارٍ وأنجــادِ
تَرِدْ غمار العلا في سـوحه وتُـرِحْ ... أيدي الركائـب مـن وخـدٍ وآسـادِ
فـلا منـاخَ لنـا فـي غيـر سـاحتِه ... وجـودُ كفيـه فيهـا رائـحٌ غـادي
يعشوشبُ العزُّ في أكنـافِ غفوتِـه ... يا حبذا الشعبُ في الـدنيا لمرتـادِ
ويجتنــي ثمــر الآمــال يانعــةً ... من روض معروفهِ من قبـل ميعـادِ
فـأيُّ سـوحٍ يُرَجَّـى بعـد سـاحته ... وأيُّ قــصدٍ لمقــصودٍ وقــصَّادِ

ليهنِ ذا الملكَ إن ألبست حُلَّته تحيي مآثرَ آباءٍ وأجدادِ

لبستُها فكسوت الفخر مرسلها مشهَّرا يبهر المصبوغَ بالجادي

علوْتَ بيتاً ففاخرتَ النجوم عُلاً والشهبَ فخراً بأسبابٍ وأوتادِ

ولُحتَ بدراً بأفْق الملك تحسُدُه شمسُ النهار وهذا حَرُّها بادي

وصنت مكةَ إذ طَهَّرتَ حوزتَها من ثُلَّةِ أهلِ تثليثٍ وأنجادِ

قد غَرَّ بعضَهم الإهمالُ يحسبُه عفواً فعادَ لإتلافٍ وإفسادِ

فذدتَهم عن حمى البيت الحرام وهمْ من السلاسلِ في أطواق أجيادِ

كأنهم عنَد رفع الزندِ أيدهم يدعون حباً لمولانا بإمداد

وما ارعووا فشهرتَ السيفَ محتسباً يا بردَ حَرِّهِمُ في حرِّ أكبادِ

غادرتَهم جَزَراً من كلِّ منجدِلٍ كأن أثوابه مُجَّتْ بفِرصْادِ

وأثمرَ السدرُ من أجسامهم ثمراً حَلُّوا بأفواهِ أجداث وألحاد

سعيتَ سعياً حثيثاً من خمائله نورُ الأمانِ لأرواحٍ بأجسادِ

فهمْ بمكةَ من داعٍ ومبتهلٍ ومن محبٍّ ومن مُثنٍ ومن فادي

وعاد كلُّ عصيٍّ مصلحاً وغدت أيامُنا بالهنا أيامَ أعيادِ

وقاد كلَّ قصيٍّ ذلةً وَهَلاً وكان من قبلُ صعباً غيرَ منقادِ

نفى لذيذَ الكرى عنهم تذكُّرُهم وقائعاً لك بين الخَرْج والوادي

أباح سرحك أن يرعى منازلهم مهمَّلاً كل معوجٍّ ومُنآدِ

من كلِّ أبيضَ قد صلت مضاربُه لما ترقى خطيباً منبر الهادي

وكلِّ أسمر نظام الطّلا وله إلى العِدا طفرةُ النظامِ ميّادِ

وصان وسمك في حاش مخالطه		عـن ربٌ غـز وتنـضاه بأحـشاد
أسـكنْتَ قلـبَهم رعبـاً تـذكُّره		يُنسي الشفوقَ الموالي ذكرَ أولادِ
أقبلـتهم كـل مِرقـالٍ وسـابحة		يُسرعْنَ عَدْواً إلى الأعـدا بـأطوادِ
من كل شهمٍ إلى العَليـاءِ منتسبٍ		بـسادةٍ قـادةٍ للخيـل أجـوادِ
فهاك يابنَ رسـولِ الله مِدحـةَ مَن		أورت قريحتُـه مـن بعـد إخمـادِ
فأحكمـتْ فيـك نظمـاً كلُّـه غُـرر		مـا أحـرزت مثلَـه أقيـالُ بغـدادِ
أضحتْ قوافيه والآمـالُ يُسرحها		روضُ البـديع لإرصـادٍ بمرصـادِ
يرويـه عنـي الثريـا وهـي هازئـةٌ		بالأصـمعيِّ ومـا يـروي وحَمَّـادِ
وتستحثُّ مطاي الزهر إن ركـدتْ		كأنهـا إبـلٌ يحـدو بهـا الحـادي
وتوقظ الركبَ ميلاً من خُمارِ كَرًى		والليل من طول تدآب السرى هادي
أمَتْـك تـشفع إدلالاً لمنـشئها		فاقبـل تـدلُّلَها يـا نـسلَ أمجـادِ
وأسبلِ الصفحَ ستراً إن بـدا خلـلٌ		تهتـكْ بـه سـتبرَ أعـداءٍ وحـسادِ
وقـلْ تقـرَّبْ إلينـا تـستعزَّ بنـا		مـا حـقٌّ مثلـك أن يُقـصى بإبعـادِ
لا زلتَ يا عزَّ آلِ البيت فـي دَعَـةٍ		تحـفٌّ مـنهم بأنـصارٍ وأنجـادِ
مسعودُ جـدٍّ سـعيد الفـال طالعُـه		سـعدُ الـسعود ملقّـى كـلَّ إسـعادِ
بحـقِّ طـه وسِـبْطيه وأمِّهمـا		والمرتضى والمثنى الطهر والهـادي
صلَّى عليهم إله العرشِ ما سجعت		قُمريـةٌ أو شـدا فـي أيكـةٍ شـادي

وكتب إلى الفاضل محمد بن حسن دراز يستدعيه:

رقَّ النـسيمُ وذيـلُ الغـيمِ منـسدلٌ		على الوجودِ وظرف الدهر قد ظُرِفا

فاغنمْ معـاقرةَ الآدابِ واغْـنَ بهـا	عن المُدامِ وخذْ من صفوِها طُرَفا

وله أيضاً يصف بركةً:

ألا انظر إلـى هـذا الـصفاء لبركـة	تقول لمن غاب عنها من الصَّحبِ
لئن غبتَ عن عيني وكدَّرتَ مشربي	تأملْ تجدْ تِمثال شخْصِك في قلبـي

ومثله قول الإمام علي الطبري:

وبركـةِ مـاء قـد صـفا سلـسبيلُها	ومن حولها روضٌ تكلَّـلَ بـالزهر
تُخـالُ إذا مـا لاح رونـقُ حـسنِها	كبدرِ سماءٍ حُـفَّ بـالأنجم الزُّهـرِ

وله في الفوارة:

وفـوارةٍ مـن مـروةٍ قـام ماؤهـا	كبزبـوز إبريـقٍ ولـيس لـه عُـرْوَهْ
بـدا لـي لمـا أن وردتُ صـفاءها	ولا غروَ أن يبدُ الصفاءُ من المَرْوَهْ

ومثله قول الفخر الخاتوني:

ألا مِل إلى روضٍ به بركـةٌ زهـتْ	بفـوارةٍ فيهـا كفـصّ مـن المْـاسِ
إذا مـا أتاهـا زائـرٌ قـام ماؤهـا	فأجلَسَه منها على العـين والـراسِ

والأصل في ذلك قول ابن المعتز:

وقاذفـةٍ بالمـاء فـي وسـطِ جنـةٍ	قد التحفت كِماً من الظل سَجْسَجا
إذا انبعثـتْ بالمـاء ردتـه منـصلاً	وعاد عليها ذلـك النـصل هَوْدَجـا
تحـاولً إدراك النجـومِ بقـذفِها	كأن لها قلبـاً علـى الجـوِّ مُحْرَجـا
لدى روضة جاد السحابُ ربوَعها	فزخرفَهـا بـين الريـاض ودبَّجـا

على نرجس غَضٍّ يلاحظ سوسناً ... وآسٍ ربيعــيٍّ ينــاغي بنفــسجا
كـأن غـصونُ الأقحـوان زمـردٌ ... تَعَمَّـمَ بالكــافور ثـم تَتَوَّجـا
ونـوارُ نـسرينٍ كـأن نـسيمَه ... من المسكِ في جوِّ السماء تأرَّجا

وكتب الفخر الخاتوني إلى صاحب الترجمة، وقد سقط، فانزعجت رجله:

مـولايَ إن تـألمْ لعـارضِ سـقطةٍ ... حلـف الزمـان بمثلـه لا يغلـطُ
فلـذاتك العليـا بمثلـك أسـوةٌ ... الشمسُ تكسفُ والكواكبُ تسقطُ

ومن شعر صاحب الترجمة قوله:

فيـروزَجٌ أم وشـامُ الغـادةِ الـرودِ ... يبدو على سـلكِ درٌّ فيـه منضودِ
وقامـةٌ أو قـضيبٌ فـي كثيـبِ نقًـا ... عليـه بـدرٌ بـدا فـي جُنح تجعيـدِ
وظبيــةٌ أم مهــاةٌ مــا أرى فلقــد ... وقفتُ في اللبس من لحظٍ ومن جيدِ
يـا ظبيـةً مـا رأينـا قبلهـا أسـداً ... يُراع بالبِـيضِ من أجفانها الـسودِ
بل يا مهاة على البيض الصفاحِ بألـ ... ـحاظ أرعت بها أسدَ الشّرى سُودي
جردْتِ لحظَكِ لمَّا أن تجـرد فـي ... حُبـك قلبـي أتجريـد لتجريـدِ
جالَ الوشاحُ بخـصرٍ لا شـبيهَ لـه ... وهــل يــشبَّهُ معـدومٌ بموجــودِ
أشكو من الحبِّ شكوى الخَصْرِ من كَفَلٍ ... كِلا النحيلين يشكو ضعفَ مجهودِ
قالت وقد أسقَمتْ جسمي لواحظُها ... عــديتَنا بــسَقام منــكَ مــشهودِ
ومذ تنهدتُ أبـدتْ لـي نواهـدَها ... كــي مــا تقابـلَ تنهيـداً بتنهيـدِ
فقلـتُ رفقـاً بـصَبٍّ صـب أدمعَـه ... حتى جرت فـوقُ خَدِّيـهِ بأخـدودِ

يحـنُّ إن نـاح قُمـريٌّ علـى فـننٍ بـالرقمتين وإن أشـجى بتغريـدِ
ويرتجـي عـود أيـام اللّقـا طمعـاً وهل زمـانٌ مـضى يومـاً بمـردودِ
نعم متى وصلتْ ذاتُ الوشاح يعُدْ وحُسنُ ظنـيَ فيهـا غيـرُ مجحـودِ
كم بتُّ بالوهم أحسو خمرَ ريقَتِها لما جفَتْني وعـاق الطيـف تـسهيد
صـهباءُ مـا مـسَّها دنٌّ لا نزلـتْ بالعـصر كـلاً ولا شِيبتْ بعنقـودِ
قول المعزِّ بخمرِ الدنِّ قد عُصرت مـن الثريـا وهبـه غيـرَ مـردودِ
صـهباءُ لـو فنّـد اللاحـي ليوتمَهـا صَهْ باءَ بـالإثمِ مـن جهـلٍ بتفنيـدِ
صهبا أرقُّ من الشكوى وأعذبُ من عِـذارِ الحبيـب بترجيـعِ وترديـدِ
صـهباءُ تفعـل بالألبـاب سـورتُها فعل السخي بشهوانَ بـنِ مـسعودِ
الضيغمُ الشهمُ مـن لاذت بعقوتـه شمُّ الأنوف من الشوشِ الصناديدِ
والحـاتم الجـودِ والأيـامُ مخفقـةٌ رأيَ الكـرام فهـذا حـاتمُ الجـودِ
والمجتني الحمدَ من غرسِ الجميل ولن يَـشينَ وجـهَ عطـاهُ بالمواعيـد
مهذبِ الخلق مأمونِ البوادر مـشـ ـكورِ الأناة صحيحِ الرأي محمـودِ
أغـرَّ تهـتشُّ للجـدوى شـمائلُه مثلَ اهتشاشِ رقيقِ القلـبِ للغيـدِ
تـأوي إليـه شـكاةُ الـدهر واثقـةً منـه بتفـصيلِ حكـمٍ منـه مقـصودِ
فيـستعزُّ بـه مـن مـسّه صـرعٌ من الخطوب ومن أخدانِها الـسودِ
وتجتديـه بنـو الآمـال مدركـةً مـا ترتجيـه بـلا مـنّ وتنكيـدِ
يـا آلَ مـسعود آلَ المجـد إنكـمُ مجدٌ له وهـو مجـدٌ غيـرُ محـدودِ
لا مجدَ للمجد لـولاكمْ ولا كـرمٌ للمكرمـات ولا حمـدٌ لتحميـدِ

ولا علاءٌ لمن لـم تلحظـوه ومَـن   يُلْحَظْ ينلْ فوق ما يرجـو بتـسديدِ
ففضلكمْ بهـر الأعـدا وأحمـدُكم   منه المحامـدُ لا تُحـصلى بتعديـدِ
عَفَفْـتُمُ وعفيـفُ الـدين عنـدَكم   من يعف عن قدرةٍ عن كل مردودِ
وسعدُكمْ سعدُ أهل الأرض قاطبةً   قـضى لـه الله فـي الـدنيا بتخليـدِ
فابقَوا وسائطَ عقدِ الملك تنضدُكم   يــدُ الخلافــة فيهــا أيَّ تنــضيدِ
مهنــأً بكــم العيــد الــسعيدُ نعــمْ   لــولاكمُ مــا حظــي عبــدٌ بتعييــدِ
ثم الصلاةُ على المختار ما افتخرتْ   غلب الرفاق بشهوانَ بـنِ مـسعودِ
والآلِ والصحبِ ما غنتْ بمِدْحَتـه   صوادحُ الفضل في أفنـانِ تمجيـدِ

[٤٥٩] أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري، الشهير بمصر بالوارث[1].

فرع شجرة الصديق، وفخر آل بيت عتيق، جمعَ نسبةَ الأصالة من كل جهة وصاله، وذكر السخاوي في «الضوء اللامع» جده الشيخ بدر الدين، وذكر فيه اتصال نسبه، وأمُّه بنت الشيخ أبي الحسن البكري، فالشمس البكري خاله، وأم جده لأمه، شريفة النسب، وله من جهة والده إلى سيدي يوسف العجمي انتساب.

قد انتهت إليه الرياسة في علم التفسير، مع ما انضم إليه من علم البلاغة النضير، واشتهرت أحاديث فضائله، فأصبحت رونق السير والأسمار، وظهرت أعلام علمه، فلا تخفى إلا على أكمه لا يعرف الشموس والأقمار، وكان من

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٧).

الأدب في مرتبة سنامه وكاهله، تحوم الآراء حول موارده فترتوي من مناهله، وله مؤلفات منها: «أجوبة على أسئلة العز بن عبد السلام التفسيرية»، وفسر بعض سور من المفصل، وله رسائل في التفسير، واختصر «المواهب اللدنية»، وكتب على «متن التهذيب في المنطق»، ونظم عقيدة لها حسن أسلوب، توفي سنة ثمان وأربعين وألف.

وله نظم ونثر كما انتظمت الأنوار بعدما انتثرت عليها الأمطار، أو كما انتظمت الأطوار بعدما انتثرت من تشتت المآرب والأوطار.

فمن ذلك قوله:

وإني لصبٌّ بالقوافي ومدحها ... ويبلغ بي حدَّ السرور بليغُها
وأطيبُ أوقاتي من الدهر ليلةٌ ... تريغُ القوافي خاطري وأريغُها
وكم بلغتْ بي همتي بُعْدَ غاية ... يعزُّ على الشِّعرى العَبورِ طلوعُها
فما سرني الأكل أسيغه[1] ... بمسمع واعٍ أو معانٍ أَصوغُها

وله فيمن اسمه بدر:

سمَّوه بدراً وذاك لما ... أن فاق في حسنه ونَمَّا
فأجمعَ الناسُ مذْ رأوه ... بأنه اسمٌ على مسمًّى

وله:

وكم للهِ من نعمٍ ... يعمُّ الكونَ ماطرُها

---

(١) كذا في الأصل.

تــــــــذكِّرنا أوائلُهــــــــا بمــــا تــــؤتي أواخرُهــــا

وله:

رمــت حــالَ الوصــل إنــي لا أرى للوصــــل آخِــــزْ
فحرمــت الوصــل رأســاً زاد بـــي الوجــدُ فحــاذِزْ

وله:

مــاذا تقــولين فــيمن شــفَّه ســقمٌ من فرط حبكِ حتى صـار حيرانـا
قد لان في الحب حتى صار مكتئباً والعـشقُ أضـرمَ فيـه اليـومَ نيرانـا
هل يشتفي منكِ بالثغر الرحيقِ إذا وتتركيــه علــى الأدنــين أزمانــا

[٤٦٠] السيد أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن أحمد ابن محمد بن القاسم بن يحيى ابن الأمير داود بن المبرجم بن يحيى بن عبدالله ابن القاسم بن سليمان بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن القاسم الحراري، نسبة إلى حرارة: قرية بالبون، ابن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن سلامة الشرفي(١).

كان خاتمة المحققين في العلوم، فصيحاً بليغاً، زكي الفهم، له عناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جليل القدر في صدور العامة والخاصة، وكان من أصحاب الإمام القاسم، وتولى له، ثم صحب الإمام المؤيد، وانتقل في أيامه من شهارة إلى مَعْمَرَة، من بلاد هَنْوَم، وكان مقصوداً بالنذور، وكان

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٧٩) (٨١)، «البدر الطالع» (١/ ١١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٨).

من التقشف والورع بمكان عظيم.

وصنف: «شرح الأساس الكبير»، و«شرحه الصغير»، وشرح الأزهار وسماه: «ضياء الأبصار»، وله رسائل كثيرة، و«شرح البسامة» في أربع مجلدات كبار، وتمم البسامة أيضاً.

وله أشعارٌ، منها: ما كتبه إلى صنوه السيد الحسن بن محمد الشرفي، وذلك أن السيد الحسن نزل إلى الشرف، وتزوج فيه، ولم يرجع لما هو بصدده، فكتب إليه يحثه على الرجوع:

أيا صاحِ كمْ بين امرئٍ ذي شهامةٍ ... له هممٌ تعلو على الكوكب العالي
عـشيقِ حـسانِ المعـالي متـيمٍ ... بأبكارها صَـبٍّ بهـا غيـرِ مكـسالِ
ترى حلـقَ التـدريس جنـةَ روحـه ... يقطفُ من حافاتها الثمـرَ الحـالي
يحكم عقلاً قـد أنـار علـى هـوى ... خـذولٍ غـرورٍ للمطيعـينَ قتـالِ
وآخرَ أعشاهُ امرؤُ القيس إذ عـشى ... بعشق هوى نفسٍ لربـاتِ أحجـالِ
فقـالَ يمـينَ الله أبـرحُ قاعـداً ... ولو قطَّعوا رأسي هناكَ وأوصـالي

توفي ثلث الليل الأخير، من ليلة الأربعاء، ثالث وعشري ذي القعدة، عام خمسـ[ـة] وخمسين وألف بمعمرة، من جبل هَنْوَم، ومولده سنة خمس وسبعين وتسعمائة.

[٤٦١] أحمد بن يحيى بن حنش.

كان فاضلاً تقياً صالحاً، مرضيٌّ الحال، ولي القضاء للإمام أحمد بن الحسن، وكان له عنده مقام رفيع، وفوض إليه أعمالاً، وكان أهلاً لذلك،

وتولى للإمام المؤيد «تريم»، و«الشحر»، وحضر فتح «عدن» مع السيد أحمد ابن الحسن بأمر من الإمام المتوكل.

ثم سكن القاضي بظفار، ونقله الله إلى جواره في مشاهد سلفه، ودفن بالقرب من المشهد المنصوري، وكان مولده في شهر شعبان، سنة سبع وألف، في شهر شوال، وتوفي وقت الظهر، من يوم الخميس، سادس عشر ربيع الآخر، سنة ست وخمسين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٦٢] أحمد بن يحيى بن أحمد بن حابس[١].

عالمٌ كبيرٌ، وإمامٌ شهيرٌ، تولى القضاء بصعدة بعد موت أبيه، وولي الخطابة بجامع الهادي والإمامة، ونشر العلوم للطالبين، منظومها ومعلومها، وكان من صغره سريع البادرة، يلتهب ذكاءً، مع كثرة العبادة، والانقطاع عن الناس، وآوى إلى كهفه بجهة واص.

و«شرح تكملة الأحكام» شرحاً معروفاً بالفائدة، وعمره ثمان عشرة سنة، وهو الذي ينقل عنه شيخ الشيوخ السيد محمد المفتي، ويسميه: الشارح المحقق، و«شرح شافية ابن الحاجب»، ولم يتمه، وكان إماماً في العربية، ورحل إلى الإمام القاسم، وجرى بينهما محاورات.

من جملتها: جواب الإمام على العلامة ابن الصلاح الشافعي بتعديل الصحابة جميعاً، وهو الذي نقله القاضي شمس الدين في «شرحه على الكافل»، وله «التكميل» كتابٌ جامعٌ حافلٌ في الفقه، كمل شرح ابن مفتاح بفوائد

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٣٤) (١١٧)، «البدر الطالع» (١/ ١٢٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٧٠).

وضوابط وتقريرات، وهذا الكتاب مغنٍ على سواه.

وله كتاب «المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن»، وكتاب «سلوة الخاطر» لا يستغني عنه فقيه، سيما من علقت به أمراس القضاء، وولاية الأحكام، جمع فيه غرائب، وابتدأه بطبقات الدعاة من آل محمد، وأدخل فيه شطراً من المساحة، وما يحتاج إليه المنتدية من معرفة الطالع والغارب، وقد علق به الفضلاء، وصار عمدتهم، وله «شرحٌ على الثلاثين مسألة» جمع فيه فأوعى، وكان يُضرب به المثل في سعة الصدر، والاحتمال والإغضاء. توفي قبيل فجر يوم الاثنين، رابع عشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وألف، ودفن عند قبور سلفه ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٤٦٣] أحمد بن أحمد الخطيب الشويري الحنفي[١].

شهاب الملة والدين، وحُجَّة المناظرين، وشيخ الإسلام والمسلمين، وبقية الفقهاء المحققين، وخاتمة العلماء العاملين، **ولد** ببلده، وقرأ القرآن، ورحل مع أخيه الشيخ محمد إلى الشيخ أحمد بن علي الشناوي، وأخذا بـ «مُنْية روح» عنه علوم الطريق، وبه تخرج في علوم القوم ـ نفع الله بهم ـ.

ثم قدم مصر، وجاور بالجامع الأزهر سنين، وروى الفقه وغيره عن عالم مصر علي بن غانم المقدسي، وعبدالله النحريري، وعمر بن نجيم صاحب «النهر»، وأخبرني شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي: أنه أخبره: أنه سمع جميع «صحيح البخاري» على شيخ الإسلام الشمس محمد المحبي الحنفي، وكان إذا فاته سماعُ درسٍ منه، يذهب إليه لبيته يقرؤه عليه،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٨).

وأجازه كثير من شيوخه.

وتصدر للإقراء والتدريس، وعم نفعه لأهل عصره؛ بحيث إن جميع علماء الحنفية من أهل مصر والشام، ما منهم إلا وأخذ عنه، وكان يلقب بمصر بأبي حنيفة الصغير، وتقدم أن أخاه محمداً كان يلقب بالشافعي الصغير، فلله درُّهما من أخوين نجيبين!

وكان ﷺ مشهوراً بالخير والصلاح والبركة لمن قرأ عليه، منعكفاً في بيته، معتزلاً عن جميع الناس، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، معتقداً للصوفية ـ نفع الله بهم ـ، وجيهاً مهاباً، لا يتردد إلى أحد، مجللاً عند جميع الناس معتقداً، كثير البكاء والخشية من ـ الله سبحانه وتعالى ـ، وكان صاحب أحوال وكرامات.

منها: ما أخبرني به شيخنا شاهين الأرمناوي: أن العلامة سري الدين الدروري، كان ينتقصه، وينكر فضله، وينكت عليه في مجالسه، فبلغه ذلك، فقال لبعض أصحابه: قل له: يقول لك أحمد الشوبري: المشاهد بيننا، فبلغه ذلك، فضحك منه، وقال: ما معنى هذه الكلمة؟ ولم يفهم مراده منها، فاتفق أنهما ماتا في شهر واحد، فكانت جنازة صاحب الترجمة حافلةً، لم يُر في عصره مثلُها؛ بحيث إن وزير مصر وقاضيها، وجميع علمائها وأمرائها، وخواصها وعوامها ومن فيها من الغرباء، اجتمعوا في مشهده، وحصل عليه جزعٌ كبيرٌ، وكان مشهداً عظيماً من مشاهد الأولياء، ولكثرة الناس فيها، لم يسعهم الصلاة عليه في الجامع الأزهر؛ كعادة أهل مصر، بل صلوا عليه خارج مصر، بسبيل المؤمنين، وكانت جنازة العلامة سري الدين كجنازة عوام الناس.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ عام ستة وستين بعد الألف، وعمره ثلاث وتسعون سنة، وصلى عليه بالرُّمَيْلَة، إماماً بالناس، صنوُه شيخ الإسلام الشمس محمد الشوبري الشافعي ـ رحمهما الله تعالى ـ، ودفن بتربة السيدة سُكينة، بقرب محلة طيلون.

[٤٦٤] أحمد بن محمد الأسدي الشافعي المكي(١).

كان إماماً عالماً، وأديباً بارعاً جامعاً، جمع بين علوم جمة: فقه، وعربية، ولغة، وغير ذلك، وكان عارفاً بمذهب الإمام الشافعي، كثير الاطلاع، حلو المذاكرة، وافر الحرمة.

مولده عصر يوم الخميس، حادي عشر ذي القعدة، سنة تسع وعشرين وألف، خامس عشر درجة في الميزان بمكة، وبها نشأ.

ولازم في العلوم الشرعية ـ الفقه والتفسير والحديث ـ الشيخ العلامة المسند الرحلة، محمد علي بن علان الصديقي المكي، وكان شديد المحبةِ له من بين طلبته؛ لحذقه ونجابته، وقرأ على شيوخ كثيرين في فنون، وأجازوه.

وتصدر للإقراء بالمسجد الحرام، وانتفع به طلبة العلم، ونظم «شذور الذهب» لابن هشام في أرجوزةٍ عذبةِ الألفاظ، سهلة المعاني، سماها: «قلائد النحور بنظم الشذور»، وقفتُ عليها عند ولده الفاضل محمد ـ أيده الله، وبارك فيه ـ، ثم لم يزل ملازماً للعبادة والإفادة، حتى اخترمته المنية، وهو شابٌّ، سنة ست وستين وألف بمكة، ودفن بالشبيكة.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٠٧) (٣٠٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٨).

وله أشعارٌ كثيرةٌ، منها: قوله متغزلاً:

دعِ المدامة يعلو فوقها الحَبَبُ ... رضابهُ وثناياه لنا أربُ
نزّه فؤادك من راح الكؤوس وخذْ ... راحاً من الثغر عنها يعجز العنبُ
شتّانَ بين حلالٍ طيبٍ وحرا ... مٍ حامض يزدريه العقلُ والأدبُ
إذا تغزلتُ في خمرٍ وفي قدحٍ ... فما مرادي إلا الثغرُ والشنبُ
قد درُّ مبسم بتُّ أرشفُها ... من في غزالٍ إلى الأتراك ينتسبُ
مهتز اللحظ زنجيّ السوالف لم ... تحوما قد حواه العجمُ والعربُ
تُباحتي وردَ خدٌّ لو يشاهده الـ ... ـوردُ التصيُّ لاستولى به النَّصَبُ
قولوا لمن قال أن البدر مكتسبٌ ... سَنّاً من الشمس هذا باطلٌ كذبُ
قالت مباسمُه للبرق حين سرى ... لقد حكيتَ ولكن فاتكَ الشنبُ
وبتُّ أشدو على الغصن الرطيب لنا ... بيني وبينكِ يا وُرْقَ الحِمى نسبُ
أفديه من رشأ نفسٌ به تلفتْ ... من أجل شاماتٍ في الخدين تلتهبُ
يقول لما رأى دمعي جرى ذهباً ... يا مطلباً ليس لي في غيره أربُ
تَبّتْ يدا عاذلي عمَّن أُعوذه ... بالناس من نافثٍ أو غاسقٍ يقبُ
إن المحرمَ سلواني لطلعته ... فقلْ لشعبانَ عني إنني رجبُ
كيف السلوُّ وعيني كلما نظرتْ ... لوامعَ البرق قالتْ زالت الحجبُ
أم كيف أخلص والقلب الكئيب غدا ... عليه طيراً وفي أجفانه حنبُ
يا عاذلي لا تُطِلْ بل إن رحمتَ فما ... عذلني على وَصَبي لامَسّكَ الوَصَبُ
هذي دموعي جرتْ من طول هجرته ... وما جرى في سبيل الحبّ محتَسبُ

وقوله ـ عفا الله عنه ـ في مليح اسمه بلال:

ومليحٍ تكاملَ الحسنُ فيه ... لشقاء المحبِّ سُمِّي بِلالا
كلما رامَ منه نيلَ وصالٍ ... لا تراه يجيب إلاَّ بلا لا

وقوله ـ رحمه الله ـ مادحاً شيخه الإمام العلامة علي بن عبد القادر الطبري الشافعي الحسيني، ومستجيزه:

من أين للبدر جزءٌ من محياكِ ... أم للصباح نصيبٌ من ثناياكِ
والبدرُ يزريه ما يعلوه من كَلَفٍ ... والصبحُ يكفيه أن يدعى بأناكِ
وهل حوى الكأسُ ما يحويه ثغرُكِ من ... نفائسٍ لم ينلها غيرُ سواكِ
قد عزَّه عند ما يعلوه من حَبَبٍ ... قولُ الذي قال إلا خلية فاكِ
أنتِ البريئةُ من نقصٍ تُشان به ... حاشاكِ من وصمةٍ حاشاكِ حاشاكِ
كلُّ المحاسن في مرآك قد جُمعت ... فجلَّ من بجَليِّ الحسنِ حَلاَّكِ
من علَّم الظبيَ أن يرنو بناظره ... وعلَّم الغصنَ أن يهتز إلاَّكِ
والبيضُ عن لحظك الفتان راويةٌ ... والسُّمر تنقل ما يُمليه عِطْفاكِ
يا كعبةَ الحسن بل يا ركنَ كعبته ... تباركَ اللهُ من أنشا وسَوَّاكِ
رِقِّي لصبٍّ فقيرٍ من تصبّره ... بحقِّ من بكنوز الحسنِ أغناكِ
مُنِّي عليه بوصلٍ بات يرقبُهُ ... فطرفُه ساهرٌ مذ صار يهواكِ
أقسمتُ بالميم من طائيّ مبسمِها ... أو نونِ حاجبِ ذاكَ الناظرِ الشاكي
أنْ لا مليحَ سواها فهي واحدةٌ ... وما لها في المها شِبْهٌ ولا حاكي

أملى العذولُ سلُوي وهو مؤتفكٌ وعنكِ شيع هجري بعد إملاكِ
كيف السلوُّ وقلبي ما له شُغُلٌ إلا التفكرُ في تحقيق معناكِ
نعم بحضرةِ ذي الآلاءِ قدوتِنا ربِّ المكارم مولانا ومولاكِ
المفردِ العلمِ النحريرِ سيدنا الجوهرِ الفردِ في فهمٍ وإدراكِ
عليٍّ بنِ الإمامِ البحرِ مَن خُتِمت به الفضائلُ عبدِ القادر الزاكي
من حلَّ فوق الثريا منزلاً وسَمَا على السِّماكِ مَحَلاً فوقَ إدراكِ
حامي حمى الدين بالهنديِّ من لسنٍ عن شُبهة يفتريها كلُّ أفّاكِ

ومنها:

قالت لهمَّتِهِ الجوزاءُ حين رمتْ أطنابَها فوقَها أبعدْتِ مرماكِ
سرتْ معانيه في الآفاق ساطعةً فقال بدُر الدجى لله مسراكِ
من ذا يحاكيه في علمٍ وفي كرمٍ هيهاتَ ما شرفُ المحكيِّ كالحاكي
هنئتِ أُمَّ القرى بالحبر إذ طلعتْ شموسُ أنواره في أفقِ مسعاكِ
لقد فخرتِ على الأقطار قاطبةً بمن به اللهُ ذو الإحسان أولاكِ

ومنها:

يا أيها الحبرُ يا بحرَ العلوم ويا رحبَ العطاء وربحَ السائل الشاكي
إليكَ نظماً غدا كالدرِّ منتظماً لكنه فاقَه في حسنِ أسلاكِ
قصدي به دمتَ في عزٍّ وفي دعةٍ إجازةً منكَ يا ذا النائلِ الزاكي
بكلِّ ما لكمُ حقّاً روايتهُ فجدْ بها منعِماً من غير إمساكِ

ثم الصلاةُ على أزكى الورى حَسَباً محمـــدٍ خيـــرِ أوّاهٍ ونَـــسَّاكِ
والآلِ والصحبِ والأتباع ما رُويـت من أيـن للبـدرِ جـزءٌ مـن محيـاكِ

[٤٦٥] أحمد بن محمد علي الجوهري المكي[1].

قال في «السلافة»: جوهري النثر والنظام، أزهري السجايا العظام، حلَّى بعقود نظمه عواطلَ الأجياد، وسبق بجواد فكره الصافناتِ الجياد، وتضلع من فنون العلوم، واطلع على خفايا المنطوق والمفهوم.

مولده بمكة، وبها نشـأ وترعرع، ورحل إلى الهند في عنفوان عمره، وابتداء حاله وأمره، فقطن بها خمساً وعشرين سنة، وعاد إلى مكة ـ شرفها الله ـ، فأنكـر تقلب أمورها، فانتقل منها إلى فارس، فطنب بها خيامه، ولـم يتم له مرامه، فرجع إلى الهند، ولـم يزل بها حتى دعاه أجله فلبّى، وقضى من الحياة نحبا، فتوفي ليلة الأربعاء، لثمان بقين من جمادى الآخر، سنة تسع وتسعين بعد الألف.

ومن رقيق شعره:

ما شِمْتُ برقاً سرى في جنحِ معتكرِ إلا تـذكرتُ بـرقَ المبـسم العطـرِ
ولا صـبوْتُ إلــى خِــلٍّ أســامرُه إلا بكيـتُ زمـانَ اللهـو والـسمَرِ
شَلَّتْ يـدُ النـوى مـا كـان ضـائرَه لو غادرتنا نقضـِّي العيشَ بـالوطر
في خلسةٍ من ليالي الوصل مسرعةٍ كأنمـا هـي بـين الـوهنِ والـسحرِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٥٧) (٢٩١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٩٢).

لا نرقب النجمَ من فقدِ النديم ولا نستعجل الخطوَ من خوفٍ ومن حذر
وأهيفُ القدِّ ساقينا براحتِه كأنه صنمٌ في هيكل البشرِ
منعمين وشملُ الأنس منتظمٌ يربو على نظم عقدٍ فاخرِ الدررِ
فما انتهينا لأمر قد ألمّ بنا إلا وبدّل ذاك الصفوُ بالكدرِ
لا درَّ درُّ زمان راح مختلساً من بيننا قمراً ناهيكَ من قمرِ
غزالُ أنسٍ إن تحلَّى في حُلَى بشر وبدرُ حسنٍ تجلَّى في دُجى شَعَرِ
وغصنُ بانٍ تثنى في نقَا كَفَلٍ لا غصنُ بانٍ تثنى في نقَا سَدَرِ
كأن ليلي نهارٌ بعد فرقته مما أقاسي به من شدة السهرِ
يا ليت شعري هل حالتْ محاسنُه وهل تغير ما باللحظ من حَوَرِ
فإن تكنْ في جنان الخلد مبتهجاً فاذكر معنَّى الأماني ضائعَ النظرِ
وإن تأنست بالحورِ الحسانِ فلا تنسى الليالي مرّت مع القصرِ

وقوله:

كيف أسلو مَن مهجتي بيديه وفؤادي وإن رحلتُ لديه
إن طلبتُ الشفاء من شفتيه جادَ لي بالسَّقام من جفنيهِ
إن حِلْفَ السهادِ عينٌ رأته وجنةُ وردٍ وجنتي خديه
كلما رمتُ سُلُوَّهُ قال قلبي لا تلمْني على العكوفِ عليهِ
لستُ وحدي سيّما في هواه كلُّ أهل الغرام تصبو إليه

وله مقاطيعُ سماها: لآلي الجوهري، منها قوله:

كيف يرجو العرفانَ بالله من قدْ قيدته الذنوبُ طولَ حياتِهْ

لا لعمري أم كيف يُشرق قلبٌ صور الكائنات في مرآتِهْ

وقوله:

إذا مضت الأوقاتُ في غير طاعة ولم تك محزوناً فذا أعظم الخطبِ
علامةُ موت القلب أن لا ترى به حراكاً إلى تقوى وميلاً عن الذنبِ

وقوله:

إن حزت علماً فاتخذ حرفةً تصنْ ماء الوجه لا يبذَلُ
ولا تُهنه أن تُرى سائلاً فشأنُ أهل العلم أن يُسألوا

وقوله:

جانبِ اللهو والبطالة واحذر من هوى النفس إن أردتَ السعادهْ
واعبدِ الله ما استطعت بصدقٍ مطلبُ العارفين صدقُ العبادهْ

وقوله:

قل للذي يبتغي دليلاً من غير طولٍ على المهيمِنْ
ما ذرةٌ في الوجود إلا فيها دليلٌ عليه بيّن

ومنها في الغزل قوله:

ولقد سقتنا البابلية إذ رأتْ أنا نحدثها لننشر حسنَها
خمراً إذا رأتها العيون ما ذهبت منا العقول ولم تفارق دنَّها

وقوله:

لما بدا البدر يجلو دجى الظلام وأسفرْ

ذكـــرتُ وجـــه حبيبـــي والـــشيءُ بالـــشيء يـــذكرْ

وقوله:

وأَســـمحُ النـــاس كفًّـــا مـــن لا يقـــول ويفعـــلْ
وأعـــذبُ الـــشعرِ بيـــتٌ يرويـــه عـــذبُ المُقَبَّـــلْ

وقوله:

لا تعذلوني في وقـت الـسماع إذا طربتُ وجداً فخيرُ الناس من عَذَرا
حتى الجمـادُ إذا غنـت لـه طـربٌ أما ترى العودَ طوراً يقطـع الـوترا

[٤٦٦] أحمد بن عبدالله بن أبي اللطف البري المدني الحنفي الخطيب(١).

أحد أعيان المدينة الشريفة، ورؤسائها المشهورين فيها بالبراعة وحسن العبارة من بين علمائها، رئيس الخطباء، وجمال الأدباء، الآخذ من العلوم بطرف كبير، مع بديع الشعر الرائق، والنثر الفائق، وحفظ أحاسن المحاسن من أخبار المتقدمين، ولطائف المتأخرين.

وُلد ـ كما أخبرني الثقة من أصـحابنا، نقلاً عنـه ـ سنة أربع عشرة بعد الألف، بطيبة الطيبة، وبها نشأ، وقرأ القرآن بالروايات، وأخذ عن علمائها، ورحل إلى مكة، وأخذ بها عن جمع، وأجازوه، منهم: الشيخ العلامة عبد الملك العصـامي، صـاحب التصانيف الفائقة المفيدة، التي منها «شرح الشذور»، وغيـره، ومنهم: العلامـة عبد الرحمن بن عيسـى المرشدي، «شارح عقود

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٦٢) (٣٢٢)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٥٨).

الجمان في المعاني والبيان» للسيوطي، وعنه أروي مصنفاتهما ومروياتهما إجازة منه عامة.

ولما رحلت إلى المدينة الشريفة سنة ثلاث وثمانين وألف، اجتمعت به كثيراً، وكان ـ رحمه الله ـ بديع المحاضرة، عالماً بوضع كل شيء من فنون المحاضرة في موضعه، ويتولى الخطبة في المحافل الكبيرة فيجيد، وهو من بني عم الخطيب أحمد المالكي، إلا أنه تمذهب بمذهب أبي حنيفة، وصار رئيس الحنفية بالمدينة في عصره ـ رحمه الله ـ، وكان بينه وبين شيخنا الشيخ محمد مرزا بن محمد الدمشقي ثم المدني مودة أكيدة، وكان يوم الجمعة ـ غالباً ـ يأتيه إلى بيته، ويتذاكر ببديع الفوائد، وفرائد القلائد، وكنت ـ في الغالب ـ أحضر معهما؛ لما كان بيني وبين الشيخ محمد مرزا من المحبة والمودة الأكيدة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وله أشعارٌ حسانٌ، ونثرٌ أحسن، لا سيما خطبته التي كان ينشئها حال مباشرته للخطابة بالمسجد النبوي ـ على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ـ؛ فإنها فائقة بليغة.

ولما وصل القاضي الفاضل تاج الدين المالكي المكي للمدينة الشريفة، سنة أربع وخمسين وألف، مدح أهلها بهذه الأبيات:

يا ساكني طَيبةٍ فخراً فقد ... طابت فروعٌ منكمُ والأصولْ
وآيةُ الأنصار فيكم سرتْ ... كأنما المقصودُ منها الشمولْ
تُصفون محضَ الودِّ من جاءكُم ... فما عسى مادُحكم أن يقول
وليهنِكُم ما قد خُصصتم به ... فيا لها خصيصةً لا تزولْ

جـاورتمُ المختـارَ خيـرَ الـورى   وفـزتُم فـي سـوحه بـالحلولْ
وسـدتُم النـاسَ ولا بـدع أن   يسود كـلَّ النـاس جـارُ الرسـولْ

فأجابه صاحب الترجمة:

أعظـمْ بأهـل الـركنِ مـن سـادةٍ   في مفـرق العليـاء جَرُّوا الـذيولْ
جيـرانُ بيـتِ الله مَـن قـدرُهم   تحـارُ فـي دَرْكِ مـداه العقـولْ
بمكَّـةٍ حلُّـوا فحلَّـوْا بهـا   جيـدَ المعـاني حليـةً لا تـزولْ
مَـنْ مـثلُهم والفـضلُ حقّـاً لهـم   ومـنهمُ التـاجُ إمـامُ النُّقـولْ
رئـيسُ هـذا العـصر مـن جلَّـةٍ   سـمادعٍ غُـرٍّ كـرامٍ فحـولْ
أخلاقـهُ كـالروض مـن لطفِهـا   ولطفُهـا يخجـل منه الـشمولْ

ومنها:

أكـرمْ بـه إذ قـال مـن أجلنـا   طابـتْ فـروعٌ منكمُ والأصـولْ
وآيـةُ الأنـصار فـيكم سـرتْ   لكننـي بـالإذن مـنكم أقـولْ
يـا نخبـةَ الأنـصار مـنكم لنـا   حتى شـهدتُم وصـفكم لا يحـولْ
وأنـتمُ جيـرانُ ذاك الحمـى   والآن أنـتمْ فـي جـوار الرسـولْ
جمعـتمُ فـضلاً إلـى فـضلكم   فـسُدتمُ النـاس وحَـقَّ المقـولْ

ومنها:

فـالله ربُّ العـرش سـبحانه   يوليكُم الحـسنى وحـسَن القَبـولْ
حتـى توافـوا القـصدَ فـي نعمـة   تتـرى وعمـرٍ فـي سـرور يطـولْ

ودولــةُ الإفــضال تــسمو بكــم وتزدهــي طــوراً وطــوراً تــصولْ
مــا غــدت ورقــاءُ فــي روضــةٍ غَنّا وغنــتْ حــين طــابَ الــدخولْ

ومن لطيف ما اتفق للمترجم: أنه حضر خطبة بعض أعيان العلماء من أهل مكة، فأعجب لخطبته، وقال له: ما رأيت في الحرمين أخطبَ منك، فأجابه بديهاً، متمثلاً بقول يحيى بن سلامة الحصكفي:

إنــي لأســتحيي مــن الله كلّمــا رأونــي خطيبــاً واعظــاً فــوقَ منبــرِ
ولــست بريّــاً بيــنهم فأفيــدهم ألا إنما يشفي المواعظ مَــنْ بــري

ومن لطيف ما اتفق لصاحب الترجمة مع تاج الدين المذكور: أنه رأى في العام الذي زار فيه التاج، كأنه في مجلس الدرس بالروضة النبوية، وإذا بالقاضي داخل من باب السلامة[1]، وهو قاصد الحضرة الشريفة، فلما قضى الوطر من التحية والزيارة، جاء بفضله إلى المجلس، وقعد، بعد تلقيه وتقبيل يديه، وأشار باستمرار القراءة، فألقى صاحب الترجمة الكراريس من يده، وأنشد:

أمولايَ تاجَ الدين لا زلتَ ذا عُــلاً على الهام والأوهام ليست لذا فِطَنْ
إذا كنــتمُ فــي مجلــس كــان أهلُــه بأجمعهم خُرْساً وأنت لك اللَّسَنْ

ثم انتبه وهو حافظ البيتين، ثم لم تكن عشرة أيام من هذه الرؤية، حتى وصل القاضي، فكان دخوله المسجد الشريف من باب السلام، وصاحب الترجمة في مجلس درسه، على الصفة التي كانت في الرؤيا، ثم لم ينشب أن

---

(١) كذا في الأصل.

تفضل وجاء إلى المجلس، فتلقاه في الموضع الذي جلس فيه، وأشار باستمرار القراءة، جرياً على عادته في التفضل والإحسان والجبر، فألقى الكراريس، وأنشده البيتين، ثم أخبره الرؤيا، فقضى العجب واستبشر، ثم بعد قيامه من المجلس، أنشده قوله معتذراً متشكراً:

لئن كان قدري مثلَ ما قلتَ عندما   تواضعت إذ طبقتَ كتبك في الوسَنْ
فقد صحَّ بالأحرى اتصافُك بالذي   وصفتَ به المملوكَ من ظنك الحسنْ
لأنــي وإن أحــرزت ذاك فــإنني   لديك أخا صمتٍ وأنت لك اللَّسنْ

ولم يزل ـ رحمه الله ـ يقرئ ويدِّرس بالمسجد الحرام النبوي، في فنونٍ شتى، حتى توفي رابع عشر شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وتسعين وألف، بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع الغرقد ـ سقى الله ضريحه صيب الرحمة والرضوان، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان ـ.

ورثاه جمعٌ، منهم: الأديب البارع، أحمد بن إبراهيم ابن الشيخ العلامة عبد الرحمن الخياري الشافعي ـ رحمه الله ـ بقوله:

فَجَــأَ الأنــامَ جمــيعَهم   خطــبٌ ألــمَّ بهــم عجيــبْ
ومــصيبةٌ قــد أوجبــت   للطفــل فيهــا أن يــشيبْ
ورزيــةٌ عظمــت بــدا   ر المــصطفى طــه الحبيــبْ
فقــدَ الأنــامُ الحــافظَ الــ   ــعلامةَ الــشهمَ الأريــبْ
فهّامــةُ العــصر المُليــ   ــنُ بوعظــه القلــبَ الــصليبْ
كنــزُ الحقيقــة مجمــعُ الــ   ــبحرين ذو الــرأي المــصيبْ

بـــدرٌ لليـــــلِ المـــــشكلا	ت إذا ادْلَهَـــمّ علـــى الأريـــبْ
شـــمسُ المعـــارف والعـــوا	رف قـــد تـــوارتْ للمغيـــبْ
بحـــرٌ مفـــيضٌ للعلـــو	م فَبَـــرُّ ناديـــه خـــصيبْ
فلفقـــدِ هـــذا البحـــرِ يـــا	عـــين امطـــري دمعـــاً صَـبيبْ
تبكـــي عليـــكَ مجـــالسُ التْـــ	ـــتَدريس لـــو يُغنـــي النحيـــبْ
وكـــذا المنـــابرُ والمحـــا	فـــلُ والبعيـــدُ مـــع القريـــبْ
وبكتْـــكَ خـــلانُ الوفـــا	وبكـــاك وِلـــدانٌ وشِـــيبْ
وعلـــومُ آدابٍ بكـــت	إذا مـــا لـــداعيها مُجيـــبْ
وكـــذاك ربـــعُ الفـــضل مـــذ	فارقْتَـــه مثـــلَ الغريـــبْ
نفـــديك أنفـــسنا ولـــو	يُجـــدي الفِـــدا فُـــدي الحبيـــبْ
كـــلٌّ يعـــزي نفَـــسه	إذ فـــي جنابـــك قـــد أُصـــيبْ
فَلِهَـــوْلِ هـــذا الخطـــب جيـــ	ـــشُ الهـــمّ منهـــزمٌ رغيـــبْ
والـــصبرٌ يُحْمَـــد دائمـــاً	إلا عليـــكَ هـــو المعيـــبْ
مـــولايَ فـــاهْنَ بجنـــة الـــ	ـــفردوس والمـــأوى الرحيـــبْ
اختـــارك المـــولى لـــدا	ر الخلـــد كـــي فيهـــا تَطيـــبْ
مـــذ قيـــلَ لـــي مـــا ضـــبطُ هـــ	ـــذا الأمـــرِ والخطـــبِ العجيـــبْ
فأجبتـــــهُ متأوهـــــاً	بلـــسان محـــزون كئيـــبْ
زِل أول الأعـــــداد مـــــن	تاريخـــه تكـــنِ المـــصيبْ
واســـمع فقـــد وافـــى لنـــا	تاريخـــه (مـــات الخطيـــبْ)

وخلف المترجم ـ رحمه الله تعالى ـ ولدين فاضلين، أكبرهما الخطيب عبد البر، والثاني الخطيب إبراهيم، ولهما أشعارٌ حسنةٌ، والحمد لله وحده.

[٤٦٧] السيد أحمد بن محمد بن صلاح القطابري.

كان من أجلاء العلماء، وفي العربية إماماً محققاً، وعمّر كثيراً، اتصل أولاً بالإمام القاسم. وكان من المناضلين عن منصبه، والقائمين معه، وله قصيدة جواب على السيد العلامة عبدالله بن علي بن الحسين، المتعارض هو والإمام القاسم.

فمن جواب السيد أحمد المترجم له قوله:

وتقول في الأشعار أحدثَ قاسمٌ ... سواءً وما حدثتْ بدولة قاسمِ
إلا الحروبُ المصرمات على العدا ... الناقمـاتُ بكـل عـادٍ ظـالمِ
مـن جَـرَّعَ الأعـداء سـمّاً ناقعاً ... فـي كـل حـظٍّ مـصرمٍ متلاحمِ
بأسـنةٍ عنـد اللقـا وصـوارمٍ ... ورداةِ حـربٍ مقـدمين بقاصمِ
وبنـادقٍ تحكـي الرعـودَ قواصـفاً ... ورصاصُها حتـفُ العـدو اللاحمِ
وشواربٍ كالشهب تهوي في الهوا ... رصداً يحـافظ خطفـه مـن راحمِ
يحملْـنَ كـلَّ فتـى هزبـرٍ أرْوَعٍ ... ثبتِ الجنـان لـدى الوقـائعِ باسمِ
سل عنـه ذاتَ السـود أو أسـافهم ... وثـلا وذا مـدعٍ ودارَ مـرازمِ
تخبـرْك عـن نبـأ يقيـنٍ أنهـا ... سقتِ العـدا بهـا كـؤوسَ علاقـمِ

وهي طويلة ختمها بقوله:

واللهُ يرعـى للـشرائع حقَّـه ... ويـديمُ بهجتـه بعـزٍّ دائـمِ

مـا دام فهـو حتـوفُ كـلِّ معانـد وسـحاكُ أفئـدةٍ وسـحقُ حلاقـمِ
واللهُ يخـتم بالرضـا أعمالَنـا والمـؤمنين وتوبـةً للنـادمِ
ثـم الـصلاةُ علـى النبـيِّ وآلِـه ما غردَتْ في الأَيْك وُرق حمـائم

وله مرثيةٌ في الإمام القاسم، جمع فيها الرثاء، والتهنئة بقيام ولده الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسـم، وكان في أيامه من عيون أهل بيته، وتولى جهة آنس، ثم اسـتقر ببلاده، وأعمالها منوطـةٌ به، إلى دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وأخذ منها بشطر صالح، واتفق أنه زار السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال إلى رعافة، فقال السيد ـ رحمه الله ـ:

فـأهلاً بأقـدامٍ حَبَتْنـي زيـارةً وما كنتُ أهلاً للنهوض إلى عندي
ولا غـروَ إن زار العظـيمُ محقَّـراً فقد ينهضُ المولى إلى ساحة العبدِ

فأجابه المترجم بقوله:

بـل أنـتمُ النفـرُ المـستوجبون لأَن نمشي إليكم ولو مشينا على الخَدِّ
لأنكـمْ مـن سُـلالاتِ النبـيِّ وقـد حزتمْ بفضلكم مجـداً إلـى مجـد

توفي في شهر ربيع الأول، سنة ست وتسعين وألف، في وادي قراصى، من بلاد أبي الحطاب، وقبره بصرح المسجد، بقرية آل يعيش، مشهور مزور ـ رحمه الله ـ.

[٤٦٨] شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي نسبةً إلى قليوب: قرية بشرقية مصر الشافعي[١].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢).

الشيخ الإمام، العالم العامل، شيخ الإسلام، ومرجع العلماء الأعلام، في مشكلات المسائل العلمية العظام، وعالم الجامع الأزهر، الذي أشرق بنوره وأزهر، والقائم بأعباء تبليغ العلم النافع، وبثه بقلمه ولسانه، والمرشد الداعي على بصيرةٍ إلى الله في سره وإعلانه، والقانع من الدنيا باليسير، والزاهد عن الكثير، الذي اشتهرت مناقبه وفضائله، وعمت في الخافقين فواضله.

أخذ الفقه والحديث عن العلامة الشمس محمد الرملي، ولازمه ثلاث سنين، وهو منقطع ببيته، ولازم العلامة النور الزيادي، وسالماً الشبشيري، وعلياً الحلبي، وأحمد بن خليل السبكي، والشيخ محمد بن الطحان، وغيرهم من مشاهير الشيوخ، وعنه: شيخنا منصور الطوخي، وإبراهيم البرماوي، وشيخنا شعبان الفيومي، وغيرهم من أكابر الشيوخ.

وكان ـ رحمه الله تعالى[1] ـ مهاباً، لا يستطيع أحد أن يتكلم بين يديه، إلا وهو مطرق رأسه؛ وَجَلاً منه وخوفاً، لا يتردد إلى أحد من الكبراء، ويحب الفقراء، ولا يقبل من أحد صدقة مطلقاً، بل كان في غالب أوقاته يُرى متصدقاً، وليس له وظائف ولا معاليم، ومع ذلك كان في أرغد عيش، وأطيب نعيم.

وكان متقشفاً، ملازماً للطاعات، وصنوف العبادات، ولا يترك الدرس في غالب الأوقات، جامعاً للعلوم الشرعية، متضلعاً من العلوم العقلية، وأما معرفته بالحساب والميقات والرمل، فأشهر من نار على جبل، وإمامته في العلوم الحرفية، والأوفاق، والزايرجة السنية، وغير ذلك من الفنون العلمية، والمعارف الخفية، مشهورةٌ عند البرية.

---

(١) في الأصل: رضي الله عنه.

وكان في الطب ماهراً خبيراً، وبفنونه عارفاً بصيراً، واتفق أنه دخل على والدي ـ رحمه الله ـ، وكان من أعز أصحابه، يعوده في مرض موته، فدخل عليه الطبيب، وهو عنده، فأمره أن يحتقن، وذهب الطبيب من عنده، فقال له: اصبر أياماً، ولا تحتقن اليوم، ثم لما خرج من عنده، نادى جماعة والدي حاضرين، وقال لهم: لا تعالجوه بشيءٍ، ولا تمنعوه عن شيءٍ؛ فإنه يموت في الساعة الثالثة، من الليلة الثانية، فكان كما قال، وتوفي إلى رحمة الملك المتعال.

وكان حسن التقرير، ويبالغ في تفهيم الطلبة، ويكرر لهم تصوير المسائل، والناس في درسه كأن على رؤوسهم الطير، وألف مؤلفاتٍ كثيرةً عمَّ نفعها، وعظم عند أهل الفضل وقعُها، منها: «حاشية على شرح المنهاج» للجلال المحلي، و«حاشية على شرح التحرير» لشيخ الإسلام، و«حاشية على شرح أبي شجاع» لابن قاسم الغزي والخطيب الشربيني، و«حاشية على شرح الأزهرية»، و«حاشية على شرح الشيخ خالد على الآجرومية»، و«حاشية على شرح إيساغوجي» لشيخ الإسلام، و«رسالة في معرفة القبلة بغير آلة»، و«كتاب في الطب جامع»، و«مناسك الحج»، وغير ذلك من الرسائل والتحريرات المفيدة.

توفي بمصر، سابع عشري شوال، سنة تسع وستين وألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله ـ.

[٤٦٩] أحمد بن محمد المدني ابن يونس المدعو عبد النبي، الملقب نفسه: القشاشي، ابن الشيخ الكبير أحمد بن علي بن محمد بن يوسف بن

حسن بن ياسين الدجاني ـ بتخفيف الجيم ـ؛ نسبة إلى دجانة: قرية من قرى بيت المقدس[1].

الشيخ الإمام، مقتدى الأعلام، الأستاذ الكبير، العارف الشهير، ذو التصرف التام في العالمين، ومرشد السالكين، وإمام الحرمين، وغوث زمانه، وقطب أوانه، كان ـ روّح الله روحه ـ من المصطفين الذين أورثوا الكتاب، إذا تكلم في الحقائق، أيدها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

حاملُ راية الهداية لسبل الولاية، بكف العناية، لأهل البداية والنهاية، الباذل لطلاب الإفادات موائد التوضيح والبيان، والناشر لهم من ذخيرة التنقيح ومعونة التلقين الطراز المعلم بجواهر التبيان، ناظورة ديوان المعارف في فك رموزها، وإزاحة إشكالها، والواقف من مقاصد مواقفها ومواقف مقاصدها على عين الإصابة من نتائج أشكالها.

شيخ المشايخ الأعلام، والآية المأثورة بأقلام الألسنة وألسنة الأقلام، مِلحقُ الأصاغر بالأكابر، ووارث أعلاق السيادة كابراً عن كابر، مسند الدنيا على الإطلاق، وبركة الوقت المنتجع إليها من أعماق الآفاق، وشيخ الشيوخ العارفين بالله في زمانه، وفريد وقته في علوم الشريعة والحقيقة وأصول الطريقة في أوانه.

الذي انتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله سبحانه وتعالى، وظهرت بركة أنفاسه على خلقٍ من العصاة فتابوا، ووصل به خلقٌ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٤٩٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٩).

إلى الله، وصار له أصحابه كالنجوم، وأقعد في آخر عمره، ولم يخل بشيء من أوراده على العموم، وكان جده الشيخ أحمد الدجاني، شريفاً حسيني النسب؛ فإنه كما وجد في وثائق القضاة ببلده: أحمد ابن السيد الشريف علاء الدين علي ابن السيد الحسيب النسيب محمد بن يوسف بن حسن بن ياسين البدري، نسبةً إلى السيد بدر الولي المشهور، المدفون بزاويته، بوادي النسور، ظاهر القدس الشريف، وله ذريةٌ لا يحصون كثرةً.

قال صاحب «أنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»: ومناقبهم لا تحصى، وذكر منهم جماعةً، وساق نسب السيد بدر، فقال: بدر بن محمد بن يوسف ابن بدر بن يعقوب بن مظفر بن سالم بن محمد بن محمد بن زيد بن علي ابن الحسن بن العريض الأكبر بن زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ.

إلا أن الشيخ الدجاني، كان يخفي نسبه؛ اكتفاءً بنسب التقوى، المقتضي للتنصل عن أسباب الفخر والجاه في الدنيا، فتبعته على ذلك ذريته.

وكانت والدة الشيخ محمد المدني من ذرية سيدنا تميم الداري، وهم كثيرون ببيت المقدس، ووالدة صاحب الترجمة من بيت الأنصاري، ولهذا كان يكتب بخطه تارةً: أحمد المدني الأنصاري، وتارة: سبط الأنصار، وجده الشيخ يونس هو الذي خرج من القدس، وسكن المدينة، وجد أبيه الشيخ أحمد الدجاني مشهورٌ في القدس، يستنجد به.

ولد ﷺ بالمدينة، في ثاني عشر ربيع الأول، سنة إحدى وتسعين - بتقديم التاء - وتسعمائة بالمدينة، وبها نشأ، وحفظ القرآن، ورباه والده، وأقرأه بعض المقدمات الفقهية على مذهب الإمام مالك؛ لأن والده تمذهب

بمذهب شيخه الشيخ محمد بن عيسى التلمساني، وكان من كبار العلماء الأولياء بالمدينة، ورحل به والده إلى اليمن سنة إحدى عشرة بعد الألف؛ فأخذ عن أكثر علمائه وأوليائه، خصوصاً شيوخ والده الموجودون إذ ذاك؛ كالشيخ الأمين بن الصديقي المرواحي، والسيد محمد الغرب، والشيخ أحمد السطيحة الزيلعي، والسيد علي القبع، والشيخ علي بن مطير، ومكث عند والده مدةً.

ثم حدث له وارد مزعج، فخرج سائحاً من اليمن حتى وصل إلى مكة، فمكث بها مدةً، وصحب فيها جماعةً من الأكابر؛ كالسيد أبي الغيث شجر، والشيخ سلطان المجذوب، وعاد إلى المدينة، وصحب بها الشيخ أحمد بن الفضل بن عبد النافع ابن الشيخ الكبير محمد بن عراق، والشيخ الولي عمر بن القطب بدر الدين العادلي، والشيخ شهاب الدين الملكائي، وغيرهم.

ثم لازم خدمة الشيخ الكبير أحمد بن علي الشناوي، الشهير بالخامي الشافعي الصوفي، وتمذهب بمذهبه، وسلك طريقته، وقرأ عليه كتباً في مشربه، وأخذ عنه الحديث والأصول، وكتب الفقه، و«الجواهر» للشيخ محمد الغوث وغيره، ولا زال ملازماً له، حتى اختص به، وزوجه ابنته واستخلفه، ثم أخذ عن رفيق شيخه في الإرادة السيد أسعد البلخي، ولازمه حتى مات، وورث أحواله.

ثم صحب خلقاً يطول تعداد أسمائهم، وكان جملة من أخذ عنهم في طريق الله نحو مائة شيخ، منهم: الشيخ عبد الحليم الكجراتي، خاتمة أصحاب الغوث مؤلف «الجواهر الخمس»، ومنهم: العلامة الملا شيخ الكردي، قرأ عليه في العربية وغيرها.

ولم يزل على كماله، وقوة حاله، حتى انتفع الناس به، على اختلاف طبقاتهم، وانتشر صيته، وكثرت أتباعه في أقطار الأرض، وشهد له أولياء وقته بأنه الإمام المفرد؛ كالشيخ أيوب الخلوتي؛ فإنه كتب إليه كتباً يقول في بعضها: إني لأعلم أن لكل وقت صمداً يصمد إليه في الأمور، وإنك والله صمد هذا الوقت، ثم ساق الكلام على هذا النمط، إلى آخر الكتاب.

قال شيخنا الملا إبراهيم: فلما قرأ الشيخ الكتاب، أمرني بكتب الجواب؛ كما هو عادته معي آخر أمره، فقلت: يا سيدي! إن هذا لا أقدر أن أجيب عليه، إنما يجيب عليه أنت، ولكن إذا كتب سيدي الجواب، فليطلعني عليه، قال: وإنما امتنعت عن الجواب؛ لأن المرء لا يخبر أحد عن حاله إلا نفسُه، وهذا عارفٌ يكاتب عارفاً، ويصفه بالصمدانية، التي هي القطبانية العظمى، فمن أين لمثلي أن يجيب عن ذلك بنفي أو إثبات؟

قال: فلما كتب الجواب، وأطلعني، وجدته قد افتتحه بقوله: الحمد لله على ذلك كذلك، فقلت في نفسي: هذه البغية، فلا أعظم من شهادة هذا العارف له بالقطبانية، وتصديقه هو له في ذلك بحمد الله على ذلك، والإقرار أنه كذلك.

ومنهم: المولى العارف بالله مقبول المحجب الزيلعي، والسيد عبدالله بن شيخ العيدروس؛ بحيث إنه أخذ عنه في أيام زيارته المدينة، ومنهم: السيد العلامة الولي بركات التونسي، والسيد عبد الخالق الهندي.

بل أخذ عنه كبار الشيوخ؛ كالسيد العارف بالله عبد الرحمن المغربي الإدريسي، والشيخ عيسى الجعفري المغربي، والشيخ مهنا بن عوض بامزروع، والسيد عبدالله بلفقيه، وجماعةٌ من علماء السادة بني علوي، ومن فقهاء اليمن

من بني جعمان وغيرهم.

ومنهم: نتيجة الجلّ، وزبدة الكل، شيخُنا العارف الصمداني، والعالم الرباني، وخليفته الروحاني، إبراهيم بن حسن الكوراني الشهراني ـ متع الله بحياته القاصي والداني ـ؛ فإنه به تخرج، وبعلومه انتفع، ولازمه مدة حياته، وصار خليفته في التربية والإرشاد بعد مماته.

وكان ﷺ إمام القائلين بوحدة الوجود، التي عليها محققو أهل الكشف والشهود، حافظاً للمراتب الشرعية، متضلعاً من أذواق السنة النبوية، كثير النوافل والصيام، كامل العقل والوقار والاحتشام، وصل ـ نفع الله به ـ إلى مقام الختمية في عصره.

فقد قال ـ فيما أخبرني به إجازةً شيخُنا إبراهيم المذكور، وسماعاً شيخنا حسن العجيمي ـ، قال: وجدت بخطه ـ قدس الله سره ـ على هامش رسالة السيد العارف بالله سالم بن أحمد شيخان باعلوي المسماة بـ: «شق الجيب في معرفة رجال الغيب» عند قوله: والختم، وهو واحد لا في كل زمان، يختم الله به الولاية الخاصة، وهو الشيخ الأكبر. انتهى ما نصه الذي يتحقق وجدانه: أن الختمية الخاصة مرتبةٌ إلهيةٌ، ينزل بها كل واجد لها حسب وقته وزمانه، غير منقطعة أبد الآباد، إلى أن لا يبقى على وجه الأرض من يقول: الله الله، بعدم خلو المراتب الإلهية عن القائمين بها، حتى يصير القائم بها كالصفر الحافظ لمرتبة العدد فيما قبله وبعده، بأنفاسه تتم المصالح، وتقضى الحاجات، لو أنهم ألف ألف في عديدهم، عادوا إلى واحد فرد بلا صمد، وقد تحققنا بذلك حقاً، ونزلناه منازله وصدقاً؛ ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وممن رأيته من مشايخي، من أهل الختمية المذكورة، سنداً متصلاً منا إليهم، من غير انقطاع بإذن الله تعالى، سادسهم كلبهم لا رجماً بالغيب، وربه...[1]، ثم قال بعدها: قاله عبد الجميع أحمد بن محمد المدني، ومثله ﷺ لا يتكلم بمثل هذا الكلام، إلا عن إذن إلهي، ونفث روعي.

وكانت وفاته بالمدينة، يوم الاثنين، تاسع عشر ذي الحجة، سنة إحدى وسبعين ـ بتقديم السين ـ مريضاً بالحصر، ودفن بالبقيع الفرقد، شرقي قبة السيدة حليمة السعدية ـ رضي الله عنها، ونفع به ـ.

كذا أخبرني شيخنا إبراهيم الكوراني، إلا أنه عبّر عن الوفاة بالعرس، فقال: عرسه كان يوم كذا إلى آخره، وسألته عن ذلك، فقال: إن هذا اصطلاح مشايخ الهند، وقد صدقوا؛ فإن اجتماع العارف بربه، وخروجه من سجن الطينة الدنيوية، إلى فضاء الأرواح القدسية، خير أيامه وأسعدها وألذها، فتسميته عرساً أنسب. انتهى.

وله ديوان شعرٍ سافر المحيا، لمن طاف به وحيًا.

فمن شعره قوله:

إليك أخا وجدٍ فإن مصابنا ... بعين بها كأس المدامة أوّاها
تحسَّسْت ضيعَ الراح حتى أدارها ... بمثيلة وجد داؤها عين أدواها
فلما ترقَّت خمرةُ الحب وانتشت ... وهزَّتْ بها عطفي سناها فأبداها
مهللة تغشى أسرة وجهها ... بواعث نور العشق تهيا بمأتاها
ألاحتْ لعشاق الجمال بنابلٍ ... نزير يسير فضله من ضمناها

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «وربه» بياض يسع كلمة».

شراباً طهوراً من لدنها مداره | بكلتا يديها نحلةٌ ما تمناها
فما بلغوا المعشار من سؤر كاسِها | وما برحوا طولَ الدوام أساراها
فلما بدت بالوجد شوقاً لهم | وقد تغشتهم بالنور في حي أضواها
أقاموا به يبغونه وهو منهم الـ | ـمشيئةُ ما شاؤوه والكلُّ مسعاها
فأبقتهُمُ صرعى الغرام بدرها | مدى الدهرِ لاَ يْحَيْون إلا بمحياها
فعيشهمُ العيشُ الرغيدُ وحبذا | النعيمُ المقيمُ المستمرُّ بمأواها
على كلِّ حال بالنوال مفيضة | بإمدادها والكلُّ في بعضها تاها
فدونكُم أهلَ الغرامة وارغبوا | فأنتم لها عينُ المراد ومرعاها
وأنتمْ لها كل البواعث حيثما | تولَّت فواخر الستر فالكشف يأباها
فاسمُكمُ اسمُ المليحة أنتم | حجابٌ عليكم ما تبدَّى محيَّاها

وقوله ﷺ:

أضاءت لنا بالرقمتين على نجد | لوامعُ أنوارٍ فهيَّجنَ بي وَجدي
وذكَّرْنَني العهدَ القديم ورامةً | وأوقاتِ أنسٍ ما برحتُ بها أسدي
وكأسَ مُدام أدهقَتْه كريمةٌ | تسمَّت بأسماها الرباب معا هندِ
فلما تحسّى القومُ كأس غرامها | غدو لها يشدون بالعلَم الفردِ
فهم فتيةٌ صرف الغرام قوامهم | بمشهدها الأهنى لدى صفوةِ الجندِ
فساروا بها نحو الإضاءة يبتغوا | خلاصاً إليها والبنودُ لهم تهدي
أَذِلاً لسلطان المليحة صبوةً | وذلُّ الهوى مستعذَبُ الصدرِ والورْدِ
فلما اجتلوا للإسم جالَ بوسمِه | فأبدى مسمَّاه بزينبَ والدَّعْدِ

وجار وما جـار فـي الـدور سـائرٌ إليـه بـه حيـث ابتـداهُ إلـى العَـوْدْ

وقوله:

يا قرةَ العين إن العـين فيـك جلـت مخضَ العيـان بمـسموعٍ ومبـصورِ
فـامنعْ قـواكَ علـى علـم بـذاك فذا الغيثُ شاهدنا فـي كـل منظـورِ
هذي صـلاةُ الـذي دامـت صـلاتهم مذ حافظوا بدوام الـنفخ فـي الـصور

وقوله:

وفي مهجتي من نار وجدك فارضٌ يقـسِّمُ مـرآةَ الـصبابة للكـلِّ
يُعَـشِّقني فيــه إليــه بوجهــه بوحي وتكليفٍ على ملـة الرسْـلِ
ويدعو إلى صرف اللقاء بموت ما تراءاه وهمـي مـذ تعَّـينَ بالـشكلِ
فهل من سـبيلٍ والكفـاح مـصرحٌ بوجهِ محيًّا طـالعِ البـدر فـي نـزلِ
ففي الفـرقِ تعـذيبٌ عذوبـةَ مائـه مجاذبةَ الأسماء في شاخصِ الظلِّ
وإنيَ ذا المجذوبُ والكلُّ جـاذبٌ وقبَلتُنا الـشطرُ الحـرام مـع الكـلِّ

وقوله:

لا تُعِــزْ عقلَــك لغيــرِكْ فتــرى مــن بعــدُ تنــدمْ
إنمــا العقـــلُ ضـــياءٌ يهــدي للتــي هــي أقــومْ

وذكر الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: أن سبب تلقيب جده يونس بعبد النبي أنه كان يجمع الفقراء، ويأتي بهم إلى المسجد، ويدفع لهم الأجرة؛ ليصلوا على النبي ﷺ يومهم، فسمي لذلك عبد النبي، وكان يبيع بالمدينة القشاشة، وهي سقطُ المتاع من الأشياء التي تُسترخص من أي نوع؛ من نعال،

وخرق، ومحابـر، وإبر، وغير ذلك مما يحتاج إليه الفقراء، فسمي لذلك: القُشاشي ـ بضم القاف وتخفيف الشين ـ.

أخبرنا شيخنا الملا إبراهيم: أنه قدم رجل من اليمن، يقال له: القَشَّاشي ـ بفتح القاف والشين المعجمة المشددة ـ، فجاء إلى الشيخ، وقال: يا سيدي! أنت منا ـ يعني: في النسبة ـ، فقال: لا، نحن قُشاشـتنا سـماوية، وأنـت قُشاشتكم أرضية، يشير ـ رحمه الله تعالى ـ إلى الرفع والخفة في الأولى، وإلى النصب والثقل في الأخرى، ويشير أيضاً، إلى: أن نسبتنا اكتسبناها من الفرار إلى الله، والتعلق به، وهضم النفس، ونسبتكم اكتسبتموها من الأسباب الدنيوية، والاستكثار منها.

لأن القَشَّاش في العرف: هو التاجر الذي يبيع أصنافاً كثيرةً، من التجارة المطلوبـة لكل أحـد، بخـلاف القُشاشة المتقدمة، فلا يشتريها إلا الفقراء، ولا يشتغل ببيعها، سيما إن كان ذلك عن اختيار، لا عن ضرورة، إلا من ذلت نفسه، وقصد بذلك نفع الفقراء؛ كهذا الشيخ.

وكانت طريقة أسلافه في السلوك قادرية، ومذهبهم في الفروع مالكية، فنشأ المترجَم سالكاً على طريقتهم، متمذهباً بمذهبهم، إلى أن اتصل بالأستاذ الشيخ أحمد بن علي الشناوي، فاقتضت محبته له، وشدة اتباعه له، واقتداؤه به في سائر تقلباته؛ كما هو شأن المريد الصادق، مع شيخه الحاذق إلى أن تمذهب بمذهب شيخه في الفروع أيضاً، وكان الشناوي شافعياً.

وكان الشيخ يقول: تشفَّعت بالشيخ، وهو كلامٌ بليغٌ موجَّهٌ كما ترى، أن يحتمل التشفع به إلى الله تعالى؛ لأن شيخ المريد شفيعه، أو تصيّره شافعياً بسببه، وكلاهما حاصل.

وكان الشيخ أولاً قد قرأ في المذهب المالكي عدة مؤلفات، فلما انتقل إلى مذهب الشافعي، وقرأ كتب أصحابه، صار يفتي في المذهبين.

وقد أخبرني شيخنا الملا إبراهيم عنه: أنه قال: قرأت «المقدمة العشماوية» في مذهب مالك على النبي في المنام كلها.

ورأيت بخط صاحبنا الشيخ حسن بن علي العجيمي، في رسالةٍ له: أن الشيخ أخبر أنه قرأ على النبي ﷺ في النوم القرآن كله من أوله إلى آخره، وهذه منقبةٌ عظيمةٌ لهذا الإمام؛ فإن المشايخ قديماً وحديثاً كانوا يتباهون بقراءة آيةٍ، أو سورةٍ، أو بعضها على النبي ﷺ في النوم، وينقلون ذلك مسلسلاً بأسانيدهم، وهم يروون ذلك من أجل المفاخِر، وإن كثرت فيه الوسائط، فكيف بمن قرأ القرآن كله على رسول الله ﷺ![1]

ولا يذهبن بك الوهم الكاسد، والتخيّل الفاسد، إلى أن الشيخ انتقل عن مذهبه، ومذهب أسلافه المالكي إلى مذهب الشافعي؛ لهوى نفسٍ، أو تحصيل رياسةٍ، أو ولاية منصب؛ كما هو شأن كثير من أرباب النفوس في هذه الأزمنة، خصوصاً مذهب الحنفية؛ فقد كثر المنتقلون إليه في هذه الأزمنة لأغراضٍ فاسدةٍ، حداهم على ذلك وجوه الملك والرياسة في أهل ذلك المذهب، وهذا شأن من لا خَلاق له ولا دين، وإنما الحامل للشيخ على

---

(١) يكثر في دعاوى المتصوفة وأدعياء الطريق، أخبار المنامات وما وقع لهم فيها، فلا يستطيع أحدٌ نفي أو إثبات ما يقع في المنام، ولهم في ذلك قصص وخرافات ملئوا بها كراماتهم وخوارقهم، ومن ذلك رؤيا الأنبياء والصالحين والكشوف الغيبية، وما يدعونه من مراتب ومقامات، نسأل الله سبحانه السلامة في الدين والعقل، ونبرأ إليه عز وجل من كل زيف وكذب.

التمذهب بمذهب الشـافعي: ما ذكرنا أولاً من إقتدائه بالشـيخ الشناوي، وسلوكه على يديه في الحقائق.

وكان ذلك في زمن تعطشه إلى موارد الحقيقة، في عنفوان إقباله على السلوك بكليته، فوجد عند الشيخ الشناوي ﷺ منهلاً بارداً، وماءً مَعيناً، وزلالاً صافياً، لا يظمأ من شرب منه أبداً، ولا يروَى منه مع تتابع السقي مُجدَّداً.

فاستولت بذلك عليه روحانية الشيخ، وغاب كله في كله، فلم يبق له حيئئذٍ مذهبٌ ولا رأي إلا مذهبه ورأيه في مصادره وموارده، حتى في العادات، فضلاً عن العبادات؛ بحيث لو أن الشيخ انحرف طبعه ومزاجه عن أكل طعامٍ مّا، أو فاكهةٍ مّا، لما وجد المريد في حال اتحاده بالشيخ مساغاً لذلك، وغُصَّ ريقه عند تناوله.

وفي هذه الحال، وتمكنها من المريد، يتهيأ سريان جميع ما أودع الله من المعارف في قلب الشيخ إلى قلب المريد، بسهولةٍ من غير تكلفٍ ولا تعمّل، ويتخلق جنين المعرفة في قلـب المريد ويتكون، ولا يزال مع شدة الاتصال ينمو، إلى أن يصير بشراً سوياً، فيكمل خلقه وولادته وفطامه، في الأمر الذي قدر الله، فإذا بلغ أشده، فحينئذٍ يتمكن انفصاله عن الشيخ، وتمايزه عنه؛ كانفصال الولد الحسيِّ عن والده، مع أن أصله منه، ومبدأ نشأته منه.

ولولا شدة الاتصال الكائن بين الأبوين، في مبدأ نشأة الولد، وتمازج مائهما في حال لا يمكن في الحس أن يقع أكثر منها اتصالاً، تكون الولد وتخلق من النطفـة، فلو وقع أدنى انفصـال بين النطفتين يتمكن معه من دخول ريحٍ بينهما، لفسدت النطفة، واستحالت إلى شيء آخر.

فكذلك الولادة المعنويـة، ما لم تمازج الأسـرار الأسـرار، والقلوب

القلوب، وتتحد الأوصاف بالأوصاف، وتغيب الأرواح في الأرواح، حتى لا يبقى تمايز إلا في الأشباح، لا يتخلق جنين المعرفة في باطن المريد، فإن فارقه بعد تخلقه أيضاً قبل تمام الولادة، وإكمال التربية، قلّما يكون منه شيء.

إلا أن هذه الولادة المعنوية، قد تكون على نعت توالد أهل الجنة؛ كما ورد في الحديث: «إن الرجل ليشتهي الولد في الجنة، يكون حمله وولادته، ومبلغه مبلغ الرجال في ساعةٍ واحدةٍ»، فكذلك أيضاً هذه الولادة المعنوية، عند قوة الاستعداد من الجانبين، قد يحصل ذلك في آن واحد، وبقدر ضعفه يطول الأمر، ولقد أشار بعض العارفين بقوله: إن العقبات السبع التي ذكرها صاحب «المنهاج»، من الناس من قطعها في ساعةٍ، ومن الناس من قطعها في سبعين يوماً.

وإيضاح عذر المترجم في الانتقال إلى مذهب شيخه: أن الإنسان إذا صار إلى هذه الحال، لا يمكنه أن يكون له مذهب، ولشيخه مذهب، في الشريعة والحقيقة معاً، ظاهراً وباطناً.

قلت: إن هذا يقتضي أن كل من اقتدى بشيخ في المعارف والحقائق، يلزمه أن ينتقل إلى مذهبه في الفروع، وإلا، لم يُفتح له، مع أن الواقع خلاف ذلك، فقد اقتدى علماء أكابر محققون من المالكية، بأئمةٍ شافعيةٍ، وبالعكس، وحصل لهم النفع التام، مع بقاء كل واحدٍ على مذهبه في الفروع.

فنقول: لم نذكر ذلك إيذاناً بأنه ضرب لازب؛ بحيث لا يصح الاقتداء إلا مع ذلك، وإنما ذكرناه إظهاراً لعذر من انتقل، وإيضاحاً لبيان سببه، وأنه لم يكن عن هوى نفسٍ، وإنما هو لأرجحية ذلك المذهب عنده، بما استولى عليه من صحبة شيخه، وامتزاج روحانيته بروحانيته، حتى صار الراجح عند

الشيخ راجحاً عند المريد.

والإنسان لا يجوز له من المذاهب إلا ما اعتقد أرجحيته؛ كما هو مقرر عند الأصوليين، وأسباب الترجيح كثيرة، فقد يكون هذا أحدها، بَيْد أنّ المريد إن قويت في عارضته علوم الديانة، وسبقت له من الله هدايته، وتشعشت نورانيته، بحيث يكاد زيته يضيء، ولو لم تمسسه نار، فأقل اتصال بالشيخ يكفيه في توقد مصباح قلبه؛ كما ذكرنا فيمن قطع العقبات في ساعةٍ واحدةٍ.

فإذا نور الله بصيرته، وأتحف بمفاتيح الهداية سريرته، أدرك بعين قلبه، وإنسان عين بصيرته، توافق المذاهب في الأصل، وأنه لا اختلاف بينها في نفس الأمر، وإن كان يظنه ضعيف البصر، فلقصوره، ولا يضره مخالفة شيخه في المذهب؛ إذ لا يراه خلافاً؛ كما هو في نفس الأمر ليس بخلاف، ولو كان في نفس الأمر خلافاً، لضره، ولو اعتقد هو عدم الخلاف في المرافقة في الديانة، والعقيدة شرطٌ في الاتصال الحقيقي، وما ليس بخلاف حقيقي، فلا تضر المخالفة فيه، بل هو كالمخالفة في الخلق والألوان لا عبرة فيه؛ إذ اللطيفة التي كان بها الإنسان إنساناً تتحد، وإن تغايرت الأجسام، نعم، إذا كان المريد من المتوسمة الذين غلب على قلوبهم حب التعصب؛ بحيث يعتقد خطأ أهل مذهب شيخه في أشياء يفعلها، ويرى أن شيخه لم يصادف في فعلها، وأنه أخطأ فيها الصواب، فهذا يضره مخالفة شيخه في المذهب؛ لأن اعتقاد المخالفة يضر، ولو لم تكن مخالفة في نفس الأمر؛ كما أن اعتقاد الموافقة لا ينفع، إذا لم تكن موافقة في نفس الأمر؛ فمتى ينتفع المريد بشيخٍ يعتقد خطأه، وعدم إصابته في فروع من الديانة؟!

وإذا شاهد بنور العلم، أو بصفاء البصيرة، اتفاق المذاهب في أصلها،

وأنها دينٌ واحـدٌ من ربٍّ واحـدٍ، على لسان رسولٍ واحدٍ، لإنسانٍ واحدٍ؛ لأن الإنسـان واحدٌ من حيث التكليف، إذ لم يكلف إنسانٌ بما لم يكلف به إنسانٌ آخر، والخلاف بين أهل المذاهب إنما هو في الصورة، فلا يرى بينه وبين شـيخه اختـلاف، ولو اختلفت المذاهب، بل يرى بينها كل الموافقة، فهذا لا يلزمه الانتقال، ولذلك لا يأمره الشيخ مريده بالانتقال إلى مذهب؛ لأن المذاهب شيءٌ واحدٌ.

وقد ألـف في اتفاق المذاهب علماءُ من أهل الظاهر والباطن، وأجل تأليفٍ في ذلك جمعَ بين كلام أهل الظاهر والباطن كتاب «الميزان» لسيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني ﷺ؛ فقد بيّن أولاً اتفاق المذاهب، من حيث الحقيقة، وذكر ما بنيت عليه من مقاصد الشريعة، من طريق الكشف، ثم تتبَّع الفروع التي وقع فيها الخلاف بين أرباب المذاهب، فنزلها على تلك المذاهب كلِّها جاريةً على نهجٍ واحدٍ.

وسأضرب لك مثلاً واضحاً لذلك، لم أر مَن ذكره، ويتضح لك به اتفاقُ المذاهب كل الوضوح، وذلك مثل قومٍ نبعت لهم عين ماء زلال، من حضرة في جبل، فاجتمعوا للورود منها، وكان كل واحدٍ يتناول منها على قدر حاجته، من غير واسطة، وذلك مثل الهدى الذي جاء به النبي ﷺ، ومثل الصحابة الذين تلقوه منه بلا واسطة.

ثم تكاثر الناس، بعد ما سمعوا بتلك العين، ولم يقدروا على أن يتناولوا كلهم من العين، بلا واسطة، فاتخذت لماء العين بركةٌ عظيمةٌ يجتمع فيها الماء، فيتناول الناس من جوانب تلك البركة، ولا يصلون إلى العين، وذلك مثل ما اجتمع من دلائل الكتاب والسُّـنة، في زمان التابعين وتابعيهم، حتى

دونت السُّنة، وجُمعت من حملَتها المتفرقين في البلاد من الصحابة وتابعيهم، وصار الناس يأخذون الأحكام من الكتاب والسنة، فمن صح عنده حديثٌ، عمل به، ومن فهم آيةً من كتاب الله، اقتدى بها.

ثم تكاثر الناس تكاثراً أكثر من الأول، وفيهم أعجميٌّ وعربيٌّ، وذكيٌّ وبليدٌ، وصغيرٌ وكبيرٌ، وحرٌ وعبدٌ فوقع الازدحام العظيم على البركة المذكورة، وليس كل الناس يقدر على التناول منها، ولا جميعهم يحسن السباحة فيها؛ لعمقها وعظمتها وسعة جوانبها، فصار بعض الناس ممن لا يحسن التناول منها، [و]لا يقدر على العوم فيها، يقع في وسطها فيهلك، وبعضهم يقف على جانبها، حتى يموت عطشاً، ولا يصل إليه إلا بآلة المتناولين.

فلما رأى أهلها ذلك، اتخذوا لماء البركة المستمد من ماء العين مشاربَ من تحت الأرض، وخدُّوا له أخاديد، ودرجوه بلطيف صنعهم، وحسن احتيالهم، حتى أجروه على وجه الأرض، وجعلوه أنهاراً عظيمةً، من عين يمين البركة ويسارها، ذاهبةٍ في عامر الأرض وغامرها، طولاً وعرضاً، وقسموا تلك الأنهار جداول عظيمةً كثيرةً، تستمد من الأنهار المستمدة من البركة المستمدة من العين، فعظم النفع بذلك لكل أحدٍ من قويٍّ وضعيفٍ.

فصار كل واحدٍ يتناول حاجته، على حسب قوته، فإن كان المحتاج إلى تناول الماء واستعماله ضعيفاً جداً، تناول من الجدول الصغير الجاري على وجه الأرض، فيغترف بيديه، أو يكرع بفيه، وذلك مثل العاميّ الذي لم يفقه شيئاً من العلم، فيتناول من العالم العارف بمذهبه المقلد لإمامه، وهو مثل الجدول المستمد من النهر العظيم، الذي هو الإمام المجتهد المستمد من البركة العظيمة، التي هي مثل دلائل الكتاب والسُّنة، المستمدة من العين

الحدّارة الغزيرة العذبة الباردة الصافية، التي هي مثل النبوة التي أوتيها سيدنا ومولانا ﷺ.

وإن كان المحتاج لتناول الماء واستعماله له فضلُ قوة، وعنده آلةٌ يقدر بها على التناول من النهر، تناول منه من غير احتياج إلى الجدول، وذلك مثل من له فقهٌ في الدين، وقدرةٌ على فهم كلام الأئمة المجتهدين؛ كالعلماء المقلدين لأئمتهم، من أهل كل مذهب، العارفين بنصوص أهل مذهبهم، المتفقهين فيها، فيأخذون الأحكام من نصوص الأئمة المجتهدين؛ وأقوالهم، من غير احتياج إلى تقليد مقلد آخر؛ لقدرة أخذهم على فهم كلام الإمام المجتهد، الذي قلده هو وغيره.

وإن كان هذا المحتاج لتناول الماء قد تمهّرَ وتدرّب، ولطف ذكاؤه، وحسن استعداده، وقويت عارضته، وجمع من كل الآلات التي يحتاج إليها الغواصون في البحار العظيمة لاستخراج الدرر النفيسة، حتى حصلت لهم ملكةٌ تامةٌ، وقدرةٌ نافذةٌ على أن يتناول من أصل البركة، من غير احتياج إلى جدول ولا نهر، فهذا يسوغ له الأخذ من ماء البركة قبل انقسامه إلى أنهار وجداول، وهذا مثل المجتهد الذي كملت فيه أوصاف الاجتهاد التي ذكرها الأصوليون، وذكروا أنه لا يجوز له أن يقلد غيره، بل يأخذ أحكام دينه من دلائل الكتاب والسُّنة، على حسب ما أداه إليه اجتهاده، وافق ذلك قول مجتهدٍ آخر أو خالف.

وليس بعد هذه الرتبة رتبة، على نزاعٍ في بقاء أحدٍ من أهلها في هذه الأعصار؛ إذ لا يجترئ أحدٌ أن يقول اليوم: أخذت الأحكام من رسول الله ﷺ،

وكرعت من أصل العين، من غير احتياج إلى الماء المجتمع في البركة العظيمة، التي هي مثل الكتاب والسُّنة، ومن قال ذلك، وهو سالم العقل والإدراك، ضربنا ـ معشر المسلمين ـ الذي فيه عيناه، وإن كان في عقله خللٌ، صفعنا قفاه، بالإعراض عنه وتركناه.

نعم، إن قال عارفٌ محققٌ ذو كشفٍ صحيح، وذوقٍ صريح: أنا قد منّ الله عليّ بمشاهدة نبع الماء من أصل العين، وشاهدت دخول جريته الصافية في البركة، فاستقيت منه على بصيرةٍ أنه ماء العين، لم يخالطه غيره من ماء مطرٍ أو غيره، ولا دنسته الأيدي، فيسلَّم له حاله؛ إذ لم يأت بما يخالف كتاباً ولا سُنةً، وإنما ادعى أنه أخذهما من أصلهما بلا واسطة.

وذلك مثل ما قال الشيخ محيي الدين ﷺ: أنه صحح أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ من طريق الكشف، وإن لم تصح عند أهل الصناعة الحديثية، ومثل من يقول من العارفين: إنه سمع القرآن، أو آياتٍ منه من النبي ﷺ، فيسلم له ذلك، ولو ادعى مدعٍ أنه سمع قرآناً غير هذا، أو حديثاً مخالفاً لما ثبت بوجهٍ صحيحٍ، لضرب بذلك وجه صاحبه، وعُدَّ من مثالبه لا من مناقبه.

فقد استبان لك مما قررنا في هذا المثال، وقريباً من المنال: أنه لا اختلاف بين أرباب المذاهب في الحقيقة، وأنه ماءٌ واحدٌ، من بركةٍ واحدةٍ، من عينٍ واحدةٍ، وإن اختلفت مجاريه، وكثرت جداوله وأنهاره، وتغيرت بعض أوصافه؛ لاختلاف محالّه؛ فإن الماء عند المحققين لا لون له، وإنما لونه لون إنائه، ولون حصباء نهره، وطعمه ورائحته لا يختلفان باختلاف الأواني، إلا أن يكون في أرضه عفونةٌ، أو في إنائه دسومةٌ ودهنيةٌ، فيغتفر من ذلك

الشيء القليل؛ لأن الماء لا ينجسه إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه، وذلك ما يقع في آراء بعض المجتهدين مخالفة بعض ظواهر الكتاب والسُّنة؛ مما يظن به ضعف نظر في المجتهدين في تلك المسألة، وذلك في بعض الصور النادرة، فلا يضر ذلك، وله أجرٌ واحدٌ، ولا يخرجه ذلك عن كون قوله ديناً؛ بخلاف ما خالف صريح الكتاب والسُّنة، أو خرق إجماع الأمة، فهذا مثل التغير الفاحش المخرج عن خلقية الماء، فيلغى، ولا يعتبر، ولا يعد ديناً، فليتأمل.

والأقسام التي ذكرنا في المثال؛ من مجتهدٍ، ومقلد، وعامي، يمكن أن يزاد فيها، وتتقسم إلى أكثر من ذلك؛ بحسب المجتهد والمقلد الذي له قدرة على الترجيح، وغير ذلك من أقسام المقلدين، إلى أن يصل إلى العاميّ الصرف، الذي لا يفهم إلا ما يشوبه به مع المبالغة في التبيين.

فيقسم المثل إلى ذلك بعد الجداول إلى مذنبٍ صغيرةٍ، ثم إلى الغرب، والأداوة، إلى أن يصل إلى صاحب الآنية التي ليس فيها إلا قدر ما يشبه، ولكن اقتصرنا على الأقسام الثلاثة؛ إيثاراً للإختصار.

وقد أطلت الكلام في هذه المسألة، ولا بأس بذلك؛ لأنها من غرر المسائل، وقد ساق إليها ذكر انتقال الشيخ المترجم إلى مذهب شيخه الشناوي.

وكان سبب اتصال المترجم بشيخه الشناوي ـ على ما أخبرنا به شيخنا إبراهيم الكوراني، عن حكاية الشيخ له ـ: أنه كان بمكة في بعض سياحاته، بعد ما لقي مشايخ كثيرين بمكة واليمن والمدينة، فرأى في المنام ـ وهو بمكة ـ الشيخَ الشناوي كأنه واقفٌ، وذكرُه يسيل منياً قد تلطخت به رجلاه وثيابه، فلما استيقظ من النوم، قال: علمت من الرؤيا: أن الشيخ الشناوي

واصلٌ إلى مقام تربية المريدين، وأنه ذكرٌ مستعدٌّ للولادة، ولكنه لم يجد مريداً يتلقن منه علومه، فذهبت ضائعةً، كما أن الفحل الذكر إذا لم يجد أنثى تقبل الولادة، ذهب منيّه ضائعاً.

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى لطف هذا التعبير، وخفاء مدركه، الذي لا يشك عاقلٌ في صدقه، بعد وضوح معناه، فلو أن أحداً من ضعفاء العقول أمثالنا، هو الذي رأى هذه الرؤيا، لعدّها من أضغاث الأحلام، أو أولها على حمق المربي وسفهه، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده.

قال الشيخ ﷺ: فلما أصبحت، وظهر لي تأويل الرؤيا، عزمت على السفر إلى المدينة المشرفة، وكان الشيخ الشناوي إذ ذاك ساكناً بالمدينة، قال: فلما دخلت المدينة، كان أول من لقيت الشيخ الشناوي، فصافحني، وأخذ بيدي، وقال: مرحباً بمن جاء يقتبس منا علومنا ـ أو كلاماً هذا معناه ـ، فذهب بي إلى محل زاويته، وكاشفني بجميع أحوالي، وتيقنت صدق رؤياي، فلزمته من ذلك الوقت، ولم أفارقه إلى أن مات.

ولم يزل حال الشيخ المترجَم يترقى عند الشيخ الشناوي، حتى صار عنده أخص أصحابه، وزوجه ابنته، وصار هو الخليفة من بعده؛ كما وقع لشيخنا الملا إبراهيم الكوراني مع شيخه المترجم؛ إذ زوجه ابنته، وصار خليفته.

وكان الشيخ المترجم ـ مع لقائه لمشايخ كثيرين ـ لا ينتسب آخراً إلا إلى الشيخ الشناوي؛ لأن كماله على يده، وهو الذي رقاه إلى منصة العرفان، وبلغه مبلغ الرجال، وأفاض عليه المعارف فيضاً، ولم يخلف الشيخ الشناوي أحداً من أصحابه يساوي المترجم في مقامه، ولا يحاكيه في مرامه.

فهو ـ من لدن وفاة شيخه ـ إمامٌ عارفٌ، سالكٌ مسلكه، يربي المريدين، ويرشـد المرادين، ويترقى في مقامات اليقين، ويؤم أولياء الله المتقين، إلى أن حاز الصديقية العظمى، والقطبانية التي هي المقام الأسمى، والله أعلم، ثم مكث فيه.

وأخبرنا شيخنا الملا إبراهيم: أن المترجم رأى الشيخ محيي الدين في منامه، وألبسه، وزوجه أخته، وهي رؤيةٌ حسنةٌ، تدل على وصلة بينه وبين الشيخ محيي الدين في عالم الأرواح، وإلباسُه إياه إشارةٌ إلى قيامه مقامه، وظهوره بحاله في شرح الحقائق العرفانية، فإنا لم نر ولم نسمع ـ في وقتنا هذا ـ بعارفٍ له لسـان الشيخ محيي الدين في الحقائق، كأنه ينطق بلسانه، إلا المترجم، فهو محيي طريقه، ومبين إشكالاتها، ومبرز خباياها.

وأما تزويجه أخته، فهو إشارةٌ إلى ما مُنِحه المترجم من التكلم في مسألة وحدة الصفات، وتأليفه فيها، وشرحه لها، واستدلاله عليها بما لم يتهيأ مثله لأحدٍ قبله، فقد كانت هذه المسـألة إنما توجد في كلام العارفين المتقدمين إشارةً ورمزاً، وإدراجاً في كلام آخر، ولم يفرد لها أحـدٌ بالكلام، ولا يبين عورها، وصيرها عرضةً للقول أو الرد، إلا المترجم، فله بها مزيد اختصاص.

وقد علم أن وحدة الصـفات هي أخـت وحـدة الوجود، التي لم يأت أحدٌ من المتقدمين والمتأخرين فيها بما أتى به الشيخ محيي الدين، حتى صار إمام كل قائلٍ بها، ومتبوع كل مصدقٍ بها، فأكثر فيها التأليف، وشرح وأوضح، ورمز وأشار، واستدل ودل، وضرب الأمثال، وأزاح الإشكال، فكل متكلم فيها إلى آخر الدهر عيالٌ على كلامه فيها، فهو أحق به، وأهلها، وإليه تنسب دون غيره ممن له فيها كلام.

حتى صار إذا قال المترسمون في أحدٍ يريدون صفته بالقول بها، فيقولون: فلان يقول بمذهب ابن عربي، أو ينتحل مذهب الحاتمي في الوجود، فإذا فهمت ذلك، فمعنى تزويج الشيخ محيي الدين أخته من المترجم: تمكينه من التصرف في وحدة الصفات، وهي أخت وحدة الوجود، التي هي علم الشيخ، وأصل معارفه، وأدقها وأرقها، والتمكين من الشيء: الإذن في التصرف فيه على وجهٍ سائغٍ شرعاً، إذا كان ممن هو أهل لمن هو أهل وكفء، [و]هو معنى التزويج.

وإظهار ذلك في عالم المثال على صورة التزويج، دون الهبة والعطية والبيع، إعلاماً بشدة الاتصال والإيلاف لذلك الأمر، والاغتباط به، وحصول النتيجة؛ كما هو شأن الزوجة، وإعلاماً بأنه أيضاً كفء؛ إذ التزويج لا يكون إلا من الكفء، بخلاف البيع والهبة، وإعلاماً أيضاً بكراهة هذه المسألة، وأنها ليست مما يباع ويوهب؛ لحريتها وكرامتها على أهلها، إلى غير ذلك من الأسرار، التي يدركها كل ذي ذوقٍ سليمٍ، وفوق كل من ذوي العلم عليم.

وكان المترجم له تصرفٌ تامٌّ بعلم الأسرار والحروف وأسرارها، ويعلم الدوائر والأوفاق وطبائع الأشياء، كل ذلك له فيه التصرف التام، ويفن الدعوات وأسرارها، كل ذلك يتصرف فيه تصرف ما هو؛ بحيث لا يتقيد بما يذكره أهل الفن، من الشروط والقيود لذلك، بل يزيد تارةً، ويُنقص أخرى، ويعتبر ما لم يعتبروا، ويلغي ما اعتبروا.

وكان كتاب «الجواهر الخمس» الذي هو من أسرار أصل سلسلته نصبَ عينيه، مع حاشية شيخه الشناوي عليه، وله أيضاً كلامٌ كثيرٌ، وتقاييد حسنة

في ذلك، إلا أنها متفرقةٌ في أيدي أصحابه لم تدوّن، ومع ذلك، فكان ـ لقوة كلامه، وتصرفه في المقامات ـ لا يرى هذا العلم هو الغاية؛ كما يراه من المتقدمين والمتأخرين من أربابه؛ كالبوني، والبسطامي، وغيرهما.

أخبرنا شيخنا الملا إبراهيم، قال: كان شيخنا المترجم يقول: نحن لا ننكر على أصحاب هذه العلوم الجادين فيها، الباحثين عنها، المشتغلين بها كل الاشتغال، من حيث إنها جزءٌ من أجزاء الكمال، إنما ننكر عليهم، من حيث ادعاؤهم أنها عين الكمال، وهو أمرٌ وراء ذلك، لا يتقيد صاحبه بعلمٍ ولا عملٍ ولا حالٍ ولا مقام؛ لأن له كل علمٍ وعملٍ، وحالٍ ومقام.

قال شيخنا الملا إبراهيم: وكان الشيخ الصفي المترجم، إذا جرى ذكر أرباب المقامات والأحوال، ربما يشير إلى نفسه، ويقول: نحن لا مقام لنا؛ لأننا من أهل يثرب، وقد قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾[الأحزاب: ١٣]، وما ذاك إلا أن لهم المقامات، فليس لهم مقام مخصوص، وكذلك كان النبي ﷺ وكُمَّل أصحابه، ليس لهم مقامٌ مخصوصٌ يستولي عليهم دون غيره من المقامات، بل يتصرفون في كل مقام بما يوافق مراد الحق، ويعطون كل ذي حق حقه.

فهم ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، ولم يقل ـ سبحانه وتعالى ـ: لا بيع لهم ولا تجارةٌ، بل كان لهم بيعٌ وتجارةٌ، وضياعٌ ومزارع، ولكنهم يتصرفون في كل ذلك تصرف من لم يغب عن شهود الله في كل ذلك، فيؤدون منه الحق الذي عليهم، ويتناولون منه الحق الذي لهم، كل ذلك بأمر الله، هذا هو مقام العارفين الكمل من أهل الله.

ولعل جاهلاً بإشارات العارفين يقول: إن حمل قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾[الأحزاب: ١٣] الآية، على هذا المعنى، إحالةٌ لكلام الله تعالى عن ظاهـره، وتحريـفٌ له عن مواضعه، وذلك لجهله بمذهب العارفين في إشاراتهم بالآيات والأحاديث؛ فإنهم لا ينفون المعاني الظاهرة للآية، بل يثبتونها، ويقرّون بها، ويستخرجون ـ بما أعطاهم الله تعالى من الفهم والنور ـ معانيَ أُخر تشير إليها الآية إشارةً خفيةً، يقتبسها العارف منها، وهذا المقدار من الدلالة لا ينكره إلا جاهل.

والشيخ ﷺ أشار بذلك إلى أنه من العارفين، الذين استولوا على سائر المقامات، ولم يستول عليهم مقام، وأنه في ذلك من خلفاء كمّل الصحابة، الذين لهم قدم صدق في الوراثة المحمدية، وهذا المقام ـ الذي هو كنايةٌ عن سائر المقامات ـ إنما يكون لقطب الوقت، فكأن الشيخ أشار بالقطبانية لنفسه، ولم يفهم ذلك إلا خواص أصحابه ﷺ.

وما رأينا كلام أحدٍ من عارفي زماننا، بل ومن قبله يساوي كلام الشيخ في مزج الحقائق بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية، حتى لا يكاد كلامٌ له يخلو من آيةٍ أو حديث، فكأن كتب الحديث جمعت له جمعاً، فهو يأخذ منها ما شاء متى شاء، مع زيادة عزو الحديث لراويه ومخرجه، وذلك قلما يوجد في غيره مـن أهـل الحقائـق، وإن أتـوا بحديث، أطلقوه بلا نسبة؛ إذ ليس ذلك من وظيفتهم.

والشيخ ﷺ كما أخبر عن نفسه، لا مقام له، ولا وظائف مخصوصة، ولا اصطلاح مفرد، بل له كل المقامات والاصطلاحات والوظائف، والتصرف التام في غالب علوم الشريعة.

وكذلك كان ﷺ في هيئته المحسوسة، وأحواله الظاهرة، ليس على نمط الفقهاء المدرسين أهل المناصب، ولا على نمط الزهاد المتقشفين، يلبس الطيب ويأكله، ولا يأتي أبواب الأمراء، ولا يرغب في معرفتهم، وإن أتوا إلى بابه، لا يمنعهم من الدخول عليه، وإذا دخلوا عليه، لا ينهرهم، ولا يعبس في وجوههم، بل ينزلهم منازلهم التي أنزلهم الله فيها، ويكرم كريمهم؛ كما أمر بذلك ﷺ، ويقدم إليهم من الطعام ما حضر، ومع ذلك، فلا يُخليهم من نصيحةٍ برفق، ووعظ بلين، وأمر بمعروفٍ، ونهي عن منكرٍ، وإرشادٍ من جهالةٍ، وإنقاذٍ من ضلالة، فلا يخرجون من عنده حتى يظهر عليهم أثر الخير، والميل إليه، والحب له، وتصغر عندهم نفوسهم؛ لما يشاهدون من عظمة وعزة من اعتز بعزة الله وعظمته، وهذا لعَمري خلُقُ الكمّل العارفين.

ولم يكن ﷺ منقبضاً عن الناس، منزوياً عنهم، بل كان يجالسهم، ويكالمهم، ويتصرف فيما احتاج إليه من أموره الدنيوية، ويحسن القيام بأوقاف زاويته؛ بتولية من هو أهل، وصرف غيره، والأمر بإصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه، وإيصال الحقوق إلى أربابها، وذلك كله لا يشغله عن الله طرفة عين، فلا تكاد تسمع منه كلامين متناسبين، لم يتخللهما ذكر الله، أو دلالته عليه، أو وعظٌ، أو دعاءٌ بخيرٍ، أو إرشاد مسترشد.

قال الشيخ عيسى الثعالبي المغربي نزيل مكة: ما رأيت مثل شيخنا الصفي القشاشي، ما دخلت عليه قط، فأخرج إلا والدنيا بين عينيّ أحقر من كل حقير، ونفسي أذل من كل ذليل، ولو تكرر دخولي عليه مرات، وهذا شأن الذين إذا رُؤُوا، ذكر الله.

وأما مكاشفته بالأخبار عما في ضمائر أصحابه، وإشارته إليه في أثناء كلامه، فبحرٌ لا ساحل له.

قال شيخنا إبراهيم الكوراني ـ قدس الله سره ـ في كتابه «الأمم»: شاهدت له من ذلك ما لا أحصيه.

منها: أنه تكلم يوماً على خاطري، فقلت في نفسي: هلا كان هذا قبل هذا الوقت؟ فالتفت إليّ وقال: قل: ﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾[يونس: ١٦]، ففهمت أن التأخير كان بإذن الله تعالى.

ومنها: أن بعض المجاورين طلب أن أكتب له كتاباً إلى بعض أهل الشام، لغرضٍ دنيوي، فكتبته من غير استئذان الشيخ ـ قدس الله سره ـ، ثم دخلت عليه، فقال منكراً عليّ: هذا ثَلْم، فلم أتحقق الإشارة، وحصل لي القلق إلى الليل، وأردت أن أكتب جواب مكاتيب أهل الشام في الليل، ومع القلق، فتأملت في أمري، فإذا أنا لم أحدث شيئاً لا يرضاه، إلا كتابة هذا الكتاب بغير إذنه، فأحرقته بالسراج، فسكن القلق، فلما أصبحت، دخلت عليه، فتبسم في وجهي، وقال: عافية، فعلمت أنه المشار إليه بالثلم.

ومنها: أن بعض الفقراء قال لي: اطلب من الشيخ ما هو كذا، وعيّن له شيئاً، فقلت له: أنا لا أبتدئ بطلب هذا منه، فقال: بل اطلب؛ فقد قال بعضهم: إن مثل هذا يطلب، فدخلت عليه، وهو في مجلس الدرس، وأنا في هذا الخاطر، فالتفت إليّ وقال: إن كان فيه نصيبٌ ما يفوت، ثم التفت إلى الجماعة يقرر لهم.

قال: وأمثال هذه الوقائع يطول ذكرها.

ولقد أخبرنا الملا إبراهيم: أن الشيخ كان ـ مع تمكنه من الحقائق ـ إذا أراد أحدٌ من أصحابه أن يقرأ عليه شيئاً من المواضع المشكلة في «الفتوحات» أو غيرها، لا يأذن له حتى ينصرف الناس، ويخلو المكان، إلا من خواص أصحابه، ويأمر بغلق الأبواب، وهذه صفة العارفين؛ فقد كان الجنيد ﷺ لا يتكلم في الحقائق إلا مع خواص أصحابه، ويقول: علمنا هذا إنما هو خاص الخاص.

وشاهدُ ذلك: قولُه ﷺ: «خاطبوا الناس بما يفهمون» الحديث، وقول أبي هريرة ﷺ «ملأت من النبي ﷺ وعاءين، أما أحدهما، فها أنا أبثه إليكم، وأما الآخر، فلو بثثته، لقطع مني هذا البلعوم، وليس هذا الوعاء المدخر إلا علوم الحقائق، التي هي خاصة.

وقد أخطأ من زعم أنه علم الحدثان، إذ لا يكون ذلك وعاء يقابل به الوعاء الذي بيّنه في الناس من علوم الشريعة؛ لأن النبي ﷺ إنما ذكر لأصحابه من أمور الكائنات أشياء قليلة؛ لعدم تعلق علم ولا عمل بذلك، بخلاف علوم الحقائق، فقد كان النبي ﷺ مع أصحابه كالشيخ مع مريديه، يأمرهم بالتكاليف والأحكام العامة لسائر المؤمنين، ويخص من شاء منهم بما شاء من الحقائق والمعارف، ويأمر البعض بقيام الليل، ويترك البعض، وينهى البعض عن سرد الصوم، ويقرّ عليه آخر، كل ذلك منه ﷺ لطف تربية، وحسن تغذية بالأعمال والمعارف.

ومما ينسب لعلي بن الحسين ﷺ:

يا رُبَّ جوهرِ علمٍ لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبدُ الوثنا

ولاستحلَّ رجالٌ مسلمون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وأخبرنا شيخنا الملا إبراهيم، قال: أخبرني شيخنا الصفي القشاشي، عن شيخه الشناوي: أنه كان ذات يومٍ في خلوته مستلقياً، إذ رأى وزغاً، يمشي على الحائط، فأراد أن يضربه، وغلب عليه شهود الحقيقة، وأنه خلقٌ من خلق الله، موجودٌ بإيجاده، ومصرّفٌ بتصريفه، إلى غير ذلك مما تقتضيه الحقيقة، ثم تذكر أمر الشرع بقتله، وأنه لا ينبغي إهمال الأمر الشرعي نظراً إلى الحقيقة، فتردد في الشهودين، حتى غلب عليه امتثال أمر الشرع، فأخذ حجرا، فرماه به، فأخطأه، ففر، فضحك الشيخ وقهقه، وقال: الحمد لله الذي جمع بين الأمرين: امتثال الشرع بضربه، وعدم قتله المنافي بظاهره لحكمة الله في إيجاده وتصويره، وإحيائه وتصريفه فيما خلق له.

قال شيخنا الصفي إثرَ حكايته لذلك: أما إنه لوكنت أنا ذاك، لما توقفت، ولشدخت رأسه بالحجر من دون رميٍ؛ لأن ذلك هو عين الحكمة التي اقتضتها الحقيقة فإن كل ما أمر الشرع بفعله، فذلك هو عين الحكمة، الموافقة لمراد الله تعالى في ذلك الفعل؛ كذبح كل حيوان أبيح أكله، وقتل العدو الكافر، فلا يمنع من ذلك شهود الحقيقة؛ لأن ذلك هو عين الحق، الذي هو مقتضى الحقيقة ببيان الحق على لسان المشرع ﷺ.

وهذا ـ كما ترى ـ غاية في التحقيق، يدل على علو شأن هذا الشيخ، وكمال شهوده، حتى لا تغلب عليه حقيقةٌ ولا شريعة، بل انطوت عنده الحقيقة في الشريعة، والشريعة في الحقيقة، فصار الكل شيئاً واحداً، فما من شريعةٍ إلا وهي حقيقة؛ إذ هي مراد الحق، وما من حقيقةٍ إلا وهي[1] شريعة لإرشاد

(١) في الأصل: وهو.

الشارع إلى مشاهدته، ومن غلب عليه وصفٌ، كان بحكمه، ومن غلب على الأوصاف، كان بحكم الحق في كل وصف.

وأخبرنا شيخنا الملا إبراهيم ـ قدس سره ـ: أنه كان في أول أمره يتعانى شهود الصلوات في الحرم النبوي؛ اغتناماً لفضل الصلاة فيه، وكانت نفسه لا تطيب أن تفوته الصلاة فيه، ومنزله كان خارج المدينة، فربما أغلقت دونه الأبواب، داخلاً أو خارجاً، فتحصل له المشقة في ذلك، فقال له الشيخ القشاشي يوماً: لا تكلف نفسك ما تتضرر منه، وصلِّ هنا في مسجدنا، وإنا لنرجو من الله أن يحصل لك من الثواب ما يحصل لمن صلى في الحرم الشريف، فمن ذلك اليوم طابت نفسي، ولا أبالي إن تعذر عليّ الوصول إلى الحرم.

قلت: ربما سمع هذا قاصرٌ من المتفقهين، فيبادر إلى إنكاره، فيقول: كيف صح له التسوية بين مسجد محلةٍ، والمسجد النبوي، مع أن الصلاة فيه خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، وهل هذا إلا تشريع؟

فأقول: ليس في هذا ما ينكر، أما من جهة الحكم الظاهر، فقد ورد أن نية المؤمن خيرٌ من عمله، وأن الله تعالى يعطي العبد على قدر نيته، وورد أن من نوى أن يعمل صالحاً، فَعِيق عنه بعائقٍ، كُتب له أجره، كما ورد أنه يُكتب للمريض والمسافر أجر ما كان يعمل في الصحة والحضر، ويُكتب للنائم إذا نوى القيام، فغلبته عيناه أجُر قيامه، فكذلك هذا لما كانت بنية الصلاة في المسجد النبوي، ولازم ذلك حتى عِيق عنه في بعض الأوقات، بما يحصل له من المشاق، التي يرخص الشارع لأجلها في ترك كثيرٍ من المأمورات، فلا بُعْد في قولنا: إنه يحصل له أجر مَن صلى في المسجد لأجل نيته، سيّما

مع امتثال أمر شيخه، وعمارة مسجده، والصلاة بمن فيه من الفقراء، وعمارته بالذكر والقراءة، والصلاة مع الشيخ، وفضلاء أصحابه؛ فإن في هذه القربات، إذا خلصت فيها النية، ما ينجبر به ما فات من التضعيف، فرب قربةٍ وحسنةٍ تفوت ألف حسنة أو تساويها؛ لما حفت به من الأوصاف الجميلة، والفوائد الكثيرة؛ كهذه الصلاة التي يصليها في مسجد الشيخ، بحضور قلبٍ وسكونٍ وتؤدةٍ، مع جماعةٍ فيهم الشيخ، فيسري من بركته في صلاة الحاضرين؛ فإن من تحقق بحالةٍ، لم يخل حاضروه منها، وقد ورد: من صلى مع مغفور، له غفر له.

ولو ذهب إلى المسجد، لم يصل إليه حتى يتعب؛ لبعده وتشوش فكره بالرجوع، وتخييل غلق الأبواب دونه، سيما إن أبطأ الإمام شيئاً مّا، فبمجرد فراغه من الصلاة، يقوم بسرعةٍ من غير جلوسٍ لذكرٍ ودعاءٍ، فلا يبعد أن تكون الصلاة الأولى مساويةً لألف صلاة من أمثال هذه في غير الحرم.

هذا مع أن مسجد الشيخ داخل في حدود ما بين المصلى والحجرة، كما في بعض الأحاديث: «ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة» على قول بعض العلماء: أن المراد بالمصلى: مصلى العيد، فكان بعض السلف يرغب في سكنى الناحية التي بين المسجد النبوي ومصلى العيد، ويقول: إنه روضةٌ من رياض الجنة.

وأما توجيه ما ذكر الشيخ من حيث الباطن، فإن شرف الأمكنة ليس لذاتها، إنما هو لما اشتملت عليه، وأودعه الله تعالى فيها، وشرف المسجد النبوي؛ لمجاورته لقبره ﷺ، وبيته، وصلاته فيه مدة حياته، وغير ذلك، فإذا أكرم الله تعالى ولياً من أوليائه بحضور روحانيته ﷺ لديه، وشهوده من

محله دائماً، وإن كان بعيداً عن مسجده؛ لأن الأمكنة بالنسبة إلى الأرواح مستوية، فلا يبعد أن يكون لذلك المكان الذي حضرت فيه روحانيته ﷺ، وحصلت مشاهدته على الدوام، ما كان حاصلاً لمسجده من الفضل بالنسبة إلى ذلك الشخص الذي أكرمه الله بذلك، ولا يلزم من ذلك مشاركة ذلك المكان للمسجد النبوي في الفضل؛ لأن حصول ذلك الفضل للمسجد النبوي عامٌّ في الأزمان والأشخاص، وهذا خاصٌّ بهذا الشخص، والزمن الذي هو فيه.

ولا شك أن الشيخ ﷺ كان من أهل هذا الشهود، فيكون لمسجده من الفضل بالنسبة إليه، وإلى خواص أصحابه القائمين فيه، المجدين به حباً وولاءً، مثلُ ما كان للمسجد النبوي بحضوره ﷺ بروحانيته فيه[1]، سيّما مع قرب المكان جداً؛ بحيث لا يكاد يغيب عن خيال المصلي شهودُ الروضة والحجرة، وما هناك من الآثار، حتى كأنه فيه، وإن كان من أهل الكشف، كشف له عن حقيقته حتى يراه وكأنه فيه، وإن بلغ إلى رتبة الأبدال، أمكن أن يكون فيه، مع أنه في محله، فكم من بعيد الدار وهو قريب!

وهذه المراتب الشريفة ليست بعيدةً من حال الشيخ، فإذا أُتحف بذلك، وصارت صلاته كمن صلى في الحرم النبوي، فلا بُعْد أن يُتحف الله بذلك جميع من صلى معه ببركته، سيَّما إن كان هو إمامهم، وارتبطت صلاتهم بصلاته.

وأما تآليفه ـ قدس الله سره ـ فكثيرة تقارب السبعين: والذي تعلق بالي

---

(١) وهذه دعوى باطلةٌ وافتراءٌ عظيم من صنع الشيطان الرجيم.

منها: «شرحه على حكم ابن عطاء الله»، وهو في غاية الجودة، لولا صعوبة كلامه على القاصرين من أمثالنا؛ لدقة مغزاه فيه، ورقة منحاه، وغلبة الإشارة إلى حضور الوجود المطلق على كلامه، وانفرد من دون الشروح بخصيصـ[ـة] لا يعادله فيها غيره، ومأثرة لا يشارك فيها، وهي ختمه ﷺ كل حكمةٍ بحديثٍ يناسبها، وهذا مما يدل على سعة اطلاع الشيخ، وحفظه للأحاديث النبوية، وفهمه لها؛ بحيث يدرك المناسبة بين الحديث والحكمة، في بعض الحكم من وجه خفي، لا يكاد يتفطن له، وهذا شأن فِطن العارفين وأفهامهم.

وكان والده سيدي الشيخ محمد بن عبد النبي، كتب على «الحكم» شرحاً كبيراً، فأراد الشيخ اختصاره، فطلب منه السيد محمد بن علوي عندما ورد المدينة الشريفة، سنة سبع وأربعين وألف، أن يبتكر شرحاً غير مختصر من الذي قبله؛ لأن ذلك أجدر بإبداع الفوائد التي يفتح الله فيها، فقبل إشارته.

ومنها: «حاشيته على المواهب اللدنية للقسطلاني» مفيدةٌ مع صغرها.

ومنها: كتاب «بستان العابدين»، ذكر فيه أوراداً كثيرةً، بأدلتها وفضائلها، وفضائل آيات من القرآن وسور، وهو غايةٌ في بابه.

ومنها: كتاب «السمط المجيد»، ذكر فيه طرق رواياته وأسانيده من مشايخه، وأكثر في طريق القوم، فقد استوفى غالب طرقهم، وساق أسانيده إلى أصحابه، ثم أسانيدهم إلى منتهاها، مع ذكر شيء من حكاياتهم ومآثرهم.

ومنها: رسائله الثلاث في مسألة الكسب التي انتصر فيها لقول إمام الحرمين، والصغرى منها أتمُّها تحقيقاً، وأكثرها تدقيقاً.

ومنها: «شرح عقائد النسفي»، ذكر فيها نحو ورقتين، من فتوح ذكر هو الله من المكاشفات له ـ نفع الله به ـ.

ومنها: لرسالة المسماة: «ضوء الهالة في ذكر هو والجلالة».

ومنها: شرحه لرسالة السيد سالم شيخان، التي سماها: «منقذة الموهوم، من مزلقة الوهوم»، وهي صغيرة جداً، موجزةً لفظا، كبيرةً قدراً.

ومنها: حاشية سماها: «الإفاضة الرحمانية على الكمالات الإنسانية» للشيخ عبد الكريم الجيلي، وهو كتابٌ جليلٌ، نبيه القدر، جعل صاحبه الحقيقة المحمدية هي مظهر الكمالات الإلهية بأسرها، ومنها تفرعت إلى غيرها من المظاهر، ثم أخذ يفصل ذلك شيئاً فشيئاً، ولكنه قد يغلب عليه فيه شهود الحقيقة، فلا يعطي الشريعة حقها، وللشيخ فيه تعقباتٌ ظاهرةٌ عليه، ظهر فيها علو مقامه، وتمكنه من الشريعة والحقيقة، وهذه الحاشية مفيدةٌ جداً.

ومنها: «شرح عقيدة ابن خفيف خفيف»، وكتاب «النصوص»، و«الكنز الأسنى والصلاة والسلام على الذات المكملة الحسنى»، و«عقيدة منظومة»، و«حاشية على الإنسان الكامل».

ومنها: رسالة «نفحة اليقين وزلفة التمكين للموقنين»، وهي التي حقق القول فيها على كون الحقائق مجعولةً أو غير مجعولةً، على مذهب العارفين، أهل الكشف الصحيح.

ومنها: «رسالة في الذكر باسم الجلالة مفرداً»، وهي مسألةٌ كثر فيها البحث بين المتأخرين، فأجاز ذلك العارفون عن آخرهم، ومنع بعض المترسمة،

محتجاً بظواهر لا تجزي، وهي مفيدةٌ، مع صغر حجمها.

وله ﷺ «ديوان شعر»، أكثره على لسان أهل الحقائق، ونظمه فيه عذب المذاق، وإن كان يوجد فيه ما يستضعف عند أهل الأدب، وقد أوردنا نبذةً منه في صدر الترجمة.

وإنما لقب نفسه بصفي الدين، مع أن المشتهر في اصطلاح أهل المشرق تلقب أحمد بشهاب الدين؛ لأنه كان يكره هذا اللقب، ويقول: إن أحمد أشرف الأسماء، فكيف يلقب بالشهاب، الذي هو للعذاب، وما ألطف مناسبته لهذا الاسم الشريف، وإشارات العارفين واستنباطاتهم لها على هذا الأسلوب عند من فهم ذلك، والله سبحانه يجعلنا من أهل الفهم عنه وعنهم بمنّه وكرمه، آمين.

[٤٧٠] أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد ابن حبيب الله بن رفيع الله بن خواجة يوسف بن السلطان شهاب الدين علي المعروف بفروخ شاه الكابلي بن خواجه نصير الدين بن خواجه محمود بن خواجه سليمان بن خواجه مسعود بن خواجه عبدالله بن خواجه واعظ أصغر ابن خواجه واعظ أكبر بن خواجه أبي الفتح بن إسحاق بن إبراهيم بن ناصر ابن عبدالله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الفاروقيُّ السرهندي الحنفي(١).

أحد مشاهير أكابر أهل الطريقة بالديار الهندية، وله بها المكانة العظمى، خصوصاً عند ملوكها، والمنزلة العلية عند خاصة الناس وعامتهم، أخذ طريق

(١) «هدية العارفين» (١/ ١٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٢).

النقشبندية، والقادرية، والجشنية عن الخواجه محمد باقي، وعن الشاه ابن الشاه إسكندر، وعن عبد الرحمن البدخشي الشهير بجامي مرزا، وأجازوه، وتصدر للإقراء والإفادة، وتربية المريدين، وأخذ عنه خلق لا يحصون.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ومكاتيب شهيرةٌ كتبها لتلامذته في البلدان البعيدة، وغالبها باللغة الفارسية، ولما وصلت إلى الحرمين، ووقف عليها مشايخ عصرنا، أنكر جماعةٌ منهم عليه أشياء منها، ومنهم: شيخنا العلامة السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني الموسوي، ألف في تكفيره عشر رسائل.

ووافقه ـ على ما سمعت ـ من الثقات في بعضها، شيخُنا خاتمة المحققين إبراهيم الكردي، وجماعة، ثم تنازع في شأنها علماء الحرمين، وخطأ بعضهم بعضاً، وكان شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي مجاوراً تلك السنة بمكة، فسأل جماعة ممن يعرف الفارسية أن يعرف له المنكر على صاحب المكاتيب، فعرفها له جماعةٌ، منهم: شيخنا محمد بيك الهندي، نزيل الداودية بمكة، فلما وقف عليه شيخنا أحمد، أوّل ما فيها، ولم ينكره، فوقع بينه وبين شيخنا محمد البرزنجي كلامٌ طويلٌ.

وألف شيخنا أحمد رسالة في الاعتذار عنه، ومنع تكفيره وتكفير أمثاله في شطحاتهم، فلما وقف عليها شيخنا السيد محمد البرزنجي، شرحها، وسمى الشرح: «الناشرة الناجرة للفرقة الناصرة للكلمات الفاجرة»، وتكلم فيها كلاماً طويلاً على المترجم، وعلى شيخنا المعْتذر عنه.

وكتب علماء الحرمين خطوطهم، بعضهم على رسالة شيخنا أحمد؛

بأن كلامه هو الحق، وبعضهم على رسالة شيخنا السيد محمد؛ بأن كلامه هو الحق؛ بحيث إن بعضهم عادى الآخر، وطال كلام الفضلاء في ذلك. انتهى.

والحق أن ترك التكلم في ذلك هو اللائق بالأدب، والأسلم للعاقل الوقوف مع الحد، ولكن الوقوف على الحد عسيرٌ جداً، والله الموفق.

توفي المترجم في تاسع وعشري صفر، سنة إحدى وثلاثين وألف، وقد أفرد أحواله وكراماته بعض تلامذته، وذكر أن كثيراً من الناس نالوا من أثر صحبته الفوز العظيم، وصاروا من أهل الكشف والذوق، وملأ الأرضَ ذكرهم شرقاً وغرباً، وكان يخبر بالأمور قبل وقوعها[1]، فتقع كما يخبر، وكم من مريضٍ عليلٍ أيس الناس منه، فبمجرد أن يأتوا به إليه يبرأ من وقته، وربما خطر ببال أحدٍ في مجلسه شيء، فيبينه له، وذكر المترجم له كثيراً من وقائعه الغريبة ـ نفع الله به ـ.

قلت: وقدم مرة حفيده إلى مكة حاجاً، وحصلت له بمكة الحظوة العظيمة، والكرامات الكثيرة، وانتفع به خلق من المريدين ـ نفع الله به ـ.

[٤٧١] أحمد شهاب الدين بن خليل بن إبراهيم بن ناصر الدين السبكي الشافعي[2].

نزيل المدرسة الباسطية بمصر، وَقْفِ المرحوم القاضي عبد الباسط، وخطيبها وإمامها، كان إماماً فاضلاً، إذا جمعت الفضائل، فهو منتهى الجموع،

---

(١) سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٢٢).

وعاملاً كاملاً، كثمر الجنة غير مقطوع ولا ممنوع، لم يمض له وقت في غير العبادة، ولا ساعة في غير الاستفادة والإفادة، بوجه أبلج وضاح، يلوح من غرته نور السداد والصلاح، كانت له مهارة في علم الحديث، والعلوم النظرية، وفقهه يتكلف فيه.

واتفق لتلميذه شيخِنا سلطان بن أحمد المزاحي معه: أنه حضر عنده يوماً في صلاة الجمعة، في الباسطية، وكان من عادة المترجم أن يقدم ولده للخطبة، ويصلي الجمعة بنفسه، فلما فرغ ولده من الخطبة، تقدم المترجم إماماً على عادته للجمعة، فأمسك بيده شيخنا سلطان، وقال له: يا سيدي! تقيدوا أن من شرط إمام الجمعة: أن يكون خطيباً، أو سمع الخطبة، وكان صاحب الترجمة ثقيل السمع، فقدم ولده حينئذٍ للصلاة بدله، وقال لشيخنا سلطان: جزاك الله خيراً.

مولده بمصر، وبها نشأ، وإن مشايخه[1] شمس الدين محمد بن إبراهيم الصفوي المقدسي الشافعي، نزيل جامع الحاكم، والواعظ بالجامع الأزهر، تلميذ الشيخ محمد عراق، وهو الذي رباه من صغره، وزوجه بنته، واستمر ملازماً له، إلى حين وفاته، ثم بعد وفاته أخذ عن شيخ الإسلام محمد الرملي، وحج مرات براً وبحراً، وجاور بالحرمين.

وله من المؤلفات: «حاشية على الشفا للقاضي عياض»، وشرح على منظومة الجلال السيوطي التي تتعلق بالبرزخ سماه: «فتح المقيت في شرح التثبيت عند التبييت»، وهو قولان، وشرح آخر سماه: «فتح الغفور بشرح

---

(١) كذا في الأصل.

منظومة القبور»، وهو مزج، وله شرح على منظومة ابن العماد في النجاسات المعفو عنها سماه: «فتح المبين بشرح منظومة ابن عماد الدين»، ورسالة سماها: «هدية الإخوان في مسائل السلام والاستئذان»، وله: «مناسك حج كبير، وآخر صغير»، وله: «الفتاوى» التي جمعها من خط شيخه شيخ الإسلام الشمس محمد الرملي في مجلدٍ ضخم.

توفي في ثالث وعشري جمادى الآخرة، سنة اثنتين وثلاثين وألف، عن ثلاث وتسعين سنة، ودفن بفسقية أحدثها بجوار الإيوان الصغير الغربي من المدرسة المذكورة، وقبره ظاهر يزار ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٧٢] السيد أحمد بن الهادي بن هارون الهَدَوي.

كان سيداً سرياً، زكي القلب، ثابت الجنان، له فراسةٌ صادقةٌ، ينبغي أن يقال فيه: إنه من المحدثين بهذه الأمة، وله في العربية مسكةٌ حسنةٌ، وفي الفقه، واشتغل بأمور الإسلام العامة؛ فإنه كان من أهل الكمال والرياسة، ينوب في مقامات لا ينوب غيره فيها، ولو توفر على العلوم مع سعة ذكائه، أنسى الأوائل.

وكان جزل الطباع، مسدد الرأي، ليس فيه ولا في رأيه رعونة، واستفاد التجارب، ومن المشهور عنه في التروي: إذا شربت عيراً، سهرت ليلة، يريد: أنه لا يقدم على الأمور جزافاً، وكان الإمام المؤيد بالله يرعى مقامه، ويعده للمهمات الكبيرة، وولي صعدة شهوراً بالنيابة عن السيد محمد بن الحسن ابن القاسم بأمر الإمام، ووجهه الإمام في غزوة نجران، وجعله نائباً عن السيد محمد بن الحسن، ولكنه لم يكن له بدٌّ من توجه السيد محمد بن الحسن

بنفسه؛ لأن النصاب من العسكر ما اجتمع عند تجهز السيد، فاقتضى توجهه بنفسه.

وولي المترجمَ مدينة ذمار، عن أمر الإمام المتوكل على الله إسماعيل، ولبث مدة عاملاً ببلاد خولان، وسكن جيدان، وحضرته علماء لم يدخل في العمل إلا بهم، منهم: القاضي محمد بن الهادي بن أبي الرجال ولي القضاء، ومنهم: القاضي محمد بن علي بن جعفر ولي قبض بيوت الأموال، وكانت الأعمال ـ إذ ذاك ـ علويةً نبويةً، تتزين بها التواريخ.

وذكر الإمام المؤيد بالله: أنه لما ألحّ على السيد في هذا العمل، واستدناه، رأى ليلة وصول السيد إلى حضرته قائلاً يقول له:

بشراكَ يا بَن الطهرِ من هاشمٍ ... بماجدٍ دولتُه تُحمدُ
يا أحمدَ المنصورَ بن هاشم ... بورك من في اسمه أحمد

وكان هذا السيد لا يعرف أحدٌ كنه ما عنده من العلم؛ لذكائه؛ فإنه إذا توسط في المسألة مع أي عالم، فهم المقاصد والمتفرعات على البحث، فيمليها أخْذاً لها من كلام معارضه، وكان له في تعبير الرؤيا حظ.

فمن عجيب تأويله الرؤيا: أنه عرض عليه الفقيه محمد بن الهادي بن أبي الرجال رؤيا، فقال له: هذا الرائي في بيته خشبة انكسرت، فليتفقدها، فعزم الفقيه، فوجد الخشبة انكسرت، فأخبر السيد بذلك، فقال السيد ينبغي أن أصلح الخشبة أنا؛ لأني الذي عبرت الرؤيا.

ومن عجيب ما اتفق من وصفه بالفراسة: أنه كان القاضي العلامة الحسن بن أحمد الحيمي، وزير السيد أحمد بن الحسن بن القاسم، عند دخوله

بالجنود إلى بوصان وديار الشام، وكان السيد أحمد بن الحسن يعول على رأي القاضي، وحقَّ له أن يفعل؛ فإن القاضي كان عُذَيْقَها المُرَجَّب، وجُذَيلها المُحَكَّك، فرأى القاضي في النوم أنه والسيد أحمد بن الحسن تحت ثوب واحد، فأراد أن يعرض بالرؤيا، فقال للسيد أحمد: رجل رأى أنه وآخر، فقال له السيد: رأيت أنك والسيد أحمد بن الحسن بن القاسم تحت ثوب واحد، فقال القاضي: والله! ما غادرت منها شيئاً، وتعجب القاضي، فقال له السيد: لا تعجب، هذه رؤيا قد كنت رأيتها لنفسي، أنا وسيدي الحسن ابن الإمام القاسم، وأوّلها لي شيخي أحمد بن موسى سهيل بهذا التأويل، وكان مكاني من الحسن مكانك من أبيه.

وله من هذا القبيل شيءٌ كثير.

توفي بصنعاء سنة إحدى وسبعين وألف، ودفن بخزيمة، وقبره بها مشهورٌ ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٤٧٣] أحمد بن عبدالله بن أحمد ابن الشيخ العلامة عبد الرؤوف بن يحيى الواعظ المكي الشافعي، تلميذ العلامة الشهاب أحمد بن حجر[١].

كان من أعيان الأفاضلُ وصدور الأماثل، ولد بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم، و«الإرشاد»، و«ألفية العراقي»، و«ألفية ابن مالك»، و«جمع الجوامع» للتاج السبكي، وغيرها، واشتغل بالعلم على أكابر الشيوخ المكيين، فأخذ عن الشيخ عبدالله باقشير عدة علوم؛ كالفقه والأصول، والعربية، والعروض، والمعاني والبيان.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٨).

وتفقه بالشيخ عبد العزيز الزمزمي، ولازمه مدة حياته، وجلس للتدريس بالمسجد الحرام بعد وفاته، وأخذ عن الشيخ علي بن الجمال، ولازم شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي عدة سنين، وكان معيد درسه بالمسجد الحرام الأمين حتى برع، وفاق أقرانه، وأجازه كل من هؤلاء الشيوخ المذكورين.

وأخذ الطريق والتصوف عن السيد العارف بالله سالم بن أحمد شيخان، وتلقن منه الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عن السيد المحقق محمد ابن علوي، وعن السيد صاحب الأحوال عبد الرحمن الإدريسي المغربي، وعن السيد العارف عبد الواحد الغرب، صاحب القنفذة، وانتفع به، وأخذ عن جماعة.

وكانت الفتاوى ترد عليه، فيجيب عنها بأحسن جواب، وأعذب خطاب، وكان باذلاً نفسه لإصلاح ذات البين، وإذا تصدر في قضية، تمت على أحسن الأحوال، وذلك يدل على حسن نيته، وطيب طويته.

توفي بمكة ليلة الاثنين، سادس عشر شهر محرم الحرام، افتتاح سنة سبع وسبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن شعره: قوله مجيباً للفاضل محمد الدرا الدمشقي عن قصيدةٍ أرسلها إليه:

أعقودٌ من النظام الغالي … أم نسيبٌ في رقة الجِرْيالِ
أم غرامٌ مستودَعٌ في حشا الألـ … ـفاظ صوناً له عن التمثالِ
أم عقارٌ في أخذه اللبَّ والحسـ … ـن ولكن بمحض الأزجال

أمتـعَ اللحـظَ والمـسامعَ واللمـــ ـــسَ وحـلَّ اللـسانَ عـن اعتقـالِ
هو ثوبُ البشيرِ وافـى علـى حيـ ـــن تـــرجٍّ لـــساعةِ الاتـــصالِ

ومنها:

أذكرتنـــا أســـجاعُه مفـــصِحاتِ ســـاجعاتِ الحمـام فـي الآصالِ
فوحـــقِّ الهـــوى وطيـــبِ وصـــال لـــم ترغـــه يـــدُ النـــوى بِمِطـــالِ

ومنها:

وصـــحابٍ عهـــدتُهم كنجـــوم قارنـــت بـــدرها بـــأفق الكمـــال

ومنها:

مـــا رأينـــا إلا الكمـــالَ وهـــل يصدر إلا من نفس أهـلِ الكمالِ
ولقـــد صـــدق الفـــؤاد ولكـــنْ ـــمعُه عنـــك أجمـــلُ الأفعـــالِ
فحظِينـــا بـــالقول منـــك وبالفعــــ ـــل ولا ريـــبَ فـي صـفا الأحـوالِ
وأتتنـــا لميـــا تـــذهب باللـــبْ ـــبِ ذهابَ النفـوس فـي الآجالِ

ومنها:

فكـــأن الأسـى تقـــدم عـــصر لهـــم إذ أتيـــتَ ســـاعة حـــالِ
فابق في مَحْتِـدِ المفـاخر مـولًى شأنهُ الوصـلُ عنـد قطع المـوالي
نـاعمَ البـال فـي مرابـعِ أنـسِ أســـعدتها يـــدُ الهنـــا بوصـــالِ
آخـذاً فـي الفخـار أكمـلَ حـظٍّ مـــا تبـــدَّت طوالـــعُ الإقبـــالِ

وقوله مستغيثاً بالنبي ﷺ في مرض حصل له:

يـا صـاحبيّ حَقِّقـا ميعـادي وانطلِقـا لأخـصبِ الوهـادِ

ومنها:

ولاحظاني في السرعة فإنني[1] نِـضْوُ هـوًى مقـرح الأكبـادِ
قـد تـرك الجفـن مفـازة فـلا يـضوي إليـه وافـد الرقـاد
وضلَّ شرخ العمـر فـي بيـاضٍ أشـرقَ مـن أشـعةِ الأفـوادِ
فعرِّجا بمسرح السِّرب الـذي لـيس لـه مرعًـى سـوى فـؤادي
وخَفِّـضا عليكمـا وخلِّيـا دمعـي الـسفيحَ رائحـاً وغـادي

ومنها:

يرمـلُ فـي جرعائهـا يعـسفُها لا يعتريـه وهـنُ الوَخَّـادِ
ويجعـل الهبـا عقيقـاً أحمـراً مـن النجيـع الأحمـر الفِرْصـادِ
ويتـرك القـاعَ لهـم أعقـةً يكـرع منهـا كـلُّ صـبٍّ صـادي
وزفـرة قـد غُرسـت بمهجتـي وطلعُهـا فـي لِمَّتـي بـادي
تتابعـتْ حتـى يُخـال أننـي مـن فَـرَقٍ لمنجِـدٍ أنـادي
أذابتِ القلـبَ سـوى مـا أحـرزوا لمـا أتـوا مـن وسـط الـسوادِ

ومنها:

وعـاذل يعبـثُ بـي لـو أنـه يُجديـه مـا خـطَّ بـلا مـدادِ

---

(١) كذا في الأصل.

ينمّــق العـــذلَ يخـــال أنـــه	يمـــازجُ التـــشكيك باعتقـــادِ
كأنمـــا يـــرقُم فـــي كوثرهـــا	أفـــرغ فـــي الفـــؤاد مـــن ودادِ
لا يقبل التعنيفَ في الهوى سوى	مـــن يقتنـــي غيـــرَ هـــوى ســـعادِ
واحَـــرَّ قلبـــاهُ ويـــردَ المـــشتهى	هيهـــاتَ كيـــف مجمـــعُ الأضـــدادِ
ذادوا العيـــونَ عـــن ورد هـــائمٍ	زادت علـــى الأنـــواء للـــورّادِ
ما حنّ طرف جاد إذ قـد ضـنّ نـو	ءُ الطرف أن يحمـي عـن المبـرادِ

ومنها:

هيهـــات لـــم يـــرحْ يـــرومُ نظـــرةً	مـــن حـــضرة الإســـعاد والإمـــدادِ
من حضرة المختارِ طه أصـلِ مبــ	ـنى الكون في التعيين والإيجادِ
من نور ذي العرش الرفيع كنهه	تـــواترٌ قـــد جـــاء بالآحـــادِ
فـــي قـــول لـــولاك إشـــارةٌ ولا	جفـــاءَ للمريـــد فـــي المـــرادِ
يدريه من يـرى الشؤون جُمعتْ	فـــي مفَـــردِ مجتمـــعِ الإفـــرادِ
فـــأدم. . .(١) وغيـــره لـــه	فـــرعٌ علـــى معنـــى جلـــيّ الـــرادِ
وذاك معنـــى أنـــه أصـــلُ الوجـــو	د أولٌ فـــي البـــسط بالأعـــداد
فاعجـــبْ لـــه ختمـــاً نبيـــاً أولاً	قـد جـاء بـالتحقيق فـي الإسـنادِ
الواضح الحـق الـصحيح حسبما	حَـــرَّره أئمـــةُ الإرشـــاد
وبعـــد أن زان جمـــالُ وجهـــه	وجودَنـــا جـــاء الكمـــال هـــادي

(١) كلمة غير واضحة في الأصل وسكت هكذا: الاما.

فقــام بالتوحيــد داعيــاً لــه وراقــب المــدعَوْن بالمرصــادِ
ومهَّـد الـشرعَ القـويم للـورى مبـيـنَ الميعــاد والإيعــادِ
وشـتَّ شـمل الكفـر بانتظامنـا فـي سـلكه كالعقـد فـي الأجيـاد

ومنها:

فـابتهج الكـون نـضارةً بـه وصـدحت فـي دوحهـا الـشوادي
وخفقـت ألويـةُ النـصر علـى سـكون ريـح الكفـر والأعـادي
وزمزم الرعدُ علـى مسرى الـصَّبا وشـقت الـسحَب ظُبـا الغـوادي
وأضحك الـروضَ بكاؤهـا علـى مـسرة النتــاجِ والإيــلادِ
وأحيت الأنوا مواتَ الجدب مـن مرتــع الــتلال والوهــادِ
ونُتجــت مــن صــلبه أئمــةٌ قــادوا إلــى الإيمـان والرشـادِ
مـن مظهـر الزهـراء ذاتِ الفخـر فـي حـضائر التقـديس والإسـعاد
مـن حيـدرِ علـي الطهـرِ أميـ ـرِ المـؤمنين سـيدِ الأمجـادِ

ومنها:

قد أعرضوا عمَّـا بـه النـاسُ عُنـوا وصــرفوا الوجــهَ إلــى المعــادِ
تزهَّــدوا وذاك مــن صــفاتهم ذاتاً وهـل يخفـى شـميمُ الجـادي
قـد شـرفوا علـى الـورى فحـبُّهم نصُّ الكتاب عـن حـصى التعـداِد

ومنها:

يـا سـيدَ الرسـل ويـا ختـامَ مـن قــد خُصِّــصوا بــوافر الأيــادي

يا خيرَ مبعوثٍ على ظهر الثرى ... بـــــيه أخـــــصيت الأيـــادي
يـا مـن هـو الأولى بكـل مؤمنٍ ... مـــن نفـــسه مـــن ســـائر العبـــادِ

ومنها:

أخنـــتْ علـــيّ حوبـــةٌ جنيتهـــا ... قـــد جرعتنـــي غـــصصَ البعـــادِ
وعرّضـــتني هـــدفاً لأســـهم الـــ ... إعـــراضِ لا أخلـــو مـــن العـــوادي
وأخلقـت صـبري وجـدَّ مطمعـي ... فـــي أن أُرى فـــي هـــذه النـــوادي
وضـــاقَ ذرعـــي فـــذريعتي إلـــى ... رحابـــك الفيحـــاءِ شـــوقٌ حـــادي

ومنها:

فحُـلَّ عقـدي يـا مـلاذي مثلَمـا ... حللـــتَ عقـــدَ العـــسر بالإنقـــادِ
وأطلـــقِ القيـــدَ المحـــيطَ علّنـــي ... فـــي ســـوحكم أنفـــكُّ عـــن قيـــادي
فأنت كهفُ الملجِفين في الـورى ... وغيـــرِهم مـــن زمـــر القُـــصَّادِ
وأنــت مقــصودي وأنــت موئلي ... وعمـــدتي فـــي الـــسهل والـــشدادِ
وأنــت بــابُ الله كــلُّ مــن أتــى ... مـــن غيـــره يُـــسام بالإبعـــادِ

ومنها:

فمــن دنــا مــن ســوحه ملتمــساً ... بـــادره العفـــوُ إلـــى المـــرادِ
وعَمّــه الفــضلُ فقــال شــاكراً ... قـــد كثـــرت ذخـــائرُ الفـــؤاد

وقوله:

صــلى عليــك اللهُ مــا تــلألأت ... صــفاتُك البــيضُ علــى الــسوادِ

وهي عروض قصيدة الفتح بن النحاس، التي مطلعها:

قـد نفـدت ذخـائر الفـؤاد فكـم أربـى الـدمع للـسهادِ

وقوله متغزلاً . . .[1].

[٤٧٤] أحمد بن محمد بن مكي بن ولي الدين الحنفي المدني.

الفاضل الكامل الأريب، الشاعر المجيد اللبيب، النجيب ابن النجيب، الذي له في كل علم سهمٌ مصيب.

ولد بالمدينة في شهر ذي الحجة، سنة تسع وخمسين بعد الألف، وبها نشأ، وربي في حجر والده، وتأدب بآدابه، وأخذ عن الخطيب الفاضل أحمد البري، وغيره من علماء المدينة، ولما رحلتُ للمدينة، عام ثلاثة وثمانين بعد الألف، اجتمعت به، وحصل بيني وبينهٌ مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ.

وكان بعض الناس عذلني، على قصيدةٍ غزليةٍ، نظمتها لغرضٍ عرضَ، فبلغه ذلك، فأتى إلى منزلي ذلك اليوم ليروحني، فلم يجدني، فكتب إلي ـ حفظه الله ورعاه، ومن كل سوء وقاه ـ قصيدةً منها:

أتيتُك من شوقي إليك مسلماً وقد صار قلبي في ودادك ذا شغلِ
فمن سوء حظي ما تملَّيتُ ساعة بمرآكَ يا ربَّ الفصاحة والنُّبلِ
فلا عتبَ إلا عليه فإنه[2] على نيل ما أهواه في الدهر ذو بُخلِ

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد ذلك ثلاث صفحات وثمن بياض».

(٢) الشطر الأول هكذا في الأصل، وهو غير مستقم موزون.

فيا من لـه لطـفٌ أرقُّ مـن الـصَّبا لقد ساءني ما قد لقيتَ من العـذلِ

فلا تـستمعْ قـولاً لـواشٍ وناصـحٍ ولا ترعوي عن حبِّ ذي الأعين النُّجْلِ

فمـا أنـت فـي حـبِّ الجِـآذرِ أولاً أشاع الهوى أسرارهَ يا أخا الفضلِ

بذا قد قـضى شـرعُ الغـرام بأهلـه فنصبرُ في حكم الحسانِ على القتلِ

إذا ما رنـا مـن يـشبه الظبـيَ لفتـةً وماس كغصن فوق دِعْصٍ من الرملِ

وأظهـر ورداً فـي شـقائق خـدِّهِ وسار يجرُّ الذيلَ تيهـاً علـى مَهْـلِ

وفاحَ شذاً خالٌ من المـسك عمَّـه محاسنُ أوصافٍ تجلُّ عـن المثـلِ

وأبـسمَ عـن دُرٍّ تـنظَّمَ فـي طـلاً ألذَّ وأحلى رشفُها من جنى النحلِ

فـأيُّ فـؤاد لـيس يـصبو لحـسّه ويشتاقُ من ذاك الغزال إلى الوصلِ

أيـا أيهـا العُـذَّالُ إن بنـي الهـوى رأوا اللومَ في حبِّ الحسان من الجهلِ

ففي معركِ الأحداق والمهج انظُروا ولوموا ولجُّوا بعد ذلك في العذلِ

تبـاركَ مـن حـبَّ الجميـلَ وأهلَـه ومن خلَق الإنسانَ في أحسنِ الشكلِ

إليك أخا الإفضالِ سارت شقاشقٌ مداعبـةٌ ترويـك بالجـدِّ والهـزلِ

فكنْ فاتحـاً بـابَ الرضـا لقبولهـا وأصلحْ معانيها من القول والفعـلِ

ودمتَ قريرَ العين في حفـظِ ربنـا ونسمعُ ما تروي ونكتب ما تُملـي

وصلَّى إلـهُ العـرش ربـي مـسلماً على المصطفى خيرِ الورى خاتمِ الرسْلِ

وأصـحابِه والآلِ مـا لاح بـارقٌ وغـرد قمـريٌّ علـى فَـنَنِ الأثـلِ

فأجبته بقولي:

أيـا أحمـدًا حـاز المحامـدَ كلَّهـا ويا فاضلاً من دونهِ كلُّ ذي فـضلِ

ويا ماجداً يسمو علـى كـل ماجـدٍ ويا من غدا في اللطف ممتنعَ المثلِ
ويا بنَ كـريمِ الطبـع مكـي الـذي ترفَّـع شـأناً عـن مقاربـة البخـلِ
على كل حالٍ لستُ محـصٍ ثنـاءه ولكنَّ بعض القول يكفي عن الكـلِّ
بنفـسيَ أفـدي منـكَ لفظـاً كلؤلـؤ وشعراً رقيقاً صار ذكراه لي نقلـي
بعثتَ بخَوْدٍ يُخجل البـدرَ حـسنُها عقيلةِ أترابٍ بها صـرتُ ذا شـغلِ
سـلافيةِ الألفـاظ شمـسيةِ الـسنا مُداميةِ الألمى بحال الشجي تملي
فأفرشتُها خـدِّي وأوسـدتُها يـدي وصـيرتها منـي بمنزلـة الخِـلِّ
وبِـتُّ أُعاطيهـا ثنـائي منظمـاً عليك وجادتْ عند ذلك بالوصـلِ
وقبلتهـا ألفـاً وألفـاً وضِـعْفَها فحيَّاك ربُّ العرش يا ذاكيَ الأصلِ
فلا زلتَ يا قُسَّ الفصاحة محسِنًا ودمتَ قريرَ العين مجتمعَ الـشملِ
وقد زرتَ عبداً صـادقاً فـي وداده وشأنُ الموالي هكذا يا مُنى السؤلِ
ولكـنْ حظـي العتـابُ وإنـه على جمعِ شملي بالأحبة ذو بُخلِ
وأعلمتَني أن قد شفقَت عليّ مـن مقالة عـذالٍ وليـسوا أُولـي عـدلِ
أبثك حالي يـا أخـا الـودِّ والـصفا ودهريَ أشكو وهو مني فـي حـلِّ
رمـاني زمـاني بالـصبابة والهـوى وذلك تقديرُ الذي جـلَّ عـن مثـلِ
وقد كان ظني الوصل من فاتِني الذي تحكَّمَ في بعض هـواه وفـي كلِّـي
فعـاملَني مـن غيـر ذنـب بهجـرةٍ فيا سيدي هل يستحقُّ الجفا مثلي
فمن أجل ذا قد ضاق صدري بما أرى ولم أتجَّرعْ بعد ذا غصصَ العـذلِ
على أنني لا أرتضي الذلَّ في الهوى وإن كان أولى لـي التحمُّـلُ للـذلِّ

ولكن أمرتَ العبدَ يصبرُ للقضا فصبراً على أحكام ذي الأعين النُّجلِ
ودمْ راقيا أوجَ الفضائل باقياً وتخدمُك العلياءُ في الجِدِّ والهزلِ
وقابِلْ جوابي بالقبول تكرماً فإني مقرٌّ بالقصور مع الجهلِ
وحسنُ اختتامي بالصلاة مسلماً على أحمدِ خيرِ الخلائق والرسلِ
كذاك على الآلِ الكرامِ وصحبِه نجومِ الهدى ما حنَّ صبٌّ إلى الأهلِ

قولي: وإن كان أولى لي التحملُ للذل، أشير إلى قول لسان الدين ابن الخطيب التلمساني الأندلسي:

أيا ربّة الخالِ التي سلبتْ نُسكي على أي حال أنتِ لا بد لي عنكِ
فإما بذلٍّ وهو أليقُ بالهوى وإما بعزٍّ وهو أليقُ بالملكِ

وكتب إلي والده الأستاذ الشيخ محمد البكري من مصر، في صدر كتاب:

أُهدي التحايا والسلامَ الأسنى لسيدٍ حازَ الصفاتِ الحُسنى
العالمِ النحريرِ عينِ الكرَمَا والماجدِ العظيمِ فخرِ العُظَمَا
من قد سما بالفضلِ والآدابِ في رتبةٍ تعلو على السحابِ
حاكمِ شرعِ المصطفى بالحقِّ أكرمْ به صديقَ آلِ الصدقِ
مكي أفندي عالي الجنابِ وسيدِ الأحباب والأصحابِ
أبقاه ربّي مع دوام الصحَّة وزاده من المزيد منَحه
مع أهلِه وجملةِ الأولاد ما سحَّت السحبُ على البلادِ

والله يـا إنـسانَ عـينِ الباصـرِ ... مـا غبـتُم سُـويعةً عـن خـاطري
أذكـركُم فـي كـلِّ وقـتٍ وزمـنْ ... بالمنقَبـات الغُـرِّ والفعـلِ الحـسنْ
لأنكـم ملكتمـو فـؤادي ... بالحـبِّ والإخـلاصِ فـي ودادي
أسـألُ ربَّ العـرش بالمختـارِ ... وجـدِّنا الـصديق ثـاني الغـارِ
وآلـهِ وصـحبه وشـيعتِهْ ... وكـلِّ شـخص تـابع لُـسُنَّتِهْ
أن يجمعَ الـشملَ بكـم فـي طَيْبَـهْ ... عنـد مقـامٍ قـد شَـمَمْنا طيبَـهْ
دمـتُم مـدى أيـامكم فـي عافيـه ... ديـارُ مـن يَـشْنا هـواكُم عافيـهْ
وإننـي محـبُّكم محمـدُ ... نجـلُ أبـي بكـرٍ وربـي يـشهدُ
سبطُ النبيِّ المصطفى خيرِ الـورى ... مختارِ ربِّ العرش مـن أم القُـرى
صـلَّى عليـه بالـسلام ربِّـي ... مـع آلـهِ أهـلِ التقـى والـصحبِ
مـا حـادي الركـبِ بمـدحي غنـىَّ ... أُهـدى التحايـا والـسلامَ الأسـنى

فأجاب عن والده بقوله:

أقبـل الأرضَ التـي ثراهـا ... فيـه جِـلا أبـصارِ مـن رآهـا
أرضاً سمت قـدراً علـى الـسماكِ ... وزاحمـت مناكـبَ الأفـلاكِ
شمسُ الضحى تشتاق منها للقُبـلْ ... وتبتغيهـا عوضـاً عـن الحمـلْ
من سوحها سـالتْ ينـابيعُ الكـرم ... فأخجلَـتْ وسـميَّ هَطَّـالِ الـديَمْ
بـين يـدي سـلالةِ الـصديقِ ... إمـامِ أهـلِ الفـضلِ والتحقيـقِ
الـسيد البـر الهمـام العـالِمْ ... مَـنْ حبُّـه فـرضٌ علـيَّ لازمْ
قطبِ الوجودِ الوارثِ المحمـدي ... شمسِ الشهود ذي الكمال الأوحدِ

مِنِ امتطى من ذروةِ المجد القممْ   وخصَّه المولى بأعظمِ النعمْ

لا زالَ في حفظ الإلهِ الباري   مبلَّغَ الآمالِ والأوطارِ

ونسألِ الإلهَ جمعَ الشملِ   في روضةِ المختار خيرِ الرسْلِ

صلَّى عليه ربُّنا وسلَّما   وآلهِ وصحبِهِ أهلِ الحمى

ما غردتْ سواجعُ الحَمِامِ   واخضلَّتِ الأَغصانُ بالغمامِ

وكتبَ مجيباً لبعضِ أصحابه، عن أبياتٍ أرسلها إليه:

هدت لآلي لفظكم للعيانِ   فقلدت سمعي عقودَ الجُمانِ

وحركتْ للقلبِ أشجانَه   كأنها الصهباءُ بنتُ الدنانِ

تفوق عقودَ الدرِّ في جيد ذات   الحسنِ مَنْ قامتُها غصنُ بانِ

كأنها روضٌ أريضٌ بدا   منه شذا النرجسِ والأقحوانِ

فأنت يا مولايَ من معشرٍ   كانوا بلا ريب جمالَ الزمانِ

لا غَرْوَ إن نلتَ عُلا سؤددٍ   وأنت ربُّ الفضلِ والطيلسانِ

قد زرتَ قبرَ الهاشميِّ المصطفى   فلتهنِكَ البشرى ونيلُ الأماني

لا زلتَ يا مولاي في عزةٍ   دون عُلاكَ الشمسُ والفرقدانِ

شنفَ السمعَ نظماً غدا   شبه اللآلي مثقباً باللسانِ

ومن شعره قوله:

في طيبة كان لنا صاحبٌ   تظنه النفسُ شقيقاً لها

منحتُه صفوةَ ودِّ الإخاء   وخِلْتُه يمنحُ أمثالَها

فقابــل الــودَّ بهجــرٍ بــلا ... داعٍ لــه يوجــب فــتحَ اللَّهــا
وكــم عقــودٍ للوفــا بيننــا ... أطــاعَ شــانينا وقــد حلَّهــا
فقلــتُ يــا نفــسُ دعيــه فــذا ... مثــل التــي قــد نقـضَتْ غزلَهــا

وله من أبيات:

إيـاك والبغـيَ أن ترضـى بـه أبـداً ... واتركْ هوى النفسِ تنجو من الأعادي
وكــنْ بنفــسك مــشغولاً تهــذبها ... فالنفسُ أعـدى عـدو ذاتُ إفـسادِ
ولا تكنْ بِمَساوي الناس مـشتغلاً ... وراقـبِ الله فـي خـافٍ وفـي بـادِ
قد قال واصفُهم حقـا أخـو فطـنٍ ... ممن يجيدُ فـصيحَ النطـقِ بالـضادِ
الناسُ أحلامُهم شـتَّى وإن جُبلـوا ... علــى تــشابه أرواحٍ وأجــسادِ
للخيـر والـشرِّ أهـلٌ وكُلـوا بهمـا ... كلٌّ لـه مـن دواعـي نفسه هـادي

وكتب إليّ من المدينة، في صدر كتابٍ قوله:

بعثتُ على نُجُب النسيم سـلامي ... إلـى أهـل ودِّي مـن أعَـز كـرامِ
فوجدي بهم أضنى فؤادي وبعدَهم ... غدا نـاحلاً جسمي بفـرطِ سَقامِ
ترقـرق عينـاي الـدموع وتـسكبا ... ولـولا الـدِّما قلنـا كـسحِّ غمـامِ
أخـلايَ مـن جيـرانِ مكـةَ حبُّكم ... مقــيمٌ بقلــبٍ قــد مُلـي بكُــلامِ
ألا إن أعــوام الوصــال كــساعة ... وســاعةَ أيــام البعــاد كعــامِ
لكـم عنـديَ الـودُّ الأكيـدُ أصـونه ... ونــشرُ ثنــاء عنــدَ كــل مقــامِ
فــلا زلــتمُ فــي صــحةٍ وســلامةٍ ... مدى الدهر في العليا كبدرِ تمام

[٤٧٥] القاضي أحمد بن سعد الدين بن حسين بن محمد بن علي بن محمد بن غانم بن يوسف بن الهادي بن علي بن عبد العزيز بن عبد الواحد ابن عبد الحميد الأصغر بن عبد الحميد الأكبر المسْوري[1].

ذكره تلميذه القاضي أحمد بن أبي الرجال في تاريخه «مجمع البحور»، وأطال في ترجمته، فقال: شيخ الشيوخ، وأستاذ أهل الرسوخ، العلامة الذي تعطف له أعناق التحقيق، وتكشف بساحاته أنوار التدقيق، يَسَّر الله له العلم فصار جماعة، وهيأ له أسبابه فهو أستاذ الجماعة.

أما الحديث، فهو الحاكِم المستدرِك، وأما التفسير، فهو محمود الرواية والدراية المدرِك، وأما علوم المعقول، فهو المطلق التصرف فيها، فهي بين مقيد ومعقول، وأما الكتابة، فهو المعتقد لمعادها الوثير، وهو قاضيها الفاضل الأثير فيها وابن الأثير، رسائله المثل السائر في الأطراف، وأمرها ونواهيها الفلك الدائر القاطع لدائر أهل الخلاف، مقتبسة من أنوار الكتاب، ناطقة بالحكمة وفصل الخطاب، فكم من مرفوعٍ بالباطل خفضَتْه، ومخفوضٍ بعوامل النصب رفعَتْه.

نظر في العلوم الإسلامية، فاستخلص الزبد من لبنه، وأسس قواعدها بجواهر الشرع لا بآجرة ولَبِـنِه، ومع ذلك يقوم الليل إلا قليلا، ويقطع أيامه صلاةً وتلاوةً وتسبيحاً وتكبيراً وتهليلاً، وقد ظهرت عليه آثاره، وزهرت على جبينه أنواره.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٢٩) (٢٥٥)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٢١) (٤٨)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٣٠٩) (٢٤)، «البدر الطالع» (١/ ٥٨)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤١٨).

كان من خواص الإمـام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وأكبر وزرائه، وعمدته عليه في سائر شؤونه وآرائه، بل هو كان المدبر لمملكته، والمقوي لشـوكته، ثم من بعد صـار عنـد أخيـه الإمام المتوكل على الله تعالى أعظمَ الوزراء، فهو عُذَيقها المرجَّب، وجُذَيلها المحكَّك.

مولده في ثاني شعبان، سنة سبع وألـف، ورباه والده، وأقرأه العلوم النافعة، ثم لازم عدة من الشيوخ الجلة، حتى سبق في العلوم، وتخرج بـه علمـاء كمـلاء، ولم يزل على سيـرةٍ حسنـةٍ، وحالةٍ مستحسنةٍ، حتى توفي بـ«شهارة»، يوم الثلاثاء، سادس عشر محرم، سنة تسع وسبعين وألف، وقبره بجوار الإمام القاسم والمؤيد بالله ـ رحمهم الله ـ، ورثاه القاضي أحمد بن أبي الرجال بقصيدةٍ مطلعها:

رويـدَكُما فالـصبر لا أسـتطيعهُ ... تمنَّـعَ قلبـي وكـان يطيعُـهُ
وقد كنتُ جَلْداً يألف الصبر خاطري ... يقولـون لـي رحـبُ الجنـانِ وَسـيعُهُ
فها أنا يرثي لي عدوي من الأسـى ... فـؤادي ثـوى بـالجحيم طلوعُـهُ
وذاب فـؤادي بالـدموع نجيعُـه ... فهذا فـؤادي فـي عيـوني جميعُـهُ
يحـق لمثلـي مـا لقيـتُ وإنـه ... ليخفى على غيـري فلست أذيعُـهُ
فلولا دموعُ العين أبدتْ سـرائري ... كتمتُ ولكن ضـرَّ سـري دموعُـهُ
وهـل ينبغـي لـي أَن أرى متبـسماً ... وقد هُدَّ من حصن الكمـال منيعُـهُ
وقـد كـان بحـراً لا يجـف عُبابـهُ ... وقـد كـان بـدراً لا يـزال سـطوعُهُ
يتـرجم عـن آي الكتـاب بمنطـق ... يزيـد علـى نظـم البـديع بديعُـهُ
فيظهـر مـن سـرِّ الكتـاب عجائبـاً ... إذا مـا رآهـا الألمعـيُّ تروعُـهُ

ووالله ما أغرقتُ في وصف حالِه ... وذلك أدنى الوصل كيف رفيعُه

منها:

وتوفيق ربٍّ لم يفارقه ساعةً ... إذا نام فالتوفيقُ ذاك ضجيعُهُ
تنوح عليه الصالحاتُ جميعُها ... نُواحَ ذليل هدّ منه منيعُهُ
وتبكي عليه المَكرماتُ لأنها ... صنيعَتُه فليبك فيه صنيعُهُ
وتبكي محاريبٌ بها كان باكياً ... وكان بها جنحَ الظلام ركوعُهُ
وتبكيه أعوادُ المنابر كلُّها ... فما منبرٌ إلا بكته فروعُهُ
لعَمْريَ لم أسمع خطابةَ خاطبٍ ... تشابهه ألفاظُه وخشوعُهُ
دعوني وشأني فالبكاءُ بعضُ حقِّه ... ولم يقض حقاً من تفيض دموعُهُ
وما أنا والسلوان لو كان مُسعدي ... وأملكه ملكاً لكنت أبيعُهُ
ولكنَّ لي عند الحوادث أسوةً ... إذا ذكرت في الخطب هان قطيعُهُ
مماتُ صفيِّ الدين والآلِ بعدَه ... ولي أملٌ أن النبيَّ شفيعُهُ
عليه سلامُ الله ما عقب الضحى ... ظلاماً وما وافى بليل هَزيعُهُ

[٤٧٦] أحمد بن صالح العَنْس(١).

كان من أجلاء العلماء وخيارهم، وأهل الالتفات إلى الله، والحلم الكثير، والعقل الراجح، وشاهدُ ذلك: زهدُه في هذه العاجلة، وكان من خواص السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم، وعيبة سره، وقرينه في قراءته على الشيخ لطف الله بن الغياث.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٤٧) (٥٣).

ثم انقطع للعبادة ببئر العزب، غربي صنعاء، واشتغل بجليل الكلام ودقيقه، وتذكر قول قاضي القضاة: إن الفقه قد يقرؤه أهله لمقاصد، وأما علوم التوحيد، فليست إلا لله، و«شرح كتاب الرياضة».

توفي في شهر صفر، سنة تسع وستين وألف، ودفن بخزيمة، قريباً من قبر السيد محمد المفتي - رحمهم الله تعالى -.

[٤٧٧] أحمد بن تاج الدين بن محمد بن أحمد الكفرسوسي الأصل، المدني المنشأ والمولد[١].

رئيس المؤذنين بالمسجد الحرام النبوي - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام -، ممن نشأ في حجر النباهة، ورضع ثدي الوجاهة، من لدن صباه إلى كبره، كان فاضلاً مفتياً، في علوم كثيرة، ومهر في علم الحساب، والميقات والتنجيم، وانفرد بمعرفة علم السيميا، والزيارج، والحدثان، بطرقٍ متعددةٍ، فنال بذلك وجاهة عند الأمراء، وأرباب المناصب، ذا فهمٍ ثاقبٍ، وحذقٍ عجيبٍ.

أخذ العلوم المذكورة، والأزياج والحرف والتقويم، وأكثر الرياضات عن والده، وعن الرئيس عبد السلام الزمزمي المكي، وأخذ علوم الحديث عن محمد بن علان، والطريق عن محمد القشاشي.

ذكر الشيخ عبدالله العياشي: أنه أخبره: أنه رأى في صغره في المنام: أنه دخل بستاناً، وقيل له: هذا بستان العلوم، فرأى فيه أشجاراً كثيرةً، كل شجرةٍ تنسب إلى علم من العلوم.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٩).

قال: فإذا شجرة لقيتني، وأنا داخل من باب البستان، شجرة علم النحو، فإذا ساقها الكلام، كأنه مكتوبٌ مستطيلاً مرتفعاً في الهواء، وتفرعت من ذلك الساق أغصانٌ ثلاثة، أحدها: اسمٌ، وثانيها: فعلٌ، وثالثها: حرفٌ، كأنها مكتوبةٌ أيضاً على هيئة الساق المتقدم، ثم تفرع ساق الاسم إلى فروعٍ كثيرةٍ، من معربٍ ومبني، ومعرفةٍ ونكرةٍ، ومشتقٍّ وجامدٍ، إلى غير ذلك، وكل فرعٍ ينقسم إلى فروع آخر العلوم، وهلم جراً، ثم الفعل كذلك، ثم الحرف، إلى أن كمل فن النحو كله، وكذا أشجار سائر العلوم.

قال: وبقيت صورة ذلك منقوشةً في خاطري، وإني أشاهدها الآن، قال: ولما استيقظت، قصصت الرؤيا على والدي، فاستبشر بها، قال: ولم أزل من ذلك الوقت يختلج في خاطري تصنيف كتابٍ جامعٍ للعلوم التي رأيت في الرؤيا، أسميه بالاسم الذي ذكر لي في الرؤيا، وأرتبه على ترتيب ما رأيت.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ونظمٌ ونثرٌ حسنٌ، منها: «شرحٌ حسنٌ على منية الحساب» لابن غازي، وهو حافلٌ، وتذكرةٌ جمع فيها فوائد كثيرة، وسماها: «السفينة»، قال: لأن السفينة تحمل أصناف المتاع، من دنيٍّ وسنيٍّ.

توفي بمكة، يوم الأحد، سادس عشري شعبان، سنة ثمانين بعد الألف، ودفن بالمعلاة.

ولما قدم المدينة الشيخ عبدالله العياشي، كتب إليه هذه الأبيات، يطلب منه عارية بعض الكتب، وكانت عنده خزانة كتبٍ كثيرة، وهي قوله:

شهاب الدين مولانا ابن تاجِهْ فنعمَ التاجُ أنجب في نتاجِهْ

شهابٌ من سما العلوم يهوي | لإحراق الجلالة باحتجاجِهْ
فكم من معضل قد حار فيه | أساةُ الكلم زال لدى علاجِهْ
وكم من مهمهٍ كانت سلوكاً | به العلماءُ خيم في فجاجِهْ
وكم علمٍ وحلم في حياء | ولين القول رُكِّبَ في مزاجِهْ
له ذهنٌ توقد من ذكاء | فكلُّ العلم يُقبس من سراجِهْ
غدا فرداً فسدَّ مسدَّ جمعٍ | لمن قد أمّه في نيل حاجِهْ
عليكَ به إذا ما رمتَ علماً | ودعْ عنك المعاندَ في لجاجِهْ
فنورُ علومه في ليلِ جهلٍ | يضيء لمن قد توغَّل في إدلاجِهْ
قد احتجْنا لكُتبٍ منك تأتي | ومثلُك أنت يوثر في احتياجِهْ
وعذراً في التخلفِ عن لقاكم | وذلك للحشا أقصى ابتهاجِهْ
وللمعذور وقت. . .[1] لا | يطيق المرء ذاك مع انزعاجِهْ
أيا من قد تفرَّد في علاه | بخُلقٍ كالصباح لدى انبلاجِهْ
عليكَ تحيةٌ مني فقابلْ | ثنائي بالقَبول على اعوجاجِهْ

[٤٧٨] أحمد بن صلاح بن الهادي.

ذو المكارم السائرة، والمحاسن الظاهرة، وله من بديع النظم ما يفوق الرياض البهية؛ كالأبيات الرائية، التي يعاتب بها العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المَهَلاَّ الشرفي، من تأخر المعاهدة، **وأولها:**

أما وجيشِ غرامٍ حلَّ ناصرهُ | ما مِلتُ عن صدقِ وُدٍّ ملّ ناصرُهُ

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل رسمت على شكل قبله من دون فقط.

ولا صـرمتُ حبـال الـودِّ مقتفيـاً … آثـارَ مـن حـل بالـسلوان خـاطرُهُ
ولا تناسيتُ عهـداً لـم يحـل أبـداً … ولا يحـــل وإن بانـــت مظـــاهرُهُ
وذاك من شيمتي لكنَّ من عجبي … لناصـــرٍ عجـــزت عنـــي مـــصادرُهُ

وهي طويلةٌ.

وأول جواب الناصر: قوله في خلال نزول الغيث، واستمر أياماً:

وافـــى النظـــام فمـــا درٌّ ينـــاظرُه … ولا يدانيـه زهـرُ الـروض ناضـرُهُ
أزرى بمفتـر زهـر الـروض بـاكره … في تاسع الشهر شـهرِ الخير مـاطرُهُ
تـراكم الـسحب فانهلـت مـواطرُه … عـمَّ الـبلاد ويتلـو ذاك عاشـرُهُ
ويوم حـادي أتـى فـي ليلـة مطـرٌ … ثـم اسـتمر إلـى أن جـاء بـاكرُهُ
فاهتزت الأرضُ من وكَافِهِ وربـتْ … وأنبتـــت كـــلَّ زوج فـــاح ناشـــرُهُ
هذي الحدائقُ من أعنابنـا رُويـت … لله أحـــلام مـــن فاقـــت مـــساطرُهُ

ومنها:

هـذا وعاتبـت فيـه مـن صَـداقته … صدقٌ ومن هو صافي الودِّ عـامرُهُ
دلَّ العتابُ علـى صـافي ودادِكـم … والخِلُّ كالماء تبـدو لـي ضـمائرُهُ

وهي طويلةٌ رائعةٌ بديعةٌ، ولولا خوف الإطالة، لأوردت من مجراته الدائرة بين أهل مودته شيئاً كثيراً.

ومن شعره: ما كتبه إلى شيخنا الحسين بن الناصر المهلا:

إليكَ اشتياقي لا إلى الربـع والمَغْنَـى … شديدٌ وحقِّ الحقِّ ربـي الـذي أغنـى

وأقنى ومن للكون كان مكوناً ... ومن هو حيٌّ دائمٌ قَطُّ لا يفنى
بأني على العهد الذي قد عهدتَه ... قديماً مقيمٌ ما تدومُ وما دمنا
أخي عمدتي خِلِّي خليلي الذي حوت ... خلائقُه الحُسنى إلى يُمنها يُمنا
إليك سلامي وهو لم يكن نافعي ... إذا لم أقبّل بعدَه كَفَّكَ اليُمنى
وإني لأرجو أن أراك بحضرتي ... وأشهدَ يوماً بالسنا وجهك الأسنى

ومنها:

فهاك حسين مثل ما قد رقمته ... .[1]
وأبلغ أباك البحر عني تحيةً ... فُرادى وَكرِّرْها على سمعِه مَثْنى
وقل إن شوقي أيّ شوقٍ غدا له ... وفرط التياعي بالأعنة لا يُثنى

[٤٧٩] أحمد نظام الدين الأمير ابن الأمير محمد معصوم بن نظام الدين أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن صدر الدين محمد بن غياث الدين منصور، وأمه الشريفة فاطمة بنت السيد العلامة نصير الدين إبراهيم ابن سلام الله بن مسعود بن صدر الدين محمد بن غياث الدين منصور، وتقدم رفع بقية النسب، في ترجمة جده أحمد نظام الدين بن إبراهيم، وأم فاطمة بنت سلطان بن إبراهيم مرزا الحسيني الصفوي الموسوي[2].

قال ولده السيد علي في كتاب «سلافة العصر في محاسن أخبار أهل

---

(١) جاء في الحاشية: «لم تذكر الشطرة الثانية بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٧٨) (٢٩٥)، «سلافة العصر» (١٠)، «البدر الطالع» (١/ ٩٨)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٣٢٧) (٢٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٠٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٩).

العصر»: ناشر علمٍ وعَلم، وشاهر سيفٍ وقلم، وراقي ربى نجد، من سامي علا ومجد، إمام بن إمام، وهمام بن همام، وكفى شاهداً على هذا المرام، قول بعض أجداده الكرام: ليس في نسبنا إلا ذو فضل وحلم، حتى تقف على باب مدينة العلم.

وهذا فرع طاب أصله، ومبرز أحرز فضله، طلع في الدهر غـرة، ملأ العيون قرة، فألقت إليـه الرياسة قيادها، وأقامت به السيادة منآدها، فأصبح ومرتبته العلياء، وعبده الدهـر، وأَمَتـه الدنيا، إلى علمٍ بهرت حجته كالبحر زخرت لجتـه قـذف دُرّاً، فكشف ضراً، وناهيك بمعرق أصل، وذي منطق فصل، وأنا متى نعَتُّ حسبه، فإنما أنعتُ مجدي، ومتى وصفت نسبه، فإنما أصف أبي وجدي، بيد أن أقول، وإن رغم كل أبي: شعر:

هذا أبـي حـين يُعـزى سـيدٌ لأبٍ هيهاتَ ما للورى يا دهرُ مثلُ أبـي

مولده ومنشؤه الطائف بالحجاز، والقطر الذي هو موطن الشرف على الحقيقة وسواه المجاز، سنة سبع وعشرين بعد الألف، وربي في حجر الحجر، وغذي بَدرِّ زمزم، فغرد طائرُ يمنـه على فَنَن سعـده وزمزم، ولما ضاع أرجُ ذكره نشرَا، وتهلل محيًا الوجـود بفضله بِشْرَا، وغار صيتـه وأنجد، وأذعن لمجده كل همام أمجد، عشقت أوصافَه الأسماع، وتطابق على نبله العيـانُ والسماع، فاستهداه مولانا السلطان إلى حضرته الشريفة، واستدعاه إلى سدنه الوريفة، فدخل الديار الهندية عام خمسة وخمسين وألف، فأملكه من عامِهِ ابنتَه، وأمكنه من إنعامِهِ جنتَه.

وهناك امتـد في الدنيا باعُـه، وعمـرت بإقباله رباعُه، وقصده الغادي

والرائح، وخدمته القرائح بالمدائح، فهو يتجلى مع محتده الطاهر، ومفخره الباهر الظاهر، بفضلٍ تثنى عليه الخناصر، وتثني عليه العناصر، وأدبٍ تشهد به الأقلام، وتشحذ به أسنة الإقدام.

قلت: قد ذكر ـ في كتابه المذكور ـ كثيراً من مدائح الشعراء فيه، وجملةً كافيةً من شعره، وقطعاً بديعةً من نثره، ومراده بالسلطان الذي استدعاه إليه، وزوجه بنته، وضمه إليه: شاهنشاه عبدالله بن محمد قطب شاه، ملك حيدر آباد، وما والاها من البلاد، وقد انتهت إليه؛ بسبب تقربه إلى السلطان، بتلك الأرض الرياسة، ووفد إليه، وقصده الناس من أقصى البلاد النائية، وساس أحسن سياسة، حتى أدرك السلطان أجله، فتولى الملك بعده ـ في قصةٍ يطول شرحها ـ أبو الحسن قريب الملك المذكور، وصهره على ابنته الأخرى، فألزم صاحب الترجمة بيته إلى أن وافاه أجله، ولقي ما عمله، فكانت سنة وفاته سنة ست وثمانين بعد الألف، بحيدر آباد.

ومما اخترته من شعره: قوله:

مثيـر غـرام المسـتهام ووجـدِه ... وبيض سرى من غَور سَلْعٍ ونَجْدِهِ
وبـات بـأعلى الـرقمتين التهابـه ... فظـل كئيبـاً مـن تـذكر عهـدِه
يحنّ إلـى نحـو اللِّـوَى وطُويلـعٍ ... وبانـاتِ نجـدٍ والحجـاز ورنـدِه
وضالٍ بذات الضالِ مزح غـصونه ... تفيـأه ظبـيٌ يمـيس بـبـردِه
يغارُ إذا مـا قـستَ بالبـدر وجَهـه ... ويغـضبُ إذ شـبهت ورداً بخَـدِه
كثيـرُ التجنـي ذو قـوامٍ مهفهـفٍ ... صـيغ المحيـا لـيس يـوفي بوعـدِه
مليـحٌ تـسـامى بالملاحـة مفـرداً ... كشمس الضحى كالبدر في برج سعدِه

ثنايـــاه بـــرقٌ والـــصباحُ جبينـــهُ وأمــا الثريــا فقــد أُنيطــت بعقــدِهِ
فمن وصــله سكنى الجنــان وطيبُهــا ولكــنْ لَظَــى النيــران مــن نــار صدِّهِ
تــراءى لنــا بالجيــدِ كــالظبي تالعــاً أسارى الهوى من حكمه بعضُ جنـدِهِ
روى حــسنَه أهــلُ الغــرام وكلُّهــم يتيــه إذا مــا شــاهدوا ليــل جَعْـدِهِ
يُعنعن علـمَ الـسحر هــاروتُ لحظِه ويــروي عــن الرمــان كاعــبُ نهـدِهِ
مــضاءُ اليمانيــاتِ دون لِحاظــه وقفــلُ الردينيــاتِ مــن دون بعــدِهِ
إذا ما نضاعن وجهه البـدرِ حجبَه صبا كلُّ ذي نـسكٍ مـلازمُ زهـدِهِ
ورأي محيًا قاصـراً عنـه كـلُّ مَـن أراد لــه نعتــاً بتوصــيف حــدِّهِ
هو الحسنُ بل حسنُ الورى منه مُجتنًى وكلُّهـــم يعـــزى لجـــوهرِ فـــردِهِ
وما تفعل الراحُ العتيقةُ بعـضَ مـا بمبــسمِه بالمحتــسي صــفوَ ودِّهِ

وقوله في مليحٍ اعتلّ طرفه:

يــــا جــــوهراً فــــرداً عــــلا مــــن أيــــن جــاءك ذا العَـــرَضْ
وعـــلامَ طرفُـــك ذا المريـــ ـــض أعلّـــه هـــذا المـــرضْ
عهـــدي بـــه ممـــا يـــصيـ ـــب فكيـف صـارَ هـو الغَـرَضْ
هـــا قلبـــيَ المعمـــودُ نـــصـ ـــبٌ للنوائـــب يـــرتكضْ
فاجعلـــه يـاكـــلَّ المُنَـــى بـــدلاً لمـــا بـــكَ أو عِـــوَضْ
فاســـلمْ مـــدى الأيـــام يـــا ذا الحـــسنِ مـــا بـــرقٌ وَمَـــضْ
فمـــذِ اعتللـــتَ أخـــا المهـــا فـي الطـرفِ مـا طرفـي غَمَـضْ
ونحيـــلُ جـــسمي مـــذ ونيــ ـــتَ وحـــقِّ عينِـك مـا نهـضْ

أنــت المــرادُ ولــيس لــي   فـي غيـر وصـفِك مـن غـرضْ

[٤٨٠] **أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن المعروف بأبي الرجال بن سرح بن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن أمير المؤمنين أبي حفص عمر ابن الخطاب ﷺ**[1].

قد أفرد ترجمته في مؤلفٍ أخوه محمد بن صالح، قال فيه: كان مجده كلمة إجماع، وفضله موصول السند بلا إعضال ولا انقطاع، جمع خصال الكمال، وكمال الخصال، على جلالة قدر، ونباهة شأن، وعلو كلمةٍ، مع صدق اللهجة، وطهارة المهجة، قلّما قعد في محفل، إلا وكان بـه صدراً، وقلّما برز في ليل مشكلات الأمـور، إلا وأضاء بـه بدراً، وله في العلم اليد الطولى، والسابقـة الأولى، فقـد جنى أزهـارَه وأثمـاره، وأفنى فيـه أصائله وأسحارَه، وحقق دقائق الفنون، ودقق معلومها والمظنون:

ما زال يـسبق حتـى قـال حاسـدُه   لـه طريـقٌ إلـى العليـاء مختـصَرُ

جمع أشتات المحامد، وقيد أوابـد الفوائد، ونقد الصحيح من أقوال العلمـاء وزيف الفاسد، يغرف من بحر لا تكـدره الدلاء، ويملي من سبب تقاصر عنه الأنواء، مع عبادةٍ وزهادةٍ، وعنايـةٍ بالمسلمين وسعادة، اختص

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٠)، «البدر الطالع» (١/ ٥٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ١٣٧) (٥٢)، «هديـة العـارفين» (١/ ١٦٢)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٤٤٣).

بها من العزيز الرحيم، ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[البقرة: ١٠٥]، وكان أحسن الناس خلقاً، وأسهلهم جانباً، وأكرمهم نفساً، صدقاته وأياديه تفيض على الأقارب والأباعد، صاحب حميةٍ على الإسلام، وحمايةٍ من كل معاند، فكم له من يدٍ في نصرة الحق، والتكلم بالصدق وإن شق! وكم حل بفطنته الوقادة من مشكل، وكم جلّى بحميد سعيه من خطب معضل:

قاضٍ إذا اشتبه الأمرانِ عَنَّ له ... رأيٌ يفرِّقُ بين الماء واللبنِ
القائلُ الصدقَ فيه ما يضر به ... والواحدُ الحالتين السرِّ والعلنِ

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ عذب الفكاهة، كريم السجية، حلو الحديث، حافظاً للأنساب والتاريخ، قديمها والحديث، إذا رويت له قصةٌ أو نكتةٌ من الماجريات، أتى لها بأمثالٍ من حفظه، ونظائرَ تعجب سامعه، ويحقق كم ترك الأولُ للآخر، محبوباً عند كل أحد، وإن لم يخل فاضل من حسد.

وكان محمود السيرة، ماضي الكلمة، شديد العزيمة، نافذ الفهم في الأمور والبصيرة، واسع الأخلاق، قلت ذلك والنقاد بصير، ولا ينبيك مثل خبير، وكان لكمال مجده يعدُّ في العلماء، ويعد من القادات الرؤساء، وفي أكابر الوزراء، أو أعيان الكتاب للإنشاء، مع أن أرباب الآداب لهم منه أوفر نصيب، وله اصطبار على مجاحمة الأمور الكبيرة، ومصاولة الأمور الخطيرة.

واختص بالإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان عَيبة سره، ووزيره في نهيه وأمره، وكان يعتمد عليه في الخطابة والكتابة، ويستعين به فيما يرد من السؤالات من الأقطار، لما تحقق منه الإصابة، فنصح له ولرسوله

ولإمامه، ونال من السعادة غاية سؤله ومنتهى مراده، وحفظه وذكاؤه ما لا يختلف فيه اثنان، وأما بلاغته، فقد عرفت في خطبه ورسائله، وفتاويه ومحاوراته، وعلى الجملة: فخلائقه غرر وحجول، وطرائقه مما يَعْرُض شرحُ محاسنها ويطول:

عقـمَ النـساءُ فـلا يلـدْنَ كمثلـه　　　إن النـــساءَ بمثلـــهِ عُقْـــمُ

ولو استوعبت صفاته، لطال المجرى وتوسَّع، وإن كان ذلك ذكر نعمان الذي هو المسك الذي ما كررته يتضوَّع، ولكني أميل إلى الاختصار، وأجنح إلى الاقتصاد والاقصار.

مولده ليلة الجمعة، إحدى ليالي شعبان، سنة تسع وعشرين وألف، بالشبط من بلاد ذَرْى، من جهات الأهنوم.

وقرأ على مشايخ أجلاء، وسبق في العلوم وجلَّى، وأكثر الترحال إلى جهة اليمن ومدنه، ولازم حضرة الإمام المتوكل على الله، وكان مقامه مثابة للعلماء الشاسعين، فضلاً عن الأدنين.

فمن أجل شيوخه: الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، أقام بحضرته في «شهارة» مدة للقراءة عليه، وعلى غيره، ولازم مجلسه، وكان إذا غاب، عاتبه، فسمع عليه: «مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم»، و«أمالي المؤيد بالله»، و«أمالي أبي طالب»، و«تذكرة الفقه» للعلامة الحسن بن محمد النحوي، وكتاب «الثمرات» للعلامة يوسف بن أحمد، و«ذخائر القربى»، و«المدخل في أصول الفقه»، وغير ذلك.

ثم الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، لازمه من عام أربعة

وخمسين إلى أن فارق الدنيا، وقرأ عليه عـدة كتب، منها: كتاب «الأحكام للإمام الهادي»، و«شرح التجريد» للمؤيد بالله، و«أصول الأحكام» للإمـام أحمد بن سليمان، و«البحر» ثلاث مرات، و«الثمرات» للفقيه يوسف، و«الغيث» للإمام المهدي، و«البيان» لابن مظفر، و«شرح الأثمار» لابن بهران، و«شرح الفتح».

وسمع عليه من «الكشاف» من سورة الروم إلى آخره، مع إحضار جميع الحواشي الموجودة في اليمن، وفي بعضها يحضر «تفسير البيضاوي» وحواشيه أيضاً، وقرأ عليه «البخاري» مرتين، آخرهما إلى البيع، و«صحيح مسلم» بقراءة إبراهيـم بن الحسـن بن سـعيد العيزري، وسـمع عليـه «سلاح المؤمن» في الأدعية، و«زاد المعاد» لابن قيم الجوزية، وكثيراً من «إغاثة اللهفان» له، في منزل الكتب الذي كان له بدرب الأمير، المعروف ببيت القابعي.

وسمع عليه كتاب ابن القيم في «الرد على المنجمين» بمحروس الدامغ بضوران، وكتاب الإمام يحيى شرف الدين، في «سد الأبواب إلا باب علي كرم ـ الله وجهه ـ»، و«الفصول اللؤلئية» وكثيراً من «المنهل الصافي»، و«نهج البلاغة» مرات، و«أمالي أبي طالب»، و«سلسلة الإبريز»، و«أمالي أحمد بن عيسى»، وكتاب «العلم» للقـاضي جعفـر، و«سيرة ابن هشام»، وكثيـراً من «مغني اللبيب» في النحو، وكتاب الإمام المنصور بالله، الذي صنفه في «الفرق بين الإمامية والزيدية»، و«التحذير من الانخداع»، و«التفصيل في التفضيل»، وغير ذلك من الكتب.

ثم السيد العلامة المحقق صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، قـرأ عليـه: «الخبيصي»، و«شرح التلخيص» للسعـد،

و«المعيار» للإمام المهدي، مع إملاء «المنهاج»، و«القسطاس»، ومن تفسير «جامع البيان» جميع تفسير الزهراوين بطهران من ناحية الحرجة، و«كتاب ابن هبة الله في الناسخ والمنسوخ»، و«القصص الحق المبين في النعي على أمير المؤمنين»، وغير ذلك.

ثم العلامة السيد عز الدين بن ذريب.

ثم السيد المتأله الرباني المحقق جمال الدين الهادي بن عبد النبي بن حَطَبَة، وطالما أنهلَه وعلَّه من معين علومه، وكان ذكياً فريداً.

ثم السيد عضد الخلافة محمد بن الحسن بن القاسم، سمع عليه كتاب «ينابيع النصيحة» للأمير الحسين، بمدينة «أب»، وحضر عنده في «التذكرة»، و«أصول الأحكام»، وفي عدة كتب، في فنون.

ومن شيوخه: محمد بن عز الدين المفتي، والقاضي العلامة أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد المِسْوَري، لازمه سنين، وقرأ عليه كتباً كثيرةً يطول ذكرها.

ومنهم: العلامة إبراهيم بن يحيى الشحري، المعروف بالسحولي.

ومنهم: أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل، وأخوه حافظ المذهب، عبد القادر بن سعيد الهبل.

ومنهم: الإمام العلامة محمد بن الهادي بن محمد بن علي بن محمد ابن سليمان بن أبي الرجال، وكان هو المتولي تربيته، واشتهر على لسان أهل عصره بأنه من الأبدال، وكان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، وقرأ عليه كتباً كثيرةً أيضاً.

ومن شيوخه في العربية: محمد بن يحيى الكليبي القضاعي، ومحمد ابن جعفر، ومحمد بن الحاج أحمد دعيش العشميّ، والسيد عز الدين بن علي العبالي، والقاضي العلامة محمد بن عبدالله بن المهلا النيساي، قرأ عليه كتباً منها: قصيدة الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش، وتخميسها للسيد العلامة صالح بن عبدالله بن مُفَل القاسمي، وأول القصيدة وتخميسها:

إن رمتَ أشرفَ ما تعلو بمطلبه ... وتكسبَ الحمدَ من مكنونِ مكسبهِ
وفيك للمجد نهجٌ غير مشتبهٍ ... فاجهد لكل الذي يرضى الإلهُ بهِ
وحبلُ عمرِك بالآمال موصولُ

ومنهم: العلامة الناصر بن عبد الحفيط المهلا، قرأ عليه في علوم القراءة، وكتب له إجازةً، قال في أولها:

سألتني يا بنَ أبي الرجال ... يا سامياً في رتبِ الكمالِ
وأنتَ في هذا السؤال عندي ... كسائلٍ كيف طريقُ نجدِ
أهلْ طويلٌ ذاكَ أم قصيرُ ... تعلّلاً وهو بها خبيرُ

وقرأ في علوم القراءات أيضاً على محمد بن صالح الأصابي، وعلي الحرازي، وعلى سعيد السريحي.

ومن شيوخه: محمد بن عيسى شجاع الشُّقَيقي ـ بضم الشين المعجمة بعدها قافان بينهما تحتية بصيغة التصغير ـ من أهل المخلاف السليماني، والعلامة حسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي، قرأ عليهما بصعدة، وأخذ «حزب النووي» عن الرئيس أحمد بن عامر الجماعي.

وأما شيوخه في الفقه، فكثيرون، منهم: العلامة محمد بن صالح بن عبدالله بن حنش، والعلامة الحسين بن محمد البشاري، والحسين بن علي الشركاني، وأحمد بن صالح الغوري، والسيد العلامة محمد بن يحيى الظفيري الغُزْباني، والعلامة إبراهيم بن الحسن الفيزري، وأحمد بن صالح الحري الشرفي، ومحمد بن عبدالله الآنسي، من علماء مسطح، والحسين بن يحيى السحولي، والسيد العلامة محمد بن الهادي بن حجاف الحبوري، وشرف الإسلام الحسن بن أحمد الحيمي، وكان لا يفارقه، والعلامة الحسن بن يحيى ابن أحمد بن حابس، قرأ عليه علوم العربية.

ومن شيوخه: الوجيه محمد بن أحمد الزبيدي، من ساكني صنعاء.

ومنهم: أستاذ العصر عبد الرحمن بن محمد الحيمي، كان لا يفارقه أيام إقامته بصنعاء، وقرأ عليه كتباً حافلةً.

ومنهم: العلامة أحمد بن صالح العنسي، تلميذ الشيخ لطف الله بن الغياث الظفيري.

ومنهم: العلامة جمال الدين علي بن محمد بن سلامة.

وقرأ بمدينة أب، على العلامة عبد القادر الجعشني.

ومنهم: العلامة الفاضل علي بن صلاح القلاصي.

ومنهم: العلامة محمد بن إسماعيل البخاري، قرأ عليه بمدينة «أب» أيضاً كتباً عديدةً، وكتب له إجازةً حافلةً، وقرأ على السيد العلامة الحسن بن شمس الدين الحجاف، خال الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان سيداً جليل القدر، متعففاً متقللاً من الدنيا، محله محطُّ رحال الفضلاء من الغرباء وغيرهم.

وأخذ عن العلامة أحمد بن أحمد الشابي المغربي القيرواني، وكان من أعجب الأسباب أن المترجم حج عام ثلاثة وخمسين، وحج تلك السنة الشيخ المذكور، فاتفقا بين منى والمزدلفة، قال المترجم: فرأيته ينظر إلي كثيراً، ويسمع مني شيئاً كنت أذكر به من أدعية الحج، وتوهم أني من المغرب، وأنا نظرته، فقطعت أنه يودُّني وأودُّه، ثم رجعت إلى صنعاء، فلم نلبث بها إلا شهوراً، حتى ورد إليها، وسكن مسجد عقيل، وحف به الفضلاء، فأخذت عنه، وقرأت عليه «شفاء القاضي عياض»، وكتباً أخرى.

ومنهم: العلامة علي بن محمد بن مرجان الشافعي، قرأ عليه بتعز: «تيسير الربيع».

ومنهم: العلامة أحمد بن محمد القلعي، نسبةً إلى قلعة مصر، قدم صنعاء، قرأ عليه «ألفية الحافظ العراقي في علوم الحديث».

وأخذ بمكة عن خاتمة الحفاظ، شيخِنا محمد بن علاء الدين البابلي القاهري، وعن العلامة عيسى بن محمد الجعفري المغربي، والشيخ العلامة إبراهيم بن حسين بيري مفتي مكة، وأجازوه.

وله التصانيف النفيسة في فنون العلوم، نظماً ونثراً.

منها: «الموازين الرجيحة للبراهين الصريحة شرح العقيدة الصحيحة» للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

ومنها: تاريخه الذي لم يسبق إليه، وسماه: «مجمع البحور ومطالع البدور».

ومنها: «الهدية إلى من تحب والهداية إلى ما يحب».

ومنها: «تذكرة القلوب التي في الصدور في حياة الأجسام التي في القبور».

ومنها: «الجواب الشافي للصدي إلى عبد العزيز الضمدي».

ومنها: «بغية الطالب وسؤله في سبب نزول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥]».

ومنها: «إعلام الموالي بكلام ساداته الأعلام الموالي».

ومنها: كتاب «مجالس التفهم».

ومنها: «إنباء الأبناء بطريقة تبلغهم الحسنى» جامع نسب آل أبي الرجال.

ومنها: «مجاز من أراد الحقيقة».

ومنها: «الوجه الأوجه في حكم الزوج الذي ضيع الزوجة».

ومنها: «تيسير الشريعة لوارد الشريعة».

ومنها: «تيسير الأعلام بتراجم تراجمة التفسير الأعلام».

ومنها: «حاشية على الأزهار».

وله رسائل مشتملةٌ على علوم أكثرها لم يسمها.

وله النظم الذي يزري بسلك الدر، والنثر الذي يهزأ بالنجوم الزهر، وقد قلدتُ جيدَ هذه الترجمة من عقود نظمه، ما يروق في العيون النواظر، ويفوق الرياض النواضر، ولم يمدح أحداً من أهل زمانه، وإنما شعره في الإلهيات، والوسائل والنبويات والإخوانيات.

فمنه قوله:

بنـــور توحيـــدي وإشـــراقهِ أعـوذُ مـن ظلمـة ليـلِ الرمـوسْ

بحسن ظني عذتُ من خيبة ما بعدَها واللهِ في البؤسِ بوسْ

وقوله:

ولم أر كالخمول أراحَ قلبي وصيّر لي من الأعداء إلفا
وقد كانت أحبائي قليلاً وقد صاروا مع الإعراض ألفا
أقاموا السوقَ في ثلبي ونقصي وأخفوا في العلا ما ليس يَخْفى
كأعريةٍ على جملٍ صحيح يطلب فيه جرحاً وهو معفى
وقد طلبوا منازعتي وإني أُلَقَّى زحفهم في الفَيّ زحفا
كأكلبة على ميتٍ خبيثٍ ترى أصواتَها يرجفْنَ رجفا
ويأبى ذاك لي نسبٌ صميم شمخْتُ به على الأعداء أنفا
وتجربتي فقد جربتُ دهري وقد ذقتُ المرنَّق والمصفَّى
فما الأعمارُ توجب ذي البلايا فكم قبسٍ لطول الليل يطفى
ولي نفسٌ إلى العلياء تسمو ولكن مركبي في الدهر عجفا
أطالبها تحوزُ مدى المعالي فتخطَفُ هامة العَيُّوقِ خَطْفا
فتشكو رِكَّةً من ضعف مرعًى فعدتُ أسومُها هوناً وخسفا
إذا لم تسفف[1] الدنيا بسؤلٍ فلُذ بالصبر تُحْمَ إذاً وتُكفى

وقوله:

أنا أكرمُ الكرماء غيرَ مدافَع أعطي الذخائرَ والنفوسَ تبرُّعا

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: تُسعِف.

أو ما ترى عُمري النفيسَ ذهبتُه حتى غدا في التَّرهات موزَّعا
أعطيتُه من غير مسألة ولا لي شاكر هذا الضلال لمن وعى
يا ربِّ وفقني لحفظِ ودائعي يا من يجيب أخا الهموم إذا دعا

توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الثلاثاء، خامس شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وتسعين وألف، بصنعاء، وعمره اثنان وستون سنة وسبعة أشهر، وقبره بروضة حاتم، شرقي داره ـ رحمه الله تعالى ـ، ورثاه جماعة من الفضلاء بقصائد طنانةٍ، ذكرها المترجم له[1].

[٤٨١] أحمد المهدي لدين الله بن الحسن بن القاسم[2].

وبقية نسبه مذكورٌ في ترجمة جده القاسم، العلم الشهير، والملك الكبير، الذي ألقت إليه الرياسة زمامها، وصيرته المحامد في محراب الأماجد إمامها، وخيمت مضارب النبلاء بأعتابه، وأناخت ركائب الفضلاء برحابه، واتفقت القلوب على وده، وقام الإجماع على طلوع كوكب سعده.

قطب منطقة فلك الشرف الأسنى، ونقطة مركز دارة السؤدد العظمى، خلاصة الفروع الطاهرة العلوية، ونتيجة الأصول المقدسة النبوية، وبدر أفق السعادة، وشمس فلك السيادة، ذو الرياسة المتأصلة، والسيادة المتأثلة، الذي عمت أياديه كل حاضر وغائب، وجلا بهباته دياجي الغياهب.

كان هو ووالده وأخوه محمد أعيان عصرهم، وأئمة مصرهم، إذا ركبوا،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سبعة أثمان صفحة بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٠)، «البدر الطالع» (١/ ٤٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١١٢).

زانوا المواكب هيبةً، وإن جلسوا، كان صدور المجالس، وصاحب الترجمة من بينهم متقلب في النعم، مختال بين الخول والخدم، معقود عليه الخناصر، وكان يقال: إنه سيف آل القاسم الأكابر، ذو جـودٍ ونوال، وإجابة للسؤال، ومحاسن ومفاخـر، ومكارم ومآثر، وفعل خير موصوف، وميل إلى جهات البر والمعروف.

ولي الإمامة بعد عمه الإمام إسماعيل المتوكل، ولقب نفسه بالمهدي لدين الله، فقام بأمرها أحسن قيام، وانتظم به الأمر أحسن انتظام، وكان مهاباً عند الخاص والعام، وفي أثناء دعوته، دعا ابن عمه السيد القاسم ابن الإمام محمد المؤيد، وخطب له على منابر الشرفين والأهنوم وشهارة وظُلَيمة وحجة وأكثر التهايم، وبعد أمورٍ كثيرةٍ يطول شرحها، حصل الاتفاق على إمامة صاحب الترجمة، واجتماع كلمة اليمن إليه، ومن حينئذٍ نفذت كلمته، وعمت سطوته وهيبته، وأطاعته الأئمـة القاسميون، وصاروا إليـه من كل حـدب ينسلون، ووفدت إليه قبائل العرب الأعيان؛ كحاشد وبكيل وقحطان.

وقام بأعباء الإمامـة، وسلك طريق العدل والاستقامة، وتعهد أحوال الفُضَلاء، وعم برد ظل عدلـه المَلاَ، وسار سيرة الأئمـة الهادين؛ مِن تفقد الضعفاء والمساكين، وأمنت السبل، ووفدت السُّفَّار، من سائر الأقطار.

وكان ـ مـع اشتغالـه بأمور الرعايـا ـ منهمكاً على مطالعـة كتب العلم والأدب، وله ميل إلى الفُنون العلميـة، ومحاضرةٍ بديعةٍ سنيـةٍ، ولـه أشعارٌ حسانٌ، تتعطر بها الأردان، ومُدح، ووُفـد إليـه، وأثنى جميع الناس عليه، وألف الأدباء في سيره وأحواله مؤلفات، وبالجملة: فإنه كان من الآيات.

ولم يزل عليّ المقام، في أنسٍ ونظـامٍ، حتى وافاه الحِمـام، في ثاني وعشري جمادى الثاني، سنة اثنتين وتسعين بعد الألف، بالغراس التي اختطها صاحب الترجمة، شرقي صنعاء، وبها دفن، وقبره فيها مشهورٌ مزورٌ ـ رحمه الله وإيانا ـ آمين.

[٤٨٢] أحمد بن لطف الله السـنانيكي الرومـي، المولوي الصديقي الحنفي، الشهير بالمنجم[١].

أحد الأذكيـاء المشـهورين، والعلماء المحققين، له المهارة التامة في العلوم الرياضـية، حلـو المداعبة، عذب المـصاحبة، حسـن الخلق، كثير المحاسن، وله أيضاً مهارةٌ بالنحو والبيان، والأصول والمنطق، وله اليد الطولى في النحو، وحل الأزياج، والمعرفة التامة بالأدب والشعر والتاريخ.

قـرأ العلـوم ببلاده، وأخـذ عن شـيوخٍ كثيرين، منهم: السـيد خليل الموسوي، وبه تخرج في علوم المادة، ومنهم: شيخ الإسلام يحيى المنقاري، ومن في طبقتـه، وكانـت له الوجاهة، والرياسة العظيمة، والقبول التام عند السلطان محمد سلطان الروم، وصار رئيس المنجمين عنده، ولم يزل على ذلك، حتى خلع السلطان محمد، فتغير حاله، وصودر بمال كثير.

ثم قدم القاهـرة، ومكـث بهـا سنين، واجتمعـت بـه فيهـا، ثم جاور الحرمين، ولم يزل مدةً بمكة، ومدةً بالمدينة، ومدةً بالطائـف، وهو مكبٌّ على العلم وإفادته، وصحبتُه بمكة مدةً، ونعمَ الرجلُ كان.

حتى توفي يوم الأحد، تاسع وعشري رمضان، سنة ألف ومائة وثلاث

---

(١) «هدية العارفين» (١/ ١٦٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٩١).

عشرة، وصُلي عليه عصرها بالمسجد الحرام، وقد جاوز السبعين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: تاريخ حافل، و«حاشية على حاشية شرح الاستعارات للزيناري»، ورسائل مفيدةٌ في البيان، و«رسالة في آداب المطالعة»، وآثارٌ كثيرةٌ في فنون تدل على تمكنه ـ رحمه الله تعالى ـ[1].

[٤٨٣] أحمد بن أبي بكر السَّنَفي الخزرجي المالكي، الشهير بقَعُود، الحنفي[2].

كان إماماً عالماً كبيراً، ماهراً في فنون شتى، ناظماً ناثراً، قرأ على النجم الغيطي، والناصر اللقاني، ومَن في طبقتهما، وعنه: ولده أبو بكر، والشهاب الخفاجي، وكثير، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، نظماً ونثراً، منها: «منظومة في النحو»، و«منظومة في الزحافات والعلل العروضية»، وتذكرةٌ جمع فيها من لقيه من الشيوخ ومن عاصره، وكثيراً من نظمه البديع.

وسبب شهرته بقَعُود: أنه حج صحبة الأستاذ الشيخ محمد بن الحسن البكري، أركبه قعوداً كان الشيخ يركبه لأجل المنادمة في الطريق، فاتفق لما وصلا إلى المدينة، بعد تمام الحج، أن الجمال جاءهما وأخبرهما أن القعود مات، فتعب المترجم حينئذٍ، فقال له الشيخ: لا تتعب، نُركبك أحسن منه، فلم يفده، وذهب وهو متغير الحال إلى النبي ﷺ، وذكر ذلك تجاه الضريح،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحةٌ وثلث بياض بالأصل».

(٢) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ١٣٣) (١١٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٥٩)، «لفت النظر» للجيلاني (٥٩٢).

فما رجع إلا والجمال رجع متعجباً إلى الشيخ يخبره أن القعود حي، فأخبره بذلك، فسرّه، فاشتهر من ذلك الحين بقَعُود.

توفي سنة سبع بعد الألف.

ومن شعره مخاطباً للأستاذ محمد البكري من أبياتٍ:

أحـنّ إلـيكم كـلَّ يـوم وليلـة   ولا غروَ أن حنّ القعودُ إلى البكري

[٤٨٤] أحمد بن أبي بكر بن سالم بن أحمد بن شيخان باعلوي[1].

ورفع بقية نسبه في ترجمة ابن عمه محمد الشهاب، المقدَّم في العلوم الشرعيـة على أقرانـه، المنفرد بالفنـون الأدبيـة في زمانه، لا يشق له غبار، ولا يجري معـه غيـره في مضمار، إلى مكارم شيمٍ وأخلاق، هي من أنفس الذخائر أعلاق، وصفاء باطنٍ وظاهر، وناهيك بفرع ينتهي إلى ذلك الأصل الطاهر.

وُلد ـ كما أخبرني من لفظه ـ في شهر رجب، سنة تسع وأربعين وألف بمكة، وبها نشأ في حجر الفضل والمجد، وانتشق عَرْفَ خزامى تهامة، وشَميمَ عَرارِ نجـد، وتربى في كنف والده، وجمع بين خالد المجد وتالده، وحفظ القرآن العظيم، و«الإرشاد»، وبعض «المنهج»، و«ألفية الحافظ العراقي» في أصول الحديث، و«ألفية ابن مالك»، وغير ذلك من الرسائل.

ولازم أباه، وأخذ عنـه الطريق المسلسل سندها الفاخر، من كابر عن كابر، ولبس منه الخرقة الشريفة، وتلقن الذكر والمصافحة والمشابكة، ولازم

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٠٥).

الشيخ عبدالله بن سعيد باقشير في دروسه، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي، والشيخ علي بن جمال، والشيخ أحمد بن عبد الرؤوف، وعبدالله ابن الطاهر العباسي.

وحضر دروس العلامة عيسى المغربي، وأخذ عن العارف بالله عبد الرحمن المغربي، وألبسه الخرقة الأنيقة، ثم لازم محمد بن محمد بن سليمان المغربي ملازمةً تامةً، وأتقن عدة فنون، منها: الحديث والفقه، والأصول والعربية، وعلم الفرائض والحساب والميقات، والمعاني والبيان والعروض، وأمره شيخه محمد بن سليمان بالتدريس، فجلس بالحرم الشريف للنفع العام، وأخذ عن أحمد البشبيشي لما قدم مكة في حجته الأولى، وأجازه بمروياته.

وكانت له همةٌ تزاحم الأفلاك، وتراغم بعلو قدرها الأملاك، ونثرٌ وإنشاءٌ وجيز المعاني، يغني عن الروضة والأغاني، ونظمٌ رفع به إلى القريض راية، إلى أدبٍ لم يقصر في مداه عن غاية، وهدي وسنة ساد، وصلاح أسس بنيانه وشاد، وأدبٍ حلى به عواطل الأجياد.

وصنف عدة رسائل وتعاليق، واختصر تاريخ القطبي المسمى: «البرق اليماني»، وزاد فيه زيادات، ولكن لم تطل مدته، ومن ثم لم تتسع ترجمته، ولم يزل يكتب ويجمع، ويقرأ ويسمع، على صراط مستقيم، وسنن قويم، إلى أن دعاه داعي المنون وناداه، فأجابه ولباه، فانتقل إلى رحمة الله يوم الجمعة، سابع عشر ربيع الثاني، سنة إحدى وتسعين وألف، ودفن بالمعلاة، بالحوطة عند قبور سلفه ـ رحمهم الله ـ.

ورثاه صاحبنا الشيخ علي السنجاري بقصيدةٍ تكتب من ديوانه.

وكتب لصاحبنا سراج الدين عمر بن سليم إلى اليمن، يخبره بوفاة أخيه سالم بقوله:

رَمضانُ وأيُّما رمضانِ ... وأنا فيه مَسَّني مرضانِ
فَقْدُ رؤيايَ السراجَ مضيئاً ... وعزايَ في سالمِ الشيخانِ

ومن شعره: قوله في مليح بكري:

يا غزالاً مرعاه وسطَ فؤادي ... وحبيباً ما زال دمعي يزري
أنتَ أولى المِلاح بالملك حقّاً ... بنصوصِ السماع إذ أنتَ بكري

وقوله مقتبساً في مليحٍ اسمه مبارك:

بي مرسل الألحاظ مع فترتها ... مقيد الأوصافِ وهو مطلَقُ
يا أمةَ العشق هَلُمُّوا إنه ... مبارَكٌ فاتبعوه واتقوا

وقوله:

عشقته كالبدر ليلةَ التمام ... وغُرته تهدي لسبل المرامِ
ذو وجنةٍ يقطر ماء الحيا ... منها وشَعْرٍ كقتام الظلامِ
وثغرُه الأشنب في نظمِه ... كعقدِ دُرٌّ محكمِ الانتظامِ
ألحاظُه المرضى لها باترٌ ... يفعل ما ليس لحدٌ الحسامِ
وريقُه خمر ولكن لنا ... دون احتساها رشقُ تلك السهامِ
وقدُّه المائسُ غصناً حكى ... في لينه وفي اعتدال القوامِ
قلبي عليه غدا طائراً ... يصدح سكراً من حُمَيَّا الغرامْ

نبــيُّ حــسنٍ قــد أتــى مرسَــلاً لأمــة العـــشق بـــشرعِ الهيــامْ
مــا قلــتُ فيــه انتهــت عــشقتي إلا وقال القلــبُ وعـدي بالحِمـامْ
يا عـاذلي فـي حـبِّ مـن لـو بـدا فــي جــنح ليــل لأنــارَ القتــامْ
وَيْـلكَ اطْـرحْ لـومي فلـومي عنّـى فلـــست ممـــن ينثنـــي بـــالملامْ
يحــلُّ فــي شــرع الهــوى أننــي أسـلو وحبـي صـالحٌ فـي الأنـامْ
إذا بـــدا والبـــدرُ فـــي تَمِّـــهِ تـــستر البـــدرُ بلُحْـــفِ الغمــامْ
أو إن خطــا للظبــي فــي خيــسِه لفـــر منـــه خجـــلاً مـــستهامْ
وإن رآه ملـــــكٌ قـــــال لـــــي تــاللهِ مــاذا بــشرى يــا غُــلامْ
يــا بــدرَ تَــمٍّ قــد غــدا فائقــاً بـــدرَ الـــدجى بـــدوام التمـــامْ
قد فتـت الحـبُّ حـصى مهجتـي وشــاهدي فيــه عــدولُ الــسَّقامْ
وواصـــل الـــسهدُ لقـــا مقلتـــي مـن بعـد مـا قـاطع طيـبَ المنامْ
حتـــى كـــأني راصـــدٌ أو فتـــى موكَّـــلٌ بعـــدّ زُهـــر الظـــلامْ
إذا كتمــتُ الحــبَّ أفــشاه مــن عينــيَ دمــعٌ هامــلُ الانــسجامْ
فبالـــذي أنبـــتَ وردَ الحيـــا بخــدِّك القــاني الجنــيِّ الكِمــامْ
إلا أبحْـتَ الـصبَّ رشـفَ الطِّـلا من ثغرك الأشـهى البـديعِ الختامْ
لا زلـتَ فـي أوج البهـا ترتقـي وتــولي الخيــرَ لنــا والــسلامْ

[٤٨٥] أحمد أبو العباس شهاب الدين بن سليمان ابن الشيخ العارف بالله القطب الرباني خليل القشيري، القاطن بناحية سنّيح، المعروف الآن بصنّيل، بإقليم الأشمونين، وهو ابن محمد مزيد القرشي بن محمد بن الحسين بن

عيسى بن زيد بن الحسين غضارة ابن الإمام زيد ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، من «بحر الأنساب» للسيد محمد بن أحمد النسابة. انتهى.

هكذا نقل لي هذا النسب، بخط بعض أصحابنا المكيين، وأظن أن فيه حذفاً، هذا وخليل المذكور، خلَّف ذرية الآن بصنَيل، قال المترجم: وذكر لي بعض المشايخ: أن خليل المذكور من أولاد سيدي موسى أخي إبراهيم الدسوقي ـ نفعنا الله به ـ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

صاحبنا الشيخ الفاضل الجليل المتقشف، المالكي المذهب، الدسوقي الطريقة والمشرب.

وُلد سنة اثنتي عشرة بعد الألف تقريباً، وقرأ على العلامة علي الأجهوري، والشيخ العارف بالله علي المصري، صاحب «تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس»، وأخذ عن الشهاب أحمد السحيمي ـ بسين مهملة ـ، وعن الشيخ عبدالله المناوي، وعن الشيخ حجازي، وعن محمد بن عبد الخالق المنزلاوي، وعن حسن الشرنبلالي، وعن شيخنا محمد بن أبي بكر المرابط، ويحيى بن محمد الشاوي المغربيين، حين قدما مصر، وعن كثيرين.

وقدم مكة، وأخذ بها عن الأستاذ العارف بالله السيد عبد الرحمن بن أحمد المغربي الإدريسي، وألبسه طاقيةً بيضاء، وهي الكوفية بلغة المكيين، ورجع مصر، فصار يلبسها، ويحضر بها الدروس، فقال له بعض الطلبة في درس شيخنا سلطان: أنت أبو طاقية، فكني بذلك، واشتهر في مصر بأبي طاقية.

وكان قبل خامل الذكر؛ لتجرده وانقطاعه إلى الله سبحانه، واشتغاله بطاعته ﷻ، حتى قدم إلى مصر حسين باشا بن جانبلاط، فاعتنى به، وبالغ في تعظيمه، وعيّن له ما يكفيه من المعاليم بمعاشه، وقويت عنده كلمته، وسبب ذلك: أنه قدم إلى مصر رسولاً من السلطان إلى متوليها إذ ذاك إبراهيم باشا، فاجتمع به، وبشره أنه يتولى مصر عن قريب، فرجع حسين باشا إلى الروم، فما كان بعد أشهر حتى تولى مصر، بدل إبراهيم باشا المذكور، وكان من أمر الله ما كان.

ومن فوائده المجربة لمنع الإصابة من العين: أن يكتب قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ إلى: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾[القلم: ٥١] حروف مقطعة، وتعلق على الرأس.

قلت: ومن المجرب في ذلك: تعليق خشب المخيط، بشرط أن يقطع يوم السبت قبل طلوع الشمس، قال السخاوي: وكان الشيخ ولي الدين العراقي لا يفارق رأسه، واقتفيت أثره. انتهى.

[٤٨٦] أحمد بن أبي بكر بن سالم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن عبد الرحمن السقاف ﷺ[١].

ذو المناقب المشهورة، والكرامات المأثورة، سلالة السلف الصالح، وخلاصة الخلف الراجح، متبع السنة النبوية، ومقتفي الآثار المحمدية، له مقامات عاليةٌ، وأحوالٌ ساميةٌ.

ولد بقرية «عينات»، ونشأ بها، وتربى بوالده، واشتغل عليه، وأمره والده

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦١).

بالسفر إلى «تريم»؛ لزيارة من فيها، وللأخذ عن العارف بالله تعالى أحمد بن علوي، وكذا إخوانه، أمرهم أبوهم الشيخ أبو بكر بالأخذ عن الشيخ أحمد بن علوي، ولما سئل عنهم، أثنى عليهم خيراً، وقال: أزهدهم أحمد، وناهيك بشهادة هذا السيد الجليل، التي هي أوفى دليل؛ لتقدمه على إخوانه، وانفراده على أهل زمانه.

وحج بيت الله الحرام، وزار جده عليه ـ أفضل الصلاة والسلام ـ، ثم حج ثانيةً، ولقي من أكابر العارفين، وحصل له من الحرمين، ما نال بسببه سعادة الدارين، ولزم الطاعة والعبادة، وسلك ما يوصله لنيل السعادة، ودخل بندر عدن المحروس؛ لزيارة من به من بني العيدروس، فزار قبر الشيخ أبي بكر المذكور، وحصل له عنده مزيد فتحٍ ونور، ثم قصد زيارة شمس الدين الشيخ أحمد بن عمر العيدروس إلى داره؛ ليوفيه حق جواره، فخرج الشيخ أحمد للقائه، ولما رأى كل منهما صاحبه وقت لقائه، ولم يكن بينهما مصاحبةٌ، ولم يكلم أحدٌ منهما صاحبه، ولما سئل صاحب الترجمة عن ذلك، فقال: حال بيننا نور، منعنا أن نتكلم بلسان المقال، ورجع كل منهما إلى محله.

ورحل صاحب الترجمة من عدن إلى بندر الشِّحْر، فرآه طيب النشْر، فطنب به خيامه، وعزم فيه على الإقامة، وطارَ اسْمُه في الأقطار، وشاع اسمه فملأ الديار، وقصده الناس من كل البلاد، وعم نفعه وبركته الحاضر والباد، وظهر منه بمجيئه كراماتٌ ظاهرةٌ، ونالوا بسببه أحوالاً باهرة.

منها: أنه لما دخل مكة المشرفة، أتى لزيارة السيد إدريس بن حسن ابن أبي نمي، فقال له: ستلي أمر الحجاز بعد أخيك أبي طالب، فكان الأمر كذلك.

ومنها: ما ذكرها شيخنا محمد الشلي، نقلاً عن السيد محمد بن علوي: أنه أخبره: أن الشيخ أبا بكر الشهير بالقَعُود المصري، حصل بينه وبين صاحب الترجمة محبةٌ شديدةٌ، ومودةٌ أكيدةٌ، ولما سافر من مكة، خرج القعود معه للموادعة، ولما رجع، فقد خاتمه، وكان فيه وَفْقٌ عظيمٌ، وكان له معرفةٌ تامةٌ بعلم الأوفاق والأسماء، فتعب لفقده تعباً شديداً، ونام تلك الليلة في غاية التعب لذلك، فرأى صاحب الترجمة في نومه، وهو يقول له: تعبت لأجل الخاتم، هذا خاتمك، وألبسه إياه، فلما أصبح، وجد الخاتم في يده، ففرح فرحاً شديداً.

ومنها: أن بعض آل كثير قتل قاتل أبيه، وخاف من السلطان عمر بن مراد بإخراجه من دار الشيخ، فهجم العسكر الدار، وفتشوا جميع المنازل، فلم يظفروا به، ثم أخرجه ليلاً، والعسكر محيطةٌ بالدار[1].

ولأهل حضرموت والشحر ودوعن والسواحل ومقدشوه، فيه اعتقادٌ عظيم، وله عندهم قدرٌ جسيم، ويأتون بالأنذار الكثيرة، والأموال الغزيرة، وظهر لكثيرٍ منهم عظيم الكرامات، وخوارق العادات، وانتفع بصحبته جمعٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفير، من جميع الأقاليم، ولبس منه خرقة التصوف كثيرون.

وكان ـ رحمه الله ـ ملجأً للوافدين، ونهراً عذباً للواردين، وكان بدراً منيراً أينما طلع سطع، وغيثاً غزيراً كيفما وقع نفع، جبله الله تعالى على مكارم الأخلاق، وسلامة الصدر، وطيب الأعراق، ولم يزل على تلك الصفات، إلى أن تمت مدته ومات، **وكان انتقاله** سنة عشرين وألف، ببندر الشحر،

---

(١) يظهر أن هناك نقصاً في سياق الحكاية، والله أعلم.

وازدحم الناس على جنازته، وتربته من الترب المشهورة، وبالقرآن والدعاء معمورة ـ رحمه الله تعالى، ونفعنا به ـ.

[٤٨٧] **أحمد بن أبي العنايات أحمد بن عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن مكية النابلسي، الشهير بالعناياتي**(١).

نزيل دمشق، وشاعرها المشهور(٢)، اتفق أنـه اجتمع في بعض الأيام بعالم الديار القدسية، الشيخِ عبدالله بن جماعة، بمكانٍ له يعرف بالطالبية، خارج بيت المقدس، فانقض على خوانه طيرٌ من اليراغ، وأكل مما فيه، بحيث لم ينفر، ولم يبرح يأكل، حتى شبع وطار، فارتجل في الحال هذه الأبيات، مخاطباً بها شيخ الإسلام المذكور، ولمّح إلى قصة الفخر الرازي مع ابن عُنَينِ الشاعر المشهور، لما انقضّت عليه حمامةٌ، وأجارها خيفةً من الجارح، وهي مثبتةٌ في «تاريخ ابن خلكان»، وغيره، وهي قوله:

إن كانت الورقاء في مجلس الرازي ... سـفَت خيفـةً مـن جِـراحْ
فهــذه جـاءت بـلا خيفـة ... مجـيء مـن جـاء يـروم استماحْ
أدامـك الله لهـذا الـورى ... غوثـاً وغيثـاً للنجـا والنجـاحْ

ومما كتبه على جدار مسجد البضعة الطاهرة السيدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، الكائن بقرية زاوية، بالقرب

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ١٧) (١)، «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٨٠) (١٠٣)، «معادن الذهب» للعرضي (٦٥) (١١).

(٢) جاء في الحاشية: «ذكر بالأصل أنه مكرر، وقد وجد في البيانين اختلاف».

من حِجّيرا، من ضواحي دمشق:

يــا آلَ بيــتِ النبــيِّ طبــتمْ ... وطــاب لــي فــيكمُ المــديحُ
حُبّــي بكــم مــن أَلَــسْتُ قِــدْماً ... مــا عــشتُ أو ضــمَّني ضــريحُ
يــا درةَ الطــاهرينَ عبــدٌ ... ملقًــى علــى بــابكم طــريحُ
يــا صــفوةَ المــصطفين عطفــاً ... فعبــدُكم ودُّه صــحيحُ
صــلَّى إلهــي علــيكم مــا ... ســحَّ ســحابٌ وهــبَّ ريــحُ

[٤٨٨] أحمد بن أبي بكر بن عبدالله الشلي(١).

قال حفيده شيخُنا الإمام محمد الشلي في «مشرعه الروي»: وهو جدي الأدنى، ومحل مجدي الأسنى، إمام أهل زمانه، الفائق على نظرائه وأقرانه، عمدة المعلمين، وهداية المتعلمين، وإرشاد الغاوين، أحد من تُشدّ الرحال إلى لقائه، ويُستنشق أرجُ الفضل من تلقائه.

ولد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بتحصيل الفضائل، وجد فيه فلم يترك مقالاً لقائل، وصحب من أكابر عصره كثيرين، وأخذ عن جماعة عارفين، منهم: الإمام أحمد بن علوي باحجدب، والشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمن، والقاضي محمد بن حسن، وتلميذه الفقيه علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الرحمن السقاف، وأدرك المحدث محمد بن علي صاحب «الغرر»، وأخاه القاضي أحمد شريف.

وحج بيت الله الحرام، وزار جده ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، وأخذ

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠٨)، «عقد الجواهر والدر» للشلي (٣٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٥٨).

بالحرمين عن جماعة من العارفين، ولبس خرقة التصوف من والده، وغيره من مشايخه، وكان كثير السؤال، عما يقع لـه من أمور الدين من الإشكال، كثير التحري في أمور العبادة، كثير المداومـة على عمل البـر والسعادة، مع المداومة على الأوراد والأذكار، وكثـرة القيـام في الأسحار، وتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار.

وأخذ عنه جماعة كثيرون، منهم: سيدي الوالد، وشيخنـا عبدالله بن سهل بافضل، وآخرون كثيرون، كرعوا من معين فضله سلسبيلهَ، وأوضح لهم برهـانَ العلم ودليلهَ، وكان عالماً بالفقـه، ولكن غلب عليه علم التصوف، والاشتغال بكتاب الله، وسنة رسوله.

وكان كثير الخـوف والبكاء من خشية الله، وأثنى عليه مشايخه وأكابر عصره، والفوز بالخير والفلاح، وكان زاهداً في الدنيا، قانعاً منها بالكفاف، متدرعاً ثوب التقوى والعفاف، وحصلت له ـ رحمه الله ـ بشاراتٌ، من أكابر السادات، بنيل كمال السعادات، ولاحت عليه إشاراتٌ، وظهرت منه كراماتٌ، لكن عند الضرورات.

منها: أن السيد الجليل عمر بن أحمـد منفر، لما حفـر بئره المشهورة تحت تريم، اعترضت دون الماء صخـرةٌ عظيمـةٌ، فتعب لذلك، فلما علم صاحب الترجمة بأنه قصد وجه رب العالمين، وأن فيها نفعاً للمسلمين، كتب في حجارةٍ صغيرةٍ، ورمى بها على تلك الصخرة الكبيرة، فانهالت كالتراب، ونبع الماء كالعباب.

ومنها: أنه لما سافر للحج، في طريق الشط، حصل للركب الذي هو فيه عطشٌ شديدٌ، ومحلُّ الماء عنهم بعيد، فأخذ سيدي الجد قربةً، وتوارى

بجبلٍ صغيرٍ، ورجع بعد زمنٍ يسيرٍ، والقربة مملوءةٌ ماءً فراتاً.

وغير ذلك، وكان يقال: إنه يعلم الاسم الأعظم، والله تعالى أعلم.

ولم يـزل يـزداد من المغـانم، حتـى وافـاه الأجـل اللازم، فتوفاه الله ـ رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنات النعيم مثواه ـ.

وكانت وفاته في رجب الأصب، سنة أربـع وألف، ودفن بمقبرة زنبل، بقرب تربة والده وجده، وعظمت مصيبة أصحابـه لفقده ـ أنزل الله عليه وعلى سلفه من رحمته سلسبيلا، وسقاهم في الجنة كأساً مزاجها زنجبيلا ـ.

[٤٨٩] السيد أحمـد بن أبي بكر بن عمر بن عبدالله بن علوي الشيخ عبدالله العيدروس[1].

أحد الأولياء الصالحين، والسادة الكاملين، كان ورعاً زاهداً عابداً، له سيرةٌ مرضيةٌ، وطريقةٌ زكيةٌ، صحب أباه، وعميه: أحمدَ، وعلياً، وغيرهم من الأكابر، وسلك طريق القوم، بالصلاة والصوم.

وكان معظماً عند الملوك والأكابر، وأرباب السيوف والمحابر، راضيا بالقضاء والقدر، قائماً بإكرام من ورد وصدر، يُلتجأ إليه في الملمات، ويُنتفع بـه عنـد نزول المصيبات، ولم يزل حتى ناداه منـادي الوفاه، فأجابه ولباه، فكانت وفاته سنة أربع بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[٤٩٠] أحمد بن أبي العافية.

وبنو أبي العافيـة هم الذين كانوا ملوك المغرب الأقصى، فمما يمازج

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣).

برقتـه النسيم، امتزاج الماء بالراح، ويدخل من أبواب خروق المسامع على القلوب بلا استئذان، فترتاح به الأرواح. قوله. . .[١].

ومما يجري من قوله رقة مع الماء، ويكاد يمتزج بالهواء، ويأخذ بمجامع الأهواء. قوله. . .[٢].

[٤٩١] أحمد أبو عمر الدمشقي المجذوب.

سـلطان المجاذيب بدمشـق؛ لأنه كان لا يفـوت الصـلاة والصوم في أوقاته، وله كشفٌ وحالٌ، قال الشيخ محمد الباقلاني: لما تقرر قضاء الشام، دفعةً ثانيةً، على المولى عبد الوهاب أفندي، فرح به أهل الشام، من الخاص والعام، إلا هو بمفرده، تفرد بسبّه وبُغضه، وقال: إن أهل الشام اجتمعوا على الضلالة، وهو لا مبارك عليهم، ولا يبقى إلا واحداً[٣] وعشرين يوماً، وكان كذلك، فعزل المولى المذكور بعد أحد وعشرين يوماً، وجاء المولى أحمد الأباشي، وذلك في ذي الحجة، سنة سبع بعد الألف.

[٤٩٢] أحمـد بن أبي القاسم بن أحمـد بن محمـد بن علي بن عمر الأنصاري الخلي[٤].

لقبوا بذلك؛ لكرامةٍ صدرت من بعض أسلافهم، بقلب الماء خلاً، كذا قيل، وبنو أبي الخل، بنواحي المهجم، بيتٌ شهيرٌ كبيرٌ باليمن، مشهورٌ بالعلم

---

(١) ورد في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض بالأصل أربعة أسطر».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض بالأصل ثلاثة أسطر».

(٣) في الأصل: إحدى، والصواب ما أثبت.

(٤) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٣٥) (٣٠٧).

والعمل والخير، وأصل بلدهم مأرب، بلد السد، الذي كان فيه سيل العرم.

قال الأهدل: وشهرة الخـل تغني عن ضبطـه، وقيـل: إن فيهم ثلاث خصالٍ لا تخلو منهم: العلم، والخط، والاسم الأعظم.

الشافعي، الشاب الفاضل، الأديب الكامل، اللوذعي الأريب، الذي جمع الله لـه المناقب، فاختار منها وانتقى، ورأى أن أحسنها وأكرمها العلم والتقى، فصرف أوقاتـه في العبـادة، ولـم تمض لـه ساعـة في غيـر الإفـادة والاستفادة، مع شرف نسبٍ، وكرم حسبٍ، وطيب محاورةٍ تسك الأذهان، ويحتسي حمياها فكرُ كل لبيبٍ بأفواه الآذان.

مولده سنة أربع وخمسين وألف، بثغر جدة، ونشأ بمكة، وروى الفنون العلمية عن جمعٍ، منهم: الشيخ الفقيه عبدالله بن محمد الطاهر الشهير بعباسي، والعلامة المفنن عيسى بن محمد الجعفري، وغيرهما.

وتلقن الذكر، ولبس الخرقة، عن جمع من السادة العلويين وغيرهم، منهم: السيد الجليل أحمد الهندوان، والسيد العارف علي بن عمر باعمر، والسيد الكامل عبد الرحمن بن محمد العيدروس، وجماعـةٌ آخرون، منهم ومن غيرهم، لم أذكرهم لكثرتهم، واشتغل بملازمة المولى الكبير، العارف الشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل الخلي.

اجتمعتُ به في جُدَّة، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، فرأيتُ فيه لطفَ شيمٍ ليس للرياض أخلاقٌ كما لَها، ولا للبدر ولو تكلف أن يحكي كمالَها، وهو الآن ـ حفظه الله ـ في جبهتها غرةٌ، وفي سماء كمالها الزاهية زهرةٌ.

وأنشدت له شعراً، تهزّ له الفصاحة أعطافها، ثم أوقفني ـ حفظه الله ـ

على ديوان شعره، فجنيت من ورده وزهره، منه: قوله مادحاً للسيد العارف بالله عبد الرحمن بن أحمد الإدريسي ـ نفع الله به ـ:

حَيَّا الحَيَا مراتعاً بنجدِ ... قد طاب فيها صَدَري ووِرْدي
مراتعاً كنتُ سميراً للدُّمى ... بها وتربَ ناهداتِ النهدِ
من كل هيفاءِ القوامِ غادةٍ ... يبسم فوها عن لآلي عقدِ
إذا انثنى بالدلّ لون قَدِّها ... فأين منه عَذَباتُ الرندِ
ثقيلةُ الرِّدْفِ هضيمةُ الحشا ... يحكيهما تجلُّدي ووَجْدي
ضعيفةُ الطرف ولكنْ فعلُه ... في القلب أبلاني بضعف الجهدِ
كثيرةُ الخُلْفِ فما لصبِّها ... مطلُ وعيدِ ونجازُ وعدِ
ميالةُ العطف لغير عاشقٍ ... ملولةُ الإلف لغير الصدِّ
ريانةُ الجسم يظل شارقاً ... دملُجُها منها بماء الزندِ

ومنها:

لها محيّاً كالصباح أبلجٌ ... من فوقه ليلُ أثيثِ جعدِ
وناظرٌ أجرى دموعَ ناظري ... وقفاً على عامل ذاك القدِّ
وحاجبٌ حجب عن جفني الكرى ... كأنه موكَّل بالردِّ
شكوتُ ما ألقى لقاسي قلبِها ... هيهاتَ هل تعطُّفٌ من صلدِ
يا قلبَها إن كنتَ صخراً إنني الـ ... ـخنساءُ فارحم لوعتي وسهدي
أما وأيام الصِّبا إن لم تعدْ ... كما عهدتُ وتفي بوعدي
خلصتُ من حبي لها بمدح مَنْ ... أحيا مآثرَ العُلا والمجد

قطبِ الوجود الندبِ نجلِ أحمدِ   مرشدِ من ضلَّ سبيلَ الرشدِ
ابنِ النبيِّ وكفى مفتخراً   لو لم يكن ملجأ كلِّ وفدِ
كان من شمس النهار حلةً   عليه فالناظرُ كالمستجدي

ومنها:

ربُّ المكرمات التي تعاظمت   بين الورى عن حصرها بالعدِّ
غيثٌ إذا ضنت غيوثُ عامنا   غوثٌ إذا عدَّت خيول الجهدِ
يلقاك بالبشر إذا أتيتَه   وتنثني عنه بخيرِ رِفْدِ
كم قد لوى بؤساً وأولى نعماً   وفك عانٍ من ثقيل القِدِّ

ومنها:

مولاي والكنزُ الذي ادخرتُه   إذا فجا الكربُ لحلِّ العقدِ
أشكو إليك وإليك المشتكى   حوادثاً قد ضاق عنها جهدي
ما لي سواك عدةٌ تكشفُها   فإن ردَدْتني فمن ذا يجدي
وإن أفزْ منك بما أملتُه   فما أنا قد فزتُ منك وحدي
فانظر إليَّ نظرة أنْجو بها   فما أخافُ وأنالُ قصدي
وهاك عذراً لك قد جلوتها   خاطرةً من البَها في بُرْدِ
حسناءَ لم ترض سواكَ كفوَها   لأنها قد أمنت من ضدِّ
سائرةً على ممرِّ دهرِها   تعلن بالشكر لكم والحمدِ
أرجو بها مولايَ منك دعوةً   يخفى بها نحس ويَبْدُو سعدي
دمتَ لنا ما أومضَ البرق وما   حَيَّا الحَيا مراتعاً بنجد

والخلي: منسوب لبني أبي الخَلّ، وهم بيت علمٍ وصلاحٍ، شُهر منهم جماعةٌ بذلك، وأصلهم من مأرب، البلد الذي ينسب إليه السُّد، فيقال: سد مأرب، وهو الذي أرسل الله عليه سيلَ العَرِم، فأخربه، وهي جهةٌ متسعةٌ، خرج منها جماعةٌ من العلماء والصالحين.

وأصل جدهم من هنالك، وسكن موضعاً بناحية الوادي سُرْدُد، وتديّره، وأولد هناك، حتى صارت قريةً كبيرةً تعرف ببيت أبي الخل، ذكر الجندي جماعةً منهم «في تاريخه»، وأثنى وقال: سمعت الثقة يقول في سنة عشرين وتسعمائة: إن فيهم من حفظة كتاب الله تعالى ثلاثمائة وثلاثة وستين رجلاً، ذكره السرجي في «طبقاته».

[٤٩٣] أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي الشافعي النقشبندي المكي[(١)].

كان واسطة عقد أهل الفتوة، ورابطة عقد الصفوة، جامعاً لأشتات الفرائد، ناظماً من درر الفوائد للنحور القلائد، صحب العارف بالله تاج الدين الهندي النقشبندي، وأخذ الطريق عنه، وانتهى رِيّاً بشرب الرحيق منه.

وله التآليف الغزيرة الجمة، الكاشفةُ بالدلالة لكل مشكلةٍ وغُمَّة، منها: «شرح على حكم ابن عطاء الله» لم يتم، و«شرح على أبيات الشيخ أبي مدين» التي مطلعها:

ما لـذةُ العـيش إلا صـحبةُ الفُقَـرا　　　هم السلاطينُ والسادات والأُمَـرا

و«شرح على قصيدة العارف بالله أحمد ابن بنت الميلق» التي أولها:

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٦٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٥٧).

من ذاقَ طعمَ شرابِ القوم يدريـهِ ومـن دَراهُ غـذاء الـروح يـشريه

وشرح على قصيدة الشهرزوري التي مطلعها:

لمعتْ نارهُم وقـد عـسعسَ الليـ ـلُ ومـلَّ الحـادي وحـارَ الـدليلُ

وهو عزيز الوجود، وله «رسالةٌ مفيدةٌ في طريق السادة النقشبندية» جمع فيها ما يحتاج إليه من الآداب واللوازم، وذكر فيها جملة مشايخ الطريق، أولي الصدق والتحقيق، بدأ منهم بشيخه الكامل العارف الواصل تاج الدين المذكور، وقد وشح رسالته المذكورة، السيد السند العارف الأمجد، سالم بن أحمد شيخان باعلوي بقواءات، ورشحها بمقالات، ونظم صاحب الترجمة نسبه المتصل بالصديق الأكبر، في أبيات كقلائد العِقيان، في أعناق الخردِ الحسان، وهي قوله:

أيا سائلي عن نسبتي كيفَ حالُها جُدودي إلى الصدِّيق عشرون فاعددِ

مباركُ شاه حاوي المجد بعدَه أبو بكر المأمون نجلُ محمدِ

ووالدُه قد جاء يكنى باسمه وطاهر حَسْنَوَيْه الذي هو مهتدي

وعلان ثان جاء ثم حسنيهمُ عفيفٌ أتى فيهم ويونسُ ذو اليدِ

ويوسفُ إسحاقُ وعمرانُ قد أتى وزيدٌ به كلُّ الخلائق تقتدي

ومن بعده حاوي الفخار محمدٌ ووالدُه الصديق ذخري ومنجدي

توفي بمكة، سحر ليلة الاثنين، سادس عشر شعبان، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، ودفن صبح ليلته، بالمعلاة، بالقرب من تربة السيدة خديجة الكبرى ﵂، وقبره هناك معروف.

[٤٩٤] أحمد بن إبراهيم المزجاجي الزبيدي، المعروف بالخَيِّر ـ بفتح الخاء المعجمة وكسر التحتية المشددة، وربما أشبعت، وبعده راء ـ.

كان شيخاً صالحاً، حصلت لـه عنايـةٌ بعد ذلك ربانيةٌ جذبته عن أهله ووطنه، فتركهما، وفرّ إلى موضع من الجبل، شرقي بلده السلامة، على دون مرحلة منها، فلزم موضعاً لا يخرج عنـه، واعتزل الناس ولم يخالطهم نحو تسع سنين، فصار معتقداً يُقصد للزيارة والتبرك، ونقل عنه كثيرٌ من الكرامات.

ثم رجع إلى السلامة، وعقب رجوعه احتفر بئراً عند قبر جده، واستمر على حالةٍ مرضيةٍ؛ من إيثار الخمول والتقشف، ومحبة أهل العلم والتواضع، والبعد عما عليه غالب متصوفة الوقت؛ من الدعاوى العريضة التي لا طائل تحتها، ثم بنى عنده مسجداً عنـد بئره، وهي خارج القرية من قبليها، ونقل مسكنه إلى هناك، ولم يزل ملازماً لبيته، لا يخرج عنـه قـط، بل من قصـد زيارتـه، والتماس دعائه، دخل عليه في مكانه، حتى توفي يوم النحر، عام ثمان وثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٩٥] أحمد أبو العباس بن علي بن محمـد بن إبراهيم مطير الحكمي اليمني الشافعي[(١)].

أحد علماء بني مطير الأكابر، الذين ورثوا العلم كابراً عن كابر، وبرعوا في سائر العلوم، وكرعوا من مشارب الفهوم، واشتغلوا بطاعة الحي القيوم، أخذ العلم عن والده، وتمتع منه بطريفه وتالده، وأغناه عن التردد على غيره، وجنى من ثمرات خيره.

---

(١) «الأعلام» للزركلي (١/ ١٨١).

وألـف المؤلفات المفيـدة، منها: «تسهيل الصعاب في علم الفرائض والحساب»، و«الروض الأنيق في النحو واللغة والتصريف»، وكانت وفاته ببلدهم عَبْس الحَضَن، من المخلاف السليماني باليمن، سنة خمس وسبعين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

جـددْ عهـودك بـالوادي وبالـسندِ ... بين العقيق وبين السفح مـن أحـدِ
ديارُ مَـنْ حـبُّهم فـرضٌ أديـن بـه ... ومن لهم منزلٌ قد شيد في خلدي
حيثُ النبوةُ حطَّت رحلَها وثـوتْ ... ومهبطُ الوحي والأمـلاك بالرشـدِ
مُهـــاجَرٌ لرســـول الله رحمتِــــه ... محمـدٍ أحمـدَ المبعـوثِ مـن أددِ
اختـــصه اللهُ بالإرشـــاد مؤتمنــاً ... فهـــو الوســـيلة بـــين الله والعُبُـــد
مــا كــان مــن قبلــه عِلــمٌ لأمتــه ... ولا لَــهُ كــان بالإيمــان ثــم هُــدِي
فــلا يُلِــمُّ بنــا أمــرٌ نُــراع بــه ... إلا ســألنا بــه مــن ربّنــا الأحــدِ
تفريجَ كربٍ وكشفَ الضرِّ في عَجَلٍ ... وعـــادةُ الله فينـــا أجمـــلُ الأُوَد
يا خالقَ الخلقِ يا من لا شريكَ له ... يا مالـكَ الملـك بـالآزالِ والأبـدِ
يا ملجئـي فـي الـورى كلهـا أبـداً ... يا منجدي من تخوفاتٍ ومن كمدِ
إليك أرفـعُ كفـي ضـارعاً خجـلاً ... وأُخلص الدينَ إذ أدعوك يا سندي

إلى أن قال:

وأخفضُ الرأسَ منقـاداً بـه وجِـلاً ... مـــستغفراً لـــذنوب جمَّـــةِ العـــددِ
مستـسقياً لـك غيثـاً مطبقـاً غـدِاً ... سـحّاً هنيّـاً مريّـاً مـصلحَ البلـدِ

عاماً دريراً مريعاً غيرَ منقطع ولا مضرٌ ولا مؤذٍ ولا نكدِ
تحيا به الأرضُ والأحياء كلُّهم واغفرْ لنا كلَّ ذنب وامحُه وجُدِ

ومنها:

يا مفزَعي يا ملاذي يا إلهيَ يا مولايَ يا موئلي هبْ لي ومدَّ يدي
يا عالمَ السرِّ مثلَ الجهر يا أملي ارحمْ بجودِك ضعفي واشددَنْ عَضُدي
يا فردُ يا حيُّ يا قيومُ يا صمد يا ذا الجلال وذا الإكرام يا أحد
مَطالبي منك لا تُحصى وعلمُكها أحصى وجودُك تعطيه على الأبد
فآتنا كلَّ ما نرجو ونطلبه واقبل دُعانا سريعاً واحينا وزدِ
وآتِ داعيك بي في كل حادثة تنو بُه سؤلَه في الخير أن تَرِد
فأحمدُ بن عليٍّ قد دعاك وقدْ عوَّدته الخيرَ فضلاً منك لم يبدِ
وكل آلِ مطيرٍ لست تهملُهم فهم عبيدُك فارحَمْهم وعُد وجُدِ
وأبق منهم لهذا الدين مُطَّلِعاً يسمو بهم وانصرَنْهم نصرَ منتجدِ
هم حافظو السنةِ البيضاءِ تعرفهم أسفارُ صدقٍ صحاحُ المتن والسند
والحاملون كتابَ الله تعصمُهم آياتُه عن تأويل وعن أَوَدِ

ومنها:

واحفظ بحفظهم مَنْ كان يصحَبُهم من أهل ودهم من شر ذي الحسدِ
واقرِنْ صلاتَك بالتسليم لا بَرِحا على نبيك في يومٍ وكل غدِ
رسولك المجتبى الداعي إليك انا لبيك لبيك آمنا بلا جحد
وعُمَّ آلاً وأصحاباً وتابعهم بهديهم مقتد بالبرِّ والرشدِ

وله سؤالٌ في حديث اختلاف الفرق إلى ثلاثٍ وسبعين، وجَّهه إلى السيد العلامة محمد بن الحسن بن النسم، وأجابه بجوابٍ حافلٍ، ولما وقف على السؤال والجواب القاضي العلامة علي بن محمد العنسي الصنعاني، قال:

تجارى مطير إذ أراد بجهله مجاراة بحر في العلوم خطيرِ

فما المطر الوكّافُ كالبحر إن طما فكيفَ إذا حقرته بمطيرِ

[٤٩٦] أحمد أبو الوفا بن محمد أبي الغواير العجل العُجيل، ورفع نسبه إلى سيدي الفقيه أحمد بن موسى العجيل، في ترجمة والده[1].

كان ـ نفع الله به ـ من أعيان الأئمة الصوفية الأبرار، وأكابر علماء اليمن الأخيار، منبعاً للعلوم النقلية والوهبية الدقيقة والرقيقة، وجامعاً بين الشريعة والحقيقة، عارفاً بالله، دالاً عليه، ومحجةً لمن أراد الوصول إليه، زاهداً ناسكاً، عالماً عاملاً، متواضعاً كاملاً، عظم عند جميع الناس قدرُه، وبعُد في الأقطار ذكرُه.

فكانت تأتيه النذور من سائر البلاد، وتعتقده عامة الناس والعلماء والأمجاد، وكراماته اشتهرت باليمن، فلا تحتاج لبيان، وعمت خوارقه جميع الناس بالعيان، وبالجملة: فمسافته وفضائله عدد الرمال، وإن أطيل في ترجمته المقال.

وُلد ليلة السبت، غرة شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ـ نفع الله به ـ ببيت الفقيه ابن عجيل، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وتمتع به من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤٦).

طريف والده وتالده، فأغناه عن كثير من الأقران، وأجازه بمروياته المعروفة عند علماء الزمان.

ورأيت بخط والده ـ نفع الله به ـ ما نصه: كان عزم سيدي الولد أحمد أبي الوفا إلى مدينـة زنبل، ليلة الخميس، ثاني عشر شهر رجب، سنة أربع بعد الألف من الهجرة، ودخوله إياها يوم الخميس المذكور، وشرع في القراءة على مشايخه فيه، واستمر على ذلك إلى الآن، مسدداً موفقاً، جعله الله من أهل الكمال المحمدي بمنّه، بتاريخ يوم السبت، في شهر الحجة، سنة ست بعد الألف. انتهى ما وجدته.

وأخذ عن أكابر العلماء والأعيان، العلومَ الدينية العلية الشأن، فروى الحديث ـ كما رأيته بخطه نفع الله به ـ في إجازةٍ كتبها لبعض طلبته، بالإجازة العامة، عن السيد العارف بالله الطاهر الأهدل، وقرأ بعض «صحيح مسلم» على الشيخ المحدث الصديق بن محمد الخاص السراج الحنفي، وأجازه بباقيه.

وأخذ بمكة عن العلامة علي بن جار الله بن ظهيرة المكي الحنفي، وعن الشيخ الصالح الزين بن الصديق المزجاجي الحنفي بزبيد، وعن الشيخ المتقن خاتمة المحدثين حميد بن عبدالله السندي الفاروقي بالمدينة، وتكرر زيارته لبيت الله الحـرام، وأخـذ عمن بـه في عصـره من العلمـاء الأعـلام، ولازم العارف بالله تاج الدين بن الهندي النقشبندي، وأخذ عنه طريق النقشبندية، وله الأسانيد العلية، في غالب طرق الصوفية.

وانتهت إليه في بلده الرياسة، وجمع بين شرف النفس والنفاسة، وعنه أخذ جمـع من الأمجـاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، وممن أخذ عنه: ولده سيدي موسى، ولـم يزل ـ نفع الله به ـ نفعاً للعباد في جميع البلاد، حتى دعاه

ربه للقاه، فأجابه ولباه، وكانت وفاته بعد صلاة العشاء، رابع عشر شعبان، سنة أربع وسبعين بعد الألف، وجاء تاريخ موته: (شيخ أجل مكمل)، ودفن خارج قبة والده المشهورة، ببيت الفقيه ابن عجيل ـ نفع الله بالجميع ـ.

[٤٩٧] أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد العجمي الشافعي الأشعري الأزهري الوفائي[١].

مولده في ثالث عشر رجب، سنة أربع عشرة وألف، وكان ابتداء طلبه العلم الشريف سنة سبع وعشرين وألف، ولقي ولي الله بالاتفاق علياً نور الدين الزيادي بمنزله مرتين: مرةً يوم عيد الفطر، ومرةً يوم عيد الأضحى، صحبة والده، وحَل نظره عليه، ودعا له بدعواتٍ صالحةٍ ظهرت بركتها، وعاد نفعها وثمرتها عليه.

وأخذ عن فهامة العصر، ونادرة الدهر، الحسن بن علي ابن العلامة إبراهيم الحلبي، ولازمه نحو عشرين عاماً، وقرأ عليه شروحه للأزهرية والآجرومية، وبسملة شيخ الإسلام، وحضر دروسه بالمدرسة الصالحية في «مختصر المزني»، وبجامع الأزهر في تقسيم شرحي المنهاج والمنهج، وشرح البهجة الكبير، وجملة من شرح التوضيح، ومن أول تفسير القاضي البيضاوي، مع حاشيتي شيخ الإسلام زكريا، وشيخ زاده، وغيرهما، وجملة من سيرته التي سماها: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، وجملة من «صحيح البخاري»، ومن «الجامع الصغير»، ومن «معراج النجم الغيطي»، ومن حاشيته

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢).

التي وضعها عليه، و«شرح الورقات» للمحقق المحلي، وغير ذلك، وأجازوه بجميع مروياته ومؤلفاته.

وسمع الكثير على الشمس محمد الشوبري، من دروسه بالمدرسة الصالحية، في «مختصر المزني»، ولازمه سنين عديدة، بدروسه بالجامع الأزهر، في شروح المنهاج والمنهج، مع ما يتعلق بذلك من الحواشي والتحريرات، وسمع منه جملة من «المواهب اللدنية»، ومما كتبه بطررها من الفوائد السنية، وجملةً كثيرةً من «صحيح البخاري»، وأجازه بالإفتاء والتدريس، وبرواية ما سمعه منه، أو قرأه عليه، أو قرئ عليه بحضوره، وبجميع ما يجوز له وعنه روايته، وكتب له ذلك بخط يده، وصورة إجازته: . . .[1].

[٤٩٨] أحمد بن أحمد الدواخلي الشافعي[2].

نسبةً لمحلةِ الدواخل من الغربية، قريبة من المحلة الكبرى، الشافعي، إمام الفقهاء والمحدثين، وبقية العلماء العاملين، كان إماماً جليلاً، صدراً ورعاً مهاباً، لا يخاف في الله لومة لائم، ملازماً لإقراء العلم، غير مشتغل بغيره، صارفاً أوقاته في الطاعة، ملازماً للجماعة، أنوار التقوى عليه ساطعة، وجوارحه من خوف الله خاشعة.

وكان عظيم الهيبة، كثير الفكرة، تراه دائماً مطرقاً من خشية الله ومراقبته، حتى قال لي بعض شيوخنا في شأنه: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أخوفَ لله منه، سالكاً طريقة السلف الصالح؛ من التقشف في المأكل والمشرب

---

(١) جاء في الحاشية: «لم تذكر الصورة، وترك ثلاثة أرباع صفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٣).

والملبس، لا يرى متكلماً إلا في مجلس علمٍ، أو جوابٍ عن سؤال.

أخذ عن منصور الطبلاوي، وياسين المحلي، وإبراهيم اللقاني المالكي تلميذ الشهاب القسطلاني، والنور الزيادي، وسالم الشبشيري، وعلي الحلبي، وطبقتهم، وعنه: جهابذ العلماء؛ كشيخنا منصور الطوخي، وأحمد البنا الدمياطي، وأحمد البشبيشي، وغيرهم.

توفي إلى رحمة الله غريقاً ببحر النيل، وهو يقرأ القرآن رياسةً، على طريقة أهل مصر، سنة خمس وخمسين بعد الألف.

[٤٩٩] أحمد بن إبراهيم بن الجيلان بن أحمد.

صاحب بيت عكار، كان سيداً زاهداً مشهوراً، له كراماتٌ مشهورةٌ، توفي ببلده، في نيف وخمسين بعد الألف.

[٥٠٠] أحمد بن أحمد الشابي القيرواني المغربي.

من ولد أبان بن عثمان، كان أبوه سلطان القيروان، فانحل عن السلطنة مختاراً، ورحل بأهله إلى مصر، فولد له بها المترجم، وتفقه، وبرع في نحو سبعة عشر علماً، وصنف في أكثرها؛ كالطب والمنطق والكلام، والمعاني والبيان، و«شرح المدخل للعضد»، وحج مرات.

وقدم اليمن، وأقام بصنعاء، يقرئ ويدرس بها بمسجد عقيل، وأخذ عنه كثيرٌ من الفضلاء بها؛ كالقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ثم وصل إلى حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، إلى سودة شطب، عام أربعة وستين وألف، وأكرمه غاية الإكرام، وأعجب به، وسأله عن مسائل في تقويم إقليدس أحبَّ حلّها، فأجابه إلى ذلك.

ثم استأذن الإمام للتداوي من علةٍ كانت بـه، إلى صنعاء، فتوفي بها نهار السبت، لعله الثاني والعشرون من شهر جمادى الآخرة، سنة أربع وستين وألف، وخلف كتباً كثيرةً، أمر الإمام بحفظها لوارثٍ إن كان.

[٥٠١] أحمـد بن أحمـد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم، الشيخ الإمام البارع شهاب الدين العناياتي النابلسي، عرف بابن مكية(١).

نزيل دمشق، وشاعرها المشهور، سافر إلى الحجاز، ثم إلى القدس، ودخل حلب، وغيرها من البلاد، واستوطن دمشق، وجاور بالمدرسة البادرائية، وكان متين الشعر، له فيه ملكةٌ تامةٌ، وينحو نحو الرضيّ، ومهيار، وكان يحب العزلة والانفراد عن الناس، وكان حسـن الخط، وأكثر ما يكتـب المجاميع الأدبية، والدواوين الشعرية، ويكتب أشعار الفحول، من العرب والمولدين، ويدرج كلامه في كلامهم، مع عَزْو كل قولٍ إلى قائله.

ومن شعره قوله:

رَبِّ خَلِّـصْ مـن الفـراق وَثـاقي   وأغثنـي [illegible] التلاقي
ملَكَتْنـي يـداه حتـى ظننـت   حمـامي مـدبراً فـي عتـاقي
ما تغنى ركـبُ المنـى فـي حجـاز   مـن مـشوقٍ إلا نـوى للعـراقِ
ليـت يـومَ الفـراق يهـوى فيلقـى   في الهوى مـا لقيـتُ يـومَ الفـراقِ
يومَ سـاقوا وأدمعـي فـي استباقِ   وفـؤادي مستحـضرٌ فـي الـسياق

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ١٧) (١)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٨٠) (١٠٣)، «معادن الذهب» للعرضي (٦٥) (١١).

كتب الدمعُ فوق مهراقِ خدي | كم دمٍ طُلَّ في الهوى مهراقِ
يا لعيني كانت منازل للأحـ | ـباب عادت مصارعَ العشاقِ
آه واحسرتا على ذلك الخدْ | دِ وإن كان أصلَ نارِ احتراقي
بدرُ تَمٌّ عليه جسميَ أمسى | خافياً مثلَ خصره في انمحاقِ
مال في الروض واستمالَ قضيباً | من خلافٍ كقدِّه في اتفاقِ

وله دور البيت:

قد ذبتُ على هواك ذوبَ الشمع | أفديكَ بنور ناظري والسمعِ
واللهِ وإنها يمين الشرع | حبي لكَ يا معذبي بالطبع

وكان الشيخ أبو الطيب الغزي ذات يومٍ هو والمترجم في المرجة، فجرت بينهما مطارحةٌ شعريةٌ، ومناظمةٌ دريةٌ، فقال أبو الطيب: اجلس إذا رمت السعود، فقال العناياتي: قبالة الوادي السعيد، فقال أبو الطيب: فهناك تنثر العقود، فقال العناياتي: كما تشاء من العقيد، فقال أبو الطيب: وانظر إلى تلك الخيام، فقال العناياتي: كأنها هضب النجود، فقال أبو الطيب: تحوي ظباء صريمة، فقال العناياتي: سُمر اللمى حُمر الخدود، فقال أبو الطيب: يفتكن من قاماتها، فقال العناياتي: بالسمر في قلب العميد، فقال أبو الطيب: والنهرُ في جنباتها، فقال العناياتي: والماء كالبرق الشديد.

وكان له تصرفٌ في المعاني، ولم يكن له حظٌّ في الدنيا، وكان أسمر اللون، رثَّ الهيئة، يضرب به المثل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، مات في عشري ذي القعدة، سنة ثلاث عشرة وألف، ورثاه الشيخ أبو بكر العمري بقوله:

مــات العنايــاتي بــدر الحجــى والمـــوتُ طبعـــاً بالعنايـــاتي
قــال لــسانُ الحــزن مــن بعــده تاريخُـــه (مـــات العنايـــاتي)

[٥٠٢] **أحمد بن أحمد المعروف بشيخ زاده الرومي الحنفي**(١).

ولي قضاء القضاة بدمشق، من دار الحديث السليمانية، فدخلها أوائل شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، وكان فاضلاً في الفقه، علامةً في المعقولات، وله إلمامٌ تامٌّ بعلوم البلاغة، يباشر الأحكام بنفسه، ويتأنى فيها، ويتحرى الحق، متصلباً في دينه، مقتصداً في نفسه.

ويقول: الاقتصاد أولى من الجور على الناس، وكان ينكر المنكر ويزيله، ويحضر صلاة الجماعة في الجامع الأموي، وعزل من دمشق، وتولى قضاء مكة، ورجع إلى الروم، وتولى بها مناصب سنيةً، ثم ورد الخبر بموته إلى دمشق، في أثناء سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٠٣] **أحمد أبو الفتح الغمري الشافعي**.

خليفة الحكم بمصر، الناظم الناثر، توفي يوم الأربعاء، سابع شهر ربيع الأول، سنة إحدى وثلاثين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٠٤] **أحمد بن أحمد الغِزْلاني المصري الشافعي**.

أحد شعراء المصريين، وأدباء العصريين، ومن الملازمين للسادة البكريين، وممن له في المحاضرة يد طولى، وقولٌ عند كل سيد ومولى.

---

(١) «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٩٦) (١٠٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٢).

ومن قوله:

تمنيت ضيفَ الطيف ممَّن هويتُه فجاء فلم أَسطع أمدّ له طرفا
وحاولت أن أشكو لديه صبابتي فقال دعِ الشكوى فحالُك لا يخفى
وقد فاض ماء العتب عندي فلم أجدْ لفرط غرام الحبِّ عندي ولا حرفا

[٥٠٥] أحمد الأحمدي الصعيدي[1].

من بيت أحمد: قريةٌ من أعمال المنية، الشيخ العارف بالله، كان ماشياً على طريق القوم بكثرة الصلاة والصوم، وغيرهما من أنواع العبادة، محباً للفقراء والعلماء والسادة، صوفياً فنيت ذاته، وانتشر صيته.

كان يحج سنة، ويترك أخرى، مع إدامته لخشونة العيش، وربما لبس الخيش، ولا يبالي بمن قال: ما هذا؟ وهذا ليش؟ وينشد:

اقنع بلقمة وشربة ماء ولبس الخيش
وقل لقلبك ملوك الأرض راحوا بيش

وكان كثير الذكر والفكر، والصلاة على النبي ﷺ، وأخبر أنه رآه ﷺ، وكانت وفاته في شهر رجب، سنة عشر بعد الألف ببلده، ودفن بزاويته، التي ببيت أحمد ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[٥٠٦] أحمد البقاعي الفرعاني[2].

كان من العلماء المعمَّرين، أخذ عن النجم الغيطي، وسالم السنهوري،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧٢)

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٥).

وعبد الوهاب الشعراني، وأبي النصر الطبلاوي، ومحمد البكري، والشمس الرملي، وعلي القدسي، وجمال الدين يوسف ابن شيخ الإسلام، وكان كثير التواضع، محباً للعلم، لم يزل يقرأ على الناس، حتى في أواخر عمره، كان يقرأ على تلميذه عبد الباقي الحنبلي، ويحضر دروسه ـ رحمه الله ـ.

[٥٠٧] أحمد السحيمي، نسبةً إلى سُحيم ـ مصغراً ـ: قريةٌ بمصر، الأحمدي الشافعي.

العارف بالله، والدال عليه، كان في عداد طبقة المشايخ الكبار من أهل عصره، بل أكبر منهم حالاً ومقالاً، وكانوا كلهم يعظمونه، ويوقرونه، ويتبركون به، قرأ بالروايات على أحمد بن عبد الحق السنباطي، ولازمه، وأخذ عنه، وعن علماء عصره العلومَ الشرعية.

ثم ارتحل من مصر بإشارة بعض أرباب الأحوال، فطاف البلاد البعيدة على قدم التجريد والمجاهدة والتوكل، ودخل بغداد والكوفة والبصرة، وما وراء تلك النواحي، ثم عاد إلى مصر، فابتنى مسجداً بجوار مشهد الشهداء، الكائن بناحية سرسنا بالمنوفية، وأقام به لإقراء الناس القرآن، فانتفع به خلائق لا يحصون.

وكان يجيء إلى مصر في كل عام مرةً، يجلس أحياناً بالجامع الأزهر، وأحياناً بمدرسة السيوفية، وأحياناً بمدرسة الحطابية، والناس يزدحمون عليه، ويلتمسون أدعيته الصالحة، ثم يعود إلى مسجده، ولم يزل كذلك إلى أن توفي سنة ثلاث وأربعين وألف، ودفن بخلوته التي بمسجده، وضريحه ظاهر يزار ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٠٨] أحمد المِهْمَنْداري الحلبي الحنفي[1].

مفتي دمشق، مولده بحلب في ذي القعدة، سنة أربع وعشرين وألف، وقرأ بها على النجم الحلفاوي، وأبي الوفا العرضي، وأخيه محمد، ومن في طبقتهم، ومكث بالروم سنين، وأخذ عمن بها من علمائها، ورجع منها إلى دمشق، وصار مفتياً.

وكان حسن السيرة، عاقلاً وقوراً، لـه حسن مدارة، أقام مفتياً بدمشق سنين، لم يتكدر منه أحدٌ بوجه، إلى أن توفي سنة ألف ومائة وثلاث أو أربع ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن شعره قوله:

مــذ رأى الــوردُ علــى أغــصانه خدًّ من أهواه في الـروض الأنيـقْ
صــار مغمًى فلطيـفُ الطـلِّ قـد رشَّ وجنتــــه كـــي يــــستفيقْ

[٥٠٩] أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكي الشافعي[2].

ابن الفضل وأبوه، المذعن لفضله أعداؤه ومحبوه، مقداره في الأدب جليل، ومثيل باكثير في الأنام قليل، ملك زمام القريض فاقتاده حيث شاء، وتلا لسان قلمه: ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٣].

مولده ـ كما رأيتـه بخطـه ـ ليلة الخميس، عشري شهر رجـب، سنة خمس وثمانين وتسعمائة، عند طلوع القمر ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٥٦٠) (٥٥)، «سلك الدرر» للمرادي (١/ ١٨٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٤٥) (٢٨٩)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٠٤)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٣٣).

ومن شعره: قوله معتذراً ومعجزاً قصيدة المتنبي، يمدح بها السيد علي ابن بركات الشريف الحسني:

حشاشةُ نفس ودعَتْ يوم ودعوا ... وقلبٌ لأظعان الأحبة يتبعُ
وصبر نوى الترحال يومَ رحيلهم ... فلم أدر أيَّ الظاعنين أودعُ
أشاروا بتسليم فجدْنا بأنفس ... تسيلُ مع الأنفاس لما ترفَّعوا
وساروا فظلَّت في الخدود عيوننا ... تسيلُ من الآماق والسم أدمعُ
حشايَ على جمرٍ ذكيٍّ من الهوى ... وصدري بأنواع الصبر بلقَعُ
وقلبي لدي التوديع في حزن حزنه ... وعيناي في روض من الحسن ترتع
ولو حملت صمُّ الجبال الذي بنا ... من الوجد والتبريح كانت تضعضَعُ
وأكبادُنا من لوعة البين والنوى ... غداةَ افترقنا أوشكتْ تتصدَّعُ
بما بين جنبي التي خاض طيفها ... دموعي فوافى بالتواصل يُطمع
تحيل لي في غفوة وجهت بها ... إليَّ الدياجي والخليون هُجَّعُ
أتت زائراً ما خامرَ الطيبُ ثوبَها ... وخمرتُها من مسكِ دارينَ أضوعُ
فقبلْت إعظاماً لي فضلَ ذيلها ... وكالمسك من أردانها يتضوع
فشردَ إعظامي لها ما أتى بها ... وفارقْتُ نومي والحَشا يتقطَّعُ
وبتُّ على جمر الغضا لفراقها ... من النوم والتاعَ الفؤادُ المفجَّعُ
فيا ليلةً ما كان أطولَ بِتُّها ... سميرَ السُّهى حلفَ الجَوى أتضرَّعُ
يجرِّعني كأسَ الأسى فقدُ طيفِها ... وسمُّ الأفاعي عذبُ ما أتجرَّعُ
تذلَّلْ لها واخضعْ على القربِ والنوى ... لعلَّكَ تحظى بالذي فيه تطمَعُ

ولا تأنفَنْ من هضمِ نفِسك في الهوى   فما عاشقٌ مَنْ لا يذلُّ ويخضعُ
ولا ثوبَ مجدٍ غيرُ ثوبِ ابن أحمدٍ   عليٍّ بن بركات به الفخرُ أجمعُ
عليٌّ صفا[1] بالمكرمات ولم يكن   على آخذ إلا بلوم مرتعُ[2]
وإن الذي حابى جديلةَ طيئ   بحاتمِهم وهو الجواد الممنَّعُ
حبا بعليٍّ آلَ طه فإنه   به اللهُ يعطي من يشاء ويمنَعُ
بذي كرمٍ ما مر يوماً وشمسُه   بغير سَناً منه تضيء وتسطَعُ
ولا ليلة تزهو به ونجومها   على رأس أوفى دمنةٍ تتطلَّعُ
فأرحامُ شعر يتصلْنَ لدنه   فكم سعرُ شعرٍ في معاليه يرفَعُ

ومنها في الختام:

ألا كلُّ سمحٍ غيرِكَ اليومَ باطلٌ   لأنك فردٌ للكمالات تجمَعُ
وكلُّ ثناء فيك حقٌّ وإن علا   وكلُّ مديح في سواك مضيَّعُ

واتفق لصاحب الترجمة: أنه سمع ـ وهو محتضرٌ ـ رجلاً ينادي على فاكهةٍ: ودِّعوا مَنْ دنا رحيلُه، فقال بديهًا:

يا صاحِ داعي المنون وافى   وحلَّ في حَيِّنا نزولُهُ
وها أنا قد رحلتُ عنكمْ   فودِّعوا مَنْ دنا رحيلُهُ

ولم يلبث إلا قليلاً، ومات ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) في الأصل: عليه صفا، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل.

وكان له في العلوم الفلكية، وعلم الأوفاق والزايرجة، يدٌ عليـةٌ، وكان له عند أشراف مكة منزلةٌ وشهرةٌ، وكان يجلس في الموسم، في المكان الذي يقسم فيه الصر السلطاني، بالحرم الشريف، بدلاً عن شريف مكة.

ووفاته في عام سبعة وأربعين بعـد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

ومن مؤلفاته: «حسن المآل في مناقب الآل» جعله باسم الشريف إدريس أمير مكة.

[٥١٠] أحمـد القُبابي ـ بقـاف وموحدتين ـ مفتي المقام الأحمدي، بطندتا، الشافعي...[1].

[٥١١] أحمد بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرقي.

قال صنـوه الحسين ـ فيمـا كتب إلي من ترجمتـه ـ: إنـه إمامٌ فاضلٌ، وعالمٌ كاملٌ، على فنون العلم، والقوة على النظم والنثر، ومحاسن الأخلاق، ما يفوق الوصف.

مولده سنة إحدى وخمسين وألف، وأخذ فنون العلوم عن أبيه وأخيه، وبرع في سائر الفنون، اجتمعت به بصنعاء سنة ألف ومائة وسبع، لما توجه إلى الإمام الهادي محمد بن أحمد بن الحسن، وتأكدت بيني وبينه المودة، وكاتبني بأشعارٍ كثيرةٍ، وله المؤلفات الكثيرة، منها: «أرجوزة نظم فيها تهذيب المنطق» لسعد الدين، أحسن فيها كل الإحسان، ونظم جواب أخيه المذكور في الرد على الأزهري في تحريم قهوة البن، وأحسن في نظمه، يقول فيه:

---

(١) لم يكمل المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الترجمة.

أحمــدُ ربّــاً بالــدليل أنعمــا ... وميــز الحــلالَ عمــا حَرَّمــا
مِـنْ فـضلِه أحـلَّ مـا فـي الأرض ... مما حوت مـن كـل خيـر مرضـي
فأصـلُ مـا فيهـا علـى الإباحـةْ ... والحمــــد لله الـــذي أباحَـــهْ
والأمـرُ فـي يـا أيهـا النـاسُ كلـوا ... مـن طيبـاتِ الأرض أي مـا تنقـلُ

وله «منظومة في الفرق بين الضاد والظاء»، أحسن فيها وأبدع، جاء في أول البيت بالضاد، وفي آخره بالظاء.

ومن جملة ما قاله فيها:

ونــضرةٌ بالــضاد مخـضرٌّ حــسن ... ومــا لمولانــا نظيــرٌ يــا حــسن
وغـاضَ بالـضاد لمـاءٍ قـد ذهـبْ ... وكم أغظْتُ مـن حـسودٍ بالـذهب

وله ـ وقد اطلع على «فوائد الرحلة ونتائج السفر» هذا مقرظاً له، وأبدع ما شاء، وذلك بعد اطلاعه على ما كتبه أخوه شيخنا العلامة الحسين في تقريظ هذا الكتاب، **فقال أحمد:**

أبــدع فــي التقــريظ ربُّ الوفــا ... وصــاحبُ البيــت وربُّ الــصفا
ومـن غـدا فـي دهـره الآيـةَ الكبـرى ... لــدى أهــل النهــى والــصَّفا
وهـو الحـسينُ العـالم المنتقـى ... مــن ناصــر الــدين الـذي شُـرِّفا
ذاك الــذي جــدَّدَ ديــنَ النبــي ... وأظهــرَ الحكمــةَ بعــد الخَفــا
فــتحٌ مــن الله لفــتحٍ أتــى ... لمقتفـي نهـج النبـيِّ المقتفَـى
مـذ كـان نـصرُ الله والفـتحُ فـي ... فوائـــدِ الرحلـــة للمـــصطفى
كــذا حيـاةُ العلـم أهـلُ النهـى ... فوائـــدُ الرحلـــة مـــن مـــصطفى

فليهنـه الأجـرُ علـى فعلِـه ... ويهـنِ مَـنْ كمثلِـه اتَّـصفا

قـد عـرف الأعـلام أهـل العـلا ... بفـضله الجـمّ الـذي عُرفـا

أقـسمُ بالبيـت الـذي أمَّـهُ ... مـن طافَـه مـن بعـد مـا عرفـا

لـو أن مـن يمدحُـه إن أتـى ... بكـلّ مـا فـي طوقـه مـا كفـى

فوائـدٌ قـد خلـدتْ تالـداً ... تـستوعب الأفـضلَ والأشـرفا

مـا ثَلَبَـتْ شخـصاً ولا أغفلـتْ ... فـضيلةً بهـا العـلا شـنَّفا

شـمائلُ الأخبـار للمـصطفى ... فيهـا لقلبـي وفـؤادي شِـفا

مثـل عيـاضٍ إذ شـفى مـورداً ... شـمائلاً مختـارةً فـي الـشِّفا

[٥١٢] أحمد بن الحمامي الحلبي.

نقلت من خط بعض الفضلاء: كان عالماً فاضلاً، مفسِّراً محدِّثاً، زاهداً عابداً، ورعاً مواظباً على العبادة، مشتغلاً بتكميل نفسه، وكان يعظ بجامع حلب، ولا يأخذ شيئاً من الأكابر والأصاغر.

حج سنة سبع بعد الألف، فلما رجع، لقيته بجامع دمشق، وصاحبته، فقال: أشاهد عليك الضعف، قلت: قد ابتليتُ بالحمى، قال: علاجها كذا وكذا، فقلت له: يا سيدي! ما أريد العلاج لمرض البدن؛ لأنه أهون، بل أريد العلاج لمرض القلب، فقال: لا إله إلا الله، فقلت...[1].

[٥١٣] أحمد بن الطوفان.

وُلد ببلدة «آذنه»، واشتغل بالعلوم، ودرس في بعض المدارس، ثم

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «فقلت» ثلاثة أسطر بياض بالأصل».

صار مفتياً ببلدة آذنه، ثم انفصل عنها، وذهب إلى دار السلطنة لطلب المنصب، استولى عليه الحال، ورغب في الطريقة، وكان الشيخ إبراهيم التاتار يومئذٍ مشهوراً فيها، قال: فأردت منه البيعة، وذهبت إليه مع رجلين من القضاة، ودخلنا عليه، وجلسنا عنده، وعرض رفيقاي مرادهم من المناصب، وأجابهما الشيخ، ثم قاما، وقمت معهما، فقال لي الشيخ: اجلس أنت، فجلست، وذهبا، فقال لي الشيخ: تريد السلوك والبيعة؟ فقلت: نعم، وجلست بين يديه، وأخذت منه البيعة[1].

واجتهد عنده مدةً، فلما مات الشيخ، رجع إلى «آذنه»، وسكن بقرية عندها، واشتغل بالرياضة والمجاهدة منعزلاً عن الناس، إلى أن توفاه الله إلى دار كرامته.

[٥١٤] أحمد البلغرادي.

وُلد بها، واشتغل بعلوم المباني والكتابة، ودخل في زمرة الأجناد السلطانية، وصار كاتباً لمحرم بيك أميرِ لواء بلغراد، فلما مات الأمير المذكور، ترك الجندية، ورغب في الصلاح، واجتهد حتى صار من جملة الصالحين والمكاشفين، ولم يغير هيئة الجندية؛ لاستتار أحواله إلى آخر عمره، مات في أواخر ست بعد الألف.

[٥١٥] أحمد القيرواني المغربي الحنفي، المعروف بصاحب السعادة[2].

---

(١) وهذه المراتب والمناصب والمصطلحات، من صناعة أهل الطرق والمتصوفة الباطلة، نعوذ بالله من الابتداع في الدين. وأن نُدخل على الشريعة ما ليس منها.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧٥).

كـان من أكابـر العلمـاء المحققين، لـه «شرح بديـع على أم البراهين للسنـوسي»، وصـار مستوفيـاً باليمن، وولي الحكومـة بـ «مرعش»، توفي بالمحلة الكبرى، من غربي القاهرة، سنة خمس وأربعين وألف.

[٥١٦] أحمد باشا بن رضوان[١].

نائب غزة، وأمير الحاج الشامي بعد الأمير قانصوه، كان رجلاً كاملاً، له مطالعةٌ حسنةٌ في كتب العلم والتواريخ، حسن المحاضرة، يحب العلماء ويعظمهم ويكرمهم، وله صلةٌ للعلماء.

قال النجم الغزي في «ذيله»: حججت معـه سنـة إحدى بعد الألف، فاجتمعت به بمنزلة العُلا، فتذاكرنا: هل سياسة الشرع أبلغُ من سياسة القانون، أو سياسة القانون أبلغ؟ قال: فأجبتـه بالأول، ومال هو إلى الثاني، فقلت: سياسة السارق الشرعية قطعُ يده اليمنى، ثم إن سرق فرجله اليسرى، والحكام يقتلونه بالقانون، ففعلُ الشرع أبلغ؛ لأنـه يبقى مقطوع اليد، أو مع الرجل؛ ليكون مثلةً في نفسه، وعبرة لغيره، ولو قتـل، نُسي، فالاعتبـار ساعة، ثم يذهب عن الأفكار، فسكت.

ثم رفـع إليه سـارقٌ بمنزلـة ذات حج، فلما ثبتـت عليه السـرقة، أمر بقطع يده، فقال له: يا مولانا الأمير! إني قـد حللتك بدمي، فاقتلني وأرحني، ولا تقطع يدي فأكونَ مثلةً، فقال له الأمير: إني أقطع يدك بموجب الشرع، ثم قال لي: قد تحققت صحةَ ما قلتم: إن السياسة الشرعية أبلغ.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٣) (١١٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٧).

وكان المترجم من أفراد الدولة العثمانية، وأعيان الأمراء الرومية، توفي سنة خمس عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٥١٧] أحمد ابن الإمام صاحب الحَبْلَيْن، من بلاد سارع.

كان من الأولياء المشهورين، وكان من حاله: إذا كان أحدٌ في حضرته، كأنه قد انسلخ عن الدنيا، وصار في حيز الآخرة، وله الكرامات المشهورة: أتى بعضَ أصحابه سنة موته، وقال: جئتُ مودعاً، ومات بعد أيام، لعله سنة تسع وعشرين أو ثلاثين وألف.

وهو من أصحاب الحاج أحمد الأحمر، وكان من أكابر الأولياء، وكان أخو المترجم عليّ ابن الإمام من الأولياء، وكان مستور الحال، وقال في شأنه الشيخ العلامة عبد السلام بن عبد الملك النزيلي: إن المشهورين ببركة المستورين.

[٥١٨] أحمد بن الأمين بن الصديق، صاحب الصلبة.

كان صوفياً مشهوراً، ظهرت له أحوال بعد موت السيد عبد القادر الأهدل، في دولة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وكان ينكر على الصوفية، وأراد الوقوع به، فتوجه إلى المدينة، ومات بها سنة ثلاث وخمسين وألف.

[٥١٩] أحمد الهادي بن شهاب الدين بن عبد الرحمن السقاف باعلوي الحسيني[1].

قدس الله سره، وأنار قبره، محتد الجلالة والفخامة، مفرد المقالة

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٥).

والشهامة، العالم العامل بلا زعامة، الحاتم على ناظره القطع له بالفضل السني والكرامة، الولي لله تعالى بلا ريب ونزاع، الملزم نفسه النفيسة الطاعة له ﷺ والحضور لديه والانقطاع.

كان ﷺ إمام المنقول والمعقول، الهمام في الفروع والأصول، عقد للإفادة المجالس والمحاضر، ففهم بلطف لطفه، وأفحم بعطف عطفه المناظرَ والمحاضر، عارفاً بطريق القوم، محتفلاً بكتبهم، مقتفياً لآثارهم الحميدة، ملتزماً لأدبهم، مشتغلاً في غالب أوقاته بأنواع العلوم، ونشرِ حكمها المعلوم، من فقهٍ وأصولٍ، وحديثٍ وتفسيرٍ، وآلاتٍ؛ كنحوٍ وصرفٍ، وكان له درس خاص في كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الغزالي.

ولم يزل هذا سِرته ودأبه، وسننه وأربه، إلى أن هتف به داعي ربه ودعاه، فأسرع في القدوم عليه ولباه، وكان ﷺ مجاب الدعوة، صادق النبوة، ولا بدع في ذلك ولا بعد؛ فإنه كان من الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله، تقربوا إليه حين والوه بالنوافل والفرائض فأحبهم، وكان سمعاً وبصراً لهم ووالى، واصطفاهم لإبداع سره ـ سبحانه وتعالى ـ.

توفي ـ رحمه الله ـ في يوم الثلاثاء، ثامن ذي القعدة الحرام، سنة خمس وأربعين بعد الألف، بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة، في حوطة بني شيخان، عند إخوانه السادة الأجلاء ـ أفاض الله على ضرائحهم صيب الرحمة والرضاء ـ.

[٥٢٠] أحمد السنهوري المالكي.

إمامٌ علامةٌ، اشتهر من بين علماء عصره بالعلوم النقلية والعقلية،

وظهرت له عليهم المزية، ومن شيوخه: العلامة الشهاب أحمد بن حجر، والنجم الغيطي، وممن أخذ عنه ولازمه: العلامة سري الدين الحنفي، وعامر الشبراوي، وشيخنا محمد البابلي، وكانت وفاته بمصر، في يوم السبت، تاسع عشري محرم، سنة ست عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٥٢١] أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام يحيى شرف الدين[١].

السيد الفاضل، عالم الأدباء، وأديب العلماء، ونخبة البيت الذي ارتفع قدره وسما، ذو الخلق الذي تستعير من نشره الأزهار وتعبق، والفضيلة التي تجري الألسن إلى محامدها وتطلق، شهاب الملة الساطع، وبدر الكمال الطالع، وواحد الزمن علماً ونظراً، وحامل لواء المعارف النقلية حديثاً وأثراً، ومحقق دقائق العلوم العقلية، وجامع الفنون الأدبية.

أما ملكة التعبير، فلا يتطاول ابن زيدون أن يزيد عليه في سعة العبارات، وأما مباحث التنقير، فما سلك الرئيس مسالكه في دقائق الإشارات، وأما المناظرة، فقد رقى فيها أعلى درج، وأما حسن المحاضرة، فناهيك به وكأنه أبو الفرج، وأما الترسل، فله على الفاضل فضل، وأما صناعة التجنيس والترصيع، فبينه وبين العماد ضمير فصل:

هـذا أرقُّ محاسناً　　　والفرقُ مثلُ الصبح ظاهرْ

وأما تاريخُ من غبر، فهو بحرٌ سعد بدُرِّ أصدافه، وأما حفظُ الأثر،

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦٢)، «البدر الطالع» (١/ ٤٥).

فهو ذو المنزلة التي فاقت وما اتفقت لأسلافه: **شعر**:

فقد وجدتُ معاني الفـضل بـاهرةً فإن قدرتَ علـى أوصـافِه فـصِفِ

وأما الشعر، فهو أدنى منازله، وأيسرُ فضائله.

ولد بكوكبان، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر العلمـاء والأعيـان؛ كالسيد العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل، والقـاضي المحقق عبـد الرحمن بن محمد الحيمي، قرأ عليه جميع «شرح الكافية للرضي»، وأجازه إجازاتٍ عديدةً حافلةً، أشار فيها إلى عليّ مقداره، وقفت عليها.

وله شيوخ كثيرون، ومؤلفاتٌ منها: «ترويح المشوق في تلويح البروق»، وهو كتاب إن نظرت إلى حسن سياقـه، هز منك الأعطاف ذلك السياق، أو إلى بديع اتساقـه، ثملتَ سكراً من صناعة ذلك الاتساق، أو تأملت عجيب استطراده، وتصيده للشوارد بقوة استمداده، قلت: سبحان المانح، ما أقوى ملكةَ مؤلفه، على اقتياد الجوامح! إلى عبارات حلوةٍ، وبلاغةٍ هي من الكمال في الذروة، ولطائف فقر، وبنات فكر، تورث الحليم صبوة، وغرائب مسائل علميةٍ، ونكاتٍ أدبيةٍ، تزهى بفنون حلاها القراطيس، وتجذب بعيون محاسنها الأرواحَ فكأنها مغناطيس.

وقد قرظ له عليه علماء عصره، ومنهم: السيد العلامة محمد بن إبراهيم ابن المفضل، **فقال في مدحه**:

مـا صـبا قلبـي لتـأليفٍ حـوى غـررَ الحـسن كتـرويحِ المـشوقْ

كلمـــا كـــررت فيـــه نظـــراً زاد حـــسناً فهـــو يحلـــو ويـــروقْ

كتـــبُ الآداب عـــن آخرهـــا قـــدرُه يعلـــو عليهـــا ويفـــوقْ

صاغه شمسُ المعاني مَنْ غـدت تستمد الشمسُ منه فـي الـشروقْ

ســـابقٌ طِـــرفُ عـــلاه نطقـــت بلـسانِ الحـال هيهـاتَ اللحـوقْ

دام فـي منــصب علــمٍ شــامخٍ مـا صـبا صـبٌّ لتلـويح البـروقْ

ومن شعره القاضي بأنه إمام فنونه، ومالك أبكاره وعُونه: قوله: . . .[1].

[٥٢٢] أحمد بن حسن ابن الشيخ سنان الدين القاضي[2].

جاحظ الروم، والمقدم فيهم بضروب العلوم، أخـذ العلم ببلاده عن والده، وعن العلامة يحيى المنقاري، وغيرهما من أفاضلهم، وحضر دروس شيخنا محمد بن علاء الدين بمكة، لما كان أبوه قاضياً بها، وأجازه في عموم طلبته، وبالغ أفاضل العصر في الثناء عليه، ودرس وأفاد الطلبة.

وتولى قضاء حلـب، وغيرهـا من الممالك العثمانيـة، ثم تولى قضاء مكة، عام ثلاثـة وثمانين بعـد الألـف، وسار أحسن سيرة، وعقد بمجلس الحكم درساً، وكان مما قرأه: شرحه على الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، الذي سماه: «إشارات المرام من عبارات الإمام»، وحضرت درسه في مجالس فيه، توفي سنة ثمان وتسعين وألف بالقسطنطينية ـ رحمه الله ـ رابع عشر جمادى الأولى، وكتب أهل الحرمين منه نسخاً عديدة، وهو شرح بديع لم يسبق إليه في حسن العبارة، وجودة السبك.

ثم تولى قضاء القسطنطينية، وصار هو المشار إليـه، ثم حطت مرتبته

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» صفحة وسبعة أثمان صفحة بياض، وغالباً أن هذه الترجمة مرت».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨١).

بسبب نكتةٍ وقعت لـه في قضائـه، وهو أنه رُفع إليه رجلٌ وامرأةٌ زنيا، وأقر الرجل وهو محصنٌ، فأمر بإجراء الحكم الشرعي عليه، وهو الرجم، فسمعت الموالي وقضاة العساكر بذلك، فنصحوه عن ذلك؛ بأن هذا ـ وإن كان أمراً شرعياً ـ لكنه ينكَر في مثل هذه الأعصار، والأولى دفعُه بحيلةٍ ووجهٍ شرعيٍّ مخلصٍ في الظاهـر، فامتنـع من ذلك، ولم يقبل قولهم، فمن حينئذٍ نزلت مرتبته، ولم يُول بعدها منصباً حتى توفي سنة ثمان وتسعين وألف تقريباً.

ولشعراء عصرنا فيه مدائح كثيرة، منها: قول صاحبنا الأديب البارع، عبد الرحمن بن محمد الذهبي الدمشقي:

مـاذا يـضرُّ تفـرُّقُ الأبـدانِ ... مـن صـادقينِ إذا التقـى القلبـانِ
والحبُّ ينمو في القلوب على النوى ... والبعـدُ لـيس بموجـب الـسلوانِ
والـدهرُ نـازعني رداءَ شـبيبتي ... ظلمـاً وملَّـك للمنـون عِنـاني
ونأى الحبيب فخانني صبري الـذي ... أعددتُـه لنوائـب الأزمـانِ
وتوقـدتْ نـارُ الخليـل لبعـده ... وجفـا لجفوتـه الكـرى أجفـاني
وأبيـك مـا بعـد الحيـاة بهـين ... والحتـفُ أدنـى غايـة الهجـرانِ
والقلـبُ فـي الـدنيا بغيـر أحبـة ... كالجسم في الأخرى بلا إيمان(1)

---

(1) جاء في الحاشية: «قال الشيخ عبد الرحمن الذهبي في «تراجمه» عند ترجمة أحمد ابن حسن المذكور، فمما امتدحه بـه الفاضل عبد الباقي، وهو إذ ذاك كان قاضياً بمدينة حلب، وأجازه عليهـا بخمسين ديناراً، واعتذر إليـه بعدم. . . والاستكثار: قوله: مـاذا يضر تفـرق الأبدان، إلى آخره، فأفـاد أنها ليست للشيخ عبد الرحمن الذهبي المذكور، ولو كان عبد الباقي حياً، لكان عليه غيور.

ومنها:

قسماً بأيام الوصال وطيبها　　　عندي وذلك أعظمُ الأَيمانِ
إن البَقا من بعد سكان النَّقا　　　عينُ العناء وأكبرُ الخسرانِ
والدهرُ كالخِلِّ الكذوبِ تقلُّبا　　　فوِدادُه وعنادُه سِيَّانِ
ولربَّ صادحةٍ على باب اللِّوى　　　سحراً تثير سواكنَ الأشجانِ
تبكي على غصنٍ بكايَ لفقدِه　　　فجميعُنا يبكي على الأغصانِ
ذاكرتُها درسَ الهوى ومدامعي　　　منهلةٌ بسواقطِ المَرْجانِ
والسحبُ تندبُ والرياضُ بواسمٌ　　　والشهبُ مثلُ أسنةِ المُرَّانِ
وكأن ليلتنا بها زنجيةٌ　　　تُجلى بأسلاكٍ من العِقْيانِ

ومنها:

والبرقُ يلمع في خلالِ سحابها　　　كصوارمٍ سلَّت من الأجفانِ
والريحُ تعبث بالغصون كما ثنى　　　سكرُ الشمول معاطفَ النشوانِ
والماء يسري في الرياض كما سرت　　　سِنَةُ النعاس بمقلةِ الوَسْنانِ
وخيال طيفٍ زار في سِنة الكرى　　　فأعاد لي روحي وردَّ جَناني
وتمتعت ليلاً على رغم العدا　　　أرواحُنا سراً من الجثمانِ

ومنها:

إني اهتديت لك البقاء وبيننا　　　بحرانِ من غسقٍ ومن كثبانِ
يا من خلعتُ لبعده ثوبَ الهنا　　　ولبست ثوبَ مذلةٍ وهوانِ
لولا التعللُ باللقاء تقطعت　　　روحي أَسًى وتهدمت أركاني

وأظنني أقضي سلمتَ صبابةً	من قبل أن يُقضى لنا بتداني
لا بل أظن الدهرَ يسمح بالمنى	إن الجميل عوائد الرحمن
أمريضَ حظي ثِقْ بخلاقِ الورى	سبحانه فالخلقُ كالأوثانِ
ومؤملُ المعروف منهم كالذي	يَشتار شهداً من فم الثعبانِ
أو عابدِ النيران يلقى حرَّها	ودخانَها حذراً من النيران
إلا الذي جمع الفضائل والنهى	عينَ الوجود وملجأ الأعيانِ

ومنها:

مولًى إذا بخل الغمامُ تفجرت	من راحتيه جداولُ الإحسان
لو صادف البحرُ المحيطُ بنانَه	غرقَ المحيطُ ببحرها الهَتّانِ
أو صادف الفلك الأثير بعرفه	وقفتْ كواكبُه عن الدورانِ
أو لم يكن قوس السحاب على الورى	لم يأمنوا ونداه كالطوفانِ
عَلاَّمة الدنيا وطودُ علومها	والفضلُ ليس بممكنِ الكتمانِ
مُحيي الدوارسِ والمدارسِ أحمدٌ	ثاني الخليلِ ووارثُ النعمانِ
هو سعدُ هذا العصر والعدلُ الذي	بالعدل أنسى صاحبَ الإيوانِ
فالجور في مُقَل الحسان مفرَّق	فرقاً ولم يظلم سوى العدوانِ
والسيدُ المنطيقُ ساحبُ ذيله	وبيان منطقِه على سَحْبانِ
ما فاه إلا جاء طبق مقاله	حكم النبي ومحكم القرآنِ
يقضي فيرضي الجانبين بحكمه	فتراه محموداً بكل لسانِ
وكأنما الدنيا جناحُ بعوضة	زهداً لديه عن الحطام الفاني

يا ثالثَ القمـرين والعُمـرين والـ ـــفرد العزيـز ومـا لـه مـن ثـاني
أنا عبـدُ نعمتـك الـصدوقُ وربمـا تغنـي الفراسـةُ عـن نبَـا البرهـانِ
أنا مَن علمتَ وكيف تخفى حالُـه عمـــن يُبــين دقـــائقَ العرفـــانِ
فاقبلْ قـريضَ مقـصرٍ فـي مدحـه واغفـــرْ فأنـــت أحـــقُّ بـــالغفرانِ
لم يلق ما يُهدى إليك سـوى الثنـا والـــدرُّ لا يُهـــدى إلـــى عمّـــانِ
لا زلـتَ مـسعودَ الجنـاب ممتعـاً فـــي حلبـــة الـــشهباء بالـــشهبانِ
ما صافحت ريحُ الصَّبا زهرَ الربى وسرى النسيمُ على غصون البـان[1]

[٥٢٣] القاضي أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي.

خطيب جامع شبام، وسليل مستنبط الأحكام، الشاب الماجد اللطيف الـذي ما بلغ العشرين إلا وصنـف، وقرط آذانَ العلوم وشنـف، فهو غصن دوحة الوفا، وزهرة عنصر أهل الصفا، مقلد جيد الزمان بقلائد عقيان آدابه، وملبِسُ شخوص تلك الأسجاع لطائفَ آدابه ونقابه، صاحب الفكرة الوقادة، والقريحة المنقادة، ولعمري إن ما وصفته به هو بعض سجاياه، وأقل مما في كثير مزاياه، مع جبين كالهلال، ووقار عليه سيما الجلال، حماه الله من عين الحسود، وحرس ذاته عن الأسواء بطوالع السعود.

من شعره ـ سلمه الله ـ قوله:

عقدٌ على عنـق الحسناء منـضودُ أم المدامـــةُ أبـــدتها العناقيـــدُ
أم النـسيمُ سـرى وهنـاً فكـان لـه بـين الجـوانح للمـشتاق تبريـدُ

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

وأذكـرَ الـصبَّ أيـامَ النقـا وروى | عـن معهـدٍ هـو بـالأفراح معهـودُ
فهـا أنـا وحـديث النـازحين معـاً | بما طوى النشر مـسرورٌ ومـسرودُ
هيجت لي يا صبا نجدٍ قديمَ هَوًى | لـه ببـالي علـى الأيـام تجديـدُ
أذكرتَني يوسفَ الحسنِ البديعِ ومن | له فـؤادٌ كقاسـي الـصخر جلمـودِ
وكيف أنساه إن جـار البعـاد وفـي | ســجن الفــؤاد لــه واللهِ تخليــدُ
من ثغره إن تبـدى كـالعقود علـى | بديـــده فلـــدرٌ العقـــدِ تبديـــدُ
وإن بدت في دجى الأسحار طلعتُه | فلـي وللطـرف تـسهيدٌ وتـسهيدُ
وإن رنـا لحظُـه أو لاح عارضُـه | فالسيفُ والروضُ مشهورٌ ومشهودُ
لا غروَ أن تضحك الأزهارُ معجبة | فـي خـدِّه ولـشعرِ الـصدغ تجعيـدُ
لـسيفِ ألحاظـه حـدٌّ ولـيس لـه | في الحسن حدٌّ تراه وهو محـدودُ
مــا زال مجتهــداً فــي صــدِّه | من دُرِّ دمعـي وظلمـي فيـه تقليـدُ
كشفتُ حالي عسى يرثي إذا وصفت | والعطف عنـد خـد الغـزلان مفقـودُ
فجردَ الـسيفَ يهـوى قتلتـي فلـه | كما علمت على الكـشافِ تجريـدُ

[٥٢٤] الإمام أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم.

مولده سنة تسع وعشرين وألف، وأرخه الأديب الأريب علي بن إدريس اللبيب فقال:

جـاء مولــودُك الــسعيدُ بــشيرا | بــالعلا والهنـــا ويــسر بعـــود
قيــل أرِّخْ وجــوده قلــتُ فــارقم | (خلــف صــالح ولــي ســعيد)

دعا بعد موت عمه الإمام المتوكل على الله المهدي لدين الله إسماعيل،

ودعا أيضاً السيد الفاضل القاسم ابن الإمام محمد المؤيد بن القاسم، وتكنى بالمنصور بالله، وأجابته جميع قبائل القبلة والمغارب، وغيرهم من الرؤساء، فكلهم دخلوا تحت طاعة الإمام المهدي.

وكـان الإمـام المهـدي في «الغِراس»، والإمام القاسم في «شهارة»، ولا زالت الكتب والمراجعـة بين الإمام المهدي والإمام القاسم، ولم يلتئم حال بينهم، فأرسل الإمام المهدي السيد الحسين بن محمد بن أحمد بن أبي طالب إلى خَمِر؛ ليقبض ما يصل للإمام القاسم من سياق طعام، وأن لا يفتح باب خلاف، ولا يتعرض لما لم يؤمر به.

وكانت البلاد المذكورة قد دخلت تحت طاعة الإمام القاسم، فلما بلغه ذلك، جهز ابن أخيه إبراهيم بن الحسين ابن الإمام محمد المؤيد بن القاسم، إلى جهة ذيبين، مقابلاً للسيد الحسين بن محمد، وحصل بين إبراهيم وجماعة المهدي حربٌ كبيرٌ، وأسـر إبراهيم بن الحسين، وجيء بـه إلى المهـدي، فأكرمه، وأرجعه إلى عمه.

ثم لما رجع إلى عمه، ووصل الإمام المهدي إلى تحت شهارة، جهز القاسم ثانيـاً إبراهيم بن الحسين بن المؤيـد بجيوشٍ كثيـرةٍ، فارتفـع الإمام المهدي من الغَيرة إلى خاشف، فكتب إليه إبراهيم أنه يدخل حرمه السمَسرة، التي بخاشف، خشية عليهم من العساكر التي معه، فلم يفعل المهدي ذلك، ووقع حربٌ عظيمٌ في الأبرق، وأُسر إبراهيم ثانياً، وأُتي به إلى المهدي، فأمر بإدخاله إلى السمسرة.

وفي أثناء ذلك طلب السيد علي بن الحسين الحجاف من الإمام القاسم إرسالَ جماعة وأمير من عنده إلى الصلبـة، من بلاد حَجَّة؛ ليبقوا بها رتبة،

فأرسل الفقيه أحمد العفّاري، وجماعةً من العسكر، ومن جملتهم: ابن أبي راوية.

فلما بلغ الإمام المهدي ذلك، جهز السيد أحمد بن محمد بن الحسين ابن الإمام القاسم، وولده السيد علي ابن الإمام المهدي، والأمير الشهير عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب، صاحب كوكبان، إلى الصلبة، والبقاء فيها من غير إحداث حربٍ وإثارة فتنة، فوصلوا هناك، وحصل الحرب بينهم من قِبَل الرتبة التي أرسلها الإمام القاسم، وآلَ الأمرُ إلى نهب الصلبة بأجمعها، وقتلِ جماعةٍ، منهم ابن أبي راوية، وكان مقداماً شجاعاً، من أهل بيت طيب بظُليمة، من حاشد، وخرج الفقيه أحمد العفّاري مستسلماً.

ثم في شهر شوال خرج الإمام المهدي من الغراس، بعد أن كتب إلى السيد أحمد بن المتوكل وهو بشهارة، منعزلاً في الظاهر عن طاعة الإمامين الداعيين، وفي الباطن مع الإمام المهدي: أن يجمع العلماء وأهل الحل والعقد؛ لينظروا الأصلح.

ووصل الإمام المهدي بجنوده إلى الغيرة: وادٍ تحت شهارة، ثم التقى الفريقان، فانهزم أصحاب الإمام القاسم، وكتب إلى الإمام المهدي بالطاعة والتسليم، والدخول في تلك الجماعة، ونزل الإمام القاسم إلى الإمام المهدي، واتفقا ساعةً، ولم يحضر بينهما أحد، وكان في ذلك دخوله في الطاعة، وتسليمه للأمر.

وصلح الحال، وانحسمت مادة الشقاق، وعين الإمام المهدي لبلاد الشرق عليَّ ابن الإمام القاسم، واستقر القاسم بشهارة، ثم توجه الإمام المهدي إلى الشام، ولبث في صعدة مدةً، وعاد قافلاً إلى الحطاب، من بلاد همدان،

وخرج الرؤساء من بني القاسم لملاقاته، ثم دخل الغِراس بأبهةٍ عظيمةٍ، ولبث بها أياماً، ثم دخل صنعاء، ولبث فيها مدةً، ورجع إلى الغراس.

ولم يزل متنقلاً في برج السعادة، واجتمعت كلمة اليمن إليه، وسار سيرةً حميدةً، إلى أن توفي في شهر جمادى الآخرة، سنة اثنتين وألف بالغراس، ودفن بإزاء الجامع الذي عمَّره، وبُني عليه قبة عظيمة، ورثاه شعراء العصر بقصائد كثيرةٍ[1]، ومنهم: صاحبنا القاضي العلامة يوسف بن علي الكوكباني، فقال:

مصابٌ بنى منّا القلوبَ على الكسر — وأعربَ عن رفع السلوِّ إلى الحشرِ
وواقعةٌ منها الورى في تغابنٍ — وقارعةٌ منها بنو العصر في خُسْرِ

منها:

فدع جفنك السفاح يرسل دمعَه — نجيعاً على المهدي الرشيد إلى الخير

ومنها:

هنيئا لتربٍ ضمَّ أعضاء أمة — لتُربٍ جديرٍ أن يُوازَنَ بالتبرِ

ومنها:

مضر وكذا السيف المشطب وانتهى — إلى جنة أنهارُها أبداً تجري
بكيتُ عليه بالقريض وأدمُعي — وأحسنُ ما يُبكى على البحر بالدُّرِّ

وهي طويلةٌ بديعةٌ.

---

(1) يلاحظ أن المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ اشتغل بالحوادث الجارية في عصر المترجم عن تفصيل ترجمته.

[٥٢٥] أحمد بن حسين بن أبي بكر بن سالم باعلوي الحسيني.

شهاب الفضل الثاقب، الشهير المآثر والمناقب، أحد أولئك الجِلَّة، وأوحد تلك البدور والأهلَّة، واحد العصر، وثاني القطر، وثالث الشمس والبدر، وكعبة الآمال، ودولة الإقبال.

ولد بقرية «عينات»، المحفوفة بالبركات، ونشأ في وادي المكارم وناديه، وتربى تحت حجر أبيه، وشب في الفضائل واكتهل، وهمى صيبُ فضله واستهل، فجرى في ميدانه طلق عنانه، وجنى من روض فنونه أزهارَ أفنانه، صحب أباه الحسين، وعمه الحسن، واتصف من الأوصاف بالحسن، وأحلته السعادة دارها، وأمكنته الرياسة من نفسها، فحسرعن وجهه نقابها وخمارها، وكان كجماعته على طريقة البادية، أبدانهم وشعورهم نادية.

ولما توفي أبوه، اتفق أهل عصره على تقديمه، وأنه أحق بالمنصب حديثه وقديمه، وخطبَتْه أبكار المعالي، وغازلته جفون البيض، مشيرةً إلى صدور السمر العوالي، فقام مقام أبيه، وشيد معاني مبانيه، وصار كضوء على علم، وجلا بسناء نوره الظلم، وشابه أباه، ومن شابه أباه فما ظلم، وأطفأ بنوره أنوار غيره وأخمد، وأعجز مَنْ بعده ولا بدعَ إذا ظهرت معجزة أحمد.

وانعقدت عليه خناصر الملا، وكان بحراً لا يكدره الدلا، طالما طاف حول داره ركب الوافدين، وطاب لديه شرب الواردين، أزرى كرمه بالبحر وإن جاشت غواربه، وعلت أمواجه وهاجت عجائبه، وكانت ترد عليه النذور والأموال، على ممر الأيام والليال، وهو يفرقها على الفقراء والمساكين، والغرباء الوافدين، وقصدَه الغادي والرائح، ومدحه الفضلاء بأحسن المدائح، فغمرهم بالفضل والسماح، وأغناهم عن الطلبة والاقتراح.

وكان في «عينات» مالكَ أزمة أمورهـا، ومرجعَ جمهورهـا، وكانـت أخلاقه كالروض الوسيم، وأنواره يُقتبس منها في الليل البهيم، وكان يملك نفسه عند الغضب، ويكظم الغيظ إذا قدر وغلب، مقبول الشفاعة عند الملوك والأمراء، يمتثل أمره في السراء والضراء، واستمر على هيبته وعظمته، وعلو منزلته وجلالته، فارغ البال، من التكدر والبلبال.

إلى أن انقضت أيامه، وتنبه لـه من داعي المنون نيامـه، **فتوفي في** صبح يوم الجمعة، لثمانٍ خلون من جمادى الأولى، سنة إحدى وستين بعد الألف، ودفن بمقبرة عينات الجديدة، عند قبور أسلافه ـ نفع الله بهم ـ.

[٥٢٦] أحمد بن الحسين الحمولي اليمني.

صاحبنا الفاضل الأديـب، العالم المتفنن الأريـب، الجامع بين العلم والأدب، والمنفق نفيس عمره في الطلب، **ولد** بالمسودة من مغارب شهارة، وبها نشأ، وقرأ القرآن، واشتغل بفنون العلوم، وأخذ عن السيد العلامة محمد ابن إبراهيم المفضل وغيره، وبرع وترعرع، وأفاد وأجاد.

اجتمعت به بمدينة اللحية، عام أربع وتسعين بعد الألف، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ، وأنشدني له شعراً كثيراً.

منه: قوله يمدح شيخه السيد العلامـة الحسن بن المطهـر بن محمـد الجرموزي الحسني، أمير المخا، وكنت رسوله فيها إليه:

عَـرِّجْ بـسَلْعٍ وإن رُوِّعْـتَ بالعَـذَلِ ... واقرَ السلام على مَنْ فيه عـن كَمَـلِ
وعفرِ الخدَّ فـي سـفحٍ ولعـتَ بـه ... وبثَّ شكواك من وجدٍ على الطللِ
واستنـشقِ الـريح بالأنفـاسِ عـاطرةً ... وسارقِ الومضَ من سترٍ ومـن خلـلِ

ومَتِّعَ السمع من حادٍ روايته | حديثُ عزةَ في الأسفار والطَّفَلِ
تروي عهودَ زمان باللِّوى سلفتْ | سحبتُ فيها ذيولَ الشاربِ الثملِ
عرّض بذكري وقل عهدي كما عهدت | ما خنتُ فيه بتغيير ولا بدلِ
لا تكثرِ الميلَ والإصغا لطائفةٍ | تزين الهجرَ بالإعراض والمللِ
إن لم تجودوا بوصلٍ منكمُ كرماً | على محبٍّ صبورٍ بالشجونِ مُلي
ودام هذا التمادي في بعادِكُمُ | وحُلِّلت عُقدُ التأليف والوُصَلِ
شكوتُ حالي إلى مَنْ جودُ راحتِهِ | عَمَّ البريةَ من حافٍ ومنتعِلِ
سامي المناقبِ محمودٍ خلائقُه | عالي المناصب في أسلافه الأُوَلِ
معطي المواهبِ والأجوادُ عابسةٌ | مفني الكتائب والأبطالُ في خجلِ
مَلْك أنافَ به مجدٌ وساعده | جدٌّ وأيده في القول والعملِ
نجلُ النبوة من أبناءِ فاطمةٍ | رقى بهمته العليا على زُحلِ
ما زال لا زال يطوي كل منتشرٍ | من الممالك في عزٍّ على مَهَلِ
فقل لمن رام مرقاهُ وغايتَه | قصّر فليسَ له في الجود من مَثَلِ
فقد حوى كلَّ ما في الناس من حسنٍ | غدا له علماً يدعى بلا حولِ
فَهْو الذي يدُه البيضا وصنعتُها | نسجُ المكارم للعافينَ عن عَجَلِ
سارتْ بها الركبُ سيرَ الشمس مفصحةً | في البر والبحر في حلٍّ ومرتحلِ

ومنها:

هذا هو الجوهرُ الفرد الذي انعقدت | له العنايةُ من مولاه في الأزلِ
يا بعد ما تتمنى نفسُ ذي شرفٍ | أن تَدَّعيه فقل حاولتَ بالخَطَلِ

هـذا المعـدُّ لريـب الـدهر فـاعْنَ بـه ينجيك إن لذتَ من خوفٍ ومن وَجَلِ

ومنها:

هـذا الكـريمُ يـرى الـدنيا محقَّـرةً كأنهـا عنـدَه فـي البـذل كالوَشَـلِ
تــراه مستبــشراً يومــاً بــسائله يعطيـه لانتـه كالعـارض الهطـل
لا مــنّ يخــشاه إن أعطــاه نائلَـه صارت مواهبـه بالخيـل والخَـوَلِ

ومنها:

إن كنتَ ممتـدحاً فـاذكر مكارمَـه صدقاً وليس كمدح قيل في رجـلِ
قابلتُ أفـضلَ سـوحٍ بالمـديح فـإن قَصَّرْتُ فالنقصُ والتفريطُ من قِبَلي
ما في الممادح مـا يحـوي فـضائلَه أزرت بكامل بحـر الـشعر والرمَـلِ
نجلُ المطهر مـن طابـت مغارسُـه نَشَا بحجر إمام فـي العلـوم عَلِـي
تُثني عليـه علـومُ العقـل أجمعُهـا والنقلُ لا مريةٌ في الأخذ عن كملِ

ومنها:

صلى عليه إلهُ العرش كلَّ ضُـحَى بعـدَ المـشفَّع فينـا خـاتمِ الرسـلِ
والآلِ ما ذُكروا في الأرض قاطبـةً ومــا دعــا الله مــن داعٍ ومبتهِـلِ

[٥٢٧] أحمد الحُميدي قراجة.

أحـد علمـاء الروم، لـه «ذيل على الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية»، أحسن فيه وأجاد، توفي سنة أربع وعشرين وألف، قاضياً بالقدس، وله «حاشية على الدرر والغرر» في فقه الحنفية.

[٥٢٨] الملا أحمد بن حيدر الحريري الحسين آبادي الكردي الشافعي.

الإمام المحقق الشهير، قرأ على والده وغيره، من مؤلفاته: «خماسيةٌ على شرح العقائد العضدية» للجلال الدواني، و«حاشية على حاشية العصام على البيضاوي» و«حاشية على الشفا» لابن سينا.

توفي سنة ثمانين وألف ببلاده ـ رحمه الله تعالى ـ وهو والد العلامة حيدر، وشيخه الملا أحمد الشهير بأخي المارديني الحنفي، علامةٌ في جميع العلوم، مولده سنة أربعين، أخذ عن علي الرومي، وهو موجود الآن.

[٥٢٩] أحمد بن خليل بن إبراهيم السبكي الشافعي[١].

إمامٌ فاضلٌ، إذا جمعت الفضائل، فهو منتهى الجموع، وعالمٌ كاملٌ، كماله كثمر الجنة غير مقطوع ولا ممنوع، لم يمض له وقتٌ في غير العبادة، ولا ساعةٌ في غير الاستفادة والإفادة، بوجهٍ أبلجَ وضاح، يلوح من غرته نورُ السداد والصلاح.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن النجم الغيطي، وعن محمد بن إبراهيم الصوفي الواعظ، تلميذ الشيخ محمد بن عراق، ومن في طبقته من علماء وقته، ولازم في الفقه وغيره الشمسَ محمد بن أحمد الرملي، وعنه: شيخنا سلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وغيرهما، وكان له مهارةٌ في علوم الحديث، والعلوم النظرية، وفقهه بتكلف.

واتفق لشيخنا سلطان معه: أنه حضر معه يوماً في صلاة الجمعة، في مسجد صاحب الترجمة إماماً فيه، وكان من عادته أن يقدم ولده للخطبة،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٢٢).

ويصلي الجمعة بنفسه، فلما فرغ ولده من الخطابة، تقدم للصلاة إماماً على عادته، فأمسك بيده شيخنا سلطان، وقال له: يا سيدي! تفيدوا أن من شرط إمام الجمعة أن يكون خطيباً، أو سمع الخطبة، وكان صاحب الترجمة عرضَ لـه ثقلٌ في سمعـه، فقدَّم ولـده حينئذٍ للصلاة بدله، وقال لشيخنا سلطان: جزاك الله خيراً.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ مفيدةٌ شهيـرةٌ، منهـا: شرح منظومـة السيوطي في أحوال الموتى سماه: «التبييت على التثبيت»، وكانت وفاته بمصر. . .[1]، ولـه شرحٌ على منظومة ابن العماد في النجاسات المعفو عنها، سماه: «فتح المبين بشرح منظومة ابن عماد الدين».

[٥٣٠] أحمد بن خليل السلموني الشافعي المصري[2].

جامع أشتات المعالي، وحسنة الأيام والليالي، علامـة الزمان، ووحيد الأقران، والمشار إليه بالبنان في البيان، زين الأكابر والأماثل، ورأس الأعيان والأفاضـل، ومقصـد الملتمـس والسائل، ومحط رحل أمل الآمل، حسن الأخلاق، حليم النفس، يلتذ بالعفو عن الزلـة؛ كما يلتـذ الأحمق بالعقاب عليها، مشكور السيرة، صافي السريرة، محمـود في فضله، لـه مهارة جيدة، في فنون متعددة، وأشعارٌ أنيقة، حسنةُ السبك رقيقة.

منها: قوله يمدح محمد بن محمود الكفوي، القائم مقام قاضي مصر المحروسة:

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ، وغالباً أن هذه الترجمة مرت».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٧).

ما الذي وسق الأحشاء بالنصلِ ... ولم يدع موضعاً فيها لمنتصِلِ
أَذَاك زرقٌ عوالٍ من كُماةِ وَغَى ... أو ذاك رشقُ نبال من بني ثُعَلِ
أم هي عيونٌ بأوتارِ الجفونِ رمتْ ... سهامَ ألحاظها قسي الحواجب لي
أم هي سيوفُ لحاظٍ في الحشا فعلتْ ... فعالَ سيفِ أميرِ المؤمنين علي
أم هي خناجرُ طعنٍ في الحناجر مَنْ ... رنا محاجرَ تلك الأعينِ النُّجلِ
أم هي رماحُ قدودٍ لا يعادلها ... في القدِّ سمرُ القنا العسالةِ الذبلِ
بيضُ الوجوه لها بيضُ الصفاح بها ... سودُ العيون لها السمرُ الرماح حُلي

ومنها:

ما لي وعشقَ مِلاح من محاسنِها ... تُبدي أحدَّ سلاحٍ مرهَفٍ صَقِلِ
واجيرتي ألا عزاء للغرام بذا ... الجمال أجنح للوَّامِ والعَذَلِ
أصبو لذاك ولا أصغي لِذَيْنِ ولا ... أسلو حلاوةَ مصِّ الريق والقُبلِ
لكنني في الهوى أصبحتُ ذا وَلَهٍ ... ومنه أمسيتُ شبهَ الذاهل الوَهِلِ
أشبهتُ ما صلةً والغِرُّ يحسبني ... ذا عائدٍ موصلاً والحالُ لم أصلِ

ومنها:

أنَّى الوصولُ إلى نيل العوائد ... والصلات من فاترِ الأجفان والمُقلِ
من لي بذلكَ والألحاظُ تسلبني ... سلبَ المدامة لبَّ الشاربِ الثملِ
ما بالنا معشرَ العشاق تأخذُنا ... في السلم تلك الرنا أخذاً على عجلَ

ومنها:

ونحن في الحرب أقوى ما نكون إذا ... تقارعت في الظُّبا الأبطالُ في الأسلِ

وبعـد ذاك القـوى والعـزمِ تنظرنـا		نهباً لألحاظِ تلك الـنعَّس الكحـلِ
ظُبـا الـسيوفِ وأطـرافَ الأسـنة لا		تَخشى وتَخشى سوادَ الطرفِ والكحلِ
الله أكبـرُ كـم مـن نـاعس غَـنِجِ		أردى وجندلَ كَمْ من فارسٍ بطـلِ

منها:

ولـم أجـد ملجأً آوي إليـه حمى		للأئذ الملتجي والخـائفِ الوَجِـلِ
إلا جنـــابَ عزيـــزٍ أيُّ معتلـــقٍ		بجاهه ناجحٌ فـي القـول والعمـل

ومنها:

حلوُ الحديث صحيحٌ لفظُه حـسنٌ		مسلسلٌ مرسَل أحلى مـن العـسل

ومنها:

منِّي له الحبُّ وقفٌ ثم إذ هـو لـي		كـافٍ بمـا أتمنـى أيُّ محتفـلِ

وهي طويلةٌ.

وكانت وفاته في خامس شعبان، سنة سبع وثلاثين بعد الألف بمصر.

[٥٣١] أحمد بن خليل بن علي الأطاسي، التركماني الأصل، الحمصي الحنفي[(١)].

قال ابن الحنبلي في «تاريخه»: دخل حلب، ولازم الشهـاب الأنطاكي، ثم عاد إلى حمص، وقد زاد علمه، وولي تدريساً، والنظر على مقام سيدي

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٩٣) (١٠٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٤).

خالد بن الوليد ﷺ ودخل دمشق، وتزوج بها أختَ مفتي دمشق الشيخ عبد الصمد العكاري، ثم قدم في صحبته إلى حلب، حين كان السلطان سليمان بها، سنة إحدى وستين وتسعمائة، فأعطي بعنايته تدريس الخزاعية بدمشق، ثم أعطي الإفتاء بحمص. انتهى.

قلت: وبقي بعد ذلك يتردد إلى دمشق، وكان فاضلاً صالحاً معظماً، وكان شيخنا القاضي محب الدين يترجمه بالعلم والتحقيق، والتفنن في العلوم، ويقول: إنه من أقران شيوخه.

قال الحنبلي: وجده عليّ هو العارف بالله تعالى، الذي أخبر عنه الشيخ محمود الصوفي، صهر الشيخ علوان الحموي: أنه ظهرت له كرامةٌ بعد موته؛ لأنه لما وضع بين يدي الغاسل، انسحبت الخرقة الساترة للعورة، فمد يده وسحبها؛ بحيث انستر منه ما كان انكشف.

توفي يوم الاثنين، حادي وعشري جمادى الآخرة، سنة أربع وألف، عن نحو تسعين سنةً ـ رحمه الله ـ.

[٥٣٢] أحمد خليفة الوديني.

ـ بكسر الواو والدال المهملة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وكسر النون ـ: نسبةٌ إلى بلدةٍ من بلاد الروم، على ضفة نهر طونة، تجاه ولاية أفلاق، ولد بها، واشتغل بتحصيل العلوم أولاً، ثم سلك الطريقة، واتصل بخدمة الشيخ بالي خليفة الصوفية، واجتهد عند، إلى أن حصل له شأنٌ في التصوف، وصار من جملة خلفائه، ثم سكن بوطنه المزبور، وكان شيخاً صالحاً معمور الظاهر والباطن.

[٥٣٣] أحمد خليفة المعروف بدده عمري.

كان من طائفة عمر، وهم جماعةٌ ساكنون بموضعٍ بين بلدة بياس وقرية قردتولاقي، من مضافات آذنـه، وكان شيخـاً صالحاً، عالماً مرشداً كاملاً، صاحب أحوالٍ صادقةٍ، وجذباتٍ قويةٍ.

[٥٣٤] أحمد بن روح الله الأنصاري[١].

العلامـة الشهيـر، لـه «حاشية على البيضـاوي» وصل فيهـا إلى سورة الأعراف، توفي سنة تسع وألف.

[٥٣٥] السيد أحمد بن ركن الدين الجرموزي أبو عبدالله الحسني.

ـ نوّر الله ضريحه ـ الأديب الناظم الناثر، كان هذا السيد فاضلاً أديباً بديع الترسل، لا يجارى في مضمار الفصاحة، استطرد ذكره صاحب «قلائد الجوهر» في أبناء السادة آل المطهر، وقال في حقـه: وهـو فاضل مشهور، وهمام لواء محامـده منشور، [إن] أنشأ فمـا الفاضل، أو خطب فما سحبان وائل، أو نظم فما النجوم الزواهر، أو خاطر فما الروض الناضر، وأطنب في صفته إلى الغاية.

وكان مولده بعتمه، واشتغل في صنعاء بفن الأدب، ولم يزل بعد ذلك متصلاً بالسيد شرف الدين الحسين بن مطهر الجرموزي مُوادِداً له في عتمة، ثم اتصل بعد وفاتـه بأخيه السيد رضي الدين جعفر في العُدَين، وما برح في حضرته مدة توليه لأعمال العُدَين، وهو الذي يسمى قديماً بمخلاف جعفر، وفيه مديخرة التي كان يسكنها علي بن الفضل القرمطي.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٨٩).

ثم اتصل صاحب الترجمة بالإمام الناصر الهادي محمد بن المهدي، وقصده إلى المنصورة قبل أن يلي الخلافة، وولي من قبله أعمال حيس، ولم يزل بها حتى توفي سنة سبع وتسعين بعد الألف، وقبره بها، وكان كريماً أريحياً، رقيق الطباع، يتأنق بلبس الفاخر من الثياب، ولا يفارق حضرته أنواع الزهور والأطياب.

ومن بديع نظمه: ما امتدح به السيد رضي الدين جعفر بن مطهر الجرموزي، وهي قصيدةٌ في عراض قصيدة ابن المعلم المشهورة، وهي:

سلوه ما غيره من بعدي ... حتى لوى وفرَّ ما وفى بوعدي
وأبدلَ الودَّ الأكيدَ بالقِلى ... وشانَ حسنَ وصلِه بالصدَّ
وغير الودَّ اختياراً بالجفا ... وذلك القربَ بهذا البعدِ
وجرَّ ذيل التيه عني مائلاً ... ومن أنا لتيهه ما جهدي
تراه أنسى موقفي على الحما ... دِ وحيرتي ووجدي
وصفو ودّ لم يكدِّره جفا ... أيُّ جفا يتكدر للودَّ
أم سمع الواشي الكذوبُ تعدياً ... حتى تناه والكدور بعدي
ما حلتُ عن عهدي الذي أسلفتُه ... حاشاي أن أُرمى بنكث وعدي
أو أن يفلَّ الدهرُ حدَّ صبوتي ... وهي التي جازت أقاصي الحدَّ
أحبابَنا بحقٍّ من أعطاكُمُ الـ ... ـحسنَ وأعطاني الغرامَ وحدي
رفقاً بعبدٍ أنتمُ ملاكه ... ما أجدرَ المولى بحفظ العبدِ

ومنها:

إن كان رشداً ما يهول عدلي ... لديكم بي عدمت رشدي

أصدُّ عن ماء العُذَيب والنقا وعن شَميم بانِهِ والوردِ
بأيِّ حكمٍ وبأيِّ ملةٍ أُذادُ عن طيب ذاك الوردِ
وطالما جرَّيتُ أذيالَ الصَّبا بين ظلالِ أثلِه والرندِ
أجوب فيه والهوى مطيتي واللهوُ جدتي والغرامُ بردي
سقى الحيا المنهلُّ أكنافَ الغَضى مروِّياً لغوره والنجدِ

ومنها:

إن الحمى روحي فدا من حلَّه عدا أسحالي وجل قصدي
لكَمْ ما ألقاهُ من حرِّ الهوى بهم وأُخفي والدموع تُبدي
أعلل النفسَ بِعَلَّ وعسى وقد علمتُ أنها لا تجدي
وتلاه من حلو اللما مرُّ الجَفا محصر الخصرِ رشيقُ القدُّ
أطماع دهري وكأني بالقلى وراح حالي البال مما عندي

ومنها:

أعوذ من إعراضه بحسنه ومن جفا الدهر بتِرْب المجدِ
بجعفرٍ من فضله بحياته ميتُ الرجا لا زالَ عالي الجدُّ
خير مليكٍ من بني الطهر الذي ما إن لبعض فضلهم من حدُّ
أروعُ لو لاقى الهضابَ بأسه لذابَ خوفاً منه صُمُّ الصلدِ

ومنها:

سل عن عطاياه الصبا فإنها تطفلت واختلطت بالوفدِ

خير بيت والمسكُ حشوُ بردِها ... علا كلَّ تلعةٍ ووَهْدِ
وأكسبت زهرَ الرياض أرجاً ... حكى برياه نسيمَ الخلدِ
وغرد الطيرُ وثنَّى سجعَهُ ... من طربٍ على الغصون المُلْدِ
يروي حديثَ الفضل عن زهر الربى ... عن الصَّبا عن الكريم المجدِ
ولم يزل عنه وعن أحبابه ... يعيدُ أخبارَ الندى ويُبدي
هم الأُلى شادوا منارَ فخرهم ... ومجدِهم بالجِدِّ لا بالحدِّ
كلُّ همام سابق إلى العلا ... لم يرتدي إلا رداءَ الحمدِ
لقد غدوا جيداً لعقد دهرنا ... لكنّه واسطة العقدِ

ومنها:

يا سيداً ما زال مذ قيل له ... يا سيداً يولي الندى ويُسدي
كَمْ ليديهِ من يدٍ على الورى ... أغنتهمُ عن طلب وكَدِّ
ولم تزل أنعُمُه على الورى ... لسائلٍ ولم يشنْ بردِّ
ما أمّ ذو حاجٍ إلى أبوابه ... إلا وعادَ مثقلاً بالرفد

ومنها:

خذ مدحته من صادقٍ ودادُه ... بديعة ما حكاها ابن الوردي
لما طوى عنك النوى معاضدي ... معينها معربة عن قصدِ
لا زلت غيثاً للنظار ممطراً ... ما لمعت بارقةٌ من نجدِ

ونظمه كثيرٌ، يأتي في ديوان.

ولحسن بن علي بن جابر الهبل إليه عدة قصائد، وهي في ديوانه المعروف بـ: «قلائد الجواهر».

[٥٣٦] أحمد الذاكر الدمياطي.

الشاعر المفلق، المشهور بدمياط، توفي يوم الجمعة، رابع وعشري شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وعشرين وألف.

[٥٣٧] أحمد خيير ـ بياءين تحتيتين، الأولى مشددة مكسورة ـ المزجاجي، صاحب سلامة التُّرَيْبة.

ذكر السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل: أنه كان يعلمه القرآن، وأثنى عليه بالخير والصلاح، والكرامات والإحسان.

ومما اشتهر عنه وظهر: أنه لما بانت دولة زبيد عن التُّرَيْبة، قصد محمد آغا، صاحب الزيدية أولاً قرية المترجم، وهي محله، وأخذ أثاثه، حتى قميص زوجته، وفتك بالشيخ ليقتله، فحماه الله من شره، ثم رجع إلى زبيد، ومعه مملوكٌ تركيٌ فعلَ فِعلَ سيده، فأصابه وجع البطن من حينه، فكان ذلك حتفه، وأصاب الآغا المذكور قرحةٌ في مشفره، وتسللت إلى أن فلت لحيه، فمات بسبب ذلك.

توفي صاحب الترجمة يوم النحر، سنة عشر بعد الألف.

[٥٣٨] أحمد بن زين الدين الخطيب الشربيني الشافعي.

أحد علماء الشافعية بمصر، أخذ عن الشمس محمد الخطيب الشربيني، والشمس محمد بن أبي الحسن البكري، والشمس محمد العلقمي، والنجم الغيطي، وجاور بمكة سنة تسع وتسعين وتسعمائة، وأخذ عنه الإمام عبد القادر

الطبري، وكتب له إجازةً بمروياته، ذكرها في كتابه «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[٥٣٩] الأستاذ أحمد بن زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن البكري[١].

ورفعُ نسبه في ترجمة عمه محمد أبي السرور، قال صاحب «السلافة» في ترجمته[٢]: شهاب الأئمة، وفاضل هذه الأمة، وملثُّ غمامِ الفضل، وكاشف الغمة، شرح الله صدره للعلوم شرحاً، وبنى له من رفيع الذكر في الدارين صرحاً، إلى زهدٍ أُسس بنيانه على التقوى، وصلاحٍ أَهِلَ به ربعُه فما أقوى، وآداب بحمر قدود الورد أنافها خجلاً، وشيم أوضح بها غوامض مكارم الأخلاق وجلا، وفلاحٍ يشرق من محياه، وطيب أعراقٍ يفوح من نشر رياه.

ولد بمصر، وبها نشأ، واشتغل بفنون العلوم، وكرع في مشارع الفهوم، وقرأ على عمه الأستاذ الشيخ أبي المواهب، وأبيه، وغيرهما من مشايخ عصره، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، فأشرق نوره فيه وأزهر.

وكانت له اليد الطولى في تفسير القرآن، وإليه النهاية في علوم الطريقة ومزيد الإتقان، مع كرمٍ يخجل المزن الهاطل، وشيمٍ يتحلى بها جيد الزمان العاطل، وجاهٍ عريضٍ وتمكين، ومكان عند الناس مكين، وهم يستعينون

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٠٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٤٧٩) (٣٣٠)، «الأعلام» للزركلي(١/ ١٢٩).

(٢) في الأصل: ترجمة مثله.

به ولا يستعين، ويستلمون أركانه كما تستلم أركان البيت العتيق، ويتنسمون أخلاقه كما يُتنسم المسك الفتيق، والنور يسطع من أسارير جبهته، والعز يرتع في ميادين طلعته.

ولم يزل بمصر إلى أن دعاه الله للقاه فأجاب، وكأنه الغمام أمرع البلاد فانجاب، فكانت وفاته ﷺ سنة تسع وأربعين بعد الألف.

ومن مؤلفاته: كتابٌ جعله على أسلوب «لوعة الشاكي ودمعة الباكي»، سماه: «روضة المشتاق وبهجة العشاق».

وله شعرٌ يدل على علو محله، وإبلاغه هدى القول إلى محله، فمنه قوله:

أحنُّ إذا جَنَّ الظلام تشوقاً ... إلى زمن بالقرب زاد تألقا

وأقطع ليلي ساهراً متفكراً ... لعل زمان الأنس يسعِفُ باللِّقا

[٥٤٠] أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد.

كان هذا العلامة الحبرُ العظيمُ الشأن جليل القدر، وواحد الدهر، وفريد العصر، وعالم السهل والوعر، وإمام البدو والحضر، في جميع العلوم هو البحر، قلد بفضائله جيدها والنحر، وافتخرت بفواضله اليمن إلى يوم الحشر، مع عذوبة اللسان، ووسع الصدر، ومراقبة الله في السر والجهر، وطيب الأصل والمظهر، وأصله من بلاد مسور، واشتغل بالعلم حتى اشتهر، وحرر العلوم وقرر، ولمخبآت كنوزها أظهر، وكان في العلوم النقلية والعقلية شيخها الأكبر، وفي الأدب غيرُه لا يذكر، إن حدث، فلفظه السكر، وإن روى الحديث، هَيَّم طالبه وأسكر، فكم أشرق نوره وأزهر، وعم فضله من دب

ودرج من البشر، وأخذ عنه صحيح الخبر، وعلوم السنة والأثر، وإذا عارض أحداً بقوله، فقوله الأظهر.

وبالجملة: ففضله أجلُّ من أن يذكر، وأظهر من أن يشهر؛ فإنه كان في العلم بحراً زاخراً، وبدراً هادياً زاهراً، مشاراً إليه في عصره بجميع العلوم، متوحداً بدقائق المنطوق والمفهوم، لا ساحل لبحر معارفه، ولا منهى لِيَمّ عوارفه، قد احتوى من المعارف على ما لم يحتو عليه الأول، وأقر له بالفضل من عليه في ذلك العصر المعوّل.

وكان ثغر الدولة القاسمية به مبتسماً، وتصريف أعنة الأوامر والنواهي بحسن موالاته متسقاً منتظماً، وهو صدر مجالسهم، ونور مقابسهم، تصدر للإفادة والكتابة في مجلس الإمام القاسم، ثم في مجلس ولده الإمام المؤيد بالله محمد، ثم في مجلس أخيه القائم بعده أحمد أبي طالب، ثم في مجلس أخيه المتوكل على الله إسماعيل.

وانتهت مدته في هذه الدولة الغراء، وهو كاتب الإنشاء، ومتقلد منصب الخطابة، في حضرات الأئمة المذكورين آنفاً، وانتهى إليه علم اللغة، والحديث، والتفسير، والنحو، والتصريف، والأصلين، والفقه، والدراية بمناطق العرب ومفاهيمها، وما اشتملت عليه من الكنايات والإشارات.

وعلى كل حال، فالواصف له مقصر، والمترجم له عن محامده الجليلة واقفٌ عن إدراك الغاية متحضرٍ متحسر.

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ في شهر محرم الحرام، افتتاح سنة تسعة ـ بتقديم التاء ـ وسبعين ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، بشهارة، وقبره مما يلي

الجامع بها، في الصرح الشرقي، ومولده في ثاني شعبان، سنة سبع وألف.

ومن شيوخه: والده، وعمه علي بن الحسين، وأخذ عن كثيرٍ من العلماء، منهم: الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، والقاضي العلامة أحمد ابن أبي الرجال، وغيرهما، وممن أخذ عنه: العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وبه تخرج، ويشير إليه كثيراً في تاريخه «مطلع البدور ومجتمع البحور»، وممن أخذ عنه أيضاً، واستفاد ببركة صحبته: السيد حسن بن مطهر الجرموزي، الآتي ذكره إن ـ شاء الله تعالى ـ.

وله مؤلفاتٌ فائقةٌ، وإنشاءاتٌ من خطبٍ وغيرها بليغةٌ رائقةٌ، وله من الورع ما لا يحصر بقيد، ولا يصل إليه عمرو بن عُبيد، مع تعاور العناية له في طاعة هؤلاء الأئمة الأطايب، وانسجال ديم النفائس عليه من كل جانب، فيأباها، ولا يخاف في ذلك من الملوك عقباها.

فمن ذلك: ما أجاب به على الأمير الكبير، الشريف الشهير، الحسين ابن أحمد الخواجي صاحب صبيا، وقد كتب إليه كتاباً، وأصحبه هديةً:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: فوصل كتابكم الذي هو جواب جوابي عليكم، مشتملاً على وجوه من الخطاب، صيّرت ما كان سبق مني من الإحسان بإجابة الكتاب الأول ذنباً، وما كنت أحسبه حمداً عند الله وعند خيار عباده سباً؛ إذ لم يقع مني ما صدر من البشر السابق، لمن وصل الحضرة الإمامية، من إخوانكم الشرفا، ثم جوابي عليكم في كتابكم الذي ابتدأ المولى به، إلا رعايةً لحق رسول الله ﷺ؛ إذ كنتم وأولئك الجماعة من أهل بيته، وممن ينسب إلى ذريته، ثم صيانةً لعرض مولانا أمير المؤمنين،

ومحبةً في أن يكون من حضرته الكريمة، كما جاء في الحديث النبوي: «المؤمن آلِف مألوف».

وكنت أظنكم ـ رعاكم الله ـ وأولئك الجماعة ممن له في خوف الله نصيب، وممن قد أقلع عما يوجب البعد من القريب المجيب، وممن دعواته صادقةٌ أنه لا يريد إلا الله، ولا يسعى إلا في طاعته وتقواه، فخدعتموني ـ تاللهِ ـ فانخدعت، ولو أخذت بالحزم الذي هو سوء الظن لما أَبْعَدْت.

فحملتم تلك الحالة مني على ما زهدني ـ والله ـ وغيري من المؤمنين فيكم، ونبهني على الحذر والريب في كل ما يصير مني [من] قول أو فعل عنكم؛ إذ حللتموني محلاً لست من أهله، وكتبتم إليّ، ولا لمستها ـ والمنة لله عليّ ـ يدي، أردتم خديعتي عن ديني، والتوصل بها إلى ما تريدون من أغراض الأهواء وإن أهلكني، وأكون كما قيل:

بتُّ كأني ذُبالةٌ نُصبت ... تضيء للناس وهي تحترقُ

ومعاذ الله أن أكون ممن يبيع دينه بكل الدنيا، فضلاً عن عرضٍ منها هو أقل وأدنى، أو أن يحبط أعماله ويُبطلها بإماطة الأوساخ عن الناس، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[الأنعام: ٥٦]، وكيف إن بقي شيءٌ من المعقول، آمر الناس بالبر وأنسى نفسي، وأتصدر لإمام الحق في إنشاء مواعظ يُخطب بها على المنابر لنصيحة الخلق، وأخونها، وهي أعز الأنفس عندي.

على أني ـ والمنة لله عليّ ـ من فضل ربي وفضل إمامي في خيرٍ واسعٍ، ورزقٍ جامعٍ، وأملٍ في كل بلاغ راتعٍ، ثم إنه لا يسلك أحدٌ طريقةً، إلا وله فيها سلفٌ يقتدي بهم، أو أصولٌ ينتمي إليهم ـ وأنا بحمد الله ـ ما أعلم في

أئمتي الذين أقتدي بهم من يأكل الرشا، ولا من يلبس الحق بالباطل، ويكتم الحق؛ لينال غرضاً من الدنيا، ولا في آبائي من خان إمامه، وآثر اليوم على يوم القيامه.

أما أئمتي الذين أقتدي بهم، بعد رسول الله ﷺ، فأولهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، وهـو يقول في خطبةٍ لـه: والله! لأن أبيتَ على حَسَك السعدان مسهَّداً، أو أُجرَّ في الأغلال مصفَّـداً، أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، أو غاصباً لشيء من الحُطام، وكيف أظلم أحداً لنفسٍ تسرع إلى البلى قفولُها، ويطول في الثرى حلولُها؟!

والله! لقد رأيت أخي عقيلاً، وقد أملقَ حتى استمحاني من بُرِّكم صاعاً، ورأيتُ صبيانـه شعثَ الألوان من فقرهم، كأنها سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً، وكرر القول عليّ مردداً، فأصغيت إليـه سمعي، فظن أني أبيعه ديني، وأتبع قياده مفارقـاً طريقي، فأحميت لـه حديدةً، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنـفٍ من ألمهـا، وكـاد أن يحترق من منسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدةٍ أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار أضرمها جبـارها لغضبـه؟! أتئن من الأذى، ولا أئن من لظى؟!

وأعجبُ من هذا: طارقٌ طرقنا بملفوفةٍ في وعيها ومعجونةٍ كأنما عُجنت بريق حيةٍ أو قيئها، فقلت: أصلةٌ، أم زكاةٌ وصدقة؟ فذلك محرم علينـا أهلَ البيت، قال: لا ذا ولا ذاك، وكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبطٌ، أم ذو جنـةٍ، أم تهجر؟ واللهِ! لو أُعطيتُ الأقاليم

السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في غلةٍ أسلبها خلب شعيرةٍ، ما فعلته، وإن دنياكم هذه لأهونُ من ورقـةٍ في فم جرادةٍ تقضمها، ما لعليٍّ ونعيمٍ يفنى، ولـذةٍ لا تبقى، نعوذ بالله من سيئات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين.

وأقرب أئمتي: إمام عصري بعد والده أمير المؤمنين القاسم بن محمد ابن علي ـ رضوان الله عليهما ـ، وهما جميعاً مَنْ عَلِم الخاصُّ والعامُّ سلوكَهما تلك الطريق، وتمسُّكَهما بذلك الحبل على التحقيق، ورفضَهما الدنيا بعد ملك الشرق والغرب، ورضاهما منها بأدناها، مع نفوذ أمرهما في العرب والعجم، والبعد والقرب، شعر:

والشمسُ إن تخفى علـى ذي مُقلـةٍ نصفَ النهار فـذاك تحقيـق العمـى

وأما آبائي الذين أنتسب إليهم، فأدناهم: أبي الذي ولدني، كان ـ والله ـ كما ورد في الحديث النبوي: «يغضب لمحارم الله كما يغضب النمر إذا هيج»، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكما قال الأول، شعر:

الـصدقُ فيـه مـا يـضرّ بـه والواحـد الحـالتين الـسرُّ والعلـنِ

ثم أخوه عمي الذي أدبني، كان كما قال أمير المؤمنين علي ـ كرم الله وجهه ـ في صفة المؤمن: المؤمن بشرُه في وجهـه، وحزنُه في قلبه، أوسعُ شيء صدراً، وأذلُّ شيء نفساً، يكره الرفعة، ويشنأ السمعة، طويلٌ غمُّه، بعيدٌ همُّه، كثيرٌ صمتُه، مشغولٌ وقتُه، صبورٌ مغمورٌ بفكرته، ضنينٌ بخلته، سهل الخليقة، لين العريكة، نفسُه أصلب من الصلد، وهو أذلُّ من العبد.

ثم أبوهما جدي، المسمى: سلمان أهل البيت، الذي لا نعلم أن إماماً

من الأئمة مُدح غيره بذلك، فقال الإمام شرف الدين لولده شمس الدين ابن أمير المؤمنين:

جاءكم سلمانُ بيتي فاعرفَنْ يا شمسُ حَقَّهْ
وبرجواك فحقق وببشرٍ فتلَقَّهْ

وإنا ـ بحمد الله ـ لم نعرف غير سبيلهم، ولا رُبيت إلا في حجورهم، ولا تلوثت بغير صفاتهم، وإني والناس لكما قال علي بن عبد العزيز الجرجاني ـ رحمه الله ـ:

يقولون لي فيك انقباضٌ وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذلِّ أَحْجَما
أرى الناسَ من داناهم هانَ عندَهم ومن أكرمَتْه عزةُ النفس أُكرما
ولم أقضِ حقَّ العلم إن كنت كلما بدا طمعٌ لي صيرته لي سُلَّما
وما كلُّ برق لاح لي يستفزُّني ولا كلُّ من في الأرض أرضاه منعِما
إذا قيل هذا مشربٌ قلت قد أرى ولكنَّ نفس الحرِّ تحتملُ الظَّما
ولم ابتذلْ في خدمة العلم مهجتي لأخدمَ مَن لاقيتُ لكن لأُخْدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلَّةً إذاً فاتباعُ الجهلِ قد كان أسلَما
ولو أن أهل العلم صانوه صانَهم ولو عظَّموه في النفوس لعُظِّما
ولكن أهانوه فهانَ ودنَّسوا مُحَيَّاه بالأطماع حين تَجَهَّما

اللهم إني لا أقول ذلك افتخاراً على غيري، ولا تزكيةً لنفسي، ولكن لما شرعته من تجنب مواقف التهم، وأنا مع ذلك معترف بأني أحقر من أن أذكر، وأهون من قلامة الظفر، ولكن مظلوم رفعت ظلامتي إليك، وكما قال

زين العابدين ـ عليـه السلام ـ: يا من لا تخفى عليه أنباء المتظلمة، ويا من لا يحتـاج في قصصهم إلى شهـادة الشـاهـدين، ويا من قربـت نصرتـه من المظلومين، ويا من بعُد عونُه عن الظالمين، قـد علمتَ يا الهي ما نالني من فلان، إلى آخر ما ذكره في دعائه، وحسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

هذا، ولولا تخريج أمير المؤمنين بعد الشكوى عليه في إعادة الجواب، لما توجه مني بعد ذلك خطاب، وهذا ـ إن شاء الله ـ بيني وبينكم آخر كتاب، والسلام، حرر خامس وعشري شعبان عام ستة وثلاثين وألـف، بمحروسة شهارة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، انتهى ما وجدته.

[٥٤١] أحمد بن سليمان القادري الدمشقي الشافعي[1].

مولده في بضع وعشرين وتسعمائة، وجلس على سجادة والده سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، ولبس الخرقة من شيخ الإسلام البدر الغزي، وكان ولده الشهاب الغزي يعتقده، وكان يكتب للناس الحروز، والناس مقبلون عليه لذلك، وكان يصلح بين الناس، ويترددون عليه لذلك، ويرضون ما يعمل.

وكان ساكناً وقوراً، حسـن الخلق، لطيف الذات بشوشاً، ويتردد إليه الحكام، ولهم فيه اعتقادٌ تامٌّ، بديعَ المحاضرة، ظريفَ المعاشرة، مستحضراً حكاياتِ الصالحين، ولطائفَ العارفين، ويوردها في مجالسه بالمناسبة أحسنَ مورد، ويكرم المترددين إليه، ويقبل عليهم.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٠) (١٠٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠٧).

ولم يزل على ذلك، حتى توفي يوم الأحد، سابع وعشري رمضان، سنة خمس بعد الألف، عن نحو ثمانين سنةً ـ رحمه الله ـ، وصلى عليه بالجامع الأموي إماماً بالناس، أحمدُ العيثاوي، قبل صلاة العصر، ودفن بزاويته، فدفن بها جوار الشيخ سيف الدين ـ رحمه الله ـ.

[٥٤٢] أحمد بن سليمان الدمشقي القادري الشافعي.

أحد خلفاء الطريقة القادرية، أخذ الطريقة وتلقن الذكر من والده، ومن الشيخ محمد بن عراق، والشيخ أحمد بن عتور الدمشقي، ولبس الخرقة القادرية من الشيخ صلاح الدين أبي المحاسن، وهو لبسها من الشيخ شهاب الدين أحمد بن الناصح البعلي، واجتمع بالشيخ أحمد المنبّاوي المغربي.

وكان في مبدأ أمره منجمعاً عن الناس، ولزم الصوم والخلوات، كل خلوةٍ أربعين يوماً، يفطر على لوزةٍ واحدةٍ، فعند تمام الأربعين حصل له ضعفٌ في جسده، ومرضٌ في أعضائه، حتى أوهنه ذلك، فدخل عليه رجل من الصالحين قبل أذان الفجر، فطرق الباب، ودخل وجلس تجاهه ولم يتكلم، ثم أنشأ قصيدة الشيخ محيي الدين بن عربي ـ قدس سره ـ التي أولها:

مرضي من ممرضة الأجفان ... عللاني بذكرها عللاني

فلما أتى آخرها، نهض الشيخ واقفاً وكأنما حُلَّ من وَثاق، وحصل له الشفاء من ساعته، وكان يقيم الذكر بزاويته التي عند بيته بمحلة السلاّحة، وتأوي إليه الفقراء والصالحون والأولياء والمجاذيب.

ثم أشير عليه في عالم الرؤيا، أنك عمّر مسجد الأمير سيف الدين الغازي، الذي بالقرب من دار الذهب، واتخذه زاوية للفقراء، وذلك سنة إحدى وسبعين

وتسعمائة، وكان هذا المكان ارتدم بالتراب من زمان اللنك، وصار بأعلى التراب بيوتٌ سكنها الهنود، فتجرد الشيخ أولاً لنقل التراب فيه، فجاءت أهل القرى بدوابهم، واستمروا في نقله نحو شهرين أو أكثر، ثم شرع في تعميره، فعمر الإيوان والخلاوي وعمر لنفسه داراً.

وعظم اسم الشيخ، وكبر صيته، بحيث إنه كل قضيةٍ تعسّر على الحكام فصلها، ترسل إليه، فيصلح بين الأخصام، ويقطعها في ساعةٍ واحدةٍ، وكانت تأتي الخصوم بين يديه، ويتصارخون ويرفعون أصواتهم، والشيخ مطرقٌ برأسه، حتى يعلم أنهم أخذوا حظهم من الكلام، فيرفع رأسه إليهم ويبتسم، ويورد لهم حكايات الصالحين، وما جاء في العفو من الأحاديث والآيات، فيخضع كلٌّ منهم لكلامه، ثم يقعون على أقدامه فيقبلونها، ويفوضون إليه أمورهم، فيصلح بينهم، ولو لم يكن للشيخ من المحاسن سوى هذه، لكانت كافيةً له.

وكان يكتب الأوراق والحروز، وفي الزبادي الصيني، وكتابته مباركة، وله مائدةٌ في كل يوم، أولَ النهار وآخره، ويقيم الذكر يوم الاثنين بعد العصر، وفي يوم الجمعة بالجامع الأموي بعد صلاتها، عند باب الخطابة.

قال تلميذه الشيخ سليمان بن أحمد الدمشقي، من خلفاء صاحب الترجمة: رأيته في ليلة الخميس، سادس شهر رمضان، سنة عشر وألف، في المنام، وكانت الرؤيا في آخر الليلة، كان شيخي أحمد جالساً في الخلوة اليمنى بزاويته، فدخلت عليه، وتمثلت بين يديه، فقال الشيخ لك: يا شيخ إبراهيم! إن سُئلت عن حسبي ونسبي، فإني أحمد ابن الشيخ سليمان ابن الشيخ أحمد الصمادي القادري، وإن سئلت عن نسبنا السابق، فإنهم عوام، وإن كان مرادك الاطلاع على طريقة القادرية، فلا بأس أن تأخذها عنا.

قال: فوثبتَ واقفاً على قدميك، وحطّ يده في يدك، ثم قال لي: هات يدك يا شيخ سليمان، فمددت يدي إليه، فحط يدك في يدي، ثم بايعت على الطريقة القادرية، بعد ما لقنه التوحيد، وقال: الآن بقيت من طريقة القادرية، وصار مددك من حضرة الشيخ عبد القادر الجيلي.

ثم قال: يا شيخ إبراهيم! أنت ما جئت بنفسك ـ يعني: من بلادك إلى الشام ـ، بل نحن سحبناك وجلبناك إلى هذه الديار؛ لأن في علم الله شيئاً ممكوناً يريد أن يبرز على يديك.

قال: ثم رأيت رجلاً من الأعيان جاء إلى قبال الخلوة، يريد الدخول عند الشيخ، فاستأذنت من حضرته، فقال الشيخ: هذا الوقت للشيخ إبراهيم لا لغيره. انتهى.

وقال الشيخ سليمان المذكور: كنت عند الشيخ أحمد يوماً، فوقع عليه الحال، واضطرب اضطراباً شديداً، فبعد ساعةٍ سكن وانبسط، وقال: الحمد لله، مراراً، فسألت عنه، فقال: لولا أولياء الشام، لهلك عسكر الإسلام، قال: فوضعت تاريخاً، ثم جاء الخبر أن السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان العثماني، غزا الكفار، ووقعت عليه شدة وانهزام، في ذلك اليوم والساعة، ثم غلبهم وقهرهم بإذن الله تعالى.

وقال الشيخ سليمان المذكور: سُئل صاحب الترجمة عن خروج المهدي، فقال: قد وُلد في سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، ويظهر في سنة أربع وعشرين بعد الألف(1).

---

(1) دعوى ظهور المهدي، أو إدعاء المهدية، حكاية متكررة عبر العصور، ولا تزال هذه=

ولما مرض صاحب الترجمة مرض الموت، أوصى أن يُجلسوا ولده عبد القادر، وهو ولد صغير القامة، نحيف الجثة، سنهُ قريبٌ من سبع عشرة، وجلس بحضور المشايخ.

ثم توفي نهار الأحد سابع عشر رمضان، سنة خمس بعد الألف، ودفن بعد الصلاة عليه في الجامع الأموي، صلاة العصر، بتربة الشيخ سيف الدين، بالقرب من النبرورية ـ رحمه الله ـ.

[٥٤٣] أحمد بن شهاب الدين بن الولي محمد بن عبد الرحيم باجابر الحضرمي.

ذو السؤدد الظاهر، والفضل الباهر، أخذ عن والده، وتربى في حجره، وتحلى من جواهر نحره، وأخذ عن غيره من العلماء الأعلام، والسادة الكرام، ورحل إلى الديار الهندية، وأخذ عن عَلم العلماء الأكابر، السيد عبد القادر، وغيره.

وله نظمٌ حسن، وعدة مدائح في السادة آل باعلوي.

قال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس: **مدحني بقصيدة يقول فيها:**

وما قصدي الجزاء سوى انتسابي إلـى عليـاكُمُ يـوم القيامَـهْ

فكان من اختيار الله تعالى له، بمقتضى حسن نيته، أن مات قبل أن يفتح علينا بشيء من الدنيا، وتأسفت على موته جداً، وكنت كلما تذكرته،

= الدعاوى قائمة، والأمر من الأمور الغيبية الخاصة، ومدعيها أصحاب أباطيل لا دليل لديهم سوى الكذب على عقول البسطاء والجهلة، نسأل الله السلامة.

استثار مني الحزن، وانبعث الأسى والندم، حتى كأن مصابي به باعتبار ذلك جديد في كل آن، ومن ثم كنت كثير الدعاء له، والترحم عليه، وصنفت في أخباره وما جرياته كتاباً سميته: «صدق الوفا بحق الإخا».

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الثلاثاء، رابع عشر شوال، سنة إحدى وألف، بالبلدة الشهيرة المسماة: «لاهور»، من الديار الهندية، حاطها الله بعدله، وله مكاتباتٌ مثبتةٌ في المجموعة التي أولها رسالة الأشخر[1].

[٥٤٤] أحمد بن شاهين الدمشقي[2].

أحد الفضلاء المشهورين في هذا الزمان، والمتميزين بكل حسن وإحسان، ونادرة الشعر، وينبوع كل بلاغة وسحر، ولد بدمشق سنة ألف وواحد، وولي نيابة الباب سنة ثلاثين وألف، أيام قاضي القضاة عبدالله أفندي.

ومن شعره قوله:

رازقي كنْ لعبدِكَ المرزوقِ وارعَ عبداً يشكو حلولَ الضيقِ
خالقي منكَ ماء وجهي فَصُنْهُ لا تُرقه في طاعة المخلوقِ

ورثاه الأمير منجك بقوله لما مات، وحصل مطر:

قلتُ لما قضى ابنُ شاهينَ نحباً وهو سهمٌ كلٌّ يشير إليهِ
رحمَ الله سيداً وعزيزاً بكتِ الأرضُ والسماءُ عليهِ

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض بالأصل ثلاث صفحات وسبعة أثمان صفحة».

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٦٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢١٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٩٦) (٦)، «هدية العارفين» (١/ ١٥٩).

ونظيره: أنه لما مات الحافظ ابن حجر، وصُلي عليه، حصل مطرٌ عظيمٌ، فقال بعض تلامذته:

قد بكت السحبُ على قاضي القضاة بالمطرْ وانهدم الركن الذي كان مشيداً بالحجرْ

ولد بدمشق، وكان والده كتخدا الينكجرية، وصاحب الحل والعقد بها، ونشأ ولده تحت ظله، واشتغل بالعلوم حتى فاق معاصريه، وعظم قدره، واشتهر ذكره، وصار صدر دمشق، والمعول عليه فيها، وانتهت إليه فيها الرياسة، ولما قدم العلامة أحمد المَقَّري، لازمه، وقرأ عليه كثيراً، واختص به حتى ألّف باسمه تاريخه «نفح الطيب في أخبار لسان الدين ابن الخطيب»، وله فيه مدائح ومكاتباتٌ طويلةٌ، منها: ما كتبه إليه لما قدم دمشق، عام سبعة وثلاثين:

كنفُ المَقَّرِيِّ(1) شيخي مَقَرِّي وإليه من الزمان مَفَرِّي(2)

[٥٤٥] أحمد صفي الدين بن صالح بن أبي الرجال(3).

إنسان عين زمانه، وأديب أوانه، ومن سراة الأدباء والفضلاء، بمدينة صنعاء.

من شعره: قوله يصف محاسن الروضة بصنعاء:

---

(1) جاء في الحاشية: «كذا بخطه يكتب مع بقية المكاتبات».

(2) جاء في الحاشية: «بياض صفحة وخمس بالأصل».

(3) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٨٥) (٢٤٤)، «البدر الطالع» (١/ ٥٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٣٧).

روضة قد صبا لها الصعد شوقاً قد صفا ليلُها وطابَ المقيلُ
جوُّها سَجْسَجٌ وفيها نسيمٌ كل غُصن إلى لقاه يميلُ
صحَّ سكانها جميعاً من الدا ء وجسمُ النسيم فيها عليلُ
إيه يا ماءَ نهرِها العذبَ صلصلْ حبذا يا زلالُ منك الصليلُ
إيه يا وُرْقَها المرنَّةَ عنِّي فحياةُ النفوس منكِ الهديلُ
روضَ صنعاءَ فُقْتَ لوناً وطبعاً فكثيرُ الثناء فيكَ قليلُ
تِهْ على الشِّعْبِ شعبِ بَوّانَ وافخرْ فعلى ما تقولُ قام الدليلُ
نَهَرٌ دافقٌ وجوٌّ فتيقٌ زهرُها فائقٌ وظلٌّ ظليلُ
وثمارٌ قطافُها دانياتٌ يجتنيها قصيرُنا والطويلُ
لستُ أنسى ارتعاشَ شُحرورِ غصنٍ طرباً والقضيبُ منه يميلُ
وعلى رأس دَوْحِها خاطب الور ق ودمعُ الغصونِ طِلاً يسيلُ
ولسانُ الرعود تهتفُ بالسحـ ـب فكان الخفيفَ منها الثقيلُ
وفمُ السحب باسمٌ عن بروق مستطيرٌ شعاعُها مستطيرُ
وزهورُ الربى تعجب من ذا شاخصا طرفُها المليحُ الجميلُ
فانبرت قُضبها تراقصُ تيهاً كخليلٍ سقاه خمراً خليلُ
وعلى الجو مطرفُ الغيم سافٍ وعلى السطح برجُ أنس أهيلُ
وهم في العلا أشدُّ من النبع إذا حلَّ في الخطوب جليلُ
فيه لي رفقةٌ رقاقُ الحواشي كاد لينُ الطباع منهم يسيلُ
أَرْيَحِيون أو تسومهم النفـ ـس لجادوا فليس فيهمْ بخيلُ

[illegible] [illegible]

وغدا الدمع من [illegible] كما بث [illegible]

طلل قبلي زادها وطاب ضحاها كيف أنسى [illegible] وكيف الأصيل

ولما اطلع عليها القاضي [illegible] محمد بن إبراهيم [illegible]

قال:

لا زال وجه [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

والتي [illegible] [illegible]

ومنها:

ولهذي الدعوى براهين قد حُزْ ... نَ منها المعقولُ والمنقولُ

غير أن المجال يُستحسن الإجـ ... ـمال فيه ويسمع التفصيلُ

جنة الأربع الجنان التي دلّ ... بتفضيلها عليها الرسولُ

ومتى احتاجت الغزالة في ... رأد الضحى أن يُقام فيها الدليلُ

ولموضوع حسنها في الحواشي ... ملحقاتٌ بدائعٌ وفصولُ

كالرياض الغناء إذ طاب فيها ... ليلُها والضحى وطاب المقيلُ

ومنها:

وبكى الغيم في رباها فأضحى ... ضاحكاً عنه ثغرُها المعسولُ

وتغنى الهَزارُ في الورقِ الأخـ ـضر واصفرّ كالنضار الأصيلُ
وأتى مرسَل النسيم إلى الغصـ ـن ليوحي إليه كيف يميلُ
حبذا حبذا مروجٌ أحاطت ببروج فيها البدورُ نزولُ
كجنان الفردوس ولدان الألوا ن من النبت في رباها تجول
فلريحانها سرورٌ وقد را ق بلالاً جدٌّ له مبلولُ

ومنها:

وإذا اهتز الغصنُ وانتشر الطَّلْـ ـلَ بمرجانِه تبسم لولو
وإذا ما النسيم دبَّ على الما ء تعاطاه جوهرٌ وقَبولُ
حبذا نهرُها الذي المسكُ والكا فور والشهدُ فيه والزنجبيلُ
ما نُقَيْبٌ ودجلة والمعلاّ وفراتٌ ونيلُ مصرَ المنيلُ
في البساتين كالثعابين تنسا بُ رأيت الحبابَ كيف يسيلُ
أو كما هزّ للمضاع نعاع صحصحان الأطراف سيف صقيل

ومنها:

إن تصلصل كماته حكم القا ضي فمن عادة السيوف الصليلُ
كلُّ ما مرَّ فهو حالٌ ولكن لا تقل فيه كلُّ حالٍ يحولُ
كم خلافٍ عنه له ثمراتٌ قد حواها جميعَها المحصولُ

ومن مؤلفاته: «مطلع البدور ومجتمع البحور»، وهو تاريخٌ حافلٌ، وقفت عليه، وقد ترجم له أخوه القاضي محمد، وذكر له نحو ثلاثين مؤلفاً، وكان مشهوراً بسعة الحفظ، وعلى كل حال، فالمعارفُ هالةٌ هو بدرها،

والفضائل أنهار هو بحرها.

كان طلق الوجه، حسن الشمائل، ذكي القريحة، تحلقت عليه المدارس، بمدينة صنعثاء وشهارة وصعدة، ولا يسلك جهة إلا استقبله فضلاؤها، واستبشر به كلؤها؛ لكرم شمائله، وسعة فوائده وفواضله.

وكان له اليد الطولى، والسابقة الأولى، في المعاني والبيان، وتفاسير القرآن، وتقييد الفروع والأصول، ورد كل شيء إلى أصله، من المسموع والمنقول، وتولى الخطابة، وأنشأ الخطب في عصر خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله، ولازم حضرته العالية، بتعويل من أمير المؤمنين عليه، وإلقاء مقاليد هذه الفضائل إليه، ورتبته رتبة شيخه القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين، وكان ـ كما قيل في حق السيدين ـ: فرقدي سما، وبدري هدى.

توفي صاحب الترجمة ـ رحمه الله ـ سنة اثنتين وتسعين بعد الألف بالروضة، وقبره تجاه منزله في ثغر زبيد.

[٥٤٦] أحمد بن شهاب الدين العجمي الشافعي(١).

الشيخ الإمام الفاضل، العالم الكامل، كان فقيهاً عالماً بالحديث وعلله ورجاله، موصوفاً بالخير والصلاح، مشاركاً في علوم عديدة، مرجعاً لأفاضل العصر في مراجعة المسائل المشكلة؛ لطول باعه، وسعة اطلاعه، رقيق الطبع، مطبوع العشرة، حسن الأخلاق.

مولده في ثالث عشر رجب، سنة أربع عشرة وألف، وابتدأ بطلب العلم

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٩٢).

سنة سبع وعشرين، وتشرف بالاجتماع بالزيادي مرتين صحبة والده، ودعا له بدعوات صالحة، ظهر أثرها عليه.

أخذ عن جمعٍ من أكابر العلماء، منهم: البرهان اللقاني، والنور الأجهوري، والشمس الشوبري، والنور الحلبي، والشمس محمد الحموي، والشهاب القليوبي، وأحمد الدواخلي، وعبد الرحمن الخياري، وحجازي الواعظ، والشريف محمد بن عبدالله الطبلاوي، وإبراهيم الميموني، ومحيي الدين ابن شيخ الإسلام زكريا، وحجازي الأنبابي، ومحمد الميناوي، وجلال الدين المحلي، وعبد الرحمن بن سراج الدين الشنواني، وخضر الشوبري، وأخيه عطية، وأحمد السحيمي، وعامر الشبراوي، وأحمد المقري، ومحمد الروحي النعظي، وأحمد الغنيمي، والشهاب الخفاجي، وسري الدين الدروري، وفتح الله البيلوني، وحسن الشرنبلالي، ومنصور البهوتي.

وأخذ الطريق عن أحمد الكلبي المالكي شيخ المحيا، وعن أحمد البَجَم، وأبي الفتح الأبياريين، وعن عبدالله المحلاوي، وإسماعيل الصنافير، والسيدة نفيسة بنت الشيخ أبي الحسن البكري الصديقي، ولازم الأستاذ أبا الإسعاد ابن وفاء، وأخذ عنه طريق السادة الوفائية، واختص به، وصار لا يفارقه حضراً ولا سفراً، وأمور الأستاذ كلها كانت منوطة بنظره.

وأخذ أيضاً عن شيوخنا: سلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم، وأجازه شيوخه، وكان شيخنا خاتمةُ المحققين علي الشبراملسي يحترمه، ويشير إليه ويعظمه، ويثني عليه، ومن شهد له خُزيمة، فحسب.

وكان يقري الحديث في بيته، فتذهب الأفاضل إليه لحضور درسه،

وكان كثير الكتب؛ بحيث إنه لم يكن في عصره في مصره أكثر كتباً منه، سمحاً بإعارتها، وانتفاع أهل العلم بها، وكان بيني وبينه محبةٌ ومودةٌ، وكنت أتردد إليه كثيراً، وعرض له ثقل في سمعه في آخر عمره.

وكانت **وفاته** بمصر، ليلة الأربعاء، ثامن عشر ذي القعدة الحرام، سنة ست وثمانين بعد الألف، وصلى عليه ظهر يومها، بالجامع الأزهر، إماماً بالناس، شيخُنا علي الشبراملسي، في مشهدٍ عظيمٍ، وجزع عليه جزعاً شديداً؛ لشدة محبته له، ودفن بتربة المجاورين.

وأخبرنا شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي، في درسه: أنه رأى صاحب الترجمة في النوم، ليلة الأربعاء، بعد ثمانية أيام من وفاته، وعليه ثيابٌ بيضٌ، في مجلسٍ حافلٍ، فيه جمعٌ من الناس يتلون القرآن، عرف منهم شيخُنا خاتمة المحدثين محمد البابلي، وحجازي محمد بن خليفة الشوبري ـ رحم الله الجميع ـ.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل شهيرةٌ، منها: «فهرست بجميع مروياته وشيوخه» أحسن فيها كل الإحسان ـ رحمه الله، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان ـ.

[٥٤٧] الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي، صاحب مكة[١].

مولده عام أحد[٢] وخمسين وألف، كان في دولة أخيه الشريف سعد،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٩٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٢٨).

(٢) في الأصل: إحدى، والصواب ما أثبت.

مشـاركاً له في الربـع، ثم لمـا عزلا عن مكـة، توجها في ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين وألف إلى الطائف، ثم إلى بيشة، وأقاما بها، ثم توجه المترجم إلى ديرة بني حسين؛ فإن له بها أهلاً وولداً، واستمر مقيماً إلى القعدة من السنة المذكورة، فرحل منها قاصداً المدينة؛ لزيارة جده ﷺ، فدخلها ليلة دخول الحاج الشامي، وواجهه فيها أمير الحاج الشامي محمد باشا، والتمس منه بعض مرام من شريف مكة ـ إذ ذاك ـ بركات.

ثم خرج من المدينة، ونزل على شيخ حرب أحمدَ بنِ رحمة، واستمر عنده إلى عودة الحاج الشامي، فواجهه الباشا، وأخبره بعدم تمام ذلك المرام، ثم توجه إلى الفرع، في أول عام أربع وثمانين، واستمر بها مدةً يسيرةً، ثم لما خرج الشريف بركات لحرابة حرب، في أواسط السنة المذكورة، عاد إلى حرب، وحضر الحرابة، ثم بعد انقضائها، توجه إلى الفرع، ثم وصل إليه أخوه الشـريف سعد، واستمرا بين السَّوارقيّة والفرع، وأكثر الإقامة بالفرع، ولما توعد الشريف أهل الفرع، أوائل سنة خمس وثمانين، تنحوا إلى جهة وادي النقيع، من بلاد حرب بني السفر، وبني علي وعوف، واستمروا ومن معهم بها إلى شهر رمضان.

ثم عنّ لهم التوجه إلى الأبواب السلطانية، فوصلوا إلى حول المدينة الشريفة، ونزلوا بالغابة مجتمع السيول، غربي أُحد، أواخر رمضان، فعيدوا بذلك المحل، وليـس في نزول الأسـود بالغابـة ملامةٌ ولا معابـة، وتقضوا حوائجهم، وذهبوا خامس شوال متوجهين إلى الشام، لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أكرمهم.

ومن أعجب الاتفاق نزولُهم على مراح ابن سحيم، من غير علم منهم

بذلك، وكان الشريف سعد قتل أباه، فلما علموا به، حصل لهم كربٌ عظيمٌ، فلم يشعروا إلا وولده مواجهٌ لهم بالعبودية، والسلام والإجلال والإعظام، وأهدرَ دمَ والده، وأكرمهم، وذبح الذبائح، ومنح المنايح، وهذه من غير شكٍ معجزةٌ من جدهم.

ولم يزالوا على مثل ذلك، مع كل من مروا عليه من العربان، من جمعٍ ووحدان، إلى أن وصلوا دمشق الشام، فتلقاهم أهلها وأمراؤها، وكبراؤها وعلماؤها، ونقيب الأشـراف، ودخلوا بموكبٍ عظيمٍ، والأشرافُ من أهل الشام حولهم مشاةٌ بأمر من نقيبهم، وكان يوماً مشهوداً، ثم أقاموا بها.

واستأذن لهم حاكمُ الشـام حينئذٍ السلطنةَ في الوصول، فأذنوا لهم، فتوجهوا إلى أن دخلوا أدرنه، فحصل منهم من التعظيم والتبجيل ما يقصر عنه الوصف، وأقاموا بها مدةً يسيرةً، ثم توجهوا بأمر من السلطنة إلى القسطنطينية، واستمروا بها، وتولى الشريف سعد بعد ذلك المعرة، وتوجه إليها، ثم عزل عنها، وعرضت على المترجم طرسوس، وهي بلدٌ على ساحل بحر الشام، فلم يقبل إلا مكة.

ثم لم يزالوا بالروم، والأحوال تنتقل بهم، إلى أن حصل بمكة ما حصل؛ من الخلف والخلاف بين الأشراف، فبلغ ذلك السلطان، فأرسل إلى المترجَم، فأتاه، فلما دخـل عليـه، قـام له، وقابله بغاية الإجلال، ووضع كفه بكفه، وتصافحا من قيام قائلاً: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد.

فأول خطابٍ من السـلطان لـه أن قال لـه: يا شريف أحمد! الحجاز خراب، أريدك لصلاحه[1]، فامتثل ذلك، فعند ذلك ألبسه ما كان عليه، ثم

---

(١) في الأصل: لصلحه.

جلس السـلطان، وأشار إليه بالجلوس، فجلس، وأعاد عليه ما قال له أولاً مرتين، وهو يجيبـه بالامتثـال والقبول، فحينئذ قال السلطان: إذا آن أوان الشيء، أبرزه الله.

وأمـر الوزير والكتاب أن يكتبـوا له ملتمسـه، وأجزل صلته، فخرج الشريف، وقدم له مركوب من خيل السلطان، ورحل على خيل البريد المسماة في عرف أهل الروم بـ: الولاق، فدخل إلى دمشق، وقد خرج الحاج منها، واستمر مجداً في السير، حتى لحقه بالعُلا، ودخل المدينة الشريفة، وتلقاه عسكرها، ولبـس الخلعة السلطانية، تجاه الحجرة الشريفة؛ كما لبسها ثمة أبوه.

ثم دخل مكة سابع ذي الحجة، ختام سـنة خمس وتسـعين، من جهة أسفلها، ووراءه المحمل المصري، ومعه جميع عساكر مصر والشام وجُدّة، وركب بين يديه قاضي مكة السيد عثمان، وأحمد باشا صاحب جدة، وكان موكباً عظيماً، لم يتم لأحد قبله من الأشراف، إلا لوالده الشريف زيد، فحج بالناس على أحسن حال؛ من الأمن والدعة والسكون، وحصل لأهل الحرمين بقدومه غاية السرور، **توفي** ـ رحمه الله ـ حادي وعشري جمادى الأولى، سنة تسع وتسعين وألف.

وتولى بعده الشريف سعيد ابن أخيه الشريف سعد، ثم عزل، وتولى الشريف أحمد بن غالب، ثم عزل، وتولى الشريف محسن بن حسين بن زيد، ثم عزل، وعاد الشريف سعيد، ثم جاءه الشريف سعد من الروم، عام ألف ومائة وثلاثة، وبقي إلى سنة خمس ومائة وألف، ثم عزل، وتولى الشريف عبدالله بن هاشـم، ثم رجـع الشـريف سعد من اليمن، وعاد إلى ملك مكة

المشرفة، وبقي بها إلى آخر سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، فنزل لولده الشريف سعيد عن ملك مكة، فبقي الشريف سعيد في ملك مكة إلى سنة أربع عشرة ومائة وألف، وخرج منها.

ثم تولى الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد، ثم تركها رغبةً عنها، وتولى الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى، ثم عاد الشريف سعيد إلى مكة، ثم أُخرج منها، ثم جاءته التجريدة من مصر مع أيواز بيك، فدخل مكة، وقد صار والده إلى رحمة الله، في أمور يطول شرحها.

ثم عزل الشريف سعيد، وعاد الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى، وبقي بملك مكة سبع سنين، ثم أراد الله بعود الشريف سعيد إلى مكة المشرفة، فدخلها بأسباب يطول شرحها، في سابع وعشري ذي القعدة، سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف، واستمر ملكاً بمكة إلى أن توفاه الله بعد صلاة الظهر، يوم الاثنين حادي وعشري شهر محرم الحرام، افتتاح سنة تسع وعشرين وألف، فقام مقامه ولده الشريف عبدالله بن سعيد بن سعد، بعناية السيد الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد، ولم ينتطح فيها عنزان.

[٥٤٨] أحمد شهاب الدين بن أبي الفتح الحكمي المقري الشافعي[1].

شيخ إجادة تجويد القرآن المجيد، وشرح موارد مناهل عرفان التوحيد، كان من أرباب الأحوال السنية، ذا مهابةٍ وجلالةٍ عليةٍ، يميل بالطبع إلى السماع، وينخلع إذا سمع عن ثريته المحكومة للطباع، وتظهر منه حالاتٌ رضيةٌ، لمن له بالحواس السليمة إدراكٌ ودريةٌ.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٦٥).

قرأ ببلاد اليمن على جماعةٍ من علمائه، منهم: الشيخ الصديق بن محمد المشهور بالبلاط، وأحمد بن المقبول الأسدي المشهور بأبي الفضائل، وعثمان ابن السهل المشهور بالأقرع، تلميذ العارف بالله شيخين ابن أبي الفتح الحكمي، وعن الهادي بن علي الحكمي، وشيخ الإسلام الأمين بن أبي القاسم شافع، ومحمد بن عبد القادر المحلوي، ومحمد بن يعقوب النمازي.

وقد ألف رسالةً بديعةً سماها: «نسمات الأسحار في ذكر بعض أهل الله الأخيار» جمع فيها من أخذ عنهم العلوم من المشايخ، وما قرأه عليهم من الكتب، وقفت عليها، ورأيت في آخرها ما نصه:

وقد جمعني الخضر على هؤلاء المشايخ يقظةً[1]، وهم: الشيخ عبدالله ابن أسعد اليافعي، والشيخ أحمد بن موسى العجيل، والشيخ إسماعيل بن محمد الحضرمي، والشيخ محمد بن أبي بكر الحكمي، والفقيه محمد حسين البجلي، أصحاب عُواجه.

وقال لي الخضر: تقدم واقرأ على شيخك وجدك الشيخ محمد بن أبي بكر الحكمي، فقال لي الشيخ: هلمّ إليّ، فجلست بين يديه، فقال لي: افتش واقرأ، فإذا الكتاب الذي في يدي، كتاب رسالة الشيخ أبي القاسم القشيري، فقرأت عليه الكتاب المذكور في مجلسٍ واحدٍ، من أوله إلى آخره.

قلت: وكان مقيماً بمكة على خيرٍ وفي خيرٍ، وتوجه لزيارة النبي ﷺ من مكة رابع عشر رجب الفرد، وقدم المدينة الشريفة، فمرض في سابع عشري

---

(١) تكرر ذكر الخضر عليه السلام في حكايات الصوفية وأخبارهم، ودعواهم رؤياه يقظة ومناماً، وهذا كله من تلاعب الشياطين بعقول هؤلاء المساكين، نسأل الله الثبات على الدين الصحيح، والنجاة من تخيلات المبطلين.

الشهير المذكور، وتوفي بين صلاتي الظهر والعصر، من يوم الجمعة، تاسع عشر شهر رجب المذكور، سنة أربع وأربعين بعد الألف، ودفن يومه غروب الشمس بالبقيع الفرقد، وتوفي في عشر الخمسين -نفع الله به-.

[٥٤٩] أحمد بن أسعد القادري الصفدي.

صاحب ورعٍ وتقوى، ومجاهدةٍ قويةٍ، لا يكاد يفتر عن الأوراد والأذكار، في الليل والنهار.

[٥٥٠] أحمد بن عبد الرزاق بن محمد بن أحمد، الشهير بالمغربي الرشيدي[1].

نسبةً لبلدٍ بساحل البحر، من أعظم مدن مصر، في كفالته بجمع الفوائد حبل العلوم الموصول بجميل الصلة والعائد، رب التفنن الرشيد في الفنون، وعالم الربع المسكون، المتوج بتاج العلم، الراضع ثدي المجد والحلم، الذي عقدت عليه في هذا العصر الخناصر، وأقر بفضله الأصاغر والأكابر، الجامع الذي أقام فروض العلوم وسننها، وأظهر لدوارسها مآثرها وسننها، الذي يقصر العلم عن استيفاء بعض حقه، إذ هو فارس ميدان العلم الحائز قصبَ سبقه.

وُلد برشيد، وحفظ بها القرآن وجوده، وأخذ بها عن العلامة عبد الرحمن البرلّسي، وعن محمد الشاب، وعلي الخياط، ثم قدم مصر، وجاور بالجامع الأزهر، وأخذ به عن شيوخ كثيرين، ولازم شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وبه تخرج.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٥).

وبرع في العلوم النقلية والعقلية حتى فاق أقرانه، ورجع إلى بلده، وصار بها شيخ الشافعية، وعكف بها على التدريس، وشهر بها شهرةً كبيرةً، وألف المؤلفات العجيبة، منها: «حاشية على شرح المنهاج للرملي» في مجلدات، ومنها: منظومة تسمى: «تيجان العنوان» جعلها على أسلوب «عنوان الشرف» لابن المقري، لم يسبق إلى مثلها، قرظها له علماء بلده وغيرهم.

ومما قاله فيها:

انظرْ إليه منصفا ... تجدْه قد حاز الظرَفْ

لم يحو طرسٌ مثلَه ... في غابر فيما سلَفْ

روضاً نضيراً يانعاً ... ورداً هنيء المرتشَفْ

فكأنما ألفاظه ... دررٌ عرينَ عن الصدَفْ

وكأنما أبياتُه ... غررُ الكواكب في الشرَفْ

لا غرو إن لقبتها ... تيجانَ عنوان الشرَفْ

[٥٥١] أحمد بن عبد الرحمن الناشري الزبيدي الشافعي.

كان إماماً عالماً، ورعاً زاهداً عابداً، توفي يوم الخميس، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف.

[٥٥٢] أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد المراغي القرافي الشافعي.

ولد قُبيل دخول السلطان سليم إلى مصر، وقرأ القرآن على الشيخ عبد الرحمن بن فردي، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وحفظ «المنهاج»، و«ألفية ابن مالك»، ولازم البحر شهاب الدين البلقيني، بأمر والده، واستمر

عنده إلى أن أجيز بالفتوى، وأخذ الطريقة منه، وأخذ الحديث عن الشريف يوسف الحسيني، والشمس محمد الشربيني الخطيب، والشهاب أحمد الرملي، وأبي النصر الطبلاوي، والناصر اللقاني، وأجازوه بالفتوى.

ولم يكتب على شيءٍ من الفتاوى تأدباً، وسكن بباب القرافة بالرميلة، بتربة جوهر الصفوي، وليس له من الجهات شيء، ولازم التدريس بالجامع الأزهر، في الفقه والفرائض، وفي بيته إلى أن توفاه الله إلى رحمته.

[٥٥٣] أحمد بن عبد الرحمن، المعروف بابن الغسّال.

تلميذ الشيخ شهاب الدين البلقيني، ومن أعيان جماعته، كان ساكناً بباب القرافة، وكان فقيهاً محدثاً، صالحاً تقياً ناسكاً، وكان يدرس للطلبة بالجامع، بالقرب من خلوة الخطابة، في كل أسبوع يومين، ويعتكف سائر الأيام في بيته، ويقفل بابه من الخارج؛ هرباً من الزوار.

وله كشفٌ وكراماتٌ.

قال الشيخ معتوق الحنفي: سُرق شباك المسجد الذي يصلي فيه، فطلعت إلى الباشا، وأخذت أمراً منه بالتفحص، وجئت فقال: ويلك يا معتوق! إيش تفعل بالأمر؟ ثم قال: لا تتقيد؛ فإنه يظهر بعد عشرة أيام، فلما جاء اليوم العاشر، اتفق أن الحاكم أمر بصلب رجلٍ من السراق الذي أخذ قبله، فلما أراد أن يصلبه بالرميلة، فقال للسايس: اسمع مني كلاماً، والله! ما لي خبر من السرقة التي اتهمت بها، ولكني قد سرقت شباك مسجد الشيخ أحمد بن الغسّال قبل هذا، وهي الآن محفوظةٌ في بيتي، وأنا أعرف أنها سبب قتلي لا غير، فذهب بعض الرجال، فأتوا بالشباك من بيته، ووضعوه محله.

زرته في آخر شعبان، سنة إحدى عشرة بعد الألف في بيته، ودعا لي، فسألته عن سِنِّه، فقال: قد صار تسعين سنة.

[٥٥٤] أحمد بن عبد الرحمن بن موسى الناشري الزبيدي.

أحد تلامذة شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وقفت له على إجازةٍ بخطه، لمحمد بن أحمد الخزرجي الأنصاري الشافعي اليمني، ذكر فيها مروياتٍ له كثيرة في علومٍ شتى، عن شيخه المذكور، وتاريخها سنة إحدى بعد الألف، ولم أقف له على ترجمةٍ مفيدةٍ.

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، وقد جاوز التسعين ـ بتقديم التاء ـ، ودفن بتربة أسلافه بني الناشري، بمقبرة باب سهام من زبيد ـ حرسها الله ـ.

وممن لازمه وانتفع به: السيد الجليل أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل ـ رحمهم الله تعالى ـ، وكان باذلاً كتبه للطلبة، حريصاً على إفادتهم وتفهيمهم، ويحث طلبته على التدريس، ونشر العلم، وكان إماماً في العلم، مجتهداً فيه، ناصحاً لعباد الله، ولما ضعفت قوته من الكبر، وترك التدريس، صار يحضهم بزيادة على الإقراء؛ اعتناء بالعلم وأهله.

[٥٥٥] أحمد بن عبد القادر بن عمر باعِشِش الدوعني الحضرمي[١].

خلاصة الخلاصة من المخلصين، وصفوة الصفوة من الصوفية المحققين، وزبدة الزبدة من أهل التمكين، وإمام أهل العرفان في عصره، وشيخ الأولياء

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٧).

في قطره، كان له في علم التحقيق المشرب الصفي، والمقام الأكمل الوفي، ورزقه الله حسـن العبـارة، وقوة الإشارة، فكان يتكلم بالفتوحات الإلهية، ويتبجح بالمواهب اللدنية.

وكانت السادة الأشراف آل أبي علوي ـ مع جلالتهم ـ، تخضع له، وتأخذ عنه، وتتبرك به، ولازمه منهم أئمة عارفون، وأكابر محققون، وبه تخرجوا، وببركة علومه انتفعوا، وكان إذا أتته الجذبات الإلهية، يغيب عن شعوره بالكلية، وهو حافظٌ للمراتب الشرعية، وقد قال بعض الصوفية: من لم يحفظ المراتب، فهو زنديق.

وألّف الرسائل السنية، التي منها: «شرح أبيات مشكلة لابن عربي»، و«شرح مشكلات الأمر المحكم المربوط وفتح مغلقاته التي هي بسر الذات الأحدية منوط»، و«لوامع أنوار حلية الفقر من مطالع أسرار مسافة القصر»، وكان مولعاً بكتب الشيخ الأكبر محيي الدين، قائلاً بالوحدة الوجودية، التي عليها أصحاب اليمين، وكراماته في أرضه شهيرةٌ لا تحتاج إلى تبيين، دوَّنها وأفردها بالتأليف بعضُ الحضرميين، وممن أخذ عنه ولازمه سنين: العارف بالله علي باراس الدوعني، وغيره من أكابر العارفين.

وكانت وفاته في ثاني عشر شعبان، سنة اثنتين وخمسين بعد الألف، ببلده الرباط، من أعمال دوعن، وبني عليه قبةٌ عظيمةٌ، وأعقب ذريةً صالحةً ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ، ومن تآليفه: حزب سماه: «حزب النصر».

[٥٥٦] أحمد بن عبد اللطيف البِشبِيشي ـ بكسر أوله وثالثه، بعد كل منهما معجمة، قبل ثانيتهما تحتانية ـ: قريةٌ من أعمال المحلة بالغربية،

ابن القاضي أحمد بن شمس الدين الشافعي ابن علي[1].

شيخنا العلامـة الأوحد، العلم المفرد، الشيخ الإمام، والحبر الهمام، واحد الدهر، وفريد هذا العصر، شيخ المحققين، وصدر المدرسين في جميع الفنون، بالجامع الأزهر الميمون، المستغني كالشمس عن التعريف، المشتهر في الأصقاع بعلمه الشريف.

الذي بعُد صيته في الأمصار، وفشا فضله في جميع الأقطار، وعم النفع به للحاضر والبادي، والرائح والغادي، ورحل لأخذ العلم عنه أفاضلُ العصر من أقصى البلاد وأدناها، فصار محط رحالهم، ومنتهى آمالهم؛ لمزيد معرفته، وشمول بركته، وشدة فطنته، وقوة فكرته، وحسن سبكه مسائل العلم على أسهل وجه وأحسنه، وألطف تركيب وأوجزه وأمتنه، حتى إن الطالب يتخرج به في زمن يسير؛ لقوته على التفهيم، وحل العبارات بأجل تقرير، مع التثبت في النقل، وكمال العقل، واللفظ العذب، والصدر الوسيع الرحب، والإنصاف للطلبة، وزيادة الاختبار، وعظيم المهابة والوقار.

مولده سنة إحدى وأربعين بعد الألف ببشبيش، وهي قريةٌ من أعمال المحلة الكبرى، وحفظ القرآن، وقرأ بالمحلة على الشيخ العارف بالله القطب الرباني حسن البدوي، ولازمه كثيراً، وبشره بأشياء حصلت له، وكان يمسُّ بدنه في ابتداء طلب العلم، ويقول له: يا أحمد! أضلاعك ملآنة من العلم حتى كان الأمر كذلك، ولله الحمد والمنة، وأخذ عن الفقيه العلامة علي المحلي الشافعي علوماً عديدةً.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٥٥).

ثم رحل إلى مصر بأمر شيخه حسن البدوي المذكور، وقرأ بالروايات على شيخنا سلطان المزاحي، ولازمه في الفقه والتفسير، والحديث والفرائض والعربية، وبقية العلوم العقلية، نحو عشرين سنة، ولازم شيخنا المحقق أبا الضياء علياً الشبراملسي، وقرأ عليه كتباً كثيرةً، منها: «شرح العقائد النسفية»، مع «حاشية الكستلي»، ومراجعة بقية الحواشي، و«شرح الشمسية للقطب»، مع «حاشية السيد» عليه، و«شرح التوضيح لخالد الأزهري» قراءة بحث وتحقيق، وبه تخرج، وببركة علومه انتفع.

وأخذ عن شيخنا حافظ عصره محمد بن علاء الدين البابلي علومَ السنة، وحضر دروس شيخ الإسلام الشمس محمد الشوبري، والمحقق سري الدين الدروري، والمفنن ياسين بن زين الدين الحمصي، وحسين الخفاجي، وحسين النماوي، وأخذ عن العلامة أحمد بن عمران الفاسي حين قدم مصر، وحضر دروسه في علم العقائد والبيان، وعن كثيرين من مشايخ المصريين، والعلماء الراسخين، وأجازه شيوخه.

وتصدر للتدريس في الجامع الأزهر في حياة شيوخه، وأحيا البقعة التي كان يجلس فيها شيخه سلطان، وصار مجلسه فيه مجمع الأفاضل والأعيان، ولازمه جماعة شيخه بعد وفاته، وخلق لا يحصون كثرةً، في العلوم النقلية والعقلية، وصرف جميع أوقاته في بث العلم ونشره، والتقيد بطاعة الله وعبادته في سره وجهره، وانتهت إليه في مصر الرياسة، مع شرف النفس والنفاسة.

ورحل إلى الحرمين الشريفين، وأخذ عنه مشايخ البلدتين؛ كعبدالله ابن العباس، والقاضي علي بن عصام الدين العصامي، وأحمد العلامة النخلي، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان، وعبدالله

ابن سالم البصري، وإدريس بن أحمد الشماع، ومحمد بن أحمد الأسدي، وجاور بمكة سنتين، ومرض بها، واشتد به المرض، فرجع إلى مصر مريضاً، وأقام بها كذلك، إلى أن توجه إلى بلده بشبيش، فتوفي بها، يوم الاثنين، سلخ رجب، عام ستة وتسعين وألف، ودفن بها ـ رحمه الله تعالى ـ، وجاء تاريخ وفاته: (مات البشبيشي).

وقد قرأت عليه ـ بحمد الله ـ عدة شروح ومتون، في جملة فنون، وكرعت من زلالها في أنهار وعيون، واجتنيت اليانع الجني من ثمار فوائده، ونظمت المكنون الرطب من فوائد عوائده، وبه تخرجت، وببركة علومه انتفعت، وهو من أجلِّ شيوخي الذين أخذت عنهم العلم.

ومما قرأته عليه: «شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا» مراتٍ عديدة، وغالب «شرح التحرير» له، وغالب «شرح المنهاج» للمحقق المحلي»، وطرفاً من «صحيح البخاري»، ومن «سيرة ابن سيد الناس اليعمري»، و«ألفية ابن مالك»، و«شرحها لابن عقيل»، وغالب «شرح ابن الناظم»، وجملةً كافيةً من «مغني اللبيب لابن هشام»، ومن «الشرح المختصر على التلخيص» للمحقق التفتازاني، ومن «شرح جمع الجوامع للمحلي»، وجميع «شرح إيساغوجي للشيخ زكريا»، وجميع «شرح التهذيب في المنطق للخبيصي»، وكثيرٌ من «جمع الجوامع»، و«شرحه للمحلي»، وجميع «ألفية العراقي في أصول الحديث»، وجميع «شرح البسملة لشيخ الإسلام»، و«الجوهرة في العقائد للقاني»، وغير ذلك من الكتب المفيدة، في علومٍ عديدةٍ، وأجازني بجميع مروياته.

وله سؤالٌ رفعه للعلامة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي المغربي الشهير

بالمرابط، حين قدم من المغرب إلى الديار المصرية، وأجابه عنه[1].

[٥٥٧] **أحمد بن علي الشارح الصنعاني**[2].

مديد الباع، لطيف الطباع، العالم المفضال، المجلي في حلبة الكمال، الناشئ في حجر الأدب، ومن ترعرع في بيته الأدب.

من شعره الذي كالتبر المسبوك، والوشي المحبوك: قوله يستنجز السيد الفاضل إبراهيم بن زيد الحجاف شيئاً وعده به:

أيـا رئيساً لا يُساوى بـه ... في فرعه الزاكي ولا الأصلِ
ويا سليلَ السيد المنتقى ... من جاد بالإحسان والفضلِ
أنت عليمٌ بالذي أرتجي ... وكفك المولع البذلِ
فها أنا منتظر للذي ... مثلك ليديه إلى مثلي
مثلَ انتظارِ الأرضَ وَبْلَ السما ... تحيا إذا ما شن بالهطلِ
أيدك الله ولا زلت في ... عزٍّ سديدَ القول والفعلِ

[٥٥٨] **السيد أحمد بن الحسن بن المطهر الجرموزي الهادوي**[3].

ينبوعة الأدب، وكريم الحسب والنسب، وفريد الزمان، وآية الأوان، له

---

(١) جاء في الحاشية: «عند هذا بياض بالأصل أربعة أسطر، وقد ذكر بالهامش هذه الجملة: يكتب من المجموع الذي أوله رسالة الأشخر».

(٢) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ١٨٦) (٥٩)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦٥٤).

(٣) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ١١٧) (٣٤)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٢٠١) (١٢)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١١٢).

طريقةٌ في النظـم والنثـر، ما مثلهـا طريقـة، جديـرةٌ بأن تكتب بماء الذهب وحقيقة.

من ذلك قوله:

قولـــــوا لمـــــن طروسُـــــه ... تجـــــــيء بالمعاتبـــــــةْ
مـــــا أنـــــا إلا رِقُّـــــه ... لا أطلُـــــب المكاتبـــــةْ

وقوله:

لله خِـــشْفٌ لـــم يـــزل ... وقفـــاً عليـــه غرامِيَـــةْ
أصـــبحتُ مملوكـــاً لـــه ... والعـــينُ منـــي جارِيَـــةْ

وقوله:

وشـادنٍ قـد جـاء فـي عمامـةٍ ... سـوداءَ كالليـلِ إذا الليـلُ سـجا
كأنمـا جبينُـه مـن تحتـه ... طرةُ صـبحٍ تحـت أذيـالِ الـدجى

وقوله:

كتمت غرامي خشيةً مـن عـواذلي ... ولم أُبد منه بعـضَ مـا أنـا حاملُـهْ
فبـاحَ بمـا أخفيـه سـائلُ مـدمعي ... ونَـمَّ بـه فليتـقِ اللهَ سـائلُهْ

وقوله:

إذا كان من أرجـوه عنـد مطـامعي ... كمثلي محتاجٌ إلـى خـالق الخلـقِ
فما حاجتي في قصد مثلي وكيف لا ... ألـوذ بمعطيـه ليعطينـي رِقِّـي
وهـل أنـا إلا عبـدُه وابـنُ عبـده ... ويقـبُح منـي إن أملكْـتُهم رقـي

وقوله:

مــا ابتــسم البــرق بمغنــاهم إلا بكــى جفنــي لــذكراهمُ
ولَمــا ســرى ريــاهُم ســحرةً إلا ثنــى وجــديَ ريــاهُمُ
فــآهِ ممــن أمعنــوا فــي النــوى لــو مــا عفــوا مــن كــان يهــواهمُ
لما كان ذي البين فمــا كنــت لــو لبــين أبكــي عــصرَ لقيــاهمُ
هم ألبسوا جسمي ثيــابَ الــضنى وكنــت عــارٍ عنــه لــولاهمُ
هــم عــذبوا قلبــي ولــم يــشفقوا علــى فــؤادي وهــو مــأواهمُ
وأهرقــوا دمــعَ عيــوني دمــاً وقــاطعوا مــن يتمنــاهمُ
كم بــاع طرفــي النــوم لمــا شــرى لــرد جــاء بــرق ثنايــاهمُ
كــم لامنــي فــي حــبهم لائــمٌ ومــا درى مقــدارَهم مــا هــمُ
هــم جملــةُ الحــسن وهــم كلــةٌ فهــل لنــا أن نتــسلاهمُ
كــم ضــاع ريَّــا عَــرْفِهم مــرةً وراح يهــدي مــن تغــشاهمُ
لا كــان قلبــي إن نــوى رفــضَهم فلــم أكــن واللهِ أنــساهمُ
لهفي علــى ســالفِ عيشٍ مــضى مــا كــان أَمــراهُ بمــرآهمُ
يــا حبــذا مــا مــرّ فــي قــربهم ومعهــداً فيــه عهــدناهمُ
كــم أتــسلّى عــنهمُ بــالمنى وكــم أرجّ القلــبَ لقيــاهمُ
يا ليتهم لــو سمحوا فــي الكــرى بطــيفهم يــأتي بمغنــاهمُ
مــاذا علــى الواشــين مــن جمعِنــا إذا أتونــا أو أتينــاهمُ
هم عودوني الوصــلَ فيمــا مــضى وخــالفوا مــن كــان ينهــاهمُ

هم أصلُ أشجاني فيا ليتني فيما تقضَّى كنت أنساهمُ
ما كان أغنانيَ عما جرى وكان عن ذلك أغناهمُ

وله معارضاً لقصيدة إبراهيم المبلط، التي مطلعها:

حدثت بانة الحي عن صباها ....[1]
عللوني برامة عن ظِباها بعد أن زاد هجرُهم وتناهى
وبربعٍ أودى بي البعدُ عنه كم رأينا شموسَه في ضحاها
ورأينا بدورَه مشرقاتٍ تسلب الناظرين وسطَ دجاها
كم تلاها بعوده عندها الصبْـ ـبُ تلاها من طالع إذ تلاها[2]

[٥٥٩] الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمي[3].

كان ليثَ آل بني نمي، أديباً فاضلاً نبيهاً:

تعرف من عينه نجابته كأنه بالذكاء مكتحل

وكان حسن الصورة جداً، عظيم الهيئة، إلا أنه لما تولى مكة، في قصةٍ طويلةٍ، ذكرتُها في ترجمة السيد عبد المحسن، استولى على أموال الناس، ولم يرحم من في الأرض، ليرحمه من في السماء، وأبطل الميراث، واستأثر به عن الوارث، وضُبط ما أخذه، فبلغ ثلاثة وثمانين ألف ألف دينار، وكان

(١) جاء في الحاشية: «باقي الشطرة ممسوحٌ، وكذا بيتٌ بعده».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢١١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٣٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٦٣).

في بدايته أخذ الطريق عن العارف بالله أحمد الشناوي، وهو المبشر له بولاية مكة، لكنه قال: على الشهادة يا أحمد، فقال: على الشهادة، وكان كثيراً ما يكني عنها بطلوع الشمس.

وعاقب بعد الولاية كثيراً ممن كان قبل استبعدها عنه، وسخر منه، وكان له أخدان وجلساء قبل الولاية، فحصل لهم الأذية بعد قتله من قانصوه باشا، منهم: السيد سالم بن أحمد شيخان، والشيخ أحمد القشاشي، والشيخ محمد القدسي خليفة السيد البدوي، فحبس الجميع، وثقل عليهم، حتى افتدوا أنفسهم بمالٍ جزيلٍ، وذلك بوشاية شخصٍ يقال له: المياس.

واستمر متغلباً على مكة، وهو في الحقيقة مغلوبٌ عليه؛ لأن الولاية للعسكر المتولين عليه، واستولى على أموال مكة، ورقاب أهلها، وصادر التجار، وحبس من حبس، وقتل من قتل، فنفرت الناس، وجلت عن مكة، وخالفت القبائل، وتقطعت الطرق، وأكثر العسكر الفساد، في أشراف البلاد، وسكنوا بيوت الأشراف، وانتهكوا حرمتهم.

وقبض على جماعةٍ من الأعيان، من أجلهم: الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، وحبسه مضيقاً عليه، فلما كان موسم سنة سبع وثلاثين، قدم الحاج المصري، وأميره إذ ذاك قانصوه باشا، وكان بينه وبين عبد الرحمن المذكور مودةٌ أكيدةٌ، ومكاتباتٌ سابقةٌ.

فلما صعد الحجيج عرفة، أتى حريمُ الشيخ عبد الرحمن إلى مخيم قانصوه، مستشفعين به إلى السيد أحمد بن عبد المطلب، في إطلاقه من الحبس، فرق لهن رقةً عظيمةً، وتوجه إلى الشريف يوم عرفة، مستشفعاً به، فلم يرجّه، ولم يؤيِّسه، فلما كانت ليلة النحر، أمر عليه، فخنق شهيداً، وكان

ذلك سبباً لوقوع ما وقع من قانصوه باشا، في السيد أحمد بن عبد المطلب ثانياً، لما قدم أميراً على اليمن.

ثم استمر السيد أحمد في الولاية إلى أن حج بالناس سنة ثمان وثلاثين، فجاء للحاج أمير آخر، وجاء قانصوه باشا متوجهاً لفتح اليمن، وصحبتها العساكر، وعدتها ثلاثون ألفاً، وضرب وطاقه في أسفل مكة، وكان بين السيد مسعود بن إدريس، وبين السيد أحمد بن عبد المطلب ممالأةٌ ومواطأةٌ قبل نزوله لجدة، مضمونها: أني لا أريد الملك لنفسي، إنما أريده لك، أو هو بيننا، فخذِّلْ عني ما استطعت من آل أبي نمي، وثبطهم، وحل عزائمهم، ووعده بذلك، ففعل ما فعل، وحصل به على الشريف محسن ما حصل، ولله الأمر.

فلما نزل أحمد بن عبد المطلب إلى جدة، تقمصها لنفسه، ولم يف لمسعود ببعض تلك العهود، بل أراد قتله، ففرّ إلى قانصوه والتجأ، وصدرُ قانصوه على السيد أحمد مملوء بالوجأ، فلما أقبل قانصوه قاصداً لليمن، لاقاه الشريف مسعود من الينبع والحوراء، وجاء معه مختفياً، ولم يزل به محتفياً.

وواجه في المجيء الأول السيد أحمد بن عبد المطلب قانصوه، ورد عليه تحية القدوم، وعزم على محاربة قانصوه، فازداد قانصوه عليه حنقاً على حنق، وشرع ليستميل عسكر أحمد، فأطاعوه، فخرجوا من مكة، ثم خيم قانصوه بالزاهر.

ولما أن قضت الحجاج مناسكهم، وذهبوا إلى أوطانهم، تخلف قانصوه بثقله أسفل مكة، فلما تحرك للسفر، قدم ثقله، ولم يبق إلا وطاقه وخيام

العساكر، فأشار قانصوه إلى شخصٍ يتعاطى خدمته، من أبناء الطواف يسمى: محمد المياس، أن يحسِّنَ للسيد أحمد بن عبد المطلب الوصولَ إلى قانصوه للوداع، ففعل، وذهب إلى الشريف أحمد، وحسّن له ذلك يوم السبت، رابع شهر صفر.

فلما كانت ليلة الأحد، خامس عشر الشهر المذكور، من سنة تسع وثلاثين وألف، ركب الشريف أحمد وصحبته من الأشراف: شبير بن بشير بن أبي نمي، ومحمد بن حسن بن ضبعان، وراجح بن أبي سعيد، ومن أعوانه: وزيره مقبل الهجالي، وأحمد البسوتي متولي بيت المال، وفليفل.

فلم يزالوا يدخلون في الصيوان، من باب إلى باب، يمنع عند كل باب طائفةً من أتباعه حتى دخلوا، فتحادثا ملياً، ثم نصبا رقعة الشطرنج، فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة، قبض على الجميع، فقتل الشريف أحمد بن عبد المطلب، فتوفي شهيداً، فتحركت عساكره، فأظهره لهم مقتولاً، ونشر البيرق، ونودي: المطيع للسلطان يقف تحته، فوقفت العساكر تحته، وخلع على الشريف مسعود بن إدريس، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير.

وكان للسيد أحمد بن عبد المطلب زوجان من القنا الطويل جداً، بسنانٍ مذهبٍ، تحته أكرةٌ من الفضة المطلية، يحمل كلَّ واحدٍ رجلٌ يمشي على قدميه، إذا سار في موكبه، يسيران أمامه قريباً منه، يصوبانهما ويصعدانهما، بحركةٍ سعيدةٍ، لطيفة التصعيد والتصويب على سواء، وربما كان فيهما أجراس.

قلت: وهذا يفعله إلى الآن أئمة اليمن، ابتدعه، فقد كان يفعله الخلفاء

العباسيون، وقد ذكر شعراؤهم ذلك في أنوشروان، وزير المستظهر بالله الخليفة العباسي:

وألويـــة مـــنهن صـــقران أوفيـــا على عَلَمـــي رمحـين فارتباكـــا
وليسا سوى النسرين مـن أفقيهمـا لحبهمـــا نيـــل العـــلا تبعاكـــا

وكان إذا سار في الليل، لا يوقد بين يديه إلا الشمع الموكبي، بدلاً عن المشاعل، وكان دخوله مكة متملكاً لها، وإجفال الشريف محسن وبني عمه عنها، ضحى يوم الأحد، سابع عشر رمضان، سنة سبع وثلاثين وألف، فكان يتبجح ويقول: فتحت مكة بالسيف، كما فتحها رسول الله ﷺ، ودخلتها في مثل اليوم الذي دخلها فيه ﷺ.

قال صاحبنا الشيخ عبد الملك بن حسين العصامي: أما قوله: فتحها، فالمشـهور الذي عليـه الجمهور: أنها لم تفتح عنوةً، وإنما فتحت صلحاً، وما وقـع من خالـد بن الوليد ﷺ، فإنـه نووش بعض قتال مع الأحابيش، وعبدان أهل مكة، في أسفل مكة، وقد نهاه ﷺ عن القتال، ولكنه لما قوتل، قاتل، وهذا هو شبهة القائل بأنها فتحت عنوة.

وأما قوله: ودخلتها. . . إلخ، فخطأ؛ لأنه لم يدخلهـا ـ عليه الصلاة والسلام ـ سابع عشر، وإنما دخلها ثامن عشر، وهب أنه كان كذلك، فأين هذا الدخول من ذلك؟ فإن هذا جرأة وبغي على حرم الله، ومكان حرمه وذرية نبيه؛ إذ في ضمن هذا التشـبيه تشبيه من فيها من المسلمين الآن بالمشركين إذ ذاك.

وقال في ذلك إبراهيم بن يوسف الشهير بالمهتار:

سنة السبع والثلاثين بعد الألف   جاءت بما به ينفر الطبع
دخل السبع مكةَ الله بالجند   ولا شك أنها سنة السبع

وكانت مدة ولايته سنة وأربعة وثمانية عشر يوماً ـ رحمه الله ـ.

[٥٦٠] أحمد بن عبد المؤمن بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن داود بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن نزيل ابن علي بن عثمان بن سريح بن عمرو بن عامر الحكمي، نسبة إلى حكما حرض بن سعد العشيرة بن مذحج، واسمه مالك بن داود بن زيد بن يشجب، وهو عمر بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر، وسمي بسبأ؛ لأنه أول من سبى السبايا في أرض العدو، ويسمى أيضاً: عامر بن يشجب بن يعرب ـ وهو أول من حُيي بتحية الملك، وهي: انعم صباحاً، وأبيت اللعن ـ ابن قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لملك بن لاح ابن المنّوشَلَخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلاليل بن قينان بن أنوش ابن شيث بن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

شيخنا العارف بالله، كان شيخاً جليلاً كاملاً، عظيم الشأن، من أهل المكاشفات والخوارق، ومن المتعبدين الخيرين الزاهدين، والفضلاء الصالحين، وُلد بهجرة طيبة، من قرى المحويت، من بلاد كوكبان، وبها نشأ، وقرأ القرآن وجوده، واشتغل بما ينفعه من العلوم الدينية على جماعةٍ من بني نزيل، ولحظوه، ففتح الله عليه بفتوحاتٍ سنيةٍ، وحصلت له مرتبةٌ عليةٌ.

فصار معتقَدَ ذلك الإقليم، ومرجعاً لأهله، وكان في غالب الأعوام يخرج

مع جماعةٍ من مريديه؛ بقصد السياحة، وزيارة الأولياء، ويطوف غالب بلاد الجبل وتهامة، فيأتوه بالنذور والزكوات، فيفرقها بنظره على أهلها، ويرجع إلى بلده.

وكان منزله زاويةً للصالحين، ومقصداً للواردين، وحج، وزار النبي ﷺ، واجتمع بالعارف بالله أحمد بن محمد القشاشي، وأخذ عنه، واستفاد، وأخذ عن الشيخ إبراهيم بن الحسن الكردي، وله مع العارف بالله أحمد القشاشي كراماتٌ ومكاشفاتٌ، منها: أنه بشره في كتابٍ كتبه إليه بأولادٍ أربعةٍ، وأمره أن يسمي كل واحدٍ منهم بمحمد، وأن يفرق بينهم بالكنى، فحصل له ما ذكره الشيخ في كتابه.

وللمذكور كراماتٌ، وانتفع به جماعةٌ من المعتقدين له.

[٥٦١] أحمد بن عبدالله بن سالم بن عبدالله بن فضل بن عبدالله بن محمد ابن الفقيه سعد بن محمد ابن القاضي أحمد بن محمد ابن الفقيه فضل ابن محمد بن عبد الكريم بن محمد، إلى هنا انتهى نسب آل أبي فضل، وسيأتي الكلام عليه، بافضل الشهير بالسودي[١].

أحد الأعيان، وفضلاء الزمان، كان من أفضل أهل زمانه في العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وأعرفهم بالعربية على الإطلاق، ومن أحذق الحذاق، حفظ القرآن، و«الجزرية»، و«الجرومية»، و«الملحة»، وأكثر «الألفية»، وقطعة من «المنهاج»، وحفظ كثيراً من الدواوين، ومن كلام العرب.

وأخذ عن السيد عبدالله بن شيخ العيدروس علمَ التصوف، ولبس منه

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢٣٥).

الخرقة، وصحبه مدةً مديدةً، وتخرج به في علومٍ عديدةٍ، ثم صحب ولده زين العابدين، ولازمه، وتخرج به في المتون والاصطلاحات، وأخذ الفقه عن الفقيه محمد بن عيسى، وعن السيد عبد الرحمن بن شهاب الدين، وسمع من خلقٍ لا يحصون، وبرع في أصول الدين والحديث والعربية والتصرف، ودرَّس وصنَّف، ومن تصانيفه: «حاشية على القصيدة الطرائفية»، وله ديوان نظم، ونظمه كثيرٌ حسن، ولذلك سموه: السودي.

توفي سنة أربع وأربعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٥٦٢] أحمد بن عبدالله بن حسن بن محمد بن عبدالله باعَنْتَر السيؤوني الحضرمي الشافعي(١).

شيخنا الإمام الجليل، العلامة النبيل، كان شيخاً صادق اللهجة، شديد الخوف من الله تعالى، فقيه النفس، لطيف الذوق، حسن المحاضرة.

مولده ـ كما أخبرني شيخنا حسن العجيمي، نقلاً عنه ـ سنة اثنتي عشرة بعد الألف، أو سنة ثلاث عشرة، بالحوطة من أعمال سيؤون، من وادي حضرموت، وببلده حفظ القرآن، ثم رحل لمكة، وأخذ بها عن جمعٍ، منهم: شيخنا حافظ العصر محمد البابلي، ومحمد علي بن علان، ومحمد الطائفي، وعلي بن أبي بكر الجمال، وعبدالله باقشير، وعيسى بن محمد الجعفري، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من الختم الإلهي أحمد القشاشي، ومهنا بن عوض بامزروع الحضرمي.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٧١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٢٩، ٣٨٨)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٦١).

وأقام بالطائف على خيرٍ وفي خيرٍ، ملازماً للقراءة والإفادة، معتزلاً عن الناس، وكان ـ نفع الله به ـ عاملاً بالعلم، لا يخشى في الله لومة لائم، معتقداً للصوفية، مهاباً موقراً في النفوس، عليه سيما الصلاح والتقوى ظاهر، متقشفاً في ملبسه، معتقداً عند الخاص والعام، وكان أهل الطائف لا يصدرون إلا عن أمره وقوله، ولهم فيه اعتقادٌ ومحبةٌ زائدةٌ.

قرأت عليه لما توجهت للطائف لزيارة الحبر عبدالله بن عباس ﷺ، عام ثلاثة وثمانين بعد الألف، طرفاً من «صحيح البخاري»، و«جامع الترمذي»، وسمعت منه «ألفية العراقي» في أصول الحديث، وأجازني بجميع مروياته.

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ بالطائف، يوم الجمعة، تاسع شوال، سنة إحدى وتسعين بعد الألف، ودفن بقرب تربة ابن عباس، وكان والده كثير المال عقيماً، فشكا حاله للسيد شيخ بن عبدالله بن شيخ بن طه باعلوي، فقال له: اذهب للسيد علوي بن أحمد العيدروس، بثبى: قريةٌ من أعمال «تريم»، تُقضى حاجتك، فذهب إليه، فوجد في طريقه لصّاً، فهمّ اللص بفعل سوءٍ به، فتمثل له فارسٌ منعه من ذلك، ووصل إلى مقصده، فلما رآه السيد علوي، قال له بعد أن سلم عليه: قد حميناك من العدو، وارجع؛ فقد حصل لك مقصودُك، فرجع من حينه إلى بلده، وواقع زوجته، فحملت بالمترجَم تلك الليلة ـ نفع الله به ـ، هكذا أخبرني بعض أصحابنا الحضارمة.

ومن مؤلفاته: «شرح قصيدة بحرُق المسماة بـ: الحديقة الأنيقة» التي أولها:

إلامَ ذا التمـــادي وأنــت صــادي

و«شرح بانت سعاد»، و«ذيل على تاريخ المدينة للمرجاني» في مجلد.

[٥٦٣] أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد ابن حبيب الله بن رفيع الدين بن خواجة نور الدين ابن خواجه نصير ابن خواجه محمود ابن خواجه سليمان ابن خواجه يوسف بن السلطان شهاب الدين علي، المعروف بفروخ شاه الكابلي ابن خواجه نصير الدين ابن خواجه محمود ابن خواجه سليمان ابن خواجه مسعود ابن خواجه عبدالله ابن خواجه واعظ أصغر ابن خواجه واعظ أكبر ابن خواجه أبي الفتح بن إسحاق بن إبراهيم بن ناصر ابن عبدالله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الفاروقي السرهندي الحنفي[١].

أحد مشاهير أكابر أهل الطريقة بالديار الهندية، وله بها الشهرة العظيمة، خصوصاً عند ملوكهم، وله المنزلة العلية عند خاصة الناس وعامتهم، أخذ طريق النقشبندية، والقادرية، والجشتية عن الخواجه محمد باقي، وعن الشاه ابن الشاه إسكندر، وعن عبد الرحمن البدخشي الشهير بجامي مرزا، وأجازوه، وتصدر للإقراء والإفادة، وأخذ عنه خلق لا يحصون.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ومكاتيب شهيرةٌ، وغالبها باللغة الفارسية، ولما وقف عليها مشايخ عصرنا، أنكر جماعةٌ منهم أشياء فيها، ومنهم: شيخنا العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي، أَلَّفَ في تكفيره عشر رسائل.

ووافقه ـ على ما سمعت من الثقات ـ شيخُنا العلامة إبراهيم الكردي، وجماعة، وألف شيخنا علامة العصر أحمد، لما وقف على ذلك، في مجاورته

---

(١) «هدية العارفين» (١/ ١٥٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٢).

بمكة البشبيشي، برسالةٍ في الاعتذار عنه، ومنع تكفيره وتكفير أمثاله في شطحاته، ثم رد عليه شيخنا محمد البرزنجي برسالةٍ أخرى جعلها كالشرح لرسالة شيخنا أحمد، وطال الكلام بين الفضلاء في شأنه، واللائق بالأدب تركُ التكلم بذلك، والأسلمُ للعاقل الوقوفُ مع الحد الشرعي.

وقد أفرد أحواله وكراماته بعضُ تلامذته، وذكر أن كثيراً من الناس نالوا من أثر صحبته الفوزَ العظيم، وصاروا من أهل الكشف والذوق، وملأ الأرض ذكرُهم شرقاً وغرباً، وكان يخبر بأمورٍ قبل وقوعها، فتقع كما يخبر، وكم من مريض عليلٍ أيس الناس منه، فبمجرد أن يأتوا به إليه يبرأ من وقته، وربما خطر ببال أحدٍ في مجلسه شيءٌ، فيبينه له، وذكر كثيراً من وقائعه الغريبة[1].

توفي المترجم بسرهند، في تاسع وعشري صفر، ختم الله له بالخير والظفر.

[٥٦٤] السيد أحمد حياش الأهدل.

كان فقيهاً في المقَرّية، غربي ملحان، من اليمن الميمون، وكان من أهل الفضل، موصوفاً بمعرفة العلوم العربية، وله ذريةٌ طيبةٌ هناك، وذكر ابن الحضرمي في «تاريخه»: أن ممن سمي بالأهدل تبركاً، بني الحضرمي المعروفين بملحان، فغلب عليهم هذا الأسم، وليسوا من ذرية الشيخ علي بن عمر الأهدل، بل هم من ذرية الشيخ إسماعيل الحضرمي ـ نفع الله به ـ، وليسوا بأشراف، فليعلم ذلك.

---

(١) جاء في الحاشية: «غالباً أنه مر».

[٥٦٥] القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري.

ممن برز على أبيه، فهو سباق غايات الكتابة والنجابة والقلم، لا يأتي الزمان بمثله، حظي عند المؤيد، ثم قام مع صنوه أحمد بن القاسم، فكلَّت شوكتُه عند الإمام المتوكل. . .[1].

[٥٦٦] أحمد ابن الشيخ العلامة زين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفي.

كان إماماً فاضلاً، متبحراً في الفقه، مرتب فتاوى والده على ترتيب كتب الفقه، وسماها: «الفتاوى الزينية»، توفي بمصر بعد الألف.

[٥٦٧] السيد أحمد بن شيخان باعلوي الحسيني[2].

السيد الشريف، ذو الحسب الباذخ المنيف، وُلد بالمخا، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ من أكابر المشايخ الصالحين، والأولياء الكاملين، وكان خاتمة زمانه في الكرم والجود، مرتباً لغالب أصحابه كلَّ سنة نفقةً وكسوة، وكان يكرم الوافدين، ويحب الفقراء والمساكين، ويطعم الطعام، ويصل الأرحام، ويصلي بالليل والناس نيام، وكان يعمل كل يوم سماطاً عظيماً يجلس هو وجماعته وأصحابه، ثم يجلس الأخدام ومن حضر من بقية الناس، ثم يجلس العبيد وأهل الحرف الدنية، ويفضل نحو أربعين رغيفاً يجلس تحت بابه، وكل من مرّ من الفقراء أعطاه رغيفاً.

ولما مات والده، استولى على مخلفه أخوه السيد حسن، وصرفه، وأبرأه

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «المتوكل» صفحة وثلث بياض».

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١١٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢١٩).

صاحب الترجمة من جميع ذلك، وتعاطى التجارة، ففتح الله عليه فيها حتى اتسعت أملاكه، واستوطن بمكة، وصار يمدّ أخاه بالنفقة، وبناته من بعده.

وزار جده ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وحصل له مزيد الإكرام، وعمي في آخر عمره، ولما زار النبي ﷺ، وقد كف بصره، قصد بعض الأولياء الذين يرون النبي ﷺ، فطلب منه أن يسأل النبي ﷺ: هل قبلت زيارته؟ فقال النبي ﷺ: نعم قبلت زيارته، فطلب منه أن يسأل النبي ﷺ أن يرد عليه إحدى عينيه؛ ليعيش بها، وينظر عجائب مخلوقاته، فقال النبي ﷺ: قل له: سيرد الله عليك عينيك، فكان الأمر كما قال، فإنه لما رجع إلى مكة، أتى إليه رجلٌ، ففتح له عينيه، واستمر على الحالة المرضية، إلى أن وافته المنية، وقدم على رب البرية.

فتوفي فجر يوم الجمعة، ثامن شهر رجب، سنة أربع وأربعين وألف، بثغر جدة، فحمله ولده السيد سالم من جدة إلى مكة، ووصل به ليلة السبت، ودفن في صبح اليوم المذكور، على أبيه وأخيه في حوطة آل باعلوي الشهيرة بالمعلاة، وأرخ وفاته السيد سالم، بعد أن رآه في منامه بقوله:

شاهدتُ في عالم الوفاة بليلة عـزا ... أحمـد قـائلا نفـسي أحمـدي
أسكنت جنات النعيم ونعـم هـي ... نـزلاً فتـاريخ الوفـاة (تخلـدي)

وقوله أيضاً:

أعظـم الله للخلـف ... فـي أبِ عمـدةِ الـسلفْ
جـاء تـاريخ موتـه ... (يـا جليـلُ أحـسنِ الخَلَـفْ)

[٥٦٨] أحمد بن عثمان بن عبد الرحيم.

صاحب المَسْوَح، العلامة الشهير، الذي أخدمه الله الدنيا لطلبة العلم،

كان من عجائب الدنيا، أثرت فيه خدمة العلم تأثيراً لم يكن لأحد من نظرائه، وسخر الله له أخاه الزين بن عثمان، فحج خمساً وعشرين مرة، وكان يأخذ له في كل موسم الكتب الفاخرة من مكة، ولحسن نيتهما تقف الناس بخزانة المَسْوَح، وهو أحد مشايخ الإمام القاسم.

مولده سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، وتوفي حادي شوال في سنة تسع وألف، وعمره ست وستون سنة، وكان له الولد النجيب، الذي ظهرت عليه دلائل الفحولة في الطفولة، فألف وصنف، وهو محمد بن أحمد بن عثمان، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة، ومات سنة اثنتي عشرة وألف، عن خمس وثلاثين سنة ـ رحمه الله ـ.

[٥٦٩] أحمد بن علي بن محمد مطير[١].

الإمام العلامة الحفاظة، أعجوبة الزمن في حفظه وإتقانه، وضبطه واطلاعه على جميع الفنون، حتى على علوم التوراة، فسبحان الوهاب! له التآليف العديدة في كل فن، منها: «منظومةٌ في الفرائض».

[٥٧٠] أحمد بن علي السندوبي الشافعي المصري[٢].

صاحبنا الشيخ العلامة، كان من أعيان المدرسين بالجامع الأزهر، من أكابر الأفاضل بمصر، ذا عباراتٍ فصيحةٍ، وطباعٍ مليحةٍ، قرأ على الشمس محمد الشوبري، وعليٍّ الشبراملسي، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وشهاب الدين القليوبي، وكثير، وأجازه شيوخه، وتصدر بالجامع للتدريس،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥٢).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥٦).

في ضروب العلوم العقلية والنقلية، وألف مؤلفاتٍ منها: «شرح على ألفية ابن مالك»، و«منظومة في الحال»، و«أخرى في مصطلح الحديث»، وحج مرات.

واتفق لي بعد أن زرت المعلاةَ تربةَ مكة، فتذاكرنا أُنسها، وعدم الوحشة فيها، بالنسبة لمقابر غيرها من البلاد، ومن فيها من الأولياء، ممن لا يحصى كثرةً، فذكرت له ما نقله المرجاني في «تاريخ المدينة» عن والده.

قال: سمعت أبا عبدالله الدلاصي يقول: سمعت الشيخ أبا عبدالله الديسي يقول: كشف لي عن أهل المعلاة، فقلت لهم: أتجدون نفعاً بما يهدى إليكم من قراءةٍ ونحوها؟ فقالوا: لسنا محتاجين إلى ذلك، قال: فقلت لهم: أما منكم أحدٌ واقف الحال؟ فقالوا: ما يقف حال أحدٍ في هذا المكان.

فأعجب به، وقال: أرجو من الله أن يميتني بمكة، وأن أدفن بالمعلاة، فلم يقدَّر له ذلك.

فتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمصر، عام سبعة وتسعين وألف، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، في مشهدٍ حافلٍ، غرة جمادى الأولى يوم الثلاثاء، وعمره ثمان وستون سنة، ومن مؤلفاته: «شرحٌ على قصيدة المقري» التي مطلعها: سبحان من قسم الحظوظ. . . البيت، في نحو عشر كراريس، و«شرح العقيدة الشيبانية»، و«شرح العنقود في النحو للموصلي».

ومن شعره ملغزاً في ناصر، وهذا المعمَّى للقطب المكي:

صبرْنا فلما أن رأى الصبر بأسَنا تأخَّرَ عنا وهو منقطعُ القلبِ

وله:

أيـــا طالـــب الـــدنيا تنبَّـــهْ فلـــيس بهـــا لمخلـــوق مقـــامْ
ودنيانــــا بأهليهــــا كركــــبٍ يُــــسار بهــــم وأكثــــرُهم نيــــامْ

وله:

إذا مـا رمـت مـن جـاؤوا بإفـكٍ فهـاك عـداؤهم فيمـا يُـصَحَّحْ
تـولى كِبْـرَهُ ابـنُ أبـي سـلولٍ وحمنـةُ ثـم حـسانٌ ومِـسْطَحْ

وله:

إذا عُـدْتَ المـريض فـلا تطـوِّلْ وقَلِّـلْ فـي الكـلام لـدى العيـاده
ولا تـذكر لـه فيهـا مريـضاً ولا خبـراً فـذلك خيـر عـاده

وله:

رويت على السلطان ضوعفَ أجرُه صـحيحَ البخاري عـن كـرامٍ أجلَّـةِ
عليّ عـن الرملـي عـن والـدٍ لـه عن الديمي عـن أحمـد زيـن مِلَّـةِ
تنوخي عن الحجازي ذا عن زبيدهم فسجزي عن الداودي زاكـي الجبلَّةِ
سرخسيهم ثم الفربـري رواه عـن مؤلفـه جـوزي بكـل فـضيلةِ

[٥٧١] أحمد بن علي بن راشد(١).

الأمير الكبير، العلم الشهير، كان صاحب عدلٍ تامٍّ، ونفعٍ عامٍّ لسائر الأنام، محباً للسادة الكرام، والعلماء العظام، باذلاً لهم الإنعام والإكرام،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٦١).

عارفاً بزمانه، فائقاً على أقرانه، صاحب ثروةٍ وفنون، ودينٍ متينٍ، ومروءةٍ وأخلاقٍ رضيةٍ، وسيرةٍ مرضيةٍ، واستمر على ذلك حتى وافته المنية، سنة أربع بعد الألف ـ رحمه الله، وغفر له كل خطيئة ـ.

[٥٧٢] أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد جلاخ باقشير[1].

الشيخ الإمام المفنن في العلوم، الذي رفع الأستار عن وجوه إعجازها، وميَّز بين حقيقتها ومجازها، فلذا عقدت عليه الخناصر، وأثنى عليه الأصاغر والأكابر.

وُلد بحضرموت، ببلده المسماة بـ: «العجر»، وحفظ القرآن على يد جده الشيخ الهادي باقشير، وقرأه بالتجويد، وحفظ «الجزرية»، وغيرها من فن القراءات والتجويد، وحفظ «الإرشاد»، و«الألفية»، و«القطر»، وغيرها، وجل محفوظاته على مشايخه، ولازم جده المذكور، وأخذ عنه التصوف، ورباه فأحسن تربيته، وأخذ عن جماعة بحضرموت.

ثم ارتحل إلى المستفاض، وأقام عند ضريح العارف بالله الشيخ الجوهري مدةً؛ لتعليم القرآن، وتدريس العلم النافع، وانتفع به كثيرٌ من أهل تلك الجهة، ثم ارتحل إلى مكة المشرفة، فحج حجة الإسلام، وأقام بها وشباب الزمان مقبل، وعذاره من ندى الطل ما بقل، وتبوأ صحن مسجدها الشريف داراً، واتخذه لأفلاك علومه مداراً.

ولقي بمكة سادة أعلام الأئمة، وقادة علماء الأمة، الجامعين بين

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥١)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٢٧).

المنقول والمعقول، والقارعي ذرا التحقيق في الفروع والأصول، من أفاضل العلماء الراسخين، وأئمة الدين؛ كالشيخ عبدالله باقشير، أخذ عنه علم التجويد والقراءات عليه للسبع، بعد أن حفظ «الشاطبية»، وحلها عليه، وقرأ عليه شرحها.

وأخذ الفقه عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي، وعن الشيخ علي بن الجمال الفقهَ والفرائض والحساب، ولازمه في هذين الفنين، وأخذ الفرائض والحساب أيضاً عن الشيخ أحمد بن تاج الدين رئيس الموقتين بالحرم النبوي، ولازمه ملازمةً تامةً حتى تخرج به، ولما قدم العلامة عيسى بن محمد الجعفري المغربي إلى مكة، لازمه، وقرأ عليه العلوم العقلية؛ كالأصلين، والمنطق، والمعاني والبيان، والبديع والنحو والصرف، وكان الشيخ عبدالله باقشير يحبه، ويشير إليه، وكان إذا ورد عليه مسألةٌ مشكلةٌ، أمره أن يراجعها له ويحررها، ثم يكتبها، وكان الشيخ ـ إذ ذاك ـ ضعُف عن المراجعة، وقلَّ نظرُه، وزوجه بابنته.

ثم أذن له مشايخه في التدريس، فدرَّس، وأخذ عنه جمعٌ، لا سيما بعد وفاة شيخه المذكور، ثم شرع في التأليف، فصنف عدة رسائل، لكنه لم يبيضها، وله نظمٌ كثيرٌ، ونظم «أرجوزةً في علمي الفرائض والحساب»، جمع فيها فأوعى، ثم شرحها شرحاً طويلاً، استوعب جميع الطرق والمباحث.

وبالجملة: فقد انفرد بعلمي الفرائض والحساب، بعد شيخه علي بن الجمال، لا سيما علم المناسخات، فإنه كاد أن يحفظ جدول ابن عبد الغفار؛ لكثرة مطالعته له وقراءته، وشرع في اختصار «حواشي الفهامة ابن قاسم على التحفة».

توفي ـ رحمه الله ـ ضحى يوم الخميس، سابع عشر شهر ربيع الثاني، سنة خمس وسبعين وألف بمكة، وحضر جنازته خلقٌ كثيرٌ، وحملوه والسماء تمطر، حين فرغوا من دفنه، وممن حمل جنازته: الشيخ عيسى بن محمد الجعفري، والشيخ أحمد بن عبد الرؤوف، وأسف الناس عليه، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

[٥٧٣] أحمد بن علي بن أحمد المالكي البُسْكري[1].

ـ بضم الموحدة وسكون السين المهملة ـ الشيخ الصوفي الذي أشرقت أنواره، والأديب الذي طابت أنباؤه وأخباره، جميل الأوصاف والمناقب، حسن المنظر في إصلاح العواقب، أخذ عن والده علي، وكال له بالمكيال الوفي، وعن صاحبنا الفاخر السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس، وغيرهما، وكان لطيف الذات، كامل الصفات، وأكثر همه الاستعداد ليوم المعاد.

قال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس في «النور السافر»: وكان صاحبنا أحمد المذكور من أهل العلم والصلاح، متصفاً بالعفاف، قانعاً بالكفاف، لا يُرى في أكثر الأوقات إلا مشغولاً بمطالعة أو كتابة مظهراً للجهالة، له جملة مصنفات، وكان كُفَّ بصره قبل وفاته بقليل.

وكانت وفاته ليلة السبت ثالث عشر ربيع الثاني سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف بمدينة أحمد آباد من أرض الهند، وللشيخ الفاضل النحرير عبد اللطيف ابن محمد الدبير فيه مدائح كثيرة، منها: قوله مجيباً له:

وافى الكتابُ من الملاذ البُسكري ... أزرت حلاوتُه بطعم السكَّرِ

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٤٣).

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

أنت التي خصت [illegible] بشرعها ... وحفظت قصيدها [illegible]

يـا وارثـاً أشـرف الفضيلة كـابراً ... عـن كـابر حقـاً بمثلك تفتخري

أعني شهاب الدين من فاق الورى ... بالفضل والأدب الأغر الأنور

مذ غبتَ عني لـم أزلْ لـك ذاكـراً ... بمناقـب لـك والثنـاء الأعطـر

هـل عطفـةٌ يـا خِـلّ منـك بزلفـةٍ ... فجـواي نـام والتسلي مزدري

ولله أسـأل جمـعَ شـملٍ عاجـلٍ ... بـدعاء ظهـرِ الغيـب صـاحِ مـؤثرِ

أبقـاك ربـي للإفـادة دائمـاً ... بالمصطفى الهادي الأمين وحيدرِ

وقوله مادحاً له من قصيدة يقول فيها:

أعني بـه أحمـدَ المحمـودَ سـيرتُه ... خَلقـاً وخُلقـاً سـواه لا يـساويهِ

شهابُ نجل علي البُسْكري بلـداً ... المـالكي مـذهباً مَـنْ ذا يـساميهِ

قد خـصَّه بجزيـل الفـضل خالقـهُ ... بـسرٍّ طـيِّ معـانٍ فـي معاليـهِ

له بديعُ بيـان فـي الخطـاب يـرى ... وخيـرُ لفـظٍ وقـد جلَّـت معانيـهِ

فكم جلا دُرراً تسمو الدراري بهـا ... أبيات أفكاره المخصوص من فيـه

أخباره قد أتتْ في الحال تخبرُ عن ... مـاضٍ ومـستقبلٍ مـن أمـرِ باريـهِ

حديثـهُ الحـسنُ العـالي روايتـهُ ... أعلَـتْ لـسامعه شـأناً وراويـهِ

توفي ـ رحمه الله ـ ضحى يوم الخميس، سابع عشر شهر ربيع الثاني، سنة خمس وسبعين وألف بمكة، وحضر جنازته خلقٌ كثيرٌ، وحملوه والسماء تمطر، حين فرغوا من دفنه، وممن حمل جنازته: الشيخ عيسى بن محمد الجعفري، والشيخ أحمد بن عبد الرؤوف، وأسف الناس عليه، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

[٥٧٣] أحمد بن علي بن أحمد المالكي البُسْكري(١).

ـ بضم الموحدة وسكون السين المهملة ـ الشيخ الصوفي الذي أشرقت أنواره، والأديب الذي طابت أنباؤه وأخباره، جميل الأوصاف والمناقب، حسن المنظر في إصلاح العواقب، أخذ عن والده علي، وكال له بالمكيال الوفي، وعن صاحبنا الفاخر السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس، وغيرهما، وكان لطيف الذات، كامل الصفات، وأكثر همه الاستعداد ليوم المعاد.

قال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس في «النور السافر»: وكان صاحبنا أحمد المذكور من أهل العلم والصلاح، متصفاً بالعفاف، قانعاً بالكفاف، لا يُرى في أكثر الأوقات إلا مشغولاً بمطالعة أو كتابة مظهراً للجهالة، له جملة مصنفات، وكان كُفَّ بصره قبل وفاته بقليل.

وكانت **وفاته** ليلة السبت ثالث عشر ربيع الثاني سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف بمدينة أحمد آباد من أرض الهند، وللشيخ الفاضل النحرير عبد اللطيف ابن محمد الدبير فيه مدائح كثيرة، منها: قوله مجيباً له:

وافى الكتابُ من الملاذ البُسكري   أزرت حلاوتُـه بطعم السكَّرِ

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٤٣).

فغدوتُ من فرحٍ به ومسرتي ... نشوانَ راح في ثياب تبختُرِ
خلصَتْ إليّ به النسيمُ منوراً ... أمنيةً مثلَ الصباحِ المسفرِ
يا سيدي خلي صديقي قد وتى ... مبدي إلي مواهباً لم تصغرِ
يا جامعاً للعلم طُراً والعلا ... وجميل ذكر لا يشنه ممتري
أنت الذي خضتَ العلومَ بأسرها ... وبلغْتَ قصواها وليس بمنكرِ
يا وارثاً شرفَ الفضيلة كابراً ... عن كابرٍ حَقّاً بمثلك مَفْخَري
أعني شهابَ الدين مَنْ فاق الورى ... بالفضلِ والأدبِ الأغرِّ الأنورِ
مذ غبتَ عني لم أزلْ لك ذاكراً ... بمناقبٍ لك والثناءِ الأعطرِ
هل عطفةٌ يا خِلّ منك برأفةٍ ... فجواي نامٍ والتسلي مزدري
واللهَ أسألُ جمعَ شملٍ عاجلٍ ... بدعاء ظهرِ الغيب صاحِ مؤثرِ
أبقاك ربي للإفادة دائماً ... بالمصطفى الهادي الأمين وحيدَرِ

وقوله مادحاً له من قصيدةٍ يقول فيها:

أعني به أحمدَ المحمودَ سيرتُه ... خَلقاً وخُلقاً سواه لا يساويهِ
شهابُ نجل علي البُسْكري بلداً ... المالكي مذهباً مَنْ ذا يساميهِ
قد خصَّه بجزيل الفضل خالقهُ ... بسرٍّ طيٍّ معانٍ في معاليهِ
له بديعُ بيان في الخطاب يرى ... وخيرُ لفظٍ وقد جلَّت معانيهِ
فكم جلا دُرراً تسمو الدراري بها ... أبيات أفكاره المخصوص من فيه
أخباره قد أتتْ في الحال تخبرُ عن ... ماضٍ ومستقبلٍ من أمرِ باريهِ
حديثهُ الحسنُ العالي روايتهُ ... أعلَتْ لسامعه شأناً وراويهِ

[٥٧٤] أحمد بن عثمان الشرنوبي.

نسبةً إلى «شرنوب»: قرية بالبحيرة، غربي مصر، أخذ عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وعن الشيخ أبي الحسن البكري، والشيخ علي المتقي، وقدم مكة، واجتمع بسيدي بدر الدين العادلي، فقال له: يا أحمد! إذا مات لك تلميذان، أحدُهما بالمشرق، والآخر بالمغرب، تحضر وفاة أيهما؟ فقال له: يا سيدي! لا أقدر على واحدٍ منهما، فقال له: كيف تكون لك تلامذةٌ ولا تقدر على ذلك؟ هذا من الغش في الطريق، فألزمه أن يلازمه، ويصرف تلامذته عنه، فصرفهم، ورجعوا إلى مصر، وأدخله الخلوة سنةً كاملةً، فلما مضت السنة، دخل إليه، وسأله عما سأله أولاً، فقال له: أحضر وفاة الاثنين في آن واحد، عند النزع، وعند السؤال، وفي الآخرة، فحينئذٍ أخرجه من الخلوة، ونصبه للمشيخة ـ نفع الله به ـ[1].

أخذ عنه البرهان اللقاني، وهو الذي أمره أن ينظم عقيدته «الجوهرة»، فنظمها في ليلةٍ واحدةٍ، وممن أخذ عنه: العلامة عبد ربه المحلِّي، وفي آخر عمره طرقه طارقٌ في السفر إلى الروم، فتوجه إليه.

وكانت وفاته بمدينة «أركله»، وبني عليه بها قبةٌ عظيمةٌ، وصار لأهل تلك الديار مزيدُ اعتقاد فيه، وكانت وفاته بعد الألف بسنين قليلة ـ فيما أحسب ـ، وكان معه جملةٌ من تلامذته لما توجه إلى الروم، من جملتهم: الشيخ عبد ربه المحلِّي.

---

(١) لا يدعي هذه الخرافات والأباطيل إلا من استحوذ عليه الشيطان ولبس عليه إبليس، غفر الله للمصنف ورحمه في إدراج مثل هذه الحكايات.

قلت: وله مؤلفٌ غريبٌ، ذكر فيه من يولد من الأولياء إلى آخر الزمان، وذكر فيه حاله، ووفاته، وقفتُ عليه، وهو من أعظم كراماته[1].

[٥٧٥] أحمد بن عبد المعطي بن مكرم محمد بن المحب محمد ابن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري، إمام المقام الشريف.

قال الإمام عبد القادر الطبري في بعض مؤلفاته: وُلد في رمضان سنة سبع وعشرين وتسعمائة، واشتغل بالعلم، وقرأ على العلامة أحمد بن حجر الهيتمي، ولازم دروسه، ومن مشايخه: شيخ وقته أحمد بن عبد الغفار، والشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي، وغيرهما، وكان متقشفاً ديناً صالحاً، ملازماً للمسجد وحضور الجماعات، تارة إماماً، وتارة مأموماً، منقطعاً عن الناس، وعن التردد على الولاة، معتقَداً يُلتمس منه الدعاء.

ذكر لي ابن عمتي السيد الطباطبي: أن بعض الفقراء أراد أن يحج، فقصد شيخه بأرض اليمن أن يدله على قطب ذلك الوقت، فقال له: إذا وصلت إلى مكة، ودخلت من باب الحزورة، فأبصر الشيخ الأعمى، القصير القامة، المستند على الأسطوانة، بين يدي باب الحزورة، فذاك مطلوبك، واقرأ عليه السلام مني، فوصل ذلك الفقير، ودخل من الباب المذكور، فرأى المشار إليه، فسلم عليه، وأبلغه سلام شيخه.

وأظن ـ والله أعلم ـ: أنه كان الوارث لحال جدي عمه الإمام يحيى،

---

(١) وهذا من أعجب العجب، وهل يدعي الغيب إلا من أصيب بخلل في عقله أو دينه، نسأل الله العصمة بالدين، والسلامة في العقل والرشد.

وقد سمعته بعد أن دفن جدي، ونحن على شفير قبره يلقنه، وكان لفظه في التلقين: يا عمي يحيى بن مكرم! أذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا إلى دار الآخرة، إلى آخر التلقين.

وقد سمعت من الشيخ علي الينبعي ـ رحمه الله تعالى ـ ما يدل على علو مقام صاحب الترجمة في الولاية، في أثناء حكايةٍ طويلةٍ، ذكرها لي من سياحته إلى بلاد الروم وحلب ومصر والشام والحجاز وجبال هذيل، ثم ملازمته لصاحب الترجمة بالمسجد الحرام مدة أعوام، ثم انقطاعه بقرية المعابدة ظاهر مكة مدة سنين.

إلى أن ذكر انتقاله إلى المحل الذي انقطع فيه، وهو عشته بالمعلاة، تحت سبيل السلطان، اجتمعت به فيها مراراً، فسألته عن وجه اختياره للانقطاع بهذا المحل، فقال: إنما ذلك بإشارةٍ من صاحب الترجمة؛ فإني رأيته في المنام كأنه في محل تربة مقبرة بني الطبري، فكان ذلك المحل إلى أعلى الحجون، وإلى محل سبيل السلطان، بساتين مخضرة مثمرة بصنوف الثمار، ظليلة جداً مأنوسة، فكأنه يقول: يا علي! انقطع في ذلك المحل، وأشار إلى هذه البقعة التي فيها الآن، فانتقلت من المحل الذي كنت فيه، وأقمت هنا. انتهى ما ذكره لي.

وهو من أهل الصلاح والدين والعبادة، يكثر المواظبة على الصلاة على النبي ﷺ، وكانت **وفاته** في سادس عشر ذي الحجة، سنة ثلاث وألف بمكة، وصُلي عليه بالمقام الشريف، بعد أن نادى له الرئيس بالصلاة على ظلة زمزم، ودفن في قبر المحب الطبري بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

[٥٧٦] أحمد بن عثمان بن علي بن محمد بن علي بن محمد العزي المالكي[1].

الشاعر المشهور، والفاضل المذكور، أخذ عن والده وتأدب وبرع، ووعى ما جمع، واعتكف في زوايا الخمول، وقنع بشقائق آبائه الفحول، حتى قطع عليه الطريق الأجل، وناداه عجلاً، فقال: أجل، فتوفي في شهر صفر، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف، بعد والده بأيامٍ قليلةٍ.

ومن شعره قوله:

لا زال هذا الجمعُ جمعَ سلامةٍ ... لا نقصَ يعروه ولا تعييرُ
والجمعُ من أعدائكم في قلةٍ ... ونقيضُ تلك القلةِ التكثيرُ

وقوله:

أدِم يا ربِّ خلوتنا بحبي ... لأقضي بالتواصل منه دَيْني
ولا تجعلْ هناك سوى لساني ... سميراً بين مَن أهوى وبَيْني

[٥٧٧] السيد أحمد بن عبد الصمد البحراني الحسيني[2].

قال في «السلافة»: هو للعلم علَم، وللفضل ركن ومستلَم، خلد في صفحات الدهر محاسنَ آثاره، وقلد جيدَ الزمن قلائدَ نظمه ونثاره.

من شعره قوله:

لا بلَّغتني إلى العلياء معرفتي ... ولا دعتني العلا يوماً لها ولدا

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٤١).

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥١٩).

إن لم أُمِرَّ على الأعداء مشربَهم	مرارةً ليس يحلو بعدَها أبدا

[٥٧٨] السيد أحمد بن عبد المحسن بن عبد الرحمن بن حسين بن الصديق بن حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي الأهدل.

مولده في عشر الستين وتسعمائة، قام بعد والده بمحلة زبيد أتم قيام، وشُهر بين جميع الأنام، وورث الحال، وربى الرجال، وزاده الله من الجاه، ورزقه من الدنيا ما كفاه، وأعطاه سلامة القلب والعافية، من حمل مهمات الدنيا.

وما كان عاكفاً إلا على القات، والطيب، والذكر لله تعالى، وكان ـ نفع الله به ـ قريب الدمعة، أنوفاً ذلولاً، كيف قِيد انقاد صحبه، وأخذ عنه جماعةٌ أجلاء، منهم: السيد محمد بن الطاهر البحر، وتوفي سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بالقُريّة ـ تصغير قرية ـ من أعمال زبيد، وبني عليه بها مشهدٌ عظيمٌ ومسجد.

[٥٧٩] السيد أحمد بن الطيب اليمني.

الساكن بجبل غور من أعمال تعز، وكان من محابيب المجاذيب، صاحب أحوال وكرامات ظاهرة.

[٥٨٠] أحمد بن عبد الدائم البرماوي الشافعي.

نزيل الشيخونية، أحد العلماء المشهورين بالقاهرة، كان إماماً بمسجد الشيخونية، منقطعاً للعلم وإفادته، مكباً على المطالعة والكتابة، إلى أن مضى لسبيله، مشكورٌ مشهورٌ بالعفة والديانة، والعلم والرصانة، أخذ عن الشمس

الشوبري، ومن في طبقته، وأخذ عنه كثيرٌ من الفضلاء.

وهو أحد الشيوخ الذين رأيتهم ـ نفع الله به ـ، وله مؤلفاتٌ منها: «حاشية على معراج الغيطي»، توفي ـ رحمه الله ـ بمصر في غرة شهر رمضان، سنة خمس وسبعين وألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٨١] السيد أحمد بن عمر بن عبدالله بن علوي بن عبدالله العيدروس.

صاحب العلوم اللدنية، والمعارف القدسية، والأسرار العرفانية، شيخ أهل الطريقة، وإمام [أهل] الحقيقة، وأحد أعيان الفقهاء البارعين، وتاج المشايخ العارفين، العالم العامل، المتصرف في التصرف بأطراف الأنامل.

وُلد بتريم، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عن جماعةٍ من علمائها الأعيان، ثم رحل إلى والده بعَدَن، ولازمه، وتخرج به، وأخذ عن غيره من العلماء، وكان جامعاً للأخلاق المحمودة، يأوي الغريب، وينقذ اللهفان والغريق، وبرع في العلوم الشرعية، وعلوم الصوفية، وكان حاوياً لأسباب الدقائق الفرعية والأصلية، جامعاً لمفردات الحقائق الشرعية والعقلية، وقام بالمنصب بعد والده أتم قيام، وانتفع به الخاص والعام، وكان ذا خلقٍ رضي، وسمتٍ مرضي، أخذ عنه خلقٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ.

ومن كراماته: أنه لما قربت وفاته، ولم يكن به مرضٌ، وإنما كان معه انقباضٌ من الخَلق كعادته، طلب ماءً فتوضأ، وصلى ما شاء الله، ثم طلب خواصَّه، فتكلم معهم بكلام فيه إشارات، في ضمنها بشارات، منها ما عرف، ومنها ما لم يعرف.

ثم التفت إلى أولاده الكبار، وعرفهم بأمورهم، وأمور أهل بيتهم،

وأوصاهم، ونصب ابنه الكبير شيخاً عليهم، وأمر الجميع باتباعه، وأوصاه بهم، وأعطى بعض خدامه دراهم، يشتري حجرين، قال: يريدهما علامة لقبر، فظنوا أنه يريدهما لقبر أخيه علي بن عمر؛ لكونه في ذلك الوقت مريضاً مدنفاً، ثم أمر الجماعة بالخروج، ثم سمعوه يقول: الله، الله، فدخلوا عليه، فوجدوا روحه قد خرجت، فاسترجعوا، وعلموا ما أشار به، وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة سبع وعشرين بعد الألف بعدَن، وعمره بضع وخمسون سنة، ودفن في قبة الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس.

[٥٨٢] أحمد بن عيسى بن جميل الكلبي المالكي[١].

شيخ المحيَّا النبوي بالجامع الأزهر، الشيخ الإمام العلامة، خاتمة الفقهاء والمحدثين، وواحد العلماء العاملين، ومربي المريدين.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عن والده، ولازم العلماء الأعيان؛ كالقاضي العلامة علي بن أبي بكر القرافي المالكي، وشيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الرملي الشافعي، وغيرهما من أكابر العلماء، وأجازه غالب شيوخه، وتصدر للتدريس بالجامع الأزهر، وعنه أخذ جمعٌ، منهم: شيخنا محدِّثُ عصره محمدُ بن علاء الدين البابلي.

وجلس بالمحيَّا الشريف بعد والده، ووالدُه جلس بعد الشيخ محمد البلقيني، وهو جلس بعد والده القطب الرباني الشيخ الصالح، وهو جلس بعد والده شيخ الإسلام والمسلمين شهاب الدين أحمد البلقيني، وهو جلس بعد الشيخ نور الدين الشوني، شيخِ مجلس الصلاة على النبي ﷺ بالجامع

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٦٦).

الأزهر، المدفون بزاوية سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن إذن من النبي ﷺ، كما هو ثابتٌ ومشهورٌ، وعند أهله معروفٌ ومذكورٌ.

وكانت وفاته ـ نفع الله به ـ سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وعشرين بعد الألف بمصر، ودفن بالقرافة الكبرى، وأرخ وفاته علي العامري، رئيسُ العدول بباب الشعرية بقوله:

مات قطبُ الأنام مفتي البرايا أحمدُ الزاهد الرفيعُ المقامْ
عالمُ الأزهر الذي كان حبراً عاملاً عابداً بطول الدوامْ
نسلُ من كان للأمين شبيهاً شيخِ محيًا الرسولِ خيرِ الأنامْ
فعليه من السلامِ سلامٌ ما سقى قبره بسحبِ الغمامْ
مذ قضى للجنان قد أرخوه (مات قطبُ الورى جنان السلام)

[٥٨٣] أحمد بن علي المُحَيْرِسي[١].

نسبةً إلى المحيرس؛ كدُريهم ـ مصغراً ـ: بلدةٌ من بلاد كوكبان.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان من نوادر الزمان، نبيهاً ذكياً، أحاط بعلومٍ جمةٍ، وتمكن من قواعد المذهب، ثم قرأ كتب الحنفية، وولي القضاء للأروام بصنعاء، وقضى بمذهبهم، وكان في علوم المعقول والأدوات نسيجَ وحدِه، وكان يفتي الأروام بلغتهم، والفارسيين بلغتهم، والعرب بلغتهم، وكان من أعيان الزيدية، قرأ على المفتي وغيره منهم، ثم اختلط آخر عمره.

قال لي بعض شيوخ الشافعية: اختلط صاحب الترجمة بجودة ذكائه،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥٠).

أحرقته ألمعية عقله، وكان يذكر أنه المهدي المنتظر.

ومن أرجوزة له إلى السيد أحمد ابن الإمام القاسم وولد أخيه الحسين ابن الإمام محمد المؤيد قال فيها:

مــــن الإمــــام المهـــــدي ... المرتـــــــضى للرشــــــدِ

إلـــــى المليـــــك أحمـــــدِ ... ثـــم الحـــسينِ الأرشـــدِ

إلى آخرها، وتارة يقول: إنه الدابة التي تَكلم وتُكَلم، وله أجوبةٌ مسكتةٌ، وأشعارٌ فائقةٌ، في ضبط العلوم والجوابات، ثم دخل مكة، فاشتغل به العلماء هنالك، وكان مكي فروخ الحنفي ـ على جلالته ـ يخدمه بالطهور، ثم توفي بمكة، في أفراد سنة خمسين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره قوله:

قاضـي الجمـال أتـى يجـر ذيولَـه ... كالغـصنِ حرَّكـه النـسيمُ الـساري

لبسَ السوادَ فعاد بدراً في الـدجى ... لبسَ البيـاض فكـانَ شـمسَ نهـارِ

قالت رياضُ الحسن هـذا مـالكي ... قـد أقـرأ الحنفـيَّ فـي الأزهـار

[٥٨٤] أحمد بن عامر بن حصن السَّعْدي الحضرمي الشافعي.

صاحبنا الفاضـل الأديب، قرأ ببلاده، وقدم مكة، وجاور بها سنين، وأخذ بها عن عيسى الجعفري علومَ العربية والحديث، وقرأ الفقه والفرائض على علي بن الجمال، وعبدالله بن سعيد باقشير، ومَنْ في طبقتهم.

وتوفي بمكة، في نيف وثمانين وألف، وله مؤلفٌ حافلٌ، سماه: «شرح الصدر في تسمية أهل بدر» في مجلدٍ كبيرٍ، وقفتُ عليه.

[٥٨٥] أحمد ابن السيد الولي عمر بن أحمد بن زين العابدين بن محمد ابن سليمان بن أبي القاسم بن أبي بكر المعمر بن أبي القاسم بن عمر بن علي الأهدل.

ورث هذا السيد سرَّ والده، وسلك طريقته صلاحاً وورعاً وزهداً، وغير ذلك، فكان حميد السيرة، واسع الأخلاق، لطيف الشمائل، وصولاً للرحم، ذا إشاراتٍ خارقةٍ، وبشاراتٍ صادقةٍ.

أخذ عن أبيه، وعن السيد عبد القادر بن أحمد بن حسن الأهدل، وكان يحفظ أشياء كثيرة من مناقب أسلافه، وأنسابهم وكراماتهم، وعناية الله تعالى بهم، حفظاً متقناً، يحكيه بحسن عبارة، ولطف إشارة.

وغلب عليه حاله مرةً، فمكث مدةً مصطَلَماً، وكان في تلك المدة يخبر بكثير من المغيبات، فتأتي كما يقول، وعظمت هيبته في هذه المدة عند كل من رآه؛ لعظم ما أمده الله به من التجلي الجلالي، ثم أفاق بعد ذلك، ورجع إلى ما كان عليه من عظم الشفقة والرحمة لأولاده وإخوانه وأهله وفقرائه وسائر المسلمين، توفي في شوال سنة ست بعد الألف، وقبر إلى جنب أبيه.

وكان والده عمر مشهور الولاية، والصلاح والعناية، ذا كراماتٍ كثيرةٍ، وكان شيخه أحمد بن حسن الأهدل يلقبه بالشاووش؛ إذ كان مقدم الفقراء عنده، حتى اشتهر بشاووش بني الأهدل، ويعرف أيضاً بصاحب القبيع ـ مصغر قبع ـ؛ لأنه كان لا يجعل على رأسه إلا قبعاً من عسيب الدوم، لم يفصل طَفْيَه عن عرجونه؛ لزهده في الدنيا ومتاعها.

وكان على قدم الفقراء، معتقداً، كثير الفتوح والنذور، واشتهر أن الجن

كانت تخدمه، وتسطو على من يؤذيه؛ كرامة له من ربه تعالى، توفي أواخر المائة العاشرة ـ نفع الله به ـ.

قلت: والظاهر أن بني القَبَع ـ بفتح القاف والباء ـ الذين ببندر الصليف، من تهامة اليمن، منسوبون إليه، وغيرت صيغة القُبْع ـ بضم القاف وسكون الباء ـ إلى فتحهما للتخفيف.

وأخبرني صاحبنا السيد الجليل محمد بن مكين القَبَع: أن بعض أصحابه أهدى إليه في ثاني يوم عيد الفطر رأساً من الغنم، فردها، فعتّبه في ذلك بعض أصحابه، وقال له: إن ردك له من الرعونة، فقال له: شممت منه رائحةً منتنةً، فتبين بعدُ أنه أرسله إليه بعض الظَّلَمة، وهذه من كراماته ـ نفع الله به ـ.

[٥٨٦] أحمد المزجاجي.

نزيل المدينة، كان شيخاً جليلاً، صاحب زاويةٍ، وخُلقٍ حسنٍ، يسير بقافلةٍ إلى المدينة المشرفة كل عام للحج، توفي في شوال، سنة ثلاث وأربعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٥٨٧] أحمد الفرفوري الحنفي(١).

أحد أكابر الفضلاء بدمشق، كتب إليه عبد الكريم الطاراني محاجياً في ياسمين:

يـا فاضـلاً قـد تـسامى وفـاقَ مثـلَ الخليـلِ
ومـن غـدا فـي الأحـاجي فـرداً بغيـر مثيـلِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٩).

مـــا مثـــل قـــول محـــاج نـــادى نقـــيض هزيـــلِ

فأجابه بقوله، على الوزن والروي، وذلك في رجب سنة خمس وعشرين وألف:

مـــولاي يـــا ذا المعـــالي ومـــا لَـــهُ مـــن عـــديل
ومَـــنْ صـــفات عـــلاه أخرسْـــنَ كـــلَّ قـــؤولِ
بلغـــتَ غايـــةَ فـــضلٍ فيهـــا عـــديمِ المثيـــلِ
وحـــزتَ أوفـــر حـــظٍّ مـــن كـــل فـــن جليـــلِ
حاجيـــتَ فـــي ياســـمينٍ غـــدا شـــفاءَ العليـــلِ
مـــن نشـــره طـــاب عَرْفـــاً ريـــح الـــصبا والقبـــولِ
كأنـــه إذا تبـــدَّى فـــي وارفٍ مـــن ظليـــلِ
ســـماءُ روضٍ تهـــادت نجومُهـــا للأفـــولِ
أو مثـــلُ ملـــكٍ خطيـــر والزهـــرُ مثـــلُ الرعيـــلِ
فخـــذْ جـــواب محـــبٍّ وصـــاحبٍ وخليـــلِ
لـــولاك مـــا قـــال شـــعراً مـــن جـــور دهـــرٍ خـــذولِ
تحيـــق الـــنقصُ فيـــه ذوي الحجـــى والعقـــولِ
وذو النباهـــة جـــوراً كـــساه ثـــوبَ الخمـــولِ
واســـلمْ ودم فـــي هنـــاء ممتعـــاً بـــالقبولِ
مـــا فـــاح عـــرفُ ريـــاض يحكيـــه لطـــفُ الـــشمولِ

[٥٨٨] أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالحنش الحمودي، المغربي الطرابلسي الأصل، الدمشقي الدار، المالكي، الملقب بالصّل[1].

قدم أبوه محمد الحنش إلى دمشق، وتديّرها في عشر السبعين وتسعمائة تقريباً، والحمودي نسبةً إلى قبيلةٍ من عرب المغرب، منازلهم الجبل الخضر، وؤلد صاحب الترجمة بدمشق، وأشار إلى ذلك في منظومةٍ له بقوله منها:

ومولـــدي ليلـــة ســـبتٍ زاهـــرِ ... رابـــع عـــشرٍ مـــن ربيـــع الآخـــرِ

وذلك في عام ثلاثـ[ـة] وثمانين وتسعمائة.

وقد رمى بي الدهر بعد أن كبرت بالعرا ... وعـشت دهـراً فـي ذرا أم القـرى

وأخذ بدمشـق الفقه عن علاء الدين علي بن المرحل المالكي البعلي الأصل، الدمشقي الدار، وعن شيخ الإسلام الشمس محمد بن أحمد الأندلسي المالكي، أحدِ خلفاء الحكم العزيز من المالكية، وبمكة عن خالد السويدي الجعفري، وعبد الرحمن بن عيسى المرشدي.

وبالديـار المصـرية عن إبراهيـم اللقاني، وبالمدينة عن محمـد البري المالكي، وعن محمد بن زوز التونسي، وأخذ بقية العلوم بدمشق عن أحمد الوفائي المفلحي الحنبلي، وعن تاج الدين القطان، والحديث عن محمد بن داود المقدسي الحافظ المشهور، وعن الشيخ إبراهيم بن كسيائي، وعن محمود البيلوني، والأدب عن الشيخ عبد الرحمن العمادي، وبالمخا من سواحل اليمن عن السيد العارف بالله حاتم الأهدل، وبعدن عن السيد أحمد العيدروس.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٤).

ورحل إلى مكة سنة إحدى عشرة وألف، وأقام بها مدةً مديدةً، واتصل بأشرافها الحسنيين، ودارت بينهم وبينه محاوراتٌ أدبيةٌ، ومحادثاتٌ لطيفةٌ، واتصل بخدمة الشريف حسن بن أبي نمي، وأقام بها بين ذهابٍ إلى اليمن وعودٍ إليها، وزيارة المدينة المنورة في كل سنة، إلى أن رجع إلى دمشق سنة ثلاث وعشرين وألف.

ثم لما نبغ في شعابه، اشتغل بمعاناة الأدب، واكتساب الفضائل، وصار يتعاطى فن التوريق، بالقسمة النورية، وله شعرٌ حسنٌ، وخطٌّ بديعٌ، غير أنه لم ينل حظاً، كما هو دأب الزمان مع أبناء الآداب والفضائل، ولازال واجد البلبال، غير ناعم البال.

ثم رحل من دمشق، وأقام بحلب أشهراً، ومات بها في سابع شعبان سنة اثنتين وثلاثين وألف، ومدة إقامته كان يتعاطى نسخ الكتب، ويتقوت بأجر كتابته، إلى أن اخترمته المنية، ولم ينل حظاً ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره: ما كتبه إلى عبد الكريم الميقاتي الدمشقي، محاجياً في حَبَوْا كَرَى قوله:

يا من له الباعُ الطويـ ... ـل وفي الأحاجي لن يُسامَى
ما مثلُ ما أودعتُ في ... أحجيتي وَهَبوا مَناما

فأجابه بقوله:

يا كاملاً بين الورى ... وفاضلاً بلا مِرا
وكاتباً وشاعراً ... أعجز كلَّ الشعرا
حاجيتَ في داهيةٍ ... يعلمها من شعرا

نبهتني لحلِّها إذ كنت فيها عُمُرا

وتلك وُقِّيت الردى نظيرُها حَبَوْا كَرَى

لا زلتَ ترقى للعلا ما سار ركبٌ أو سرى

[٥٨٩] **أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن محمود السعودي، الشهير بالشلبي الحنفي المصري**[1].

شهاب علم أشرقت في مصر أنواره، وخطت في صحائف المحاسن آثاره، وجرت في مضمار العلوم سوابقه، وتلاقى في سماء الفضل من خلال سحائبها بارقه، كان إماماً محدثاً، له اعتناء بالحديث وطرقه، وتقيد بقراءة كتبه، وله سهمٌ عاملٌ في الفقه والفرائض، وذكاءٌ سريع الفهم يسبق ما يعجز عنه الرابض.

مولده بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن والده، وعن الجمال يوسف بن زكريا، وغيرهما، وعن حسن بن عمار الشرنبلالي، والشهاب أحمد الشوبري، وعمر الدفري، وشيخنا محدث عصره محمد البابلي، وزين العابدين ابن شيخ الإسلام، وغيرهم، وكانت وفاته بمصر، في نيف وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٩٠] **أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن جمال الدين عبدالله، ابن عم القطب الشهير الشيخ الكبير إبراهيم المتبولي الشافعي**[2].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٨٢)، «هدية العارفين» (١/ ١٥٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٧٤).

إمامٌ علامةٌ، أشهر من أن ينبّه عليه، وأجل من أن يعرف بالإشارة إليه، لا يجاذب رداء فضله، ولا تدور العين في أصحابه على مثله، كبير علماء عصره بلا مدافع، وحامل لوائهم من غير منازع، مبرزٌ في حلبة العلوم الشرعية، حائز قصبات السبق في الفنون العقلية، وسعة اطلاعه على السنة سارت بها الركبان، من قاص ودان.

أخذ عن الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، وعن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني، والشمس محمد الرملي، وغيرهم، وله «شرحٌ حافلٌ على الجامع الصغير للسيوطي» في مجلدات، و«نيل الاهتداء في فضل الارتداء»، و«مؤلفٌ في عرض الأعمال».

توفي يوم السبت، ثامن عشر ربيع الآخر، سنة ثلاث بعد الألف.

ومن فوائده: أنه سئل عما ورد فيمن مات بطريق مكة أو المدينة ذاهباً أو راجعاً، فأجاب: روى الأزرقي في «تاريخ مكة» مرفوعاً: «من مات في طريق مكة ذاهباً أو راجعاً، لم يعرض، ولم يحاسب، وكتب له في كل سنة حجة وعمرة إلى يوم القيامة».

قلت: ولم يذكر المدينة، ولعلها مقيسة على مكة؛ بجامع أنهما يقصدان للزيارة، فليحرر.

[٥٩١] أحمد بن محمد بن أبي بكر، صاحب الخال[(١)].

ورفع نسبَه إلى سلطان العارفين بالله الفقيهِ أحمد بن عمر الزيلعي في

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢٤).

ترجمة ولده شيخنا الجمال محمد صاحب الخال.

شيخ المعلوم والمعارف، ومعدن اللطائف والعوارف، الإمام الفقيه، والعالم النبيه، الذي انفرد في عصره باليمن بعلوم الدين، واشتهر بالولاية والتمكين، كان قاضيَ اللحية ومرجعَها الذي عليه المعول، ذا كلمةٍ نافذةٍ لا تهمل، مع تمسك من التقوى، بالسبب الأقوى، والجلالة والمهابة، والخشية من الله والإنابة.

وُلد بمدينة اللحية، عام خمسة وتسعين وتسعمائة ـ بالتاء فيهما ـ، وحفظ القرآن، و«الإرشاد»، وعدة متون في جملة فنون، وأخذ عن شيوخٍ كثيرين، منهم: الفقيه رضي الدين أبو بكر القُمري الحشيبري، وبمكة عن العلامة أبي الخير محمد ابن شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي، والشيخ محمد علي بن علان الصديقي المكي، وعنه: جمعٌ من الأعيان الأفاضل، وكثيرٌ من العلماء الأماثل، منهم: ولداه: محمد، وأبو بكر.

وله مؤلفاتٌ، منها: «منظومة في الحساب»، و«منظومة في أسماء الصحابة الذين روى عنهم البخاري في صحيحه».

وكانت **وفاته** ليلة الجمعة، خامس عشر رجب، سنة خمس وستين بعد الألف باللحية، ودفن بقرب تربة العارف بالله سيدي المقبول ـ صاحب القصب ـ ابنِ أحمد بن موسى ـ نفع الله به ـ.

[٥٩٢] أحمد بن محمد بن أبي بكر الأهدل.

صاحب المقصورة بزبيد، السيد الولي الشهير، كانت له كراماتٌ ظاهرةٌ مشهورةٌ، **توفي** تاسع شوال، سنة تسع وستين وألف بزبيد، ودفن في بيته.

[٥٩٣] أحمد بن محمد بن أبي بكر المشرع.

صاحب المبرة ـ بالراء ـ من أعمال رمع، كان عبداً صالحاً عابداً مطعاماً، يحب الفقراء، ويقوم بكفاية الوافدين، وله أخلاقٌ رضيةٌ، وأحوالٌ مرضيةٌ، ذو صيتٍ رفيعٍ، وجاهٍ وسيعٍ، توفي يوم الأربعاء، ثالث عشر رجب، سنة أربع وسبعين وألف بالمبرة، وبها دفن عند آبائه.

[٥٩٤] أحمد بن المساوي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن عبدالله بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن علي بن أبي بكر بن علي الأهدل.

السيد الناصح الصالح أبو الفضائل، الذائب في عبادة الرحمن، العاكف على تلاوة القرآن، العديم النظير في هذا الزمان، كان في قرية المحط من أعمال زبيد، محطَّ رحال الوافدين، قائماً بحقوق المسلمين، له اليد الطولى في أفعال البر، ملازماً على الاعتكاف في بيته، يتلو كتاب الله على الأرض، ليس على السرير، وهو متمكن من الديباج والحرير، ولا يخرج إلا لِمُهم يتعين.

توفي سنة ألف وأربع وسبعين، ثالث جمادى الآخرة.

وللسيد محمد بن الطاهر البحر فيه مرثيةٌ مطلعها:

هام الشجيُّ فدمعي اليومَ منسكبُ ... والقلبُ من ألم التفريقِ مضطربُ
ومدمعي وافرٌ في الخد مبتدرٌ ... والدهرُ ما زال بالأقراع ينقلبُ
لله أيامُ وصل بالحبيب مضتْ ... والقلب في فرحٍ والحبُّ مصطحبُ

[٥٩٥] أحمد بن محمد بن عمر الأهدل.

كان سيداً صالحاً، تالياً لكتاب الله، سالكاً طريق آبائه، حسن السيرة

والسريرة، توفي ثالث وعشري ذي الحجة، سنة اثنتين وستين وألف بالمراوعة، وبها دفن.

[٥٩٦] أحمد بن محمد بن يحيى المطيب الحنفي الزبيدي[1].

كان سيبويه زمانه، وإمام سائر الفنون في أوانه، فقيهاً محققاً، آلت الفتوى في مذهب الإمام أبي حنيفة إليه، وزينه الله وأمده بالحفظ، فكان بحراً زاخراً في جميع الفنون، وخصوصاً علم النحو ومتعلقاته، مع التحقيق الوافي، والتدقيق الشافي.

أخذ عن والده، وغيره، وعنه: أخوه عبدالله بن محمد، والسيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، وأخوه سليمان، وكثير.

توفي في ذي القعدة، سنة سبع وعشرين وألف بزبيد، وبها دفن بتربة سهام ـ رحمه الله ـ.

ورثاه الفقيه الأديب الفاضل المفنن أبو بكر بن علي بن مُهَيْر، أحد تلامذته بمرثيةٍ منها قوله:

إمام له في العلم باعٌ وساعدٌ ... وكفٌّ يكفُّ الخطبَ إما تقلَّبا

ومنها:

أما كان فرداً في العلوم ومحولاً ... إذا ما عرا خطب من الدهر قلَّبا

فمَنْ لدروس الفقه بعد شهابها ... يذلل منها فهمَ ما قد تصعَّبا

ومن لخبايا النحوِ كم تسترت ... وأبدى لنا منها ضميراً محجَّبا

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٣).

ومن للفتاوى في العلوم بأسرِها يفيدُك إيجازاً وإن شاء أطنبا
خطيبٌ ترى قُسّاً لديه كباقِلٍ فصيحٌ إذا ما قال أطرى وأطربا
لقد برّ منا الدهر وجهَ بلادنا وفرق منا الحسن تفريقه سَبا

[٥٩٧] أحمد بن محمد بُو مُجيب المغربي.

قال الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: لقيته وأنا متوجه مع الركب إلى الحج بالمغرب، سنة أربع وسبعين وألف، وهو مجذوبٌ سالكٌ، محبوبٌ ناسكٌ، والغالب عليه الجذب، وفيه خيرٌ كثيرٌ، قارب عمره المائة، ومع ذلك فهو صحيح الذهن والسمع والبصر.

قال: وسبب معرفتي به الشيخ محمد بن محمد الحفيان، شيخُ الركب، وكان أخبرنا قبل الوصول إلى بلده بكرامة وقعت له معه في بعض حجاته، وقد حج مراراً عديدةً مع سيدي محمد الحاج، صاحب باسكره، وكان يثني عليه كثيراً، وقال لي: لو عاش، ما تخلفت عن الحج، فقلت له: ألا تحج معنا؟ فقال لي: إنه لا مال لي، وأنتم لا تشاركونني في دنياكم، وهو كان يشاركني في دنياه.

وقد أخذ عن سيدي أحمد الشريف البقال بفاس تلميذِ سيدي مسعود الدراوين، ولقيه لما جاء للحج، ومرّ بهذه البلدة، وقال لي في رجوعه من الحج: يا بُو مجُيب! أعلمنا بك الحبيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وقال لطيفة: أخبرني الشيخ بُو مجُيب: أنه لما حج، بقي أمام النبي ﷺ، وقال في نفسه: إني لا أذهب لزيارة سيدنا حمزة ولا غيره، هذا يكفيني، فقال لي: يا أحمد! عمُّ الرجل عوض أبيه، قال: فقمت في الحين، وذهبت إلى

زيارة سيدنا حمزة وحدي، وكان وقت خوف، ولقيت هناك ثلاثة رجال أحدهم الخضر.

وقال لطيفة: أخبرنا أيضاً، وهو عندي صدوقٌ، قال: أخبرني الشيخ اللقاني: أن الوزغ يتغذى بعينيه، وأنـه ـ أي: اللقاني ـ كان ذات يومٍ يأكل، ووزغ ينظر إليه من السقف، فأمر من قتله، قال: وشقوا بطنه، فوجدوا فيه من الخضرة التي كان الشيخ يأكل منها، قال: وقد عقدت معه عقد أخوةٍ في الله، وكتب لي خطة بذلك ـ نفعني الله وإياه بها ـ.

[٥٩٨] أحمد بن محمد النخلي المكي الشافعي(١).

الشيخ الإمام الفقيه، الهمام العالم، العارف الكامل، الصالح التقي، الورع النقي، الذي يسترشد بعلومه ويقتدى، ويستضاء بأنواره ويهتدى.

مولده بمكة في ثامن عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين بعد الألف، وبها نشـأ، وحفظ القرآن، وكان والده من المقربيـن إلى الدولة، فلازم في صغره قراءة العلوم، واشـتغل بما يعنيه من صـنوف الخير، وظهر عليه أثر الفلاح.

أخذ عن أكابر شيوخ الحرمين؛ كالشيخ علي الجمال، وعبدالله باقشير، ولازم شيخنا محمد البابلي حين جاور بمكة، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من العارف بالله السيد عبد الرحمن الإدريسي، وأجازه أكثر شيوخه، وتصدر للتدريس للإقراء بالمسجد الحرام، وانتفع به من طلبة العلم الخاص والعام،

---

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٤)، وذكر وفاته في ١١٣٠هـ، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٤١)، وذكر وفاته في ١١٣٠هـ.

وله ـ حفظه الله ـ الحظ التام من العبادة وتلاوة القرآن، والصيام وقيام الليل والضحى، وغير ذلك من السنن النبوية، مع اطراح التكلف، والتواضع، وعدم الحرص، والتقنع باليسير، وشرف النفس، وأجمع الناس على محبته، فلا تراه عين إلا قرّت برؤيته، ولا تسمع به أذن إلا وأصغت لحسن سيرته، واشتهر ذكره في الحرمين، وعلا قدره في البلدين.

هذا مع المواظبة في غالب أعوامه لزيارة رسول الله ﷺ، وابن عمه حبر الأمة عبدالله بن عباس ﵄، وكفى بذلك منقبةً عظيمةً وشرفاً، فقد قال بعض العارفين بالله ـ كما سمعته من بعض شيوخي ـ: إنه لا يتيسر لأحدٍ زيارته ﷺ حتى يتشفع به سبعون صديقاً إليه ﷺ في أن يزوره.

[٥٩٩] أحمد بن محمد السيد الجعفري الصالحي الشافعي، المعروف بالمصارع[١].

لكون أخيه كان مصارعاً مشهوراً من المصارعين، ثم غلب هذا الاسم عليه، القاضي الفاضل شهاب الدين، ولي نيابة القضاء بمحاكم دمشق، وكان شديد الحمية، حامياً لساحته من كل ريبة.

أخذ عن أحمد العيثاوي، وخدمه كثيراً، وكان الشيخ يحبه، ويأمره دائماً بالإفادة، ولا تسهل به حدته وتجرؤه، وقد وقع له بسبب ذلك محنٌ، ولم يزل على حاله، حتى أصبح ميتاً في فراشه، عشري ربيع الأول، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧٠) (٩٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٨١).

[٦٠٠] أحمد بن محمد بن قنديل[1].

الشيخ الفاضل الصالح، شهاب الدين الحنفي، أحد وعاظ دمشق، وكان خنثى، وكان يتظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

توفي سنة اثنتي عشرة بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٠١] أحمد بن محمد المنقاري الحلبي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الحنفي[2].

وهو ابن عم الشمس محمد بن المنقاري المتقدم ذكره، قرأ على الملا أسد بن معين الدين في العربية، نحواً وصرفاً، فبرع فيها، وتميز على أقرانه، وقال الشعر الحسن، واشتهر بالفضيلة، والذكاء المفرط، ورفع المشايخ من قدره، وصار يضرب به المثل في الفطنة لأهل عصره، وسافر إلى الروم، وأقام مدةً طويلةً بالقسطنطينية، وقدم دمشق، وأقام بها، إلى أن مات في أوائل شوال، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف.

[٦٠٢] أحمد بن محمد بن مفلح الحنبلي القاضي شهاب الدين[3].

كان رئيس الكتبة بمحكمة قناة العوني بدمشق، ثم صار قاضياً بها وبغيرها، وكان فاضلاً محمود السيرة في القضاء، صيّن العرض في طريقه،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٩) (٩٨).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧٤) (١٠١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٦٠) (٢٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٦).

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٧) (٩٦).

فقيهاً عفيفاً تقياً، مات في عشري ذي الحجة، سنة ست بعد الألف.

[٦٠٣] السيد أحمد بن محمد بن النقيب الحسيني الحلبي الحنفي[١].

عالم لم تنجب الشهباء مثله، وكامل لم تر الأيام شكله، نحر العلوم وأتقنها أي إتقان، وتصدر بصدارة شرفه وفضله على سائر الأعيان، ذكره العلامة الخفاجي في «ريحانته»، وأثبت له من بعض أشعاره.

قلت: ومنها: قوله يمدح الأديب صلاح الدين الكوراني الحلبي سنة ثلاثين بعد الألف:

هـذا الربيـع أتـى وجـاء بـشيرُه ... وبـدت طلائعُـه وفـاح عبيـرُهُ
وتناسـبت أوقاتُـه فـي لطفِهـا ... فتـشابهت آصـالُه وبُكـورُهُ
والروضُ تحسبه جنانـاً زُخرفـت ... وكأنمـا الأغـصانُ فيـه حـورُه
وبـدت أزاهـرُه تـروق بحـسنها ... وتجاوبـتْ مـن جانبيـه طيـورُه

ومنها:

نـاح الحمـام علـى أعـالي أيكـةٍ ... حزنـاً وغنّـى بهجـةً شُـحرورهُ
وجـرت جداولُـه تخـرُّ تواضـعاً ... وصَـفا ورقّ لناظريـه غـديرُه
لا بـدعَ أن ثـار الـذي هـو كـامنٌ ... من شوق شغف قد حواه ضميرُه
فنسيمُه قـد رقّ فهـو إذا سـرى ... يُنبـي بأخبـار الهـوى فيثيـرُه

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٥٣٣) (١١٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧).

ومنها:

مـا لـي أرى فيـه أديـبَ زماننـا ... مـن لـم يـزل فلـكُ النظـام يـديرُه
العـالمُ العلامـةُ الفـردُ الـذي ... قـد قـلّ فـي هـذا الوجـود نظيرُه
من إذا ذكرت الفـضلَ فهـو إمامُـه ... ورئيـسُه المـشهورُ بـل نِحريـرُه
وإذا ذكرت الشعرَ فهـو المقتـدَى ... فـي فنـه وسَـرِيُّه وجريـرُه
متغـافلاً عـن أن يحـرك خدنـه ... بنـسيم شـعر مـن عـلاه مثيـرُه
هـو فـي لطافتـه ورقّتـه الـصَّبا ... لكـن سـواه مـن القـريض دَبـورُهُ

ومنها:

فلقد تـصدى فكـره مـن بعـد مـا ... قـد كـان مـصقولاً يروقُـك نـورُه
وعـرا قريحتَـه خمـولٌ فاسـتوى ... سـهلُ القـريض تباعـداً وعـسيرُه
فانعمْ وكن مولى الـورى متفـضلاً ... فالفـضلُ فيـك قليلُـه وكثيـرُه
واسـلمْ ودم فـي نعمـة وسـعادة ... لـك مـن زمانـك عذبُـه وبريـرُه
مـا نـاح قُمـريٌّ بجانـب روضـة ... شـجواً وأطـرب ذا الغـرام غـديرُه

وقوله رباعية:

مـا اختـرت سـواك لا ولا أختـار ... يـا ظـالمُ يـا خـوانُ يـا غـدارُ
أسـكنتك مهجتـي وفيهـا لهـبٌ ... والظلـم مـا جـزاه إلا النـارُ

وقوله:

فـي سـاعدها سـوارُ تبـرٍ واري ... كالنـار تـشبُّ فـوق مـاءٍ جـاري

هل يوجد في خواطر الأفكار ماء ولها منطقةٌ من نار

وقوله:

ما الكون سوى صحيفة الأقدار خطَّت لذوي العقول والأفكارِ
كم موعظة تضمنت أسطرُها إن أنت جهلتها فأين القاري

وقوله يرثي أخاً له:

رُزء ألَمَّ وحسرةٌ تتوالى ومصيبةٌ قد جَزَّت الآمالا
وجليلُ خطب لو تكلَّف حملَه ثهلانُ ذو الهضاب هُدَّ ومالا
وفراقُ إلفٍ لو أردتُ تصبراً عنه طلبتُ من الزمان مُحالا
وغروبُ عينٍ ليس تفترُ دائماً عن سكب رقراقِ الدموعِ سِجالا
بُعداً لدهر شأنه أن لا يُرى إلا خؤوناً غادراً مغتالا
تغترُّ فيه بالسلامة ثم لم يبرح به حتى يرى أسمالا
ويذيقنا ماء الحياة مروَّقاً وإذا اعتبرتَ وجدتَ ذلك آلى
قُبِّحتَ يا وجهَ الزمان فلا أرى لكَ بعد أن فُقد الجمالُ جمالا
ذاك الذي قد كان فترةَ ناظري وقرارَ قلبي بل وأعظمَ مالا
وأخي الذي أعطى المروءة حقَّها من كلِّ ما أرجو وزاد وغالى
قد كنتُ أرجو أن يؤخَّر يومُه عني ويحملَ بعديَ الأثقالا
ويذوقَ ما قد ذقته لفراقه ويمارسَ الأهوال والأوجالا
فتطاولتْ أيدي المنية نحوه وبقيتُ فرداً أندب الأطلالا

كنا كغصنَي روضةٍ قطع الردى | منها الأغَضَّ الأرطبَ الميَّالا
أو كاليدين لذاتِ شخص واحدٍ | كان اليمينَ لها وكنتُ شِمالا
أسفي عليه فضلُ شمس عُوجلت | بخسوفها وعمادُ مجدٍ مالا
أسفي عليه من نجيبٍ ما اكتسى | غيرَ المعارف والتقى سِرْبالا
أسفي عليه مَع حداثة سنه | لم يحتقبْ غيرَ العفاف نوالا
مَن للمباحث حين يُشكل حلُّها | من ذا يوضِّح بعدَه الإشكالا
مَن للدروس إذا تعسر فهمُها | وتشاعبت فيه الرفاقُ جدالا
مَن للمروءة والفتوة والندى | من نال منها في الورى ما نالا
مَن للأخوة والصداقة والوفا | إن عزَّ خطبٌ تابعَ الأهوالا
لا كان يومٌ ضم فيه فراقنا | فلقد أطال الحزنَ والبلبالا
صيفاً أتى وظننتُ أني في الشتا | لمّا هَمَى مطرُ الدموع وسالا
فسقى ضريحاً حلَّه صوبُ الحَيا | في كل وقتٍ لا يضنُّ وصالا
فلقد وصفتُ به المكارمَ والعلا | ودفنتُ فيه العزَّ والإقبالا
ولقد طرقتُ به الندى متهللاً | طلقاً وطلق ناظري استهلالا
لا تطلبي يا نفس نِدّاً مثلَه | هيهاتَ أن تَجِدي له أمثالا

[٦٠٤] أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي(١).

عنوان الشرف، والبديع الذي هو كالبدر في السدف، واللؤلؤ في الصدف،

---

(١) «البدر الطالع» (٢/ ١٥٣)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٩٦).

والجوهر الفرد في هذا الزمن، الذي تاهت به على الشام اليمن.

أخذ عن والده، وجنى ثمرات طريف علمه وتالده، وفاق الأقران، فليس له فيهم مُدان.

وألف التآليف الحسان، ومنها: «الأصداف المشحونة بالجواهر المكنونة» في نحو أربعين كراساً، بالقطع الكامل، وهو شرح منظومةٍ عجيبةٍ غريبةٍ تسمى: «الجواهر المكنونة» احتوى على فنون من العلم عديدة، وكتاب «سلافة العاصر»، وكتاب «لذة الوسن»، وكتاب «نسيمات الأسحار» جعله على نهج «الريحانة للخفاجي»، ذكر فيه جملةً من فضلاء عصره، والمكاتبات التي بينهم وبينه، وكتاب «توابع نوابغ الكلم للزمخشري»، وكتاب «النذير لأرباب المسير» يشتمل على ما أنشأه من الخطب الوعظية المبتكرة.

وله مقامةٌ عجيبةٌ سماها: «إبريق الزرجون في الترويح على المسجون»، وديوان شعرٍ سماه: «مجمع البحور»، وغير ذلك، ومنها: «عطر نسيم الصبا» الذي ذيل به كتاب «نسيم الصبا لابن حبيب الصفدي» أهدى إليّ والده نسخةً، لما قدمت المحويت من الجهات الكوكبانية، سنة ست ومائة وألف.

وكان من أجل فوائد الرحلة: الاجتماع بهما، والتملي بمقامات أنسهما الزاهرة، وآيات فضلهما الباهرة، ولكنه لم يتيسر ذلك لعوائق منعت عما هنالك، والاجتماع مقدور، وفي المكاتبة بعض إطفاء الأشواق، وبلاغ السلام - كما قيل - بعضُ التلاق.

إن كانت الأشباح نائيةً ... فنفوسُ أهل الظرف تأتلفُ
يا رُبَّ مفترِقين قد جمعتْ ... قلبيهما الأقلامُ والصحفُ

ومما كتبه إليّ مجيباً عن كتابٍ أرسلته إليه في التاريخ المذكور. . .»[1].

[٦٠٥] أحمد بن محمد المزجاجي الشافعي.

خليفة الحكم بمصر، كان فاضلاً نبيهاً، أديباً شاعراً، توفي بمصر، يوم الأربعاء، خامس عشري جمادى الأولى، سنة إحدى وعشرين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٦٠٦] أحمد شهاب الدين بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي المصري الحنفي[2].

نادرة الدهر وفريد الأوان، وخاتمة المفسرين في هذا الزمان، صاحب الفنون، وغيث الإفادة الهتون، جمال الكتب والسير، سيد أهل الحديث والأثر.

وُلد بالقاهرة، وبها نشأ في حجر والده، وتأدب وتفقه، وبه تخرج وانتفع، وجلالة والده أشهر من أن تذكر، ثم لازم خاله سيبويه زمانه أبا بكر ابن إسماعيل الشنواني في علوم العربية، وحضر دروس الشمس الرملي الفرعية، وقرأ عليه طرفاً من «صحيح مسلم»، ولازم النور الزيادي مدةً طويلةً، وقرأ على علي بن غانم المقدسي الحنفي، وعلى خاتمة المحدثين إبراهيم العلقمي علمَ الحديث، وأخذ علم الأدب والشعر عن أحمد العلقمي، ومحمد الصالحي

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أرباع صفحة بياض».

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٩٥) (٣٢٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٣١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٢٠)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٤٧٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٨).

الهلالي، وأحمد العناياتي الدمشقيين، والعروض عن محمد دكروري المغربي، والطب عن الشيخ داود البصير.

وارتحل مع والده للحرمين الشريفين، وقرأ ثمة على علي بن جاد الله، وعلى العلامة علي بن صدر الدين حفيدِ العصام، وغيرهما، وأجازه شيوخه، ثم رحل سنة عشرين بعد الألف إلى القسطنطينية، فأخذ عمن بها من الفضلاء والمصنفين؛ كابن عبد الغني، ومصطفى بن عربي، والحبر داود، وغيرهم.

ومكث بالروم دهراً طويلاً، وولي به مناصب سنيةً، ثم تولى قضاء العساكر بمصر، فسار فيه أحسن سير، ثم بعد عزله عنها، توجه إلى الروم ثانياً، ووقع بينه وبين مفتي الروم وبعض كبرائها، فرجع إلى مصر مرتعِ شبابه، ومنتجعِ أخدانه وأترابه، وأقام بها، وكانت أيامه للفضائل موسماً، وللدهر طرازاً معلماً، وطافت أفاضلها بكعبة علومه، واقتبسوا من مشكاة منثوره ومنظومه.

وكان مع التحلي بعقد هذه العلوم، جاحظَ العرب والروم، ووحيد المنثور والمنظوم، لم يقض ساعة من عمره إلا في علمٍ يدرسه، أو أدبٍ يقتبسه، أو فائدةٍ يعلقها، أو مسألةٍ يحققها، أو شعرٍ يبتدعه، أو بكرِ معنىً يخترعه، أو رسالةٍ يوشيها، أو مقامةٍ ينشر لآليها، فنظمُه نفثاتُ السحر، وقلائد النحور، وغمرات الألحاظ المراض، وعطفات الحسان بعد الإعراض، ونثره أنجمُ النثرة إشراقاً، وهباب الخمرة رونقاً واتساقاً، فهو من الثعالبي خَلَف، وعن الباخرزي عِوَض، وللعماد الكاتب بَدَل.

وقد ألف المؤلفات العديدة، منها: الحواشي المفيدة على تفسير البيضاوي المسماة بـ: «كفاية الراضي» في مجلدين، و«نسيم الرياض في شرح شفاء

القاضي عياض»، و«شرح درة الغواص للحريري»، و«حاشيةٌ على شرح السراجية في الفرائض»، و«حاشيةٌ على الرضي»، و«حاشيةٌ على الجامي»، و«حاشيةٌ على المغني» لم تتم، و«طراز المجالس»، و«حديقة السحر في قرض الشعر».

وتذكرةٌ سماها: «خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا» جمع فيها لشعراء العصر تراجمَ جمةً، وتوَّجها بذكر عدةٍ من علماء الأمة، و«ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا»، و«الرسائل الأربعون»، و«ديوان الأدب في محاسن شعراء العرب»، و«ديوان شعر» في مجلد، ورسائل كثيرة، وفصول قصار، ومقامات عديدة، ينبو القلم عن حصرها.

توفي ـ رحمه الله ـ بمصر، في الساعة الرابعة، من ليلة الثلاثاء، ثاني عشر رمضان، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وستين بعد الألف، وصلي عليه في يومها بالجامع الأزهر، ودفن بقرب تربة خاله أبي بكر الشنواني، بمقبرة المجاورين، وأرخ وفاته بعضهم بقوله: (في جنة المأوى شهاب قد سكن).

ومن شعره قوله:

قد فتنَ العاشقين حين بدا ... بطلعةٍ كالهلال أبرزَها
طَرٌّ له شاربٌ على شفةٍ ... كالوردِ في الآس حين طَرَّزَها

ولما تولى قضاء مصر، مرّ بطريقه على دمشق، عام خمسين بعد الألف، وكان قاضياً بها شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسام الدين، فخرجا يوماً لصالحية دمشق، فبينما هما على الجسر الأبيض، إذ وقع نظر صاحب الترجمة على غلامٍ بديع الجمال، فلما رآه، أمسك لجام فرسه هنيَّةً، وهو ينظر إليه،

فنظر إليه قاضي دمشق نظرَ معنفٍ، فقال بديهاً:

قيـل لا تنظـرْ لوجـه جميـلٍ   فهـو إثـمٌ مبـدُّ الحـسناتِ
قلـتُ هـذا الجمـال لمَّـا تبـدَّى   أدهـشَ الكـاتبين عـن سـيئاتي

[٦٠٧] **أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف بن حسين بن يوسف بن موسى، الحصكفي الأصل، الحلبي المولد والدار، الشافعي، المعروف بابن الملا، جده لأبيه كان قاضي قضاة تبريز، وشهرته ملا جامي، وشرح «المحرر»، وجده لأمه من بني أجا.**

مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، ونشأ في كنف أبيه، واشتغل بالعلم، فقرأ على ابن الحنبلي «مغني اللبيب»، وغيرَه من كتب النحو، وفي «شرح المفتاح»، وفي المنطق، والقراءات، وفي الحديث، وفي مؤلفاته.

وصحب سيدي الشيخ محمد بن علوان الحموي، وهو بحلب، سنة أربع وخمسين، وسمع منه نحو ثلث «البخاري»، وحضر دروسه ومواعيده، وسمع المسلسل بالأولية من البرهان العمادي، وأجاز له، وقرأ في التجويد على إبراهيم الضرير الدمشقي، نزيل حلب كثيراً، وأجاز له سنة خمس وستين.

ورحل إلى دمشق رحلتين، وأخذ بها عن البدر الغزي، وحضر دروسه بالشامية، وبحث فيها بحوثاً حسنةً مفيدةً، أبان فيها عن يد طولى، وكلما انتقل من مسألة إلى غيرها، قال لسان حاله ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤] كما شهد بذلك البدر في إجازته له.

وقرأ على النور السنفي قطعة من «البخاري» و«مسلم»، وحضره في

دروس من «المحلى»، و«شرح البهجة»، وأجاز له، وقرأ بها «شرح منلا زاده على هداية الحكمة» على محب الدين التبريزي، مع سماعه عليه في التفسير قطعتين صالحتين من «المطول»، والأصفهاني على أبي الفتح السستري، ورحل سنة ثمان وخمسين إلى القسطنطينية، فأخذ «رسالة الإصطرلاب» عن نزيلها غرس الدين الحلبي، واجتمع بالسيد عبد الرحيم العباسي، واستجاز منه رواية «البخاري»، ومدحه بقوله:

لك الشرفُ العالي على قادة الناس ... ولمْ لا وأنت الصدرُ من آل عباس
حويت علوماً أنت فيها مقدَّم ... وفي نثرها أضحيتَ ذا قدمٍ راسي
وفُقت بني الآداب قدراً ورتبةً ... وسُدْتهم بالجود والفضل والباسِ
فيا بدَر أفقِ الفضل يا زاهرَ السنا ... ويا عالمَ الدنيا ويا واحدَ الناسِ
إلى بابك العالي أتاك ميمماً ... كليمٌ بعضب عدتَ أنت له آسي
فتًى عاري الآداب يا ذا الحجى فما ... سواك لعارٍ من سنا الفضل من كاسي
فأقبسْه من مشكاة نورك جذوةً ... وعلله من وِرْدِ الفضائل بالكاسِ
وسامحْه في تقصيره ومديحه ... فمدحُك بحرٌ فيه من كل أجناسِ
فلا زلتَ محمودَ المآثر حاويَ الـ ... ـمفاخر مخصوصاً بأطيبِ أنفاسِ
مدى الدهر ما احمرَّتْ خدودُ شقائقٍ ... وما قام غصنُ الورد في خدمة الآسِ

ودرَّس وأفاد، وصنف وأجاد، وله شرح عظيم على «المغني» في أربع مجلدات، جمع فيه بين حاشيتي الدماميني، والشمني، وشرح شواهده للسيوطي، وهو الآن المشهور بالشرح الجديد، وهو من أنفس شروحه وأحسنها.

ونظم الشعر الحسن، ومن شعره في مليحٍ لابس أسود:

ماسَ في أسودِ اللباس حبيبي ... ورمى على القلب في ضرامِ بعادِه
لم يُمس في السواد يوماً ولكنْ ... حلّ في الطرف فاكتسى من سوادِه

وله مضمناً:

ظبيٌ كساني حلة وأدار لي ... كاسَ الرحيق على رياض الآسِ
وغدا يقول عذاره اشربْ يا فتى ... واجعلْ حديثك كلَّه في الكاسِ

توفي شهيداً، قتله الفلاحون في قرية باتننا، من أعمال المعرة، ظلماً وعدواناً، سنة ثلاث بعد الألف، ودفن في الجبل، بالقرب من تربة جده إسكندر ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٠٨] أحمد بن محمد المنقوشي المغربي[1].

ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: كان علامةً لوذعياً رحالةً، له اطلاع على علومٍ كثيرةٍ غريبةٍ، تكرر سفره إلى القسطنطينية كثيراً، حتى كانت ملحده، فتوفي في شهر محرم، افتتاح سنة اثنتين وسبعين وألف، وبنى أخوه على قبره، فصار مزاراً، ولمعت بارقةٌ من نوره على قبره، ولا يستبعد ذلك من أمره، خصوصاً وهو شهيد الوباء والغربة، قاصداً الحج، وطالب علم، إلى غير ذلك من سيرته الحسنة، وطباعه المستحسنة ـ رحمه الله ـ.

[٦٠٩] السيد أحمد بن محمد الحَوْثي.

كان خالاً في وجنة دهره، ونقطة بيكارة أهل عصره، استفاد عليه خلقٌ

---

(١) «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٠٣).

كثيرٌ، وتخرج به جمٌّ غفيرٌ، ورُزق البركة في أوقات تدريسه، وهو من ذرية الإمام يحيى بن حمزة.

[٦١٠] السلطان أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان بن سليم بن أبي يزيد بن محمد بن مراد بن محمد بن يلدرم بايزيد [بن] مراد الغازي بن أورخان بن عثمان.

تولى السلطنة العامة ـ على غالب الأقاليم الإسلامية ـ بعد وفاة أبيه، وكانت ولايته في سنة اثنتي عشرة بعد الألف، وقام بتدبير الملك حق قيام، وتمم محاسنه على ألطف وجهٍ وأحسن نظامٍ.

وكان كثير الخوف والمعروف؛ بحيث إنه جعل لأهل الحرمين وقفاً بمصر، يجمع مغله في كل عامٍ، ويرسل إليهم صحبة الركب المصري، عوضاً عن مال بندر جده؛ لانقطاعه بموجب عدم وصول المراكب الهندية إليها.

وفي سنة ست وعشرين بعد الألف أرسل إلى أعيان مكة؛ من شريفها وقضاتها وأئمتها وخطبائها كسوةً عظيمةً، فلبس كل من المذكورين ما أرسل إليه، وكان ذلك أول النهار، تجاه البيت الشريف، وفي سنة اثنتين وعشرين وألف أرسل حسن باشا المعمار؛ لعمارة عين مكة، فوصل إلى مكة، وعمر العين، وأصلح بعض إصلاحات كانت بالكعبة المشرفة.

واستمر في الملك إلى سنة سبع وعشرين بعد الألف، **فانتقل إلى رحمة الله تعالى**، وجاء الخبر إلى مكة، وصلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام، بعد أن خطب له الرئيس على قبة زمزم، وكان الإمام بالناس للصلاة عليه السيد عمر بن عبد الرحيم البصري.

[٦١١] السلطان أحمد خان بن محمد خان بن مراد خان بن سليم خان ابن سليمان بن سليم بن بايزيد بن محمد بن عثمان، سلطان الروم[١].

كان حليماً حازماً، عارفاً بمقادير الناس، وكانت له أخلاقٌ حسنةٌ، ومكارم في الخيرات مستحسنة، وكان له اطلاعٌ على أحوال الرعية، فسارت فيهم الحكام سيرةً مرضيةً، وقد كان في زمان أبيه استيلاء الأعداء على أطراف البلاد، وخرج البغاة المسمّون بالجلالية، واستولوا على بلاد متعددة، قيل: إلى حدّ مدينة «بروسه»، فتوجه السلطان بسيوف هممه على الكفار فأذلهم، وعطف على الجلالية بسيفه المشهور الوزير الأعظم مراد باشا، الذي كان سابقاً على بلاد اليمن، فقتلهم وأبادهم، ثم عطف على بلاد العجم، فبينما الرسل تتردد بينهم بالعفو، والصفح والصلح، انتقل الوزير مراد باشا إلى رحمة الله تعالى.

ومن خيراته: أنه بنى الجامع المعظم في القسطنطينية، يكاد أن يقال: ما بني مثله؛ لأنهم بالغوا في استحسانه، فصار سمعةً في الدنيا، وذخراً في الآخرة، وأرسل إلى الروضة المطهرة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ بالكوكب الدري، وكان لا قيمة له، وكان شمعة بين سلاطين الهند والعجم والتتار، وله آثارٌ حسنةٌ في المدينة المنورة، ما سبقه إلى مثلها أحد من السلاطين السابقين.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٧١) (١٠٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٨٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤٦)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٥٦٥).

وجدد عمارة العلمين، اللذين همـا حـدّ الحرم من جهة عرفـة، سـنة ثلاث وعشرين بعد الألف، على يد الباشا، وأولُ من وضع أنصاب الحرم خوفَ اندراسـها: الخليل إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ بدلالة جبريل ـ عليه السلام ـ، وهي في جميع جوانبه، خلا جهة جدة، وجهة الجعرانة؛ فإنه ليس فيهما أنصاب.

ثم نصبها إسماعيل بن إبراهيم، ثم قصي بن كلاب، وقيل: إن عدنان بن أدد أول من وضع أنصاب الحرم، حين خاف أن يندرس الحرم، ونصبتها قريش بعد أن نزعوها، والنبي ﷺ بمكة قبل هجرته، وأمر النبي ﷺ عام الفتح تميمَ بن أسد فجددها.

ثم عمر بن الخطاب ﷺ بعث أربعة نفرٍ لتجديدها، وهم: مخرمة بن نوفل، وسعيد بن يربوع، وحويطب بن العزى، وأزهر بن عبد عوف، ثم عثمان، ثم معاوية ﷺ، ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسي، ثم أمر الراضي العباسي بعمارة العلمين الكبيرين، اللذين هما حدّ الحرم من جهة التنعيم، في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ثم أمر المظفر صاحب أربل بعمارة العلمين اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفة، في سنة ثلاث وثمانين وستمائة، ثم صاحب الترجمة ـ على ما ذكرنا ـ.

وولادته سنة ألف، وجلوسه في ثاني عشر رجب، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، وحكومته أربع عشـرة سـنة، وثمانية أشهر، ووفاته يوم الأربعاء، رابع وعشري ذي القعدة، سنة ست وعشرين بعد الألف.

ومن آثاره أيضاً: تجديد مولد السيدة فاطمة وتبييضه، على يد الباشا حسن المذكور، في التاريخ المذكور.

ومنها أيضاً: عمارة مسجد البيعة، وهو بالقرب من عقبة منى، على يسار الصاعد، بينه وبين عقبة منى مقدار غلوة سهم، ووهم مَن قال: إنه من منى.

ومنها: عمارة العين، وجعل حزام الكعبة المشرفة، وكان ذلك على يد الباشا حسن المذكور، سنة ثلاث وعشرين، وعمرها أحسن عمارة.

وأصلح مآثر كثيرةً أيضاً بمكة المشرفة، ثم توجه إلى الديار الرومية، ثم وصل منها بقصد الوصول إلى مكة، فوصل إلى المدينة المنورة، ومات بها.

ومن آثاره أيضاً: تجديد تحلية البيت الشريف، وإصلاح ما وَهَى منها.

وأول من حلاها في الجاهلية: عبد المطلب بن هاشم جدُّ النبي ﷺ، وفي الإسلام: الوليد بن عبد الملك، وقيل: أبوه، وقيل: ابن الزبير، وحلاها من العباسيين: الأمين، والمتوكل، والمعتضد، وحلتها أم المقتدر العباسي، والملك المجاهد صاحب اليمن، ومن ملوك الأروام: آل عثمان صاحب الترجمة؛ فإنه أرسل من الديار الرومية الباشا حسن المعمار بميزاب الكعبة الشريفة، وأمره أن يجعل لها إزاراً من فضة مطلي بالذهب.

فوصل إلى مكة في أوائل العشر الأول من ذي الحجة، عام اثنين وعشرين بعد الألف، فبرز أمر صاحب مكة الشريف إدريس بن الحسن، إلى أكابر مكة وعلمائها، أن يلقوا الباشا حسناً من الحجون، ويمشون أمام الميزاب، فامتثلوا الأمر وبرزوا، وكان ذلك آخر النهار، فدخل الميزاب إلى مكة من الحجون، وأمامه بعض طوائف الأذكار، وهم يذكرون الله تعالى.

فبعد وصول الباشا إلى مكة، وإتمام النسك، وقفل الحجاج إلى

بلدانهم، توجه لعمارة عين عرفة، وكان مأموراً بذلك، وصحبته أموالٌ عظيمةٌ من السلطان المذكور، فأتقن ذلك وأتمه، ثم ركب ميزاب الكعبة الشريفة، وقلع الميزاب الأول، وأرسله إلى السلطان، وجعل إزاراً على الكعبة، واستمر إلى أن وقع سقوط بعض الجدران؛ مما فصلناه في ترجمة الشريف مسعود ابن إدريس، فرفعوا ذلك الإزار، وسبكه متعاطو العمارة، ولم يجعلوا عوضه عليها؛ لعدم الاحتياج إلى ذلك. انتهى.

[٦١٢] أحمد بن محمد علي بن إبراهيم بن حسن بن عبد الرحمن المدرس الحنفي.

صاحبنا الفاضل الأديب، البالغ في شبيبته مبالغ الشيب، **وُلد** بالمدينة المنورة سنة سبعين بعد الألف، وبها نشأ، واشتغل بالعلم اشتغالاً حسناً، وأخذ عن الخطيب أحمد البري، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي، وغيرهما، ورحل إلى مكة، وأخذ عن شيخنا حسن بن علي العجيمي وغيره، وأجازوه.

وبرع وتأدب، وألف عدة كتب، منها: «شرح البسملة» في مجلدٍ ضخمٍ، و«شرح إيساغوجي»، وهبني منه نسخةً بخطه، و«حاشيته على شرح مقصورة ابن دريد للإمام عبد القادر الطبري»، وغير ذلك من الرسائل اللطيفة، وله ديوان شعرٍ غالبه مدائح في الأشراف الحسنيين ملوك مكة، اجتمعت به بمكة، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، **وأنشدني من شعره قوله مادحاً للشيخ أحمد الخياري:**

قربي الراحَ من جِمانا ودوري ... بين غيدٍ بها حسانٍ بُدورِ

قَرِّبيهـا فهـي الـدواء لمـا قـد حـلَّ مـن دائهـا بجسمي الأسيرِ
قربيهـا وخـلِّ عنـك أناسـاً حرموهـا يـا بهجـة المسـرورِ
قربيهـا صـفراءَ كـالتبر لونـاً كأسُـها كـاللجينُ مـن بلـورِ

منها:

خمـرة تتـرك الـشحيحَ جـواداً باحتـساها كحـاتمِ المـشهورِ
خمرة حانُها يفـوق علـى الشمـ ـس سـنا بـضوئه والنـورِ
مثل وجهِ الأديب أحمدَ نجلِ الـ ـعالم الحـرِّ ذي التقـى النحريـرِ
الخيـاري حـافظِ العـصرِ إبـرا هـيم مـولى التحقيـق والتحريـرِ
فهـو فـردٌ فـي عـصره ووحيـدٌ وإمـامُ المنظـوم والمنثـورِ

وقوله:

ووادٍ قـد كـان بالـصحب جمعنـا ولكـنهم للقلـب بالبعـد كَـوَوْا
ووقـد نـاري هجـرهُم وبعـادهُم وللجسم مني يا خليلي قـد شَـوَوا
وواحيـرةَ العـذالِ إنـي أعـدُّهم كلابـاً فمـنهم لا أبـالي إذا عَـوَوا
وورقـاء دوحٍ قـد أثـارت تـشوُّقي لقـومٍ بأحـشائي وقلبـي قـد ثَـوَوا
ووردية الخـدينِ معـسولةِ اللَّمـى وعشاقها للسقم من صدِّها حَـوَوا
ووسناء طرفٍ كالغصونِ اهتزازُها أسانيدَ علم السحر عن طرفها رَوَوا
ووجنتُها يحكي دموعي احمرارُها ورضوى مع الأرداف منها قد استووا
وواواتُ أصـداغٍ لهـا كعقـاربٍ وكم لسعتْ قوماً على حبها انطـوَوْا
والخصرُ منهـا مـا تبـدلت غيرهـا ولـم أكُ مـن قـوم لـسلوانها نَـوَوْا

وودِّي لهــا مــن قبـل آدمَ ثابــتٌ ... ولستُ لأقـوامٍ إلـى غيرهـا هَـوَىٰ

وقوله:

عــذِّبْ بمــا شـئت أيهــا القمــرُ ... إلا الجفــا والــصدودَ يــا عمــرُ

من قد حوى الماء في الخدود كذا ... نــار بأحــشائي حــين تــستعرُ

رمــتَ ســلُوي هــواك يــا أملــي ... مــن أيــن للقلــب عنــك مــصطَبَرُ

أنــت الــذي للــسهام لحظُـك قــد ... رمــى حــشاي ومــا لــه وتــرُ

بنتَ عن الـروح يـا سـراج ضـنىً ... كــأنني يــا مليــكُ محتــضَرُ

نهـى عـن الحـب عـاذلي سـفهاً ... فقلــتُ ذا العــذل يــا فتــى غَــرَرُ

إن حبيبــي كالغــصن قامتُــه ... لـــه ثنايــا كأنهــا دررُ

بــدرٌ كمثــل المُــدام رِقّتُــه ... والقلــبُ قــاسٍ كأنــه حجــرُ

يــسبي البرايــا بنــور طلعتــه ... ولــيس للخَــصْر يلتقــي أثــرُ

بلبــل قلبــي دلالــه أبــداً ... وذاك شــرطٌ فــي العــشق معتبــرُ

كلَّمنــي طرفُــه ومقلتُــه ... لــذاك أصــمى الحــشا بهـا حـورُ

رَشَــاد تولــه[1] كمثــل دجــى ... فريــدُ نَــدٌ لأنــه عَطِــرُ

أصــفرُ مثــلُ النــضار صــفرتُه ... لــه بنــانٌ هامــت بــه البــشرُ

للهِ مــا ألطفــنْ رشــاقَتَهُ ... وحــسنَه والحــديثُ والخبــرُ

حمــى بألحاظــهِ لوجنتــه ... وتلــك واللهِ لا مِــرا بتــرُ

لــه كعــين عــينٌ وحاجبُــه ... نــونٌ وفــاه مــيم تــستطَرُ

(١) كذا في الأصل.

وذاكَ يا صاحِ جمعُه عَنَمٌ | بكفِّه يدهش به النظرُ
إن هواه غدا بلا غصصٍ | لمهجتي والغذا هو الوطرُ
نعيمُ دنياي حسنُ صورته | فوصفُها صاحِ ليس ينحصرُ
يحار كلٌّ في وصف خلقته | وكم له من محاسن أخرُ

[٦١٣] أحمد بن محمد بن علي الغُنيمي ـ مصغراً ـ الأنصاري الخزرجي، الشافعي ثم الحنفي[١].

الشيخ الإمام العلامة، شهاب الملة والدين، وحجة المناظرين، وخاتمة المحققين، وشيخ الإسلام والمسلمين، وبقية السلف الصالحين، كان ـ رحمه الله ـ من أجلاء الشيوخ، الذين انفردوا في عصرهم بعلم المنقول والمعقول، وتبحروا في العلوم الرياضية والأصول، مع النظر الدقيق، والتقرير البديع والتحقيق، والتواضع وحسن المحاضرة، والملازمة لإقراء العلم والمذاكرة.

أخذ الفقه والحديث، وغيرهما من العلوم الدينية عن القطب الرباني العلامة الشمس محمد البكري، والشمس محمد الرملي، وأبي نصر الطبلاوي، وغيرهم، ولازم العلامة خاتمة المحققين الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، مؤلف «الآيات البينات»، وبه تخرج وانتفع في العلوم النظرية.

وأخذ عن النور الزيادي، وصالح البلقيني، والفهامة سيبويه زمانه أبي المحاسن المعروف بابن المخلِّطة ـ بكسر اللام ـ، وكريم الدين اليرموني المالكيين، وعلي بن غانم المقدسي، ومحمد النحريري الحنفيين، وكان

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٧)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٢٩٤).

آيةً من آيات الله في العلوم العقلية، بحراً زاخراً، لا يجارى ولا يمارى.

وانفرد في عصره بدقة النظر، وشدة البحث، والقوة عليه، وكان درسه لا يحضره إلا جهابذة المحققين، وأكابر الأئمة المدققين، ولكونهم أقل القليل، لم يحضره إلا كل نبيل، وحضره بعض العلماء الذين لا اعتناء لهم بالدقة والبحث، فقال: هذا الرجل يمكنه أن يشكك الإنسان في نفسه، ثم ترك درسه.

وممن لازمه سنين عديدة، ومدةً مديدةً، وبه تخرج، وعليه في العلوم العقلية عرج: شيخنا شيخ الإسلام علي الشبراملسي ـ فسح الله في قبره ـ، وكان لا يفتر عن ذكره في مجالسه ودروسه، وسمعته ـ رحمه الله ـ يوماً يقول في درسه وقد ذكره: مات علم المعقول والمنقول بعده، وكان يقول: من رأى دروس الغنيمي وتقريره، ودقة نظره، لا يجوز نسبة هذه التآليف التي ألفها إليه؛ لأن مقاصده أجل منها، مع أنها في غاية الدقة، وحسن الصناعة.

وكان ﷺ من أجلاء فقهاء الشافعية في عصره، ثم تمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة في آخر عمره، بعد أن كان يقرأ في فقه الشافعية كتباً كثيرةً، ورحل إلى القسطنطينية، فأجله كبراؤها، ولازمه لأخذ العلم عنه علماؤها، وبلغ ما يروم، وحظي فيها حظوةً لم يحظها أحد في عصره من العرب والروم.

وكان شيخ الإسلام يجثو بين يديه على الركب، ويبالغ في تعظيمه، وفي حسن الأدب، وقرأ عليه كتباً كثيرةً، منها: «شرح المواقف»، ولما أراد الرجوع إلى مصر، أجزل له مع بقية كبرائها العطية، وتولى بمصر المدارس

العلية، وأعطي الوظائف والمعالم السنية.

فرجع من طريق البحر، إلى أن وصل ثغر إسكندرية، فانكسر المركب، وضاعت جميع أسبابه وكتبه، إلا كتاباً واحداً كان بيده، فخرج به من المركب، ثم سُرق منه، وبقي صفرَ اليدين، ورجع بخفي حنين، فقال عند ذلك: هذه بركة الإمام الشافعي ﷺ.

ثم أرسل إلى مفتي الروم، وعرفه بجميع ما حصل له، فعوضه عن بعض ذلك، وجدد له مراسيم بمدارسه ووظائفه، واستمر بمصر، وعرض له في آخر عمره ثقلٌ في سمعه، حتى توفي بها ليلة الأربعاء، سابع وعشري رجب، سنة أربع وأربعين بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة.

ومن مؤلفاته: شرحٌ بديعٌ على «المقدمة الشعرانية في علم العربية» سماه: «إرشاد الطلاب إلى لفظ لباب الإعراب»، وحاشيةٌ على «أم البراهين» للسنوسي، في مجلدين ضخمين، سماها: «بهجة الناظرين في محاسن أم البراهين»، و«رسالة فيما يتعلق بجملة البسملة»، و«رسالة في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، و«رسالة في بيان السنن ونقائضها»، و«رسالة في إيمان المسلم بعد موته في أي محل يكون».

و«حاشيةٌ على شرح الاستعارات للعصام»، و«حاشيةٌ على شرح إيساغوجي لشيخ الإسلام»، و«ابتهاج الصدور في بيان كيفية الإضافة والتثنية، والجمع للمنقوص والممدود والمقصور»، وله «حاشيةٌ على شرح عقائد النسفي للسعد»، و«حاشيةٌ على شرح جمع الجوامع»، و«حاشيةٌ على شرح الأزهرية».

[٦١٤] أحمد بن محمد باشا الوزير الأعظم المعروف بالفاضل، الكويرلي الأصل، القسطنطيني المولد[١].

أحد وزراء الدولة العثمانية، الذين عزت بهم السلطنة، وافتخرت بهم الدولة، كان في وقته من مفاخره السامية، وأفراده المتعالية، وبه ظهر رونق الزمن، وعلا قدر الفضل، وكان عصره إلى أواسط مدته أحسنَ العصور، ووقته أنضر الأوقات، ولم يكن في الوزراء من يحفظ الدين، وقانون الشريعة مثله، صعباً شديداً في أمور الشرع، سهلاً في أمور الدنيا، وكان حاذقاً مدبراً للملك، قائماً بضبطه.

وُلد بالقسطنطينية سنة خمس وأربعين، واعتنى أبوه بتهذيبه، فأقرأه العلوم حتى مهر، وسمت همته، واشتهر أمره، وسلك في بداية أمره طريق المدرسين، ثم عدل إلى طريق والده، فتولى وأبوه في الصدارة العظمى ولاية أرض الروم، فظهرت كفايته، وحُمدت طريقته.

ثم انتقل منها إلى حكومة دمشق الشام، وأُعطيها برتبة الوزارة، وذلك سنة إحدى وسبعين وألف، وقدمها، وكانت أمورها مختلة النظام، فأصلحها، وتقيد في أمور الأوقاف، وأزال ما بها من محدثات الوظائف وغيرها، وركب على أولاد معن، وبني الشهاب، وأقام ببقاع العزيز أياماً حتى أزالهم عن بلادهم، وقمع الفتن.

وكان قبل وطئه دمشق ولعت بها أيدي القحط، حتى عمها، وبلغت غرارة الحنطة إلى ثمانين قرشاً، فنفع الناس في طلب الحبوب من مصر،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥٢).

وأمر وهو بالبقاع بعمارة قاعةٍ معظمةٍ، داخل دار الإمارة بدمشق، فبنيت على أسلوب عجيبٍ وطرحٍ غريبٍ.

ثم طُلب من البقاع إلى الروم، فسار بالسرعة، وعُزل عن حكومة دمشق، وجاء أمر حكومة حلب، وهو ذاهبٌ في الطريق ولم يدخلها، وبعد وصوله إلى القسطنطينية، صار قائماً مقام أبيه فيها، وكان السلطان إذ ذاك بأدرنة، وأقام أياماً قليلةً، ثم طُلب إلى أدرنة، وكان والده قد ابتدأه المرض، فلما وصلها، صار قائماً مقامه في حياته، وبعد أيامٍ قليلةٍ توفي والده، فتولى الوزارة مكانه، وكان ذلك سنة اثنتين وسبعين وألف، وأرخ بعضهم توليته بقوله: (دولته نعمة الإله).

وسلك طريقاً في وزارته لم يسبقه إليه أحد، وبلغ من الإحكام ونفوذ القول مبلغاً ليس فيه مستزاد، ولم يبق للناس سوى التمسك بعنايته، ومراعاة حاشيته، وكان حسن التدبير، صائب الرأي، كامل الفراسة.

ومما ينسب إليه من الفطنة: أنه جاءه يوماً شخصٌ بتوقيع، فتفرس فيه أنه مصنوع، فناوله لأحد جماعته، وأمره بحفظه، ومضى على ذلك ست سنوات، فجاءه يوماً شخصٌ آخر برقعةٍ، فلما رآها، طلب التوقيع، فلما جاء به، قابله على خط الرقعة، ثم سأل من صاحبها عن كاتبها، فأخبره به، فأرسل إليه من أحضره، فلما مثل بين يديه، أراه التوقيع، فاعترف به بأنه هو الذي كتبه، فأمر بقطع يمينه، وعين له في بيت المال كل يومٍ ما يكفيه.

وقصده الشعراء من البلاد، ومدحه جماعةٌ من أكابر شعراء عصره، منهم: العلامة فضل الله بن محب الله ابن القاضي العلامة محب الدين الحموي، فإنه مدحه بثلاث قصائد إحداها التي أولها:

طيـــفٌ يمثلُـــه الغـــرامُ بفكـــره ورجًـــا يحـــار بطيِّـــهِ وبنـــشرِهِ

وهي قصيدةٌ فائقةٌ، ولطولها لم أذكرها.

وكتب إليه الأمير المنجكي في صدر الرسالة:

يــا ســيدَ الــوزراء دعــوةَ مقعَــدٍ محت الحوادث رسمَه فعسى عسى

فــانظر إليــه برأفــة بــل رحمــةٍ يكفيه من جرع الأسى يا ما احتسى

قــد كــان ســحبانَ الزمــان فـضيلةً قُطعــت علوفتُــه فأصــبح أخرســا

ومن الغزوات التي وقعت أيام وزارته: غزوة «أيوار»، عينه مخدومه السلطان محمد إلى فتحها، فسار بجميع العساكر، في حادي وعشري صفر، سنة أربع وسبعين، وصدر بينه وبين أهل دائرتها، من كفار المجر، محارباتٌ كثيرةٌ، وأوقعوا بعسكره مكائد شتى، وكانت النصرة له، وهدم مما يليها قلعة تسمى بالقلعة الجديدة، كانت الكفار بنتها؛ ليتحصنوا بها.

وبعد ما قدم إلى مقر الدولة، استقام مدةً، وقد قويت شوكته، وعظمت مهابته، ثم أمره مخدومه بالسفر إلى جزيرة كريت؛ لفتح بلدة قنديه، التي كانت بقيت في هذه الجزيرة من بين بلادها لم تفتح ـ كما شرحت ذلك في ترجمة السلطان إبراهيم ـ، فوصلها في خامس ذي القعدة، سنة سبع وسبعين، وبنى بالقرب منها مكاناً كان منهدماً؛ لتهيئة مهمات المحاصرة.

ثم نازلها بمن معه من العساكر، وقد كان أهلها حصنوها بأشياء لا يمكن حصرها، وأضافوا لسورها سوراً آخر، عمروه من داخل السور القديم، وطالت الحرب بين الفريقين مدةً، حتى افتتحها صلحاً في غرة جمادى الأولى سنة ثمانين، ووردت البشائر إلى الأطراف بالزينة، وكثرت تباشير الناس بفتحها.

وبالجملة: فإن أمرها كان بلغ الغاية وطال، حتى ملّ العالم من خبرها.

وأكثر الشعراء من التواريخ لهذا الفتح، وعمل القصائد العجيبة، حتى رأيت بعض الفضلاء أفرد الأشعار التي نظمت في ذلك، وفي مدح الوزير صاحب الترجمة، فبلغت شيئاً كثيراً.

ومن التهنئات: قصيدة الفاضل الأديب المشهور مصطفى بن عبد الملك البابي الحلبي، وهي من جيد شعره، ومطلعها:

لك اللهُ من نـدبٍ إذا هـمَّ صَـمَّما   وطـلاعِ أنجـادٍ إذا أَمَّ تممـا[1]

وبعد ما مهد أمورها، وبنى ما كان تهدم أيام المحاربة من مساكنها، رجع إلى مقر حكومته، وكان السلطان ـ إذ ذاك ـ بأدرنة، فأقام مدةً، ثم عينه السلطان إلى محاربة الكفار المعروفين بالليه، فسار في جمعٍ عظيمٍ لم يشاهد مثله، وافتتح قلعة قمنيجه في سنة أربع وثمانين.

وعاد إلى أدرنة، وأخذ في نقض الأمور وإبرامها على الوجه الحميد، والرأي السديد، ثم تغيرت أطواره، وحبب إليه العزلة، فانقطع عن الديوان وتعاطي المصالح، واشتغل باتخاذ الندماء، وعقد مجالس الأنس، والجري في ميدان النشـوة والقصـف، إلى أن رحل السلطان إلى القسطنطينية أواسط محرم، سنة سبع وثمانين، ورحل هو معه.

وعند وصوله إلى القسطنطينية، ابتدأه المرض، وكان ابتداء مرضه اليرقان الأسود، وعولج مقدار ستة أشهر، فلم يفد العلاج، واشتد به إلى أن رحل السلطان راجعاً إلى أدرنة، في شعبان من هذه السنة، وخرج هو على أثره من

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «تمما» صفحة بياض بالأصل».

البحر، في مركبٍ إلى بلده سلورية، ووصل من البر إلى نواحي حورلي، فأدركه أجله في قرية بالقرب منها، وغُسل وكُفن بها، وأُتي بجنازته إلى القسطنطينية، فدفن مما يلي والده، بتربته التي كان أنشأها بدرب الديوان، وصُلي عليه مكان دفنه، وذلك في نهار الأربعاء، سابع عشري شعبان، سنة سبع وثمانين وألف.

وكان قبل وفاته وقفَ كتبه، ووضعها في خزانة بالتربة المذكورة، ورتب لها أربعة حفاظ، وفيها من نفائس الكتب ما لا يوجد في مكان، وأخبرني بعض من أثق به: أنها خُمنت بأربعين ألف قرش.

[٦١٥] أحمد بن سنان الرومي(١).

كاتب أوقاف الحرمين، وناظرها بدمشق، كان فاضلاً أديباً، حسن المحاضرة، عظيم الجاه، خصوصاً عند القضاة، وله حشمةٌ ومكارم وإنصاف، وجمع تاريخاً لطيفاً، تعرض فيه لذكر كثيرٍ من قضاة عصره وأمرائه، توفي ليلة الجمعة، تاسع وعشري شوال، سنة تسع عشرة وألف ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٦١٦] أحمد بن سعيد العمودي المكي الشافعي(٢).

الشيخ العارف بالله، المقيم بجبل أبي قبيس.

قال النجم الغزي: زرته لما حججت سنة عشر بعد الألف، فرأيته فقيهاً، كتابه «الإرشاد»، وجماعته ملازمون عنده للصلوات الخمس والأذكار، ومن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٠٩).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٢٨) (١٢١).

طريقه: أن جماعته في أيام الموسم لا يتركون الاحتراف، فيكتسبون ما يقوم بهم سائر سنتهم؛ استغناء عن سؤال الناس.

قال: ورأيته عليه السكينة والوقار، وكان مصاباً بإحدى عينيه، وكان ظاهر الولاية، سألته الدعاء لي ولأولادي، وتحاببنا في الله، ومات عن نحو تسعين سنة ـ رحمه الله ـ، وكان موته في سلخ رمضان، سنة أربع عشرة بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، بتربتهم المعروفة، وآل العمودي مشايخ مشهورون بحضرموت، وهم حميريون شيبانيون نوحيون، ذكره في «الغرر».

[٦١٧] أحمد الكردي الشافعي[١].

الشيخ العلامة المحقق، كان مجاوراً بالكلاسة، بجامع دمشق، وكان ملازماً لصلاة الجماعة، قانعاً بالرزق، لا يتردد إلى أحدٍ، مقبلاً على الاشتغال والإشغال بالعلم، في النحو والمنطق والبيان، انتفع به كثيرٌ من الطلبة، وممن أخذ عنه ولازمه: شيخ الإسلام النجم الغزي، صاحب «الكواكب السائرة»، ومات بالطاعون، سنة اثنتين بعد الألف، ودفن بمرج الدحداح ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦١٨] السيد أحمد بن محمد الحارث بن الحسن بن أبي نمي[٢].

كان آيةً في العقل والذكاء، مرجعاً للأشراف الحسنيين ملوك مكة في جميع أمورهم، وإذا حكم بأمرٍ، لا يقدر أحدٌ أن يستدرك عليه فيه شيئاً لحسن أحكامه، وشدة إحكامه، ولما وقع بين الشريف سعد بن زيد، وبين حسن

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٤٨).

باشا صاحب «جدة» ما وقع، وذهب للمدينة، وولي صاحب الترجمة، ولم يتم له ذلك بعد.

توفي في تاسع رجب، سنة خمس وثمانين وألف بمكة، ودفن في قبة جده - رحمه الله -، وجده الشريف حسن، وهو إلى جنب تابوته مما يلي الشرق، ووضع عليه تابوت عظيم - رحمه الله - وخلف أولاداً أمجاداً، أكبرهم السيد محمد كريم، مشهورٌ وشجاعٌ مخبورٌ، ليس في عصرنا من أمثاله من الأشراف أجود وأسخى منه، وأخوه السيد ناصر أحد دهاة الأشراف وعقلائهم، المرجوع إليهم في المهمات، كان الشريف بركات أمير مكة يقول: لا أخاف من أحدٍ من الأشراف ما أخاف من ناصر.

[٦١٩] السيد أحمد بن محمد الأنسي اليمني(١).

شاعر له اختراعات غريبةٌ، وتشبيهاتٌ مصيبةٌ، وأوصافٌ باهرةٌ، وأمثالٌ سائرةٌ، وجِدٌّ يُعجب، وهزلٌ يُطرب، وقفتُ له على أشعارٍ يصبو إليها القلب والطرف، ويقطر منها ماء الملاحة والظرف، ويمتزج بإحن النفس، ويسترجع نافر الأنس، فهو كما قال القائل:

بـديعُ شـعرٍ رقَّ حتـى غـدا   تجـري مـع الـروح كمـا تجـري
فـي مُـذهَب الوشـي علـى وشـيه   ديباجـةٌ ليـست علـى الـشعر
كزهـرة الـدنيا وقـد أقبلـت   تـروقُ فـي رونقهـا النَّـضْرِ

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٨٥) (٢٦٤)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٦٢)، «البدر الطالع» (١/ ٣٧)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٢٩٨) (٢٢)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٢٧).

أو كالنسيم الغَضُّ غِبَّ الحَيا يختال في أرديةِ الفخرِ

فمن دَنِّ المكنون، الذي يتنافس فيه المتنافسون: قوله يمدح الشريف زيد بن محسن، أمير مكة ـ شرفها الله ـ:

من قبل رؤياكِ يا ريَّا عرفناكِ أهدى النسيم قبولاً طيبَ ريَّاكِ
ونفحةٌ جاءت الآفاقُ منك فلم يبقَ على المسك ذكرى بعد ذكراكِ
كم بلبلَ البالَ منها بلبلٌ سَحَراً وهل مغانيه إلا بعضُ مغناكِ
وأطربَ العيسَ حادٍ في مفازتها تحت الدجى حين غناها بمغناكِ
حللتِ نجداً فطابت منكِ أربُعُه وأصبح الترب تبراً بعد ممشاكِ
وخالطت مجةٌ منك العُذيبَ وما علمي به قبلُ لولا نفثُ مسواكِ
عِمي صباحاً مغاني الغانيات ولا تنفكُّ نعمٌ تفدى أيدي نعماكِ
أين العهودُ التي كانت مؤكدةً إياكِ أن تنقضيها بعدُ إياكِ
نعمتِ يا نعمُ بالاً ولنا بالٌ يبلبلُه ذكرى محياك
إن كان أربعُك التي زهت وهزت بأربُعٍ من جنان الخلد مأواكِ
فيهن عينانِ من شهدٍ ومن لبنٍ نضاختانِ فمن عينيَّ عيناكِ
والمنحنى من ضلوعي لم يزل أبداً مثواكِ والقلبُ لم ينفكَّ مرعاكِ
أو كنتِ أطربك الحادي فمن غَزَلي ساق المطيَّ حين عناها وعناكِ
لولاكِ ما قلتُ بيتاً في النسيب ولا جفا جفوني كراها غِبَّ مسراكِ
ولا لقيتُ من الوجد المبرِّحِ ما يرضى رضوى فهل بالله أرضاكِ
نزلتِ نجداً وأضحى منزلي يمناً متى متى يا تُرى بالله ألقاكِ

ولـي بقايـا حـشاشات أضـنُّ بهـا — عـسى عـسى تتلافاهـا مطايـاكِ
وفـي فـؤاديَ أسـرارٌ تـضمنها — مـن الـصبا حبـذا إبـداعها فـاك
لا واخذَ اللهُ أيدي العيش قد جمعتْ — بعائـدِ الـصلةِ المـشكوِّ والـشاكي
يا ربةَ الخالِ والخلخالِ طيفُ خيا — لِ منك يشفي خليلاً وجـدُه ذاكـي
فمتّعيـه بـه مـا عـاش وانبعثـي — ذمـاه لا تعدميـه لا عَـدِمناكِ
سـقى وروَّى للرَّبـاب مثلـث — للربـاب الرُّبـى ريّـاً بـذكراك
حتى يقالَ لمعناها لقد رحم الـضْـ — ـضَحاكُ يا قوم هذا العارضَ الباكي
وحـاك منهـا بـروداً ثـم فرقهـا — بكل لـونٍ فأعيـا وصفُها الحـاكي
كـأن زيـداً أطـال الله مدتَـه — أمـدَّ بعـض محيَّـاه محيَّـاكِ
فهـو الـذي يـدُه البيـضا وصـنعتُه — نـسجُ المكـارم مـن أبـان أوراكِ
ملـكٌ أنـاف بـه مجـدٌ وسـاعدَه — جَـدٌّ وأيـده جـدٌّ لـه شـاكي
ما بأسُ عمرٍو وما همُّ ابن ذي يَزَنٍ — ومـا سياسـةُ ساسـانٍ واسـاكِ
ما زال لا زال يطـوي كـلَّ منتـشر — من الممالـك فـي عُـرب وأتـراكِ
حمـى بـه الحـرمين اللهُ فامتنعـا — عـن ملحـدٍ وأثـيم بـل وهَتّـاكِ
فأمت الأمم البيتَ الحرامَ على اخـ — ـتلافِها لـم يخـف سـرب لنسَّاكِ
سنانُه لـم يـزل يُـدعى وصـارمُه — بفـاطرٍ وبـسفاحٍ وسـفَّاكِ
وكفُّـه واكـفٌ بالمـال يبتـذلُ الـ — آمـال عـن بـذل ملـساكِ
زيدُ المحامد والسعي الذي انحسرت — وقـصرت دون غايـات هـاؤلاك
هو الأمينُ ولكن لـيس يخـدم الـ — ـمأمون إن غمـزت عـينٌ لأفّـاكِ

سلْ عنه مكـةَ هـل ملـك تـسلطنا ... يحكي منه زايداً بها من قبله حاكي
وهـل لطـائره المـأمونِ مـن مثـلٍ ... فيمن تقدم سلْ سـلعاً وذي الـواك
كم طـاب فـي طيبـةٍ ربـعٌ بمرتبـع ... كـساه بـردَ ربيـع عدلُـه الزاكـي
إن ينتقل عنـك جـورُ يثـرب فـبلا ... عزو فقد نُقلـت مـن قبـلُ حُمَّـاكِ
اختارَه اللهُ في الأرض الحـرام لنـا ... وللإمــام إمامــاً أي تيحــاكِ
فقــل لمــن رام مرقــاهُ وغايتَــه ... قصرْ وقـل للحيـارى أيـن سـواكِ
ما للبغاث لاحقـاً للعقـاب وهـل ... للشمس في غاية التحقيق من حاكي
لسانُ حال النبي المصطفى نطقت ... فيــه بقــول حــد الــسيف نبــاكِ
زيدٌ هو الجوهر الفردُ الذي انعقدت ... لــه العنايــةُ فــي أثنــاء شــباك
فمــن ومــن يرتجـي أن يـشق لـه ... عباب طرف مجاري الرمح مدكاك
يا بُعدَ ما يتمنـى نفـس ذي شـرف ... أن تدعيـه فقـل مـا بعـد دعـواك
دعي غرور الدواعي ما استطعتِ فإن ... دعــاكِ داعٍ فقــد والله مَنَّــاكِ
لا تطمعـي أيـن زيـد بـن محـسن ... أو حسين أو حسن بُعـداً لمرمـاك
وخـامسُ القـوم مـصباحٌ لـه بركـا ... تُ الخير مشكاةُ نورٍ ساطعٍ شاكي
أبو نمـيٍّ لـه المجـدُ الأثيـلُ غـدا ... إرثــاً وأبقيــه أمــلاك لأمــلاكِ
همُ همُ إن ذكرتِ الناس فـي مَـلأٍ ... لا تـذكري غيـرَهم أنهـاكِ أنهـاكِ
أسـمعْ وأبـصِرْ بقـوم إن طلبـتهم ... في المكرمات تجدْ أفـلاكَ أفـلاكِ
وقد حوى كلَّ ما في القوم من حسنٍ ... زيــدٌ وزاد بأوصــافٍ وأســباكِ
مـن لـي برؤيـة زيـدٍ مـن يبلغنـي ... من لي ببسطِ كفٌ مـن قبـل إدراكِ

أعوذُ بالله من عجزٍ يحولُ عن از ... ديار مَنْ سكن الزور أنهاكِ
يا ربِّ بالبيتِ زدْ زيدَ المكارم تعـ ... ـميراً وعزّاً وصِلْ حبلي به الواكي
ثم الصلاةُ على المختار من مضرٍ ... وآله ما انطوتْ أشراكُ أشراكِ

وقوله مادحاً للشريف زيد بن محسن، وأجازه عليها ألف ذهب، وعبداً وفرساً:

سلوا آلَ نُعمٍ بعدنا أيُّها السفرُ ... أعندَهُمُ علمٌ بما صنعَ الدهرُ
تصدَّى لشتِّ الشمل بيني وبينها ... فمنزليَ البطحاءُ ومنزلُها القصرُ
وإنـي ونُعـمٌ لاهيـينِ فغالَنا ... فشلَّتْ يدُ الدهرِ الخؤونِ ولا غدرُ
فواللهِ ما مكر العدوُّ كمكره ... ولكنَّ مكراً صاغه فهو المكرُ
فقولا لأحداث الليالي تمهَّلي ... ويا أيهذا الدهرُ موعدُك الحشرُ
سلامٌ على ذاك الزمان وطيبِه ... وعيشٍ تقضَّى لي وما نبت الشعرُ
فتلك الرياضُ الباسماتُ كأن في ... عواتقها من سندس حللٌ حمرُ
تنضَّدَ فيها الأقحوانُ ونرجسٌ ... كأعينِ نُعمٍ إذ يقابلها الثغرُ
كأنَّ غصون الورد قُضْبُ زبرجدٍ ... تخال من الياقوت أعلامُها الحمرُ
إذا خطرتْ في الروض نُعْمٌ عشيةً ... تفاوحَ من فضلات أردانِها العطرُ
وإن سحبت أذيالها خلْتَ حية ... إلى الماء تسعى ما لأخمصها أثرُ
كساها الجمالُ اليوسفيُّ ملابساً ... فأهونُ ملبوس لها التيهُ والكبرُ
فكم تخجلُ الأغصانُ منها إذا انثنتْ ... ويُغضي حياء من لواحظها التبرُ
لها طرةٌ تكسو الظلامَ دياجياً ... على غرة إن أسفرتْ طلع الفجرُ

وصــحنان خــد أشــرقا فكأنمــا مصابيحُ رهبـانٍ أضـاء لهـا الـديرُ
وجيـدٌ مـن البلـور أبـيضُ نـاعمٌ كعنـق غـزالٍ قـد تكنفهـا الـذعرُ
ونحـرٌ يقـول الـدرُّ إن بـه غنًـى عن الحَلْي لكن بي إلى مثله فقرُ
وحُقَّـانِ كالكـافور نـاف علاهمـا مـن النـدِّ مثقـال فنـدَّ بـه الـصبرُ
رويــدَك يــا كــافورُ إن قلوبنــا ضعافٌ وما كل البلاد هي المـصرُ
بــدا القــدُّ غـصناً باسـقاً متـأوداً علـى نقـوِ رمـلٍ يطـوف بـه نهـرُ
يكاد يدقُّ الخـصرُ مـن هَيَـفٍ بـه روادفُهـا لـولا الثقافـةُ والهـصرُ
لهـا بَـشَرٌ مثـلُ الحريـر ومنطـقٌ رخيمُ الحواشي لا هدى ولا نـذرُ
رأتنـي سـقيماً نـاحلاً واهـلاً بهـا فأدنـتْ لهـا عـوداً أناملُهـا العـشرُ
وغنت ببيتٍ يلبـث الركـبُ عنـدَه حيارى بصوتٍ عنده يـرقصُ البرُّ
إذا كنتُ مطبوباً فـلا زلـتُ هكـذا وإن كنتُ مسحوراً فلا برئ السحرُ
فقلـتُ لهـا واللهِ يـا بنـةَ مالـكٍ لمـا شـفني إلا القطيعـةُ والهجـرُ
رمتنـي العيـونُ البابليـات أسـهماً فأقـصدني منهـا سـهامُكم الجمـرُ
فقالت وألقت في الحشا من كلامها تـأجج نـاراً أنـت مـن ملكنـا حُـرُّ
فواللهِ مـا أنـسى وقـد بَكَـرَتْ لنـا بإبريقهـا تـسعى بـه القينـةُ البكـرُ
تـدورُ بكاسـاتِ العُقـارِ كـأنجمٍ إذا طلعتْ من برجهـا أفـلَ البـدرُ
نـداماي نعـمٌ والربـابُ وزينـبٌ ثلاثُ شخوصٍ بيننا الـنظمُ والنثـرُ
على الناي والعود الـرخيم وقهـوة يــذكرها ذنبــاً لأقــدامنا العــصرُ
فتقــتصّ مــن ألبابنــا وعقولنــا فلم ندرِ هل ذاك النعاسُ أم السكرُ

معتقَـةٌ مـن عهـد عـادٍ وجُـرهم ... ومودِعُها الأدنـانَ لقمـانُ والنسرُ
مشعـشعةٌ صـفرا كـأن حَبابَهـا ... على فرشٍ مـن عـسجد نثـر الـدرُّ
إذا فرغتْ في الكاس نعمٌ وأختُهـا ... تشابهَ من ثغريهما الريـقُ والخمـرُ
خلا أن ريق الثغر أشفى لمهجتـي ... إذا ذاقه قلبُ الشجيِّ بـرد الجمـرُ
وأنفـعُ دريـاقٍ لمـن قتـل الهـوى ... فهاتِ ارتشافَ الثغر إن سمحَ الثغـرُ
بهذا عرفنا الفرقَ مـا بـين كاسِـها ... وبين مدامِ الظَّلْم إن أشكلَ الأمـرُ
فواللهِ ما أسلو هواها علـى النـوى ... بلى إن سلا بذلَ الندى الملكُ القصرُ
أبـو حـسنٍ زيـدُ المعـالي والتقـى ... له دونَ أملاك الورى المجدُ والفخرُ
إذا ما مشى بينَ الـصفوف تزلـزتْ ... لهيبته الأمـلاكُ والعـسكرُ المجـرُ
وترجفُ ذاتُ الصدع خوفاً لباسـه ... فينـدكُّ أطـوادُ الممالـك والقفـرُ
فلو قال للبحر المحيطِ ائتِ طائعاً ... أتـاه بـإذن الله فـي الـساعة البحـرُ
كـريمٌ متـى تنـزلْ بأعتـابِ دارِه ... تجدْ ملكاً يزهو به النهـي والأمـرُ
تجد ملكاً يغني الوفودَ وينجز الــ ... ـوعودَ وأدنى بذله الدُّهْم والـشقرُ
علـى جـوده مـن وجهـه ولـسانه ... دليلان للوفـدِ البـشاشةُ والبِـشْرُ
فما أحنفٌ حلمـاً ومـا حـاتمٌ يـداً ... وما عنترٌ يـومَ الحقيقـة مـا عمـرُو
هـو الملـكُ الـضحَّاكُ يـومَ نزالـه ... إذا ما الجبـانُ الوجـه قَطَّبـه الكـرُّ
لقـد قـرّ طـرفُ الملـك منه لأنـه ... لديه النوالُ الحلوُ والغـضَبُ المـرُّ
حيـاةٌ ومـوتٌ للمـوالي والعـدا ... لقد جمعا في كفه الجبـرُ والكـسرُ
أنخ عنده يا طالب الـرزق فالـذي ... حـواه أنوشـروانَ فـي عينـه النـزرُ

ولا تُصْغِ للعذَّالِ أذناً وإن وفوا بأحسابهم منهم فما العبدُ والحرُّ
وهل يستوي عذبٌ فرات مروَّقٌ وملحٌ أجاج لا ولا التبنُ والتبرُ
فلو سمعت أذن العدوِّ بمجده مزاياه لا ستحيت ولكن بها وَقْرُ
فما قدّروا زيدَ العلا حق قدره وماذا عليهم يا ترى لهم الحشرُ
مليكٌ إليه الانتهاءُ وقيصرٌ يقصِّرُ عنه بل وكسرى به كسرُ
مليك له عند الإله مكانةٌ تبوأها من قبله إلياسُ والخضرُ
مليك له سرٌّ خفيٌّ كأنما يناجيه بالغيب ابنُ داودِ الحبرُ
فإن كذبوا أعداء زيد فحسبُه من الشاهد المقبول قصتُه البكرُ
ليالِيَ إذ جاء الخصيُّ وأكثروا أقاويلَ غَيٍّ ضاق ذرعاً بها الصدرُ
فأيقظه من نومه بعدَ هجعة من الليل بيتٌ زاد فخراً به الشعرُ
كأن لم يكنْ أمرٌ وإن كان كائن لكان به أمر نفي ذلك الأمرُ
وفي طيِّ هذا عِبرةٌ لأولي النهى وذكرى لمن كانت له فطنة تقرُ
فيا زيدُ قل للحاسدين تحنَّطوا بغيظِكم إن لم يطيعكم الصبرُ
فمجدي كما تقد تعلمون مؤثَّلٌ وكلُّ حمامِ البرِّ يقيظها الصقرُ
من القومِ أربابِ المكارم والعلا ميامينُ في أيديهم العسرُ واليسرُ
مساميحُ في الأولى مصابيحُ في الدجى تصالح في معناهم الخير والشرُّ
أَسِنَّتهم في كل شرقٍ ومغربٍ إذا وردت زرقٌ وإن صدرَتْ حمرُ
مساعيرُ حربٍ والقنا متشاجرٌ ويوم الندى يبدو حجاحجةٌ غُرُّ
وكيدُهم لقي الملوك لأمره تقولُ لبدر التمِّ ما أنصفَ الشهرُ

بنـي حـسنٍ لا أبعـدَ اللهُ دارَكـم ولا زال مـنهلاً بأرجائِها القطـرُ
ولا زال صدرُ الدست منشرحاً بكم فعنكم أولاء البيت ينشرح الصدرُ
وصلَّى علـى المختـار والآل ربُّنـا وسلَّم مـا لاح الـسِّماكانِ والنـسرُ

وقولـه في هـذه القصيدة: «كأن لم يكن أمر». . . البيت، لهذا البيت قصة، وهو أنه لما كان في أثناء سنة تسع وأربعين بعد الألف، أقبل من الديار الرومية بشير آغا الحبشي الطواشي، معه أوامر من السلطان مراد، بأنه مطلق التصرف، وكان ظنه أنه يعزل الشريف زيد عن منصبه، ويولي غيره.

فورد الخبر بوفاة السـلطان مراد، فشاع الخبر بينبع، ثم كتمه بشير؛ ليتم له تنفيذ ما أراد، وكان الشريف زيد هيأ لبشير عدة أماكن؛ من المدارس والبيوت، وأمر بفرشها، وكان نيته مواجهته إلى مر، وأرسل بعض أخدام إلى ينبع، ليرى مَنْ مع بشير من الخيل والرجل والناس، فلما وصل إليها، وسمع هذا الخبر وتحققه، رجع مسرعاً إلى الشريف زيد، فلما تحقق صحة الخبر، أمر بتحويل الفرش التي فرشت في ذلك المكان، وغلق بعضها.

ثم لما قارب بشير آغا مكة، خرج إليه الشريف زيد، ولاقاه في الجوخي، محل ملاقاة أمير الحاج، فلما قابله، وفي ظن بشير أن الخبر لم يبلغه، وأن يتم له ما أراده من تنفيذ ما شـاء على غفلة، فلما تقاربا، ركب الشريف زيد فرسه، مقدماً على بشير قائلاً له: رحم الله مولانا السلطان مراد، فأُسقط في يد بشـير، وبقي كالأسير، وكان الشريف زيد قد رأى في المنام كأن شخصا ينشده هذا البيت:

كأن لم يكـنْ أمـرٌ وإن كـان كـائنٌ لكـان بـه أمـر نفـي ذلـك الأمـرُ

فانتبه ـ رحمه الله ـ، وكتبه بالسواك على رملٍ في صحن نحاس خشية النسيان، وكانت هذه الرؤيا في الليلة التي أسفر صباحها عن هذا الخبر، فنظم السيد أحمد صاحب الترجمة هذه القصيدة، وأدرج فيها هذا البيت.

[٦٢٠] ولده السيد أحمد بن أحمد بن محمد الأنسي(١).

شاعر كامل البضاعة في الشعر على فنون، بيني وبينه صحبةٌ أكيدةٌ، ومودةٌ شديدةٌ، مولده بصنعاء سنة أربع وسبعين وألف، أول ما اجتمعتُ عليه بمكة، سنة ألف ومائة وواحد، لما قدمها مع جماعة من بني الإمام، منهم: السيد حسين ابن الإمام إسماعيل، والسيد عبدالله بن يحيى بن محمد ابن الحسن، والسيد العلامة الحسين بن عبد القادر بن الناصر صاحب كوكبان، وكان وقع بينهم وبين الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، وظهر عليهم، ففرّوا إلى مكة، وكان بها السيد أحمد بن غالب، فأكرم نزلهم، وأحسن إليهم، وعين لهم ما يكفيهم من الصرف وغيره.

وكان المترجم هجا الإمام محمد بن أحمد، لما تولى الإمامة بقصيدة مطلعها:

خليفةٌ خالف الإسلامَ والخُلَفا ... بعد المؤيدِ لا نرضى به خَلَفا

لم يعفُ يوماً ولا تندَى يداه على ... عافٍ وربعُ الندى والمجد منه عفا

يا ضيعةَ الدين والدنيا بدولته ... ورفعةَ الجهل والأنذالِ والسُّخَفا

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٩٦) (٢٦٥)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٧٤) (٢١)، «البدر الطالع» (١/ ٣٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٢٤٥) (١٦)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٢٠).

ضِـدٌّ المؤيدِ في كل الخصال فقلْ ... يا رحمتاه لأهـل العلـم والـضُّعفا
مـن جهلـه وخطـاه فـي تـصرُّفه ... وظلمه حسبُنا ربُّ الـسما وكفـى
سـلْ خيلَـه فلكـم ألقـى بهـا فتنـاً ... محا بها جمـلَ الإسـلام واعتَـسفا

فلما بلغت الإمامَ، أمر بقطع لسانه، وقتلِه حيث وجد، فكان ذلك سبب فراره إلى مكة مع الجماعة المذكورين، ثم جاور بمكة مدةً، ثم توسط له بعض الأعيان برجوعه إلى اليمن، فرجع إلى اليمن، واجتمع بالإمام، وخدمه بقصيدةٍ طنانةٍ محت ذنوبه السابقة معه.

ثم ولاه أعمالاً في بلده، ثم غضب عليه، ونهبه، وأرسل به إلى زيلع، فسجنه بها نحو سنةٍ، فوافق موته بها سنة أربع عشرة بعد المائة والألف ـ رحمه الله ـ، وكان فكهَ المداعبة، حلو المصاحبة، ممتلئاً من الأدب، مقبلاً على كل من حدب، وتأكدت بيني وبينه الصحبة بحضرة الإمام ـ رحمه الله ـ.

[٦٢١] أحمد بن يونس[(١)].

كان وزيراً لشريف مكة السيد إدريس بن الحسن، في قوةٍ وعدد ومدد، وطار صيته في الآفاق، وأكثر الدخل، وأقل الإنفاق، وكان ذا تدبير لأحواله، حتى جاوز الحدود، فوقع له ما قضاه الملك المعبود.

وذلك أنه لما استفحل أمره وعظم، وصارت الأمور كلها منوطةً برأيه وتدبيره، تعدى طورَه، ولم يقف عند حده، فتوافق الشريف إدريس والسيد محسن على عزلـه، فأرسـل الشريف إدريس ـ وكان إذ ذاك المبعوث ـ إلى القائم مقامه بمكة، السيدِ محمد بن عبد المطلب يأمره بأخذ المهر منه ـ وهو

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧١).

مهر العُروض ـ من القائد أحمد المذكور، وأرسل السيد محسن إلى القائد ياقوت بن سليمان ـ وكان وزيره ـ بأخذ مهره منه، ففعل كل ما أمر به.

وكان الأخذ المذكور صبيحة عاشر رمضان، سنة ست وعشرين بعد الألف، فشاع في البلد عزله، وأرسل الشريف إدريس القائد ريحان بن سالم حاكم مكة، يأمره بالوصول إليه إلى الشرف، فقدم إليه، فقلده منصب الوزارة، فوصل إلى مكة في الشهر المذكور.

فلما كان آخر العشر الثاني من رمضان، وصل الخبر للسيد محمد المذكور بأن القائد أحمد يريد الركوب عليك، وقد اجتمعت عنده العُدد والمَدد، ووصل الخبر إلى القائد أحمد بذلك أيضاً، فركب كل منهما وألبس، ووقف عند باب داره، ثم انجلى الأمر، وظهر أن ما أخبر به كل منهما ليس له أصل، فأرسل السيد محمد إلى الشريف إدريس [و]محسن يعرفهما بذلك، ولما كان العشر الأخير من رمضان، عزم القائد أحمد بن يونس إلى الشريف إدريس بالمبعوث، وأقام هناك، فجاء الأمر إلى السيد محمد، بأخذ أموال القائد المذكور من داره، وكل ما هو له، وأن يحتفظ على ذلك.

فلما أن كانت ليلة العيد، حصلت حركة من آخر الليل عند بيت السيد محمد، وتفريق السلاح وأدراع وألباس، فنزل إلى المسجد، وصلى صلاة العيد فقط، وبرز من المسجد قبل الخطبة، وعزم بالجيش إلى بستان القائد المذكور، فختم على أمواله كلها، وأمر أن ينزل البعض منها إلى البلد، واستمر إلى بعد صلاة العصر، فنزل هو والجيش، بعد أن ختم على بقية الأموال، وقبض على جماعة من المنسوبين إليه، وحبسهم بعد أن ختم على بيوتهم، ثم فكوا بعد وصول الشريف إدريس، إلا إبراهيم بن أمين كاتبه، وأعظم

المقربين إليه؛ فإنه لم يزل مسجوناً، إلى أن قضى الله عليه.

وأما القائد أحمد، فإنه استمر بالمبعوث، فثارت بسببه في ثاني شوال من السنة المذكورة فتنةٌ، أدت إلى الادّراع والإلباس، ثم رحل إلى «كلاخ»، فأقام بها، ثم رحل منها إلى جهة الشام، فلما أن كان في أثناء الطريق، رجع، فوصل إلى الشريف إدريس وهو بالشرف في السنة المذكورة، فسجنه، وكبله بالحديد، ثم إنه قتله في العام المذكور، في محل يقال له: وادي النار، ودفن هناك، فسبحان الفعال لما يشاء ويريد.

[٦٢٢] السيد أحمد بن محمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين ابن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى اليمني(١).

إمام مبرز في جميع العلوم، وعلامةٌ كارعٌ من مشارب الفهوم، له مؤلفاتٌ مفيدةٌ، منها: «شرح الكافل في علم الأصول»، و«مرقاة الأصول للإمام القاسم»، و«شرح الأساس» له أيضاً.

وكانت وفاته فجر يوم الخميس، تاسع رجب، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وثلاثين بعد الألف، في قلعة غُمار، من جبل رازح ـ رحمه الله تعالى ـ.

وذكره الفاضل أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»، فقال: كان علماً من أعلام الشريعة المصطفوية، وصدراً من صدور العصابة الهاشمية، محققاً في كل العلوم الإسلامية، معقولاتها ومنقولاتها، وأما أصول الفقه، فروي عن القاضي العلامة أبي القاسم البيشي: أنه قال: هو عندي بمثابة الفاتحة.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٠٢).

ووصفه السيد العلامة الحسين بن القاسم أنه مجتهدٌ، وناهيك به! ومن تشهد له خزيمة، فهو حسبه.

وكان استقراره بـ «شهارة» من وقت أن هاجر إليها هو وحيّ والده السيد العلامة الطاهر المطهر، حليف السند والقرآن، محمد بن لقمان، إماماً بجامعها، مدرساً بالجامع جميع الأوقات.

واتفق له في اليوم الواحد ثمانية دروس، مع درس غيب مختصرات، ومحله ـ رحمه الله تعالى ـ نازحٌ عن الجامع بمسافةٍ بعيدةٍ معروفةٍ، إلى فوق باب البحر المعروف، ويصلي إماماً الصلوات جميعاً في الجامع.

ومع ذلك، فإنه كان مقتر العيش، ولا يعتريه لذلك تعب ولا طيش، لرغبتهم في الهجرة إلى الله ﷻ، مع ما كانوا فيه من الخيرات الدنيوية الفانية، ورغبوا إلى ما عند الله ﷻ، ورضوا بما هم عليه لعاقبة الدار الأخروية، وهذا حال آل محمد الأعلام، وما زاد بذلك إلا كلفاً بالعلم، وحرصاً عليه.

وألف في أكثر الفنون، منها: «شرح الأساس في علم الكلام»، و«شرح الكافل»، وهو مفيدٌ للطالب، موافقٌ للكتاب، بتعرضه لذكر الخلاف، ونهى ـ في هذا الكتاب ـ أن تكتب صورة الصلاة على النبي ﷺ بغير لفظها، كما يتعارف من أكثر الكتاب؛ من كتابة هذه الصورة: «صلعم» ونحوها، وأمر فيها بإثبات الترضية على الصحابة، إذا ذكروا مجتمعين؛ لأنهم مع الاجتماع جماعة معصومة.

وشرحَ «تهذيب المنطق»، وحشّى على «المفصل» وعلى «الفصول اللؤلئية»، وأوائل «المنهاج» لجده المهدي ـ رحمه الله تعالى ـ، ونظم

«الشافية»، وشرح «البحر الزخار» بجزءٍ من أوساطه، كأنه فعل ذلك إما تتميماً لأحد الشروح، أو وافق قراءة في ذلك المحل، رأيته بخطه، وله رد على «الصواعق المحرقة» قدر خمسة عشر كراساً بالقطع الكامل، لم يتم، وسماه: «البحار المغرقة»، وله شرح على «المرقاة في الأصول»، وله في علم القرآن مؤلفاتٌ، وغير ذلك، وأجوبة علمية، ووسائل عملية.

ولم يزل على ما وصفناه بشهارة، حتى كانت الفتوحات في الأقاليم جميعها، فاقتضى نظر الإمام المؤيد بالله أن يرسله إلى الطويلة، وتلك الجهات، فتوجَّه، فكانت على يديه فتوحات في تلك الجهات واسعةٌ، وأعمالٌ نافعةٌ، وانضافت إليه عساكر متكاثرة من وجوه أصحاب الدولة بكوكبان؛ لأنه كان جليل القدر، حسباً ونسباً، وكان له سعي صالح في تلك الجهات، وعزيمةٌ صادقةٌ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يتولي الخطبة بنفسه غيباً، وكان عنده من العلماء والأعلام وبين يديه أعيانٌ كثيرون، منهم: السيد العلامة عز الدين بن ذريب المشهور علماً وعملاً، ورياسةً وحلماً، والقاضي العلامة الحسن بن أحمد الحيمي، ثم...[1].

من لنفسٍ ذابت فلو منعوها ... بأحاديثهم شِفاًها شَفاها
أذكرتْها ريحُ الصَّبا حين هبتْ ... من ثنياتهم ليالي صِباها
أتلفَتْها أيدي الفراق وصارت ... في قضاها فما أمرَّ قضاها
سَعَّرت في الحشا منها سعيراً ... قد غشى العينَ منه ما قد غشاها

---

(١) جاء في الحاشية: «كلمة «ثم» بالأصل في آخر الصفحة، ووجد في الصفحة التالية ما بعد هذه الكلمة».

كـم عـذولٍ لحبهـا قـد لحاهـا ونهاهـا لمَّـا أضـاعت نُهاهـا
لو سرى طيفُهم سرى عني الهمْـ ـم ولكـن مـن لغيرنـا بكراهـا
همْ نفـوا نـومَ مقلتـي واسـتباحوا مهجتـي قـد نـأوا ففـر عراهـا
وأهـانوا دمـي فهـا نـدمي كـم مـن دمـاء تريـق منهـا دماهـا
ليت شعري أمـا نـوت لـي نـوالاً أم نـوتْ لـي تلـك الـدماء نواهـا
كم حَمامٍ قـد كـان منهـا حِمـامي عنـدما ناحـت الـضحى بحماهـا
كـم أفاضـت جـراة دمـعَ العـين فيـا للإلـه مـا أجراهـا
هيَّجت مـن فروعهـا لـي شـجوناً هـي أصـلُ الأشـجان مـا سـواها
فـشجوني منهـا فيـا ليـت شـعري مـا الـذي شـاقَها ومـا أبكاهـا؟!
أيُّ حـزن لهـا وهـاهي فـي الـدَّو ح مـع الإلـفِ دائمـاً سُـكناها
مـا جفاهـا خِـلٌّ كمـا قـد جفـاني أو مَناهـا دهـرٌ ببعـد مُناهـا
ولهـا مثـل مـا علمـتُ جنـاحٌ إن نـأى مـن يحـبُّ مـن مغناهـا
كـم تغنّـي وكـم تنـوحُ ولـم أدْ رِ بـذاك النـوحِ مـا معناهـا
إن يكن ما ادعَتْ من الحزن حقّاً فلمـاذا قـد خالفـت مُـدَّعاها
خـضبتْ كفَّهـا وطوقـتِ الجيـ ـدَ وغنـت فـأبق منهـا جواهـا
أيـن منهـا صَـبابتي ووُلـوعي بربـوعٍ هيهـاتَ أن أنـساها
ليت أني إن لم يكنْ لي إلـى العـو د سـبيلٌ عنـد المنـام أراهـا

[٦٢٣] أحمد بن مرشد الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي الحنفي.

كان شاباً فاضلاً، دمث الأخلاق، لطيف الطباع، حسن الصحبة، أديباً

وقوراً، وُلد بمكة كما أخبرني والده سنة. . . وقرأ على. . . وتوفي. . .[1].

ومن شعره يعزي السيد محمد يحيى في والده الشريفِ زيد أمير مكة مؤرخاً وفاته:

يا سيداً أحيا السرورَ قدومُه	وأماط صبحُ جبينه ليلَ العنا
لا تجزعَنَّ على مصيبة سيدٍ	ولَّى إلى دار البقا عن دارِنا
واصبرْ ولا تحزنْ فقد وردت له	بشرى يحقُّ بأن تقابَل بالهنا
القبرُ أنشدني وقال مؤرخاً	(في جنة الفردوس زيدٌ سكنا)

[٦٢٤] أحمد بن موسى الضجاعي الشافعي.

مفتي زَبيد، كان فقيهاً عارفاً، مفنناً في عدة من العلوم، مصلحاً بين الخصوم، توفي سنة ثلاثين بعد الألف.

[٦٢٥] السيد أحمد بن مهدي اليمني.

كان آيةً من آيات الله، قائماً بمهمات الدين، ودرس القرآن، مِطعاماً، مشهوراً بالولاية في قطره، توفي في العشر الثاني من هذه المائة.

[٦٢٦] أحمد بن منصور بن عبد الرحمن، خطيب السُّقَيْفة ـ بالتصغير ـ: محلةٌ بدمشق[2].

الشيخ الصالح، المجذوب المعتقد، كان يلبس قميصاً لا غير، ورأسه مكشوفاً دائماً، ويمشي حافياً صيفاً وشتاءً، ولا يرى على قدمية طين ولا وسخ،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «سنة»، و«على»، و«توفي» بياض بالأصل».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٦) (١١١).

بل تجدهما نظيفتين طريتين، وكان مستغرقاً في غالب أوقاته، وله كشفٌ ظاهرٌ، وكراماتٌ كثيرةٌ، وحكي عن والده: أنه كان يقول لأمه وهي حبلى: إن الذي في بطنك من أولياء الله تعالى.

ومما اتفق له: أنه بات ليلةً في فرنٍ محمى، ولم يضره[1].

مات يوم الخميس، لأربعة عشر جمادى الآخرة، سنة تسع ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٦٢٧] أحمد بن يوسف الصرخدي، المعروف بالمبَخِّر[2].

لأنه كان يُبخر الناس بأنواع الطيب، وكان صالحاً مجذوباً معتقداً، ولا يقبل من أحدٍ درهماً حراماً، ولا ما دفع إليه بنية غير طيبة، وقد عُرف ذلك منه، وكان له كشفٌ صريحٌ، وكراماتٌ ظاهرةٌ.

وبالجملة: كان بركةً من بركات الشام، مات يوم الاثنين، سابع عشر شوال، سنة ست عشرة بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة ـ رحمه الله ـ.

[٦٢٨] أحمد بن يونس بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبي بكر، الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، شهاب الدين أبو العباس العيثاوي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الشافعي[3].

---

(١) هذه الأوصاف والأحوال لا يوصف سوى المجانين الذين سماهم أدعياء الصوفية وأهل الطريق بالمجاذيب، وإلا فما يصنع عاقل بمن هذه حاله سوى الشفقة عليه، لا اعتقاد ولايته، وإنما ذلك من تلبيس الشيطان على من قل دينه وقصر عقله، نسأل السلامة والمعافاة في الدنيا والآخرة.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٧) (١١٢).

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠٨) (١١٤)، «خلاصة الأثر» =

قال تلميذه النجم الغزي في «الذيل»: ذكره تلميذه حسن البوريني في بعض تعليقاته، فقال:

أعني به أحمدَ الدهرِ الذي شهدت ... بفضله الناسُ من عرب ومن عجمِ
وأفضلَ العصرِ مَنْ أمست لساحته ... لتنقل العلمَ عنه سائرُ الأممِ
وجامعَ الفضل من شاعتْ محاسنُه ... حتى اغتدى في الورى كالمفرَدِ العلمِ
مفتي البرايا بعلمٍ حلّ موقعه ... عمَّن يخالفُه في اللفظ والقلمِ
صدرَ المحافلِ بل بدرَ الفضائل مَنْ ... غدا بكلِّ مناطٍ ثابتَ القدمِ
فخرَ البقاع وغيثا بقعة ذكرت ... لنسبة الجد بالتخصيص في القدمِ
فلتفخرِ الشامُ إن قد عادَ واحدها ... فخراً يدوم دواماً غيرُ منصرمِ
وليفخر العبدُ أن قد صار معتقِدا ... لذاتِه باعتقادٍ غيرِ منفصمِ
أدامه اللهُ للطلاب ينفعُهم ... فما لهم مثلُه في العفو والكرم

وُلد سنة إحدى وأربعين وتسعمائة، وقرأ القرآن العظيم على أحمد ابن التينة، ثم قرأ النحو والفقه على أخيه تاج الدين، ثم لازم والده، ثم أمره والده أن يلازم فقيه عصره نورَ الدين السنفي، فلازمه سنين حتى تضلع من الفقه، وأن يحضر دروس علاء الدين بن عماد الدين، فحضره مدةً، وأخذ الحديث عن الشمس محمد بن طولون، وغيره، وأخذ القراءات عن شيخ الإقراء شهاب الدين الطيبي، وصحب في طريق القوم، ومذاكرة العلوم الأستاذَ شهابَ

= للمحبي (١/ ٣٦٩)، «معادن الذهب» للعرضي (٩٧) (٢٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٧٦).

الديـن الغزي، وصـحب أيضـاً عليَّ بن عبد الرحيم الصالحي، وكان أفقه أقرانه.

واجتمع بشيخ الإسـلام البدر الغزي، وسأله عن نكاح الجنية، فقال: الأصح: أنه لا يجوز، ثم حدثه: أن والده رضي الدين اعتقدته جنيةٌ، فطلبت منه التزوج، فقال: إنه غير جائز، فاستأذنته في الخدمة، فكانت تخدمه، حتى سارت معه إلى مصر، فكانت تظهر في زي خادمٍ تساعد الجماعة في الحط والرحال.

وأذن له البدر الغزي في الإفتاء، فأفتى في حياته، ودخل عليه المترجَم يوماً، فقال له البدر: حدثني شيخنا، وذكر سنده إلى رسول الله ﷺ: أنه قال: «إذا أحب أحدُكم أخـاه، فليعلمه إياه»، ثم قال له البدر: وإني أحبك، قال النجم: وكان شيخنا إذا حدثنا، يبكي، ويقول: ما غبطتُ نفسي بشيءٍ أحبَّ إلي من قول الشيخ لي: وإني أحبك.

ثم جلس للتدريـس، وأقبـل عليـه الطلبة، وكان أنفع شيخٍ من أقرانه لتلاميذه، فانتفع به من لا يحصى كثرةً، وولي تدريس الشامية البرانية، والعُمرية، والعزيزية، ثم الظاهـرية، وولي إمامـة الجامـع الجديـد وخطابته، وخطابة التبريزية خارج دمشق، بمحلة قبر عاتكة، وولي إمامة الجامع الأموي، وكان من أحسن الناس قراءةً في المحراب، مع لطف صوته، وكان عليه السكينة في صلاته، ويدرك سـكينته كل من وقـع بصره عليه، وكان يعتقده أكابر الناس وعامتهم، منذ كان شاباً إلى أن توفاه الله تعالى، وكل من رآه يشهد أنه من أولياء الله تعالى.

وأخذ عنه جماعةٌ لا يحصون، منهم: الشمس محمد الميداني، وحسن

البوريني، ومحمد بن الجوزي، وعبد القادر الطرابلسي، والقاضي عمر بن الموقع، والسيد أحمد بن المصادع، والقاضي محمود العَدَوي، ومحمد الرومي، وشرف الدين الدمشقي، وأبو الطيب الغزي، وأحمد الغزي، وأبو بكر الكردي، ومحمد الكردي صائم الدهر، وسليمان الحمصي، وكمال الدين العيثاوي، وغيرهم.

ومرض مرةً عاماً كاملاً، وكان ابتداء مرضه في عيد الأضحى، وانتهاؤه في يوم عيد الأضحى من العام القابل، فعاده وعيّده حسن البوريني، **وأنشده قوله**:

شهابَ المعالي وبدرَ النهى ... ومَنْ منه كلُّ الورى تستفيد

نذرتُ الصيامَ ليوم الشفا ... وكان كما يرتجى يومَ عيد

قال النجم: ولما حججت سنة عشر بعد الألف، لقيته يقظةً لا مناماً، ونحن سائرون ليلاً، من أذرعات إلى مرحلةِ المفرّق، فقال لي: يا نجم الدين! استحضر قلبك في سرك؛ فإن القطب معكم في الركب، ثم التفتّ، فلم أر أحداً، وكان من أصحاب الأحوال، وهذا وغيره من وقائع له تدل على أنه من الأبدال.

وبالجملة: فإنه كان من أفراد الوقت علماً وعملاً وديناً، وحسن سمتٍ، وحسن هديٍ ولطافةٍ، وذوقٍ وفطانةٍ، ومعارف ولطائف، ولم يمت حتى مات أقرانه بدمشق وحلب، ومصر والحجاز، وكان يفتي مع وجود أقرانه من الشافعية؛ كإسماعيل النابلسي، وأحمد الطيبي، ومحمد الحجازي، والملا أسد، ومحمد الداودي، وكان هو المعوَّل على فتواه، والمرجعُ إليه فيها،

مـع وجودهـم، وإذا اختلـف معهم، كان الحق بيده، حتى كان ابن الطيبي يشاوره في كثير من المسائل قبل الكتابة عليها.

واختلفا مرةً في بناء المنارة البيضاء على كنيسة النصارى داخل دمشق، فأفتى إسـماعيل النابلسي بأن لا تبنـى؛ حذراً من أن يكون إشهار الأذان بها سبباً لسب النصارى لدين الإسلام، ونزع الآية: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾[الأنعام: ١٠٨]، وأفتى المترجَم بجواز بنائها.

وكان الباني لها علاء الدين بن الحُجيج، وجنح قاضي القضاة مصطفى ابن بستان، ووزير الشام وعلماؤها، إلى ما أفتى به المترجم، وبذل النصارى مالاً لوزير الشام في عدم بنائها، فلم يفدهم، وألف في بنائها رسالةً لطيفةً، وكان ذلك قبل التسعين وتسعمائة.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: متن في الفقه على طريقة «الإرشاد» سماه: «الحبب»، وشرحه شرحاً سماه: «الخبب في التقاط الحبب».

وكان فقيه النفس، جيد الملكة، يستحضر مسائل الفروع نصب عينيه، سليم الطبع، بارع الفطنة، حلو الذكاء، يجيب عن الفتوى والمسائل بلا تكلف، وكان ألطف الشيوخ عبارةً، وأجودهم تقريراً، ناصحاً، حسن الخلق، طارحاً للتكلف، يحمل همَّ الناس، ويهتم لأمورهم، خاشعاً متواضعاً، سريع الدمعة، يبكي من خشية الله، ولا يحقر أحداً، ولا ينافس في مجلس ولا ملبس ولا مطعم ولا شـراب، قانعاً سخياً، ينفق ما يجد، ويبيت على فاقة، مع كثرة عياله، وكان يفتي حسبةً، وكان لا يشرب القهوة، ويفتي بإباحتها.

وحج وسافر إلى الحصن، ثم إلى طرابلس لصلة أرحامه، وكان له ثَم

أخوال، وسـافر إلى حلب، ثم مرض بحمى الربع، حتى توفي في مستهل ذي الحجة، سنة خمس وعشرين بعد الألف، عن أربع وثمانين سنة، وصلى عليه إماماً بالناس، تلميذُه النجم الغزي بعد صلاة الظهر، بالجامع الأموي، ثم حمل على الرؤوس إلى مقبرة باب الفراديس، ودفن عند رأس أبيه، وكانت جنازته حافلةً، لم يتأخر عنها أحد من أعيان البلد وعامتها ـ رحمه الله تعالى وإيانا ـ.

[٦٢٩] السـيد أحمد بن يحيى بن المفضـل بن إبراهيـم بن علي ابن الإمام شرفِ الدين[١].

كان علامةً في سائر العلوم، زاهداً ورعاً ناسكاً.

[٦٣٠] أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر ابن يوسف بن أحمد الحنبلي الكرمي، نسبة لطور كرم، من قرى نابلس، ثم المقدسي[٢].

كان من العلماء العاملين، الأولياء الزاهدين، ملازماً لمكانه المعروف بالجامع الأزهر، مشتغلاً بالعلوم الدينية، غير متردد إلى أحد من أرباب الدنيا، قانعاً باليسـير من الرزق، متقيداً بصـلاة الجماعـة في الصف الأول بالجامع الأزهر، في الأوقات الخمس، قليل الكلام، حسن السيرة، صافي السريرة، جامعاً لصفات الخير، ليس فيه شيء يشينه في دينه ودنياه.

أخبرني ولده صاحبنا الشيخ الفاضل عبدالله: أنه رأى الحقَّ سبحانه في

(١) «طيب السمر» للحيمي (١/ ١٢٤).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٦٧).

النوم ثلاث مرات، أولها: رأى الملائكة آخذينه إلى النار، فإذا بمنادٍ من الحق سبحانه: ليس من أهلها، اذهبوا به إلى الجنة، فقام من نومه، فرأى نفسه بالجامع الأزهر.

مولده ببيت المقدس، سنة ألف، وقرأ القرآن بطوركرم، وأخذ الطريق عن العارف بالله محمد العلمي، وقدم إلى مصر سنة ست وعشرين وألف، وأخذ النحو عن محمد الحموي، والفرائض والحساب عن عبد المنعم الشرنوبي، والحديث عن إبراهيم اللقاني، وعلي الأجهوري، وكثير.

وكانت **وفاته** ليلة الجمعة، رابع عشر صفر، سنة إحدى وتسعين وألف بمصر، وصلى عليه بالجامع الأزهر إماماً بالناس أبو الحسن المحلي الخطيب، ودفن بتربة الطويل، بالمجاورين بقرب تربة عمه مرعي ـ رحمهم الله ـ، وقد رأيته، واجتمعت به كثيراً، ودعا لي دعوات صالحة.

[٦٣١] أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي.

نسبةً لبلده، وهي قريةٌ من أعمال القليوبية، كما أفادنيه بعض تلامذته، من فضلاء الشافعية[1].

[٦٣٢] أحمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جَعمان ـ بفتح الجيم ـ بن يحيى ابن عمر بن محمد بن أحمد بن علي بن الشّويش بن علي بن وهب بن علي ابن صريف بن ذؤال بن سنوه بن ثوبان بن عيسى بن سحارة بن غالب بن

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الشافعية» بياض سطران بالأصل».

عبدالله بن عك بن عدنان، العكي العدناني الصريفي الذؤالي اليماني، من بيت الفقيه ابن عجيل. . .[1].

[٦٣٣] أحمد بن منصور الصالحي الدمشقي المجذوب.

من أكبر صلحاء الشام، وأزهدهم وأعبدهم، كان مجاب الدعوة، ويقال: إنه من الأقطاب.

[٦٣٤] السيد أحمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي بن بركات الشريف الحسني[2].

قال صاحب «سلافة العصر» في ترجمته: نابغة بني حسن، وباقعة الفصاحة واللسن، الساحب ذيل البلاغة على سحبان، والسائر بأفعاله وأقواله الركبان، أحد السادة الذين رووا حديث السيادة براً عن بر، والساسة الذين فتقت لهم ريح الجلاد بعنبر، فاقتطفوا نور الشرف من روض الحسب الأنضر، وجنوا ثمر الوقائع يانعاً بالنصر، من ورق الحديد الأخضر.

كانت له همة تزاحم الأفلاك، وتراغم بعلو قدرها الأملاك، لم يزل يقلد من نيل الملك ما لم يفد به عدده وعدده، ولم يمده عليه من الزمان مدده ومدده، فاقتحم لطلبه براً وبحراً، وقلد للملوك بمدحه جيداً ونحراً، فلم يسعفه أحدٌ منهم ولم يساعد، وإذا عظم المطلوب قلّ المساعد.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الفقيه» بالأصل سطران بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٩) (٢٦٨)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٢٥)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٠٣)، «منائح الكرم» للسنجاري (٤/ ٣٠).

وكان قد دخل شهارة، من أرض اليمن، في أحد الجمادين، سنة إحدى وثلاثين وألف، وامتدح بها إمامها، محمد بن القاسم، بقصيدةٍ راح بها ثغر مديحه ضاحكاً باسم، وطلب منه مساعدته على تخليص مكة له، وإبلاغه من تحليته بولايتها أمله، وكان ملكها ـ إذ ذاك ـ الشريف أحمد بن عبد المطلب، فأشار في بعض أبياته إليه، وطعن فيه بسنان بنانه عليه، ومطلع القصيدة:

سلا عن دمي ذاتَ الخلاخلِ والعقدِ ... بماذا استحلت أخذَ روحي بلا عمد

فإن أمنتْ أن لا تُقاد بما جنتْ ... فقد قيل أن لا يُقتل الحر بالعبد

منها مخاطباً للإمام، وطاعناً على سلطان مكة:

أغثْ مكةً وانهضْ فأنت مؤيدٌ ... من الله بالفتح المفوض والجدٌ

وقَدِّمْ أخا ودّ وأخّرْ مبغضاً ... يساوم طعناً في المؤيدِ والمهدي

ويطعن في كل الأئمة معلناً ... ويرضى عن ابن العاص والنجلِ من هند

فلم يحصل منه على طائل، إلا ما أجازه به من فضل ونائل، فعاد إلى مكة المشرفة، سنة تسع وثلاثين، وأقام بها سنتين، ثم توجه إلى الديار الرومية، في أواسط شهر ربيع الثاني سنة إحدى وأربعين وألف، ومدحه بقصيدةٍ فريدةٍ[1] أولها: ألا هبي، سأله فيها تولية مكة المشرفة، وأنشده إياها في أواخر شوال، سنة إحدى وأربعين وألف، وكان ابن عمه الشريف محسن بن الحسين بن

(١) لم يذكر المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ من الممدوح في القصيدة، والظن أنه السلطان العثماني في عصره، والله أعلم.

حسن، يطرب لأبيات ابن مطير، ويعجب بها، وهي:

ولـي كبـدٌ مقروحـة مـن يبيعنـي ... بهـا كبـداً ليـستْ بـذاتِ قـروحِ
أبـى النـاسُ ويـب اللهِ لا يـشترونها ... ومَـن يـشتري ذا علـةٍ بـصحيحِ
أحنُّ من الـشوق الـذي فـي جـوانحي ... حنـينَ غـصيصٍ بالـشراب قـريحِ

فسأل السيد أحمد تذييلها، فقال:

على سالفٍ لو كان يُشرى زمانُـه ... شـريتُ ولكـن لا يبـاع بروحـي
تقـضّى وأبقـى لاعجـاً يـستفزُّه ... تـألُّقُ بـرقٍ أو تنـسُّمُ ريـحِ
وقلباً إلى الأطلال والضالِ لم يزل ... نزوعـاً وعـن أفيـاهُ غيـرَ نـزوحِ
فليتَ بذاتِ الضال نخبُ أحبتي ... طلاحاً فنضوُ الـشوق غيرُ طليحِ
يجـسِّمه بـالأبرقينِ مُنيـزكٌ ... وبرقٌ سرى وهناً وصوتُ صدوحِ
وموقفُ بينٍ لـو رأى عنـه ملحـداً ... ولجـتُ بنفـسي فيـه غيـرَ شـحيحِ
صرمتُ به ربعي وواصلتُ أربُعـي ... وأرضيتُ تبريحي وغضتُ نصيحي
وباينـتُ سـلواني وكـلَّ ملـوح ... ولايمـتُ أشـجاني وكـلَّ مليـح
وكلَّفتُ نفسي فوقَ طوقي فلم أُطِقْ ... لعـدِّ سـجايا محـسنٍ بمـديحي

ومن شعره قوله:

ألا ليت شعري هـل أُلاقيـكَ مـرةً ... وصوتُك قبلَ الموتِ هل أنا سامعُ
فيا دهرَنا للشتِّ هـل أنـت جـامعٌ ... ويا دهرَنا بالوصِل هل أنت راجعُ[1]

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «راجع» صفحة وربع بياض بالأصل».

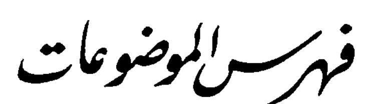
[٦٣٥] الشيخ أحمد بن علي الشناوي.

أخذ عن السيد صبغة الله، وعن الشيخ القطب محمد بن أبي الحسن البكري، وعن أحمد بن المقري، وله اليد الطولى في الطريق والكرامات، التي لا يحصرها عدّ لبلوغها النهايات، ومن أجلّها: أنه عاهد روحاني الأسماء أن لا يؤذوا مريده بشيءٍ من المخوفات، وتعهد عهد الرجعة، لمن صدق من مريديه في إخلاص النيات[١].

❐ ❐ ❐

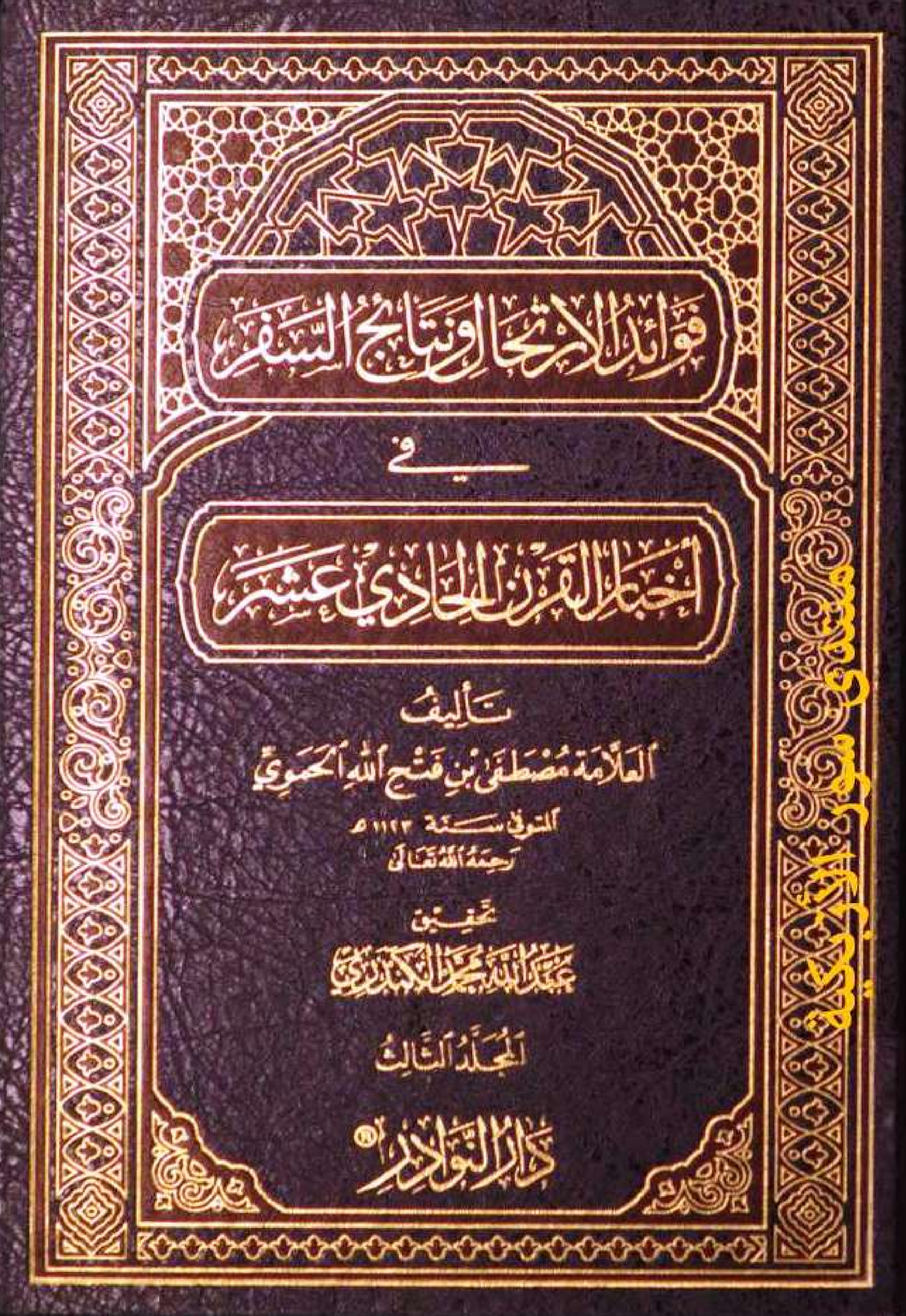
(١) تمّ الجزء الأول [من تجزئة المؤلف] من فوائد كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»، ويليه الجزء الثاني، أوله: إبراهيم.






فهرس الموضوعات

□ □ □


فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر
تأليف
العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي
المتوفى سنة ١١٢٣ هـ
رحمه الله تعالى
تحقيق
عبد الله محمد الكندري
المجلد الثالث
دار النوادر






فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٣ هـ

رحمه الله تعالى

المجلد الثالث

تحقيق

عبد الله محمد الكندري

دار النوادر®







الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

ردمك : ٩٧٨ ـ ٩٩٣٣ ـ ٤١٨ ـ ٩٤ ـ ٦ : ISBN
9789933418946



سورية ـ لبنان ـ الكويت

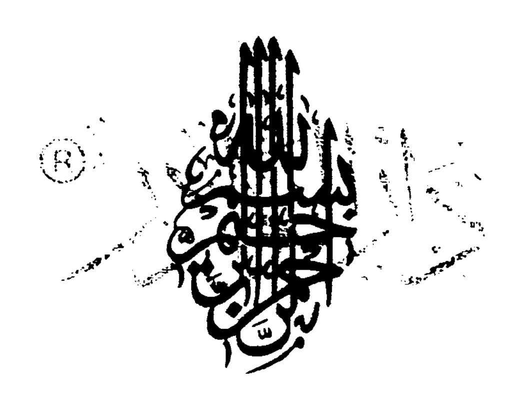
مؤسسة دار النوادر م. ف ـ سورية ● شركة دار النوادر اللبنانية ش. م. م ـ لبنان ● شركة دار النوادر الكويتية ذ. م. م ـ الكويت
سورية ـ دمشق ـ ص. ب: ٣٤٣٠٦ ـ هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ ـ فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان ـ بيروت ـ ص. ب: ١٤/٥١٨٠ ـ هاتف: ٦٥٢٥٢٨ ـ فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت ـ الصالحية ـ برج السحاب ـ ص. ب: ٤٣١٦ حولي ـ الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦
هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ ـ فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسسها سنة: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م نُورُ الدِّينِ طَالِب المدير العام والرئيس التنفيذي








بسم الله الرحمن الرحيم








وَبِهِ ثِقَتِي

حَرْفُ الهَمْزَة

[٦٣٦] إبراهيم بن محمد بن مشعل العبدلي السالمي المكي[١].

كان شاعراً ماهراً، لـه القصائد الطويلة، يمتدح بها الشريف حسن بن أبي نمي أمير مكة، وغيره من أكابر الأشراف الحسنيين، وغيرهم.

ومن شعره في مليحٍ يهوى الراح، وهو يهواه قوله:

شمس الطلا بدر غدا ... لم يصحُ من تعليلها
فالراحُ قتلة قاتلي ... وأنا قتيلُ قتيلها

ومثله قول الأديب محمد البوني المكي، وسبكه في قالب آخر وأجاد:

يا لَقومي إني قتيلٌ ببدرٍ ... هو أضحى قتيلَ شمسِ العُقارِ
علمَ الله أن قتلي حرامٌ ... فشغله بها لتأخذَ ثاري

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

لا أَرَّقَ اللهُ مَنْ بالسُّقمِ أَرَّقَني ... ولا شفى سُقْمَ لحظٍ منه أَسقمَني

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢١٩) (٣٠٢).

ولا طفى جمرَ خدٍّ منه ملتهباً   وإن يكنْ بالجفا والصدِّ أحرقَني
وزادَ في ضيق خصرٍ منه ضقتُ به   ذرعاً وأنحلَه حسناً كما أنحلَني
ولا غدا ألْعَس هاتيك الشفاه لما   وإن حَمَى رشفَها عني وأَعطَشَني
ولا اختفتْ من ثناياه بوارقُها   وإن بكيتُ لها بالعارِضِ الهَتِنِ
وشدَّ أقواسَ تلكَ الحاجبينِ وإنْ   غدتْ بنبل العيونِ السودِ ترشُقُني
ولم تزلْ شمسُ ذاكَ الحسنِ مشرقةً   في وجهه لو بدمعِ العين أشرقَني
ودأم أهيف ذاك القدِّ في ميدٍ   ولو أطارَ الحشا إذ سار كالغُصُنِ
وضاعفَ الله ذاكَ الحسنَ أجمعَه   ولو رماني بضعفِ الدرِّ في البدنِ
وأبقاه في دولة بالحسنِ زاهرةٍ   ولو جميلُ اصطباري عن لقاه فَني
وزاد ذاك المحيا بهجةً وسَنًا   وإن حمى عن جفوني لذةَ الوَسَنِ
يا من جميعُ معانيه فُتنتُ بها   لا أحمد الله يا محبوب ذي الفتن
بوجهك الحسن أحسن فيّ يا أملي   فإنه لائقٌ من وجهك الحسنِ

توفي سنة أربع وعشرين بعد الألف بالطائف، وقد جاوز السبعين ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

كم مهجةٍ بالغرام مُنْسَبِيَهْ   وما لمن يُقتل بالغرام دِيَهْ
فليحذرِ الحبُّ كلَّ محترسٍ   به ففيه الحتوفُ مُنْطَوِيَهْ
وفي رُبى شعبِ عامرٍ رَشَأٌ   له عيونٌ بالسحر مُمتلِيَهْ
في حسنهِ والجمال منتهياً   وعشقتي فيه غيرُ مُنتهيَهْ

كـم حـسنِ شـمسٍ عليـه مـشرقةٌ منهـا بـدورُ التمـام مُختفيَـهْ
إذا بـدا مقـبلاً ولاحَ ليـهْ جعلـتُ منـه الجبـينَ قِبْلتَيـهْ
مـا قلـتُ فيـه انتهـتُ صـبابتيَهْ إلاَّ وعـادَتْ إلـيَّ وَهْـيَ مُبتدِيَـهْ
لـي مهجـةٌ غرَّهـا بغرَّتِـهِ أهالـه عـن صـياد غُرَّتَيـهْ
ومـا هَـداني بـصبحِ طَلعتِـهِ إلا بليـلِ الـشعورِ ضَـلَّنيَهْ
فحبـذا ذاكَ الـضلالُ بـه لمهجـةٍ بالـضلالِ مُهتديَـهْ
أَهُـمُّ بالانثِنـا عنـهُ إلـى أن تبـدَّى بعِطْفيـهِ مُنْثَنِيَـهْ
ويرجـعُ الوجـدُ لـي بأجمعِـهِ أضـلَّ فـي صَـبوتي وحَيْرَتِيَـهْ
وأغيـدٍ ذُبْـتُ مـن مَحبتِـهِ ونفـسُه بالجمـالِ مُنتهيَـهْ
لُجَيْنـيُ اللَّـونِ أحـورٌ تَـرِفٌ خِلقتُـه بالجمـالِ مـستويَهْ
عيـونٌ بـالجلا مكحَّلَـةٌ وذاتُـه بالجمـال مُكتَـسِيَهْ
قـد اعتنـى بالهـا وروحـي عـن وصـالهِ الحلـوِ غيـرُ مُعتنيَـهْ
للحسن فـي وجنتيـه كـلُّ حلـى مـاءٌ ونـارٌ أحـار فِكْرَتِيَـهْ
فلـم أَنَـلْ مـاءَ وردِ وجنتِـهِ ومـن لَظاهـا حـشايَ ملتظِيَـهْ
لا تعجبـوا إن فنيـتُ فيـه هَـوًى فذاتُـه بـالغرام مقتـضِيَهْ
ووجنـة بالجمـالِ زاهـرة بنـرجسِ المقلتـين مُخْتَمِيَـهْ
وربَّ خِـدرٍ طَرقْـتُ بيـضَتَهُ والليـلُ ظَلمـاهُ غيـرُ مُنجليَـهْ
وحولهـا مـن حُماتهـا أُسُـدٌ على اضـطرام الحـروب منجليَـهْ
فانتبهـتْ مـن لذيـذِ نومتهـا تقـول مـن ذا يحـلُّ غرزتيَـهْ

فقلــتُ صـــبٌّ أذبــتَ مهجتَــهُ　　بالحـــسن يــا بغيتــي ومُنْيتيَــهْ
قالــت لقــد رُمــتَ مطلبــاً خطــرًا　　مــن دونــه المــوتُ يــا مُتَيَّمِيَــهْ
أمـــا رأيـــتَ الأســـودَ رابـــضةً　　أمـــا رأيـــتَ الـــسيوفَ مُنتــضيَهْ
فقلـــتُ إن المحـــبَّ مهجتُـــهُ　　بـــالموت فيمـــا يحـــبُّ مرتَــضيَهْ
وحبـــذا يـــا بنـــةَ الكـــرامِ إذا　　بلغـــتُ فـــي مُنيتـــي مَنِيَّتِيَــهْ
فيـــا حيـــاةَ النفـــوسِ إنـــي مـــن　　أعـــشقُ فـــي الغانيـــاتِ مُنْيتيَــهْ
فقالـــت اهـــلاً ومرحبـــاً بفتًـــى　　يعـــشق المـــوتَ فـــي مَحَبَّتِيَــهْ
وأرشـــفَتْني رحيـــقَ ريقَتِهـــا　　والـــنفسُ منـــي لـــذاكَ مُـــشتهيَهْ
فرحـــتُ نـــشوانَ مـــن مُقَبَّلِهـــا　　وريقِهـــا مـــا ألـــذَّ سَـــكْرَتيَهْ
وفـــي ثنايـــا نقـــي مبـــسمِها　　شـــهدٌ عليـــه النفـــوسُ محتويَــهْ
وما اجتنـي الـشهدَ قَـطُّ مـن بَـرَدٍ　　غيـــري فيـــا مـــا ألـــذّ جنبيَــهْ
فعنـــد ذا أنعمَـــتْ ومـــا بخلَـــتْ　　بوصـــلِها وهـــي غيـــرُ مـــستحيَهْ

وهي عروضُ قصيدة الأديب إبراهيم، التي مطلعها:

جَفَـــت حـــلالَ المنـــام مُقلتيَـــهْ　　مُـــذْ حـــلّ حـــبُّ المِـــلاحِ مُهجتيَـــهْ

وقد ذكرتها في ترجمته.

[٦٣٧] إبراهيم بن محمد الهمداني[١].

قال الشيخ علي في «سلافتـه»: جامـعُ شمل العلوم، المقتني نفـائس

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٨٠).

جواهرها، والمجتني أزاهر بواطنها وظواهرها، ملكَ أعنَّة الفضائل وتصرّف، وبيَّنَ غوامضَ المسائل، فأفهمَ وعرّف، وكان الشيخ محمد بهاء الدين بن حسين العاملي يشهد بفضله، ويعترف بسمو مقداره ونبله.

واتفق أن سلطان العجم عباس شاه قصد يوماً زيارته، فرأى بين يديه من الكتب ما ينوف على الألوف، فقال له السلطان: هل في العالم عَالمٌ يحفظ جميع ما في هذه الكتب؟ فقال له الشيخ: لا، وإن يكن، فهو المسؤول إبراهيم، وكانت وفاته سنة ست وعشرين بعد الألف.

ومن إنشائه قوله: نسأل الله فتح أبواب السرور، بقطع علائق عالم الزور، وحسم عوائق دار الغرور، وتبديل الأصدقاء المجازيين، بالأخلاء الروحانيين، والانزواء في زاوية العزلة، والانفراد عن جلساء السوء والزلة، وصرف الأوقات في تلافي ما فات، وإعداد الزاد ليوم المعاد؛ فإن ذلك أعظم المقاصد وأعلاها، وأهم المطالب وأولاها. انتهى.

[٦٣٨] السيد إبراهيم بن محمد بن عز الدين المؤيدي، المعروف بابن حُوريّة[١].

كان من أكابر العلماء، دعا إلى الإمامة في دولة الإمام المتوكل، وأجابه جماعةٌ من السادة وغيرهم، بسبب اختلال الشام، وتناظر هو والإمام المتوكل، ثم تنحى عن الإمامة وتابع، ثم استأذن الإمام في الرجوع، فتوجه إلى بَرَط، وأجابه قضاة بَرَط، ثم توجه إلى الشام، فجهز عليه الإمام المتوكل ابن أخيه

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٧٣) (١٦)، وذكر وفاته في ١٠٨٣هـ، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

أحمد بن الحسن، فأصلحه على أن يبقى آمناً مطمئناً، متنحياً عن الإمامة، وشرط الكفاية ولمن معه (١).

[٦٣٩] إبراهيم بن أبي اليمن بن محمد أبي السعادات بن المحب بن محمد بن الرضي محمد بن محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري(٢).

ذكره الإمام عبد القادر الطبري في تاريخ الطبريين، الذي سماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، فقال: كان فاضلاً مجيداً، وذكياً حميداً، مولده في سنة خمس وأربعين وتسع مئة، قرأ واشتغل بالعلم والآداب، وحفظ في صغره «الأربعين النووية»، و«عقائد النسفي»، و«بهجة الحاوي» لابن الوردي، و«حدود النحو» للفاكهي، وعرضها على الشيخ العلامة عز الدين عبد العزيز بن علي الزمزمي، وكتب له إجازةً منظومةً ستأتي في آخر الترجمة.

وأخذ عن شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي، وغيره من علماء عصره، وبرع في الفضل والأدب، وولي قضاء الشافعية بمكة مدةً خلافةً، وكانت له بين الناس جلالةٌ ورفعةٌ، وله نظمٌ فائقٌ جداً، ونكاتٌ مستملحةٌ، ورعايةٌ وافرةٌ من ولاة مكة وأشرافها، واتصالٌ تامٌ بهم.

وكان في شبيبته سافر إلى الدكن من ديار الهند، فنال من ملكها نظام شاه ألف دينار، وكان ذلك مصداق ما يقال مما هو مشتهر بين الناس: إن من يحفظ «بهجة ابن الوردي» لا بد له أن يملك ألف دينار، أو يلي القضاء، وقد

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا نصف صفحة بياض بالأصل».

(٢) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ٨.

حصلا معاً للمذكور، ورحل إلى «تريم» من بلاد حضرموت.

واجتمع بمدينة «عينات» بقطب ذلك الوقت، السيد أبي بكر بن سالم، وأنزله في داره، وكان نزوله عليه في شهر رمضان، فاتفقت له معه واقعة، كانت كرامةً باهرةً للسيد المذكور، وهي كما أخبر صاحب الترجمة، فقال: لما أنزلني السيد في داره، وكانت له غرفةٌ صغيرةٌ في أعلى الدار، طلبني وقت المغرب للإفطار، فصعدت إليه، فوجدته على حصير، وبجانبه سريرٌ مفروشٌ بجوخٍ أحمر، وكان القاضي حسين المالكي، والسيد علي خَرِد أوصياني عند إرادتي السفر من مكة أن أبلغ السيد السلام عنهما، إن اتفق اجتماعي به، فأبلغته سلام الأول، فرد عليه السلام، وسأل عن حاله، وأفاد أن ذلك الجوخ الأحمر المفروش على السرير من هديته له، وأُنسيت سلام الثاني، فقال لي: يا فقيه إبراهيم! بقي إبلاغ سلام شخصٍ آخر، فتذكرت، فقلت له: نعم، وأبلغته سلام الآخر، فرد السلام.

ثم فكر فقال: الله ما هذه همة لذلك الشاب، ونبيك إنه ما هو متطلع وناظر إلا إلى هذا الملك الذي نحن فيه، وما هو قانع بغيره، فحضرت القهوة، ولما أردت شربها، داخلني فكرة في حال زوجتي وبيتي بمكة، فتكدر بالي، فذكرت ذلك له، وزبدية القهوة في يديه، فلبسه حالٌ شديد، بحيث غاب عن مخاطبتي، فإذا هو قد ناولني الزبدية التي بيده، وقال لي: زوجتك طيبةٌ، وهذه زبدية قهوتها، الله يا فقيه! ما هذا الجمال البارع لها؟!.

قال: فشربت القهوة، وحفظت الزبدية معي إلى أن وصلت إلى مكة، فسألت زوجتي عن القصة، فقالت: كنت جالسةً في الدهليز على السرير بعد المغرب، وبعض الباب مفتوح، والجارية تصب في القهوة، وأنا أشرب،

فسمعت فقيراً على الباب يقول: من يفطر الصائم بزبدية قهوة؟ فأمرت الجارية، فملأت له زبديةً، وطلبته لمناولتها، فأدخل رأسه من فتح الباب، فرآني ورأيته، فرفعت ردائي إلى ستر وجهي عنه، فأخذ الزبدية، وانتظرت أن يعيدها، فخرجت الجارية إليه فلم تجده[1].

قال: فقلت لها: ذاك السيد أبو بكر بن سالم، وهذه الزبدية، وأخبرتها بالقصة، فنظرت إلى الزبدية، فعرفتها.

وذكر لي عنه: أنه قال له: إذا أصابتك شدةٌ، فاستهد بي، قال: فمرضت مرضاً شفيت منه، فرأيته يقظةً ثلاث مرات، على ثلاث صور مختلفة، الأولى: على الصورة التي رأيته عليها عند اجتماعي به، الثانية: على صورة الفقهاء؛ من جهة الثياب والعمامة الكبيرة، الثالثة: على صورة التجار، في ملابسهم وعمائمهم، فما مضت ساعةٌ إلا وقد أفقت مما كنت فيه من كرب المرض، كأنما نشطت من عقال.

وكانت له مراسلاتٌ مع الفضلاء من أصحابه، مشحونةٌ باللطائف، ويراسلونه بمثلها، ومما وقفت عليه: بعض مراسلةٍ وصلت من ديار الهند إليه، من صاحبه الشيخ محمد بن عبد اللطيف، عرف بمخدوم زاده، وذلك قوله:

إمام المسلمين ومُقتداهم ومن بعلاهُ تفتخر المعالي
أيجهل قدره حاشا وكَلاً وقدرُ مقامِ إبراهيمَ عالي

(١) إذا لم تكن هذه الحكايات من صناعة أدعياء التصوف وأهل الكشوف، أو أنها تعامل مع الجن، وإلا فهي من تطاول على العقول، وخروج من الدين الصحيح نسأل الله السلامة.

وكانت وفاته سنة أربع وعشرين بعد الألف، صلى عليه قريبه الإمام محمد ابن عبدالله الطبري، في ساباط مقام إبراهيم، على عوائد سلفه الطبريين، بعد أن نادى له الرئيس على ظلة زمزم، وكانت جنازته حافلةً، ودفن في قبر المحب الطبري ـ رحمه الله ـ.

وصورة إجازة الشيخ عبد العزيز الزمزمي، الموعود بها، وأثبتها لحسنها، وبديع ألفاظها، وهي:

حمـــداً لمـــن بَـــوَّأ إبراهيمــا ... بيتـــاً شـــريفًا زاده تعظيمـــا
أول بيـــتٍ ثابـــتِ الأســـاسِ ... بيكـــةٍ أشـــاده للنـــاسِ
مباركًـــا ســـؤدده قـــديمُ ... ويُمنُـــه وخيـــرُه عظـــيمُ
عـــالٍ علـــى كـــلِّ البيـــوت ســـامي ... بمـــا لَـــهُ مـــن رفعـــةِ المقـــامِ
أحمـــدُه ســـبحانه وأشـــكرُهُ ... وبالجميـــل مـــن ثنـــائي أذكـــرُهُ
فكـــم أيـــادٍ جمـــةٍ جزيلَـــةْ ... لـــه علينـــا كلُّهـــا جليلَـــةْ
منهـــا امتنانُـــه علـــى الآبـــاءِ ... بعـــد الفنـــاءِ بـــالحفظِ فـــي الأبنـــاءِ
حتـــى نحـــا نحـــوَهم علـــى سَـــنَنْ ... وصار في النـــاس حـــديثُهم حَسَـــنْ
وأَمَّ كـــلٌّ مـــنهم المحجَّـــةْ ... وصـــار فـــيهم حاويـــاً للبهجَـــةْ
وأحـــسنوا نهايـــةَ الإحـــسانِ ... بحفظهـــم عقائـــدَ الإيمـــانِ
واســـتكملوا معـــارجَ الـــصعودِ ... حتـــى انتهـــوا لمنتهـــى الحـــدودِ
وبعـــد حمـــدي للإلـــه أشـــهدُ ... أن إلهـــاً غيـــرَه لا يُعبـــدُ
وأن خيـــرَ الأنبيـــا محمـــدًا ... رسولُه الـــداعي إلـــى نهـــجِ الهـــدى

أفصحُ من أعربَ باللسانِ   وشادَ باللفظ بنا المعاني
إرشادُه لأوضحِ المسالكْ   دلَّ على التسهيلِ كلَّ سالكْ
صلَّى عليه ربُّنا وسلَّما   وآلهِ والصحبِ أنجمِ السما
ما زين الحفاظ أفقَ العلم   ولاحَ منهم نجمٌ فهمِ
ويعدُ فالعلمُ له مقامُ   تعرفُه الخواصُّ والعوامُّ
دل على تفضيله البرهانُ   وسنةُ النبي والقرآنُ
هل يستوي الذينَ يعلمونَ   وعصبةٌ بالعلم جهلونا[1]
لا تدعُ إلا العُلَما أُناسا   بغيرِهم لا ترفعَنَّ راسا
هم وارثو ما خَلَّفته الأنبيا   فهم بذاك الإرثِ أَغنى الأغنيا
صغيرُهم حازَ التقى والدِّينا   كيف الذي أكملَ أربعينا
طريقُهم إلى الجنان سالكَهْ   مهادُها أجنحةُ الملائكَهْ
تدعو لهم صوامتُ الحيتانِ   وسائرُ الوحوشِ بالغفرانِ
فكلُّ مَنْ بالعلم قد تزَيَّنا   قد عَمَّه وخصَّه هذا الهنا
وأنَّ مِمَّنْ سامَ هذي الرتبهْ   ونحوَها سار أمامَ الحَلْبَهْ
مقتفياً له أباً وجدًّا   إلى المعالي شَمَّرا وجَدَّا
الولدَ الموفَّقْ النجيبْ   اللوذعيَّ الفَطِنَ اللبيبْ
وهو الذي قد عُرفت حقائقُهْ   في عينه وشيم منه بارقُهْ
نَما هلالُه نموًّا قائلا   سوف ترون البدرَ مني كاملا

(١) في الأصل: يجهلون، وكتب على الهامش: جهلونا.

قـد فـاقَ فـي ابتدائـه الأبنـاءَ   لمـا اقتفـى فـي سره الآبـاءَ
سـلالةُ الأئمـةِ العظـامِ   قـدوةُ أهـلِ المسجدِ الحـرامِ
بهـم قـديماً أشـرقَتْ أقطـارُهُ   هـم خطبـاؤه وهـم نُظَّـارُهُ
وهـم قـضاتُه وهـو مفتـوه   وعـالموه ومدرِّسـوهُ
مقـامُهم رفعتُـه معلومَـهْ   وبيـنَهم شـهرتُه عظيمـهْ
كـلُّ رياسـةٍ بـه فعـنهمُ   مـأخوذةٌ وتُـستفاد مـنهمُ
شـيد هـذا البيـتَ إبـراهيمُ   وهـو الـذي بَـشَّره العلـيمُ
بأنـه جاعلُـه إمامـا   ينـوي بـه أهـلُ التقـى إئتمامـا
مقتـديًا فـي هـذه الإمامَـهْ   بالقـدوة العَلاَّمـة الفهَّامَـهْ
أبيـه ذي الهمـةِ والمـروَّهْ   والعـزمِ والنجـدةِ والفتـوَّهْ
واسـطةِ العقـدِ الـذي قـد انـتظَمْ   ممـن لـه فـي العلـم بـاعٌ وقَـدَمْ
صـدرِ المدرِّسـين رأسِ الفُـضَلا   إنـسانِ عـينِ النـبلاءِ العُقَـلا
قـد كـان عمْـر الله فـي الحجـازِ   بقيـةً مـن ذلـك الطـرازِ
مرجـعَ أهـلِ البلـدِ الأمـينِ   أعنـي أبـا الـيُمْنِ أمـينَ الـدينِ
إمـامَ بيـتِ ربِّـنا الجليـلِ   خلـفَ مقـامِ الـسيدِ الخليـلِ
الـشافعيَّ الأشـعريَّ المَكِّـي   الطبـريَّ ذي الثنـاء المِـسْكي
يرحمـه اللهُ ويُبقـي نجلَـهُ   فرعًـا يُـضاهي فـي النمـو أصلَـهُ
وإننـي أرجـوه يُحيـي المَيْتـا   مـن أقدميـه ويُـشيد البيتـا
ومـا أشـكُّ أنـه قـد لُحِظـا   فإنـه أتقـنَ مـا قـد حُفِظـا

مــن كتــب نفيــسةٍ مفيــدةِ ... جامعـــةٍ مـــوجزةٍ فريـــدةِ
«الأربعين» فـي الحـديث النبـوي ... جمـعِ محقِّـقِ العلـوم النـووي
ثــم «عقائــد الإمــام النــسفي» ... خاتمـــةِ المحققـــين الحنفـــي
والثالث «البهجـةُ لابـن الـوردي» ... نــادرةِ العــصرِ الإمــامِ الفــردِ
ويعدَها «الحدود في النحو» لمـن ... جَمَّــلَ قطرَنــا وزَيَّــنَ الــزمنْ
صدرِ الدروسِ ذي التصانيفِ التي ... ســارت مــسيرَ الـشمسِ المنيـرةِ
صاحبِنا الـسامي عـن المُـضاهي ... الفـــاكهيِّ الـــشيخِ عبـــدِالله
جُوزوا جميعاً أحسنَ الجـزاء عـن ... مـا قَلَّـدوا بـه الرقـابَ مـن مِنَنْ
وقــد بلــوتُ حفظَــه إذ عَرَضـا ... علـيَّ منهـا مـا أصـابَ الغرضـا
وكــان حفظًــا جيــدًا أو عَرْضــا ... عنــه جميــعُ الـسامعين يرضـى
أداه عــــن رويّــــةٍ وعارضَــــهْ ... لكــل تحريــفٍ ولحــنٍ رافــضَهْ
بمنطِــقٍ عــذبٍ ولفــظٍ جَــزْلِ ... وحُــسْنِ ســمتٍ ووُفــور عقــلِ
فــي طلــقٍ طــال امتــدادُ ركــضِه ... فلم يقصِّرْ بل جرى فـي عرضِــهِ
وانــصبَّ كــالجوادِ فــي مــضمارِه ... وانسابَ مثلَ السيل فـي انحـدارِهِ
دلنــي العــرضُ بهــذي الـصورهْ ... لجملـــةِ المواضـــعِ المـــذكورَهْ
أنَّ جميــعَ الكتــبِ المــسميَّهْ ... فـــي ذهنـــه محفوظـــةٌ البقيـــهْ
وقــــد أجزتُــــه أقَــــرَّ اللهُ ... بــــه عيــــونَ أســــرةٍ تهــــواهُ
عَنِّـيَ يـروي الكتـبَ الزهـرَ التـي ... بحفظِهـــا نـــالَ رفيـــعَ الرتبـــةِ
وكــلَّ مــا عنِّــي ولــي روايتُــهْ ... تجـــوز ممـــا طُلبـــت إفادتُـــهْ

وكــلَّ منشــورٍ وكــلَّ نَظْــمِ ... بــشرطِه عنــدَ رجــالِ العلــمِ
وربَّنــا المــسؤول أن يؤهِّلَــهْ ... لفهـم مـا فـي حفظه قـد حصَّلَهْ
وكـان هـذا العـرضُ فـي شـعبانِ ... فـي عـشرِهِ الأخيـرِ أو فـي الثـاني
في عام خمسين وتسع قـد خلـتْ ... معهـا مـن المئين تـسعٌ كَمُلَـتْ
الله يَقــضيها بخيــر ورَقَــمْ ... ذلــك مــن دُرٍّ عقــدٍ نظــمْ
الملتجــي للــركن والملتَــزَمِ ... عبـدُ العزيـز العلـيُّ الزمزمـي
ســامحه إلهــه ولَطَفــا ... بــه وعــن كــلِّ ذنوبــه عفــا
ووالديــه والــشيوخِ أجمعــا ... والمـسلمين وانتهـى هنـا الـدُّعا
علــى النبــيِّ المــصطفى والآل ... وصَــحْبه ســادتِنا المــوالي
مــا اشــتدَّ أَزْرُ فــاهمٍ بحفــظ ... وأفــزّ عــن معنــى كمــام لفــظِ

وعدة أبياتها تسعة وسبعون، ومن غريب الاتفاق: أن صاحب الترجمة دفـع هذه الإجـازة إلي في أول العام الـذي توفي فيـه، فأشرفتها على بعض الأصحاب، فقرأها، ونظر إلى ما كتبه الناظم بعدها، وهو قوله: «عدة أبياتها تسعة وسبعون»، فقال: يحتمل أن يكون فيه إشارةٌ إلى أن المُجاز يعيش تسعاً وسبعين سنةً، فاتفق أن كان الأمر كذلك. انتهى.

[٦٤٠] إبراهيم أبو الإمداد اللقاني ـ رحمه الله ـ ابن إبراهيم بن حسن ابن علي بن علي بن علي بن عبد القدوس ابن الولي الشهير محمد بن هارون المترجم في «طبقات سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني»[1].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦)، =

وهو الذي كان يقوم لوالد سيدي إبراهيم الدسوقي إذا مرّ عليه، ويقول في ظهره: ولي يبلغ صيته المشرق والمغرب.

واللقاني: نسبة إلى «القانة» ـ بتخفيف القاف ـ بالبحيرة من أعمال مصر، وليس هو من لقانة، وإنما هو من قريةٍ صغيرةٍ بجوارها، قيل: تسمى: المعصرة.

قدم من الريف للجامع الأزهر، سنة ثمان وثمانين وتسع مئة، وهو إمام الزمان، وفريد الأوان، المالكي شيخ البرقوقية، وشيخ الحديث في القديم والحديث، بل خاتمة المحدثين، وسيد الفقهاء والمتكلمين، وإمام الأئمة، وموضح المشكلات المدلهمة.

كان ﷺ شيخاً كبيراً، عظيم القدر مشهوراً، مسموع القول في طائفة العلماء، مهاباً عند السلاطين والوزراء، يأتونه إلى مكانه خاضعين له، مقبِّلين لأقدامه، وهو غير مكترث بهم، ولا ملتفت إليهم، وكانت ورقته إليهم لا تزيد على الكف، سواء كانت لكبيرٍ أو صغير.

انتهت إليه في عصره رياسة العلم، ووصل إلى الغاية القصوى في العلوم الدينية، والفنون العقلية، ولم يقاربه أحدٌ في ذلك من أهل مصره؛ من الورع التام، والسلوك مسلك السلف الصالح الكرام، وغلب عليه علم الحديث، فكان ديدَنه، لا ينفك عن إقراء كتبه، وإملاء صحاحه، والناس في درسه كأن على رؤوسهم الطير.

وأوقاته كلها مستغرقة بالعلم، يكتب بخطه كثيراً مع السرعة، وإن كان

* «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٢٩٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٨).

خطه ضعيفاً، لكنه ذو حظٍّ عظيمٍ، ولم يكن أحد من علماء عصره أكثر تلامذة منه، وكان مفرداً في التقرير، وحسن الإلقاء حفظاً، وعبارته أمتن من كتابته، يفهم منه العوام، كما يفهم منه الخواص، وانتفع به في الحديث خلائق لا يحصون، وكان في فقه مالك أكرم سيدٍ مالك، حافظاً «مختصر خليل» عن ظهر قلب، عمدةً في الفتاوى، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، غايةً في علوم الطريقة، معتقداً للصوفية، ومعتقداً لخاصة الناس وعامتهم، محبوباً لهم، وله كراماتٌ خارقةٌ، ومكاشفاتٌ صادقةٌ.

وكان ينسب هو وقبيلته إلى الشرف، لكنه لا يُظهره تواضعاً منه، واكتفاءً بشرف العلم الذي لا يوازيه شيء، وكان لا يشرب القهوة، وقائلاً بتحريم الدخان، وله فيه رسالةٌ أحسنَ فيها كلَّ الإحسان، وتعقبه فيها جمعٌ من أهل عصره، منهم: النور علي الأجهوري، فألف رسالتين بالجواز، ومنهم: الإمام عبد القادر الطبري المكي، وإذا مر في السوق في الوقت الذي يخرج فيه من بيته إلى الجامع الأزهر، يخفيه بياعوه عند مروره خوفاً منه، وقام الناس له صفوفاً.

وكان متباعداً عن الناس، لا يأتي الجامع إلا في وقت الدرس، قال الشيخ أبو الإسعاد بن وفا: عاش وحده، ومات وحده، وكان حسن الصورة جداً، وجيهاً مهاباً، لا يستطيع أحدٌ النظر إليه، هذا مع زيادة تواضعه، وهو ممن أقام في عصره دولة العلم، وصانه عن الابتذال، وخضعت له فحول الرجال، وعلى كل حال، فمناقبه وفضائله عدد الرمال، وإن تبسط فيه المقال.

أخبرني شيخنا أحمد البشبيشي ـ قدس الله روحه ـ: أن مما اتفق: أن الشيخ العلامة حجازي الواعظ وقف يوماً على درسه، فقال له صاحب الترجمة:

يا سيدي! إما أن تذهب، أو تجلس، فقال له: اصبر ساعة، ثم قال له: والله يا إبراهيم! ما وقفت على درسك، إلا وقد رأيت رسول الله ﷺ واقفاً عليه، وهو يسمعك، فوقفت حتى ذهب ﷺ[1].

وقد وقفت على إجازةٍ منه لأولاد الشيخ العارف بالله سيدي علي بهلول المغربي، ولأهل قطرهم، قال فيها: اعلم أني أدركت من علماء القرن العاشر أكابر ثقات، وأجلاء أثبات، أجلُّهم: علامة الإسلام، والمقدم على الخاص والعام، ولي الله بلا نـزاع، والعارف بـه من غير دفاع، شمس الملة والدين محمد البكري الصديقي ـ نفعنا الله ببركاته ـ.

ومنهم: الشيخ العلامة شيخ الإسلام محمد ابن شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد الرملي.

ومنهم: العلامة شيخ الإسلام نور الدين علي المقدسي.

ومنهم: العلامة شيخ الإسلام محمد النحريري.

الأولان شافعيان، والآخران حنفيان.

ومنهم: شيخنا العلامة شيخ الإسلام الشيخ محمد الخفاجي الشافعي.

ومنهم: شيخ الإسلام العلامة الفهامة، الولي الخاشع، الشفوق الرحيم، المبتلى بالأمراض والأسقام، الشيخ أبو بكر الشنواني الرفاعي الشافعي.

ومنهم: الشيخ العمدة الرحلة العلامـة شيخ الإسلام الشيخ أبو النصر الطبلاوي.

---

(١) رحم الله المصنف وغفر له في ذكر هذه الحكايات في كتابه.

ومنهم: الشيخ العلامة الشيخ، محمد العسيلي.

ومنهم: الشيخ العلامة الشيخ محمد الجبرتي.

ومنهم: الشيخ العلامة محمد البهنسي الشافعي نزيل الحرم المكي.

ومنهم: الشيخ العلامة أحمد الخطيب الشربيني.

ومنهم: الشيخ العلامة عبد الرحمن الشربيني.

ومنهم: الشيخ العلامة أبو الطيب الشربيني.

ومنهم: الشيخ العلامة نور الدين الزيادي.

ومنهم: الشيخ العلامة عمر بن الجابي الحنفي.

ومنهم: الشيخ العلامة أحمد السنهوري المالكي.

ومنهم: الشيخ العلامة طه المالكي.

ومنهم: الشيخ العلامة أحمد المعناوي.

ومنهم: الشيخ العلامة جامع الدميري، أخو الشيخ أبي الفتح الدميري.

ومنهم: الشيخ العلامة عبد الدائم البقري.

ومنهم: الشيخ العلامة العارف بالله، ووليه الدال عليه، القطب الرباني، محمد البنوفري.

ومنهم: الشيخ العلامة إبراهيم العلقمي، أخو الشيخ شمس الدين العلقمي، شارح «الجامع الصغير».

ومنهم: الشيخ عبدالله الشنشوري، شارح «الترتيب».

ومنهم: الشيخ صالح البلقيني.

ومنهم: الشيخ أبو المحاسن.

ومنهم: الشيخ أحمد الزرقاني.

ومنهم: الشيخ أحمد البلقيني الوزري.

ومنهم: الشيخ محمد بن الترجمان.

وكل هؤلاء، وغيرهم كثير، تعلم أسماؤهم من الجزء الذي ألفته في مشيختي، المسمى بـ: «نشر المآثر فيمن أدركته من علماء القرن العاشر» ممن أخذت عنه تفسيراً أو حديثاً، أو فقهاً أو أصولاً، أو كلاماً أو تصوفاً، أو نحواً أو صرفاً، أو معاني أو بياناً، أو بديعاً أو عروضاً، أو فرائض أو تاريخاً، أو حكمةً أو هيئةً، أو منطقاً أو لغةً، كما يُعلم تفصيل ذلك من الجزء المذكور.

ولكن لم أكثر عن أحدٍ منهم ما أكثرتُ عن الإمام العلامة الهمام، نجم السنة، حسين الأفول، الجامع بين المعقول والمنقول، شيخ الإسلام سالم السنهوري، ويليه الشيخ محمد البهنسي؛ لأنه كان كل ثلاث سنين، يختم كتاباً من أمهات الحديث، في رجب وشعبان ورمضان، ليلاً ونهاراً، ويليه شيخ الإسلام يحيى القرافي، إمام الناس في الحديث، إتقاناً وتحريراً، شيخ رواق ابن معمر بالجامع الأزهر.

ثم ذكر مؤلفاته، فقال:

منها: حاشيته على شرح السعد لعقائد النسفي التي سميتها بـ: «تعليق الفرائد على شرح العقائد».

ومنها: «شروحي الثلاثة لجوهرة التوحيد» التي أنشأتها نظماً، في ليلةٍ، بإشارة شيخي في التصوف والتربية، الولي صاحب المكاشفات، وخوارق

العادات، الشيخ أحمد الشرنوبي ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ، وأوصاني لما فرغت منها، وهو قائمٌ يصلي، بأني لا أعتذر لأحدٍ عن ذنبٍ أو عيبٍ بلغه عني، بل أعترف بـه، وأظهر التصديق، على طريق التوريـة؛ تركاً لتزكية النفس، فما خالفته بعد ذلك أبداً.

ومنها: «حاشية على شرح ابن حجر العسقلاني لنخبة الفكر في مصطلح الأثر».

ومنها: «منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى».

ومنها: «عقد الجمان في مسائل حملاء الضمان».

ومنها: «حاشية تصريف العزي لسعد الدين التفتازاني».

ومنها: «نصيحة الإخوان بترك شرب الدخان».

ومنها: شرح الآجرومية المسمى: «توضيح ألفاظ الآجرومية الموضوعة للتدرب في علم العربية».

ومنها: «بهجة المحافل بالتعريف برجال الشمائل». انتهى.

قلت: وله «حاشيةٌ على شرح جامع الجوامع» لم تتم، و«حاشيةٌ على مختصر خليل» في الفقه مفيدةٌ جداً، ولما طالع شيخنا أحمد البشبيشي حاشيته على شرح النخبة، أعجبته كثيراً، وقال لي: إني ما عرفت قـوة مهارتـه في العلوم، ودقة نظره فيها، إلا من هذه الحاشية؛ لما فيها من غريب الفوائد، وكان يحث طلبته على تحصيلها.

وممن أخذ عنه: ولده عبد السلام، والعلامة يوسف الفيشي، وحسن النماوي، وحسين الخفـاجي، وياسين الحمصي، ومحمـد البابلي، وعلي

الشبراملسي، ومحمد الخرشي، وعبد المعطي المالكي.

وأخبرنا شيخنا إبراهيم الميموني ـ رحمه الله ـ: أنه حج سنة أربعين وألف، وكان في تلك السنة صاحبُ الترجمة حاجاً، قال: فلما قدمنا مكة، جاء العلماء يهرعون للسلام عليه، والتماس بركته، فكان إذا سئل عن شيءٍ مما يتعلق بالبيت الحرام أو مكة، يقول لهم: اسألوا مولانا، ويشير إليّ، ويقول: إن له في ذلك تأليفاً عجيباً، يعني: كتابي الذي ألفته لما سقط البيت الشريف، في حكم بنائه وما يتعلق به.

قال: فلما وصلنا إلى المدينة المشرفة، دخلت المسجد النبوي يوم الجمعة، فوجدت الزحام، فجعلت ألتفت يميناً وشمالاً، هل أرى موضعاً أجلس فيه، وكان المترجم سبقني إلى المسجد، فلما رآني، أشار إليّ، فجئت إليه، ففسح لي بينه وبين ولده عبد السلام، وأجلسني بإزائه، فلما اطمأن بنا المجلس، سألته الدعاء لي ولأولادي، أن يسلمنا الله، ويبلغنا الوصول إلى بلدنا، فقال لي: أما أنت، فترجع سالماً وأولادك، وأما أنا، فأموت، فقلت له: يا سيدي! هذه حضرة الرسالة، ادعُ الله أن يبلغك إلى أهلك، فقال: لهذا خرجت.

ولما اشتد به المرض في الدرب، وكان لا يستطيع الركوب، جاؤوه بمحفةٍ ليركب فيها، فلما رآها، تذكّر ما كان يقول له بعض أهل الجذب بمصر، وكان يقف عنده في مجلس تدريسه، ويقول: يا إبراهيم! إذا حججت وركبت في محفةٍ، فإنك تموت، فارتاع عند رؤيته لذلك، ولم يمكنه إلا الركوب؛ للمشقة التي لحقته، وكان مرضه يبس الطبيعة.

قال: ولما مات من الليل، انقضَّ من السماء كوكبٌ عظيمٌ أفزع الناس،

فكبّروا، فبينما نحن كذلك، إذ[1] سمعنا قائلاً يقـول: مات الشيخ اللقاني، وكانت وفاته بالشرفة، في رجوعه من ثاني حجتيه، ليلة الاثنين، ودفن بعد ظهر يومها، بعقبة أيلة، ختام شهر محرم، افتتاح سنة إحدى وأربعين بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس الشيخ أبو الإسعاد بن وفا، وحضر غالب أهل الحج وأعيانهم مشهده، وحمل نعشه أمير الحج رضوان بك، وقبره بها معروف، يزوره الحجاج، ويتبركون به، رحم الله روحه الطاهرة، وألحقنا به في درجات الآخرة.

[٦٤١] إبراهيم بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الرحمن الميموني الشافعي[2].

الشيخ الإمام، العلامة الفهامـة المحقـق، شيخ الإسلام والمسلمين، وبقية السلف الصالحين، وخاتمة المحققين، كان فريد عصره في علوم التفسير والعربية، حافظاً مفنناً متضلعاً من العلوم العقلية، مشهوراً بالعلم عند الكبراء، خصوصاً القضاة وأرباب الدولة، مترفهاً في عيشه، كريم النفس، رقيق الطبع، حسن الخَلق والخُلق، فصيح اللسان، وجيهاً مجللاً عند عامة الناس وخاصتهم، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة.

وإذا حضر مجلساً فيه علماء، يكون هو المتكلم من بينهم، والمشار إليه فيهم، وكانت قضـاة العساكر بمصر، إذا عرض لهم مهمٌّ من سؤال علمي، خصوصاً التفسير، سألوه، فيجيبهم عن سؤالهم، ويؤلف في غالب المسائل

(١) في الأصل: إذا، والصواب ما أثبتناه.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣١).

رسائل مفيدة، وكان ممن جمع الله له حسن التقرير، وتحبير التأليف والتحرير، إلى غير ذلك من الكمالات العلمية.

ولد سنة إحدى وتسعين وتسع مئة ـ بتقديم التاء فيهما ـ بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن بالروايات، على سيف الدين البصير المقري، ولازم والده، وأخذ من علومه طريفَه وتالدَه، سنين عديدة، وكان يحضر معه ـ وهو صغير ـ دروس الشمس محمد الرملي، وأجازه بمروياته، وأخذ عن أبي بكر الشنواني، وأحمد الغنيمي، ومنصور الطبلاوي، وأحمد المتبولي شارح «الجامع الصغير»، وغيرهم، وأجازه جل شيوخه، وشهدوا له بكمال الفضيلة، كما رأيت ذلك بخط بعض شيوخه.

وكان يدرِّس في الجامع الأزهر فنونَ العلوم العربية، وممن حضر مجلسه في بعض «المختصر للسعد»: شيخُنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وكان المترجَم يفتخر بذلك، ثم وقع بينهما ما يقع بين المتعاصرين، وكان ـ في الغالب ـ ينكت على شيخنا.

وقد قال الحافظ ابن حجر: قول الأقران بعضهم في بعض غير مقبول، قال: وما علمت عصراً سلم أهله من ذلك.

وممن لازمه، وأكثر الأخذ عنه: شيخنا خاتمة اللغويين والأدباء، عبد القادر البغدادي، وفقيه الحنفية في عصره، شاهين الأرمناوي.

ثم ترك التدريس في الجامع الأزهر؛ لكبره، وصار يقرئ في بيته، عند حوض السلطان، بقرب الجامع الأزهر، كل يوم، من طلوع الشمس إلى قبيل الظهر، فنونَ العلوم، وكان ملازماً للمطالعة في الليل والنهار، مع كبر سنه،

وكان له ولدٌ فاضلٌ اسمه أحمد، وهو معيد درسه، مات قبله بنحو ثلاثة أشهر، وجزع عليه كثيراً، وكان بيني وبينه مودةٌ شديدةٌ، وصحبةٌ أكيدةٌ، وحضرت مع من حضرني، مجلس التعزية، فخاطبني متوجعاً ومنشداً قول المتنبي:

لولا مفارقةُ الأحبابِ مـا وجـدَتْ لهـا المنايـا إلـى أرواحنـا سُـبُلا

وحضرت دروسه كثيراً، وكان يدعو لي، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل في فنون العلوم شهيرة، منها: «حاشيةٌ على المواهب اللدنية للقسطلاني»، و«حاشيةٌ على المختصر للسعد»، و«حاشيةٌ على تفسير البيضاوي»، و«معراجٌ» في مجلدٍ ضخم.

واستمر ممتعاً بحواسـه، مجداً في بـث العلم ونشره، حتى توفي ليلة الثلاثاء، ثامن عشر شهر رمضان، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، وصلى عليه يومها بين العصرين، في مشهدٍ حافلٍ بالجامع الأزهر، إماماً بالناس، شيخُنا منصور الطوخي، ودفن بتربة المجاورين.

والميموني: نسبة لميمون من بلاد صعيد مصر.

ولما قدم العلامة عبدالله بن محمد العياشي من المغرب، لازمه، وأخذ عنه، وكتب له مهنئاً بعيد الفطر قوله:

سلام عليكم أيها الأوحدُ الـصدرُ ومن شرفت قـدرًا بتـشريفه مـصرُ
ومن أشرقت شرقًا وغربًـا علومـه فكان له في نشرها الصيتُ والأجرُ
ومَنْ إن يُقَس أهلُ العلوم به غدوا كنجم السهى في جَنبه وَهُوَ البـدرُ
يـدل علـى هـذا ذكـاءٌ وفطنـةٌ وعلـم وحلـم والمهابـةُ والـصبرُ

له إلى غير هذا من خصالٍ حميدةٍ سواها وما قدَّمتُ منها هـو النَّـزْرُ
فـأكرمْ بـإبراهيمَ أفـضلِ مَـنْ عـلا عَلِـيَّ مقـامٍ قـد أحـاط بـه الفخـرُ
إمامي أبي إسحاق خيـرِ مـشايخي علا قدره في عصره مـن لـه قـدر
أيا شيخ الاسلام الـذي عَـزَّ مثلُـه علوتَ مقاماً شـامخًا دونـه النَّـسْرُ
هنيئاً لك العيـد الـسعيد ومـثلُكم تُهَنَّى بـه الأعيـادُ والعـامُ والـشهرُ
فـلا زلـتَ ذا أمـنٍ يـسرُّك دائمًـا ويعلـو محيـاك المهابـةُ والبِـشْرُ
وأبقـــاك ربـــي كعبـــةً لعبـــادِه يطوف بها مَن مَسَّه الجهلُ والفقـرُ
وعافاكَ في أهلٍ وجسمٍ وكلِّ مَـن يلوذُ بكم من شرٍّ ما يجلبُ الـدهرُ

وذكره الشيخ عبدالله المذكور في «رحلته»، فقال: إنه ممن انفرد بتحقيق فني المعاني والبيـان، بالديـار المصريـة، بل في غيرهـا، على ما شهـد بـه الاختبار، وصدقته الأخبار، يستحضر قواعد الفن وأصولـه، محققاً فروعه وفصوله، قلما يورد بحثاً من الأبحاث المتعلقة بذلك، إلا وقال: أصل هذا البحث لفلان، وقد عارضه فلان، والتحقيق مع فلان، منصوراً ذلك بالبراهين الساطعة، والأدلة القاطعة.

أخبرني في سنة أربع وستين، وقد جرى ذكر هذا الفن بين يديه، فقلت له: هل يشتغل أحدٌ في هذه الديار الآن بقراءة «شرح المفتاح»؟ فقال ـ وأخذ بلحيته ـ: ما أشابَ هذه اللحيـةَ، إلا التوفيقُ بين شرحَي السيد والسعد على المفتاح، وكان ذلك حيث القلوب من الأكدار صافية، وبرودُ الاشتغال ضافية، وأما الآن، فقصارى همة من يتعاطى هذا الفن، «مختصر السعد»، وما يشاكله من المختصرات.

فقلت له: وأي كتاب ترى لطالب تحصيل هذا الفن الاشتغال به؟ فقال لي: لا شك أن درر هذا الفن كانت منتشرة في تآليف الأقدمين، فقَصُرت عن تناولها أيدي المنتحلين، فلما جاء صاحب «المفتاح»، جمع من تلك الدرر كل يتيمةٍ علت قدراً، وغلت قيمةً، وأضاف إليها مما ارتضاه شيئاً كثيراً، ولم يغفل من المحتاج إليه إلا شيئاً يسيراً.

فتنافس الناس بعده في شرح كتابه، وحلِّ مقفلات عباراته، واختلفت أنظارهم، وتباينت مذاهبهم، ثم اختصره القـزويني، وأوضح مختصره بـ: «الإيضاح»، فكثر ـ أيضاً ـ شارحوه، فلما جاء المولى سعد الدين ـ رحمه الله تعالى ـ، ضرب تلك التآليف كلها بعضها ببعض، واستخرج من زبدها ـ بعدَ التمخيض ـ خالصَ المخض، فأودع ذلك في كتابه «المطول»، فهو نتيجة آراء المتقدمين، وزبدة أنظار فحول المتأخرين.

فالمبرز في هذا الفن اليوم: من يحقق أبحاثه، ويدقق النظر في أنظاره، وقـد أكثر الناس من الحواشي عليـه، والحواشي على الحواشي، و«الشرح الأطول» للملا عصام الدين جامعٌ لغالب النكت التي تضمنتها تلك الحواشي، مع زيادة تحقيق، وتبيين وتدقيق.

هذا زبدة معنى كلامـه ـ رحمـه الله تعالى ـ، وهو مما يدلك على أنـه صيرفيُّ نقود هذا الفن، وإمام أهل هذه الصنعة بالتحقيق لا بالظن، فكيف لا، وهو المرجع إليه، في بيان مشكلاته، وحل مقفَلاته.

ومما يدل على ما ذكرنا من انفراد شيخنا بتحقيق هذا العلم: أني كنت رأيت قبل هذا بأرض المغرب، عند أخينا الفقيه النبيه سيدي أبي عبدالله محمد

المنقوشي ـ جدد الله عليه ملابس غفرانه، وأحله دار رضوانه ـ مجموعاً بخطٍّ مشرقي، كان في الأصل ملكاً للشيخ ياسين الحمصي، مشتملاً على أسئلة وأجوبة في فنون شتى.

ومن جملتها: سؤالٌ مكتوبٌ في أوله: سؤالٌ من الشيخ الإمام العالم المحقق أبي العباس شهاب الدين أحمد الغنيمي، للشيخ العلامة الدراكة المحقق أبي إسحاق إبراهيم الميموني، ثم ساق الجواب إلى آخره، معزوّاً للمسؤول المذكور، مشتملاً على تحقيق وتدقيق، فكنت أتوقف أنا وصاحبنا المذكور في كون المجيب المسؤول هو: شيخنا هذا؛ لما عُلم من جلالة الشيخ الغنيمي، وقوة عارضته في العلوم، سيما المعقولية، مع تقدم زمانه؛ بحيث يكون شيخنا في عداد تلامذته.

ولم يزل في نفسي من ذلك شيء، إلى أن لقيت الشيخ ـ أمتع الله ببقائه ـ، وجرى في المجلس ذكر ما أشبه، فسألته عن السؤال والجواب، فقال لي: إن ذلك صحيح، وقال: إن الشيخ الغنيمي كان يجلني كثيراً، وكان ـ مع تبحره في العلوم، وجودة قريحته في الفهوم ـ إذا وقع محل تدريسه بحثٌ أو إشكالٌ بما ينحو منحى هذه العلوم، كتب إليّ بذلك، فأجيبه مما عندي، فيستحسن ذلك، وهذا شاهد صدقٍ فيما نسبناه لشيخنا من التحقيق؛ إذ كل من ينسب إلى التحقيق ـ في غالب العلوم اليوم بمصر ـ يتبجح بكونه من تلامذة الشيخ الغنيمي، وشيخنا إليه يرجع الغنيمي في حل المشكلات.

وقد حكى لي شيخنا حكايات كثيرة من أخبار الشيخ الغنيمي، وذهابه إلى الروم ورجوعه وما وقع له من المحن، وذكر أنه اختلط في آخر عمره ـ رضي الله عن جميعهم، وأرضاهم، ونفعنا بهم، وأتحفنا برضاهم ـ.

لطيفة: حكى لنا في مجلس تدريسه: أن الشيخ العلامة سعد الدين لما ألفّ كتابه «المطول»، وكان ـ كما ذكر في الخطبة ـ على حالٍ ضيقٍ من معيشته، وقلة ذات اليـد، مع شدة الاحتياج إلى ما يقيم بـه أوده، ذهب بالكتاب إلى الأمير المذكور في الخطبة، رجاء أن يحصّل من جانبه ما يستعين به على دهره، وكان عند الأمير خوجةٌ له خبرة بهذا العلم، وهو من خواص الأمير، فخشي العلامة سعد الدين إن قدم الكتاب للأمير مع حضور الخوجة، أن يصرف وجه الأمير عنه، ويطعن في كتابه؛ لما علم مما يكون بين أرباب الصنعة الواحدة، فجعل يرتقب غيبة الخوجة بسفر، أو عرض، أو موت.

إلى أن حصل للخوجة عارض مرضٍ، فاغتنم[1] العلامة السعد ذلك، ودخل على الأمير، وأحضر الكتاب بين يديه، ففرح الأمير، وقال: أرسلوا للخوجة ليحضر الآن، حتى ينظر في هذا الكتاب، فسُقط في يد السعد؛ لما كان يخشى من جانبه؛ من الطعن عليـه، والإزراء بكتابه، فلما جاءه، ونظر الكتاب، طار به فرحاً، وبالغ في الثناء عليه، وعلى مؤلفه، وقام وقبل يد الشيخ سعد الدين، وقال للأمير: لو لم يكن في سلطنتك من المفاخر والمناقب، إلا قدومُ هذا الشيخ لحضرتك، وكونُ هذا الكتاب برسمك، وقد كنت هممتُ أن أطلب منكم الإجازة في الذهاب إلى هذا الشيخ، والأخذ عنه، ومن سعادة دولتكم أشخصه الله إلينا.

قال: فجاءت المنن من حيث تخشى المحن، وبالغ الأمير في تعظيمه، والإنعام عليه.

---

(١) في الأصل: اغتنم.

وقد حصلت للشيخ سعد الدين آخراً حظوةٌ عظيمةٌ، ورياسةٌ كبيرةٌ، عند أمراء العجم بأصفهان وخراسان، وسائر بلاد عراق العجم، فصارت عتبته ملتأم أكابر علماء تلك الديار، وشُدَّت إليه الرحال، وصارت له دنيا عريضة، بعد أن كانت حاله أولاً على الضد من ذلك، وتلك سنة الله تعالى في حملة العلم الشريف، وإن ضيق عليهم أولاً، فمآل أمرهم ـ سيما إن خلصت منهم النيات فيما حملوا، وعملوا بما علموا ـ إلى التعظيم والتوقير، وحسن الحال في المآل.

لطيفة: وسمعت منه ـ أيضًا ـ في مجلس تدريسه: أن العلامة ناصر الدين البيضاوي ـ قدس الله سره ـ لما ألفّ تفسيره المشهور، وأكمله، ذهب به إلى السلطان ببغداد، فمر بطريقه بقريةٍ فيها بعض المشايخ، فنزل عنده، وأضافه، وجلس يتحدث معه، إلى أن قال: أين قصدك؟ قال: إلى بغداد، قال: وما تريد منها؟ قال: صنفت تفسيراً بذلت المجهود في تنقيحه وتهذيبه، ولي بنات قد أدركْنَ، فاحتجن إلى تجهيزهن، ولا مال لي، فأردت أن أذهب إلى الملك، عسى أن يحصل لي من عنده ما استعين به في جهازهن، فقال له ذلك الشيخ: بم فسرت قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؟ قال: فسرته بأنا لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، فقال له: كيف تستعين بغيره؟! فأثر كلامه في قلب البيضاوي، وتنبه، ورجع من حيث جاء، ولم يذهب إلى بغداد، فمن أجل ذلك وضع الله القبول على كتابه، فانثال العلماء من كل جهةٍ يأخذونه عنه، وحصل له نفعٌ كبيرٌ. وقال:

لطيفة: سألت شيخنا الميموني: متى انقطعت الخلافة العباسية من مصر؟ إذ لم أر ذلك مع البحث عنه في مظانه، فقال لي: لما دخل بنو عثمان

مصر، أمر السلطان سليم بقتل من فيها من الخلفاء وأرباب الطوائف؛ كمشايخ الرفاعية والبدوية؛ لأن الغوري لما خرج لقتاله، أخرج معه الخليفة والعلماء والصلحاء، يستنصر بهم عليه، فلما دخلها، قتل كثيراً منهم، حتى المجاذيب.

قلت: وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «طبقاته»: أن السلطان لما دخل مصر، قتل كثيراً ممن فيها من المجاذيب وأرباب الأحوال، وذكر عن بعض أهل الأحوال: أنه كان يخبر بذلك قبل وقوعه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

ولله في ذلك سرٌّ لطيفٌ يعلمه أهل البصائر، زائد على امتنانه على أوليائه بمرتبة الشهادة ونيل السعادة، وقد خلف هؤلاء المشايخ بعد قتلهم من هو في مثل حالهم ومقامهم، وثابت على أقدامهم، فلم تنقطع ـ والحمد لله ـ الوراثة المحمدية، ولا الخلافة الباطنة بموت من مات منهم، وليس لما تبني يد الله هادم.

فقد ذكر سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه «لواقح الأنوار» ممن بقي بمصر بعد ما قتل أولئك جماعةً كثيرةً، تقر بهم عين كل مؤمن بطريقهم، متبع لفريقهم، من صُحاة ومجاذيب أصحاب أحوال وتصريف عظيم، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]، وقال:

لطيفة: لما سقط جانب من البيت الحرام، في سنة تسع وثلاثين، واحتيج إلى تجديد بنائه، كُتب إلى مصر استفتاءً في أمورٍ كثيرةٍ، تتعلق بالبيت

العتيق، وإنقاضه وتجديد ما سقط منه، أو بنائه من أصله، ومن يتولى بناءه، وبأي مال يبنى، وهل يبادر إلى ذلك، أو ينتظر إذن السلطان؟ إلى غير ذلك من أمورٍ كثيرةٍ تتعلق بالمسجد الحرام.

فتصدى شيخنا الميموني للجواب عن ذلك، فألف كتابه «تهنئة الإسلام ببناء بيت الله الحرام»، فاستوعب فيه الكلام على تلك المسائل، وأضاف إليها أمثالها من الفوائد المتعلقة بذلك؛ من الكتب التاريخية، والتحقيقات الفقهية، فجاء كتاباً حافلاً، لجانب كثير من العلوم شاملاً، وقد كتبت له على ظهر نسخته تقريظاً حسناً، من جملته هذه الأبيات:

لله روضةُ علمٍ أنبتت حِكَما	وطيبت لشذاها البيتَ والحرما
قد جمعَتْ موجباتِ المدحِ إذ جمعَتْ	ما كان جوهر في غيرها انقسما
نزِّهْ جفونَك فيها واقتطف ثمرًا	من دَوْحها وانتشق زهرًا بها ابتسما
نظمت في سلكها ما كان منتشرًا	في غيرها من لآلي العلم فانتظما
جلَّت محاسنُها عن أن تعدَّ ولو	أفنيت في عدِّها القرطاسَ والقلما
لله درُّ إمامٍ حاكَ حُلَّتها	شادَ بها من بناء الدهر ما انهدما
جزاه ربُّ الورى خيرًا وصَيَّره	بحرمة الله طولَ الدهر محترَما

قال لي ﷺ: لما فرغت من تأليفه، وأكملته في سنة أربعين، قلت: اللهم إني أتقرب إليك بحرمة بيتك الحرام بهذا الكتاب، فاجعل جائزتي عليه أن تيسر لي حج بيتك الحرام في هذه السنة. قال: وليس لي في ذلك الوقت مالٌ أحج به، وأنا ذو عيال، فلما قرب وقت الحج، بينما أنا ذات يومٍ، إذ بعث إليّ الأمير رضوان أمير الركب، فقال لي: أريد من فضلك أن تحج معنا

هذه السنة، وعليّ سائر ما تحتاج إليـه من المؤنـة في سفرك أنت وأولادك، فعلمت أن الله تقبل دعائي، فتجهزت للسفر بأولادي ونسائي، وكل من معي، فهيأ لي الأمير ما نحتاج في السفر؛ من الإبل، والمحاف، وغير ذلك؛ بحيث بلغت النفقة من عنده في حجتي نحو ألفي قرش. وقال:

لطيفة: لما جئت لوداع الشيخ الميموني، كتب بعض أقاربه «لا إله إلا الله» في رَقٍّ، وكتب في إزائه «محمد رسول الله»، وفصل ما بينهما بمقص حتى بقي منه شيءٌ قليلٌ، فأمرني أن آخذ إحدى القطعتين، وأخذ الشيخ الأخرى، وقطعناهما ما بيننا نصفين، وقال لي: تحفظ على القطعة التي عندك، وأنا على التي عندي؛ فإن اسم الله واسم حبيبه إذا تفارقا، فلا بد[1] أن يجتمعا بفضل الله تعالى[2].

قلت: وكأن هذا تلميحٌ من قوله تعالى في الحديث القدسي «لا أُذكر إلا ذُكرت معي»، فإذا اجتمعت البطاقتان، انجمع من هما عنده، وهو المقصود، وقد صدق الله العظيم تعالى ذلك في وقعتنا، فرجعنا من الحجاز، بعد مجاورة سنة، ووجدنا الشيخ ـ والحمد لله ـ سالماً في نفسه، ولم أجد قريبه الذي كتب ذلك، وكان فعل ذلك حرصاً على حياة الشيخ؛ رجاء أن يعيش حتى نرجع من الحجاز؛ لما كان يتخوف عليه من هجوم الحِمام؛ لكبـر سنه، مع كثرة الأمراض الوبائيـة إذ ذاك بمصـر، ولم يتخـوف ذلك على نفسـه، وفي مثل ذلك قيل:

---

(١) في الأصل: لا بد.

(٢) وهذه البدعة لازال كثير من الناس يعتقدها، ويعمل بها في وقتنا الحاضر.

وقبلـك داوى الطبيـبُ المـريضَ   فعـاش المـريضُ ومـاتَ الطبيـبُ

[٦٤٢] إبراهيم بن يوسف المهتار المكي الحنفي[1].

شاعرٌ حسن الشعر، حلو المقطَّعات، له من الأبيات ما يُستظرف معناه، ويُستحلى مغزاه، ويتغنى شذاه، برع في الفنون الشعرية، وجمع مجاميع لطيفة أدبية، وقفت على كثيرٍ منها بمكـة ـ شرفها الله ـ، وكان في عصره من أشهر المكيين في الشعر، وله مجاميع كثيرة، وديوانٌ كبيرٌ.

توفي بمكة في حدود سنة سبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره قوله:

وحقِّـك مـا لمـن جـاني صـنيع   لأنـــي لـــستُ راجٍ منـــه مَنَّـــا
بلـى مـن زارنـي أهـلاً وسـهلاً   ومـــن قـــد فاتنـــا يكفيـــه أَنَّـــا

وقوله:

فـديتُك لا تظـن الـراحَ يجلـو   همـــومي فالحـــشا فيـــه كـــلام
ضنيّ جوانحي من صـرف دهـري   فـــؤاد مـــا تـــسلاه المُـــدام

وقوله:

إني إذا كنت صِفْرَ الكفِّ في وطنـي   أيقنتُ أني غريب في حمى شنعي

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٤٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٥٣)، «نفحة الريحانـة» للمحبي (٤/ ٢١١) (٣٠١)، «هدية العـارفين» (١/ ٣٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٢).

وإن تغربتُ والدينارُ يصحبني | لم أدرِ ما غربةُ الأوطانِ وهو معي

وقوله:

بقلبي سيفُ اللواحظ سَنَّهْ | وأفرض وجدي وهجري سُنَّهْ
غزالٌ من العرب النازلين | برامة حيان الحيا حَيَّهنَّهْ
ظبا إذا ما جررنا الذيولَ | فلم ندرِ أحسنُهم أيُّهنه
إذا ما نشرْنَ دياجي الشعورِ | ظننتَ بدورًا بَدَوا في دُجُنَّهْ
وإن سفروا من خلال الخُدور | رأيتَ الظُّبا كأترابهنَّهْ
بحيٍّ به حلَّ قرعُ الدفوف | وقرعُ السيوف وقرعُ الأسِنَّهْ
فكم من صريع بأكنافهنَّهْ | وكم من قتيل على بابِهنَّهْ
يمنعنا الخوف من أهلنَّهْ | ويُدنينا الوجدُ من قربهنَّهْ
حمون منامي عن مقلتاي | وأطلقْنَ دمعي من بعدهنَّه
فهن اللواتي ملكْنَ الحشا | ولكنه صحَّ من بينِهِنَّهْ
أظبيٌ جهولٌ بأمر الهوى | ولكنَّ حبي لم تجهلنَّهْ
كحيلُ النواظر قوتُ الخواطر | صادَ القساورَ من غابِهِنَّهْ
غزالٌ على الشعب جَرَّ الذيول | لذاك الشعب أضحى مَظِنَّهْ
إذا ما بدا مقبلاً ثم لاح | سعيْنَ الغواني على هامِهِنَّهْ
يقبلنَ[1] أرضًا بها قد مشى | ويكحلن من ذاك ألحاظَهنَّهْ

---

(١) في الأصل: يقبل.

جميلٌ المحيا إذا هو حَيَّا   بكأسِ المحيا فما أحسنَهْ
غلامٌ كبدر عليه أتتْ   من العمر عشرٌ ولم يوفِهِنَّهْ
صغيرٌ ثناياه من نسقِها   حكيْنَ الدراري في حُسنهنَّهْ
إذا ما تبسَّم قال الوشاةُ أبرقٌ   بدا ذاك أم لمعُ أسِنَّهْ
فلم يدرِ فيها وحقِّ الإله   سوى عود رآك تهني بهنَّهْ
تملَّى الأراكة من نهلِها   وأحشايَ هامتْ إلى رشفِهِنَّهْ
فوا أَسَفا كم كساني الغرامُ   جَوًى واكتئاباً وسقمًا وأنَّهْ
أهيمُ ولا لي من سلوةٍ   ففي القلب حبّ الحسانِ اكتمنَّهْ
أبيتُ وطرفيَ نحوَ النجومِ   كأني تكلفت في عَدِّهِنَّهْ
أجارتَنا هكذا فليكنْ   مريدُ الغرام على غير منَّهْ
دعيني أجرّ ذيولَ الشباب   وأرفُل في حسن أثوابهنَّهْ
وأهوى الملاحَ الظِّباءَ الصباحَ   على شربِ راحٍ من ذاتِ غُنَّهْ
وأبلغُ قصدي من الغانيات   وأنزل قلبي في حَيِّهِنَّهْ
فكفَّ عتابَك يا من دنا   خيولُ الهوى طالعاتُ الأعنَّهْ
فذُخريَ في الحشرِ حُبُّ الرسولِ   وبعلِ البتول وأبنائِهِنَّهْ
فإني أرجو بحبي لهم   ليوم المعاد نعيمًا وجَنَّهْ
إلهي كَفِّرْ ذنوبًا مضتْ   فما النفسُ من خوفها مطمئنَّهْ
وصَلِّ إلهي على المصطفى   نبيٌّ له أطاعت إنسٌ وجِنَّهْ
كذا الآلِ والصحبِ ما أطربَتْ   قماري الغصون بتغريدهنَّهْ

وقوله:

جفت حلالَ المنام مُقلتيَهْ مذ حلَّ حبُّ المِلاح مُهجتيَهْ
وصار جسمي لمن يرى شبحًا وأضلعي بالسقام مُنحنيَهْ
وأحرقَ القلبَ حرُّ نار جوى وخَدَّد الخدَّ حَرُّ دمعتيَهْ
فما تغنى الحَمام في غصنٍ إلا وسال الدما بوجنتيَهْ
ولما تذكرت جيرة نزلوا بالشِّعب إلا نسيتُ صحتيَهْ
يا جيرةً بالشعب هل لبعدكم حدٌّ يرى أم تطولُ مُدَّتِيَهْ
أهل ترى البعد بعد غيركم أم هل تحفظوا مودتيَهْ
نأيتم والحشا به حُرَقٌ فقطرُ الدمع فَرْطُ حُرقتيَهْ
فما نسيتُ العهودَ بعدَكُم ولا تحولْتُ عن محبتيَهْ
ولستُ أسلوكمُ وحَقِّكمُ هيهاتَ زال الهوى بسلوتيَهْ
أنا الذي صرتُ فيكم مثلاً لا فتية بالغرام مُدَّعِيَهْ
وربَّ ليلٍ طرقتُ حَيَّكُمُ أزور في الحيِّ ربعَ مُنيتيَهْ
أزور مَنْ في الفؤاد مسكنُها من بين كلِّ الأنام مُنبنيَهْ
من يسحر الطرفَ حسنُ مقبلها إذا بدت بالجمال مُرتديَهْ
فمهجتي ما رأت لواحظَها إلا وأمست بهنَّ مُرتديَهْ
خرعوبةٌ بالمها لها شَبَهٌ رعبوبةٌ بالظِّباء مزدريَهْ
ممشوقةُ القَدِّ غادة وأرى ألحاظَها في النفوس معتديَهْ
يحمو حماها من الورى فئةٌ للمجد أعلى الثمانِ مشتريَهْ

مــن كــل مــن أرضــه مهطمــة ونفـــسُه للكمـــال معتليَـــهْ
أتيتُهـــا والعيـــونُ راقـــدةٌ وأنـصُلُ القـومِ غيـرُ منتطيـه[1]
طرقتهـا فاسـتوَتْ فأزعجَهـا سَــقامُ جفنــي وقــرحُ أنَّتِيَــهْ
لمَّـا رأتنـي رب الجـوى علمـت غــدت لثنــي الوســاد بمتكيـه
قالـت أمـا خفـتَ قومَنـا فلقـد خــاطرتَ لمــا قــصدْتَ زَوْرَتِيَـهْ
فقلـــت إن المحـــبَّ مهجتُـــه للحَـين فـي الحـبِّ غيـرُ مُتَّقِيَـهْ
فعنــدَ قــولي غــدتْ تقــولُ إذن أهــلاً وســهلاً وألــفُ مَرْحَبِــيَهْ
أهــــلاً بمـــن زارنـــا ومهجتُـــه بفـــرطِ داء الغـــرام مرتـــضيَهْ
سَــباهُ حــسني فبـاتَ فـي قلـقٍ وزارنـــي والعـــداةُ مُلتميَـــهْ
سبحانَ مَـنْ فـي العقـول سلَّطني وجَــلَّ مــن بالجمــال خَــصَّنِيَهْ
فبــتُّ فــي ليلتــي مــسامِرَها فَبُــسْتُ فاهــا النقــيَّ عــشرَ مِيَــهْ
حتـى بـدا صـبحُها ففرقهـا[2] لا كــان صــبحًا بــدا بفرقَتِيَــهْ
مـا كــانَ بـين الليـالي أقــصرَها كأنهـــا البـــرقُ حـــين لاح لِيَــهْ
مضت لطيـفٍ سرى علـى دنـفٍ أحـــشاؤه بـــالغرام مبتليَـــهْ
يـا ليلــةً لا تبـاع فـي زمنــي شَـــريتُها والنقـــود مُهْجَتِيَــهْ
قطعتُهـــا والحِـــبُّ يؤنـــسني ومهجتـــي بالـــسرور ممتليَـــهْ
مــن بعــدها سـائرُ الليـالي بهـا جفــتْ حـــلالَ المنـــام مقلتيَـــهْ

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: منتضية.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: ففرقنا.

وقد عارضها الأديب إبراهيم بن مشعل بقوله :

كـم مهجـةٍ بـالغرام منسبيَهْ ... ومـا لمـن يقتـل بـالغرام دِيَـهْ
فليحـذرِ الحـبَّ كـلُّ محتـرسٍ ... بـه ففيـه الحتـوفُ مُنطويَـهْ
وفـي رُبـى شِـعْبٍ عـامرٍ رشـأ ... لـه عيـونٌ بالـسحر مُمتليَـهْ
فـي حـسنه والجمـال منتهيًـا ... وعـشقتي فيـه غيـر منتهيَـهْ
كـم حـسن شـمس عليه مـشرقة ... منهـا بـدورُ التمـام مختفيَـهْ
إذا بـدا مقـبلاً ولاحَ لِيَـهْ ... جعلـتُ منـه الجبـينَ قِبلتيَـهْ
مـا قلـت فيـه انتهـتْ صـبابَتِيَهْ ... إلا وعـادَتْ إلـي وهـي مبتديَـهْ
لـي مهجـةٌ غَرَّهـا بغُرَّتـهِ ... آهًـا لـه غـرّ صـادَ غُرتيَـهْ
ومـا هـداني بـصبح طلعتـه ... إلا بليـل الـشعورِ ضَـلَّنيه
فحبـذا ذاكَ الـضلالُ بـه ... لمهجـةٍ بالـضلال مهتديَـهْ
أهـمُّ بالانثنـا عنـه إلـى ... أن تبـد لـي بعطفيـه متثنيَـهْ
وأرجـع الوجـد لـي بأجمعـه ... أضـلَّ فـي صـبوتي وحِيرَتِيَـهْ
وأغيـدُ ذبـت مـن محبتـه ... ونفـسُه بالجمـال ملتهيـه
لجينـيُ اللـونِ أحمـرُ تَـرِفٌ ... خِلْقَتُـه بالجمـالِ مـستويَهْ
عيونـه بـالحلا مكحلـةٌ ... وذاتُـه بالجمـال مكتـسيَهْ
قـد اعتنـى بالبهـا وروحـي عـن ... وصـالِه الحلـو غيـرُ معتنيـه
للحـسن فـي وجنتيـه كـلُّ حَلّـى ... مـاءٌ ونـارٌ أحـارَ فِكرتيَـهْ
فلـم أنـلْ مـاءَ وردِ وجنتـه ... ومـن لظاهـا حـشايَ مُلتظيَـهْ

لا تعجبوا إن فنيتُ فيه هَوًى فذاتُه بالغرام مقتضيَهْ

ووجنةٌ بالجمالِ زاهرةٌ بنرجسِ المقلتين محتميَهْ

ورُبَّ خدرٍ طرقتُ بيضَتَهُ والليلُ ظلماه غيرُ منجليه

وحولها من حماتها أُسُدٌ على اضطرام الحروب مجتريَهْ

فانتبهتْ من لذيذ نومتِها تقولُ من ذا يحلُّ غُرزَتِيَهْ

فقلتُ صبٌّ أذبتِ مهجتَه بالحسن يا بغيتي ومنيتيَهْ

قالت لقد رمْتَ مطلباً خطراً من دونه الموتُ يا مُتيميَهْ

أما رأيتَ الأسودَ رابضةً أما رأيت السيوفَ منتضيَهْ

فقلتُ إن المحبَّ مهجتُه بالموت فيما يحبُّ مرتضيَهْ

وحبذا يا بنةَ الكرام إذا بلغتُ في منيتي مَنِيَّتِيَهْ

فيا حياةَ النفوس إني من أعشقُ في الغانيات مُنْيتيَهْ

فقالت اهلاً ومرحبًا بفتًى يعشقُ الموتَ في محبتيَهْ

وأرشفَتْني رحيقَ ريقَتِها والنفسُ مني لذاك مشتهيَهْ

فرُحتُ نشوانَ من مُقَبَّلها وريقِها ما ألذَّ سكرتيَهْ

وفي ثنايا نقيٍّ مبسَمِها شهدٌ عليه النفوسُ محتويه

وما اجتنى الشهدَ قطُّ من بَرَدِ غيري فيا ما ألذَّ جنيتيَهْ

فعند ذا أنعمتْ وما بخلتْ بوصلِها وهي غيرُ مستحيَهْ

وله معرضاً بصاحبي محمد الزنجبيلي:

هاتها قهوةً حوتَ كلَّ أنسٍ فشربن بها رشأ الخدرجبا

واســقِنيها صِــرْفًا بــلا زنجبيــلِ   إن ذا الزنجبيــلَ غيــرُ مربَّــى

[٦٤٣] السيد إبراهيم بن أحمـد بن عامر بن علي بن محمد بن علي ابن الرشيد[١].

كان من أعيان الوقت، عِلماً وحلماً، وزهـادةً وكرمـاً، يقل نظيره في جميع ذلك، وبه في الكرم تضرب الأمثال، نشأ على طريقة سلفه في السمت والصمت، والعفة والعبادة، وعزف النفس عن المطامع، والرأفة بالمسلمين، والتقلل من زينة الدنيا، مع تمكنه من ذلك؛ فإنه ربي في الأيام المسعودة التي فاض ظلها على كـل حاضر وبادي، وأثرى فيهـا الكل، وهـو مـع ذلك في بحبوحة ذلك البيت المشيد، فإنه من فصيلة الإمام المؤيد بالله، وبمنزلة الولد لـه، ونشأ في حجره، وعمُّ المذكور عمُّ الإمام القاسم، وكان الإمام المؤيد يخص إبراهيم بمزيـد التكريم والتعظيم، وكـان الإمام حريصـاً على إنـزال الناس منازلهم.

وقرأ على الإمام كتباً نافعةً، وعلى الشيوخ القادمين من الآفاق والملازمين للحضرة، فمـا من فن ـ في الغالـب ـ إلا وقـد لقي الجلة من شيوخـه؛ لأن الحضرة كانت مجمعاً للعلماء من الأعارب والأعاجم، وكان له خطٌّ حسنٌ على أسلوب المشق، كما كان لخاله الحسين بن القاسم، ورزق كتباً واسعةً لم تجتمع عند غيره، وله شعرٌ كثيرٌ.

توفي في سادس عشر رجب، سنة ست وخمسين وألف بـ «شهارة»،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٦٢) (٢).

ودفن في الحجرة، عند قبة الإمام القاسم، بجوار والده السيد العلامة أحمد ابن عامر، المتوفى في صفر، سنة اثنتين وعشرين وألف، وكان عالماً عاملاً فاضلاً، وله بمكة مقامٌ مع بعض علمائها، يقضي له بشرف العلم، ـ رحمه الله تعالى ـ ذكره القاضي أحمد بن صالح.

[٦٤٤] إبراهيم بن عبد الرحمن بن عماد الدين الدمشقي الحنفي.

ركن هذا البيت وعماده، ودرة عقد تتناهى أفراده وأعداده، حديقة روض الإفضال، وحدقة إنسان المجد والكمال، ذو أخلاقٍ لو صُورت لكانت لديوان الأكارم عنوان، وشيمٍ لم يسطر مثالها في سفر ولا ديوان، جمع ما لآبائه من المآثر والفضائل، وتجملت بحسن سيرته وجليِّ سريرته أخيار الأوائل والأواخر، مع حسن خَلقٍ وخُلق ولينِ جانب، وصدرٍ رحبٍ لكل قاصدٍ وطالب، وعذوبة لسان، وكثرة إحسان، وحلم ووقار، ومهابة وعلم، وفضل ملأ إهابه، وبالجملة: فلا يمكن حصر صفاته، ولا يُمَل من تكرار محاسن ذاته.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وأخذ عن والده وغيره من علماء بلده، حتى برع وترعرع، وأجازه شيوخه، ونظم الشعر الحسن الفائق، العذب البديع الرائق، وقد رأيته بدمشق، والنورُ يسطع من أسارير جبهته، والعز يرتع في ميادين طلعته، وكانت وفاته في حدود سنة سبعين بعد الألف بدمشق ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن شعره: قوله يمدح شيخ الإسلام أحمد المقري، حين قدم دمشق، ويطلب منه الإجازة بمروياته:

فـــازت دمـــشق الـــشام بـــالمقري. . .[1]

[٦٤٥] إبراهيم بن يحيى بن الهُدَى بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد الحجاف[2].

كان هذا السيد الجليل من أهل المملكة النفيسة، والرياضة الكلية؛ بحيث لا يروى عنـه روايـة ـ في الغالب ـ؛ لكثـرة حفظـه للسانه، وإنما يجري مع الأصحـاب بالتبسم والاستمـاع لمقالهم، وإظهار التعجب والاستغراب لما يروى؛ كأنه لا يعرف شيئاً:

فتــراه يُــصغي للحــديث بــسمعِه ... ويقلبــــه ولعلَّـــه أَدْرَى بـــــه

وكان مع ذلك متقناً لأمور دينه ودنياه، عاكفاً على كتب الطريقة، مواظباً على الجماعة بالمسجد الجامع بـ: «حبوب»، لا يتخلف عنها إلا لعذرٍ عظيمٍ، وذلك مشهورٌ من حاله، وكان متولياً للقضاء، وقلوبُ الناس راضية عنه؛ لما يعلمون من صدقه، وإنزاله للناس منازلهم، ووقوفه عند صميم الشرع.

وله «شرحٌ على المفتاح في الفرائض» أجـاد فيـه، وقرأه الناس عليه، وانتفعوا به، وأتى فيـه باصطلاحات غيـر اصطلاحات الأصحاب، ثـم جعل لذلك مقدمةً؛ ليعرف الناس منها مقاصده، ولـه «شرحٌ لأبيات الجعبري في التلاوة لآي الفاتحة ومخارج حروفها»، وله أشعارٌ فائقةٌ رائقةٌ، وخَمَّس قصيدة الصفيِّ الحلي النبوية التي مطلعها:

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «المقري» بياض بالأصل أربعة أسطر».

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩٣) (٢٧).

فيروزجُ الـصبحِ أم ياقوتـةُ الـشَّفَقِ   بدت فهيجَتِ الورقاءَ فـي الـورقِ

وأحسنَ في ذلك كـلَّ الإحسان، وهي دائـرة بأيـدي الأدبـاء بصعـدة وبلادها.

ومما نقله ولده إسماعيل بن إبراهيم من خطه، قال: وأظنه من شعره:

وإذا أسـبلَ الظـلامُ رُواقـا   وهـدا معـشر بـه فاسـتراحوا
فأنـا رافـع الأكـف إلـى مَـنْ   خطـرةُ القلـب عنـدَه إيـضاحُ
قـائلاً ربِّ أنـت أعلـم بالحـا   لِ ففـيم الـسؤالُ والإلحـاحُ
وإذا اليـأسُ رام هـدمَ رجـائي   قـال حـسنُ الرجـا لـه لا بـراحُ
ولعَمْـري مـا يهـدم اليـأس ظنـي   والإلـه المؤمَّـلُ المـستماحُ
لـو تكـونُ الـسماء والأرض رتقًـا   أو تحـولُ الـسيوف والأرمـاح
هـذه نيـةُ الكـرام لعَمْـري   وبهـا طالمـا اسـتراحوا وأراحـوا
كلمـا جـاءهم مـن اليـأس كـاسٌ   فلـه مـن رجـائهم أفـراحُ[1]

مولـده في رمضان، عام إحـدى وتسعين وتسع مائـة، وتوفي وقـت الظهر، يوم الخميس، رابع عشر شعبان، سنة خمس وستين وألف، بمدينة حبوب، وله أولادٌ نجباء، قد أحرزوا قصب السبق في الفضائل بلا مدافعة، منهم: السيد العلامة إسماعيل بن إبراهيم، علامةٌ محققٌ في الأصول والفروع، والعربية والطب، مع آدابٍ وحافظـةٍ يقل نظيره في ذلك، وقد تولى القضاء بالحضرة المتوكلية، وله شعرٌ جيد الصنعة، فمن ذلك قوله:

---

(١) في الأصل: فلهم من رجاهم أقوى نجاح.

لقد آن أن تُعصى النفوسُ الطوامحُ وتروع بالتقوى القلوبُ الجـوامحُ
فقد أنذر الشيب المُلِمُّ وصـرحَتْ زواجرُه والـشيبُ لا شـكَّ ناصـحُ
أعاتـبُ نفـسي لا أعاتـبُ غيرَهـا على اللهو حتى طوحَتْها الطـوايحُ
وأزجـر قلبـي عـن هـواهُ بوعظِـه وهل ربص الكناس بالسوط فارحُ
إلى كـم أُرَجِّـي عزمـةً أَنتهـي بهـا إلـى الخيـر والآمـالُ غـادٍ ورائـحُ
ويمنعنـي مـن ذاك أمـرٌ كتمتُـه ودهـرٌ عـن الأحـرار نـاءٍ وجـانحُ
فـوا أسـفا أن لا حيـاةَ لذيـذةٌ ولا عمـلٌ يرضـى بـه الله صـالحُ

وله في هذا المعنى:

يـا فـارجَ الهـمِّ بتيـسيره وكاشـفَ الـشدةِ والبـاسِ
خـذْ بيـدي يـا ربِّ وانظـر إلـى ضـعفي وإخبـاتي وإبلاسـي
ولا تكلنـي يـا إلهـي إلـى نفـسي وتـدبيري وإحـساسي
فـالعجزُ والظلـم معًـا شـيمتي نتيجتـا جهـلٍ وإلبـاسِ

وله في الرقائق والإخوانيات ما يفوق ويروق، مع أنها بداية على طرف الثمام.

قال القاضي أحمد بن صالح: وأرسلت له مفاكهاً، على يد فتىً اسمه عنبر، بقليلٍ من العود الرطب، فأجاب مع الرسول بديهًا:

يـا واحـدَ العـصرِ بـلا مريَـةْ ومعـدِنَ الجـود بـلا منكَـرْ
أحـسنتَ إذ أرسـلتَ يـا ذا العُـلا هديـةَ العُـودِ مـع عنبـر

وله أخ له اسمه يحيى، سيد أبناء وقته علماً وعملاً، يذكِّر بالأوائل من

سلفه الكرام في كل طريقة، وهو المتولي للقضاء بـ «حبوب» في عصره، بعد أن كان عزف نفسه عن الخلط، وأراد السكون في شواهق الجبال، فلزم تكليف الإمام، فعاد إلى وطنه، ونشر العلم، وأحيا المعالم، وهو في النحو غاية، ولـه «شرح على الحاجبية» عظيم الشأن، لبابُ نجم الدين وخلاصته، وهو الآن في الفقه المحلى في برهانه، وله ما يجري مجرى الشرح لنهج البلاغة، وله خطٌّ عظيمٌ عجيب، قـد كتب بـه غرائب وعجائب، وله شعرٌ في الذروة فيه منهجُ العرب الأولى، ولهما أخٌ ثالـثٌ من النبلاء، وهـذا البيت معمـور بالفضلاء في كل عصر، والله يؤتي فضله من يشاء.

[٦٤٦] إبراهيم بن أحمد بن علي العُبالي.

كان عالماً فاضلاً، نشأ في مهاد العلم، مرتضعاً لثدي التقوى، لـم يعرف من الدنيا غير العلم وأحبائه، والمذاكرة لأربابه، في صباحه ومسائه، حتى بذّ الأقران، وصار على صغره كبير الشأن، وقرأ العربيـة وحققها، ووضع على «المغني» لابن هشام، ما يجري مجرى الحاشية، وكان في الفرائض والقسمة والجبر والمقابلة محققاً، وقـرا الفقـه، وحشَّى بخطه على «شرح الأزهـار» حاشيته، ولـم تكن له لهجة لغير العلم وأهله، حتى قال بعض العارفين: لـم يخلق هذا السيد لغير العلم ولغير الجنة.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ولم يزد عمره على اثنتين وعشرين سنة، وكانت وفاته عند طلوع الشمس، نهار الخميس، سابع وعشرين رمضان، سنة إحدى وسبعين وألف، وجميع قراءته على شيخه وأستاذه عمه السيد العلامة عز الدين ابن علي العُبالي ـ رحمه الله تعالى ـ، ذكره القاضي العلامة أحمد بن صالح

ابن أبي الرجال في «تاريخه».

[٦٤٧] إبراهيم بن علي ابن الإمام يحيى شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى.

كان عارفاً محققاً لعلوم المعقول، مرجعاً للشيوخ فيها، وله ما يجري مجرى التحشية على كتابي نجم الأئمة في النحو والصرف، ومن شيوخه: والده علي ابن أمير المؤمنين، تخرج به، قالوا: ولبس منه الخرقة الصوفية.

وممن أخذ عنه: الشيخ لطف الله بن الغياث، وفي أول مجلس جلس بين يده لم يتأهب له السيد حق التأهب؛ لظنه أنه لا يحوجه إلى المراجعة، وكانت القراءة في الرضى، فلما عرف الشيخ همته وإتقانه، استمهل منه للغد، وتهيأ له واستعد.

ومن شعره قوله:

لا تعـــذلوني إذا غلطـــتُ فقـــد ... يغـرق فـي الـيمِّ مبتغـي الـدُّرَرِ

ما أجدرَ الـوهمَ فـي العلـوم بمَـنْ ... يُقـــارع المـــشكلاتِ بـــالنظرِ

مات بـ «شبام»، ودفن بها، وعليه قبةٌ عمرها الأمير أحمد بن محمد بن شمس الدين.

[٦٤٨] إبراهيم بن المهدي بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم ابن يحيى بن عليان بن الحسن بن محمد بن حسن بن الحجاف[١].

كان عالماً كاملاً، من عيون أهل زمانه الفضلاء، حبس بـ «كوكبان» مع

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩١) (٢٥).

الذين أُسروا مع الإمام المؤيَّد، بحصن «شهارة»، والقصة مشهورة، وانتقل عقب الأسر عام أحد عشر وألف، ودفن في القبة الجامعة لقبور جماعة من الأعيان، وهي قبة المظهر بن شمس الدين، وقبر المترجم عن يسار الداخل، من بابها الغربي، وثالث القبور قبرُ الفقيه الفاضل صلاح بن عبدالله بن داود ابن أحمد الشطبي الموهني العمري، شيخ الإمام المؤيد بالله ومؤدبه، ووفاته في جمادى الآخرة عام خمسة عشر وألف.

وكان من حكماء وقته وعلمائه، وله صناعةٌ في تدبير العامة، ومعرفة الموارد والمصادر على قانون العقل؛ بحيث إن فطرته السليمة في ذلك تذكر بـ «كليلة ودمنة»، و«سلوان المطاع»، وأشباههما، ومن مشايخه: الإمام القاسم ابن محمد، وفي السادة آل الحجاف إبراهيم بن المهدي والد الهادي بن إبراهيم، وهو غير هذا.

[٦٤٩] إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري السحولي[1].

كان من السابقين في الفضائل، والعلماء العاملين الأفاضل، قال ولده العلامة الخطيب القاضي، محمد بن إبراهيم في ترجمته: مولده ليلة الجمعة، ثالث عشري جمادى الأولى، عام سبعة وثمانين وتسع مئة، بمدينة ذمار، قال: وسمعت منه: مسقط الرأس ذمار، وهي من خير الديار.

وتوفي ضحوة يوم السبت، لعشرين خلت من جمادى الأولى، سنة ستين وألف، ودفن بعد صلاة الظهر، في المقبرة المعروفة بجربة الروض،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩٥) (٢٨)، «البدر الطالع» (٢/ ٩٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٠).

بباب اليمن، غربي مدينة صنعاء، ونقل إلى مشهده المزور المشهور، بجنب مسجده بمحروس السعدى، ليلة سابع عشر شوال من تلك السنة، ووجد على حالـه لم يتغير شيءٌ من جسده، ولا من كفنـه؛ تصديقاً لما ورد في العلماء العاملين: أن الأرض لا تأكل أجسادهم.

وقرأ بمدينة ذمار القـرآن، قراءةً مجودةً، والفقـه والفرائض والكلام، وطرفاً من العربية، ونظم الشعر الكثير، وحصل شطراً صالحاً من علم الفلك، ومن الغريب: أنه علمه المنازلَ، رجلٌ مكفوف البصر.

وشيوخه بذمار: والده، والقاضي محمد بن علي السكايدي، والقاضي المعافى بن سعيد، والقاضي محمد بن ناصر الدين الفلكي، ولا زالت تسمو حاله في العلم والعمل، وجميع الكمالات، حتى انتقل إلى صنعاء بأهله، عام عشرة بعد الألف، فاستكمل فيها العلوم.

ومن مشايخه بها: والده، والمفتي، والقاضي أحمد بن معوضة الجربي، والفقيه إبراهيم بن يحيى بن حميد، والفقيه أحمد الضمدي، والسيد الحسن ابن شمس الدين الحجاف، والسيـد صلاح المصواحي، والسيد محمـد بن الناصر، والسيد صلاح بن الوزير، والفقيـه عبد الرحمن بن محمـد الحيمي الآخر، وأما الفقيه عبد الرحمن بن عبدالله الكبير، فلم يدركه؛ لأن وفاته سنة ثلاث وألف، وغير هؤلاء، وخاتمة شيوخه: القاضي عبد الهادي بن أحمد الحسوسة.

ومما قرأه بصنعـاء: النحـو والصرف والمعاني، والعروض واللغـة، والتفسير والحديث، والأصول والمنطق، وكان له في كل فنٍّ من هذه الفنون اليد الطولى، وأما التصنيف، فاشتغاله به قليل، ألف: «الدر المنظوم في معرفة

الحي القيوم» في سن الصغر، و«حاشيةً على الثلاثين مسألة»، و«حاشيةً على الأزهار»، وله السؤالات إلى الإمام القاسم، المعروفة «بالسؤالات الصنعانية»، وآخر مؤلفاته: «الطراز المذهب في إسناد المذهب».

وأما صفاته الشريفة، فلا نطيل بذكرها، وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً، وأجمع فضلاء عصره على زهده وورعه، ووقاره وخشوعه، وجلالة قدره، وشفقته بالمسلمين، وبره بالأقربين والأبعدين، ومواظبة للعبادة، وأمّ بالناس بالجامع، منذ ملكت اليد الإمامية صنعاء، سنة تسع وثلاثين، إلا مدةً قليلةً، في آخر عمره، عسرت عليه المواظبة لعوائق عديدة.

ولم يعهد عنه أنه مدّ عينيه إلى شيءٍ عرض عليه من زهرة الدنيا، من الدور والعقار وغيرها، مع أن يده العليا في ذلك، وكان يقول: أعظم مفسدةٍ في طلب العلم: الخروجُ من صنعاء للخريف، وكان في غاية اللطافة للطلبة، وهم له في غاية المهابة، وإذا سأل أحدٌ منهم سؤالاً ركيكاً، وجهه له أحسن توجيه، وقال: مراده كذا وكذا، وأما ذكاؤه وحفظه، فمما لا يختلف فيه اثنان، وأما بلاغته، فقد عرفت في خطبه ورسائله، وفتاويه ومحاوراته.

ومن شعره قوله:

يــا ربِّ إنـــي ضــعيفٌ ... لا ذخــرَ عنــدي ولا زادْ
وقــد قــصدتُك ضــيفًا ... فاصــنع معــي صــنعَ الأجــوادْ

وقوله:

يــا سـادتي لــي علــيكم ... فــي كــشف ضُــري مُعَــوَّلْ
وقــد علمــتم مــن الحــا ... ل المختــصرَ والمطــوَّلْ

وقوله:

صُرفت عن بابك يا سيدي ظلماً وإبراهيمُ لا ينصرفْ
يا عجباً للدهر في حكمه هل من مجيرٍ منه أو منتصِفْ
يمنع منعًا طالبٌ للهدى منكم ويحظى لكم المنحرِفْ
ما سمعتْ أذني ببحرٍ غدا يمنع منه من أتى يَغترِفْ

وابتلي في آخر مدته بولاية القضاء، بمدينة صنعاء، في أواخر خلافة الإمام المؤيد بالله، وأوائل خلافة الإمام المتوكل على الله، وكان يقول: القضاء صنعة العلم جزء منها، ومع ذلك لم يترك التدريس والإقراء.

ولفظ السحولي ليس كما يظن إلى الجهة المعروفة، وإنما سببه أنه وُلد والدُه يحيى بن محمد في يوم وصول قافلة من السحول، فأطلق عليه هذا اللفظ لهذا السبب، ثم غلب عليه، حتى كادت تنسى النسبة الحقيقية، وهي الشجري ـ بالشين المعجمة والجيم مفتوحتين والراء ـ: نسبةً إلى بني شجرة بطنٍ من عنس الحيِّ المعروف باليمن، من مشارق ذمار.

ووالد المترجَم القاضي العلامة الفارس في علوم الاجتهاد، عينُ الوجود بصنعاء وخطيبُها، والولد ـ كما قيل ـ سرُّ أبيه، إمام عالمٌ في الأصلين، والنحو والتصريف، والمعاني والبيان، والتفسير والفقه، وله النظم البديع، والروض المريع، وله كل معنىً عجيب، أينما توجه في معاني الشعر، ومن أراد الإشراف على شريف صنعته، فعليه بكتاب «ترويح المشوق» للسيد العلامة أحمد بن حميد الدين.

ومن شعره إلى بعض إخوانه قوله:

أُعيدُ السمَع ما حلا لـي ومـا مـرًّا ... أحاديث حال كنت فيـه وقـد مـرّا
زمـانٌ تقـضَّى بالأمـاني وبـالمنى ... ولم يبقَ لي مما ذكرت سوى الذكرى
بسفح اللِّوى عصر الصبابة والصِّبا ... سقى الله ذاكَ السفحَ والناسَ والعطـرا
مضى ومُحَيَّا العيش أبيضُ مـشرقٌ ... كأني به قد كنت في الجنة الخضرا
أجرُّ ذيولَ العجبِ من خفضِ عيشتي ... كأني في ملكٍ وفي رفعـةِ كـسرى
يطـاوعني دهـري إذا مـا أمرتُـه ... ويقسم أني لستُ أعـصي لـه أمـرا

وهي طويلةٌ. انتهى.

[٦٥٠] الملا إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهرزوري الشهراني الكردي، نزيل المدينة، الشافعي(١).

شيخنا العلامة، الدرَّاكة الفهامة، محقق العلوم على اختلاف أنواعها، ومقيدُ شواردها، ومؤهل أطلال المعارف بعد إقواء رباعها، نادرةُ الأعصار، وعديمُ الشكل في سائر الأمصار، حامل لواء الشريعة والحقيقة، وغائص بحار الأنظار الدقيقة، أظهر نوعاً من المعارف لا يدرك أهلُ زمنه جنسَه، فصار ملةً واحدةً، وطريقه ملة، منزهةٌ عن كل خِسَّةٍ، فهو إمام الأمة، وحبر الملة ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[البقرة: ١٣٠]، فقيه الصوفية، وصوفي الفقهـاء، وعالم الصلحـاء، وصالح العلمـاء، وارث علوم الأولياء، ووارد موارد الأصفياء.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٤)، «البدر الطالع» (١/ ١١)، «سلك الدرر» للمرادي (١/ ٥)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٧)، «هدية العارفين» (١/ ٣٥)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٨٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٥).

ولـد في شوال، سنـة خمس وعشرين وألـف، ببلاد شهـران من بلاد الكرد، ونشأ في عفةٍ وصيانـةٍ وديانـةٍ، وأخـذ في طلب العلوم ببلاده، على مشايخ قطره، فقرأ العربية، ومهر في المحتاج إليه منها، وقرأ فنون المعقولات؛ من كلام ومنطق وفلسفة، بأنواعها من هندسةٍ وهيئةٍ وغيرهما، وكان في قراءته لها إذا عرضت مسألةٌ هندسيةٌ، لا يتجاوزها حتى يقرأ علم الهندسة ويتقنه، ثم إذا عرضت مسألةٌ من الهيئة، يشتغل بعلم الهيئة حتى يعرفه، ولم يزل كذلك لا تعرض له مسألةٌ تتعلق بعلم من العلوم، إلا وقرأ ذلك العلم، حتى يحيط علماً بمقاصد الكتب، ولم يختمه حتى يحققه، ويحقق معه عدة علوم، وكذلك كان في كل العلوم، لا يرضى لنفسه الاقتصار منها على أدنى نصيب، بل يبالغ في تحقيق علومه.

ثم قـرأ المعاني والبيان، وأصول الفقـه، وفقه الشافعية، كل ذلك في بلاده، ثم قرأ التفسيـر ـ أيضاً ـ على علماء قطره، وأكثر أخذه واستفادته من شيخه ومربيه الملا محمد شريف الكوراني الصديقي، وما ترك شيئاً من العلوم إلا أخذ منه نصيباً في بلاده، إلا علمي الحديث والتصوف.

أما علم الحديث، فقال لي ﷺ: ما كنت أظن أنه بقي على وجه الأرض أحـدٌ يقـول: حدثنـا وأخبرنـا، حتى وصلت إلى بلاد العرب بالشام ومصر والحجـاز، وأما التصوف، فكذلك ـ أيضاً ـ كنت أظن أن ليس أحد يتداوله بالقراءة والتصنيف والمنازلـة بالفعل، إلا ما في بطون الدفاتـر، أو مـا عنـد المنقطعين في رؤوس الجبال.

وقد أخبرني شيخنا السيد محمد بن رسول البرزنجي، وكان بلديَّه، وعليه جلُّ انتفاعه: أن شيخهما الملا شريف المذكور كان يقول: بلغ من قوة حافظة

الملا إبراهيم: أنه لو لمح مسألةً في أي كتاب، وغاب عنه سبع سنين، ثم سئل عنها، يقول: هي في كتاب كذا، في صفحة كذا، في سطر كذا، وهذا لعمري! غايـة الإدراك، بشهادة هـذا الأستاذ، فإنه أدرى به من كل أحد؛ لأن الشيخ والد، والوالد أدرى بأخلاق ولده.

ولما استكمل أنواع الكمالات الإنسانية، التي أمكنه اكتسابها في بلاده، خرج من بلاده بعد ما مات والده، وتزوج ووُلد له قاصداً لأداء فريضة الحج، وسُنَّة الزيارة، ونيتُه العودة إلى بلده، وكان طريقه على بغداد، فإن بلاده في ناحية الشمال من بغداد، وأقام فيها أياماً، ثم خرج مع قافلة قاصداً مكة، وكان معه أخوه عبد الرحمن، وهو أصغر منه، فمرض أخوه في الطريق مرضاً منعه عن السفر، وعزم على الرجوع إلى بغداد. قال: فلما رأيـت عجزه، وعزمه على الرجوع، لم تطب نفسي بتركه وفراقه، مع ضعفه ومرضه، فرجعت معه إلى بغداد، ولم يمكنهما الحج في تلك السنة، فبقي ببغداد.

وطالت إقامته بها نحو عامين، وطلب منه أهل بغداد التدريس. قال: وكنت لا أحسن اللسان العربي، ولا ما أقرأ به في الكتب، فشق ذلك علي، فتعانيته أياماً، فسهل الله ذلك علي حتى لا أبالي، أقرأت بالفارسية أم بالعربية. قال: وكان هناك طلبة من الأتراك، فطلبوا مني أن أقريهم بالتركية في كتبهم، التي هي بلغتهم، وكنت لا أحسن شيئاً منها، فتعلمتها في مدةٍ قليلةٍ، فصرت أقرأ بالعربية والفارسية والتركية، وما كان شيء أحبَّ إلي من اللغة العربية، حتى إني كنت أطلب من الله تعالى كثيراً أن يرزقني ولداً ذكراً، أعلمه التكلم بالعربية؛ وذلك لغلبة العجمة في بلاده.

ولم يزل في بغداد، على أحسن حال، إلى أن منّ الله عليه بمحبة كتب

القوم والمطالعة فيها، في مجاورة قطب الزمان، الشيخ عبد القادر الجيلاني، قال: فبينما أنا ذات ليلة، وقد فكرت في أمري وخلوي مما عليه أهل الحق، فصغُرت لدي نفسي، وعلمت أن ذلك لا ينال إلا على يد شيخ، فسألت الله تعالى عند قبر الشيخ أن يلهمني ما فيه صلاح نفسي، وأن يوجهني إلى حيث يعلم لي فيه الخير، ويجمعني بشيخٍ أسلك طريق الحق على يديه.

قال: فبينما أنا نائم في أثناء ذلك، رأيت الشيخ عبد القادر ﷺ في النوم، وهو يشير إلى ناحية المغرب، فاستيقظت، وعرفت أني أقصد جهة المغرب، ولا أنتهي حتى ألقى من يدلني على الله، أو أجول أقصى العمران من ناحية المغرب، فتجهزت للرحيل من بغداد، وقصدت الشام؛ لأنها في مغرب بغداد.

قال: فلما وصلت الشام، أقمت بها على الحال الذي كنت عليه في بغداد؛ من التدريس، ولقاء الناس بدمشق، وكنت مغرماً بكلام الشيخ محيي الدين بن عربي، وزيارته، ومطالعة رسائله، وحصلت لي مبادي الفتح في فهم بعض كلام القوم.

قلت: وذلك الشأن ببركة الشيخ محيي الدين؛ فقد قال سيدي عبد الوهاب الشعراني ـ فيما رأيته في بعض تآليفه، ناقلاً عن غيره من المشايخ، مقرراً لما نقل، ومصدقاً به ـ: إن من خاصية كلام الشيخ محيي الدين: أن المثابر على مطالعته يرزق الفهم في كلام القوم، وحل مشكلاته.

ومصداق ذلك في شيخنا هذا؛ فإنه من أشد الناس كلفاً بمطالعة كتبه الكبيرة والصغيرة، وقد أُعطي من الفهم في كلام القوم وحل مشكلاته،

والإحاطة باصطلاحات الصوفية، وفهم إشاراتهم، وكشف أسرارهم، وتميز أذواقهم، ما لم يُعطَه أحدٌ ممن رأينا في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن بركة مطالعة كلام الشيخ محيي الدين: اتصل بغوث الزمان، ورئيس أهل العرفان، شيخِه ومربيه، الختم الالهي صفيِّ الدين أحمد القشاشي؛ إذ كان كلام الشيخ هو السبب في ذلك، وذلك ـ على ما أخبرني ـ: أنه وقع كلامٌ بينه وبين بعض أصحابه ـ أيام إقامته بدمشق ـ في حل إشكال وقع في بعض كلام الشيخ في «الفتوحات».

فدار الكلام بينهما في ذلك، فقال له صاحبه: إني رأيت في هذه المسألة كلاماً لبعض علماء العصر، من أهل المدينة الشريفة ـ يعني: القشاشي ـ، وكان كتب في تلك المسألة شيئاً، فأتاه بكلامه، فلما رآه وطالعه، استحسنه.

قال: فقلت له: يبعد أن يكون في هذا الوقت من يتكلم بهذا الكلام، لعله منتحل من كلام بعض من تقدم، فلما قلت له ذلك، أتاني برسالة الشيخ المسماة: «الهالة في ذكر هو والجلالة»، فلما طالعتها، ورأيت فيها ما يهز عقلي؛ مما مُنح الشيخ من العلوم اللدنية، والمواهب القدسية، والكشوفات الغيبية، فرجعت على نفسي باللوم، فقلت: لم يبق بعد هذا إن لم تصدقني بمقام الرجل، إلا محض الخذلان الناشئ عن إساءة الظن بعلماء المسلمين، ونسبة الكذب إلى ذي شيبة في الإسلام، ملحوظ عند أهله بعين الإجلال والإكرام، فوقعت في قلبي محبته، واعتقدت تعظيمه وإجلاله.

قلت: وقد رأيت هذه الرسالة، وكتبتها بخطي، وهي كراسةٌ مضمونها: أن الشيخ ﷺ طاب وقته ليلة من الليالي لورود بعض العارفين لزيارته، فأخذ

يذكر: هو الله، على كيفية بيّنها في الرسالة، وذلك فيما بين المغرب والعشاء، فاستغرق في الذكر، إلى أن حصلت له غيبةٌ مقدار ربع ساعة، أو نحو ذلك، وكشف لـه في تلك الغيبـة من أسرار الملك والملكـوت، ومعاني الأسمـاء والصفات، ومنح من العلوم الوهبية، ما بهر العقولَ سماعُه.

فذكر ﷺ في تلك الرسالة أنـواع العلوم التي وهبهـا في تلك الغيبـة، والكشوفات التي حصلت له، والإسراءات الروحانية التي مُنحها في تلك المدة القليلة، وذلك شيء يُستغرب وقوعه في هذه الأمصار ممن لم يؤيده الله بمدد التصديق بأهل ولايته.

قال شيخنا: وبعد رؤية هذه الرسالة، لم يبق عندي شكٌّ أن صاحبنا هو الفرد في وقته، وأنه طلبتي التي كنت أطلبها، وإليه أشار الشيخ عبد القادر؛ إذ نحوَ إشارته وجدت أخباره، واتضح أمره، ولا يلزم من صدق رؤياي للشيخ عبد القادر أن تكون إشارته إلى محل وجوده، بل ولو إلى محل وجود خبره.

قال: ثم أخذت في مكاتبـة الشيخ من دمشق إلى المدينة، فأتتني كتبه بما يزيدني وثوقًا ويقيناً بأنه البغية، وأقمت بدمشق قريباً من أربع سنين على هذا الحال، إلى أن أتاني كتابه يأمرني بالقدوم، فتجهزت للرحيل من دمشق، وخرجت منها قاصداً مصر، فمررت بالقدس والخليل، وزرت، فذهبت إلى مصر، ولم أتفرغ للقاء المشايخ بمصر؛ لشغل القلب بما أنا به من القدوم على الشيخ.

ولم ألـق من مشـايخ مصـر المشهورين بها، إلا الشيخ شهـاب الدين الخفاجي، والشيخ سلطان المزاحي، أما الشيخ شهاب الدين، فسبب اجتماعي

به: أني كنت ـ إذ ذاك ـ آخذاً في تأليف كتاب «إنباه الأنباه على إعراب لا إله إلا الله»، فأشكلت علي مسألـةٌ، ووجدت النقل فيها عن «كتاب سيبويـه»، وتوهمت أن فيـه تحريفاً، فأردت تصحيح النقل من نفس الكتـاب، فسألت بمصر، فقيل: لا يوجد إلا عند الشهاب الخفاجي، فذهبت إليه، ورحب بي، وأخرج لي الكتاب، ووجدت النقل منه على نحو ما توهمت، فصححت النقل منه، وفرحت بذلك غايةً، وكانت تلك طلبتي، ولم تكن همتي الرواية.

وكنت أقول في نفسي: أني متوجه في طلب هذا الأمر الذي أنا بصدده، وأنا عازمٌ على ركوب البحر إلى مكـة، فربما غرقت فيـه، فلا يبقى مني من يقول: حدثنا وأخبرنـا، فأكون قـد ضيعت وقتي بشيءٍ لا أدري هل يحصل المقصود منه؟ وشِبت إرادتي بما ليس من شكلها، فأعرضت عن طلب الرواية، وما هو من شكلها من ملاقاة علماء الرسوم، ولـم أتفرغ إلا للزيارة، وقضاء ما لابد منه من الأوطار.

وأما الشيخ سلطـان، فإن بعض أصحـابي الذين كنت آلفهم ويألفوني كان من أصحابه، ولـم يزل بي يقول لي: يقبح بمثلك أن تحل القاهرة، ولم تلق أحداً من علمائها، ولم تأخذ عن أحد من مشايخها، وله علو سندٍ، وقدمٌ راسخٌ في الرواية والدراية، ولـم يزل هذا شأن العلماء وأهل الفضل إذا قدموا بلداً، أخذوا عمن بها من كبار المشايخ، وكنت أتعلل له بما تقدم، فيقول: هذا مقصد من المقاصد لا ينافي ما أنت بصدده، إذا أخلصت فيه النية، فلم يـزل بي حتى ذهبـت معـه إلى الشيخ سلطان، فسمعت عليه بعض أحاديث «الصحيحين»، وبعض «المنهاج»، وأجازني، وكتب لي بخطه الإذن في الفتوى والتدريس والرواية عنه.

ثم توجه من طريق البحر إلى مكـة، فحج واعتمر، وسار إلى المدينة الشريفة، فأقام بها، وأتم تأليف كتاب «إنبـاه الأنبـاه» بها، وذلك سنة اثنتين وستين بعـد الألف، ولازم بها أستاذه ومربيـه الشيخ صفي الدين أحمـد بن محمد القشاشي، وأخذ عنه الطريق، واعتنى به الشيخ الاعتناء التام، ثم أقامه مقامه خليفة عنه للذكر والتربية، وإقراء علوم القوم، وتلقين الذكر، وإلباس الخرقة الفقرية الفخريـة، وحفظ الكتب الموقوفة بالمسجد الحرام النبوي، بخلوة السيد صبغة الله الحسيني، ثم تلميذه أحمد الشناوي، ثم تلميذه السيد أسعد البلخي ـ نفع الله بهم ـ.

وأخذ الحديث عن كثيرٍ من علماء عصره، بعضهم بالسماع، وبعضهم بالإجازة من علماء الإسلام، في مشارق الأرض ومغاربها، وهندها ورومها، ولـه أسانيد عاليـة، واعتناءٌ بها تام، وألف فهرساً جمع فيه مروياته وشيوخه ومسلسلاته، في نحو عشر كراريس، سماه: «إتحاف رفيع الهمة بوصل أحاديث شفيع الأمـة»، وسمـاه أيضاً: «مسالك الأبرار إلى أحاديث النبي المختار»، وأرسل إلي وأنا بالقاهرة نسخةً منه، كتب لي بخطه عليها إجازة، وألف كتاباً أيضاً في أسانيده سماه: «الأمم لإيقاظ الهمم».

وطريقه ـ نفع الله به ـ طريق السلف الصالح حالاً ومقالاً واعتقاداً، وهو ـ نفع الله به ـ من الذين إذا رُؤوا، ذُكر الله سبحانه، وممن جبله الله على أخلاقٍ من مجامع الخير، قل أن توجد في غيره علماً وعملاً، وورعاً وزهادةً، وتواضعاً وصبراً، وحلماً واحتمالاً، وصدقـاً وإخلاصاً، وعدم مبالاة بالنفس، يلبس ما تيسر، تاركاً لزي متفقهة الوقت ومتصوفتـه؛ من تكبير العمامة، وتطويل الأكمام، وإرسال الطيلسان، ولباس الجوخ، إنمـا يلبس عمامـةً متقاربـةً،

يرسل عذبتها بين كتفيه، ويلبس من متوسط الثياب ما يناسب وقته، من حرٍّ وبردٍ إذا وجده.

من لا يعرفه في مجلس درسه مع أصحابه لا يميز بينه وبينهم؛ لاختلاطه بهم، ولعدم تصديره، وإظهارِ التميز عليهم، حتى في كلامه وتقريره للأصحاب، يبدي ذلك على وجه يشبه المذاكرة والمفاوضة، فيقول: لعل كذا وكذا، ويشبه أن يكون كذا وكذا، ترون أن هذا يُفهم على هذا، فإذا روجع ـ ولو أدنى مراجعة ـ، توقف حتى يتثبت، بيد أن لسانه فيه بعض ثقل في التقرير بالعربية، وإذا كتب، فلا تسل عما يبدي ويعيد في تقريره، عليه مهابةٌ ووقار، لا يفتر ساعة عن الذكر باللسان والقلب.

وأخبرني ـ قدس الله سره ـ: أنه دخل أربعين خلوةً أربعينية، ولم يزل إلى أن مات وهو يتعهد الخلوة أياماً، وينقطع للذكر، حتى انتقل إلى رحمة الله ورضوانه عصر يوم الأربعاء، الذي ورد أنه لا يفتح فيه قبر منافق، ثامن عشري جمادى الأولى سنة ألف ومئة وواحدة، ودفن بعد المغرب ببقيع الغرقد.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: شرحان على عقيدة شيخه أحمد القشاشي، كبيرٌ سماه: «قصد السبيل إلى توحيد الحق الوكيل»، وصغيرٌ سماه: «زاد المسير والأسفار عن أصل استخارة أعمال الليل والنهار»، و«مسلك الاعتدال إلى آية خلق الأعمال»، و«إعمال الفكر والروايات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات»، و«تكملة العوامل الجرجانية»، و«تكملة التعريف لكتاب التصريف»، و«الأربعون حديثاً العوالي».

وكتاب «إنباه الأنباه على إعراب لا إله إلا الله»، ابتدأه في بلاده، وفرغ

من تهذيبه وتحقيقه وإكماله، بعد استقراره بالمدينة، وهو كتابٌ مفيدٌ لم يؤلف في معناه مثله، أودعه من التحقيقات ما لا يوجد في غيره، ومن النكت النحوية، والقواعد الأصولية، والمباحث البيانية، كلٌّ درةٍ فريدةٍ، وجمانةٍ ثمينةٍ، لم يدع شيئاً يتعلق بإعراب الكلمة المشرفة إلا ذكره، مع زيادة التحقيق والتدقيق، ثم ختمه بأربعين حديثاً في فضل لا إله إلا الله، وذكر سنده في تلقينها، وقد طال بحثه على جمع الأحاديث المذكورة في محالها، حتى منّ الله عليه بجمعها من مظانها، وبالجملة: فهو كتابٌ نفيسٌ محتوٍ على درر العلم، تنافس أصحابنا ومشايخنا في كتابته، وله غير ذلك من الرسائل والحواشي، والأسئلة والأجوبة، التي يضيق العد عن حصرها، وقد جمعت غالبها ـ ولله الحمد والمنة ـ.

وتلقنت منه الذكر، وألبسني الخرقة، وقرأت عليه من أول «صحيح البخاري» إلى قوله ﷺ: «سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر»، ومن أول كلٍّ من بقية الكتب الستة، وسمعت عليه طرفاً كبيراً من «شرح صحيح مسلم» للنووي، ومن «الدر المنثور في التفسير المأثور» للسيوطي، ومن «إحياء علوم الدين» بقراءة الشيخ علي ابن شيخنا أحمد القشاشي.

وقرأت عليه جميع كتاب «النصوص» للشيخ صدر الدين القونوي، وسمعت عليه طرفاً من «الفتوحات المكية» للشيخ محيي الدين بن عربي، بقراءة الشيخ أحمد المغلاني المالكي، وسمعت عليه طرفاً من «مواقع النجوم» لابن عربي بقراءة الشيخ محمد سعيد الكوكتي، وحضور الشيخ أحمد البنا الدمياطي، وطرفاً من «تفسير البيضاوي»، ومن «الجامع الصغير» للسيوطي، وغير ذلك من مقروء ومسموع، ومفرد ومجموع، وقرأت عليه ما كتبه من

«شرح التحفة المرسلة إلى النبي ﷺ» للشيخ محمد بن فضل الله البرهانبوري.

وكان أول اجتماعي عليه وقراءة الكتب المذكورة سنة ست وثمانين بعد الألف عام رحلتي للمدينة، وكان دخولي تلك السنة ختام شهر رجب، ورجوعي إلى مكة ختام شوال، وكنت أتعهد الزيارة في غالب السنين، وأغتنم ملازمته، وقدم مكة ـ نفع الله به ـ للحج مرات، وكنت لا أفارقه في غالب الأوقات، وكتب لي إجازة حافلة بمروياته، ومن جملة ما أوصاني فيها: أن أستعين بالله في جميع أموري.

وكان مجلسه ﷺ روضة من رياض الجنة، قلّما يقرر مسألةً من مسائل الحكماء إلا ويدرج فيها ما يشاء، كلها من الحقائق، وعقائد المتكلمين، وهي ما بين كلامهم وكلام العارفين والمتكلمين من التفاوت، ويقول: قارَبوا العثور على الحق، ولمّا يهتدوا إليه؛ لفقدان نور المتابعة والاستضاءة بمشكاة النبوة.

وذلك لأن موضوع العلمين، ومطلوبَ الفريقين متقارب؛ إذ كل منهما البحثُ فيه إنما هو القديم منه من الحادث، إلا أن الحكماء تكلموا في ذلك ببضاعة عقولهم المزجاة، فلم يصلوا إلا لحدس وتخمين، وأوهام تستند إلى تجارب وقياسات الغائب على الشاهد، وكل ذلك لا يفيد صريح العلم الذي يثلج له الصدر.

بَيْد أن الإشراقيين منهم معتمدُهم على كشوفات تحصل من الرياضيات الفلسفية، وأذواق وإدراكات وجدانية، تحصل لهم من مصاحبة مشايخهم، وهي ـ أيضاً ـ كثيرة الغلط، عظيمة الاشتباه، لا يكاد يُميز فيها الحق من الباطل، وهي طريق الأقدمين منهم؛ كأفلاطون.

وأول من أخرج الحكمة من القوة إلى الفعل، وجعل لهم قوانين تعليمية؛ من منطقٍ وهندسةٍ: تلميذه أرسطو، وتسمى حكمة هؤلاء: حكمة المشائين؛ لمشيهم حول أساتيذهم[1]، يتعلمون من ألفاظهم وحكمهم، وتسمى حكمة الأولين: حكمة الإشراقيين؛ لكون مرجعهم إلى ما تشرق به بواطنهم من الحكم، وهي كما قدمنا كثيرة الاضطراب، لأن للعقول حداً تنتهي إليه، والمطلوب وراء طور العقل، ولله در القائل:

وللعقول قُوًى تسير بل[2] مَدًى إن تَعْدُ ظهرت فيه اضطرابات

وقد أُلف في كل الطريقين تآليف قديمة وإسلامية، وأحسن التآليف في الأولى: تأليف السهروردي المقتول، المسمى بـ: «حكمة الإشراق».

وأما المليون[3]، فالمتكلمون منهم بحثوا عن ماهية الوجود، من طريق العقل ـ أيضاً ـ، إلا أنهم استندوا إلى النقل ـ أيضاً ـ، واعتمدوا عليه، ورفضوا ما لم يكن رده إليه، من أقوال الحكماء؛ كقدم العالم، وتأثير الأفلاك، والقول بالعلة والطبيعة، وغير ذلك مما هو مقرر في محله، ووافقهم في أشياء كثيرة لم يرد نقلٌ بما يخالفها، أو ورد واحتمل.

فأهل السنة يتمسكون بصريح النقل، ويهملون آراء الحكماء، ولا يؤوِّلون النقل، والمعتزلة بالعكس، ولأجل ذلك أدخل المتكلمون من الفريقين في كتبهم من أقوال الحكماء وآرائهم ومذاهبهم وعلومهم؛ مما كاد العلمان به

(١) في الأصل: أسانيدهم.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: بلا.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: المشاؤون.

أن يشتبها ـ أعني: كلام الكلام، وعلم الحكمة ـ.

حتى إن كتب المتكلمين؛ كـ: «العضد»، و«السعد»، معظمهما إنما هو تقرير مذاهب الحكماء، فصارت الإلهيات والنبوات منها جزءاً من الأجزاء، ومع ذلك، فقد أبرزها في قالب تقريراتهم واحتجاجاتهم، وإن كانوا يخالفونهم فيما لم يوافق عليه النقل. انتهى.

ومن تقريراته ـ نفع الله به أيضاً ـ: أن الإمام السمرقندي ذكر في تأليفٍ له كلاماً يشتمل على تقسيمٍ عجيبٍ في التمييز بين مذاهب الحكماء الإشراقيين والمشائين، ومذاهب المتكلمين والصوفية المحققين، ونصّه:

الطريق إلى معرفة المبدأ والمعاد من وجهين: **أحدهما**: طريق النظر والاستدلال، **وثانيهما**: طريق أهل الرياضة والمجاهدات، فالسالكون للطريقة الأولى إن التزموا ملةً من ملل الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، فهم المتكلمون، وإلا، فهم المشاؤون، والسالكون للطريقة الثانية، وهم أهل الرياضة والمجاهدة، إن وافقوا في رياضتهم أحكام الشريعة، فهم الصوفية المتشرعون، وإلا، فهم الحكماء الإشراقيون. انتهى.

وهو كلامٌ عجيبٌ تتميز به المذاهب، وهو غير مخالف لما قدمنا من الكلام في مذهب الحكماء والمتكلمين.

وأما العارفون المحققون، فمعتمدهم في أول الأمر على النقل الصحيح، والفهم الصريح من الكتاب والسنة، من غير استنادٍ في ذلك إلى قولٍ متعسفٍ تقليداً، ولا إلى تخمينٍ بعقلٍ وحدسٍ بفكر، إلا ما لا بد منه في فهم المنقولات، فيقبلون بكليتهم على صدق المتابعة، وتزكية النفس وتهذيبها، على طريق

الاقتداء، وإفراد الوجهة، وقطع العلائق؛ حتى تشرق أنوار الحق في قلوبهم، فتفتح لها أبواب الملكوت، فتشاهد بأنوار البصائر وصفاء السرائر، حقائقَ الوجود العلوية والسفلية، وتدرك الأشياء الغيبية على ما هي عليه.

ولذلك لا يقع في كلامهم ـ غالباً ـ على حقائق الموجودات، ما يخالف ما أخبر به عنها مخترعها تعالى، ومنشئها على لسان رسوله الأكرم ﷺ، وإن ظنه من لم يفهم مقاصدَهم مخالفاً، فذلك لقصور نظره. على أنهم متفاوتون في قوة نور البصيرة، ونفوذ الإدراك، وصحة الكشف، فقد يخبر أحدٌ منهم بخلاف ما أخبر به الآخر، وكلٌّ منهم صادق؛ لأنه أخبر بما أدرك، وفوق كل ذي علم عليم، ومنتهى العلم إلى الله العظيم، وما أقربَ طريقَهم من طريق الحكماء الإشراقيين، لولا ما فات الإشراقيين من نور التوفيق المسبب عن صدق المتابعة.

ومن تأمل كلام الحكماء العارفين؛ كابن سبعين، والشيخ محيي الدين، وأضرابهما، على قرب ما بين الطريقين في المدرك، وبُعد ما بينهما في المدرك.

وقد أطلت الكلام في هذه المسألة؛ لئلا يستبعد جاهلٌ مزجَ قراءة كتب الحكماء بكلام العارفين الأصفياء، ولعمري! إن في قراءة كتبهم، وفهم كلامهم أعظمَ معين على فهم الحقائق لمن وُفِّق لصدق المتابعة، وأُيّد بصحبة عارفٍ؛ كشيخنا المترجم.

فإنه ما برز على أهل زمانه، ولا فات سائر أقرانه، إلا بذلك؛ فإنه بعد ما تمهر في فهم المعقولات، وأدرك أقاويل الحكماء، وسبر آراءهم، وُفِّق

بصحبة عارف زمانه شيخِنا القشاشي، فأشرقت أنوار المعارف من مشكاة قلبه، الذي كاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، وكذلك كان الإمام الغزالي ﷺ كما أخبر عن نفسه، في كتابه «المنقذ من الضلال» بعد ما حقق تلك العلوم بأسرها، وخاض فيها خوض ماهر خِرّيت، أدركته العناية الأزلية، فصار أمره إلى ما صار.

وأما من لم يُوفق لما وُفق إليه مَن ذُكر؛ من صِدق المتابعة، وصحبة العارفين، فهي من أعظم الضرر عليه، توقعه في مزالق الأوهام، ومتشابهات من الأفهام، لا يكاد يتحصل على شيء يشدّ عليه يده، ولا ينكشف له فهمٌ يثق بما أداه إليه إلا سرى به إلى فهم، شأن من ينتقل من كونٍ إلى كون، والأكوان كلها ظلمةٌ وخيالات وأوهام، لا تخرج من وهمٍ إلا إلى وهم.

ومن وُفق، انتقل من كونٍ إلى مُكون، ولا يكون ذلك إلا به، فمن انتقل بالله، وصل إلى الله، ومن انتقل بنفسه وعقله ـ الذي هو من جملة الأكوان ـ، لم يصل إلى الكون الذي انتقل منه، ولله درُّ العارف ابن[1] عطاء الله إذ قال: لا ترحل من كونٍ إلى كونٍ، فتكونَ كحمار الرحى، الذي انتقل منه هو الذي انتقل إليه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكوّن ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

وجل وتعالى المكوّن أن يصل إليه أحدٌ إلا بتوصيله، فمن طلب الحق بالحق، وصل إلى صريح الحق، ومن طلب الحق، بغير الحق لم يصل إليه أبداً، وكل ما سوى الله فليس بحق، إنه خيالٌ ووهم، إن فتشته، لم تجد

---

(١) في الأصل: به.

شيئاً، والحق ليس كذلك.

وحضرْتُه مرةً وهو يقرئ «شرح المواقف» للسيد الشريف لجماعةٍ من الفضلاء في مبحث الوجود، هل هو مقول بالاشتراك على إفراده أو بالتواطؤ؟ وكان ـ نفع الله به ـ يقول: كلام السيد في هذا المقام غايةٌ في التحقيق، قال: وهو أقربُ من رأينا من المتكلمين لمذاهب العارفين، وأكثرهم عثوراً على مقاصدهم.

وكان يقول: إن السبب في ذلك: أنه سلك على يد غوث الزمان الشيخ علاء الدين العطار البخاري، أجلِّ خلفاء الشيخ بهاء الدين نقشبند، ودخل في طريق القوم على يديه، وترك ما كان عليه من عظمة المدرسين، فأشرقت أنوار المعارف من قلبه، وظهرت عليه بركات صحبة القوم.

وكان ﷺ من جماعة الملا سعد الدين التفتازاني، ومن أكابر أصحابه، حتى برز عليه في حياته، وكتب على كثيرٍ من مصنفاته كتابةً أبانت عن إنافته عليه في تحقيق العلوم، وقد حصلت بينه وبينه مناظرةٌ في مجلس تمرلنك سلطانِ ما وراء النهر، فأفحمه، ثم اعتذر إليه بعد ذلك.

وقد أخبرني بعض المشايخ: أن السعد وجماعته، وفيهم السيد، قدموا لزيارة بعض المشايخ العارفين، فلما جلسوا بين يديه، قال لهم ذلك العارف: أيكم يتخلص من هذه الوظائف، ويترك هذه المناصب وجاهه الدنيوي، وأنا أوصله إلى الله تعالى في أقرب مدة؟ فضنّ المولى سعد الدين برياسته، فكانت له رياسةٌ كبيرةٌ في آخر أمره، وجاهٌ عند الأمراء، وجلالة قدرٍ عند أرباب الدولة وغيرهم من العامة.

فقال السيد لذلك العارف: أنا أنخلع من رياستي، وأترك هذه الوظائف العلمية، والمناصب الدنيوية، فقبل منه ذلك، وصرف همته إليه، فانتفع بذلك في أقرب مدةٍ، ولم يسمَّ لي من سمعتُ ذلك منه العارفَ الذي سلك على يديه، حتى رأيت في كتاب «الرشحات»: أنه صحب الشيخ علاء الدين العطار، وصحبه أيضاً تلميذه الشيخ نظام الدين الخاموشي، بأمر شيخه علاء الدين ﷺ، فعلمت أنه هو الذي وقع له معه ذلك.

قلت: وقد فتح الله على السيد باب الوحدة الوجودية، فعرفها حق معرفتها، وألف فيها رسالة فارسية بديعة، وأشار إلى صحتها في حواشي شرح التجريد القديم، ولما رجعت إلى القاهرة، بعد أن جاورت بالحرمين مدةً، ألف شيخنا كتاباً حافلاً سماه: «إفاضة العَلاَّم في مسألة الكلام» أرسل لي نسخةً منه ـ قدس الله روحه ـ أهداها إليّ، وأمرني بمطالعتها مرات، وقد أجاد فيه كل الإجادة، وقد عُلم محلُّ هذه المسألة، وعظمُ قدرها من علم الكلام، وأنها ـ لصعوبتها ـ هي السبب في إضافة هذا العلم للكلام.

ومَبنَى هذا التأليف أولاً: على تحقيق النزاع الذي بين الأشعرية والحنابلة فيه، إلى القول بالحرف والصوت، وادعاء القدم لهما؛ صوناً لجانب القرآن عن نسبة الحدوث إلى شيء منه، ولم يبالوا بما أدّاهم إليه ذلك من جحد الضرورة والمشاهدة في حدوثها وانقضائها.

وقد كثرت المقالة في ذلك بين متأخري الشافعية والحنابلة، حتى أدّى ذلك إلى تضليل كلٌّ من الفريقين صاحبَه، وبسبب هذه المسألة وغيرها من المسائل التي تمسكت فيها الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة؛ كالاستواء، والنزول، والقَدَم، والوجه، والعينين، وغير ذلك من أحاديث الصفات، حُكم بتضليل

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية وأتباعه؛ كالعلامة. . .[1]، ابن القيم معاصروه من الشافعية؛ كالسبكي، وغيرهم، وتحاملوا عليه، ونسبوه إلى العظائم.

وقد أجادَ شيخنا ﷺ بالفحص عن كل ما نسب إلى الحنابلة، ولم يقلد في ذلك أهل التحقيق محل النزاع، ونسبة كل واحدٍ منهما صاحبه إلى لازم قوله وتعلقه بظواهر أقواله، وإن كان في صريح كلامه ما يدفع تلك اللوازم، ويحيل عن تلك الظواهر.

ولذلك كتب شيخنا عند عزمه على البحث في هذه المسائل، بإشارة شيخه الصفيِّ القشاشي، إلى الشيخ عبد الباقي الحنبلي البعلي، ثم الدمشقي، وهو ـ إذ ذاك ـ كبير الحنابلة وإمامهم، علماً وعملاً وصلاحاً بدمشق، ليكتب له بمعتقد الحنابلة محرراً مبيناً بأدلته، حتى لا ينسب لهم شيئاً مما لم يقولوا، وأخذ هو في الفحص عن رسائل الشيخ ابن تيمية وأصحابه، فيما يتعلق بذلك، حتى ظفر بما تحرر له من معتقد الحنابلة ومَبنَى طريقهم.

وكتب إليه الشيخ عبد الباقي رسالةً متضمنةً لجميع ما طلب منه بيانه، فحينئذٍ أخذ في تصنيف هذا الكتاب، وحرر فيه النظر ودققه وحققه، في مسألة الكلام، ثم في سائر المسائل التي وقع فيها النزاع، ونظر في ذلك نظر من هو منصفٌ متحلّ بجميع الأوصاف.

قال ـ رحمه الله ـ: لما أمعنت النظر في رسائل القوم ومصنفاتهم، وجدتهم بُرآءَ من كثيرٍ مما رمتهم أصحابنا الشافعية؛ من التجسيم والتشبيه،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «العلامة» بياض».

وإنما القوم متمسكون بمذهب كبراء المحدثين؛ كما هو المعروف من حال إمامهم ﷺ؛ من إبقاء الآيات والأحاديث على ظاهرها، والإيمان بها كذلك، مفوضين فيما أشكل معناه، وهذا لا يذمّه أحدٌ من الأشعرية.

بَيْد أن الحنابلة مشدِّدون في ردِّ التأويل في كل ذلك، مجهِّلون من يذهب إليه؛ كالأشعرية، فيقولون: الله ورسوله وسلف الأمة أدرى بمعاني الآيات والأحاديث من هؤلاء المؤوِّلين، وما ورد عنهم أنهم أَوَّلوا شيئاً من ذلك، فإما أن يكون ذلك لأن معناه خفيَ عليهم، فكيف ظهر لهؤلاء ما خفي على أولئك؟ وإما لأنها على ما يظهر من معناها؛ لأن الشرع جاء بلغة العرب، فمراد الله بهذه الألفاظ هي المعاني التي يريدها منها العرب في لغتهم، وتطلق على كل واحدٍ بحسب ما يليق به.

فالمراد بالاستواء والفوق والنزول، هي: معناها المقصود في كلام العرب، فإذا قلت: زيدٌ فوق السرير، فمعناه: مستقرٌّ عليه، متمكنٌ منه مستقل، ولمّا علمنا أن زيداً جرمٌ من الأجرام، والسرير كذلك، تحقق لنا أن الفوقية في حقه، واستقرارَه فوق السرير، يوجب مماسّةً له، وتحيزه في جهة من جهاته، وغير ذلك من الأوصاف التي يوجب استقرار جرم على جرم.

وأما المولى ـ جل جلاله ـ، فماهية ذاته غير مدرَكة لأحد من الخلق، فكيف يقول بأن استقراره فوق العرش يوجب مماسّة له، وتحيزه في جهة؛ لأن ذلك لازمُ استقرار الجسم، وأما استقرار من ليس بجسم، فلا نحكم بأنه يوجب كذا وكذا، حتى تعلم ماهيته، والماهيةُ غير معلومة.

فنثبت له استقراراً حقيقياً فوق كل عرشه؛ لأنه أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بإثبات الفوقانية التي معناها في اللغة التي جاء بها القرآن:

الاستقرار على الشيء، والاستعلاءُ عليه، على وجه يليق بذاته، لا ندركه الآن؛ لأنا لم ندركهُ ذاته، بأن استقرارها على شيء وعلوَّها عليه يوجب المماسَّة والتحيز، فقد يستقر الشيء على الشيء بلا مماسة؛ لاستحالتها من المستقر، وإن جازت في حق المستقر عليه.

وكذلك يقولون في النزول: أن المُحالات المذكورة إنما تلزم من نزول الأجسام من. . .[1].

والغير، بل نثبته له؛ لأنه أثبته لنفسه، ونقول: إنه نزول حقيقيٌّ منزَّهٌ عما يطرأ ويقع من نزول الأجسام؛ لأنه ليس بجسم.

وكذلك القول في الاستواء، نؤمن به على ما هو المفهوم من كلام العرب؛ لأنه أثبته لنفسه بكلام هو من لغة العرب، ولا نقول بما ألزمتمونا من الجهة والمماسة ـ أيضاً ـ؛ لأن ذلك في استواء الأجسام بعضها على بعض، وأما استواء من ليس بجسمٍ على جسمٍ، فلا ندرك منه، ولا نعقل إلا أنه استواء، وكيفيته وما يلزم منه لا نعلمه؛ لعدم علمنا بالماهية.

وقد بالغ ابن القيم في الرد على الأشعرية في مثل هذا، وأتى بعبارة سوءٍ، وقال: إنهم تكلفوا في كلام الله تعالى ورسوله، وتنطعوا في فهمه، قال: فلام الأشعرية كنون اليهود في الزيادة والتنطع، فاليهود أُمروا أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حنطة، فزادوا النون تنطُّعاً، وتقوَّلوا على الله ما لم يقله، والأشعرية كذلك، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، فتنطعوا وقالوا: استولى، فزادوا اللام تنطعاً.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «من» الأخيرة من هذا السطر بياض بالأصل».

ولقد أساء ـ سامحه الله ـ الخطاب، وتنكب بمحض العصبية عن الصواب؛ فإن الأشعرية ﷺ لم يجحدوا استوى، ولم يمتنعوا من قوله، بل قالوا: استوى، وبه يقرؤون، ويتقربون إلى الله تعالى، ولكنهم بعضهم أول المعنى لما رأى الظاهر منه محالاً على الله تعالى، فقال: معنى استوى: استولى؛ لورود اللفظين معاً في لغة العرب بمعنًى واحدٍ؛ كقوله:

قد استولى بِشْرٌ على العراقِ ... من غير سيفٍ ودمٍ مُهراقِ

وأمثال هذه التعصبات الفاسدة هي التي أوقعت بين الفريقين فيما وقعوا فيه، وإلا، فالكل على هدًى ـ إن شاء الله تعالى ـ فيما يظهر؛ لأن المفوض مسلِّمٌ لمراد الله تعالى، تاركٌ ما لم يكلَّف بعلمه، والمتأول متبعٌ لما علم صحته وثبوته من الكتاب والسنة، حاملٌ عليه ما لم يتضح معناه، حتى تكون العقيدة كلها على نسقٍ واحدٍ.

ولا يسوغ إلى فهم القاصر معنًى لا يليق بالرب، فيثبته له، فالتأويل لأجل هذا حسن؛ لأنه حراسةٌ عن اعتقاد ما لا يجوز اعتقاده، فإذا سمع قاصر الفهم استوى، لم يتبادر إلى فهمه إلا المعنى المستحيل، فإذا سمع قول العالم معناه: استولى عليه بالقهر والغلبة، زالت تلك الشبهة من قلبه.

وهو الذي أوّلنا به الاستواء، وإن لم يكن هو مراد الله ورسوله، فهو لا شك معنًى ثابتٌ لله، متصفٌ به، لا ينافي ما هو معناه عند الله، فلا كبير ضرر في ذلك، ولا تحكُّم؛ إذ لم نقل: ليس له معنى إلا هذا، بل نقول: يحتمل معناه هذا، وهذا صدق؛ لأنه محتمل.

ولقد أطلعني بعض أصحابنا الحنابلة بالقاهرة على رسالة للشيخ ابن

تيمية، وهي مُعْتمدةٌ عند الحنابلة، وطالعتها كلها، فلم أر فيها شيئاً مما ينبذ به ويرمى بـه في العقائـد، سوى ما ذكرنا من تشديده في رد التأويل، وتمسكه بالظواهر مع التفويض، مع المبالغة في التنزيه مبالغةً يقطع معها بأنه لا يعتقد تجسيماً ولا تشبيهاً، بل يصرح بذلك تصريحاً لا خفاء فيه.

والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم، ويأخذه بلازم قوله الذي لا يقول به، ولا يسلم لزومه لقوله، وعلى كل حال، فهو كما قال كثيرٌ من المشايخ في الشيخ محيي الدين، قال سيدنا العلامة الشيخ عبدالله بن محمـد العياشي: وكثيراً ما كنت أسمع من شيخنا العلامة سيدي عبد القادر الفاسي ﷺ يقول: محكمُ كلامه يقضي على متشابهه، ومطلقُه يردّ إلى مقيّده، ومجمَلُه إلى مبينه، ومبهَمُه إلى صريحه، كما هو شأن كل كلامٍ ظهرت عدالة صاحبه، والله أعلم.

قال: ولقد أحسن شيخنـا ﷺ التوفيقَ بين كلامهم وكلام الأشعريـة، كمـا أن الأشعريـة مبرؤون مما نسب إليهم الحنابلـة من التعطيل والتحريف لكـلام الله تعـالى عن مواضعـه، والكـل على هدًى ـ إن شـاء الله تعالى ـ، متمذهبون بمذاهب أهل السنة والجماعة، يصدق كلام بعضهم بعضاً، ويصدّقون كلهم بكلام الله تعالى ورسوله، وهو مصدقهم.

وإن اختلفوا في التأويل والتفويض، فهما طريقـان مسلوكان منسوبان معاً لأهل السنة والجماعة، وإن كثر التفويض عند السلف؛ لعدم احتياجهم إلى ذلك؛ لظهور أهل الأهواء المتمسكين بمتشابه الآيات والأخبار، الحاملين لها قبيح آرائهم، فتعين على أهـل السنـة والجماعـة المناضلين عن الاعتقاد

الحق، تأويلُها على ما يوافق الحق، ويبطل[1] تمسكَ المبتدعة بها.

ولم يقل أحدٌ من الأشعرية بوجوب التأويل، وأنه لا يجوز الإيمان بالمتشابه على ما هو عليه، بل استحبوا التأويل للغرض المذكور، ولم يخالف عقائد أهل الحق من المقلدين الأئمة الأربعة، إلا طوائفُ قليلةٌ لا يُعبأ بهم.

كما قال الشيخ تاج الدين السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم»؛ فقد قال فيه ـ عند ذكره للعلماء، في المثال السادس والأربعين ـ ما نصه: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية، وفضلاء الحنابلة ـ ولله الحمد ـ في العقائد يدٌ واحدةٌ، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ، لا يحيد عنها إلا رعاعٌ من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاعٌ من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية، فلم يُر مالكيٌّ إلا أشعريَّ العقيدة. انتهى.

قلت: ومن أراد أن ينشرح صدره، ويتبين له تبيناً لا مِراءَ فيه صحةَ مذهب الإمام الأشعري، وأنه مذهب أهل السنة والجماعة، فليطالع كتاب الإمام أبي القاسم بن عساكر المسمى: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري»؛ فقد أتى فيه من أدلة الكتاب والسنة، وأقاويل السلف والخلف، ما لا يمتري معه عاقلٌ خالٍ من التعصب: أنه إمام السنة، ورئيس الجماعة المضمونِ لها العصمةُ من الله.

ولقد قال لي شيخنا المترجَم يوماً: ما رأيت مذهباً من مذاهب أئمة المتكلمين، أقربَ إلى مذاهب العارفين وأشبهَ بها، من مذهب الإمام أبي

---

(١) في الأصل: يبطل.

الحسن الأشعري، فما قال العارفون أهـلُ الكشف في مسألـةٍ بخـلاف قول المتكلمين، إلا وجدت قول الأشعري أقربَ إلى قولهم من قول غيره؛ بحيث يمكن رده إلى قولهم بأدنى تأويل، بل المواضع المستشكلة من كلامـه على وفق ما يقوله أهل الكشف.

ولذلك أشكلت على من لم يبلغ مقامه في المعرفـة من أهل الظاهر؛ كقوله في الوجود: إن وجود كل شيء عينه، هو عين قولهم بالوجود المطلق ووحدته، وقوله في الصفات: لا هي هو، ولا هو هي غيره، وقوله في الكسب والاستطاعة، كل ذلك لا كبير فرق بينه وبين ما اتضح لبصائر أهل الكشف.

ومن طالع تأليف المؤلفين في عقائد العارفين وإجماعاتهم؛ كالكلاباذي في «التعرف»، وجدها لا تباين مذاهب أهل السنة والجماعة فيما اتفقوا عليه، وقريبةً من مذهب الأشعري فيما اختلفوا فيه.

وقد ذكرت ما قال شيخنا المترجم لشيخنا صدرِ الجماعة، وإمامِ أهل كل صناعة، العلامةِ العارف المحقق سيـدي عبـد القـادر بن علي الفاسي، فصدّقه في ذلك، وقال: لا شك أن الإمام الأشعري كان له حظٌّ وافرٌ من العلم والمعرفة به، مؤيداً في أقواله، مسدّداً في آرائه، غيرَ خالٍ من الكشف الصحيح، والـذوق الصريح، ولولا ما أقامـه الله تعالى فيـه من مناظـرة أهـل الأهـواء ومناضلتهم، والجري معهم على نحو ما عرفوه من أدلة المتكلمين، لكان رأساً في طريق القوم، وإمامَ العارفين في زمانه، وقد شهد له بذلك أهلُ البصائر من العارفين في زمانه وبعدَه.

ولقد قال لي شيخنا المترجم: إنـه ليشق عليّ كثيراً أن أجـد في كـلام العارفين ما يخالف بظاهره أقوال الإمام الأشعري، ومع ذلك، فلا ألبث إلا

يسيراً حتى يفتح الله لي باباً من الفهم، يتضح لي بـه موافقة كلامهم لرأيه، فأحمد الله كثيراً، وقد علم أن أهل الصدق لا اختلاف بينهم، وإن أوهمه ظاهر كلامهم في بعض المواضع، والله أعلم.

ومن تآليفه ـ أيضاً ـ: «تكملـة القـول الجلي»، وهو جوابٌ عن أسئلةٍ وردت من بعض علماء الزيدية من أهل اليمن، في حياة شيخه القشاشي، وأمره بالجواب عنها، ومن رسائله: «المتمة للمسألة المهمة»؛ يعني: مسألة الكسب، التي ألف فيها شيخه القشاشي رسائله الثلاث، ومنها: رسالة أخرى سماها: «ذيل المتمـة» فيها ـ أيضاً ـ، ورسالة أخرى فيها ـ أيضاً ـ، فله ثلاث رسائل كشيخه، إلا أنها أصغر منها.

ومنها: «إعمال الفكر والروايات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» أجاد فيه كل الإجادة، وحقق الكلام فيها غاية التحقيق.

ومنها: رسالةٌ أخرى في مسألة طال البحث فيها، بين شيخه القشاشي، وأصحاب الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهنـدي النقشبندي، وهي مسألـة تفضيل البشر على الكعبة[1]، وهي مسألةٌ قديمـة البحث، تكلم فيها الشيخ محيي الدين في «الفتوحات»، وحكم بتفضيل البشر.

فلما جاء إلى الشيخ آدم شيخ الشيخ جمال الدين الهندي إلى المدينة، وهو من أجل تلامذة الشيخ أحمد بن عبد الأحد، ألف رسالةً في ذلك شيخُه القشاشي، ثم توفي الشيخ آدم بالمدينة، وسمعت بعض أصحابنا يقول: إن الشيخ القشاشي تصرف فيه بقوة الحال، وأعلم بموته، فمات قريباً من ذلك.

---

(١) جاء في الحاشية: «مطلبٌ: الكلام في تفضيل مكة والكعبة على البشر».

فلما قدم إلى المدينة سنة ثمان وستين أولادُ الشيخ أحمد بن عبد الأحد: الشيخ محمد معصوم، وأخوه، وأولادهم، وكانت لهم نجابةٌ وعلمٌ وفهمٌ، على ما أخبرني شيخنا، إلى أن جرى ذكر المقالة التي وقع البحث فيها بين شيخه القشاشي وبين تلامذة أبيهم، فأمر الشيخ القشاشي تلميذَه شيخَنا المترجم أن يؤلف في ذلك، فألف رسالةً مفيدة.

ولما قدم أولاد الشيخ أحمد بن عبد الأحد المدينة، قدموا في هيئةٍ عظيمةٍ، وأتباعٍ كثير، وانثال الناس عليهم للأخذ عنهم، والتبرك بهم، فبعثوا أولادهم للقاء الشيخ أحمد القشاشي وزيارته.

قال شيخنا المترجَم: فلما انفصلوا من عند الشيخ القشاشي، قال لنا: إن هؤلاء كبراء قومٍ، وأهلُ علمٍ ونسبةٍ لله، قد قدموا علينا في هذه البلدة الشريفة، وتفضلوا ببعث أولادهم لزيارتنا، فيحق عليكم أن تزوروهم في محالهم التي نزلوا فيها مكافأة لهم؛ لئلا يجدوا في قلوبهم.

قال: فوجهني أنا والشيخ مهنا للقائهم، وكان الشيخ مهنا من رجال وقته، له حالٌ قويةٌ، وسلوكٌ مستقيمٌ في الطريق، صحب السيد سالم شيخان باعلوي، وبعد وفاته اتصل بالشيخ القشاشي؛ لما بينه وبين شيخه من الصحبة والألفة.

وكان الشيخ مهنا يقول: إنه وجد القشاشي لما اتصل به أكمل حالاً، وأتم عرفاناً من السيد سالم، فلعل الشيخ القشاشي وصل بعد موت السيد سالم إلى مقام أعلى من مقامه، أو كان كذلك أعلى منه حتى في حياته، إلا أن الشيخ مهنا؛ لقوة استغراقه في شيخه، لم يشعر ـ إذ ذاك ـ بعلو مقام

القشاشي على مقامه.

قال شيخنا المترجم: ولما عزمنا على زيارة الشيخ محمد معصوم، أنا والشيخ مهنا وجماعةٌ من الأصحاب، أضمرت الجزع منه، وتهيأت للقائه؛ لما أخبرت به أن لهم تصرفاً في القلوب قوياً، وتوجهاً عظيماً في مراقبتهم، كما هو شان السادة النقشبندية ﷺ.

فلما أردنا الخروج، قال لنا الشيخ: اذهبوا على بركة الله تعالى، وتحفظوا على نعالكم لئلا تسرق، ولكن ما ثم إلا الخير، قال ذلك على وجه المزاح، وفهمت منه أنه قال: تحفظوا على قلوبكم وأسراركم أن يتصرفوا فيها بهممهم وتوجهاتهم، ولكن لما قال الشيخ: ما ثم إلا الخير، علمنا أنه يمدنا بمدده، فلا يقدرون على التصرف فينا.

قال: فلما دخلنا على كبيرهم، وجدناهم[1] على سرير، وتلقانا وسلم علينا، وجلسنا وجلس، فلحقني هيبةٌ منه عظيمةٌ ورعبٌ، والمجلس غاصٌّ بأهله، فلما استوى بنا المجلس، نظرت إليه وهو متوجِّه، ونظرت إلى الشيخ مهنا وهو جالسٌ بإزائي، ضاربٌ رأسه إلى ذقنه، وهو يغطُّ غطيط البَكْر، ولم يشعر به أحدٌ غيري.

فبعد ساعة رفع الشيخ مهنا رأسه وهو يقول سراً: يحسبون أن أحداً ليس يقدر عليكم، وأن ليس في البلد أحدٌ يقاومكم، حتى خشيت أن يسمعه، فرفعت رأسي إلى الشيخ محمد معصوم، فرأيته قد ارفضَّ عرقاً، فانفصل المجلس، ولم يكلمنا بكلمةٍ واحدةٍ، فعلمت أن الشيخ أمدنا بمدده، وأنه رام

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وجدناه.

التصرف فينا، ولم يقدر، فأوجم لذلك.

وكذلك عادة المشايخ النقشبندية ﷺ، إذا راموا التصرف في أحدٍ، وغلب حاله حالهم، وقوي عليهم، ولم يقدروا عليه، انقلبت قوة حالهم عليهم، فمنهم من يُغشى عليه، ومنهم من يَضعُف، بل ربما أدى ذلك بعضهم إلى الموت، أو ما ترى الصقر إذا انقضَّ على الصيد بقوةٍ، فأخطأه، ربما كان في ذلك هلاكه؟.

وكان هذا الشيخ لما توجه إلى بواطن أصحاب الشيخ بالتصرف، وقابله الشيخ مهنا بتوجه أقوى منه؛ لقوة مدد شيخه، فلم يقدر على التصرف فيهم، انفعل لذلك، وارفضَّ عرقاً، فلم يتكلم بكلمةٍ خجلاً، فلما رجعنا إلى الشيخ، وجدناه ينتظرنا، وكأنه كان عندنا. انتهى.

وله رسائل أخرى في فنون وتقاييد على مسائل فيما يشكل، ومن تآليفه: «رسالة في الكلام على الاستخارة اليومية» التي جرى عمل الصوفية بها، وهي صلاة ركعتين في كل يومين بنية الاستخارة، وقراءة دعاء الاستخارة معتبرة لجميع شؤونه الدنيوية والدينية.

كان يقول ـ على ما ذكر بعضهم ـ في خلال الدعاء: اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك به، وأنطق به، في حقي، وفي حق غيري، وجميع ما يتحرك فيه غيري، وينطق به في حقي، وفي حق أهلي وولدي ومالي، من ساعتي هذه إلى مثلها من الغد، خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي . . . إلخ دعاء الاستخارة الوارد في الحديث؛ فإن بعض الناس أنكر ذلك على الصوفية، وقال: ليس له أصلٌ في السنة، فكتب شيخنا في

ذلك هـذه الرسالـة، استطرد فيها شرح دعـاء الاستخارة شرحاً وجيزاً مفيداً ـ نفعنا الله بذلك بمنه ـ. انتهى.

[٦٥١] إبراهيم بن صالح الهندي الأصل، الصنعاني المولد والمنشأ، الشهير بالمهتدي(١).

أحد الفقهاء المعتبرين، والشعراء المجيدين، شاعر الدولة القاسمية، ومتنبي البلاد اليمنية، وصاحب القصائد البليغة المشهورة، والمقاطيع اللطيفة المأثورة، المشهور بالفضائل الجزيلة، والمتحلي بالأخلاق الجميلة، والمتمكن من عنان صافنِ القريحة، والمتمسك بطيب أذيال اللغة الفصيحة، مَنْ غاص دوائر البحور لاستخراج الدرر، واقتنص بحبائل فكـره مـا سنح من المعاني الغرر، وأجرى طرف الطرف في ميادين الأدب، ونظم بعامل اليـراع ما نثره سيف الفكر من الخطب، وبهر في فنون العلوم، ومهر في المنثور والمنظوم، واشتهر بالشعر الفائق، وافتخر على شعراء العصر بكل معنًى رائق، وتصرف في فنون الشعر تصرفَ المالك، وسلك في طريقته أحسنَ المسـالك، ورزق الحظ الوافر في بديع شعره، والثناء على بيان معاني نظمه ونثره، وأقرت له الأقران بالإجادة، وشهدت له الأعيان بالحسنى وزيادة، وكيف لا، وهو غرةٌ في جبهة دهره، وشامةٌ في وجنة عصره، كريم البنان، طلق الوجه واللسان، لطيف الشمائل، بديع الخصال، يجالس النبلاء، ويحب الفضلاء.

---

(١) «نفحـة الريحـانـة» للمحبي (٣/ ٥٦٥) (٢٦٣)، «نشر العـرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٢٩) (٩)، «البدر الطالع» (١/ ١٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٦٩)، «هدية العارفين» (١/ ٣٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٤٣).

اجتمعت به لما قدم مكة، عام ألف ومئة، فرأيته أحسنَ رجل سبك القريضَ، وأخرجه في قالب حسن، وأبلغَ من قدم علينا من صنعاء اليمن، واجتليت بدرَ محياه، وتعطرت بعبير ريَّاه، واقتطفت دررَ الآداب من حديثه، وتفكهت بما رواه من قديمه وحديثه.

وأحبَّ الإقامة في مكة، فلم يمكنه ذلك، وأخذ في أهبة ترحاله، ورجع من البحر إلى بلاده، وهو لا يخلو من كسل بعد حجه الميمون، فلما وصل إليها، سقي لكأس المنون، وفقده المحبون والبنون، فتوفي سنة ألف ومئة وثلاث، بروضة حاتم، من مخارف صنعاء، ودفن بها ـ رحمه الله ـ، ولما بلغ خبر وفاته هناك، رثاه جماعة من الأدباء بمكة، منهم: السيد الأديب أحمد ابن أحمد بن محمد الآنسي، وكان إذ ذاك مجاوراً بمكة، فقال:

قضى نحبَه ربُّ البلاغة والطِّرْسِ ... وغُيِّبَ ذاك البدرُ في باطن الرمْسِ
لقد كان إبراهيمُ آيةَ عصرِه ... فآلت به أيدي المنون إلى الطَّمْسِ
فو اللهِ ما الكنديُّ نظمًا يقيسه ... وفي منبر العلياء أخطبُ من قُسِّ
ويرسل أمثالاً تفوقُ فصاحةً ... على العربِ العرباءِ في حِكَمِ الفرسِ
فلو كان يحمي عن حِمامٍ تعذُّرٌ ... رددنا الردى بالسيف عنه وبالترسِ
لقد زلزل القطرَ اليمانيَّ موتُه ... وقلقلَ من أرسى على جبل الرسِّ
وكادت بناتُ النعش تنعشُ نعشَه ... ولكنها لا تدرك الغشَّ[1] بالمسِّ
فيا شخصَه الثاوي بروضَةِ حاتمٍ ... مؤرَّجةِ الأرجاء مثمرةِ الغرسِ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: النعش.

سقتك دموعُ العين مني ولو يكـن ... يفيـد الفـدا منـي فـديتُك بـالنفسِ
لئن عقدَ الحزنُ اللسانَ عـن الرثـا ... فربـعُ ودادي بالوفـا عـامرُ الـدسِّ
وإن هو قـد أُنـسي عهـودَ مـودتي ... فتذكارُه أُنـسي إذا هـو قـد أُنـسي
لقـد عـدمت منـه البلاغـةُ نظمَهـا ... كما دُرست تلك العلوم من الدرسِ
سَـمِيَّ خليـل الله صـرتَ بحفـرةٍ ... مقدسةٍ تحكي سَمِيَّكَ في القـدسِ
سـلامٌ علـى الآداب بعـدك إنمـا ... صدورُ رثاها فيك من ألْسُنٍ خُرسِ
بكتك يراعـاتُ القـريض ودمعُهـا ... سوادُ الأماني لا السوادُ من النفس
وعادَ بياضُ الصحْفِ يَصْفَرُّ عندما ... تخضَّبَ من دمع المحبينَ بالوَرْسِ
وكم بدلَ الموتُ التهانيَ بالأسـى ... وبدل أيدي الجَسِّ لطمًا من الحسِّ
ومن حدثانِ الدهرِ لم يسلمِ امـرؤٌ ... كفى عظةً جريُ الكسوفِ على الشمس
لقد فارقتنا الأمـس أترابُنـا الألـى ... طفقنا عليهم نضرب الخمس بالخمس
أَنِسْنا بهـم دهـراً فأوحـشَنا النـوى ... وبالرغم أن أرضى التـوحُّشَ بـالأنس
ألم تر كم حَيٍّ عـن الحيِّ مقفـراً ... فليس نرى فيه أنيسـاً مـن الإنـسِ
رضيتُ فراقـي للحيـاة وكيـف لا ... وقد خَلِيَ المغنى عن النوع والجنسِ
فلا خيرَ في عيش الفتى بعدَ صَحْبه ... فكيف وحكمُ الدهر يجري على العكسِ
إذا ما شكوتُ الأمسَ فاليومُ مثلُـه ... فو أسـفا مـا أشـبهَ اليـومَ بـالأمسِ
فـآسِ بـإبراهيم عــن شـقيقه ... وإن كنتُ أولى من يوسى به آسـي
أرى العمرَ حبسَ النفسِ في سجن همِّها ... وموتَ الفتى إطلاقَ تلك من الحبسِ
فيا متلفًا للـنفس فـي كـسبِ مالِـه ... لقـد بعتَهـا والله بـالثمن الـبَخْسِ

ويا ساعيًا في غير مرضاةِ ربّه لقد ملتَ عن سعد المساعي إلى النحس

فلا ترتجي غيرَ الآله فإنه عليك رقيبٌ حين تصبح أو تمسي

ولي حسنُ ظن بالإله ولم يخبْ رجاءٌ لراجٍ ربّه حسنِ الحدسِ

ولما بلغ خبره إلى مكة، رثاه صاحبنا السيد الأديب هاشم بن أحمد الأزراري المكي بقوله:

عزاءٌ سارَ من بلدٍ سَنِيٍّ على متن الشّمالِ مع العَشِيِّ

فأصبح بعد أن عَزَّى الأخلا بصنعا في الخليلِ المهتدِيِّ

يبثُّ محاسنًا عني رواها يضاهي عَرْفُها زهرَ النَّدِيِّ

على أخلاقه الغُرِّ اللواتي كزهر النجمِ والخَلْقِ السوِيِّ

ويملأ سمعَ هاتيك النواحي بما يُمليه من قلبٍ شَجِيِّ

ويُنشد والجنوبُ له نُهيتٌ على ردِّ الجواب من الضحيِّ

لقد ماتَ القريضُ وكلُّ معنًى يدقُّ خَفاه عن فهمِ الذكيِّ

بموتِ مهذَّبٍ نَدْبٍ فقيهٍ بليغٍ بارعٍ شهمٍ أَبِيِّ

أديبٍ لو رآه أبو المعالي لأعلاه على الندب الصَّلِيِّ

ولو جاراه في نكت سَرِيٌّ لأربى بالعويص على السرِيِّ

بصارمِ لفظِه الهنديِّ كم ذا يكلم كلَّ تركيٍّ تقيِّ

ويبدي من معاني الشعر ما لو تجسمَ لادَّعاه أبو عَلِيِّ

تمكن منه سامُ الفضل حتى به افتخر الضعيفُ على القويِّ

فإبراهيمُ في الدنيا كثيرٌ ولكن لا كهذا اللوذعيِّ

وقولي ما له في الفضل ضِدٌّ يؤيد بالأديبِ اليافعيِّ

وعيـــشِك موتُـــه رزءٌ عظـــيمٌ   لـه فـي القلـب فعـلُ المَـشْرَفِيِّ
ولكنــي أُصَبِّـــرُ عنـــه نفـــسي   وأُلزمهـــا التأسِّـــي بـــالنبيِّ
فكــنْ يــا صـنوَهُ مثلـي صـبورًا   تُجــازى بــالثواب مــن العَلِــيِّ
وقـــل للـــشامتين بـــه رويـــداً   فــلا بــدَّ الممــاتُ لكــل حَــيِّ
ودونَــك مــن أخــي وُدٌّ نظامــاً   يــؤرِّخُ موتَـــه خـــتمُ الـــرويِّ
ويــسأل أن تــصيخ لــه اسـتماعًا   وتنظـــره بعـــين الألمعـــيِّ
فـإن شـمتَ الـوليَّ عليـه يبكـي   وثغـرَ البـرق يـضحك بـالوليِّ
بمـــزنِ العفـــوِ والغفـــران أرِّخْ   (سـقا الجنـان قبـر المهتـدي)

ومن شعر المترجَم قولُه في مليحٍ أكل قاتاً:

أُشَبِّـــهُ ثغـــرَهُ والقـــاتُ فيـــه   وقــد ذابــتْ بعــشقته القلــوبُ
لآلٍ قـــد نبـــتْنَ علـــى عقيـــقٍ   وبينهمـــا زُمُـــردَةٌ[1] تـــذوبُ

وله في مليحٍ حَمَّامي:

بالمـــاءِ وافـــى ريـــمُ حَمَّامنـــا   يـــصبُّه صَـــبًّا علـــى الـــصَّبِّ
وقــال لـي هـل لـك فـي بـاردٍ   قلـتُ نعـم مـن ريقِـك العـذبِ

وله في مليحٍ اسمه يحيى:

ولرد يوم فـي النجـادِ رمـز لـي[2]   وحـــلا بوصـــل مهفهَـــفٍ مَيَّـــادِ

(١) في الأصل: زمرة، والصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل.

ريـــان كـــالخطيِّ إن ســـمته		يحيـا بــه بعـد الممـات فـؤادي

وله في مليحٍ اسمه سرور:

بروحـــي أفديـــه مـــن حبـــشيٌّ		قـــد ســـباني بمقلتَـــيْ يُعْفُـــورِ

يـــا خليلـــيَّ لا تلومـــا إذا مـــا		زدتُ حزناً فصبوتي فـي سُـرور[1]

[٦٥٢] إبراهيم بن أبي بكر بن إسماعيل الدنـاني العـوفي؛ نسبةً إلى عبد الرحمن بن عوف؛ لأنه من ذريته، الصالحي، الحنبلي[2].

كان من الأعيان الأفاضل، وسراة الأماثل، لـه المهارة القويـة، واليد الطولى، والهمة العلية، في الفرائض والعلوم الحسابية، والفقه، وغيره من العلوم الدينية.

ولد بمصر سنة ثمان وعشرين بعد الألف، وقرأ القرآن، وأخذ الفقه عن العلامة منصور الحنبلي البهوتي، والحديث عن جمعٍ من شيوخ الأزهر، وأجازه غالب شيوخه، وكان ـ رحمه الله ـ، لطيف المذاكرة، حسن المحاضرة، قوي الفكرة، واسع العقل، وكان فيه رساسةٌ وحشمةٌ، ومروءةٌ كاملةٌ، وتعصبٌ مع من يعرف ومن لا يعرف.

وكان من محاسن مصر في كمال أدواته وعلومـه، مع الكرم المفرط، والإحسان إلى أهل العلم والمترددين، وكان حسن الخَلْق والأخلاق، جميل المصاحبة للإخوان والرفاق، وكان يرجَع إليه في المشكلات الدنيوية، وأما

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «سرور» صفحة ونصف بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٤).

انتظام أحوال الجامع الكبيرة، فكان لا يتم ولا يحسن إلا بوجوده، ورأيه ومشورته؛ بحيث إن أمراء مصر وكبراءها إذا فعلوا مهماً من عرس وغيره، يكون هو المرتِّب له.

وبالجملة: فإنه كان حسنة من حسنات الزمان في هـذا الأوان، وكان بينه وبين والدي ـ رحمهما الله ـ صداقـةٌ شديدةٌ، ومحبةٌ أكيدةٌ، ولنا به كثير إلمام والتئام، وولي النظر عليّ وعلى إخواني، بعد موت الوالد أعواماً، وكان قوي الميل إليّ، كثير الحث لي بالاشتغال بالعلم النافع.

ومن مؤلفاته: «شرحٌ على منتهى الإرادات» في الفقه على مجلدات، و«مناسك الحج» في مجلدين، ورسائل كثيرة في الفرائض والحساب.

توفي ـ رحمه الله ـ فجأةً، ظهر يـوم الاثنين، رابـع عشر ربيع الثاني، وصلى عليه بالجامع الأزهر، الشيخُ إبراهيم البرماوي إماماً بالناس، ضحى يوم الثلاثاء، خامس عشر ربيع الثاني، سنة أربع وتسعين وألف، ودفن بتربة الطويل عنـد والده، وكـان مشهداً عظيماً، ومولده في ثمان وعشرين وألف بمصر.

[٦٥٣] إبراهيم أبو إسحاق محمد الآنسي السوسي المغربي المالكي(١).

الشيخ الفاضل، البارع الكامل، الأديب الأريب، الناظم الناثر، الكاتب الشاعر، كان من أكابر الأفاضل، جامعاً للفنون والعلوم والرياضة، وله معرفةٌ جيدةٌ في علم الوفق والزايرجا والرمل، وله في فن الدعـوة والأسماء براعـةٌ

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٣٦) (٣٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٤).

وقوةٌ، نظم «رسالة المرجاني» في الوفق المخمس الخالي الوسط، وشرحها شرحاً عجيباً.

اشتغل بالعلم ببلاد سوس من المغرب الأقصى، ثم تنقل في بلاد المغرب، فرحل إلى مدينة مراكش، وأخذ عن مفتيها ومحققها سيدي الشيخ محمد بن سعيد، وغيره من علمائها، ودخل مدينة فاس ـ حاطها الله ـ، وأخذ عن جمٍّ غفيرٍ من الشيوخ بها، وخرج منها إلى الزاوية من أرض الدلا، وأقام بها مدةً مديدةً، وأخذ عن جمعٍ بها، منهم: شيخنا سيدي محمد المرابط، وغيره، وله نثرٌ ونظمٌ في غاية الرقة والانسجام.

اجتمعت به في مصر المحروسة، سنة خمس وسبعين وألف، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومراسلاتٌ عديدةٌ، وكنت مدحته بأبياتٍ، فأجابني عنها برسالةٍ في نحو كراسة سماها: «الديمة العطفا في مراجعة مصطفى»، مشتملةٍ على قصيدةٍ عجيبةٍ، ونثرٍ كذلك.

وأخبرني عنه بعض أصحابه: أنه أخذ عن شيوخٍ كثيرين، وأنه جمع من شيوخه من اسمه محمد، فبلغ نحو سبعين شيخاً، ثم توجه من مصر إلى مكة المشرفة، وأقام بها إلى أن مات في غرة محرم، افتتاح سنة سبع وسبعين وألف، ودفن بالمعلاة ـ سقى الله ضريحه صَيِّبَ الرحمة والرضوان، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان ـ.

ومن شعره قوله:

لا غَرْوَ إن كنتَ تجفو الإنسَ يا رَشَأ ... فمن خصال الظِّبا أن تنفر البشرا
يا ليتني كنتُ وحشياً أنزه في ... مفتون وجهك في سقطِ اللوى نظرا

وكتب إليه وهو بالزاوية من أرض الدلا بعض أدبائها:

يـا أبـا إسـحاقَ قـل لـي مـوجزًا　　أيُّ شـيء مبـردٌ حـرَّ النـوى
قـد أبَـتْ إلا الـسهادَ مقلتـي　　وانـسكابَ الـدمع شـوقًا لِلُّـوى

فأجابه بقوله ـ رحمه الله ـ:

زارنـي روضُ بيـانٍ سَـحَرًا　　جـامعٌ بـين رُواءٍ وروى
تتهـادى فـي الحـشا نفحتُـه　　طلبـتْ منـي دوا دَاءِ النـوى
قلت عـن طـبٍّ ومـا يعـزى لمـن　　جـربَ الأمـرَ علـيمٍ بالـدوا
عـرقُ وصـلٍ وثبـاتُ الـصدر مـعْ　　مـاء ثغـرٍ شَـنِبٍ كُـلٌّ سَـوا
فاسـحقَنْها فـي مهـاريس اللُّـوى　　واشـربَنْها بكـؤوسٍ مـن هـوى
لَهْـيَ دِريـاقٌ لأمـراضِ النـوى　　مطفئٌ بينَ الحـشا جمـرَ الجـوى

وكتب إليّ ـ رحمه الله ـ معاتباً:

فديناكَ يا بن الفتح من كـل بـوسِ　　وإن جَـلَّ مـا نفديـه فـوق نفـوسِ
فحاشا الذي أَمَّلْتُ فيك من الصَّفا　　يُـشاب بأقـذارِ الجفـا وعبـوسِ

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

وكيـف ولـي ودٌّ تقـادمَ عهـدُه　　نفائـسُهُ تُـزري بكـل نفـيسِ
ولولاكَ ما قلَّـدتُ يـا نـورَ مقلتـي　　بكـل نفـيسِ الـدرِّ جيـدَ طُـروسِ
ولا أطْلَقَـت نفـسي العنـانَ تأنـساً　　ولا فرحـت يومًـا بكـل جلـيسِ
وما كان ظني منك تُبـدي عبوسـةً　　وأنت مدى الأزمان خيـرُ جلـيسِ

فلا زلتَ في جيد الكمال قلادةً كما زان عقدُ الدرِّ نحرَ عروسِ

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

يا مَنْ رماني بسهم اللحظ فِيَّ مضى أوحشَتني وحشوْتَ القلبَ جمرَ غضا
كسرْتَ جفني بتكسير الجفون كما نَصَبْتَ خالي لأسهامِ الجفا غَرَضا
فكم نصبتُ لك الأشراكَ في حُلمٍ لعل طيفَك وهنًا في الكرى عَرَضا
وأُضرمُ النارَ بالذكرى على عَلَمٍ من مهجتي يهتدي للنار حيثُ أَضا
إن قست قدَّك بالبدرِ المنير علا غصن على كثيب الجرعا ذات أضا
لله ظبيٌ حشا بالسحر مقلتَه فكم حليمٍ به آساره حَرَضا
في فيه عين وعين فيه جوهرةٌ من الحياة وبرقٌ للمنى وَمَضا

[٦٥٤] إبراهيم باشا الوزير نائب مصر[١].

كان له مشاركةٌ في العلوم، وسلك مسلك القضاة مرةً، ثم صار دفترداراً بالشام، ورجع إلى الروم، وسلك مسلك الوزراء، إلى أن صار وزير مصر، وكان ممدوح السيرة في ولايته، وله فضيلةٌ تامةٌ، وحسن معاشرةٍ، وأدب.

إلا أن الله سبحانه امتحنه بقصة الشيخ العارف بالله زين العابدين البكري، دخل إليه بقلعة الجبل بمصر، وأخرج من عنده ميتاً، وزعم أنه مات فجأةً، ثم ترجح عند الناس أنه خنقه أو سمّه، فلم يبق بعده إلا أياماً يسيرةً، حتى قتله عساكر مصر؛ حميةً للشيخ زين العابدين، وحملوا رأسه، وطافوا به على

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤٤) (٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦١)، «معادن الذهب» للعرضي (٤٤) (٦).

مصر، وكان ذلك في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ، كذا ذكره الغزي في «الذيل».

قلت: وحصلت لسيدي الشيخ زين العابدين كرامةٌ عظيمةٌ، وهو أنه دخل قبل موته بأيامٍ يسيرةٍ موشحةً يغني بها، ومنها قوله:

وفـاتكي فـي النـاس دمـه مـسفوح

وكان الأمر كذلك، فسفح دم قاتله، كما ذكره المترجم له. انتهى.

[٦٥٥] إبراهيم بن حثيث[1].

علامة «ذمار» وقاضيها، وناشر لواء العلوم بناديها، كان متضلعاً من العلوم الشرعية، مشاركاً في العلوم الأدبية، خفيف الروح، كثير المروءة والفتوة، محسناً للناس، خصوصاً الفقهاء، وطلبة العلم، ومساعداً لهم على المناصب، معيناً لهم على نيل المراتب، وبلوغ المطالب، له ثروةٌ عظيمةٌ، ومكارم جسيمةٌ، توفي سنة إحدى وأربعين وألف ببلده ـ رحمه الله ـ.

[٦٥٦] إبراهيم بن حسن الأحسائي الحنفي[2].

من أكابر العلماء العاملين، والأئمة المتقين، المتحلين بالقناعة، المجدين بالطاعة، كان فقيهاً نحوياً مفتياً في علومٍ كثيرةٍ، قرأ ببلاده على شيوخ كثيرين، وأخذ بمكة عن مفتيها عبد الرحمن المرشدي، وكتب له إجازةً حافلةً وقفتُ عليها، أشار فيها إلى تمكنه في العلوم.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٦٨) (٨).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٥).

وأخـذ الطريق عن العارف بالله الشيخ تـاج الـدين الهندي، حين قدم الأحساء، وعنه: شيخنا الأمير يحيى بن علي باشا حاكم الأحساء، وكان يثني عليه، ويخبرنا عنه بأخبارٍ عجيبةٍ، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ في فنون عديدة، منها: «شرح نظم الآجرومية» للعمريطي، ورسالةٌ سماها: «دفـع الأسى في أذكار الصباح والمسا»، «وشرحها»، وكانت وفاته فجر اليوم السابع عشر من شوال، ببلده الأحساء ـ رحمه الله ـ.

وله أشعارٌ كثيرةٌ منها قوله:

ولا تكُ في الدنيا مضافًا وكن بهـا ... مــضافًا إليـــه إن قـــدرتَ عليـــهِ
فكـلُّ مـضافٍ للعوامـلِ عرضـةٌ ... وقد خُصَّ بالخفض المضافُ إليه

[٦٥٧] إبراهيم بن حسام الكرماني، المتخلص بشريفي[١].

من علماء الروم المشهورين، لـه نظم الشافية في التصريف سماه بـ: «الفوائد الجليلة»، توفي سنة ست عشرة وألف، وله «شرح على الفقه الأكبر لأبي حنيفة».

[٦٥٨] إبراهيم بن حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن بيري[٢].

مفتي مكة، وأحد كبار فقهاء الحنفية وعلمـائهم المشهـورين، وممن تبحر في علوم الدين، وتحرى في نقل الأحكام الشرعية مظانها الغريبة، وحرر

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٥)، «هدية العارفين» (١/ ٢٩).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٩).

المسائل العجيبة، وانفرد بالحرمين بعلم الفتوى، وجدد من مآثر العلم ما درس وأقوى، له الهمة العلية، في الانهماك على مطالعة الكتب الفقهية، وصرف الأوقات في الاشتغال بالعلوم الدينية، ومعرفة الفرق والجمع بين المسائل، الذي هو المقصـود من الفقـه للأفاضل، سارت بذكـره الركبـان، في سائـر البلدان؛ بحيث إن علماء كل إقليم يشيرون إلى جلالته.

وقد كنت بمصر قبل وصولي إلى مكة ـ شرفها الله ـ في مجلسٍ حافلٍ، فيه جمعٌ من أكابر العلماء الجلة، إذ الناس ناسٌ والزمان زمان، فجرى ذكره في غضون كلام، فأطبقوا في الثناء عليه، ولم يختلف منهم اثنان في مهارته في الفقه، وفي حسن مؤلفاته فيه، ثم اجتمعت به بمكة ـ شرفها الله ـ، فصادف الخُبر الخَبر.

وُلد في نيف وعشرين بعد الألف، وأخذ الفقه عن عمه العلامة محمد ابن أحمد بن محمـد بيري، تلميذِ الشيخ علي بن جار الله وخريجِه، وشيخ الإسلام عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، وغيرهما، وقرأ في العربية على علي بن الجمال، وأخذ الحديث عن محمـد علي بن علان، وأجازه شيوخٌ كثيرون، وكتب له بالإجازة جمعٌ من شيوخ الحنفيـة بمصر، منهم: خاتمـة الحنفية بالديار المصرية، الشهاب أحمد الشوبري، وجد واجتهد حتى صار فريد عصره في الفقه، وانتهت إليه فيه الرياسة.

وأخذ عنه كثيرٌ من العلماء، منهم: شيخنا الحسن بن علي العجيمي، وكثيرٌ من الوافدين إلى مكـة، وولي إفتاءها سنين، ثم عـزل عنهـا لما تولى الشريف بركات مكة؛ لما كان بين المترجم وبين محمد بن سليمان المغربي من عدم الألفة، وكانت أمور الحرمين في أول دولة الشريف بركات منوطة به،

والشريف بمنزلة الصفر الحافظ لمرتبة العدد.

وكان له ولدٌ نجيب مات في حياته، وانقطع من بعد ذلك عن الناس، وصار لا يجتمع بأحـد إلا من خاصتـه، ومع ذلك، فهو مجدٌّ في الاشتغال بالمطالعة والتحرير.

ولـه مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل تنيف على سبعين، منهـا: حاشيته على الأشباه والنظائر، سماها: «عمدة ذوي البصائر»، و«شرح الموطأ رواية الإمام محمد بن الحسن» في مجلدين، و«شرح تصحيح القدوري للشيخ قاسم»، و«شرح المنسك الصغير للملا ـ رحمه الله ـ»، و«شرح منظومة ابن الشحنة في العقائد»، و«رسالةٌ في جواز العمرة في أشهر الحج»، و«السيف المسلول في دفع الصدقة لآل الرسول»، و«الرسالة في المسك والزباد»، وأخرى في «جمرة العقبة»، و«رسالة في بيض الصيد إذا دخل الحرم»، وأخرى في «الإشارة في التشهد»، و«رسالة جليلة في عدم جواز التلفيق» رد فيها على عصريِّه مكي فروح.

وقرظ جمعٌ من العلماء مصنفاته، منهم: شيخ شيوخنا الشهاب أحمد الشوبري، والعلامة المحقق شيخ الإسلام يحيى المنقاري، مفتي السلطنة.

وكانت وفاته وهو ممتَّع بحواسه، صبح يوم الأحد، سادس عشر شوال، سنة ست وتسعين ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف بمكة، وصُلي عليه عصر يومه بالمسجد الحرام، في مشهدٍ حافلٍ، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة السيدة خديجة زوجة رسول الله ﷺ.

وكان قلقاً من الموت، فرآه ﷺ قبل وفاته بليلةٍ وهو يقول له: يا إبراهيم! مت؛ فإن لك بي أسوةً حسنةً، فقال: يا رسول الله! على شرط أن يكتب لي

ثواب الحج كل سنة، فقال له ﷺ: ذلك لك، أو كلاماً معناه، هكذا أخبرني بعض تلامذته.

[٦٥٩] إبراهيم خليفة.

ولد بقلعة تتل، من أعمال لواء سكدين، من مضافات أيالة بدون، ونشأ بها، ثم ارتحل إلى قسطنطينية لتحصيل العلوم، وقرأ على علمائها، إلى أن صار ملازماً، ثم قاضياً بقصبة واج من أعمال تعز بدون، وحكم بها مدةً بالعفة والنزاهة، فلما صار منعزلاً، تركها، وصار شيخاً بزاوية الدفتر، دار خارج قلعة بدون، وأقبل الناس عليه؛ لكمال زهده وصلاحه، ثم وصل إلى خدمة الشيخ عبد الكريم الأشتيبي، وصار من جملة خلفائه، ثم حج سنة ثلاث بعد الألف، ورجع وسكن بالزاوية المذكورة، إلى أن استولت الكفار على تلك البلاد، ووقع الهرج والمرج، فارتحل منها إلى بلده «بلغراد»، وسكن بها، وكان شيخاً صالحاً واعظاً، متديناً متشرعاً، لا يخاف في الله لومة لائم.

[٦٦٠] إبراهيم دده.

كان ساكناً في قلعة كوله، بولاية طمّوار، من مضافات روم إيلي، يقال: إنه كان أويسياً، وقد غلبت الجذبات عليه، واجتهد حتى بلغ ما بلغ، وكان موجوداً في صدر المئة.

[٦٦١] إبراهيم دده.

كان مقيماً بقرية بين لوانده عند بلدة لارنده، من مضافات ولاية قرمان، وكان شيخاً صالحاً عابداً، صاحب حال، ذكره الشيخ بيني دده الساكن بقصبة أركلي.

[٦٦٢] إبراهيم بن صالح الهندي الأصل، الصنعاني المنشأ والمولد، الشهير بالمهتدي.

الخليل الذي لا يضاهيه مع مراعاة النكتة حبيب، والأديب الذي وبلُ براعاتـه، ونبل يراعاتـه، يصوب ويُصيب بحر القريض، وصاحب القصائد المحررة، فكل رَقٍّ بها مفتون، ورب الفكر الذي هم في يَمٍّ آدابه فُلك بكل بديعةٍ مشحون، وبدر الفصاحة الذي كمل، فما فيه لو ولا ليت، ورافع قواعد كل بيت، نظمُه ولا عجب إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت.

مدح بشعره الخلفاء والملوك، وقصدهم بقصائد تُخجل فرائدَ السلوى، ولم يُسْدِ برودَ مديحه إلا لأجلِّ مُسدٍّي، ولم يَصدح بمدح أحدٍ أكثرَ من صدحِه بمدح الإمام أحمدَ بن الحسن المهدي؛ فإنـه أكثر من أراشَ جناحَـه بنعَمه، وطوَّقه بمواهبه، وأسكنه في رياض كرمه، وأكثر من بلل جناحه بالندى من بعده، بما أكثر من مواصلته وقصده، فلم يستطع الطيران من حضرته، وأنى يطير مبلولُ الجناح؟.

وارتقى به الشعر حتى صار جليس أئمـة اليمن وملوكهـا، معدوداً في الصدور والأماثل، منظوراً بعين الفضل عند كل كامل، وكان مشهوراً بالإجادة في التشبيهات، حتى قال بعض أهل اليمن فيه مبالغاً: إن أنصف لم يفضل ابن المعتز عليه، وبالجملة: لم يكن في زمانه باليمن أشعر منه، وقد اشتهر ذلك.

ومن نظمه الذي خلا عن التعقيـد سحره، قولـه من قصيدةٍ كتبها إلى القاضي محمد بن الحسن الحيمي:

وبديعـة التطويـقِ فـي قُمُـصٍ   نـسجت مـن النـسرين والـوردِ

باحت بشجوي وهي نائحة ... إن المحبَّ بشجوه يُعدي
شتان ما بيني وبينك يا ... ورقاءُ وبين الغصن والقدُّ

قوله: إن المحب شجوه يعدي، هو كقول القائل، والفضل للمتقدم:

يا خالياً من هذاب قلبي ... وسالماً من رسيس وجدي
لا تتقرب إلى ثيابي ... فإن داء العزم يعدي

وقوله في مليحٍ مشروطٍ:

بي مشروط وجنة إن تسلني ... عن رناه فكابنةِ الزرجونِ
وإذا ما سألت عَمَّنْ نصب الشر ... ط فضبط تلك الجفون

وقوله في رباعية:

مولاي بما في الثغر من اسفنط ... بالجيد بذابل القوام الخطّي
افتح لي باب الضم وزرْ ... واسمح بجزائي قبلة في الشرط

وفي بعض رحله لكوكبان، قاصداً لملكه، كتب إلى وزيره عبد الرحمن ابن الهادي، وكان غائباً عن حضرته في بلدة يقال لها: «حبابة» قوله:

كاتبَ السرِّ لِمْ جفوتُم أديبًا ... حافظًا تعشق النجومُ خطابَهْ
وصددتُم كأسَ المودةِ عنه ... وجعلتُم عذر البعاد حَبابَهْ

أراد بحبابه: حباب الكأس المستعار للمروة والبلدة المذكورة، وهي توريةٌ بديعةٌ، **توفي** ـ رحمه الله ـ بصنعاء، بعد رجوعه من الحج سنة ألف ومئة وواحد.

[٦٦٣] إبراهيم الطاهر بن إبراهيم بن أبي الغيث بن أحمد بن أبي الغيث ابن أبي القاسم البحر، الملقب بالزبيدي.

كان سيداً جليلاً، صاحب تربيـة وأدب وذكر، وحسن أخلاق، **توفي** ثامن عشر جمادى الآخرة، سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بالمنصورية، من قرى بيت الفقيه بن عجيل عند جماعته.

[٦٦٤] إبراهيم بن الطاهر بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر، ونسبه في ترجمة أخيه محمد.

كان هذا السيد من أكابر الصالحين، رزقه الله القبول التام، وفتح عليه بدنيا واسعة، وحج **فتوفي** يوم النحـر بمنى، سنة سبع وأربعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، **ومولده** في شوال، سنة تسع وتسعين وتسع مئة.

[٦٦٥] إبراهيم بن طلحة المهتار.

كان على قدمٍ كاملٍ من العلم والعبادة والتصوف، وإليه المنتهى، أخذ عن الشيخ تاج الدين النقشبندي، وقرأ عليه الحسن ابن الإمام القاسم مدة إقامته في الحمى، من علوم التصوف والنحو طرفاً صالحاً، وكانت **وفاته** في جمادى الأولى، سنة ثمان وخمسين.

[٦٦٦] إبراهيم القدسي الحنفي.

نزيل الصالحية، كان فاضلاً ذكياً، مستحضِراً للمسائل الفقهية، بارعاً في فنون العربية، ملازماً للطاعة، ولأهل دمشق فيه اعتقادٌ، وله عندهم قبولٌ، وكان من عادته أن يجمع بعض الزكوات والصدقات من الأغنياء، ويصرفها

لمستحقيها، وكانت فيه خصالٌ حميدةٌ من التعفف ومكارم الأخلاق، وحمل أثقال الضعفاء، توفي يوم الخميس، رابع عشر ذي القعدة، سنة ست بعد الألف، ودفن بسفح قاسيون ـ رحمه الله ـ.

[٦٦٧] إبراهيم النبتيتي.

الشيخ المجذوب الصاحي، كان أولاً حائكاً ينسج في الغزل بنبتيت، من أعمال الشرقية، فأجنب يوماً، ودخل مكاناً فيه ضريحٌ لبعض الأولياء ليغتسل فيه، فجذبه به، فخرج هائماً، وترك أهله وأولاده، وقدم مصر، فأقام بجامع إسكندر باشا، بباب الخرق، نحو عشرين يوماً، وبعضهم يسبه، وبعضهم يستثقله، وبعضهم يخرجه؛ لما يرى منه من تقذير المسجد، ثم تحول لجامع المرأة، بقرب تحت الربع، ثم عاد إلى بلده نبتيت، وسكنها إلى أن مات بها.

وله كراماتٌ، منها: أنه كان لبعض محارمه ولدٌ، فقعدت تلاعبه بسطح الجامع، وهو صحيح، فقال لها: أتحبينه؟ فقالت: مالَكَ وذاك؟ فقال: ودِّعيه؛ فإنه بعد غدٍ يموت بعد العصر، فكان كذلك.

ومنها: أنه أخبر جماعةً بما اضمروه، منهم: الشيخ علي الحمصاني، قال: أنكرت على بعض الجند شيئاً يخالف الشرع في نفسي، ولم أنطق به، فقال لي الشيخ إبراهيم المذكور: ما فضولك؟ ما أدخلك؟ يا كذا وكذا! وسبني وشتمني، كن في نفسك، واشتغل بها.

توفي عام ثمانية عشر بعد الألف، وحضر جنازته خلقٌ كثيرٌ، وعَمَّر له الباشا قبةً في بلده ـ رحمه الله ـ.

[٦٦٨] **إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني الشافعي**(١).

الشيخ الفاضل الأديب، اللوذعي الأريب، ذو الهمة العلية، والعزمات البهية، المنهمك على الاجتماع بالعلماء، والمتشوق للقاء النبلاء والفضلاء والكرام، حوى الفضيلتين، وجمع الشرفين، واستحق أن يمدح بهذين البيتين:

لقد حزتَ يا عينَ الكرام مناقباً يقصِّر عنها منطقي وبياني

وأثنى عليك الناسُ في كل بلدة فلا زلتَ ممدوحًا بكل لسانِ

وُلد بالمدينة الشريفة سَحَرَ ليلة الثلاثاء، ثالث شوال، سنة سبع وثلاثين بعد الألف، وقيل في تاريخ مولده:

وقد أتى تاريخُه (أبشرْ بفتحِ الأحدِ)

ولازم والده، وهو من أجلِّ الشيوخ الذين رأى، وأغنى من عنه أخذ وروى، وبرع وتأدب، ونافس إخوانه في الجد والطلب، وتصدر للإقراء في المسجد النبوي بضروب العلوم، وبلغ الغاية في المنثور والمنظوم، ورحل إلى الروم عام ثمانين بعد الألف، وتلقاه علماؤه بالقبول، وألّف رحلة بديعة ذكر ما اتفق له في سفره هذا، وذكر جماعة ممن اجتمع به من أكابر الفحول سماها: «تحفة الأحياء وسلوة الغرباء»، ورجع إلى المدينة، فلم يلبث إلا مدة يسيرة، وغاب نجمه بعد الأفول، **فتوفي** - رحمه الله - ليلة الاثنين ثاني رجب سنة ثلاث وثمانين بعد الألف بالمدينة، ودفن بالبقيع الفرقد

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٦٦) (٣٢٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٤٦).

ـ رَوَّح الله روحَه، وسقى ضريحه ـ.

ومن شعره: قوله يمدح الصدر الأعظم الوزير أحمد باشا، واتفق أنه لم يقدمها إليه، بل أراد تقديمها لـه بعـد عوده من فتح قلعة جريد الكبرى، وانتصاره على الكفرة، فلم يتيسر:

قُـدومٌ بـه ثغـرُ المـسرات يبـسِمُ وعَـوْدٌ لـه طيـرُ الهنـا يتـرنَّمُ
وأَوْبٌ به الإسعادُ والمجـدُ والثنا ونيـلُ المعـالي والثـوابُ المعظَّـمُ
وأجـرُ جهـادٍ طالمـا نكـست بـه من الكفـر أصنامٌ وأجهـل معلَّـمُ
وفتحُ حصون كُـنَّ لـولا حـصولُه مَنيعـاتِ كفـرٍ مـا إلـيهنَّ سُـلَّمُ
تعـالَيْنَ حتـى عمَّمَتْهـا سـحائبٌ وحتى تبدَّتْ وهـي للـنجم تـزحَمُ
فوطَّأَهـا اللهُ الكـريمُ لماجـدٍ سليلِ العُلى وهو الـوزيرُ المكـرَّمُ
أبو العزم والبأسِ الشديد إذا سطا وذو الحلم والجـدوى إذا يتـرحَّمُ
لـه همـمٌ لـو أن للـدهر بعـضَها لما كـان فـي أيامـه الكـل مجرمُ
به أُيِّـد الـدينُ الحنيفـي واغتـدى يوافيه أهـلُ الـشركِ عـانٍ ومُسلِمُ
وزيرٌ سما وابنُ الوزير الذي سـما وفي الفرع ما في الأصل يبدو وينجمُ
بأحمـدَ عَـزَّ الـدينَ أو بمحمـدٍ فلـم يبـقَ ثغـرٌ للنعـاةِ ولا فَـمُ
ولا بدعَ فـي هـذا فمعجـزُ أحمـدٍ مدى الدهر لا ينفكُّ يعلو ويعظُـم
يحفُّ بك الجيشُ الـذي زاد عَـدُّه على النجمِ حتى ليس يحصى ويُعلَمُ
فيبدو كليثٍ وَسْطَ غابِ رماحِهم غلطـتُ فهـذا منـه بـالرأي أحـزمُ
وإلا كطـودٍ لا تحركـه الـصَّبا إذا هـي هبَّـتْ وابتغاهـا المتـيَّمُ

ففي نصرة الإسلام والدين والتقى وبذلِ الندى والعفو أنت المقدَّمُ
تأخر منك العصرُ والفضلُ أعظمُ كما في حساب الهند ما بعد يرقم

ومنها:

فعطفًا على عبد أَضَرَّتْ به النوى وأَلَمَّهُ حالٌ به أنت أعلَمُ
وما كنتُ لولا أنت أُبدي شكايةً لَعَمْرِيَ شكوى الحال صابٌ وعلقمُ
ولكنني أيقنت نُجْحَ مقاصدي كإنجاحِ جرحٍ في زواياهُ مرهَمُ

ومنها:

وقد عدّ أهل النحو أسماء ستةً وقد فُقدت عندي فلم يبقَ لي فَمُ
فلو جُدتَ لي حتى أحصِّلَ بعضها وأغدُوَ ذا مالٍ فأُحْسَبَ منهمُ
لقد صرتُ في دار التغرب كالذي بلا صِلَةٍ فامننْ بها دمتَ تنعِمُ
وكن عائدًا نحوي فما ليَ عائدٌ بكلِّ ضميرٍ أو بظاهر يعلمُ
وجُملة حالي أنها خبرية تحلُّ محلَّ الرفع منك وتكرمُ
فحقِّقْ لي الرجوى وأَنْجِحْ مقاصدي فإني برفعِ النصب لي أنا أجزمُ

ومنها، وهو آخرها:

ولا فضل لي فيما أقول وإنما معاليكَ حقًّا ألسُنُ تتكلَّمُ

وهي مذكورة بتمامها في رحلته.

وقوله معارضًا للفتح النحاس:

طال ليلُ الهجرِ فالجفنُ يسبحُ ليت شعري ما لليل الهجرِ صبحُ

يا لَقومي من هوى البِيضِ الـدُّمى | كلما سحَّتْ دمـوعُ العين شَـحُّوا
أضـرموا نيـرانَ وجـدٍ بالحـشا | ليـتَ لـو كـان لها بـالظلم نَـضْحُ
كـم أُمَنِّـي القلـبَ منهم باللِّقـا | وأُرَجِّـي الوصـلَ والعُـذّالُ تَلْحـو
أسـكروني مـن طـلا أحـداقِهم | لا بأحـداقٍ لهـذا لـستُ أصحـو
كـلُّ غـصنٍ فـي كثيـبٍ مـن نقًـا | طيـرُه البـدرُ لـه بالحسن صـدحُ
شـدَّ بنـداً فقـد القلـبُ بـه | فعليــه دار لا يَثنيـه نُـصحُ
سـدّ أبـوابَ التـداني بالجفـا | آه لـو كـان لبـاب الوصـل فـتحُ
لا تـسلني عـن غرامـي إنني | كـلَّ آن فيـه لـي كـدٌّ وكـدحُ
كـم جـراحٍ أعجـزت آسِـيَّها | كلمـا يُحسَمُ جـرح سـال جـرحُ
مـن عَـذيري فـي هـوى ظبـيٍ لـه | من عقيـقِ الـدمع إذ يمـرحُ سفحُ
كـم أضـلَّ الليـل مـن شـعر فتى | فهـداه مـن بَهِـيِّ الفـرقِ صبحُ
كَلَّ مَتْني لـم أطـق عبءَ النوى | ليت شعري ما لهذا المتن شـرحُ
كـم أراعـي الـنجمَ فـي آفاقـه | أَملـي مـن طـالع الإسـعاد لمـحُ
قـل لعـذالي أقيمـوا حـربَكم | قد جرى بيني وبين الحب صـلحُ
سـطر العـاذلُ أدراجَ الجفـا | وهو بالوصل لذاك الـسطر يمحـو
يـا أخلائـي بـأعلام اللِّـوى | عطفةً مـا دام فـي الأعمـار فسحُ
قـد ملكـتُم وأمـرتُم فـي الهـوى | نفـسَ حـرٍّ هـو بالمأسـور سـمحُ
كـان طلقًـا فاغتـدى فـي حـبكم | عبـدَ رقٍّ منـه جـدُّ القـولِ مـزحُ
قلـد القائـل فـي إرشـاده | ضمنَ بيتٍ هو في التحقيق نـصحُ

كـلُّ عـيش ينقـضي مـا لـم يكـنْ ... مع مليحٍ مـا لـذاك العيشِ ملـحُ
عَلِّلـــوه مـــن رحيـــقٍ بـــاللَّمى ... فلـه مـن طيبـه مـا عـاشَ نفـحُ
أوعِـــدُوه باللقـــا وَهْنـــاً لكـــي ... يلتقـي منـه بكـم كَـشْحٌ وكـشحُ
قـد أتـى مُنطرحـاً فـي سـوحِكم ... قصدُه من باب مفتي القدس فـتحُ
وعَـذولٍ ظـل يهـذي فـي هَـوَى ... ظبـي أنـسٍ كـلُّ خسرٍ فيه ربـحُ
لحظُـــه الـــسيفُ إذا جَـــرَّدَه ... والقـوامُ اللَّـدنُ إذ يَخْطِـرُ رمـحُ
أسـرَ القلـبَ فمـا مـن مخلَـصٍ ... غيرُ نظمٍ هو فـي المبعـوثِ مـدحُ
الرسـولِ المـصطفى مـن هاشـمٍ ... المغيـثِ الغيـثِ إذ يُلجـم رسـحُ
سـيدِ الكـلِّ إذا مـا جُمعـوا ... فـي مقـامٍ كلُّهـم فيـه المُلِـحُّ
قائـل نفـسي وهـو . . . يـرى ... شـأنه حمـدٌ ومـن مـولاه فـتحُ
فمقـامُ الحمـد ذا وهـو الـذي ... فيـه يُعطـى للـورى غَفْـرٌ وصـفحُ
مـن يـساوي أو يدانيـه بـه ... كلُّهـم نحـو حمـاه فيـه ينحـو
سـيدٌ بـرٌّ رؤوفٌ محـسنٌ ... ماجـدٌ غـوثٌ بمـا ترجـوه سـمحُ
كـلُّ قـولٍ قيـل فـي أمداحـه ... فَهُـوَ المقبـولُ حقًّـا والأصـحُّ
يـا رسـولَ الله عطفـاً فعـسى ... من عطاكَ الجمُّ لـي ينجح قـدحُ
يـا سـحابَ الجـوِّ أمطـر كرمًـا ... أرضَ قفري فعـسى يخطـر طلـحُ
قـد أَلَمَّـت بـي أمـورٌ آلَمَـتْ ... لم تـدع نهجًـا إلـى مغنـاك أنحـو
أظهرتْ من مضمَري الحالَ الذي ... نعتُه يعزي الذي لـي صـار يلحـو
فـأَغِثْني وادَّركْنـي سـيدي ... زاد إيلامـي ومـا يـدمل قـرحُ

وتقبَّــلْ مِــدْحتي فيــك وقــلْ   قــارن المــأمول تبليــغٌ ونجــحُ
فَهْــي عــذراءُ أتــت مــن خِــدْرها   مهرُهــا منــك قبــولٌ لــو يــصحُّ
فاقــتِ الغيــرَ بأوصــافٍ لكــم   فلها فــي الطِّــرْسِ تغريــدٌ وصــدحُ
ينتــشي مــن لفظهــا ســامعُها   ويُــرى منهــا بهــا مــا دام شــطحُ
وصـــلاةُ الله مـــع تـــسليمِه   يُخجـلان المــسكَ إذ يُنــشر نفــحُ
يــشملانِ المــصطفى خيــرَ الــورى   مــا تــوالى الــدهرُ إمــساءٌ وصــبحُ
وأُبــيح الوصــلَ صــبٌّ عاشــقٌ   ما عليــه فــي سبيل الحــب جنحُ
واغتــدى المهجــورُ حقًّــا قــائلاً   طــال ليــلُ الهجــر فــالجفنُ يــسحُّ

وقوله مصدِّراً قصيدة سيدي عمر بن الفارض:

غيــري علــى الــسلوان قــادرْ   إن دام هجـــرانُ الجَـــآذِرْ
وأنـــا الـــوفيّ بعهـــده   وســـوايَ فـــي العـــشاق غــادِرْ
لـــي فـــي الغـــرام ســـريرةٌ   أكننتهـــا وســـطَ الـــضمائرْ
ومحبـــــةٌ أســـــررتُها   والله أعلـــــمُ بالـــــسرائرْ
ومُـــشَبَّه بالغـــصنِ قَلْـــ   ـــلَ تـــصبُّري إذ قـــال نـــافرْ
قَـــدِّي وقلبُـــك فـــي الهـــوى   لـــي لا يـــزالُ عليـــه طـــائرْ
حلـــوُ الحـــديث وإنهـــا   لمحاســـنٌ تـــسبي النـــواظرْ
حـــالٌ يمـــرُّ وإنّهـــا   لجـــلاوةٌ شـــقت مرائـــر
أَشـــكو وأَشـــكر فعلَـــه   بعـــدًا ولمـــا يـــدنُ زائـــرْ
حـــالان لـــي أرضـــاهما   فاعجـــب لـــشاكٍ منـــه شـــاكرْ

لا تُنكـــروا خفقـــان قلـــــ ـــبي إن بـــدا بـــدرُ الـــدياجرْ
كـــلا ولا تـــشتيتَ لُبـــــ ـــبِـي والحبيـــبُ لـديَّ حاضـــرْ
مـــــا القلـــــبُ إلا دارُه فلـــذاك بالأشـــواق عـــامرْ
وربوعُـــــه فلأجـــــل ذا ضُـــربَتْ لـــه فيهـــا البـــشائرْ
يـــا تـــاركي فـــي حبِّـــه كهـــلالِ شَـــكٍّ فـــي المنـــاظرْ
ومُـــصَيِّري بـــين الـــورى مـــثلاً مـــن الأمثـــال ســـائرْ
أبـــداً حـــديثي لـــيس بالـــ ـــمتروكِ عنـــد ذوي البـــصائرْ
كـــلا وشـــرعي لـــيس بالـــ ـــمنـــسوخِ إلا فـــي الـــدفاترْ
يـــا ليـــلُ مـــا لـــكَ آخـــرٌ فتظـــلُّ ترقُبـــه النـــواظرْ
لا فيـــك وصـــلُ معـــذِّبي يُرجـــى ولا للـــشوق آخِـــرْ
يـــا ليـــلُ طُـــل يـــا شـــوقُ دُم إنـــي إلـــى المحبـــوب ســـائرْ
يـــا ليـــل قـــصر أو فطُـــلْ إنـــي علـــى الحـــالينِ صـــابرْ
لـــي فيـــك أجـــرُ مجاهـــدٍ أضـــحى لجـــيش الحـــبِّ ناصـــرْ
وثـــوابُ غـــازٍ فاتـــكٍ إن صـــحَّ أن الليـــلَ كـــافرْ
طرفـــي وطـــرفُ الـــنجم فـــي بـــاهي جمالـــك ظـــلَّ حـــائرْ
والقلـــبُ والعينـــان فيـــ ـــك كلاهمـــا ســـاهٍ وســـاحرْ
يهنيـــك بـــدرٌ حاضـــرٌ مالـــت لبهجتـــه الخـــواطرْ
قـــد لاح بـــدراً مـــشرقاً يـــا ليـــت بـــدري كـــان حاضـــرْ
حتـــى يبـــينَ لنـــاظري مَـــن منهمـــا بـــاهٍ وبـــاهرْ

ويـــشيعَ بـــين معاشـــري مَـــن منهمـــا زاهٍ وزاهـــرْ

بـــــدري أرقُّ محاســــناً إذ حـــسنُه للعقـــل ســـاحرْ

كالليـــل أرســـلَ شـــعرَه والفـــرقُ مثـــلُ الـــصبح ظـــاهرْ

ملـــكَ الجمـــالَ بأســـره كـــلُّ المـــلاح لـــه عـــساكرْ

ســـلطانُ حـــسنٍ قـــد ســـطا بحـــسامِ ألحـــاظٍ فـــواترْ

لا الـــسُّمر تُـــذكَر عنـــدها كـــلاًّ ولا البِـــيضُ البـــواترْ

قـــد نفـــذتْ بـــين الـــورى منـــه النـــواهي والأوامـــرْ

مـــا مخلَـــصي مـــن فتكـــه بظُبـــا اللـــواحظ والنـــواظرْ

إلا امتـــــداحُ محمـــــدٍ خيـــرِ الأوائـــلِ والأواخـــرْ

الـــشافعيِّ الـــسندِ الـــذي تُمحـــى بـــه عنـــا الكبـــائرْ

غـــوثِ الأنـــام لـــدى الرخـــا وحيـــثُ لا تُجـــدي العـــشائر

صـــلى الإلـــهُ عليـــه مـــا لجنابـــه قـــد أَمَّ زائـــرْ

والـــصحبِ والآلِ الكـــرا مِ أُولـــي المعـــالي والمفـــاخرْ

مـــا قـــال مكلـــومُ الحـــشا غيـــري علـــى الـــسلوان قـــادرْ

ومما كتبه للشيخ العلامة عبدالله بن محمد العياشي المغربي قوله:

قد لاح بالمغرب المأهول فاضله وراح مرتضعاً ثـديَ العـلا ناشـي

عاشتْ معالمُ أرباب النهى وسمَتْ ولا عجيـب إذا عاشـت بعياشـي

فليبـقَ للعلـم كـي تبقـى مدارسُـه مأهولـةً يقتفيهـا القاصـدُ الناشـي

فكتب إليه الشيخ عبدالله المذكور قوله:

سـبرنا العـالمين فمـا رأينـا كـإبراهيم سـيدنا الخيـاري
تَخَيَّـره الزمـان كمـا تـراه خيـاراً مـن خيـارٍ مـن خيـارِ

[٦٦٩] إبراهيم بن حسن بن علي بن طالو الأرتقي[(١)].

كان من رؤساء دمشق وأعيانها، تولى نابلوس وغيرها من المدن الشامية، واشتهر ذكره، وكان مرجعاً في المهمات، وله اعتناء في العلم وأهله، وكرم أخلاق، وكان الشيخ حسن البوريني من أخصِّ الناس به، ومن ملازمي مجلسه، وكان له هباتٌ وافرةٌ، وعطايا ظاهرةٌ، وآلَ ذلك به إلى أن صار معدماً، وتفرغ عن المناصب، إلى أن مات سنة أربع عشرة بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ[(٢)].

[٦٧٠] إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن القاسم بن إسحاق بن إبراهيم ابن أبي القاسم بن عبدالله بن جعمان الزبيدي الشافعي[(٣)].

كان إماماً عالماً عاملاً، جامعاً للفنون، خاضعاً متواضعاً متورعاً، محافظاً على الذكر في جميع الأوقات، لا يخلي وقتاً عن الخير، ملازماً للمسجد في غالب أوقاته، ملاطفاً للصغير والكبير.

أخذ الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الدينية عن شيوخٍ كثيرين، منهم: عمه العلامة محمد بن إبراهيم بن جعمان.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٢٦) (٧٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٧).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذه الترجمة صفحة وثلث بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٥٠).

وانتهت إليه الرياسة في علوم الدين، وله فتاوى كثيرة متفرقة، وتوطن بيت الفقيه ابن عجيل، وله رسالةٌ منظومةٌ في العروض، سماها: «هداية الحائر إلى الفك من أحرف الدوائر».

وأخذ عنه جمعٌ من العلماء الأعيان، منهم: الشيخ الفاضل عبدالله بن عيسى الغزي.

وكان ـ رحمه الله ـ يحب الطلبة، ويبالغ في ملاطفتهم، والإحسان إليهم، وأجاز كل من قرأ عليه، ولم يزل ملازماً لإفادة العلم، والانهماك عليه، حتى دعاه الله إليه، فتوفي في بيت الفقيه ابن عجيل، في يوم الخميس، الثاني والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

وله نظمٌ كثيرٌ منه: قوله في الإلهيات:

قصدي رضاكَ بأيِّ وجه أمكنا ... فامننْ عليّ بذاك من قبلِ الفَنا
ولئن رضيتَ فذاك غايةُ مطلبي ... والقصدُ كلُّ القصد بل كلُّ المنى
لو أبذلت روحي فدا لرأيتها ... أمراً حقيراً في جنابك هينا
وبقيت من خجل لعبدك قد جنى ... فالكلُّ ملكُكُم فما مني أنا
ولقد تَفَضَّلتم بإيجادي كذا ... أنعمتُمُ أيضاً بكوني مؤمنا
لولا تَطَوُّلُكم عليَّ وفضلُكم ... ما كنت موجوداً ولا مِنِّي ثَنا
من ذا الذي يسعى ويشكر فضلَكُم ... لو عُمر الأبدين يشكر معلِنا
وأنا المُسَيكينُ الذي قد جاءكم ... للعفو منكمْ طالبٌ[1] ولقد جنى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: طالباً.

فباســمِكم وبجــاهِكم وبعــزِّكم مُنُّوا علــيَّ وأَذهِبـوا عنـي[1] العنـا

وجعمان بفتح الجيم وسكـون العين، وقبل الألـف ميم بعدهـا نون، الصريفي وهو أبو قبيلةٍ كبيرةٍ من قبائل عدنان، كذا ذكره السرجي في طبقاته.

[٦٧١] إبراهيم بن عثمان بن عبد النبي الدهان المكي الحنفي.

الشيخ الإمام، العلامة الفقيه، المفنن في العلوم الدينية، المجمَع على جلالته فيها، وتبحره وإحاطته بالعلوم العقلية.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وأخذ الفقه والعربية عن الشيخ عبدالله البلخي، وبه تخرج، وبعلومه انتفع، وأخذ الطريق، ولبس الخرقة، وتلقن الذكر من العارف بالله أحمد بن علان، ولازمه سنين كثيرة، وأخذ عن السيد صبغة الله، وغيره من الأكابر.

وفاق أقرانه، وتصدَّر للتدريس بمدرسة بهرام آغا الشريفي المشرفة على المسعى، وأخذ عنه العلم كثيرٌ من العلماء الأعيان، منهم: إبراهيم أبو سلمة، وكان كثير البر بوالديه، مطيعاً لهمـا، ومن خبـره في ذلك: أنـه كان إذا أتى رسولهما إليه في حاجةٍ وهو في الدرس، قام من مجلسه وقضاها، ورجع إلى الدرس، توفي سنة ثلاث وخمسين بعد الألف.

[٦٧٢] إبراهيم بن عطا بن علي بن محمد المرحومي الشافعي[2].

نسبةً لمحلة مرحوم، من منوفية مصر، إمـام الجامـع الأزهر، الشيخ

---

(١) في الأصل: عن، والصواب ما أثبت.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٥٠).

الإمام، العالم العامل، العارف بالله، الملازم لطاعته، المنهمك على بث العلم وإفادته، الذي سلك سبيل السلامة والنجاة، وراقب الله في سره ونجواه، وعمل بما ينفعه في آخرته ودنياه، واجتهد في العبادة، حتى أشرق عليه نورها، وكلما اسود جنح الليالي، بيَّض دَيجورَها، وتمسك بالأسباب القوية من التقوى، وأقام منها بما لا يطيقه غيرها[1] ولا يقوى، حتى إنه كان إذا مر في السوق، سدَّ أذنيه، حتى لا يسمع من بجانبيه، ويسرع في مشيته مطرِقاً من خوف الله وخشيته، حذراً من تفويت وقته في غير عبادة الله وطاعته.

وُلد ببلده سنة ألف، ورحل إلى الجامع الأزهر، وأخذ عمن به من أكابر علماء عصره؛ كشيخنا سلطان وغيره، وأجازه جل شيوخه بالإفتاء والتدريس، فتصدر للإقراء في كل علم نفيس، وشهر بالبركة لمن يقرأ عليه، وانهمك طلاب العلم عليه، ففازوا منه بأوفر نصيب، وألف «حاشيةً على شرح الغاية للخطيب»، واستمر على خير وفي خير، سالكاً طريق الاستقامة، التي هي أوفى كرامة، حتى آن أوان حِمامه المحتوم، فتوفاه الحي القيوم بمصر، في أوائل صفر، سنة ثلاث وسبعين وألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى عليين ـ.

وسميت هذه التربة بتربة المجاورين؛ لأنها قريبةٌ من الجامع الأزهر، وبها يدفن غالب أهله، والمجاورين له، بتلك الأماكن القريبة من الجامع الأزهر، كلها تسمى بمصر: حارة المجاورين؛ إذ لا يسكنها ـ في الغالب ـ إلا العلماء والغرباء من الفقراء، وقلّ أن تجد بإزائه دار أميرٍ أو أحدٍ من أرباب

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: غيره.

الدولة؛ لضيق المحل، وهم يريدون السعة، والقرب من القلعة، التي هي محل وزير مصر وأكابر دولته.

[٦٧٣] السيد إبراهيم الصمادي الدمشقي[١].

كان من أكابر الأولياء العارفين بالله، والداعي على بصيرة إليه، والمنهمكين في عبادته سبحانه، وطلبِ الزلفى لديه.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة عن شيوخٍ كثيرين، وكان له بالشام المنزلة الرفيعة، والكرامات الظاهرة الوسيعة.

وقد رأيته ـ قدس الله روحه ـ وقد أناف على التسعين، والناس تستعين به ولا يستعين، والنور يسطع من أسارير جبهته، والعز يرتع في ميادين طلعته، ولم يزل على خيرٍ وفي خير، حتى دعاه رب العباد فأجاب، وكأنه الغمام أمرع البلاد فانجاب، فتوفي سنة ثلاث وسبعين ـ بتقديم السين ـ بعد الألف بدمشق، وجاء تاريخ موته: «مات قطب العارفين الأمجد» ـ رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى ـ.

[٦٧٤] إبراهيم بن علي الأزنيكي[٢][٣].

قال النجم الغزي في «الذيل»: أحد الموالي الرومية، ولي قضاء دمشق مرتين، وكان في قضائه معتدلاً عادلاً، مكرِماً للعلماء، محترِماً لهم، وحصل

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٩).

(٢) في الأصل: الأرتبكي.

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٣١) (٧٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١).

لأهل دمشق في زمنه تكليفات للسفر السلطاني، فعرض إلى الوزير مراد باشا في تخفيفها، وأجيب إليه، وفي اليوم الثاني من دخوله دمشق ثانياً، سنة خمس عشرة بعد الألف، دخل عسكر الشام مكسوراً، مع الأمير يوسف بن سيفا، وقد كان أميراً عليهم علي بيك بن جانبولاد، المتولي على بلاد حلب، وكانوا تهاونوا بأمره، واستخفوا به، فخرج محمد باشا الطواشي نائب الشام بهم، ولحقته جماعة من عساكر دمشق، وتتابعوا خلفه قوافل، غير أنهم تمادوا في الخروج بعده.

فاجتمع نائب دمشق، ونائب طرابلس الأمير يوسف بن سيفا بحماة، وخرجوا منها، فتلاقوا خارج حماة، مع ابن جانبولاد، فتحاربوا جميع النهار، ثم ظهرت الكسرة على ابن سيفا، وولوا آخر النهار مدبرين، فدخلوا حماة، ولم يبرحوا على إقامةٍ، بل أنذروا أهل حماة، فخرجوا منها بأهلهم وأنفسهم خلف العساكر، وتركوا أكثر ما في بيوتهم، ثم مروا على حمص، فأخلاها أهلها، وخرجوا منها كذلك، وكان ابن جانبولاد في أثرهم، فدخل هو وعساكره حماة وحمص، ونهبوهما، ونهبوا قراهما.

ثم قصد بلاد طرابلس، وخرج ابن سيفا منها إلى البحر، فركب بحريمه وأثقاله، وخرج من ناحية صيدا أو عكة، ودار فدخل دمشق، ثم لما قرب ابن جانبولاد من بلاد ابن معن، انحاز إليه الأمير فخر الدين بن معن[1]، وكان كيوان آغا قد ذهب من دمشق إلى غزة في طلب أميرها أحمد باشا؛ ليأتي إلى حرب جانبولاد، فاتفق موت أمير غزة وكيوان عنده، فرجع كيوان من بلاد

---

(١) في الأصل: معين.

غزة حتى نزل على ابن معن، واتفقا على العصيان، ومساعدة ابن جانبولاد، فذهبا إليه حتى اجتمعا بـه في اللجون، بالقرب من نهـر البـارد، من معاملة طرابلس، وقد استولى على بلاد حمص وعكـا وجبلـة واللاذقيـة والحصن وطرسوس وعزيز وبيروت، ثم توجهوا إلى قصد محاصرة دمشق.

وكان محمد باشا نائب الشام قد بعث طهماس بيك نائب نابلس، وأمير الحج، إلى ابن معن، ومعه بعض أكابر الجند؛ لينصحه ويرده عن الخروج إلى ابن جانبولاد ومساعدته، فأبى، وكان المشير عليه بالامتناع كيوان، فاستمر طهماس بيك معهم، حتى اجتمع ابن معن وكيوان بابن جانبولاد، فصمموا جميعًا على الدخول إلى دمشق، في طلب ابن سيفا؛ لأنه كان قد وصل إليها.

وأظهر كيوان في المجلس لمن كان مع طهماس من الجند، غاية الشتم والقذف والعداوة، والتوعد لهم بكل سوء، ثم في يوم ثالث عشر ربيع الثاني، من السنة المذكورة، دخل الأمير موسى بن الحرفوش، أمير بعلبك إلى دمشق ماشياً في الصلح، واشترط أموراً غير مقبولة، فلم ير عقلاء العسكر ـ إذ ذاك ـ هذا مقبولاً، فردوا له جواباً مع الأمير حسن التركماني، فرجع الرسول وأنذرهم بأنهم راكبون عليهم.

ثم في يوم الجمعة، عاشر ربيع الثاني، دخل حريم بن الحرفوش إلى دمشق، وأهله وأهل بعلبك، وأخبـروا أن طلائع ابن جانبـولاد دخلت بلاد بعلبك، وأن يونس بن الحرفوش انحاز إلى ابن معن هو وجماعته، ثم نزلوا على هموش من أرض البقاع، وكان الأمير مهزلاً، فإن البلاد من حدود حلب إلى حدود صفد، مسيرة خمسة عشر يوماً خلت عن آخرها، وتشتت أهلها، وتركوا أوطانهم وأرزاقهم، وأكثرهم قد اجتمعوا بدمشق، والعدو يقصدها.

ثم أدى الأمر إلى أنهم تلاقـوا مـع عسكر دمشق وعساكرهم، في يوم الأحد، سابع وعشري جمادى الأولى، في أول النهار، فلم تطل الحرب نحو ثلاث ساعات، حتى انكسر عسكر الشام، وولوا مدبرين، وأكثرهم تشتت، ورجع منهم طوائف إلى دمشق ووصل خبر الكسرة إلى دمشق وقت الغداة[1]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم أصبحت أبواب دمشق يوم الاثنين، ثامن عشري الشهر مغلقة، وقد خرج منها الأمير يوسف بن سيفا وجماعته ليلاً، بعد أن اجتمع به قاضي دمشق المترجم، وحسن باشا أمير القرمان، ولم يمكناه من الخروج، حتى دفع إليهما مئـة ألـف قرش؛ ليفتـدوا بها الشام من ابن جانبولاد، ثم خرج ومعه الأمير موسى بن الحرفوش.

وكان في ليلة الاثنين المذكورة، قد ذهب الشيخ محمد سعد الدين إلى ابن جانبولاد، يسأله العفو عن الدخـول إلى دمشق، وكان المترجم قد عينه هو والشيخ أحمد العيثاوي، والشيخ. . .[2] الجنكردي؛ لأن ابن جانبـولاد كان يقصده؛ ليذهبوا جميعاً إلى ابن جانبولاد، فذهب الشيخ محمد وحده بعد العشاء إلى العراد، ثم ذهب شيخنا والجنكردي بعد نصف الليل، فلقيا القوم قد جاؤوا قاصدين دمشق، طائفةً بعـد طائفة، وهم يُسمعونهما ومن معهما ما يكرهون، ثم تلاقيا مع الشيخ محمد سعد الدين في أثناء الطريق، فأخبر ابن سعد الدين شيخنا بأنـه اجتمـع بابن جانبولاد في غايـة الغضب على عساكر

---

(١) في الأصل: الغدا.

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذكر اسم الشيخ الثاني».

دمشق، وهو مصممٌ على الدخول إلى البلدة، وانتقامه منهم ومن ابن سيفا.

ثم أصبح ابن جانبولاد نازلاً هو ومن معه بسطح المزة، وانتشرت عساكره إلى أطراف دمشق، فانتهبوا خارج المدينة، وكان ابن سعد الدين قد جاء معه برئيس من جند ابن جانبولاد، يقال له: عقيل، ومعه ليذبوا عن محلة القبيبات، حين لم يقبل ابن جانبولاد كلامهم في الكف عن عموم أهل دمشق، ورجع معه شيخنا العيثاوي إلى منزله، ثم دخل شيخنا دمشق في اليوم الثاني وهي محاصرةً من عساكر ابن جانبولاد، ووصى الشيخ محمد بن سعد الدين أهل محلته أن لا يحمل أحد منهم سلاحاً؛ اكتفاء بالعسكر الذين جاء بهم من عند ابن جانبولاد، فأمنوا.

وهرعت الناس من المحلات التي خارج دمشق إلى القبيبات للأمن، وانتهبت سائر الحارات، ثم آل الأمر إلى مصالحة جانبولاد بالمال، الذي أخذه قاضي دمشق المترجم من ابن سيفا، مع زيادة عشرين ألفاً لابن معن، حوسب عنها من مال بعلبك باثني عشر ألفاً، ودفع إليه ثمانية آلاف، أخذت من مال كان مودعاً بقلعة دمشق لبعض الناس، فلما رحل ابن جانبولاد عن المزة، خرج عقيل المذكور من عند الشيخ محمد بن سعد الدين، فأخذ خيل الشيخ محمد ابن سعد الدين وبعض أمتعة له، ووقعت جماعته فيمن كان عند باب بيته من الحريم والناس نهباً، ولم يستفد من الاحتماء بهم كبير أمر.

وكان القاضي المترجم كثير التحريض في ثلاثة أيام المحاصرة، لا يقرُّ ليلاً ولا نهاراً؛ من الحركة والتحريض لمن بقي بدمشق من عسكرها على الملازمة لأبوابها، وكان حسن باشا عضيداً له ووزيراً، مع وجوه الناس وأكابرهم، وحصل للناس في تلك الأيام شدةٌ عظيمةٌ، وحاجةٌ شديدةٌ، حتى

فرج الله عنهم برحيل ابن جانبولاد عن المزة، في يوم الخميس، مستهل جمادى الثانية، سنة خمس عشرة وألف.

وبقي بعد ذلك المترجم على قضاء دمشق، وأسقط بعض ما كلفوا به من قبل الوزير مراد باشا؛ حيث جاء حلب لقتال جانبولاد وجماعته، وكان تشتيتهم على يده، وفر ابن جانبولاد، وأقام مراد باشا بحلب مدةً يقتل جماعة ابن جانبولاد، حتى كاد يستأصلهم، ثم انفصل المترجم عن قضاء دمشق، في أواخر سنة سبع عشرة بعد الألف، ثم توفي في بلدة أزنيك، سنة ثمان وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٦٧٥] إبراهيم بن عيسى بن إبراهيم بن محمد، الشهير بأبي سلمة الحنفي المكي الطرابلسي الأصل[١].

إمام شهد له بالفضل أهل عصره، وأذعن لمزيد معرفته في الفروع علماء قطره، صرف أوقاته في بث العلم النافع، فانتفع به كل كهلٍ ويافع، واشتهر بتقوى الله في سره وعلانيته، والانهماك على خدمته وطاعته، وله الاطلاع الواسع على نقول الفقه الغريب، وتحرٍّ في الفتوى وديانةٍ قويةٍ، وكان يعرف الحق بالحق، ويقول به، وفيه الحدة التي تعتري خيار الأمة، مع كمال تهذيبه.

مولده بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن العلامة إبراهيم الدهان، وبه تخرج وانتفع، وحضر قبله دروس السيد عمر بن عبد الرحيم البصري، والشيخ عبد الرحمن المرشدي، والشيخ محمد بن أبي البقا الأنصاري، وأخذ الفرائض والحساب عن السيد صادق، والحديث والتفسير عن الشيخ محمد علي بن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢).

علان، والتجويد عن الشيخ أحمد محمد الحكمي، وعنه: جماعة من فضلاء العصر.

ومما قرأه من الكتب بالمسجد الحرام: «شرح الكنز» للعيني، و«شرح النقاية» للشمني، و«جدول ابن الهائم في المناسخات».

وكانت **وفاته** بمكة، في رابع عشر رمضان، سنة ست وسبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ، وجده محمد أبو سلمة، ذكره القطبي في «تاريخه»، وأثنى عليه، وأنه كان له معرفةٌ تامةٌ في الفقه، وأنه تولى إمامة المقام الحنفي بمكة ـ شرفها الله ـ شريكاً للإمام محمد البخاري، وأنه كان من فقراء الشيخ محمد بن عراق، وأنه قرأ بمصر على قاضي القضاة بها نور الدين علي ياسين الطرابلسي الحنفي، وأنه **توفي** صبح يوم الأربعاء، ثالث جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة، وصلى عليه عند باب الكعبة، جارُ الله ابن القاضي أمين الدين بن ظهيرة الحنفي، وكانت له جنازةٌ حافلةٌ، ودفن بالمعلاة.

[٦٧٦] إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي السعدي الحموي الشافعي، صاحب الورد الهمداني، الذي يقرأ بعد صلاة الصبح، عند باب المنارة الشرقية، بجامع دمشق الأموي، المعروف بابن كاسوحة[١].

كان عالماً فاضلاً صالحاً، على وجهه نور العبادة والصلاح، وكان يأكل من كسب يمينه، ويتردد في التجارة إلى مصر، ولقي بها النجم الغيطي، والأستاذ الشيخ محمد البكري، والشمس محمد الرملي، ومحمد البنوفري،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٢٩) (٧١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١).

وأخذ عنهم، وبدمشق عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وصحب ولده شهاب الدين الغزي.

قال النجم الغزي في «ذيله»: وحدثني: أن شيخ الإسلام الوالد، سئل وهو حاضرٌ عن السيدة فاطمة ـ رضوان الله عليها ـ، وعن زوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كيف يجتمعان في الجنة؛ فإنها ملحقةٌ بأبيها في المقام بدليل: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الطور: ٢١] هل تنزل إلى مقام علي؟ فقال: بل يرتفع إلى مقامها ﷺ.

قال: وحدثني مراراً: أنه رأى الأخ شهاب الدين ذات يوم، فقال له: يا شيخ إبراهيم! خاطرٌ أشكو إليك، ما شكوته إلى غيرك، فقلت: يا سيدي! ما هو؟ قال: ما صحبت أحداً قط، إلا وتكدرت صحبته عليّ يوماً من الدهر، فما الحكمة؟ قال: فقلت له: يا سيدي! إن الله تعالى لا يريدك لغيره، فبكى الشيخ شهاب الدين، واستحسن مني هذا الجواب.

توفي يوم الاثنين، رابع شوال، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وقد قارب سنه الثمانين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٧٧] إبراهيم بن علي بن أحمد بن معصوم الحسيني الفارسي.

نشأ هذا السيد في الهند في ظل والده، وتمتع من فضله بطريفه وتالده، وقرت به العيون، وحاز أشتات الفنون، ولم تطل مدته، فاختطفته المنية، ولم تصدق فيه تلك الأمنية، فقضى نحبه وهو شاب، يجر ردائي مجد وآداب، مغربَ ليلة الجمعة، خامس عشر ربيع الثاني، سنة إحدى ومئة وألف بـ «برهانبور»، ورثاه والده بقصيدة من أحسن المراثي وأبدعها، وهي قوله:

تفـديك لـو قبـلَ المنـونُ فـداها　　نفـسٌ عليـك تقطّعـت بأسـاها
يا كوكبًا قـد خـرّ مـن أُفـق العـلا　　فـي ليلـة كسـتِ الـصباحَ دجاهـا
كانــت حياتُــك للنــواظر قــرةً　　واليـوم موتُـك للعيـون قَـذاها
يا ليتني غُيبـت قبلـك فـي الثرى　　وسُقيت كأسَ الموت قبـل تراهـا
أَوْ ليت عيني قبل تبصرُ يومَك الـ　　ـمحتومَ كَحّلها الـردى بعماهـا
لِمَ لا تمنى المـوتَ دونَك بهجة　　قـد كنـت تجهـد طالبًـا لرضـاها
أم كيف لا تهوى العمى لك مقلةٌ　　قـد كنــت قُرّتهـا وكنـت سـناها
آهٍ ليومــك مــا أمــضّ مُـصابَه　　وأحَــرَّ نــارِ مــصيبةٍ أوراهــا
لا والذي أبكى وأضـحك والـذي　　أفنـى نفوسـاً بعـد مـا أحياهـا
لم يبق لي في العيش بعـدك رغبـةٌ　　مـا لـي وللـدنيا وطـولِ عناهـا
هيهاتَ ترغبُ في الحياة حُـشاشةٌ　　قـد كنــتَ أنـتَ حياتَهـا ومُناهـا
كانت تؤمِّـلُ أن تكـون لـك الفِـدا　　فأبَيْــتَ ألا أن تكــون فِــداها
وبَرَرْتهــا حتــى كأنــك رأفــةً　　وتعطفــاً كنــت ابنَهــا وأباهــا
أفٌ لهـا إذ لـم تـشاطرْكَ الـردى　　مـا كـان أغلَظَهـا ومـا أقـساها
قــسماً بــربِّ العــالمين ومكــةٍ　　والطــائفين بحِجْرهــا وصَــفاها
لـولا يقينـي أننـي بـك لاحـقٌ　　لقهرتُهــا حتــى تــذوقَ رداهــا
تاللهِ خابَ السعي وانفصمت عُرى الـ　　آمــالِ ممــا نابهــا وعَراهــا
لا مُتعـت بـالعيش بعـدَك أنفـسٌ　　كانـت حياتُـك رَوْضَـها وجَناهـا

بـل لا هَنـا للقلـب غيـرُ غليلـه أبــداً ولا للعــين غيــرُ بكاهــا
يـا دوحـةً للمجـد مثمـرةَ العـلا ذهبــت نــضارتُها وجَــفَّ نَـداها
قد كنتَ ساعديَ الـذي أسـطو بـه ويدي التي يخشى الزمان سُطاها
تنفي الأسى عني وتَحْمِيَ جانبي مــن كـل كارثــة يعــم أذاهــا
واليومَ قد هجمت عليَّ حـوادثٌ مــا كنــتُ أحـذرُها ولا أخـشاها
طـوبى لأيـامِ الوصـال وطيبِـــها مــا كــان أحلاهــا ومــا أهناهــا
أيام لي من حـسن وجهـك بهجـةٌ بجمالهــا بــين الــورى أتبــاهى
فــإذا جلـستَ بجـانبي فكــأنني قارنتُ من شمس النهار ضُحاها
وإذا رأيتُــك بـين آل المـصطفى عــوّذْتُ منظــرَكَ الجميــل بِطَــهَ
كانت بقربك في الزمـان مـواردي يـصفو ويعــذُب وِرْدُهــا ورُواهــا
فمُنيـت مـن حَـرِّ الفـراق بغُلَّـةٍ حكـم الـردى أن لا يُبـل صـداها
وبُليــت مــن أرزائــه برزيَّــةٍ عظُمـتْ مـصيبتها وطـال جواهـا
إنـي ليملكنـي التأسـفُ والأسـى فيعــزُّ مــن نفـسي عليـك عَزاهـا
فــإذا ذكـرتُ فنـاءَ دنيـاي التـي لا لفظُهـــا يبقـــى ولا معناهـــا
خـفَّ الأسـى وهــانَ علـيّ مـا ألقـــاه مـــن أهوالهـــا وبَلاهـــا
كيـف البقـاءُ بهـذه الـدار التـي مــن قــد بناهــا للفنــاء بناهــا
دار قـضتْ أن لا يـدوم نعيمُهـا لا كـــان مـــسكنُها ولا سُــكناها
لا يُــسرها بــاقٍ ولا إعــسارُها ســيانِ حــالاً فقرُهــا وغِناهــا
مقرونـــة خيراتُهـــا بــسرورها وسعودُها بنحوسها ونعيمُها بشقاها

إن أَضكحتْ أبكتْ وإن برَت بَرَت ... وإذا شفتْ شفّتَ عليلَ ضناها
أيـن الملـوكُ المـالكون لأمرهـا ... والعـامرو أمـصارِها وقُراهـا
أيـن القياصـرُ والأكاسـرةُ الألـى ... شـادوا مبـانيَ عزِّهـا وعُلاهـا
أيـن الخـواقينُ الـذين تمـسَّكوا ... بعهودهـا واستمـسكوا بعُراهـا
غــرّتهم بــسرابها وشــرابها ... حتى انتَشْوا مـن كأسـها وطِلاهـا
بطشتْ بهـم بطـشَ الكمين بغـرَّةٍ ... الله أكبــرُ مــا أقــلَّ وفاهــا
قد ضَلَّ رشـدُ مـن اطَّباه جمالُها ... فــصبا إليهــا وازدهــاه زُهاهــا
يهـوى الأنـامُ بهـا البقـاء وإنمـا ... شـاء الإلـهُ بقـاءهم بـسواها
مـا هـذه الأيـام غيـرُ مراحـل ... تُطـوى وأنفـاسُ النفـوسِ خُطاهـا
حتـى إذا بلغـت نهايـةَ سـيرها ... ألقـت عـصاها واسـتقرَّ نواهـا
يـا قـرةً للعـين أسـخَنَها الـردى ... وعزيمـةً للقلـب فَـلَّ شَـباها
تبكي عليك النفسُ من فرط الأسى ... وتنوح وجـداً مـن عظـيم شَـجاها
وتقول حقًّا حين ينكـشف العمـى ... عنهـا وتبـصر رُشـدها وهـداها
وُفِّقـت حـين رفـضت الأمَ منـزلٍ ... ورقيـتَ مـن عُليـا الجنـان ذُراهـا
جـاريتني فبلغـتَ قبلـي غايـةً ... للحـقِّ لـم يبلـغ أبـوك مـداها
مـا زلـتَ تـسهر كـلَّ ليلـةِ جمعـةٍ ... لله إذ يغـشى العيـونَ كراهـا
حتـى دعـاك الله فيهـا راضـياً ... لتنـالَ منـه مثوبـةً ترضـاها
لله همتُـك التـي فاقـت علـى ... همـم الأعـاظم شـيخِها وفتاهـا
سعتِ الرجـالُ لنيـل دنياهـا التـي ... قـد دُنِّـست فعزفـت عـن دنياهـا

وسعيتَ للأخرى المقدسةِ التي | لم يرعَ غيرَ الطاهرين حِماها
فحويتَها والعمرُ مُقْتبل الصبا | واهاً لهمتك العليّةِ واها
إن كنتَ حلَّيْتَ الجنان منعَّماً | فأبوك حَلَّ من الهموم لظاها
حزنت لموتك طيبةٌ وبقيعُها | وبكتْ لفوتك مكةٌ ومِناها
وغدا الغويُّ عليك يُغرى بالأسى | طوساً وبغداداً وسامرَّاها
أَقررْتَ أعينَ من بها بنزاهةٍ | حَلَّتك في سِنِّ الصِّبا بحُلاها
صلَّى عليك الله من مستودَعٍ | في روضةٍ ضمَّ الكمالَ ثراها
وتواترتْ رَحَماتُ ربك بكرةً | وعشيةً يَسقي ثراك حياها
ما حنَّ مشتاقٌ إلى أحبابه | وتذكرتْ نفسٌ أُهَيل هواها

[٦٧٨] إبراهيم بن محمد الأكرمي الصالحي الدمشقي(١).

كان شيخاً فاضلاً صالحاً، يجري على لسانه نظم الشعر، من غير كبير معاناةٍ ولا كلفةٍ، وذلك من بركة خدمته للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي؛ فإنه كان قائماً بها إلى أن مات، وهذه خصوصيةٌ لكل من لازم حضرته؛ من خطيبٍ وإمامٍ، وغيرِهما من خدام ذلك المقام.

وُلد بالصالحية، سنة سبعين وتسع مئة تقريباً، وتوفي في شعبان، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وأربعين وألف بالصالحية، وبها دفن ـ رحمه الله ـ، وله ديوان شعرٍ كنت كتبته بخطي وأنا صغير بدمشق ـ حرسها الله ـ ثم فُقد مني،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩)، «نفحة الريحانة (١/ ٤٠) (٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

ولا أعرف الآن مظنته.

ومن شعره: قوله يمدح الشيخ أحمد المَقَّري:

فكَّرتُ في فضلِ الإما ... م المَقَّرِيِّ الحبرِ حينا ... إلخ

وقوله:

اسقِنيها قبل ارتفاع النهار ... إن طيبَ المُدام في الإبكار
هي بكرٌ فاشربْ ويومُك بكرٌ ... لم تُشبه الأيامَ بالأكدار
الصبوح الصبوح في جدةَ اليوم ... فإن الصبوح روحُ العقار
يا فدتك النفوسُ وهي قليل ... من نديمٍ سهلِ الطباع مُداري
هاتها ضحوةَ النهار شَمولاً ... مثلَ شمس النهار وسْطَ النهارِ
قهوةً مثلَ مقلةِ الديكِ صَهْبا ... أو كنارِ الكليم ليستْ بنارِ
ذاتَ عصرٍ أدناه عصر يؤثر ... وإن ليست بمِزَّةٍ مسطارِ
لطفها كرر السنين فلم تبـ ... ـق سوى لمحة من الأنوار
فتراءت كالشمس غِبَّ سماءٍ ... تجتلي بين حمرة واصفرار
لستَ تخشى من لطفها بعد سكرٍ ... من صُداع بادٍ ولا من خُمارِ
في رياضٍ تزهي بباكورِ وردٍ ... وأقاحٍ وسوسنٍ وبهارِ
ذاتِ أرضٍ موشية بربيعٍ ... ذهّبتْ وشيَها يدُ الأزهار
يستفيقُ المخمورُ إن مرّ فيها ... من هواءٍ صافٍ وماءٍ جارِ
قم بنا يا نديمُ يفديك ما لي ... من تِلادٍ وطارفٍ وعقارِ
نقطعُ الدهرَ كلَّ يوم بِزِقٍّ ... وغزالٍ ساقٍ وكأسٍ مُدارِ

آن طيبُ الزمان واعتدل الجوْ ... وُ وصار الضحاءُ كالأسحارِ
وأتاك الربيعُ يضحك عُجباً ... وهو من سَبْحِ نورها في إزارِ
يا نديمي أفديك فيمَ التواني ... ما ترى البسطَ في الليالي القِصارِ
فاسقِنيها واشربْ على زهرة الرو ... ضِ وسجعِ القُمْرِيِّ وشَدْوِ الهَزارِ
وتغنم صفوَ الزمان وروقَ الـ ... ـعمر من قبل ضيقةِ الأعمارِ
لا تبالي إذا سكرتَ بوِزْرٍ ... إن مولاك غافرُ الأوزارِ

وقوله:

بحياتي يا بدرُ أو بحياتك ... لا تقلْ لا فقبحُ لا من لغاتِكْ
قمْ بنا نغنمِ الوصلَ وروحي ... في سبيل الهوى وفي مرضاتِكْ
يا فدتْكَ النفوس فيمَ التواني ... ما ترى البسطَ عَزَّ في أوقاتِكْ
هاتِها بكرَة النهارِ تطيب الرْ ... رَاحُ قبلَ الضحى وقبلَ صلاتِكْ
ثم هَجِّر بنا نقَيلُ قليلاً ... عند غمزِ الصهباء عُودَ قناتِكْ
ثم عدْ للشراب تفديك نفسي ... واسقنيها واشربْ معي بحياتِكْ
إن كلَّ الحياة كأسٌ مُدارٌ ... ونديمٌ وشادنٌ من سُقاتِكْ
فاغتنم فرصةَ الزمانِ فقد ... قيل أخو اللذة الجسورُ الفاتِكْ
لا تؤخر يوماً غداة سرور ... فعسى وقتُه قبل فواتِكْ
إنما هذه الحياة كحلمٍ ... طارقٍ تستلذُّه في سِناتِكْ

وقوله:

ويومٍ فاختيّ الجوِّ رطبٍ ... يكاد من الغَضارةِ أن يسيلا

نعمــتُ بــه ونــدماني أديــبٌ　　وقــورٌ فــي تعاطيــه الــشَّمولا
قطعنــا صــبحَه والظهــرَ شُــربًا　　وجاوزنــا العــشيةَ والأصــيلا
لـدى روضٍ عمـيمِ النبـتِ يزهـى　　بأزهــارٍ نمــتْ عرضًــا وطــولا
يـدور بــه ســوارُ النهـر طــوراً　　كمــا يتعــانق الخِــلُّ الخلــيلا
وســاقينا رخــيمُ الــدَّلِّ يَـسبي　　إذا مــا ردَّدَ الطــرفَ الكَحــيلا
إذا لعبــتْ بــه الــصهباءُ غَنَّــى　　ســقى الله المعــالمَ والطلــولا

وقوله:

ونــديمٍ نبهــتُ لــيلاً فهبَّــا　　وهو سكرانُ يميـل شـرقاً وغربـا
قـال لبيـك قلـت هـاتِ اسـقنيها　　فتــردَّى وقــال طوعــاً وحبّــا
فــسقاني ثلاثــاً وتحــسَّى　　بعــضَ كــأسٍ فردَّهــا وأَكَبَّــا
قلــتُ أفديــه مــن نــديمٍ مطيــعٍ　　لــو رأى طاقــةً بهــا مــا تَــأَبَّى
ثــم وسَّــدْته وعــدتُ إليهــا　　وحيــدًا فمــا اســتلذيتُ شــربا
إن طيــبَ المُــدام بـين النــدامى　　وســرورُ النــدمانِ فــيمن أحبَّــا
لــو رأوا لــذةً بــدون شــريبٍ　　لــم يــسمَّوا نــدامى وشَــربا

[٦٧٩] إبراهيم بن محمد بن إبراهيم باغريب الحضرمي الشافعي[١].

الفاضل العالم العامل، وُلد بجدة، ومات أبوه وهو صغير، ثم حمل إلى الشحر، وأقام بها سنتين، ثم عاد إلى مكة وتوطنها، وطلب العلم، وتجرد

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣١).

له، ولازم الشيخ عبدالله باقشير في دروسـه، حتى تفقه بـه، وحضر دروس شيخنا محمد البابلي، ولازم عيسى بن محمد المغربي في الحديث والعربية، وأجازه جل شيوخه.

وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، في محل شيخـه عبـدالله باقشير، بعد انتقال ولده سعيد، وأفاد الطلبة، وكان ذا فهمٍ حسنٍ، وحفظٍ جيدٍ، وحفظه أجود من فهمه، وكان اعتناؤه بالفقه أشد من غيره من العلوم، وكان ورعاً زاهداً في الدنيا ورياستهـا، متجنبـاً أهلها، ولم يتـزوج، ولـم يزل على هذا الحال المرضي، إلى أن توفي بمكة، ثامن عشر ذي القعدة، سنة ثمانين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بحوطة السادة آل باعلوي ـ نفع الله بهم ـ.

[٦٨٠] إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبي الحرم بن أحمد الصبيبي المدني الشافعي[١].

إمام حاز قصب السبق قبل خَطِّ عِذاره، وفاز بالتقدم على أقرانـه بقوة عزمه واقتداره، طالما أسهر في طاعة ربه الأجفان، وأكثر من الصلاة والصيام، وتلاوة القرآن.

كان في العلم بحراً زاخر اليم، ذا فضل مبذول لمن قصد وأمّ، بارعاً في عدة من الفنون، سالكاً طريق من سلف من صلحاء القرون، حسن الشكل، لين الجانب، كثير الإحسان للطلبـة، معلماً ناصحاً، ومفيداً صالحاً، يقرب الضعيف من الإخوان، ويحرص على إيصال الفائدة للبليد المستهان، وكان

---

(١) «خلاصة الأثـر» للمحبي (١/ ٤٢)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٧٥) (٣٢٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٦٨).

ربما ذَكر عنده المبتدئُ الفائدةَ المطروقة، فيصغي إليها كأنه لم يسمعها؛ جبراً لخاطره، وكان جمالياً في سائر شؤونه، يحب الجمال بالطبع، سليماً عما يشينه، مثابراً على إيصال البر والخير لكل محتاج.

وُلد بالمدينة الشريفة، وأخذ عن والده، وعن شيوخ من أهل الحرمين، واشتغل بالتدريس بالفنون العلمية، وأخذ عن جمعٍ، ولازم التدريس حتى توفي يوم الجمعة، ثالث عشر صفر، سنة ثلاث وأربعين وألف.

وكان مع تبحره في العلوم، مقيماً لأوزان الشعر، مجيداً لنظمه، معجباً به، محباً لأهله.

فمنه قوله:

لما بدا مبيضاً ... والقلبُ مشتاق إليه
ناديتُ هذا قاتلي ... والرايةُ البيضا عليه

وقوله:

صادفته يجلو فما حشوه ... شهدٌ ودرٌّ وعقيقُ المدام
وقلتُ يا مولاي هل شربة ... من ريقك العذبِ لحرِّ الغرام
فقال جور منك أنت الذي ... تدعى بإبراهيم طول الدوام
والنار برداً وسلاماً غدت ... عليك ماذا الحرّ قلت السلام

وقوله في «تاريخ المدينة» للسمهودي:

فعليه باستقصاء تاريخ الوفا ... تأليف عالم طيبة السمهودي

[٦٨١] **إبراهيم بن محمد بن الأحدب الصالحي**(١).

كان معلماً للأطفال، في مكتبٍ قبالة مدرسة أبي عمر بالصالحية، عالماً جليلاً مسنداً، وله في الفرائض والحساب اليد الطولى، ولازم في آخر أمره جامع السليميّة بالصالحية، يقرئ الناس فيه العلوم العلمية، وبلغ من السن أكثر من ثمانين سنة، وانتهى إليه علو الإسناد في الحديث.

أخذ عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وابن طولون، وموسى الحجّاري، وغيرهم، وانتفع به جماعةٌ، من أجلِّهم: العارف بالله أيوب بن أحمد بن أيوب الخلوتي الصوفي المشهور، والعلامة علي القبردي، وكانت وفاته في سنة اثنتي عشرة بعد الألف بالصالحية، ودفن بسفح قاسيون ـ رحمه الله ـ.

[٦٨٢] **إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر بن أحمد ابن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير الحكمي**.

العلامة، الحبر الفهامة، بقية المجتهدين، طلب العلم هو وأخوه علي ابن محمد بن مطير، وبرع، وفاق أقرانه، وناظر، وكان شهماً في فتواه، وفي مناظرته صدوقاً، قال تلميذه الشيخ عبد الباقي بن عبد الرحيم بن عبد الباقي النزيلي الحكمي: لقيته سنة اثنتي عشرة بعد الألف في هجرته، وهو يدرس التدريس الذي يكاد يثمر قبل أن يورق.

وكان ـ رحمه الله ـ يتحرى من نجاسة الكلاب، فأي قريةٍ فيها كلبٌ لا يدخلها إلا محمولاً، وكذلك الأودية التي لا تبلغ الجرية فيها قلتين،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤١) (٧٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٦).

لا يدخلها إلا محمولاً، يقول: لعل كلباً مرّ فيها.

[٦٨٣] إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم جعمان[1].

مفتي «زبيد»، كان على جانبٍ عظيمٍ من نشر العلم والتدريس، وإكرام الدَّرَسَة والوافدين، وكان حافظاً للمذهب، محدثاً نقالاً، يكاد يتوقد ذكاءً، كأنه كوكبٌ دريٌّ، وكانت إليه رياسة مدينة زبيد، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة، عديم النظير في زمانه، أخذ عن شيوخٍ كثيرين، وعنه: السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، وأخوه سليمان، ومحمد بن عمر حشيبر، والسيد محمد بن الطاهر بن بحر، والفقيه محمد بن محمد العلوي، وكم من نجباء انتفعوا به!.

وكان هو العمدة في عصره في الفتوى، والمعوَّل عليه في حل المشكلات.

توفي سنة أربع وثلاثين بعد الألف، وبموته حصل النقص في مدينة زبيد، وخرب أكثرها، ودفن بباب سهام، بمقبرة بني جعمان ـ رحمه الله ـ.

وبنو جعمان قبيلةٌ من صريف بن ذؤال، أهل علمٍ وصلاح، وورعٍ وفلاح، قال الإمام السرجي في «طبقاته»: كل أهل بيتٍ فيهم الغث والسمين، إلا بني جعمان؛ فإنهم كلهم سمين ـ يعني: صالحين ـ، ولعمري! لقد صدق فيما قال، وما صدف عن الحق ولا مال، فإن المذكورين قومٌ أصفياءُ غالبهم الصلاح والتغفل، والاشتغال بالعلم، وقلّ من يدانيهم في منصب العلم؛ لكونهم عمدةَ أهل اليمن.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩).

[٦٨٤] إبراهيم بن محمد السَّوهائي المالكي الأزهري[1].

كان ذكياً فاضلاً، عاملاً كاملاً، أخـذ عن الأجهوري ومن في طبقته، وبرع واشتهـر ذكـره ببلاد المنصورة، من الديار المصرية، وحصلت له دنيا عريضة، بعد فقرٍ شديدٍ، فسلط عليه بعضُ الحسدة رجلاً طعنه وهو متوجه إلى مصر؛ لقضاء أغراض لـه فيها، فتوفي فيها قتيلاً، في حدود سنة ثمانين بعد الألف، حول مصر، ومن مؤلفاتـه «فتح القديـر بترتيب الجامع الصغير للسيوطي»، رتبه على الأبواب.

[٦٨٥] إبراهيم بن محمد بن حسن بن حسين ابن الشيخ سعد الدين الجباوي القبيباتي الدمشقي الشافعي[2].

كان عضداً لأخيه محمد السابق ذكرُه، وخليفته في حلقة الذكر بالجامع الأموي، وكانت الناس تذهب إلى زيارة أخيه، ثم إليه، فيكرمهم مثل كرامة أخيه، ويزيدهم، وإذا فعل أخوه مثوبةً، بادر إلى مثلها، وتحرى الزيادة عليه، وكان محبوباً للناس، حسن الخلق، بشوشاً ودوداً، يحب الزائرين، ويكرم الواردين، ولم يزل متفقاً مع أخيه، حتى دخل بينهما الأعداء وتخاصما، إلى أن توفي يوم الخميس، تاسع جمادى الأولى، سنة ثمان بعد الألف، ودفن خارج باب الله، عند أهله بتربة الحصني.

وأراد ولده كمال أن يحجر قبره، فاشترى له حجارةً من الصالحية، فرأى

---

(١) «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

(٢) «لطـف السمـر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢١٢) (٦٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٣).

في تلك الليلة يونس بن المدرس المترجَم في المنام، وهو يقول لـه: الحقْ هذه الجِمال الذاهبة إلى المقبرة، حاملةً هذه الحجارة الحرام، وقل لهم يرجعوا بها، ما لنا بها حاجة، فلما أخبر ولده بما رآه، سألوا عنها، فإذا هي منقولة من قبورٍ محجَّرة كانت بالصالحية، فردوا الأحجار إلى محلها، واشتروا حجارةً غيرها جديدة القلع من الجبل، وكانت هذه كرامة له ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٨٦] إبراهيم بن محمد بن عبد الكريم السفرجلاني الدمشقي(١).

نسبةً لجـد لهم كان يكثر السفر، فسئل عن سبب ذلك، فقال: السَّفَرُ جَلاني، أو إلى بيع السفرجل، وكان السائل له قاضي دمشق السيد الحلبي شارح «الملتقى»، فأجابه القاضي المذكور بقوله، وهو الأقرب؛ أي: النسبة إلى بيع السفرجل، فضحك من كان حاضراً، هكذا أخبرني المترجم من لفظه.

أديبٌ أريبٌ، ونجيبٌ بنُ نجيب، أورق عودُه بالشام وأثمر، وأينع غصنه بها وأزهر، وربي في حجر والده، ممتعاً بطريف الأدب وتالده، مولده سنة أربع وخمسين بدمشق، وبها نشأ وترعرع، وبرع وتأدب، ونظم الشعر الفائق الرائق، فمما أنشدني قوله:

لُذ بالمتاب وعُد عن جهـل الـصِّبا فـأخو الـذنوب طويلـةٌ حَـسَراتُهُ

واجنح إلى التقوى فطوبى لامرئٍ غلبـت علـى آحـادِهِ عـشراتُه

وقوله:

إن غَضَّ عن تلك العوارض عاذلي طَرْفًا فقـد أصـبحتُ مـن عـشاقها

---

(١) «هدية العارفين (١/ ٣٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

وتجنبَ الأفعى الزمرد إنما ... هو خيفة منه على أحداقها

وقوله:

لئن أغضَّ مَنْ أهواه عني طرفه ... وحدقت في ريحانه وشقائقهْ
فمن شيم المعشوق عينٌ غضيضةٌ ... حياءً وفتحُ العين شيمةُ عاشقِهْ

وله:

أرأيت كيف نَضَى من الأحداق ... سيفًا يُراق به دمُ العشاقِ
ثَمِلُ القَوامِ يُريك من أعطافه ... لِينَ الغصون تميسُ في الأوراق
أحببْ به قمرًا شعاعُ جبينه ... يكسو الحنادِسَ حُلَّة الإشراقِ
يا لَلرجالِ لقد خَفيتُ صبابةً ... وبسحر مقلته فأين الراقي
ومنحتُه قلبي فباتَ مفتتاً ... أفلاذُه بحرارة الأشواق
وجنحتُ فيه إلى النسيب فحبذا ... نظمٌ يُزان من اسمِه بنطاقِ

وقوله:

يا لؤلؤاً أصدافُه الياقوتُ ... قلبي عليك صبابةً مفتوتُ
لقد ابتسمتِ فلاح منكِ لناظري ... سِمْطٌ بكل ملاحة منعوتُ
أحبِبْ به سمطًا تناسقَ نظمُه ... فالطرفُ في لألائه مبهوتُ
أَنشاه مبدِعُه وكمَّل حسنَه ... فأتى بديعَ النظم وهو شَتيتُ
عجبًا له درًّا على ما فيه من ... صغر له بين الجواهر صيتُ
عزَّ الوصولُ إليه يا قلبي فمتْ ... كمداً فحارسُ كنزِه هاروتُ

وقوله:

سلبت قلبي ولم يشعر به جسدي وهكذا يفعل النفاثُ في العُقَد

لا واخذَ اللهُ نجلاوَيْكَ إذ رَشَقا سهمًا فلم يُخْطِئا في رشقِهِ كبدي

يا جؤذرًا لم تزل أجفانُ مقلتِهِ تسطو على عاشقيه سطوةَ الأسدِ

مهلاً بتعذيب قلبٍ فيكَ مكتئبٍ قد عاقرته سُلافُ الشوق والكمدِ

إلامَ تمتدُّ في هَجْري بلا سببٍ أما لهجركَ يا مولاي من أمدِ

نظامُ درٍّ المعاني في صفاتك قد نيطت قلائدُه في غرة القصد[1]

[٦٨٧] إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين بن العارف بالله تعالى خالد البرماوي الأزهري الأنصاري الشافعي[2]، والبرماوي ـ بكسر أوله ـ نسبةً إلى برمة، من نواحي الغربية.

فقيه مصر، وشيخ الجامع الأزهر، الإمام الجليل، الصالح المتبحر في الفقه، والجامع بين الظاهر والباطن، المحب للصوفية ـ نفع الله بهم ـ، المحبوب للمجاذيب، جمع الله له بين خيري الدارين، واغترف بعظيم فضله أهلُ المصرين، وبارك له في أوقاته، فوزعها على طاعاته.

قرأ على الشمس محمد الشوبري، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، في فنون عديدة، ثم لازم دروس فقيه الديار المصرية الشهابِ القليوبي، واختص به، وسلك على طريقته، إلى أن نقله الله إلى

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلث صفحة بياض بالأصل».

(٢) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٧).

كرامته، وتصدر بعده للتدريس بالجامع الأزهر، وعم نفعُه، وحُمدت سيرته، ولازمه أفاضل كثيرون، وانتفعوا به.

وله مؤلفاتٌ في الفقه، منها: «حاشيةٌ على شرح المنهاج للمحلي»، و«رسالةٌ في مسألة: مُدّ عجوة ودرهم»، و«حاشيةٌ على شرح الرحبية لسبط المارديني»، وغير ذلك، ولم يتفق لي الأخذُ عنه، مع ما بيني وبينه من كمال الصحبة، وزيادة المودة، توفي ـ رحمه الله ـ في شهر ذي الحجة، سنة ست ومئة وألف.

[٦٨٨] إبراهيم بن محمد العمادي الحنفي، المعروف بابن كسباي[1].

الشيخ العلامة برهان الدين، المقري المجيد، شيخ القراء بدمشق، مولده ليلة السبت، خامس عشر ربيع الآخر، سنة أربع وخمسين وتسع مئة، وحضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي، وقرأ عليه للعشرة من طريق «النشر» وغيره، وأخذ عنه غير ذلك من العلوم، وقرأ على شيخ القراء بدمشق الشهاب أحمد بن بدر الطيبي للسبعة، والعشرة، وعلى الشهاب أحمد بن علي بن حسن الفلوجي، ختمةً كاملةً لعاصم، والكسائي، ومن أول المائدة لأبي عمرو، وابن عامر.

وعلى العلامة السيد الشريف ملا عماد الدين علي بن عماد الدين محمود ابن نجم الدين بن علي القاري النحر آبادي أصلاً، الجرجاني منشأً، ثم القزويني من أول البقرة إلى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ للعشرة، وقرأ على الشيخ المقري بدر الدين

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٢٢) (٦٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٥).

حسن بن محمد بن نصر الصلتي، للسبعة جمعاً، ثم للعشرة من أول البقرة إلى قوله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾، وعلى الشيخ العلامة شرف الدين يحيى ابن محمد بن حامد الصفدي، من أول البقرة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ﴾[البقرة: ٦١] من طريق «الشاطبية»، وقرأ «النشر»، و«الشاطبية»، و«الدرة»، و«المقدمة»، وغير ذلك على الشيخ الطيبي.

ورحل إلى مصر، وأخذ بها عن العلامة المحدث النجم الغيطي وغيره، وكان يعرف العربية وغيرها من العلوم، وله شعرٌ، وكان علامة في التجويد والقراءات، وكانت له بقعة بالجامع الأموي يدرس فيها، وولي تدريس الأتابكية عن الشمس محمد الداودي، وكان فيه دعابةٌ ومزحٌ.

توفي يوم الاثنين، ختام ذي القعدة، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير، عند الباب المقابل لمدرسة الصابونية، على يسار الداخل إلى المقبرة، في زاوية بين باب الحدادين الغربي والشمالي، أول قبرٍ ثمة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦٨٩] إبراهيم بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عبد الرحمن الميموني؛ نسبةً لميمون من بلاد الصعيد، الشافعي[١].

الشيخ الإمام، العلامة الفهامة، المحقق المدقق، شيخ الإسلام والمسلمين، وبقية السلف الصالحين، وخاتمة المحققين، كان فريد عصره في علوم التفسير والعربية، حافظاً مفنناً متضلعاً من العلوم العقلية، مشهوراً بالعلم، خصوصاً عند القضاة وأرباب الدولة، مترفهاً في عيشه، كريم النفس،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣١).

رقيق الطبع، حسن الخَلق، فصيح اللسان، وجيهاً مجللاً عند عامة الناس وخاصتهم، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة.

وإذا حضر مجلساً فيه علماء، يكون هو المتكلم من بينهم، والمشار إليه فيهم، وكانت الموالي من قضاة العساكر تسأله في التفسير وغيره، ويؤلف لهم فيها الرسائل، واجتمع فيه حسن التقرير، وتحبير التأليف والتحرير.

وُلد بمصر، سنة إحدى وتسعين وتسع مئة، وبها نشأ، وقرأ القرآن، ولازم والده سنين عديدة، وكان يحضر معه وهو صغير دروسَ الشمس محمد الرملي، وأجازه بمروياته، وأخذ عن العلامة أبي بكر الشنواني، ومنصور الطبلاوي، وأحمد الغنيمي، وغيرهم من علماء عصره، وأجازه جلُّ شيوخه.

وعنه أخذ شيخنا عبد القادر البغدادي، وشاهين الحنفي، وغيرهما من سراة العلماء، وأُخبرت: أن شيخنا أبا الضياء عليًّا الشبراملسي حضر مجلسه، بالجامع الأزهر في بعض «المختصر للسعد»، وكان يقرئ في أواخر عمره في بيته، كل يومٍ من طلوع الشمس إلى قبيل الظهر، فنونَ العلوم الشرعية.

وكان له ولدٌ فاضلٌ اسمه أحمد، مات قبله بنحو ثلاثة أشهر، وجزع عليه جزعاً شديداً، وكان بيني وبينه مودةٌ شديدةٌ، وصحبةٌ أكيدةٌ، وحضرت مع من حضرني مجلس التعزية، فخاطبني متوجعاً ومنشداً قول المتنبي:

لولا مفارقةُ الأحباب ما وجدتْ   لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

وحضرت دروسه كثيراً، وكان يدعو لي، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، ورسائل في فنون العلوم شهيرة، منها: «حاشيةٌ على المواهب اللدنية للقسطلاني»، و«حاشيةٌ على المختصر للسعد»، و«حاشيةٌ على تفسير البيضاوي»، و«معراجٌ»

في مجلدٍ ضخم، وغير ذلك مما يطول ذكره، واستمر ممتعاً بحواسه، منهمكاً في بث العلم وإفادته، حتى توفي ليلة الثلاثاء، ثامن عشر شهر رمضان، سنة تسعٍ بعد الألف، وصلى عليه في مشهدٍ حافلٍ بالجامع الأزهر، بين العصرين، إماماً بالناس، شيخنا منصور الطوخي ـ رحمهما الله ـ، ودفن بتربة المجاورين.

[٦٩٠] إبراهيم بن محمد، المعروف بابن الطباخ[١].

لأن أباه كان طباخاً لطعام الأفراح والمهمات، وطلب ولده العلم، حتى حصّل قدراً مفيداً منه، ولازم قاضي دمشق محمد بن معلول، وجعله نائباً، ثم توجه إلى قسطنطينية، ثم عاد إلى دمشق، سنة أربع وتسعين وتسع مئة، متقاعداً عن الدرس[٢]، وهذا التقاعد يسمونه في طريقتهم: الموتة الكبرى؛ لأنه يبقى سنين فيه، حتى يترقى منه؛ ليكون بعد ذلك من الموالي.

ثم تقلبت به الأحوال بدمشق، وكان يميل إلى الصوفية، ويعتقدهم، ووقع بينه وبين النجم الغزي ما يقع بين المتعاصرين، وانضم إليه الشيخ محمد ابن المنقار، والشمس محمد الداودي، وأرادوا أن يقيموه من مجلس درسه، ويمنعوه من التدريس في الجامع.

فبلغ ذلك شيخَه أحمد العيثاوي، فأتى إليه، وقال له: يا ولدي! أرى أن لا تخرج في هذا اليوم، وذكر له القصة، فقال له النجم: يا مولاي! لا بد من الخروج، فإني البارحة رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقد استخلصني من

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢١٦) (٦٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢).

(٢) في الأصل: درس.

جماعةٍ يريدون أذيتي، فأدخلني في حجرةٍ، وأسبل عليّ ذيله، وكنت كذلك رأيت هذه الرؤيا تلك الليلة، فبكى شيخه، وقال لـه: إذن اخرج على بركة الله تعالى.

فلما خرجت إلى المسجد، وجلست في المجلس، أكبّ الناس عليّ واجتمعوا يستمعون، فكان الدرس ـ إذ ذاك ـ على وجه المصادفة، في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ [آل عمران: ١٣]، فلما قرأت الآية، وافتتحت الدرس، كثر الناس، وكان الثلاثة المذكورون قد اجتمعوا لما لَهِجُوا به، فلما بصُروا بالمجلس من بُعد، رهبت قلوبهم، ثم خرجوا من باب البريد، وأبصروا من الناس عين الإنكار عليهم.

ثم ألف المترجَم رسالةً صغيرةً في النجم وفي إقرائه لتفسير والده البدر، فتصدى القاضي العلامة محب الدين الحموي للرد عليه في رسالةٍ سماها: «السهم المعترض في قلب المعترض»، وألف الشهاب العيثاوي رسالةً أخرى لذلك سماها بـ: «الصمصامة المتصدية لرد الطائفة المتعدية»، وكتب إليه القاضي محب الدين الحموي قوله:

إن ذا ابن الطباخ قبحه اللّـ ـه تعالى وشوَّه الله خَلْقَه
رامَ في الشام أن يسود زوراً قلتُ والله أنت أسودُ خِلْقَةْ

وكان ابنُ الطباخ آدَمَ اللون، ثم مات المترجَم والداودي في يومٍ واحدٍ، يوم الثلاثاء، ثاني شعبان، سنة ست بعد الألف، ودفن بمقابر الصوفية، بالشرف القبلي، عند الميدان الأخضر بالمرجة، بوصية منه ـ رحمه الله ـ.

[٦٩١] إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفي، الجينيني

الأصل والمولد، الدمشقي الدار[1].

أخذ عن الشيخ خير الدين، اجتمعتُ بـه بمكة، سنة اثنتين وثمانين، وهو رجلٌ فاضلٌ بارعٌ أديبٌ، لـه اطلاعٌ تامٌ ومعرفـةٌ للكتب جيدة، وتوطن دمشق، وصار له بها مكانة، توفي سنة ألف ومئة وسبع ـ فيما أظن ـ بدمشق ـ رحمه الله تعالى وإيانا ـ.

[٦٩٢] إبراهيم بن محمد بن السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري الحسيني.

السيد الفاضل، العارف الكامل، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء الناسكين.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وقرأ على جماعة من علمائها، منهم: الشيخ علي ابن الجمال الأنصاري، وتفرغ للعبادة من الصيام والقيام، إلى أن توفي ليلة النصف من شعبان، سنة ثمان وثمانين بعـد الألف بمكـة، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة جـده، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، وصحبةٌ شديدةٌ، وله أشعارٌ كثيرةٌ، منها: قوله. . .[2].

[٦٩٣] إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي المالكي[3].

أحد علماء المالكية الكبـار بالديـار المصريـة، أخـذ عن الشيخ علي

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (١/ ٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٤١).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» أربعة أخماس صفحة بياض».

(٣) «هدية العارفين» (١/ ٣٦)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٧)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٧٣).

الأجهوري قليلاً، وأكثر أخذه وانتفاعه عن يوسف الفيشي، له «شرحٌ جليلٌ على مختصر خليل» في مجلدات، و«شرحٌ على العشماوية»، و«شرحٌ على الأربعين النووية»، و«شرحٌ على ألفية السيرة للعراقي»، ولكنه عزيز، ومؤلفاتٌ في فنونٍ شتى.

وكان حافظاً حسن التقرير جداً، وحصل له فالجٌ قطعه عن الإقراء مدةً، ثم مات غريقاً وهو متوجه من مصر إلى رشيد ببحر النيل، سنة ألف ومئة وست تقريباً ـ رحمه الله ـ، وعمره نحو ستين سنة، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ ـ رحمه الله ـ.

[٦٩٤] إبراهيم بن مسعود، صاحب الظهرين(١).

كان رجلاً علامةً، له مشاركةٌ في كل فن، وكان حَفاظةً حتى قال بعض الناس: هذا خزانة العلم، يروى أنه كان يحفظ من كلام العُوَيْدي ثلاث مئة قصيدة، ووصف شعره بأنه السهل الممتنع، أخذ الحديث وغيره عن عبد الرحمن بن حسين النزيلي، بهجرة القيري، من أعمال المحويت، من أرض كوكبان، ولعله مات في العشر الأول من هذا القرن.

[٦٩٥] إبراهيم بن محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسيني(٢).

نقيب الأشراف بدمشق، مولده كما ـ أخبرني من لفظه ـ في ذي القعدة، سنة أربع وخمسين وألف بدمشق، وقدم حاجاً سنة ألف ومئة وتسع عشرة،

---

(١) «طبقات الزيدية» الكبرى (١/ ٧٧) (١٩)، وذكر وفاته في ١٠٠٨هـ.

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٨٦) (٦٦)، «سلك الدرر» للمرادي (١/ ٢٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

واجتمعت به بمكة، وأخذ عن والده، وعن إبراهيم الفتال ومعاصريهما، ومن مؤلفاته: كتاب «أسباب الحديث» في مجلدٍ حافلٍ.

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ مرجعه من الحج، سنة ألف ومئة وعشرين، لعله في شهر محرم، بمنهل الحاج، المعروف بهدية، من طريق الركب الشامي.

وأخوه السيد عبد الرحمن بن محمد، مولده في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وألف، ووفاته في ربيع الأول، سنة إحدى وثمانين وألف بدمشق، ودفن بالصالحية، بتربة الإيجية، وأخوه السيد عبد الكريم بن محمد، مولده في ذي القعدة، سنة خمس وخمسين وألف، ووفاته ثالث رجب سنة ثمان عشرة ومئة وألف، ودفن بالإيجية ـ عفا الله عنا وعنهم آمين ـ.

[٦٩٦] إبراهيم بن منصور الفَتّال الحنفي الدمشقي[(١)].

الشيخ العلامة، صارم الدين، وبقية المحققين، الإمام الفقيه، الأصولي المتكلم، الحكيم المنطقي، الجدلي الخلافي النظار، جامع شتات العلوم الدينية، وشيخ الفنون العقلية.

وُلد بدمشق ـ تقريباً ـ سنة خمس وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وأخذ عن شيوخها، ولازم العارف بالله أيوب بن أحمد الخلوتي الصوفي.

وتصدر لإقراء الكتب الدقيقة، بمسجد بني أمية، وأخذ عنه أفاضل كثيرون؛ كشيخنا محمد التجيبي الحلبي، والشيخ أبي السعود بن تاج الدين البعلي، وأبي المواهب الحنبلي، وعبد القادر بن عبد الهادي العمري، وأبي

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٥١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٥٦٦) (٥٦).

الصفا ابن الشيخ أيوب، وأخيه أبي الإسعاد، وخلق لا يحصون كثرةً، وعم النفع به لأهل قطره، وانفرد في العلوم النظرية في عصره، واشتهر ذكره في كل ناد وواد، وعم فضله سائر البلاد، وله «حاشيةٌ على شرح القطر لابن هشام».

توفي بدمشق، في شهر ذي الحجة، ختام سنة سبع وتسعين وألف.

ومن شعره: قوله مضمناً:

هل أسفرَ الصبحُ أم بدرُ الدجى طلعا ... أم فرقُ مُنيتيَ الوضاحُ قد لمعا

أم قد تبسم مَنْ أهوى فلاحَ لنا ... من فيه برقُ الثنايا الغُرِّ أو سطعا

فقمتُ أكشفُ ما قد صار مشتبهًا ... فخلت حبًا لجفني النومَ قد منعا

ناديتُه خائفاً أن لا يجاوبني ... ومهجتي من جفاهُ قُطِّعت قِطَعا

يا بن الكرام ألا تدنو فتبصرَ ما ... قد حدثوكَ فما راءٍ كمن سمعا

[٦٩٧] إبراهيم ابن الولي صاحب جبل بني عراف.

كان من أولياء الله، حُكي عنه أنه كان يرى النبي ﷺ في كل يومٍ خمس مرات، وفي آخر عمره ست مرات، توفي ـ رحمه الله ـ سنة عشر بعد الألف تقريبًا[١].

[٦٩٨] الشيخ إبراهيم بن أحمد اليافعي[٢] ـ بياء تحتانية وبالفاء والعين

---

(١) وهذا من تهاويل ومبالغات ذلك العصر.

(٢) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٥) (٢)، «البدر الطالع» (١/ ٧)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٨٦) (٢)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦١١).

المهملة ـ نسبةً إلى يافع: قبيلة باليمن، من قبائل حِمْير.

الشاعر المشهور بصنعاء، توفي في شهر رجب سنة ألف ومئة وعشر بصنعاء، ودفن بجربة الروض ـ رحمه الله تعالى ـ.

أحد شعرائها المجيدين، وأدبائها المجيدين، كان فاضلاً أديباً ظريفاً خفيف الروح، اشتغل بصناعة الأدب، فكان بها قيمًا، وعرف بالشعر، فأصبح به متوسماً.

اجتمعتُ به بصنعاء، يطرف جليسه بمحاسن العلوم، ويعرب في البحث عن كل خفي من المعارف مكتوم، وذاكرتُه، فرأيت رجلاً قد أخذ من كل معرفة قدحاً وافراً، وأطلع من كل فضيلة نورًا باهرًا، يردد الهمة بين فضائل أدبية، وخلائق شرعية، وطرائق ما خرجت عن القوانين الدينية، وقد أدركته حرفة الأدب دره دهره، وصافاه فقره، فاتخذ الشعر بضاعة اكتساب، وجعله وسيلة يفتح بها أبواب الطّلاب.

مولده ـ كما أخبرني من لفظه ـ بصنعاء سنة ست وثلاثين وألف، وقرأ بها فنون العلوم على مشايخ كثيرين، منهم: القاضي العلامة عبد الرحمن الحيمي، والفقه على الفقيه هادي القويعي، وأخذ عن العلامة أحمد بن الحسن السحولي فنون العربية، وتوفي بصنعاء في شهر رجب سنة ألف ومئة وعشر، ودفن بجربة الروض.

ومن شعره: ما كتبه إلى العلامة زيد بن محمد بن الحسن قوله:

ألا قـــل لزيـــد. . .[1]

---

(١) جاء في الحاشية: «كتب بهامش الأصل أمام هذا (يكتب من المجموعة) =

وقصيدةٌ كتبها إليّ بصنعاء مطلعها:

ما لاح بـدر بـالغوير ورفرفـا. . .[1]

[٦٩٩] السيد إبراهيم بن يحيى بن المهدي الحجاف.

وبقية نسبه في ترجمة ولده إسماعيل.

العالم العامل، والمحقق الكامل، المتوحد في عصره بعلومه، المنفرد بمـا حواه من منطوقـه ومفهومـه، له مؤلفاتٌ منها: «شرحٌ مفيدٌ على مفتاح الفرائض للغضنفري»، وكانت وفاته سنة. . .[2].

[٧٠٠] إبراهيم بن يحيى بن الهُدَى بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد الحجاف[3].

كان هذا السيد الجليل من أهل الملكة لنفسه، والرياضة الكلية؛ بحيث لا يروى عنه رواية، وإنه ـ في الغالب ـ لكثرة حفظه للسانه، وإنما يجري مع الأصحاب بالتبسم والاستماع لمقـالهم، وإظهـار التعجب والاستغراب لما يُروى عنه؛ كأنه لا يعرف شيئاً:

فتـراه يُـصغي للحـديث بـسمعه ... وبقلبـــه ولعلَّـــه أدرى بـــه

وكان ـ مع ذلك ـ متقناً لأمور دينـه ودنياه، عاكفاً على كتب الطريقة،

= وترك بياض ثلث صفحة».

(١) جاء في الحاشية: «كتب كذلك أمام هذا بأنه يكتب من المجموعة، وترك له صفحة».

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ بالأصل».

(٣) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٩٣) (٢٧).

مواظباً على الجماعة بالمسجد الجامع بـ «حبور»، حتى لا يروي أحدٌ أنه تخلف عن المسجد في وقت الصلاة إلا لعذرٍ عظيمٍ، وكان مشهور الحال، عظيم الذكر، متولياً للقضاء، راضيةً عنه قلوب الناس؛ لما يعلمون من صدقه، وإنزاله للناس منازلهم، ووقوفه عند صميم الشرع.

وله «شرحٌ على المفتاح في الفرائض» أجاد فيه، وقرأه الناس عليه، وانتفعوا به، وأتى فيه باصطلاحات غير اصطلاحات الأصحاب، ثم جعل لذلك مقدمةً؛ لتعرف مقاصده، وله «شرحٌ لأبيات الجعدي في التلاوة لآي الفاتحة ومخارج حروفها».

وله أشعارٌ فائقةٌ رائقةٌ، وخمّس قصيدة الحلي التي مطلعها:

فيروزُج الصبح أم ياقوتةُ الشفق ... بدت فهيجتِ الورقاء في الورقِ

ومما نقله ولده العلامة إسماعيل من شعره قوله:

وإذا أسبل الظلامُ رُواقاً ... وهدا معشر به فاستراحوا
فأنا أرفعُ الأكُفَّ إلى من ... خطرةُ القلب عنده إيضاحُ
قائلاً ربِّ أنت أعلمُ بالحا ... ل ففيم السؤالُ والإلحاحُ
وإذا اليأسُ رامَ هدمَ رجائي ... قال حسنُ الرجا له لا براحُ
ولعمري ما يهدم اليأس ظني ... والإلهُ المؤمَّل المُستماحُ
لو تكون السماءُ والأرض رتقاً ... أو تحولُ السيوفُ والأرماحُ
هذه نيةُ الكرام لعمري ... وبها طالما استراحوا وأراحوا
كلما جاءهم من اليأس كاسٌ ... فله من رجائهم أفراحُ

ومولده ـ رحمه الله ـ في رمضان، عام إحدى وسبعين وتسع مئة، وتوفي وقت الظهر، يوم الخميس، رابع عشر شعبان، سنة خمس وستين وألف، بمدينة حبور، وهو والد العلامة السيد إسماعيل ويحيى، ـ رحمهم الله ـ.

[٧٠١] السيد إبراهيم بن زيد بن علي الحجاف[١].

له في المجد بيت معمور، شيده، بما له[٢] من اللؤلؤ المنظوم والمنثور، وزاد بسهولة تلك المعاني على البلبل والهزار والشحرور، وشرح صدرَ الحيِّ من أهل البيت، الحجافي والميت، وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت، وله مع بديع الشعر حسنُ التصرف في الإنشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن شعره مضمناً أبيات العباس بن الأحنف:

الحشرُ من وصلِ الأحبة أقربُ ... وصفاءُ من يهواه عَنْقا مُغْرِبُ
يا أيها البدر الذي من رامَهُ ... طلب المحالَ وما يمنَّى أشعبُ
فالحبُّ بحرٌ ليس يَركب موجَه ... إلا أخو غررٍ فبئس المركبُ
والعاشقان كلاهما متعتبٌ ... وكلاهما متوعِّدٌ متغضِّبُ
راجعْ أحبتَكَ الذين تودُّهم ... إن المتيَّمَ قلَّما يتجنَّبُ
إن المحبَّ إذا تطاول عهدُه ... رب السلو فعزَّ عنه المطلبُ

وكتب إلى الفاضل الأديب الشهاب أحمد ابن القاضي العلامة محمد بن

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٢٥) (٨)، وذكر وفاته في ١١١٦هـ، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٧٦).

(٢) في الأصل: شيد به ماله.

الحسن الحيمي قوله:

لم تـزل فـي الحـبِّ عـذالي تُلِـحُّ　　وتــرى أن الهــوى يطفيــه نــصحُ
فَهْـيَ تُملـي والهـوى يـصبو إلـى　　رسمِ ما تُملي ودمعُ الشوق يمحـو
لـستُ أرتـاح إلـى الـراح التـي　　قـد أتـى فـي شـربها ذَم وقـيحُ
إنمـا أذهـلَ عقلـي فـي الهـوى　　نـارُ اشـتياقٍ لهـا بالزَّنْـدِ قَـدْحُ
وخـضمٌّ مـن همـومٍ خـضتُه　　هائلُ الموج له فـي القلـب طفـحُ
ولأفكـاري علـى أمواجـه　　فُلْـكُ آمـالٍ لهـا عَـوْمٌ وسَـبْحُ
يـا سـقاها الله فـي الطَّلـح لنـا　　وقفـةٌ تبقـي لنـا مـا اخـضرَّ طلـحُ
والأثـيلات التـي فـي غورهـا　　يـا لكـم قـد زارهـا غيـثٌ يـسحُّ
إن شـدا القُمـري علـى أوراقهـا　　أَرَّقَ أجفـاني وأملـى العيـنَ قـرحُ
فـإلى كـم تُـضرم الأحـشاء فـي　　مهجتـي مـن حرهـا نـارٌ ولفـحُ
ومتـى يكـشف عنـي ليلهـا　　من صفي الدين والإسـلام صبـحُ
ماجـدٌ مـن بنـي الحيمـي لـه　　فـي العُـلا مـن ربـه نـصرٌ وفـتحُ
كـم لـه مِنَّـةٍ فـي طَيِّـها　　بين إسـعادي وبـين الـدهر صـلحُ
وعقـودٍ لـي فيـه درُّهـا　　غَـزَلٌ راقـت معانيهـا ومـدحُ
كعبـةُ الإفـضال مـن يجعلـه　　متجـرًا للخيـر لا يعـدوه ربـحُ
فـاقترح مـن مكـرمٍ سـائلُه　　لـن ينـل فقـراً ولا يُغريـه شُـحُّ
أنكـح الـذيب والـشاة معًـا　　في الفضا لا يرهب السرحانَ سرحُ
كـم سـطورٍ بالقنـا يكتبهـا　　وصـدورٍ بجيـد الـسيف يمحـو

الـــصفيُّ الـــذي مـــن جـــوده		رب فـضل مـا لـه حـصرٌ وشـرحُ
نجلُ عـزِّ الـدين مـن حـاز التقـى		والـذي مـا قالـه فهـو الأصـحُّ

فأجابه بقوله:

طـي ذاك النـشر للمـشتاق نفـحُ		فلـذا كـان لـه فـي القلـب لفـحُ
ألـــفُ أهـــلاً بنـــسيم طيبُـــه		لأحاديـث الحمـى والبـانِ شـرحُ
أذكـرَ المـضنى زمانـاً مـرّ فـي		حلـوِ عـيشٍ ولـه بالوصـل ملـحُ
حيثُ لي شطحٌ بروضات الحمـى		ولوُرْقِ البان في الأغـصان صـدحُ
ودمـــوع المـــزن تجـــري ولهـــا		في خدود الـورد بـالأوراق مـسحُ
ونجـوم الزهـر فـي أُفُـق الربـى		طالعـاتٌ مـا محاهـا قَـطُّ صـبحُ
وقويمُ الغـصنِ مـن سُـكر النـدى		ثملُ الأعطاف ما إن عنـه يـصحو
ولكـــاس الـــراح مـــزجٌ ولنـــا		بالتصابي في خـلال المجـد مـزحُ
يـا سـقى الله العقيـقَ المـشتهى		غـدقًا عـذبًا لـه كالـدمع طفـح
إن تنـاءى منـه سـفحٌ فيـه فـو		ق خدي مـن دمـوع العـين سـفحُ
يـــا حُلـــولا بثنيـــاتِ اللِّـــوى		مَـسَّنى بعـدَ النـوى والبعـدِ قـرحُ
فـاقبلوا مـن دمعتـي لـي شـاهدًا		مـا لـه إلا علـى الأوجـان جـرحُ
آهِ لهفـــي ولكـــمْ مـــن مـــرةٍ		قلـت لهفـي ولزَنْـدِ الوجـد قـدحُ
لزمـــانٍ طـــابَ وصـــلاً مثلمـــا		طابَ لي في وصف إبراهيمَ مـدحُ
واحدُ العصر وشمسُ الظهـر مَـن		أصـبحت فيـه لـه العليـاء تـضحو
زان بالتهـــذيب منـــه منطقـــا		فهو بالإعراب نحـوَ الـنظمِ ينحـو

جـــاءني منـــه نظـــامٌ رَمَـــلا / وله نجـوى لفـرطِ الـشوق جمـحُ
بـانَ عـن زُهـر المعـاني فزهـى / في سما[1] قرطاسه للـنفس جـنحُ
لـو رأى منـه النبـاتي مـا رأى / لـرأى مـا لـم يَـشِنْه قَـطُّ قـبحُ
ولنـــادى بـــأعلى صـــوته / ما بقي لي عند وزن الـشعر رجـحُ
لـم يطـب لـي أبـدًا مـن بعـدِ ذا / طولُ دهري في رياض الكتب شرحُ
دام مـا مـاد علـى روضِ النقـا / غـصنٌ قـد هَـزَّه الـورقُ صـدحُ

[٧٠٢] السيد إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد الحجاف.

كان سيداً جليلاً تقياً، ولي بلاد كسمة، من أخيه السيد الشهير زيد بن علي، وسلك مسلك آبائه وأجداده على الطريقة النبوية، وكان عالماً أديباً، له اليد الطولى في النحو والبيان والمنطق، والفقه وأصوله، أخذ كثيراً عن السيد الحسين بن القاسم، قرأ عليه في البستان بصنعاء مدةَ إقامته بها كتباً متعددةً.

توفي ـ رحمه الله ـ ضحى يوم الثلاثاء، سلخ شهر صفر، سنة ثمان وتسعين وألف، ودفن بالمدرسة، بإزاء مشهد والده بمدينة كسمة، وكانت ولايته لها خمساً وعشرين سنة.

[٧٠٣] السيد إبراهيم زين بن زيد بن علي.

مولده عاشر ذي الحجة، سنة خمس وسبعين وألف، له مؤلفاتٌ منها: «زهر الكمائم في محاسن العترة من آل هاشم» ذكر فيه جماعةً من

---

(١) في الأصل: سماء، والصواب ما أثبت.

أدباء العصر، ممن كاتبه.

[٧٠٤] إبراهيم بن الحسين بن الحسن ابن الإمام القاسم.

إمام البلاغة المظهِر للقريض شموساً وأقماراً، ووحيد هذه الصناعة بهاءً وأنواراً، ذي الخلق الرضي، والوجه المضي، له نظمٌ فائقٌ، وخطٌّ بديعٌ رائقٌ، منه قوله من قصيدة:

إلى كم أداري ألفَ واشٍ وحاسد ... وها عبرتي فوق الخدود شواهدُ
وكيف أرى إخفا هواها وكتمه ... يليق وهذي دارها والمعاهدُ
إلى الله من صَبٍّ تملكني الهوى ... مهفهفةٍ في حبها الطرفُ ساهدُ
ربيبةِ ملك ما أرى لجمالها ... وكلُّ جمال دونها فهو كاسدُ

ومنها:

ومن قاسها بالبدر عندَ طلوعها ... فذاك قياسٌ في الحقيقة فاسدُ

توفي في شهر محرم، سنة سبع ومئة وألف، ودفن بحريمه، في باب القبة التي فيها والدةُ والدِه الشريفةُ الطاهرة زكية بنت عبد الرب.

[٧٠٥] السيد أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عقيل السقاف[1].

أحد العلماء العاملين، والأدباء الصالحين، الواصل في السلوك إلى النهاية، والبالغ في الديانة إلى أقصى الغاية، والتمسك بالسبب الأقوى،

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١١).

من الورع والتقوى.

وُلد بالقارة، إحدى مدائن حضرموت، سنة ثمان عشرة وألف، ونشأ في عبادة الله، وما يرضاه مولاه، وحفظ القرآن العظيم حفظاً جيداً، ولازم قراءته ومدارسته، وتربى في حجر والده، وصحب جماعةً من أكابر السادة، منهم: العارف بالله السيد أحمد الحبشي، والسيد عبد الرحمن بن علي باحسن، صاحب القارة.

ثم طلبه إلى مكة عم والده، السيد الجليل علوي بن علي بن عقيل، فرحل إليه، وقربه وأدناه، وحصل له ما كان يتمناه، وألبسه الخرقة الشريفة، ولقنه بعض الأذكار المنيفة، ولزم خدمته، وواظب صحبته، وزوجه على بنت ابنه، وصار كخليله، وجعله وصياً من بعده على أهله وولده، ثم اشتغل بتحصيل العلم النافع، وظهر عليه نوره الساطع.

وأخذ عن السيد العارف بالله محمد بن علوي علم التصوف، وألبسه الخرقة الشريفة وحكمه، وكان يحبه ويثني عليه، وأخذ عن شيخنا خاتمة المحدثين، محمد بن علاء الدين البابلي، وعبدالله بن سعيد باقشير، عدةَ كتب في عدة فنون، من التصوف والعربية، والفرائض والحساب والميقات وغيرها، وكان صاحبه وصديقه، وخِدْنه ورفيقه، وصار شيخنا المذكور من بعده خليفة على أهله وولده.

وكان مواظباً على السنن الشرعية، والآداب النبوية، يحب الفقراء والمساكين، ويكرم الضيفان والوافدين، كريماً سخياً، ألمعياً تقياً، يحب العلم وأهله، ويكرمهم ويحسن إليهم الإحسان التام، متواضعاً حليماً صبوراً، كثير التلاوة، ملازماً للجماعة، وملك كتباً كثيرةً، ووقف كثيراً منها بأمر شيخنا

محمد البابلي، فإنه كان قائماً بخدمته، لا سيما في مجاورته بمكة الأخيرة، سنة سبعين.

توفي ـ رحمه الله ـ بعد ظهر يوم تاسوعاء، من شهر محرم الحرام، افتتاح سنة أربع وسبعين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، بالحوطة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٠٦] أبو بكر بن حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم، الفقيه محمد المقدم ﷺ[١].

صاحب بيجافور، ذو العمل المبرور، والعقل المشكور، السيد الهمام، عالي القدر والهمم والمقام، خلاصة أهل الجود والكرم، المعروف بمحاسن الأوصاف والشيم.

وُلد بتريم، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وصحب العارفين في زمانه، وعلماء عصره وأوانه، منهم: الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، وولده زين العابدين، والسيد القاضي عبد الرحمن بن شهاب الدين، وأخذ عن أخيه القاضي أحمد بن حسين.

غلب عليه علم الصوفية، كما غلب على أخيه أحمد العلوم الفقهية، ثم رحل إلى اليمن، المحفوف باليُمن، فقصد السيد العارف الشيخ الولي عبدالله ابن علي بالوهط، وصحبه مدةً، وأخذ عنه، وألبسه الخرقة، ثم رحل إلى

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٧٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٢).

الديار الهندية، طلباً للمراتب العلية، فأخذ عن شمس الشموس، الشيخ محمد ابن عبدالله العيدروس، ببندر سورت المحروس، فزال عنه كل عائق وبوس، وألبسه الخرقة الشريفة، بجميع طرقها المنيفة، وأذن له في الإلباس، لمن شاء من الناس، وبسببه اجتلى تلك العروس، واجتنى من تلك الغروس.

ثم بعد انتقال شيخه من هذه الديار، جال في تلك الديار، وأخذ عن جماعةٍ من الأخيار، واجتمع بالملك عنبر، وفاح مسكه الأذفر، وكانت حضرة الملك عنبر مجمعَ السادة العلماء، ومعدن الفضل والأدباء، ثم انتقل الملك عنبر، وخرب الله مملكته ودمر.

فرحل إلى بيجافور، وهو بلد بالهند مشهور، واتصل بسلطانها المنصور، السلطان محمود ابن السلطان إبراهيم المشهور بعادل شاه ـ رحمه الله ـ فأحله السلطان لديه محلاً عقد فيه نواصي الآمال بين يديه، وأمطره سحائب جوده وكرمه، ورد شباب أمله بعد هرمه، واقتعد الرتبة القعساء.

وأصبح وهو رئيس الرؤساء، وجعله من خاصة أحبائه، وخواص جلسائه، فتديّر بيجافور، وبها استقر، وألقى بها عصا السفر، وطنب بيته على المجرة، ومد رواقه فتلألأ بالمسرة، وبذل ماله وجاهه للعباد، الحاضر منهم والباد، وصار ملجأً للوافدين، ومأوًى للفقراء والمساكين، وكان كرمه كالبحر الزاخر، والمهيع الذي لا يعرف له أول من آخر، يكرم القاصي والداني، ويؤمِّن الخائف الجاني، فعم صيتُه الأقطار، وطار ذكره فيها واستطار.

وصحبه شيخنا السيد محمد الشلي ـ رحمه الله ـ في تلك البلاد، فحصل له منه مزيد الإمداد، وفي آخر عمره كُفَّ منه البصر، وانثالت عليه الخيرات كوابل المطر، وابتلي بداء عضال، إلى أن ناداه منادي الارتحال، فانتقل إلى

رحمة الله الكبير المتعال، سنة أربع وسبعين وألف، بمدينة بيجافور، ودفن بمقبرة السادة، قريباً من السور ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٠٧] أبـو علي ماجـد بن هـاشم بن علي بن المرتضى بن علي بن ماجد الحسيني البحراني[١].

قال في «السلافة»: هو أكبـر من أن يفي بوصفـه قول، وأعظم من أن يقاس بفضله طول، نسبٌ يؤول إلى النبي، وحسب يذلُّ لـه الأبي، وشرفٌ ينطح النجوم، وكرمٌ يفضح الغيث السَّجوم، به أحيا الله الفضل بعد اندراسه، وردَّ غريبه إلى مسقط رأسه، شفع شرفَ العلم بظرف الأدب، وبادر إلى حوز الكمال وانتدب، فملك للبيان عناناً، وهصر من فنونـه أفناناً، فنظمُه منظوم العقود، ونثرُه منثور الروض المعهود.

ومما يُسطَّر من مناقبه الفاخرة، الشاهد بفضله في الدنيا والآخرة: أنه كان قد أصابته في صغره عين، ذهبت من حواسه الشريفة بعين، فرأى النبي ﷺ في منامه، فقال: إن أخذ بصره، فقد أعطى بصيرته.

وُلد ونشأ بالبحرين، فكان لهمـا ثالثـاً، وأصبح للفضل والعلم خازناً ووارثـاً، وولي بهـا القضـاء، فشرف الحكم وأمضى، ثم انتقل إلى شيراز، فطالت به على العراق والحجاز، وتقلـد بها الإمامـة والخطابـة، ونشر حبر فضائله المستطابة، فتاهت به المنابر، وباهت به الأكابر، وفاهت بفضله ألسن الأقلام، وأفواه المحابر، ولم يزل بها حتى توفي سنة ثمان وعشرين بعد الألف.

---

(١) «سلافة العصـر» لابن معصـوم (٤٩٢)، «خلاصـة الأثـر» للمحبـي (٣/ ٣٠٧)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٢٥١).

ومن قوله متغزلاً:

حسناءُ ساءت صنيعًا في متيَّمِها ... يا ليتها شفعتْ حسنًا بإحسانِ
دنت إلينا وما أدنت مودتها ... فما انتفاعُ امرئٍ بالباخلِ الداني

وقوله في مليح قارئ:

وتالٍ لآيِ الذكر قد وقفت بنا ... تلاوتُه بين الضلالة والرشدِ
بلفظ يسوق الزاهدين إلى الخفا ... ومعنًى يسوق العاشقين إلى الزهد

وقوله:

وذي هَيَفٍ ما الوردُ ببالغ ... صدرَ وجنته في احمرارٍ ولا نَشْرِ
يُرينا من العليا أن يسمُ وصلُه ... علينا بما فوق النفوس ولا تسري

[٧٠٨] أبو بكر الكردي الشافعي(١).

نزيل دمشق، قدمها مع خاله دون البلوغ، وكان عليه أثر الصلاح والنجابة، قرأ القرآن، ثم لازم شيخ الإسلام أحمد العيثاوي، فحل عليه نظره، وكان يودُّه ويدعو له، فقرأ عليه «المنهاج»، و«المحلى»، و«الأنوار»، وقرأ على الشمس محمد الميداني حتى برع، ولازم النجم الغزي، وقرأ عليه العربية وغيرها، واختص بها.

قال النجم الغزي: فلم يكن بأسرع من أن برع وفضل، وصار فقيهاً

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٥٣) (٨٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٠).

علامةً، وأخـذ عن الشمس الـداودي الحديـث وغيـره، ولازم مجلسه، ثم حصلت له بقعةٌ في الجامع الأموي، وانتفعت به الطلبة سنين عديدة، مع وجود مشايخه، وكان ممن قرأ عليه: الكمال العيثاوي، وكان قانعاً راضياً من الدنيا باليسير.

قال النجم: وكان يدخل عليّ، فيجد بين يدي «شرح الوجيز»، ونحوَه من كتب المتقدمين، فقال يوماً لي: يا مولانا! مطالعة كتب المتقدمين تشوش الفهم؛ لأنه يعلق بالذهن ما فيها، وقد لخّصها المتأخرون، وبيّنوا المصحح منهـا، فكنـت أقـول لـه: يا شيخ أبو بكر! الفقـه في كتب المتقدمين، فإذا طالعناها، علمنا مآخذ المتأخرين.

قال: فرأى شيخ الإسلام الوالد في المنام، والناس مقبلون عليه، يقبلون يديه، قال: فقلت لبعض القوم: من هذا الرجل الكبير الذي أقبل الناس عليه؟ فقيل لي: هذا شيخ الإسلام الشيخ بدر الدين الغزي، فقلت في نفسي: هذه الغنيمة، ومن لي بالاجتماع بهذا العالم الكبير؟! قال: فبادرت إليه، وقبلت يديه، فقال لي: أنت أبو بكر الكردي؟ فقلت: نعم، وقال: لأي شيء تعترض على ولدي الشيخ نجم الدين، في مطالعته كتب المتقدمين؟ وهل الفقه إلا في كتب المتقدمين؟! قال: فاعتذرت للشيخ، وأظهرت له التوبة من ذلك، قال: فأوصاني بملازمة ولده النجم.

قال: وأخبرني المترجم برؤيا أخرى رآها، قال: رأيت في المنام كأني في الجامع الأموي، ورأيت من فيه نصارى، قال: فاغتظت لذلك، وأنكرته، وإذا برجـلٍ يقـول لي: ادخـل إلى الشيخ محيي الـدين بن عربي إلى داخـل

الجامع، واشكُ له ذلك، قال: فدخلت، فوجدته جالساً في محراب المقصورة، وبين يديه جماعةٌ قليلةٌ، وهو يدرس، وهم يقرؤون عليه.

فقلت له: يا سيدي الشيخ! أما ترى هؤلاء النصارى ملؤوا المسجد، كيف لا تنكر ذلك؟ ومَن هؤلاء؟ فقال: يا ولدي! لا تحزن هؤلاء النصارى هم الذين ضلوا بمطالعة كلامي وكتبي، وأما هؤلاء المسلمون الذين بين يدي، هم الذين انتفعوا بكلامي، وهم قليلٌ كما تراهم، والذين هلكوا بكلامي كثيرٌ كما تراهم[1].

قال النجم: وكان المترجم ـ مع صلاحه وإعفافه ـ بشوشاً حسن الاستماع، يقبل النصيحة، ويحرص على الفائدة، ويعلقها ـ غالباً ـ، وله نظمٌ قليلٌ، منه: قوله عاقداً لبعض الحكم:

ارقُمْ برأسِ القلمِ ... ما تلتقي من حكمِ
فالعلمُ صيدٌ فاغنمِ ... والحظُّ قيدٌ فارقُمِ

ودفن بمرج الدحداح، ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٠٩] ملك أحمد بن يسير محمد الفاروقي أبا الحسين آقا الحنفي الأحمد آبادي.

من أكابر العلماء، أخذ عن محمد شريف الصديقي الأحمد آبادي[2].

---

(١) هكذا يعتمد أهل الضلالات والبدع على الرؤى والأحلام من تلبيس إبليس عليهم، وإلا فقول أهل العلم على مر العصور في ابن عربي وعقيدته معروفٌ مشتهر.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد ذلك صفحة ونصف بياض».

[٧١٠] السيد أبو بكر بن محمد بن أحمد المعروف بابن النقيب الحسني الحلبي الحنفي.

درة تاج الأشراف، وغرة مجد آل عبد مناف، العالم النحرير، والحاوي لكل مقامٍ خطير، سعد التحقيق، وسيد التدقيق، كشاف التفسير، وسيبويه الكبير، وتنوير الأبصار، وغيث الإفادة المدرار، الحائز من كل علمٍ بأوفى نصيب، والمتميز على من عداه بكل فنٍّ غريب، فهو ممن ملَّكه الله أزمَّة العلوم، فانقادت إليه ما بين مجهول ومعلوم، وسعت لكعبة فضله الطلاب، وطافت ببيت مجده أولو الفضل والآداب.

ولد بحلب، وبها نشأ، واجتهد في تحصيل العلوم في حياة أبيه، فحصل منها على كل ما يرويه ويبغيه، ونشر لواء العلم والتدريس في أوائل صباه، ولم تزل قوافل الفضل ترد ساحته، وتؤم حماه، والآذان لألفاظه خاضعة، والعيون لحسن إملائه شاخصة، والمعاني لفكره طائعة، وقلوب الأفهام لرقة ما يرويه راقصة، شعر:

إذا رُمْتَ تلقى ذاتَ علمٍ تكونت ... وتروي حديثَ الفضل عن واحد الدهر
فعرِّجْ على ذاتِ العواصم قاصدًا ... سليل العلا نجم الكرام أبا بكر

وأما حفظه للأشعار، واعتناؤه لنقل الأخبار، فذلك شيء مشهور، وفي صحف الخواطر مسطور، توفي بحلب، عام أربعة وتسعين بعد الألف.

وله من النظم ما يُزري بالسحر الحلال، ويسبي برقته ربات الحجال، فمنه قوله يمدح العلامة أحمد البياضي، حين ولي قضاء حلب سنة ثمانين بعد الألف:

مولاي قمْ نلتقط من لؤلؤ الحكـمِ دقائقًـا حُجبـت عـن فطنـة الفَهِـمِ
في وصف روضٍ أنيقٍ راق منظرُه مـن الزبرجـدِ واليـاقوتِ منـتظمِ
أمـا تـرى نفحـةَ النـسرينِ عابقـةً والزعفرانَ سقتْهُ الـسحْبُ بالـديَمِ
والمهرجانَ أتى في جحفل لَجِـبٍ من الرياض فأهدى الطيبَ للنَّسَمِ
تقابلـتْ فيـه أحـداقٌ لنرجـسِهِ تحكي فماً مالَ للتقبيـل نحـوَ فـمِ
والنهرَ عـاودَ بعـدَ الـصدِّ منعطفًـا يبـل شـوقَ بنـاتِ الغـورِ والأَكَـمِ
والوُرْقَ غَنَّتْ على الأغصان من طربٍ مجيبةً عندليبَ الدوحِ فـي الظُّلَـمِ
فـالهجْ بتـذكارِ غـزلانٍ لـواحِظُهم تركْنَ أهلَ الهوى في قبضة السقمِ
وأهيـفَ مـن ظبـاءِ الحـورِ مقلتُـه عن قوس حاجبه أودَتْ بكل كَمي
إن يهجر الـشارب الريـان مبـسمه فالعذبُ يهجر للإفراط في الـشيم
في صدغه طُبعت أهـدابُ ناظرنـا فظنـه الـصبُّ خَطًّـا غيـرَ ملتـثمِ
أدار شـمسِ الحميـا بـدرُ راحتـه ممزوجةً برضـاب المبـسم الـشبم
من خمرةٍ عُصرت بالبشر من قِـدَمِ جاءت تخبِّـرُنا عن سالف الأُمـم
في روضةٍ ضحكت فيها أزاهرُهـا مذ جادها وابـلٌ يهمـي بمنسجمِ
وقـام بُلْبلهـا يتلـو محاسـنَ مـن شهباؤنا منه فـي أمـنٍ مـن الـنقمِ
صدرِ الموالي فريدِ العصر جهبـذِه ومن به النـاس مغمـورون بـالنعمِ
كهفِ الأنام ملاذِ الخلق أحمد من فاقَ الفحـولَ بفـضلٍ غيـرِ مكتـتمِ
من شرف البلـدةَ الـشهباءَ مقدَمُـه ففاخرت جُلَّ مُدْنِ العربِ والعجمِ
أقـام فينـا عمـادَ الـشرع مجتهـداً حتى روت حسنَها للناس عن إرَمِ

وأوسعَ الناسَ أمناً في ولايته حتى الأسودُ توقَّت صولةَ الغنمِ
مولى على الحق والإنصافِ منجبلٍ أكرِمْ بمولى بغيرِ العدل لم يَهِمِ
بالمجدِ ملتحفٍ بالفضلِ متصفٍ قد شاب سطوتَه باللطف والحلم
بالجودِ مشتغلٍ بالبِرِّ محتفلٍ بالسعدِ معتقلٍ بالعدلِ متسمِ
في النحو والصرف والتفسير هِمَّتُه وفي الأصول وعلمِ الفقه كالعَلَم
وفي الحديث وفي علم الكلام وفي الـ ـفنِّ الرياضي وفي الميراث والحكم
وفي المعاني وفي فن البيان وفي فرائض وبديع راسخ القدمِ
وهيئةٍ وحساب ثم هندسةٍ قد فاق فيها على الماضين من قِدَمِ
بحر العلوم ومن ساواه في شرف وهو الذي بجميع الكرامات سمي
وربَّ مقتحِمِ البيداء معتقدٍ سنامَ وجناءَ في خوفٍ وفي وَجَمِ
يطوي المراحل في أَيْنٍ وفي تعبٍ وطرفُه مكحَّلٌ بالنقع لم ينمِ
أذاقه الدهرُ من لأوائه فغدا حليفَ السرى وأليفَ الكدِّ والألمِ
يبقى مثالَ المعالي من معادنها ولا يزاملُه شيء سوى الندمِ
فقلت عُجْ بالسرى للشام مقتصدًا أرضَ العواصم وابذلْ منتهى الهمم
واقصدْ حمى الشهباء تلقَ بها جمعَ المعالي لفردِ المجدِ والكرمِ
سليلَ قاضي القضاة المقتدى حسنٍ عينَ النحارير بل إنسانَ عينهمِ
ومن إذا أَمَّهُ النائي وشاهدَه فقد قضى أنه ما الحسنُ كالكَلِمِ
ومن أعادَ بقاعَ الدرس آهلةً وقد غدت مألفًا للبوم والرَّخَمِ
يا من تخلَّقَ بالخلْق الجميل ومَنْ ذكراهُ صارت جمالَ الطِّرْسِ والرقَمِ

رفعتَ قـدرَ المعـالي بعـد زلَّتهـا　　　إذ صنت حوزتَها عن كل مهتـضمِ
وبالتواضع واللطـف العمـيم لقـد　　　فُقْتَ الذين سَمَوا بالكبر والـشَّمَمِ
وقـد حميـتَ لـواء الـشرع مغتنيـاً　　　عن الرمـاح وبـيضِ الهنـدِ بـالقلمِ
وقد ضممتَ إلى العلم التقى وإلى　　　عن الجراءة حسنَ الخلق والـشيمِ
وفي مديحك قد قَـصَّرُت معترفًـا　　　وأنت أحرى بما قد قيل مـن قـدم
دع المواضي لقـومٍ يفخـرون بهـا　　　فباليراعِ تروعُ الأسـدَ فـي الأَجَـمِ
تـودُّ كـلُّ البرايـا لـو فـدتك ولـو　　　بنـور مقلـتهم أو حِـبِّ قلـبهِمِ
وإن هممْـتُ بتعـدادي منـاقبَكم　　　فأعجبُ الأمر أني كيـف لـم أُلَـمِ
وهـي المثـال لكلـيٍّ قـد امتنعَـتْ　　　أفرادُه عن تنـاهي الحـصر بـالرقمِ

وقوله يمدح العلامة فيض الله، حين تولى قضاء حلب:

لاح الـصبا كزرقـة الألمـاس　　　فلنـصطبحْ يـاقوتَ دُرِّ الكـاسِ
من كفِّ أهيفَ صانَ وردَ خـدودِه　　　بـسياج خَـطٍّ قـد بـدا كـالآسِ
فكـأن مـرآةَ البـديع صـحيفةٌ　　　للحـسن جـدولُها مـن الأنفـاسِ
في روضةٍ قد صاح فيها الـديكُ إذ　　　عطـسَ الـصباحُ مـشمتًا لعَطَـاسِ
ضحكتْ بها الأنوارُ لمـا أن بكـى　　　جفـنُ الغمـامِ القـاتمِ العبَّـاسِ
ورقا بها الشُّحرورُ أغـصاناً غـدتْ　　　بتمـوُّج الأريـاحِ فـي وَسْـواسِ
والـوردُ تحمـدُه البلابـلُ هتفـا　　　مـن فـوق غـصنٍ قوامِـه الميَّـاسِ
ويرى البنفسج عجبـه فيعـود مـن　　　حـسدٍ لـسطوته ذليـلَ الـراسِ
والطـلُّ حـلَّ بهـا كـدمع مُتَـيَّمٍ　　　لمعاهـدِ الأحبـابِ لـيس بناسـي

فـــتظن ذا ثغــرًا وذا عينًـــا وذا خــدًّا لغانيــة كظبـــيٍ كِنـاسِ
واحمــرَّ خــدُّ شــقائقِ مخـضلَّةٍ حميتْ بطـرفِ النـرجسِ النعَّـاسِ
حسدًا لخدِّ الطِّرْسِ حين غـدا لـه خطُّ القريضِ بمدحِ فضلِك كاسي
يـا مـن كـسا شـرعَ النبـيِّ عفافُـه بُـردَ الـصيانة وهـو خيـرُ لبـاسِ
حلبٌ بعـدلِكَ أشـرقتْ أرجاؤهـا وبهـا الليـالي عُـذْن كـالأعراسِ
أحييـتَ ربـعَ العلـم فيهـا بعـدما أضــحى شـبيهَ الأربُـعِ الأدراسِ
فلـو اسـتطاعتْ منطقًـا لوجـدتَها تُثنــي عليــك بأطيـبِ الأنفــاسِ
شـيدتَ أركــانَ المعــالي بانيــاً بيتَ الفخار علـى رصـينِ أسـاسِ
وســعى ســواكَ وخــابَ لأنــه طلـبَ النتيجـةَ مـن عقـيمِ قيـاسِ
يـا جَهْبـذًا بهـر الحـسودَ بفـضلِه فأرتــه منقلبــاً بطــرف خاســي
ومحققــاً راضَ العلــوم فاذعنــتْ بالانقيـــاد إليــه بعــدَ شِــماسِ
أســكرتَني بــشَمول تقريــرٍ لــه خلد وسمعي في المحافل حاسي
وسرى شَمالُ نسيمِه كالسحر فـار تاحــتْ لـه طربـاً نُهـى الأكيـاسِ
فــي كــل بحــثٍ لفظُـه متعقــدٌ متحجــبٌ معنــاه عــن إحــساسِ
أحيا العدالةَ فـي العواصـم ماجـدٌ بقدومــه فــسرَتْ مــن الأرمــاسِ
الحبــرُ فــيضُ الله أوحــدُ عــصرِه عينُ الأعـالي الغُـرِّ كهـفُ النـاسِ
صدرُ الموالي الأكرمين وذخـرُهم وأجلُّهــم فــي مفخــرٍ ونحــاسِ
قــد جَـلَّ عــن نِـدٍّ يـضاهيه كمـا حلَّـتْ ذُكـاءُ عـن سـنا النبـراسِ
وافــى الزمــانُ بــه ليمحــو ذنبَـه فــي ســالف الأيـام بعــدَ اليـاسِ

متيقظٌ متثبتٌ في كل ما ... يَقضيه كالطود الأشمّ الراسي
فاضربْ به الأمثالَ في أحكامه ... واترك شُرَيْحاً واطْوِ ذكرَ إياسِ
مولايَ دمتَ ونلتَ أعظَم رتبةٍ ... ليذوقَ من يشناك طعمَ الباسِ
وليهنكَ النوروزُ أيمنُ قادمٍ ... وافى فتوَّجَ هامَ كلِّ غراسِ
لا زالتِ الشهباءُ تنشرُ فضلَكُم ... وبه تُزين صفحةَ القرطاسِ

وقوله:

في خده القاني المضرَّجِ شامةٌ ... قد زِيد بالشعراتِ باهرُ شانها
كلهيبِ جمرٍ تحت حبةِ عنبرٍ ... قد أوقدَتْ فبدا ذكيُّ دخانِها

[٧١١] أبو بكر الشلي بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن أبي بكر ابن علوي بن عبدالله بن علي ابن الشيخ الإمام عبدالله بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم ﷺ[١].

قال ولده شيخُنا الإمام الجليل محمد الشلي في «مشرعه»: سيدي الوالد، حاوي الفضائل الخالد منها والتالد، المتدرع جلباب الهدى والتقى، المتورع الذي حل محل النجم وارتقى، ذو العلم المعروف الذي لا ينكر، واللفظ الذي هو أحلى من السكر المكرر، جمع بين الفقه والحديث، والأدب الغض مع سن حديث، كان شيخ آل باعلوي في زمانه، داعياً إلى الله تعالى في سره وإعلانه، له خُلُقٌ ألطفُ من النسيم، وخَلْق أبهى من الوجه الوسيم.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٧١)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦١).

وُلد بمدينة تريم، التي هي موطن الشرف الكريم، وكان مولده بها سنة تسعين وتسع مئة ـ بتقديم التاء في الكلمتين ـ، وحفظ القرآن العظيم على المعلم الأريب عمر بن عبدالله الخطيب، ورباه والده، وأدبه معلمه بأحسن تربيةٍ وأفضل أدب، فارتقى في صغره أعلى المفاخر والرتب، ومات أبوه وهو دون الاحتلام، فقام بتربيته شيخه شيخ الإسلام، الشيخ عبد الرحمن بن شهاب الدين.

ثم اشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، فقرأ الفقه على شيخه المذكور، وقرأ عليه في الحديث والتفسير، والتصوف والعربية، وأخذ ذلك عن غيره من الجهابذة، ومن في عصره من الأساتذة، منهم: السيد الجليل عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عقيل السقاف، والعارف بالله تعالى أبو بكر بن علي المعلم، وأدرك العارفَ بالله محمد بن عقيل مُدَيحج ـ مصغراً ـ، وصحب الشيخ عبدالله ابن شيخ العيدروس، ولازمه في دروسه، وألبسه الخرقة الشريفة كلٌّ من هؤلاء المذكورين، وأذنوا له في إلباسها.

ثم اشتاق للرحلة، والتنقل في البلاد، على ما تتشوق له الأحداث من العباد، فسافر إلى الواديين العظيمين: وادي دوعن، ووادي عمد المشهورين، وأخذ بهما عن جماعةٍ من العارفين، ثم أُشيع في تريم بأنه يريد الحج ذلك العام، فكتبت له والدته، وبعض مشايخه الأعلام يعتبونه، في عدم استشارتهم والإعلام، فعلم أنه ناداه المسجد الحرام، وزمزم له حادي زمزم والمقام، وأن هذا إشارةٌ من الكبير المتعال، حيث لم يخطر له الحج على بال.

فحج على قدم التجريد بيتَ الله الأمين، وزار جده سيد المرسلين، وجاور بالمدينة أربع سنين، وأخذ بالحرمين عن جماعةٍ من العلماء العاملين،

والأكابر العارفين، منهم: السيد العظيم عمر بن عبد الرحيم، وذو الأوصاف الحسان أحمد بن علان، والشيخ الأديب أحمد الخطيب، والشيخ عبد القادر الطبري، والشيخ محمد المنوفي، والشيخ أبو الفتح ابن الشيخ ابن حجر، وأخذ العربية وغيرها عن عبد الملك العصامي.

ودأب في تحصيل الفضائل، وشمَّر ذيلَ الجِدِّ بالبكور والأصائل، إلى أن أحاط علماً بالمهم من الفروع والأصول، وله إلى رتبة التدريس اللحاق والوصول، وصار في العربية ثابت الأركان، ومشاركاً في علم المعاني والبيان، وفي علم التصوف غيرَ مجهول المكان، فلما اشتد كاهلُه، وصفت له من العلم مناهلُه، اشتاق إلى السياحة، وانتهب من التوفيق رياحَه، فسافر إلى بندر عدن المحروس، وأخذ بها عن الشيخ أحمد بن عمر العيدروس، ولازم صحبته زمناً كثيراً، وحصّل عنه من العلوم ما سحر الألباب.

ثم نوى الرحلة إلى الديار الهندية، فلما استشار شيخه، صرفه عن هذه النية، وأخذ له من باشة اليمن مراسيم إلى والي مدينة تريم، في أمورٍ تتعلق بخويصة نفسه، فتمت له في يومه وأمسه، ولما وصل بلده التي غذي بلبانها، ورتع في ميدانها، وكرع من غدرانها، ضربت ناقته بجرانها، واغتنم الأقارب والأباعد قدومه ورجعته، وأكرموا مورده وأوبته، وذلك سنة أربع عشرة وألف، وتزوج في تلك السنة، وأُوتي في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنة.

ولازم الشيخ عبدالله ابن الشيخ العيدروس، وازدهى فخراً على الملوك، وسَناً على الشموس، وقرأ عليه أكثر من مئة كتاب من الكتب المشهورة، وهي في معجمه مذكورة، منها: الأمهات الست، ومحاسن أسفار التصوف الست، ولما مات شيخه أبو بكر بن علي المعلم، أمره جماعةٌ من المشايخ

بالجلوس للدرس في محله، في مسجد آل باعلوي الدرس العام بعد العشاء، فتوقف؛ لكون هذا الدرس يحضره جماعة من أكابر العلماء، وكثيرون من الأدباء والفضلاء، إلى أن رأى الأستاذ الأعظم، والشيخ الإمام الولي عبدالله يأمرانه بالجلوس للدرس، فانشرح صدره للجلوس، وزال ما حصل في النفس، ولما درّس، حضروه الجفلى، ووردوا من مناهله نهلاً وعللاً، وكان من أحسن أهل زمانه قراءةً وبياناً، وأفصحهم تبياناً ولساناً، وفتح الله عليه ما استغلق على كثيرٍ من الأجناس، وفاق أقرانه فنادوه: ما في وقوفك ساعةً من باس، وتقدم عليهم تقدم النص على القياس، ولسان الحال ينادي: «مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس».

ولازمه جماعةٌ في منزله لقراءة بعض الفنون، فقرؤوا عليه بعض الشروح والمتون، وكان في الغالب من السنين، أن يختم «إحياء علوم الدين»، وكان أكابر العلماء منه يستفيدون، وفي صعب الأمور إليه يرجعون، وأخذ عنه خلقٌ كثيرٌ، ولبس منه الخرقة جمٌّ غفيرٌ.

وممن أخذ عنه: السيد الجليل عبدالله بن عقيل بن عبدالله بن عقيل مديحج، وابن عمه السيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالله بن عقيل، والشيخ جعفر الصادق بن زين العابدين بن العيدروس، قبل رحلته إلى الهند، والسيد عبدالله بن حسين بلفقيه، صاحب كنور، قبل سفره من تريم، وبينه وبين هذين الأخيرين، الفائقين على النسرين، مكاتباتٌ تشتمل على السحر الحلال، وأروى لكبد الظامي من الماء الزلال، كنت وقفت عليها في الصغر، وتطلبتها فلم أظفر بها في الكبر.

وكان له مع أدباء عصره مجالس وتنزهات، تجري فيها مفاكهاتٌ

ومداعبات، ومحاوراتٌ ومذاكرات، في مسائل مشكلات، وأبيات ظريفات، تروق لها الأسماع، ويميل إليها كل من له في الآداب طول باع، وفي ظني أن بعض أصحابه جمعها في ديوان، ولكني لم أظفر بها الآن.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ فائقاً في الطرف والملح على فحول الأفراد، جارياً في ميدان الدعابة ما أراد، حافظاً للسيرة النبوية، والشمائل المحمدية، وتراجم السلف والصالحين، وتواريخ المتقدمين، متقناً لما يعرفه، ثبتاً فيما ينقله ويصنفه، له اليد الطولى في علم الأدب، وباع ممتد في لغات العرب.

وصنف عدة كتب ورسائل مختصرات، منها: كتاب «فضل رمضان والصيام» كان يقرأ منه كل ليلةٍ من ليالي رمضان، بعد صلاة التراويح، واختصر كتاب «الغرر» للسيد محمد بن علي بن علي خرد، وله تعليقات على «الإحياء»، و«العوارف»، و«رسائل ابن عباد»، وله «كتاب في ألفاظٍ غريبةٍ في اللغة»، على ترتيب «نهاية» ابن الأثير، وله «مجموعٌ فيه مقروءاته ومسموعاته ومشايخه»، و«تاريخ وفيات الأعيان من أهل الزمان» وشرع في جمع تاريخٍ عامٍّ لأهل عصره وزمانه، وماجريات دهره وأوانه، لكنه لم يتم، وقد لخصت منه تراجم من وجد فيه شرط هذا الكتاب، ولم تظهر هذه الكتب إلا بعد موته.

وله نظمٌ حسنٌ، لكنه قليل، وكان كثير المطالعة للكتب، له جَلَدٌ عظيمٌ على قراءتها، فربما استوعب المجلد الضخم في يومٍ واحدٍ أو في ليلة، وبلغني أنه قرأ «الإحياء» في عشرة أيام، وهذا أمرٌ عجيبٌ بالنسبة لأهل هذا الزمان، وإن كان حكي عن بعض الحفاظ ما هو أعظم من هذا، فقد قرأ مجد الدين الشيرازي «صحيح مسلم» في ثلاثة أيام، وذكر القسطلاني أنه قرأ «البخاري» في ثلاثة مجالس، قال: وهذا شيء لا أعلم أحدًا في زماننا يستطيعه، والذي

رأيته في ترجمته: أنه قرأه في خمسة أيام، وأظنه الصواب. انتهى.

وذكر السخاوي: أن شيخه الحافظ ابن حجر قرأ «سنن ابن ماجه» في أربعة مجالس، و«صحيح مسلم» في أربعة مجالس، وكتاب «النسائي الكبير» في عشرة مجالس، كل مجلسٍ نحو أربع ساعات، و«معجم الطبراني الصغير» في مجلسٍ واحدٍ بين الظهر والعصر، وهذا أسرع ما وقع له، وفي «تاريخ الخطيب»: أن إسماعيل بن أحمد النيسابوري قرأ «البخاري» في ثلاثة مجالس، يبتدئ من المغرب، ويقطع القراءة وقت الفجر، ومن الضحى إلى المغرب، والثالث من المغرب إلى الفجر، وحكي: أن حافظ المغرب أبا القاسم العبدوسي قرأ «البخاري» بلفظه أيام الاستسقاء في يوم واحد.

وكان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ يجمع جماعةً يسبحون ألف تسبيحةً، يهدونها لبعض الأموات، ويهللون سبعين ألف تهليلةً، يهديها لبعضهم، وكان أهل تريم يعتنون بهذا، ويوصي بعضهم بمال لذلك، وكان الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ هو المتصدي لذلك، والقائم به، وهذا المذكور تداوله الصوفية قديماً وحديثاً، وأوصى بعضهم بالمحافظة عليه، وذكروا أن الله يعتق به رقبة من أُهدي له، وأنه ورد في الحديث.

وذكر الإمام اليافعي: أن شاباً كان من أهل الكشف ماتت أمه، فبكى وصاح، فسئل عن ذلك، فقال: إن أمه ذهبوا بها إلى النار، وكان بعض الأولياء حاضراً، فقال: اللهم إني قد هللت سبعين ألفاً، وإني أشهدك أني قد أهديتها لأم هذا الشاب، فتبسم الشاب، وقال: أخرجوا أمي من النار، وأدخلوها الجنة، قال المُهدي المذكور: فحصل أصدق الخبر، وصدق كشف الشاب.

ولكن قال الحافظ ابن حجر: إن الخبر المذكور، وهو: «من قال: لا إله إلا الله سبعين ألفاً، فقد اشترى نفسه من النار» باطلٌ موضوعٌ، قال الحافظ الشيخ الغيطي: لكن ينبغي للشخص أن يفعل ذلك؛ اقتداءً بالسادة الصوفية، وامتثالاً لقول من أوصى به، وتبركاً بأفعالهم(١).

وقد ذكره الولي العارف بالله سيدي محمد بن عراق ـ نفعنا الله به ـ في بعض رسائله، قال: وكان شيخه يأمر به، وإن بعض إخوانه كان يهلل السبعين الألف ما بين الفجر وطلوع الشمس، قال: وهذه كرامة له من الله، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك. انتهى.

وأما التسبيح، فله أصل، فقد أخرج الطبراني في «الأوسط»، والخرائطي عن ابن عباس: أنه ﷺ قال: «من قال إذا أصبح: سبحان الله وبحمده ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله، وكان آخر يومه عتيق الله»، قال النجم الغيطي: وهذه فائدةٌ عظيمةٌ ينبغي أن يحافظ عليها، وغنيمة جسيمةٌ يبادر إلى الاعتناء بها.

وكان سيدي الوالد ـ رحمه الله ـ له اعتناءٌ تامٌّ بالذكر، لا سيما قراءة القرآن، وأكثر عبادته قرآنية، وطاعات قلبية، وكان يتهجد بالليل، ويصلي الوتر مع مقدمته، كل ليلةٍ ثلاث عشرة ركعة، وكان يحث أصحابه على التهجد، وكان يقول لي: تعود القيام آخر الليل ولو أنك تلعب، وكان يعسر عليه الصوم، فلا يصوم إلا رمضان، وربما صام ستاً من شوال، قال بعض

---

(١) هذه الأوراد والتسبيحات، وإلزام النفس بها على نظام معين من البدع المستحدثة، فإذا أيد ذلك أن الحديث موضوع، فلا مكان للإقتداء بالسادة الصوفية بأي حال من الأحوال، إلا الضلال المبين واتباع سبيل المبطلين.

العلماء: وما كان ذلك إلا لحدة ذهنه، وانقياد قريحته، فكان لا يطيق الصوم، وكان يجتزئ باليسير من الغذاء، ومن الملبس والملاذ الدنيوية، كثير التقشف، طارحاً للتكلف، كثير الاحتمال، تاركاً للقيل والقال.

وكان يؤثر العزلة على الاجتماع، والخمول على الظهور، ويحب السهل، والتثبت في جميع الأمور، وكان مجلسه كالبستان، المشتمل على الأثمار والألوان، لا يمله جليسه، ولا يخاف من ريب الزمان أنيسه، وكان كلامه في النصيحة والإرشاد، فيما ينفع في المعاد، وكان كثير الشفقة على أصحابه، كثير الاعتناء بأقاربه وأحبابه، مبالغاً في تعظيم العلماء والأولياء، وإذا ذكر أحدهم، لم يترك الثناء، ولم يُخِله من الدعاء، وكان يكره المدح في الرسائل والمكاتبات، وينكر ما فيها من المجازفات.

وكان ـ رحمه الله ـ لا يحب إظهار الكرامات، ويتأذى من خرق العادات، وكان إذا دعا لأحد بشيء، استجاب الله دعاءه، وأناله مناه، وإذا توسل به أحدٌ ممن يعتقده إلى الله، حصل له مراده وما تمناه، وما عاداه أحدٌ إلا رجع واعتذر إليه، وما مكر به أحد إلا رجع مكرُه عليه، وهذه الأمور المذكورات، وقعت لجماعة كثير مرات، وأخبرني بها جمع من الثقات.

ومما وقع لي معه: أني كنت أرى أنه يطَّلع على ما يصدرُ مني حالَ غيبتي عنه، فإذا اشتغلت بطاعة، قابلني بوجه مسرور، وإذا اشتغلت بلعب، قابلني بضد المذكور، ولما شاورته في السفر إلى الديار الهندية، قال: أرى أن المدة قرب انقضاؤها، وكنت أود أنك تحضر وفاتي، فقلت: أتخلف عن السفر، فقال: سافر أنت في وديعة الله، وما أراده الله سيكون، وكان الأمر كما ذكر.

فكان انتقاله من هذه الدار، إلى دار القـرار، لخمسٍ بقين من صفر، سنـة ثـلاث وخمسين وألـف، وقُبـض ـ رحمـه الله ـ وهـو جالس، محتبي بالحبوة، في دهليز داره، التي بالقرب من مسجد بني علوي، من غير مرضٍ ظاهرٍ، بل كان يشتكي صدره، فقال له بعض أصحابه، ممن اعتنى بالطب: دواؤك كذا وكذا، فقال له: هذا داءٌ عضالٌ، مشعر بالارتحال، مؤذن بالانتقال، فكان كما قال.

وانتقل قبل العصر، وشكُّوا في موتـه، فبيَّتـوه في داره، وبات الناس يقرؤون عليه، وصلوا عليه صبح ثاني يوم، في الجبانة المشهورة، ودفن بمقبرة زنبل، في القبر الملاصق لقبر والده ـ رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنهم فسيح دار القرار ـ، وكان فقده على أصحابه من أعظم المصائب، وبلية رمتهم بسهم من البلاء صائب، جعلنا الله وجميع أصحابه من المأجورين على مصابه، الفائزين بأجره وثوابه.

ورثاه جماعةٌ، ونظموا وفاته، فقال بعضهم:

معـالمُ أربـاب السـيادةِ والبَهـا ... همُ ذو المعالي كاشفو حادثِ الباسِ
سنَت فعلـت فخـرا بـأعظم سـيدٍ ... عظيم أتى تاريخُه (أفضل النـاس)

[٧١٢] أبو بكر بن أبي القـاسم بن أحمـد بن محمـد بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن أبي بكر بن القاسم خزانة الأسرار بن أبي بكر المعمر ابن أبي القاسم بن عمر بن علي بن عمر الأهدل صاحب المراوعـة، وأمـه خديجة بنت محمد بن عمر بن أحمد بن زين العابدين بن محمد بن سليمان،

وفي محمد هذا تجتمع مع والده[1].

السيد الذي لم يشاكله في فضله في اليمن رئيس، والجوهر الفرد الذي ما نافس جوهره نفيس، روض العلم الناضر، وقمر الهداية الزاهر، ذو المراتب العالية، والمراتب السامية، والعلوم الواسعة، والأعمال النافعة، والأحلام الراسخة، والأفهام الباذخة، والطباع السليمة، والشمائل الفخيمة، والمكارم العظيمة، والصفات الجسيمة، كان في عصره منقطع القرين، سابقًا في علوم الدين لسبيل جده سيد المرسلين، على جانب عظيم من العبادة، والورع والزهد، والعلم والعمل.

كانت أوقاته معمورةً بالذكر والعبادة، ونشر العلم، وتوزيع الوقت على الأعمال الصالحة، والتدريس والفتوى، وغير ذلك، وكانت لوائح العلم عليه ظاهرةً من صغره، حتى إن عم والدته السيدَ الشهير أحمد بن عمر الأهدل، كان يلقبه بالفقيه العالم، ويشبهه بجده العارف بالله أبي بكر ابن أبي القاسم، وسكنه قرية المحط، من أعمال رفع، وله بها زاويةٌ مشهورة.

ترجم نفسه ـ نفع الله به ـ في كتابه «نفحة المندل في أخبار السادة بني الأهدل»، فقال: كان مولدي لنحو أربع وثمانين وتسع مئة تقريباً، بقريةٍ صغيرةٍ بين المراوعة والحوطة، وغربي القطيع، تعرف بالحِلَّة ـ بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام ـ، وهي غير حلة بَصل ـ بفتح الموحدة والمهملة ـ؛ إذ هما حلتان هناك، والمنسوبة لبصل هي اليمانية، والمولد في الشامية، وهناك قبور أجدادي.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

ثم انتقل بنا الوالد منها، في ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وتسع مئة، إلى قرية السلامة المعروفة، قبلي التُّرَيْبَة، فتعلمتُ بها القرآن، وحفظته على يد الصالح أحمد بن إبراهيم المزجاجي، المعروف بالخيِّر، ولما أكملتُ تعلم القرآن العظيم، أمرني الوالد بتعليم إخوتي، فاشتغلت بتعليمهم مع غيرهم، في عريشٍ عند مسجدنا مدةً، مواظباً على ترتيب قراءة القرآن في المسجد، كل يومٍ بعد صلاة الصبح إلى الإشراق، وكل ليلة جمعة أنا ومن حضر بإشارة الوالد ـ أيضاً ـ وملاحظته؛ إذ كان له رغبةٌ قويةٌ، وهمةٌ عليةٌ في ذلك ونحوه من أعمال البر، كثيراً ما كان يجلس في حلقة القراءة والذكر بمسجده مع أميته، حتى عمل مسبحة ألفية يهلل فيها هو ومن حضر ممن لا يقرأ ليلة الجمعة، وألهمت كتابة ما وقع في يدي؛ من نحو القصص والقصائد والنبذ، حتى استقام خطي، وصلح للتحصيل.

ثم أدخلني والدي مدينة «زبيد» لطلب العلم، فكان أول طلبي في الفقه على محمد بن العباس المهذب، وفي النحو على محمد بن يحيى المطيب، ثم إن الوالد أراد تزويجي، فلم يمكني إلا مساعدته، مع ما قد ذقته من لذة العلم، فلما تزوجت، اشتغل خاطري بأمر الزوجة، ومراعاة حقوقها الواجبة؛ إذ لم أكف أمرها، ولا أمر الإقامة للطلب بزبيد كما كنت قبل التزوج، فاشتغلت عن الطلب نحو ست سنين، لكني في هذه المدة لم أترك التحصيل والتعليق والمطالعة، ومذاكرة من ألقاه من الطلبة؛ لما قد تمكن في قلبي من محبة العلم، وكان تزويجي في سنة ألف.

ثم أخذت بناصيتي إلى تجديد الطلب بباعث رباني، فقرأت على محمد ابن برهان المحلي، ثم قصدت زبيد ـ أيضاً ـ للقراءة، فقرأت على علي بن

العباس المهذب، صنوِ شيخنا المقدم ذكره، وعلى أحمد الناشري، وإبراهيم ابن محمد جعمان، وعلى الصديق بن محمد الخاصِّ الحنفي، وأحمد ابن شيخنا الجمال محمد المطيب، وعبد الباقي بن عبدالله العدني، وعلى الزين ابن الصديق المزجاجي، ولبست الخرقة من السيد عابد بن حسين الحسيني الكشميري، ومن الشيخ الزين بن الصديق المزجاجي.

وقرأت على السيد محمد بن أبي بكر الأهدل، صاحب المقصورة، وعلى عبدالله بن أحمد الضجاعي، والسيد المقبول ابن المشهور الأهدل، ومحمد العلوي، وعبد الرحمن بن داود الهندي، وعبد الفتاح الصابوني، وآخرين ذكرهم، وذكر مقروءاته عليهم، ومنهم: العارف بالله تاج الدين النقشبندي، وأجازه غالب شيوخه، كتابةً ولفظاً، وله إجازات من شيوخ الحرمين، وحصَّل بخطه كتباً كثيرةً، وطالع من كتب العلوم ما لا يمكن حصره.

وله تآليف كثيرة، منها: «نظم التحرير في الفقه»، و«نظم الورقات»، و«نظم النخبة»، و«اصطلاحات الصوفية»، و«منظومة في السواك»، و«التعليق المضبوط فيما للوضوء والغسل من الشروط»، و«البيان والإعلام بمبهمات أحكام أركان الإسلام»، و«شرحان على قصيدة ابن بنت الميلق» التي أولها «من ذاق طعم شراب القوم يدريه» صغير وكبير، و«الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية»، وأرجوزة سماها: «الدرة الباهرة في التحدث بشيء من نعم الله الباطنة والظاهرة» ذكر فيها نبذاً من فوائد التصنيف، وكثيراً من المؤلفات نظماً ونثراً، وقد استوفى عدتها في كتابه «نفحة المندل».

وله أشعارٌ كثيرةٌ، منها: قوله:

وفي كتب العلوم لطيفُ معنى أُمَـضّي فـي تَطَلُّبه حياتي
وأُعمل مقلتي ويدي وقلبي وأَضبطه عن القوم الثقات
لعلي أن أفوزَ بغفرِ ذنبي وأظفرَ بالذي فيه نجاتي
وصلى الله ربِّي كلَّ حينٍ على أزكى الورى خيرِ الهداةِ

وقوله في أبيات:

إن كنتَ تطلبُ في الدارين تفضيلا وتبتغي من مليكِ الكون تكميلا
داومْ على خدمة العلمِ العليِّ تنلْ ذكراً جميلاً وتكميلاً وتوصيلا
فاطلبه وادأبْ على تحصيله أبدًا وقمْ بتأليفه إن حزتَ تأهيلا
وأنفقِ العمرَ في تحصيل حاصله واعمرْ به الدهر تدويناً وتحصيلا

وقوله:

وكم لله من فضلٍ علينا وإفضالٍ يُحيل العقلُ عَدَّهْ
وما زالتْ أياديه إلينا تفيض عبابُها ولنا مُمِدَّهْ
فنشكره ولا نحصي ثناءً عليه ونلزم الآناء حمدَهْ

توفي منتصف نهار الأحد، ثالث جمادى الآخرة، سنة خمس وثلاثين وألف، بقرية المحط، وبها دفن.

[٧١٣] أبو بكر رضي الدين بن أبي القاسم بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن حسين بن يوسف بن علي بن يحيى العنبري.

كان عالماً أديباً، شهير الذكر، حسن الأخلاق، بديع المداعبة، مولده في شهر رمضان، سنة ست وثمانين وتسع مئة، وتوفي سابع عشري رجب،

سنة سبع عشرة وألف بشهارة ـ رحمه الله ـ.

[٧١٤] أبو بكر بن إسماعيل ابن القطب الرباني شهاب الدين الشنواني المولد والمنشأ، ثم المصري، وجده الأعلى ابن عمر سيدي الشيخ علي بن وفا، الشريف الوفائي التونسي[1].

الشيخ الإمام الأستاذ، علامة زمانه في سائر الفنون، وسر الدهر الذي كان في ضميره عن النقص مصون، وسيبويه دهره، وشافعي عصره، وتحفة عطارد، وهدية الفلك لكل ماجد، وصاحب الحسب والنسب، الزاهد العابد، الذي لم تمض له طرفة عين في غير طلب الفوائد، وبحر العربية الذي استمدت منه جداول الفضائل، وروض الكمال الذي قامت له الأغصان على سوقها في الخمائل، لو رآه المبرِّد، بَرَّد به الغليل، أو أحمد، لقال أفدي بالعين هذا الخليل، فكم سهر الليالي، وغاص بحار العلم في تحصيل اللآلي، وانتفع بعلمه الوارد والصادر، وصار صدراً ترجع إليه أرباب المصادر، وكم قرظ وشَنَّف، وألف وصنَّف.

مولده شَنَوَان، وهي بلدةٌ بالمنوفية، صُوِّرت بها الجِنان، وتخرج بمصر على العلامة محمد الخفاجي، وأخذ بمكة عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وبمصر عن جمال الدين يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وإبراهيم ابن عبد الرحمن العلقمي، ولازم العلامة الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وخاتمة الفقهاء والشمس محمد الرملي.

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٠١) (٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٧٩)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦١) (٩٠)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٦٢).

ثم بعدهما انتهت إليه الرياسة العلمية، وصدر الإفادة والتأليف بالديار المصرية، ولازمه بعد شيخه الشهاب أحمد القاسمي جلُّ تلامذته، وبه تخرجوا، وببركة دعائه انتفعوا، منهم: الشهاب أحمد الغنيمي، والنور علي الجلبي، وعامر الشبراوي، والشهاب أحمد بن محمد الخفاجي القاضي.

وممن أخذ عنه: العلامة سري الدين الدروري، ويوسف الفيشي، ومحمد بن عبد الرحمن الحموي، وشيوخنا: إبراهيم الميموني، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم من أكابر علماء العصر.

ثم ابتلي بالفالج، فمكث فيه سنين، وهو لا يقوم من مجلسه إلا بمساعد ومعين، وكانت تذهب إليه الأفاضل، ولا تنصرف عن ناديه، ويتمسكوا بأذيال أفضاله، وبكبير نسمات إقباله إلى أن توفاه الله إلى دار كرامته، يوم الاثنين، ثامن ذي الحجة، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين، وأرخ موته بعضهم بقوله:

قضى الشنواني عالمُ النحو نحبَهُ ... وكان جليلاً في المهابة والذكر
لذلك قال الذاكري مؤرخاً ... (ألا مات علم النحو بعد أبي بكر)

وله من التصانيف ما أغنت شهرته عن التعريف، منها، وهو أجلها: «شرح توضيح ابن هشام» الذي قرط به آذان الدهر، وتوّج به رأس الكمال وهامة الفخر، أرسل إليه مولاي أحمد سلطان المغرب بطلبه منه، في حادي عشر ربيع الثاني، سنة خمسين وألف، لكنه فقد من مصر، فلا يوجد إلا بالمغرب، ومسودته أغار عليها ـ أيضاً ـ بعض المغاربة، وذهب بها معه.

و«حاشيةٌ على شرح القطر» لمصنفه، وأخرى على شرحه للفاكهي،

و«حاشيةٌ على شرح الأزهرية» للشيخ خالد الأزهري، و«حاشيتان على شرح الآجرومية» للشيخ خالد، و«حاشيةٌ على شرح القواعد» للشيخ خالد، و«شرحٌ على البسملة» مستقل، وآخر على شرحها لشيخ الإسلام زكريا، وشرح على أسئلة السيوطي سماه: «حلية أهل الكمال بأجوبة أسئلة الجلال»، وشرحٌ على الآجرومية كبير، في نحو خمسين كراساً، سماه: «المواهب الرحمانية»، ومختصره سماه: «فتح معطي الأمنية»، وغير ذلك، وكل مؤلفاته مفيدةٌ نافعةٌ، مقبولةٌ مشهورةٌ، في مشارق الأرض ومغاربها، ووقف جميعَ كتبه برواق الريافة، من الجامع الأزهر.

ومن شعره: ما كتبه إلى ابن أخته العلامة الشهاب الخفاجي، صاحب «الريحانة» وهو بالروم:

سلام شذاهُ تملأ الأرض نفحة ... تبلِّغه مني إليك يدُ الصَّبا
وتحمله هوجُ الرياح إلى العلا ... وتنشره في الأرض شرقًا ومغربَا
وتسقي ديار الروم والجوُّ عابسٌ ... رذاذَ كمالٍ حلَّ فيه وطَنَّبا
ودرّ عليه الغيمُ لؤلؤَ طلِّه ... ففضَّضَ هاماتِ النباتِ وذَهَّبا
لئن كان عن مصرٍ توارى شهابُها ... فقد لاح في دار الخلافة كوكبا
وما كان تأخيري جوابك عن قِلًى ... ولكن ضعفي للقريحة شَيَّبا
وشَرّقني دمعُ الأسى وأهاضَني ... على أن قلبي من فراقك غَرَّبا

لا يخفى ما فيه من لطيف التورية المهيئة في شرَّقني، فقد هيأ لفظ غَرَّبَ للتورية فيه؛ باحتمال إرادة الشرق مقابل الغرب، والمراد الشَّرَق ـ بالتحريك ـ.

نأت بك يا قُسَّ الفصاحة بلدةٌ ... وخلفتني بعد الفراق معذَّبا

فليت الـذي شـق القلـوب يرمُّهـا　　　　وليـت الـذي سـاق القطيعـةَ قرَّبـا

وأتبعـه بنثر صورتـه: سلامٌ كنثر الروض، جر عليه النسيم ذيله، بعد ما باتت عليه كؤوس القطر تُدار عليه نهارَه وليلَه، فأشرقت شمسُ نهاره على الروابي والبِطاح، وأقبلت ترشف ريق الغوادي من شفا كالعقيق، وثنايا الأقاح، ونشر كافور الطل مسكيّ الشذا على مجامر الجلنار، ونصبت على يد الندى سرادقاتٍ من مخيمات الأشجار.

يُهدى لمن ألقت إليه العلوم مقاليدهـا، وملك من التحقيقات الفكرية طارفَها وتليدها، أفصح من وشّى وجوه الطروس بخطوط المعارف، وأسبل على عرائس الألفاظ فواضلَ المطارف، لا زالت عوارفُ المعارف عليه منهلة، وذيول مجده في بحار المكارم مبتلة.

وبعد:

فقد ورد المشرف الكريم، فألقينا عليه عصا التسليم، واجتنينا من قطوفه الدانية باكورة التسجيع، وتصيدنا من غصون همزاته حمائم الترجيع، ورأيناه قد اشتمل على عتب أرق من دمع الكئيب، وألطفَ من معاتبة الحبيب للحبيب.

غير أن عذري مقبول لا يُرَدّ، وطول الأسى رفيق لا يودّ؛ فإن المرض لازمني منـذ سنوات ملازمـةَ النجـوم للأفلاك، ونصب لصيد الصحة فِخاخ الشباك، لا يفارقني إلا مفارقة الجفن للعين، كأنه غريمٌ يلحّ له عليّ دين.

شعر:

كـأن السـقم محتـاجٌ لـسقمي　　　　فـلا ينفـكُّ عنـي قِيـدَ شـبرِ

إن أردت القيام من مضجعي، فلا بد من معين، وإن مشيت، فلا أستغني

عن عصًا وقرين، رفضت يدي العلم وطالما حملته، وحفا يميني بعد ما أرضعته، من جداول الفنون وغذته، وارتعشت اليد لفراقه أسفاً وندمًا، وصار وجدان الطروس بعده عدمًا، وأصبحت كأني من أصحاب الكهف والرقيم، لا أعرف كم لبثت من السنين، وإن كان عندي المقعد والمقيم، والسلام.

[٧١٥] أبو الخير بن محمد العيدروس بن أبي الخير بن أبي السعادات ابن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري المكي الشافعي، إمام المقام الشريف[(١)].

قال الشيخ عبد القادر الطبري في «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»: حفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح مراتٍ في المقام، وحفظ عدة متون، منها: «منهاج النووي» بكماله، وعرضها معنا على المشايخ، في سنة تسعين وتسع مئة، وأمّ بالناس مدةً، وكانت وفاته سابع جمادى الآخرة، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وهو أسن منا، ولم يعقب ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧١٦] الشريف أبو طالب بن حسن بن أبي نمي[(٢)].

أمير مكة، الملك البطل الضرغام، حامي حمى بلد الله الحرام، ومدينة جدّه ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، وملاذ أهل الحرمين، بل المسلمين،

---

(١) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ١٢.

(٢) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٩٧) (٦١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٣١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩١)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٥٢٢).

وغوث الضعفاء والفقراء والمساكين، وعضد الدولة وعاضدها، ويمين السلطنة الحسنية وساعدها، فطالما أشهر به غضبه، وأطفأ به غضبه، وهز سمهريَّه في كل غَزاة وسريَّة، ويذكُر بما يُبديه من العجائب، بسالةَ جدِّه علي بن أبي طالب، وشد بالعزم أزر أبيه، وقوَّى بالحزم بأسَه، وجرَّع بالغُصص من يُعاديه.

ولد سنة خمس أو ست وستين وتسع مئة بمكة، ونشأ في حِجر والده الشريف الحسن، واتصف بكل وصف حسن، ولما ترعرع وبرع، وترشح للإمارة، واجتلى بدرها الذي طلع، قلَّده والده بصارمها، وجعل هياكل جياده في أجيادها مقام تمائمها، وكان قبل موت السيد ثقبة لا يرد مورد من مناهل آماله، وقد غص بقذار قبائه وعذاله، وأرسل والده الشريف حسن الأمين بهرام، يستسقي له من السلطنة الشريفة ماء المرام، فأجيب لمراده، ونثرت على الرسول جواهر الإحسان والقبول، وأهدى له مع كتاب العهد الخلع السلطانية، وقرئ منشوره بالمسجد الحرام، وأطاعه الخاص والعام.

ولما قدم الحج إلى مكة، أمر والده أمراء الحاج بعد أن خلعوا عليه الخلعة الكبرى، أن يخلعوا على أخيه عبد المطلب الخلعة الثانية، وذلك سنة ثمان بعد الألف، واستمر الحال كذلك إلى أن مات أبوه، سنة عشر بعد الألف، ولحقه أخوه عبد المطلب، فاستقل بالملك من غير شريك فيه، وهنأه الله بما صار إليه، وهيأه بشكر السطوة والفتك، وقهر الأكابر والأعيان، على الانقياد لأوامره، والانزجار لزواجره.

فهابته النفوس، وطأطأت له الأعناق والرؤوس، وأنصف في أحكامه جميع الرعية، وسار فيهم السيرة المرضية، لا سيما الضعيف والمسكين؛ فإنه ينصفه من ظالمه، ولو كان القوي المتين، فرفعت الأكف بالدعاء له، ونطقت

الألسن بالثناء عليه، وذلك فضل الله ساقه إليه، وكان حسن الهيئة، شديد الهيبة، فإذا حضر الناس مجلسه، كأن على رؤوسهم الطير من هيبته، وكانت تخافه البوادي، وأهل النوادي.

ولم يزل على حاله راقياً درجات كماله، إلى أن طرق الموت طريقه، وترك العيون بالدموع غريقة، ومات بمحل يقال له: العيشة، من جهة اليمن، ليلة الاثنين لعشر بقين من جمادى الآخرة، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، وحُمل إلى مكة، وصُلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بالمعلاة، وبني عليه قبةٌ عظيمةٌ ـ رحمه الله ـ، وأسكنه فسيح الجنان ـ.

ولأهل عصره فيه مدائح كثيرة حسنة، شاع ذكرها الجميل على الألسن.

ومنها: قول الإمام عبد القادر الطبري، مهنئاً له في بعض غزواته:

بسُمر القَنا ببيض الصوارم ... يُنال العلى وتُنال المكارمْ
وبالمرسلات بلوغُ المنى ... وبالعاديات نوالُ المغانمْ
ولو لم يحل ليلُ ذاك العجا ... جِ لما أشرقتْ شمسُ تلك المعالمْ
وبي سيدٌ ما له في الوغى ... شبيهٌ سوى جدِّه ذي العزائمْ
يجول الحروبَ ويجلو الكروبَ ... وينفي اللغوب ويُزري بحاتمْ
لقد أذكرتنا فتوحاتُهُ ... مغازي الأئمةِ من آلِ هاشمْ
له النصرُ بالرعبِ من أشهُرٍ ... ومن شأنه قسمُ مالِ الغنائمْ
إذا ما بدا للعدى جحفلٌ ... ولم يك فيه فكل مقاومْ
وإن قيل فيه أبو طالب ... فيا فوزَ هاربِهم وهو سالمْ

فمـن ذا يـداني أبـا طالـب ... ومـن ذا يلاقيـه إلا مـسالِمْ
تـراه يخـوضُ بحـورَ النحـور ... بجُـردٍ تجابـذُ جـذبَ الـصرائم
هي البرقُ في السبق لـو لـم تكـن ... لهـا غـزواتٌ بتلـك الجمـاجمْ
مطهمـةٌ كـم تميـد الجبـال ... إذا مـا صـهلْنَ علـى البـراجمْ
حقيـقٌ لهـا الزهْـوُ بـابن النبـي ... سـليلِ الـصفي علـي المعـالمْ
مـن اتَّخَـذَ الـدرعَ تعويـذةً ... وطـولَ النجـادِ تمـام التمـائم
بوقـع الـسيوف لقـرعِ الـصفوف ... ونقعِ المغيرات مَخفـي المـصادِمْ
يريـكَ نجـومَ الـدجى آفـلاتٍ ... تـساقطن مثـلَ خطـوطِ المـراغمْ
سـناءُ النبـوة فـي وجهـه ... كفـى شـرفًا عـن طـراز العمـائم
وأوصـافُه الغـرُّ بـين الأنـام ... بهـا غنيـةٌ عـن طِـوال التـراجمْ
فمـا حـاول الخطـب إلا وكـان ... لـه النـصرُ والفـتحُ عبـداً وخـادمْ
فيـا سـيدًا سُـدْتَ كـلَّ الملـوك ... من الخُلَّص العُرب ثـم الأعـاجمْ
فهـل ملـكٌ أنـت فـي الأرض أم ... مليـكٌ فعـدلُكَ أنـسى المظـالمْ
وشـادَ لـك الـذكرَ عنـد الـورى ... بمـا لـم ينلْـهُ كبـارُ الأكـارمْ
وأوجـبَ حمـدك فـي العـالمين ... فمـدحُك فـرضٌ علينـا ولازم
فـدونَك مدحـةَ عبـدٍ أتـت ... تجـرُّ ذيـولَ الهنـا والملائـم
وقـد طُـرِّزَتْ سُـجْفُ أذيالِهـا ... بتـاريخ نـصرك يـا خيـرَ قـادمْ
وتاهـتْ وباهـت بـه إذ أتـى ... بضبط (لك النـصرُ والفـتحُ دائـم)

ومما سمع من كرمه: أنه زار النبي ﷺ قبل أن يلي مكة، فلما أمسى وادي

مر هـو ومن معـه أضافـه رجلٌ من أهل الوادي، يقال له: السوداني، فذبح الذبائح، ومَدَّ الموائد وقدَّمها، ثم بلغه أن الشريف أبا طالب لم يأكل من ذلك الطعام، ولـم يحضره؛ لشغلٍ عرض له، فعمد السوداني إلى أربع أو خمس من الـدجـاج، فذبحهن، وطبخهن، وقـدمهن على كيلتين من العيش، في زبديةٍ كبيرةٍ من الصيني، وجاء بها إلى الشريف أبي طالب، وقال: يا سيدي! هذا عشاء عبدك، اجبرْ خاطره جبرَ الله خاطرَك، فغسل الشريف يده، وأكل من تلك الزبدية لقيمات، ودعا له.

فلما استقل بالولاية على مكة، وفد عليه السوداني بعد سنة، وقبل يده، فقال له الشريف أبو طالب: الزبدية التي تعشينا فيها عندك؟ فقال: نعم يا سيدي موجودة، فقال له: اذهب فأتني بها، فأتاه بها، فملئت ذهبًا. وله كثيرٌ من هذا القبيل ـ رحمه الله ـ.

[٧١٧] أبو الوفا بن عمر بن عبـد الوهاب بن إبراهيم بن محمـود بن علي بن محمـد بن محمـد بن محمد بن الحسين العرضي الحلبي الشافعي القادري، وجده أبو أمه الشيخ أحمد عبدو القصيري ـ نفع الله به ـ[١].

شيخ الإسلام، وعلامة الأنام، ومحيي معالم السنـة النبويـة، ومحرر المسائل الدينية، الذي اشتهر صيته في الأمصار، وبَعُدَ ذكره في الأقطار، وعم النفع به لأهل عصره، وتشرف به أهلُ قطره، بل أهلُ دهره، وهو من أولاد النجباء، الذين لقلَّتهم أفردهم بالتأليف بعض الأدباء، وممن ورث العلم كابراً

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٢٦٩) (٣٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٤٨)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٢٨٩) (٩٨٣).

عن كابر، وتبع سنن آبائه الأكابر.

فروى العلوم العقلية والنقلية عن والده، وتمتع منه بطريفه وتالده، وهو من أجلّ شيوخه، بل أجلّ أهل عصره، من أهل قطره، على الإطلاق، بإجماع أهل الخلاف والوفاق، ولازم العلامة أبا الجود البتروني، وغيرَه من الشيوخ، وأجازه شيوخه، وتصدر للإفادة والإقراء.

وأفاد وأجاد، وأخذ العلم عنه أجلاء أمجاد، منهم: العلامة السيد محمد ابن عمر العرضي، وشيخنا محمود الموصلي، ومحمد البَقْحي، وغيرهم، وكان ـ رحمه الله ـ من العلماء العاملين بالعلم، لا يخاف في الله لومة لائم، وتهابه الأكابر والأمراء، ويصدع بالحق، ويجاهر بـه، وانتهت إليه في بلده رياسة العلم، وبالجملة: ففضائله أشهر من أن تحصَر، وأجل من أن تذكر.

ومؤلفاته كثيرةٌ: مقبولةٌ شهيرةٌ، منها: تاريخ سماه: «أطباق[1] الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب»، ومنها: «بديعية» زاد فيها أنواعاً كثيرةً على المتقدمين، وشرحها شرحاً بديعاً مقبولاً عند المحققين، و«حاشيةٌ على شرح المنهاج للجلال المحلي» و«حاشيةٌ على البيضاوي».

ورسائل كثيرة، منها: «رسالةٌ في جواز شرب الدخان»، وحاشيةٌ على شرح المفتاح سماها: «فتح الفتاح على مشكلات شرح المفتاح»، و«حاشيةٌ على شرح النخبـة»، و«حاشيةٌ على ألفيـة ابن مالك»، ومنظوماتٌ في علوم شتى.

ولما قدم الفاضل الخفاجي مدينـة حلب، اجتمـع بـه، وجرى بينهما

---

(١) في الأصل: طباق.

محاوراتٌ لطيفـةٌ، ومكاتباتٌ منيفـةٌ، ذكرها في «ريحانته»، وأثنى عليه ثناءً حسناً، وكانـت وفاتـه ـ رحمـه الله ـ بمدينـة حلب، سنة سبعين بعد الألف ـ روح الله روحه، وأعلى في غرف الجنان فتوحه ـ.

وله شعرٌ أرقُّ من دمع المستهام، وأنضر من الروض باكَرَهُ الغمام، منه: قولـه مادحاً للسيد أحمد بن محمد النقيب، ومتشوقاً إليه، وطالباً منه قضاء حاجة له، حين كان متوجهاً إلى قسطنطينية:

مِـن النـوى مـن مُجيـري ... يـا رحمـةَ المسـتجيرِ
والـصبر جَـدَّ ارتحـالاً ... علـى نِيـاقِ المسـيرِ
يـوم الـوداع أضـاعوا ... حُـشاشتي مـن ضـميري
يـا ليـت شـعري فـؤادي ... هـل سـار لا بـشعوري
يقفـو حُـداةَ المطايـا ... فـي ظَعْـنهم كالأسـيرِ
رفقًـا بقلـب كوتْـهُ ... أيـدي النـوى بـسعيرِ
والجـسم حلَّـت قـواه ... مـن حادثـات الـدهورِ
ومـدّ ربعـي التـسلِّي ... مغيـب أنـس الحـضورِ
قـديم حكـم قـضتْه ... حـوادثُ التقـديرِ
والـشوق يغلـو ضـراماً ... يعلـو بجفـنٍ مطيـرِ
أجـرى عقيـقَ دمـوعي ... حمـدًا ولا كـالبحورِ
نهـرْتُ سـائل جفنـي ... عـن نـوء دمـعٍ غزيـرِ
ففـاض مـاءُ عيـوني ... وفـاضَ كـالتنويرِ

غوثاً من ذي التنائي ... من شرِّه المستطيرِ
ومن فراقٍ مثيرٍ ... للوعةٍ وزفيرِ
من حاكم في فؤادي ... يعشو عليه بجورِ
ورحمة لمشوقٍ ... إلى التداني فقيرِ
يهزه كلُّ برقٍ ... إيماضُه كالثغور
إن فاح نشرُ الخزامى ... أو ضاعَ عَرْفُ العبيرِ
تكسو الرياض فتجلى ... في نَوْرِها والنورِ
يهيج كامنَ وجدٍ ... بينَ الحشا والضميرِ
يذكُر الصبَّ عيشًا ... صفا صفاءَ النميرِ
أوقات أنس أضاءت ... كالبدر في الديجورِ
تجني ثمار المعاني ... من روض مجدٍ نضيرِ
والمشكلات علينا ... تُجلى بغير سُتورِ
ندير راحَ الخفايا ... على سرير السرورِ
وحيث غاب غزال الـ ... ـحمى وأنسُ الحضورِ
وشمسُ تلك المعاني ... إنسانُ عين العصورِ
طرازُ ثوبِ كمالٍ ... ودرُّ عقدِ النحورِ
مللتُ كلَّ حبيبٍ ... وعِفتُ كلَّ سميرِ
من أجل روح حياتي ... وسيرتي في العشيرِ
مولايَ أحمدَ تاجِ الـ ... ـعلا وصدرِ الصدورِ

كـــشافِ مـــشكلات بحـــثٍ | بـــــــدره المـــــــستنيرِ
الـــسابقِ القـــومَ فهمًـــا | فــــي حَوْمَـــة التقريـــرِ
أقلامُـــــه فـــي جـــدال | تطــــــولُ بـــــالتحرير
قَـــدٌّ بتـــوءمِ فـــضلٍ | بـــــالنظمِ والمنثـــــورِ
قـــد فـــاق كـــلَّ لبيـــبٍ | وعـــــالمٍ نِحريـــــرِ
يـــا مفـــرداً فـــي جمـــوع الـــ | ـــــعلمِ لا بنظيـــــرِ
لـــه بلاغـــةُ ســـحبا | نَ بـــل نظـــامُ جريـــرِ
آدابـــه فـــي انـــسجامٍ | تفـــوق وَشْـــيَ الحريـــرِ
مـــدى الزمـــان ســـلامي | مـــعَ الـــدعاءِ الكثيـــرِ
يُهـــدى إليـــك ويُبـــدي | فـــي طيـــه المنـــشور
خلـــوصَ حُـــبٍّ صَـــفا مـــن | شـــــوائبِ التكـــــديرِ
سلـــسالهُ العـــذبُ يحكـــي | مُعَتَّقـــــاتِ الخمـــــورِ
هـــذا وبلِّـــغْ ســـلامي | علـــى المقـــام الخطيـــرِ
حبيـــبَ قلبـــي أبـــي | بكـــر العلـــيمِ الـــشهيرِ
وقـــلْ لـــه صـــدقُ ودي | بـــاقٍ لـــنفخ الـــصور
قـــد قلـــتُ هـــذا بحـــقٍّ | مـــن غيـــر معنًـــى وزور
فليـــدعُ لـــي كـــلَّ وقـــت | ألقـــى ختـــامَ الخيـــرِ

وكتب إلى السيد أحمد الحلبي المذكور، ملغزاً في اسم أحمد بقوله:

بـــصارمِ اللحـــظِ قـــد تقلَّـــدْ | عمـــدًا لقتلـــي لقـــد تقلَّـــدْ

معتــلُّ طــرفٍ يزيــد فتكــاً		لكونــه الماضــي المجــرَّدْ
بعينــه قــاتلي ويجحــد		دمــي علــى وجنتيــه يــشهَدْ
قــد هَــدَّ جــسماً فــصار رسـمًا		لمَّــا بــسهم الجفــون هــدَّدْ
ســكرانُ صــاحٍ فــلا تــراه		لغيــر مــن قــد أحــبَّ عربَــدْ
وجاهــد للإلــه كفــرًا		إذا رأى لحظَــه تــشهَّدْ
زنجــيُّ خــالٍ عــزى لعــربٍ		تركــيُّ لحــظٍ وذا يــضدَّدْ
يبــدي ملامًــا إذا تبــدى		فــذاكُ درٌّ إذا تبــدَّدْ
يحْــوِي جميــعَ الجمــال طُــرًّا		قــد جــاء بــالجمع وهــو مفــرَدْ
فــي موكــب الحــسنِ إذ أتانــا		جــيشُ اصــطباري فــذا مشــرَّدْ
وفــيضُ دمعــي إذا تقطــر		زفيــر قلبــي جَــوًى تــصعَّدْ
بفقــه قــد حويــت حبــي		رضــي بهــذا الغــرام أم رَدّْ
شــكوتُ منــه هجيــرَ هجــرٍ		والنــارُ فــي مهجتــي توقّــدْ
فقــال يــا ثعلــبَ احتيــالي		تريــدُ منــي اللَّمــا المبــرَّدْ
فقلــتُ إن الحــشا ســعيرٌ		أدنــو لــورودٍ عنــه أُطــرَدْ
فيــا غــزالاً زهــا دلالاً		هِــلالاً ســناه أوحــد
قــد راق وصــفًا ورقّ لطفًــا		وخــفَّ طرفًــا بقلــب جلمَــدْ
بخــالِ رَنْــدٍ وخــدٌ وردٍ		وثغــرِ شــهدٍ دُرّ منــضَّدْ
وشَــعر مــسكي أضــل نُــسكي		فطــابَ هتكــي فــلا أُفنَّــدْ
انظــر لحــالي فمــا احتيــالي		وقــد رثــى لــي عِــدًى وحُــسَّدْ

أيـــن التـــسلي وذا مـــضلّي فخـــلّ خِلّـــي فتَـــى معـــوَّدْ
فقـــال لـــي إن أردت عنـــي ســـلوانَ هجـــرِ عـــساه يفقَـــدْ
ألغـــز إمامـــاً حـــلا كلامـــاً حـــوى نظامـــاً حكـــاه عـــسجَدْ
وخـــذ جوابـــاً وعـــد طلابًـــا يكـــن صـــواباً وذاك أحمـــد
فـــدا شـــهاب رقـــى المعـــالي فغـــار منـــه الـــسُّهى وفرقَـــدْ
أطاعـــه الفـــضلُ وهـــو طفـــلٌ فـــي مهـــدِه ذا لـــه تمهَّـــدْ
بالكـــسب والإرث قـــد أتـــاه وخيـــر مجـــد ينـــال عـــن جَـــدُّ
فهـــا حـــديث الكمـــال قـــدمًا يـــصحُّ عـــن دمعـــه ويـــسنَدْ
كأنـــــه إذ أتـــــى بـــــنظم قـــد نظـــم الـــدرَّ فـــي الزبرجَـــدْ
قـــولٌ بـــديعٌ لـــه معـــانٍ بيانـــــه للبليـــــغِ أقعَـــــدْ
تـــصديق مـــدحي جلـــي حكـــم دليلُـــــه قـــــاطعٌ تأكَّـــــدْ
مليـــكُ فـــضلٍ حـــوى كلامـــاً لـــواءُ فـــضل عليـــه يعقَـــدْ
فهـــاك لغـــزاً تـــراه كنـــزًا للفـــضل يُعـــزى عليـــك يـــورَدْ
ســـما لعـــين وكـــان وصـــفًا أو كـــان فعـــلاً بحيـــث يقـــصَدْ
موضـــوعُه عينـــوه لكـــن مـــن اشـــتراكِ لقـــد تعـــدَّدْ
فـــي الأرض أفـــرادُه كثيـــر وأصـــلُه فـــي الـــسما يـــورَدْ
فمفـــردٌ تـــارة أتانـــا وتـــارةً جـــاء غيـــرَ مفـــرَدْ
فالنـــصفُ طبعًـــا يفيـــد داءً إن كـــان تحريـــفُ ذاك يوجَـــدْ
والنـــصف أيـــضًا لقـــد أتانـــا ماضـــيه قدمـــه أن يـــشدَّدْ

وأولُ الاسـم مـع أخيـرِ صـفحه ظرفـاً أتـاك ترشَـدْ
ومـا بقـي سـورة أتتنـا رسـمًا وفـي نطقهـا فأزيَـدْ
سـبعًا تراهـا أتـت بـذكرِ إدراك معنـى لهـا فيفقَـدْ
أجـبْ وسـامحْ بقيـتَ دهـرًا فـي ثـوب عـزٍّ كـذا وسـؤدَدْ
ولا تؤاخـذْ خليـلَ صـدقٍ لـه ثنـاءٌ عليـك سـرمَدْ

فأجابه ـ رحمه الله ـ بقوله :

أهـلاً بغـراء قـد تجـرد بهـا الهـوى والحـشا تجـدَّدْ
هيفـاءَ تحكـي الهـلالَ يبـدو مـن فـوقِ غـصنِ ريـانَ أملَـدْ
جـاءت تجـرُّ الـذيولَ تيهـاً علـى مُعَنًّـى فـي الحـب أوحَـدْ
كالبـدر نـورًا والـروض نَـورًا والـدرُّ حـسنًا إذا تنـضَّدْ
ما مجلـسُ الأنـس حيـن حفَّـتْ بـه النـدامى وقـد تمهَّـدْ
بقـربِ حـوضٍ وجنـبِ روضٍ قـد شـابهت أرضُـه الزبرجَـدْ
واهتـزَّ فيـه القـضيب لمَّـا عليـه طيـرُ الـسرور غـرَّدْ
والنهـرُ قـد خـرّ فيـه يحكي الحسامَ من غمده تجرَّدْ
وقـام فيـه سـاقٍ غريـرٌ بـدرٌ منيـرٌ أَغَـنُّ أغيَـدْ
يـدير كاسـاً حكـت لُجينًـا حـوت شـرابًا حكـاه عـسجَدْ
وقد حكتْ وجنتاه ما في الـ ـيمين منه لو كان يحمَدْ
فـردًا تـراه بـسيف لحـظٍ ورمـحِ قَـدٍّ لقـد تعـدَّدْ
يـأبى التـداني وسـهمَ بعـدٍ بـالجور والظلـم فيـه سـدَّدْ

أفديـه بـدرًا قـد فـاق قـدرًا وصـال دهـرًا بأسـمرِ القَـدُّ
بخُلـفِ وعـدٍ وطـول صَـدٍّ ونقـضِ عهـدِ مُـضناه هـدَّدْ
وسـحرِ طـرفٍ ولـينِ عِطْـفِ ويـذلِ لطـفِ هـواه أكَّـدْ
مـا فـازَ كـلٌّ مـن النـدامى بـصفو عـيشٍ بـاللهو أرغَـدْ
يومـاً بـأحلى منهـا إذا مـا أمَّـتْ محبًّـا بالـشوق يكمَـدْ
عـذراءُ بكـرٌ مـن فكـرِ بحـرٍ بـالعلمِ والفـضل قـد تفـرَّدْ
العمـدةُ الحبـرُ منـه إليـه تُعـزى علـومُ الـورى وتـسنَدْ
مـولًى أقـرَّت لـه الأعـالي بكـلِّ فـضلٍ فكيـف يجحَـدْ
مـن شـاد مجـدًا أو سـاد جـدًّا وحـاز سـعدًا بـرغم حُـسَّدْ
وفـاق علمًـا ودقَّ فهمًـا ونـال سـهمًا مـن كـل سـؤدد
فمـن يباريـه فـي المعـالي ومـن أبيـه أتتـه والجَـدُّ
فيـا إمامـاً إلـى حمـاه بـالرغم منـه العـلا تـردَّدْ
ألـستَ نجـلَ الـذي ثنـاهُ ومدحُـه الـدهرَ قـد تخلَّـدْ
فلـيس بـدعًا إن فقـت درًّا وحـزتَ فـضلاً تجـاوزَ الحـدُّ
هـذا وإنـي مـولايَ أرجـو قبـولَ عـذرٍ لـديك يـورَدْ
إن رمـتَ أنـي أحـلُّ لغـزًا قـد قابـلَ الفكـر منـه بـالرَّدْ
مبـداه يحكـي قـوامَ حِـبٍّ أو غـصنَ بـان إذا تميَّـدْ
ومـا تبقَّـى فأنـت أولـى بـه بقيـتَ الزمـانَ تحمَـدْ
هـذا جـوابي مـع الجـوى بـي مـن جـورِ دهـرٍ لقـد تمـرَّدْ

فاعــذرْ وســامحْ حليــفَ ودٍّ | مــا زال ينمــو واللهُ يــشهَدْ
ولا تؤاخــذْ إذ كنــتُ ممَّــنْ | أبــدى قــصورًا فــالعودُ أحمَــدْ
ودُمْ رفيــعَ المقــام تعلــو | علــى الثّريــا وهــامِ فرقَــدْ

[٧١٨] إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي القاسم بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عبدالله بن جعمان الزبيدي الشافعي، قاضي زبيد[1].

العلامة الذي جمع أشتات العلوم، وسهر في طلبها بشهادة النجوم، وحاز قصبات السبق في العلوم الدينية، ونشر أقوال الشافعية، وقام بنصر الأشاعرة بالبراهين القطعية، وأقام الحجج على المخالفين، وقمع شُبه غلاة المبتدعين، مع شدةٍ في الأحكام الشرعية، وتبصُّر بالقواعد الحِكمية، وتنفيذ للأقضية الحُكمية.

وُلد بمدينة «زبيد»، سنة أربع عشرة بعد الألف، وحفظ بها القرآن، وأخذ عن والده علوم الفقه والحديث، ولازم عمه الطيب بن أبي القاسم جعمان، في كثيرٍ من علوم السنة والقرآن، وبرع وفاق الأقران، خصوصاً في علم الحديث، وأجازه شيوخ كثيرون، وأقرأ بزبيد «الجامع الصحيح» للبخاري مراتٍ كثيرةٍ، وتكرر منه ختمه له، وسمعه منه بالحرمين خلق كثيرٌ لا يحصون كثرةً، منهم: شيخنا سيد المحدثين في عصره إبراهيم بن حسن الكوراني، وعيسى بن محمد الجعفري، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني، وغيرهم، وله مؤلفاتٌ نافعةٌ، منها: «الحاشية الأنيقة على

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٩٦).

مسائل المنهاج الدقيقة».

وكانت وفاته ثاني شهر ربيع الثاني، سنة ست وسبعين - بتقديم السين - بعد الألف، بمدينة زبيد، ودفن بتربة باب سهام، عند آبائه وأجداده، وأروي جميع مروياته عن ولده القاضي أحمد بن إسحاق سماعاً عليه لبعض «الجامع الصحيح»، وإجازة باقيه، مع مروياته بزبيد، في شهر رجب، سنة أربع وتسعين بعد الألف. انتهى. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ومن شعره: قوله معارضاً للقصيدة الموصلية التي أولها:

لمعتْ نارُهم وقد عسعسَ الليـ ... ـل وملَّ الحادي وحارَ الدليلُ

بقصيدة، وهي:

نفحتْ نفحةُ العبير وريَّا ... مندلِ الحبِّ أوصلَتْها شمولُ
سَحَرًا والرفاقُ من سكرة النو ... م على أظهُر النجائب مِيلُ
فنشقْنا نوافَح الطيبِ منها ... إذ شذاها على الخيام دليلُ
وابتسامُ المهاة في حِندسِ الليـ ... ـل أضاءَ الدجى فبانَ السبيلُ
فحثثنا المطيَّ في أثرِ الطيـ ... ـب سراعًا لها إليه ذَميلُ[1]
فطرقْنا الخيامَ منسلخَ الليـ ... ـل وللصبح عارضٌ مستطيلُ
فنزلْنا فيها بأكرمِ نُزْلٍ ... عند حيٍّ يعزُّ فيه النزيلُ
نعِّمَ الطرفُ عندهم بمحيًّا ... ليس للبدر مثله فيحيلُ
واحدُ الحسن مستضيٌء وضيٌء ... مستنيرٌ كأنه قنديلُ

---

(١) ذَمِيل الإبل وهو ضربٌ من سيرها، ذمَل البعيرُ يَذْمُل ذميلاً، وذملاناً؛ من السُّرعة.

مشرقُ النور تحت ليلٍ بهيمٍ مظلمٌ فرقُه له ترسيلُ
بجبينٍ كأنه صدفُ الدرْ رِ أو الطرسُ زانه التصقيلُ
فيه قوسٌ من حاجبٍ وسهامٌ من لحاظٍ وفيه خَدٌّ أَسيلُ
أوسعُ العاشقين سبيًا وقتلاً ما لهم من حياضِه تهليلُ
قام هاروتُ لحظِه يجمعُ السحـ ـيَ وللفتك قد مضى قابيلُ
كم أسيرٍ مكبَّلٍ بفِنا الدا رِ ففيها مجرَّحٌ وقتيلُ
فائقُ المِلاحِ بل هو زينٌ واسطُ العقد بل هو الإكليلُ
باسمُ الثغر عن نضيدٍ نقيٍّ جوهريٍّ رحيقُه معسولُ
ثم بِتْنا لديه والطرفُ منعمٌ والوشاةُ عَنه غُفولُ
وسقانا من كفٍّ يُمناه كأسًا سَلسبيلاً مِزاجُها زَنجبيلُ
نظرةٌ منك سيدي يُتلافى مستهامٌ بها ويشفى عليلُ
ويُطفَّى بها لهيبُ المعنَّى ويُداوى من السَّقام عليلُ
وفؤادي أودى به الشوقُ والوجـ ـدُ وجسمٌ به الضَّنى والنحولُ
يا حبيبي إن كان خطبًا جليلاً هجُركم فالوصلُ وصلٌ جميلُ
بات يرمي جواهرَ اللفظ من فيـ ـه ودرًا من النظام ينيلُ
بعتابٍ كأنه نسمةُ الفجـ ـر جناها رضابُها مطلولُ
يا حبيبي قد كان ما كانَ فاصفحْ وتعطَّفْ فليس عنك بَديلُ
لا وسقمِ الهوى وطيبِ التلاقي ما فؤادي إلى سواك يميلُ
فتحكَّمْ واقضِ بما شئتَ فأنت العطاءُ والتنويلُ

وجَعْمان ـ بفتح الجيم وسكون العين المهملة ـ ابن يحيى بن عمر بن أحمد بن علي بن الشُّويش بن علي بن وهب بن علي بن صريف بن ذؤال بن سنوة بن ثوبان بن عيسى بن سحارة بن غالب بن عبدالله بن علّ بن عدنان، العكيُّ العدنانيُّ الصريفيُّ الذؤاليُّ اليمنيُّ.

[٧١٩] إسحاق بن حسين.

الساكن بقرية بجنك ـ بفتح الباء الموحدة والجيم والنون والكاف ـ من أعمال بلدة أقراي، من بلاد قرامان، اشتغل بالعلوم مدةً، ثم سلك الطريقة، واتصل بخدمة الشيخ عبد اللطيف، المعروف بجيم سباه، واجتهد عنده مدةً، حتى أجازه للإرشاد، ثم قام مقام شيخه، بعد وفاة الشيخ سليمان خليفه اللارنده وي.

[٧٢٠] أبو الطيب ابن شيخ الإسلام بن بدر الدين ابن شيخ الإسلام رضي الدين بن محمد بن أحمد بن عبدالله القرشي الغزي العامري الدمشقي الشافعي[1].

فاضلٌ مجالُه في الفضل فسيح، وشاعرٌ بديع الشعر فصيح، يسحر ببيانه العقول، ويبهر الألباب بما يقول.

وُلد بدمشق، وبها نشأ وترعرع، ثم رحل إلى مصر طالباً، وحصّل دروس أعلامها راغباً، فجاز تحقيق الحقيقة والمجاز، وسبق إلى قصبات السبق في أقرب مجاز، ولمحته عيون السعادة، ورجع إلى بلده.

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٨٠)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٢٥٧) (٣٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٣٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٨٥) (٥).

ولم يـزل معـدوداً من أرباب الصـدور، مسفرةً محاسنُ فضله إسفـارَ البدور، حتى أفسدت السوداء عقلَه، وأوجبت من مناصب العقلاء عزلَه، وكان أول ظهور ذلك: أن دعا مزيناً، فحلق لحيته، وغير صورته وحليته، ثم جمع شَعره في منديل، وقصد القاضي لشكاية أخيه، زاعماً أنه الذي شوه وجهـه ذلك التشويه، فدعا القاضي أخاه، وتحرى جليـة الأمـر وتوخاه، فظهرت حركات دلَّت على فساد عقله، ثم تفاقم به الداء، حتى قيدت قدماه، وانقطع عنه أصحابه وندماه.

وذكر في «السلافة»: أن الشيخ محمد الحريري مرّ عليه يوماً، هـو وصاحب له، فوقفا بحياله، وسألاه عن حاله، فشكا عليهما الوحشة والانفراد، وطلب منهما أن يجلسا بقربـه، وينفِّسا من خناق كربـه، فتقدم ذلك الرجل إليه، وجلس بين يديه، فشبث به، وضربه، وطرحه حتى برحه، فلم يفلت منه إلا بعد حين، وكاد حَينه أن يحين، ثم التفت إلى الحريري، وقال لـه: أنت شيخنا المبجَّل، عليّ عهدُ الله أن لا أفعل بك ما فعلتُ بصاحبك، فادنُ مني، وأزِلْ دهشة الوحشة عني، فمال عنه، وضحك منه.

واستدعى يوماً بنورة ليطَّلِي بها، فطلى جميع بدنه، حتى لحيته وشاربه، وأشفار عينيه وحاجبيه، فلما أنكروا عليه فعله، قال: أردت أن أزيل الشعور جملةً.

وله في جنونه أفانين، عدّ بها من عقلاء المجانين.

وشعره من الطبقة العليا؛ من الرقـة والانسجام، وها أنا أثبت ما يدار عليك به من الأنس جام.

فمن قوله مادحاً الأستاذ الشيخ أبا السرور البكري ـ رحمه الله ـ:

ألا طرقتنـا قبـل منـبلج الفجـر معطـرةُ الأردان طيبـةُ النـشرِ
وحيَّتْ فأحيَتْ من حشا مدنفٍ قضى وما خلتها تقضي على الموت والنشر
وجادت بمـا ضَـنَّ الزمـانُ بمثلِـه وفاء بلا مطـل ووصـل بـلا هجـرِ
وجاءت كما شاء المنى في مطارفٍ من الحسن أدناها أدقُّ من الـسحر
ولاحت من الغدر العلى في ديـاجر فأشرق بدرُ التمِّ في غَـسَقِ الفجـر
وماستْ قضيبًا فوق دِعْصٍ وأتلفت من الغيد ريمًا لا من الشدن العِفر
فبادرتُهـا والقلـب جُـمٌّ سـرورُه وقد آن يـوفي حـين وافتـه بالنـذرِ
وقمتُ لها أسعى وقلتُ لها اسلمي وأيقظت أقريهـا الهواجـد بـالنحر
وعاطيتهـا صـفراءَ بِكـرًا كأنهـا إذا جُليت في كاسها الشمسُ في البدرِ
وجاذبتُهـا أطـرافَ عتـبٍ كأنـه نسيُم الصَّبا غِبَّ المُلِثِّ من القطـرِ
ومازجتُهـا ضَـمًّا فرحْنـا كأننـا خليطانِ من ماءِ الغمامـة والخمـرِ
ونازعتُها ذيـلَ العفـافِ ولـم أقـلْ خليلين مثلينا استقالا مـن الغـدرِ
إلى أن نضا كفُّ الـصباح حـسامَه وأسفرَ داجي الأفقِ عن فلق الفجر
فقامت تهادى لنفضِ البـردِ تنثنـي مرنحـةَ الأعطـافِ ناحلـةَ الخـصرِ
وهَمَّتْ بتوديعي فـسالت مـدامعي وسار فؤادي خلفَها حيث لا تدري
فيـا ليلـةً مـا كـان أزهـرَ متنَهـا لقـد أذكرتنـي موهنًـا ليلـةَ القـدرِ
ويا زورَة لم أنسَ لا أَنْـسَ أنـسها عِدي عودةً أم أنتِ لي بيضةُ العقرِ
ووالله مـا شـبيت إلا علالـة وفي غمرة من غير بحر الهوى فكري

وفـي همتـي واللهُ يعلـم شـاغلٌ عن الغادة العذراء والأغيدِ العـذرِ
أأرتعُ فـي روض الحسان وأنثنـي عن الذروة الشماءِ يعلو بها قدري
أحـدِّثُ نفسي بالمعـالي وأبتغـي رفيقًا رقيقًا بي معينًـا علـى أمـري
وما الناسُ إلا الشوكُ عنـد اختيـارهم على أنهم في منظر العين كـالزهرِ
سأضرب وجهَ الأرض أبغي مطالبي فريـدًا ولا أعبـا بزيـدٍ ولا عمـرِو
أبـى الله لـي إلا الـسيادةَ أصـيدٌ مُجِدٌّ إلى قنصِ العلا بالقنا الـسُّمْرِ
ولا مجدَ عن إرثٍ وإن طبتُ مَحْتِدًا فـأُنمى إلـى حبـرٍ يلقـب بالبـدر
ومـا الفخـرُ إلا مقارعـة الـوغى ومـا المجـدُ إلا بالـسباء وبالأسـرِ
فإن أنتَ صافقتَ الأسودَ وخضتها بطعنٍ فقل ما شئت في عالم البدر
ولم تغتمض عيناي ليلة لـم أبـت أقلِّب في قلب الهزبر علـى جَمْـرِ
وكم لي من صيداتِ عـزٍّ وسـؤددٍ ومـن دونهـا وقـعُ المهنـدة البُتْـرِ
ولما رأيتُ الذلَّ في جانب الغنـى تنكبت أبغي العزَّ في جانب الفخر
مناقـبُ همَّـاتي حكـينَ مقانبًـا نُظمن قلاداتٍ من الأنجـم الزُّهْـرِ
...أحـداث الزمـان فتنبـري كما ارتعدَ العصفورُ من صولة الصَّقْرِ
وما هي من همَّاتِ قُطب العلا أبي الـ ـسُرور ولا دعوى سوى عشر العشر
هو الأسدُ الضرغام إن عنَّ حادثٌ ملمٌّ شديدُ البأسِ حتى على الدهر
هو الشمس في أُفْق السماء وضوءُها على الخلق من بيضٍ وسمرٍ ومن حُمْرِ
هو العالم الشهم المبرِّزُ في النهى أخو الحَسَبِ الوضاحِ والشيم الغُرِّ
هـو البحـر إمـا ريـم إدراكُ شـأوِهِ فأين الثمادُ الجعفـريُّ مـن البحـرِ

ولا عيــبَ فيــه غيــر أن يمينَــه تنوفُ على ما في الكنهو[1] باليسر
ومن جوده الداني الهيـادب مـصر لا تبالي أمَّه النيل أم كـان ذا جَـزْرِ
وكم من صفاتٍ راح يحوي زمامَها عديمةِ أمثـال تجـلُّ عـن الحـصرِ
وتنفَـدُ ألفـاظ المـديح ولا تفـي إذا اطَّردت يومًا بشيء سوى النزرِ
فـصاحةُ قُـسٍّ فـي سـماحة حـاتمٍ وإغضاءُ قيسٍ في اقتدار يَـدَيْ عمـروِ
وفقهُ ابن إدريسٍ وزهدُ ابن أدهـمٍ وحلمُ أبـي بكـرٍ وصـدقُ أبـي ذَرٍّ
خليلـيَّ عوجـا بـارك اللهُ فيكمـا على ساكني الفسطاط من قاطني مـصر
وهبّـا إلـى كنـز المـآثر واقـرأا عليه سـلامًا كاللطـائم فـي القطـر
وبثّـا إليـه فـرطَ شـوقي ولـوعتي على ما هما فالصدقُ أجدرُ بالحُرِّ
أصدرَ الموالي المحرزي قصبِ العلا نداءَ محبٍّ مخلصِ السرِّ والجهـر
لعلك لا تنسى المسيءَ من الرضا وعلك لا تنسى الكسيرَ من الجبـر
وإنـي لأسـتعفيك ممـا وجـدتني حنيدًا إلى النعما بطيئًا عن الـشكرِ
ومـا أنـا نظامًـا لـشعرٍ وإنمـا مديحك الومن[2] بي على صنعة الشعرِ
وما الـشعرُ يـا مـولاي إلا تجـارةٌ فطورًا إلى ربحٍ وطورًا إلـى خُـسْرِ
فدونَكَ يا ركـنَ المعـالي حـوائلاً تؤمُّـك بالتـسليم قطـر إلـى قطـرِ
قـوافٍ إذا مـا أنـشدوها تخالُهـا عقودَ الدراري لا عقودًا مـن الـدُّرِّ
تـروقُ بمـاء الطبـع حتـى كأنهـا ترقـرقَ فـي أرجائهـا ذائـبُ التبـرِ

(١) كذا في الأصل.
(٢) كذا في الأصل.

ودونَكها بِكراً إليك رفعتُها ... ومنها استعير الظَّلْمُ في شَنَبِ الثغرِ
تؤم قبولاً مهرها وجديرة ... مجانبة إلا جنابك بالمهرِ
ودمْ سالمًا ما جاد روضًا رَبابُهُ ... وما ناح شُحرورٌ وما غَرَّدَ القُمري

وقوله متغزلاً:

هاتِ اسقني حَلَبَ العصيرِ ولا سوى ... زهر النجوم تجاه زهر المجلس
انظر إليه كأنه متبرمٌ ... مما تغازله عيونُ النرجسِ
وكأن صفحةَ خدِّه ياقوتة ... وكأن عارضَه خميلةُ سندسِ

[٧٢١] إسماعيل بن ماضي بن يونس بن إسماعيل السنجيدي الشافعي(١).

كان من أكابر العلماء الشافعية بالديار المصرية، وكان صاحب عبارة، وفصاحة وبراعة، وإماماً في النحو وعلوم العربية، ومتضلعًا من العلوم العقلية، أخذ الفقه عن الشمس الرملي، ولازمه إلى أن مات، ثم تكمل بالنور الزيادي، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر سنين عديدة، وتوفي يوم الاثنين، سابع ربيع الأول، سنة ست وخمسين بعد الألف، وله من العمر نيف وتسعون سنةً - رحمه الله تعالى -.

[٧٢٢] السيد إسماعيل بن محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم(٢).

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٨).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤١٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٦٦) (١٩٩)، «البدر الطالع» (١/ ١٥٥).

أديب الزمن، وغُرة اليمن، كان بالمحل الأعلى من البلاغة والبراعة، وحسن الأدب والصناعة، ولـه مؤلـفٌ سماه: «سمط اللآل بأشعار الآل»، وفضله أشهرُ من أن يذكر، وشعره أحلى من السكر.

وجدُّه هو الذي أحرب الأتراك، وأخرجهم من اليمن، وكان ذا ولايةٍ واسعةٍ، مُدح، ووفـد إليـه من كل جانب، توفي سنة ثمان وأربعين وألف، وتوفي والده سنة ثمان وسبعين بعد الألف، وتوفي ولده المذكور بعده، سنة تسع وسبعين، وعمره فوق الثلاثين وتحت الأربعين تقريباً بـ «مذيخرة» من أعمال العدين.

ومن شعره قوله:

فـي المهجـة أضـحى معهـدُه ... فلـذا فـي الغيبـة يـشهدُه
فتـانُ الحـسن ممنَّعُـه ... فتيـانُ الـصبوة أعبـدُه
معـسولُ الثغـر مفلَّجُـه ... عَـسَّالُ القـدِّ معربـدُهُ
وافـى مـن بعـد تجنُّبِـه ... ووفـى بالـذروة موعـدُهُ
وسـرى كالبـدر فـسُرَّ بـه ... مـسلوبُ كـرى لا يرقـدُهُ
وأعـادَ الـروَح إلـى شـبحٍ ... عنـه قـد صـحَّ تجـردُهُ
حَيَّـاهُ فأحيـا مهجتَـهُ ... وحَبـاه بقـربِ تعهـدُهُ
بـدرٌ قـد طـالَ تـسؤُّمه ... وبيـوم الهجـر توعُّـدُهُ
بـريم يقـلاه لِلَفْتَتـه ... ريـمُ البيـداء ويحـسدُهُ
غـصنٌ قـد دان لقامتـه ... فـي غـصنِ البانـة أملـدُهُ

مـــن مقلتِـــه الـــنجلاءِ لــــه ... ســــيفٌ للفتـــك يجـــرِّدُهُ
مـــن قـــوسِ حاجبِـــه ســـهمٌ ... نحــــوَ المفتـــون يـــردِّدُهُ
مـــن قامتـــه الهيفـــاءِ لـــه ... رمـــحٌ فـــي المهجـــة تـــوردُهُ
وكـــأنَّ البـــرقَ بمبـــسَمِه الـــ ... ــــبراقِ رواه مبـــــــردُهُ
أو لمــــع أســــنة عــــز الآ ... ل عزيــــزُ القــــدرِ مـــشيَّدُهُ
محـــــسودُ الحـــــدِّ مثبتـــــه ... محمـــــودُ الجـــــدِّ محمَّـــــدُهُ
مـــشكورُ البـــذلِ لقاصـــدِه ... مـــشهورُ الفـــضل ممجَّـــدُهُ
للـــــدين عمـــــادٌ منتـــــصبٌ ... بـــــالرفع تَـــسامى مقعـــدُهُ
منـــصوبُ الرايـــة نافـــذُها ... ميمـــونُ الـــرأي مـــسدَّدُهُ
مـــا زال إلـــى أعـــداء الديـــ ... ـــن لجنـــد الحـــق تجنُّـــدُهُ
فيقـــودُ جـــراداً منتـــشرًا ... مـــن ذا فـــي النـــاس يعـــدِّدُهُ
خيـــلٌ بـــل ســـيفٌ محتجِـــفٌ ... مـــن ذا يلقـــاه ويقـــصدُهُ
يـــا أوحـــدَ هـــذا الـــدهر ومَـــنْ ... قـــد عـــزَّ مثـــالاً ســـؤدَدُهُ
هُنِّيـــتَ بـــشهر مفخـــره ... مـــا تُـــصدر فيـــه وتـــوردُهُ
صـــومًا يرضـــى المعبـــودُ بمـــا ... فيـــه يأتيـــه ويحمَـــدُهُ
أعرضْـــتَ عـــن الأعـــراضِ بـــه ... لمَّـــا ألهـــاكَ تهجُّـــدُهُ
فـــي فعـــلِ الخيـــر بـــه عـــن طـــر ... فِـــك طيـــبُ النـــوم تـــشرُّدُهُ
وبعيـــد عنـــك بعيـــدِ أنْـــ ... ـحُـــسْهُ[1] وقريـــبِ أســـعُدُهُ

(١) في الأصل: بعيدًا بحسنه.

تطرقـــه قطـــر فـــي غـــده مـــن قلـــب الحاســـد أســـودُهُ

وإليـــك قريـــضًا نَظَّمـــه فكـــرٌ قـــد طـــال تبلُّـــدُهُ

أضـــحَتْ تذكيـــه بلفحتهـــا نـــارُ التعنيـــف وتحمَـــدُهُ

فأتـــاكَ بعتـــبٍ أوجَبَـــه لـــومٌ قـــد طـــالَ تـــردُّدُهُ

فاســـمعْ لمقـــالٍ يُـــصلح مـــا قـــد كـــان الحاســـد يعنـــدُهُ

إن كنـــت تعمـــد للواشـــي ذنبـــا قـــد صـــحَّ تعمُّـــدُهُ

فـــالحلمُ يريـــد تقولـــه ولحكـــم الـــزور يؤكِّـــدُهُ

ويطـــول الفـــرطِ يقرِّبُـــهُ مـــن ربِّ الـــودِّ تبعـــدُهُ

أو كنـــتَ تـــصدِّقُ لهجتَـــهُ حاشـــاك لقـــولٍ يوجـــدُهُ

وتـــسيءُ الظـــنَّ بمـــن أضـــحى فـــي نيـــلِ رضـــاكَ تقيـــدُهُ

فـــالحزمُ لديـــه تجنُّـــبُ مـــا جلـــبَ الإيحـــاشَ تفقُّـــدُهُ

والعـــزمُ لطـــرحِ تعهـــدُها أَزرى بالعهـــــد تعهُّـــدُهُ

لا زلـــتَ تُـــشيد قواعـــدَ هـــــذا الـــدين لنـــا وتـــشيِّدُهُ

مـــا دام العَتْـــبَ لثـــوبِ الـــودِّ مـــدى الأيـــام يجـــدِّدُهُ

أو بـــاتَ الـــصبُّ يهـــيم بمـــن فـــي المهجـــة أضـــحى معهـــدُهُ

وعارضه الأديب محمد الرقباوي، فقال مادحاً له:

قـــدٌّ تثنيـــه وتفـــرده وجـــوًى أطويـــه وتفـــردُهُ

وبلابـــلُ صـــدرٍ صـــادرةٌ عـــن علـــةِ وجـــدٍ تـــوردُهُ

وصـــيادُح آمـــالٍ وجـــدتْ ... تـــدني المـــأمول بتعهـــده[1]
ولهيــب حَـشًا مــا خلــتُ بــأنْ ... نَ عبـــابَ النيـــل تبـّــردُهُ
وفـــؤادٌ ذابَ وزادَ بــــسفْ ... ـــحِ عقيـــقِ الـــدمع توقُّـــدُهُ
وَيْلــي وأنــا المفتــونُ بمــن ... فـــضحَ الأقمـــارَ مقلَّـــدُهُ
ظبــيٌ فـــي المهجـــة مرتعُـــه ... غـــصنٌ فـــي القلـــب تـــأَوُّدُهُ
بـــدرٌ بحيـــاتي مطلَعُـــه ... لا غـــابَ وفيـــه مـــسهَّدُهُ
عـــن مبـــسمه الإنـــسان الكـــا ... مـــلُ يـــروي عنـــه مبـــرِّدُهُ
مـــن ضَـــلَّ بليـــل غـــدائرِه ... يهديـــه ضـــياهُ ويُرشـــدُهُ
حجبــت رؤيــاه نَــوى هـــدفٍ ... عنِّـــي ولَكَـــمْ لـــي أرصُـــدُهُ
والليـــلُ يمـــرّ وأيـــأس مـــن ... لقيـــاه ويُطمِعُنـــي غـــدُهُ
ســلطانُ جمـــالٍ جـــادَ بعـــا ... دلِـــه وعلـــيَّ علـــت يـــدُهُ
صـــرعَ العـــشاقَ بمقلتِـــه ... ودهـــا المـــشتاقَ توعُّـــدُهُ
يـــسطو بتغـــيظِ نـــاظرِه ... ومتـــى مـــا شـــاء يرقـــدُهُ
فـــي الخلـــوة يُجـــري صـــارمَه ... وعلـــى الأشـــهاد يُجـــردُهُ
ويُبـــيح لطرفَـــيْ نرجـــسِه ... والخـــد حمـــاه تـــورُّدُهُ
ومتـــى تفتـــت منـــي جلـــدي ... بعـــثَ الهجـــرانَ يقـــصدُهُ
ومتـــى مـــا قلـــتُ رويـــدكَ لا ... تعجـــلْ بتِلافـــي يعمَـــدُهُ
وإليـــه حـــلّ دمـــي وإذا ... مـــا حـــلَّ صـــدودا يقعـــدُهُ

(١) كذا في الأصل.

وحـــديث هـــو أنـــسُ معنعِنــهِ | قـــد صـــحَّ إليـــه ويــــسنِدُهُ
والــــدمع جـــرى مطلَقُــــه | والقلـــــبُ لديــــه مقيَّـــــدُهُ
رَشَــــأٌ نـــشوانُ الـــسحر بمقـــ | ـــلته قـــد صـــالَ تعربـــدُهُ
يقـــوى ســـبب الإبعـــاد ولا | أقـــوى لجفـــاهُ ويحـــصدُهُ
لـــم أنـــسَ عـــشيةَ صـــادفني | كالغـــصنِ يثنـــى أملَــــدُهُ
وأفـــاح الـــروض براحتـــه | وعيـــونُ النـــرجس تـــشهدُه
فدُهـــشت فـــلا أدري أثنـــا | يـــاه أم مـــا حملـــت يـــدُهُ
أقـــسمتُ بمـــن خلـــق الأشـــوا | قَ تُقـــيم الـــصلب وتُقعـــدُهُ
مـــا خـــاب رجَـــا أمـــلٍ يـــسعى | لـــضياءِ الـــدين ويقـــصدُهُ
شـــرفُ الـــدين وإســـماعيل | ســـليلُ العـــز نمـــاهُ محمَّـــدُهُ
بحـــرُ الإمـــداد معـــينُ العلـــ | ـــم معـــينُ الطالـــب موجـــدُهُ
جـــمُّ الإفـــضالِ شـــقيقُ الجـــو | د مفيـــدُ المجـــدِ ممجَّـــدُهُ
نُـــشرت آيـــاتُ مناقبــــه | حيـــثُ الأعـــلام وســـؤدَدُهُ
وترفَّـــعَ بيـــتُ العِـــزِّ بـــه | وســـراة الـــسائح يقعـــدُهُ
وأقـــامَ شـــعارَ الملـــك علـــى | روضٍ قـــــد أفلـــــحُ روَّدُهُ
علـــمٌ كـــالزهر أزاهـــرُه | وغزالـــة صـــحوٌ فرقـــدُهُ
ينـــسى المـــشتاقُ أحبتــــه | ويـــسرُّ النـــاظرَ مرشُـــدهُ
ويـــدُ الأنـــداءِ تـــضوعُ لـــه | حليّـــا تتـــألف عـــسجَدُهُ
ولجـــينُ الزئبـــقِ خالـــصُه | مـــن معدِنِـــه وزبرجَـــدُهُ

وعقيــقُ الــورد نــديُّ القَطْــــ ـــــر حلــيُّ العــين زمــردُهُ
وعليــلُ الجــسم يــصيح بلطـــ ـــفِ عليــلِ هـــواه ويحمَــدُهُ
فلنـــــا أُنـــــسٌ بنظارتـــــه ورحيـــق الكـــوثر نـــوردُهُ
ولنـــــا بمـــــــذيخرة إلا واعهـــد كـــأذاخر نعهـــدُهُ
بلـــدٌ فيــه بنيـــانُ العـــزِّ ســـما لا زال مـــــــــــــشيَّدُهُ
تجـــري الأنهـــارُ بـــساحتها والغيـــث يـــدوم تـــردده
والجـــدولُ يُـــشهر صـــارمَه مـــن خَلَـــل الـــستِّ ويعمَـــدُهُ
ويليـــل الأزيـــبِ يـــصقلُه ونـــسيم الـــشمأل يبـــردُهُ
تتحلـــى الـــروح بهـــا طربًـــا ومـــضى الـــنجم يقلِّـــدُهُ
وبهـــا يتغنـــى بُلبلـــه وبنـــاتُ الأيـــكِ تغـــرِّدُهُ
لـــو زاد مزيـــدًا وهـــو علـــى ســاقِ للعـــزم تـــزوِّدُهُ
وعلـــى عيـــدانِ الغـــسل يـــصيـ ـــح هـــزارُ البـــان وينـــشِدُهُ
وضـــياءُ الـــدين يَفـــيض نـــدا هُ بهـــا ويـــدُ العـــادي يـــدُهُ
دامـــت بالفـــضل عوايـــدُهُ ويـــوادي الخيـــر وعـــودُهُ
وعلـــى الأعـــداء صـــواعقُه وعلـــى مـــن يتـــشَّمخ أرعُـــدُهُ
قمـــعَ الأشـــرارَ بنقمتـــه وبأهـــل الـــودِّ يـــودِّدُهُ
وزكـــتْ بـــالجود مواهبُـــه والبحـــرُ عليهـــا تحـــسُدُهُ
ومواهلُـــــه ومفاصـــــلُه ومخيمُـــــه ومجـــــسدُهُ
وقبائلُـــــه وقنابلُـــــه وضـــياءُ ســـناهُ ومـــشهدُهُ

وجنايبُـــــــه وكتايبُـــــــه وتوغُّلُــــــــه وتجلُّــــــدُهُ
أفديــهِ عزيــزَ الجــار حمــتَ أغـــــوارَ الــــدنيا أنجُـــدُهُ
بـــصدورِ الـــسمرِ غنائمُـــه وبهـــــا يتغـــنم وحـــدُهُ
قـــد حـــازَ الفــضلَ مــصوبُه وجميـــلَ الـــصنعِ تــصعُّدُهُ
حبـــرٌ كـــالبحر ومنطقُـــه يـــــــتلألأ مفـــــــرَدُهُ
ومعـــاني الـــشعر تــرقُّ لـــه وإليــــه دانَـــتْ شُـــرَّدُهُ
وخـــلاصُ المـــدح يُـــزان بـــه وعليــــه تُجلــــى جُــــرَّدُهُ
ولــــه بـــالنثرِ بـــديعٌ فـــا ق علـــى الإطـــلاق يؤيّـــدُهُ
مـــا لابـــنِ زهيـــرِ وابـــنِ زهيـــ ـــرِ مـــا يُنـــشيه ويُنـــشدُهُ
وكـــذا ابـــنُ هـــلال وابـــنُ هـــلا ل فـــي التحريـــرِ يقلِّـــدُهُ
وســـمير يراعـــي الخـــطِّ وسُمـــ ـــر عـــوالي الخـــط علـــت يـــدُهُ
طَلْـــقُ الكفـــين لـــه كـــرَمٌ يُقـــصي الإمـــلاقَ ويُبعـــدُهُ
ســـامي العلمـــين محمَّـــدُه زيـــدٌ والـــصارمُ أحمَـــدُهُ
نوعـــان مـــن الحـــسن الأعلـــى لهمـــــا بـــــالعز تفـــــرُّدُهُ
هـــادِ للــــدين وناصـــرُه وإمـــامُ الحـــقِّ[1] ومعبـــدُهُ
شـــرفٌ تعنـــو الجـــوزاءُ لـــه وعليهـــــا يـــــسمو ســـيدُهُ
لا غَـــرْوَ إذ ســـاد النـــاسَ وأحيـــــا الأرضَ تفقُّـــــدُهُ
ولـــديهم يـــدنو نائلُـــه وعلـــيهم يعلـــو محتِـــدُهُ

---

(١) في الأصل: للحق.

فلـــه رأي كالـــشمسِ يُزيـــ ـــل ظـلامَ الخطـب مــسدَّدُهُ
مــا الــسيفُ بــأقطعَ منـــه إذا مـــا غـــاصَ لأمــرٍ يعمَـــدُهُ
وإذا اســـــودَّتْ نُـــــوَبٌ يجليهـــا ذابلُـــه ومهنَّـــدُهُ
مــولاي ضــياءُ الــدين عليـــ ـــكَ صـــلاةُ الله أردِّدُهُ
جَهــدي وحياتِــك قَــصَّر بــي عـــن شـــأوِكَ فيمـــا أقــصدُهُ
ومعارضـــتي لجمانِـــك مـــا بلغَـــتْ مـــا أنــت منــضِّدُهُ
إلا أنِّـــي وازنْـــتُ الـــدرْ رَ بمحتلــــبِ أتوجَّــــدُهُ
ويــسطْتُ العــذَر لــديك فــإنْ تقبلْـــه فأنـــتَ معـــوَّدُهُ
لا زلـــتَ لنـــا بمـــذيخرةِ الـــ ـــغَنًا ذخــــرًا لا نفقِـــدُهُ
وســـحابُ نوالـــك منهمـــرٌ وعبـــابُ صـــقالك نــــوردُهُ
مــا لاح البــرقُ وســالَ الــود قُ وزان الـــــشرقَ تــــورُّدُهُ
وبقيَـــت لـــدينِ الله ضــِــيا مـــا عبـــدَ اللهَ موحِّـــدُهُ

وكتب صاحب الترجمة إلى القاضي محمد بن إبراهيم السحولي:

عجبًـــا مـــا للأخِلَّـــة أعرضـــوا مـــن غيـــر عِلَّـــة
وتجـــافَوْا عـــن كئيـــبٍ هـــائمِ القلـــبِ مُوَلَّـــة
مـــــستهامٍ عذَّبتـــــه مـــن غـــزالِ الرمـــلِ مقلَـــة
وقـــوامٌ مثـــلُ غـــصنِ الـــ ـــبان قـــد حَـــلَّ زملَّـــة
ومحيًّـــا أورثَ الأنــــ ـــجمَ والأقمـــار خجلَـــة
عليلـــةُ الـــساقِ رَداحٌ دونهـــا فـــي الحـــسن عَبْلَـــة

غـــــــادةٌ عادتُهـــــــا	للـــصبِّ أن تكثـــر مَطْلَـــهْ
جعلـــتْ هجـــرَ المعنّـــى	فـــي الهـــوى دينًـــا ومِلَّـــهْ
حرمَـــتْ مـــن وصـــلِه مـــا	خـــالقُ الخلـــقِ أحلَّـــهْ
وأحلَّـــــت قتلـــــه[1]	واللهُ قـــد حَـــرَّمَ قتلَـــهْ
يـــا تـــرى فـــي أيِّ يـــوم	يـــصلُ المحبـــوبُ حبلَـــهْ
ويـــه فـــي طيـــب عـــيشٍ	يجمـــعُ الـــرحمنُ شـــملَهْ
ويـــرى العـــاذلُ فيـــه	تاركًـــا فـــي الحـــبِّ عذلَـــهْ
ويعـــود الـــصبُّ للمعـــ	ـــهودِ مـــن دون تَعِلَّـــهْ
فهـــمُ قـــوْم ســـراةٌ	أريحيـــونَ أَجِلَّـــهْ
ولهـــم فـــي القلـــب ودٌّ	لا يـــرومُ الغيـــرُ نقلَـــهْ
غيـــر أن الـــدهرَ أبـــدى	مـــنهم تيهًـــا وغفلَـــهْ
صـــير التـــشهيرُ فـــي وصـــ	ـــلِهِمُ المطلـــوبَ عَقْلَـــهْ
ســـدَّ دون الـــضاحكِ الـــسعـ	ـــد طريقًـــا منـــه ســـهلَهْ
فتناســـوا عهـــدَ صَـــبٍّ	ذاهـــلِ اللـــبِّ مُدَلَّـــهْ
وجَفَـــوْهُ فرســـومُ الـــ	ـــودِّ مـــنهم مُـــضْمَحِلَّهْ
فمتـــى فـــي الـــدهر يلقـــى	شـــيخَه بـــدرَ الأهِلَّـــهْ
علَّـــهُ يـــشكو إليـــه	ســـطوَةَ الـــدهر وفعلَـــهْ
نجـــلُ إبـــراهيمَ عـــزُّ الـــ	ـــدين محمـــودُ الجبِـــلَّهْ

---

(١) كذا في الأصل.

أعظـــمُ الأخيـــار قـــيلاً أكـــرُم الأبـــرار خلّـــة
احـــسنُ النـــاس خـــصالاً مـــا أرى الأكيـــاسَ مثلَـــه
وهـــو للطالـــبِ علمّـــا علمُـــــه زاهٍ وقِبْلَـــة
يـــا جمـــالَ الـــدين مَـــنْ حـــا زَ خـــصالَ الفـــضلِ جُمْلَـــة
هـــاكَ نظمـــاً مـــن محـــبٍّ لا يـــرى غيـــرَك أهلَـــه
اوجَـــــدتْها فكـــــرةٌ قـــد كررتهـــا أي شـــغلَة
فـــأتى مـــضطربَ المعـــــنى وفـــي الألفـــاظ قِلَّـــة
يرتجـــي منـــك قبـــولاً لنظـــامِ جـــاء قبلَـــه
ســـبلاً مـــن دونـــه ســـترا عـــن الغيـــث وكلَّـــة
دمـــتَ فـــي أرغـــدِ عـــيشِ راقيًـــا أعلـــى محلَّـــة

فأجابه بقوله:

ســـامحوا المملـــوكَ لله واصـــفحوا عـــن كـــل زَلَّـــة
عفـــوُكم عنـــا دواءٌ نـــافعٌ مـــن كـــل عِلَّـــة
والرضـــا مـــنكم زلالٌ نـــاقع مـــن كـــل غُلَّـــة
وولاكـــم لـــي أمـــانٌ ببـــراهينِ الأدلَّـــة
حُـــبُّكم شـــرعي وديـــني وهـــو عنـــدي خيـــرُ مِلَّـــة
وهـــو لـــي خُلْـــقٌ قـــديمٌ وطبـــاعٌ وجِبِـــلَّة
ولقـــد مـــازَج روحـــي وســـوادَ القلـــب حَلَّـــة
مَلَّنـــي العـــيش إذا القلـــبُ تناســـاهُ ومَلَّـــة

لـــستُ أنـــساكم علـــى القـــر		بِ ولا شـــــحطِ المحلَّـــــهْ
مـــا ثنـــائي عـــنكم ثـــا		نِ وألهـــــاني ووَلَّـــــهْ
لا ولا وَلَّهنـــــي الحبـــــ		ـــبُ بمـــن مثلـــيَ وَلَّـــهْ
قمـــرُ الحـــسنِ وللحـــسـ		ـــنِ بـــدورٌ وأهلَّـــهْ
لـــو رآه البـــدرُ أعـــلا		ه مقامَـــا وأَجَلَّـــهْ
لـــو رأتـــه الـــشمسُ قالـــت		ليـــتَ فـــي أوجـــي محلَّـــهْ
ضـــربَ الحـــسنُ عليـــه		قبـــةً تزهـــى وكِلَّـــهْ
وكـــساه مـــن دمـــسقٍ		حاكَـــه أزيـــنَ حُلَّـــهْ
ورآهُ الحـــسنُ قـــد حـــا		ز بـــديعَ الحـــسن كُلَّـــهْ
فـــوحى فـــي الخـــد حـــوق الـــ		ـــعين حَـــصَّنتك بـــالله
يـــا لَقـــومي فـــي كثيـــرِ الـــ		ـحـــسن حظِّـــي مـــا أقلَّـــهْ
يـــا رســـولي قـــل لـــه		بـــاللهِ إن أحـــسنتَ قُـــلْ لَـــهْ
كـــم يقـــضِّي الـــصبُّ عمـــرًا		فـــي عـــساهُ ولعلَّـــهْ
إن يكـــنْ لا يرتجـــي الوبـــ		ـــل مـــن الوصـــلِ فَطلَّـــهْ
وعلـــى الحـــسنِ زكـــاةٌ		وردت فيهـــا أدِلَّـــهْ
وهـــو مـــسكينٌ فمنـــعُ الـــصْـ		ـــصَرف فيـــه مـــن أَحَلَّـــهْ
لـــستُ أشـــكو الجـــورَ إلا		للأجـــلِّ بـــنِ الأجِلَّـــهْ
لـــضياءِ الملـــكِ بـــدرِ الـــ		ـــملكِ مـــا بـــين الأهِلَّـــهْ
صـــادقِ الميعـــادِ إســـما		عيـــلَ محمـــودِ الجِبِـــلَّهْ

مـــن لـــــه كثـــرةُ أوصـــــا　　فِ العُــــلا مـــن غيـــر عِلَّـــــة
مـن رقـى فـي المجـدِ والفخــ　　ــــرِ إلـــى أعلـــى مَحَلَّـــة
ونَـــــضا مُنْـــــصُلَ عــــزمٍ　　مرهـــفِ الحـــدِّ وسَـــلَّهْ
وسـعى فـــي طلـــبِ العلــ　　ــياءِ مـــن غيـــر تَعِلَّـــة
وســما فـــي يَـــذْبُلِ الفـــضـ　　ــلِ إلـــى أرفـــعِ قُلَّـــة
مـــا أحـــلَّ اللهُ شخـــصًا　　فـــي العـــلا حيـــث أحلَّـــة
يــا ســليلَ العِـــزِّ يـــا مـــن　　ردَّ عاديـــــــةَ المذلَّــــــة
وصـــلَ المملــــوكَ وصـــلٌ　　مـــنكم أعلَـــى محلَّـــة
وكـــساهُ بـــردَ فخـــرٍ　　زانــــه بـــين الأجلَّـــة
عقـــدُ نظـــمٍ خلتُـــه　　ورداً كـــساه الـــصبحُ طَلَّـــة
أو هـــو الـــدرُّ تهـــادا　　ه الغـــواني للأكِلَّـــة
وتـــودُّ الغيـــدُ لـــو أنْ　　نَ لهـــا منـــه أشـــلَّهْ
بـــل هـــو الفـــضلُ أدامَ اللْـــ　　ــلَه للعـــالَم ظِلَّـــة
فيـــه إعـــزازي لقـــدري　　ولنظمـــي منـــه ذِلَّـــة
فـــاقبلوا منـــي جوابًـــا　　جـــاء فـــي ضـــعف وقِلَّـــة
طـــال تقـــصيرًا ولكـــن　　ســـامحوا المملـــوكَ لِلَّـــة

ومن شعر صاحب الترجمة قوله:

وشـادنٍ أجـرى دمـوعي دمًـا　　سـفحًا علـى الخـدين لا ترقـا
أخـافَ مـسودَّ عِـذاري بـه　　ببـيضٍ مـن حُلَّتـه الزرقـا

وقوله:

يا شادناً قد فاق في حسنِه ... وعَزَّ عن شبهٍ وأمثالِ
لأنت في قلبي وفي ناظري ... ألذُّ من نومةِ شوالِ

وقوله مادحاً لوالده السيد محمد بن الحسن ـ رحمهم الله ـ:

أترى السلبَ للقلوب الشجيَّهْ ... لسواحي ألفاظِها كالسجيَّهْ
أم رمى غيرَ عامدٍ أسهُمَ الهد ... بِ ولم يدرِ أن قلبي الرميَّهْ
فعلت بيَ الألحاظُ شرفها اللَّـ ... ـه تعالى ما تفعلُ المشرفيَّهْ
عرفتني أسحارَ بابل هارو ... تَ فكانت عندي هي البابليَّهْ
نصبتْ لي أشراكَ هدبٍ فهلاً ... شافعي واحدٌ من الزيديَّهْ
أنا شِيعيُّها وبالنصبِ جرتـ ... ـني إلى أن وقعتُ في المالكيَّةْ
لكنني عينًا وقلبًا وحتى ... ملكتني قولاً وفعلاً ونيَّهْ
وما نويتُ الطموحَ للغير إلا ... حجبتني الحواجبُ النونيَّهْ
وبنارِ الأخدود ذابَ فؤادي ... من خدودٍ نديةٍ عَنْدَمِيَّهْ
أيُّ نارٍ لها انقيادُ الماء ... غيرُ نارٍ على الخدود النديَّهْ
يا لها فتنةً لها قَدَّرَ اللَّـ ... ـهُ فعادت عشاقُها قدريَّهْ
لا يرون السلوانَ مما يطيقو ... ن ولا يدفعونَ هذي البليَّهْ
حَقَّقُوا الجبَر باعتزالهم اللو ... مَ فراحوا لغفلِهم رافضيَّهْ
فهمُ يَفْرقون من كلِّ شيء ... أبداً في صباحِهم والعشيَّهْ
مثلَ ما يفرقُ الشجاُع إذا لا ... قى إمامَ العصابةِ الحسنيَّهْ

الإمــامُ القــوامُ لله بالحقْـــــ ـــقِ بإجمــاع العتــرة النبويَّــة

الأغـرُّ الأبـرُّ عـزُّ الهـدى الهـا دي البرايـا إلـى الطريـق الـسويَّة

المفيـدُ المبيـدُ شـملَ الأعـادي بالمواضـي وبالقَنـا الـسَّمهريَّة

خيـرُ مـن هَـزَّ صـارمًا يـومَ روعٍ وعــلا صــهوَة الجيــادِ العليَّــة

والــذي قــادَ رداء المعــالي بــالعوالي والهمَّــة العلويَّــة

والزكـيُّ الـذي يحـلُّ مـن الإشــ ـكال مـا يُفحـم الفحـولَ الزكيَّـة

والجـوادُ الـذي يـسوقُ إلـى العـا فـينَ سُـحُبًا مـن اللُّهـى عـسجديَّة

والمليــكُ الــذي يــدبر أعمــا لَ نظــامِ الــشريعة الأحمديَّــة

لم يزل في الأمـورِ يمَـضي بـرأي هو أضوى من الشموسِ المُـضيَّة

أحلـمُ النـاسِ أعلـمُ النـاسِ أزكـا هــم مقامًــا ومَحْتِــدًا وطَوِيَّــة

أيُّهـا الأوحـدُ الـذي مـا رأينـا لعُــلاُه ممــاثلاً فــي البرِّيــة

والذي مذْ أطاعَ ربَّ العـرشِ جـا زاه فـدانتْ لـه الرقـابُ العـصيَّة

والـذي طـابَ نـشرُ ذكـراه حتـى طابَ منه أقصى الجهـاتِ القـصيَّة

هاكَهــا بنــتَ ليلــةٍ حبرتهــا مــع شــغل ســليقةٌ هاشــميَّة

دُرُّهــا تَخجــل اليواقيــتُ منــه ودراري الكواكـــبِ العلويَّـــة

فاقبـلِ النَّـزْرَ مـن خطـابي واعـذْر مــن خطــابِ حليــه[1] وخفيَّــة

إنمـا يحـسُنُ الخطـابُ ويـذكو حــين تزكــو العــوارضُ النفــسيَّة

غيرُ خاف على أبي الفضل أن الــ ـــضيمَ تــأبى منــه النفــوسُ الأبيَّــة

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: جَلِيَّةٌ.

وابقَ ما مالتِ الغصون على الرو ض وغنَّت بأيكها القُمريَّهْ

وعلى خاتم النبيينَ والآ لِ صلاةٌ من الإله سنيَّهْ

وسلام عليك تترى من اللَّـ ـه تعالى في بُكرةٍ وعشيَّهْ

[٧٢٣] السيد أسعد بن عبد الرحمن البتروني الحلبي القاضي الحنفي(١).

من أجل الأكابر قدراً، وممن حازت به الشهباءُ على غيرها من البلاد فخراً، كريمُ السجايا فلا البحر يحاكيه، وفريد في المزايا لم تنظر عين الدهر لمساويه، جمع بين فصاحة العرب وجرأة الفرسان، وقوة القلب وطلاقة اللسان، وله في الأدب باع طويل، وفضل وافر جزيل.

ومن شعره قوله في الشيب:

أبعدَ الأربعينَ خِضابُ شيبٍ أرومُ به مواصلةَ الغواني

وأرجو أن أكون به فتيًّا فهذا من أكاذيب الأماني

فوا أسفي على زمنٍ تقضَّى سماعي فيه قهقهة القناني

وكتب إلى علامة حلب السيد موسى الرام حمداني قوله:

قد حَلَّ أمرٌ عجبُ شيبٌ بفؤادي يلعبُ

نجومُه لا تغرُب فأينَ أينَ المهربُ

أرجو بقاءً معه ما أنا إلا أشعبُ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦٠٢) (١٢٣)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٥٠) (١٠٠١).

إن الأماني بعدَه ... ويلاه برقٌ خُلَّبُ
هذا الشبابُ قد مضى ... وبانَ مني الأطيبُ
هل عيشةٌ تصفو لمن ... قد غاب عنه المطرِبُ
دهر أرانا عجباً ... وكل يومٍ رجبُ
أندُبُ أيامًا مضت ... فيها صفا لي المشرَبُ
في حلبٍ بسادةٍ ... قد خدمَتْهم رُتَبُ
من كلِّ سمحٍ ماجدٍ ... تخجلُ منه السحبُ
أفناهُم الموتُ الذي ... لكل بِكْرٍ يخطُبُ
وما بها بعدَهُمُ ... مَن للمعالي ينسَبُ
سوى جهولٍ سفلةٍ ... عن كل فضلٍ يحجبُ
وهو إذا أَمَّلْتَهُ ... كلبٌ عقورَ كَلِبُ
أستغفرُ الله بها ... أستاذنا المهذَّبُ
موسى الذي لفضلِه ... مُدَّ رواقٌ مذهَبُ
حَلاّلُ كلِّ مشكلٍ ... وحاتمٌ إذا يَهَبُ
وإن جرى في حكمٍ ... تخال قُسًّا يخطُبُ
قد حوى معاليًا ... تنحطُّ عنها الشهُبُ
من سادةٍ أحسابُهم ... تنطق عنها الكتبُ
مولاي أشكو غربةً ... طالت وعَزَّ الطلبُ
وتحتَ أذيالِ الرجا ... حاملةٌ لا تنجِبُ

إلا بــــــأولادِ الزنـــــا   هـــذا لعمـــري العَجَـــبُ

إليكَهـــــا خريــــــدةً   منالُهـــــا يستـــــصعَبُ

جـــآذرُ الـــرومِ لهـــا   تــــسجدُ أو تنـــسب[1]

واسـلمْ ودمْ فـــي رفعـــةٍ   للـــسعد فيهـــا كوكَـــبُ

مـــا حركـــت متيمًـــا   ورقـــاءُ حـــين تنـدُبُ

فأجابه بقوله:

مـــا الكـــونُ إلا عَجَـــبُ   فمنـــــه لا يُـــــستعجَبُ

أعمارُنـــا تُنتهـــــب   يومًـــا فيومًـــا تـــذهَبُ

ونحـــن نلهـــو أبـــدًا   فـــي غفلـــةٍ ونلعـــبُ

أوّاهُ مـــن يـــوم يجـــي   شمـــسُه لا تغـــربُ

صـــايلة فيهـــا المنـــا   يـــا صـــولةً لا تُغلَـــبُ

تخطـــو علـــى أرواحِنـــا   فـــأينَ أيـــنَ المهـــربُ

تبًّـــا لـــدنيانا التـــي   لـــم يـــصفُ فيهـــا المـــشربُ

كـــم ســـيدٍ غـــرَّتْ بـــه   وَارَاه لحـــدٌ أحـــدَبُ

للـــدودِ فيـــه مرتـــعٌ   وللهـــوامِ ملعـــبُ

والويـــلُ يـــومَ العـــرضِ إنْ   لـــم يـــنجُ منـــه المـــذنب

ومـــن لظـــى نـــارٍ بهـــا   أجـــسادُنا تلتهـــبُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: تنتَسِبُ.

لا عمـــــلٌ يرُجـــــى ولا غـــوثٌ إليـــه نُنـــسب

إلا الكــــــريمُ ربُّنـــــا ومـــن بـــه نَحتـــسب

ثــم الـــشفيعُ مـــن إلـــى جنابـــــه ينتــــــسب

محمــــدٌ خيـــرُ الـــورى مقــــصدُنا والمطلـــبُ

الحكـــــمُ لله فــــــلا يكــــونُ مـــا لا يُكتـــبُ

والخيـــرُ فيمـــا اختـــاره حتمًـــا علينـــا يجـــبُ

نـــسأله يبقـــى لنـــا ســـيدُنا المهـــذَّبُ

أســعدُ مــن ســادَ الــورى بـــه وســـادَ العـــربُ

جـــوهرةُ العقـــدِ الـــذي جـــوهرُه المنتخَـــبُ

نجـــلُ الألـــى تجمَّلـــت بهـــم قـــديمًا حلـــبُ

حلمًـــا وعلمًـــا وتقـــىً وحـــسبٌ ونَـــسَبُ

يخجـــل مـــن أخلاقـــه زهـــرٌ ســـقته الـــسحبُ

ومـــن جميـــل صـــنعِه لـــه المعـــالي تخطـــبُ

طَلْـــقُ المحيـــا فَكِـــهٌ مبجَّـــل محجَّـــبُ

ولطـــفُ أنفـــاس الـــصَّبا إلـــى عـــلاهُ يُنـــسب

ومـــن إلـــى المجـــد يجـــا ريـــه فـــلا يُـــصَوَّبُ

زِيـــدَ بنانـــا كفُّـــه إذا ضـــاقَ عمـــا يهـــبُ

فـــسيبُ صـــوبِ جـــودِه يخجـــلُ منـــه الـــصَّيِّبُ

لـــم يحـــلُ خِـــلٌّ غيـــرُه مـــودَّةٌ محبَّـــبُ

[٧٢٤] الأمين بن الصديق بن عثمان، أخي الشيخ العارف بالله، الولي ابن صاحب المرواح، الصديق بن إبراهيم بن أحمد الشهيد بن زيد بن علي ابن حسن بن عطية، السَّغْدَرِي بلداً، وهي بطن من همدان، بمغارب صنعاء، ابن علي بن عطية بن علي بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عاصم بن إبراهيم بن إسحاق الخولاني، ابن موسى بن محمد بن موسى بن مقبول بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أحمد بن قَعْر بن شاور بن قُدَم بن قادم بن زيد ابن غريب بن جشم بن حاشد بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة ابن خيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن مَتُّوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن زيد بن مهيابيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأمه بتول بنت زيد ابن الولي بن الصديق.

كان من أكابر مشايخ الصوفية، ومن سالكي الطريقة المرضية، ومن أجل فقهاء المِرْواح، وهي قريةٌ بأعلى الصلبة، من اليمن الميمون.

ولد بالمِرْواح عام خمسة وستين وتسع مئة، وقرأ بها القرآن العظيم، وعمره نحو عشر سنين.

وكان نائماً ذات ليلةٍ، فسمع صياحاً، فانتبه من نومه، فسأل أخويه عبد الرحمن وأحمد عن الصياح، فقالا له: مات الولي بن صلاح، وكان من ذرية الولي بن الصديق، فصاح: الله، الله، وحصل له جذبٌ من ساعته، ولم يتمالك نفسه، فرمى نفسه من أعلى السطح، وخرج هائماً على وجهه حتى وصل إلى «اللحية» في أسرع مدة، فتبعه أخواه ليردَّاه إلى أهله، فامتنع، فلما لم يجدا بداً من ذلك، ذهب معه أخوه عبد الرحمن، ورجع أحمد إلى بلده.

فذهبا إلى مكة، فلما وصلا إليها، قال لأخيه: ارجع لأهلك؛ فإني الآن صحوت مما حصل لي من الجذب، ولا أرجع حتى يأذن الله لي، فأقام بمكة والمدينة خمساً وعشرين سنةً، وهو منهمكٌ على خدمة العلم وأهله، والجِدُّ والتعب في تحصيله، إلى أن رأى بعضُ شيوخه النبيَّ ﷺ في المنام، وهو يسقي اثنين من تلامذته، وكأن الأمين واقفاً، فناداه ﷺ، وقال له: اشرب بنفسك، فأصبح الشيخ، وأخبره بما رأى في منامه، وقال له: ارجع إلى بلدك؛ فقد حصلت لك العناية النبوية، فامتثلَ أمر شيخه، ورجع على اليمن وهو ممتلئ علماً وحكمةً.

ومرّ في طريقه على الشيخ العارف بالله عمر بن جبريل، بمدينة اللُّخْب، فأقام عنده، وطلب الأخذ عنه، فقال: بشرط أن تسأل على كل بابٍ من بيوت المِرْواح وتذكر، فقال له: يا سيدي! سَلني غير هذا، قال: لا، ففعل ما أمره به، وكان يُغْشى عليه عند كل باب، ثم بلغ مبلغاً عظيماً.

ولما فارقه، أمره أن يجعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وهي قريةٌ تحت المِرْواح بأعلى الصلبة، فوصل إلى المِرْواح، وأقام به، وفعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وكان ينزل إليه كلَّ يوم جمعةٍ، فيزوره فيه أهلُ الصلبة ومن والاها من القرى، ثم يعود إلى المِرْواح، ولما قرب موته، أوصى أن يدفن بمقامه الذي بناه بالشَّبَجَنَة.

فلما مات، امتنع إخوته وأهلُ المِرْواح من دفنه إلا عند جده الولي بن الصديق بالمِرْواح، بمسجده المعروف به، وحصل بينهم وبين بني قُطَيل ـ مصغراً ـ أهلِ الشَّبَجَنَة منازعةٌ في ذلك، أدت إلى أن رفعوا الحال إلى الأمير عبد الرحيم بن مطهر ابن الإمام شرف الدين، صاحب «المَبْيَن» بوزن أحمد،

وكان يحب المترجمَ، ويعظمـه كثيراً، فقال: لا تقبر العادية إلا بين أهلها، وأمرهم بدفنه بتربة جده.

فلما أرادوا رفعه من التابوت إلى القبر الذي أعدوه له ثَمَّةَ، لم يقدروا على رفعه عن الأرض، وعالجوا أشدَّ العلاج، فلم يفدهم ذلك شيئاً، فعلموا حينئذٍ أنها كرامة، ودخل خالُه عبد الوهاب بن زيد، وأمَرَ بني قُطَيل بحمله؛ ليدفنوه بمقامه الذي أوصى بدفنه فيه، فبمجرد أن أمسكوا التابوت، أطاعهم، وحملوه بأيسرِ ما يكون، ودفنوه فيه.

وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأول سنة عشر بعد الألف، وقد زرته ـ بحمد الله ـ مرات، لما كنت بالصلبة، سنة ثمان بعد المئة والألف.

ومن مؤلفاته: «الكشف والعيان في معرفة حقيقة الإيمان ومقام الإحسان»، وهو كتابٌ لطيفٌ، ذكر فيه شيوخه وأسانيده في الخرقـة، وقد طالعتُـه عدة مراتٍ، وله رسالةٌ جواب سؤال ألغازٍ من بعض الفضلاء، في مضاعفة الصلاة بمكة، غريبة الوضع، كتبت منها نسخةً بخطي؛ لحسنها وكثرة فوائدها.

قلت: ونظيرُ ما وقع لصاحب الترجمـة من الكرامـة: ما حكاه الشيخ العلامة العارف بالله تعالى، عبدُ القادر بن أحمـد بن عبد المجيـد بن محمد الأنصاري الشافعي، في كتابه «الوحيد في سلوك أهل التوحيد»، عن ابن أخت الشيخ حسين النجار السعرتي، قال: سألته بجامع مصر عن الشيخ حسين: هل أخرجَ يدَه من الكفن بعد موته وصفق؟ فإنه كان يُشهر عنه ذلك، لأنه كان في طول ليله ونهاره مشغولاً بآلات من الدفـوف والشبابات وغيرهمـا، إلى حين أوقات الصلاة، فيصلي ويعود إلى حاله. قال: هو خالي وشيخي، أما إخراج يده، فلم يقع، لكني أذكر لك الذي وقع، وما كان عليه.

كان الشيخ حسين ـ رحمه الله تعالى ـ يقول لأصحابه الفقراء: يا فقراء! أنتم مريدو حسين، أو مريدو أنفسكم؟ فيقولون: يا سيدي! مريدو حسين، فيقول: من صلى منكم غير الفرض، فأنا بريء منه في الدنيا والآخرة، ومن صام منكم غير رمضان، فأنا بريء منه في الدنيا والآخرة، والعَبوا، وكان مستغرقاً في حاله، إلا أوقات الصلوات، فإنه كان يحضر فيها، وكان لا يفارقه الشبابة والدفوف من بعدِ ما يصلي إلى وقت الصلاة الأخرى، لا ليلاً، ولا نهاراً.

وكان أكابر البلاد يجدون عليه غالباً من ذلك، وكانت قوة حاله تمنعهم من الأذى له، وكانوا لو أعْطَوا الصدقات والفتوحات للنصارى ما أعطوه؛ لأنهم رأوَا منه شيئاً لم يكن عليه الفقراء، ولا عرفوه، فكان الناس يشتغلون في شهر رمضان بقراءة القرآن، وصلاة التروايح، وهو على تلك الحال.

قال: فلما كان يومٌ من الأيام، قال الشيخ: اطلبوا النقيب، فحضر، فقال: أحْضِرِ الفقراء، فحضروا، فقال لهم: أنتم مريدو حسين، أو مريدوا أنفسكم؟ فقلنا: مريدو حسين، فقال: أنا في اليوم الفلاني أموت، فكل من قال خلف نعشي: لا إله إلا الله، أو قال شيئاً من الأذكار، فأنا بريء منه، ألا كمَا كُنا في الدنيا نكون في الآخرة.

قال: فلما كان اليوم الذي ذكر أنه يموت فيه، أصبح موجهاً إلى القبلة، ثم مات، فبقينا متحيرين متفكرين، كيف نعمل فيما قاله لنا، فجهزناه وكفناه، ووضعناه في النعش، فوقع الخلاف بين الفقراء، فمنهم من يقول: نخرجه على عادة الناس؛ لأنا إن أخرجناه كما قال، خشينا على أنفسنا من الناس؛ لأنه كان له حالٌ يمنعه منهم، ونحن نخشى منهم، وقال آخرون: هذا شيخنا، وما خالفناه قط، فنخالفه ساعة وفاته، هذا لا نفعله، واتفق الحال على أنهم

لا يفعلون ما قاله، ولا يفعلون عادة الناس، ويحملونه وهم سكوت.

قال: فلما اتفقنا، وقصدنا حمله، لم نقدر على حمله، فوضعنا أيدينا في النعش، فلم يرتفع، فجمعنا الفقراء على حمل النعش، فلم يستطيعوا حمله، وشاع ذلك في المدينة، فكل من كان يسيء الظن به قال: ما قبله الله تعالى، ولما ظهرت هذه الآية العظيمة، خرج السلطان وقاضي القضاة، وجمع السلطان الناس، وجعلوا المياجم[1] في سواعد النعش، على أن يحملوه، فلم يستطيعوا حمله، ولم يتحرك من الأرض.

قال: فبقينا يعيب بعضنا بعضاً، وقلنا: لو فعلتم الذي قال لنا الشيخ ووصاكم به، لم يقع هذا الذي وقع، وكنا قد استرحنا من هذا، فسمعَنا الحاكم، فقال: يا فقراء! هذه الطائفة لها أسرار مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فأشتهي أن تخبروني ما هذه القضية؟ فقلنا له: القضية كيت وكيت، وقصينا عليه القصة، وما وصّى به الشيخ، فعرف القاضي السلطان، وأحضر الملاهي، فعندما غَنَّوا، وضع أربعة أيديهم في النعش، فحملوه، فحلف السلطان أنه لا يركب، ويمشي حافياً.

قال: وحملناه، فلم يكد أحدٌ يصل إليه من كثرة الناس والنساء والبنات، وصُلي عليه، وامتلأت تلك الساحات من الجبال والتلال وغيرها، أو كلاماً هذا معناه، فلما صلينا عليه، أردنا حمله، فلم نقدر نحمله، فقال السلطان: يا فقراء! أبَقي معكم وصيةٌ أخرى؟ قلنا: لا.

فبينما نحن كذلك، وإذا بفقيرٍ أقبل من البرية، فتقدم وصلّى على الشيخ،

---

(١) في الأصل: المياجم.

فسألوه عن الشيخ: هل عنده علمٌ به؟ فقال: نعم هو شيخي، وقال لي: إنه يموت في هذا اليوم، وإنه ينتظرني حتى أحضر وأصلي عليه، وأنا جئت من اليمن، وقال: إن نعشه لا يُحمل حتى تقرأ عليه هذه الأبيات، وأخرج رقعةً من مرقعته مكتوبٌ فيها:

يـا ويلتـا مـن قلبـيَ القاسـي	ومـا جـرى منـه علـى راسـي
الفقـرُ موجـود لمـن يـشتري	وإنمـا الآفـةُ إفلاسـي
إن ينكـروا دُفِّـي وشَـبَّابتي	وهـزّ أعطـافي بـين جُلاسـي
لا غَـرْوَ إن أفتـوا علـى علمِهـم	لأنهـم مـا شـربوا كاسـي

قال: فلما غنى المغني بهذه الأبيات، وضع أربعةٌ أيديهم في النعش، فحملوه، ودُفن ظاهر سعرت ـ قدس الله تعالى روحه، ونوّر ضريحه ـ. انتهى ما نقلناه[1].

[٧٢٥] أيوب بن أحمد الخلوتي الحنفي الدمشقي[2].

بحر الدقائق، وحبر الحقائق، الشيخ الجليل، العارف بالله سبحانه، كان أغلوطة الزمان، ويتيمة الأوان، متضلعاً من أنواع العلوم، ومرشداً إلى الحي القيوم، إماماً في المعارف والعلوم الإلهية، ولما بلغ من العلوم المنتهى،

---

(١) غفر الله للمصنف ورحمه في نقل هذه الحكايات التي تدل على تلاعب الشياطين بهؤلاء المساكين، مع ادعاء الولاية والكرامات، نسأل الله العفو والمعافاة في العقل والدين.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٥٤٧) (٥٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٣٧).

وفاز فيها بالقدح المعلى، جاءه مخاطب التوفيق، والارتقاء إلى سنام التحقيق، للعلم يهتف بالعمل، إن أجابه وإلا ارتحل، عكف على كتب التقوى واليقين، وواظب عليها مدةً من السنين، وراض نفسه رياضةً يعجز عنها من عرفها، ودقق فيها وحقق فيها ما راق وأشرق، وله الكرامات المشهورة، والمناقب الظاهرة الماثورة.

ولد بدمشق، وبها نشأ، واشتغل بالعلوم، وأتقن المنطوق منها والمفهوم، ولازم الشيوخ العارفين بالله؛ كالشيخ أحمد العُسالي، وهو أعظم من أخذ عنه الطريق، وبه تخرج، وصار خليفته من بعده، ثم تصدر للعلم وتربية المريدين في دمشق ونواحيها، بعد شيخه المذكور، وأتاه الناس للسلوك على يديه من أقطار الأرض، وأخذ أيضاً من غيره، ولبس منهم الخرقة، وتلقن الذكر.

ومن شيوخه في الفقه والحديث: الشيخ العلامة إبراهيم بن الأحدب، تلميذ ابن حجر المكي، والشيخ محمد العلمي المقدسي، والعلامة أبو بكر السندي، حتى انتهت إليه في عصره معرفة كلام القوم، حتى إن بعضهم كان يقول: ما ألّف الشيخ الأكبر محيي الدين الفتوحات المكية إلا لمثله.

وعنه أخذ خلقٌ من أكابر العلماء، منهم: الشيخ يوسف بن أبي الفتح السقيفي إمام السلطان، والشيخ إبراهيم الفتال، ومحمد النخعي الحلبي، وقدم مكة سنةً، وأخذ عنه بها السيد أبو بكر شيخان، والشيخ أسعد، والشيخ أحمد ابن القطبي عبد الرؤوف المكيين[1]، وصحب سيدنا عبد الرحمن الإدريسي بها، وأخذ كل منهما عن صاحبه ـ نفع الله بهما ـ، وكان السيد عبد الرحمن

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: المكيُّون.

يعظمه كثيراً، وكذلك الشيخ أحمد القشاشي، كان بينه وبينه مودةٌ أكيدةٌ ومكاتبات.

وله التآليف الجامعة لكل فائدةٍ فريدة، خصوصاً في علم القوم؛ فإنها كثيرة النفع، غزيرة العلم، أخبرني بعض أصحابنا: أنه ألف كتاباً عظيماً، على نمط الفتوحات المكية، فرأى الشيخ محيي الدين بن عربي في النوم، وكان قد غار منه، فقال له: يا أيوب! أتريد أن تُخمل ذكر كتابي بظهور كتابك؟ فلما أصبح، غسله بالماء كله؛ تأدباً مع الشيخ محيي الدين.

وهذا ـ لعمري ـ غاية الأدب مع العارفين، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، فشهادة مثل هذا الشيخ ـ على جلالة قدره، وتمكنه في العلوم والمعارف ـ مقبولةٌ، لا يقدح فيها إلا أعمى البصيرة، وكم من عارفٍ وسالكٍ شهد بما شهد به هذا الشيخ!.

وشهرة الكون بأسره أقوى شهادةً؛ إذ ألقت إليه كبراءُ العارفين أزمتهم في زمانه، ووردت عليه الأسئلة من جميع أقطار الأرض بالاستفتاء، في العلوم الظاهرة والباطنة، فيجيب الكلَّ بما لا ينازعه فيه إلا مكابر.

وله ديوان شعرٍ سافرِ المحيا، لمن طاف وحيَّا، وهمزيةٌ عجيبةٌ مكسورة القافية مطلعُها:

يا عُرَيبًا حَمَوْا حِمى الجَرعاءِ حُبُّكم قد غدا دواءً لدائي

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق، غرة صفر، سنة إحدى وسبعين بعد الألف، ودفن بتربة الشهداء، بقرب مرج[1] الدحداح، وكان له مشهدٌ عظيمٌ

---

(1) في الأصل: برج، والصواب ما أثبت.

لم يعهَد مثلُه بدمشق في هذا العصر، وقد رأيته، وقبلت يده، وحصلت لي بركة دعائه، نفع الله به.

ومن شعره قوله مخمساً قول بعضهم:

أفـوه إذا يـشكو الأنـامُ بـشكركُم   وأكـتُم أمـري لا أبـوح بـسرِّكم
أحبتَنـا مـن طيـب نـشأةِ خمـرِكم   إذا جَنَّ ليلـي هـام قلبـي بـذكركم
أنـوح كمـا نـاح الحمـام المطـوق

عسى ولعلَّ الدهر يأتي بهم عسى   فأشهدهم عند الصباح وفي المسا
فقلبي مـن فقـد الأحبـة قـد قـسا   وفوقي سحابٌ يمطر الهم والأسى
وتحتـي بحـار فـي الهـوى تتـدفق

إذا فـاح مـن نجـد لقلبـي عبيرُهـا   فـلا عجـبٌ إن إنـي سـميرها
وإن خمدت ناري فوجدي يُثيرهـا   سلوا أمَّ عمرو كيف بـات أسيرها
تفـكُّ الأسـارى دونـه وهـو موثَـقُ

ففي تلف الأرواح كـم لـي إباحـةٌ   وفي منزل العشاق كم لي سـياحةٌ
فيـا ويَـح صـبٌ أثخنتـه جراحـةٌ   فلا هو مقتـولٌ ففـي القتـل راحةٌ
ولا هــو مأســور يُفَــكُّ فيطلَــقُ

وقوله:

إذا المـرء ربّـى نفـسَه بمـراده   فقـد شـاد بيتًـا علـى غيـر أُسِّـهِ
ومـن لـم تربيـه الرجـالُ وتـسقِه   كؤوسًا لهم قد دَرَّ من ثدي قدسِـهِ
فـذاك لقـيط قـطُّ مـا لـه نـسبةٌ   ولـن يتعـدى طـورَ أبنـاءِ جنسِـهِ

وقوله:

الأمر لله فاسلكْ مسالكَ الأُدبَا ... من الرضا بالقَضا تقضي به الأَرَبا

فمن أقامَ على هذا يكن ملكًا ... لا يقتني فضةً كلاً ولا ذهبا

[٧٢٦] بدر الدين بن محمد الهندي النقشبندي[1].

نزيل المدينة الشريفة، ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: شيخنا قدوة الأكابر الأعلام، وشيخ مشايخ الإسلام، الباذل عمره في خدمة العلم، المتحلي بحلية الوقار والحلم، الناهل من أحلى مناهل أهل الصفا، المتمم نسكه بمجاورة المصطفى.

كان آيةً في الذكاء والفهم، ووعاءً من أوعية العلم، له في كل الفنون تحقيق، وفي فهم المشكلات تمكينٌ وتدقيق، إماماً في الأصولين، بارعاً في اللسانين، ماهراً في المعقولات، باهراً في المنقولات، سلك طريق السادة النقشبندية، سلوكَ خِرِّيت هاد، وخبر عنه الشعابَ والوهاد.

قدم المدينة سنة ثمان وستين وألف، مع أبناء الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، معدوداً من علية أتباعهم، جاداً في سلوك طريقتهم واتباعهم، ولم يزل بالمدينة من لدن قدومهم، قاصداً جوار المصطفى، واغتناماً للحج فيما بعد ذلك من السنين، ولتكثير القربات، في محل مضاعفة الحسنات، وأقبل في المدينة على نشر العلم وبثه، وبعثِ رائد التعليم لما يعلم وحَثِّه، مع شدة إقباله على أنواع العبادة، ولم يمنعه ذلك من الإفادة والاستفادة،

---

(1) «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٣١).

ما رأيت أمضى منه عزماً، ولا أكثر منه تأدباً، في تردداه بالحرم الشريف، وعند الزيارة يكنس مع الخدام في غالب الأيام بيده المسجد النبوي.

قرأ على الملا عبد الحكيم السالكوتي، وهو أكبر تلامذته، وكان يبالغ في الثناء عليه، ويذكر عنه في جودة الفهم، وغزارة العلم، ونفوذ تصرفه في سائر العلوم، ما لا مزيد عليه، وكان لـه اعتناءٌ بالدرايـة، أكثر من الروايـة، ويرى الاشتغـال بها قصوراً، كمـا هـو شأن علماء العجم، ولـه عارضةٌ في علوم المناظرة.

قال: ولم أر أمراً أغمصه عليه، سوى ضعف علم العربية فيـه، لأجل ذلك ربما يقع منـه في البحث قصورٌ من جهة علم العربية، وله اقتصارٌ على القواعد المتداولـة منـه، وكان يجري على لسانـه كثيراً فتحُ همزة «إن» بعـد «حيث»، قال: وكنت أستحي أن أذكر له ذلك، حتى جرى ذكره يوماً، فقلت له: رجَّح أكثر النحاة فيها الكسر، وعدوها من المواضع التي تكسر فيها «إن»، فأنكر ذلك، وأعانه الحاضرون؛ لقصورهم، وقالوا: إن ابن مالك لم يعدها في المواضع التي تكسر فيها إن، وذلك دالٌّ على أنها مفتوحة، فقلت لهم: ليس في كلامه ما يدل على حصره مواضع الكسر، ومع ذلك، فلم يتناولها ضابط الفتح أن[1]؛ حيث لازمـت الإضافـة إلى الجمل، فإذا كانت في أول جملة، لزم كسرها، إلى غير ذلك من الحجج، فلم يلتفتوا لقولي، ولم يكن بيدي - إذ ذاك - من كتب الفن ما أستظهر به عليهم، فأعرضت عنهم.

قال: وعلى كل حال، فلم ألق بالبلاد المشرقية كلها أقوى منه عارضةً

---

(١) كذا في الأصل، والصواب حذف «أن».

في علوم المناظرة وتقريرها، وكان لا يستحسن قراءة الحديث روايةً، ويقول: أي فائدةٍ في سماع الحديث من غير بحث عن معناه، منطوقاً ومفهوماً، وما فيه من عموم وخصوص، والنظر بينه وبين معارضه، وما يؤخذ منه من الأحكام، إلى غير ذلك من فوائد قراءة الحديث.

ولا شك أن ما ذكره هو دراية الحديث وفائدته الغائية، ومع ذلك، فلا ينكر فضل رواية الحديث، وفائدته وثمرته؛ فإنه علمٌ شريفٌ قد اعتنى به قدماء الأئمة، وتفننوا فيه، وأكثروا فيه التأليف، ونظموا ونثروا، وشرحوا وحَشَّوا، وقد قلَّ اعتناء أهل العصر به، كما هو شأن علماء العجم، فليس لهم به إلمام، ولا لهم عليه تعويل، متقدمهم ومتأخرهم إلا القليل، ولذلك يقع للمفسرين منهم والفقهاء أوهامٌ كثيرةٌ، واستدلالٌ بأحاديث ضعيفة، بل وموضوعة، إلى غير ذلك مما لا يخفى على متأملٍ كلامهم.

وألف «شرحاً» بالمدينة على شفا القاضي عياض، وأخبرني بعض أصحابنا: أن بيته الذي كان يسكن فيه، في الرباط المقابل للحجرة الشريفة، فيه كوةٌ تقابل الحجرة، وكان يجلس وقت التصنيف بإزائها، مكشوفَ الرأس، مستقبلَ الحجرة، بأدبٍ وتواضعٍ، فكأنه يستمد من الحضرة النبوية، وما أجدرَ بحصول المدد، مَنْ طالب نفسه بالقيام بأدب الحضرة النبوية، وأشعرَ نفسَه بعضَ ما لها من التعظيم والإجلال! وكان المترجم ممن رزق السعادة في ذلك.

قال الشيخ عبدالله العياشي: ما رأيت في المجاورين وسكان البلد، من يدانيه في ذلك، فضلاً عمن يساويه، ولقد كان ﷺ محل تدريسه بالحرم الشريف، لا يجلس إلا مستقبل الحجرة بوجهه، وإن جلس أحدٌ بينه وبينها بحيث يحول بينه وبين رؤيتها، أقامه، وحَوَّله عن يمينه أو يساره، فتكون حلقة

تدريسه منفرجةً من ناحية الحجرة، وفي ذلك أدبٌ منه ومن المجالس؛ لأنه يستدبر بذلك الحجرة الشريفة المطهرة.

قال: وما أحسنَه أن يلقَّب بين المتأخرين بإمام الحرمين؛ كأبي المعالي في الأقدمين؛ لأنه مكث فيهما زيادةً على المدة التي مكثها أبو المعالي، وهو يعلِّم ويدرِّس، ويجيب السائلين، وكان له في بلاد الهند رياسةٌ عظيمةٌ، ونيافة قدر بين علمائها ورؤسائها، وله هنالك أولاد وديار ودنيا عريضة، وترك كل ذلك رغبة في جوار المصطفى ﷺ.

وكتب إليه تلميذه الشيخ عبدالله العياشي أبياتاً، يطلب أن يقرأ عليه شيئاً من كتب المعقول، وأن يلقنه الذكر على طريق النقشبندية، وهي قوله:

أمولايَ بدرَ الدين إني ظمآنُ ... لما أنت فيه من علومكَ ريّانُ
فإنك بحرٌ بالمعارف موجه ... بحر موجه الدهر عرفانُ
فلا تمنعَنْ ذا غُلَّةٍ من صُبابَةٍ ... وقد جاء يسعى نحوَكم وهو لهفانُ
وحاشا تردُّ الكفَّ صِفرًا ونحوكم ... على طمع مُدَّتْ وعلمُك طريانُ
أَنِلْه بفضل حكمة في هداية ... فليس بما أنعمت عندي كفرانُ
ومُنَّ بإصلاح الجَنان بمنطقٍ ... وإيقاظِ قلب دائمًا هو سكرانُ
وتلقينِ ما لُقنتم من شيوخِكم ... فكان لكم بالله علمٌ وإيقانُ
وإن مرادي في انتسابٍ إليكم ... يُنال به عفوُ الإله وغفرانُ
فإن جدت من قصري بما أنتَ أهلُه ... فذلك فضلٌ من علاكَ وإحسانُ
وإن كان منعي أنني أنا أهلُه ... وفضلُك منه ليس يُمنع إنسانُ
فلا زلتَ تولي الفضلَ من جاء قاصدًا ... وتكسو لباسَ العلم من هو عُريانُ

فأجابه لملتَمَسه، وأقرأه ولقنه، وحصل له منه انتفاعٌ تامٌّ.

ولما قدم المدينة الشيخ العلامة محمد بن سليمان الروداني المغربي، كتب إلى المترجَم سؤالاً منطقياً، وهو شكلٌ من القياس الشرطي، يشتمل الحد الوسط منه على جزء غير تام، ما كيفية رده إلى أحد أشكال الحملي، وتبجح السائل بأنه صعب المرمى، يقرب من المعمَّى، فاستسهل الأمر فيه أولاً قبل تأمله، ثم إنه توقف في الجواب بديهةً، وطلب مراجعة كتب الفن، فشنع عليه بعض الطلبة استمهاله، مع الاحتياج فيه إلى المراجعة والتوقف.

وصادف ذلك مجيء الشيخ أبي مهدي عيسى الثعالبي المغربي من مكة إلى المدينة، وكانت له عارضةٌ قويةٌ في علم المنطق، فطولع بالسؤال، وكان له علم بتلك المسألة، فأجاب فيها أحسن جواب، فآل الأمر إلى أن كتب في المسألة المترجم، وكتب إلى الشيخ عيسى، فأورث ذلك جفوةً بينهما، وزعم أن السائل والمجيب قصدا امتحانه، وقد ألف الشيخ أحمد بن تاج الدين الرئيس المدني رسالةً جمع فيها كلام السائل والمجيبين، ونقل كلام كل واحدٍ، وصوب ما ظهر له تصويبه، وحكم بخطأ غيره.

[٧٢٧] أبو بكر بن أحمد صاحب الحال الزيلعي.

ورُفع نسبُه في ترجمة أخيه.

شيخُنا الجمال محمد، أحد العلماء الأخيار، الذين يؤثرون الخمول على الظهور، والأولياء الأبرار، الذين لا يشغلهم عن الله سبحانه شاغل، ولا يعتريهم من عبادته فتور، ومن المتحلين بالصدق والعفاف، والمتصفين بمحاسن الأوصاف والإنصاف، والملازمين للصلاة مع الجماعة، والقائمين

بحقوق الطاعة حسب الاستطاعة.

وُلد بـ «اللحية» عام سبعة عشر بعد الألف ـ كما أخبرني من لفظه ـ، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوَّده، وأخذ عن أبيه، ثم لازمه[1] بعده أخاه محمداً ملازمةً كثيرةً.

وعنه أخذ جمعٌ من علماء اليمن، وأجمعوا على مهارته في العلوم الشرعية، وقد اجتمعتُ به ببلده، وبيني وبينه محبةٌ أكيدةٌ، ومودةٌ شديدة.

ووقع لي منه مكاشفاتٌ عديدةٌ، منها: أني هممت بأمر غير مرضي شرعاً، وصممت على فعله في باطني، فصادفته بعد ذلك، فبمجرد أن رآني، وسلمت عليه، قال لي: ما هذا الحال يا مصطفى؟ قل: يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك، وكررَ ذلك، وهو في غاية التعب مني، فاقشعر حينئذٍ جلدي، ورجعتُ عما أضمرت في قلبي ـ ولله الحمد ـ.

توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الأحد، ثامن عشر صفر، سنة ألف ومئة وست، ببلدة اللحية، ودفن بتربة أبيه وسلفه ـ رحمهم الله ـ.

[٧٢٨] أبو بكر بن أحمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ ابن الشيخ عبدالله العيدروس ﷺ[2].

صاحب دولة إياد، [و]أحد الأسخياء الأجواد، وأحد من ترتجى الرحمة بذكره العباد، المتسربل بسربال الورع والتقى، المتعلق بأستار الوفا والارتقا، الفاضل العالم الفقيه، والعامل الذي لا يقوم الحكماء بما جمع فيه.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: لازَمَ.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٧٠).

وُلد بـ «بتريم»، ونشأ بها، وحفظ القرآن وغيره من كتبٍ ورسائل، وصحب أباه، وتربى تحت حجره، وحذا حذوه في مده وجزره، ثم اشتاق للسفر، الذي هو رَوْح للنفوس والخواطر، وأشرحُ للصدور وأقرُّ للنواظر.

فدخل الديار الهندية، وارتفعت رتبته العلية، وهبَّت عليه من ملوكها رُخاء الإقبال، وعاش في أنضر عيشٍ وأنعم بال، واجتمع بأعظم سلاطين تلك الديار في ذلك الزمان، وهو السلطان خُرّم شاهجهان، وحصل له منه من يد الإنعام والإحسان، وقرر له مؤنته كل يوم من ملبوس ومطعوم، ثم ترادفت عليه الفتوحات الباطنة والظاهرة، وتزايدت لديه الخيرات في الدنيا والآخرة.

وهو على ما جبله الله عليه من حين خرج من حجر أبيه؛ من إطعام الطعام، وصلة الأرحام، وبذل الجاه والنفع العام لجميع الأنام، ثم قطن بالمدينة المسماة بـ: دولة إياد، التي لم يخلق مثلُها في البلاد، فصار فيها ملجأ للوافدين، ومأوى للغرباء والفقراء والمساكين، وظله الضافي الوريف ممدوداً على الداني والشريف، والقوي والضعيف، لا يعتريه سأم ولا ملال، ولا يشوبه نقص ولا اختلال، مع خُلقٍ ألطفَ من النسيم، وأعذبَ من التسنيم، والمواظبة على السنن الشرعية، والوظائف النبوية، ولم يزل بدولة إياد، نفعاً للعباد، إلى أن انصرمت من الحياة أيامه، وقُوِّضت منها خيامه، وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين وألف، وقبره هناك معروف.

[٧٢٩] أبو بكر بن أبي القاسم صائم الدهر[1].

صاحب القبة المنيرة ببيت الفقيه الزيدية، ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦٤).

محمد النجيب أخي أبي بكر الملقب بالعربادي، ابن علي بن محمد النجيب ابن حسن بن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن حسين بن آدم ابن إدريس بن حسين بن محمد الثقفي[1] الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ.

كان شيخاً من مشايخ الطريقة، صاحب كراماتٍ مشهورةٍ، وأحوالٍ مذكورةٍ، روي عنه: أنه قال: من رآني ورأيتُه، دخل الجنة، وأموت متى شئت بإذن الله، وإن شئت أكلت الطعام، وإن شئت تركته عصمة من الله[2]، روى عنه السيد الطاهر بن البحر، وكانت وفاته سنة اثنتين بعد الألف.

[٧٣٠] أبو بكر بن أبي الوفا الحلبي المجذوب.

أحد أكابر الأولياء بحلب، والمشهورين بها بالكرامات الخارقة، كان يغلب عليه الحال، فيغيب أياماً لا يشعر بنفسه، ولا يأكل ولا يشرب، توفي ـ رحمه الله ـ في نيف وأربعين.

[٧٣١] أبو بكر أبو المواهب بن سالم بن أحمد بن شيخان بن علي ابن أبي بكر بن عبد الرحمن عبود بن علي بن محمد مولى الدويلة بن علي ابن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدَّم ﷺ[3].

---

(١) هكذا في النص، ولعلها سبق قلم من الناسخ.

(٢) هذا كله من دعاوى أهل التصوف، وإلا من يستطيع القول بضمان الجنة، أو العلم بوقت الوفاة، إلا من أُصيب في دينه أو عقله، نسأل الله السلامة.

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٢).

الفائقُ الأوصافِ والنعوت، الملحوظُ بعين الحيِّ الذي لا يموت، المتفرعُ من دوحة المعارف والعلوم، المترعرع من صاحب السرِّ المكتوم، البارع في المدارك والفهوم، أحدُ من أوتي الحكمة وفصلَ الخطاب، وجليت عليه عرائس توارت بالحجاب، ملك نفسَه عن المعاصي وحصرها، ولسانَه عن الفضول، فلو شاء العادُّ أن يعدَّ كلماته، لحصرَها.

وُلد عصر يوم الثلاثاء، عاشر جمادى الأولى، سنة ست وعشرين بعد الألف، بمكة المشرفة، ونشأ بها، ولحظته بالسعادة عناية ربها، وغُذي بلبانها، ورتع في ميدانها، وتربى تحت حجر أبيه، وبث ما فيه في فيه، وصحبه فأغناه عن التردد إلى غيره، ومنحه ما عنده من خيره وبره.

ولزم العمل والعبادة، وسلك طريقَ السعادة، ونَهَجَ أجدادهِ وسلفه من السادة، وعُني بطريقة الصوفية، وتدرَّع جلبابَها، وتلفَّع بأثوابها، وأخذها عن الشيخ العارف بالله أحمد بن محمد المدني الشهير بالقشاشي، وعن السيد الجليل محمد بن عمر الحبشي، وحضر دروس شيخنا محمد بن علاء الدين البابلي.

وصحب جماعةً من أكابر العارفين، والأئمة المشهورين، منهم: السيد الجليل علوي بن علي بن عقيل، والسيد محمد بن علي بلفقيه، الشهير كسلفه بالعيدروس، وأكبَّ على كسب العلوم وتحصيلها، وجمعِها من أهلها وتأصيلِها، وجدَّ في ذلك حتى فاق أقرانه الأفاضل، وحاز فصاحةً وأدباً يقصر عنها[1] يد المتناول، ونثرَ ونظم، ففاق من أنشأ ونظم، وقام مقام أبيه بعد موته، وأحيا

(١) كذا في الأصل، والصواب: تقصر عنهما.

مآثره التي كضوء على عَلَم، وأثبت في صحائف الصحائف ما يقال عند رؤيته: ومن يشابه أبَـهُ فما ظلم، فكان ينظم من بديع الألفاظ قلائدَ العقيان، ويزفُّ من عرائس الأفكار ما تقصر[1] عن نيله يدُ الأقران.

وأخذ عن والده ـ أيضاً ـ الخرقةَ الصوفية بجميع طرقها، وكذلك طريقة النقشبندية، والذكر السري والجهري، واجتمع إليـه أصحاب والـده، وأقام أعماله من خالده وتالده، واعتنى بتلك الطرقـات، وأحيـا تلك الحضرات، وأعاد عليهم تلك العوائد والصلات، واستمر سنتين على ذلك، ثم ترك تلك المسالك، وفَضَّ تلك الجماعات، وأقبل على الطاعات، وسار أحسن سيرة، وما يرضاه عالم العلانية والسريرة.

ولم يزل حافظاً للسانه، مقبلاً على شانه، حتى انقضت مدته، وتمت عدته، فانتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد، سادس صفـر، سنـة خمس وثمانين وألف، بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة، بالحوطة الشهيرة، في قبر والده وجده وجد أبيه ـ أسكنهم الله فسيح جنته، وتغمدهم برحمته ـ.

وله مؤلفاتٌ، منها: «شرحٌ كبيرٌ على منسك الحج للخطيب الشربيني».

وله شعرٌ كثيرٌ، منه قوله . . .[2].

[٧٣٢] أبو بكر بن حسين بن محمـد بن أحمـد بن حسين ابن الشيخ عبدالله العيدروس[3].

---

(١) في الأصل: يقصر، والصواب ما أثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذُكر الشعر، وترك صفحة ونصف بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨١).

نزيل مكة المشرفة، الضرير، السيد الكبير، العَلَم الشهير، صاحب الأحوال والمقامات، والمناقب العليات.

وُلد بـ «تريم»، سنة سبع وتسعين وتسع مئة، وحفظ القرآن العظيم، وُكفَّ بصره وهو صغير، وحفظ بعض المتون، واشتغل بتحصيل الفنون، وسمع بقراءة أخيه علوي، وغيره من مشايخ عصره، وصحب أباه وأعمامه، ولبس الخرقة الشريفة من كثيرين، وبرع في الحديث والفقه والتصوف، لكن غلب عليه التصوف، وأخذه عن جمعٍ كثير.

ثم رحل إلى مكة المشرفة فحج، وقضى مناسكه العج والثج، وزار جده محمداً ﷺ، وأصحابه الكرام، وحصل له مزيد الإسعاف والإسعاد، وعاد إلى مكة بالفتح والإمداد، ولقي بالحرمين جماعةً لا يلقون بالمشرقين والمغربين، من العلماء العارفين، والأئمة المعتبرين، منهم: السيد المعظم عمر بن عبد الرحيم، والداعي إلى الله في السر والإعلان، الشيخ أحمد بن علان، وغيرهم من الأكابر والأعيان، وشهد له بالكمال، غيرُ واحدٍ من مشاهير الرجال، ولبس الخرقة من جماعةٍ كثيرين، في اليمن والحرمين، وأذنوا له في إلباسها، فلبس منه خلقٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ.

وجلس للتدريس، في كل علم نفيس، وانتفع به جماعةٌ من العلماء، وغيرُ واحدٍ من الفضلاء، وممن أخذ عنه، وصحِبَه في الدين، نحوَ عشر سنين: شيخنا السيد محمد الشلي ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى عليين ـ، وكان من أكمل المتأخرين، في العلم والدين، سالكاً سبيل السادة الأقدمين.

وكان له خلقٌ ألطفُ من نسيم الأسحار، وأزهى من محاسن الأزهار،

مع وقارٍ عليه سيما الجلال، وهيبةٍ لا يقوم الضرغام عندها لنزال، يعفو عمن هفا، ويحسن إلى من أسا، ويقيل من عثر، ويصفح عن الجاني إذا قدر، وكانت له مجاهداتٌ لم تكن لأقرانه بها قُدرة، ولا يعتريه ما كان يعتري غيره من الفترة، وكان أكثر كلامه الوعظ والنصيحة، بألفاظٍ حسنةٍ فصيحة.

ولم يزل بمكة محمود السيرة، على ما يرضاه عالم السر والسريرة، عاكفاً على بث العلم ونشره، مؤرجًا الأرجاء بطيبه ونشره، إلى أن انقضت مدة عمره، وآن أفول قمره، فتوفي بها لتسع خلون من صفر، سنة ثمان وستين وألف، ودفن بالمعلاة، في حوطة بني علوي، وقبره بها معروف ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[٧٣٣] أبو بكر بن سعيد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبدالله بن علوي بن أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدَّم ﷺ، اشتهر جده عبد الرحمن بالجُفْري[1] ـ بضم وسكون الفاء ـ[2].

الناسك العبّادة، صاحب الورع والزهادة، والفضلِ والاستفادة، محله في ذلك معروف لا يُنكر، وقدره فيه معرفة لا تنكَّر.

وُلد بقرية «قَسَم»، ونشأ بها، واستوفى ما قدره الله وقسم، وتربى في حجر أبيه، وبث فيه ما لديه، ثم رحل إلى مدينة «تريم»، فوجدها مشحونة بالفضل الجسيم، فحضر بها مجالس العلم والعرفان، وأكثر الأخذ عن الأفاضل

---

(١) في الأصل: بالجعفري.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٤).

الأعيان، وصحب مشايخ عصره، وعلماء دهره.

فمن مشايخه بتريم: الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، وولده زين العابدين، والشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس، والقاضي أحمد ابن حسين بلفقيه، والعلامة أبو بكر بن شهاب الدين، والشيخ الجليل أحمد ابن عبدالله بافضل الشهير بالسُّودي، والشيخ الكبير زين بن حسين بافضل، وصحب بـ «عينات» أولاد الشيخ العارف بالله أبي بكر بن سالم، منهم: الحسين، والحسن، والمحضار، والحامد، وأخذ عنه العارف بالله حسن بن أحمد باشعيب.

فلما اشتد كاهله، وصفت له من الفضل مناهله، اشتاقت نفسه إلى السياحة، والانتقال من ساحة إلى ساحة، فساح في الأرض، وطوى منها الطول والعرض، ودخل بندر الشحر المعمور، وأخذ به عن السيد حسن باعمر المشهور، وعن النور الأمجد، السيد ناصر بن أحمد، ودخل بندر عدن المحروس، وأخذ به عن جماعة من بني العيدروس، ثم رحل إلى الوهط، للسيد الولي عبدالله بن علي، فأخذ عنه، وصحبه ولازمه مدةً.

ثم رحل إلى الحرمين، فأدّى النسكين، وزار جده سيد الكونين، ـ عليه أفضل صلاة المصلين ـ، وجاور بهما، وأخذ عن جماعةٍ فيهما، منهم: السيد العظيم عمر بن عبد الرحيم، وصاحب العرفان، الشيخ أحمد بن علان، وابن أخيه محمد بن علان، والسيد محمد بن عمر الحبشي، والسيد سالم بن أحمد شيخان، والسيد أحمد بن الهادي، والشيخ تاج الدين الهندي، والشيخ عبد الهادي باليل.

وكان يحضر شيخنا العلامة محمد بن علاء الدين البابلي، وصحب

السيد العارف بالله محمد بن علوي، وأخذ بالمدينة عن العارف بالله أحمد بن محمد القشاشي، والشيخ الإمام عبد الرحمن الخياري، والسيد العارف بالله السيد زين بن عبدالله باحسن، وغيرهم، ممن يطول ذكرهم.

ورحل إلى الهند، وأخذ عن جماعةٍ بها، فهو أوسع أقرانه رحلةً، وأرفعهم نحلةً، وما دخل بلداً إلا جنى ثمارها، واقتطف من محاسن أزهارها، وألبسه الخرقة الشريفة أكثر مشايخه المذكورين، وحكّموه وصافحوه التحكم والمصافحة المشهورين، وأجازوه في جميع مروياتهم، وجميع مؤلفاتهم، وفي التحكيم والإلباس من الناس، هذا مع تمسكٍ من التقوى بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة التي هي خير وأبقى، سالكاً من الشريعة على الصراط المستقيم، ومن الطريقة على السنن القويم، ففاح طيب الأعراق من نشر رياه، وأشرق الفلاح من محياه.

وكان يحج كل عامٍ بيت الله الحرام، ملازماً للنوافل والأذكار، في الليل والنهار، والقيام في الأسحار، في الحضر والأسفار، مواظباً على الجماعة في الصف المقدم، وزيارة قبر الأستاذ الأعظم، الفقيه المقدم، ثم انقطع بمدينة تريم، ولزم درس السيد العظيم، ذي الإرشاد والإمداد، عبدالله بن علوي الحداد، قانعاً من الدنيا باليسير، ومن المؤنة بالحقير، مع مزيد التواضع والتقشف، فهو ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

وكانت يداه بالكرم مبسوطتين، لا سيما على الفقراء والمساكين، له خلقٌ ألطف من النسيم، وحلم معه الأحنف لا يستقيم، وأصيب آخر عمره في أنفه بداء، لم يجد له دواء، وعجز عنه حذاق الأطباء، فاستسلم لأمر الله، ورضي بقضاء مولاه، حتى انقضت مدة الحياة، وانتقل إلى رحمة الله سنة ثمان وثمانين وألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٤] أبو بكر بن بركات الشيخ تقي الدين الميداني الصوفي الشافعي، المعروف بابن الموصلي، أخو الشيخ أبي الفضل لأبيه، وأمُّه بنت الشيخ شهاب الدين المحوجب القبيباتي[1].

كان فاضلاً له سخاءٌ وإقدامٌ في الأمور، وكلمةٌ نافذةٌ في أهل محلته، ومساعدة لإخوانه عند الحكام وغيرهم، له دنيا عريضة، وثروةٌ واسعةٌ، وهو ملازمٌ لفعل الخير والإحسان للفقراء، والإعانة لعموم المسلمين في كل أمر مهمّ.

وبالجملة: فإنه كان من أخيار أهل دمشق وأكابرهم، توفي يوم الأربعاء، حادي عشر جمادى الأولى، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بتربتهم، بالقرب من مسجد النارنج ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٥] السيد أبو بكر بن أبي القاسم، هو صاحب النفحة ابن أحمد الأهدل[2].

كان على جانبٍ عظيمٍ من العبادة، والورع والعلم والعمل، وكانت أوقاته معمورةً بالذكر والعبادة، ونشر العلم، وتوزيع الوقت على الأعمال الصالحة؛ والتدريس والفتوى، وغير ذلك، وله مصنفاتٌ بديعةٌ في فنون شتى، وقريحة من الشعر بليغةٌ، ومسكنه المحط من أعمال رفع، وله بها زاويةٌ مشهورةٌ.

وكان عم والدته السيد الشهير أحمد بن عمر الأهدل، يلقبه بالفقيه العالم، وكان يشبهه بجده أبي بكر بن أبي القاسم المعمر، ولبس صاحب

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤٦) (٨١).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٦٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

الترجمة الخرقة من الشيخ الزين بن الصديق المزجاجي ـ رحمهما الله تعالى ـ.

ومن مؤلفاته: «نفحة المندل في أخبار بني الأهدل» المتقدم ذكرها، وهو كتابٌ في غاية الحسن، لم يسبق في بابه إليه، ولم يعرِّج أحدٌ على ما عرَّج عليه، نسب السادة المذكورين، وبعض شيءٍ من فضلهم المبين، وجملة من علمائهم الراسخين، والأئمة العارفين، ورشحه بذكر شيوخه ومروياته، وإجازاته ومسموعاته.

وكانت وفاته ـ نفع الله به ـ عام ستة وثلاثين بعد الألف، وأمُّه خديجة بنت محمد بن عمر بن أحمد بن زين العابدين بن محمد بن سليمان، وفي محمد هذا تجتمع مع والده ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٦] أبو بكر بن عبدالله المهندس.

كان شيخاً جليلاً، قرأ على السيد أبي بكر بن أبي القاسم الأهدل، وتهذب به، وتوفي ببيت الفقيه بن عجيل، رابع عشر شهر رجب، سنة إحدى وأربعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٧] أبو بكر بن صالح الكُتامي الشامي(١).

الشيخ الإمام، العلامة العارف بالله ـ سبحانه وتعالى ـ.

كان من أجلاء أئمة الدين، وأكابر العلماء العاملين، ومن المشهورين بمصر في علوم الهيئة والميقات والفلك، وكان في علم الأوفاق والزايرجا آيةً من آيات الله الباهرة، وكان له يدٌ طولى في وضع كل وفق أراد؛ كالوفق المئيني

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٥).

وغيره، وكان منقطعاً في خلوة بجامع الطباخ، قريباً من البيبرسية[1]، قريباً من باب اللوق.

وله ماجريات مشهورةٌ في العلوم الحرفية، ومؤلفاتٌ كثيرةٌ منها: كتابٌ سماه: «المنهج الحنيف في معنى اسمه تعالى لطيف» ذكر فيه جميع ما يتعلق بالاسم الشريف، من الشروط والدعوات، وتقسيم الأعداد إلى خمسة عشر قسماً، وما يتعلق به من الخواص، توفي بمصر، في فصل مقصود باشا، سنة إحدى وخمسين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٣٨] أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي قعود السنفي الحنفي، الشهير كأبيه بقعود[2].

كان من أكابر علماء الظاهر والباطن، وله في علم الخبر والحروف والأسماء الملكة التامة، وكان مشهور البركة بمصر، في التمائم والعزائم وأشباهها، وله معرفةٌ تامةٌ بعلم الأوفاق والأسماء، وله في هذه الفنون مؤلفاتٌ كثيرةٌ، وكانت الوزراء والأمراء بمصر تأتيه للتبرك به، وجلالتُه أشهر من أن تذكر.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وقرأ على والده، وعلى الشمس الرملي، والنور الزيادي، وعلي بن غانم المدرسي، ومن في طبقتهم، وأخذ علوم الطريق عن السيد صبغة الله، وعن تلميذه أحمد الشناوي الخافي، وأجازاه كتابةً ولفظاً، ورجع إلى مصر، وأقام بها، وفي أثناء ذلك توجه إلى دمشق، وأخذ عنه كثيرٌ

---

(١) في الأصل: البرسية.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٧٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٦٢٧) (٣٥٥).

من علمائها؛ كالشيخ أيوب الخلوتي، وعماد الدين، وشهاب الدين، وإبراهيم ابن شيخ الإسلام عبد الرحمن العميري، ثم عاد إلى بلده، إلى أن توفي يوم الخميس، رابع عشر شعبان، سنة اثنتين وستين وألف، ودفن بتربة المجاورين.

توفي والده أحمد، سنة سبع بعد الألف، وسبب شهرة أحمد بقعود: أنه حج صحبة الأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، فأركبه قعوداً كان الشيخ يركبه، فلما وصل إلى المدينة الشريفة، مات القعود، فتعب لذلك تعباً شديداً، فقال الشيخ: لا تتعب، نُركبك أحسنَ منه، فلم يفده، وذهب وهو متغير الحال إلى النبي ﷺ، وذكر ذلك تجاه الضريح الشريف، فما رجع إلا والجمَّال جاء إلى الشيخ وهو يخبره وهو يتعجب: أن القعود حيّ، فسُر بذلك، واشتهر من ذلك الحين بقعود، وله في ذلك قصيدة، مدح بها الأستاذ البكري، منها:

أحنُّ إليكم كلما عَنَّ ذكرُكم ولا غرو إن حنّ القعودُ إلى البكري

وله تذكرةٌ جمع فيها من لقيه من الشيوخ وعاصره، وكثيراً من نظمه، وله «منظومةٌ في النحو»، ومؤلفاتٌ في فنون.

[٧٣٩] أبو بكر بن عيسى بن أبي بكر بن عيسى...[1] بن محمد بن عيسى ابن الأستاذ أحمد بن عمر الزيلعي.

كان صاحب الترجمة مراد الله في حركاته وسكناته، كثير الاستغراق، قليل الصحو، كبير الحال، له إشاراتٌ غريبةٌ، ومقالاتٌ عجيبةٌ، وكان إذا غلب

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد لفظ عيسى الأخيرة نصف سطر بياض».

عليه الحال، يخشى أهله سطوتـه على الناس، ويخافون على أنفسهم منـه، فيحلون إزاره الذي يتزر به، فلا يقدر على ربطه، ولا يستطيع القيام من مكانه، ولا يخرج إلى مكان حتى يصحو من غيبوبته.

وكان يُخبر بالمغيبات، ويُرجَع إليه في المعضلات.

وكان أهل الجلاب إذا سافروا في البحر، وحصل لهم شدةٌ في البحر، يذكرونه، وينذروا له بشيء، فيزوره عندهم عياناً، وينجيهم الله ببركته، وإذا جاءوا إلى «اللحية» طالبهم بالذي نذروه له، وكان كثير الخمول، مغلظ القول على الـدولـة، ولا يستطيعـون الانتقـام منـه، ويطلـب منهم الـذي يريـد، ولا يمنعوه[1]، وإذا أخذ منهم شيئاً، ذهب به إلى نساءٍ ورجالٍ منقطعين.

وكانت وفاته في حياة والده، وهو شابٌّ ناهز الثلاثين ـ رحمه الله ـ في نيفٍ وسبعين بعد الألف باللحية، ودفن بقرب تربة جده ـ نفع الله به ـ.

ومن كراماته: أن والده جاء إلى بعض أصحابه بعد موته يشكو له ما حل به من التعب بعده؛ من ضيق اليد، وأنه كان في زمنه لا ينقطع الرزق من بيته، فأجابه صاحبه بقوله: إن بركته ـ إن شاء الله ـ حاصلةٌ حياً وميتاً، وقام من عنده، فما مضت ساعةٌ حتى أتاه رجلٌ يسأل عن ولده، فأخبره بموته، وكان نَذَر له بشيءٍ كثيرٍ من المال، فدفعه لوالده ـ رحمه الله تعالى ـ.

وأخبـرني بعض أصحابنـا الصـالحين من أهل اليمـن: أنهم لما مشوا بجنازته، أظلتها طيورٌ لا يحصى لها عدد، وسمع صوت أعلامٍ كثيرةٍ، وحصل للناس بذلك غاية الخشوع.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يمنعونه.

[٧٤٠] أبو بكر بن المقبـول بن عبد الغفـار بن أبي بكر بن المقبـول قعيش، الصائم رمضان في المهد ابن أبي بكر صاحب الحال الأكبر بن محمد ابن عيسى بن سلطان العارفين أحمد بن عمر الزيلعي، صاحب اللحية[1].

كان شيخاً جليلاً، كامل العقل، غزير الفضل، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ذا رأي ثاقب، محباً للفضائل، تاركاً للرذائل، باذلاً في أماكن العطاء، ممسكاً في أماكن الحزم، مرجعاً عند الخطوب، مفزعاً عند ما ينوب، جالياً للمشكلات، بغريب الكرامات.

ولد باللحية، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وأخذ عن والده، وتخرج بأخيه العارف بالله أحمد السطيحة، وجد واجتهد، حتى صار أحد مفاخر اليمن على الشام، والمغني بوميضـه عن كل بارقٍ، فما أحـدٌ لبارق من بعد لائحه شام.

روي: أنه لما قدم قانصوه باشا، متوجهاً إلى اليمن، كان المترجم بمكة، فوُشي به إليه، وأنه هو صاحب اللحية وسلطان نواحيها، وواحدها بلا خلاف، وإنسان عين أهليها، وأنه لا يتم له الأمر حتى يقتله، فأتوا به وقت العصر إليه، على حالةٍ غير مرضيةٍ، وذهب معه تلميذه الفقيه مقبول بن أحمد المحجب، فلما دخلا[2] عليه، قام لهما، وتلقاهما وأجلسهما مكانه.

فلما جلسا، أُسكت، ولم يقدر على الكلام والتحرك، واستمر مطرقاً، وأتباعُه والجند واقفون، والجميع مبهوتون، حتى دخل وقت المغرب، فقال

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٧).

(٢) في الأصل: دخل، والصواب ما أثبت.

له: يا قانصوه! قم صل المغرب، فالتفت وقام كالمنتبه من نومه، وقال له: يا سيدي لك حاجـة نقضيها لك؟ فقال: لا حاجة لي عندك، وقام من عنده وزادت جلالته عنده، فلما ذهب من عنده، قال للفقيه مقبول: لعلك خفت منه؟ فقال: نعم، فقال: والله! ما دخلت عليه إلا وأُعطيت التصرف فيه، وفي عسكره جميعاً.

ولما قام من عنده، انقطعت سُبحته، فشرعوا في جمعها، وجمع معهم قانصوه ما تبدد منها، فقال الفقيه مقبول: اللهم شتت شمله، وفرق جمعه كما تفرقت هذه السبحة، واستجاب الله دعاءه، فإنه لما وصل إلى اليمن، وطغى وبغى، وقتل جماعة من السادة الأعيان، قامت عليه عساكره، وأرادوا قتله، فهرب في ليلةٍ منهم، وأتى طائعاً بنفسه إلى السيد الحسن ابن الإمام القاسم، وقال له: ها أنا بين يديك، فافعل بي ما تشاء، فقال له: لو جئتك على هذا الحال، ما كنت تفعل بي؟ قال له: أقتلك شر قتلة، فضحك، ثم سأله عما يريد، فقال له: تبلغني إلى مكة، فأرسل معه من جماعته من بلغه إلى مكة، ثم توجه منها إلى الروم، وتبدد عسكره، ومزق كل ممزق.

ومن خبر قانصوه هذا: أنه لما دخل اليمن، دخل بهيئـةٍ عظيمـةٍ؛ من كثرة العساكر والجند، وزيادة المال، وقوة السطوة، وكان بعض السادة بني بجر بلغه خبره، فأرسل جاسوساً من أتباعه إلى اللحيـة، وكان قانصوه بها، وقال: إذا خرج من اللحية، فابتعد[1] إلى بيت الفقيه الزيدية، وانظر هل يذهب لبيت عطا لزيارة سيدي أبي الغيث أم لا؟ فتبعـه حتى توجه من الزيديـة إلى

---

(1) في الأصل: فابتعدوا، والصواب ما أثبت.

الضحى، ولم يزره، فرجع إلى السيد وأخبره، فقال: هذا الرجل لا يتم له حالٌ باليمن، ولا يفتح عليه؛ فإن مفاتيح اليمن بيد سيدي أبي الغيث يعطيها لمن شاء، كيف شاء، بإذن الله، فكان الأمر كذلك.

ثم إن قانصوه أتى إلى هذا السيد، وكان قد زاد طغيانه، فقال له: اقرب عليّ عسى أقرأ عليك شيئاً من القرآن، فيشرح الله صدرك، فقال له: أنا صدري مشروحٌ بواسطة سيدي أحمد البدوي، ولا يقدر أحدٌ يتصرف عليّ ببركته، فإني أخذت العهد على خلفائه، وأنا من المنسوبين إليه، فقال له: سيدي أحمد البدوي نعلم أنه من أكابر أولياء الله تعالى.

وللمترجم من هذا القبيل كراماتٌ كثيرةٌ عند الناس مشهورةٌ، منها: أنه مرض في مكة مرضاً شديداً، أشرف فيه على الموت، فدخل عليه حينئذٍ الفقيه مقبول بن أحمد المحجب، وحزن عليه لما رأى حاله اشتد، ومرضه زاد، وقال في نفسه: إن هذا مرض الموت، فبمجرد ورود هذا الخاطر عليه، قال له: يا مقبول! لا تخف عليّ؛ فإني لا أموت إلا باللحية، فعوفي من ذلك المرض.

وقدم اللحية، فلما دخل بيته، تباشر أهله بقدومه، وفرحوا، وجمعوا نساءً ليفعلوا على جاري عادتهم من الغطرفة والغناء وغير ذلك، فنادى بناته وقال لهم: ما هذا الذي تفعلونه؟ أنا ما جئت عندكم إلا أموت عن قريب، فصاحوا؛ لما يعرفوه من حاله، فضايع الكلام حينئذٍ، وقال: كل أحدٍ يموت، وأبقاهم على حالهم.

وكانت وفاته ـ نفع الله به ـ عام اثنين وأربعين بعد الألف، وعمره تسعون

سنةً ـ تقريباً ـ باللحيـة، ودفن بقرب تربة جده الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي ـ نفع الله به ـ.

[٧٤١] أبو بكر بن محمد الدلجي الشافعي[١].

كان هذا الفاضل متضلعاً من علوم العربية، واحداً في العلوم العقلية، وُلد في حدود سنة خمسين بعد الألف بدلج من صعيد مصر، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوده، وقدم إلى مصر، وجاور بالجامع الأزهر، وحفظ عدة متونٍ في جملة فنـون، منهـا: «الألفيـة لابن مالك»، وكان يستحضر غالـب شرحها للأشموني، ويحفظ أكثر عباراته عن ظهر قلب، وأخـذ عن شيوخٍ كثيرين، منهم: شيوخنا: محمد بن علاء الدين، وسلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، ولازم العلامة منصوراً الطوخي، وزوجه ابنته، واختص به.

وكان ـ مع سلامة قريحته، وحسن ذكائه، وصحة تصور فطنته ودهائه ـ مبتلًى بالأمراض والأسقام، على مـدى الليالي والأيام، مسلِّماً لقضـاء الله، راضياً بما حكم سبحانه وأمضاه، متجرِّعاً مرارة مذاق الكد على فنون العلوم، متحمل الصبر على استنشاق دخان الآلام بين الفضلاء ذوي الأفهام، لا يزال رطب اللسان في شكر بارئه، عذب البيان في ذكر أياديه، حتى حام على فريسته الحِمام، وصال عليه صولة الأسد الضرغـام، فتوفي في شهر رمضان، عام خمسة وتسعين بعد الألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين.

قرأت عليه عدة كتب، منها: طرف من «شرح الألفية للاشموني»، ومن «الشرح المختصر على التلخيص» للسعد، ومن «شرحه على تصريف العزي»،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٥).

وصحبته كثيراً، ولازمته سنين وشهوراً، وطالما قلّد عنقي بفوائده مِنناً، وأذخر بذلك عند الله أجراً حسناً ـ رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الفردوس، وجمعنا به في دار القرار ـ.

[٧٤٢] أبو بكر بن محمود بن أبي بكر بن أبي الفضل العمري الدمشقي الشافعي، الشهير بالعصفوري[(١)].

صاحبنا الأديب الشاعر، الكاتب الناثر، له من بديع الشعر فنون، ولطيف الحاضرة ما يعجز عنه الواصفون، إلى فضلٍ جسيمٍ، وخلقٍ عظيمٍ، وطبعٍ كريمٍ، وشيمٍ حسنةٍ، وأفعالٍ مستحسنةٍ.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وبرع وتأدب، ورحل إلى مصر وتوطَّنها، وأخذ بها عن جمعٍ، منهم: شيخنا حافظ العصر محمد بن علاء الدين البابلي ـ رحمه الله ـ، وغيره، وشرع في نظم جملةٍ من سيرة النور الحلبي، ونظم منها جملةً كافيةً، رجزاً بديعاً، ولم يتمه، أوقفني عليه، أجاد فيه كل الإجادة.

وشعره كثيرٌ، جمع منه ديواناً، جعله باسم الأستاذ الشيخ محمد بن زين العابدين البكري ـ قدس الله روحه ـ، وكان من الملازمين لحضرته السامية، ثم من بعده لولده سيدنا رئيس الديار المصرية، الشيخ زين العابدين ـ فسح الله في مدته ـ.

توفي المترجم يوم السبت ثاني جمادى الثاني، سنة اثنتين ومئة وألف

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨١)، وذكر وفاته في ١٠٩٢هـ، وسماه أبو بكر بن محمود المشهور بابن عصفور الشامي، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٠٤) (١٧)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٦).

بيولاق، ودفن بتربة الشيخ فرج، عند قصر الأستاذ البكري ـ رحمه الله ـ.

ومن بديعه، وهو مما يتغنى به في عصرنا؛ لأنه في الطريق الغراء في غايةٍ لا تدرك، قوله مادحاً له، وكان ملازماً لمجلسه العالي بالأزبكية بالقاهرة المحروسة.

عِيذت بك الدنيا وعِيدَ لـك الهنـا	واعتدّتِ الحسنى وعُد لك المنـى
عجبًا لمن نظـر الهـلالَ ومـا درى	أن الهــلالَ إذا بــديْتَ لــه بــدا
شـغفاً بطلبتــك التــي قــسماتُها	مهما تندَّتْ تنكسفْ شمسُ الضحى
وبغــرةٍ قمريـــةٍ فـــي طـــرةٍ	سنجيةٍ كالبدر فـي غسقِ الـدجى
وبـصبحِ وجــهٍ إن تبــسم ثغــرُه	يبدو الصباح ويَحمد القومُ السرى
غسقٌ على شفقٍ علـى قمـرٍ علـى	فننٍ على غصنٍ على دِعْـصٍ عـلا
ما البدرُ ما الشمسُ المنيرة ما الضحى	ما الظبيُ ما الرشأ الشويدن مـا الطـلا
أرأيــت رائعــةَ الفــلا أرأيــتَ آ	لفـة العـرا أرأيـت شـاردةَ المهـا
مثل الغزالة في السماء وفي الفـلا	فهما وأنت إذا اعتبرت سَـوا سَـوا
يـا قـاتلي مـن غيـر مـا ذنـبٍ ألا	تدنو فتبصر مـا لقيـتُ مـن النـوى
قلبـي تمـزق فيـك كـلَّ ممـزقٍ	أسمعتَ ما قـالوه فـي أَيـدي سَـبا
أَلِف الـضنى جسمي فلـو فارقتـه	لضنيت من أسفٍ على فقد الضنى
وتعودت عيني السهادَ فلـو غفـتْ	لرأتْ خيالَ السهد في سِنَةَ الكرى
وألفتُ سمعَ العذلِ حتى لو صـغتْ	أذنـي لغيـرِ العـذل شـقيت القبـا
وعلمــت أن الــصبر مــرٌّ طعمُــه	لكننـــي عاينتُـــه حلـــوَ الجنـــى

ونعمتُ بالضدَّينِ حتى استقطرت عيناي ماءَ الدمع من جمر الغضا
وسهامُ جفنك بعد ما ريَّشْتَها تغشى الكلا وسقيتها بدم الحشا
هيهاتَ تُحسن نزعَها من بعد ما نبتت وأَطلعَ غصنُها ثمرَ الهوى
ووحقِّ أشواقي لوجهك إن لي زفراتِ وجدٍ لا أروم لها انقضا
وجوًى تودُّ حُشاشتي لو أنه كان الطفاء يسوءها مهما انصفا
وشفاءُ سقمي في لَماك وليتَه يشفي غليلي بَرْدُ ذَيَّاك اللَّمى
ويزيد في قربي إليك حرارة كالنوقِ في البيداء يقتلها الظَّما
يا سلَّمَ الله المحبةَ إنها نعشتْ فؤادي أسلمتْهُ إلى الجوى
يا قاتلي وأنا الفداءُ لقاتلٍ أبدًا لغير حديثه لا يشتفى
العينُ بعدك ما سهت والطرفُ بعـ ـدك ما غفا والدمعُ بعدك ما رقا
لله جفنٌ تحت وعدك ساهرٌ أملاً يتوبُ المرسلات بهل أتى
حافظ على صدق العهود فإنه مما يدلُّ على المحبة والصفا
أتشكُّ أن الصدقَ ينفعُ أهلَه أو لست تعرفُ خيرَ صحبِ المصطفى
صهرَ النبيِّ وصنوَه وصديقَه وصفيَّه وضجيعَه تحت الثرى
والمنفقَ الأموال في مرضاته حتى تخلَّلَ بعد ذلك بالعَبا
والسابقَ المتقدمَ الإسلام في صحبِ النبيِّ وتلك فاتحةُ العلا
وخلاك ذمٌّ أن تقول هو الذي فضل الأنام الكل بعد المجتبى
وفَداه في يوم العريش بنفسه أكرمْ هنالك بالفِدا ويمن فَدى
وقضيةُ الغارِ التي في صدقها أبدًا وصحةِ نقلها لا يُمترى

والشمسُ بعد طلوعهـا لا يمتـري	فيه سوى أعشى البصيرة ذي عمى
وإلـــى هلـــم لنـــسله ذريـــة	فينـا هـمُ أهـل الـسيادة والحِجـا
سادوا وما شادوا الأكارم عن سدى	وعَلَوْا وما ورثوا المكارمَ عن كـلا
ومن الذي يسطيع يحصر فـضلَهم	حتى يُعد النجم أو يحـصي الحـصى
وبهم تدور رحى الزمـان ودورهـا	لهمُ ولولا القطبُ لم تـدرِ الرحـى
رؤسـاء مـا مـن سيدٍ فـيهم خـلا	حتى يكونَ عليه قـد عقـد اللـوى
ومحــلُّ زيــنِ العابــدين ونجلــهِ	منهم محلُّ الشمس من كبدِ السما
وسـراية الـصدِّيق تـسرى فـيهم	سريانَ نـورِ ذُكـاءَ فـي نبـت الربـا
ومحمــدٌ فــيهم كمثــل محمــدٍ	فيهم وجـزءُ الـشيء منـه بـلا مِـرا
مهـلاً أبـا الـصَّنْوَين إن مـودتي	لكم مودةُ من يـرى النـسك الوفـا
وإليكَها عـذراءَ قـد شـأت الـصَّبا	سـبقًا بـشعر البحتـري إذا شـدا
اخترتُهـا مقـصورةً مـن أجـل أن	قُصرت محاسنُها عليكم لا سـوى
جـاءت تهنـي بالمواســم سـيدًا	لولاه لم تكـن المواسـم فـي هنـا
تــدعو لـــه ولنَيِّــــريْه بالبقـــا	وتُعيـذه فـي كـل وقـت بالـضحى

وله أيضاً:

بتفاحـةٍ فـي الخَـدِّ وكَّـلَ لحظَـه	ليحفظَها مـن نـاظري أن يؤودَهـا
سها فهوتْ من خـده فهـو دائمًـا	يردُّدهـــا فـــي كفـــه ليعيـــدَها

وله أيضاً:

حيًّا بكأسين من بُنٍّ وصِـرف طـلا	أفديه مـن غـصنٍ يـسمو بـه قمـرُ

هاتيك عينٌ ولكن مسها رمدٌ   وتلك عينٌ ولكن كلها حَوَرُ

وله أيضاً:

إني لأهوى كلَّ من في حَيِّه   حتى محبيه وهم أعدائي
ولقد هويت لأجله رقباءه   ومن العجيب محبةُ الرقباءِ

وله أيضاً:

تراءى لنا بالطاق حتى إذا رنَتْ   إليه عيونُ القوم أعجلَه السترُ
كما انفرجَتْ عن طلعة البدر مزنةٌ   وقد أعجلَتْها أختُها فاختفى البدرُ

وله أيضاً:

طاف بها سوداءَ مسكيةً   فنجانُها الأحمر دونَ الملان
كأنما الفنجانُ في كفه   شقيقةٌ يحملُها غصنُ بان

ومما أنشدني له قوله:

أظن كاتبَ ميمِ الثغر قد غلطا   لأنه فوقَه بالخال قد نقَطا
أستغفر الله إلا أن يريد بها   نونَ العِذار ولو لم يعنِها كَشَطا
والله سبحانه يأبى لمتخذٍ   لمثلِ خدِّك طِرساً أن يَخُطَّ خَطا

وقوله أيضاً:

ليس بِدْعًا عتابُ خيرِ البرايا   إنما يعتب الحبيبُ الحبيبا
بل عجيبٌ تقديمُه العفوَ قبل الـ   ـعَتْبِ حرصًا عليه أن يستريبا

وأصل هذا ما ذكره أصحاب السير: أن أبا بكر الصديق ﷺ دخل على

النبي ﷺ، وهو ميتٌ مسجًّى، فكشف عن وجهه الشريف، وقبل بين عينيه، وقال: فديتُ من أقسم الله بتراب قدميه، فقال: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[البلد: ١ ـ ٢]، فديت من قدم الله له العفو قبل العتب بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[التوبة: ٤٣]. انتهى.

ولما قدمت من مكة إلى القاهرة المحروسة، سنة ألف وتسعين، بعد أن فارقتها سنين، كتب إليّ مهنئاً بقوله:

نهنـــي أنفـــسنا بالـــسلامة ... ونتحـــف ســـيدَنا بالكرامَـــهْ
فمـــا بـــدأ الله ريعانـــه ... بفـــضلٍ أتـــمَّ بفـــضلٍ تمامَـــهْ
وطـــالع ســـيدنا فـــي الـــسعو ... د ووردةُ إقبالـــه فـــي الكُمامَـــهْ
تفاءلـــتُ ذلـــك فـــي بـــشره ... ومـــن قبلِهـــا مـــا زجـــرتُ حَمامَـــهْ
كـــذلكم اشـــتق وصـــف النـــديم ... لأن عليـــه تكـــون الندامَـــهْ
ولـــستُ أريـــدُ علـــى مـــا ذكـــرت ... ســـوى أنـــس عالمـــه مـــن علامَـــهْ
وفـــي بـــشره مـــا تلـــوذ البـــروق ... بـــصيّبه عنـــد بخـــلِ الغمامَـــهْ
وفـــي وجهـــه القـــسماتُ التـــي ... يكـــون إمامًـــا لـــه فـــي الإمامَـــهْ
وقـــالوا العمامـــة زيـــنُ الـــشريف ... فقلـــتُ وشـــينُ الوضـــيع العمامَـــهْ
إذا اعـــتمَّ فـــي النـــاس غيـــرُ البليـــغ ... فتلـــك تكـــون فِـــدامَ الغرامَـــهْ
وقـــالوا برامـــةَ أســـلافُه ... فقلـــت وجُـــلُّ مرامـــي مَـــنْ برامـــه
وقـــالوا ويهتـــز بالمكرمـــات ... فقلـــتُ كـــذلك فـــرعُ البـــسامَهْ
وقـــالوا وينفـــع فـــي النائبـــات ... فقلـــتُ ويـــشفع يـــومَ القيامَـــهْ

ولـو كنـتُ أنـصفتُه فـي المـديح　　لكنـت قـصرتُ عليـه الإمامَـةْ
عنيـتُ إمامَـة أهـلِ الحـديث　　وأهـلُ الحـديثِ قـرومُ الزعامَـةْ
وحيـثُ تقـرَّرُ أن الأنـام مـن　　الأرض فـالأرض شـتى الرغامَـةْ
فمنهـا النـضارُ ومنهـا الأبـارُ　　وتفلـح عـن وردة أو ثُمامَـةْ
ومـن تـكُ طينتُـه مـسكةً　　فكيـف يطيـق الزمـانُ اكتتامَـةْ
وكـل امـرئٍ خُلقـه خَلقـه　　وإن الدمامـةَ فـرع الدمامَـه
وتـشهدُ سـيما الفتـى للفتـى　　بمـا فيـه مـن كـرم أو لآمَـةْ
ومـا عبّـر المـرءُ عـن فـضلِه　　بـشيء كتفخـيم أهـل الفخامَـةْ
وكـل الـصفات التـي ترتـضي　　إذا مـات ملتهـا فـي الوسـامَةْ
ورَبُّ الجمـالِ يَـرُبُّ الجميـلَ　　فكيـف يعرضُـه للملامَـةْ
وتـأتي الطبـاع بحـسب النفـاع　　فمهما استقامت عرتْها استقامَةْ
ومـن تـكُ بلدتُـه جنـةً　　فحـقٌّ لـه الطيبـات المدامَـةْ
فـصفْ أهلَهـا بـصفات الكمـالِ　　وأطلـقْ علـى كـل ليـثٍ أُسـامَةْ
وحـجٌّ فكـان سـراجَ الـدليل　　كمـا كـان للـسَّفْرِ درعًـا ولامَـةْ
وكـان يـدًا فـوق أيـديهم　　وكـان علـى أرؤس الكـلِّ هامَـةْ
وآبَ إيـابَ هـلالِ الـسما　　بـدرًا وسـنبلة الـزرع خامَـةْ
فحمـدًا عـدادَ نجـوم الـسما　　ومـا عـدَّها مـن يخـاف الـسآمَةْ
وشـكرًا زيـادة حـسناه أن　　يعـودَ إلـى أهلـه بالـسلامَةْ

وكتب إليّ من القاهرة إلى مكة كتاباً صدره بقصيدةٍ أولها:

أغازلُ منه الطـرفَ أكحـلَ أوطَفـا وأهصرُ منـه القـدَّ أحـورَ أهيفـا[1]

[٧٤٣] أبو بكر بن الخطيب محمود الدمشقي الحنفي الحكيم الشيخ تقي الدين بن شرف الدين[2].

طلب العلم بدمشق، وقـرأ على شيخ الإسلام البـدر الغـزي، وولـده أحمد، وبرع في العلوم العقلية، وفضل في الخطب، ثم سافر إلى قسطنطينية، فانتهى أمره إلى أن اتصل بالسلطان مراد، وحظي عنده، وكان يتظاهر بإنكار المنكرات، فتكدرت منه الموالي.

فبينما هو ذات يوم ذاهبٌ إلى سرايا السلطان، تعرض له جماعةٌ من طلبة العلم، فمزقوا عباءة فرسه وأهانـوه، ثم رفعـوا أمره إلى السلطان، وأدخلوا عليه أموراً مفتراةً، أوجبت أن طرد من القسطنطينية إلى ألواح، من ضواحي مصر، وكان ذلك سنة إحدى أو اثنتين بعد الألف، ثم استأذنه بالمكاتبة، حتى أذن له بدخول القاهرة، ثم ورد الشام سنة ثلاث بعد الألف، ثم ذهب بعدها إلى الروم، ولم يمكنه إلى العودة إلى مكانته بالروم، حتى توفي سنة سبع بعد الألف رحمه الله ـ.

[٧٤٤] أبو بكر بن مسعود المغربي المالكي[3].

---

(١) جاء في الحاشية: «يكتب باقيه من «السفينة»، كما قال المؤلف، بهامش صورته، وترك نصف صفحة بياض».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغـزي (١/ ٢٥١) (٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٦).

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٥٢) (٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١/ ٩٧).

مفتي المالكية بدمشق، رافق الشيخ أبا الطيب الغزي في الاشتغال بالعلم بمصر، فقرأ في الفقه على سالم السنهوري، وغيره، وأخذ بالشام عن علاء الدين بن المرحل، وكان له معرفةٌ بالعربية، ومهارةٌ بالإفتاء، وولي تدريس الغزالية بدمشق مدةً، ومات في أواسط شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، ودفن بتربة باب الصغير ـ رحمه الله ـ.

[٧٤٥] السيد أبو بكر مكين القُدَيمي.

كان من الأولياء المشهورين، مات آخر دولة عبد الرحيم بن مصك بن شرف الدين.

[٧٤٦] السيد أبو بكر بن علي البطاح الأهدل.

كان سيداً فاضلاً، من شيوخه: عبد الباقي بن الزين المزجاجي، وعلى الربيع بن إسحاق بن جعمان، وإبراهيم بن جعمان، وأخذ بالمدينة عن الشيخ أحمد القشاشي، وكثير، وكان حسن الخط جداً، اجتمعت به مرةً واحدةً بزبيد، ورأيت منه عالماً نحريراً، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، توفي ببلده الكُدَيف ـ بالتصغير ـ من قرى زبيد، ثالث عشر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وألف، وكان كثير الحفظ جداً؛ بحيث إنه إذا أُملي عليه في ساعةٍ واحدةٍ قصيدةٌ طويلةٌ، حفظها لوقته.

ورأى السيد بكر بن أبي القاسم صاحب «النفحة»، في النوم بعد موته، وقد شق على ظهر رقبته، ووضع فيه شيئاً مثل الزبد، وكان ذلك سبب الفتح عليه في العلوم اللدنية والحقائق، وله كراماتٌ كثيرةٌ.

منها: ما أخبرني به سيدنا السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد الباري

الأهدل: أن بعض العمال جار على بعض السادة من بني الأهدل، وكتب عليه أموالاً كثيرةً لا تستحق عليه، فشكا إلى السيد المذكور بزبيد حاله، وأراد أن يتوجه إلى العامل؛ ليسقط عنه مما في الدفتر شيئاً، فقال له السيد المذكور: ارجع إلى بلدك، ولا تذهب إليه؛ فإن بعض أصحابك أقوياء، ولا يقدر هذا العامل عليهم، فرجع دفتر العامل إليهم بعد أيام، ولم يجدوا فيه ما جعل العامل عليهم، وسقط عنهم جميع المال المطلوب.

وأخبرني السيد المذكور: أنه كان له جرينٌ يحصد فيه الحب، وكان النمل يتلفونه عليه، فينتقص عليه كثيراً، واستمر هذا الحال سنين عديدة، فجاء إليه يومًا بعض الصالحين، فشكا إليه حاله، وتسلُّطَ النمل عليه، وأكلَهم للحب، فقال: انظر حباً يكون لأيتامٍ قاصرين، وخذ منه حفنةً بغير إذن منهم، وضعها على حبك، ففعل ما أمره به، فانقطع النمل عن الحب، ولم يؤذه بعد، وكان كل عامٍ يأخذ حفنةً من حبه القديم الذي خلطه بمال الأيتام، فيضعها على الحب الجديد، فلا يأتيه النمل، وسلم من أذاهم، ثم اتفق بعد نحو خمس عشرة سنة: أنه ذكر للأيتام بعد بلوغهم: أنه أخذ من حبهم حفنةً بغير إذنهم، ورد لهم صاعاً بدلها، وسامحوه، ثم لما ألقى الحب في الجرين بعد ذلك، رجع النمل كعادتهم. انتهى.

وأخبرني السيد عبد القادر المذكور: أنه كان يقول له: أنت بدري المقام، لا تجري عليك الأقلام، وكان يوصيه ويقول له: كن مع العارف كيف شئت؛ لأن لكل شيء عنده احتمالا.

[٧٤٧] الملا أبو بكر ابن السيد هداية الله الحسيني الكوراني الكردي،

المشهور بالمضيف[1].

ذكره شيخنـا الإمام إبراهيم الكوراني في كتاب «الأَمَم لإيقاظ الهمم» في ترجمة المشايخ الذين روى عنهم، فقال: إمامٌ علامةٌ، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها «شرح المحرر للرافعي» في الفقه في ثلاثة مجلدات، انتفع به أهل تلك البلاد، وله كتابان بالفارسية، أحدهما: «سراج الطريق» يشتمل على خمسين باباً، والآخر: «رياض الخلود» يشتمل على ثمانية أبواب.

وكان من أولياء الله تعالى، كثير الاجتماع بالخضر[2] ـ على نبينا وعليه السلام ـ، وممن أخذ عنه، وبـه تخرج: ولده الملا عبد الكريم شيخ شيخنا المذكور ـ نفع الله به ـ، توفي سنة أربع عشرة بعد الألف ـ نفع الله به ـ.

كان؛ كما أخبرني شيخنا إبراهيم ـ قدس الله روحه ـ عالماً كبيراً، خصوصاً في الفقه وأدلتـه، واختلاف الفقهـاء، مستحضراً لأقاويلهم، عارفاً بالكتاب والسنة، شديداً في دين الله، جسوراً مقداماً، لا يهاب أحداً، ولا يرهب مخلوقاً، جميل المحاضرة، بديع المجالسـة والمذاكـرة، مطرحاً للتكلف، متواضعاً لإخوانـه، سـامياً عن رذائل الأخـلاق، قانعـاً بالخشن من العيش، شديد الغضب في إنكار المنكـر، صادق اللهجـة، منجمعـاً عن الناس، متـوحشاً منهم، قانعاً بالقليل من الرزق، لا تنقضي مجالسه إلا بأحد أمور ثلاثة: إما دعاء إلى الله، أو تحذير مما ارتكبه الناس من المنكر، أو نشر المهمات من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٧١).

(٢) تتكرر هذه الدعاوى عند أدعياء التصوف وأهل الطريق برؤية الخضر عليه السلام وصحبته، وكأنها علامة على كذبهم وزيغهم، نسأل الله السلامة في الدين.

مسائل الأصول والفروع.

مع منطقٍ يسلب العقول، ويستميل الألباب، وحفظ يجاري فيه سعةً واستحضاراً لما يريد، من غير مراجعة كتاب، مع الفقر والخصاصة البينة، والعيال الكثير، وله مصنفاتٌ كثيرةٌ، وكان يشبه السلف، في سَمْته وهديه، ومنطقه ونسكه، وعيشه وطريقه، وما زال على مكابدةٍ شديدةٍ، وصدق التوجه إلى الله، والدعاء إليه، حتى توفاه الله لأربع بقين من جمادى، سنة أربع عشرة وألف.

[٧٤٨] أبو بكر بن محمد بن محمد، الشيخ العلامة البارع، تقي الدين الزهيري الشافعي[١].

اشتغل بالعلم على محمد الحجازي، وولده عبد الحق، ثم خالط الأفاضل، وحضر دروس القاضي محب الدين الحنفي، وكان عالماً في العربية وغيرها، حسن الخط، حسن السيرة، لطيف العرض، كافاً عن الأذى، ولي نيابة القضاء، ودرَّس بالجوزية، والجامع الأموي، ومات يوم الأربعاء، ثامن جمادى الآخرة، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن بتربة باب الصغير، عن بضع وأربعين سنة ـ رحمه الله ـ.

[٧٤٩] أبو بكر بن عدي الصالحي الشافعي ثم الحنفي، المعروف بابن سعيد.

خادم سيدي العارف بالله الشيخ أبي بكر بن قوام، كان في ابتداء أمره

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٤٥) (٧٧٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٣).

خارقة، وفراساتٍ صادقة.

ولم يزل في خدمة مولاه، إلى أن استوفى ما له من الحياة، فانتقل إلى رحمة الله، سنة خمسين بعد الألف، ودفن بمقبرة الفريط الشهيرة بحضرموت ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٥٣] أبـو بكر ابن العلامـة نـور الدين علي بن أبي بكر بن الجمال الأنصاري الخزرجي(١).

الشيخ النجيب، الفطن الأريب، ذو السمت الفاضل، والذكاء الكامل، والأدب الظاهر، والحفظ الباهر، والفطنة النقادة، والقريحة المنقادة، الذكي اللبيب، الحافظ المصيب، رأيت ترجمته بخط من نقلها من خط ولده العلامة علي، وخلاصتها: أنه وُلد سنة إحدى وسبعين وتسع مئة، وحفظ «الشاطبية»، و«الجزرية»، و«الأربعين النووية»، و«ألفية ابن الهائم في الفرائض»، و«ألفية ابن مالك»، و«منظومة ابن غازي في الحساب»، وحفظ «متن البهجة»، وكثيراً من متن «المنهج»، وقرأه على الشمس الرملي، وأجازه به وبغيره.

وأخذ عن القاضي جار الله بن أمين بن ظهير الحنفي، وولـده علي، والشيخ يحيى الحطاب المالكي، وولده محمد الحطاب مؤلف «المتممة»، وشـارح خليـل، والشيخ تقـي الدين بن فهـد الحنفي، والشيخ رضي الدين القازاني الشافعي، ومحمـد بن عبـد الحق، وشيخ الإسلام عبد الرحمن بن عبد القادر بن فهد الهاشمي الشافعي، وأجازه جميع المذكورين ـ كما رأيتها بخطوطهم ـ، واشتغل بالفقه على الشيخ نور الدين البرنبلالي اشتغالاً تاماً،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٩).

ولازمه، وأذنوا له في التدريس والإفتاء، فدرس وأفتى، وانتفع به جماعةٌ، منهم: الشيخ محمد بن بيري، والشيخ علي طحينـة، والشيخ عبـد الرحمن الرسام، وغيرهم.

وله الحواشي المفيدة على كثير من الكتب، في كثير من الفنون، وأكثرها في فن الحساب والفرائض، والجبر والمقابلة، وأعمال المناسخات، بالصحيح والكسور والحل، وكانت له يد طولى في هذه المذكورات، ومشاركةٌ تامةٌ في غيرها؛ كفنِّ المعاني والبيان، والنحو والصرف، والقراءات والفقـه، وكان حسن الخط نيّره صحيحه، يكتب كل يوم كراساً، في قطع النصف، مع اشتغالٍ بالدرس والتأليف.

وكان ـ رحمه الله ـ يرى في ليله بما سيقع في غده له.

منها: أنه أخبر بأنه يأتيه رجل بفلفلٍ، يريد بيعه منه، وهو سرقةٌ، وحذره أن يأخذه، فلما أصبح، أتاه رجلٌ بما أخبر، وتبين أنه سرقةٌ كما أخبر.

ومنها: أن جماعةً أرادوا به حيلةً، فأخبر في منامه بأسمائهم ومرادهم، ولقنه الحجة، فلما أصبح، جاءوه أولئك بحيلهم، فحجهم، وانتصر عليهم، وكان ذلك قبل أن يتزوج، فلما تزوج، انقطع عنه ذلك.

وله نظمٌ بديعٌ، وقصائد عظيمة، منها: في مدح رسول الله ﷺ قصيدتان: تائيةٌ، وهمزيةٌ مكسورةٌ، ومنها: في شريف مكة حسن بن أبي نمي.

وكان إذا حضر السماع، تواجد، وغاب عن حسه، فكان لا يحضره، وكان له عقيدةٌ تامةٌ في الصالحين والأوليـاء والعارفين، وكان انتقاله بالوفاة إلى رحمة الله، ضحى يوم الثلاثاء، خامس عشر شهر رمضان، سنة ست بعد

الألف بمكة، ودفن بالمعلاة.

[٧٥٤] السيد أبو بكر بن علي ابن السيد المحدث محمد بن علي بن علوي خَرِد - بفتح الخاء المعجمة، وكسر الراء، وبالدال المهملة - اشتهر جده بالمعلم[١].

الشيخ المعظم، والإمام المقدَّم، سيد زمانه وعالمه، ومن شادت به أركان التصوف ومعالمه، شديد الزهد والورع، مديد الباع إذا قام في الأمور الشرعية وشرع.

وُلد بمدينة تريم، ولاحظته عناية الرب الرحيم، فحفظ القرآن العظيم، ولازم تقوى الله، ومشى على طريق السلامة والنجاة؛ من الأفعال السارة، والأعمال البارة، ومصاحبة أهل الخير والصلاح، ومواظبة الطريقة الحميدة في كل غدوٍّ ورواح، واتصف بالصفات المستحسنة، وتجنب الأمور المستهجنة، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية، وعلوم الصوفية، والحقائق الربانية.

وأخذ عن عالي الرتب، شهابِ الدين أحمد باجحدب، وأخذ الفقه وغيره، عن جماعةٍ، منهم: القاضي السيد محمد بن حسن، والسيد الجليل علي بن عبد الرحمن السقاف، وولده محمد، وأولاد الفقيه عبدالله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل، وأدرك جده المحدث محمد بن علي، وحكّمه كثيرون من مشايخه المذكورين، وألبسوه خرقة التصوف، وأذنوا له في التحكيم والإلباس، وأجازوه في الإقراء ونفع الناس، فجلس للتدريس العام، في مسجد القوم

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٠١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٩).

الكرام، بعد العشاء الآخرة، وقرأ في العلوم الفاخرة؛ كالفقه والحديث والتفسير، وحضره خلقٌ كثيرٌ، من صغيرٍ وكبيرٍ، وجليلٍ وحقيرٍ، وانتفع به الخاص والعام، النفعَ المفيد التام.

وله تدريس خاصّ، بجماعةٍ من الخواصّ، وتخرج به جماعةٌ من فضلاء الأنام، نالوا به الرتب العالية السنام، الحَرِيَّة بالإجلال والإكرام، فجلى لهم عروس فضلٍ زُفَّت إلى كفء مجدها، وشمس علمٍ حلت ببرج سعدها.

وممن تخرج به من الأفاضل والأماجد: السيد الجليل أبو بكر الشلي، والدُ شيخنا الإمام محمد السيد الشلي ـ رحمهما الله ـ، والسيد الجليل عبد الرحمن ابن محمد بن علي بن عقيل، وشمس الشموس السيد عبدالله بن شيخ العيدروس، وصاحب العرفان السيد عبدالله بن عمر الهندوان، والسيد أبو بكر ابن عبد الرحمن بن شهاب.

وكانت شمائله أرقَّ من نسيم الهبوب، وأخلاقه تملأ محاسنها العيون والقلوب، ثم غلب عليه حب العزلة، وعدم الاجتماع بالناس بالجملة، إلا عن حاجةٍ أو ضرورة، أو لزم من ذلك حالة محظورة، وكان ملازماً للطيلسان، في جميع الأزمان، ملازماً على تلاوة القرآن، معرضاً عن أعراض الدنيا، وعن كل ما يعوق عن الرتب العليا، قانعاً بالكفاف، متدرعاً لباس العفاف.

وكانت فصاحته تفوق فصاحة سَحبان وائل، وإذا تكلم، فالعلماء الأفاضل تسمع له، فليس أحد منهم بمتفوهٍ ولا قائل، وله كراماتٌ باهرةٌ، وأحوالٌ فاخرةٌ، وأنفاسٌ طاهرةٌ، وكان تلميذه الشيخ عبدالله بن العيدروس يقول: إنه يشفع في أهل زمانه.

ولم يزل ملازماً للتقوى، في السر والنجوى، إلى أن قضى نحبه، وبوأه الله تعالى قربه، فتوفي سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[٧٥٥] السيد أبو بكر بن محمد بن الطيب باعلوي[1].

الطيب بن الطيب، الـذي يفـوق كرمـه على الغيث الصيّب، المجمَع على كماله شرقاً وغربًا، والمفوّه بفضله عجماً وعربًا.

وُلد ببندر الشحر، المسمى: سمعون، الذي تنشرح به الصدور، وتقر فيه العيون، وسلك الطريق التي لا عوج فيها ولا أمتًا، وحاز من الفضل فنوناً شتَّى، وتحلى بالحُسْنَيَيْن نطقاً وصمتًا، ورحل إلى الحرمين، وأدى النسكين، وزار جده ﷺ، ورحل إلى عـدة بلـدان، وأخـذ عن جماعـةٍ من أولي العلم والعرفان.

وكان في الثغر المذكور مرجعاً للأعيان، ومجمعاً لفضلاء الزمان، يشار إليه بالبنان، مكرماً للضيفان، مشهوراً بالولايـة التامة، معروفاً بنفع الخاصة والعامة، وكان يلبس الملابس الفاخرة، ويسكن البيوت المشيدة العامرة، ولم يزل في الفرح والسرور، إلى أن نزل بساحة القبور، **فتوفي** سنة إحدى عشرة بعد الألف بالشحر، ودفن به ـ رحمه الله ـ.

[٧٥٦] أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف ﷺ[2].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٣).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٨٥).

قال شيخنا محمد الشلي في «مشرعه»: الشريف المعروف[1] كأبيه وأهله بابن شهاب، الذي فاق على الأتراب، المنفرد في زمانه بعلو الإسناد، ملحِق الأحفاد بالأجداد، النضير الذي لا نظير له، والملجأ الذي إذا نزلت المعضلة، أينعت أغصان دوحته في رياض الفضائل، فاكتست حللاً، وأشرقت أزهار أفنان سوحته، فغدت الشمس كاسفةً، واستتر البدر خجلاً، حوى من العلوم والمعارف ما لا تحصره الأرقام، ولو أن ما في الأرض من شجرٍ أقلام، ومن الفضائل ما اعترف بالعجز عنه الخاصُّ والعام.

وُلد بـ «تريم»، ونشأ بها، فحفظ القرآن العظيم، وعدة متون؛ «كالجزرية»، و«الآجرومية»، و«القطر»، وغيرها، وتفقه بالشيخ الجليل محمد بن إسماعيل، ولازم والده في دروسه، وأخذ عنه علوماً كثيرةً؛ من فقه وحديث وأصول وتفسير وتصوف، وكذلك أخذ عن أخيه الهادي بن عبد الرحمن، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس.

ورحل إلى اليمن، والحرمين، وسمع بها عن كثيرين، وجاور بالحرمين، واشتغل على السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري، والشيخ أحمد بن علان، وعلى شيخنا عبد العزيز الرومي، في فنونٍ كثيرةٍ؛ كالتفسير والحديث والتصوف، والمعاني والبيان والبديع، وغيرها من العلوم الشرعية والعقلية.

وأكثر الأخذَ عن علماء عصره، ممن هو فوقه ودونه ومساويه، وجدّ في تحصيل العلوم حتى دخل في عداد الجماعة، وتخرج في الصناعة، ثم قصده الناس في الاستماع، والاستفادة والانتفاع، فتصدر للتدريس والإقراء،

---

(١) كلمة المعروف سقطت من الأصل.

وانتفع به جماعة من العلماء، وسمعوا منه طبقة بعد طبقة، وتمثلوا بين يديه حلقة بعد حلقة، فأحيا مدارس العلوم، وأبدى دقائق المنطوق والمفهوم.

وممن تخرج به: شيخنا الإمام عبد الرحمن بن محمد إمام السقاف، والسيد عبدالله بن شيخ العيدروس، وصاحبنا السيد أحمد بن حسين بافقيه، وأخوه عبدالله، والشيخ أحمد بن عتيق، والصنو أحمد بن أبي بكر.

وأمرني الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ بالاشتغال عليه، والاكتساب مما لديه، فقرأت عليه الكثير، وأخذت عنه العربية والتفسير، واستفدت منه ما حقه أن تصرف أعنة الشكر إليه، وتُلقى مقاليد الإحسان بين يديه.

وكان ـ رحمه الله ـ متين التحقيق، حسن الفكرة والتدقيق، يتأنى في التقرير، ويتأمل في التحرير، وكتابته أمتن من تقريره، وقلمه أبلغ من لسانه ولهجته، ورويته أحسن من بديهته، وكان صحيح النقل، وافر العقل، وكان ـ مع كبر سنه، وتبحره في الفنون ـ حريصًا على طلب الفوائد ممن يكون، وكان سيدي الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: ما رأيت عاشقا للعلم أيَّ نوع كان مثلَه، ولا أحدًا ممن سلف قبله، وكانت لذته وتنزهه في المجالس والمحاضرة، في طلب الفوائد والمذاكرة.

ومن جميل سيرته: أنه ما استصغر أحدًا حتى يسمع كلامه، ساذجًا كان أو متناهيًا، فإن أصاب، استفاد منه، صغيرًا كان أو كبيرًا، ولا يستنكف أن يعزي الفائدة إلى قائلها، وكان لا يكتب الفتوى إلا في المسائل العزيزة النقل، وإذا سُئل، لا يجيب على البديهة، بل يقول: افتح كتاب كذا، وعدّ من الصفحة الفلانية كذا، تجد المسألة؛ لأنه ﷺ قلّ نظره في آخر عمره، وإذا سئل عما لم يعلم، يقول: الله أعلم، ويتعجب ممن يتجرأ على الفتيا، ويبادر إليها،

ويتكلف الجواب عما لا يدريه.

وكان غاية في العفاف، قانعًا بالكفاف، معرضًا عن المناصب الدينية، والأسباب الدنيوية، ولما بنى السيد الجليل النبيه محمد بن عمر باقبه مدرسته التي بتريم، فوض إليه تدريسها، فدرس فيها أيامًا احتسابًا، ثم ترك ذلك، وكان لا يسأل في أموره إلا الله، ولا يعول في قضاء حوائجه على سواه، ولا يخرج من داره إلا لجمعة أو جماعة، أو زيارة صديق أو نحوه، ولا يتردد إلى أحد من الأعيان، لا سيما من له أدنى تعلق بالسلطان، ملازمًا للطاعات، في جميع الحركات والسكنات؛ بحيث لا يكاد يوجد في غير عبادة لحظة.

وكان له خلقٌ عظيم، يخجل منه النسيم، وكان يشرح كلام الصوفية وأهل الحقيقة بأحسن بيان، وأتم تبيان وبحث عما يشكل من ذلك، ولبس الخرقة الشريفة من مشايخه، وحكّموه، وأذنوا له في ذلك، وكان يُلبس الخرقة، ويُلقن الذكر، ويُحكم من يشاء.

وكان غايةً في التواضع، لا يرى لنفسه على غيره فضلاً، ولو كان ذلك الغير نذلاً، ولم يزل مواظباً على السيرة الشرعية، والسنن النبوية، والاستقامة المحمدية، إلى أن دعاه داعي مولاه، فأجابه ولباه، فتوفاه الله سنة إحدى وستين وألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رضي الله عنه، ونفعنا به ـ.

[٧٥٧] أبو بكر بن أبي القاسم بن إسماعيل الحسيني صائم الدهر.

الشريف العريف، الولي الشهير، قيل: إنه استمهل في آخر عمره تسع مرات، وينسئ في أجله، وله الكرامات التي تشهد له، فريدةٌ نادرةٌ، وكان له الجاه العريض مع الدول وغيرهم، وكان صافي القلب، حتى كان يقول:

ما بت ليلةً وقلبي منطوٍ على شنآنٍ لأحدٍ، توفي في شهر محرم، سنة إحدى وألف.

[وأبو القاسم بن أبي بكر هذا كان هذا السيد من أعيان السادة الأولياء، وكان مِطعاماً، وكان من الأبدال، وكان راتبه: يا حي يا قيوم، وكان يقوم في آخر الليل، مات سنة اثنتي عشرة وألف][(١)].

[٧٥٨] أبو بكر المعصراني الشافعي[(٢)].

الشيخ الصالح المجذوب، العارف بالله تعالى، كان يتكسب بعصر السمسم، وكان يحضر مجالس الذكر، فحضر في بعض الأيام مجلساً فيه جماعة اجتمعوا على ذكر الله تعالى، منهم: الشهاب أحمد الغزي، والشيخ أحمد الصواف الصوفي، وأحمد بن سليمان، وبات تلك الليلة عندهم، فلما كان وقت الذكر، لاحت له بوارق الحق، فأخذته، فتولَّه، ونزع أثوابه، وتعرى دون عورته، ثم انجلت عنه هذه الحالة[(٣)].

وكان كشفه ظاهراً لا شبهة فيه، وله فيه وقائع مشهورة، وكان إذا سريت

---

(١) ما بين [] جاء في نهاية الترجمة، ولعله إدراج من الناسخ لترجمة لم تكتمل، خاصةً وأن تاريخ الوفاة مختلفٌ عما سبق، والله أعلم بالصواب.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٥٨) (٨٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١١).

(٣) رحم الله المصنف وغفر له في سرد هذه الحكاية، ولا أدري من أين ساغ لأهل التصوف وأدعياء الطريق فكرة التوله والتعري ويسمونها مرة بالتجلي وأخرى بالكشف، وكل ذلك من تلبيس الشيطان وتضليله.

عنه هذه الحالة، يلازم الصمت والعبادة، ولا يخرج من الجامع الأموي إلا للوضوء ونحوه، وكان يحصل له في جذبه تخريبٌ وشتمٌ للناس، ولا يشتم أحداً إلا بما فيه تأويل ظاهر، مع شدة الحال.

فخطر لي يوماً ما يقاسيه في حالته من الشدة والبلاء، فلما حاذاني، وقف عليّ ضاحكاً مستبشراً، فقال لي بديهةً:

لا تحسب المجدَ تمرًا أنت آكِلُه　　　لن تبلَغ المجدَ حتى تبلعَ الصَّبرا

وسألت الله أن يكشف لي عن مقامه، فرأيته تلك الليلة في المنام، في صورة أسد، ثم تحول إلى صورته، وظهر لي بذلك أنه من الأبدال، فلما كان أول النهار، رأيته وهو في حالته، فضحك، وقال: كيف رأيتني البارحة؟

توفي بين العشاءين، ليلة الاثنين، خامس وعشري محرم، سنة أربع عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٥٩] أبو بكر السندي الشافعي(١).

قال النجم الغزي(٢) في «الذيل»: الشيخ العلامة المحقق، كان مجاوراً بالطواشية، شرقي الجامع الأموي، تحت المنارة الشرقية، نحو عشر سنين، وكان بارعاً في المعقولات، صالحاً ديناً مباركاً، آثر الخمول والقناعة، وكانت تخطبه الدنيا، ويأبى إلا فراراً منها، ملازماً للعبادة، والصلاة في الجماعة،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٣) (٩١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٢).

(٢) الغزي: ليست في الأصل.

يسرد الصوم، دائم الصمت، حسن الاعتقاد، متواضعاً، لا يرغب في الحكام، ولا يجتمع بهم، وربما زاره بعضهم، ولا يعبأ به.

لزمه الطلبة، وانتفعوا بـه في المعقولات وغيرها، ودفن مطعوناً وهو صائم، ودام على صيامه حتى مات في يوم السبت، ثالث ربيع الأول، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بتربة الغرباء، بباب الفراديس، ومات قبله بأيامٍ طفيفةٍ، صاحبُه الملا محمـد الهندي، وكانا متلازمين في الحياة والممات، وقبرهما متلاصق، قال النجم: فقلت ملمحاً:

عجبـتُ لطـاعونٍ أصـابتْ نبالُـه ... وأربت على الخطيِّ والصارمِ الهندي
سطا في دمشقَ الـشامِ عـام وآخـر ... تبسَّطَ في الهندي وما ترك السندي

[٧٦٠] أبو بكر الطرابلسي الحنفي(١).

شيخ الإقراء بدمشق، أخذ القراءات عن إبراهيم بن كسباي، وبرع في علومها، وكان له مشاركةٌ في علومٍ كثيرةٍ، وكان ديناً صالحاً وقوراً، منزوياً عن الناس، إماماً بالسياغوسية، داخل باب الجابيـة، وهو آخر مشايخ المقرئين بدمشق، مات يوم السبت، تاسع أو عاشر شعبان، سنة ست وعشرين بعـد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير ـ رحمه الله ـ.

[٧٦١] أبو بكر بن الطاهر.

من بني حسان، صاحب التيحتا، كان عبـداً صالحـاً، قائمـاً بحقـوق

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٤) (٩٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٢).

الوافدين، وله في التصوف يدٌ عليةٌ، وسيرةٌ مرضيةٌ، توفي في جمادى الأولى، سنة اثنتين وستين وألف.

[٧٦٢] أبو بكر العطار الحلبي.

كان من المنطرحين في زوايا الخمول، يعتريه في غالب أوقاته عن هذا العالم ذهول، وكان في أوائل عمره يتعاطى العطارة، ثم انتقل إلى ما هو أفضل كسب وأربح تجارة، واشتغل بالعلم، وقطع آماله من جميع الناس، ولبس لباس القنوط والباس، واتكل على من يمنح الأماني، وزهد في زخرف هذا الوجود الفاني، أنشدني له بعض أصحابنا قوله:

فويلَكَ يا دهرُ من أنباكَ تحسبني   أخافُ إقتارًا أو أَبكي على طَلَلِ
إني متى ما أخافُ الضيمَ من جهة   بسيفِ باسي أقطعُ هامةَ الأملِ

[٧٦٣] فخر الدين أبو بكر بن محمد الخاتوني المكي[1].

كاتب ماهر، وشاعر قلد الطروسَ من نظم عقود الجواهر، جرى في ميدان القريض ملءَ عنانه، فاجتنى زهر رياضه، واقتطف ورد جنانه، ولد بمكة، وبها نشأ على طريقة حسنة، وأخذ عن شيوخ عصره علومًا عديدة، وبرع في الأدب، وبه اشتهر، وكان عظيم الهيئة، وضيء الوجه، نير اللحية، يغلب عليه صفاء القلب، ورقة الطبع، والانطباع لعامة الناس، والتغاضي عما لا يرضى من أحوالهم، توفي بمكة في نيف وخمسين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٧٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٢٦) (٣٠٤)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٩٠).

ومن شعره قوله في مليحةٍ اسمها غربية:

ربَّ سـمراءَ كـالمثقَّفِ لمَّـا خطـرت فـي الغلائـل السندسيَّهْ
غـادةٌ تـسلبُ العقـولَ ولا بـد عَ وأعمـالُ طرفهـا سـحريَّهْ
جُبلـت ذاتُهـا مـن المندلِ الرطـ ـبِ ففاقتْ علـى الرياض الزكيَّهْ
مـا لهـا فـي الغـصون نِـدٌّ وليس النَّدُّ إلا من ذاتهـا المسكيَّهْ

منها:

هـي للقلـب منيـةٌ ولكـم مِـن صـدِّها الـصبُّ ذاق طعـمَ المنيَّـهْ
ذاتُ لحـظٍ وَسْنانَ يفعـل مـا لـم يفعل الـسيفُ فـي قلـوبِ الرعيَّهْ
ومُحَيًّا مـن دونـه يخـسف البـدرُ إذا لاح بالليـالي البهيَّـهْ
حـوتِ الحـسَن كلَّـه فهـي ممَّـا أبـدعَ اللهُ صـنعَه فـي البريَّـهْ
شَـبَّهوها عنـد التلفـتِ بالظبـ ـي وهيهـاتَ مـا همـا بالـسويَّهْ
كـلُّ شـيء يخفـى إذا مـا تبـدَّتْ وهـي كالـشمس لا تـزالُ مُـضيَّهْ
ليـت شـعري وأيُّ شـمسٍ بـشرقٍ لـك تبقـى إذا بـدت غربِـيَّهْ

وقوله يرثي السيد أحمد بن مسعود:

على فقدِ بدرِ الملكِ أحمدَ فلتجُدْ لعظمِ الأسى من كلِّ ندبٍ شؤونهُ
وإلا فمـن يـا ليـت شـعري بعـدَه إذا هـي لـم تـسمح تـسحُّ جفونُـهُ
فتًـى كـان والأيـام للجـدب كُلَّـحٌ إذا أمَّـه العـافي أضـاءَ جبينُـهُ
فتبـصر بـدرًا منـه قـد تـم حـسنُه وتنـشق روضًـا قـد تناهـت فنونُـهُ
يجـودُ وإن أودى الزمـانُ يـسارَه بها قد جرت مـن كـلِّ وقـرٍ يمينُـهُ

فقل للذي قد جدّ في طلب الندى   رويدَك إن الجـودَ سـارتْ ظُعونُـهُ
وقد غاب من أُفْـق الكمـالِ منيـرُهُ   كما غابَ مـن بحـرِ النـوال مَعينُـهُ
وأصبحَ وجهُ المجدِ للحزن كالحًا   كأنْ لم تكنْ من قبلُ قـرتْ عيونُـهُ
سـأبكيه والآدابُ أجمعُهـا معـي   بـدمعٍ تـودُّ الـسحبُ يومًـا تكونُـهُ
ولِم لا عليـه الفخـرُ يبكـي تأسـفًا   وقد حقَّ منـه البـينُ وهـو خدينُـهُ
فذاك الذي عن مثلـه يقـبحُ العـزا   ويحُـسن إلا مـن هوانـه سـكونُهُ
عليـه مـن الله التحيـةُ مـا وفَـتْ   بفرقتــه مــن كــل حــيٍّ منونُــهُ
ورحمتُـه مـا حـنّ أو نـاحَ والِـهٌ   نــأى عنــه بعــدَ التــداني قرينُــهُ

[٧٦٤] أبو بكر بن يحيى المنيّري.

قال سيدنا القطب الرباني الشيخ أحمد الشناوي، في كتابه[1] «تجلية البصائر في التمشية على الجواهر» في شأن القطب العارف بالله: كان له جيبٌ من الغيب، في زرّه ينفق منه ما أراد، ولا يرى أحدٌ معه شيئاً، وكان لا يقبل الصدقة، ويقول: الفقراء سلاطين الله في أرضه، وكانت له اليد الطولى في الحديث والفقه والتفسير، ومطارحاتٌ في طامّات المسائل، ومعضِلات المشكلات، مع سيد العالم صبغة الله ـ رحمهما الله تعالى ـ.

[٧٦٥] أبو بكر بن محمد أبي سيرين.

ورفع نسبه في ترجمة والـده إلى الفقيـه أحمـد بن عمر الزيلعي ـ نفع الله به ـ.

---

(١) كتابه: ليست في الأصل.

كان صاحب الترجمة من الأولياء المعتبرين، والرجوع إليهم في كل حين، كثير العبادة، يقطع ليله في الصلاة، ونهاره في الصيام، حريصاً على فعل الخير، داعيةً إلى البر.

مولده باللحية، عام ثمانية وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وتقدم على الأقران، وقام بمنصب والده بعده أتم قيام، وكانت تخشى سطوته الحكام، إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين بعد الألف باللحية، ودفن بقرب جده الأستاذ أحمد بن عمر الزيلعي ـ نفع الله به ـ.

[٧٦٦] أبو بكر بن يوسف السُّكتاني الأمْغَارتي المالكي.

كان إماماً عالماً، حجةً في النقل، وعَزْوِ المسائل، آيةً في المسكنة وحب الخمول، لا تغره الحياة الدنيا وزينتها، ولا يصل إليها، ولا يعظِّم أهلَها، ولا يراهم شيئًا، شديدَ الاحتراس منهم، كثير التحفظ لدينه، كثير العلم والفوائد، محققاً في القراءات السبع والعشر، يعرف من أحكامها ما لا يوجد عند أهل زمانه، وكان كثير النوادر والحكايات، مجلسه أحسن مجلس.

رأيته في مغربنا متواضعاً، يسأله كل أحدٍ، ويجيبه على قدر عقله، صابراً حليماً، ناصحاً محبوباً عند العامة والخاصة، لا يطوي بشره عن أحد، يجلس إلى كل أحد، ويسعى في قضاء حاجته، لا سيما في الشفاعات، ما لم تكن مخالفة للشرع.

وكان يدرس بمراكش بمسجد أم السلطان أبي العباس أحمد، وبمسجد حومته، قرب داره في درب الخلفاء، وبه كان يدرس في زماننا هذا، ورحل إليها ثلاث مراتٍ، آخرها عام أحد وخمسين وألف، وشيوخه بالمغرب

كثيرون، وحدث عن كثيرين من أهل المشرق، في الحديث والعلوم، قراءةً منه عليهم وإجازةً، منهم بمصر: إبراهيم اللقاني، ومحمد مولات الإسكندراني، وبالمدينة عن أبي زيد عبد الرحمن الخياري ـ رحم الله الجميع ـ.

[٧٦٧] الأمير أبو بكر بن علي باشا الأحسائي ثم المدني[١].

أميرٌ جيشه الهمم، وسيفه الحياء والكرم، كان ذا نظرٍ صادق، ونقدٍ خارق، حوى المكارم قليلَها وجليلها، والمآثر جملتها وتفصيلها، كان منه ابتداؤها، وإليه انتهائها، فلو قيل: أين منبت الجود وربيع الآمال، ومن هو للمروءة كافل، وللفقراء ثمال؟ لما انصرفت إلا إليه الإشارة، ولا دلت إلا عليه العبارة.

ولما وردتُ المدينة، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، اتحدت بأخيه يحيى اتحاد الشمال باليمين، والإكليل بالجبين، واتخذته أجل صديق، فكان بها درة تاجي، ولمعة سراجي، وأخبرني أن مولد أخيه المذكور بمدينة الأحساء، في حدود الألف، ونشأ على الاشتغال بالعلم، ثم لما حصل لوالده ما حصل، في قصة ذكرتها في ترجمة أخيه الأمير يحيى، رحل مع والده إلى المدينة الشريفة، وتوطنها، وأقام بها على خير، وفي خير.

وكان بها ملازماً للعبادة، مواظباً لقيام الليل، حتى إنه كان يجيء إلى المسجد النبوي، فيقف ببابه نحو ساعةً حتى يفتحه الخدام، إلى أن أدركه أجله، يوم عرفة بها وهو محرمٌ، فجعل في محفةٍ إلى مكة، ودفن بالمعلاة،

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٧٨) (٣٢٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٩٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٦٨).

وتوفي والده علي باشا بالمدينة، سنة إحدى وخمسين وألف[1].

وشعره نورٌ عاطرٌ، يصيد القلب برقته والخاطر، فمنه قوله مادحاً للشريف زيد أمير مكة:

رقَّتْ لعزٍّ مقامك العلياءُ ... وعليك فضَّتْ راحَها الجوزاءُ
فالبدرُ كأسٌ والشموسُ عُقارُها ... فاشربْ بكأسٍ شمسُه الصهباءُ
وحَبابُها نجم السما فكأنها ... ذاتٌ وذاكَ بشكله الأسماءُ
وأتتك بِكرًا قبل فضِّ ختامها ... يقتادُها راووقُها وذُكاءُ
خضعت لعزك فاستقمْ في عرشها ... يا ظاهرًا لا يعتريه خفاءُ
وانصبْ لواءَ العبدِ منتشر الثنا ... قد ضوعت بعبيره الأرجاءُ
يسعى بظل أمانه بين الورى ... ذو الباسِ والأمجادُ والضعفاءُ
فالدهر سيفُك فاتخذْه مجردًا ... متوشحًا بالنصر وهو رداءُ
فالسعدُ قد تَوَّجْتَهُ فله الهنا ... وكذا السعادةُ برجُها السعداءُ
وعلاك قد شهد الحسودُ بفضلهِ ... والفضلُ ما شهدت به الأعداءُ
وحماكَ أمنُ الخائفينَ تؤمُّه ... شمُّ الأنوف القادةُ الأكفاءُ
ولقد حظيتَ من الإله بنظرةٍ ... أردتْ مريدَ الكيد وهو هباءُ
وحُبيت منه بما تقاعس دونَه ... هممُ الملوك الصِّيدِ والعظماءُ
فالله أظهرَ ذا الجنان بنصِّه ... فالخلق أرضٌ والجنابُ سماءُ
لو قيل لي من ذا أردتَ أجبتُهم ... هل غيرُ زيد تمدحُ الشعراءُ

(1) جاء في الحاشية: «وفي هامش المسودة سنة (٢٦) بعد الألف».

وإذا أُديـر حديثُـه فـي محفـلٍ　　فلمـسمعي مـن طيـب ذاك غـذاءُ
ملـكٌ إذا وعـد الجميـلَ وَفَـى بـه　　وإذا توعَّــدَ شــأنُه الإغــضاءُ
ملـكٌ إذا كتمـت رعـود سـمائنا　　فعلـى انـسكاب نـدى يديـه نِـداءُ
ملـك إذا مـا القِـرنُ أوقـد نـارَه　　فـسيوفُه لخمودهـا أنـواءُ
ملك إذا جارَ الزمان على امرئ　　فجنابُـه الـسامي الرفيـعُ وِقـاءُ
فبسعده أهدى الزمانُ إلى الورى　　كأسًـا هنيًـا لـيس فيـه عنـاءُ
فـالله يُبقـي ملكـه الـسامي الـذي　　قـد كللتـه بنورهـا الزهـراءُ
ويديمُـه فـي الدولـة الغَـرّا التـي　　ظهـرت بهـا الآبـاء والأبنـاءُ
فإليـك بكـرُ قريحـةٍ بكريـة　　رُفعـت إليـك تحفُّهـا الأضـواءُ
كلمـاتُ حـقٌّ شُـرِّفت بمـديحكم　　ومـديحُكم تـسمو بـه الفـضلاءُ

وكتب إلى الشيخ العلامة عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي ثم المكي، مادحاً بقوله:

يا من سما فوق السِّماك مقامُه　　ولقـد يـراك الكـلُّ أنـت إمامُـهُ
حُزتَ الفضائلَ والكمالَ بأسره　　وعلـوتَ قـدرًا فيـك تَـمَّ نظامُـهُ
لو قيل من حاز العلومَ جميعَها　　لأقـولُ أنـت المسكُ فيـه ختامُـهُ
كم صنتَ من بِكر العلوم خرائدًا　　عن غير كـفء لـم يجـب إكرامُـهُ
فـاعلم بـأني غيـرُ كـفء لائـق　　إن لم يكن ذا الفضل منك تمامُـهُ

ثم أتبعه بنثر صورته: لما أضاءت نور المحبة في قنديل القلوب، صفت مرآة الحقيقة، فظهر المطلوب، فاتضحت الرسوم الطامسة، وبانت الطرق

الدارسة، فاكتحلت عين القريحة، فسالت في أنهر النطق، فأثمرت بالمسطور، وهو المقدور، وأما المقام، فهو أنهى من ذلك وأجل، وليس يدري ذلك إلا من وَهَل، وأما العبد، فهو مقرٌّ أنه قد قصرت به الركاب عن بلوغ ذلك، وأعاقته عقبات الأسباب عن سلوك هذه المسالك، لكن حيث إن ثياب الستر من فضلكم على أمثاله مسبولة، فكون أنه يدخل في ضمن الامتثال مطلوبه ومأموله.

فأجابه بقوله:

لله درُّكَ يا فريدَ محامد ... أربى على البدر التمام تمامُهُ
قد صغتَ من سر البلاغة مفردًا ... فاق الفرائد نثرُه ونظامُهُ
وكسوته من جزل لفظك سابغًا ... وُشيت بكل لطيفة أكمامُهُ
وجلوتَه يختال تيهًا آمنًا ... من أن يشابه في الوجود قوامُهُ
أعربت فيك عن اعتقادٍ خالص ... ومكينِ ودٍّ أُحكمت أحكامُهُ
وحبوتَ ذا سكر بنبتِ قصيدةٍ ... وبفضٍّ خاتمة العلا أسوامُهُ
أهلاً به فردًا أتى من مفرد ... وحَبَا به ضيفًا يجلُّ مقامُهُ
حتمًا عليَّ ولازمًا تبجيلُه ... فورًا وحقًّا واجبًا إكرامُهُ
لكنْ على قدري فلستُ بكفءِ من ... وُطيت على هام العلا أقدامُهُ
وإليكها عذرا على مهل أتت ... خجلاً لمحتدِك العزيزِ مرامُه
فاصفحْ بفضلك عن صحيفة نقصِها ... فالفضلُ مؤتَمٌّ وأنت إمامُهُ
واسحبْ رداء المجد غيرَ مدافَع ... فلأنت عنصرُه وأنت ختامُهُ

ثم أتبعه بنثر صورته: هذم دام جدك في صعود، ومجدك في سعود، وعجرفة أبرزها فاتر الفكر الأعرج، وقاصر الذهن البهرج، تتعثر في مروط الخجل والوجل، وتتعارج لما بها من الخطأ والخجل، أتت سوح حضرتك الرحراحة الأرجاء، وأملت أن تفوز من كمال صفحك عن زيفها بتحقيق الرجاء، فقابل إقبالها بالقبول والإغضاء، والحظْها غيرَ مأمور بعين التقريب والرضاء، فإنك مأوى الفضل ومخيمه، ومفتتحه ومختتمه.

ولولا نافذُ أمرك المطاع، وواجبُ تعظيمك المتمكن في الأفئدة والأسماع، لما تراءى لراءٍ[1] عجرُها ولا بجرُها، ولا استبان لسامع خبرها ولا مخبرها، ولكن عند الأكابر تلتمس وجوه المعاذير، ولدى أعيان الأفاضل يرتجى الصفح عن التقصير، والسلام[2].

[٧٦٨] الأستاذ أبو الإسعاد المالكي يوسف ابن الأستاذ أبي العطا عبد الرزاق بن أبي المكارم إبراهيم بن محمد أبي الفضل بن أبي المراحم محمد بن أبي الفضل عبد الرحمن الشهيد بن أحمد أخي السيد الكبير الولي الشهير علي بن وفا ابن الأستاذ الكبير أبي الفضل وأبي التداني محمد وفا[3].

الشيخ العلامة، أستاذ الأستاذين، وجمال الإسلام والمسلمين، أخذ عن سالم السنهوري، وأبي بكر الشنواني، وعبدالله الدنوشري، والعارف بالله

---

(١) في الأصل: لرداء، والصواب ما أثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا ربع صفحة بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٥٠٣).

فائد الأزهري، وعلي الأجهوري، وغيرهم.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ ملازماً لإقراء العلم، والاشتغال به، ويحضر مجلسه البهي، ومحفله الوفي، أكابرُ العلماء؛ كالأجهوري، والمقري، وفتح الله البيلوني، وغرس الدين الخليلي، ومحمد الشبراملسي المالكي، والعلامة الغنيمي، والحلبي، وحجازي الواعظ، وتلميذه علي العزيزي، شارحا «الجامع الصغير»، وكان يقرئ درسه بحضور هؤلاء الأجلاء مجتمعين ومتفرقين، تارةً الشهاب أحمد الدواخلي، وأخرى محمد بن ياسين المنوفي، وكان ممن يحضره دروسه: شيخنا علي الشبراملسي، وبركات البحيري السفطي، ومحمد الحنبلي البهوتي الخلوتي.

وحج سنة خمسين بعد الألف، وحج معه جمعٌ من الفضلاء، منهم: شيخنا أحمد العجمي، واجتمع بمكة بالشيخ تاج الدين النقشبندي، وأخذ كلٌّ منهما عن الآخر، ورجع مع الحج إلى مصر، فتوفي بها سلخ صفر، سنة إحدى وخمسين وألف، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، في محفلٍ لم ير في هذه الأعصار مثله، ودفن بزاوية سلفه السادات بني الوفا، بالقرافة الكبرى، ورثاه الشهاب الخفاجي بقوله (راجع الريحانة)[1].

وجلس بعده في منصبه، بسجادة بني الوفا؛ لأخذ طريق السادة الوفائية الشاذلية، وإلباس الخرقة الوفائية، وتلقين الذكر، وطبقة الفجر، والمسبعات، والمناجاة، وحزب الفتح، والإجازة بالذكر، ولدُه الأستاذ أبو التخصيص عبد الوهاب، وجلس للدرس مكانه، فدخل عليه الشيخ غرس الدين الخليلي،

---

(١) جاء في الحاشية: «ترك بعد كلمة «الريحانة» صفحة بياض».

وأنشده قوله: إذا رأيت بعيني. . .[1].

ومن شعر صاحب الترجمة:

كيف الوصول إلى اللحوق بمعشرٍ ... تركوا الشواغل في رضا مولاهم
سِرْ في الطريق ولا تحِدْ عن نهجهم ... فإذا فعلتَ فربما تلقاهُم

ومن كلامه نفع الله به: ماء زمزم لما شرب له، وطعام الفقراء لما أكل له. . .[2].

[٧٦٩] أبو الحسن بن الزبير السجلماسي المالكي[3].

إمام النحاة في عصره، ومحقق العلماء في قطره، أجمع أهل المغرب على جلالته، وتمكنِه في العلوم العربية، كان كثير الحفظ لشواهد العرب، والاطلاع على أخبارهم، وله المهارة في اللغة، وكان إذا أورد المسائل النحوية، يورد لها شواهد عديدةً لا يجدونها في الكتب المتداولة، وكان يحفظ «التسهيل»، وغالب «شروحه»، فصيح العبارة، حسن التقرير، عظيم الهيئة.

وهو من أجلِّ من نشر العلوم العربية بفاس، وعلَّمها للطلبة، وكان إذا قرر المسألة، لا يزال يكررها بعباراتٍ مختلفة، حتى تظهر بأدنى الرأي، فلذلك كثر الآخذون عنه من أقطار المغرب الأقصى، على كثرة علمائه إذ ذاك.

أخذ عن إمام النحاة أبي يزيد عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن عبدالله

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «بعيني» ثلث صفحةٍ بياض».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «له» سطر بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٦).

إعراب المكناسي وكثيرين، وممن أخذ عنه: الشيخ أحمد بن عمران، والشيخ عبد القادر الفاسيين[1]، ومحمد بن أبي بكر الدلائي، ومحمد بن ناصر الدراوي، وغيرهم ـ رحمه الله تعالى ـ، توفي سنة خمس وثلاثين بعد الألف بفاس.

[٧٧٠] أبو بكر بن عبدالله الحنفي العلواني الحلبي.

كان من فضلاء عصره، له «نظم بستان الشيخ سعدي الشيرازي»، وقفت عليه، في غاية الانسجام والسبك، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وثلاثين والألف، والعلواني نسبةً إلى العارف بالله الشيخ علوان الحموي؛ لأنه من جماعته، وعلى طريقته.

[٧٧١] الملا إسكندر العجمي.

كان من أكابر العلماء المحققين، اجتمع بعلامة ملا حبيب الله الشهير بمرزا جان، بل بأعظمهم الملا يوسف القرباغي. وأخذ عنه العلوم الرسمية، وكان له الباع الطويل في استخراج أسرار أنوار التنزيل. وله الأجوبة الباهرة عن غوامض المشكلات الدائرة.

وله دأبٌ ومثابرةٌ في الاشتغال. وله رسائل في المنطق والحكميات، وسرعة كتابة. وسمع المشكاة معنا على السيد صبغة الله. وكان عنده بعين، توفي بالمدينة، ودفن بالبقيع، كذا نقلته من خط العارف بالله أحمد بن علي الشناوي ـ قدس الله سره ـ.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الفاسيان.

[٧٧٢] أبو جعفر ابن الولي الصالح عبد القادر بن محمد بن سليمان القُلَيْعي المغربي.

ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: من أهل بيتٍ لهم حرمةٌ وصيتٌ في هذه النواحي كلها، سهلها وجبلها وصحرائها، خصوصًا المترجم، فله هديٌ وسمتٌ حسنٌ وتنسك، مثابرٌ على فعل الخيرات، من حجٍّ وجهاد، فقد أفنى غالب عمره في التردد إلى الحرمين الشريفين، وربما رجع من الطريق قبل أن يصل.

ولم يزل ذلك دأبه، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ[1] سنة إحدى وسبعين وألف، ودفن عند والده، بمقبرتهم المعروفة بالأبيض، قرب بوسمغون، وقد حججنا معه سنة تسع وخمسين، ونحن قافلون، وتؤثر عنه كرامات، وله أتباع، وكان يسير للحج غالباً بنسائه وأولاده، ويعظمه الناس كثيراً، الأمراء فمن دونهم، ويتبركون به ـ نفع الله به ـ، كذا ذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته».

والقليعة: تصغير قلعة، وهي قريةٌ حسنةٌ بالمغرب، على حجرٍ صلدٍ، في سفح جبلٍ منقطع عنه، وبها آبارٌ كثيرةٌ طيبة الماء، ونخيلٌ ليس بكثير، وهي من طاعة سلطان داركلا، وبها عامله.

[٧٧٣] أبو السرور ابن الأستاذ الشيخ محمد بن زين بن الحسن البكري المصري الشافعي[2].

---

(١) رحمه الله تعالى: ليست في الأصل.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٥) (٩٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي =

قال النجم في «ذيله»: كان ـ فيما بلغني ـ أمثل من أخيه زين العابدين، وكان له ذوقٌ صحيحٌ في معارف الصوفية، والبلاغة الكاملة في إلقاء الدروس البكرية، قال: ولما سافر أخي أبو الطيب إلى القاهرة، سنة اثنتين بعد الألف، صحبه، وكان المترجَم يبالغ في إكرامه، وكان يدرس في الجامع الأزهر، وكان لـه اتساعٌ في الدنيا، ومداخلةٌ في أمورٍ كثيرةٍ، ودرس بالخشابية، بعد الشمس محمد الرملي، ومات سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٧٤] أبو السعود بن محمد بن تاج الدين الكوراني الحلبي[١].

أديبٌ لم يوجد له في عصره مثيل؛ لما له من سرعة البديهة ولطائف التمثيل.

وُلد ونشأ بحلب، وبرع وتأدب، ونظم الشعر البديع، الذي يزري بزهر الربيع، فمنه قوله:

كأنما الوجه والخالُ الكريمُ به ... مع العِذار الذي اسودَّتْ غدائرُهُ
بيتُ العتيق الذي في ركنه حجرٌ ... قد أسبلت من أعاليه ستائرُهُ

وقوله:

بدر أدار على النجوم براحة ... شمسًا فنارت في كؤوس رحيقِهِ

= (١/ ١١٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٢).

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٢٣)، «معادن الذهب» للعرضي (١٦٧) (٤٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦١٩) (١٢٧)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٢٦٦) (٩٧٥).

شمسٌ إذا لمعت كأن وميضَها … برقٌ تلألأ عند لمع بريقِهِ

يسقي وإن عزت عليه ورام أن … يشفي لداء محبه وحريقِهِ

فيديرها من مقلتيه وتارةً … من وجنتيه وتارةً من ريقِهِ

[٧٧٥] أبو السعود بن تاج الدين البعلي الأصل ابن محمد بن أحمد ابن زكي الدين بن بدر الدين، الدمشقي المولد، الخزرجي، الشهير بالقباقبي الشافعي(١).

صاحبنا الفاضل، الأديب الذكي، الفطن الأريب الألمعي، كان طلق اللسان، ثابت الجنان، ذا فهمٍ ثاقب، ورأيٍ سديد صائب، اشتغل بالفقه والعربية في عنفوان شبابه، ولازم علماء بلده، وتقدم على أصحابه، ومن شيوخه: عبد الباقي الحنبلي، والجمال محمد الخباز، ومحمد بن محمد العيني، وغيرهم.

وبرع في فنون، ودرس في شروحٍ ومتون، وكانت حرفته التجارة، والسير في طلب الرزق مع السيارة، ومن شيوخه ـ أيضاً ـ: علي القبردي، ومحمد بن بلبان، ومنصور المحلي، وحج كثيراً، وقدم مصر، وذهبت به لشيخنا خاتمة المحدثين محمد البابلي، وخاتمة المحققين علي الشبراملسي، وقرأ عليهما من أول «صحيح البخاري»، وأجازاه بمروياتهما، وحضر دروس شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي.

وكان ـ رحمه الله ـ دمث الأخلاق، حسن العشرة، لطيف المحاضرة،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٩).

كامل الأدوات، قوي الحزم، وكان ثرياً في دنياه جداً، مجملاً متجملاً، وأجازه البشبيشي المذكور، وكتبت لـه إجازات بخطي، بأمرٍ منهم، وتوفي بدمشق، في شهر رمضان، سنة أربع وتسعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٧٧٦] أبو السعود ابن شيخ الإسلام نجم الدين بن بدر الدين الغزي[1].

مفتي الشافعية بدمشق، فاضلٌ اقتفى آثار آبائه الكرام، وتقلد رياسة الفتوى بعدهم أعوام، وجدّ في تحصيل ما يثني عليه به في مساعيه، مع حسن سريرةٍ مشتملةٌ على تقوى الإله ومراضيه، وكان جليل الشكل، حسن الصورة، نيّر الوجه، عظيم الهيئة، رأيته بدمشق الشام، وقد خضع له الخاص والعام، وهو يدرس بمسجد بني أمية، تحت قبة النسر، في «صحيح البخاري»، وكانت وفاته في حدود سنة سبعين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

محاسنُ الشام جَلَّتْ ... عن أن تُحَدَّ بحدُّ
عن حسنِها فتحدَّثْ ... وعن سواها فعَدُّ
واللهِ لولا فناها ... لقلتُ جنةُ خلدِ

وكان صاحب الترجمة بينه وبين خالي وأستاذي العلامة محمد بن الحسن المنلا مودةٌ أكيدةٌ، وأسئلةٌ مفيدةٌ، وكان كلٌ منهما يجتمع بصاحبه في كل أسبوعٍ مرتين؛ للمذاكرة في العلوم، وكنت في خدمتهما أقوم وأنا صغير، ولله الحمد والفضل.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٠٩).

[٧٧٧] أبو السعود بن صلاح الدين الدنجيهي الأصل نسبةً إلى دُنْجَيْه ـ بضم الدال، وسكون النون، وفتح الجيم، بعدها ياءٌ ساكنةٌ وهاء ـ، وهي قريةٌ من أعمال دمياط، الدمياطي المنشأ والمولد، الشافعي[1].

صديقي الصادق الوداد، سلالة العلماء الأمجاد، الشيخ الفاضل، البارع في الفقه وغيره من العلوم النافعة، الحسن الخَلق والخُلق، المليح المحاورة والصحبة، صحب الفضلاء والفقراء، وتخلق بالأخلاق الجميلة.

وُلد سنة ستين ـ فيما أظن ـ بدمياط، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجودَّه، على الشيخ العلامة أبي السعود بن أبي النور الدمياطي، وقرأ عليه في الفقه وغيره، ثم قدم مصر، ولازم حضور دروس شيخنا أحمد البشبيشي ـ رحمه الله ـ، وجدّ في الاشتغال، حتى صار من فحول الرجال.

وصحبتُه في إبان الطلب، وشاركته في اقتناص شوارد العلم والأدب، وكنت ذا عنايةٍ بالاجتماع به، والتمتع بأدبه، ثم رجع إلى بلده، وأقام بها على بث العلم ونشره، وقدم بعد سنين إلى مكة حاجاً، وكنت ـ إذ ذاك ـ بها، ولم يرد الله سبحانه بالاجتماع عليه، مع كثرة شوقي إليه، والاجتماع مقدر، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

وتوفي ـ رحمه الله ـ وهو راجعٌ من الحج بالمدينة الشريفة، أوائل محرم، سنة ألف ومئة وتسع، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله ـ، ولما وصل خبره إلى والده بدمياط، بعد وصول الحاج إليها، لم يلبث إلا قليلاً، ومات بعده ـ رحمهما الله ـ، وله «حاشيةٌ على شرح الغاية للخطيب الشربيني»، و«أخرى

---

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٨).

على شرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا»، ورسائل في فنونٍ عديدةٍ، وكان قبل موته بسنتين، اجتمعت كلمة أهل دمياط عليه، وصار رئيساً لها، معدوداً من أعيانها، مع ما له من سمو النسب، والرفعة السالفة.

[٧٧٨] أبو الصفا بن أيوب بن أحمد الخلوتي الحنفي الدمشقي.

من الفضلاء المشهورين بالديار الشامية، وممن أنفق نفيس عمره في تحصيل العلوم النظرية، مولده بصالحية دمشق، سنة خمس وأربعين وألف، وقرأ بصالحية دمشق على علي القبردي، ومن في طبقته من علماء عصره، وأخذ عن والده علوم الصوفية، وحصّل طرفاً من العلوم الدينية.

ثم سافر إلى الديار الرومية، ولازم بها شيخ الإسلام يحيى المنقاري، واختص به، ثم رجع، وولي تدريس المرادية بمكة، وأقام بمكة نحو سنتين، صحبة عماد آغا، نائب جلة، وكان له به اختصاص، ثم رجع إلى دمشق، وأقام بها، وولي مناصب سنيةً، ومدارس عليةً، وأقام مدةً، ثم حج وجاور بمكة سنة، وكنت لا أفارقه فيها غالباً؛ للصداقة التي بيني وبينه قديماً.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على بث العلم ونشره، ثم ولي إفتاء الحنفية بدمشق، وعظم قدره، واشتهر أمره، وصار مرجع الشام، عند الخاص والعام، إلى أن توفي بها، لعله في شهر جمادى الأولى[1]، سنة إحدى وعشرين ومئة وألف، ودفن بتربة الغرباء، بقرب والده ـ رحمه الله تعالى ـ، وأوصاه والده وصيةً عظيمةً تكتب من المجموعة.

[٧٧٩] السيد أبو الغيث اليمني، صاحب الهشا.

---

(١) في الأصل: الأول، والصواب ما أثبت.

كان شيخاً صالحاً، زاهداً ناسكاً متورعـاً، مقصوداً بالزيارة، مشهوراً بالكرامات، روي: أن الناس ازدحموا عليه مرةً، وقالوا له: إنك أنت المهدي المنتظر، فلا بد من الخروج، فمنعهم، فلم يمتنعوا[1]، ففر منهم، وصعـد إلى ذروة جبلٍ عالٍ، صعبِ المرور، بناحيـة إبّ، وسكن بها مع رجالٍ من أصحابه وأحبابه، وصار منزوياً منقطعاً، بل مجتنباً عن الناس، حتى من الزوار والقاصدين، مشغولاً بنفسه، منجمعاً عن الدنيا بالكلية، وكان يستر وجهه، ولا يكشفه على أحد من الرجال، وله كراماتٌ ظاهرةٌ، وخوارق باهرة.

[٧٨٠] السيد أبو الغيث اليمني.

ساكنٌ بقرية من أعمال تعز، قريباً منها، وله أحوالٌ وكرامات.

[٧٨١] السيد أبو الغيث بن محمد بن إبراهيم الهادي بن عمر ابن الشيخ شجر القديمي، ينتهي نسبه إلى الشريف القديمي ابن الشجر بن أبي بكر بن محمد بن إسماعيل بن أبي بكر العربادي بن علي بن محمد النجيب بن حسن ابن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن حسين بن آدم بن إدريس بن حسين بن محمد التقي الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ، هكذا نقل نسب السادة بني القديمي العلامة محمد ابن أبي بكر الأشخر في «رسالته»، قال: وأكثر ذرية الشريف الشجر من ولده الشريف القديمي[2].

---

(١) في الأصل: يمنعوا، والصواب ما أثبت.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٣٩).

كان صاحب الترجمة من أكابر أولياء عصره المشهورين، ومن عظماء السادة المجللين، وله الجاه الواسع عند ملوك مكة الحسنيين، وأمراء الأروام، والخاص والعام، وكان يحب الطيب، ويحيّي زواره به، ويتصرف في الناس، ويأخذ ما يشاء منهم، ويصل به الفقراء والمنقطعين.

وكان تارةً يلبس لباس الملوك، وتارةً ينزعه ويبيعه، ويطعمه الفقراء، ويلبس لباس الفقراء، وكانت تجار اليمن وغيرهم يستغيثون به في شدائد البحر، ومضايق البر، فيجدون بركة الاستغاثة به في الحال، وينذرون له[1]، وإذا حصل لهم الفرج أو الغرض، وفوه، وكان يعمل المولد بالحرم، في الموسم وغيره، على طريقة أهل اليمن، ويعمل أشغالهم، ويلحن ألحانهم بنفسه.

وله رياضةٌ واجتهادٌ في العبادة، وآثارها عليه ظاهرة، توفي بمكة، في شهر محرم، عام أربعة عشر بعد الألف، ودفن بالشعب الأعلى، بالقرب من ضريح خديجة ﵂[2] بالمعلاة، وهو المشهور الآن عند المكيين بأبي الغيث بن جميل.

ومن كراماته: أنه وقف بالموسم، في المكان الذي يفرق فيه الصر السلطاني، بالمسجد الحرام، وقال للكتّاب: أعطوني منه ما يخصني، فقال له

---

(١) وهل تصح الاستغاثة إلا بالرب ﷻ أو النذور لسواه سبحانه وتعالى، كذب المبطلون وخاب المدعون، وسبحان الله وتعالى علواً كبيراً عما يقولون، وغفر الله للمصنف ورحمه فيما دونه وذكره.

(٢) ﵂: ليست في الأصل.

بعضهم: إن كنت رجلاً كاملاً، فهات لنـا تقريراً سلطانياً بما تروم، ونعطيـه لك، فما مضت ساعة إلا وأتاهم بتقرير من سلطان عصره، السلطان محمد ابن مراد خان، بجامكيـةٍ وغيرهـا، فدفعوا له ما هو مكتوب له في المرسوم السلطاني.

وكان السلطان محمد المذكـور من أوليـاء الله، ومن أهل الخطوات، ويقال: إن صاحب الترجمة بعد أن فارق الكتاب المذكورين، دخل الطواف، فرأى السلطان محمد في الطواف، هو مختفٍ، فأمسكه وقال له: إن لم تكتب لي تقريراً بصر يكون لي ولأولادي، وإلا فضحتـك بين الناس، فكتـب لـه مرسوماً في تلك الساعة، فأتى به إليهم، وأمضوه ـ على ما ذكرناه ـ.

[٧٨٢] أبو السعود بن علي الزين القسطلاني المكي المالكي[١].

عالمٌ عاملٌ، وناسكٌ غيثُ بركتـه هامل، وإمـامٌ بمثله يقتدى، وطـودٌ بنجوم هديه يهتدى، وعلامةٌ في علوم العربية، ومثابرٌ على خدمة خالق البرية، كان متقلداً بقلائد العفاف، متخلياً عما يزيد على الكفاف.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بالعلم مدةً سنين، تقـارب العشرين، وأخـذ عن أهل الفضل والدين، ببلد الله الأمين، منهم: العلامة علي بن جار الله، والشيخ يحيى الحطاب، وغيرهما، وعنه أخذ العلامة عبدالله بن سعيد باقشير، والفاضل حنيف الدين المشهدي، وغيرهما.

ولم يزل ملازماً لخدمة العلم وإفادته، منهمكاً على مطالعته ومذاكرته، مكباً على إسعـاف الطلبـة، بجواهر النحو والدر، إلى أن وافاه الردى، من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٢٢).

لا يغفل عن زيد ولا عمرو، فتوفي سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

وله مؤلفاتٌ، منها: «الفتح المبين في شرح أم البراهين»، و«فوح العطر بترجيح صحة الفرض في الكعبة والحجر»، و«إملاء على الآجرومية» شرحاً لطيفاً، وله «منظومةٌ في مسوغات الابتداء بالنكرة وشرحها».

وله شعرٌ حسنٌ منه قوله:

ألايم القوم حتى أن أرى رجلاً ... أخا مذاكرةٍ للعلمِ ينتسبُ
أقامَ ذكرَ عهود بالحمى فله ... أحنُّ إلفًا وبالمألوف أنتسبُ
كأنني هل إذا فعلٌ يحيزها ... فالمستضيء بأهل النحو يصطحبُ

أشار به إلى ما ذكره النحويون، من أن «هل» مختصةٌ بالفعل، إذا كان في حيزها، فلا يجوز هل زيد خرج؛ لأن أصلها أن تكون بمعنى «قد»، تقول: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، و«قد» مختصةٌ بالفعل، فكذا «هل»، لكنها لما كانت بمعنى همزة الاستفهام، انحطت رتبتها عن «قد» في اختصاصها بالفعل، واختصت به فيما إذا كان في حيزها؛ لأنها إذا رأته في حيزها، تذكرت عهوداً بالحمى، وحنت إلى الإلف المألوف، ولم ترض بافتراق الاسم بينهما، وإذا لم تره في حيزها، تسلت عنه، وذهلت، ومع وجوده إن لم يشتغل بضمير، لم تقنع به مقدراً بعدها، وإلا، قنعت به، فلا يجوز في الاختيار، هل زيداً رأيت؛ بخلاف هل زيداً رأيته. انتهى.

وقوله:

فبينما الشخصُ يمشي وهو في فرحٍ ... إذ صار في النعش محمولاً على الكتفِ

فعدّ زاداً هي التقوى وكـن حـذرًا	واكثرْ من الذكر والأحـزانِ والأسـف

وقوله:

ألا ليـت شـعري هـل أبيـتن ليلـةً	بروضةِ مَـنْ بالـصدق كـان يقـولُ
وهل أُبصَرنْ تلك المعاهَد والربـا	وهــل يقعــا لــي نظــرة وقبــولُ

وقوله: هل يقعـا، جرى على اللغـة الضعيفـة المشهورة بلغة أكلوني البراغيث، من إلحاق المسند إلى اثنين، أو جمع ضميرهما. انتهى.

وقوله مخمساً لبيتين نظمهما صاحبه العلامة عبد الرحيم بن حسان:

غرامي لرؤيا الطيف[1] في العمر مـرةً	غريمي بأخذ الروح والقلب هجرةً
ومن شدة الإشـفاق أُنـشدُ حـسرةً	ألا ليـت شـعري هـل أبيـتن ليلـةً
بــوادي عقيــق حــلَّ فيــه رســولُ
وتُبصر عيني مـا بـدا مـن شـؤونه	وتُبـرد نـارًا بالحـشا مـن شـجونهِ
ويفـرح قلـبٌ حزنُـه مــن عيونــه	وهــلا أردَنْ يومًــا ميــاهَ عيونــهِ
وهــل يبــدُوَنْ لــي قبــةٌ ونخيــل

[٧٨٣] أبو القاسم بن إسحاق بن إبراهيم.

الظاهر أنه ابن جعمان، ورفع نسبه في ترجمة ولده.

كان فاضلاً محققاً، عالماً عاملاً، زاهداً في الدنيا، عُمِّر طويلاً، بلغني أن ولادته سنة سبع عشرة وتسع مئة، وتوفي في حدود الألف، ببيت الفقيه

(١) في الأصل: اللطيف، والمثبت هو الصواب.

ابن عجيل، وقبر عند مسجدهم، وهـو شيخ السيد الطاهر بن بحر، والفقيه محمد بن عمر حشيبر، وغيرهما ـ رحمهم الله ـ.

[٧٨٤] السيد أبو القاسم بن علي، صاحب الضحى.

الولي المشهور، يرجع نسبه إلى محمود بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

[٧٨٥] السيد أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن سليمان بن أبي القاسم ابن عمر بن علي الأهدل[١].

الولي المشهور، شُهر على ألسنة العالم بقائد الوحوش؛ لأن الله سبحانه سخرها له كرامةً؛ من تسلطها كثيراً على من آذاه أو قطعه، عادة التزمها بطريق النـذر ونحـوه، وشهرة حاله واعتقاده بين العالم، يغني عن وصفه وتفصيل سيرته.

توفي ـ رحمه الله تعالى[٢] ـ في المحرم، ليلة الثلاثاء، لعشر مضين منه، سنة اثنتين وعشرين وألف، في المحط من أعمال رفع، ودفن بها قبل طلوع فجر الليلة المذكورة.

قال ولده السيد أبو بكر: ولقد شاهدنا منه في حالة احتصاره وغسله، ما يدل على حسن حاله وفضله، واطلعنا له عقب وفاته، على مناقب كثيرةٍ، تشهد بأنه كان ذا ولايةٍ كبيرة، وهو والد السيد أبي بكر مصنف «النفحة».

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٤٤).

(٢) رحمه الله تعالى: ليست في الأصل.

[٧٨٦] أبو القاسم بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن الأهدل.

كان عبداً حصوراً صالحاً، يقوم بواجب الوافدين، ويطعم الضعفاء والمساكين، توفي في ذي الحجة، سنة تسع وثلاثين وألف، وعظم بموته مصاب المسلمين.

[٧٨٧] أبو محمد حسين بن حسن بن أحمد بن سليمان الحسيني الغريفي البحراني(١).

بحر علمٍ تدفقت منه العلوم أنهارًا، وبدرُ فضلٍ عاد به ليل الفضائل نهارًا، شب في العلم واكتهل، وهمى صَيِّبُ فضله واستهلّ، فجرى في ميدانه طلقَ عنانه، وجنى من رياض فنونه أزهار افتتانه.

وكان بالبحرين إمامها الذي لا يباريه مبار، وهمامها الذي يصدق خبره الاختبار، مع سجايا تستمد منها المكارم، ومزايا تستهدي محاسنها الأكارم.

وله نظمٌ منه قوله:

قلت للذي عابَ فعابَ الذي ... قُلتُ وقلت السر مني ضروسْ
لا تمتحَنْها تمتحن أنها ... دليةٌ قد دُلِّيت عن مروسْ
بل وقناتي صَعْدَةٌ صعبةٌ ... تخبر أني الهزبريُّ الشموسْ

وكانت وفاته سنة إحدى وألف، ولما بلغ نعيه شيخه، الشيخ داود بن شافيز البحراني، استرجع وأنشد:

هلك الصقرُ يا حَمامُ فغني ... طربًا منك في أعالي الغصونِ

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٩٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٨٧).

[٧٨٨] السيد العلامة الأصولي النحوي أبو المطهر الحسن بن مطهر ابن محمد الجرموزي الحسني ـ رحمه الله ـ[(١)].

قال في «قلائد الجوهر» في حقه: هو رب البلاغات الباهرة، والكلمات التي هي بالنجوم ساخرة، وخضم الأدب الذي لا يحصى فضله ولا يحصر، وإمام الفصاحة التي تتلو لنا في ينابعها: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ﴾ [الزخرف: ٤٨]، وصاحب النظم الذي هو عقودُ دُرٍّ وجوهر.

وله الأدب الذي لم ينسج على منواله، والإبداع الذي أعرب عن تحريك أشجان كم من واله، ضرب شطراً[(٢)] صالحاً من عنفوان شبابه في العلوم، وتردى[(٣)] من كأس رحيق الأدب المختوم، وهذا «قلائد الجوهر في أنباء آل المطهر» ألفه الفقيه الأديب علم الدين قاسم بن أحمد الخالدي، وكان من غرس نعمتهم، وممن غُذي بمياه مكارمهم.

وأخذ في صنعاء على جماعةٍ من علمائها، منهم: القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد الحيمي، والسيد محرم الحسني، والقاضي الطبري المعروف بالوحش، والقاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم السحولي الخطيب، وغيرهم من المشاهير، ومن جملة مشايخه: القاضي شمس الدين أحمد بن

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٩٠) (٢٢٠)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٥٠٥) (١٥٨)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٣٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٥٦٠) (٥٢)، «البدر الطالع» (١/ ٢١٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٢٣).

(٢) في الأصل: سطراً، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وتروّى.

سعد الدين المسوري، والقاضي عبد الواسع بن عبد الرحمن القلعي القرشي.

وأخذ عن الإمام الأعظم المتوكل على الله؛ فإنه أيام اتصاله لم يترك الاشتغال عليه.

وممن تتلمذ له: مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، وصنوه الحسن بن علي، وأخذ عليه ـ أيضاً ـ في النحو: القاضي شرف الدين الحسن بن محمد المولى، خاتمة المحققين بصنعاء اليمن.

وله نظم «الكامل في أصول الفقه»، و«تعليقاتٌ على نهج البلاغة»، لكنها لم تتم، ولم يزل بعد اتصاله بالمتوكل بالله يتنقل في الأعمال، وكتابة الإنشاء، حتى كان هو المتولي لكتاب[1] سلطان الهند، المعروف بمحمد أورنكزيب بن شاه جهان، الواصل إلى مولانا أمير المؤمنين المتوكل في سنة. . .[2] صحبة رسوله السيد محمد سعيد.

وهو كتابٌ مجلدٌ يأتي كراس، وصنف فيه ما كان بينه وبين إخوته الذين هم: مراد بخش، وشاه شجاع، ودارا شكور من الحروب، عند قيامه بالمملكة، عند عجز والده شاه جهان، وكان الجواب على منوال كتابهم، وذكر فيه ما كان بين المتوكل وسلطان حضرموت من الحروب، وكان المتوكل قد أمر جماعةً ممن في[3] حضرته، من فضلاء اليمن بالجواب، ولم ينفذ غير جوابه؛ لاستجادته.

---

(١) في الأصل كلمه غير مقروءة.

(٢) جاء في الحاشية: «لم تذكر السنة».

(٣) في: سقطت من الأصل.

ونقله المتوكل من الكتابة إلى حرار، ثم المخا، ولم يزل به أيام المتوكل، ومدة خلافة المهدي، وخلافة المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، وصدر خلافة الناصر الهادي محمد بن المهدي، حتى اضطرب أحوال اليمن، وهبت زعازع الفتنة.

وفي وروده إلى المخا يقول القاضي جمال الدين علي بن صالح بن أبي الرجال، مؤرخاً ذلك سنة واحد وثمانين وألف:

بعثَ الإمامُ إلى المخا بماجدٍ … أَطْفى بصدقِ العزم نيرانَ الفِتَنْ

قِرم محا رسمَ الفرنج عن المخا … وحمى بحدِّ السيف أطرافَ اليمنْ

باهى المخا به على أقرانه … وسما بمقدمه الشريفِ على عَدَنْ

ودعا لسانُ الحال فيه مؤرخّا … (ملىء المخا عدلاً بمولاه حسن)

وعمّر في المخا قلعة الساحل، ولم تكن قبل ذلك، وجدد غيرها، لما كان يحصل من الإفرنج ـ أخمدهم الله ـ، وجدد بها عمارة الجامع الكبير، وعمره عمارةً أنيقةً، وكتب على لوح من الكافور، فيه من شعره مؤرخاً:

جامع مبارك … قد سَرَّنا عامُهُ

شادَ بناه حسنٌ … كما يشا إمامُهُ

وقد أتى تاريخُه … (وبالهدى ختامُهُ)

وذلك سنة خمس وتسعين وألف.

ومن مآثره: نهر أجراه على نحو فرسخ، في مناخةٍ من جهة حرار، وفي أيامه ظهرت نارٌ في جبل قِر، الذي نار اقلعه فضلى، كانت ترمي بشرر

كالقصر، يسمع منها دويٌّ كالرعد القاصف، حتى غشى دخانها مَنْ في المخا، وكان يظهر ضوءها في الليل من الجبال.

وقدم في أيامه السيد محمد بن محمد عبد الرسول البرزنجي، رسولاً من شريف مكة إلى الهند، وحصلت بينهما مكاتباتٌ ومراجعات، وألف برسمه السيد محمد البرزنجي كتاب «الاهتدا في الجمع بين أحاديث الابتدا».

وفي أيامه وصل الشيخ جمال الدين علي بن علي المرحومي المصري الضرير، فأكرمه، ورغبه في سكون المخا، وتردد في أثناء ذلك إلى الهند، وإلى صنعاء ومكة.

ومما كتبه إليه الشيخ علي المرحومي، يطلب منه مملوكاً:

لا يُسترَقُّ العبدُ إلا إذا ... أدخلت هذا الرقَّ في رقِّهْ
فأنت من لو يشاء في دهره ... لاستنزلَ العَيُّوقَ من أُفْقِهْ

وفي أيامه كان خروج السلطان أبي الفتح عبد العزيز خان، سلطان سمرقند وما والاها، وهو سلطانٌ عظيمٌ، صاحب مملكةٍ متسعة، وكان خرج إلى مكة؛ لتغلب ولد أخيه المسمى شيخان ملي خان على مملكته، وشرحُ حديثه ومملكته يطول، وتوفي السلطان عبد العزيز في المخا، ونقل إلى المدينة بوصيةٍ منه.

ومما كتبه صاحب الترجمة إلى شيخه القاضي محمد بن إبراهيم السحولي ـ فسح الله في أجله ـ:

حَتَّامَ تنهلُّ البوادْر ... وإلامَ أعدو والدهر ساهِرْ
ويصدني ريمُ الفلا ... ة أما لذاك الدهر آخِرْ

وهي طويلةٌ منها:

لا تعجبــوا مــن عملــك ... فــي الحــب حــائر
فــي المخلــص لا ى أحلامــي ... حــديثك لا ولا تعــم المزاهــر
إلا حــــديث محمـــد ... فخـــرِ الأوائـــل والأواخِـــرْ
أَبْهـــى المـــلا حـــاوي العـــلا ... جـــمُّ المناقـــب والمفـــاخرْ
نـــور العـــرا ســـدى القِـــرى ... مـــوهي القـــرا مـــن كـــل فـــاخر
إن قـــــال أزرى بــــالقلا ... ئــد والثمــين مــن الجــواهر

فأجابه القاضي عز الإسلام محمد بن إبراهيم ـ فسح الله في أجله ـ بقوله:

بــين المفــاخر والمحــاجر ... فُــتن الأصــاغرُ والأكــابرْ
وعلــى الــدما طلــب دمــا ... للأوائـــــل والأواخـــــر
وإذا نظــرت وجــدت ســو ... دَ البابليـــات الفـــواتِرْ
بــيض الــسيوف المرهفــا ... ت المـــشرفيات البـــواترْ
ومعــاطف البــيض الــسوا ... حــي للهــوى الــسمر الــسواحر

ومنها:

فلا تتخون[1] خطيئتي إن سلمت ... واللهُ غـــــــــافرْ
بمـــديحِ مولانـــا الكريـــ ... ـــم بـــنِ الكـــريم أخـــي المفـــاخرْ
حـــسنِ ســـليلِ مطهَّـــرِ ... نجـــلِ الغطارفـــةِ الأكـــابرْ

---

(١) كذا في الأصل.

أهــلِ الرجاحــــةِ والفـــصا حــةِ والــسماحةِ فــي الــضرائرْ
أهــلِ العـــوارفِ والمعـــا رفِ والمحـــابرِ والمنـــايرِ

ومنها:

عـــذرًا إليـــك متـــاعُ شعــــ ــــري عــن مــدى علياكَ قاصــرْ
قابلـــتُ هاتيـــكَ القـــصو رَ بهـــذه الـــدِّمَنِ الـــدواثِرْ
علمًـــا بأنـــك كامـــلٌ وبـــأن بحـــرَ يـــديك وافـــرْ
وبـــأن حكمَـــكَ عـــاذرٌ فيمـــا أتيـــتُ بـــه وســـاتِرْ
قــد كــان لــي مــن قبـلُ نظـــ ــــمٌ تُــستمال بــه الخـــواطرْ
واليـــومَ دارتْ للهمـــو م علـــى قريحتـــيَ الـــدوائِرْ
ثـــم الـــصلاةُ علـــى النبيْـــ ـــيِ وآلـــه خيـــرِ العـــشائرْ

وكتب إليه الأديب الذي أصبح واسطة عقد أهل الأدب، المفضل الحسن ابن علي بن جابر الهبل، وذلك من أثناء كتاب طويل:

يـا بـنَ الأئمـةِ مـن أبنـاءِ فاطمـةٍ وخيرَ آلِ النبي المختار خيـرِ نبـي
يا خيرَ مـن رقمـت طـرب أناملـه وأكرَم الناس من عجمٍ ومن عربِ
لله مـن ماجـد حـاز العـلا فَعَـلاَ في المكرمات وحاز المجدَ وهو صبي
أو لـم يـزلْ همُّـه العليـا وسـيدها وهــمُّ أترابـه فـي اللهـو واللعـب
إن هــزَّ أقلامَــه قالــت أناملُــه نبت غصون الرياض آلـة الحطـب
لا زلـتَ تـنظم أسـلاكًا منـضَّدَةً كما تجود على العـافينَ بالـذهبِ

فأجاب في عنوان الكتاب:

أَمِـن لآلٍ تـصوغ الـنظمَ أم ذهـبِ		أم من رحيقٍ تعـالى اللهُ أم ضَـرَبِ
هل تلك روضةُ حربٍ جادها غَـدِقٌ		فحفَّ دوحاتِها بـالزهر والقُـضُب
أم تلك جنـةُ عـدنٍ قـد أتيتَ بهـا		تجلو النواظرَ أم عقدٌ من السهبِ
أم تلـك غانيـةٌ بالحـسن غانيـةٌ		عـن الحـسن دارت بابنـةِ العنـبِ
جاءت تبخترُ في حَلْي وفي حُلـل		وتُخجل البدر إذ تبدو من الحجب
أهانـت الـدرَّ حتـى مالـه ثمـنٌ		دار حـصعمة الأسـعار والحطـب
سـقيًا لهـا دميـةً لـو أنهـا نطقـت		لبـتُّ أُنـشدها مـن شـدة الطـربِ
نفـسي الفـداءُ لثغـرٍ راق مبـسَمُه		وزانـه شَـنَبٌ ناهيـكَ مـن شَـنَبِ
يفترُّ عـن لؤلـؤٍ رطـبٍ وعـن بَـرَدٍ		وعن أقاحٍ وعن طلعٍ وعـن حَبَـبِ
لله مـــا طمهـــا لله راحمهـــا		يا للعجائب كم أبدي من العجب

وكتب إليه العلامة الشيخ محمد بن الحسين المرهبي بن أبي فاضل رسالةً ذيلها بأبيات عتابٍ مطلعها:

لك الخير ما دامتْ لعبـد صـنائعُهُ		فقد راعه من سُخطك اليومَ رائعُـهْ
نأت فما قلبي بجَلْـدٍ على الجفـا		ولا مـستطيع مـا بـه أنـت صـانعُهْ
تجافيتَ حتى ربع لـي مـن أربعـه		وقاطعتَ حتى رقَّ لي من أقاطعُـهْ
وإنك قد أسلفتَ عنـدي عوارفًـا		أمنـتُ بهـا والـدهرُ جَـمٌّ فجائعُـهُ
وأوردتَني من فضل نُعماك مـوردًا		تعزُّ على الشهب السواري مسارعُهْ
ولـو أنني فـي أفـق مجـدك ربـه		فطــائره دونـــي محــلاً وواقعُــهْ

فلا تقصدَنْ بالهدم ما أنتَ بانِيه ... ولا تنحُ بالتخريقِ ما أنتَ راقعُهْ

إلى أن قال:

وقد رفع الباري محلَّك في الورى ... على كُرهِ أقوامٍ لما اللهُ رافعُهْ
فإن ترع تستوقف ركابَ مودتي ... ويأتيك عاصي المدح مني وطائعُهْ
وإلا فإن الغيثَ باعثُ جيشه ... إلى ربعك العالي وهذي طلائعُهْ
وعش سالمًا فالمُلك بُرْدٌ مسهَّمٌ ... وأفعالُك الغُرُّ الحسان وسائعُهْ

ومن مستحسن مطارحه، ومستبدع سوانحه: ما دار بينه وبين القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، كتب إليه القاضي المذكور إلى المخا، في شهر رمضان، سنة ثمان وثمانين وألف، من صنعاء المحروسة:

أحبة قلبي بعد عهدي وعهدهم ... بأنهم ينون هدمًا لما بني
أحبتنا ما غير النأيُ حُبَّنا ... فقلبي لكم مذ غبتمُ خيرُ موطنِ
أحنّ إليكم كلما حنَّ راعدٌ ... وأذكر عيشًا كان لي ولكم هَني
وأعقد سطحي لم رنت إليه وساريا ... وأشرف بالغور اليماني لعلني

ومنها:

سأصبر إذ عهدي وسوء عهوده ... فمثلي بحفظ العهد والعهد ينفني
وهل أرتضي نسيانكم بعد فضلكم ... أنيسي كريم الأصل إحسان محسن
فحاصلُ حالي والأخلاء أنهم ... جَفَوْني ولم أجفُ الأخلاءَ إنني

فكتب السيد حسن الجواب:

نعم عن هواكم لستُ واللهِ منثني   فعطفُ ودادي منكم الدهرَ منثني

ولي فيكم الوجدُ الذي طاب ذكرُه   وطار مع الأمثال في كل موطن

وحسن ولاء والقلوب شواهد   فوجه عتابي منكم غيرني

صلوا حبكم أو فاقطعوه فوده   كشي أصيل ليس ينفك مني

وهيهات أن يُنسى جميل فعالكم   وغير طباع يفضح الدهران مني

وتلهيه دنيا عنكم أو مس بلده   إذن فهو في أهل الهوى العاشق الدني

أبي لي أبائي أن أقوض عنكم   خيامي أو أنعى بكم غير معتني

فيا جيرة لي قد تكمن حبهم   لدي بحمد الله أي تمكن

ثقوا بوثيق الود مني فإنه   تمل الندامى ما عداني فإنني

ومن محاسنه قوله:

ساميتَ للنجم قدرًا   لله درُّك حامي

إن تردْ بالنحو صرفًا   فإن شرحَك حامي

ومن محاسنه ما امتدح به أمير المؤمنين المتوكل:

لك الخيرُ عني أيهذا المعنفُ   ونفسي فمنك النصحُ قولٌ مزخرف

فسمعي عن العذال وَقْرٌ فلم يُصِخْ   وقلبي عصيٌّ عنهم متأنف

أئن شمتني ذا لوعةٍ وصبابةٍ   ودمعي على الخدين هامٍ يكفكفُ

حسبتَ بأني هائمُ القلب في الدُّمى   ثكلت وأني بالخرائد أكلَفُ

وأني سباني طرزُ أغيدَ أكحلٍ   وأني سباني مائِسُ القدِّ أهيفُ

فيعا لعلي لعلي إلى هواه وسعه الطمر[1] نحو لمن ريقها العذب قرقفُ
فيا ناقتي خِفّي الخطا لي سريعة إلى حيث أثمارُ المعالي تقطَفُ
إلى حضرة السامي عن الخلقِ عن يد وأكرمِ من يولي الجميل وينصِفُ
إمامِ الهدى سمٌّ العدى واسعِ الجدا بحار الندى عن كفه ليس ينزفُ
إمامٌ به الأيام تضحك فرحةً عليها طيورُ السعد والنصر عُكَّفُ
بدا لي سماءُ المجد بدرًا فأشرقت به الأرضُ وانجابت بذلك أسْدُفُ

ومنها:

إذا قال فالدرُّ الثمين جنادلٌ وإن صالَ فالشمُّ الشواهق تزحَفُ
قد اقتربت أعداؤه فقراً لهم إذا جاء نصر الله والفتح مرهف

وله من قصيدةٍ في مدح المتوكل على الله:

هل يرعوي العاذل أو ينزِعُ ويعقل اللائم أو يسمَعُ
علام تلحو مغرمًا مدنفًا إذا هجع السُّمارُ لا يهجَعُ

ومنها:

لو أنه فيما مضى ما ازدهى كسرى ولا قيصر أو تُبَّعُ
عمَّت أياديه جميعَ الورى ونالها الأقربُ والأشْسَعُ
ألف ما لهندي سمل النقا وأصبح الترك به تهرعُ
رُدَّتْ به للخلق شمسُ الهدى كأنه بينَهم يوشَعُ

---

(1) كذا في الأصل.

كـم مـشكلاتٍ قـد جلاهـا ولـو لاه لمـــا نـــضا لهـــا برقُـــعُ

وله من أبياتٍ في مدح صنعاء، وتخلص إلى مدح المولى ضياء الإسلام إسماعيل بن محمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين.

فمنها في وصف صنعاء:

بلـــدة زُينـــت بكـــل بـــديعِ قـد حباهـا بـه الملـكُ الجليـلُ
جنـةُ الأرض تلـك لا ريـبَ فيهـا نهـــرٌ دافـــق وظـــلٌّ ظليـــلُ
خلـع الحـسنُ ثوبَهـا[1] وكـساها فهـي فـي بُـرده القـشيب تجـولُ

ومنها في المديح:

ويصنعا طابت لنـا الروضـة الغنْــ ــنَا ورقَّـتْ أسـحارُها والأصـيلُ
ذا ولـولا مليكُنـا الأوحـدُ النـد بُ سـليلُ الكـرام إسـماعيلُ
زانهـا مـا غـدا لـدرب الـسلاطيـ ــن علـى جميعهـا تفـضيلُ
فلـه مـن زُمُـرد الـدوح ثـوبٌ ومـن الزهـر غُـرة وحُجـول

ومن مسامة صاحب الترجمة في الزنبق:

انظـر إلـى الزنبـق الأنيـق وقـد أبـدع فـي شـكله وفـي نمطِـهْ
كمثـلِ قنـديلِ فـضةٍ غُـرزت شـموسُ تبـرٍ تـضيء فـي وسـطِهْ

وله:

يـــا أيهـــا الرشـــأ الـــذي مـــا زال يُعمـــل فـــيّ لحظَـــهْ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثوبه.

هـــلا مـــشيت بـــر وفـــضلا   ولـــو فـــي الـــدهر لحظَـــة

ومن نظمه:

بـأبي مــن قــد ســباني حــسنُه   وغـــدا قلبـــي بـــه مرتَهَنـــا

فـــالقُ الإصـــباحِ مـــن غرتـــه   جاعـــلُ الليـــل عليـــه سَـــكَنا

ثَمِـــلَ العـــشاقُ مـــن عـــشقته   وأفـــاقوا ســـكرَة إلا أنـــا

ومما قاله صاحب الترجمة، في شيخه السيد محرم بن محمد الحسني، وقد توفي ليلة الأحد، الثاني عشر من رمضان، عام سبعة وستين وألف، بمحروس صنعاء:

أيــن زهُــر الربيــع بعــد محــرَّمٍ   من رياضِ الـدموع فليبـكِ بالـدمِ

رجــب ســمعها وللجهــل شــعبا   ن علـى مـن إلـى العلـوم يقـدم

قالت المشكلاتُ مذ صار في الرمـ   ـس منامُ الجفـونِ بعـد محـرَّم

كـان مفتاحنـا ومـصباحنا الكـشـ   ـاف إيـضاحنا منـه نفهَـمْ

حلـو الـدرس والجوامـع غـضبى   حـدوداً مـن البكـاء بعنـدَمْ

ووجوهُ الطـروس أصـبحْنَ سـوداً   ولـسان اليـراع أبكـم أعجَـمْ

ذاك مـن فـوق هامـة الـدهر تـاج   ولجيـد الزمـان عقـد مـنظَّمْ

وهي طويلةٌ، وهذا التوجيه بأسماء الشهور بديعٌ، وجميع بيوت هذه القصيدة عامرةٌ بمعاني البديع.

ومن مقاطيعه:

يـــا زفـــرة العـــين رفقًـــا   فـــالرفقُ أحـــسنُ صـــنعا

عجبـــت كيـــف يلـــصت	بـــي قـــد صـــار دمعـــا

ومن نظمه:

بـــأبي مـــن ســـمت عـــشقته	كـــل يـــوم منـــه أمـــرًا عجبـــا
كـــان دمعـــي فـــي هـــواه فـــضةً	فغـــدا مـــن نـــار وجـــدي ذهبـــا

ومن بديع نظمه قوله:

إياك أن تـستطِلْ إن التواضـعَ محـ	ـمودٌ كما أن ثـوب الكبـر مـذمومُ
وُسْطى البنَان استطالَتْ فهي عاطلـةٌ	علـى الحلـيِّ وللـصغر الخـواتيمُ

واجتاز به الشيخ صارم الدين الهندي، فقال فيه:

حدث عن البحر وعن فضل الحسن	وعـن أثيـلِ مجـدِه وعـن وعـن
أعـدْ أسـانيد العـوالي عـن عُـلا	سؤدده الضخمِ الصحيح والحسن
ارو أحاديـــثَ البحـــار مـــسندًا	أو مرسلاً مسلسلاً عـن مـن ومـن
عن سيف ديـن الله نبـراس العـلا	لا عـن رسـول لا بـن ذي يـزن

وهي طويلةٌ، وكان **مولده** رحمه الله، شهر رجب، سنة خمس وأربعين وألف، وتوفي يوم الاثنين، ثامن وعشري شهر جمادى الآخرة، سنة إحدى ومئة وألف، بمحروس صنعاء، وعليه قبة قبلي حريمه.

ورثاه الشيخ إبراهيم الهنـدي، وتوفي الشيخ إبراهيم بعده بثلاثة أيام، وكان إنشاء هذه المرثية في حال مرضه، ولم يطلع عليها إلا بعد وفاته، **وهي هذه:**

هـذا ضـريح حـلَّ فيـه مـزورُه	فيـه مـن العلـم الـشريف بحـورُهُ

ألقابــه شــرفُ الهدايــة كلهــا للمجد يـصدع بالجبـال صـخورُه
نجلُ الأئمة من بني حـسن ومـن كـشفت ديـاجيَر الظـلام بـدورُه
الـسيدُ الحـسنُ الرفيـعُ مكانُـه المـستقر علـى العـلا معمـورُه

ومنها:

فـالله ينفعنـا بـه مـن سـيد قد طاب مـوردُه وطـاب صـدورُه
واستخلفته مـن الأطايـب سـادةٌ كـلٌّ علـى رقـمِ الهـدى مـسطورُه
إن رمتَ يا شمسَ الهدى تاريخَه (في عام إحدى ساعدتك شهورُه)
زد يـا ثـم دع حرفًـا وقـل (حسن المطهر في الجنان مصيرُه)

وكانت وفاة الشيخ إبراهيم في الروضة المعروفة بروضة حاتم، وقُبر في المقبرة التي تلي مسجد صلاح حمزة.

وممن رثاه: السيد العلامة عبدالله بن علي الوزير بقوله:

يـا ضـريحًا فيـه روضٌ نـضرٌ شـفع التنعـيم فيـه بالرضـا
أضـريُح أنـت أم غِمْـد ففـي رهنـك اليـومَ حـسامٌ منتـضى

ومنها:

إن يكـنْ فـي جنـة الخلـد لقـد تـركَ الأحـشاء فـي نـار الغـضا
أو قـضى العمـر حميـدًا فلقـد هالَنـا مـن بعـده صـرفُ القـضا
أو بُـوِّئ بيتًـا فـسيحا سـوحُه فلقـد ضـاق بنـا رحـبُ الفـضا
غيـر أنـا قـد رضـينا بالـذي قـسمَ اللهُ فارضـه رضـا

وعلى الجملة: فأخباره كثيرةٌ، ومحاسنه شهيرة:

مـا سـها نظـري منـه إلـى رتـب   في الفضل إلا ولاحت فوقها رتب

[٧٨٩] السيد العلامة أبو علي المطهر بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن المنتصر بن محمد بن أحمد بن القاسم بن يوسف بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن المفضل بن الحجاج بن علي ابن الإمام يحيى ابن الإمام القاسم الداعي ابن الإمام يوسف الداعي ابن الإمام يحيى المنصور ابن الإمام أحمد الناصر لدين الله ابن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ابن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ[١] الحسني، المعروف بالجرموزي ـ قدس الله روحه ـ.

قال صاحب «قلائد الجوهر في أنباء آل المطهر» في حقه ما لفظه: فرع هذا الشرف، وخلف ذلك السلف، يرفع أن يقاس بنظير، وارتفع فالجوزاء له سرير، مؤلفاته رياضٌ وأزهار، وكلماته منها طالع نهار. وساق كلاماً طويلاً في شأنـه، قال: ومن مؤلفاتـه: «الجوهرة المنيرة في سيرة الدولة القاسمية المنصورة» جمع فيه سيرة القاسم المنصور، وولديه: المؤيد، والمتوكل، وهي ثلاثة أجزاءٍ ضخمة.

وله في أصول الدين: «تنبيه أولي الألباب إلى معرفـة رب الأرباب»، وغير ذلك من الرسائل والأجوبة، والأصلين، والفقه، والفرائض.

---

(١) ﷺ: ليست في الأصل.

ولم يزل ينتقل من قبل الأئمة في الأعمال الكثيرة في اليمن، حتى أدركه الحِمام، واحتجبت شمس مجده بالرغام، سنة سبع وسبعين وألف، وقد بلغ من السن ثمان وستين، وتوفي وهو عامل بـ «عنمة» موفـور النعمـة، بمحل يعرف مسماه، فلا زال وابل الرحمة يتغشاه.

ولما توفي، لم يزل يتكرر منه في المنام إنغاص بعض أولاده، ويقول له: إن في قبري نجاسةً، فأخرجها، فكشفوا عنه، فوجدوا شيئاً من الزبل قد اختلط مع التراب، ووجدوه كما هو ليس به تغيّر.

وكان ذا همـةٍ في فعل الخيـر، عمّر نحو ثلاثة عشر مسجداً، من غير ما أجراه من السبل، ووقف كثيراً من الضياع عليها.

ورثاه القاضي شرف الدين الحسن بن علي بن جابر، صاحب الديوان المعروف بـ: «قلائد الجواهر»، فقال:

عـزاكم آلَ المطهـر فـي فتًـى	قضى فقضى المجدُ المؤثَّلُ والندى
أقـام بـدار الخلـد جـاراً لربـه	وأورثنـا حزنًـا أقـامَ وأقعـدا
وما كـان إلا طـودَ مجـدٍ تهـددت	جوانبُـه أو عِقْـدَ مجـدٍ تبـدَّدا
ولو كان يُفـدى هالـكٌ حـلَّ رزؤه	لكـان بـأرواح البريـة يُفتـدى
وما دمـتمُ للمجـد والجـودِ بعـدَه	فـركنُ المعـالي لا يـزال مـشيَّدا
وإن جميـل الـصبر فـيكم لعـادةٌ	إذا جاء حكمُ الحادثات أو اعتدى
تعـودتمُ الـصبرَ الجميـل وإنمـا	لكل امـرئٍ مـن دهـره مـا تعـودا

وكـان لـه نظمٌ تهش لـه الأسماع، وترسلاتٌ أدبيـةٌ وقـع على حسنها الإجماع، منه قوله ـ نوّر الله ضريحه ـ:

عجيـبٌ لمـن غـدا فيمـا نـراه مـن التوحيـد جهـلاً لا يوافِـقْ
وما مـن صـامتٍ فـي الكـون إلا وأنـت تـراه بالتوحيـد نـاطِقْ

ورزق عشرة أولاد، كلهم نجبوا، ونظموا الشعر، وهذا قليل النظير، وغالبهم يصل في الأعمال الكثيرة، وشاع ذكره، وقصدته الشعـراء من كل ناحية، وهم: علي، ومحمد، وحسن، وحسين، وهادي، وأحمد، وعبدالله، وقاسم، وجعفر، وإسماعيل، وهم بيتٌ طيبٌ، خلفٌ عن سلف.

فأمّا جد السيد مطهر، وهو أحمد بن عبدالله، فكان من أهل الرسوخ في المعرفة، وكذلك عبدالله، لـه مؤلفاتٌ مشهورة منها: «الرسالة العمرية» في الأصول.

ومحمد بن المنتصر كان من المبرزين في العلوم، له «شرحٌ على الأزهار» روى ذلك القاضي ابن أبي الرجال في «تاريخه»، وله «منظومةٌ في الأصول»، ومن نظمه في مدح «المنهاج للمهدي في دين الله» في أصول الفقه قوله:

إن كنـت تطلـب للعـلا معراجَـا وتـروم نحـوَ منالهـا منهاجَـا
فابذلْ جميع الجهد منك بدرس معـ ـيارِ العقـول ولازمِ المنهاجـا
فهـو المنـاطُ لـه وكاشـفُ سـره وكأنـه فَلَـكٌ حـوى أبراجـا
تـأليفُ مَـنْ فخـرتْ أئمتنـا بـه وسَما سِـماكًا فـي السـما وهَّاجا

ولمحمد هذا كراماتٌ مشهورة، منها: أنـه أمـر بتسجير نارٍ عظيمـةٍ، لمقتضٍ اقتضى ذلك، بمحضر من أعيان العلماء والقبائل، وما زال يتلو عليها حتى خمدت، ثم صلى عليها، ومحل هذه النار معروفٌ في هجرة بني جُرموز ـ على وزن عصفور ـ، وهي قبيلةٌ مشهورةٌ، على نحو بريدين قبلي صنعاء،

وهو أول من وصل من السادة إلى بني جرموز، وكان غالب مسكنهم جهة أنس، بناحية ضوران.

والمنتصر ومحمد وأحمد ـ أيضاً ـ كانوا ممن اشتغل بالعلم، ولأحمد هذا نظمٌ رائقٌ مذكورٌ في ترجمته في «تاريخ ابن أبي الرجال»، وفي «سمط اللآل»، والقاسم بن يوسف كان من أهل المعرفة الراسخة، قتله بنو الرّوية، في جهة أنس، ظلماً وعدواناً، وأخذ لهم بالثأر منهم الإمام صلاح الدين، وقتل عدةً ممن تمالأ على قتله.

وبنو الروية هذه، قبيلةٌ كبيرةٌ، في جهة أنس، وقد روى قصة قتله واستشهاده ابن أبي الرجال، والسيد العلامة أحمد بن عبدالله الوزير في «الإفادة في أخبار السادة»، وهو كتابٌ حافلٌ، جعله فيمن تفرع من أهل بيته.

وعلى القاسم بن يوسف الشهيد هذا مشهدٌ عظيمٌ، جدد بناءه مولانا الحسن بن القاسم المنصور، عام أربعين بعد الألف، وهو بمحلٍ يعرف بفَيْحة، بالقرب من سكن السادة في أنس، في ناحية بني قشيب، وشيد إلى جنبه السيد المطهر بن محمد مسجداً، في عام ثمانية وأربعين وألف، والمرتضى ابن المفضل كان من أعيان سادات أهل البيت، صاحب كراماتٍ مشهورةً، عليه مشهدٌ، وإلى جنبه مسجدٌ بقرية السادة، وهو يُقصد للزيارة من الأماكن البعيدة.

وفي المرتضى يجتمع نسبهم مع آل الإمام شرف الدين، وفي المفضل الأعلى يجتمعون مع السادة آل الوزير، وباقي من ذكر في نسبهم أئمة مكرمون ـ نفع الله بهم ـ.

وللسيد رضي الدين جعفر في مدح والده:

حَمامَ الحمى شوقي إليك شديدُ ... وللدمع شرحٌ ما عليه مزيدُ
فلا تطمعي يا وُرْقُ أنك مثلُه ... فليس سواء أنةٌ ونشيد

ومنها:

ألا ليت شعري والأمالي لعله ... متى نتلاقى والمزارُ بعيدُ
سقى الله أرضًا حلَّها من هواهمُ ... معي أبدًا ما دمتُ ليس تَبيد

ومنها في المدح:

ومن يكن المولى المطَّهرُ قصدَه ... فقد نال ما يختاره ويريدُ
إمامٌ على هام السماكِ محلُّه ... ومقصدُه عند الإله حميدُ

وهي طويلةٌ. انتهى.

[٧٩٠] أبو السعود بن سلامة بن أبي النور الدمياطي الشافعي[١].

الشيخ الإمام العلامة، الفقيه المقرئ، الجامع للعلوم الدينية، المنهك على طاعة الله في السر والعلانية، الصارف جميع أوقاته في التدريس، في كل علم نفيس، الذي شهدت له بالفضل أعداؤه، فضلاً عن أحبابه، وأقامه الله نفعاً للناس، وجعله من خواص أوليائه.

وُلد بدمياط، سنة أربعين بعد الألف تقريباً، وبها نشأ، وقدم مصر، وقرأ جميع القرآن العظيم بالروايات، على شيخنا سلطان المزاحي، ولازمه

---

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٣).

في دروسه الفرعية، وبقية العلوم العلمية، سنين عديدة، حتى برع في جميع العلوم، وحضر دروس شيخنا علي الشبراملسي، والشهاب أحمد القليوبي، والشمس محمد الشوبري، ومحمد بن علاء الدين البابلي، وغيرهم، وأجازه كثيرٌ من شيوخه، ورجع إلى بلده، وأكبّ الناس على القراءة عليه، وحصل له بها جاهٌ عظيم، ومنزلةٌ جسيمة ـ نفع الله به ـ، وله مؤلفاتٌ في علم القراءات ـ سلمه الله تعالى ـ.

[٧٩١] أبو القاسم بن عبد الرحمن التربلي، المعروف[١] بالحاج.

من ذرية العارف بالله محمد بن داود، وكان رجلاً فاضلاً، حسن الخلق، جمع من الكتب ما لا يحصى كثرةً، توفي سنة ست عشرة وألف.

[٧٩٢] أبو القاسم بن أحمد بن إبراهيم بن أبي القاسم مطير.

كان فقيهاً علامةً، له النوادر والنكت، حسن الخلق، ليّن الجانب، وكان مقيماً في بني معونة، ومات في عشر الثلاثين وألف.

[٧٩٣] أبو القاسم بن المهدي الحكمي العريشي.

من أدباء الدهر، الذين أطلعوا في أفق البلاغة بدورًا، وأجروا في حدائقها من تسلسل النظم نميرًا، وأبدوا للعيون من ملائح القول رياضاً وزهورًا، نشأ بأبي عريش، واختص بالسيد جمال الإسلام محمد بن صلاح الاختصاص المشهور، وكتب عنه لطائف المنظوم والمنثور، فمنه: ما كتب به إلى القاضي الإمام الناصر بن عبد الحفيظ ـ رحمه الله ـ جواب كتابٍ كتبه إلى السيد

---

(١) في الأصل: عُرف.

ـ رحمه الله ـ عن السيد عز الدين بن فضايل:

يـرى فيـه خـطٌّ لابـن مقلـةَ بـاهرٌ ... وجوهرُ لفظ يُطرب العينَ والأُذْنـا
إذا مـا سـمعنا أو نظرنـا لخطِّـه ... طربنا ومن فرط السرور بـه مِلْنـا
ففـاح عبيـرٌ حـين فـاح وعنبـرٌ ... كـأنكم أمسـستموه لكـم رُدْنـا
فقلـت لـه أهـلاً وسـهلاً ومرحبـاً ... بخير كتاب جاء مـن خيـرةِ الأمنـا
كـريمٌ وسـيمٌ محـسنٌ متفـضل ... إذا سُئل المعـروف مَـنَّ ومـا مَنَّـا
وأقـربُهم ودًّا لنـا ومحبـةً ... وألطفُهـم لينًـا وأحـسنُهم ظنًّـا
تراه لجفن العين في السّلم كاسـرًا ... وإن سل سيفًا في الوغى كسر الجَفْنا
حمـاه إلـه العـرش مـن كـل فتنـةٍ ... وبلَّغَه ربُّ السماء المطلبَ الأسنى
كتابـك قـد وافـى إلينـا مـسلماً ... وناهيـك للتعظـيم أنـا لـه قُمنـا
جعلنـاه فـوق العـين منـا مكرمـاً ... وقبلـتُ أفـرادَ الـسطور لـه مثنـى
وكان علـى عـز العـلا فيـه حجـة ... مبرهنـة عنـه بتأييـد مـا قلنـا
بتفضيلنا ربعَ العروش علـى التـي ... تسمى أزالاً في الفواكه والـسُّكنى
فقال لـسانُ الحـال إذ ذاك منـشدًا ... أفرزت لما أن عنيت بـذا المغنـى
فمن بات من ربع العروس معرسًا ... يرى ما يروق الطرفَ أو يصقل الذهنا
فـإن بـه الحـور الحـسان قـواطن ... تراهنَّ كالأغصان تَجني ولا تُجنى
وإن بـه دان الجنـى فـي غـصونه ... من الكرم والرمان في الروضة الغَنَّا
ترى عنبًا فيـه رسـا فيـه سـفرجلاً ... وخوخًـا وتفاحًـا زِدِ المـوزَ والبُنَّـا

وإنجاصُــه والعنبــر وزيتونــه[1] عظيمًا وبُرًّا قد على الـذرة الـدخنا

وفيـه مـن الأزهـار وردًا ونرجـسًا وأسأل الـسمي لـديهم ولا يكنـى

يُرى فـوق مغنـاه حَمـامٌ صـوادحٌ وفي ربعه الظبيُ الأغَـنُّ بهـا غَنَّـى

فيا حبذا طيـبُ الزمـان الـذي بـه ويا حبـذا بـردُ النعـيم بـه الأهنـى

يميـل مقلتـه مـن أربُـع وملاعـبٍ أبيـتُ حزينًـا نادمًـا أقـرعُ الـسِّنَّا

فيا ليتنا من بعـد شـط بنـا الهـوى وأحداثـه يـضحى بـه مـسلمًا تينـا

بـلاد إذا طـاف اللبيـبُ بأرضــها وشاهد روحيات بهـا ظنهـا عَـدْنا

فلما رأيتُ الـنصَّ بـالعين ظـاهرًا تخيل الذي قد قست قلت قد أقررنا

فـإن كنـت بـالمغنى غنيًـا فـإنني وحقِّك على أعتاب مغناكَ لا أغنى

فعندي من الأصحاب خيرُ عصابة ممنــون كـلٍّ بالثنـاء لكـم أثنــى

وإنـي بفـضل الله فـي خيـر نعمـة وفـضلِ إمـامٍ بالمكـارم مـا ضَـنَّا

ولـــيس عجيبًـــا ذاك أن إمامنـــا سليمان يغني الطيرَ والأنسَ والجِنَّا

وإن حفتَّ الأعتابُ عندي بخيلِها متى ساقت الريحُ المباركةُ الـسفنا

وعندي عفريتٌ مـن الجـن قومُـه بشرق بلاد الشام قد علمت الأخنا

تقـرب لـي كـلَّ الفواكـه قبـل أن أعوَم وأن يرتدَّ طرفٌ مغفا الوسـنا

وقلتُم لنا قد سرَّكم وصـلُ أحمـدٍ فقد سرَّكم ما زادنـا للنـوى حُزْنـا

سُررتم بما جـد سـبانا مـن فراقـه فذاك صديقي أخي صِنْوِيَ الأدنى

وقد سرَّكم من بعده وصـلُ ناصـر فذاك فتًى من كل علم حـوى فَنَّـا

---

(1) في الأصل: وزوتونه.

إمـامٌ لـه فـي كـل علـم دقـائقٌ　　　إذا رويت في عقـل صـقلَتْ ذهنـا
وبالله قل للصنوِ أحمـدَ ذي النهـى　　　تعجّـل بالأعتـاب مـن فـضله أنـا
إليها لمشتاقون والـصحبُ كلُّهـم　　　وقاصي الورى قد حنّ شوقًا لها حَنَّـا
فخلقُ المحبِّ العالمِ الندبِ عـاطسٌ　　　يريدُ له الأعنابَ والمـوزَ والمزنـا
وحاصـلُ قـولي والـسلامُ علـيكم　　　بـأنكم لا تقطعـوا فـضلَكم عَنَّـا

وله عجائب وغرائب.

[٧٩٤] أبو الإسعاد الوفائي.

له قصائد في «مجموعة الأشخر».

[٧٩٥] أبو المواهب بن عبد الباقي الحنبلي البعلي(١).

عالمٌ اشتهرت علومُه، وماجد بهرت فهومُه، متضلعٌ من علوم المنقول، عارفٌ بما يقول، حسن العبارة، رائج التجارة، برز في مذهب الإمام أحمد، وأطفأ نار جهل الطلبـة بإفادتـه وأخمد، وسارت فتاويه، وحارت عقولُ من يناويه.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وأخذ في بدايته عن والده، وعمن شاركه من شيوخ دمشق، ثم رحل إلى القاهرة، وأقام بها سنين، وقـرأ بالروايات على شيخنا مقرئ مصـر محمـد البقري، وختم عليه القرآن من طريق الشاطبية، وجعل له في الأزهر ختماً حافلاً، في يومٍ مشهود، حضره فيه علماء العصر، على عادة أهل مصر في شأن ذلك.

---

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٢٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٨٤).

وقرأ في الفقه على محمد الحنبلي البهوتي، وغيره، وفي الحديث على شيخنا محدث العصر محمد البابلي، وفي الفنون العقلية على شيخنا سلطان، وعلي الشبراملسي، وكثير من شيوخ الأزهر، وأجازوه، ورجع إلى دمشق، فصادف موت والده قرب وصوله، فجلس مكانه، وتصدى للإفادة، وتمسك من التقوى، بالسبب الأقـوى، وصـار مجلس علمـه مقصـوداً، وظله على الطالبين ممدوداً.

إلى أخلاق حسنةٍ جداً، وأوصافٍ تكسب كل نادٍ مرت بـه نَدّاً، وهـو الآن شيخ دمشق المحروسة، علماً وعملاً، وممن أحيا السنة ونشرهـا بها، وممن جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة، واكتسب بذلك الدرجة الفاخرة ـ أبقاه الله تعالى ـ.

[٧٩٦] أبو القاسم بن علي.

السيد الكبيـر الولي، صاحب القبـة المشهورة بالضحى، الشهير، أبو الأولياء صاحب الضحى، هو من أشراف يقال لهم: بنو هريرة من «صبيا»، كان ولي وقتـه، مستغنياً بحالـه عن تعبـه، ذا حظوةٍ كاملةٍ، ويقيم الأوقات الإقامات، وكان من أصحابه الولي الشهير علي بن العجوز، وكان يرى نفسه في الغاية من الذلة، فخرج السيد للأذان، فقال: تقـدم يا علي بن العجوز، فقال: يا ويلي، يا ويلي! فقال: تقدم، ولجلال السيد لا يقدر أحدٌ يعارضه.

فلما صلى دعوا، وذلك في عارضة العباديين، فشد السيد إلى الخيمة ووصل العُرّا وغيره، فبقى فيه أياماً، وكان الحاكي يخدم الشيخ من خاصته، قال: وهما في دار السيد منفرد فيها، فإذا رجلٌ يدق الباب، فقال السيد: افتح،

ففتحت له، فدخل، فسارّه السيد كثيراً، وقال: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، ثم ودعه، وأصبح راجعاً تهامة، فوصل عقبةً هناك، فقال: انت مع الله إلى يوم القيامة، ثم نزل إلى الضحى.

قال الحاكي: وافتسحت، فلم أشعر إلا وصوت السيد أسمعه وأنا بين الجبلين يدعوني، فشمرت ساعدي، ووصلت السيد ثاني أو ثالث يوم، فإذا السيد قاعدٌ، فسلمت، فقال لبعض الناس: ماءٌ فيه ورد، فأعطي السيد، فتطيب حتى قطرت السرير، ثم خرج السيد، ومات ـ أعاد الله علينا من بركاته ـ، وكان يقـول: الحمـد لله، لا أمـوت حتى يكـون أولادي أولياء، فخلف القمرين المنيرين ـ نفع الله بهما ـ.

[٧٩٧] السيد أبو نمي بن عبد الكريم بن الشريف حسن بن أبي نمي.

كان سيداً يُرجع إليه في المهمات، توفي بالمبعوث، يوم الاثنين، سابع رمضان، سنة اثنتين وثلاثين وألف، وحمل إلى مكة، ودفن بها.

[٧٩٨] أبو القاسم بن جمال الدين محمد بن خلف المالكي المسراتي الأصل، القيرواني المولد والمنشأ.

الشيخ الجليل، العلَم الأصيل، عالم القيروان، وعلامتهـا ورئيسهـا، الذي أنست برناته وضراعاته خطابتُها وإمامتها، ومسندها الذي اتصل به خبر شرفها المشهور، وأوحدُها الذي سلمت قضايا فضله بين الخاصة والجمهور، ومدرِّسُها الذي أبان في تلخيص الإفادة من زبدة البيان والتحصيل، ومفتيها الذي جاءت فتاويه لمستفتيه بشفاء الغليل، وبركتها الذي بدعواته يتدانى قصيُّ المطالب، ووليُّها الذي بناقد همته تنقاد عَصِيُّ المآرب، الحجةُ الثقةُ أبو

القاسم بن جمال الدين محمد بن خلف، المسراتي الأصل، القيرواني المولد والمنشأ، ألحفه الله أثواب رحمته، وبوأه من غرف الجنان أوسط جنته.

نشأ ـ رحمه الله تعالى ـ بالقيروان بلدِه على طريقة سلفه، وسيما ذوي شرفه، فحفظ بها القرآن وجوَّده، وصرف عِنان العناية لطلب العلم، فأخذ عن والده، ومشايخ بلده، وعن الحافظ الرحلة أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، وأجاز له جميع مؤلفاته ومروياته، وأجاز له أيضاً شيخنا أبو الإرشاد نور الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري، والشيخ أبو محمد عبد القادر الدشطوطي البكري، وغيرهم.

ووصل وحصل، وبرع فيما أمّ وأمّل، وشارك في فنونٍ من معقول ومسموع، ونظم في قلائد تحصيله فرائد أفراد منها وجموع، ولم يزل على ذلك، حتى صار ببلده المعول عليه، والمنظور في نوازل المسائل إليه، إلى صلاحٍ مكين، وعفافٍ رصين، ونزاهةٍ صافية الجلباب، وسلوك في عمله على جادة الصواب، يخطب ويعظ، وينبه من سِنَة الغفلة ويوقظ، ويفتي ويدرس، ويبني ملخص بيانه على قواعد التحرير ويؤسس، مع لين الجانب، وأداء ما لإخوانه في الله من نفل وواجب، وتواضعٍ في الله ـ زاده الله رفعةً ومجداً ـ، وتحلٍّ بشيمة الإنصاف، أثبت له في القلوب مكانةً ووِدًّا.

وحج غير مرة، ونال من الله في مناسكه فضله وبره، رافقتُه من ذلك سنة ستين، من داره [في] القيروان إلى بلد الله الأمين، فكان خبره فوق خبره، وآكدُ أصالته في فضله شاهدُ سفره، ثم حج بعدها سنة خمس وستين، ووصل بالعروة الوثقى من الحرمين الشريفين سببه، ولما رجع إلى مصر، وافاه الحمام المحتوم، ودعاه داعي الأجل المحتوم، فأجاب داعيه، وانقلب إلى عيشةٍ

راضيةٍ، في صفر من السنة المذكورة ـ رحمه الله تعالى وإيانا ـ. انتهى من «مقاليد الأسانيد» لحافظ وقته الشيخ عيسى المغربي الثعالبي الجفري المكي المالكي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٩٩] أبو الهدى العُلَيمي المقدسي[١].

الشيخ الصالح، ولي الله، كانت له الكرامات الخارقة، وكان ممن أجمع أهل بيت المقدس على إجلاله وتعظيمه، وممن زهد في الدنيا، فأعزه الله، مات ليلة الجمعة، ثامن شعبان، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن يومها، وكانت له جنازةٌ حافلةٌ، حضرها الخاص والعام، ببيت المقدس ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٠٠] الشريف إدريس بن الحسن بن أبي نمي[٢].

صاحب مكة، كان سيداً سرياً، تهابه الأشراف والملوك، شجاعاً شهماً، حسن الأخلاق، ذا تؤدةٍ وسكينةٍ، وكان يكنى: أبا عون.

وُلد في ذي القعدة، سنة أربع وسبعين وتسع مئة، وأمه هنا بنت أحمد ابن حميضة بن محمد بن بركات بن أبي نمي.

وكان الشريف إدريس ولي مكة باتفاق من أكابر الأشراف، بعد أخيه

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦٦) (٩٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٥٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٩٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٧) (٢٦٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٧٥)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٦٠١).

الشريف أبي طالب، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وأشرك معه أخاه السيد فهد، ثم خلفه في واقعةٍ ذكرتها في ترجمته، ثم أشرك معه ابن أخيه السيد محسن بن الحسين بن الحسن، وكان للشريف إدريس من العبيد والمولدين ومن الرقيق الجلب، ما يزيد على الأربع مئة، ومن المقاديم من العرب جماعةً، وكانوا في أشر وبطر، وتيه وعر، يتخيل الواحد منهم نفسه الملك القاهر، وكان من خدامه الوزير أحمد بن يونس، وإن كان ولاؤه لذوي بركات.

واستمر الشريف محسن مشاركاً لعمه المذكور، على صدق الكلمة، والنصح والمساعدة في الأحوال المهمة، إلى أن كثرت الشكوى من خدام عمه، وعمت البلوى بما يصدر عنهم، من الأمور المشتملة على التلبيس، ولم يلق سمعه إلى ما ينهى من ذلك اليد، ولا ينصف ممن يشكى منهم عليه، راجعه في شأنهم مراراً، وردد القول عليه تذكرة وإنذاراً، فكانت الشكوى إلى غير منصه، والدعوى على غير منصفه، بل متعنت فكر، فرأى وخامة عواقب هذا الحال، ونظر فإذا الأمر آل ما إليه من الضياع آل.

فعند ذلك اجتمع أهل والعقد، ومن إليهم المرجع من قبل ومن بعد، من بني عمه السادة الأشراف، الذابين عن هذه الأكناف، والعلماء والصلحاء، وأعيان سكان البطحاء، فرفعوا الشريف إدريس عن ولاية الحجاز، ومنعوه أن تكون له علاقة في ذلك المجاز، ووسدوا الأمر إلى ذلك الشريف محسن، عدّة مدة ولايته مجبورة؛ فإن ولايته إحدى وعشرون سنة ونصف ـ رحمه الله تعالى ـ.

فأشيع في مكة، في يوم الأربعاء، ثالث شهر المحرم، افتتاح سنة أربع

وثلاثين بعد الألف: أن السادة الأشراف نيتهم إقامة الشريف محسن مستقلاً بالأمر، فحصل اضطرابٌ عظيمٌ بالبلد، وحركةٌ كبيرةٌ، وقسمت آلات الحرب من الجانبين.

فلما كان صبيحة يوم الخميس، ألبس كل منهما بمن معهما من العساكر والجنود، ووقف كل منهما عند داره، فبرز من جماعة السيد محسن شرذمةٌ من جانب عقد السيد بشير، بنية النـداء في البلد للشريف محسن استقلالاً، فقبل وصولهم العقد، رمتهم الجبالية المجعولون في مدرسة السيد العيدروس بالبندق، فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق: السيد سليمان بن عجلان بن ثقبة، والقائد مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن، فرجع الباقون.

وفي ضحى هذا اليوم ركب السيد أحمد بن عبد المطلب، ومعه خيلٌ، والمنادي ينادي بالبلاد للشريف محسن، ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه، ومن ألطاف الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن الجماعة بالمسجد الحرام قائمةٌ ذلك اليوم، والأسواق موجودةٌ فيها الأقوات، ولم يحصل تغييرٌ أبدًا في ذلك اليوم.

فلما كانت ليلة الجمعة، خامس محرم، وقـع الصلح بينهما، على أن يستقل الشريف محسن بالأمر، ويكون الكف عن المحاربة ستة أشهر، منها ثلاثـةٌ يكون الشريف إدريس فيها بالبلد، وثلاثـةٌ بالبر، فاتفق الحال، ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده، ثم خرج الشريف إدريس من مكة ليلة المولد.

وكان قد أضعفه المرض، فما طاف للوداع إلا في محفـة، وخرج من

مكة كذلك، فتوفي في سابع عشر جمادى الآخرة، من السنة المذكورة عند جبل شير، ودفن بمحل يسمى: ياطب، ومن الاتفاق: أن حساب ياطب بالجُمَّل اثنتان وعشرون سنة، ووصل علم وفاته إلى مكة، في مستهل رجب، وصُلي عليه غائبةً بالمسجد الحرام ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وألف، توغل الشريف إدريس، وابن أخيه الشريف محسن، في الشرق، ووصلا بالفريق إلى قرب الأحساء، واجتمعا بذوي عبد المطلب، وكانوا في العام الذي قبله نافروا عمهم الشريف إدريس، فقام الشريف محسن في موافقتهم لعمهم، فتم ذلك، ودخلوا في الطاعة، وطابت نفوسهم، ووصل الشريفان بفريقهما إلى الأحساء، وضربت خيامهما قبالة الباب القبلي، من سور الأحساء، وأكرمهم صاحبها علي باشا الكرامة التامة، ولم يتفق لأحدٍ من أشراف مكة المتولين من القتاديين دخول الأحساء، كما اتفق لهذين الشريفين.

ونقل الثقات: أن الشريف إدريس لما ضُويق، وأجلبت عليه السادة الأشراف ومن معهم؛ بحيث إنه أصيبت جويريةٌ بين يديه بالبندق، فسقطت ميتة بين يديه، فارتاع لذلك وحزن، ووضع منديلا لطيفاً على وجهه، وبكى أسفاً لفقد الناصرين، فدخلت عليه في تلك الحال أخته الشريفة أرينب بنت حسن، فقالت له: علامَ هذا الحزن والعَنى؟ دعها لابن أخيك، فقد وليتها مدةً طويلةً، فحينئذ أرسل إلى الشريف محسن والأشراف، وطلب مهلة شهرين في البلد، وأربعة أشهر خارجها؛ ليتأهب للسفر إلى حيث يشاء، فأعطاه الشريف محسن ذلك، وشرط عليه أن لا يحدث شيئاً مدة المحالفات، فاستمر شهر محرم وصفر، فمرض فيه حتى خيف عليه، وفي ليلة المولد خرج من مكة.

[٨٠١] إدريس دده المجذوب.

كان مقيماً بقلعة بحوى، من مضافات أيالة بدون، كان مجذوباً مستغرقاً، معتقداً بدياره، مقصوداً بالزيارة، يذكر عنه كراماتٌ كثيرةٌ، وخوارق شهيرةٌ، يقال: إنه كان من رجال الخطوة ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[٨٠٢] إدريس دده، المعروف باسكيجي.

هو ساكنٌ بقلعة طمشوار، من بلاد الروم ايلي بثغر أردل، وهو صاحب أحوالٍ صادقةٍ، منجمعٌ عن الناس، مشتغلٌ بنفسه، يروى عنه كراماتٌ؛ كطي الأرض، وغيرها ـ رحمه الله ـ.

[٨٠٣] السيد إسماعيل بن إبراهيم الحجاف بن يحيى بن الهُدى بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن عليان بن الحسن ابن محمد بن الحسين بن محمد بن حيان بن محمد الملقب حجاف بن جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني بن عبدالله بن محمد ابن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين، ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ[1].

الإمام الذي بلغ الغاية القصوى، في جميع العلوم العقلية والنقلية، والمفرد الذي عليه المدار، في الأقطار اليمنية، الجهبذ الذي كرع من معين الفضل سلسبيله، وأوضح بتقريره السني دليله وتعليله.

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٤٥) (١٢٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٥٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٠٤).

وُلد بـ «حبور»، سنة أربع وعشرين تقريباً، وحفظ القرآن الكريم، و«الحاجبية»، و«الأزهار» في الفقه، وغيرهما من المتون، وأخذ عن أكابر شيوخ زمانه، منهم: والده السيد إبراهيم، وجده السيد حسين بن علي بن إبراهيم الحجاف، والسيد علي بن حسين الحجاف، والسيد عبد الرحمن بن حسن الحجاف، وعنه أخذ جمعٌ من الأعيان، منهم: السيد العلامة شرف الإسلام والمسلمين، الحسن ابن أمير المؤمنين بن المتوكل إسماعيل، وغالب إخوته، وسادة أهل بلده.

وكانت وفاته ليلة الجمعة، رابع عشر شعبان، سنة سبع وتسعين بعد الألف، وبها دفن ـ رحمه الله تعالى ـ.

وشعره العذب الزلال، والسحر الحلال، منه: قوله يمدح الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم ـ قدس الله سره ـ ويحثه على إحياء مدارس العلم، التي كادت أن تندرس:

أصبح الدهرُ طيبَ الأوقات ... كاملَ الحسن وافرَ الحسناتِ
مشرقَ الوجه باسَم الثغر يزدا ... د بمرِّ الشهور والسنواتِ
كعروسٍ مزفوفة زانها الحلْـ ... ـيُ جمالاً إلى جمال الذات
غادة تسلب العقولَ وتغتا ... ل قلوبَ الأنام باللحظاتِ
بنتُ سبع وأربعٍ وثلاثٍ ... برعت في السكونِ والحركاتِ
تتثنى فينثني من رآها ... خافقَ القلب ساكن العبراتِ
جمعت كلَّ مفرد من جمال ... وتثنت غصناً من المائساتِ
مذ تولى أمرَ الخلافة فيه ... أوحديُّ الأفعال جمُّ الصفاتِ

ثابتُ الجاش ثاقبُ الرأي إسما عيلُ حلفُ الهدى حليفُ الهداةِ
الذي بشرت به الرسلُ حقًّا وحوى ذكره حديث الثقاتِ
فهو مهدي هاشمٍ وهداها ذو الكرامات في الورى والبيناتِ
هَدَويٌّ في نسبة من أبيه قاسميٌّ في نسبة الأمهاتِ
تتلاقى أطرافه في المعالي بين خيرٍ وخيرةِ الصالحاتِ
فهو فرعٌ لدوحة المجد شمسٌ في بروجِ الفخار والمكرماتِ
زاده الله بسطةً في علوم طالما أعجزتْ ذوي الطلباتِ
وحلاها من لفظه ببيان مستنيرٍ واضحِ المشكلاتِ
رغبت فيه بعد طولِ نفارٍ عن سواه وأذعنتْ بالتفاتِ
واستقادتْ صعابهُا في يديه تابعاتٍ لفهمه طائعاتِ
يا إمامَ الزمان قد أسعد اللّـ ـه أناسًا رأوك قبل المماتِ
شاهدوا فيك من جميل صفاتٍ جملةً أخبرتْ عن الباقياتِ
علمُه مع بيانه وعلاه مع خضوع وجودهُ مع ثباتِ
وأهنيك يا بن حبر قريشٍ عَودُ عيد الصيام بالخيراتِ
جاء مستوهبًا نوالك فاعمر ه بمسنونه مع الواجباتِ
طامعًا أن يفوز منك بفضل فيباهي أمثالَه الماضياتِ
وكذا شهرُك الكرم مهنِّيك بما حزتَ فيه من القربات
من صلاةٍ ودرسِ علمٍ ووحيٍ وصلاةٍ مقبولةٍ وصِلاتِ
طَبَّقَ الأرضَ جودُ كفيك فيه وعمرتَ الورى بأسنى الهباتِ

يتبـارى كفـاك والـريح جـودًا　　فأنافـا سـبقًا علـى الـذارياتِ
صفة مـن صـفات جـدك قـد جـا　　ء بمـضمونها حـديثُ الـرواةِ
قـد هـدى الله أمـةً قمـتَ فيهـا　　قائـدًا وفَـدها إلـى الجنـاتِ
حُطتهـا عـن علاتهـا بمـواضٍ　　وجيـادٍ سـوابقٍ مقربـاتِ
كـل مـن رام أن يـضم علاهـا　　عـاد مـستوليًا علـى الحسراتِ
حجـةَ الله لا برحْـتَ بخيـرٍ　　فاصِـغْ سـامعًا إلـى كلمـاتِ
بقيت فـي الـصدور حاجـة نفسٍ　　ذكرُهـا لازمٌ مـن اللازمـات
هُجـر العلـمُ يـا إمـام البرايـا　　درسـتْ آيهـا مـع الدارسـات
كـان مـن زارهـا أقـام بخيـر　　فـي ريـاض أنيقـةٍ مغـدقاتِ
أصـبحت عبـرة لكـل نـسيب　　عرصـات مـن أهلهـا مقفـراتِ
فتميـل القلـوبُ تـشكو إليهـا　　هجرهـا دائمًـا بكـلِّ الجهـاتِ
لـيس خَلْـقٌ سـواك يحنـو عليهـا　　يـا أمـا فـوات قبـل الفـواتِ
وارتعـشْ أهلَهـا وشـيدْ بناهـا　　وأعـدْها فـي أحـسنِ الحـالاتِ
أنـت فـي الأرض رحمـةٌ　　أهبطهـا اللهُ سـامعُ الـدعواتِ
أنـت للنـاس عـصمةٌ فـي معـاشٍ　　ومَعـادٍ تمحـو بـه الـسيئاتِ
خـتمَ الله بالرضـا عنـك سـعيًا　　إنمـا الفـوزُ فـي رضـا الخاتمـاتِ
وعلـى الطهـرِ خـاتمِ الرسـلِ والآ　　لِ سـلامٌ وأفـضلُ الـصلواتِ

[٨٠٤] إسماعيل ابن العلامة محمد بن عمر بن صديق بن أبي القاسم الشافعي الحشيبري اليمني.

شيخنا الإمام العلامة، الحجة الفهامة، من أعيان أئمة الدين، وأجلاء عباد الله الصالحين، وبقية العلماء العاملين.

مولده ببيت الفقيه الأيمن من وادي سردد، في سابع عشري شهر رجب سنة ثلاث وأربعين بعد الألف، وحفظ القرآن وجَوَّده، واشتغل بعلوم الفقه والحديث والعربية، وغيرها، وأخذ عن الشيخ العلامة علي بن أحمد المدني اليمني الحشيبري، وعن القاضي الفاضل محمد بن أحمد صاحب الحال، وغيرهما، وبرع في علوم عديدة، خصوصًا الفرائض والحساب، والجبر والمقابلة؛ فإنه بلغ فيها الغاية التي لا تدرك، ومهر في علم الحديث، ولازم قراءته في العشي والإبكار، مع ملازمة التلاوة والأذكار، والتقيد بطاعة الله في الليل والنهار، واجتمعتُ به بمدينة «اللحية» عام رحلتي لليمن الميمون سنة أربع وتسعين بعد الألف، وتوفي ـ رحمه الله ـ أيام التشريق آخر سنة اثنتين وعشرين ومئة وألف.

[٨٠٥] إسماعيل السيواسي.

أحد علماء الحنفية الكبار بالروم، له «شرح على ملتقى الأبحر» في أربع مجلدات، توفي سنة إحدى وأربعين وألف.

[٨٠٦] إسماعيل بن يحيى الشيخ العلامة المفتي عماد الدين بن محيي الدين القُبَيْباتي الشافعي ثم الحنفي، الشهير بملا عماد[1].

كان له ذكاءٌ مفرطٌ؛ بحيث إنه كان يشتغل بفنون من العلم مدةً، فيتقنها،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤١٦).

وينتقل إلى غيرها كذلك، وأراد أن يسلك طريق الصوفية، فاختلى عنه الشيخ أحمد الحرستاني الكاتب، فنظر في الواقعة ستة عشر يوماً: أنه في فلاةٍ فيها كومٌ من أحجارٍ وخِرَق وزبالات، ووجد عليها كسرة خبزٍ، فأكلها، فذكر للشيخ أحمد، فقال له: اخرج من الخلوة؛ فإن لك خولاً في الدنيا.

ثم تعلق بعلم العقائد، وسافر إلى الروم، وتولى بعض المناصب، وحصل له دنيا عريضة، وفضيلة تامة، ثم تفرغ عن جميع ما عنده من ذلك كله، ووهب ما عنده من متاعٍ وغيره، ثم لحق بالشيخ العارف بالله محمود الإسكندراني، وصار من فقرائه، وتوفي بإسكدار، في حدود سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٨٠٧] إسماعيل بن المطهر الجرموزي[١].

فخر العليا، وزينة الحياة الدنيا.

من شعره:

أراك على خديك أثر الخمارْ ... فألقِ يا بدرُ عليه الخِمارْ
وعُد عميدَ القلب مقروحَه ... فما على من عادَ أو زارَ عارْ
كم معجز في الحسن يا جيرتي ... بخدك الورد وماء ونارْ
ومثل ذا في فيك واعشقتي ... خمرٌ وياقوتٌ ودرٌّ كبارْ
يا قاتلَ الرحمنُ ألحاظَنا ... كم ملأتْ أحشاءنا بالشرارْ
تُقامر الغيد ولا ترتضي ... إلا السويداءَ درهمًا للقمارْ

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٥١).

[٨٠٨] إسماعيل ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي الإمام المتوكل على الله[١].

وذكرت بقية نسبه في ترجمة أبيه.

الذي له المكارم الظاهرة، والمفاخر السائرة، مع الإحاطة بجميع العلوم، ما هو أشهر من الشمس في الأرض، في طولها والعرض، وكان ـ رحمه الله ـ بعيداً من الخنا والفواحش، يملك نفسه عن المحارم، ويعد مغانم الفاحشة من المغارم.

سار السيرة الحسنة العادلة؛ بحيث لم يكن له همةٌ بعد الاشتغال بالعلم، إلا في الفكر في أمر الرعايا، فأمنت السبلُ في أيامه، ورخصت الأسعار، ولم يتمكن أحدٌ من ظلمٍ في ولايته، ولو كان كافراً، ولم يجسر أحدٌ من عماله على ظلم أحدٍ من الرعايا، وأمن الناس على أنفسهم وحريمهم وأولادهم، وترددت التجار من سائر الأقطار.

وكان حسن الشكل، مليح الوجه، يعظِّم الشرع الشريف، ولا يخرج عن حكمه، ويوقِّر من يراه من الفضلاء، وإذا اجتمع بأحدٍ من أهل العلم، يُقبِل بوجهه عليه، ويودُّه ويؤانسه، ومن سعادته: أنه كان إذا غضب على أحدٍ في الغالب، لا يزال كذلك المغضوب عليه في خمولٍ وخمودٍ، وتعسٍ ونكدٍ، إلى أن يموت، وبالجملة: فإن جميع أيامه كانت غرراً، وكل أوقاته أصيلاً وسحراً.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٥٣) (١٣٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤١١)، «البدر الطالع» (١/ ٢٤٦).

وُلد ليلة النصف من شعبان، سنة تسع عشرة بعد الألف، وأرخ ولادته السيد العلامة إسماعيل بن حجاف بقوله:

خليفــةُ الله إســـماعيلُ مولانـــا أوفــى البريــة عنــد الله ميزانــا

في ليلة النصف من شعبان مولـدُه (فهاك تاريخه فـي شـهر شـعبان)

وأخذ عن كثير من المشايخ، من علمـاء الشافعيـة والزيدية، وجد في الاشتغال بالعلوم الشرعية والآلية، حتى برع في جميع العلوم السنية، وتولى الإمامة بعد وفاة أخيـه محمد المؤيد، وخلعِ أخيه الإمام أحمد، سنة خمس وخمسين بعد الألف، وأرخ بعضهم ابتداء دعوتـه بقولـه: (توكلت على الله وحده أبداً)، ودانت له الأقاليم اليمنية.

وألف كتباً عديدةً منها: «العقيدة الصحيحة والدين النصيحة» و«رسالة في التحسين والتنقيح العقليين» وغير ذلك، ومُدح، ووُفـد إليـه، وأثنى كل الناس عليه، ولم يزل قائماً بأعباء الإمامة، إلى أن توفاه الله إلى رحمته والكرامة، في ليلة الجمعة، رابع جمادى الآخرة، سنة سبع وثمانين وألف بـ «دوران» ـ رحمه الله، وأسكنه فسيح الجنان ـ، وتولى بعده ابنُ أخيه الإمام أحمد بن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ.

وحج الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، سنة إحدى وأربعين وألف، وكان دخوله من السراة، وخروجه من تهامة، وكان إماماً جليلاً، وملكاً ظله ظليلاً[1]، وعالماً تخفق بالنصر أعلامه، وحاكماً تجري بمصالح الرعية أقلامه،

---

(1) كذا في الأصل.

بيته مشيَّد، وملكه مؤيَّد، وصدره للطالبين مشروح، وبابه لأرباب الفضائل مفتوح، برع في كثير من العلوم، وسلب بأساليب مصنفاته أهل الحلوم، وباشر الأعمال الجليلة، في دولة أبيه وأخيه، ثم ولي إمامة اليمن مدةً طويلةً، وأسدى إلى أهله ما استوجب به شكر مناقبه الجليلة.

[٨٠٩] إسماعيل دده.

هو في قصبة بازارحق من بلاد روم ايلي، اشتغل بالعلوم المتداولة أولاً، ثم اتصل إلى خدمة الشيخ محمد، المعروف بقورة، وحصّل الطريقة عنده، والآن هو شيخٌ بزاوية الشيخ المذكور، بقصبة بازارحق.

[٨١٠] إسماعيل النابلسي الدمشقي الحنفي[١].

عين أعيان العلماء، وعنوان ديوان الفضلاء، وقدوة المحققين الأعلام، وأفضل من انفرد في عصره بكمال علم الفقه والكلام، ونور مشكاة العلوم ونبراسها، ومشيد قواعد الفضل وممهد أساسها، وقطب فلك المجد والكمال، وشمس سماء المهابة والجلال.

وُلد بدمشق، ونشأ بها، وأخذ عمن بها من أفاضل عصره.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، فمن سحر كلامه، وبديع نظامه قوله:

عجبتُ لقلبي كيف يقوى لهيبهُ ... وطوفانُ دمعي من صدودِك طافحُ
وأعجبُ من ذا أن لحظك قاتلي ... وأحسبُه من فرط عشقي يمازحُ
وأعجب من هذي العجائب كلِّها ... تخاصمني يا منيتي وأصالحُ

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ١٣٣) (٧١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٠٨).

وقوله:

أذكــرتِ بــانَ الحمــى يــا نــسمةَ الــسحر

[٨١١] السيد إسماعيل بن أحمد بن محمد بن شمس الدين ابن الإمام يحيى شرف الدين.

كان سيداً جليلاً، فاضلاً نبيلاً، له أشعارٌ حسانٌ سطرت في ديوانه، وولي حصن «كوكبان» مدةً طويلةً، وكانت له آراءٌ سديدةٌ، وعلوم مفيدة، توفي سنة عشر بعد الألف، وأقاموا بعده عم أبيه الأمير علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، وكان مهملاً في شبابـه، فطلبـوه، وولي أمرهم، وكان الأمير عبد الرب القائم بالأمر ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٨١٢] إسماعيل بن محمد بن صلاح بن علي بن إبراهيم بن المهدي الحجاف.

مالك نواصي الأدب، البالـغ أقصى الرتـب، السابق لغايات العلوم، والمجلي في منطوقها والمفهوم، كان سيداً جليلاً عارفاً، له اليد الطولى في العربية والبيان، توفي سنة خمس وتسعين وألف بضوران.

ومن شعره قوله:

إذا سلَّ دهري سيفَ كيـدٍ ومحنـةٍ وســدَّد ســهمًا بالرمايــة يرمينــي
فلــي ثقــة بــالله جــلَّ جلالُــه ولي حسنُ ظن بالمهيمن يكفينـي

وقوله:

إن رمتما تحقيقَ ما حكـم الهـوى وطلبتمــا منــي عليــه شــاهدًا

فسلا دموعي عند جريٍ عقيقِها وقفا على سقف العقيق وشاهِدا

وقوله:

سلّ الحبيبُ عليَّ مغمَدَ لحظهِ فدهشت من لمعانه وبريقِهِ
وغدوتُ مشتغلاً بنار صبابةٍ فعساه يُطفيها ببردةِ ريقِهِ

وقوله:

جاد الحبيب عليّ بزورة وشفى لهيبَ صبابتي ورَقاها
فلقد سما عندي منابرَ رفعةٍ وعلوَّ مرتبة لديَّ رقاها

توفي...[1].

والده السيد محمد بن صلاح الحجاف، كان فاضلاً نبيلاً كاملاً، وكان وزير الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم قائماً بخدمته، مفوض الأمر منه في غالب شؤونه، توفي سنة ثمان وستين وألف بضوران.

[٨١٣] أسعد بن سعد الدين أفندي[2].

رأس الدولة العثمانية، في الأيام الأحمدية، العالم النحرير، صاحب الإتقان والتحرير، شاع فضله وذاع، وملأ الأفواه والأسماع، قدم مكة حاجاً، سنة أربع وعشرين وألف، توفي بالقسطنطينية، في ثاني عشر شعبان، سنة أربع

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر تاريخ الوفاة».

(٢) «معادن الذهب» للعرضي (٤٧) (٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٩٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٧٦) (١٤٨).

وثلاثين وألف، وهو مفتي التخت.

ورثاه الشيخ عبد الرحمن العمادي بقوله:

نُــح علــى الكــون أحمـــده   أعــدم المجــد فيــه موجــدُه

قــال فــي عامــه مؤرخــه   (مــات مــولى الــروم أســعدُه)

[٨١٤] إسحاق ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي.

ممن اشتهر فضلُه، وشاع نبله، وشهد بفضله القاصي والداني، وأنه ليس له في ضروب الكمال مداني، إلى علمٍ غزير، وأدبٍ شهير، وتفنن في العلوم الغريبة، وتصرفٍ في الأعمال المهمة العجيبة، ومعرفةٍ بالعلوم الحرفية والجفرية، اجتمعتُ به سنة ثمان ومئة وألف، بقصر صنعاء، وقد ابتلي من أخيه الإمام المهدي لدين رب العالمين، محمد بن أحمد بن الحسن ـ حفظه الله آمين ـ، مع جماعةٍ من بني عمه.

وذاكرني في أشياء من هذه العلوم، فأجبته عن بعضها، وكانت عندي منقولةً، فظن أني من أهل هذه الصناعة، ولست بذلك، فصار يكاتبني من القصر بأشياء، فما رأيته منقولاً، أجبته عنه، وما لم أره، اعتذرت منه، وأخبرته بحقيقة حالي، وأني ليس لي بهذه العلوم بيان، فلم يقبل ذلك، إلى أن توجهت من صنعاء، ورجعت إلى مكة، فأُطلق من الوثاق، مع جماعةٍ من بني القاسم، وأقمت بمكة، إلى أن بلغني خبر وفاته، بقعطبة سنة...[1].

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ».

[٨١٥] أسعد الدين بن أكمل الدين بن عبد الكريم القطبي الحنفي[١].

كان من أفاضل مكة المجلِّين، وأبناء العلماء المعظَّمين.

وُلد بمكة قبل غروب يوم الثلاثاء، سادس ذي الحجة، سنة ثمان عشرة وألف، وبها نشأ، وقرأ على مكي فروخ، وعيسى بن أبي سلمة، والسيد صادق بادشاه، وعبد الرحمن بن عيسى المرشدي، والإمام عبد القادر الطبري، وولده زين العابدين، وغيرهم، **وتوفي** بالطائف، قبيل فجر ليلة السبت، ثالث وعشري شهر رمضان، سنة تسع وستين وألف، ودفن صبيحة اليوم المذكور، بقرب تربة ابن عباس رضي الله عنهما.

[٨١٦] السيد أسعد البلخي، ثم المدني الحنفي[٢].

أحد الأجلاء العارفين، والسادة الكرام الميامين، وممن طال باعه في علوم الطريق، وفتح عليه بالتحقيق.

أخذ عن العارف بالله السيد صبغة الله، ووقفتُ له على كتاباتٍ على نصوص المحقق صدر الدين القونوي، تدل على وضوح منهجه القويم، ومتانة عرفانه العظيم.

وكانت **وفاته** يوم السبت، خامس عشري ربيع الآخر، سنة أربعين بعد الألف بالمدينة، ودفن بالبقيع الغرقد.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٨).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٠٢).

ومن شعره: ما كتبه إلى السيد سالم شيخان، من طيبة إلى مكة، وهو قوله:

ومن كـان فـي أُم القـرى مـستقرُّه | لما امتطى الوخّـادَ شـرقًا ليشـربِ
لقـد حـنّ وجـدًا للتـدلي دُنـوّه | ليبلونـا خيـراً لأمـرٍ محجَّـبِ
أم اشتاقَ من عزٍّ الغنـى ذُلَّ فقرنـا | أشـدَّ حنـين يـا لـه مـن تحبُّـبِ
كذاكَ حـوى دورَ التسلـسل دائمًـا | لينظَم شملَ السُّفل أوج المحـدَّبِ

فأجابه بقوله:

ومن كان عـن أم الكتـاب سـفورُه | بـسبعِ مثـاني وصـفه للتحبُّـبِ
فتكوينُـه تـدوين إعجـاز محكـم | بإمكانـه نـشرُ الوجـوه المغيّـبِ
فـأم قـراه مـستقر وجوبـه. | ومـستودع الإمكـان منهـل يثـربِ
إليه امتطى الوخاد من شرق روحه | ليسفر شمس الذات في لوح مغربِ
ويطلع بدر الوصف من غرب كونـه | بتفـصيل تـصريف لكنـه معـرَّب
بمـن عـزُّه قـد حـنّ شـوقًا لـذلنًا | ليبلـو فقـرًا بـالغنى خيـره الأبـي
ويتلو كتابَ الجمع من نقشِ نفسهِ | على فرض عين في وجود محجب
ليتلـوه منـه شـاهدٌ لاح شـاهِدا | بـه الوجـه يبـدو سـافرًا يتحجـب
لرحمانه عرش على حكمه استوى | بخلق وأمر هجرتـي فـي التغـرب
إلـى مـن إليـه كـلُّ أمـر مـردُّه | مسلسل فـي أدوار عنقـاء مغـرب
عليـه بـه صـلى شـهيد وجـوده | بآل وصحب ما تُلي المدحُ للنبـي

[٨١٧] السيد أصيل الدين بن حسين بن عبـدالله بن زين العابدين بن

أوليا بن مجتبى بن حمزة البدر أبو محمد بن أصيل الدين، الكرماني الأصل، الحسيني، المكي المولد والدار، ويعرف جده بابن أصيل الدين، ذكر جده عبدالله أو حسين، السخاوي في «الضوء».

[٨١٨] أكمل الدين بن يوسف الكريمي الحنفي الدمشقي.

فاضلٌ لم تنتج مقدمات الأيام بأبدع من لطيف شكله، ولم يجاره أحد من الأنام في مطارح جده وهزله، كان ينظم الشعر بالألسنة الثلاثة: العربية، والفارسية، والتركية، وله في العلوم أوفى مزية، لا سيما علم الموسيقا؛ فإنه كان له فيه المنزلة العلية.

وكان يقـول: لو أدركني الفارابي، لم يسعه إلا اتباعي، أو رآني معبدٌ وغريض، لكانا من جملة أتباعي، وكان حسن الصوت، بديع المداعبة، وأكثر ملازمتـه للمرحوم الأمير منجك، ولـه فيه مدائح طويلة، وبينهما محاوراتٌ جليلة.

ولم يزل على هذه الحال، حتى أفسدت السوداء عقلـه، وانقطـع عن الناس جملة، وحبسه أهله، وقيدوه بالقيود، وصار بين الناس كأنه غير موجود، وقد رأيته وأنا صغير، وهو في هذه الحال، وقد ذهب منه الأطيبان: الشباب، والمـال، إلى أن توفي بدمشق، في حـدود سنـة خمس وسبعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره يمدح الأمير منجك المذكور:

أنـــت تختـــال عجبًـــا وافتخـــارًا ....[1]

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر بقية البيت».

[٨١٩] أكمل الدين بن عبد الكريم القطبي بن نجيب الدين، مفتي مكة[1].

وُلد ليلة الخميس، سابع عشر جمادى الأولى، سنة ثمان وثمانين وتسع مئة. توفي شهيداً بالأعاضيد، وهو اسم محلٍّ به نخلٌ ومزارع، بين الطائف والمبعوث، [والمبعوث] إليه أقرب عنه، بعد ليلة الثلاثاء، ثاني عشر شوال، سنة تسع عشرة وألف، ودفن بالسيل ـ رحمه الله ـ، وكان الشريف إدريس إذ ذاك بالمبعوث.

[٨٢٠] الأمين بن الصديق بن عثمان، أخي الشيخ العارف بالله الولي ابن الصديق بن إبراهيم بن أحمد الشهيد بن زيد بن علي بن حسن بن عطية الشَّغْدري بلدًا، وهي بطن من همدان، بمغارب صنعاء، ابن علي بن عطية ابن علي بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عاصم بن إبراهيم بن إسحاق الخولاني بن موسى بن محمد بن موسى بن مقبول بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أحمد بن قعر بن شاور بن قُدَم بن زيد بن غريب بن جشم بن حاشد ابن همدان بن مالك بن زيد بن أوسَله بن ربيعة بن خيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن شالخ بن أرفخشد ابن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس بن زيد بن مهاييل بن قنبان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأمه بتول بنت زيد ابن الولي بن الصديق.

كان من أكابر مشايخ الصوفية، ومن سالكي الطريقة المرضية، ومن

---

(1) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢٢).

أجل فقهاء المرواح[1]، وُلد بها عام خمسة وستين وتسع مئة، وقرأ بها القرآن، وعمره نحو عشر سنين، وكان نائماً ذات ليلةٍ، فسمع صياحاً، فانتبه من نومه، فسأل أخويه عبد الرحمن وأحمد عن الصياح، فقالا له: مات الولي بن صلاح، وكان من ذرية الولي بن الصديق، فصـاح: الله، الله! وحصل لـه جذبٌ من ساعته، ولم يتمالك نفسه، فرمى نفسه من أعلى السطح، وخرج هائماً على وجهه، حتى وصل إلى «اللحية» في أسرع مدة، فتبعه أخواه ليردَّاه إلى أهله، فامتنع، فلما لم يجـدا بداً من ذلك، ذهب معـه أخوه عبد الرحمن، ورجع أحمد إلى بلده.

فذهب إلى مكة، فلما وصلا إليها، قال لأخيـه: ارجع لأهلك؛ فإني الآن صحوت مما كان لي من الجـذب، ولا أرجـع حتى يأذن الله لي، فأقام بمكة خمساً وعشرين سنةً، وهـو منهمكٌ على خدمـة العلم وأهله، والجـد والتعب في تحصيله، إلى أن رأى بعضُ شيوخـه النبي ﷺ في المنـام، وهو يسقي اثنين من تلامذته، وكان الأمين واقفاً، فنـاداه ﷺ، وقال لـه: اشرب بنفسك، فأصبح الشيخ، وأخبره بما رأى في منامه، وقال له: ارجع إلى بلدك؛ فقد حصلت لك العناية النبويـة، فامتثل أمر شيخـه، ورجع إلى اليمن وهو ممتلىء علماً وحكمةً.

ومرّ في طريقه على الشيخ العارف بالله عمر بن جبريل، بمدينة «اللحية»، فأقام عنده، وطلب الأخذ عنه، فقال: بشرط أن تسأل على كل بابٍ من بيوت المِرْواح، وتذكر، فقال له: يا سيدي! سَلني غير هذا، قال: لا، ففعل ما أمره

---

(١) في الأصل: المراوح.

به، وكان يُغْشى عليه عند كل باب، ثم بلغ مبلغاً عظيماً.

ولما فارقه، أمره أن يجعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وهي قريةٌ تحت المِرْواح بأعلى الصلبة، فوصل إلى المِرْواح، وأقام به، وفعل له مقاماً بالشَّبَجَنَة، وكان ينزل إليه كل يوم جمعةٍ، فيزوره فيه أهل الصلبة ومن والاها من القرى، ثم يعود إلى المِرْواح، ولما قرب موته، أوصى أن يدفن بمقامه الذي بناه.

فلما مات، امتنع إخوته وأهل المِرْواح من دفنه إلا عند جده الولي بن الصديق بالمِرْواح، بمسجدهم المعروف بها، وحصل بينهم وبين بني قُطَيم ـ مصغراً ـ أهل الشَّبَجَنَة، منازعةٌ في ذلك، أدت إلى أن رفعوا الحال إلى الأمير عبد الرحيم بن مطهر ابن الإمام شرف الدين، صاحب المَبْيَن ـ بوزن أحمد ـ، وكان يحب المترجم، ويعظمه كثيراً، فقال: لا تقبر العادية إلا بين أهلها، وأمرهم بدفنه بتربة جده.

فلما أرادوا رفعه من التابوت إلى القبر الذي أعدوه له في المرواح، لم يقدروا على رفعه عن الأرض، وعالجوا أشد العلاج، فلم يفدهم ذلك شيئاً، فعلموا حينئذٍ أنها كرامة، ودخل خاله عبد الوهاب بن زيد، وأَمَرَ بني قُطَيل بحمله؛ ليدفنوه بمقامه الذي أوصى بدفنه فيه، فبمجرد أن أمسكوا التابوت، أطاعهم، وحملوه بأيسر ما يكون، ودفنوه في مقامهم الذي أمرهم بدفنه فيه[1]، وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأول سنة عشر والألف،

---

(١) غفر الله للمصنف ورحمه في إيراد هذه الحكايات، فهذا كله من تلبيس الشيطان الرجيم، وإدعاء الجهلة ومدعي الطريق أنها من الكرامات وعلامات القبول، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد زرته ـ بحمد الله ـ مرات، لمَّا كنت بالصلبة، سنة ثمان بعد المئة والألف.

ومن مؤلفاته: «الكشف والعيان في معرفة حقيقة الإيمان ومقام الإحسان»، وهو كتابٌ لطيفٌ، ذكر فيه شيوخه وأسانيده في الخرقة، وقد طالعته عدة مراتٍ، وله رسالةٌ جواب سؤال ألغازٍ من بعض الفضلاء، في مضاعفة الصلاة بمكة، غريبة الوضع، كتبت منها نسخةً بخطي لحسنها وكثرة فوائدها.

[٨٢١] إمام الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي العمري الحنفي[1].

مفتي مكة، صاحب الشيخ الفاضل، العالم الكامل، وُلد بمكة، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وحفظه وجوده على الفقيه المقري أحمد إسكندر، وحفظ «الكنز»، و«الهاملية»، وعرضها على ابن عمه حنيف الدين بن عبد الرحمن المرشدي، ولازم دروسه، حتى حصل طرفاً صالحاً في مذهب الإمام أبي حنيفة.

وأخذ النحو عن عبدالله باقشير، وأخذ عن الشيخ عيسى المغربي، ومحمد بن سليمان، وقرأ طرفاً على شيخنا محمد الشلي باعلوي «البخاري»، و«الشمائل»، و«شرح الأربعين»، وجملة كتبٍ في علم العربية، وقرأ الفرائض والحساب على أحمد بن علي باقشير، وجد واجتهد في طلب العلوم، لا سيما الفقه، حتى فاق أقرانه، ولبس الخرقة من السيد العارف بالله عبد الرحمن الإدريسي.

وولي منصب الإفتاء بمكة وغيرها، ولم يزل على طريقةٍ حسناء، حتى

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٥٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢٤).

توفي يوم الاثنين، منتصف جمادى الآخرة، سنة خمس وثمانين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، في سوح السيلة خديجة، على يسار الخارج من القبة، ثم بعد سنين، رفع عليه السيد إبراهيم بن محمد، أخو الشريف بركات، وبُني عليه بناءٌ مرتفع يشبه التابوت.

[٨٢٢] الشيخ العارف بالله إله بخش، وهو لفظٌ فارسيٌّ معناه: عطية الله، الهندي النقشبندي(١).

كان صاحب معرفةٍ، وكمالٍ وتكميل، وكانت طريقته طريقة الغشقيه، وكان عالي المشرب، نهاية في المعارف، نقلت عنه التصرفات العجيبة، والكرامات العجيبة، وهو من أجلّ مشايخ العارف بالله تاج الدين الهندي النقشبندي، وله معه خوارق سنية.

منها: أن الشيخ أرسله إلى بلد أمروهة لخدمة، فكان يمشي في الطريق، إذ رأى في أثناء الطريق امرأةً جميلةً، فتعلق قلبه بها، وصار مشغوفاً بها، حتى خرج زمامُ اختياره من يده، ونسي تلك الخدمة، وتبعها، فبينما هو كذلك، إذ رأى الشيخ على يمين تلك المرأة، ينظر إليه، وواضعاً أصبعه السبابة في فمه، على طريق التنبيه والتعجب، فلما رآه، حصل له منه غاية الحياء، وانقلع أصل محبتها من قلبه، ومضى لسبيله، ولما رجع من الخدمة، وصل إلى الشيخ، فلما رآه الشيخ، ضحك منه، وعرف منه أنه كان مشعراً بذلك.

ومنها: أن واحداً من أصحاب الشيخ إله بخش، كان يقرأ عليه شيئاً في

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٢٣).

علم التصوف ذات يومٍ، فجـاء الجراد في البلد، ووقف على أشجار الناس وزروعهم، فجاء راعي بستان الشيخ، وأخبره بالجراد، فأرسل الشيخ واحداً من أصحابه إلى البستان، وقـال لـه: قل للجراد مناديًا بصوتٍ رفيـع: إنكم أضيافنا، ورعاية الأضياف لازمـة، إلا أن بستاننـا أشجارٌ صغارٌ، لا تحتمل ضيافتكم، فالمروءة أن تتركوه، فبمجرد ما سمع الجراد هذا الكلام من الرجل طار، وخرج من بستان الشيخ، ووقع خارجه، وصار زرع كل الناس وبساتينها كعصفٍ مأكول، إلا بستان الشيخ.

ومنها: أن رجلاً جاء إلى الشيخ إله بخش، وشكا إليه الفقر والضيق في المعيشة، وجلس أياماً في خدمته، فقال لـه الشيخ: إذا حصل لك شيءٌ من الدنيا وما تُخرج منه لنا؟ فقال: العشر، فقـال لـه: لا تستطيع، فكرر عليـه الكلام، حتى استقر الحال على أن يخرج له من كل مئةٍ واحداً، فأمره أن يروح إلى واحدٍ من أهل الدين، فحصل له ببركة الشيخ دنيا كبيرة، في أيامٍ قليلةٍ، فكان الشيخ يرسل إليه الفقراء، ويكتب له بأن يعطيهم، ولا يؤدي إليهم شيئاً، ثم اجتمع عنده دراهم كثيرة من حصة الشيخ، فكتب إلى الشيخ: أنكم أرسلوا واحداً من خدامكم حتى نرسل هذه الدراهم إليكم، فلما وصل مكتوبه، حصل للشيخ غيرةٌ وغضبٌ، وقال: سبحان الله! ما قلع أحدٌ من وقت آدم إلى يومنا هذا شجرةً غرسها بنفسه، إلا أنا أقلعـه اليوم، فجاء بعد أيام خبر موته، وله كراماتٌ كثيرةٌ، وإنما أردت التنبيه على عظيم شأنه، لا التعداد والحصر.

وكانت **وفاته** ـ نفع الله به ـ ليلة الاثنين، تاسع عشر رمضان، سنة اثنتين بعد الألف، وعمره اثنتان وثمانون سنةً، وهو على ركبة تلميذه الشيخ تاج،

وأوصاه أن لا يغسله ويكفنه إلا هو، ففعل، وكفنه بموجب وصيته ـ نفع الله الجميع ـ[1].

❐ ❐ ❐

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا نصف صفحة بياض».




حَرْفُ ٱلبَاءِ ٱلمُوَحَّدَة

[٨٢٣] بدر الخليل شيخ الأربعين.

في بلدة سيدنا إبراهيم الخليل ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ هو شيخٌ صالحٌ متدينٌ، يحب الفقراء، وهو الذي عمر الأربعين المذكور، وهو الآن ساكن به.

[٨٢٤] بلال الأحمدي.

المقيم بباب الرحمة، بالمدينة المنورة، خليفة الأحمدية، له خلفاء وفقراء، وزاويةٌ معمورةٌ بالأذكار، ومات يوم الجمعة، غرة جمادى الآخرة، سنة عشرين وألف.

[٨٢٥] بيري دده المعروف بقرة باش.

مقيماً بقلعة بشته، تجاه قلعة بدون، وكان شيخاً صالحاً، مجاب الدعوة، روي: أن الوزير مصطفى باشا، نائب السلطنة بمحروسة بدون، أراد أن يبني بها الحمام المسمى بـ: «إيلجة»، وبنى جداره، ولم يقم؛ لكثرة الماء في أساسها، فرجع إلى الشيخ بيري دده، وشكا له من ذلك، فحضر الشيخ على البناء، ودعا لاستحكامه، ثم بناها، فقام وثبت.

وكان إذا لم يجد قوت يومه، يتوجه إلى الله تعالى، فيأتي له الفتوح سريعاً، عزم على الحج بعد سنة ألف، وتوفي وهو ذاهب بالقسطنطينية ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٢٦] بكر البغدادي.

مترجمٌ في المجموعة التي فيها «رسالة الأشخر»[١].

[٨٢٧] السيد بركات بن أحمد بن عمر بن علوي الشاطري[٢].

أحد السادات من بني علوي، صاحب الفضائل الجزيلة، والفعل الحسن الجميل، المتمسك بالسبب الأقوى، من الدين والتقوى، وُلد بمدينة «تريم»، ونشأ بها، ولاحظته عناية ربها، وحفظ القرآن، ولزم تلاوته في سائر الأزمان، وصحبة أكابر الأعيان، وكان يتعاطى أمر التجارة السالمة من الخسارة، المقرونة بالأرباح، المتصلة بالغبطة والنجاح، مع سماحة نفسٍ وكرم، ومحاسن أخلاق، وشيمٍ، وأيادي جسيمة، ومكارم عميمة.

وكان كثير الطاعات، ملازماً للجمعة والجماعات، والقيام بالأسحار، ولم يزل مفوضاً أمره للحي القيوم، إلى أن وافاه القضاء المحتوم، فتوفي سنة ست بعد الألف، بمدينة تريم ـ بوأه الله جنات النعيم ـ.

[٨٢٨] السيد بركات بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن أبي نمي[٣].

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٢٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤١).

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٣٦)، =

أمير مكة، مولده سنة أربع وثلاثين وألف، وتولى ثاني أيام التشريق، بعد الشريف سعد بن زيد، بسعي محمد بن سليمان المغربي، وذلك أنه تشفع عنه في شيء، فلم يشفعه، فحج مصطفى باشا أخو أحمد باشا الوزير الكبرلي، فسافر معه إلى الروم، واجتمع بالوزير، وأشار عليه بعزله؛ لما صدر منه في حق حسن باشا، فأرسل عسكراً لمكة لذلك، فعزل.

وتوجه الشريف سعد من مكة، وتولى صاحب الترجمة، وخرج ومعه من العساكر في طلبه، فسلك طريق الثنية إلى الطائف، وكان الشريف سعد قد سلكها، ونزل بالطائف، ثم ارتفع عنه إلى عباسة، ثم إلى تربة، ثم إلى بيشة، فتبعه الشريف بركات، حتى قارب تربة، ثم عاد إلى المبعوث، ثم إلى الطائف، وأقام بها، ثم رجع إلى مكة.

وحظي عند السلطنة، وكان مقبول الكلمة عندهم، معتقداً؛ لما كان يكثره من مداراتهم، وكان كثير الإحسان للأشراف، والتعطف بهم، وتقووا في زمنه، وقويت شوكتهم، وكثرت أموالهم، وبسبب ذلك بقي كبار الأشراف وصغارهم تحت طوعه، وكان يخرج بهم لحرب العرب، من حرب، من أهل الفرع وغيرهم، ويكون الظفر فيه له وللأشراف.

ولم يزل كذلك، حتى تغلب عليه غالب الأشراف، وخرج السيد أحمد ابن غالب من مكة، مفارقٌ[1] له في نحو ثلاثين شريفاً، من ذوي مسعود وغيرهم، فدخلت الأشراف في الصلح بينهم، فلم يتم، وخرجوا إلى التركان،

= «الأعلام» للزركلي (١/ ٤٩).

(١) كذا في الأصل، والصواب: مفارقاً.

من وادي مر، واجتمعوا هناك، وتأهبوا وساروا قاصدين الأبواب السلطانية، فوصلوا إلى الشام، فأنزلهم متوليهـا حسين باشـا السلحـدار، ببيتٍ عظيمٍ، وأجرى عليهم ما يكفيهم من المصرف، وبالغ في تعظيمهم.

وعرّف بشأنهم إلى الأبواب، فأمروا بكتابة عرضٍ بما يشكونه، فكتبوه وأرسلوه مع اثنين منهم، وهما: السيد محمـد بن مساعد، والسيد بشير بن بركات بن فضل، فوعدوا بإزاحة شكواهم، وكان الشريف بركات عرض على الأبواب، لما فارقه السيد أحمـد بن غالـب ومن معـه: أن الأشراف أتعبوه بالطلب الشطيط، وأنه بالغ في رضاهم بكل وجه، وقال: إني رضيت أن أجعل لهم مثل ثلاثة أرباع البلاد، ويكون لي ربعه، فأبرزوا له أمراً سلطانيًا بذلك.

ولما كان حادي وعشري ربيع الأول، وقعت فتنةٌ سببها أن عبداً للسيد حسن بن حمود بن عبدالله، اختصم مع رجلٍ من عسكر مصر، عند البزابيز بالمسقى، فضرب العسكري العبـد، وأخذ سلاحه، فحينئذٍ استحشم السيد حسن الأشراف، والعبدُ العبيدَ، فاجتمعوا كلهم عند السيد محمد بن أحمد ابن عبدالله.

ثم انقلب شرذمةٌ من العبيد نحو الخمسين، شاهرين السلاح، فوصلوا إلى المروة، فهربت الأتراك، وأرادوا الرجوع، فرماهم بعض الأتراك الساكنين في الربـع بالأحجـار، فأرادوا الطلـوع إليهم، فكسروا بعض الدكاكين التي تحته، يظن أنها باب الربع، فوجدوه ملآناً من النحاس والأثاث، فنهبوا جميع ذلك، وفعلوا بدكان أخرى مثل ذلك، وصوبوا نحو ثلاثة من الترك بالسلاح، وقتلوا آخر من المجاورين، كان يحتجم عند حلاق بالمروة، ثم ذهبوا.

ثم حزبت الأتراك، وجاؤوا إلى القاضي، وأرسلوا إلى الشريف يطلبون الغرماء، فصُبِّروا فلم يصبروا، وأتوا إلى بيت الشريف، وبيت السيد أحمد الحارث، وكان بـه جماعةٌ من عسكر الشريف، فرموهم من بيت الحارث، فقتلوا من الترك اثنين أيضاً.

فرجع الترك حينئذٍ، وأرسلوا الشريف بركـات إلى الأشراف، يطلبهم الغرماء، فامتنعوا، وخرجوا إلى الشيخ محمود، وقالوا: من يطلب الغرماء يأتنا، وخرج العبيد جميعهم، حتى عبيد الشريف بركات، وعبيـد حاكم[1] مكة، القائد أحمد بن جوهر، إلى بركة ماجن، ووجدوا جماعة من الأتراك المجاورين مقبلين، فأخذوا جميع ما معهم، وسلبوهم، ونهبوا قريب[2] من أربع مئة رأس من الغنم، ثم أرسل الشريف بركات أخاه عَمْرًا، فرد العبيد.

ثم قصد الشريف بركات تسكين الفتنة، فأمر على عبدين كانا محبوسين في سرقةٍ أن يشنقا، فشنقا، فلم تطب نفوس الأتراك بذلك، ثم وجـد السيد يحيى بن بركات، وكان يعس ليلةً بالليل عبدين سارقين، فضرب أعناقهما، ورمى بجثتهما تحت جميزة المعلا، فرضي الأتراك حينئذٍ، واصطلح الأشراف مع الشريف، ودخلوا مكة.

ثم حصل للشريف بركات مرض، واستمر نحـو شهـر، إلى أن توفي ليلة الخميس، ثاني وعشري ربيع الثاني، سنة ثلاث وتسعين وألـف بمكة، وكانت ولايته عشر سنين، وأربعة أشهر، وستة عشر يوماً، وتولى بعده ولده

---

(١) في الأصل: حكم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قريبًا.

الشريف سعيد، ولم يختلف عليه اثنان من الأشراف، وذلك أنه بعد موته، ذهب السيد عمرو بن محمد في جماعـةٍ من الأشراف إلى القاضي، وطلبوا خلعة، فسألهم: هل الأشراف راضون؟ فقيل له: نعم، فأتوا بها إليه، فلبسها، ونودي في البلاد باسمه، ومـع المنـادي السيـد الحسين بن يحيـى، والسيد عبدالله بن هاشم.

ثم جُهِّز الشريف بـركـات، وصلى عليـه ضحًى إمامـاً بالناس الشيـخ عبد الواحد الشيبي فاتحُ البيت، في مشهدٍ حافلٍ، حضره الأشراف والعلماء وعامة الناس، ودفن بحوطة النسفي، على يسار الذاهب إلى المعلاة، بوصيةٍ منه، ولم يحصل للناس بموته خوف ولا فزع ـ ولله الحمد ـ، ثم عقد مجلسٌ يوم الجمعة، ثاني يوم الوفاة بالحطيم، حضره الأشراف والعلمـاء والأعيان والعساكر، فأظهـر الشريف سعيد أمراً سلطانياً، كان برز له لما أرسله والده إلى السلطان: أن الملك له بعد أبيه، فقرئ بذلك المجمع، ولم تقع مخالفةٌ من أحد.

ثم ورد الأمر ـ الذي كان طلبه الشريف بركات بالأرباع ـ إلى مكة بعد موته، فأخفاه الشريف سعيد، وكان الأشراف متحققين خبـره قبل وصولهم إلى مكة، فطلبوه من الشريف، فأحضره مجلس الشرع، وسجل مضمونه، وقسموا مدخول البلاد والإخوان أرباعاً: ربعٌ لشريف مكة، وربعٌ تشيخ فيه السيد محمد بن أحمد بن عبدالله، والسيد ناصر بن أحمد الحارث، ومعهما جماعةٌ من الأشراف، والربع الثالث تشيخ فيه السيد أحمد بن غالب، والسيد أحمد بن سعيد، ومعهما جماعةٌ من الأشراف، والربع الرابع تشيخ فيه السيد عمرو بن محمد، والسيد غالب بن زامل، ومعهما جماعةٌ من الأشراف.

فحصل بسبب ذلك التشاجر في القسمة، والتعب والتشاحن، ووقع في البلاد السرق والنهب الصريح، واختلفوا فيما بينهم، وصارت الرعية بلا راع، ولزم من ذلك أن كل صاحب ربع، يكون له كتبةٌ وأخدامٌ، يجمعون ما هو له، وجمع السيد أحمد بن غالب عسكراً، وانضم إليه من العبيد كثير، فتعب الشريف سعيد من ذلك، وأمره بترك العسكر، فامتنع، وذكر أن السوالف سبقت بمثل هذا لصاحب الربع، وشهد بذلك كبار الأشراف، فذكر الشريف سعيد أنه يتوهم من هذا الفعل، وطلب من يكفل له السيد احمد بن غالب، فكفله عشرة من الأشراف، واصطلحا على ذلك.

ثم ادعى الشريف سعيد على الأشراف: أن عبيدهم أتلفوا البلاد، والقصد: أن أهل الأرباع يرسل كل منهم سيفاً من جانبه يعس البلاد بالليل مع جماعته، فأرسل السيد أحمد بن غالب أخاه السيد حسن، وأرسل السيد محمد بن أحمد ابنه السيد بركات، وأرسل الشريف سعيد السيد حمزة بن موسى بن سلمان، في جماعةٍ من الخيالة والمشاة، ومعهم حاكم مكة القائد أحمد بن جوهر.

ولما قدم الحاج، وخرج الشريف سعيد لملاقاته على المعتاد، لم تخرج معه الأشراف في العرضة، فبعد أن حج الناس ونزلوا، عقد الشريف سعيد مجلساً فيه أحمد باشا حاكم جدة، وأمير الحاج الشامي صالح باشا، وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك، وأمين الصرة، وأكابر عسكر الحجين، فلما حضروا جميعهم، شكا من السيد أحمد بن غالب، كتابة العسكر، وأنه مناكدٌ له في البلاد، وأنه أفسد عليه الأشراف، وأنه حصل منه ومن جماعته الفساد في البلاد.

فأرسلوا إليه السيد غالب بن زامل ليحضر، فيظهر ممن الخلاف، فامتنع من الحضور في بيت الشريف سعيد، وقال: إن كان القصد الاجتماع، ففي المسجد، وإن كان تتم دعوى، فأوكل وكيلاً يسمع ما تدعـون بـه علي، ثم أرسل إليه من أجل كتابة العسكر وما بعده، فأجاب: بأن هذه قواعد بيننا قد سلفت: أن لصاحب الربع أن يكتب عسكراً، وأما قولكم: إنه قد حصل من جماعتي أو عسكري مفسدة، فأطلقوا منادياً في البلاد: معاشر الناس كافةً! هل أحد يشتكي من أحمد بن غالب، أو من جماعته، أو من عسكره شيئا؟ أو أخذوا حق أحدٍ ظلماً؟ أو ضربوا أحداً؟ فإن وجدتم مشتكياً، صح ما قاله الشريف سعيد، وإلا، فلا وجـه لـه ولكم، وأما تركُنـا ـ معاشر الأشراف ـ العرضَ معه، فخفنا أن يقع شيءٌ، فينسب إلينا وإلى جماعتنا.

كل هذا والأشراف جميعهم أجمعوا على قلبِ رجلٍ واحدٍ، ولم تزل خيولهم مسرجةً، ودروعهم عيابها غير مسرحةً، بل لبسوها وملؤوا أجياداً إلى العقد، وتحركت الأنفة الهاشمية، التي تأبى الضيم والضهد، ولما أن سمعوا جواب السيد أحمد بن غالب، علموا أن لا وجه له عليه، ولا خلاف ينسب إليـه، فسعوا في الصلح بينـه وبين الشريف سعيد، على أن يكفل كلٌّ منهما جماعته من الأشراف، ولا يتعدى أحدٌ على صاحبـه، وكُتبت بينهما حجـةٌ بذلك، وطلبوا من السيد أحمـد بن غالب أن يأتي إلى الشريف سعيد، فأتاه ليلةً، ثم أتاه الشريف سعيد ليلةً أخرى، وتم الصلح.

وحصل من الشريف سعيد في ذلك الموسم: أنـه أمر منادياً ينادي في البلاد بإخراج الأغراب من مكـة، من جميع الطوائف، فحصل للناس مزيد التعب، فتكلم العسكر مع الشريف سعيد بذلك، فرجع عن ذلك، ولما رأى

احمد باشا حاكم جدة اختلال حال الشريف سعيد، تسطى على ربع الحب، الجزية الذي يرد إلى مكة، وأراد الاستيلاء عليه، فبلغ ذلك الأشراف، فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر محرم، افتتاح سنة خمس وتسعين، أراد النزول إلى جدة، فحشكت عليه الأشراف، بعد أن كلموه في ذلك، فامتنع، وتحزبوا جميعاً، وقالوا: لا ينزل حتى يعطينا ما هو لنا، ولا يبقى لنا عنده شيء، وكان ذلك بعد أن تقدم أهله وأثقاله إلى خارج مكة، قاصدين جدة، فصار حينئذ أحيرَ من ضَبّ.

واجتمعوا جميعهم ببيت السيد محمد بن حمود، وأرسلوا إليه السيد ثقبة، فقال له: إن نزلت قبل أن تصلح الأشراف، يأخذوا جميع أسبابك التي تقدمتك، وينهبوا حريمك، ويقتلوك، فأذعن حينئذ بوفائهم، فقالوا: لا نرضى بذلك، حتى تكفَّل لنا، فكفله كرد أحمد آغا المعمار، وجميع رؤساء العسكر، وكتب بذلك حجةً، وأنه إن حصل منه لبعض حقوقهم، يكون عاصي الشرع والسلطان.

ثم خرج من مكة بعد العصر كالهارب، وطلب منهم شريفاً أوصله إلى جدة خوفاً من العرب أن يطمعوا فيه، ففعلوا ذلك، وأرسلوا معه السيد مبارك ابن ناصر، ثم اشتد البلاء بالسرق ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، وكسرت البيوت والدكاكين، وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد، خوف القتل أو الطعن، وصار العبيد لا يأتون إلا ثمانية أو عشرة، وانقلب ليل الناس نهارًا؛ لأنهم إنما يبيتون سهارى، وترى الناس من الخوف سُكارى وما هم بسكارى، وكثرت القتلى في الرعية، حتى ضبطت القتلة بمكة في شهر رمضان تسعة أشخاص، فضجت الناس من هذه الأحوال.

فأرسل الشريف سعيد ترجمانه إلى الأبواب السلطانية، يذكر فساد مكة، وأنها خربت، وأحوالها اضطربت، وطلب عسكراً لإصلاحها، وكانت الناس في هذه المدة يتوسلون إلى الله أن يصلح من مكة اعوجاجها، ويؤمن طرقها وفجاجها، فاستجاب الله دعاءهم في الأسحار، وآناء الليل وأطراف النهار، فاقتضى نظر السلطان، وأركان دولته، أنه لا يصلح هذا الخلل إلا أهله العِرِّيفون، وحماته الذين هم في بيت الملك عريقون، وبرز في الوجود ما كان في علم الله كائناً، وما قدر لبلده أن يعود كما كان آمناً، فتولاها الشريف أحمد بن زيد، في قصة ذكرناها في ترجمته.

والشريف سعيد وعمه[1] عمرو ينتظران الجواب، فلما كان سابع وعشري ذي القعدة، سنة خمس وتسعين، ركب الشريف سعيد إلى أحمد باشا صاحب جدة، وكان بالأبطح، ببستان الوزير عثمان بن زين العابدين حميدان، واستمر عنده إلى جانبٍ يسيرٍ من الليل، ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهباً إلى السيد غالب بن زامل، وكان نازلاً بذي طوى، فلما جاوز الحجون، إذا هو برجلٍ على ذلول، فاستخبره: من أي العرب؟ فقال: من بني صخر، فقال له الشريف سعيد: معك كتاب من يحيى بن بركات؟ فقال: لا، وكان يحيى ذهب لملاقاة الحج الشامي، فأمر الشريف بضمه، فضم، وتهدد بالقتل، فأقر بأنه رسول من الشريف أحمد بن زيد إلى السيد أحمد بن غالب، وأنه قد جاء متولي مكة، وأنه لحق الحاج الشامي في العلا.

(١) في الأصل: وعن، والصواب ما أثبت.

وذهب الشريف سعيد ليلة[1] الثالث والعشرين من الشهر المذكور إلى إلى بيت عمه السيد عمرو، واستدعى الشريف[2] غالب بن زامل، والسيد ناصر ابن أحمد الحارث، وعبدالله بن هاشم، وتشاوروا في إظهار هذا الأمر، على أي وجه يكون، فاتفق الأمر أن يرسلوا إلى السيد مساعد ابن الشريف سعد بن زيد، فأرسلوا إليه السيد عبدالله بن هاشم، وأتى به.

فلما دخل بيت السيد عمرو، رأى الجماعة مجتمعين، فجلس معهم، فقال له الشريف سعيد: يا سيد مساعد! لم أرسل لك هذا الوقت إلا قصدي أودعك أهلي؛ فإن عمك الشريف أحمد بن زيد تولى مكة، وإنك تقوم مقامه حتى يصل، وأرسل الشريف سعيد إلى أغاوات العساكر الذين معه، وقال لهم: إن الأمر للسيد أحمد بن زيد، فاخدموا سيدكم، وخرج الشريف سعيد آخر تلك الليلة إلى الوادي، وأقام به حتى سافر الحاج المصري من مكة، فذهب معه إلى مصر، وهو الآن بها مقيم.

[٨٢٩] بركات بن تقي الدين بن الكيال الشافعي الدمشقي[3].

الشيخ الصالح، خطيب الصابونية بعد ابن عمه ولي الدين، كان من جماعة شيخ الإقراء العلامة شهاب الدين الطيبي، ثم من جماعة ولده، كان يقرأ القرآن قراءةً حسنةً، نظيف الثياب، يحب الطيب، ويكثر التطيب، وله

---

(١) في الأصل: ثم ذهب ليلة.

(٢) في الأصل: السيد.

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٣٦) (١٢٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٣٦).

حسن سمتٍ واعتقاد، صحب النجم الغزي، ولازمه في مجالسه سنين، وكان يلازم المحيَّا بالجامع الأموي، وبجامع البزوري، بمحلة قبر عاتكة، خارج دمشق، في زمن شيخ المحيا العارف بالله الشيخ عبد القادر بن سوار.

وكان يقرأ العشر المعتاد، من سورة الأحـزاب في المحيـا، ويحصل للحاضرين خشوع، وكان بيته قريباً من الجامع الأموي، بالقرب من بيت الأمير ابن منجك، وأكثر أوقاته معتكفٌ بالجامع، بالحجرة الصغيرة التي كانت بيد شيخه الطيبي، ثم ولده عند باب جيرون، من جهة القبلة، وتوفي في حدود سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٣٠] بركات، المعروف بابن الجمل، الشافعي الشيخ الإمام العلامة الصالح المعتقد زين الدين[١].

قال النجم الغزي في «الذيل»: كان من أخص الناس بأخي شهاب الدين، حمل عنه القراءات والفرائض والحساب والفقـه، وكـان شديد التحري في العبادة والطهارة، وكان يحفظ كتاب الله تعالى، ويقرئ الأطفال بالتجويد، وقرأت عليـه كتاب الله تعالى، وعرضت عليـه شيئاً من «الألفية»، وغيرها، وكان من قرأ عليه، تظهر بركته.

وكان قانعاً متواضعاً، خاشعاً عابداً زاهداً، لا يغتاب، ولا يسمع الغيبة، وإذا لم تنفذ كلمته في الإعراض عنها، قام من المجلس، وتركه، ولم يعد إليه، ويكره فضول الكلام، ولا يعتقـد من يرتكب الرخص من الصوفية، ولا من

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٣٧) (١٢٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥١).

يتعاطى الشطح منهم، وكان ممن حضر دروس شيخ الإسلام الوالد كثيراً، وقرأ في الفقه على شرف الدين يونس العيثاوي والدِ شيخنا، وكان يعتقده، ويسأله عن كثير من المسائل، ويرجع إلى قوله، ولا يذكره إلا بالإجلال والاحترام.

وكان إماماً بالمسجد المعروف بالمغيربية؛ لضيق الدرويشية، قائماً بشعاره، حُكي: أنه صلى المغرب، وصعد إلى بيته عند الشاديكية، درجتين أو ثلاثاً، فسقط ميتاً، ليلة الجمعة، ثالث صفر، سنة تسع عشرة ـ بتقديم المثناة ـ بعد الألف، ووجد فيه طاعون.

فترجى له الشهادة من ثلاثة أوجه: كونه مات ليلة الجمعة، خصوصاً بعد تمام فريضة المغرب، وكونه مات متردياً، وكونه مات مطعوناً، صلى عليه شيخنا أحمد العيثاوي بالسيبانية، ودفن بمقبرة باب الصغير، بالقرب من تربة بني قاضي عجلون، قريباً من ضريح سيدي بلال الحبشي ﷺ إلى جهة الغرب، عن نحو ستين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٣١] بستان الرومي الحنفي[١].

واعظ الترك بدمشق، كان من العلماء العاملين، وعباد الله الصالحين، ولأكابر الترك وغيرهم فيه اعتقاد، وكان يقرئ «البيضاوي»، وغيره، ومجالس وعظه عليها الهيبة والسكينة، ويحط فيها على المتكبرين، ويبالغ في تقبيح أمورهم ونصيحتهم، وهم مع ذلك يحبونه ويحترمونه.

وكان عفيفاً قانعاً، لا يتكلم إلا بخير، وكان من أحسن الروم، دخل

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤١) (١٣١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥١).

دمشق، وقطن بها، غرة ربيع الأول، سنة ثلاث بعد الألف، ومات يوم موته الشيخ علاء الدين المالكي، وصلى عليهما أحمد العيثاوي، بالجامع الأموي، إماماً بالناس، ودفن بباب الصغير، ولقنه أحمد العيثاوي أيضاً ـ رحم الله الجميع ـ.

[٨٣٢] بعث الله المصري الحنفي[1].

وربما قيل في اسمه: بعث، وهو منقول عن الفعل الماضي، والله منقول عن الجملة، من الفعل والفاعل، شيخ المولد النبوي، وأستاذ أهل الصنعة، كان أعمى، وكان يحفظ القرآن العظيم، وكان حفظه له على كبر، وعرضه وجوّده على أحمد الضرير المقرئ المشهور، وكان حسن التأدية.

وكان أعرفَ أهل دمشق بالموسيقا، وأحسنهم صوتاً، وأقواهم ملكة، له تصرفٌ عجيبٌ في صوته، مع جهارته ونداوته وظرافته، خصوصاً في عمل المولد، وإيراده فصولاً مرتبةً، وكان تأديته للقصائد ما فوقها حسن، وبالجملة: فقد كان من محاسن دمشق وأفرادها.

وحج سنة ثمان بعد الألف، قال النجم الغزي: وكنت حاجاً، وحصل له بمكة حظوةٌ عظيمةٌ، وتوجه إلى الروم قديماً، وعمل للسلطان مراد مولداً، أحسن إليه بسببه إحساناً كبيراً، وسافر إلى بلاد طرابلس، وقرأ للأمير يوسف ابن سيفا بها مولداً، وحصل له منه خيرٌ كثيرٌ، وأقام بدمشق، أكثر من أربعين سنة.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤٣) (١٣٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥٣).

وكان يحكي: أنـه لما أراد السفر من مصر، قال له أستاذه ـ وكان من الصالحين ـ: إن شئت فتحت فاك، وإن شئت فتحت يدك، قال: فقلت له: افتح فمي، قال: وظننت أنه يطعمني شيئاً، فقال له: افتح، ففتحت، فوضع يـده في فمي، وقال: بسط الله لك الشهرة في الآفاق، فكان اشتهاره بحسن صوته ببركة شيخه ودعائه.

ورزق الحظ العظيم، وكان له خصوصيةٌ عن غيره أنه لا ينشد إلا شعراً فصيحاً معربـاً، وأكثر [أهل] هذا الفن عوام يغلب عليهم اللحن، حتى إنهم يضربوا لأنفسهم مثلاً: «ما على المطرب أن يعرب»، وكـان لذلك يتعـزز، ولا يذهب لأحدٍ إلا بعد علاج، وبذلِ كثيرٍ من الدراهم، فقال في ذلك مامية الرومي الشاعر:

بعـــــث الله ضـــــــريرًا   أورد القلــــــب عــــــذابًا

قلـــــت لمـــــا طـــــروه   بعـــــث الله غرابــــــا

توفي يوم الاثنين، رابع رمضان، سنة ست عشرة بعد الألف، وصُلي عليه بالجامع الأموي، قبل صلاة العصر، ودفن بمقبرة الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ.

❐❐❐




حَرْفُ ٱلتَّاءِ ٱلْمُثَنَّاةِ ٱلْفَوقِيَّة

[٨٣٣] تاج العارفين بن أحمد بن أمين بن عبد العال الحنفي المصري[1].

العلامة المفيد، الفهامة المجيد، المنتخب من ضِئْضِئ الجهابذة الجلَّة، المنتخب من عناصر الأساتذة، فهو لذلك التفصيل جملة، كان بمصر صدر المدرسين، الذين تجملت بفوائدهم المدارس، وفخر المقدمين، الذين تكملت بفرائدهم المجالس.

روى عن والده، ووالده روى عن والده، وهو عن والده، وهو عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، وأجازه شيوخ عصره بالإفتاء والتدريس، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، وأفاد الطلبة وأجاد، وألف مؤلفاتٍ عديدةً سنيةً، ورسائل شهيرةً في فقه الحنفية.

ولما سقط من البيت الشريف الجدار الشامي بوجهيه، وانجذ معه من الجدار الشرقي، إلى حذاء الباب الشامي، ولم يبق سواه، وعليه قوام الباب، ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس، ومن الوجه الظاهر فقط منه نحو

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٠٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤١١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٨١) (٣٤٣).

الثلثين، وبعض السقف، وهو الموالي للجدار الشامي، وسقطت درجة السطح، وكان سقوطه كذلك بعيد عصر يوم الخميس، العشرين من شعبان، سنة تسع وثلاثين بعد الألف.

ونقل ما فيها من القناديل إلى بيت السادن، وعلق باقي أخشاب سقفه؛ خوفاً عليه من السقوط، وجمع شريف مكة السيد مسعود علماء البيت الحرام، وسألهم عن حكم عمارة الساقط؟ ولمن هي؟ ومن أي مال تكون؟ فوقع الجواب بأنها فرض كفاية على سائر المسلمين، ولشريف البلاد النائب عن السلطان الأعظم ذلك، وأنه يعمرها بمالٍ حلالٍ، ومنه مال القناديل التي بها مما لم يعلم أنها عينت من واقفها لغير العمارة، ووافقهم على ذلك العلامة محمد بن علان المكي، وأفتى به، وألف رسائل حافلة في شأن ذلك.

ثم ورد السؤال من الديار المكية إلى الديار المصرية عن ذلك، وعليه خطوط السادة المكيين بالجواب عن ذلك؛ ليعرض على حضرة سلطان الإسلام، بنظر قاضي مصر في ذلك الوقت العلامة أحمد أفندي المعيد، فسأله أن يكتب أيضاً رسالةً في شأن ذلك؛ لتعرض مع أجوبة المكيين؛ تقويةً لهم، فأجاب لذلك، وألف رسالة سماها: «الزلف والقربة في تعمير ما سقط من الكعبة»، وقفت عليها، وقد أحسن فيها كل الإحسان، وأجاد كل الإجادة.

وشعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمة من الجوهر، ومنه: ما كتبه إلى العلامة الهمام، مفتي بلد الله الحرام عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي، وهو قوله:

أذكرتَ ربعًا من أميمة أقفرا فأسلْتَ دمعًا ذا شعاعٍ أحمرا

أم شاقَك الغـادونَ عنـك بـسحرةٍ ... لمـا سـروا وتيممـوا أم القـرى
زمُّوا المطي وأعنقوا فـي سيرهم ... لله دمعـي خلفَهـم يـا مـا جـرى
مـا قُطِّـرت للـسير أجمـالٌ لهـم ... إلا ودمعـي فـي الركـاب تقطَّـرا
فكـأن ظهـر البيـد بطـنُ صـحيفة ... وقطارهـا فيـه يحـاكي الأسـطرا
وكأنهـا بهـوادج قـد رفعـت ... سفنٌ ودمع الصب يحكي الأبحُرا
رحلوا وما عـادوا علـى مـضناهم ... واهـاً لحظـي ليـت كنـت مـؤخّرا
إن كان جسمي في الـديار مخلفًـا ... فالقلب منهم حيـث قـالوا أهجـرا
أظهـرتُ صـبري عـنهمُ متجلِّـدا ... وكتمـت وجـدي فـيهم متـسترا
وغدا العذول يقول لي من بعدهم ... بـادِ هـواك صـبرتَ أم لـم تـصبرا
أقسمتُ إن جـاد الزمـان بمطلبـي ... وسـلكتُ ربعًـا بالمناسـك عُمِّـرا
وشـهدتُ بـدرَ الحـيّ بعـد أُفولـه ... مذ لاح مـن أفـق الـسعادة مقمِـرا
أديـتُ خدمـةَ سـيدٍ سـندٍ غـدا ... مفتـي الأنـام وراثـةً بـين الـورى
هو عابـدُ الـرحمن واحـدُ عـصره ... فاسأل بذلك إن شككت مخبِّـرا
هـذا إمـامٌ عَرْفُـه فينـا حكـى ... عَرْفَ الريـاض إذا سـرى متعطِّـرا
ذو همةٍ تسري علـى نَـسْر الـسما ... فيـسيف منهـا هاويًـا متحـذِّرا
وسـكينة تلقـاه فيهـا مفـردًا ... مَعْ لطف جسم بالفـضائل عُمِّـرا
وقريحـةٍ منقـادةٍ وقـادةٍ ... شُـبَّت كنـار ثـم سـارتْ أَنْهُـرا
كم حلبةٍ في البحث أظلـمَ نقعُهـا ... يمشي جوادُ الفكر فيهـا القهقـرى
آياتُ فضلك مثلُ مجدك أحكمت ... وسـنا سـنائك نفعُـه قـد نـورا

وجيادُ فكرك كالرماح كواعبٌ وضيا كمالك نَوْرُه قد أزهرا

من كنتَ أنت له ملاذًا كيف لا يزهو بمدحك رفعةً وتكبُّرا

فاسلمْ ودمْ في ظل عيشٍ أرغدٍ ما اهتز غصنٌ في الرياض ونَوَّرا

وكتب إليه ـ أيضاً ـ سنة ثلاثين بعد الألف كتاباً صورته:

اليومُ مثلُ الحول حتى أرى وجهَكَ والساعةُ كالشهر

إن أبهى ما تجملت به السطور والطروس، وأشهى ما استعذبته الأنفس وتطلبته النفوس، دعاء على ممر الدهور لا ينقضي، وابتهال بأكف الضراعة للإجابة مقتضي، أن يديم على صفحات خدود الوجوه، شامة دهرها، وواحد وقتها، وعلماء عصرها، خاتمة العلماء المتنوهين، مالك زمام البلاغة بفضله المتين، شيخ الإسلام والمسلمين، المستجمع لمكارم الأخلاق والشيم، والمنفرد بمزاياها عند الخلق والأمم، المشتهر عند العرب والعجم، بأنه ملك من العلم زمامه، وجعل العكوف عليه لزامه، فانقاد إليه انقياد الجواد، وجرى في ميدانه بحسن السبق والفكر الوقاد، عالم الغرب والشرق، ومزيل ما تعارض من المسائل بحسن الجمع والفرق، الجامع بين رياستي العلم والعمل، والمانع بإخلاص السريرة من لحوق عوارض العلل، كنز العلوم والكشف، بحر الهداية الذي ارتوى منه بالعَبِّ والرشف، صدر الشريعة الغراء، شيخ حرم الله بالإفتاء والإقراء، من لا يمكن حصر وصفه بالتفصيل، فإن الإطناب فيه طويل، وإنما أحيل على ما قيل:

أنت الذي يقف الثناءُ بسوقه وجرى الندى بعروقه قبلَ الدم

فالله سبحانه يمتع المسلمين بهذه الأخلاق، ويديم فخار أهل الوجود ببقاء صاحب هذا الاستحقاق، ولا زال مذهب النعمان متحلياً بعقوده، متوشحاً بمطارفه وبروده.

هذا وإن التفت خاطره بتذكار ودوده، والمخلص في دعائه حال ركوعه وسجوده، فهو بخيرٍ وعافية، ونعمةٍ وافية، نرجو من الله دوامها بدوام دعائكم؛ إذ لا شك أناً من جملة منسوبيكم وأنسابكم، فإنك الأصل في زكاء هذا الفرع ونموه، والسبب الداعي إلى اعتلائه وسموه، بأمورٍ يشهد بها الخاطر، فتشهد بالإقرار بنعم الله في الباطن والظاهر، غير أن الخاطر كله عندكم، وفي تألم لبعدكم، وما حصل له العام من فقدكم:

روضةَ العلم قطّبي بعد ضِحْكٍ ... والبَسي من بنفسجٍ جِلبابا
وهبي النائحاتِ منثورَ دمع ... فشقيقُ النعمان بانَ وغابا

فالله تعالى يجزل لكم الثواب، ويعوضكم خيراً فيمن بقي من الأنجاب. والسلام.

وكتب إليه ـ أيضاً ـ سنة ست وثلاثين بعد الألف: قوله:

ملكت سورةُ الرحيل عِناني ... وأهاجت سواكنَ الأشجان
أتمنى أسري وهل يملك السيـ ... ـرَ طريحُ الندى أسيرُ التداني
يا خليليَّ وقفةً بالمصلى ... مجد حمد السرى ودرك الأماني
فاعطفا وانزلا وبثّا سلامي ... لوحيد العلا فريد المعاني
مرشد الفضل وابنه من يضاهي ... عالم الدين عابد الرحمن

أنـا مـا بـين لوعـةِ علـمَ اللَّـــ ـــهُ وشـوقي إليـه بطـول الزمـان
أين منـي الحنـينُ مـن ذاتِ طـوقٍ ســلبتها النـوى غـصون البـان
لـو تطيـق النيـاقُ شـوقي لمـا حَنَّتْ خضوعًا من تربهـا أجفاني
وبقلبـي مـن الرحيـب إليـه مثـلُ مـا بالنيـاق مـن دمـلان
فـوعيشِ الهـوى وحـيِّ التـصابي وليـالي الرضـا وأنـسِ التـداني
إنَّ قـصدي لقيـاكَ لكـن قيـادي بيـدِ لـيس لـي بهـا مـن يـداني

فأجابه بقوله:

يـا خليلـيَّ بالـصفا أسـعِداني وبوصـل مـن الإيـاس عِـداني
واحمـلا بعـض مـا ألاقـي وُبثَّـا حـالَ صـبٌّ متيَّمِ القلـب عـاني
جـسمُه فـي جيـاد والقلـبُ منـه فـي قـرى مـصر دائـمُ الخفقـان
لـم يـزل شـيقًا ولوعًـا دوامًـا شاخصَ الطـرف سـاهرَ الأجفـانِ
يرقُـب الـنجمَ ليلَـه وإذا أصـــ ـــبح أضـحى مُناشِـدَ الركبـانِ
هل رأيتمْ أو هـل سـمعتم حـديثًا عن قـديمِ الإخـا عظيمِ المعـاني
الـــصفيِّ الـــوفيِّ ذي العهـــ ـــدِ النقـيِّ التقـيِّ فخـرِ الزمـان
هـو تـاجُ للعـارفين الـذي قـد نـال إرثًـا عـوارفَ العرفـان
من غدا مفردًا بمـصر بـل العـصـ ـــر فـلا يـسمح الزمـان بثـاني
خُـصَّ بـالعلم والرياسـة والـودْ دِ وهـــذا مواهـــبُ الـــرحمن
فهـو كنـزٌ ومجمـعٌ لعلـوم قــد حواهـا بغايـة الإتقـان
وهو صدرُ الشريعة المشرَعُ العـذ ب البـسيط المحـيطُ والبرهـان

دام فينا مبلَّغًا ما يرجّي ... من مرادٍ ورفعةٍ وأماني
ما تغنى على الرياض هَزارٌ ... وأجابته إلفهُ بالأغاني

[٨٣٤] تاج العارفين ابن الأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري المصري الشافعي[(١)].

كان أكبر إخوته، وأكثرهم مالاً، قال النجم الغزي: رأيته بمكة المشرفة، سنة سبع بعد الألف، فرأيته ملكاً، حالُه حالُ الملوك؛ من الخدم والحشم، وعظم الهيبة، وكثرة المترددين، وكان منزله ببيت البكرية، المعروف عند باب إبراهيم.

وكان معه في حجته تلك أخوه أبو المواهب، وهو يقاربه في سَمْته، وأخوه عبد الرحيم، وكان مجذوبًا مستغرقاً مات بمكة تلك السنة، ورجع المترجم من مكة إلى مصر، فأدركته المنية قبل وصول الحاج إلى مصر بيومين، وحمل إلى القاهرة، ودفن في أوائل صفر، سنة ثمان وألف.

[٨٣٥] تاج الدين بن زكريا بن سلطان العثماني النقشبندي الهندي الحنفي[(٢)].

محكّم عقد التلقين والتحكيم، ومقدّم وفد العزيز العليم، الناقش بقلم فكره الثاقب هيولى ذكر السادة النقشبندية، في ألواح القلوب الصوفية العرشية، رابطة الإرشاد إلى المنازل للسائرين في السلوك، واسطة الإمداد للمواهب

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤٧) (١٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٤).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٥٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٦٤).

الرحمانية من ملك الملوك[1].

كان ﷺ شيخاً كبيراً مهاباً، لنفحاته المسكية وهاباً، حسن التربية والدلالة، على الوصول إلى الله تعالى لا محالة، صحبه خلقٌ كثيرٌ من المريدين، وفاز من سبقت له العناية الإلهية منهم بالنفوذ، فصار من المقربين، ولازم الأستاذ أحمد أبو الوفا العجل العجيل، وولده شيخنا موسى، وشيخنا محمد مرزا، وشيخنا الأمير يحيى بن علي باشا، وغيرهم.

وألف ﷺ كتباً، منها: «تعريب النفحات» للعارف عبد الرحمن بن أحمد الجامي، و«تقريب المرشحات»، و«الصراط المستقيم»، و«النفحات الإلهية في موعظة النفس الزكية»، و«جامع الفؤاد»، و«رسالةٌ في طريق السادة النقشبندية» جمع فيها الكلمات القدسية المأثورة المروية، عن حضرة الخوجة عبد الخالق العجدواني، المبني عليها الطريق، وشرحها بأحسن بيان، لمن ألقى السمع وهو شهيد، في معارك العيان.

توفي بمكة، قبل غروب يوم الأربعاء، ثامن عشر جمادى الأولى، سنة خمسين بعد الألف، ودفن في صبح يوم الخميس، في تربته التي أعدها له في حياته، في سفح جبل قعيقعان، وضريحه ظاهر يقصد للزيارة ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد أفرد الترجمة لشانه، تلميذُه السيد محمود بن أشرف الحسيني، في رسالةٍ سماها: «تحفة السالكين في ذكر تاج العارفين».

قال فيها ما نصه: سمعته ـ سلمه الله ـ يقول: إنه قبل أن يصل إلى الشيخ

---

(١) هذه الألفاظ والمصطلحات لا أصل لها في الدين، ومن بدع المضللين، وخرافات المدعين، نسأل الله الثبات على الدين القويم والسنة المطهرة اللهم آمين.

إله بخش في بداية أمره، في غلبة الجذبات، بعد توفيق التوبة، بواسطة الخضر ـ عليه السلام ـ، كان اشتغاله ـ غالباً ـ بالسياحة في طلب الشيخ.

وكان جعل على نفسه الأمور المقررة المذكورة في كتب المشايخ: أنه ينبغي للمريد أن يجعلها قبل وصوله إلى الشيخ، ثم بعد وصوله إليه الاختيارُ اختياره، وكان تحضر له أرواح المشايخ، وحصل له الكشف.

فلما وصل إلى بلده «أجمير»، التي فيها قبر قطب وقته الشيخ معين الدين الجشتي ـ قدس الله سره ـ، حضرت له روحه، وعلمه طريق النفي والإثبات، على كيفيةٍ مخصوصةٍ، في طريقة الجشتية يسمونها: حفظ الأنفاس، وأمره بالاشتغال بـه، وأمـره أن يجلس ويستعمل الذكـر بهـذه الطريقـة، في بلدة «ناكور»، التي فيها قبر الشيخ حميد الدين الناكوري، وهو من أجلّ أصحابه.

وقال: إني ما جئت إلا اليوم بعد مدةٍ مديدةٍ لأجلك، وإلا، فأنا بمكة؛ لكثرة البدع التي يعملوها على قبره، فسافر بموجب أمره إلى ناكور، وجلس بها يشتغل بالذكـر المذكـور، ويزور أحيانـاً قبر الشيخ حميد الدين، ويعلم آداب الطريقـة، فكان تظهـر عليـه الأنوار والتجليات والأحوال، على طبق سلوك الجشتية.

وقال ـ سلمه الله ـ: في تلك الأيام كنت أدخل خلوة كانت داخل ثلاثة بيوت، في ليلةٍ مظلمةٍ، وأصك الأبواب كلها، فكان يظهر نورٌ مثل الشمس، ثم يزيد، ثم يحيط بالبيت، ويصير ضوءه مثل ضوء النهار، فكنت أقرأ القرآن في ذلك الضوء، فحصل لي الأنس بذلك النور، حتى إني يوماً من الأيام كنت أمر ببعض الطرق، فإذا رجلٌ عنده رسالةٌ مكتوبٌ فيها: إن بعض الناس يحصل

لهم في أوان الذكر نورٌ، فيغترون به، وأخذ الرسالة وغاب، وما رأيته بعد، فانتبهت، وزاد تعلقي به.

ثم يوماً كنت جالساً عند قبر الشيخ حميد الدين، فحضرت روحه[1]، وأراد أن يعطيه خرقة الإجازة، وكان مراده أن يأمر في النوم أو الواقعة لبعض من كانوا على مسنده من الخلفاء ليعطي الخرقة، فقلت: لا أريد إلا أن تعطي بيدك، فقال الشيخ: هذا خلاف سنة الله، فاطلب منه، فاستأذنت منه، وخرجت في طلب الشيخ، وكنت أسيح في الجبال والبراري والأغوار والأنجاد، وكنت أصل إلى المشايخ كثيراً؛ لما كان يحصل الاعتقاد لأحدٍ منهم.

وكان وصل ـ في هذه المدة ـ، إلى الشيخ نظام الدين الناكوري، وكان من مشايخ الجشتية، فأراد الشيخ كثيراً أن يجلس عنده، فما جلس عنده، ورأى كثيراً من مشايخ الوقت، حتى وصل إلى الشيخ إله بخش ـ قدس الله سره ـ، فلما رآه حصل له فيه أقصى ما يكون من الاعتقاد، والشيخ ﷺ تلقاه بحسن القبول، وأظهر له أنه كان منتظراً له.

وكان من طريقة الشيخ: أن لا يلقن أحداً إلا بعد إدخاله في الخدمات؛ كما قال الخوجة بهاء الدين نقشبند ـ قدس الله سره ـ: بدايتنا نهاية الطريق الآخر، وقال أيضاً ـ قدس الله سره ـ: معرفة الحق حرام على بهاء الدين، لو لم تكن بدايته نهاية أبي زيد البسطامي.

وقد قال الخوجة عبيدالله أحرار: إن اعتقاد السلف قد يذهب بالبعض

---

(١) انظر رحمك الله إلى تلعب الشيطان بعقول هؤلاء المخرفين، وإلا أي روح تحظر أو تغيب، إلا وساس الشيطان الرجيم.

إلى إنكار هذا الكلام، مع أنه لا ينافي أمراً من أمور الشرع، بل حديث: «مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خيرٌ أم آخره» يدل على خلاف ذلك.

رجعٌ إلى تتمة الكلام السابق: فقال له الشيخ ﷺ في الواقعة، أو في الرؤيا: يا شيخ تاج! طريقتنا كذا أنا لا نلقن الذكر أحداً، حتى يحمل الحطب والماء، فاشتغل أنت بحمل الماء إلى المطبخ ثلاثة أيام. قال سيدي الشيخ: فعبرت ثلاثة أيام بثلاثة أشهر، فاشتغل بحمل الماء إلى مطبخ الشيخ، وكان النهر بعيداً من بيته، فكان يستعذب الماء كثيراً فوق الطاقة البشرية، وكانت تظهر منه الخوارق في تلك الأيام.

وأخبرت: أن أهل تلك البلد يقولون: إن الشيخ ـ سلمه الله ـ حين كان يحمل الجرة على رأسه، وكان يمشي، كنا نرى الجرة منفصلةً عن الرأس على مقدار ذراع، إلا أني سمعته يقول: ما لي علم بهذا الأمر.

فبعد ما تم له ثلاثة أشهر، قال له الشيخ إله بخش: اليوم قد تم أملك، باسم الله اشتغل بالذكر، وكان أمره بالخدمة المذكورة بالباطن، وقال له هذا الكلام بالظاهر، فلقنه ذكر العشقية، فاشتغل بها، ولا زال في خدمته، حتى وصل إلى الكمال والتكميل، ثم قال: إن سيدي الشيخ خدم سيدي الشيخ إله بخش عشر سنين، خدمةً خارجةً عن طريق البشر، وأجازه بإرشاد المريدين، وما كان يناديه إلا بقوله: يا تاج العارفين!.

قال سيدي الشيخ تاج: وحصل لي ما كان قد بشرني به الشيخ إله بخش، إلا أن حصوله بالتدريج، وبعد أمورٍ منتظرةٍ، قال الشيخ تاج: وكانت خدمته أنفع لي من الذكر، وإني كلما وجدت من الأحوال، وجدت من الخدمة.

ثم قال: فصلٌ في ذكر نبذةٍ من خوارقه ومعارفه: سمعت من غير واحدٍ من أصحاب الشيخ: أن سيـدي الشيخ كـان جالساً يوماً في بلدنـا «أمروهة» بالمراقبة، فلما رفع رأسه، انفصل منه نورٌ وقع على شجرة رمان، فبعد ذلك اليوم، كانت تلك الشجرة كلها، ثمرها وورقها وخشبها، درياقاً مجرباً للناس يستشفون بها، وكانت هذه الكرامة ظاهرةً حتى فنيت تلك الشجرة.

وسمعت ـ أيضاً ـ منهم: أن الشيخ دخـل يوماً في بيته وقت القيلولة، فرقد على سريره، وخرج الأصحاب، ثم لما رجعوا، لم يجدوا الشيخ هناك، فجلسوا متحيـرين، ثم ظهـر الشيخ على السريـر، وقـام واشتغل بالصلاة، وما استطاع أحدٌ أن يسأله عن ذلك.

وسمعت ـ أيضاً ـ: أن بنتاً صغيرةً للشيخ كانت مريضـةً، وكان الشيخ يتوضأ، فألهمها الله أن جاءت عند الشيخ، وشربت من غسالة رجليه، فشفيت بإذن الله تعالى، ومن ذلك اليوم غسالته درياق مجربٌ، إلى يومنا هذا، كل من فعل ما ذُكر شفي بإذن الله تعالى.

وسمعت ـ أيضاً ـ واحداً من الصالحين يذكر: أن الشيخ كان يوماً جالساً في مكانٍ يتكلم في المعارف والحقائق، وفي أثنـاء ذلك الكلام يمـزح مع أصحابه ويضحك، فخطر لبعضهم أن مقام الشيخ لا يناسبه المزاح، أو نحو ذلك، فاطلع على خاطره، وقال: إن المزاح من سنة سيد المرسلين؛ فإنه كان يمزح مع أصحابه، ولا يقـول إلا حقًّا، وذكـر قصـة وقوع ابن أم مكتوم في حفرةٍ، وضحك الأصحاب في الصلاة.

ومنها: أن واحداً من المكاشفين، كان بشر بعض أصحاب سيدي الشيخ

بأشياء، فلما وصل إلى مكة، كان مع سيدي الشيخ، فخطر له يوماً أن الأمور التي كان بشرني بها ذلك المكاشف ما ظهرت، فما سببها؟ وكان يختلج في قلبه أن ليس لقول ذلك المكاشف أثر، أم كيف شأنه؟ ثم توجه إلى سيدي الشيخ، فقال له قبل أن يظهر شيئاً: إن أحداً من أهل الله تعالى لو بشر أحداً بشيءٍ لا بد أن يظهر، ولو بعد عشر سنين، أو اثنتي عشرة سنة، ففهم، وحصل له السكون.

وسمعت من الشيخ ـ سلمه الله ـ: أنه خرج إلى سفرٍ، ووصل إلى بلده، وكان جالساً فيها مع الأصحاب بالمراقبة، فحضر في حلقته رجلٌ لا يعرفه، فقرب الرجل، وقبل يده ورجله، وقال: إني من الجن، وهذا مكان سكناها، وإنا بعد ما رأينا طريقتكم، أجبناكم، فأريد أن آخذ منكم الطريق، فلقنه الطريقة النقشبندية، وكان يحضر عنده في الحلقة، وكان يراه، ولا يراه أحدٌ غيره، وقال للشيخ: كل وقتٍ أردتم أن أحضر عندكم، فاكتبوا اسمي على ورقة، واجعلوها تحت أرجلكم، أحضر تلك الساعة.

وسمعت أيضاً منه ـ سلمه الله ـ: أنه حين سافر إلى كشمير النباتات، فلم يقبل الشيخ منه ذلك...(١).

وكان يلازم صحبة الشيخ، إلا أن الشيخ قال: إن من صحبته كان يحصل لي النفرة؛ فإن الجزء الناري غالب على مزاجهم، فيحصل من صحبتهم الأوصاف الغير مرضية التي نشأت من الجزء الناري؛ من الغضب، والكبر، فأردت أن أفعل حيلةً تنفِّره مني، فقلت له: إني لا أقبل صحبتك إلا أن تزوجني

(١) الظاهر أن الحكاية هنا ناقصة، والله أعلم.

امرأة منكم، فقال: باسم الله، هـذه سعادتنـا لو تقبلون، وإن لي أختاً بديعة الجمال، عديمة المثال، إلا أني أعرض عليكم أولاً حكايةً، ثم الرأي رأيكم؛ فإن الألُفة والأُنس بين الجني والأنسي متعسرٌ؛ فإن الجن يصدر منه كثيرٌ من الحركات، التي لا تعرف الإنس حقيقتها، فلا تستطيع الصبر عليها.

قال: إنه كان هنا واحدٌ من الصالحين، زوجناه واحدةً منا، فولد لها منه ولدٌ، وكان يوقد هناك ناراً، فرمت الجنية ولدها في النار، فصبر الرجل، ثم ولد لها ولدٌ، فأعطتـه الكلبـةَ فأكلته، فصبر الرجل، ونسيت الثالثة، فتعب الرجل، وما استطاع الصبر، وغضب عليها، وقال لها: أهلكت الأولاد الثلاثة، فأحضرت الثلاثة، وقالت: كنت أعطيتهم للتربيـة لإخواننا من الجن، فخذ أولادك من بعد اليوم، ولا أجلس عندك، وطارت من عنده، ثم سافر سيدي الشيخ من ذلك البلد.

وسمعت: أن الشيخ كـان في «أمروهـة»، فمرضت امرأةٌ صالحـةٌ من الشرق، وكانت معتقدةً له، فالتجأت إليه، فذهب الشيخ إليها يعودها، فلما رأى حالها، أخذته الشفقة عليها، والرحمة لها، وكانت قد أشرفت على الموت، فأخذها في ضمنه، فبرأت كأن لم يكن بها شيء.

فإن الأخذ في الضمن أمرٌ مقررٌ عند الأكابر النقشبندية، إلا أنه لا يتصور إلا قبل نزول ملك الموت، فبعـد نزولـه لا بـد من بدل، كمـا أن الخوجـة الخاموش ـ قدس الله سره ـ كان أخذ واحـداً من العلمـاء في ضمنه، فشفي ساعتئذٍ، ثم غضب عليه الخوجة، بواسطة تقصير صدر منه، فقال: أخرجته من ضمني، فمات ساعتئذٍ.

وقال ـ سلمه الله تعالى ـ: إني دعوت الله سبحانه في وقتٍ لا يرد بثلاثة أشياء، وقد استُجيب دعائي، أولها: أن لا يصل إلى أحدٍ ضررٌ مني، وإن غضبت بمقتضى البشرية، والثاني: أن لا يزول مني الكشف، والثالث: أن كل من أخذ الطريق مني تكون خاتمته خيراً، ويجعله الله منكراً علي، ومعرضاً عني، ثم يفعل الله به ما يشاء. انتهى كلامه.

واعلم: أنه ـ سلمه الله ـ وإن دعا بزوال الكشف، وكذلك يظهر من كلامه، فإنه يقول كثيراً للأصحاب: إن الشيخ إما أن يكون صاحب كشفٍ، فلا ينبغي للمريد أن يعرض عليه حاله، بل العرض عليه حينئذٍ سوء أدب، أو لا يكون صاحب كشفٍ، فينبغي أن يعرض عليه حاله، فهم بسؤال أحوال المريدين، فيفهم منه: أنه يظهر أنه ليس بصاحب كشفٍ، إلا أن الظاهر أن له اطلاعاً تاماً وإشرافاً عظيماً على الخواطر والأحوال، فقد جرى لنا معه أحوالٌ، وأمورٌ كثيرةٌ، وكان هذا من قسم الفراسة، التي هي أقوى وأرفع منزلةً من الكشف. انتهى.

واعلم: أنه ـ سلمه الله ـ كان قرأ في فنون العلوم كتباً كثيرةً؛ كـ «الكافية»، ونحوها، ثم غلب عليه الجذب، حتى لم يبق منه أثر، والآن ليس فنٌّ من فنون العلم، إلا وهو واقفٌ على دقائقه، التي تتحير أرباب ذلك الفن من إدراكها، وليس قسمٌ من أقسام المدركات، إلا أدركه على الوجه الأتم الألطف.

وله ﷺ «رسالة في أنواع الأطعمة، وكيفية طبخها»، وله «رسالةٌ في كيفية غرس الشجار»، وله أخرى في «أنواع الطب»، ودخلٌ تامٌ في معرفة أوضاع الكتابة، وغير ذلك.

ودخل عنده واحدٌ من الأفاضل، وكان له وقوفٌ تامٌ في الطب، فتكلم معه في بعض أسرار الطب.

ودخل عليه يوماً عالمٌ كان له فيه بعض اعتقاد، وبعض إنكار، فتكلم معه بدقائق المنطق، وغيره من العلوم، حتى صار متحيراً، وكان ذلك سبب سعادته، ودخوله في الطريق. انتهى المقصود منه.

ومن مشايخ الشيخ تاج الدين: السيد علي بن قوام الهندي النقشبندي، مولده ومسكنه ومدفنه «جانبور»، من بلاد الهندية في «دهلي»، على مسيرة شهرٍ منه، كان من أكابر أولياء الله، صاحب تصرفاتٍ عجيبة، وجذبٍ قوي.

قال بعض الصالحين: ما ظهر في الأمة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ـ من أحدٍ بعد القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني، من الخوارق والكرامات والتصرفات، مثلُ ما ظهر منه.

حدثنا شيخنا قال: حدثني رجلٌ: أنه كان من طريقة السيد: أن لا يدخل عليه أحدٌ إلى وقت الضحى، وكان في هذا الوقت يغلب عليه الجذب، والناس كلهم قد عرفوا منه هذا الأمر، فما كان يدخل عليه أحدٌ في هذا الوقت، فجاء واحدٌ من الأعراب، كأنه كان من أولاد شيخ السيد ـ قدس سره ـ، فمنعه الخادم من الدخول عليه، فلم يقبل قوله، وأراد أن يدخل، فلما قرب، وسمع السيد صوته، قال: من أنت؟ قال: أنا فلان، قال: اهرب إلى وراء الشجرة، وكان هناك شجرةٌ كبيرةٌ، وإلا احترقتَ، فهرب الرجل، واستتر بالشجرة، فخرجت نارٌ من باطن السيد أخذت الشجرة فأحرقتها كلها، وبقي أصلها، وسلم الرجل، وكفى بهذا إشارة إلى تصرفاته، وكمال جذبته ـ نفع الله به ـ.

ثم قال صاحب الرسالة: اعلم أن شيخنا ـ سلمه الله ـ مجازٌ من الشيخ إله بخش ـ قدس الله سره ـ بالطريقة العشقية، وبالطريقة القادرية، والجشتية، والمدارية، وله بحسب الباطن إجازة من رئيس كل طريق.

وكذلك سمعت منه ﷺ: أنه سلط طريق الكبروية، من روبحانية الشيخ نجم الدين الكبري في ربع النهار، وأجازه، وله رسالةٌ في بيان سلوكهم، ذكر فيها: أن سلوكهم يتم بتمام الأطوار السبعة، في كل طورٍ يطوي عشرة آلاف حجاب، حتى يطوي في تمام الأطوار السبعة تمام السبعين، ويصل إلى الله، ولهـذا تفصيلٌ، إلا أنـه ليس متقيـدًا بالتسليك بسلوك النقشبندية ـ قدس الله أسرارهم ـ، فإني رأيت في مكتوبٍ له إلى بعض أصحابه، ينصحه أن الأكابر النقشبندية هم أرباب الغيرة.

ثم ذكر: أني بعد ما أجازني الخوجة، ورخص لي، واشتغلت بالتربية، على طريق الأكابر النقشبندية، كنت لو كان يأتيني طالبٌ يريد الطريق العشقية وغيرها، أُلقّنه فيها، وأربيه، حتى إن يوماً حضرت روحانية الغوث الأعظم الخوجة عبيدالله أحرار ـ قدس الله سره ـ للخوجة محمد الباقي، وقال له: إن الشيخ تاج يأكل من مطبخنا، ويشكر غيرنا، فأخرجناه من النسبة، فقال الخوجة محمد الباقي ـ قدس الله سره ـ للخوجة عبيدالله أحرار ـ قدس سره ـ: اعف عنه هذه المرة حتى أخبره، فكتب الخوجة إلي هذه الواقعة، فتركت كل ما كان غير هذه السلسلة، وحضرت التربية والتلقين فيها. انتهى كلامه.

فله ـ سلمـه الله ـ طريق النقشبنديـة من الخوجـة محمـد الباقي، ومن الخوجة الاملنكن، وله من مولانا درويش محمد، وله من مولانا محمد زاهد، وله من الغوث الأعظم الخوجة عبيدالله أحرار، وله من الشيخ يعقوب الحرجي،

وله من حضرة الخوجة الكبير بهاء الحق والدين المعروف بنقشبند.

وله من أمير سيد كلان، وله من الخوجة عبد الخالق العُجدواني، وله من قطب الأقطاب الخوجة محمد بابا السماسي، وله من حضرة الخوجة علي الراميتني، وله من حضرة الخوجة محمود الجريقوري، وله من الخوجة عارف ربوكري، ومن الشيخ يعقوب بن أيوب الهمداني، ومن الشيخ أبي علي الفارمدي، ومن الشيخ أبي الحسن الخرقاني.

ومن سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي، ومن الإمام جعفر بن محمد الصادق، وله من قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ومن سلمان الفارسي، ومن أبي بكر الصديق ﷺ، ومن سيد الكائنات محمد رسول الله ﷺ، والنسبة للإمام جعفر عن أبيه إلى علي ـ كرم الله وجهه ـ.

[٨٣٦] تاج الدين بن محمد بن أحمد الكفر سوسي الأصل، المدني المنشأ والمولد، رئيس المؤذنين، بالمسجد الحرام النبوي ـ على ساكنه الصلاة والسلام ـ.

كان إماماً فاضلاً، له مشاركةٌ في فنونٍ كثيرةٍ، عالماً كبيراً في الميقات والحساب والهندسة، والأزياج والهيئة.

أخذ عن جماعةٍ من علماء الحرمين، وأخذ عن العالم العامل، الولي الصالح، الشيخ أبي الغيث القشاش التونسي، وسبب اجتماعه به: أنه توجه من المدينة إلى مصر، ومنها إلى بلاد الروم؛ لغرض له في لقاء سلطانه في ذلك الوقت، فركب البحر من الإسكندرية، فحكم القدر بأسره في أيدي العدو.

واستقر في أسره بمالطة ـ دمر الله أهلها ـ، فلما بلغ أسره أهلَ المدينة،

وكانت له فيهم مكانةٌ، كاتبوا الشيخ أبا الغيث في فدائه، وأعلموه بحاله ومكانه، وأنه رئيس المؤذنين بالحرم النبوي، فبذل جهده في فدائه، إلى أن فدي بألف وخمس مئة قرش ريال.

فركب البحر من مالطة إلى تونس؛ لزيارة الشيخ الذي سعى في فدائه، فلما قدم عليه، فرح بقدومه، واستبشر، وأجلَّه غايةَ الإجلال، وأكرمه إكرام مثله لمثله، وأجلسه عنده سنةً غبطةً فيه، فاستفاد في تلك السنة من الشيخ علوماً كثيرةً، ثم رجع إلى المدينة.

وأخبر أنه لما كان في الأسر، تكلم مع راهبٍ من رهبانهم، فقال له الراهب: إنكم ـ معشر المسلمين ـ تزعمون أن كتابكم لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، فقال له المترجم: نعم، نقول بذلك، فقال له: أين تجد في كتابكم اسمي؟ فقال له: ما اسمك؟ فقال: كبك، فأخرج له التاج المصحف، فأراه بعد الراء من قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٨]، فتعجب الراهب من ذلك، وصدق بأن في الكتاب كل شيء.

ونظيره؛ من اشتمال القرآن الكريم على أخبار كل شيء، حتى علم الحدثان والوقائع: أن السلطان سليم سلطان الروم، وهو أول داخل منهم لمصر، وملكها من يد السلطان الغوري، في سنة ثلاث وعشرين وتسع مئة، كان سبب تملكه لها: أنه لما تملك بلاد الشام، حدثته نفسه بتملك بلاد العراق؛ إذ هي أصل منشئهم، ومساكن أسلافهم التركمان، فخرج من القسطنطينية، التي هي قاعدة ملكهم، فلما وصل إلى الشام بعساكره، تعذرت عليه العلافة؛ لغلاءٍ حصل في تلك الناحية، واحتاج إلى الميرة، والتزود من مصر، فكتب بذلك إلى الغوري؛ ليستأذنه في الامتيار من بلده، وكان الشاه

ملك عراق العجم في ذاك الوقـت، لما سمع بتحرك السلطان سليم، كاتب الغوري، وكانت بينهما صداقة، يطلب منه أن يُشغله، وأن يثبطه ما استطاع، وصادف ذلك من الغوري غيـرةً من السلطان سليم، وأنفـةً من تملكـه لبلاد الشام، وخشي إن اتسع ملكه أن يستولي على مصر، ومصر ـ إذ ذاك ـ هي أم البلاد الإسلامية، وملكها أعظم الملوك؛ لانتقال الخلافة العباسية من العراق، بعد واقعة التتار إلى مصر.

وعندما طلب السلطان سليم الميرة، تعلل بأن ذلك لا يمكن في هـذا الوقت؛ لغلاء الأسعار، واعتـذر بأعذارٍ ضعيفـةٍ، ففطن السلطان سليم لما قصد، وعلم أنه إنما أراد تعويقه عن المسير إلى العراق، فحدثته نفسه بالركوب عليه[1]، وصرف العنان عن غزو العراق إلى غزو مصر، فاستشار في ذلك من كان بحضرته من العلماء، وذكر لهم عذره، وأن الغوري منعه. . .[2].

ولا بد من إظهار وجهٍ تعتمده الفتاوى الفقهية، فقال ابن الكمال: أيها الأمير! إن هذا ـ أيضًا ـ متيسر، وذلك بأن تبعث إلى السلطان الغوري، وتقول له: إني لما قدمت إلى هذه البلاد، ولم يتيسر الغرض الذي قدمنا من لأجله، عزمنا على التوجه للحجاز لأداء فريضة الحج، وليس لنا طريق ولا تزود إلا من بلادكم، فأردنـا أن تأذن لنا في المرور على بلادكم، والتزود منها؛ فإنه ـ لا محالة ـ ما نعُك، وصادُّك عن المرور ببلده، فإذا صدَّك عن حج البيت، جاز لك قتاله، وصار محاربـاً، فاستحسن الفقهاء رأيه في ذلك؛ لأن الحيل

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إليه.

(٢) سقط قدر صفحة من أصل المخطوط.

في مذهبهم سائغة، وانتهاج طريقها عندهم شريعة شائعة.

فكتب السلطان سليم إلى الغوري بذلك، فرجعه الغوري بجوابٍ سيئ، وصرح بمنعه وصدِّه، وأنـه لا يشرب من نيل مصر جرعـة ماء، إلا إذا مشى على ظهور الموتى، إلى غير ذلك من التهديد، فتقوى حينئذٍ عزم السلطان على غزو مصر، وتهيأ لذلك، فكان ما كان من استيلائه عليه، ومحو الدعوة الغورية من مصر، وإنحائه وقتله لأكثر العلماء والصلحاء، والخليفة العباسي، وكثيرٍ من أرباب المناصب، وكان أمر الله قدراً مقدورًا، فعظمت بذلك مكانـة ابن الكمال عنده، وخُيِّر فيما شاء من الولايات، فاختار الفتوى، فتولاها، وحسنت سيرته فيها، وتصدى لنشر العلم، وتعظيم أهله ـ رحمه الله تعالى ـ.

قلت: الإكباب على مثل هذا، وتعاطي فهمه من القرآن، مما لا ينبغي إلا لذي بصيرةٍ نورانيةٍ، يصدق كشفُه فتحة، وإلا، فالهجومُ عليه ببضاعة العقل خطر؛ فإن الواقع قد لا يكون كذلك، فيؤدي إلى نسبة شبه الكذب لخبر الله تعالى، وإن كان بالفحوى والإشارة، والقرآن ينزَّه عن مثل ذلك؛ فإن الله تعالى ما أنزله على عبده ﷺ لهذا، وإن كان موجوداً فيه، وإنما أنزله هدًى وموعظةً وذكرى لأولي الألباب.

فاستعمالُ الفكر في معانيه، التي حض الله عليها رسولَـه ﷺ أولى من استعماله في مثل هذه الأمور، التي لم يرد عن الشارع، ولا عن السلف الصالح اعتبارُ جنسها في أمثال هذه الأمور، وإن اعتبرها بعض السلف، لكن في غير هذا الجنس؛ كاستخراج ابن عباس رضي الله عنهما، تعيينَ ليلة القـدر، من بعض آيات سُورية، وأما المتأخرون، فمنهم من اعتبره في هذا الجنس؛ كاستخراج بعضهم فتح بيت المقدس على يـد صلاح الدين بن أيوب، من قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ

﴿ٱلرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾[الروم: ٢ ـ ٤]، إلا أنه أمرٌ نادرٌ لا ينبغي أن يعتمده ذو الحال الصحيح، والكشف الصريح، لا يقتدى به، والله الموفق للصواب.

[٨٣٧] القاضي تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم بن تاج الدين بن محمد ابن محمد بن تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن أقضى القضاة جمال الدين محمد بن يعقوب بن يحيى بن عبد الوهاب المالكي المدني، ثم المكي، ويعرف بابن يعقوب، كذا ذكر نسبه ابن فهد في «ذيله»، المكي المالكي الأنصاري(١).

القاضي الفاضل، والعلامة الحُلاحل، كان بمكة صدرَ الخطباء والمدرسين، ومن أكابر العلماء المحققين، وممن شيد ربوع الأدب، وكان بها ترجمان العرب، غذّته الفصاحة بدرِّها، وكللت تاجه بدُرِّها، مع طيب محاورةٍ تسكر منها العقول، وتهزأ بالشَّمول، وجاهٍ عند الدولة ظاهر، وكلمة مسموعة عند البادي والحاضر.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره؛ كالعلامة عبد القادر الطبري، وعبد الملك العصامي، وخالد المالكي، وغيرهم، وأجازه عامة شيوخه، وتصدَّر للتدريس بالمسجد الحرام، وطار صيته عند الخاص والعام، وكان إمام الإنشاء في عصره، ومفرداً في المكاتبات في دهره، وله «ديوان الإنشاء» الذي جمع من المكاتبات أغلاها، ومن المراسلات أعلاها، فلا برح

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٨٤) (٢٧٨)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٣٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٢).

يتفجر ينبوع البلاغة من لسانه، ويتلاعب بأساليب البيان على طرف بنانه.

وله فتاوى فقهية، جمعها ولده أحمد، وأضاف إليها فتاوى شيخه الشيخ خالد الأجهوري، والحطاب كذلك، ثم ما رفع إلى ابنه من الأسئلة بعد ذلك، وسماها: «الفواتح القدسية والفوائح العطرية لجمع الفتاوى الفقهية»، وله «ديوان شعر» [وشعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمةً من الجوهر][1]، وخُطَبُ أنكحةٍ وجُمَعٍ واستسقاء، ومحاضراتٌ ومكاتبات، وأما ما له من الشعر والنحو والصرف، وخطب الأنكحة، والمحاضر والإجازات والمكاتبات، والصلاة على الأموات، فقد جمع ولده ذلك في مجموعٍ سماه: «تاج المجاميع».

وأما خطب الجُمع والعيد والاستسقاء، فجعله مجموعاً مستقلاً سماه: «خطب منابر النبلاء»، وله رسالةٌ في شرح قصيدة العارف بالله العفيف التلمساني، التي أولها:

إذا كنت بعد الصحو في المحو سيدا

سماها: «تطبيق المحو بعد الصحو على قواعد الشريعة والنحو»، وله رسالةٌ في الاستغفار سماها: «فصوص الأدلة المحققة في نصوص الاستغفار المطلقة»، وله رسالةٌ في الكلام على الأسئلة الواردة من بلاد جاوه، فيما يتعلق بالوحدانية، سماها: «الجادة القويمة إلى تحقيق مسألة الوجود ومتعلق القدرة القديمة»، وله رسالةٌ في العقائد سماها: «بيان التصديق» مفيدةٌ جداً، خصوصاً

(١) ما بين معكوفتين ليس في الأصل.

للمبتدئ، وله رسالتان: صغرى، وكبرى، في شرح البيتين اللذين هما: من قصر الليل إذا زارتني . . . .إلخ سماها: «منهاج الترجيح والتجريح إلى معراج المعنى الراجح ومسقط الترجيح».

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمكة، ثاني شهر ربيع الأول، سنة ست وستين بعد الألف، وأرخ وفاته الشيخ محب الدين بن ملا حاجي بقوله:

لتاج الدين أصبح كلُّ حرٍّ حزينَ القلب باكي الطرف أوّاهُ
أقامَ بسوحِ باب الله حتى دعاه إليه أقبلْ ثم لبّاهُ
فتاريخُ اللقا لما أتاه (جنان الخلد منزله ومأواه)

وشعره أحلى من السكر المكرر، وأغلى قيمةً من الجوهر، **فمنه: قوله مادحاً الشريف مسعود بن إدريس:**

غُذّيتُ دَرَّ التصابي قبل ميلادي فلا ترمْ يا عذولي فيه إرشادي
غَيُّ التصابي رشادٌ والعذابُ به عذبٌ لديَّ كبردِ الماءِ للصادي
وعاذلُ الصبِّ في شرع الهوى حرجٌ يروم تبديلَ إصلاح بإفسادِ
ليت العذولَ حوى قلبي فيعذرني أوليت قلبَ عذولي بين أكبادي
لو شامَ برقَ الثنايا والتثني من تلك القدود انثنى عطفًا لإسعادي
ولو رأى هاديَ الجيداء كان دَرَى أن اشتياق الهدى من ذلك الهادي
كم بات عقدًا عليه ساعدي ويدي نطاقُ مجمع المخفي والبادي
إذ أعينُ العين لا تنفكُّ ظامئة بورد ماء شبابي دون أندادي
فيا زمانَ الصِّبا حُيِّيَت من زمنٍ أوقاتُه لم تُرعْ فيها بإنكاد

ويــا أحبتنـــا روى معاهـــدَكم	مـن العهـاد هَتـونٌ رائـحٌ غـادي
معاهـدًا كُـنَّ مُـصطافي ومُرتَبَعـي	وكم بها طالَ بل كم طالَ تـردادي
يـا راحلـين وقلبـي إثـرَ ظعـنهم	ونــازحين وهــو ذكــري وأورادي
إن تطلبوا شرحَ ما أيدي النوى صنعتْ	بمغَرمٍ حلـف إيحـاش وإيحـادي
فقـابلوا الـريح إن هبـت شـآميةً	تروي حديثي لكم موصولَ إسنادِ
والهفَ نفسي على مَغْنًى به سلفت	سـاعاتُ أنـس لنـا كانـت كأعيـادِ
كأنهـــا وأدامَ اللهُ مُـــشبِهَها	أيامُ دولةِ صـدرِ الدَّسـت والنـادي
ذو الجودِ مسعودٌ المسعودُ طالعُـه	لا زال فـي بـرج إقبـالٍ وإسـعادِ
عـادتْ بدولتـه الأيـامُ مـشرقةً	تهــزُّ مختالــةً أعطــافَ مَيَّــادِ
وقُلـد الملـكَ لمـا أن تقلَّـده	فخـرًا علـى مـرّ أزمـانٍ وآبـادِ
وقـام بـالله فـي تـدبيره فغـدا	موفَّقـاً حـالَ إصـدار وإيـراد
حقٌّ لك الحمدُ بعـد الله مفتـرَضٌ	فـي كـل آونـة مـن كـل حَمَّـادِ
أنقذتهم مـن يـد الأعـداء متخـذًا	عنـد الإلـه يـدًا فـيهم بأنجـاد
داركتهم شـهدا رمقـى فعـاد لهـم	غمـضٌ لجفـنٍ وأرواحٌ لأجـساد
بُشراك يا دهرُ حـاز الملـكَ كافلُـه	بشراك يا دهرُ أخرى بشرُها بـادي
عادت نجومُ بني الزهراء لا أَفَلَـت	بعــودة الدولــةِ الزهــرا لمعتـاد
واخضلَّ روضُ الأماني حين أصبحتِ لْـ	أجـواد عقـدًا علـى أجيادِ أجيـاد
وأصـبح الـدينُ والـدنيا وأهلُهمـا	في حفظ ملكٍ لظلّ العـدل مَـدَّادِ
يُبيح هـامَ الأعـادي مـن صـوارمه	ما استحصدت بالتعاصي كلَّ حـصادِ

مـــنهم أيـــادي أياديـــه ونائلـــه   على الورى أصبحت أطواقَ أجيادِ
يُفضي مُيَمِّمُ جـدوى راحتيـه إلـى   طلقِ المحيـا كـريمِ الكـفِّ جَوَّاد
بـــذلُ الرغائـــب لا يعتـــدُّه كرمًـــا   ما لـم يكـن غيـرَ مـسبوقٍ بميعـادِ
والعفوُ عن قـدرةٍ أشـهى لمهجتـه   صينَتْ وأشفى من استيفاءِ إيعـادِ
مـآثرٌ كالـدّراري[1] رفعـةً وسَـنًا   وكثـرةً فهـي لا تُحـصى لعـدَّاد
تسمو مناقبُ مَنْ كُلَّ الكمالِ حوى   وأنـت ذلـك عـن حـصرٍ بأعـداد
فأنت من معشر إن غارةٌ عرضـتْ   خَفُّوا إليهـا وفـي النـادي كـأطواد
كم هجمةٍ لكَ والأبطـالُ محجمـةٌ   ووقفةٍ أوقفتْ ليثَ الشّرى العادي
بكـل أبـيضَ مقـصودٍ لمـضطهرٍ   وللمزايـــر والمـــرّان قـــصّادي
وكـلِّ مجتمـعِ الأطـرافِ معتـدلٍ   لَـدْنٍ لعـرقِ نجيـعِ القِـرنِ فَـصَّادِ
فخرُ الملوكِ الألى فخرُ الزمانِ بهـم   دمْ حـــائزًا ملـــكَ آبـــاء وأجـــداد
ولـيهنَ حُلَّتـه إذ رحـتَ لابـسَها   أن أصـبحتْ خيـرَ أثـواب وأبـراد
واسـتجلِ أبكـارَ أفكـارٍ مخـدَّرة   قد طال تعنيهـا[2] مـن فقـدِ أنـدادِ
كم ردّ خُطابَهـا حتـى رأتْـكَ وقـد   أَمَّتْـك خاطبـةً يـا نـسلَ أمجـاد
أفرغتُ في قالب الألفاظ جوهَرها   سـبكًا بـذهنٍ وريِّ الزنـدِ وقّـاد
وصاغها فـي معـاليكم وأخلـصها   ودّ ضـميرك فيـه عـدل أشـهاد
يحدو بها العيسَ حاديهـا إذا درجَـتْ   مـن طـول وَخْـدٍ وإرقـالٍ وإسـآد

---

(١) في الأصل: كالزراي، والصواب ما أثبت.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: تعيينها.

كأنمـا الـراحُ بالألبـاب لاعبـةٌ | إذا شـدا بـين سُـمَّارٍ بهـا شـادي
بفـضلها فـضلاءُ العـصر شـاهدةٌ | والفضلُ ما كان عن تسليم أضدادِ
فلو غدتْ من حبيبٍ فـي مـسامعِه | أو الصفيِّ استحالا بعض حسادي
واستنزَلا عن مطايا القوم رحلَهمـا | واستوقفا العيسَ لا يحدو بها الحادي
وحسبُها في التسامي والتقـدُّم فـي | عـدّ المفـاخر إذ تعـدو لتعـدادِ
تقريظُهـا عنـدما جـاءت معارضـةً | عوجا قليلاً كذا عن أيمنِ الـوادي

وهي عروضُ قصيدة الأديب الفاضل أحمـد بن عيسى المـرشدي التي مطلعها:

عوجا قليلاً كذا عن أيمنِ الـوادي | واستوقِفا العيسَ لا يحدو بها الحادي

وعارضها السيد أحمد بن مسعود بقصيدة مطلعها:

ألوى برسم اللوى الترحالُ والحادي | وقرض الـصبر عـن قلـب بأجيـاد

وعارضها ـ أيضـاً ـ العلامـة الشيـخ علي ابن الشيـخ خالـد المـالكي الجعفري، فقال مادحاً بها الرسول ﷺ:

حُبُّيكَ أعذبُ من عذبٍ إلى صادِ | لـم لا تفـين لموعـود بإيعـادي

إلى أن يقول:

أبغي الوصالَ لمن حلَّ الوصالُ له | وخُصَّ بالقرب وهو الخاتم البادي
محمـدٌ سـيدُ الكـون غوثُهمـا | مـولى الخلائـق أتباعًـا وأسيادي

وهي طويلةٌ جداً، وقـد ذكرهـا القاضي أحمـد ابن القاضي تاج الدين

المالكي ـ رحمهما الله تعالى ـ في «تاج المجاميع»، وعارضهم الأديب محمد ابن أحمد حكيم الملك، بقصيدةٍ مدح بها الشريف زيد بن محسن مطلعها:

صوادحُ البانِ وهنًا شجوُها بادي ... فمن عذيرُ فتًى في فَتِّ أكباد

وقد ذكرتها جميعاً في تراجمهم.

ومن فوائده: أنه سئل عن قول الصفيِّ الحلِّي:

فلئن بسطت أيدي الفراق وأبعدت ... بدرًا تحَجب نصفهُ بنصيفِ

فلقد نعمتُ بوصلهِ في منزل ... قد طال فيه مَربْعَي ومَصيفي

فأجاب بقوله: لا يخفى أن النصيف هو الخمار، فكأن الشاعر تخيل أن الجبين بدرٌ تامٌ، كامل الاستدارة، ستر الجمال نصفه الأعلى، فلما تخيل ذلك، قال: بدراً تحجب نصفه بنصيف، ثم ضمنه بقوله:

أفدي التي جلبَ الغرام جبينها ... تحت الخمار لقلبيَ المشغوفِ

فصبا له لما تحقق أنه ... بدرٌ تحجب نصفهُ بنصيفِ

وقد سئل عنه ـ أيضاً ـ الإمام زين العابدين الطبري الحسيني، إمام المقام، فأجاب بما لفظه: النصيف خمارٌ، وكل ما يغطى به الرأس، والوجه هو البدر في التشبيه، فمراد الشاعر: أنها تلثمت ببعض النصيف الذي على رأسها، فصارت ساترةً نصف وجهها الأسفل المشبه بالبدر، فصار نصيفاً ونقاباً.

والنقاب: ما انتقبت به المرأة؛ كما في «القاموس»، وهو شاملٌ لما كان مستقلاً، أو بعض شيء آخر، كما يقال مثله أيضاً في النصيف، فهو نصيف، وإن غطاء غير الرأس مع الرأس، وهذا الذي ذكرناه هو عادة غالب النساء

الحسان في قطر العرب؛ فإن الواحدة منهن تنتقب بفاضل خمارها، فتفتن العقول بما ظهر من لواحظها وأسحارها. انتهى.

وكتب إلى القاضي أحمد بن عيسى المرشدي معتذراً عن وصوله إليه، بعد وعده له به لعرُوض مانعٍ له عنه:

أيها المعشرُ الذين إليهمُ ... واجبٌ أن يكون سعيي براسي
لا تظنوا تركي الوصولَ إليكم ... لملالِ ودادِكم أو تَناسي
أو تَقالٍ عنكمُ وإن كان عذري ... هو أني قد بتّ خير أناس

فأجابه بقوله بديهاً:

قد أتاني اعتذاركم بعد أني ... بتُّ من هجرِك الأليمِ أقاسي
فتلقيتهُ بصدر رحيبٍ ... ولصقت الكتاب عزاً براسي
غير أني لم أرتضيه إذا لم ... تُنعموا بالوصول والإيناسِ
وأقِلْني العثارَ في النظم أني ... قلتُه والفؤادُ في وَسْواسِ

وكتب إلى شيخه العلامة عبد الملك العصامي مسائلاً بقوله:

ماذا يقول إمامُ العصر سيدُنا ... ومن لديه يَنال القصدَ طالبهُ
في الدار هل جائزٌ تذكيرُ عائدِها ... في قولِنا مَثَلاً في الدار صاحبُه
ومن إبانةِ همز ابن أراد فهل ... يكون موصوفُها اسمًا يطالبُه
أم كونه علمًا كافٍ ولو لقباً ... أو كنيةً إن أردتَ الحذفَ كاتبهُ
أَفِدْ فما إن رأينا الحقَّ منخفضاً ... إلا وأنت على التمييز ناصبُه

فأجابه بقوله:

يا فاضلاً لم يزل يُهدي الفرائد من ... علومـــه وتروِّينـــا ســـحائبُهُ
تأنيثُك الدارَ حتمٌ لا سبيل إلى التـ ... ـتَذكير فامنعْ إذاً في الدار صاحبُه
والابن موصوفه عَمٌمْ فإن لقبًا ... أو كنيةً فارتكابُ الحذف واجبُه
هذا جوابَي فاعذرْ إن تجد خَلَلاً ... فمصدرُ العجز والتقصير كاتبهُ
لا زلتَ تاجًا لهاماتِ العلا عَلَماً ... في العلم يحوي بك التحقيقَ طالبهُ

ومن شعره أيضاً:

غَنِيَـــتْ بحليـــةِ حـــسنِها ... مـــن لـبسِ أصـنافِ الحلـي
وبـــدت بهيكلهـــا البديـــ ... ـــع تقـــولُ شـــاهدْ واجتلـــي
تجـــدِ المحاســـنَ كلَّهـــا ... قـــد جُمِّعَـــتْ فـــي هيكلـــي

ولما وقف عليها، ورآها وشاهدها(١)، وشيد كل أبيات من أبياته قصراً، وابتز ذلك المعنى باستحقاقه قسراً السيد أحمد بن مسعود، فقال:

لله ظبـــــيٌ ســـــربُه ... يزهـــو بـــه فـــي المحفـــلِ
قـــنصَ الأســـودَ بغالـــبِ ... قيـــدِ الأوابـــد هيكلـــي
ولـــه الجـــوارِ المنـــشآ ... تُ جـــو الحـــشاشة للحلـــي
مـــن كـــل رَوْدٍ لحظُهـــا ... يـــسطو بحـــدِّ المفـــصل
مـــشتاقُها مـــن ثغرهـــا ... وأثيثُهـــا فـــي مـــشكل

---

(١) في الأصل: ورآها وشاها وشاها.

فـــاق الغـــواني خاليـــا ت عاطـــل فـــي هيكلـــي
مـــا قـــال فـــي ظلمائـــه يـــا أيهـــا الليـــل انجلـــي

وحذا حذوهما القاضي أحمد بن عيسى المرشدي، فقال:

يـــا ربـــة الحـــسنِ الجَلِـــي لمؤمـــــلِ المتأمـــــلِ
صَـــدْري ووجهـــي منيـــة للمجتنـــــي والمجتلـــــي
فـــالحَظُ بـــديعَ محاســـني مـــن تحـــت أنـــواعِ الحُلـــي
تجـــد الهياكـــلَ والحُلِـــي جمالهـــا مـــن هيكلـــي

[٨٣٨] تاج العارفين بن عبد الجليل الحمصي الشافعي[(١)].

الشاب الفاضل العلامة، قرأ في الفقه على أحمد العيثاوي، وعلى تلميذه النجم الغزي، وقرأ على الشمس الميداني، وصارت له ملكةٌ وشهرةٌ في الفقه، ومشاركةٌ حسنةٌ في بقية العلوم، وحج سنة سبع بعد الألف، صحبةَ النجم الغزي، ومات بدمشق، من نحو ثلاثين سنة، يوم الأربعاء، ثالث عشر صفر، سنة سبع عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير، وصُلي عليه بجامع دمشق ـ رحمه الله ـ.

[٨٣٩] القاضي تقي الدين التميمي الغزي الحنفي[(٢)].

عالمٌ مشهور، وإمامٌ لواءُ فضله بين الأنام منشور، أخذ عن أكابر الأمجاد،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٤٩) (١٣٤).

(٢) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٢٧) (٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٥).

وكان جَوَّاباً في البلاد، يومًا بحزوى، ويومًا بالعقيق، وبالعذيب يوماً، ويوماً بالخليصاء، وألف مؤلفاتٍ وقفت عليها، في مجلدٍ ضخمٍ، جمع فيها فأوعى، وأحال وأجاد، وسماها: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»، أتم تأليفها بمدينة «فوة»، وهو قاضٍ بها، في رجب، سنة تسع وثمانين وتسع مئة، وقرظ له المولى سعد الدين المعروف بخواجه أفندي، والمولى جوي زاده، والمولى زكريا، والمولى عبد الغني، والمولى أحمد الأنصاري.

ومنها: «طبقات الحنفية» جمع فيها جملةً من علماء الروم وعظمائها، وأكابر سراتها ورؤسائها.

وكانت **وفاته** بمصر، يوم السبت، خامس جمادى الثاني، سنة عشر بعد الألف، وهو في سن الكهولة ـ رحمه الله ـ.

قلت: وذكره الخفاجي في «ريحانته»، وأثنى عليه، وذكر أنه كان أول أمره، وإقبال طلائع عمره، حرفته الزهادة، وحانوته السجادة، ثم ساقه القدر والقضا، فرضي بما قدره الله وقضى، بعد ما كان يقول:

مــن تمنَّــى القــضا فــلا يعطينــه ... واجعــل المــوتَ ســابقًا للقــضاء

وقد قالوا: من تولى القضاء ولم يفتقر، فهو لص، والآن وقد افتقرت اللصوص، لما سرقت الأمراء من الخواتم والفصوص، والسارق إذا سرق من سارق، فقد عامله برأس ماله، وقال الربح والفائدة السلامة من خسران وباله، وما يسلب قاطعُ الطريق العريان، بل يهديه للسبيل، ويعطيه الأمان.

وأورد من شعره قوله: وقد لبس من القضاء خِلَع المذلة، وحاكت له

الأطماع من نَصب المناصب حُلَّة:

أحبابَنا نوبُ الزمان كثيرة ... وأمرُّ منها رفعةُ السفهاء
فمتى يُفيق الدهر من سكراته ... وأرى اليهودَ بذلَّةِ الفقهاء

وقوله أيضاً:

ما أبصرتْ عينُ امرئ ... في الدهر يومًا مثلَنا
عشقٌ وحرمانٌ به ... أبدًا ترانا في عَنَا
الدونُ لا نرضى به ... والعال لا يرضى بنا

والعال بمعنى: العالي؛ كقولهم: لم نبل، إلا أنها عاميةٌ مبتذلةٌ، وقيل لابن المقفع: لم لا تقول؟ قال: ما يجيء ما نرضاه، وما نرضاه لا يجيء.

وله أيضاً:

إذا أكثر العبدُ الذنوبَ ولم يكن ... له شافعٌ من حسنه يوجبُ العذرا
وأبصرتُ مولانا مع الذنب مهملاً ... عليه فحقق أن بينهما أمرا

وله:

وإذا أساء إليك خادمُ سيدٍ ... فأقره وارحل ولا تتوقَّفِ
واعلم بأنك قد ثقلت وأنه ... أعطاك إذناً للرحيل فخَفِّفِ

وله مضمناً:

لنا صديق له بالغانيات هَوًى ... وأيره لا يزال الدهرَ طراقا

كأنما هـو حربـاء الهجيـر ضُـحًى　　لا يرسل الساق إلا ممـسكٌ سـاقا

وقد سبقه لهذا ابن الأنباري المصري، فقال:

لا يشغَلَنَّكَ شيء في زمانـك عـن　　وصل الملاحِ وحاذرْ كلَّ مـا عاقـا
وكنْ كما قيلَ في الحرباء من فطن　　لا يرسلُ الساق إلا ممـسكٌ سـاقا

وهو تضمين من قول بعض شعراء الجاهلية:

أنـى أتـيح لـه حربـاء تنـضبه　　لا يرسل الساق إلا ممـسك سـاقا

والساق فيه: غصن الشجرة، ومن الإنسان معروفٌ، وبه قامت التورية، وضربه بعض العرب مثلاً بألد الخصام، الذي كلما انقضت حجـة، أقام لـه أخرى، والحرباء: دويبةٌ تسمى: أم حُبَين تتلون ألواناً مع الشمس، وتكنى: أبا قرة، ويقال: حرباء تنضب، كما يقال: ذئب غَضا، وهو شجرٌ تتخذ منه السهام، جمع تنضبة، وفي المثل: «أحزم من حرباء»؛ لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصنٍ حتى يمسك آخر، وهو الذي عناه الشاعر، وضربه ابن الرومي مثلاً للقبح، ويضرب به المثل في كثير التقلب أيضاً.

[٨٤٠] تقي الدين القِرَبي القادري الدمشقي.

كان من تلامذة الشيخ موسى الكنَّـاوي، وكان من العلمـاء العاملين، والصلحاء الكاملين، ولم يقبل شيئاً من الجهـات، حتى توفي بدمشق، في أوائل صفر، سنة تسع بعد الألف.

[٨٤١] تقي الدين بن يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن مصطفى

الحنفي السنجاري المكي[1].

سابق فرسان الإحسان، وعينُ أعيان البيان والتبيان، رفع للعلوم راية، وجمع بين الرواية والدراية، وغاص في بحار الأدب فاستخرج درره، وسما إلى مطالعه فاستجلى غُرره، فنظم اللآلي والدراري ونثر، وجدّد ما درس من مغاني المعاني ودثر[2].

مولده مكة، عام عشرة بعد الألف، وبها نشأ، وبرع وتأدب، وأخذ عن أكابر الشيوخ، وكانت وفاته عام سبعة وخمسين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، وجاء تاريخ وفاته (تقي الدين في المطالع).

ومن شعره ملغزاً في نخلةٍ، مراسلاً للقاضي تاج الدين المالكي ـ رحمهما الله ـ:

أيها المِصْقَعُ الذي شرَّفَ الدهـ ... ـرَ وأحيا دوارسَ الآدابِ

والهمامُ الذي تسامى فَخارًا ... وتناهى في العلم والأحسابِ

والخطيبُ الذي إذا قال أما ... بعد أشفى بوعظه المستطابِ

والإمامُ الذي تهذب طفلاً ... وزكا في العلوم والأنساب

وحوى ما حوى الأصول إلى أن ... حاز ما لا يُحاز بالاكتساب

جئت أرجو كشفًا لشيء تناهى ... في العلا واكتفى عن الحجَّابِ

---

(1) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٧٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٢٩) (٢٨٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٣٠).

(2) في الأصل: ودر، والصواب ما أثبت.

إن تـصحُّفه كـان فيـه شـفاءٌ   وبـه الـنصُّ جاءنـا فـي الكتـاب
ولـك الفـضلُ إن تـصحفه أيـضًا   بالعطا لا برحتَ سـامي الرحـاب
مفـردٌ إن حـذفت منـه أخيـراً   صـار جمعًـا لـه بغيـر ارتيـاب
أو وصـلتَ الأخيـر منـه بـصدر   كـان عـدًا بـرأي أهـل الحساب
وتبـال إن ضُـمَّ ثـانٍ إليـه   فهـو خِـلٌّ مـن أعظـم الأحبـاب
وإذا مـا صـحفته لـذَّ للنفـ   ـس مـذاقًا فـي طعمـه وشـراب
خـلٌ نـصفاً يحـل عنـه وبـادر   قلعَ عين مـا إن لهـا مـن حساب
قلـع الله عـينَ شـانيك يـا مـن   قـدرُه قـد سـما عـن الإسـهاب
وابـق فـي نعمـةٍ وعـزٍّ منيـعِ   ما حدا بالحجـازِ حـادي الركـاب

فأجابه القاضي تاج الدين بقوله:

يـا إمامـاً صـلى وسـلَّم كـلٌّ   خلفَـه مـن أئمـةِ الكتَّـابِ
وخطيبًـا رقـا فـضمَّخ طيبًـا   منبرَ الـوعظ منه فـصلُ الخطـاب
لـم ينـافس لـدى التقـدم إلا   قـال محرابـهُ هـو الأحـرى بـي
أشرقتْ شـمسُ فـضلِه لا تـوارَت   عينُهـا مـن عياننـا بحجـابِ
دائمـاً روضُ فكـره بعـروسٍ   قـد أُمِـدَّت أنهارُهـا مـن عُبـاب
تقـضى منـي الجـواب وعـذري   في جوابي حوشيت أن الجوى بي
شـبَّه فـي حـشاي فقـد فتـاة   دخلـت تمتطـي متـونَ الرقـاب
وانطوتْ بعـد بَيْنِهـا بُـسْطُ بَـسْطي   وانقضت دولـةُ الهـوى والتـصابي
ليت شـعري بمـن أهـيمُ وشـمسٌ   مـا لهـا مـن أُفولهـا مـن إيـاب

كيف أصبو ووردةٌ كان روض الـ   أنس يزهو بها ثوتٌ في التراب
لا وعيشٍ مضى بها في نعيم   لست أصبو من بعدها لِكَعابِ
هاتِ قل لي يا ملعبَ السرب ما لي   لا أرى فيك ظبيةَ الأتراب
قال سل حاسب الكواكب عَمَّا   حار في دفعه أولو الألباب
أصبحتْ من بنات نعش وكانت   بدرَ تَمٍّ فهل ترى من جواب
فابسطِ العذرَ يا أخا الفضل فَضْلاً   إن تجدني أخطأت صوب الصواب
أتصيبُ الصوابَ فكرُةٌ صبٌّ   يحتسي كأسَ فرقة الأحبابِ
وتطوَّلْ وأَسبل السترَ صفحًا   فهو شأن الخِلِّ المحبِّ المُحابي
في جوابٍ عن نخلة قد أتتنا   بجنى النحل في سطور الكتابِ
أتحفتنا باللغز في اسم أختٍ   لا بينا قضت بذا الانتسابِ
وكساها المَرْوِيُّ من شَبَه المؤ   من فضلاً في سائرِ الأحقابِ
وهي تُرقى من غير سوء فطورا   يستحقُّ الجاني أليمَ العذابِ
ثم طوراً وهو الكثيرُ يرى الجا   ني عليها من أفضلِ الأصحابِ
ولها إن تشأ تصاحيفُ منها   مفردٌ فيه غايةُ الإغرابِ
جاء قلبُ اسم جنسه وهو لحنٌ   لا تُنافيه صنعةُ الإعرابِ
ومسمَّى التصحيف هذا إليه اللّـ   ـلهُ أوحى سبحانه في الكتابِ
وهو ذو شوكةٍ وجندٍ عظيم   خلفَ يعسوبه بغير حسابِ
ذو دويٍّ في جحفلٍ يملأ الجوْ   وَ كرعد في مكفهِرِّ السحابِ
حيوانٌ وإن تصحف جمادٌ   مفصح عن مرادِ سامي الجنابِ

يـا خليلـي بـل يـا أنـا فاتحـادي　　　بـك يقـضي بـذا بغيـر ارتيـابِ
إن صـنعي فـي حلـي اللغـز　　　بـاللغز بـديعٌ فـلا تَفُـهْ بعتـابِ
وابقَ في نعمةٍ وفـي جمـع شـملٍ　　　ببنيـك الأفاضـلِ الأنجـابِ
مـا سـرَتْ نفحـةُ الأزاهـر تَـروي　　　ضحكَ الروضِ من بكـاء السماءِ

❒ ❒ ❒




حَرْفُ ٱلجِيمِ

[٨٤٢] جمال الدين بن عبد اللطيف بن جمال الدين بن تاج الدين أبي السعود بن جمال الدين بن محمد أبي الفرج، ابن القاضي الجمال محمد الكازروني المدني الزبيري الشافعي.

وُلد بالمدينة، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وكتباً في المذهب، وكان من عباد الله الصالحين، وله اعتقادٌ في الأولياء والعارفين، صحب الأعلام، وتخلق بأخلاقهم الكرام؛ من لطيف الطباع، وحسن الأخلاق، والمواظبة على الطاعة، والجُمعة والجماعة، وكثرة الأوراد، وملازمة التهجد، والدعاء بالأسحار، والبكاء والاستغفار.

وكان له في الأسبوع أيام يلازمها بالصوم، وقد هجر النساء والنوم، مع التمسك بالتقوى، والخوف من الله سبحانه في السر والنجوى، ولم يزل على هذا الحال، حتى توفي في رجب ـ الفرد، عام ثلاثة وستين، بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع الغرقد، على أبائه وأجداده ـ رحمهم الله وإيانا ـ.

[٨٤٣] جمال الدين الهندي النقشبندي، نزيل المدينة الشريفة.

كان من أجلاء المشايخ النقشبندية، مربياً كاملاً، أخذ بالهند عن آدم

النقشبندي، وبه تخرج، حتى صار من أكابر الشيوخ، ولما قدم المدينة، نزل رباط الشيخ عبد القادر، شرقي المسجد، وكان يجلس فيه للمراقبة، ومريدوه حوله، وكانت له هيبةٌ عظيمةٌ؛ بحيث إن المار عليه يحصل له خشوعٌ وتأدب.

وكان في بدايته مشتغلاً بالعلوم الرسمية، حتى طرقه طارقٌ من الله، واشتغل بما ينفعه في معاده، وكان يحث مريديه على الإكثار من مجالس المراقبة، وترك الاشتغال بالعلوم الرسمية، ويقول: إنها تشوش الفكر، وتحجبه عما هو بصدده، وتحول بينه وبين ما يترقبه؛ من تجلي أنوار الحضرة الصمدية على القلب.

ويقول: إن الذكر لا يشتغل به الإنسان إلا حيث أمكنه ذلك، والمدينة الشريفة قلَّما يتأتى ذلك في غيرها؛ لحصول الجمعية بها؛ بخلاف هذه العلوم الكسبية، التي هي من جملة الأمر الصناعي، أينما حاول الإنسان أمرها، أمكنه ذلك، ولو بعد الرجوع إلى بلده، والعاقل يقدم ما يخشى فواته على غيره، وإن كان مساوياً، فما بالك إذا كان المخشي بذاته أشرف؟!.

وكان شديد المثابرة على الذكر الخفي، بالقلب والسر، فأثر ذلك فيه حرارةً قويةً، وخفقان القلب، وانضغاط الروح، في أوقات مخصوصة في الليل والنهار، ومع ذلك هو مقبلٌ على الجد والاجتهاد، فيما هو بصدده.

وقد نص كثيرٌ من الأئمة: أن حرارة الذكر تورث مثل ذلك، لا سيما الأسماء المفردة، وخصوصاً الذكر على طريقتهم العلية، بحبس النفَس، وضبط الحواس، وسكون الأطراف؛ فإن ذلك مما يقوي حرارة الباطن ويثيرها على القلب، فيحصل له خفقان، وللروح الذي سلطانه في القلب انضغاط.

قال الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: وقلت له: يا سيدي! لو مزجت الذكر بغيره من الأذكار، التي يحصل بها التسكين للروح، مثل الصلاة على النبي ﷺ، وغيرها، ومثل مناجاة ابن عطاء الله؛ فقد نص الأئمة على أنها تورث البسط، فإذا استعملها من غلب عليه القبض، اعتدل حالـه، فلم يلتفت إلى شيء من ذلك، وقد أنحله ذلك، حتى صار مثل الخِلال، وغلبت عليه آثار الجلال، فكل من رآه، علم أنه من الحضرة الجلالية.

قال الشيخ عبدالله العياشي: وأخبرنا عن شيخه آدم النقشبندي: أنه كان لقوة حاله ربما سرى مدده في بعض العجماوات. قال: ومن ذلك: أن كلباً كان يتبع الشيخ في أسفاره، ويلازم محله، ولا يعرف من أين هو، قال: وسافرنا إلى مكة، وتبعنا، فأخذه بعض الفقراء، وربطه إلى شجرةٍ بالبادية، بعد ما ذهب الرفقـة، فلم يشعروا إلا وهو معهم في مكة. قال: وغار منه بعض الفقراء، وأنف منه، فقتله، فكانوا يرون أن ذلك الكلب حصل [له] من الشيخ التفاتٌ إليه في بعض أحواله الغالبة عليه.

قلت: ولا بدع في ذلك؛ فقد ذكـر الشيخ عبـد الوهاب الشعراني في «طبقاته» في ترجمة سيدي يوسف العجمي: أنه كان إذا خرج من الخلوة، بعد انتهاء أمره، فأولُ من وقعت عليه عيناه، ظهر أثر تلك النظرة فيه، واكتسب بها أحوالاً نفيسةً، فخرج مرةً من الخلوة وقـد احمرت عيناه، فلم تقع عيناه إلا على كلب، فصار ذلك الكلب يتبعه الكلاب أينما ذهب، فتسامع الناس به، وصاروا يأتونه، فاشتهر أمره، حتى صاروا يُهدون له الأطعمة وللكلاب التي معه، فبلغ خبره إلى الشيخ، فبعث من أتى به، فلما وصل بين يديه، قال له: اخسأ، فدارت عليه الكلاب التي كانت تتبعه، فصارت تنهشه حتى قتلته.

قال: وكان الشيخ يأسف على تلك النظرة، ويقول: لو وقعت على إنسانٍ، لصار عيناً من عيون الله، أن ينتفع به الخلائق، وهذا أمرٌ لا يحيله عقل، ولا يمنعه شرع، ولله في خلقه أسرارٌ لا تحيط بها أفهام كثيرٍ من العقلاء الأكابر، فضلاً عن غيرهم. انتهى(١).

قال الشيخ عبدالله العياشي: ولما لقيتُه بمكة، شاورته عما أرومه من المجاورة بالمدينة، فحضني عليها، ورغبني فيها، فقال لي: قد ورد في الحديث: «إن حب الوطن من الإيمان»، والمدينة هي وطن كل مؤمنٍ؛ لأنها وطن الإيمان، فلذلك يحبها كل مؤمن.

قلت: ويشهد لما قال ﷺ من أنها وطن الإيمان، وهو أشرف أوصاف المؤمن، بل هو في الحقيقة كليته التي بها صار معتبر وجوده، ولولا الإيمان، لكان العدم المحض أفضل منه، فإذا ثبت هذا، ثبت أن وطن الإيمان هو وطن المؤمن.

وقد ثبت بالحديث المتقدم: أن المدينة وطن الإيمان، وفي هذا إشارةٌ حسنةٌ إلى أدبٍ حسنٍ، وهو أنه لا ينبغي لساكن المدينة، بل ولو لمن بات بها ليلةً، بل أقام لحظةً من المؤمنين، أن يرى في حال إقامته بها أنه غريب، بل يرى نفسه كأنه في ذلك الوقت بوطنه، الذي هو أحبُّ أوطانه بين أهله وأقاربه؛ إذ المدينة وطنه الحقيقي ـ كما تقدم ـ.

بل ينبغي أن لا يطلق على أحدٍ ممن في المدينة من أهل الآفاق أنه غريبٌ

---

(١) وأي صورة أوضح للخذلان وضياع الدين من تمثل الكرامات في الكلاب، غفر الله للمصنف ورحمه في إيراد هذه الخرافات والأباطيل.

أو مجاور؛ تأدباً لما يشعر به ذلك من غربته في وطن الإيمان، الذي هو روحه وحقيقته، ولا يكون غريباً في وطن الإيمان الذي هو، إلا من لا عبرة بإيمانه، فأي صفةٍ ذات قبحٍ من وصف المؤمن بكونه دخيلاً في الإيمان، غريباً فيه؟! فليتأمل هذه النكتة؛ فإنها حسنةٌ عند من له ذوقٌ سليم، وعرف الإشارة، ولم يتقيد فهمه بصريح العبارة، نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن كانت المدينة وطنه حِسّاً ومعنًى، ونال من جميع الآفات سلامةً وأمناً.

توفي المترجم، سنة ست وسبعين وألـف، ودفن بمقبـرة شيخـه بدر الدين، بالبقيع، بحش كوكب ـ رحمهما الله تعالى ـ.

[٨٤٤] جمال الدين الهندي النقشبندي، نزيل مكة، المجاور بالداودية.

كان من أفضل الطائفـة النقشبنديـة في عصره، ومن أعبد أهل زمانه، مقبلاً على شأنه، مراقباً للحق في سره وإعلانه، منقطعاً بالحرمين الشريفين لعبادة ربه، ولا مال له ولا أهل، إلا أصحابه المشتغلون بالطريق على يديه، ولهم سيما ولهجةٌ لا تخفى على ذي بصيرة، وطريقهم طريق جدٌّ واجتهاد، قريبٌ فتحها، كثيرٌ خيرها، بعيدٌ عن الرياء والسمعة، إلا أنها تحتاج ـ كغيرها من الطرق ـ إلى مرشدٍ عارف.

توفي في نيف وسبعين وألف، بالمدينة الشريفة، وبها توفي، وقبره الآن مشهورٌ يزار، بجانب قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وهو [ممن] أخذ عن أحمد بن عبد الأحد السرهندي.

[٨٤٥] جلون بن الحاج المجذوب الثاني.

ظهر بعد سيدي عبد الرحمن المجذوب، وعظم قدره، واشتهر ذكره

بفاس، أخذ عن السيد الحاج محمد الرامي التواني، توفي سنة سبع وثلاثين وألف، ودفن بباب الجَبْسة من فاس، وممن أخذ عنه: عالم المغرب الشيخ عبد القادر الفاسي، وغيره.

[٨٤٦] الجيلان بن أحمد هريرة، صاحب بيت عكاد.

من أعيان سادة تهامة اليمن، [كان] ولياً عارفاً، مشهور الذكر، رفيع القدر، له كراماتٌ مشهورة، ولما قرب موته، كان يقول: قرب لقاء الله، وقد اشتقنا إلى لقاء الله.

مات ـ نفع الله به ـ في العشر الأول من هذا القرن، ببلده بيت عكاد، بقرب بيت الفقيه بن حشير، المعروفة بالزيدية، وبُني عليه قبةٌ عظيمةٌ، وقد زرته ـ بحمد الله ـ، وأعقب ولداً صالحاً اسمه محمد، سكن المخا، ومات بها.

[٨٤٧] السيد الجيلان بن محمد.

كان إماماً عالماً، مدرساً ببيت بَرْخِل، من تهامة اليمن، وكان ينكر شرب القهوة، ويلوم عليه، وكان له تلميذٌ يشربها سِراً، فلما كان ذات يوم، نام إلى الفجر، فقام يفعل القهوة، وأبطأ على السيد، فأتاه، فوجد القهوة، فقال له: أتشرب القهوة؟ أما تخاف الله تعالى؟ فتاب التلميذ وتركها، ومضى مع شيخه، وبات بأسوأ حال، وأصبح مريضاً.

فرأى السيد في تلك الليلة رجلاً عنده تنور، عليه مقلاة يحمص بها البن، وينشر لحيته لدخان البن، فقال: من هذا؟ فقال له بعض الناس: هذا رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أتفعل هذا؟ وهل القهوة حلال؟ فقال: هي حلال، [فلما] أصبح، أتى تلميذه، وقال: يا فلان! صب لي قهوةً، فقال:

تركتها يا سيدي، قال: لا، هات لي قهوةً؛ فإنه كان من الأمر كذا وكذا، فحمد الله، وفعل للشيخ قهوة.

[٨٤٨] الشيخ جناح صاحب صنعاء.

كان من أصحاب السيد عبد المعطي الكاظمي، وكان من الصالحين الصابرين الصامتين، مات بصنعاء، وبُني عليه قبةٌ عظيمةٌ، وكان مشهوراً بأنه من النجباء ـ رحمه الله ـ، وكان أخبرني بعض أهل صنعاء: أنه توفي سنة خمس وثمانين وتسع مئة، ولكن أخبرني بعض المشايخ الذين أدركوه بصنعاء أنه توفي سنة ألف وواحد ـ رحمه الله ـ، وقد زرته، [و]لله الحمد بصنعاء ـ نفع الله به ـ.

[٨٤٩] جعفر باشا الوزير الخطيب[1].

كان من أكابر أهل العلم، نقلت من «تاريخ الإمام علي الطبري»، قال: سمعت من لفظ والدي ـ رحمه الله تعالى ـ، قال: تباحثت أنا وإياه في خمسة علوم: التفسير، والحديث، والمعاني، والبيان، والقراءات، فوجدته في كلٍّ منها كاملاً.

وذكر محمد بن كاني في «تاريخه»: أنه كان حاكم بلاد الحبشة، فأنعم عليه السلطان ببلاد اليمن، فوصل إلى بندر الصليف، من حدود اليمن، في تاسع عشر شهر ربيع الآخر، سنة ست عشرة بعد الألف، ودخل مدينة صنعاء، في رابع وعشرين شوال، من السنة المذكورة، وكان خليقاً بأن يقال:

---

(١) «الطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٥٠) (١٣٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٨٥).

ثلاثــةٌ تــشرق الــدنيا ببهجتهــا		الــشمسُ والبــدرُ المنيــرُ وجعفــرُ

لأنه جمع بين محاسن الخصال، ومراتب الكمال، وكان عالماً عاملاً، وفيه من الديانة والتهجد، خليقاً للملك، وكان يحب الفخر، وفيه من التيه شيءٌ لطيف، كانَ يزينه، ولا يشين حسنَ خلقه، ومن نظر إليـه في بعض مجلس أنسه، وكثرة انبساطه، ظن أن يعتريه الجذب، ولو أمن من سفك الدماء، في آخر مجيئـه إلى اليمن، لكان ممن ملك القلوب والأبدان، وهـو معذورٌ في هذا الأمر.

فلما وصل صنعاء، تصفح أحوال البلاد، فشاهد أنْ قـد تقـوى الإمام القاسم، بمساعدة أخيه عبد الرحيم بن المطهر، وذلك بسبب عزم سنان باشا، فاستحسن مصالحة الإمـام، فصالحـه يوم الاثنين حادي وعشري شهـر ذي الحجة، سنة ست عشرة وألف، على جهاتٍ معلومـةٍ، وهي بلاد الأهنوم، وبلاد عـدور، والعصيمات، ووادعـة، وبلاد برض، وشرط الإمـام خروج أولاده ومكالفه وأصحابـه من حصن كوكبـان، فأطلقهم الوزيـر المذكـور، وأحسن إليهم، وإلى ولده السيد محمد.

وتوجهت العساكر على عبد الرحيم، فأسره، وأرسله إلى العتبة العلية السلطانية، في شهر رمضان، سنة ثمان عشرة وألف، وواجه أخوه الأمير أحمد، والأمير محمد، فأكرمهمـا بسنجقين سلطانيين، وفتح بلاد حجة، والشرف وبلاده وحصونـه، وفتح بلاد نيوه، ووصاب، وشرع في نظام البلاد، وسار سيرةً رضية.

فوصلت الأخبار: أن ولاية اليمن قد توجهت من الأبواب العلية، إلى

آغاة الينكجرية، الوزير إبراهيم باشا، فخرج الوزير جعفر باشا قاصداً إلى الأبواب العلية، في حادي عشر شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين وعشرين وألف، ووصل الوزير إبراهيم باشا إلى بندر الصليف، في سلخ صفر، وخرج إلى البر في غرة ربيع الأول، سنة اثنتين وعشرين وألف.

فطلع من اليمن متوجهاً إلى صنعاء، فمال إليه الأمير عبدالله جلبي كيخية الوزير جعفر، وانضم إلى إبراهيم باشا، ولم يرع لولي نعمته حرمةً، ولا راقب فيه إلاً ولا ذمة، فعيَّن الوزير إبراهيم مع عبدالله جلبي عسكراً جراراً، وجعله سرداراً عليهم، وعلى من بصنعاء من العساكر، وأمره بالتقدم قبله إلى صنعاء، فتقدم الأمير المذكور إلى صنعاء، ونهض إبراهيم باشا إلى صنعاء، فوصل إلى ذمار وهو مريض، ثم نهض من ذمار، فلما وصل إلى «منقذة»، وهي على مرحلةٍ من ذمار، انتقل إلى رحمة الله تعالى.

وفي سبب موته أقاويل، وذلك يوم الاثنين، خامس وعشري جمادى الأولى، من السنة المذكورة، وقد كان الوزير جعفر وصل إلى «زبيد»، واستقر بها؛ لأجل تكميل مهمات يحتاج إليها في الطريق، فوصلت إليه الأخبار بموت الوزير إبراهيم باشا، فرجع قاصداً لصنعاء، لما أرسل إليه أعيان البلاد المجتمعين في مدينة ذمار، خارجاً عمن كان مع الأمير عبدالله جلبي؛ لأنه كان وزير السلطان، وأولى الناس بالولاية؛ لأجل الحفظ، حتى يرى السلطان في ذلك برأيه السديد، فلما بلغ الأمير عبدالله جلبي رجوع الوزير جعفر، ضاقت أنفاسه لجرأته، وضاقت عليه الأرض بما رحبت؛ لإساءته لولي نعمته، وأحاطت به الأوهام، وما أجدَرَه بقول من قال:

أسـاتَ إلـيَّ فاستوحـشتَ منـي   ولـو جَمَّلْـتَ آنـسَك الجميـلُ

فحينئذٍ اجتمع الذين أساؤوا إليه من الأمراء والجند، فتشاجروا، وتحاوروا على الخلاف، وكان الأمير عبدالله يعدهم ويمنِّيهم بالذي يوافق أهويتهم، فساعده بقية العسكر، وكان بينهم من ينكر فعلهم، وأظهروا الاستقلال بالأمر[1]، ولما وصل الأمير جعفر إلى ذمار، أرسل إليه كتاباً بالصفح والعفو، فتعذر بالعسكر الذين نصبوه كرهاً، وخوَّفه من الوصول، بل كان يلوِّح بالرجوع.

فلما ترددت الرسل، وما نفع، بل زاد ومن معه عدواناً، عين الوزير كيخية الأمير حيدر سرداراً على العسكر، والصفح عن الذين يرجعون من الضلالة إلى الهدى، فلما تراءى الجمعان، انخزل بعض العسكر الجنود إلى جانب السردار، وثبت بعضهم للقتال، فتقدم بمن معه عليهم، فهزمهم، ولما بلغ الأمير عبدالله هزيمة أعوانه، تحصن بحصن في صنعاء، فأرسل [الأمير حيدر] إلى الأمراء بالأمان، وآنسهم، فطلبوا الأمان، فأرسل لهم بالأمان، فخرجوا إلى حمرا علب، الأمراء والعسكر، فتقدموا إليه، وسلموا عليه، فحينئذٍ تقدم الجميع في الحال.

ودخل صنعاء على أحسن حال، وأنعمِ بال، فما وسع الأمير عبدالله إلا النزول إلى السردار، والوقوف بين يديه، ولما وصل الأمير عبدالله، شاهد السردار أشقياء العسكر يتزايدوا ويتناقصوا[2] في الكلام، فلأجل حسم مواد

---

(١) في الأصل بعد كلمة بالأمر زيادة: الأمير عبدالله جلبي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يتزايدون ويتناقصون.

الفتن، قطع رأس الأمير عبدالله، فسكنت الفتن، وخمدت نيران المحن، وذلك في أوائل شعبان، سنة اثنتين وعشرين وألف.

ووصل الوزير جعفر باشا بعده إلى صنعاء، وكان نزوله في البستان، الذي هو نزهة الحكام، قبال باب السَّبحَة، وهو أحد أبواب صنعاء في اليوم الرابع والعشرين من شعبان، من السنة المذكورة، وصام رمضان في قصر صنعاء، وتتبع من كان سبباً للفتن، وساعد الأمير عبدالله، فقطع دابرهم، وعفا عن بعضهم.

وكان الإمام القاسم قد غنم الفرصة مدة الفتنة، بين الوزير جعفر وبين الأمير عبدالله، فبسط يده على أكثر بلاد القبلة والمغارب، وتقوت شوكته، فجمع الوزير جعفر جيشاً عرمرماً، وعين كيخيته الأمير حيدر سرداراً عليهم، فتوجه، فظفر بالسيد الحسن ابن الإمام القاسم، في عرة الأشمور، فقبضه، وأرسله إلى الوزير جعفر باشا، فأودعه في دار الأدب.

ثم كانت الحرب بعد ذلك سجالاً، وفي آخر الأمر حصل الحرب الأكيد، فقتل من الجانبين عالمٌ كثير، وجمٌّ غفير، في أماكن متعددة، وبينت الحروب عن قتل السيد علي ابن الإمام القاسم، فكان سبباً لإطفاء نيران الحرب من الطرفين، وفي خلال ذلك وصلت الأخبار بأن ولاية اليمن قد توجهت من الأبواب العلية، إلى الوزير حاجي محمد باشا، فاختارا[1] الصلح؛ لاشتغالهما بأنفسهما، فانعقد الصلح بين الوزير جعفر باشا، وبين الإمام القاسم، بأن لكل واحدٍ منهما ما تحت يده من البلاد.

---

(١) في الأصل: فاختار، والصواب ما أثبت.

والخيار لمحمد باشا، فعند وصوله إلى صنعاء في تمام الصلح وعلمه، خرج الوزير جعفر باشا من صنعاء، متوجهاً إلى العتبة العلية، يوم تاسع وعشري شهر شعبان، سنة خمس وعشرين وألف، وكان أول دولته حربٌ ونصر، وأوسطها سلمٌ وراحةٌ ونعمةٌ لا تكاد تنسى بين الناس، وآخرها حربٌ وفتنة، ومحنةٌ وحقد. انتهى.

وقال النجم الغزي في «ذيله»: الوزير جعفر باشا نائب اليمن، دخل دمشق منفصلاً عن اليمن، بعد أن دخل مصر، وأقام بها مدةً، ثم سافر في البر، ودخل دمشق، يوم الخميس، رابع وعشري جمادى الأولى، سنة ست وعشرين بعد الألف.

واجتمعنا به في الميدان الأخضر، فوجدناه من أفراد الدهر، فصيحاً في العربية، عالماً بالتفسير والكلام، ومعرفة مذاهب الفرق، ويحسن الرد عليهم بالأدلة العقلية، عارفاً بالخلاف بين المذاهب، شديد التعصب على المعتزلة والروافض والزيدية، لا يمل من المباحث العلمية، ذائقاً حاذقاً، وسافر من دمشق إلى الروم، ثم عاد سنة سبع وعشرين، متولياً نيابة مصر، فتوجه إليها، فمات بها مطعوناً، سنة ثمان وعشرين بعد الألف.

[٨٥٠] جعفر أبو البحر بن محمد بن حسن بن علي بن ناصر بن عبد، الإمام الشهير بالخطي البحراني العبيدي، أحد بني عبد القيس بن شن بن قصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[1].

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٢٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٨٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٠٤) (١٨٧).

قال في «السلافة»: ناهجُ طرق البلاغة الفصاحة، الزاخر الباحة، الرحيب الساحة، البديع الأثر والعيان، الحكيم الشعر، الساحر البيان، ثقف بالبراعة قداحه، وأدار على المسامع كؤوسه وأقداحه، فأتى بكل مبتدعٍ مطرب، ومخترع في جنسه مغرب، ومع قرب عهده، فقد بلغ ديوان شعره من الشهرة المدى، وسار به من لا يسير مشمراً، وغنى به من لا يغني مغرداً.

وكان قد دخل الديار العجمية، فقطن منها بفارس، ولم يزل وهو لرياض الأدب جانٍ وغارس، حتى اختطفته أيدي المنون، فغرس بفناء الفنا، وخلد عرائس الفتوة، فكانت وفاته سنة ثمان وعشرين بعد الألف.

ولما دخل أصبهان، اجتمع بالشيخ بهاء الدين العاملي، وعرض عليه أدبه، فاقترح عليه معارضة قصيدته التي مطلعها:

سرى البرق من نجد فهيج تـذكاري ... عهوداً لجزوى والعذيبِ وذي قار

فعارضها بقصيدةٍ طنانةٍ مطلعها:

هي الدار تستسقيك مدمعَك الجاري ... فسقياً فخر الـدمع مـا كـان للـدار
ولا تستـضع دمعـاً تريـق مَـصونَه ... لعزَّتـه مـا بـين نـوءٍ وأحجـارِ
فأنت امرؤٌ بالأمس قد كنت جارها ... وللجار حقٌّ قد علمتَ على الجار
عشوتَ على اللذات فيها على سَناً ... سـنَاء شـموسٍ مـانعين وأقمـارِ
فأصبحتَ قد أنفقتَ أطيبَ ما مـضى ... من العمر فيها بـين عُـونٍ وأبكـار
نواصعُ بيضٌ لو أفضن على الرجا ... سناهُنَّ لاستغنى عن الأنجم الساري
خرائـدُ يبُـصرن الأصـولَ بأوجـهٍ ... تغـصُّ بـأمواهِ النـضارةِ أحـرارِ

معاطيرُ لم تغمس يـدٌ فـي لطيمـة ... لهـنَّ ولا اسـتعبقْنَ جونـةَ عطـارِ

أَبَخْتَـك ممنـوعَ الوصـول نـوازلاً ... على حكمِ نـادٍ كيـف شـاء وأمّارِ

إن ابـت تستـسقي الثغـور مدامـةً ... أتتـك فحيتْـكَ الخـدودُ بأزهـارِ

أموسـمَ لـذاتي وسـوقَ مـآربي ... ومَخْبـا لُبانـاتي ومنهـبَ أوطـاري

سقتك برغم المحل أخلافُ مزنـةٍ ... تلفُّ إذا جاشـت سـهولاً بأوعـار

وفـجٌ كمـا شـاء المجـالُ حـسوتُه ... بعزمـةِ عَـوَّادٍ علـى الهَـوْلِ كَـرَّارِ

تمـرَّسَ بالأسـفارِ حتـى تركتـه ... لدقتـه كالقِـدْحِ أرهنَـه البـاري

إلى ماجدٍ يغري[1] إذا انتسب الـورى ... إلـى معـشرٍ بـيضٍ أماجـدَ أخيـارِ

ومـضطلعٍ بالفـضل زُرَّ قميـصُه ... علـى كنـزِ آثـارٍ وعَيْبَـة أسـرارِ

سـميُّ النبـي المـصطفى وأمينـه ... على الدين في إيرادِ حكمٍ وإصدارِ

به قـام بعـدَ الميـلِ وانتـصبت بـه ... دعائمُ قد كانت على جُرُفٍ هـارِ

فلما أناخـتْ بـي علـى بـاب داره ... مطاياي لـم أَذْمُـمْ مَغَبَّـةَ أسـفاري

نزلـتُ بمغـشيِّ الـرواقينِ دارُه ... مثابــة طــوافٍ وكعبــةُ زوار

فكـانَ نزولـي إذ نزلـتُ بمغـدِقٍ ... على المجد فضلَ البر عارٍ مـن العـار

أَساغَ على رغم الحوادث مـشربي ... وأعذبَ وردَ العيشِ لي بعد إمـرار

وأنقذني من قبضة الـدهر بعـد مـا ... ألـحَّ بأنيـاب علـيَّ وأظفـارِ

جُهلت على معروف فضلي فلم يكن ... سواه من الأقوام يعـرفُ مقـداري

ولما انتهى إلى هذا البيت في الإنشاد، قال ـ وأشار إلى جماعةٍ من سادة

(١) كذا في الأصل، والصواب: يُعزى.

البحرين ـ: وهو لا يعرف مقدارك إن شاء الله.

على أنه لم يبق فيما أظنه — من الأرض شيء لم تطبّقه أخباري
ولا غرو فالإكسيرُ أكبرُ شهرةً — وما زال من جهل به تحت أستاري
متى بلّ لي كفٌّ فليس بآسف — على درهمٍ إن لم ينلْه ودينارِ
فيا بنَ الألى أثنى الوصيُّ عليهم — بما ليس تثني وجهه يد إنكار
بصفين إذ لم يلف من أوليائه — وقد عض نابٌ للوغى غيرَ فرارِ
وأبصر منهم جِنَّ حربٍ تهافتوا — على الموت إسراعَ الفراش على النار
سراعاً إلى داعي الحروب يرونَها — على شربها الأعمارَ موردَ أعمار
أطاروا غمودَ البيض واتكلوا على — مفارقِ قومٍ فارقوا الحقَّ كفارِ
وأرسَوْا وقد لاثوا على الركب الجثي — بروكاً لهديٍ أبركوه لجزار
فقال وقد طابت هنالك نفسُه — رضًى وأقرُّوا عينه أيَّ إقرار
فلو كنت بواباً على باب جنة — كما أفصحتْ عنه صحيحاتُ آثارِ

يشير إلى همدان، وهي قبيلةٌ من اليمن، ينتهي إليهم نسب الممدوح، وكانوا قد أبلوا يوم صفين بلاءً حسناً، فروي: أنهم في بعض أيامها حين استحَرَّ القتل، ورأوا فرارَ الناس، عمدوا إلى غمود سيوفهم فكسروها، وعقلوا أنفسهم بعمائمهم، وجَثَوا للركب، وبركوا للقتل، فقال فيهم أمير المؤمنين ﷺ:

لهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يزينها — وباسٌ إذا لاقوا وحسنُ كلام
فلو كنت بواباً على باب جنةٍ — لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلام

وقال فيهم يوم الجمل: لو تمت عدتهم ألفاً، لعُبد الله حقَّ عبادته.

وكان إذا رآهم، تمثل بقول الشاعر:

ناديتُ همدانَ والأبوابُ مغلقةٌ ومثلُ همدان سنى فتحة البابِ
كالهندوانيِّ لم تفلَلْ مضاربهُ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجَّابِ

ذكره ابن عبد ربه في «العقد»، وهمدان: ـ بسكون الميم، وبعدها دالٌ مهملةٌ ـ، وأما هَمَذان ـ بفتح الميم والذال المعجمة ـ، فبلدٌ من بلاد العجم، وهي أول عراق العجم، وإليها ينسب بديع الزمان الهمذاني، صاحب «المقامات»، التي اقتفى الحريري أثره فيها، وتمام القصيدة موجودٌ في ديوان صاحب الترجمة، وقد قرظ له عليها الشيخ بهاء الدين تقريظاً حسناً، ذكره في «السلافة».

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

عاطِنيها قبلَ ابتسام الصباح فهي تُغنيك عن سما المصباحِ
أنت تدري أن المدامة نارٌ فاقتدحْها بالصبِّ في الأقداحِ
فهي تمحو بضوئها صبغةَ الليـ ـل فيغدو وجه الدُّجى وهو صاحي
وإذا ما أحاط بي وفدُهم مهدياً لي طرائفَ الأتراحِ
فأسِلْها ورديةً كدم الكبـ ـشِ أسالته مديةُ الذبَّاحِ
فهي تُقْصي إمَّا دَنَتْ واردَ الهمْـ ـمِ وتُدني شواردَ الأفراح
ألحفت في السؤال هل من فكاكٍ لأسيرٍ ما إن له من براحِ
مزجوها فقيدوها فلو تتـ ـرك صِرفاً طارتْ بغير جناحِ

يا خليلي ولا أرى لي من النا　　سِ خليلاً إلا فتًى غيرَ صاحِ
يتلقى عذلَ العذولِ بهيها　　تَ ويحثو في أوجُهِ النصَّاحِ
ألِفَ الراحَ فهو بين اغتباقٍ　　لا ينادي وليدَه واصطباحِ
رُحْ على الراح بي فليس على الأجـ　　ـسام غيبٌ في السعي للأرواح
واسقِنيها صرفاً فللنّارُ أنات　　جانباً عن وصالِ ماءٍ قراحِ
خيرُ ما يُشرب المدام عليه　　وجهُ خَوْدٍ من الحسانِ رداحِ
ذاتُ قَدٍّ تُثني الغصونُ عليها　　حين يهفو بها نسيمُ الصباح
فوقه طرةٌ تظل محيًّا　　جائلاً ماؤه مضيّ النواحي
فهي من نور وجهها وظلامِ الشـ　　ـعرِ في حَالتَيْ مَسًا وصباحِ
وثغورٍ يُخَلْنَ في بارد الظَّلْـ　　ـمِ حَبابًا يطفو على وجهِ راحِ
ما ترى الدهر كيف رقَّتْ لياليـ　　ـه فشفَّت عن أوجهِ الأفراحِ

[٨٥١] جعفر بن المطهر بن محمد الجرموزي الحسني[(١)].

السيد المبرز في حلبة البيان على أقرانه، وأديب اليمن وشاعره في أوانه، وفارس سوابق المعاني المسفرة الغرر، ومعدن جواهر الألفاظ المنسقة الدرر، غزير النظم العزيز، في اللفظ الوجيز، هبَّ نسيمُ نظمه، فعطر بذكاه المغارب والمشارق، وتزينت بفوائده سطور المهارق، وفخرت بشنوفه الأسماع على تيجان المفارق، مع فضل لا يشق له غبار، وتبحُّر في العلم لا يُدَرك له قرار.

(١) «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٤٧٥) (٤١)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٣).

ولما قدمت المخا، عام أربعة وتسعين وألف، واجتمعت بصنوه السيد العلامة الحسن بن المطهر أمير المخا، أنشدني له أشعاراً، **منها قوله**:

تمايلـت أغـصانُ بـان النقـا فأشـبهتْ أعطـافَ أحبـابي

ومـذْ صَبا قلبـي صبا حـاجبي إيهًـا علـى الـصاحب والـصابي

وقوله:

بـي أحمـرُ الوجنـة مـشروطُها لَـدْنُ التثنـي نـاعسُ المقلتـينِ

لـو لـم تكـنْ جفنـاه مكـسورةً مـا جعلـوا تحتهـا خَفْـضَتينِ

قوله:

عـاتبتُهم حـين حـالَ ودُّهُـمُ عنـد انعكـاس الزمـان ممتحنـا

قـالوا فمـن ذا تـراه لـم يـكُ يسـ ـتحيل بالانعكـاس قلـتُ أنـا

وفيه لطيفةٌ لا تخفى.

وكتبت إليه وأنا بالمخا، عند سماعي لأخباره، أن يكتب لي نبذةً من أشعاره، كتاباً افتتحته بقصيدةٍ، وهي:

يـا نـسمةً كـالعنبري عـن سـاقِ جـدِّكِ شَـمِّري

هبـي مـن أعلـى مكـةٍ بالليـل حتـى تُـسفري

وتـوجَّهي نحـو الحطيـ ـمِ وزمـزمِ والمـشعَرِ

والبيـتِ والأركـانِ مـع ذاك المقـامِ الأفخـرِ

والمـروتين ولَعْلَـعِ وحِـرا وثـورِ النَّيِّـرِ

واســـري[1] إلـــى أن تبلغـــي بلـــدَ النبـــيِّ الأطهـــرِ
فتطيَّبـــي مـــن طيـــب ذيـــ ـــيَاكِ الثَّـــرى وتعطَّـــري
وقِفـــي هنالـــك ســـاعةً فـــي روضـــةٍ والمنبـــرِ
ثـــم ارجعـــي وَهْنـــاً علـــى أكتـــافِ أرضِ المَحْـــشَرِ
القـــدسِ والطُّـــورِ البهـــيِّ وصـــخرةِ المتكبـــرِ
جـــادَ الإلـــهُ ربوعَهـــا صـــوبَ الـــسحاب الممطـــرِ
ورعـــى هنالـــك ســـادةً لـــسواهُم لـــم أَذكـــرِ
بلـــدِ الكلـــيم ورُسْـــلِ ربـــي والخليـــلِ الأكبـــرِ
فتبركـــي بحمـــاهُم ويتـــربهم فتعفَّـــري
ويكـــربلاءَ فعرِّجـــي واســـري[2] بروضـــات الغـــري
وطُفـــي المـــشاهدَ كلَّهـــا وعلـــى الكناســـةِ فـــاعبُري
ثـــم اقـــصدي وادي دمـــشـ ـــقَ ومائِـــه المتحـــدِّرِ
والغوطـــةِ الفيحـــا ومـــا ءِ النَّيـــرين الكـــوثري
هـــي جنـــةُ الـــدنيا ومـــا وى كـــلِّ أغيـــدَ أحـــورِ
وعُجـــي علـــى مـــصرٍ ومـــا فـــي نيلهـــا المتكـــدِّرِ
والروضـــةِ الغنـــاء مـــع مقياسِـــها الإســـكندري
ويـــديعِها والمـــشتهى وجبينِهـــا والأزهـــرِ

(١) في الأصل: وسرى، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: وسرى، والصواب ما أثبت.

أرضِ الخلاعـــــة والــــصَّبا	مجـــرى الجيـــادِ الــــضُّمَّرِ
ســـقيًا لهــــا مـــن بلــــدةٍ	فـــي حـــسنها لـــم تـــسهرِ
فيهــــا أصــــيحابٌ لنــــا	غُــــرٌّ كــــرامُ المعــــشرِ
واللهِ مــــــذ فــــــارقتُهم	فارقـــتُ حـــسنَ تَـــصَبُّري
بـــاللهِ يـــا نـــشرَ الــصَّبا	إلا ســــريتِ كمـــا تـــري
حتـــى تُـــوافي أرضَ قحــــ	ــــطانِ ومغنـــى حِمْيَـــرِ
حيـــثُ الخورنَـــقُ والـــسدير	ـــرُ وتُبَّـــع ذي المغفـــرِ
فخـــذي طريـــقَ تهامـــةٍ	واســــتنجدي واســـتخبري
الـــصادقَ الحبـــرَ الرضـــي	الطـــاهرَ بـــنَ مطهـــرِ
الطيـــبَ الأصـــلِ الـــذي	يُنْمـــى لحـــضرةِ حيـــدرِ
صـــنوِ النبـــيِّ وصيِّـــه	الفــــارسِ المتبختــــرِ
فهـــو الكـــريمُ بـــنُ الكريــــ	ــــمِ أو الـــسريُّ بـــنُ الـــسرِّي
خلـــقٌ كمـــا شـــاء الكمـــا	لُ ورقَّـــةٌ لـــم تُنْكَـــرِ
وتواضُـــعٌ مـــع عِـــزَّةٍ	وإذا ســـطا كَغَـــضَنْفَرِ
ومناقــــبٌ عَلَويــــةٌ	مـــن عـــدّها لـــم تبـــدرِ
وفـــضائلٌ وفواضـــلٌ	لمحلّـــقٍ ومقـــصِّرِ
ومعـــارفٌ وعـــوارفٌ	لمعـــرّفٍ ومنكّـــرِ
وعلـــومُ آلِ محمـــدٍ	جُمعـــتْ لـــه بتبحُّـــرِ
قـــلْ مـــا تـــشا مـــن مدِحـــه	لـــذرى عـــلاهُ وقـــررِ

إذ قــــد متعنــــا بــــسيدٍ ملـــكٍ جليـــلِ المنظـــرِ
ثـــم ابلغيــــه تحيــــةً منـــي إليـــه وكَـــرِّري
بتــــأدُّبٍ وتواضـــــعٍ وتـــــذلُّلٍ وتحقُّـــــرِ
وتخـــــضُّع لمقامِــــهِ يـــا ريـــح لا تتكبَّـــري
وصــفي لــه شــوقي علــى ســمعي وإن لــم أُبــصرِ
فـــالأذنُ تعـــشقُ بالـــسما ع لطيـــبِ حـــسنِ المخبـــرِ
ثـــم اشـــرحي حـــالي لــــه وعلـــى لـــساني فـــاخبري
قـــولي لــــه يـــا ســـيداً قـــد حـــار فيـــكَ تفكُّـــري
لمـــا اجتمعـــتُ بـــصنوِكم الـــسيدِ المتبـــــصِّرِ
المنتقـــى الحـــسن الـــذي أوصــــافُه لـــم تُخـــصَرِ
يفنـــى الزمــــان وفــــضلُه وأبيـــكِ بـــاقٍ فاشـــكرِ
جمــــعَ الفـــضائلَ كلَّهــــا فعلـــى ســــواهُ فكبِّـــرِ
وكـــذاك إســـماعيلُ مـــن يـــسمو بحـــسنِ تـــدبُّرِ
وجمالــــــةٍ وجلالـــــةٍ ومهابـــــةٍ وتـــــوقُّرِ
ولطافـــــةٍ وشـــــهامةٍ وتعفـــــفٍ وتطهُّـــــرِ
وتـــــذاكر أخبـــــارَكم فبقيـــــتُ كالمتحيِّـــــرِ
وثملـــتُ مـــن شـــعرٍ لكـــم عـــذبٍ رحيـــقٍ مـــسكِرِ
رقَّ انـــسجامًا فهـــو فـــي ألفاظِــــه كالـــــسكَّرِ
بحــــلاوةٍ وطــــلاوةٍ وملاحــــةٍ وتحبُّــــرِ

وغريـــبِ معنًـــى رائـــقٍ ... بـــــسهولةٍ وتيـــسُّرِ

قطـعٌ هـــي الـــسحرُ الحـــلا ... لُ بـــل النظـــامُ الجـــوهري

فحبيـــبُ أضـــحى عـــاجزًا ... عـــن مثلِهـــا والبحتـــري

وابـــنُ الحـــسينِ مقـــصِّرٌ ... عـــن شـــأوِها وكـــذا الـــسَّري

لـــم أســـتمعْ مـــثلاً لهـــا ... فـــي حـــسنِها لـــم أُبـــصر

فاســـمعْ فـــديتك مهجتـــي ... لعُبيـــدِ رقٌّ أصـــغرِ

بالوصـــلِ مـــن أشـــعاركم ... لا زلـــتَ غيـــرَ مكـــدَّرِ

فـــأبو القـــصيدةِ مـــصطفى ... للفـــضلِ أفخـــرُ مـــشتري

خُـــذْها إليـــك غريبـــةً ... يـــا بـــنَ المُطَهَّـــرِ واعـــذرِ

بكـــرًا بنيّـــةَ ليلـــةٍ ... مـــن نـــازحٍ لـــم يحقـــرِ

مـــصحوبةً بمحبـــةٍ ... فـــي القلـــب لـــم تتغيـــرِ

لا تهملَـــنَّ جوابَهـــا ... مـــن تحـــتِ ســـبعةِ أبحُـــرِ

وعـــسى الإلـــهُ يجـــود لـــي ... بلقـــاكَ فـــي ذي الأشـــهرِ

فـــي مكـــةَ الغـــراءِ جمـــ ... ـــعِ والحجـــيجِ الأكبـــرِ

وأُنـــزِّه الأحـــداقَ فـــي ... بـــستانِ فـــضلِك الاخـــضرِ

وأقـــولُ شـــكرًا يـــا زمـــا ... نُ فـــذمتي لـــم تَخْفِـــرِ

واســـلمْ ودمْ فـــي عـــزةٍ ... تعلـــو عـــلاءَ المـــشتري

مـــا غـــردَتْ وُرْقٌ علـــى ... أفنـــانِ روضٍ مزهـــرِ

ثـــم ابلغـــنَّ تحيتـــي ... أولادكـــم مـــع معـــشرِ

وذويكـــــمُ وصــــــحابكمْ بـــل كـــلَّ ظبـــيٍ جـــؤذري

فأجابني بقوله:

إن كنـــتَ ممـــن يمتـــــري فـــي الحـــبّ فاعـــشق تعـــذر[1]

[٨٥٢] الجنيد بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن أحمد بن موسى بن محمد بن علي بن أبي بكر بن موسى بن عمر النهاري، أخو المولى المشهور محمد بن عمر، بنته حفصة تزوجها أبو بكر بن موسى، فالذرية منه، وعمر هو ابن موسى بن محمد بن علي بن يوسف بن بهاء بن موسى بن عمر بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ النهاري.

السيد الجليل، كان على قدمٍ كاملٍ من العبادة والزهد، توفي تاسع شهر ربيع الأول، عصر الأحد، سنة ست وستين وألف، وقبر في رباط النهاري، قريباً من قرية جده محمد بن عمر النهاري، المشهور بقمر الصالحين - نفع الله به -.

[٨٥٣] الأمير جوهر برهان نظام شاهي[2].

ذكره شيخنا السيد محمد الشلي في «تاريخه»، فقال: الموفق بتوفيق الله وعنايته، المسدّد بحفظ الله ورعايته، طهر الله من الأغيار باطنَ سريرته، وفتح بنور الإيمان عينَ بصيرته، واشتهر في الأمصار بحسن سيرته، جُلب إلى الديار

(١) جاء في الحاشية: «ذُكر في الهامش: يُكتب من المجموعة، وتُرك صفحتان بياض».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٦).

الهندية وهو صغير، مع أخٍ له، فاشتراهما السلطان العادل برهان نظام شاه، ثم حفظ القرآن وغيره، ثم سلِّم إلى من يعلمه الفروسية، واللعب بالسيف والرمح والسهام، إلى أن مهر في ذلك، ثم ترقى إلى أن صار أميراً على مئة فارس.

وكان شافعي المذهب، وسمع الحديث من جماعةٍ كثيرين، وقرأ كتباً كثيرةً، وصحب المشايخ، ولازم صحبة الشيخ الإمام السيد شيخ بن عبدالله العيدروس، وألبسه خرقة التصوف، وحكمه، واجتمعت به في رحلتي إلى الهند، وعرفت فضله ودرجته في العلم ومحله، فأقمت برهةً أرتع في رياض فضائله، وأكرع من حياض نمير وابله.

وقرأ عليَّ في الفقه والنحو والحديث، وشملني بإحسانه الكثير الوافر، وعضدني ببره وجميله المتواتر، وكان له من العبادة والتهجد، والقيام والصيام، والأوراد والأذكار، وكثرة التلاوة، شيءٌ كثير، لا يفتر ساعةً عن تلاوةٍ أو ذكر، أو صلاةٍ على النبي ﷺ، وهي أكثر أوراده، وخشوعه وخضوعه في عبادته يعد من حسناته، وكان له مطالعةٌ في كتب الرقائق.

وكان كثير الاعتقاد فيمن ثبت عنده صلاحه من السادة والعلماء والصلحاء، ومن شدة عقيدته في السادة: أنه إذا شاهد ما يكره منهم، حمل نفسه على قصور الفهم، ويقول: لعل هذا مما يخفى حاله في هذا العالم، فحملُ حاله على الصلاح أسلمُ.

وكان له بشاشة وجهٍ تَسرّ القلوب، وطلاقة محيًا تفرج الكروب، وتغفر للدهر ما جناه من الذنوب، وكان شهماً شجاعاً، ذا سياسةٍ للرعايا، يتلطف

بالعبيد والخدام، ويتفضل عليهم بأنواع الإكرام، وكانت أيامه كلها أيام خير، كأنها أعراس، وكان كثير الغزو والجهاد، لقتال أهل الكفر والفساد، وما قيل له قط يوماً في فعل خير فامتنع منه، بل يبادر إليه، ومن خلاله الجميلة: أنه كان يعرف حق الصحبة، ولا يتغير على أصحابه، ولا يضجر منهم، وهم عنده في حظوة.

ثم رماه الدهر بسهمه الصائب، وصيّره غرضاً للمصائب، فأصابه مرضٌ طال به، حتى أفسد مزاجه، واستمر به، ثم لم يلبث أن فارق محل مملكته المعمور، وتوجه إلى بلاد «بيجافور»، من أرض الهند، إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة ست وخمسين بعد الألف، ودفن بمقبرة السادة والعرب، تحت المدينة، واعتنى السادة بتجهيزه؛ من غسله والصلاة عليه، وإدخاله القبر، والقراءة عليه، وكان له مشهدٌ عظيمٌ ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ، وخلف ولدين صغيرين، وأُقيما مقام أبيهما، وقُررا في محله.

[٨٥٤] جعفر بن علي الوَدِّي الحنبلي المصري.

الشيخ الصالح المشهور بجميل الاعتقاد، وعظيم الحرمة والبركة، كانت له مشاركةٌ في فنون عديدة، وكان من حسن السمت بمكان مكين، متقدماً في علم الميقات، ومداخلِ الشهور والسنين، وله مؤلفاتٌ فيه شهيرة، وكان شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي يشير إليه في هذه الأمور، ويعتمد عليه في مداخل الشهور.

قرأ في بدايته في الفقه على منصور البهوتي الحنبلي، وأخذ جملةً من علوم الحديث وغيره عن النور علي الأجهوري، والشمس محمد الشوبري،

وسلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، وأحمد العجمي، وعمموا له الإجازة، وقدم الحرمين سنة تسع وثمانين وألف، وجاور بالمدينة، ورجع إلى مصر، وأقام بها، إلى أن مات في نيف وتسعين وألف ـ رحمه الله ـ، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومكاتباتٌ عديدة.

[٨٥٥] جعفر بن المطهر الجرموزي الحسني[١].

سيدٌ عقد لبيته في نجم السمـاء أسمى طنب، واستملح نظمـه في كل ناظرٍ، على أنه في الأسماع قد عزب، أكرم بني مطهر، الذين لا يمس صحفَ مجدِهم إلا المطهرون، وأفصحُهم لساناً، فإن سجع، أورقت أقلامه، فتلذ الأسجاع البديعة فوق الغصون.

كانت جهة العُدَين تتيه به على حبلة، وتعز، وتفترض لذة الافتخار بدولته على سائر البلاد وتهتز، أيام ألقيت إليه بها الإمارة، وظهر عليها من الابتهاج الأمارة، وما زال جيدها به حالياً، ومورد معتنيه به خالياً، وساعاته مفوفة[٢] بالفضائل والفواضل تفويف المطارف، ومقسمة بين إفاضة العوارف ودراسة المعازف، وأيامه مواسم وأعياد، ومقاماتـه يرتج وصفُها بابَ وصف الفتح لمقامات ابن عباد.

حتى أصابت كمالَ حسن تلك الجهة عينُ الإحن، وصرف عنها وهو ذو العدل والمعرفة وذلك من لحن الزمن، ولما استبان بها صرفه، وغفل عن

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٩٧) (٢٢١)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٤١)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٤٧٥) (٤١).

(٢) في الأصل: لفوفة، والصواب ما أثبت.

حراستها طرفه، ثل عرش الخلافـة المهدية، وهوى نجمها، ووهى ركنها، وطمس من صحف الوجوه رسمها، وهبت من الفتن ريح ذات إعصار، وجرى من الأرض ما لم يجـر في سالـف الأعصار، وبث في ساحاتها عقارب كل خطبٍ مريب.

وما زال وَبْلُ الفتن ونبلُها يَصوب ويُصيب، ويقي معتزلاً في داره، رافلاً من النعيم في حلل هي منتهى أوطاره، لم تمح منه ديباجة الملك، ولم تنحط من فلك عزه إلى الفلك، وكانت «مذيخرة» غاية مآربـه، ونهاية مطلبه، كم له بها من قصر زاحم السماءَ بالمناكب، وجعلها على رأسه تاجاً مرصعاً بلآلىء الكواكب، وحفّت به رياض التفّ فيها أزرق النهر، وأشرقت أجياد غصونها في حلبة الزهر.

أخبرني أخي الصدر الرئيس شهاب الدين أحمد: أنه لما عزل عن إمارة العُدين، بأخيه ضياء الدين إسماعيل، وكان عزله أعزّ له وأحمد، عزم عليه في العزم معه إلى العُدين، لمودةٍ له شد عليها باليدين، فلما ألقاهم إليه الإرقال والوجيف، تلقاهم في موكبٍ عظيم، وأنزلهم من أنسه في ظلٍّ وريف.

ولما ارتحل إلى مذيخرة، كتب إليه أبياتاً يستدعيه بها، كأنما هي عقود الدر، اقترن بها إليه، وهي:

يـا أحـمَ دعـوة ذي ودٍّ تكنفـه ... شوقٌ إليـك وتـوقٌ لـيس ينحـصرُ
يهـوى لقـاءك مـشتاقٌ ويزعجُـه ... إليك يـا أحمـدَ الأنفـاسُ والفِكَـرُ
في روضة كلَّمـا غَنّـى الهـزار بهـا ... وصفَّق النهرُ مالت بالنُّهى الـصدر
صِلِ افضلِ اقبل تعال اسعد فما حَسُنت ... إلا بطلعتـك الغـراءِ يـا قمـرُ

فكتب إليه الجواب مع ذلك البريد، بنظمٍ يسحر بالجوهر الثمين، والدر الفريد:

هذي الدراريُّ حقًّا أم هي الـدررُ ... وهذه الزهرُ قل لي أم هـي الزُّهـر
وهـذه الروضـةُ الغنـاءُ باكَرهـا ... صوبُ الحيا أم تمشَّى فوقها الخَضِرُ
أم ذي طلاسمُ من سحر البيان أتتْ ... في نظم ملـكٍ لـه الأمـلاك تـأتمرُ
قد جاءني منـه يـدعوني إليـه ومـا ... سـواه قَـطُّ بـه مـا عـشتُ أفتخـرُ
فقلت سـمعاً لأمـرٍ منـك شَـرَّفني ... وطاعةً لك يـا مـن سَـيْبُه البِــدَرُ

ولما كان من الغـد، رحل إليـه هـو وأخوه السيد صفي الدين أحمد، والشمس قد توسطت الظهيرة، وألقت من أشعتها الضفيرة، ثم سترت محياها بنصفٍ من الغيم رقيق، وذر كافـور الرذاذ على بحـار الشقيق، ولما طمرت الغزالة في كناس غربها، وصارت كمقلة عليها التهويم، فغارت في غربها، وصاروا من مذيخرة الفؤاد، ومنشد القـول المعتمد بالله محمد بن إسماعيل ابن عباد:

أهلاً بكم صَحِبتكم نحـويَ الـدِّيَمُ ... إن كان لم يـنجح لـي بكـم حلـمُ
حُثُّـوا المطايـا ولـو لـيلاً بمجهلـة ... فلن تضلُّوا ومن بشرى لكـم علـمُ
لأنتمُ القـومُ إن خَطُّـوا يجـدْ قلـمٌ ... وإن يقولوا يُصِبْ فصْلَ الخطاب فمُ
لا عيَّ إن رقموا كتبًـا ولا حـصرًا ... إن يبتـدون ولا جـورًا إذا حكمـوا
هذا فـؤاديَ قـد طـار الـسرورُ بـه ... إن كنـت تنقُلـك الوخَّـادة الرُّسُـمُ

ثم أنزلهم في ذلك القصر، وقد كاد خدامه أن يقوموا لهم على الرؤوس،

وأمر بإسراج الشموع فيه، فكأنها منه بها مطلع الشموس، والعنبر الأشهب ينفخ في مجامر اللجين، وقد أعدّ لهم ما تشتهيه الأنفس، وتلذ به العين، فباتوا يتوعكون في غرفه، ويتنقلون فيها تنقل البدر في منازل شرفه، لم يقف لهم من السرور طرف، ولم يربهم من الشرور هجومُ صرف.

ولبثوا عنده أسبوعاً ممنوحين ما تتوق به النفس، وتلتذ به الحواس الخمس، وخيلُ الأفراح مقيمةٌ لهم في طرادها، وأماني الأرواح معطيةٌ لهم من قيادها.

ومن نظمه الذي تحكيه غمزات الجفون الوُطْف، وتماثله إشارات البنان الذي لا يكاد ينعقد من اللطف، ويضاهيه السحر، إلا أنه خال عن تعقيد العاقد، ويشبه الدر، إلا أن بعض الدر فرائد: **قوله**:

يا صاحبيَّ حمامةُ الـ ... ـوادي أصاحت لي غراما
غنت فغنت مغرماً ... فيهم وَهَى جسمي وهاما
فقِفا سلامًا نبتغي ... في سجعها قالت سلاما

وفي هذا البيت إبهام التوكيد، من أنواع البديع، وهي من المحسنات التي شأوها رفيع، اخترعه العلامة زين الدين بن الظفر، فأتى بما هو دليلٌ على أنه بكل بديعةٍ مظفر، واستشهد عليه بقوله:

تعشقت أحوى لي إليه وسائلُ ... وإصلاحُ أحوالي لديه لديه
أمرُّ به مستعطفاً متلطفاً ... فينقل تسليمي عليه عليه

ومن بديع شواهده: قول فخر الدين بن مكانس:

نعـــــم نعـــــم محَّـــــضتهم صـــــدقَ الـــــولاء تطـــــوُّلا
ومـــــا رَعَـــــوا عهـــــدًا ولا مـــــــــــــــــــــــــودةً ولا ولا

وهو ما استشهد بـه عليه العلامة الشهاب الخفاجي، فكشف بصبحه المنير ليل الإشكال الداجي، لكنه قال: وزعم ابن الوردي أنه من مخترعاته العديمة الأشباه، وهي في القرآن كثير؛ كقوله تعالى: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[الأنعام: ١٢٤]، ولعمري! لقد مال عن الجـادة المستقيمة؛ إذ لا جامع بين ما استشهد به من الشعر، وبين الآية الكريمة.

فإن ابن مكانس أتى في شعره بكلمةٍ لا، ثم كررها معطوفةً على الأولى بواو العطف، فصارت: ولا، ثم أتى بكلمةٍ أخرى بلا فاصل مثلها في اللفظ، وفي أولها واوٌ أصليةٌ، وهي: ولاء: اسم من الموالاة، التي هي ضد المعاداة، فكأن الكلمة الأولى مع واو العطف قبلها مع الكلمة الأخرى جناسٌ مركب.

ومع ذلك، فإنه قد يصح اشتراكهما في اللفظ والمعنى، وذلك إذا جعلت الواو التي للعطف في الكلمة الأولى أصليـةً، فتصير الكلمة الأخرى مؤكدةً للأولى، وإذا جعلت الواو الأصليـة التي في الكلمـة الأخرى للعطف، مثل الواو التي في الكلمة الأولى، فيصيران كلمتين مكررتين، اكتفي بهما عن كلام لم يذكر؛ لوجود القرينة الدالة عليه، وحينئذٍ يمتنع التأكيد؛ لفصل الواو بينهما؛ لأنه لا يفصل بين المؤكد والمؤكد؛ لشدة اتصال كل منهما بالآخـر، فإيهام التوكيد حاصلٌ في الكلمة الأخرى؛ لصلاحيتها للتوكيد، إذا لاحظنا أصالة الواو فيها، وفي الواو التي قبلها، وعدم صلاحيتها للتوكيد، إذا لاحظنا عدم أصالة الواو فيها، وأنها حرف عطف.

وهذا ليس في الآية الكريمة، ولا في قول ابن الوردي، وإن كان فيه التكرار الموهم لإيهام التوكيد، فقول ابن مكانس هو الأليق بإيهام التوكيد؛ فإنه رقي منه أوجه، وغدا بما اشتمل عليه من المحاسن والإبداع في الصنعة، أشرف من النيرين وأوجه.

ولا يخفى اختلاف الإعراب في الآية الكريمة التي استشهد بها الخفاجي، وأنسب منها قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[التوبة: ١٠٨]، لاتفاق الإعراب، كما هو في أبيات ابن الوردي، وفوق كل ذي علمٍ عليم، ومنه قولي:

يا من أطعت حبهم ... مخالفا معنِّفي
لله في محافظ ... على الولا وفي وفي

قولي:

وبديع الطوق له صدحُ ... في الدوح يثير به الحُرَقا
أبدى منا فرقا فرقا ... غُصْناً لَدْنا ورَقا ورَقا

وقولي:

لله غزالٌ واصلني ... سَحَرًا فملئت به جَذَلا
وأبان عواذله فجلا ... كربًا مني وحَلا وحَلا

وقولي:

ما أول بعدك عن كلِفٍ ... بالصدِّ إذا ما أوله
فارحمْه وصِلْه فإن له ... بك فرطَ هوًى وله وله

وقولي:

إذا لم يكن يا غصنُ وصلٌ فإنني سأقنع بالأوراق منك على كَمَدْ
فقدْ فقدَ الطرفُ القريح منامَه وقد وهن القلب الجريح وقَدْ وقَدْ

ولصاحب الترجمة:

أقسمتُ بثغرك إنَّ له معنًى يصطاد به المُهَجا
ما شام له فلحاً فلحَا فيه أحدٌ فرجًا فرجا

ومن شعر صاحب الترجمة وقد دخل الحمام هو وصديق له، فاتفق أن تولى خدمة الصديق رجل ألحى، فلما أخذ في خدمته، تساقط العرق منها، فقال مرتجلاً:

خُويدم الحمام ذو لحية مثالُها في الطول لا يشهرُ
قلنا وقد بَلَّلَنا ماؤها ما ذاك إلا عارضٌ ممطرُ

انتهى. نقلته من «طوق الصادح المفصل بجواهر البيان الواضح» للشيخ الفاضل العلامة يوسف بن علي بن الهادي الكوكباني ـ سلمه الله تعالى ـ[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».




حَرْفُ الحَاءِ المُهْمَلَة

[٨٥٦] السيد حاتم بن أحمد بن موسى الأهدل الحسيني[١].

السيد السند، الشريف الأمجد، المحقق الباهر المبجل، العارف بالله الأكمل، قطب دائرة المشرق، وعماد بيت المجد العالي المشرق، وبحر العرفان الخضم، وصدر المكارم الذي جمع شملها وضَمّ، سالك مسالك الشريعة والحقيقة، ومالك ممالك الفضل الذي أظهر حقه وتحقيقه.

ذو الكرامات الظاهرة، والمقامات السامية الباهرة، الجامع بين الفرع والأصل، والعارف بمواقع الفضل والوصل، المتحلي من حلى الأدب بما أبان تفضيله، والحائز من محاسنه ما تحكم له شواهده بالسبق، وتقضي له إن نثر ماء زهر الربيع، يختال في وشيه الربيع[٢]، أو ترسَّل إلى النظم وتوصَّل، فما عقد الثريا يتعرض بعرض أبناء الوشاح المفصل.

رحل إلى كثيرٍ من البلدان؛ لطلب العلوم والعرفان، وأقام مدةً بالحرمين

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٩٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٤١) (٢٣٥).

(٢) كذا في الأصل.

الشريفين، ونال خير الدارين، ولما أراد الله تعالى بأهل المخا خيراً، أطلعه في أفقه بدراً منيراً، وقدر له أن توطن هذا الثغر الشهير، وصار له فيه الشأن العظيم الكبير، والشأوى التي تجل عن التعظيم، فزانت به البلاد، وافتخرت به العباد، كما قال بعضهم:

تأهبت بكم أرض المخا وتجملت ... فالبنـدر المحـروس زهـواً يرفـل
لمـا طلعـتَ بأفقـه مـتهللاً ... أمـسى وبـاتَ بنـوره يتهلَّـلُ

وكان يدخل المخا في أيامه السعيدة، مراكبُ عديدة، من البنادر البعيدة، وكل من حل عليه نظره، تبدلت أحوالُه السيئة المعهودة، بصفاتٍ محمودة، وحكي أنه قال: ولاّني النبي ﷺ هذه البلاد، وهذا القطر.

وقصده الناس من البلاد، من كل ناد، وأذّن بفضله كل مناد، واهتدى به جمٌّ غفير، وتخرج به جمعٌ كثير، منهم: ولي الله بلا نزاع، وأحد الإمامين بالإجماع، السيد محمد بن علي باسعـد، والشيخ نور الدين علي ابن الفقيه عبـد الرحمن الجازاني، والشيخ عبد الوهاب بن فتح الله الهندي، وغيرهم ممن صاروا كالنجوم، يهتدى بهم في المعارف والعلوم.

وقد أفرد ترجمته السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس، في كتابٍ سماه: «الدر الباسم من أرض السيد حاتم».

وبالجملة: فكل أحوالـه ﷺ، وأقوالـه وإشاراته وأفعاله، له كراماتٌ ظاهرة، وآياتٌ باهرة.

وحُكي: أن السلطان في بعض السنين جدد السكة، وكان بعض السادة من أهل زبيد، رأس ماله كله من الدراهم القديمة، فتضرر لذلك جداً، وشكا

حاله على[1] السيد حاتم، فدله على بعض الأولياء بزبيد، فذهب إليه، فقال له: السيد حاتم أقدر مني على قضاء حاجتك، ولكن اذهب إلى المكان الفلاني، تجد شخصاً في المسجد، فذهب ووجد الشخص، وقال له: ادخل حتى تجد في المحل الفلاني رجلاً يخرز النعال القديمة، فدخل ووجده كذلك، وعنده إناء فيه ماءٌ متغير الرائحة من النعال التي يخرزها، فجعل الخراز يجر الخرز بقوةٍ؛ لكي يلحقه الرشاش فينفر عنه، فأدخل الرجل يده في الماء المتغير، ورش على نفسه، فعرف الخراز أنه لابدّ له منه، فأخذ الجراب الذي فيه الدراهم، وجلس عليه ساعةً، ثم أعطاه إياه، فإذا هو على السكة الجديدة، ثم قال له: الرجل الذي لقيته بالمسجد هو الخضر ـ عليه السلام ـ، وجعل يقول: فضحوني، ومات بعد ثلاثة أيام ـ نفعنا الله بالجميع ـ.

[٨٥٧] السيد حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن علي الأهدل الحسيني[2].

قد أفرد ترجمته السيد الجليل عبد القادر بن شيخ العيدروس، في كتابٍ سماه: «الزهر الباسم من روض الستاذ حاتم»، وهو مجلدٌ حافلٌ في نحو أربعين كراساً، فمما نقلته منه ملخصاً:

إنه قطب الوجود، وإمام أهل الشهود، والإنسان الكامل، والخير الذي

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إلى.

(٢) كرر المصنف رحمه الله تعالى الترجمة، وزاد في أخبار المترجم له.

غـدا للكل شامل، أبـو الأرواح، وشيخ الأشياخ، صاحب المخـا، وأخـو الحاتمي، وسَمِيُّ حليف السخا، وفارس ميدان هذا الشأن، وترجمان الحقيقة بالدليل والبرهان، العارف بغوامض الحقائق، الجامع للطائف أسرار الدقائق، الدال بالقول والفعل على الله، والناصر بسيف الحجة لدين الله، المعرب عن مغيبـات الأسرار، المغرب بلدنيات الأخبار، مظهر الصفات الأزلية، مهبط الرحمات الأبدية.

كان من آيات الله الكبرى، وأعجوبة الزمان الذي بهر الورى، ليس له نظيرٌ في أحواله وأقواله ومقاماته، وكانت له يدٌ طولى في جميع العلوم، لكن غلب عليه علم التصوف، فكان ابنَ عربي في زمانه، وبونيَّ أوانه، بل أبا[1] يزيد عصره، وجنيدَ دهره، لم ير مثل نفسه، ولا رأى الراؤون مثله في كماله وبراعته.

جمع بين علم الشريعة والحقيقة، وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة، وكانت لـه أحوال فاخرة، وكراماتٌ باهرة، ظهرت بركات أنفاسه على خلقٍ كثيرٍ من العصاة، فتابوا وأنابـوا إلى الله تعالى، ووصل به خلقٌ إلى الله ﷻ، وصار له أصحابٌ وأتباعٌ كالنجوم.

وكان ﷺ متضلعـاً من العلوم الظاهـرة، جامعـاً لفنونهـا؛ من تفسيرٍ وحديثٍ، ونحوٍ وأصول، وفقهٍ وآداب، ومعانٍ وبيان، وبديعٍ وشعر، وعلم التعبير، وعلم الطب، وكانت جميع هذه العلوم قد صارت له بها ملكة، فكان لا يراجع كتاباً، ولا يُرى يطالع في كتـاب، وإذا سُئل، أجاب على البديهة

---

(١) في الأصل: أبو، والصواب ما أثبت.

بما يحير الألباب، وأتى من ذلك بالعجب العجاب، حتى كان جميع الكتب؛ من الحديث والأصول، والفروع والرقائق، على طرف لسانه نقل مسطرة.

وكان بعض أئمة العلوم والمعارف، ممن أفنى عمره في كسب العلوم الدينية والمعارف الربانية يقول: والله! لا ندري من أين هذا الكلام الذي نسمعه من هذا الأستاذ؟ ولا نعلم له أصلاً يؤخذ منه، ولولا أن العلم يسدّ باب النبوة، لاستدلينا بما نسمعه منه على نبوته.

وقال بعض أهل عصره مادحاً له:

إذ ما ذكرنا الأكرمين فإنه هو الكوثر الفياضُ والعارفُ النَّدِي

ومهما مدحْنا الصالحين فحاتمٌ به نختم الذكرَ الجميل ونبتدي

وسمعت الأديب أحمد بن رضي الدين القازاني المكي ـ رحمه الله ـ، وكان شاعراً مفلقاً يقول: ما كنت أحسن نظم الموشح والحميني، وغيرهما من أنواع الشعر، حتى لقيت الأستاذ حاتم ـ نفع الله به ـ، فاستفدت منه أشياء في ذلك، وكلامه ـ نفع الله به ـ نظماً ونثراً يدل على كثرة اطلاعه على العلوم، وتبحره فيها، مع ما خصه الله به من جودة الفهم، وحسن الحفظ، وحلاوة العبارة، وحسن الأداء والتقرير، مع كون ما يلقيه من ذلك كله في ألفاظه مخترعة، بالغة في الفصاحة والبلاغة، والجزالة والإيضاح، إلى الغاية التي ليس وراءها ـ مع كون أكثرها أو جميعها مسجعاً مقفًّى، معرباً ـ موضوعاً في محله الذي لا يرى أولى به.

ولم يحفظ له أحدٌ هفوةً من ألفاظه؛ من جهة إعراب أو تصريف، أو تقديم أو تأخير، أو غير ذلك من هفوات الألسنة، في تقرير العلوم.

وقال محمد الدهدار ـ رحمه الله ـ، وكان من أهل العلم والعقل، ولقي كثيراً من الشيوخ: ما رأت عيناي مثل الأستاذ حاتم الأهدل ـ قدس الله روحه ـ؛ فإنه لم يكن له نظيرٌ في التصوف والحقائق.

وحكى الشيخ عبد الوهاب، قال: جاءت إلى الشيخ الكبير، والعلم الشهير، سراج الدين عمر بن عبدالله العيدروس ـ نفع الله به ـ أسئلةٌ في التصوف، فأرسلها إلى الأستاذ حاتم، وكان منفرداً في عصره، بعلم الأسماء والحروف، والتكسير والأعداد، بل وعلم الصناعة، حتى قيل: إنه يعرف الاسم الأعظم، والحجر الكريم.

ومع كون علم الأسماء علماً شريفاً، غامضاً دقيقاً، بل كادت العقول الكاملة أن لا تهتدي إليه، إلا بمحض الكشف، كان الأستاذ لا يفتح لأصحابه باب التعلق به، بل ربما أشار لهم إلى الإعراض عن تعلمه، والتعلق به، وإنما كان يأمرهم بملاحظة أقواله وأحواله وأخلاقه، والاقتداء به في جميعها، نظير ما كان النبي ﷺ يأمر به أصحابه، وذلك لكمال متابعته النبي ﷺ، وعظيم شفقته على أصحابه.

وأما زهده في الدنيا، فيستدل على الزهد في الدنيا، بالزهد في الرياسة، ويستدل على الزهد في الرياسة، بالزهد في الاجتماع، حتى إنّ الوزير الكبير حسن باشا طلب منه أن يقدم عليه، فامتنع من ذلك، ومن زهده: أنه لم يكن له معلوم، ومنه: أنه خرج من الدنيا، وما وضع حجراً على حجر، ولا اتخذ بستاناً، ولا استفتح سبباً من أسباب الدنيا، ولا خلف وراءه رزقاً، مع أن الزهد وصفٌ من أوصاف القلوب.

وأما توكله على الخالق، ورفضه...[1].

[٨٥٨] حسام الدين العشاقي.

كان من قصبة «عشاق» في بلاد الروم، صحب الشيخ بيكيت باشا مدةً، إلى أن صار من جملة خلفائه، ثم لقي رجلاً شريفاً، ومرشداً كاملاً من السياحين، وكمل عليه الطريقة، وصار مجازاً بالإرشاد، فتوطن بلدة «معنيا»، واشتغل بإرشاد الطالبين، واشتهر اسمه، واعتقده الناس.

ويقال: إن السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان العثماني، لما كان والياً ببلده المذكور، قبل التسلطن، ومعلمه المولى سعد الدين كانا مريدين ومعتقدين له، فلما تسلطن، جاء معهما إلى دار السلطنة، وسكن بها مدةً، ثم حج بإعانة السلطان، ورجع، فلما قرب إلى قسطنطينية، ونزل بمنزل يقال له: محار نال، توفي به، فأتوا بجنازته إليها، ودفن بقاسم باشا، وذلك في سنة اثنتين بعد الألف تقريباً.

[٨٥٩] حسن بن أحمد ابن الشيخ إبراهيم المصري، المعروف بالكلشني.

كان من أحفاد الشيخ إبراهيم الكلشني[2].

[٨٦٠] حسن بن أحمد إبراهيم باشعيب الحضرمي[3].

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «رفضه» بياضٌ صفحتان».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران ونصف بياض».

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٤).

الشيخ الإمام، العالم العامل، الزاهد الموصوف، العابد الذي عُلا فضله معروف، كان قدوة في القول والعمل، وإماماً ينيل من أمّه غاية الأمل، أخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم، وتخرج به، وصحب جماعةً من أكابر العارفين، واشتغل بالعلوم الشرعية، حتى حصل منها طرفاً صالحاً.

وحج، وأخذ بالحرمين الشريفين عن الشيخ أبي بكر الشامي الجبامي، وقـرأ عليـه في الفقـه وغيـره، ثم رجع إلى بلده، وانتهت إليه رياسة العلوم والمعارف في بلده، وكان بها كهفاً للوافدين، وأخذ عنه جمعٌ كثير، منهم: الشيخ زين العابدين العيدروس، وأخوه شيخ، وابن أخيه سقاف، والسيد أبو بكر بن أحمد الشلي، والسيد محمد بن علوي، والسيد عبد الرحمن المعلم.

وصنف كتباً مفيدةً، منها: كتاب «سرور السرائر وفسحة الأرواح وراحة القلوب وترويح النفـوس والأشباح في سالك أسباب الربح والفلاح»، وهو كتابٌ مفيدٌ جداً، وكتابه «حقيقة زبد لبن الشريعة بحركة محض سلوك الطريقة»، قال: ووسمته بهذا الاسم؛ ليكون اسمه دالاً على مسماه، وعنوانه على مقتضى معناه، وكتاب «عافية الباطن وسلامة الدين والصدق الصحيح بنفي كل مين ورين»، وهو شرح الأبيات التي أولها:

الحمـد لله الـذي كَـوَّنَ الكـون وقَـــطُّ لا يـــشبهه كـــون

وشرح قصيدة السودي التي أولها:

غريـــب أمطـــرت بـــلادك إلـــى كـم ســيكون قعــادك

سماه: «التعرض للنفحات الفيضية للحضرة القدسية في شرح القصيدة السودية»، و«شرح قصيدة السودي» ـ أيضًا ـ التي مطلعها:

وكان حلو العبارة، لطيف الإشارة، توفي - رحمه الله - سنة ثلاثين بعد الألف، بالعزية الشهيرة بالواسطة، من أعمال حضرموت، وقبره بها معروفٌ يزار.

[٨٦١] حسن أبـو البقـاء بن علي بن يحيى بن عمر العجيمي المكي الحنفي[١].

شيخنا جامع الفنون العلمية النافعة، والمقدَّم فيها على أقرانه، والحائز قصبَ السبق في حفظ نفائس الفوائد الغريبة الشريفة في زمانه، وممن جمع الله له بين العلم والعمل، والعقل الرصين، ومزيد المعرفة والتمكين، والفصاحة والحفظ العجيب، وقوة الفهم، والاستحضار الغريب، وله القدمُ الراسخة في علوم الحقيقـة والتربيـة، وسلوك الطريقة، ومعرفةٌ جيدةٌ لكلام المحققين؛ كالشيخ الأكبر محيي الدين.

وُلد سنة تسع وأربعين - بتقديم التاء - بعد الألف، كذا أخبرني من لفظه، وذكر أنه وجده بخط والده بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وعدةَ متون، وأخذ عن أكابر علمائها؛ كالشيخ زين العابدين الطبري، وعلي بن الجمال، وعبدالله ابن سعيد باقشيـر، والسيد صادق، وحنيف الدين المرشدي، وحافظ العصر محمد البابلي.

وأخذ بالمدينة عن سلطان العارفين في زمانـه، وختمِ عصرِه وأوانـه،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٤٤٣) (٨٥١)، «هدية العـارفين» (١/ ٢٩٤)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٨٨٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٥).

أحمدَ القشاشي، وتلقن منـه الذكر، ولبس الخرقة، وأخذ عنه علوماً جمةً، ورباه وأحسن تربيته، وأخذ عن جمـعٍ من الوافدين إلى مكة، منهم: الشيخ العلامة عيسى بن محمد الجعفري المغربي المالكي، لازمه كثيراً، وبه تخرج.

ومنهم: محمد بن محمـد العيثاوي الدمشقي، وعبد القادر بن أحمد الغصين الغزي، ومحمد بن محمـد بن أبي بكر الدلائي المغربي، وعبدالله العياشي المغربي، وأجازه جل شيوخه.

وكتب إليه بالإجازة غالبُ مشايخ الأقطـار الإسلاميـة؛ كالشيخ أحمد العجيل اليمني، وهو من المعمّرين، وشيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وعبد القادر الصفوري الدمشقي، والسيد محمد بن كمال الدين نقيب الأشراف بدمشق، وعالم المغرب عبد القادر بن محمد الفاسي.

وشيوخـه الـذين أخـذ عنهم، وأجازوه كثيـرون، لا يحصرهم عَـدّ، ولا يحيط بهم حَدّ، وله اعتناءٌ تامٌّ بأسانيد الشيوخ الأعلام، وجلس للتدريس في جميع العلوم بالمسجد الحرام، وانتفع بـه جماعـةٌ من الفضلاء العظام؛ كالشيخ الفاضل علي المـزجـاجي، وسليمان حنون، وتاج الدين الدهـان، الحنفيـين المكيين، والشيـخ الفـاضل أحمـد بن محمـد بن علي المـدرس المدني، وغيرهم.

قرأت عليه ـ حفظه الله ـ كثيراً، وانتفعت به، واستفدت منه أشياء كثيرةً، لم أستفدها من أحـدٍ من المكيين، ومما قرأته عليه: طرفٌ من «إحياء علوم الدين» للغزالي، ومن «قوت القلوب» مدونـة التصوف لأبي طالب المكي، وجميع «الأمر المحكم المربوط فيما يلزم طالبي طريق الله من الشروط» للشيخ

الأكبر، وطرفاً من «موطأ مالك»، وجميع «شرح إيساغوجي» لشيخ الإسلام، وغالب شرحه للمحقق الشمس الفناري، وجملةً كافيةً من «الشرح المختصر على تلخيص المفتاح» للسعد التفتازاني، وغير ذلك مما يطول ذكره، وأجازني بمروياته، بإجازةٍ كتبها لي بخطه الشريف ـ سلمه الله ـ.

توفي ـ رحمه الله ـ ظهر يوم الجمعة، ثالث شوال، سنة ألف ومئة وثلاث عشرة بالطائف، ودفن بقرب تربة ابن عباس ﷺ.

[٨٦٢] حسن البدوي المحلي البصير.

الشيخ الإمام العالم الكبير، والقطب العارف الشهير، المجمَع على ولايته، وفضله وجلالته، وتمييزه بالكرامات الكثيرة الخارقة على أقرانه، من أهل زمانه، حتى قال تلميذه العلامة علي المحلي: لو جُمعت كراماته، لكانت مجلداً ضخماً.

اشتغل في بدايته بالعلم، وأخذ عن النور الزيادي، وغيره من علماء وقته، ولازم الشيخ العارف بالله عز الدين السمنودي، وأخذ عنه الطريق، وانتفع به، وكان الشيخ يحبه، ويشير إليه كثيراً، ويقول في حقه: لم يقع لنا إلا ذلفوط، وهو باصطلاح أهل مصر نوع من السمك يقال له: القرموط.

أخبرني به شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي، ثم اشتهر حاله، وظهرت بركاته، وكان ملازماً لتلاوة القرآن آناء الليل، وأطراف النهار، مواظباً للجماعة، متقيداً بالأوراد والأذكار، وأخذ عنه العلم كثير من أكابر شيوخ العصر، وانتفعوا به، ومنهم: شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي، لازمه مدةً مديدة، وكان في ابتداء طلبه عليه يمس بدنه، ويقول له: يا أحمد!

أضلاعك ملآنـة من العلم، وقـد حقق الله لشيخنا ذلك ببركاتـه، وهـذا من كراماته.

ومنها: ما أخبرني به صاحبنا الفاضل محمـد النبلاوي الدمياطي: أن رجلاً كان له ولدٌ ليس له غيره، فمرض مرضاً شديداً، أشرف فيه على الموت، فأتى إليه، وقال: يا سيدي! إن ولدي في غايـة المرض، وأنا واقعٌ عليك، فتوسَّلْ إلى الله أن يعافيه، فقال له: هات خمسة قروش، فتوقف الرجل عن دفعها له، فقال له: ما يرضيك هذا العبد يكون فداه، وثمنه خمسون قرشاً؟ وكان عبدٌ للشيخ ـ نفع الله به ـ واقفاً بين يديه، فدفعها له، فقال الشيخ للعبد: اذهب للبيت نام، فلما وصل للبيت، نام، فمرض فمات، وعوفي الولد.

ومنها: أن رجلاً كان له ولدٌ، ففقد أربع سنين، وهو لا يعلم لـه خبراً ولا أثراً، فأتى والده إليه، وقال: يا سيدي! إن ولدي فقـد منذ أربع سنين، وأخبره بخبره، فقال له: قم افعل لنا بسيسة، وتجتمع بولدك في هذا اليوم، وكان الشيخ محمود القباني تلميذه من أكابر العلماء حاضراً، فخطر له في سره أن قال: إن هذه مجازفةٌ من الشيخ، في قوله: تجتمع بولدك في هذا اليوم.

فذهب الرجل، وأتى بالسييسة، وقدمها للشيخ، فنادى الشيخ الجماعة الحاضرين يأكلوا معه، وقال للشيخ محمود: إن أكلت منها، مرضت سنةً، فما تجرأ أن يأكل؛ لعلمه بحاله، وعرف أن الشيخ اطلع على سره، فلما فرغ هو والجماعة من الأكل، قال لوالده: اذهب إلى مسجد الطريني الكبير، وهو مسجد في بلدة المحلة، كان غالب جلوس الشيخ ـ نفع الله به ـ فيه، تجد ولدك ببابه، فذهب الرجل كما أمره الشيخ، فوجده كما قال ـ نفع الله به ـ، فحصل

لوالده دهشة لما رآه من الفرح والسرور الذي حصل لـه، وقال لـه: من أين جئت؟ فقال: ما شعرت بنفسي إلا هنا، وكان في بلد أخرى، ثم أخبره بخبره.

ومنها: أن الشيخ العلامـة محمد الشبيتي الدمياطي أخبره: أن والدته محتضرةً للموت، وكانت في نفس الأمر كذلك، فقال له: هات نصف قرش، واذهب للبيت تجدها تتغدى، فأعطاه إياه، وذهب فوجدها جالسةً تأكل، وقد أفاقت.

وكان من خبره ـ نفع الله به ـ مع الشيخ عز الدين: أنه كان جالساً عنده مع جماعةٍ من تلامذته كثيرين، فدخل عليهم رجلٌ مجذوب، فبمجرد دخوله عليهم، ونظرهم إليه، بال جميع من بمجلس الشيخ دماً، فذكروا ذلك للشيخ، فأطرق رأسه، وظهر عليه الغضب والتغير، فما كانت لحظةٌ إلا والمجذوب يصيح بأعلى صوته وهـو خارجٌ: قتلني عز الدين، قتلني عز الدين، ويكرر ذلك، حتى وصل إلى مكانه، فمات بمجرد وصوله إليه.

وصحب الشيخ العارف بالله عبدالله الخلفي السمنودي، وكان بينه وبينه مودةٌ أكيـدة، وكان دائماً يهـدي لـه عسل النحل، ويقول الشيخ حسن: إني ما أكلت قـط أحسنَ من عسل الشيخ عبدالله، وكان الشيخ عبدالله من أكابر الأولياء.

أخبرني شيخنا أحمد البشبيشي ـ حفظه الله تعالى ـ: أنه كان بينه وبين والده مودةٌ كبيرةٌ، فاتفق أن الشيخ أتى ليلةً، ونام عندهم، فقال له: يا شيخ عبدالله! قم بنا نشرف على الجُـرن، وكان لـه جرن فول؛ فإن مرادنا نكيله، وكان عادته يأتي دائماً معهم نحو أربعين إردباً، فلما جلس يكيله، جلس الشيخ عبدالله على الجرن، وكان معـه رجلٌ آخر، فبلغ نحـو مئـة وعشرين إردباً،

فتعجبوا من ذلك، وقالوا للشيخ عبدالله: بركته يا شيخ عبدالله، فقام حينئذٍ، وعرفوا أنها من كراماته ـ نفع الله به ـ.

ومنها: . . .[1].

[٨٦٣] حسن بن أحمد بن إلياس بن أبي سعيد المكناسي المالكي[2].

مولده بمكناسة الزيتون، سنة اثنتين وخمسين وألف، قرأ على محمد ابن أحمد الفاسي، نزيل مكناس، وحضر دروس سيدي عبد القادر الفاسي وكثيرين، وقدم مصر سنة أربع وسبعين وألف، وحج، واجتمع على سيدنا السيد عبد الرحمن المكناسي، وحضر دروس شيخنا علي الشبراملسي، ومنصور الطوخي، وأحمد البشبيشي، ويحيى الشاوي، قرأ عليه غالب كتاب «التسهيل».

وله «منظومةٌ لطيفةٌ في العقائد» وقفت على كثيرٍ منها، وهو من أعز خلاني وأحبابي، وممن اختصصت به أيام شبابي، وكان فاضلاً نحريراً، له مهارةٌ في علم الكلام والأصول والعربية، ومشاركةٌ في العلوم كلية، وكان يحفظ كتب الإمام السنوسي، ويستحضر غالبها، ويحفظ «منظومة ابن ذكرى» في علم الكلام، ويستشهد بها في مجالسه الكلامية، وكان حسن الخط، بقاعدة المغاربة جيدة؛ بحيث يضرب بخطه المثل في الحسن.

وكان يغلب عليه السوداء والخمول، وأقام مدةً بمصر، بخلوة بالظاهرية، التي بين القصرين، لا يشرئب إلى الدنيا وزينتها، ولا يعبأ بما تُلهى به السلالة

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٢) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٩).

من طينتهـا، وكان عفيفـاً فقيراً، لا تأخذه في الله لومة لائم، قوي البحث، لا يكاد أحد يجاريه في بحث.

وكان يبحث على قواعد الجدليين، مع شدة الحلم، وعدم الغضب، ولو استغضب، مع شدة حدته، وطالما تمتعت بخطابه، واكتسبت من آدابه، وكان ـ رحمـه الله تعالى ـ لا يفارقني، في غالـب الأيام، حتى توجهت إلى بلد الله الحرام، وبلغني انتقاله إلى رحمة الله ورضوانه بالقاهرة غريباً، في شهر ربيع الثاني، سنة إحدى ومئة وألف، فشق ذلك عليّ، وهذا مصير كل حَيٍّ.

[٨٦٤] السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال.

كان مبرزاً في الفنون على أنواعها، وهو من أهل بيتٍ كبيـر، ومنهم: العلامة صلاح بن الجلال، صاحب «تكملة الشفـا»، ومن مؤلفـات السيـد الحسن شرحٌ على «الفصول» سماه: «نظام الفصول»، وشرحٌ على «الأزهار» سماه: «ضوء النهار»، و«شرح تهذيـب المنطق»، وهـو أحظاهـا، و«شرح الحاجبية»، و«شرح مختصر المنتهى»، و«شرح شرح مقدمة البحر»، وحاشيةٌ على «الكشاف» سماها: «منح الألطاف».

[٨٦٥] القـاضي الحســن بن أحمـد بن صالح اليـوسفي الجمـالي، المعروف بالحَيْمي[١].

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢٩) (٢٣١)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٩١) (١٥٤)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٥٥٦) (٥١)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٩٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٨٢).

قال ابن أبي الرجال: كان من علية أبناء الزمان، وحيداً في صفات الفضل، منقطع القرين في كل فضيلة، يعد في الحكام، بل هو الحري بقول أبي الطيب:

قاضٍ إذا التبسَ الأمرانِ عنّ له رأيٌ يفرق بين الماء واللبنِ

وهو من العلماء الجلَّة، محقق في الفقه والعربية، وله إشراف على أيام العرب كليٌّ وعلى الأمثال، حتى كان يأتي على أمثال «المستقصى» غيباً، وكان عالماً بالحديث، وكان من أعيان أصحاب المؤيد بالله محمد بن أبي القاسم، وجعله سفيراً إليه إلى السيد أحمد بن الحسن أيام نفوذه إلى جهة يافع، فأحسن القاضي السفارة، وحمد أثره، وانتظمت به الأمور.

وأما الإمام المتوكل على الله، فكان القاضي أحد أساطين الدولة من الكفاة، والناهضين في الوزارة والمشورة، وهو السابق في هذا المضمار، وهو من أبرع الكتاب في حضرته، وله مع ذلك ولايات وأمور منوطة به نحو أقاليم الحَيْمة، وكانت أعمال كوكبان تصدر وتورد عن رأيه.

ومع هذه الكلف، كان صدره أوسع من الدهنا، وعظائم الأمور لا تغير له ذهناً، لأصحابه منه الحظ الأوفر من الأدبيات، والملاطفات الإخوانيات، والتدريس في العلوم على أكمل وجه، وكان مظهره مظهر أمير، وقلبه قلب مسكين خاشع فقير، ولا ينبئك مثل خبير، وله في النظم يد طولى، وسابقة أولى، وبالجملة: فما من فضيلة يحتاج أهلها إلى شيوخها عند مهماتهم إلا وهو في ذلك بغية الطالب.

ووجَّهه الإمام المتوكل على الله إلى جهة حضرموت لما اتفقت الفرقة

بين السلاطين إلى كثير منهم ممن تخلف على رسوم رسمت عليه، فقدمه الإمام يفتقد معالم من هو قدم الصدق من السلاطين، ومن نكث، لمن السداد منهم، ويزيل المناكر، ويظهر من المعالم، ويقرر من القضاة من رضيه، ففعل، وكان فتحاً مبيناً، ومقدمة لنزول الجنود المتوكلية تحت لواء السيد أحمد بن الحسن بن القاسم.

ووجهه الإمام ـ أيضاً ـ إلى مدينة «دنبيا» من أعمال الحبشة إلى سلطانها سَجَّد، وذلك أن السلطان أرسل مراسلة أطمع في نفسه، وأفهم أنه قابل للحق، فسارع الإمام إلى إرساله، فتوجه من بندر المخا نصف شعبان سنة سبع وخمسين وألف، ونفذه في طائفة من المسلمين نحو خمسين رجلاً، ثم توجه، فلبث في الطريق مدة مجموعها من وقت شخوصه إلى دخوله محل السلطان تسعة أشهر.

ولقي في الطريق أهوالاً جساماً ولكن الله سبحانه تولاه بحياطته، ولما وصل إلى السلطان، كان ذلك اليوم يوم عيد النصارى، فتقدم القاضي، وكان قد أظهر السلطان بشارته وأبهته، وجميع أمراء دولته وكبار مملكته، فدخل القاضي لا بساً شعار الإسلام من الثياب البيض، وكان معه من الفقهاء جماعة، فعظم وصوله، وكان السلطان...[1] مريد ما فهموه، إنما قصده مراسلة الملوك، وأنه يرسل للإمام طالباً إصلاح طريق من أطراف الحبشة مما يسامت «المخا» إلى «دنبيا».

فلما استقر القاضي، أراد السلطان أن يخلع عليه، فوجه إليه بخلعة من

---

(١) بياضٌ في الأصل قدر كلمة.

الحرير الخالص، وسوارين من الذهب الخالص، فقال القاضي: هذا لا يحل في شريعتنا، وإنا ـ ولله الحمد ـ من حملة العلم المحمدي، فما أخالف، وقد كان النصارى أغضبوا قبل هذا على عالم لهم يسمى: الأيون بلسانهم، وكل عالم يكون بذلك المنصب يسمونـه: الأيون، فعابـوا عليه أشياء، ففعلوا به أموراً شنيعة، فقال لهم القاضي لما لم يرضوا عنه: ألستم عبتم على الأيون مخالفـة الشريعـة العيسويـة؟ قالوا: نعم، قال: وهـذه إن فعلتهـا في الملة المحمدية هفوة أخاف أن لا أجد الإقالة فيها.

فسأل السلطان رجلاً سيداً بخارياً عن هذا الأمر، فقال: الأمر كما قال القاضي، هو محرم في شريعة محمد ﷺ، فقال لـه السلطان: ما بالك أنت تلبس الحرير؟ فقال: أما أنا، فوجدتكم على هذه الحالة، فتركت ديني، فأعفاه السلطان عن لبس ذلك حينئـذ، ولكن بعد هذا تلقى القاضي هدية السلطان بالقبول، وجعله موئلاً لأولاده وبناته، واستطاب ذلك السلطان، منه وصار مجللاً معظماً.

ثم إن القاضي طلب السلطان في إيابه إلى الديار الإسلامية، فتثاقل عنه، فتوسل بوزير من الوزراء، قال القاضي: هو أعقل من رأيت منهم، فقال: في غد نجمعك بالسلطان، وتستأذنه في السفر، فأذن له، فأخذ الوزير في أهبة توجيه القاضي، فوجهه بعد مدة، وكان مجموع إقامته عند السلطان نحو ثلاث سنين، ووجه معه السلطان وزيراً لضيافته، ووصل القاضي إلى «شهارة»، فلقيه الإمام بالطبول، وعظمه كثيراً.

ثم لم يزل في الحضرة المتوكلية تارة، وفي منزلـه «شبـام» لمهمـات لا يقـوم بها غيره، وقد صنف مؤلفاً مشتملاً على أحوال هذه الرحلة، وفيها

عجائب وغرائب، ومن أعجب ما أكتبه هنا: ما أخبرني به الثقة: أن في إقليم الحبشة سحائب تمطر النار، ليس لها وابل غير النار، فتقع على البلد فتهلكه، وسحائبها معروفة، وهي لاتزال على ذلك، ولا تستغرب أهل الحبشة أمرها.

ومن شعره أيام إقامته هنالك:

على كلِّ سعيٍ في الصلاح ثوابُ وكلُّ اجتهاد في الرشاد صوابُ
وليس على الإنسان إذ ذاك عابةٌ ودون مداها للعيون حجابُ
ولو علم الساعون غايةَ أمرهم لما كان شخصٌ بالشرور يصابُ
فقل لأمير المؤمنين لقد دعا وحُقَّ له بعد الدعاء يجابُ
ولكن دعا قلب يظنون أنهم رموا غرضاً في دينهم فأصابوا
تراءى لهم لمعٌ فهم يحسبونه[1] شراباً فأضحى ذاك وهو سرابُ
يقولون إن الله جل جلاله هو الروح عيسى إن ذا لعجابُ
وحسّاً وقالوا بالأقانيم فريةً فيحصرها ضبطٌ لهم وحسابُ
وقالوا هي الربُّ الثلاثةُ كلُّها بذالك[2] أفتتْ فرقةٌ وأجابوا
ولكن يقولون الثلاثةُ واحدٌ وهُوَ لتكميل الإلهِ نصابُ
وهذا ضلالٌ بينٌ وجهالة تَفَطَّرُ منه الصمُّ وهي صلابُ
عَذيريَ من دينٍ خسيسٍ فما لهُ نكالٌ وخزيٌ دائمٌ وعذابُ
لقد ضاق ذَرْعي [في] احتباسي بأرضهم وكُدِّرَ مني مطعمٌ وشرابُ

---

(١) في الأصل: يحسبون، ولا يستقيم معه الوزن.

(٢) في الأصل: بذاك، ولا يستقيم معه الوزن.

وحـبّ أوطـاني إلـيّ بـأن لـي ... بهـا جيـرةً طـاب الزمـانُ وطـابوا
وللعـدلِ والتوحيـدِ فيهـا مـسارحٌ ... وربـع منيـعٌ شـامخٌ وجنـابُ
فهل لي إلى تلك المنـازلِ عـودةٌ ... وهـل لـي إليهـا مرجـعٌ ومـآبُ
وهـل أرِدَنْ للـشرع مـوردَه الـذي ... يـدلُّ عليـه سـنةٌ وكتـابُ
وهل أسمعَنْ صوت المنادي بجمعةٍ ... ينـادي بـأعلى صـوته فيُجـابُ
وهل أنظرُ الدارَ التي ضُـربت لهـا ... مـدارسُ علـمٍ حولهـا وقبـابُ
فإن لم تكنْ يا دهر عتبـي فطالمـا ... عتبـتُ فلـم ينفـع لـديك عتـابُ
ولكننـي أقفـو مقالـة شـاعر ... فـالقول[1] حكـمٌ بـالغٌ ولبـابُ
إلـى الله أشـكو أنني فـي منـازل ... تَحَكَّـمُ فـي آسـادهِنَّ كـلابُ
تمرُّ[2] الليالي ليس للنفـع موضـعٌ ... لـدي ولا للمُعْتَفـينَ جنـابُ
أرى الكفرَ مقشوعَ القنـاع وأهلـه ... يظنـون خيـراً فخـاب وخـابوا[3]
فـشمِّرْ أميـرَ المـؤمنين لحـربهمْ ... فهـم بعـد البيـدا وأنـتَ عقـابُ
وأنت سليلُ القاسم القـائم الـذي ... رمت شُهْبُهُ أهـلَ الـضلال فغـابوا
إذا طلعـتْ مـنهم طلائـعُ مـاردٍ ... تلقـاه مـن تلـك الرجـومِ شـهابُ
ونادِ بني المنصور مـن آل قاسـمٍ ... تجذهم لثوب الحرب ليس تهابُ
وقل يا بني الهادي أجيبوا إمـامكم ... يجيـبُ شـيوخٌ مـنهمُ وشـبابُ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ففي القول.

(٢) في الأصل: ثم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يَظنون خيراً فيه خاب وخابوا.

يفــادون بــالأرواح دون إمــامهم ... ويـصدقُ طعـنٌ منهمُ وضِــرابُ
ونــادِ بأبنــاء المكــرَّمِ حمــزةٍ ... تجئـك سـيوفٌ مـنهمُ وحـرابُ
إذا صَـبَّحَ الأعـداءَ مـنهم سـريةٌ ... تصب منهمُ جيشاً ولـيس تـصابُ
ولا تـنس أشـرافَ القواسـمِ إنهـم ... أسـودٌ لـديها صـولةٌ ووِثـابُ
هـم الـسمُّ للأعـدا يـرون قتـالهم ... يسيراً فإن[1] قالوا الحرابُ صعابُ
ونادِ بني الحـور الكـرام بأسـرِهم ... لتُجلِـبَ خيـلٌ مـنهمُ وركـابُ
هم القوم كـلُّ القـوم يـا أمَّ مالـكٍ ... على الحرب شَبَّ الأصغرون وشابوا
ومن كان مـن آل الحسين فـإنهم ... هم العِلب يومـاً كـان فيـه عِـلابُ
أولئـك أبنـاء الـشهيد الـذي بـه ... أصـبناكم غـم القلـوب مـصابُ
ومن بعدِ هذا نادِ من كـان يقتـدي ... يريـد إمامـاً حبـذاك صـحابُ
فهـم نِعْـمَ أشـياعٌ لآل محمـدٍ ... ونعـمَ رجـالُ النائبـات حـسابُ
إذا أقبلت يومـاً طوائـفُ جمعِهـم ... تـضيقُ لهـم عـن شَـطِّهن رحـابُ
فحسبُك بعـد الله مَـنْ قـد ذكرتُـه ... وتُمطـر بالنـصر العزيـز سـحابُ
ولا تـسمعَنْ قـولَ العـذولِ فربمـا ... يـشير بقـولٍ بـالخمول يُـشابُ
يقـولُ بـلادُ الكـافرين بعيـدةٌ ... وقد حالَ مـن دون البعيـدِ عُبـابُ
وكـلُّ مـشيرٍ لا يـرى غيـرَ ظنـه ... ولـيس علـى مـا يقتـضيه تعـابُ
ورأيُ الذي قد شاهدَ الحالَ راجحٌ ... على رأيِ من لم يـشهدوه وغـابوا
ولله علـمٌ سـابق فـي أمورنـا ... فمـا كـان فيـه لـيس عنـه ذهـابُ

(١) كذا في الأصل، والصواب: وإن.

فيـا ربِّ وَفِّقْنـا وأَيِّـدْ إمامَنـا　　فأنـت لكـلٍّ فـي الأمـور مَثـابُ
وصلِّ على المختار والآلِ ما جرى　　على كلِّ حال في الزمـان خطـاب
وأصحابِـه الغُرِّ الذين مـشوا علـى　　مناهجـه فيمـا يـدين وحـابوا

وله من قصيدة:

مـن لقلـبٍ وطـرفٍ مـا هجـع　　ولـصَبٍّ لـم يـزل حلـفَ الوجعْ

ومنها:

يـا بنـي المنـصور أنـتم عـصبةٌ　　أُسْـدُ حـربٍ لـيس يثنيهـا الجـزَعْ
فانصروا الـداعيَ منكم واذكـروا　　حـربَ بـدرٍ ثـم ردّوهـا خـدَعْ
فالـذي قـام بـه والـدُكم　　وجبـال الكفـر فيهـا قـد صـدَعْ
والفتـى إن يَتَّبِـعْ والـدَه　　فهـو شـيءٌ لـم يكـن بالمبتـدَعْ

توفي في ذي الحجة، عام أحد وسبعين وألـف، ببلده «شبام»، ورثاه كثيرٌ بقصائد طنانة، منهم: القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ذكرها في «تاريخه».

[٨٦٦] السيد الحسن بن أحمد الجلال اليمني(١).

الإمام العلامة الذي بهر بتحقيقه، واعترف الفضلاء لتدقيقه، له المؤلفات

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٧)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٨٧) (١٥٢)، «البدر الطالع» (١/ ١٩١)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٣٦٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٨٢).

الشهيرة، والمحاسن السائرة المنيرة، وهو أحد شيوخ شيخنا الحسين بن الناصر، وبينه وبينه مراجعاتٌ في علومٍ كثيرة، أحسن من النجوم السوائر، وأشرق من الشموس الزواهر.

ومن مصنفاته: تكملة الكشف على الكشاف، سماها: «منح الألطاف»، و«شرحٌ على التهذيب» و«على الشمسية»، وشرحٌ على الفصول في علم الأصول، للسيد إبراهيم بن الوزير، سماه: «نظام الفصول»، و«شرحٌ على الكافية» في النحو، و«شرحٌ على منتهى السول لابن الحاجب»، وله «مختصر في علم الأصول» شرحه شرحاً يدل على فضله، واختار اختياراتٍ كثيرةً مخالفةً لعلماء الأصول، وشرح على الأزهار سماه: «ضوء النهار»، و«شرح تهذيب المنطق»، وهو أحظاها، و«شرحٌ على الحاجبية»، و«شرح مختصر المنتهى»، و«شرح مقدمة البحر»، و«حاشيةٌ على الكشاف».

وله شعرٌ طيب النفس، في فنونٍ كثيرة، ومن شعره القصيدة البائية، وله عليها شرحٌ مبينٌ لمقاصدها، سماه: «نبض الشعاع الكاشف القناع عن أركان الابتداع»، وأولها:

العلمُ علمُ محمدٍ وصِحابِه ... يا هائماً بقياسه وكتابِهِ
ولآلِه منه الخلاصةُ كلُّها ... إرثًا تُنوسِخ عن هدى أصلابِهِ
علموا بمُحْكم كلَّ آيِ كتابِهم ... فجَنَوْا به الإيمانَ بالمتشابِهِ
آصرهم(١) والعلمُ كلُّ فنونِه ... للهِ غيثُهم بآمَنَّا بِهِ

---

(١) كذا في الأصل.

بلـغ الوقـوف علـى طريقتـه بهـم ... عـينَ اليقـين فأسـكروا بـشرابِهِ
رأوا[1] حقيقـةَ أمـرِ آمـرِهم بـه ... فتجـاهلوا ذلاً لعـزِّ جنابِـهِ
وتجنَّبـوا فـي الـدين داءَ جـدالهم ... حذراً لمـا علمـوه مـن أوصابِـهِ
وتبـادروا الأعمـالَ حـين تيقَّنـوا ... أن النفـيس أهـمُّ مـا يُعنـى بِـهِ
إن أبهـمَ القـرآنُ حكمًـا أبهمـوا ... حـذَر ابتـداعٍ خُوِّفـوا بعقابِـهِ
وبَقُوا على حكم الأصـول لعقـدِه ... وكـذاك مـا يجـري علـى آدابِـهِ
قد كان لا أدري لهم فـي علمهـم ... ثُلُثيـه إذ كانـت عمـودَ نـصابِهِ
بل آثروا حُبَّ الكتـاب لهـم علـى ... تـركِ الـسؤال تخوفًـا لمـآ بِـهِ
فـالمرءُ يلـزم غيـر حكـم نفـسه ... فيعـود حكمًـا لاصـقًا بثيابـه
قـد أبـدع الرهبـانُ رهبانيـةً ... بـاؤوا بـشؤم بـديعها ومـصابه
وأبو حنيفة إذ رأى الإيجـاب فـي ... نفـل فباشـر مـن هنـا أفتـى بـه
تـاللهِ مـا عجـزوا ولا مـن دونهـم ... أن يكتبـوا إلا لكتـب خطابـه
أو يدَعوا نقصَ النصوص ليحبطوا ... فـي كـل وسـواس أتـى بعجابـه
فيفرقـوا دينًـا لأمـة أحمـدِ ... كمذاهب اتـسعْت علـى إذهابِـهِ

ومنها:

وعن الحديث نهى العتيق وحملـه ... كتبـا محرّمهـا حـذارَ كذابِـهِ
وعـن ابـنِ مـسعودٍ مقـالٌ مقـسطٌ ... ويطولُ بسط القول مـن أضرابِـهِ

---

(1) كذا في الأصل، ولعل الصواب: فرأوا.

بالاجتهاد قضوا ولكنْ رخصة　　لمكلَّفٍ يدريه عن أسبابه

وهي طويلةٌ، يقول في آخرها:

يا راكبًا يهوي لقبر محمدٍ　　عَرِّجْ به مستمسكًا بترابه

واقْرَ السلامَ عليه من صَبٍّ به　　تبلغْ ألذَّ القدسِ في محرابه

وقلِ ابنُك الحسنُ الجلال مجانبٌ　　من قد غلا في الدين من تلعابِهِ

لا عاجزًا عن مثل أقوالِ الورى　　أو خائفًا في علمهم لصعابِهِ

بالمشكلاتِ شواهدٌ في أنني　　أشرقْتُ كلَّ مدققٍ بلُعابِهِ

لولا محبةُ قدوتي لمحمد　　زاحمتُ سرطاليسَ في أبوابِهِ

يا سيدَ الرسلِ الكرام دعاء من　　أودى به الهجرانُ من أحبابه

ومنها:

ولك الشفاعةُ والكرامةُ عنده　　فاشفعْ فجاهُك ما له من جابِهِ

سلْ لي وراثةَ كنزِ علمِكَ فالغنى　　يُبغى نفيسُ الكنز في أعقابِهِ

وقد انفردتُ عن الرجال ومؤنسي　　قربٌ إليه أعودُ حِلْسَ فنائه[1]

ومن نظمه:

رفعت عمامتي فرأت　　برأسي شيباً اشتعلا

فراحتْ بعدُ تُنكرني　　فقلتُ لها أنا ابنُ جلا

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: قبابه.

ومن نظمه:

قـالوا بلغـتَ مـن العلـوم مبالغًـا | قصرَتْ خُطا العلماء عن إدراكِهـا
لـو كـان فيـكَ سـلامةٌ مـن حِـدَّةٍ | عينُ الكمالِ رمتك عـن أشـراكها
فأجبتُهم موسـى أحـدٌ وقـد سـما | فوق السِّماك وعُـدَّ مـن أملاكهـا

وكانت وفاته ـ قدس الله روحه ـ في منزله بالجراف، من أعمال صنعاء، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين وألف.

[٨٦٧] الحسن بن أحمد الحيمي اليمني(١).

فائق أقرانه، وسابق ميدانه، وأحد أعيان الأفاضل، الذين بدا سنا الإقبال في سيماهم، وأعرب مبتدأ عمرهم عن منتهاهم، وممن غدا نجمُ نجابته سابقاً لائحاً، وراح مسك شذا رشده متعبقاً فائحاً، وطبعه في صياغة الشعر آية، إذا رآه اللبيب يقضي له بأنه آية.

كان ـ فيما أخبرني به تلميذه سيدنا العلامة صالح بن المهدي المقبلي ـ إماماً في الفقه، له مشاركةٌ تامةٌ في غيره من العلوم، صاحب تدبير وسياسة، ومعرفة بالأمور المهمة، معظماً عند الدولة، مشاراً إليه، ولذلك أرسله الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم رسولاً إلى الحبشة، في أغراضٍ مهمة، قُضيت بنظره على أحسن حال، وهو والد سيدنا القاضي محمد المتقدم ذكره، ويحيى الآتي ذكره.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢٩) (٢٣١)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٩١) (١٥٤)، «البدر الطالع» (١/ ١٨٩)، «خلاصة الأثر».

ومن شعره قوله:

فؤادٌ على هجرِ الأحبةِ لا يقوى وكيف وربعُ العامرية قد أقوى
وصبرٌ ولكن غاله الهجر والنوى فلا نفعَ للمهجور فيه ولا جدوى
ولكنني قد ذُبتُ في الوصل بالرجا وكمْ ذي لبانات تمتعَ بالرجوى
فيا أيها الخِلُّ الذي أنا صَبُّه عليكَ بآداب الحديث الذي يُروى
ومُنَّ علينا بالرسائل إنني رأيتُ حديثَ المنّ أحلى من السلوى[1]

[٨٦٨] السيد الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي[2].

كان آيةً من آيات الله في كل خصلة، أما الفقه، فكان يعرفه أحسن المعرفة، وأما النحو، فكان فيه بارعاً، وأما بقية العلوم، فكان فيها مذاكراً أحسن المذاكرة، وكان في مظهر ملكٍ عظيم الشان، واسع الجنود، ما عرف الناس حواشي أصحابه، فضلاً عنه، فإنه كان يركب معه من الكبراء جمعٌ غفير.

وناهيك بما استأصله من أعيان الدولة الرومية؛ كحيدر باشا، بعد أن كان استعجل أمره، وعرف اليمن معرفة أهله، وأطاعه غالبهم، ثم عابدين باشا، ثم كانت الطامة الكبرى على قانصوه باشا، الذي عسف ما دخله من البلاد، ولا أظن أن يقوم في وجهه أحد، ونفذ إلى اليمن بجنودٍ لا يعلمها إلا

(١) جاء في الحاشية: «مكررةٌ، فيها ما لم يكن في المتقدمة».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٥٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٤٣) (١٩٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢١١).

الله سبحانه، فشتت شمله، وفرق جمعه، ورجع بعد هذا إليه خاضعاً، ليبلغه مأمنه، ففعل ذلك، وكان آخر من وصل من أمراء الروم إلى اليمن.

واشتغل المترجم باليمن، واختط الجبل المسمى بـ: «ضوران» ـ بضاد معجمةٍ مضمومة ـ، فبنى به الحصن المشيَّد، المسمى: حصن الدامغ، تم في حدود سنة أربعين وألف، وعاش بعد فتحه مدةً، وأحيا أرضه وأوديته، وعمارة جوامعه وحماماته، وبنى الدور الواسعة، وصار مدينةً يضاهي صنعاء، وأجرى الله الأنهار فيها، حتى صارت روضةً من الرياض، وفيها السعة الكلية، وأما الطرق، فإنه فعل نحو عشرين نقيلاً مدرجةً إلى جهات، والمزارع يقال: إن المثمر من البن عند موته، مئة ألف غرسة.

وفي هذه السنين، غزا جيوش تهامة، وفيها بقية الأروام، وأخذ منهم زبيد، والمخا، وحيس، وبيت الفقيه الزيدية، وبيت الفقيه ابن عجيل، واللحية، والحديدة، وموشيح، والصليف، وموزع، فضلاً عن جزائر البحر؛ نحو: كمران، ومواضع عظيمةً في البحر، هي تبع لهذه المذكورات، وهذا كافٍ في معرفة حاله، وكان همّ بغزو البلاد القاصية، إلا أنه فاجأه الأجل.

مولده بعد صلاة عشاء ليلة الاثنين، غرة شهر رمضان، سنة ست وتسعين وتسع مئة، **ووفاته** أول المغرب من ليلة الأحد، ثالث شوال، عام ثمانية وأربعين وألف، بمرض ذات الجنب، ودفن بالحصين، أسفل ضوران، وبني عليه قبة عظيمة إلى جانب مسجده الذي أسسه وأتمه ولده محمد، وأجرى المياه هنالك إليه، وكان مرضه نحو ثمانية أيام، وحصل بموته التعب العظيم، والأسف العميم؛ لعموم نفعه، ورياسته وشجاعته، وحسن أخلاقه.

حتى إنه لما انتصر على الأروام في زبيد، كان يغريه المجالسون بالإيقاع بهم؛ لما صدر منهم من حربه، فلم يؤثر فيه العذل، بل عفا عنهم، وكساهم، وأحسن إليهم، وكانت مدة إمارته بعد خروجه من صنعاء، نحو خمسة عشر عاماً.

وحضر موته، والصلاةَ عليه ودفنه، صنوُه شقيقه الحسين بن القاسم، وقرر أحوال العسكر، ونظم البلاد، وعرفهم بما يجب له، واستقر في الحصين بعد موته، وتجهز للعود إلى صعدة، فبلغ إلى مقام عمه الإمام المؤيد بالله، وبلغه الخبر بموت والده، فرده الإمام، فوصل مبادراً إلى عمه الحسين، وقد كان يظن هو وأخوه أحمد أن الإمام يجعل لهما ولاية البلاد، التي كانت لوالدهما.

فرأى الإمام أن يجعل النظر في جميع البلاد، التي كانت للحسن بَنادرها وحصونها وغيرها، إلى أخيه الحسين، ويكون تصرف ولدَي الحسن، على نظر عمهما الحسين، وأرسل الإمام إليه بولايةٍ عظيمةٍ، وكتب إلى الرؤساء بذلك، فلم تطب نفوس خواص الحسن وولديه بذلك، ولا انطلقت أعمالهم باستئذانه، بل كل واحدٍ تصرف على ما يريد.

ثم استقر السيد محمد بن الحسن في ذمار، بأكثر أعيان والده، وخيله ورَجِله، وأخوه السيد أحمد بن الحسن في الغراس، من أعمال ذي مرمر، كذلك بجماعة من الخيل والرجل، وفي النفوس ما فيها.

وكان المترجم مع اشتغاله بالحروب، وقيامه بأمر الملك على ضروب، يهتز للشعر هز النشوان، ولا يشغله شاغلٌ عن المذاكرة في كل آن، فلو رآه ابن الرومي، لما قال:

ذهب الـذين تهـزُّهم مُـدَّاحُهم هَـزَّ الكمـاة عـواليَ المـرّانِ

وكان يبيّن بجودة ذهنه النقاد، الجوادَ والمقصرَ في ميدان الإنشاد، وكان عظيم العطاء، كثير المعروف، محباً لفعل الخير، وكان يجل أولاد الأولياء والعلماء، ويعرف لهم حقهم، ولذلك تم له الدَّستُ، وكان سعيداً منصوراً في حروبه، وما اتفق أنه ركب في جيشٍ إلا وعاد منصوراً.

وبالجملة: فكان حسنة في بني القاسم، على وجه الزمان، ولا يدانيه في شجاعته في عصره مُدان، وأما ما قيل فيه ـ رحمه الله ـ من المدائح، فيطول ذكره، وللقاضي العلامة أحمد بن سعد الدين أرجوزةٌ كتبها على قبره، ذكرها القاضي أحمد بن صالح في «تاريخه»، وهي بديعة.

[٨٦٩] الحسن ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم ابن محمد بن علي.

ورفعُ نسبه ذكرناه.

كان هذا السيد من أكابر أئمة اليمن ووجوههم، ومن أعيان بني القاسم ورؤوسهم، له المنزلة العظيمة، والمكانة الجسيمة، إلى ما حوى من لطيف الشيم، والجمع بين فضيلتي السيف والقلم، أما الحلم، فكأنه مقصورٌ عليه، وأما البذل والعطاء، فشيءٌ جبله الله عليه، وحبّبه إليه، وله من الحزم وسياسة الأمور، ما لا يدانيه فيهما مدانٍ في سائر الأمور، ومن المعروف والإحسان، مكانٌ أي مكان.

ولي المناصب الجليلة في حياة والده، منها: بلاد رازح وما يتبعها، ثم أمّره والده على تهامة، فولي جازان، واللحية، والحديدة، وما والاها من البلاد

العظيمة، وأقام باللحية، وجُبيت إليه الأموال من كل جانب، وخفقت عليه البنود، وانقادت إليه الجنود والكتائب.

ولم يزل وهو مقيمٌ في أرغد عيش ونعيم، حتى ولي الإمامة محمد بن أحمد بن الحسن، فعزله عن عمله، وجهز عليه العساكر، ففر في سفينته إلى جدة، وقصد شريف مكة، وأمير جدة؛ ليعيناه بالعسكر، ويأخذ اليمن لسلطان الروم، فلم يتم له مراده، فرجع لليمن ثانياً، وألزمه الإمام محمد بالجلوس ببيته بذمار، ويدل ذلك الصفو بالأكدار.

مولده في نيف وخمسين بعد الألف، وقرأ القرآن، واشتغل بالعلم، وأخذ عن شيوخ، منهم: السيد العلامة إسماعيل بن حجاف، والسيد الجليل الحسن بن المطهر الجرموزي، وجدّ في الطلب، وبرع وتأدب عن كثب، وله العناية بالكتب وتحصيلها، والحرص على مطالعتها، والإدمان على القراءة.

مع ما هو عليه من تقلد الأعمال المهمة، وتدبير المملكة، وسياسة العساكر، وحفظ البلاد، وكثرة الاشتغال بالوافدين والمترددين، لكنه - مع ذلك - لا يشغله عن ذلك شاغل، وإذا قدم عليه أهل العلم، عظمهم، وفضل عطاياهم على غيرهم، وإذا مدحه الشعراء، أحسن جوائزهم، وقد اجتمعتُ به في رحلتي لليمن، وحضرت بعض دروسه في الأصول والكلام، ومدحته بقصائد طنانة، منها قولي:

باكرْ إلى الحانِ ببدرِ التمام   فقد دعا داعي الهوى للمُدام
وحرِّكِ الأوتار وانشدْ لنا   شعراً بديعَ السبك والانسجام
واغتنم الأوقات إذا طاب   لك الوقتُ وقمْ يا غلام

وعـــاطِني صـــهباءَ مـــشمولةً   قد عُتِّقَت مـن عهـدِ سامٍ وحام
وصـــانَها للفـرس كـسرى ومـن   تـلاهُ مـن تلـك المـلاك القـدام

توفي يوم السبت، سلخ شهر ربيع الثاني، سنة ثمانين بعد الألف، ودفن بقبة عمه الحسين بن القاسم.

[٨٧٠] الشريف حسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة ابن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي ابن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين ويعسوب الموحدين علي بن أبي طالب، وابن البتول فاطمة بنة الرسول ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين[1].

قال الشهاب الخفاجي ـ رحمه الله ـ في ترجمته: خلقه الله حسن، ومن حديثه مناقبه مستفيض حسن، وما محاسن شيءٍ كله حسن؛ فقد سارت بمآثره الركبان، وتحلى بذكره كل لسان، فالحِلُّ يعرفه والحَرَم، والمجد ينطق بمحامده والكرم:

إنمـــا المـــرءُ حـــديثٌ بعـــدَه   فكـــنْ حـــديثاً حـــسناً لمـــن روى

خفقت في الخافقين رايات مكارمه، ونصبت على أعلام كماتها بين معالمه، سرت سحائب كرمه ولها من غرته بريق، وتفرقت أنهار جوده في كل

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٨٨) (٥٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٦)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢١٨).

فريق، حتى طغت على هضاب العذيب والعقيق، وله فضل قضاء علوي حل بين الرفق والباس، وأيس عن إدراك حديثه فيه إياس، بين حماسةٍ وسماحة، وفصاحةٍ وصباحة:

إذا زان قومـاً بالمناقـب واصـفٌ ذكرنـا لـه فـضلاً يـزين المناقبـا

وجلالة هيبةٍ لا تريد حاجباً، وشيمٍ شُمٌ لـو تجسمت، لكانـت لوجـه الدهر عيناً وحاجباً، فكم أوردَ النجيعَ سيفَه المجـرد عن العلائق، وأصدره ثائراً على غدير لأمته من الدماء شقائق، من فتية إذا تصافحوا بالصفاح، تهللت ضاحكةً بالنجيع ثغورُ الجراح. شعر:

حليمٌ إذا مـا الحِلْـمُ فـكَّ حزامـه وقوفٌ ولو كان الوقوفُ على جمر

مـع محاضراتٍ لـو سمـع الراغـب، سعى إليها راغبـاً، وأبكارِ أفكارٍ لا يكافيها إلا من كان بمتاع الحياة خاطباً. شعر:

مـا عـذرُ مـن ضـربتْ بـه أعراقُـه حتـى بلغْـنَ إلـى النبـيِّ محمـدِ
أن لا تُمَـدَّ إلـى المكـارم باعُـه وينـال غايـات العـلا والـسؤددِ
متخلعًـا حتـى يكـون ذيولُـه أبـدَ الزمـان عمائمًـا للفرقـدِ

انتهى كلام صاحب «الريحانة».

وُلد لسبع بقين من ربيع الأول، سنة ثنتين وثلاثين وتسع مئة، وأمه فاطمة بنت سباط بن عنقا بن وبر بن محمـد بن عاطـف بن أبي نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة، حملت به سنة وفاة جده بركات، ونشأ في كفالة والده سعيداً رئيساً حميداً، ولبس الخلعة الثانية بعد وفـاة أخيـه أحمد، سنة ثنتين

وستين وتسع مئة.

ثم فوض إليه والده الأمر، فلبس الخلعة الكبرى، التي هي لصاحب مكة، ولبس أخوه ثقبة الخلعة الثانية، واستمر مشاركاً لوالده في الإمرة، إلى أن انتقل والده [إلى رحمة الله] يوم تاسوعاء، افتتاح سنة ثنتين وتسعين وتسع مئة، فاستقل بسلطنة الحجاز، وقام بها أحسن قيام، وضبط الأمور على الأحكام، على أحسن نظام، وأمنت البلاد...[1].

أظهره الرحمنُ في ربيع بظلِّ سوحِ الحرم المنيع

أشار إلى أنه شريفٌ من أمه أيضاً ـ كما قدمناه ـ، وأنها حملت به عام أحد وثلاثين وتسع مئة، وهو حساب ظلا الذي ذكره:

فلم يزلْ يصعدُ في المعالي ويرتقي بصَعْدَةَ العوالي
حتى أتته صفوةُ الخلافة منقادةً طوعاً بلا مخافة
في عام إحدى بعد ستينَ مضتْ من قبلها تسعُ مئينَ حُفظتْ
فشارك الوالدَ في الملك إلى أن أم بدء عام حتف نزلا

أشار بقوله: أن أم، إلى انتقال والده، عام اثنين وتسعين ـ كما تقدم ـ، واستقلاله بعده بجميع الأمور:

وذَبَّ عن بيت الإلهِ بالأَسَلْ منزهاً عن التواني والكسلْ
وآمنَ السبلَ جميعًا وحمى كلَّ المخاليف فأضحت حَرَما

---

(١) سقط قدر ورقة من أصل المخطوط.

فطالمـا قـد شُـدَّتِ الرحـالُ		مـوقرةً مـن فوقهـا الأمـوالُ

مـن مكـةٍ لبـصرةٍ ونحوِهـا		قاطعـةً لقفرِهـا وبـدوِها

ولـم يكـن مَعْهـا سـوى حاديهـا		مـن حاضـرِ البلـدةِ أو باديهـا

فتـصلُ المقـصدَ وهـي سـالِمَهْ		ثـم تعـود مثـلَ ذاك غانمـهْ

وشـاع هـذا الأمـن فيـه وانتـشر		معطـراً بـاقي الممالـكِ الأُخَـرْ

فكلُّ من حجَّ إلـى البيـت الحـرام		وشاهدَ الأمن استخارَ فـي المقامِ

أشار بذلك إلى: أنـه لم يزل حامياً حوزة بيت الله المعظم، وذاباً عن سوحه المطهر المفخم، حتى إنـه من مزيد أمنه اختلط فيه العرب والعجم، ورعى الذئب مع الغنم، وأمن السبلَ الحجازية، ومهد الطريق الحرمية، فكانت تشد الرحال في سائر جهاتها، وليس معها خفير، سوى الأجير، لا يُفقد منها صواع، ولا يُختلس منها ولا قدر صاع، وربمـا ترك المتاع، أو المنقطع في القفر السبسب، ليؤتى له بما يحمل عليه أو يركبه، فيوجد سالماً من الآفات، ولـو طالـت الأوقـات، مع كثـرة الطارقين لتلك المعاهد، والسالكين لهذه المواطن والمقاصد.

ولـم يعهد هذا إلا في زمن هذا الملك العادل، ولم ينقل مثلُه عن مثله من الملوك الأوائل، فلقد كانت هذه الطرق إلى مبدأ ولايته مخوفة، والمخاليف كانت كلها غيرَ مألوفة، حتى إن من أراد أن يعزم من مكة إلى التنعيم للاعتمار، لا بد له أن يأخذ خفيراً من أرباب الدولة الكبار، وإن لم يفعل ذلك، يعطب في نفسه وماله، ولا يرثى [له] في أخذ الثأر بحاله.

وطالما نُهبت الأموال ما بين مكة وعرفة، ليلة الصعود إليها، وسُفكت

الدماء في تلك المشاعر، وجُندلت الأجساد لديها، وإذا سرق متاع، قلّ أن يُظفر بـه، وربمـا قُتل صاحبـه عنـد طلبـه، في سببه، وكل ذلك من العرب المحيطين بأطراف البلاد، الساعين في الأرض بالفساد.

قد بسط الله بساط الأمان بولايته، ألزمهم بحراسة هذه المواطن، وغُرم ما يذهب للناس بهذه الأماكن، وعاملهم بصنوف العقاب، وأنواع العذاب، من الصَّلْب وقطع الأيدي، وتكليف منهم بالقتل أن يدي، إلى غير ذلك من أصناف الاجتهادات السياسية، والآراء السلطانية المرضية، حتى صلح حال العالم غاية الصلاح، ونادى منادي الأمن بالبشر والفلاح.

فاطمأنت النفوس، بإقامة هـذا الناموس، واعتدلـت أحوال الرعايـا، واتصل ذلك إلى علم الملوك البقايا، فشكر كل سعيه في هذه المآثر الحميدة، وحمد الله تعالى في هذه المعدلـة الظاهرة المجيـدة، وكثـر حجاج بيت الله العتيق، وضربوا آباط الإبل إليه من كل فجٍّ عميق، فيرون ما كانوا يسمعون به عياناً، فيستخيرون الله تعالى، في أن تكون بلده لهم مسكناً، وأهلها إخواناً.

فمـن هنـا مكـةُ صـارت مِـصْرا ... محـسودةً بالعـالمين طُـرَّا
وقبـل هـذا العهـد لـم يقـم بهـا ... إلا أنـاسٌ شُـغفوا بحبِّـها
نحـو ذوي البيـوت ممـن قطنـوا ... دهـراً بهـا واسـتوطنوا وسـكنوا
لـذا انتهـت إلـيهمُ الرياسـةْ ... بطـيهم مناصـبَ النفاسـةْ
والغيـر يـدعى بمنـادي الملـك ... يـا مـن قـضى مرامـه مـن نُسْكِ
ارحـلْ إلـى بـلادك الأصـليةْ ... مـن يمـنٍ أو جهـةٍ شـاميَّةْ
فـإن هـذا البلـدَ لحرامـا ... وادٍ بـلا زرعٍ يـرى ولامـا

فيرحلـون مـا عـدا مـن ذكـرا   مـن أهلهـا خلّص مـن قـد أمـرا
فــإنهم شـــوكته القويـــة   وخـــادمو حـــضرته العليـــة
فلـم يزالـوا هكـذا أبـاً بـأبْ   مقتـرنين مـن أعـالي ذا النسبْ

أشار إلى: أن من القواعد القديمة، لولاة مكة الكريمة: أن ينادوا بعد تمام الحج: يا أهل الشام! شامكم، ويا أهل اليمن! يمنكم، فيرحل كلٌ إلى بلده، ولا يقيم بمكة إلا خواص سكانها، من ذوي البيوتات القديمة، فلما تولى مكة، شاع ذكره، ورغب كل أحدٍ في المجاورة بها، وصارت مصراً من الأمصار.

فعنـدما قـد أفـضتِ الخلافـةْ   لحـسنٍ وجـاوزتْ خلافَـةْ
ومهّـدَ المـسالكَ المخوفـةْ   وشَـيَّدَ المعاهـدَ المألوفَـةْ
وكثـــرتْ بعدلِــه الأرزاقُ   وعمـــرت بأمنـــه الأســـواقُ
وفجّـــرَ الله عيـــونَ الأرض   بيمُنـه البـاقي ليـومِ العـرضِ
أقـامَ كـلٌّ بفنـا البيـتِ العتيـقْ   وأملـوه مـن ورا الفـجِّ العميـقْ
ونـال كـلٌّ منـه مـا قـد أمّلَـهْ   لمـا أتـاه قاصـداً وأمّ لَـهْ
والناسُ في عيشٍ بعدلِه خصيبْ   وقد حوى من فضلهِ كلٌّ نصيبْ
أمـا أُولـو العلـم ففـازوا بـالنعَمْ   ونـشروا علـى رؤوسـهم عَلَـمْ
وتُوِّجـوا لديـه بالوقـار   فمـا رآهـم قَـطُّ باحتقـارِ
لا سـيما مَـن مـنهم ينتـسبُ   إليـه بـالإخلاص وهـو الـسببُ
ويخـدم الخزانـةَ المعمـورةْ   بكـل آيـة لـه مـسطورةْ

مـن كـل تـأليف عظـيمِ المنقبـهْ	بـه اسـتحقَّ نيـل المرتبـهْ
وهـم لعمـري فرقـة كبيـرهْ	ومـنهم نـاظمُ هـذي السـيرهْ
فإنـه فـي كـل عـامٍ شمسـي	يُبـدع تأليفـاً بـديع الأنـس
ممـا ذكرنـادرة الأصـدافِ	أسـسها فـي ذروة الأوصـافِ
كـذا عيـونٌ لمسـائلٍ حـوى	مـن العلـوم أربعـين بالسّوا
وشـرحه القـصيدة المقـصورهْ	لابـن دريـد نـسبة مـشهورهْ
وشـرحه أيـضاً لحسن السـيرهْ	بمالـه مـن حـسن السـريرهْ
وغيـر ذا مـن غـرر القـصائدْ	وكـل نثـر زيـن بالفرائـدْ

أشار إلى: احتفاله بالعلم وأهله، حتى ألفوا له التصانيف اللطيفة.

وكـم بـشعر فـائقِ الـنظم امتُـدحْ	مـن كـل قطـر أمّ قـصداً وامتُـنح
ومدحُـه فـي كـل عـام لـو جُمـع	لكـان أسـفاراً كبـاراً يجتمـع

إشار إلى: كثرة ما قيل فيه من المدائح، وممن مدحه: الناظم، والشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، والإمام محمد علي بن إسماعيل الطبري، وغيرهم ممن لا يحصى كثرةً.

وكـل هـذا خدمـة للـسيدِ	الحسنِ الـشريفِ عـالي المحتـدِ
فهـو الحقيـقُ دائمـاً أن يُخـدما	وأن يكـون مالكـاً للعُلمـا
لبـرِّه إلـيهمُ وعطفِـه	علـيهم بنـشرِه ولطفِـه
يُجيـز بـالألف علـى التـأليف	ويصنفُ الشخصَ على التصنيف

ثـم إذا قُـدِّم تـأليفٌ لـهُ | طالعَـه غالبَـه أو كلَّـهُ
وأظهـرَ الرغبـة فيـه جِـدًّا | وبالـدعا لربـه أَمَـدًّا
وزادَ فـي رفعتـه وقـدرِه | لـيعلم العـالم شـأن فخـرِه
قصداً لترغيب الـورى فـي العلـم | مُـشَحِّذاً لفكـرهم والفَهْـمِ
وكـل ذا ابتغـاء وجـهِ اللهِ | مـن غيـر مـا شـكٍّ ولا اشـتباهِ
فمـن هنـا تبـادرَ النـاسُ إلـى | درس العلـوم بعـدَ درسٍ وبـلا
فأنتجـتْ مكـةُ بعـد العُقـم | أفاضـلاً شـتَّى كأبنـا أُمّْ
ملتحمـين فـي العلـوم والأدبْ | كلحمةٍ في سببٍ أو في نسبْ
نـالوا علومًـا جمـةً مرتبـهْ | عَلَـوا بهـا علـى الـشيوخ مرتبهْ
مـا ذاك إلا حيـثُ كـان الـسيدُ | ملتفتًـا لمـا بَنَـوا وشـيدوا
ولـم يَـضِـعْ صنيعُهم لـه سُـدى | لا زال منـصفًا بحـقٍّ أَبـدَا

أشار إلى: أن الأفاضل كانت تتقرب إلى خدمته، ومنهم: العلامة خضر بن عطاء الله الموصلي، ألف له: «الإسعاف بشرح شواهد القاضي والكشاف»، ومنهم: الناظم، خدمه بكتبٍ منها: «شرح المقصورة الدريدية»، وأجازه عليه بألف دينار، واتفق أنه حكم تاريخه قوله:

أرِّخنـي مـؤلِّفي | ببيـتِ شـعرٍ مـا ذهـبْ
أحمـدُ جـودَ ماجـدٍ | أجـازني ألـفَ ذهـبْ

فلما قرأ البيتين، قال له: والله! إن هذا لنزرٌ جداً بالنسبة لهذا التأليف، ولكن حيث وقع الاقتصار عليه، فعلى الرأس والعين، وأعطاه ذلك.

ومـــا أرى ذا الأمـــرَ إلا أثـــرا لطـــالع الـــسيد حيـــث أثـــرا
في أهـل عـصره الـسعيد الأبـدي فإنـــه آلـــة فعـــل الأحـــدِ
ولـــيس بـــدعاً فلهـــذا الـــسيدِ طـــالعُ ســـعد فـــالقٍ للجلمَـــدِ
فمـــا رأينـــاه أحـــبَّ أحـــدَا إلا وكـــان كـــاملاً مـــسدَّدا
ينمـو كمـا تنمـو الثمـار بالعلـل ولـم يـزل دهـرًا مجانـبَ العِلَـلْ
ويُـــرزق القبـــولَ والمحبـــهْ فكـــلٌّ مـــن خالطَـــه أحبَّـــهْ
ولـم يكـنْ يـنقص شخـصًا إلا كـان لـدى الأنـامِ رذلاً نـذلاَ
يَـذْبُل دهـرًا ثـم يـضمحلُّ وعنـدنا لكـل قـسمٍ مثـلُ
وحكمـةُ التـأثير عنـد العـالم أن المليـك مثـل قلـب العـالمِ
فلـم يـزل مـؤثرًا للبـسط والقـبض شـبه آلـة للـربط

ينبغي أن يعلم: أن ما تقدم من صلاح الزمان وأهله، فهو من طالعه، قال الأبوصيري:

وإذا ســخَّر الإلــه أناســاً لــسعيدٍ فــإنهم سُــعداءُ

والمثل المشهور: لأجل عين ألفُ عينٍ تُكرم، والأصل فيه قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[الأنفال: ٣٣]، وقد اتفق العلماء على أهل التنجيم، أن للطالع تأثيراً، وكل ذلك بمنزلة الشرط والآلة، وإلا، فالتصرف للفاعل المختار، لا له، وقد منحه الله بأنه ما توجه لأحدٍ بالرضا إلا ونَما.

فمن ذلك: المولى خضر بن عطاء الله المذكور، فإنه ورد إلى الديار

المكية بحالةٍ من الفقر لا تذكر، فلما حصل عليه نظره، تقلب في النعيم، إلى أن جنت يده عليه، ورمت بسهام العذر إليه.

وقد ورد من البصرة رجلٌ من أهل العلم، يُسَمَّى: نجم الدين، حصلت لـه عنـده حظوةٌ، فنال منها خيراً عظيماً، حتى وقعت منـه زلةُ قدم ردته إلى الحضيض.

وكذلك أحمـد بن إبراهيم بن ظهيرة، فإنه كان في غايةٍ من الإجلال، ونهايةٍ من الرعاية في سائر الأحوال، حتى تجرأ بسوء أدبه، لينحط بذلك عن رتبه، فعامله بمتعلقات السحر في نفسه الجليلة، وأثر ذلك عنده مدةً طويلة، حتى أطلعه ببركة طالعه على هذا العمل، فتفحص عنـه وسأل، فوقف على أنه هو الصانع لذلك، فأدبه بالضرب، ثم تركه وحاله، وتركه ظهرياً، إذ كان بعواقب الأمور غبياً.

وبهـذا القـدر يكتفي اللبيب العاقل، ولا بدع فيما ذكره لملك ظل الله على عباده.

وقد حكي: أن بعض الملوك توجه بجمعٍ قليلٍ على بعض البغاة، وهم طائفةٌ كبيرة، فمذ رأوه سلَّموا له البلد، ولم يقاتله منهم أحد، فقيل لهم في ذلك، فقالوا: رأينا شخصين بين يديه امتلأنا منهما رعباً، فسئل بعض الأولياء عن ذلك، فقال: هذان الخضر والقطب، ما زالا يؤيدان كل ملك يقيمه الله ويختاره على عباده.

وناهيك أن قلـب الملك بين إصبعين من أصابـع الرحمن يقلبـه كيف يشاء، وهو بمنزلة القلب للعالم، فبسطه يسري إليهم، وقبضه ينشر عليهم،

ولله درُّ بعضهم بقوله، وقد عاد ملكاً عليلاً:

ولما اشتكيتَ اشتكى كلُّ ما   على الأرض واعتلَّ شرقٌ وغربُ
لأنك قلبٌ لجسم الزمانِ   وما صحَّ جسمٌ إذا اعتلَّ قلبُ
هذا وما عاداه قَطُّ أحدُ   إلا وخابَ خيبةً لا تُجحدُ
فكم نوى جانبَه بالأسوا   جماعةٌ فامتُحنوا بالبلوى
وهلكوا في مدة يسيرهْ   فليعتبرْ ذا من له بصيرَهْ
وعنه كافا كلَّ من والاهُ   وكفَّ عنه كلُّ من عاداهُ
فقد جرى لجدِّه النبيِّ   هذا الولا وأَبِيه عَلِيِّ

من كراماته: أنه ما عاداه أحدٌ، إلا وعاد بالخيبة، وقبحِ الأوبة، ولا نواه أحدٌ بسوءٍ، إلا ودارت دائرته عليه.

ومنها: أن الوزير الأعظم مصطفى باشا قصده بالأذى على قدر ما يشاء، وجهز العساكر الرومية، إلى الديار المكية، وصمم على إيذاء هذه الذرية، الباقية من خير البرية، فما زال كلُّ من في قلبه ذرة إسلامٍ يثبطه عن هذا العزم إلى البلد الحرام، فلم يجد فيه نفعاً، فاجتمع جماعةٌ من أهل الخير، وقرؤوا الفاتحة، وقالوا: إن كان هؤلاء الجماعة أولاد النبي ﷺ، فنسأل الله بحرمة جدهم وحرمتهم، أن يرينا في الوزير أن يكون عبرةً لمن اعتبر، فما فارقوا مجلسهم، إلا وجاءهم الخبر بأنه أصيب بالقولنج، ومات لوقته، فأدخلوا الخبر على السلطان، وقصوا عليه القصة، فرجع عن ذلك، واستغفر الله.

ومنها: أن الشيخ العلامة القاضي عبد الرحمن بن عيسى المرشدي، قصد السفر إلى اليمن، فاستأذنه، فلم يأذن له، فكان منعه له عن السفر عين

المصلحة، والنجاح والظفر؛ فإن الأمر ـ بعد ذلك ـ أسفر عن تغيير قطر اليمن، وانقطاع سبله، وكثرة الخوف في طرقه؛ بموجب بعض الفتن؛ فإنه قام ثمةَ قائمٌ من أهل البيت، يسمى بالقاسم، وادعى الإمامة، وقويت في الجبال دون التهامة شوكته، والناس حينئذٍ إذ ذاك في أمرٍ مريج، وقد عزم جماعةٌ إلى تلك الديار، فعادوا مبادرين إلى الفرار، وأراد الله للمذكور الراحة؛ حيث استقر، والسلامة من وعثاء السفر، بدون نيل الظفر.

من أنه من مستجابي الدعوةْ ... وما له في عمره من صَبْوَةْ
وكيف لا وقد حمى البيتَ الحرامْ ... بنفسه خمساً وأربعين عامْ
مؤيداً شرائعَ الإسلامِ ... مشيداً مشاعرَ الإحرامِ
مع أنه في زمن أيِّ زمنْ ... مَظِنَّةٍ لكلِّ هولٍ وفتنْ
وقد حُكي بين الورى عن السلَفْ ... وذاك محفوظٌ لهم عند الخلَفْ
أن وليَّ مكةٍ يصير في ... مرتبةِ القطبِ يقيناً فاعرفِ
فمن هنا الصلاحُ في الرعايا ... وفي ملوك الدولِ البقايا

وقد اشتهر عنه أنه مجاب الدعوة، منها: أنه كان في عام أربعة بعد الألف، بمحلٍ يقال له: غدير، فأصاب الناسَ غايةُ التعب من الظمأ، فورد إليه رعاءُ إبله، وتفاوضوا معه في ورودها، ومن أي محل ترد؟ فعددت أماكن بعيدة عن منزلهم هذا، فما ارتضى ذلك، فتوجه إلى الله قائلاً: اللهم اسقِها، اللهم اسقِها، فما كان بينهم وبين السقيا إلا ليلتهم تلك، فانهلَّت عليهم السماء كأفواه القرب، ثلاثة أيام، حتى إن الإبل صدرت منتهلة من مباركها، واستمروا مدةً لا يردون إلا من مآثر دعوته المباركة.

ومنها: أن الناس أرجفوا سنة ثلاث بعد الألـف، بوصول عزيز أحمد باشا إلى مكة، في عدة من العساكر، وكذلك وزير اليمن حسن باشا، فانزعجت لذلك الرعية؛ إذ صح عزمها للجهات المكية، فتوجه بخاطره إلى الله سبحانه، فصرف الله أولئك عن العزم، وأشغلهم بموت السلطان مراد بن سليم.

وقــد حُبــي بــصالح الذريَّــهْ ممتعـــاً بعيـــشةٍ رضـــيَّهْ
أمـا البنـونَ فهـم عـشرونَ مـعْ أربعــةٍ فخــذهمُ ممــن جمَــعْ
لاقــى الإلَــه مــنهم ثمانيــهْ إذ علمــوا الــدنيا يقينــاً فانيــهْ
من بعـدِ أن قـد ملكـوا أو سـادوا وللمعـــالي أســـسوا وشـــادوا
ثــم البنــاتُ وبنــو الأولاد كثــرتُهم تــسمو علــى التعــداد
كـذا الأقـاربُ الـذين وصـلوا إليـــه أولاهـــم جـــدودٌ أُوَلُ

وقـد تقـدم ذكـر أولاده، وقد مات قبلـه منهم ثمانيـة: أبـو القاسم، والحسين، ومسعود، وباز، وعقيل، وهزاع، وعبد العزيز.

إن ركبــوا فــي موكــب فــإنهم كواكــبُ الجــوزاء وهــو بــدرُهُمْ
لا ســيما إذ يلــبس التــشريفا ثوبــاً ســنياً فــاخراً شــريفَا
يأتيـه مـن سـلطنةِ الـروم العظـامِ فــي غايــة مــن البهــاء والنظــامِ
مـا نـال مـن أسـلافه مـا نالـهْ مــن التــشاريفِ وذي الجلالــهْ
فإنــه قــارنَ فــي ذي المــدَّهْ مــن الملــوكِ الأكــرمينَ عِــدَّهْ
مــنهم ســليمانُ مليــكُ الــرومِ ثــم ســليمٌ صــاحبُ التكــريمِ
ثــم مــرادٌ ثــم ملــكُ العــصرِ محمـــدٌ لا زالَ ربَّ النـــصرِ

وهْــوَ لعمــري قَمِــنٌ جــديرُ بكـل مـا قـد صـرَّح المنـشورُ
فما سـمعنا مثـلَ نـشرِه الأمـانْ قَطُّ ولا في صدور سابق الزمـان
ومــن رأى تــاريخ مكـــةٍ أَقَــر بـذاك فهـي الآن أولـى مـستقَر
يُعـين مــن يقــيم بالإحــسان فـضلاً بــلا مَــنٍّ ولا تــواني
مـا أحـدٌ مـن الملـوك صـنعا صـــنيعَه فإنـــه تبرعـــا
بمـال بيـتِ المـال تقريـراً لمـن يحتاج طبقَ ما مضى مـن الـزمن
ومنـذ دهـرٍ لـم يقـم ذا الواجـبْ ولـم يكـن لبيـت مـالٍ راتـبْ
حتـى أتـى اللهُ بمولانـا الإمـام غيث بني الآمال بل غـوث الأنـام
فرتـبَ المـال لـذي الحاجـاتِ والعلمـــا وخالـــصي النيَّـــاتِ
منزهـــاً لنفـــسه عـــن مـــالهم وموصـــلاً لهـــمْ إلـــى آمـــالهم
أكـرمْ بهـا منقبـةً عظيمـةْ ورتبـــةً فـــاخرة فخيمـــةْ
ما أحد يُقصْد في قطـر الحجـازْ حقيقـةً سـواه مـن غيـر مجـاز
لـه الكرامـاتُ التـي لا تُحـصر والكـرمُ الـذي دهـوراً يُـذكر
ومـا غـزا إلا وفـازَ بـالظَّفر وافتـتح البلـدانَ فتحـاً اسـتمَر
لـه مَغـازٍ فـي الأنـام عِـدَّةْ حكـى بـه فيهـا أَبَـهُ وجـدَّهْ
أمـا سـراياه فـذاتُ كثـرَةْ وكلُّهـا مقرونـة بالنُّـصرَةْ
ولـم يكـن مـؤمَّراً فيـه سـوى أولادِه الكـرامِ أربـابِ اللـوا
وقلمـا أمَّـر غيـرَهم علـى بُعوثـه والكـلُّ منهم ذا عـلا
وحاصـلُ الأمـر بـأن النـصرا خادمُـه دهـراً طـويلاً عُمـرا

لــــم يتفـــق وربُّنــــا الــــشكورُ لـــه انكـــسارٌ بـــل هـــو المنـــصورُ
كأنمــــا ملائــــكُ الــــرحمن جنـــودُه فـــي ســـائر الأزمـــان
ولـــيس بـــدعاً فهـــم فـــي بـــدرِ كـــانوا جنـــودَ جـــدِّه الأغَـــرِّ

سراياه كثيرةٌ شهيرة، لم يؤمِّر فيها إلا أولادَه النجباء، وممن بعثه منهم: ولده الحسين، ومنهم: أبو طالب؛ فقد أرسله غير مرة، ومنهم: مسعود، ومنهم: عقيل، ومنهم: عبد المطلب، ومنهم: عبدالله، فكان بعزمه إصلاحُ جهة اليمن.

فـــاقَ الملـــوك بـــالنهى والحَـــدْس كمـــا بـــه يـــشهد عـــدلُ الحـــسِّ
وكــــم لــــه قــــضيةٌ شــــهيرهْ بين الورى كالشمس فـي الظهيـرهْ

قد فاق الملوك بمزيد الفطنة، وله في ذلك قضايا مشهورة.

منها: ما وقع في بعض السنين، وهو إذ ذاك بجدة: أنه سرق من الفرضة السلطانية وهي مغلقة، جملةٌ كثيرةٌ من صنوف الأقمشة، ووجـد حبلٌ معلقٌ على جدار الفرضة، فرفعت القضية إليه، وكثـر الكلام من أمين جدة، ومن باقي الأروام، واتهموا بذلك جماعته؛ لحلولهم في البندر، ففكر ساعةً، ثم طلب الحبل الذي وجد على الجدار، فجيء بـه إليه، فأخذه وتأمل فيه، ثم شمه، فأمر بإحضار من بجدة من العطارين، فحضروا، فأشرفهم على الحبل، وسألهم: هل اشتراه أحد منهم؟ فقال شخص منهم: نعم اشتراه فلان مني، وكان من جماعة أمين جدة، فطلبه وسأله، فأنكر، فأمر بالهجوم على محله، فذهب جماعةٌ لذلك، وفتحوه، فإذا هو خالٍ من الأمتعة، فمشوا في وسطه، فإذا الأرض تنخفض بهم، فكشفوا الفراش، وحفروا الأرض حفراً خفيفاً،

فإذا السرقة تحت التراب، ما فقد منها شيء، فأخرجوها، ووصلوا إليه بحضور جمعٍ من الناس، فخجل الأمين؛ حيث ظهرت خيانة جماعته، وبرأ الله ساحة جماعة الشريف.

ومن ذلك: أنه اختصم عنده رجلان: مصري، ويمني في جارية، وادعى كل منهم أنها له، وأقام بذلك بينةً، فأجال فكرته الوقادة، وطلب قليلاً من الحَبّ، وقال لها: ما اسم هذا في بلادكم؟ فقال: بُرّ، فحكم لليمني، فظهر بعد ذلك أنه مالكها.

ومن ذلك: أنه اختصم لديه رجلان: شامي، ومصري في جمل، وادعى كل منهما أنه له، وأقام بذلك حجةً، ثم قال لهما: إني سأحكم بحكمٍ، فإن ظهر لي أن الحق بيد أحدكما، غرمت الآخر ثمنَ الجمل، فأمر بذبح الجمل، فذُبح، وأمر باستخراج مخه، فاستخرج، فتأمله، وقضى بالجمل للشامي، وأمر المصري بتسليم القيمة، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت مخه منعقداً، فاستدليت بذلك؛ فإن أهل الشام يعلفون دوابهم الكَرْسَنَّة، وهي تعقد المخ، وأهل مصر يعلفونها الفول، وهو يعقد الشحم دون المخ، فظهر الحق بعد ذلك كما قال.

ومن ذلك: أن شخصاً دفن مالاً بالمزدلفة، وكان شخص يرقبه، فلما قصد النفر منها إلى منى، وجد المال قد حفر عنه وأخذ، ولم يظفر بأثرٍ من آثار الغريم، إلا بعصًا ملقاةٍ، فأخذها، ورفع شكواه إليه، وذكر له القصة، فسأله: هل وجد من أثر؟ فقال: نعم وجدت عصًا ملقاة، فطلبها منه، فأحضرها، ثم تأملها، فأمر بإحضار جماعةٍ مخصوصين من العرب، فحضروا، فأشرفهم على العصا، وسألهم: هل يعرفون صاحبها؟ فقالوا: نعم، هي عصا فلان،

فأحضره، وسأله، فأنكر، فشدد عليه، فأقرّ بالمال.

ومن ذلك: أن شخصاً من سادات اليمن، وصل إلى مكة بجاريةٍ حسناء، سنها نحو العشر سنوات، فتعصب عليه طائفةٌ من الجَبَرْت، وادعى بعضهم أنها حرة الأصل، وأنها بنت فلان، وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك، واستخلصوها من يد ذلك السيد قهراً.

فرفع القضية له، فطلب الشاهدين، وأخذ يستدرجهما بمدحهما، وأنهما من مشاهير من جاور بمكة، من مدةٍ طويلةٍ، وأن شهادتهما مقبولة، ثم سألهما عن الشهادة، فأدياها على ما سبق، وأنها بنت فلان الجبرتي، ولدت ببلده، ونحن بها قبل وصولنا إلى مكة، فقبل شهادتهما.

ثم سألهما عن مدة إقامتهما بمكة، وهل خرجا منها بعد دخولها، فذكرا أن المدة تنوف عن ثلاثين سنة، وأنهما ما خرجا منها إلى بلدهما بعد أن دخلاها، فشاغلهما بالكلام ساعةً، ثم سألهما عن سن الجارية، فقالا له: نحو عشر سنين، فأخذ يسبهما، ويتكلم عليهما؛ حيث شهدا بولادتها وهم ببلدها، وقصد إتلافهما، وأعاد الجارية إلى سيدها، وكانت هذه الحكومة منه حكمةً بالغة؛ فإنه فطم بها طائفة الجَبَرْت عن مثل هذا؛ لأنهم سلكوا مثل هذا المسلك مدة، واستخلصوا.

هذا ومولانا رفيعُ العَلَم ممن حظي بسيفه والقَلَمِ
فإنه إنْ بالمدادِ رَقَما فكل ما أبداه كان حِكَما
له الكلامُ الجامُع المهذَّبُ في فهمِه لكل شخص مذهبُ
وكم له من حسن المحاضرة ما فات للعرب به والحاضرة

قد ذقتُ من حديثه حلوَ السمرْ كم ليلةٍ لذّ بها طولُ السهرْ
فلفظُه الدرُّ إذا ما نُثِرا على بساطِ السمعِ من غيرِ مِرا
كأنه من نَفَس النبوَّةْ أَجَلْ لما فيه من البنوَّةْ
فطالما أوقرتُ منه سمعًا قد أوتي الحكمةَ منه جمعا
وكلُّ ما فيه أنا من نِعَمِ فإنه آثارُ تلك الحِكَمِ
فالله يُبقيها ويبقي مددي منها ويُغنيني بهذا السيدِ
دهراً طويلاً سالماً من الغِيرَ ولن يشوبَ صفوَه شربُ الكدر
ممتعاً له خصوصاً بالقوى وناشراً لنصرة ذاك اللوا
وكافيته كلَّ ما أهمَّهْ من عين كلِّ حاسدٍ مُلِمَّهْ
يُبيد بالقدرة من عاداهُ بطالع السعد الذي حواه
ومن تولى نصرَهُ اللهُ فمن يخذله وذاك مولانا الحسن
والى عليه ربُّنا مكارمَهْ موصولةً منه بحسن الخاتمهْ

وأما ما قيل فيه من المدائح، فلا يحصر، غير أني أذكر منه هنا ما يُستحضر.

فمنه: قول الإمام العلامة عبد القادر الطبري، على لسان ولده زين العابدين:

فتنتني بأعينٍ غزّالَهْ خَوْدُ خدرٍ تفوقُ كلَّ غزالهْ
وأرتني من الجبين هلالاً مخجِلاً بالسَّنا ضوءَ الغزالَهْ
لاحَ في جبهةٍ تفوق ضياءً ولها حندسُ الغدائر هالَهْ

فـاخر الـشمسَ بالبهـا فـأقرتْ		فـي مقـام الفخـارِ أن البهـا لَـهْ
حـلَّ فـي قلـبِ عقـربٍ لحمـاه		صـنعت مـن ذوائـبٍ أوفعـى لـه
وأقامـتْ عليـه إكليـلَ شـعرٍ		أظهـرتْ مـن جَنـاه لـي أفعالـه
مـا بـدا للعيـون إلا وقلنـا		جـلَّ ربُّ الـسما أهـلَّ هلالَـهْ
يـا أهيلَ الهـوى المقيمـين شُكّا		فـي حمـاهُ مـستيقنين هلالَـهْ
سـطعتْ للعيـون أنـوارُه مـن		أفـقِ وجـهِ الحبيب ربِّ الجمالَـهْ
من على خصره المناطقُ شُدَّتْ		كـي نراهـا لردفـه حَمَّالَـهْ
ربـةُ الـدلِّ مـا مـدحت محيّـاً		منـك إلا لكونـه شـبهَ آلَـهْ
حيـث يـدعى للبـدر وهـو اسـمٌ		نجلُ المصطفى صـانَه الإلـهُ وآلَـهْ
حَسَنُ الإسم والمـسمّى أميـرُ الـ		ـمؤمنينَ الجليلُ حـاوي الجلالَـهْ
الإمـامُ الخليفـةُ العـدلُ أعلـى		مجـدَه ربُّنـا وزاد جلالَـهْ
الهُمـامُ الـذي تـأزَّرَ بالمجـ		ـدِ وأضـحى مجـدُّدًا أسـمالَهْ
وبـه الفخـرُ لـم يـزل فـي فخـارٍ		حيـث يـدري بـأن ذا أسـمى لـه
من أهبَّ الإلهُ فـي مـوطن النصْـ		ـرِ صَـباه مـن الـصَّبا وشَـمالَهْ
ويـسعدِ الإمـدادِ مـدَّد منـه		سـاعديه يمينَـه وشِـمالَهْ
الوقـورُ الحلاحـلُ الملـكُ الـشهـ		ـمُ الذكيُّ الأديـب صـفوُ الـسلالَهْ
الـرؤوفُ الـذي لرأفتـه مـا		لاذ شـخص بحبـه وسـلاله
من علـى رأسـه تـرى طـائر العـ		ـز مقيماً والـسعدُ أضـحى حُبالَـهْ
منحـة مـن إلهـه إذ رآه		حاميـاً سـوحَ بيتـه وجِبالَـهْ

ما رأينا من لمَ فضلَ جدله | سائله إلا أجابَ سؤالَهْ
عمَّ إحسانُه الأنامَ جميعًا | بالعطايا لا سِيَّما سُؤالَهْ
هو بحرُ الندى وكهفُ المنادي | وهُوَ ربُّ الجميلِ ربُّ الجمالَهْ
وهُوَ من بالحياء أنعمَ فضلاً | وهُوَ من للثناء أخرجَ مالَهْ
وهو ليثُ العرينِ عند كفاحٍ | فبنوهم تراهمُ أشبالَهْ
لم ينازلْهُ مقدمٌ قطُّ إلاَّ | رأى الموتَ عند ذا أشبى لَهْ
لم يكابرْ في سعدِ مولى الموالي | غيرُ من وصفُه قبيحُ الجهالَهْ
كيف والسعدُ منزلُ البدر حقاً | والسعوداتُ مَخضتْ بُرْجَها لَهْ
يا إمامَ الورى ومَلْكَ البرايا | وابن من خصَّ بالغمام ظلالَهْ
ومليكاً بعدلِه وهداه | أذهب الله أصلَ كلِّ ضلالَهْ
هاكَ عذراءَ مدحة هَذَّبَتْها | فكرةٌ فيك لم تَشُبْها كَلالَهْ
هي من عبدك الذي مَدْحُك المشـ | ـهورُ آتٍ له بدون كلالَهْ
مخلِصِ الودِّ باذلِ الجهدِ زينِ الـ | ـعابدين الإمامِ منشي الرسالَهْ
لكنْ قد زَفَّها يروم نثاراً | فأجِبْه فإنه قد رسالَهْ
دمتَ في صحةٍ وصفوِ سرورٍ | وهناءٍ ينمو على كلِّ حالَهْ
وصلاةٌ على النبيِّ وآلٍ | وصحابٍ لم يبرحوا بحجالَهْ

وقوله ـ أيضاً ـ على لسان ولده الإمام زين العابدين، مادحاً له ـ أيضاً ـ:

رَبْرَبُ الأخدار من شممه | لا يراعي النقض في ذممه
حجب الأبصار رؤيتُه | وتجلَّى في خبا خِيَمِهْ

وأرى أحبـــابَ حــــضرته | غــضباً مــا كــان مــن شـيمِهْ
مــا يــراه حــالَ نفرتـــه | غيـرُ مــن بــارى بـسفك دمِـهْ
زرتـــهُ والعـــزمُ يـــسعفني | آمـــلاً منـــه ابتـــسام فمِـــهْ
جُـــنْحُ ليـــل مـــسفر بـــسنا | طلعتـــه المـــأمول عـــن ظُلَمِـــهْ
فحـــداني عَـــرْفُ ســـاحته | وهـــداني مرتقـــى أكمِـــهْ
فَبَـدَا لـي فـي الحجـاب فَمِـن | راســه نـــورٌ إلـــى قدمِـــهْ
هـــو للرائـــي معاينـــةً | مثـلُ طيـفٍ مـرّ فـي حُلُمِـهْ
هِمـتُ مـن حبـي لـه زمنـاً | فـي رُبـى نجـد وفـي سَـلَمِهْ
أنظِـــمُ الآدابَ مـــن غـــزلٍ | أســنه الإعجــاز عــن كَلِمِــهْ
لنـسيب فـي المـديح يُـرى | حــسناً عنــد اجْتِنــا نعمِــهْ
ســيدًا مـــن آلِ حيـــدرةٍ | وعريقـــاً باقتفـــا عـــصمِهْ
وحكيمًـــا فـــي ممالكـــه | قَــطُّ مــا انحلَّــتْ عُــرا حِكَمِــهْ
فـــاقَ قُـــسّاً فـــي فـــصاحته | وســما الطـــائيَّ فـــي كرمِـــهْ
وابـنُ سـعدى لـو يقـاس بـه | كـــان مطروحـــاً بهنزمِـــهْ
هَـــزِرٌ للمكرمـــات سَـــنَا | عنـــصرٍ منـــه انتِهـــا هِمَمِـــهْ
كيـــف لا يهتـــزُّ مغتبطًـــا | وكتـــاب الله فـــي عِظَمِـــهْ
وملـــوكُ الأرض قاطبـــةً | كلُّهـــم واللهِ مـــن خَدَمِـــهْ
جـــدُّه طـــه الـــشفيعُ فيـــا | فـــوزَ مـــن يـــأوي إلـــى عَلَمِـــهْ
طـبْ نفـساً يـا مليـكُ بـه | فـي غـدٍ طـوبى لمعتـصمِهْ

أُمُّـــك الزهـــراءُ ابنتُـــه　　وأبــوك الــسِّبطُ مــن رحمِــهْ
أبَّـــد الـــرحمنُ قِبلَتَـــهُ　　بــكَ واستحمى حِمــى حُرمِــهْ
وحبـــاكَ المجـــدَ أجمعَـــه　　حيثمــا نَيّــتَ عــن حرمِــهْ
قـــسماً بـــالله يقـــسمُه　　عبــدُ بــرٌّ بــرٌّ فــي قــسمِهْ
إنـــك المَهْـــدي وحجتُـــه　　عــدلُك المعــدودُ مــن قــسمِهْ
يـــا أميـــرَ المـــؤمنين ومـــن　　شــاد بالعليــا عُــلا أُطُمِــهْ
خـــذْ مـــديحًا كلُّـــه دررٌ　　جــاء يــسعى نحــو مــستلمِهْ
هـــزأت بـــالفجر غُرَّتُـــه　　حيــثُ لاحــتْ مــن دجــى لِمَمِــهْ
نظــمُ عبــدٍ نثــرُ مــدحِك مــا　　زال يُــروى عــن حِجــا قلمِــهْ
هـــو زيـــنُ العابـــدين ومـــن　　طبـــري بـــدا[1] مختتمِـــهْ
قالـــه طفـــلاً وســـوف تـــرى　　بعــد مــا يأتيــك مــن خدمِــهْ
فابـــسطِ الأعـــذارَ وادعُ لـــه　　إن هـــذا أخيـــرُ مغتنمِـــهْ
دمـــتْ مـــولاه وســـيدَه　　مــا شــدا القُمْــرِيُّ فــي نَغَمِــهْ

[٨٧١] الحسن بن أبي القاسم بن علي.

كان من أجلاء السادة، وأكابر الأولياء، عظم حالُه بعد موت أخيه الحسين، وارتفعت درجته، ويعدُ صِيتُه.

[٨٧٢] السيد العلامة الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم بن

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: بَدْءُ.

محمد بن علي[1].

السيد العـارف بالله، المتسربل بثـوب الخمـول، والقاطع لنفسه ـ مع كماله ـ عن دواعي الفضول، له معرفةٌ جيدةٌ في النحو، وأصول الفقه، وسائر الفنون، وأما علم المنطق والتصوف، فمما انفرد به في قطر اليمن.

ومن مؤلفـاتـه: «شرحُ تهذيـب المنطق» لم يكمـل ـ فيمـا أحسب ـ، و«حاشيةٌ على شرح التهذيب» للسيد الحسن الجلال، لم يدع شيئاً مما أورده السيد إلا ردّه أحسن رد، ومنها: «حاشيـةٌ على شرح التهـذيـب للنيردي»، و«شرح رسالة الوضع العضدية»، ومنها: «شرح عقيدة عمه الإمام إسماعيل»، ومنها: «شرح لب الأساس» للإمام محمد المؤيد بن إسماعيل، ومنها: «شرح منظومة الورقات» للسيد محمد بن إبراهيم المفضل، وله «مؤلفٌ لطيفٌ في التصوف»، وغير ذلك من الفوائد، وله نظمٌ بديعٌ، أغلبه في منهج التصوف.

مولده سنة أربع وأربعين وألف بالدامغ، الجبل المشهور بجهة ضوران، ووفاته في شهر جمادى الأولى، سنة ألف ومئة وأربع عشرة بصنعاء، ودفن بحريمه ـ رحمه الله تعالى ـ.

قرأ على السيد علي العبالي، «هداية العقول» لوالده.

وله شعرٌ بديع، منه: هذه القصيدة الرفيعـة، والحكمة البديعة، وهي قوله:

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٢٩٧) (١٥٩)، «البدر الطالع» (١/ ١٩٧)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٤٦٨) (١٣٩)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٥٠٦) (٤٥)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٦٤) (١٩٨).

لكمالِ ذاتِك في الوجودِ تطلُّعي ... ولنيلِ وصلِك في المحبةِ تطلُّعي

ولوجهِك الزاهي بحسنِ جمالِه ... حجّي وتطوافي بذلك مربعِ

ولِذا استلمتُ الركنَ كنتُ مسلِّما ... قلبي المتيمَ لحسنِك الأروعِ

ولِذا سعيتُ فللصَّفا نحوَ الصفا ... وإن اعتمرتُ فللجنابِ الأمنعِ

يـا مـن تمنّـع أن أراه حقيقـةً ... لله لـي مـن حسنه المتمنّـعِ

أرضى الحجابَ ولو تجلّى مسفراً ... لانْدكَّ طـودُ القلـبِ عند المطلعِ

ومحت وجودي ساطعاتُ جمالِـه ... وجـهٌ بغيـر النـور لـم يتبرقَـعِ

لـولاه مـا ظهـر الأنـامُ ووصـفُهم ... فوجـودُهم مـن جوده فـافهم وعِ

واعلـمْ بـأن الكـون معـدومٌ إذا ... لـم يـرتبط بوجـوده المترفّـعِ

إن القـديم لـه التفـردُ والبقـا ... والانعـدامُ لحـادثٍ متقـشّعِ

فإليك أشكو منك فاجعلْ بُغيتي ... كـشفَ الغطـاء لغيـر قهـرٍ مفـزعِ

فالنفسُ قد حبست بـسجنٍ مظلـمٍ ... ترجو من السجن الخلاصَ فأسرعِ

والبعدُ أضرمَ في الحشا جمرَ الغضى ... والعـينُ تـسقيه لفـيضِ الأدمـعِ

لله أيـامُ اللّـوى اللاتـي مـضت ... مـا كـان أطيبَهـا بـوادي لَعْلَـعِ

حيثُ الحـصى دُرٌّ وتـربُ مـسيله ... مـسكٌ يفـوح بنـشره المتـضوعِ

فتبـدلتْ تلـك المـسرةُ ترحـةً ... لما تناءى عن حِماهـا موضِـعي

يا كعبةَ الـشرفِ التـي طافـت بهـا ... تلـك النفـوسُ لـسرِّها المـستودعِ

جودي علـى روحٍ بلطـفِ إفاضـةٍ ... لتعـود سـامعةً بمـا لـم تـسمعِ

فـالنفسُ تطلـب عطفـةً تحيـا بهـا ... أبـداً ولا تـصغي لـروعِ مـروِّعِ

بمعادِها ارتفعتْ وعزَّتْ بعدما | هبطَتْ إليك من المحلِّ الأرفعِ

[٨٧٣] السيد الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي، ورفع نسبه في ترجمة جده القاسم.

من أكابر علماء العِتْرة، وعظمائهم وسراتهم وكبرائهم، مقيمٌ بصنعاء، لا يعرِّج على الدنيا، ولا ينظر إليها، وله تصانيف تدل على غزارة علمه، ودقة نظره وفهمه، منها: «شرحٌ على عقيدة عمه الإمام إسماعيل المتوكل»، وبينه وبين شيخنا القاضي الحسين المهلا مكاتباتٌ ومراجعات، منها: ما كتبه إليه، وقد أرسل إليه مؤلفه المذكور، وما علقه السيد الهادي بن أحمد الجلال:

الحمد لله المحمود بنطق كل حامد، والصلاة والسلام على الرتبة الجامعة لجميع المحامد، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الهادين لأشرف المقاصد، الحضرة الجامعة لفنون المحاسن، التي تقر رؤيتها عيون الأعيان، والرتبة المطهرة لعوارف المعارف، التي تتشنف بسماعها آذان الأذهان.

فجنابها الرفيع مشرقٌ بأنوار التدقيق، ومدرجها المنيع مطلع على دقائق أسرار التحقيق، الذي لو ذاقه الفخر الرازي، لما كانت نهاية إقدام العقول له عقال، ولو فهمه المعلم الأول والثاني، لاتضحت لهما جلية الحال، ولم يلتفت إلى وساوس أهل الجدل، وهواجس أهل القيل والقال:

لمن غدا لذوي الألباب والفِطَنِ | يهدي إلى مسلك الآراء والسننِ
ومَنْ أثارَ المعاني من معادنها | وساق منهاجَها العالي على سَنَنِ
ومَنْ أقام مباني العلم فارتفعتْ | فقصرُه شامخُ الأركان في اليمنِ
وسوحُه ممتعٌ للنازلين به | مُسْلٍ عن الأهل والأحباب والوطنِ

سيدنا العلامة، مبرز التحقيقات الرضية الدقيقة، وبركتنا الأوحد الفهامة، مظهر التدقيقات المتينة، الفائق منطقه بروج أوج المفاخر، وسما فخراً كسمو الظاهر، شمس العلوم والدراية، وبدر الكمال والنهاية:

نجلُ الأفاضل من صَفَّوا قلوبَهم ... لفيض إشراقِ سرِّ الروحِ في العطَنِ
ففاض منها على العافين بحرُ هدى ... رواهم من معينٍ غير ذي أسنِ
أعني الحسينَ الذي أبدى لنا نُخُناً ... من علمه طوَّقتنا أعظم المننِ
لازال في نعمة موصولة برضًا ... ما دام يُذكر اسمُ الحق في الزمنِ

من رقا بشريف همته أرفعَ المقامات العلية، وصعِد بصحيح عزمِه إلى منتهى الحضرات السنية، ورفع الله سبحانه به منار الحقيقة، وأعلى شرف الإسلام والمسلمين، الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، شيد الله بعلومه أركان الهداية القويمة، وأوضح بفهمه منهاج الطريقة المستقيمة.

وساق الكلام فيه حتى قال: إنه صدر إليكم، مع ما اقتضيتم إصداره من الحضرة الجلالية، والبرزة الرفيقة الكمالية، حضرة سيدي الوالد، السيد العلامة معدل معاني المنقول والمعقول بميزان الاعتدال، الهادي بن أحمد الجلال ـ أنار الله العالمين بنور علمه، وهدى السالكين لطريقه المستقيم بطريق فهمه ـ شرحٌ لرسالة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين إسماعيل ابن الإمام المنصور بالله القاسم ـ زيّن الله بعدله الآفاق، ونفع بعلومه أولي الفهم والأذواق ـ.

أخرجه حكم الوقت إلى حضرة الإمكان، على يد العبد الفقير، المعترف بالعجز والتقصير، والخطأ والنسيان؛ ليتشرف بالمثول بين يدي نظركم

الشريف، ويأتي بقبس يهدي إلى العروج إلى معارج العلم المنيف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأخذ المترجَم عن السيد عز الدين العبالي علومَ المنطق، وعن السيد الهادي بن أحمد الجلال، قرأ عليه «شرح المنتهى للعضد»، و«الشرح الصغير على التلخيص»، وأخذ عن القاضي صالح بن أحمد العيشي علومَ العربية.

وله من المؤلفات: «حاشيةٌ على شرح السيد حسن بن أحمد الجلال على شرح التهذيب للسعد المسمى بالتهذيب»، و«شرحٌ على التهذيب»، و«شرحين[1] على الرسالة الوصفية» بسيطٌ ومختصر، و«مختصرٌ في علم الكلام»، و«شرحٌ على الإيجاز مختصرٌ لتلخيص المفتاح» للشيخ لطف الله العباب، و«حواشٍ على مواضع من البدر الساري» في علم الكلام للسيد محمد المعنى.

توفي ـ رحمه الله ـ في شهر محرم، سنة ألف ومئة وأربع عشرة بصنعاء.

ومما كتبه إلى القاضي الحسين المذكور ـ أيضاً ـ: هذه الرائقة الفائقة، وهي قوله:

إلى مَن به سحبُ المعارف أغدقَتْ ... فروّى غليلَ الطالبين نَميرُها
ومن سره النفسُ النفيسُة آزرتْ ... نتائجَ فكر لاح في الخلق نورُها
وحازت به تلك المعاني فأظهرتْ ... له ملكاتٍ فاق فينا ظهورُها
وصار له المعلوم منها مشاهداً ... فإن رام بحثًا لم يَعُقْه حصورُها

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: شرحان.

وما وقفتْ بالمستفاد بل ارتقتْ إلى عقلها الفعلي دام حبورُها

وإني لأرجو أن تراني قابلاً لفيض نوالٍ ناله مستميرُها

فيخرج لي من دُرِّ بحرِ علومِها عقودَ لآلٍ قلدته نحورُها

فيا من بهم تلك الصفاتُ تحققت ولولاهمُ لم يلف منها عشيرُها

ومن أدركوا غاياتِ كلِّ فضيلةٍ فمنهم إليهم عَوْدُها وصدورُها

ومن أوضحت أنظارهُم لأولي النهى خفايا المعاني فاستنارت بدورُها

ومن عمروا ركن الحقيقة وارتقَوْا ذُراها فطالت في الأيام قُصورُها

ومن أَنشقوا الأنفاسَ عطرَ هدايةٍ تضيَّعُ ريَّاها وفاحت زهورُها

ومن كشفوا عنا حجابَ شكوكِنا وقد أُسدلت في الأكثرين ستورُها

ومن أنباؤنا[1] عن لطيفةِ كونهم بما دلّنا أن الجنانَ مصيرُها

بعثتُ إليكم قطرةً من علومكم تغطَّت بأمواج لديكم بحورُها

فجودوا على الصادي بنهلة شاربٍ فنيرانُ أشواقي شَبَّ سعيرُها

وبعدها نثرٌ أشار فيه إلى دقائق العلوم، وأتى فيه بما يعجز عنه أرباب المنثور والمنظوم، وكتب إلى شيخنا الحسين المذكور قوله:

هل في ربوعٍ بجرعا الحِمى طللُ يحلُّه من له في حبهم شُغُلُ

وهل لمن لم ينل في الدهر بُغيتَه من آل ليلى وصالٌ ليس ينفصلُ

يا جيرةً طاب بين الخلق ذكرُهم لأجلكم بُعثت ما بيننا الرسلُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أنبؤونا.

فعاملونـا بقـدر الـودِّ إن لنـا بـشأنكم همـةً دانـت لهـا الأُولُ
ومـا انتفـاعُ أخـي الـدنيا بعزمتـه إذا تحولـتِ الأحـوالُ والـدولُ
فـإن تقاعـد كـان العجـز غايتَـه وإن تقاعس أضحى غاية الأسل[1]

سيدنا الذي مقدمات قياسه بديهة الإنتاج، وموضوع محموله بجده الأوسط ظاهر الاندراج، تمثيل استقرائه حجة يقينية، وترتيب دلائله أشكال اقترانية، شرطياته الاتفاقية لزومية، وافتراض عكسه مسقطٌ لعقم الجزئية، وكيف لا وقد أشرقت به مدارس العلم وشرفت، وعمرت أركانها بمشيد أفكاره وما اندرست.

فهو شرف الدين، والشرف على حدود الفلك بل خلاصة اليقين، واليقين أقوى أوصاف الملك، فأنهارُ علومه لا ينضُب ماؤها ولا يغيض، الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ ـ حفظه الله بالمعقبات من أمره، ولحظه بعين العناية من سره وجهره، وأهدى إليه من السلام أتمه، ومن الإكرام والإنعام أوفره وأعمه ـ.

وإنه ورد إلي ما أنتجه طبعه السليم، وفكره المستقيم، من فوائد ذلك الشكل الكريم، فحملني ثالثاً[2] على وضع هذه الرسالة، مجاراة سوابق الأفاضل، ومباراة لسهام المناضل، فإن جاءت مقبولةً، فذلك ما كنت أبغي، وإن عادت مردودةً، فمما اطُّرح وألغي، ومن لديكم من الطلبة والإخوان الكرام، مخصوصون بالتحية والسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

والسلام على رسول الله.

فأجابه بقوله:

يا من حلا بهم التفصيلُ والجمـلُ هل في ربوعٍ بجرعاءِ الحمى طللُ
بـه مظـاهرُ آيـاتٍ بهـم بهـرت يحلُّها مـن لـه فـي حبهم شُـغُلُ
وهل لمن لم ينل في الدهر بغيتَـه من وردهم سهل[1] يرتاح أو عَلَـلُ
فما مرامي سـوى علـم يكـون بـه من آل ليلى وصـالٌ لـيس ينفـصلُ
يا جيرةً طار بـين الخلـق ذكـرُهم عليّ مـن ودِّكـم مـا دونـه الأمـلُ
بعثتمُ مـن علـوم الجفـرِ أسـرحَها لأجلكـم بُعثـت مـا بيننـا الرسـلُ
فعاملونـــا بقـــدر الـــودِّ إن لنـــا لرتبـةٍ فيـه راقـت عنـدها الوُصـلُ
لا تتركوا جانب الأحباب إن لهـم بـشأنكم همـةً دانـت لهـا الأُول
ومـا انتفـاعُ أخـي الـدنيا بعزمتـه إن لم يكنْ مستقيمًا عنـده العمـلُ
ومـــا اســـتقامتُها إلا بهمَّتـــه إذا تحولـتِ الأحـوال والحِلـلُ
فـإن تقاعـدَ كـان العجـزُ غايتَـه وما لـه فـي المعـالي بعـدَ ذا نُـزُلُ
وإن تقاعس أضحى غابـة الأسـل ويعـــد ذاك فللجـــوزاء ينتقـــلُ
كما عدى ابن أمير المـؤمنين لنـا كهفًـا بـه نعـم الخيـار يتـصل[2]
فإن للحَسَنِ المولى الذي شـرفَت بـه مـدارسُ علـم منـه يعتـدلُ
ما لستُ أحصر من علم ومن عمل يا حبـذا منـه ذاك العلـمُ والعمـلُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: نَهَلٌ.

(٢) الخيار جاءت في الأصل غير منقوطة، ولعل الصواب: نعمُ الجبارِ تتصلُ.

مولانا الذي اطلع على أسرار العلوم الشرعية والعقلية، واستولى على ممالكها الذاتية والآلية، من أوتي في العلم مقاماً جليلاً، وبلغ فيه الرتبة التي أحلته منزلاً رفيعاً جميلاً، وعَلِمَ من جاراه فرأى باهرَ علمه معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥]، إمام العقل والنقل، وصاحب القول الفصل الجزل، وبركة جهابذة هذه الأمة، الذي تنتهي إليهم رسالة العلم والعمل، وبقيةُ سلف الأمة، الهداة الذين استووا على عرش الكمال في تلك الحلل، شرف الإسلام والعلوم والفضائل عن كمل، ومرجعُ الأئمة في مهمات الدين لتعود رائقة الحلى والحلل، طيبة الفروع والأصول والوُصل، الحسن بن الحسين ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، خمسةٌ أسماؤهم من سرب صوب الغمام، أيّده الله بتأييده، وقرن أموره بتسديده، وأبقاه ملاذاً للعلم وأهله، موصولاً بسلامه ورحمته وفضله، وإنه وصل إلى مترفه في أحسن ساعةٍ وحالة، وعليه رونق البهاء والجمال والجلالة، مصحوباً بنفيسات تلك الأسرار في تلك الرسالة.

وإن الكامل ليقصِّر عن درك براهينها اللمية، ويتحقق عند ذلك معنى الخطاب: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥]، إلى ما منّ الله به من تلك العلوم الوهبية، إذ معنى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾: ما أعطيتم، فجعلها موهبةً لا عطية، وقال في عبده الخضر ـ عليه أشرف التحية ـ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥] بالإشارة إلى تلك المكرمة اللدنية، وقال في السورة الرحمانية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[الرحمن: ١ ـ ٢] مشيراً إلى ما يؤخذ عن الملكة السرية.

ومن هنا ذهب ذاهبون إلى أن المراد بالعلم الذي آتاه: هو ما خُصَّت به

العترة الزكية، وأتباعهم المرتقين[1] إلى الدرج السنية، من العلوم الوهبية، وأن لو كان المراد به ما يشمل الكسبية، لقال: أوتيتم الطريق إلى تحصيل تلك اللطائف، ونحن نقول: المراد به: مطلق العلم؛ ليشمل العلمين، وذلك حاصلٌ من فضله بلا مين، ونحن نعلم أن ثم علماً اكتسبناه من أفكارنا وحواسنا، وأن ثم علماً يفتح الله به علينا عند النظر فيما أهمنا من علومنا، تشرق به شموس النظر، وتتحلى به الآراء والفكر.

وقد يمنُّ الله سبحانه بأمرٍ من العلم عظيم، ويورده على أرباب العلم والتعليم، موهبةً منه وفضلاً، وإن فضله لعميم، ومن هنا اختلف في العلوم الحاصلة عن التقوى أَوَهبية هي أم مكتسبة؟ رجح قومٌ الثاني، فهي الثانية في الرتبة؛ إذ التقوى مما جعلها الله سبباً وطريقاً إلى علومٍ هي عينها متسببة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، فما أعظم فضل الله وأطيبه!.

وعلى هذا: فالتقوى طريقٌ إلى العلم بالمعلومات؛ كالفكر، والنظر، والعلمُ الوهبي مما يمن الله به، لا من طريقٍ على الحد المعتبر، وهو السر المطلوب من اسمه عبد الوهاب عند أرباب النظر؛ فإن الوهاب هو الذي يكون عطاؤه على هذا الحد الذي بهر؛ بخلاف الاسم الإلهي، أو الكريم، أو الجواد؛ كما هو مبسوطٌ بما هو أظهر من القمر.

ولذا كان العارف بحقائق العلوم، وحقائق الأسماء لخالق القوى والقُدر، عارفاً كيف ينزل الثناء على الوجه اللائق، بمن خلق الإنسان في أحسن تقويم،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: المرتقون.

وشَقَّ له السمع والبصر، ومن هنا وصل أرباب الفضل المؤيد، المأخوذ من طور سيناء آل محمد، إلى رياض علومٍ ومعارف، ومحاسن ولطائف، فأنشدوا بين تلك المطارف:

خليلـيَّ إن الجِـزْع أضـحى ترابُـه ... من الطيـب كـافوراً وأغـصانه نَـدَّا

وأصبح ماءُ الجزع خمراً وأصبحت ... حجاراتـــه دُرّاً وأوراقُـــه نـــدَّا

ومـــا ذاك إلا أن مـــشتْ بجنابـــه ... أُميمـــة أو جَـــرَّت بتربتـــه بُـــردا

وعند بلوغهم إلى تلك المشاهد، وكروعهم من[1] سلسل تلك الموارد، قالوا:

من فاته منـك وصـلٌ حظُّـه النـدمُ ... ومن تكن همَّـه تـسمو بـه الهِمَـمُ

وناظرٌ في سوى الأسباب حُقَّ لـه ... يقتصُّ من جفنـه بالـدمعِ وهـو دمُ

والسمعُ إن جال فيـه مـن يحدثـه ... سوى حديثك أمسى وَقْره الـصمَمُ

مـن المنـازلُ لـولا أن تحـلَّ بهـا ... وما الديارُ ومـا الأطـلالُ والخِـيَمُ

لولاكَ مـا شـاقني ربـعٌ ولا طلـلٌ ... ولا سعت بي إلى نحو الحمى قَـدَمُ

فـي كـلِّ جارحـةٍ عـينٌ أراك بهـا ... مِنِّي وفـي كـل عـضوٍ بالثنـاء فـمُ

فـإن تكلمـتُ لـم أنطـقْ بغيـرِكم ... وكـلُّ قلبَـي مـشغوفٌ بحبِّـكمُ

سعيتُ كلَّ طريق [لـست] أعرفُـه ... إلا طريقًـــا تـــؤدِّيني لـــربعِكم

أما أسرار تلك الرسالة التي برزت في تلك الحلة، وظهرت من نحو كريم

(١) في الأصل: في، والصواب ما أثبت.

تلك الجلة، المصدرة بالمبدَع الأول في مراتب الحرفية، الخبرة عن مقام الخليفة مقام المستخلف في العلوم الجفرية، ناطقةً عن الألف عنه بالواحد الذي لا يتجزأ، مشيرةً إلى القلم الذي صدر عنه أول ما أصدره الله من تلك الأجزاء، لمناسبته القلم في تلك الصورة اللطيفة.

ولذلك كان ما بعده من الحروف في تلك الاعتبارات الشريفة، وقد شرح أرباب العلوم الجفرية ذلك، ووسعوا في درك تلك المدارك؛ نظراً منهم إلى أن الحرف ومظهره هنالك، ليس هذا الذي يكتب في الصفحات والمسالك، ولكن فيه معناه الشريف؛ إذ هو أصل مظهره، ومنه مبدؤه، وإليه عودُ معناه، وخبره ومخبره، ولذا استخرج عندهم من صوره، التي هي أ ل ف عده اسماً من أسمائه تعالى، وأعظمها اسم...[1].

[٨٧٤] حسن باشا[2].

... يحب الأشراف، وينصفهم غاية الإنصاف.

ومن أعجب الأمور: أن بعض أعداء آل المطهر حسّن له القبيح إليهم، فقال: لا أغير نعمة لآل رسول الله ﷺ، ولا أرميهم بالنار؛ رعاية لجدهم المختار ﷺ، وفي دخوله إلى صنعاء دبر وفكر، وطول وقصر في أحوال اليمن، وشاور العقلاء، وجالس ذوي الفطن من الرؤساء، ثم نهض لحرب اليمن.

ونحن نذكر من فتوحاته نبذةً على جهة الاختصار، فعين على العساكر المنصورة كتخداه الأمير سنان بيك، وفتح حصن ظفار داود في سنة تسع

---

(١) سقط قدر ورقة من أصل المخطوط.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٧٣).

وثمانين وتسع مئة، وقبض على حاكمه السيد محمد بن الناصر الحوفي، وفتح حصن عمران في شهر صفر، سنة تسعين وتسع مئـة، وفتح حصن مدع في شهر صفر المذكـور، وحصن ذي مرمر في ذي القعدة من السنة المذكورة، وخرج إلى يده حاكم الحصن المذكور، السيد لطف الله بن المطهر.

وفتح صعدة وبلادها في سنة إحدى وتسعين وتسع مئة، وقتل حاكمها السيد أحمد بن الحسين المؤيـدي، وسلم الفقيـه عبدالله بن المعافى حصن السودة طاعةً للسلطان، فكافؤوه بالسنجق السلطاني، وقـررت بلاد السودة تحت يده، وهي الآن تحت يد أولاده، في سنة اثنتين وتسعين وتسع مئـة، وفتح حصن ثلا في جمادى الآخرة، سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة، وخرج إلى يده السيد علي يحيى بن المطهر، وقبض على الإمام الحسن بن علي المؤيدي، وفتح بلاده في شهر رمضان، من السنة المذكورة، من الصاب بجبل هنوم.

وفتح حصن عفار في ربيع الأول، من السنة المذكورة، وخرج إلى يده السيد غوث الدين بن المطهر، وفتح بلاد أصاب، في سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة، وقبض الوزير حسن على أولاد المطهر المذكورين؛ لأنهم بعد طاعتهم لم يسكنوا من إثارة الفتن، وأرسل بهم إلى الأبواب العلية السلطانية، وذلك في شهر ذي القعدة، سنة أربع وتسعين وتسع مئة، وهم: الإمام الحسين بن علي المؤيدي، وعلي يحيى بن المطهر، ولطف الله بن المطهر، وغوث الدين ابن المطهر، وحفظ الله بن المطهر، ومحمد بن الهادي بن المطهر.

وعيّن الوزير حسن باشا ففتح بلاد يافع كيخية الأمير سنان بيك سرداراً على العساكر، فتقدم على بلاد يافع في العشر الأوسط من ذي القعدة، سنة ست وتسعين وتسع مئة، فلم يزل الأمير سنان يغاديهم ويراوحهم بالحروب،

فكان بينه وبينهم ثلاث مئة وقعةً سجالاً، تارة عليهم، وتارة عليه، فأعطاه الله النصر عليهم، وفتح بلاد يافع في سنة سبع وتسعين وتسع مئة.

وفتح حصن أحوب، وحصن الغراب، ورجع سالماً غانماً في شعبان، سنة تسع وتسعين وتسع مئة، وقد فتح اليمن بأسرها، ولما استولى حسن باشا عليها، وسكنت عنه الفتن، وساعدته الأقدار، ودانت له الأقطار، ونامت عنه عيون الحوادث، استكثر العساكر وجوامكهم، وشرع في تقليلهم، فظهر في بلاد الشرف الإمامُ القاسم بن محمد بن علي، وادعى الإمامة في سابع وعشري محرم، سنة ست بعد الألف، فأطبق أكثر أهل جبال اليمن على طاعته، وسارعوا إلى إجابته، وصاروا من جملة جماعته، فاشتعلت نار الفتن، وثارت من الناس الحفائظ والإحن.

وضاقت أحوال الوزير من تردُّد أصحاب الإمام إلى صنعاء، وتفلَّت البلاد من يديه جميعاً، وقام عليه الأعلى والأدنى، وحاربه من كان لديه بالمحل الأسنى، وله عليه التفضل الأهنى.

ولم يبق مستقيماً على قدم الطاعة للسلطنة العلية ـ أعز الله أنصارها، وضاعف علوها واقتدارها ـ إلا الأمير شمس الدين أحمد بك بن محمد بك ابن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، الحاكم بمحروس كوكبان؛ فإنه لزم ما التزمه والده الأمير محمد من الطاعة للسلطنة، حسبما تقرر بينه وبين الوزير الأعظم الحاج سنان باشا، فبذل المذكور النفس والنفيس في إشادة نصرها المأمول، حتى نال بذلك ما نال، وفاز فوزاً عظيماً.

وقفاه ما فعله ولداه: الأمير وجيه الدين، [و]عبد الرب، فشيدا من الخدم

السلطانية ما فاقا به غيرهم، فنهض الوزير حسن باشا، وجمع أهل النجدة من الرجال، وبذل الأموال، وعين كيخية الأمير سنان بيك سرداراً على العسكر، وأمده بالمال والرجال، وطلب حاكم الحبشة علي باشا الجزائري، فوصل، وكان لوصوله تأثيرٌ في تسكين الفتن من بلاد اليمن الأسفل، ثم توجه على بلاد بنوه، فاستشهد بها سنة ثمان بعد الألف، وانضافت خزائنه بالعساكر إلى جانب الوزير حسن باشا.

وتوجه السردار الأمير سنان إلى جهة كوكبان، فاجتمع هو والأمير أحمد ابن محمد بن شمس الدين بن شرف الدين، ففتحا به كوكبان جميعها، بعد استيلاء أصحاب الإمام عليها، ثم توجه السردار على سائر البلاد، ففتح بلاد ثلا، وحصن ثلا، وبلاد عمران، وحصن مدع، وحصن عفار، وبلاد الظاهر، وبلاد نهم، وبلاد حصور، وبلاد الحيمة، وبلاد سخان، وبلاد مغرب آنس وذمار، وبلاد يريم، وفتح بلاد جبل اللوز، وبلاد خولان.

ثم عطف على بلاد الظاهر، فاستقر بخمر والصَّرَارة، وهما بلدان يتوسطان بلاد الزيدية، فوصل إليه الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر، وكان المذكور موالياً للسلطنة، فحصره الإمام القاسم في حصن مَبْيَن ببلاد حجة، فاستولى الإمام على بلاده، فخرج من حصن مبين إلى عند الإمام بالأمان، فلما أتى إلى عند الإمام، أخذ عليه العهد بأنه منه وإليه، فأرسله الإمام لحرب السلطنة.

فكان طريقه من عند الإمام إلى عند السردار، فافتتح بلاده بلاد حجة، وألزمه السردار باستفتاح بلاد الشرف، فاستفتحها، فلما شاهد الوزير حسن باشا علو همته، ومناصحته ومحبته لجانب السلطنة، أنعم عليه ببلاد الشرف،

وقرره على بلاد حجة والشرف، وكانت له إنعامات من جانب السلطنة تبهر العقول، فلم يرع لحقوق السلطنة في آخر مدته، بل طغى وبغى، وقد قيل: من رفع إنساناً فوق قدره، فقد أطغاه، وسنذكر فيما بعد ما آل إليه أمره.

واستولى الإمام على بلاد صعدة، فقام على ساق الحرب الأمير مصطفى بيك، وانتقل إلى رحمة الله، ثم قام مقامه الأمير محمد بيك الكردي، فاتفق الصلح بينه وبين السيد محمد المؤيدي، فحصل الفتح بمساعدة السيد المذكور، فأنعموا عليه بالسنجق السلطاني، ونال من السلطنة ما رغم بـه أنف أعدائه، وكان ذلك في شهر صفر سنة سبع بعد الألف.

وضعفت شوكة الإمام القاسم، ولم يبق في يده إلا حصن شهارة، في بلاد الأهنـوم، فتحصن بـه، فعين السردار الأميـر سنـان عسكراً وسرداراً، فأحدقوا به، وحازوه في حصنه، فخرج الإمام، وهرب من الحصن متنكراً، ولم يشعر به أهل حصنه، فضلاً أن يشعر من كان في حربه.

وبقي ولده محمد متحصناً في مكان أبيـه، وعجز عنه، وخاف حاله، فخرج بالأمان، وأن يكون محل قراره عند صاحب كوكبان، فأعطوه الأمان على ذلك، وقبض حصن شهارة، فخرج السيـد محمد بمن معه من إخوانه وأهله، وسكن في كوكبان، وسنذكر سبب خلاصه كيف كان من الأسر ـ إن شاء الله تعالى ـ، وكان ذلك سنة عشر بعد الألف.

ولما طالت مدة صاحب الترجمة باليمن، عزل عنه، وخرج على وجه مستحسن، فتوجه إلى الروم، يوم حادي وعشري صفر، سنة ثلاث عشرة وألف، وتولى بعده سنان باشـا كتخـداه، ثم توفي حسن باشا في القسطنطينية، في سادس عشر رجب، سنة ست عشرة بعد الألف.

[٨٧٥] حسن باشا بن عبدالله المعروف بشوريزي حسن[١].

كان جندياً بدمشق، ثم ترقى به الحال إلى أن صار من أمراء الجند، ثم ثار عليه الجند، وأرادوا قتله، فسلمـه الله منهم، وصولحـوا بعزله، فسلك طريقة التيمار، حتى صار جاويش السلطان، وسافر إلى القسطنطينية مراراً، وكل مرةٍ يأتي الشام بحسنةٍ إلى بعض المستحقين من العلماء والصلحاء، إما وظيفة، وإما صدقة.

وكان يستنهضه الناس في استخراج براءات لهم سلطانية، فيأتي إليهم بها حسبةً، وكان لـه اعتقاد في العلماء والصلحاء، وكان يحنو على الأيتام، وحضن كثيراً منهم، ممن لا ولي له، وثمرَّ أموالهم. . .[٢].

لـه محاسـنُ لا تُحـصى لكثرتهـا وطالمـا هطلـت خيـراً شـآبيبُه

يحب تعميرَ أوقـافِ المـساجد لا يـألو وقـد حُـسنت فيهـا تراتيبُـه

وكـان يُحـسن للأيتـام محـضَنهم تجـري علـى مـستوًى فيـه أنابيبُـه

. . .[٣] دمشق ومن فيها له وغـدا تجــرهم غيــر ابــاء مجاويبــه

وربمـا مـسَّ منـه الظلـمُ بعـضَهم وعاث في الناس تؤذيهم يعاسيبُه

يُبادِئُ الناس بالترهـاب يـوهِمُهم ممـــا يبلِّغُـــه عـــنهم دَياديبُـــه

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٩٣) (١٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٤).

(٢) سقطٌ قدر ورقةٍ من أصل المخطوط.

(٣) جاء في الحاشية: «قبل كلمة «دمشق» كلمة غير ظاهرة».

أخلتْ منيتُه منه الديارَ فقد ... أمستْ خلاء تبكّيه شتاحيه

من بعض ما أقلجت منه مفاصله ... وما نفت عنه أسقاماً تقاربُه

كانت تسوّم في عرض مراكبه ... فصار للأرض وانفكت تراكيبُه

فليعتبرْ كلُّ جبارٍ بميتتِه ... ما قد خلدت كلا ونيبُه[1]

يا طالما ينصرُ الآياتِ ظاهرةً ... والقلبُ ما فعلت فيه تقاليبُه

وما اعتبرنا بما التاطتْ وما نشبت ... في ذا الزمان بأهليه مخاليبُه

نجرِّبُ الدهرَ تاراتٍ فنعرف ما ... يُجريه لم تلونا عنه تجاريبُه

طوبى لمن لم يكن بالدهر منخدعًا ... ولم تُمِلْه عن التقوى محابيبُه

بالخير يُذْكَر أو بالشر كلُّ فتًى ... قضى فلا أُسْدُه تُخشى ولا ذيبُه

ذكره النجم الغزي في «الذيل»[2].

[٨٧٦] حسن دده.

كان بقرية قاي في صحراء مرتضى آباد، قريباً بقصبة أياش، وكان شيخاً صالحاً، صاحب رياضةٍ وكشف، توفي سنة سبع بعد الألف.

[٨٧٧] حسن دده.

الساكن الآن ببلدة أرض روم، كان عالماً صالحاً، يعظ الناس في الجامع، وله أصحابٌ ومريدون[3].

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران بياض».

(٣) جاء في الحاشية: «بعد ذلك سطر بياض».

[٨٧٨] حسن الدَّيْر عَطاني[1].

الشيخ المجذوب، كان من قريـة عطية، بالقرب من النبك، من ناحية جُبّة عُسال، وكان مجاوراً بالجامـع الأموي، لا يخرج منـه إلا قليلاً، وكان لا يقتات إلا بالخبز الخشن، ويأتدم بالخل والزيتون، وكان لا يقبل من كل أحدٍ شيئاً، بل يقبـل من جماعـة مخصوصين، فيظهر لامتناعـه في الغالـب حكمة، فيكون امتناعه لشبهةٍ فيما يدفع إليه، أو عدم إخلاص.

وكانت له مكاشفاتٌ ظاهرة، وأحوالٌ باهرة، وليس عليه سوى قميصٌ أزرق، ويلبسه صيفاً وشتاءً، وقيام في الجامع، وهو نظيف البدن والثوب، وإذا كان شهر رمضان، ذهب إلى بلده، فصام بها، وترك الجامع؛ لاجتماع الناس فيه في ليالي رمضان، وكثرة لغطهم.

وسمعه مفتي الحنابلة بدمشق أحمد الوفائي، قبل واقعة ابن جانبولاد، وهو يقول: اظلم ظلمـوا، اظلم ظلمـوا، فقال لـه: يا سيدي! عمن تقول؟ قال: عن هؤلاء الظلمة، يشير إلى عسكر دمشق، سوف ترى كيف يسلط الله عليهم علي بن جان بولاد، فلما تلاقـوا معه، انكسروا، ثم هربوا، وتشتتوا في البلاد.

قال النجم الغزي: وكنت يوماً ماراً عليه، وأنا في مهمة لي، فقلت في نفسي: يا شيخ حسن! خاطرك معنا، فخاطبني شفاهاً بقوله: قضيت الحاجة، قضيت سريعاً، ثم بعد أيام قلائل مررت بـه وهو مغضَب، فقلت له: مالك

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٠٥) (١٤٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٧٨).

يا شيخ حسن؟ فقال: أئمة الجامع هؤلاء الفاعلة التاركة، يؤذنون الفقراء، ويحملونهم الحملات، فتلطفتُ به حتى سكتَ.

وكان الحافظ أحمد باشا نائب الشام يعتقده، ويعرض عليه الأموال، فلا يقبلها منه، ويقول له: رُدَّ عن الفقراء هذه السوقة، الذين يبيعون الشهوات الطيبات، ويؤذون الفقراء، وإنما يشير إلى أن مثل هذه الأمور التي لا يقصد بها إلا ردّ ما يتأذى منها، فكيف لا يتأذون من ظلم الحكام؟ وكان ينكر على السوقة بيعهم للمآكل الطيبة، ويقول: إنهم يكدرون على الفقراء عيشهم، ويؤذونهم.

وتشكَّى قبل وفاته يوماً أو يومين، من غير انقطاع ولا اضطجاع، وأكثرُ الناس لم يعرفوا ذلك، فلما كان يوم الأحد، تاسع شعبان، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، أراد الخروج من الجامع، وقتَ الضحى، فسقط قبل أن يصل إلى باب العنبرانيين ميتاً، ودفن بمرج الدحداح، خارج باب الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٧٩] السيد حسن المجذوب المعتقد.

كان من بعض ضواحي الشام، ودخل دمشق، فجاور بالجامع الأموي عند باب الغزالية سنين، يأكل من غيب الله، وكان معتقداً، ثم انتقل إلى جامع يلبغا، تحت قلعة دمشق، وجاور به، فبينما هو ثمة ذات يوم، جلس بالقرب منه رجلٌ من المولوية، فجاءت هرةٌ تناولت من بين يدي المولوي شيئاً، فذبحها المولوي، فقام السيد حسن فذبح المولوي، وعُرض على حسن باشا ابن محمد باشا الوزير، وكان نائب الشام يومئذٍ، فسأله: لم قتلت هذا؟ فقال: لأنه قتل قطي، فأطلقه لجذبه، وعدم شعوره، ثم تبين أن المولوي قتل نفوساً

كثيرةً، وكان لصاً، ولم يُقتص منه.

ثم انتقل بعد هذه الكائنة إلى بستان بأرزه من المزارع، فقطن بها سنين، وأخبرني جماعةٌ من أهل تلك الأرض: أنه كان في زمن الشتاء لا يصيبه الثلج إذا وقـع، ولا يصيب المكان الذي هو فيـه، وكان لا يتضرر من حر ولا برد صيفاً ولا شتاءً، وكانت الناس تقصده بالزيارة، ويأتونـه بالطعام والشراب، ويرون منه المكاشفات.

ثم انتقل إلى سفح قاسيون، وأقام بمغارة الشَّيَّاح، بين مغارة الدم وكف جبريل، وانضم إليه الشيخ حسن الرومي، وكان يتعبـد بذلك الـوادي قبلـه سنين، والشيخ أبو بكر الصباغ، إلا أنه مات قبلهما، وبقيا بعده، ثم كان الناس يطلعون إليهما للزيارة رجالاً ونساء، وكان يُقصد لأمور، فتحصل على أحسن وجه، وكان مستغرقاً لا يعقل.

ولما كان يوم الاثنين، ثالث عشر صفر، سنة ثمان عشرة وألف، وكان ثامن آيـار، قبيل وقـت العصر، جاءت سحابـةٌ فيها رياح قواصف، ورعودٌ شديدةٌ، وبروقٌ متواترة، ثم تكاثفت وتراكم غمامها، ثم جاء بَردٌ شديدٌ كبيرٌ بقدر البندق، ووقع غالبه على الصالحية والجبل، ومعظمه كان على الجانب الغربي منها، وكثيرٌ منه على دمشق، حتى امتلأت منه الأقنية والطرقات، ثم سالت أودية الصالحية، لا سيما الوادي الذي فيه مغارة الشَّيَّاح، فأخذ السيل دوراً وقبوراً، فأمات الله فيه من الأحياء كثيراً، واستخرج من الأموات جمعاً كأنهم قـد نشروا نشوراً، وفتح في تلك الأرض مع صلابتها خنادق عميقة، وأطلع من تلك الأرض صخوراً عظيمة.

وكان من جملة من أخذ السيل: المترجم، ورفيقه حسين الرومي، واستُخرج صبيحة يوم الثلاثاء، رابع عشر صفر، سنة ثمان عشرة بعد الألف، وحضر جنازته الجمُّ الغفير، وكان من جملة من حضره: العارف بالله الشيخ محمد بن سعد الدين، وصلى عليه إماماً بالناس النجمُ الغزي ـ رحمه الله ـ.

[٨٨٠] حسن بن الذُّكرة الحلبي.

هذا الأديب، كان من أجمل أهل زمانه، متميزاً في جميع المحاسن والكمالات على جميع أمثاله وأقرانه، حسن الصوت والأوصاف، قريب الصحبة والمنادمة والائتلاف، وله على كتب الأدب اطلاع زائد، وأغصانُ روضٍ حسنه ما بين مائل ومائد، ورأيت له أبيات، هي على كمال فضله آياتٌ بينات، وهي قوله:

وأغيدَ بات يسقيني معتقةً ... كأنها ريقُه أو حسنُ فعلتِهِ
أحوى حوى ملحاً في وجهه فغدت ... مرآة ذات منه صبح غُرَّتِهِ
يريك غصْن النقا من قدِّه غصنًا ... عليه بدرٌ بدا في ليل طُرَّتِهِ
ما زلتُ أشربها صرفًا وربتما ... كان المزاجُ لها معسولَ ريقتِهِ
حتى انثنيت أرى المريخَ من خدمي ... وأن أدنى ارتفاعي فوق رتبتِهِ

[٨٨١] الحسن بن زيد العيزري.

القاضي العلامة، النبيه الفقيه، أستاذ المشايخ، كان من أهل العقل الرصين، والثبات في الأمر، والشهامة الكلية، حميد الرأي، موثوقاً به في جميع أحواله، محققاً في علوم العربية والأصول، والفقه والفرائض، رحل

إليه كثيرٌ للأخذ عنه، منهم: القاضي أحمد بن سعد الدين، قرأ عليه طرفاً من «الرضي»، وتخرج بـه، وانتفع بحلمه وعلمه، كثيراً ما يروي عنه، ومنهم: ولده إبراهيم، ورحل المترجم إلى عبدالله المهلا النسائي إلى باب الأهجر، وقرأ على ابن قيس الثلائي في الفرائض.

وكان ملازماً لحضرة أبي طالب أحمد ابن الإمام القاسم، متولياً للقضاء، وله من أبياتٍ قالها إجازةً لنصف بيتٍ رآه في النوم السيد أبو طالب أحمد بن القاسم، بعد فتح عمران، رأى أنه قال في منامه:

أقمنـــا عـــارَ عاثرِنـــا فقامـــا ....

فقال المترجم:

شـددنا خيلَنـا العُـربَ الكرامـا ... وحَرَّمنـا الإقامـةَ والمنامـا
وجـدْنا عـرارَ العـزم حتـى ... أقمْنـا عـارَ عاثرِنـا فقامـا
وشَـرَّدنا الأعـادي وانتقمنـا ... بمـنّ الله أقوامـاً طغامـا
بنـصر الله دمَّرنـا عِـدانا ... ونرجـو أن يكـون لنـا لِزامـا
ونملـكَ أرضـهم شـرقاً وغربـاً ... مـع السروات نمتلـك التهامـا
مع الحرمين نملـك أرضَ بـصرى ... وبغـداداً ومـصراً والـشآما

توفي يوم الخميس، تاسع عشر محرم، سنة ثمان وثلاثين وألف، ودفن بالعيازرة، عند المسجد ـ رحمه الله ـ.

[٨٨٢] السيد الحسن بن شرف الدين بن صلاح الدين بن يحيى ـ ويلقب بالهادي ـ بن الحسين بن المهدي بن محمد بن إدريس بن علي بن

محمد ـ الملقب بتاج الدين ـ بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن أبي هاشم الإمام النفس الزكية الحسن بن عبد الرحمن ابن يحيى بن عبدالله بن الحسين العالم ابن الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي ـ سلام الله عليهم ـ[1].

كان عالماً عاملاً زاهداً، واسع الأخلاق دمثها، متبلج المحيَّا، محباً للضيوف، حنقاً على أعداء الله، وهو الذي افتتح حصن ثلا وعفار، على وجه تمنعه العادات؛ فإنه دخلهما عنوةً، على ضيق ملكه.

ومما روي عنه: أنه حين تقدم على أحد الحصنين، صلى ما شاء الله، ثم قال: أستوهب من الله هذا الحصن، وسماه، فانفتح بعد السهر والعلو، بفضل الله، مع سهولة من معه.

ومن شعره يحرض الناس على الجهاد:

أمثلُكم يطيبُ له المنامُ ... ويهناه الشرابُ أو الطعامُ
ويضحك ضاحكٌ عجباً ولهوًا ... حرامٌ ذلكم منكم حرامُ
وكيف يَلذُّ للأحرار عيشٌ ... وسوحُ ثلا تَعاوره الطغامُ
وشرد ساكنيه بكل نجد ... وأعقبه لهم بومٌ وهامُ
فحيناً من بُغاثِ الترك يعدو ... وأحياناً تفاديه شبامُ
أحصنُ ثلا حماه الله يرضى ... بأن يعلوه قهرٌ واهتضامُ
ومولانا الإمام له جنودٌ ... يضيق السهلُ منها والأكامُ

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣٠١) (١٦٣).

وســـاداتُ الأنـــام بكـــل قطـــر | لكـــل منـــه خـــشن لهـــامُ[1]
فـصخْ مـنهم واسـمعْ إن أجـابوا | ونبِّـــههم إذا مـــا هـــم نيـــامُ
وقـــل أحبابَنَـــا كـــم توعـــدونا | أمـــا يُرجـــى لموعـــدكم تمـــامُ
فيـــا أنـــصارَ مولانـــا قعـــدتُم | فلـــيس يُـــرى لمقعـــدكم قيـــامُ
غفلْـــتُم بـــل رقـــدتُم ثـــم نمـــتم | فكـــم ذا تغفلـــونَ وكـــم تنـــاموا
أجِـدُّوا فـي الجهـاد فقـد دعـاكُم | إمـــامٌ لا يقـــاس بـــه إمـــامُ
إمـامٌ مـن بنـي المختـار طابـتْ | أرومتُـــه وأســـلمه كـــرامُ
ويـــدرٌ مـــن بنـــي الزهـــرا تجلَّـــى | يـــزولُ بنـــور غرتـــه الظـــلامُ
فنحمُـــد ربَّنـــا إذ قـــام فينـــا | أخٌ بـــرٌّ وهُـــو منـــا غـــلامُ
فجـــازاه الإلـــهُ جنـــانَ خلـــدٍ | بخيـــر حـــين يـــدخُلها الـــسلام

توفي يوم الجمعة، تاسع ذي القعدة، عام ثمانية وعشرين وألف، وصلى عليه الإمام القاسم، عقب خروجه من صلاة الجمعة، ودفن في آخر مسجد ذي الشرفين، أيمن الباب الغربي، من غير فصل، وعمره نحو ثمانين سنة.

وفي قبره يقول السيد البليغ محمد بن عبدالله الحوثي، في آخر تعزيته للإمام القاسم، عند موت المترجم:

شرفٌ على شرفٍ بحصن شـهارةٍ | فاعجـبْ لقبـة قبـرِ ذي الـشرفينِ
حوت المحامدَ والمفاخرَ والتقـى | والمجدَ أجمعَ مـن كـلا الطـرفينِ

(١) كذا في الأصل، الشطر الثاني غير مستقيم الوزن.

وتوفي ولده السيد العابد، الكريم المفضال، قرين العبادة، وخدين الزهادة، محمد بن الحسن، يوم الجمعة، آخر شعبان، عام ثلاثة وستين وألف، ودفن إلى جنب والده، وكان ومن وجوه أهل البيت المطهرين، لا يغلق بابه دون طارق، ولا يفارق حضرة الإمام في سعة ولا ضيق، وإذا جاءه طلاب الإمام، وما حضر طعامه، أخذ من شيء يسمى: الرَّهى ـ بالراء المهملة ـ، وهو من مقدمات اللحيح، فيناولهم منه ما يسد الرمق، وكان ميموناً في مقاصده، وكل من قرأ عليه، فتح عليه ـ رحمه الله ـ.

[٨٨٣] السيد حسن بن شدقم الحسيني المدني[1].

أحد السادة الذين جمعوا إلى شرف العلم عز الجاه، ونالوا من خيري الدنيا والآخرة بضاعةً غير مزجاة، دخل الديار الهندية في عنفوان شبابه، فصدره الشرف في مجالس أهله وأربابه، وما زال يورق في رياض إقبال عوده، حتى أسفر في سماء الإسعاد سعوده، فأملكه أحد ملوكها ابنته، ورفع في مراتب العلياء رتبته، فاجتلى عرائس آماله في منصات نيلها، واستطلع أقمار سعده في نواش ليلها، واقتعد الرتبة القعساء، وأصبح وهو رئيس الرؤساء.

وكان من أحسن ما قدره، من حزمه ودبره، وحرره في صفحات عزمه وحبره، إرسالَه في كل عامٍ إلى بلده جملةً وافرةً من طريف ماله وتالده، فاصطفيت له به الحدائق الزاهية، وشيدت له القصور العالية، ولما هلك الملك أبو زوجه، وهوى قمر حياته من أوجه، انقلب بأهله مسروراً، وتقلب في تلك

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٤٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٢٧) (٣١٦).

الحدائق والقصور بهجةً وسروراً.

إلا أن الرياسة التي تمت له في تلك الديار، والمكانة العظيمة اللتين تميز بهما، لم يجد عنهما في وطنه خلفاً، ولم ترض أنفته أن يرى في وجه جلالته كلفاً، فانثنى عاطفاً عنانه وثانيه، ودخل الهند مرة ثانية، فعاد إلى أبهته الفاخرة، وبها انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة.

وله شعرٌ بديعٌ فائق، اقتطفته من أزهار تلك الحدائق، منه قوله:

وليس غريباً من نأى عن دياره ... إذا كان ذا مال ويُنسب للفضل
وإني غريبٌ بين سكان طيبةٍ ... وإن كنت ذا علم ومال وفي أهلِ
وليس ذهابُ الروح يوماً منيةً ... ولكن ذهابُ الروح في عدم الشكل

وقوله:

لا بد للإنسان من صاحب ... يُبدي له المكنونَ من سِرِّهِ
فاصحبْ كريمَ الأصل ذا عفةٍ ... تأمنْ إذا عاداك من شَرِّهِ

[٨٨٤] الحسن بن شمس الدين بن حجاف(١).

كان سيداً عالماً، سهل الطريقة، دمث الأخلاق، متواضعاً يألف الفقراء ويألفونه، أقام بصنعاء، بجوار مسجد الأخضر، في الجانب القبلي، وكان له بيتٌ ملاصقٌ للمسجد، من جهة اليمن، ينسب إلى الإمام الفقيه العابد إبرهيم الكسعي، وكان مأوى الفضلاء، لا يزال مزوراً بعيون العلماء، في غالب الأوقات.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣٠٣) (١٦٥).

وكان عالماً كبيراً في الكلام والمنطق، قرأ بمكة: «الرسالة الشمسية» على الشيخ الصوفي أحمد بن علان، ومعه جماعةٌ، منهم: السيد محمد بن عز الدين المفتي، والسيد علي بن بنت الناصر، وأتموها في ثمانية عشر شهراً، قراءة تحقيق، وقرأ عليه أيضاً: المطول للسعد، وهو الشرح الذي سُمي بـ: «اليزدوي» كما قال الدماميني.

وكان له نظمٌ حسن، واتفق ان الباشا حبسه؛ لما ظنه فيه من خلطته للإمام القاسم، فكتب من الحبس إلى تلميذه القاضي العلامة إبراهيم بن يحيى الشجري[1] السحولي:

يا صاحبي إما إن حبستَ فلا تكنْ قنوطاً فإن اللطف يا صاحبي ساري
لعل وراء الغيب أمر يسرُّنا بقدرة من في علمه الخالق الباري

فذيَّلَ البيتين القاضي إبراهيم بقوله:

وإني لأرجو غارةً نبوية تفكُّ بعون الله عُسري بإيساري
دَعَونا على رفع النوائب عاجلاً فيا خالقي حقق رجاي وإضماري

ومما كتبه السيد إلى القاضي المذكور ملاطفاً:

يا فقيه الإمام يا من عليه عمدةُ المسلمين فقهاً ونحوَا
وله في الأصول حظٌّ جزيلٌ في قياس وفي صفاتٍ وفَحْوى
ما الذي يفعل المحبُّ إذا ما شاقَه شادنٌ من التركِ أحوى

(١) في الأصل: السجري.

وقـوامٌ كغـصنِ بـانٍ ووجـهٌ   من بدور الكمـال أسنى وأضـوى
هـل لـه أن يقبـل الثغـرَ منـه   افعلـوا للمحـبِّ فـي ذاك فتـوى

فأجابه القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ:

قـد حكمنـا بمنـع ذاك وإن الـ   ـحكم لا شكَّ قـاطعٌ كـلَّ دعـوى
فاسـلُ عمـا ذكـرتَ وادَّرِعِ الـصبـ   ـر وخذْ في نهـج الـشريعة مثـوى
إنـه عنـدنا حـرام وأمـا   عند أهل الهوى فخـذ فيـه فتـوى

قلت: وأذكرني هذا: ما كتبه بعض العلماء إلى الشيخ أبي جعفر أحمد ابن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي؛ نسبةً إلى طحا، من صعيد مصر:

أبـا جعفـرٍ مـاذا تقـولُ فأَفتنـا   إذا نابَنـا خطـبٌ عليـك نُعَـوِّلُ
ولا تُنكـرَنْ قـولي وأَبـشرْ برحمـةٍ   من الله في الأمر الذي عنه تـسأل
أفـي الحـب عـارٌ أم العـارُ تركُـه   وهل من لحا أهلَ الصبابة يجهـلُ
وهـل ذا مبـاحٌ فيـه قبـل متـيم   تهـاجره أحبابُـه وتوصِّـلُ
فرأيَـك فـي ردِّ الجـواب فـإنني   بما فيه تقـضي أيهـا الـشيخ أفعـلُ

فأجاب الطحاوي:

سأقضي قضاءً في الذي عنه تسأل   وأحكـم بـين العاشـقين وأعـدلُ
فـديتُك مـا بالحـب عـارٌ علمتُـهُ   ولا العارُ تركُ الحب إن كنتَ تفعلُ
ومهما لحـا فـي الحـبِّ لاحٍ فإنـه   لعمرُكَ عندي من ذوي الجهل أجهلُ

ولكنه إن مات في الحبِّ لم يكن ... لـه قَـوَدٌ عنـدي ولا فيـه يُقتـلُ
ووصلُك من تهوى وإن صَدَّ واجبٌ ... عليـك كـذا حكـمُ المتيـمِ يفعـلُ
فهـذا جـوابٌ عنـدي فيـه قناعـةٌ ... لما جئتَ عنه أيها الشيخُ تسألُ

وفي «طبقات الأسنوي»، في ترجمة أبي محمد البافي ـ بالموحدة والفاء ـ: أنه جاءه غلامٌ حَدَثٌ، بيده رقعةٌ، فدفعها إليه، فنظر فيها مبتسماً، ثم أجاب عنها، وردها، وكان فيها بيتان، وهما:

عاشـق خـاطر حتـى اسـ ... ـتلب المعـشوق قبلَـهْ
أفتنـي لا زلـتَ تفتـي ... هـل يبيـحُ الـشرع قتلَـهْ

فأجاب:

أيهـا الـسائلُ عمـا ... لا يُبيـح الـشرعُ قتلَـهْ
قبلـةُ العاشـقِ للمعـ ... ـشوقِ لا توجـبُ قتلَـهْ

ويشبه هذا: ما نسب إلى أبي محمد عطاء بن أبي رباح:

سألتُ الفتى المكيَّ هل في تزاوُرٍ ... وضـمةِ مـشتاقِ الفـؤادِ جُنـاحُ
فقـالَ معـاذَ اللهِ أن يـذهب التقـى ... تلاصـق أكبـاد بهـن جـراحُ

فقال عطاء: والله! ما قلت هذا.

ومما تقوَّله الشعراء على عطاء: قوله:

سألتُ الفتى المكيَّ ذا العلم ما الذي ... يحـلُّ مـن التقبيـل فـي رمـضانِ
فقـال لـيَ المكـيُّ أمـا لزوجـةٍ ... فـسبعٌ وأمـا خلـة فثمـانِ

وكان السيد العلامة إسماعيل بن إبراهيم الحجاف يتردد إليه لسماع «الشرح الصغير على التلخيص»، فجاء يوماً والمترجَمُ غائب، فكتب في الجدار:

وصلتُ إلى ربعكم سادتي فلم ألقَكُم في الجنابِ الرحيبِ
فعدتُ إلى منزلي آيبًا وأيقنت أن اللقا عن قريبِ

فكتب تحته:

وصلتَ إلينا فلم تَلْقَنا وكنا نحبُّ لقاء الحبيبِ
فحظٌّ حُرمناه لكننا نفوزُ الغداةَ بأوفى نصيبِ

وكان يوماً بمنزله، والسيد البليغ محمد بن عبدالله ابن الإمام شرف الدين يصلي أحد العصرين، فقال لي: حضرني الآن حديث عبدالله بن عمر ﵄ الذي رواه مسلم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، واعدد نفسك في الموتى، فإذا أصبحت، فلا تحدثها بالمساء، وإذا أمسيت، فلا تحدثها بالصباح، إلى آخر الحديث»، فعقدت ذلك، فقلت:

صاحِ إياك والركونَ إلى الدنـ ـيا فإنَّ الرحيل عنها قريبُ
كن بها مثلَ عابرٍ لسبيل أو غريبٍ فأنت فيها غريبُ
والحياةُ الدنيا طريق إلى الـ أخرى وما استوطنَ الطريقَ أريبُ

وكان بينه وبين السيد لقمان مشاعراتٌ حسنةٌ.

ومن شعره من قصيدةٍ نبويةٍ قوله:

ما لي أرى الغادةَ الحسنا فأهجرُها وأهجرُ الكأسَ واللذاتِ والطربا

وأهجرُ الخَوْدَ معسولاً مُقَبَّلُها وكنتُ قبلُ أهوى أن يقال صَبا

ما ذاك إلا لأن الدهر أكسبني حلمًا وأفضله ما كان مكتسبا

وقال لي زاجرٌ من نية صلحَتْ والوجدُ يُشرقني بالدمع منسكبا

لا درّ درُّكَ يا هذا أما نظرتْ عيناك ما قد أتى في الدهر أو ذهبا

وله شعرٌ على «لامية العجم للطغرائي».

توفي بصنعاء، ودفن بجربة الروض، عند العلامة النحوي ـ رحمه الله ـ.

[٨٨٥] حسن بن عبد القادر البكري الشافعي(١).

الشيخ الفاضل الصالح، بدر الدين، كان شاباً صالحاً متعبداً، منزوياً عن الناس، منقطعاً عنهم، يقيم كثيراً بجامع السقيفة، خارج باب توما، ولأهل دمشق فيه محبةٌ واعتقاد، قرأ على والده، وعلى تاج الدين القرعوني، وكان يلازم مجلس المحيَّا، والصلاة على رسول الله ﷺ في آخر أمره.

قال النجم الغزي في «الذيل»: فأخبرني: أنه كان ينكر على شيخ المحيا، الشيخ عبد القادر بن سوار إخباره بكثرة رؤياه للنبي ﷺ، قال: فبينما أنا نائم في بعض الليالي، رأيت في المنام: أن الجامع الأموي ملآن من الناس، وهم ينتظرون، فقلت: ما ينتظرون؟ قالوا: ننتظر رسول الله ﷺ.

فبعد ذلك، دخل عليهم النبي ﷺ، فأقبلوا عليه يقبلون يديه، وكنت فيمن قبل يده، وقلت له: من أنت يا سيدي؟ فقال: أنا رسول الله، الذي يقول الشيخ عبد القادر بن سوار: إنه يراني كثيراً في منامه، وقد جئت لحضور

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٩١) (١٤٣).

مجلسه، فلمـا استيقظت، تبت عن الإنكـار، وصار بعد ذلك يلازم مجلس الشيخ عبد القادر، ويقبل يده، ويعتقده.

توفي في أوائل جمـادى الأولى، سنة اثنتي عشرة بعـد الألف، ودفن إلى جانـب أبيـه، بمقبـرة الشيخ رسلان، عن بضع وثلاثين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٨٦] حسن بن عبدالله الشاويش التعزي اليمني.

من أكابر الشعراء والأدباء في هذا العصر.

من شعره قوله:

أهـدى إلـيَّ سـواكَهُ مـن ثغـره　　　قـد بـلّ مـن مـاء الحيـاة الكـوثر

يروي العقيق مع العُـذيب وبـارقٍ　　　وأراكَ تروي عن صِحاحِ الجـوهرِ

[٨٨٧] الحسن بن علي بن صالح بن سليمان الأكوع.

فريد أوانـه، ووحيـد زمانـه، واحد حسنات الأيام، وأجواد الزمان، وكرماء الأوان، ولا يختلف في ذلك اثنان، وكان شجاعاً يطير للحرب طيراناً، ويفعل فعل من لا يهاب الموت، وكان مسعوداً في حروبه، وكان كثير الولوع بقـراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص: ١ ـ ٢]، وظهـر أثـر بركتها عليه، ومما شاع عن بعض الفقهاء: لـو صلح غيـر قرشي للإمامـة، لصلح لها المترجم. **توفي**، ودفن بقبة ذي الشرفين بشهارة، ورثاه عبدالله بن المهدي صاحب الظهرين.

[٨٨٨] السيد الحسن بن علي بن صلاح بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن أحمد بن محمـد بن الحسن بن يحيى بن علي بن الحسن بن عبدالله بن إسماعيل بن عيسى بن إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم ـ رحمهم الله تعالى ـ العُبالي[1].

كان إمام المعقـول والمنقول، شيخ العلماء الجلة الجهابذة الفحول، عالي المنزلة، شريف المرتبة، حاوياً للفضائل، مرجوعاً إليه، [لا]سِيَّما في علوم القرآن، أخذ عن الشيخ العلامة لطف الله بن الغياث الظفري، وهو أستاذ الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان ينوِّه بذكره، وكان مطاع الأمر في الدولة المتوكلية، وله شعرٌ جيدٌ، لكنه لا يظهر إلا قليلاً.

توفي بظفير حجة، في جمـادى الآخرة، سنة ست وخمسين وألـف، ودفن بالمشهد الأحمدي.

قال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال: وعملت أبياتاً تكتب على قبره، ولم تكتب، منها:

عُـجْ بالـضريح فـإنَّ فيــه واحـدًا ... طلـقَ الجبـين وشـامخَ العِـرْنينِ
قـد بـذَّ فـي المنقـول كـلَّ محقـقٍ ... وأغارَ فـي المعقـول سـعدَ الـدين

[٨٨٩] الإمام الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن محمد ابن عبدالله بن المختار بن القاسم بن أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسمـاعيل بن إبـراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣١٤) (١٧٣)، «البدر الطالع» (١/ ٤٠٧).

السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجه ـ المؤيدي[1].

قام باليمن في نصف رمضان، سنة خمس وثمانين وتسع مئة، وقام معه الشيعة في صعدة، فخرج منها إلى جبل الأهنوم، فاشتعلت الأرض ناراً، وفتح جملة قرى، وأرسل رسله بالرسائل، وكتب إلى لطف الله بن المطهر، فلم يجبه، واضطربت عليه البلاد، وكتب إلى محمد بن شمس الدين بمثل ذلك، فلم يجبه ـ أيضاً ـ.

وكتب إلى علي يحيى بن المطهر، فكاد أن يجيبه، وغره أحد إخوان الإمام، فأجاب، وسلم إليه بعض الحصون، فوجه لطف الله عبدالله بن أحمد ابن شمس الدين، والنقيب مرجان شاويش، فخرجوا إلى الخشب، وفتحوا ما قد خالف، ثم خرج الأمير سنان إعانةً لهم من قبل مراد باشا، فهزموا أصحاب الإمام، وسكنت بلاد مرمر، وعاد سنان إلى صنعاء.

ثم في سنة اثنتين وتسعين وتسع مئة، توجه سنان المذكور، لحرب الإمام الحسن إلى الأهنوم، واستولى سنان على أكثر بلاد الإمام، وضايقه. وفي شهر رمضان، من السنة المذكورة، فتح سنان جميع الأهنوم، وانحصر الإمام الحسن، في محل يقال له: الصاب، فجنح إلى السلم، وخرج إلى بلاد الأمير سنان، في سادس عشر رمضان، سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة.

ومن عجيب الاتفاق: أنه دعا بالإمامة في النصف من رمضان، سنة ست وثمانين، وأسر في النصف من رمضان، سنة ثلاث وتسعين، ووصل

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣١١) (١٧٢)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٠٤).

الإمام الحسن، صحبة الأمير سنان، إلى الوزير حسن، آخر يومٍ من رمضان، فأودعه الحفظ، وفي ليلة الاثنين، خامس عشر شوال منها، وجه الوزير الأمير سنان، بالإمام الحسن وبأولاد المطهر: لطف الله، وعلي يحيى، وحفظ الله، وإبراهيم، وعبدالله، وجماعةٍ آخرين إلى الروم، لما رجع جواب سلطان الروم لوصولهم إليه، فسار بهم إلى المخا، وأركبهم السفينة وعاد، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فمات أولاد المطهر بالروم، واحداً بعد واحد.

وتوفي صاحب الترجمة، في رجب، سنة أربع وعشرين بعد الألف، بالروم أيضاً ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان من أعظم الأئمة علماً وعملاً، وقد أحرز العلوم جميعها بذكاءٍ وقاد، وهمةٍ سامية، وكان يحفظ أربعة عشر مختصراً غيباً، وكذلك القرآن، وكان يخطب الخطب البليغة، المشحونة بآيات القرآن غيباً.

[٨٩٠] الحسن بن علي بن جابر الهَبَل ـ بفتح الهاء والباء ـ[1].

القاضي الفاضل، الأديب العديم المماثل.

وُلد بصنعاء، وبها نشأ، وأخذ عن والده، وكرع من مشاربه، وتأدب بآدابه، وبرع وترعرع، وفاق أقرانه، خصوصاً في علوم الأدب، لكن لم تطل مدته، فاخترمَتْه المنية وهو شابٌّ في حياة والده، فكانت وفاته سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين بعد الألف، بمدينة صنعاء.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٥٣) (٢٦١)، «البدر الطالع» (١/ ١٩٩)، «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٥١٥) (٤٦)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٤٥٣)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٥).

وله ديوان شعرٍ حافلٌ في مجلدٍ كامل. ومن شعره قوله:

ملكتُم فاعدلوا في الصبِّ أو جوروا ذنبُ الأحبة في العشاق مغفورُ
وقد تقرر في قلبي مقرُّكم دون الورى فأقيموا فيه أو سيروا
يا مُخربي ربعَ صبري بالجفا عبثاً الحمدُ لله ربُع الودِّ معمورُ
ويا مطوِّلَ هجراني بلا سببٍ أما بدا لك في الهجرانِ تقصيرُ
ومنكِراً ما ألاقي من محبته حبي كصرفك بين الناس مشهورُ
أنا الكئيبُ المعنّى في هواك وإن أظهرتُ أني بما ألقاه مسرورُ
ألا خلاصٌ لقلبي من صبابته فإنه في تعاطي الحب مغرورُ
كم ذا أكابد ما لو مرّ أيسرُه بالطول دُكَّ منه من ثقله الطورُ
وكم أرى طاوياً كشحي على شَجَنٍ ونارُ شوقي لها في القلب تسعيرُ
وكم أراقبُ ساري الطيفِ يقربني وإنما الطيفُ تخييلٌ وتزويرُ
يا للحمى كَمْ على واديه طُلَّ دمٌ وكم فداء محب تم ما سورُ
وفي مليكِ جمالٍ سيفُ مقلتِه مظفرٌ بقلوب الناس منصورُ
بني حسن له من روض وجنته جناتُ عدن ومن ألحاظه حورُ

وقوله:

يا من أطالَ التجنّي منكَ الصدودُ ومنّي
مولاي إن طال هذا عليّ فاعلم بأنّي
أفديك قلْ لي ماذا الـ ـذي بدا لك منّي
تركتني مُستهاماً حيرانَ أقرعُ سِنّي

أشكو إليكَ الذي بي ... وأنتَ تُعرِض عنّي
ولم ترقَّ لحالي ... ولا رَثيتَ لحزني

وقوله:

أَصِخْ لشكيتي وارفق ... بجسم فيك قد نَحَلا
وقل لي من أَحلَّ دمي ... ومن ذا حرَّم القُبلا
وإن تنكرْ ضَنا جسدي ... ولم تعطفْ عليَّ ولا
فكف النبلُ من عينيـ ... ـك يكفي بعضَ ما فعلا
ولا تَطْلع لنا خدا ... ك وردُ رياضِها الخَضِلا

وقوله ـ وفيه الجناس الكامل ـ:

رويدَكَ من كسب الذنوب فأنت لا ... تطيقُ على نار الجحيم ولا تقوى
أترضى بأن تلقى المهيمنَ في غد ... وأنت بلا علمٍ لديك ولا تقوى

وقوله:

افْزَعْ إلى الباري وكُنْ ... مما جنيتَ على وَجَل
وارجُ الإلهِ فلم يخبْ ... راجي الإلهِ على وجلِ

قد سبق إلى هذا في قول القائل:

كنْ من مدبِّرِكَ الحكيـ ... ـمِ عَلا وجَلّ على وَجَل

وقوله في الثقة بالله ـ وفيه الجناس الكامل أيضاً ـ:

ثقْ بالذي خلق الورى ... ودعِ البريةَ عن كَمَلْ

إنَّ الـــــــصديق إذا اكتفـــــــى ورأى غنـــــىً عَنْـــــكَ مَـــــلْ

وقال ـ وقد رأى شعرةً بيضاء في رأسه، وفيهما التورية والاكتفاء ـ:

شـــبابٌ غيـــرُ مـــذموم تـــولَّى وشـــيبٌ قـــد أتـــى أهـــلاً وســـهلاَ
مضى عمري الطويلُ ومَـرَّ عيشي كـــأني لـــم أعـــشْ فـــي الـــدهر إلاَّ

وقوله في الثقة بالله ﷻ:

رضـــيتُ بربـــيَ عـــن خلقِـــه وعـــن هـــذه الـــدار بـــالآخرَهْ
سأســـعى لطاعتِـــه طـــاقتي وإن قـــصرت همتـــي القاصـــرَهْ

وقوله:

أُذن الندا عن سماع نداءِ الشعر صماءُ فلـيس يجـديك إنـشاءٌ وإنـشاءُ
يـا قالـة الـشعر مهـلاً لا أبـا لكـم رويـدَكم مـا لزَنْـدِ المـدح إيـراءُ
إنـا فـي زمـن وَدَّ الفـصيحُ بـه لـو أنـه أَلْكَـنٌ فـي القـول فَأْفـاءُ
كم تُمـدحون ولا تعطـون جـائزة كأنمـا مـدحكم بـالمنع إغـراء

منها:

قل للمساكين أهلِ الشعر يا تعَب الـ أفكـار إن لـم يـصبهم منـه إثـراءُ
هذي الملوكُ ملوكُ الأرض هل أحدٌ منهم على سنن المعروف مَشَّاءُ
كم قد مدحْنا فما أجدَتْ مـدائحُنا لأنهـم إنمـا يعطـون مـن شـاؤوا

منها:

مـا للقـواقي إذا أقـوتْ معاهـدُها أفي زمانـك يـوهي الـشعرَ إقـواءُ

من ذا الذي من مقام الذلِّ يُنهضها ... إن نالهــا بنعــال الــذل إيطــاءُ
أفٌ لهـا حطـة يـشقى مُلابـسُها ... ضاقت بصاحبها لـلأرض أرجـاءُ
وحرفـة أُزجيـتْ فينـا بـضاعتُها ... فــربحُ بائعهــا فقــرٌ وإكــداءُ
إيهًا أغثْ مستغيثًا أنت قَطُّ لـه الـ ... ـــمرجوُّ إن مسَّه بـأسٌ وضَــرَّاءُ

وله دو بيت:

كـم أكـتمُ لـوعتي وكـم أُخفيهـا ... والـدمعُ إذا جـرى دمًّـا يُبـديها
يـا مالـكَ مهجتـي رويـدًا بـشجٍ ... هـا مهجتـه لـديك فـانظرْ فيهـا

وله تعليل كسوف البدر، وفيه لزوم ما لا يلزم:

لا بـدعَ أن يُكـسف بـدرُ الـسما ... ذاك لمعنًــى قــد تحققتُــهُ
لمَّـا بـدا لــي وجهُــه مـشبهًا ... وجـهَ حبيــبٍ حـين فارقتُــهُ
ذكـرتُ محبـوبي فمــن أجلِـه ... صَــعَّدْتُ أنفاســي فأحرقتُــهُ

كان هذا الرجل أديباً، جيد الشعر، له ديوان شعر، اشتمل على أنواع، لكنه دنَّسه وسوَّد وجهه بما ولع به، وصار ملهجَ لسانه، وهمَّ شانه؛ من سب أصحاب رسول الله ﷺ بالقصائد المطولة، والتعرضات لأعراضهم البريَّة المشرفة المقدسة، وما كان أغناه [عن] ترك التعرض لما لا يعنيه ولا ينفعه، من التشنيع الرحمي بسببهم، ولا يغنيه[1].

---

(١) وهل يضر البحر ولوغ بعض الكلاب فيه، وإنما يسب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، من لا حظ له في الإسلام ولا نصيب، وإنما هم كما قال عنهم الرب سبحانه وتعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.

ولقد كان لـه خبرٌ عند وفاته، فيـه أعظم موعظة، وأكبر زاجر، وما له من الله من ناصر، وسمى ديوانه: «قلائد الجواهر»، والمعتني بجمعه القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن ناصر بن عبد الحق العلابي.

[٨٩١] حسن بن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن بن يحيى[١].

وتقدم رفع نسبه في ترجمة أخيه محمد النعمي الحسني.

السيد العلامة ذو الفضل[٢] السامية، والمحامد العالية، بدر المكارم الصاعدة العلية، ومصباح الغرة النبوية، وحجة الأسرة من العصابة الفاطمية، من انحطت لمعاليـه المشيدة طوالع الشهب، وقصُرت عن أياديـه المـديـدة هوامـعُ السحب، ونطقت بمفاخـره العديدة الآيات والكتب، وأحد الكمل الفضلاء الذين تبوؤوا من الطاعات دارًا، واتخذوا روضاتِ الجمعة والجماعات مسكناً وقراراً، وجعلوا أردية الفضل وافية الكرم والبذل شعاراً ودثاراً.

وُلد ـ فيما كتب إلي صاحبنا الأديب علي بن هادي المنسكي ـ عام تسعة وعشرين بعد الألف بالدهنا من أعمال صبيا، وبهـا نشأ، وأخـذ عن السيـد العلامة علي بن الحسين النعمي، وغيره، وبرع في الفنون العلمية، والمحاضرات الأدبية، وتوفي في ثامن شهر رجـب سنة تسـع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين بعد الألف بعد أخيه محمد الذي تقدمت ترجمته بثمانية عشر يوماً.

وله أشعار أنيقة رفيعة.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٨)، «خلاصة الأثر للمحبي» (٢/ ٣٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢١) (٢٢٩).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

منها: ما كتبه لعلي بن الهادي المذكور، معتذراً إليه في إبطاء كتبه عنه، وهو قوله من كتاب:

ما بعد كتبي عن الأحباب نسيانُ ... وقطع وصلي لهم واللهِ سلوانُ
أو سلوةٌ بسواهم وحقِّهم ... إني على عهدهم باقٍ وإن بانوا
وكيف أسلو مَنِ الأحشاءُ منزلُهم ... والقلبُ ربعٌ لهمُ والجسم أوطانُ
ومن إذا شِمْتُ برقاً نحو رَبْعِهم ... مُلئت من الدمع أردانٌ وأجفانُ
ومن إذا الطيفُ منهم زارني عجلاً ... يشبُّ من مهجتي جمرٌ ونيرانُ
أو جاء يوماً لطيفٌ من حديثهم ... تعاوَرَ القلبَ أحزانٌ وأشجانُ
عمري ولو قُلبت بطحاء سيلِهم ... لتُرى مني لها قلبٌ وجثمان

ومما كتبه إلى القاضي الفاضل الحسين بن الناصر المهلا الشرفي: **قوله متشوقاً**:

لأنتَ لمدلهمِّ الأمرِ بدرٌ ... يضيء وشمسُ معرفةٍ وبحرُ
وطودُ مكارم وسبيلُ حقٍّ ... لليلِ دجًى من الشبهات فجرُ
ونورُ هدًى لمن يعروه جهلٌ ... ويمٌّ نَدًى لمن فاجاه فقرُ
وفضلُك شاعَ في العلماء حتى ... تداولَ ذكرَه حلبٌ ومصرُ
بيوتُ علاك شامخةٌ طِوالٌ ... وروضُ هداك ناضِرُه يَسُرُّ
وفضلُك جاءني فاهتزَّ عِطفٌ ... له مني وطابَ بذاك صدرُ
علومُك أصبحتْ عسلاً مصفًّى ... وفي أنهارها لبنٌ وخمرُ
وحورُ حسانِها متبختراتٌ ... بدورُ ثنائها ولهنَّ نشرُ

وأشــبهُ بالنــسيم الرطــبِ شــيئاً عتــابٌ فيــه للمعتــوب فخــرُ
لنــا خيــرُ الرســائل منــك غنــى وذلــك بــين أهــل الــودِّ فخــرُ
وأنــت حميــتَ نــورَ ســوادِ عينــي ورق ولاي تحــتَ ولاكَ حجــرُ
فــإن لكــم لــدى بنــي المهــلاً ودادًا لا يحــول ولا يفــرُّ
لأنكــمُ بحــورُ علــومِ آلِ النــــبيِّ وأنجــمٌ للعلــم غُــرُّ
فجدْ لـي يـا حسـينُ بخيـر صفـحٍ فمــن يعفــو لــه فــضلٌ وأجــرُ
عليــكَ تحيــةٌ وســلامُ ربٍّ رحــيمٍ مــا أنــارَ وضــاءَ بــدرُ

ومما كتبه أيضاً لديه يتشوق لمروره بمحله:

منتظــر القلــب متــى وصــلُكم فحالُنــا شــوقٌ بــه الانتظــارْ
وشــوقُنا لمــا يــزل صــالياً جــوانحَ القلــب بخمــرٍ ونــارْ
وربعُنــا تهتــز أكنافُــه شــوقاً إلــيكم يــا خيــرَ الخيــارْ
لا زلــتُم للحــق قوامــةً وفــي المعــالي قــادةً والفخــارْ
وقــد جعلــتُ الناصــرَ المرتــضى أبــاك إذ ذاك المــصفَّى النــضارْ
معتــصَمًا مــن هجــركم ســابقاً وملجــأً مــن مثلــه مــستجارْ

ومن جواب القاضي حسين عليه:

يــا بــدرَ أُفــقٍ فــي الليــالي أنــارْ ومَــنْ لأفــلاك المعــالي أدارْ
يــا رافعًــا دار العــلا فــي المَــلا فــدارُه أضــحى رفيــعَ المنــارْ
وســاكناً أرضــاً وأضــحت بــه غَــرَّاءَ بَيْــضا كــشمسِ النهــارْ

ومنبعَ السؤدَدِ والمجد في دارٍ له صار به خيرَ دارْ
وافى إلينا النظم كاللؤلؤ الـ ـمنظومِ في حوراء فيها نَحارْ
فهو لقلبي وفؤادي شِفا وليميني ويساري يَسارْ

وهي طويلةٌ.

وله من كتاب: وقد جاء من تلقائه الكتاب الكريم الشافي، بوصلٍ من نحوه المثالُ الفخيم الوافي، جلت طوالعه المضيئة من حنادس الهموم، وجلت بفوارعه فوارس البلاغة، في يومٍ مشهودٍ له بالناس، وذلك يومٌ معلوم، فما تنزل به روح أمانيه، من بيان سماء بلاغته، إلا لشفا أوامى، ولا تدلى أمين براعته، على بيان بداعته، إلا لبراء أسقامي، فما أحلى ما شربت من زلال المعين شافياً، وما الذي ارتويت من برد نميره صافياً، وما أنور ما تبسم به ثغره عن لؤلؤ عتابٍ كريم، وما أعطر ما تنسم به فخره عن روح غفران من المولى، وسلامٌ قولاً من ربٍ رحيم.

[٨٩٢] الملا حسن علي ابن العلامة عبدالله اليزدي.

شارح «التهذيب»، الخلف الصالح، وقدوة كل فالح، العالم الذي طبق العجمَ علمُه، وملأ أكنافها حذقُه وفهمه، أخذ عن والده، وبه تخرج، حتى برع في سائر الفنون العقلية، وجنى فيها منزلةً علية، وتصدر للتدريس، وجدَّد رسَم العلم الدريس، واستمر على ذلك حتى توفي سنة تسع وستين بعد الألف بأصبهان ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٩٣] الإمام الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الحسن بن عبدالله بن المنتصر

محمد بن المختار القاسم ابن الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، ووالدته فاطمة بنت صلاح الدواري[1].

من أعيان علماء عصره، كان ﷺ أبيض اللون، يضرب إلى خضرة، ربع القامة، أقنى الأنف، عريض الجبهة والمنكبين، كث اللحية، جعد الشعر، سامي العنق، ليس بالضجر ولا بالنزق، أحب المجالس إليه مجالسُ العلم والذكر، أقبل على العلوم الدينية، وشمر عن ساق، وبرز في كل فن من فنون العلم، وصار المشار إليه بالبنان، في ذلك الأوان.

قدم من صعدة إلى صنعاء، وأخذ بها عن السيد فخر الدين المطهر بن محمد بن تاج الدين علومَ العربية والتفسير، وكان يتعجب من فطنته، وخرج إلى سُودة شظب، وأخذ بها عن السيد جمال الدين علي بن الناصر الحسيني الناصري، الواصلِ من الجبل والديلم إلى اليمن، علمَ المنطق، وقرأ عليه عدة كتب من الفروع والحديث، ثم انتقل إلى جهات الشرق، وأخذ عن السيد جمال الدين الهادي الوشلي، فقرأ عليه الأصولين، و«الكشاف»، ثم رجع إلى صعدة.

وكان محفوظاته: القرآن العظيم، و«الحاجبية»، و«مقدمة التصريف والتلخيص»، و«الشمسية»، و«المنتهى في الأصول»، وغير ذلك، ومسموعاته

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٩)، «البدر الطالع» (١/ ٢٠٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٤).

كثيرة، وكان حليف العبادة والورع والزهد، والانقطاع إلى العلم، والتحلي به، والتوزيع لأوقاته في الأعمال الصالحة.

وكان حسن الخلق، لطيف الفكر، ثابت النظر، قوي الفراسة، ثابت القلب، قوي الجأش، متواضعاً أديباً كأحد إخوانه، في علو شانه، واستظهار سلطانه، يلبس الخشن من الثياب، ويأكل الميسور اليسير من الطعام، وينصف من نفسه، حسن المعاشرة، شديد الحرص على الهداية والإرشاد، إن وعظ، تصدعت لوعظه القلوب، وإن رغَّب فيما عند الله، فكأنه يُطلع السامع على الغيوب، وكان له من حسن العبارة والمحاورة ما لا يوجد في غيره، خطيباً مِصْقَعاً.

وكانت دعوته الإمامة بعد صلاة العشاء، ليلة الجمعة، رابع عشر رمضان، سنة ست وثمانين وتسع مئة بالهجر، وبايعه جميع علماء مصره[1] من أهل إقليمه، وأجمعوا على طاعته، ثم توجه إلى الأهنوم بمن معه، وافتتح ذلك الإقليم، وكتب بالرسائل العامة إلى البلاد اليمنية، فأطاعوه عن آخرهم، ثم خالف عليه بعض أولاد الإمام شرف الدين، ثم جهز عليه الأتراك المحاط، وأحاطوا به من كل ناحية.

ثم اتفق الحال بينه وبين الأمير سنان أن يسلمه بشرط سلامة من يتعلق به، وأنه يقيم في صنعاء، في نفرٍ من أصحابه، وأمر السيد إبراهيم بن المهدي الحجاف أن يحلف الأمير، ويؤكد العهد بذلك، ولما صار بأيديهم، نزلوا به إلى الهجر، وأقاموا فيه نحو أسبوع، ثم جهزوا به مع أولاد المطهر بن شرف

(١) في الأصل: بصره.

الـدين جميعـاً إلى الروم أسيراً، ولم يزل أسيراً بالروم، حتى توفي في شهر ذي القعدة، سنة خمس وعشرين وألف بالقسطنطينية ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٩٤] الحسن بن علي بن جابر الهَبَل.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: بديـع الزمـان، وقريع الأوان، من لا عيب فيه سوى قرب بلاده، وقرب ميلاده، فالمنـدلُ الرطـبُ في أوطانـه خشب، وأما صغرُ الميلاد، فلله أبو الطيب حيث يقول:

لـيسَ الحداثـةُ مـن حِلْـمٍ بمانعـةٍ قد يوجد الحلمُ في الشبان والشيبِ

وأما بُعد البلاد، فأمر لا يعتبره الحذَّاق، وإن قالـوا: القرب المفرط، مانع لإدراك الأحداق، وقال بعض الناس:

عَذيِـريَ مـن عـصبةٍ بـالعراق قلـوبُهم بالجفـا قُلَّـبُ
يـرون العجيـبَ كـلامَ الغريـب وأمـا القريـبُ فـلا يُطـرِبُ
وعـذرُهُم عنـد تـوبيخهم مغنيـةُ الحـيِّ لا تُطـربُ

لكن العاقل الفاضل لا يجنح إلى التقليـد، حتى في تفضيل الحصبـاء على لآلئ الجيد، وإن الإنصاف من أجمل الأوصاف.

وُلد صاحب الترجمة بصنعاء، وبها نشأ على العبادة والزهادة، ومودة العترة الطيبة السادة، لا يلويه عن ذلك لاوٍ، واشتغل بالعلوم والآداب، حتى برع على الشيوخ، فضلاً عن الأتراب.

وله ديوان شعرٍ فائـق، وسحر حلالٍ رائـق، في كل معنى مليح، نهج مناهج الأدبـاء، وجاراهم في رقيقهم وجزلهم، وجدهم وهزلهم، وهو مع

ذلك السابق المجلّي.

ولقد رأيت له مقاطيعَ باهرة، وقصائدَ فاخرة، ونفَسُه أشبهُ بشعر الأديب الحسين بن حجاج، غير أنه مصونٌ عن الإقذاع، وإنما هو في الفصاحة والنصاعة، وجودة السبك والصناعة، وقد كان يقال: ابن حجاج يشبه نَفَسُه نَفَسَ امرئ القيس.

ولم يزل صاحبُ الترجمة واسطةَ عقد الأدباء النظيم، وآية مفخرهم العظيمة، حتى نقل إلى جوار ربه الكريم، فتوفي بصنعاء، وهو شابٌّ في حياة والده، في صفر، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وسبعين بعد الألف، ودفن غربي القصر السعيد ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره في الوعظيات:

أيــن اســتقرَّ الــسفرُ الأول ... عمــا قريــب بهــم ينــزلُ
مَــرُّوا ســراعًا نحــو دار البقــا ... ونحــنُ فــي آثــارهم نرحــلُ
مــا هــذه الــدنيا لنــا منــزلاً ... وإنمــا الآخــرةُ المنــزلُ
قــد حــذَّرتنا مــن تــصاريفها ... لــو أننــا نــسمعُ أو نعقــلُ
يطيــل فيهــا المــرءُ آمالــه ... والمـوتُ مـن دون الـذي يأمـلُ
يحلـو لـه مـا مـرَّ مـن عيـشها ... ودونَــه لــو عقــلَ الحنظــلُ
ألهتْــه عــن طاعــة خَلاَّقــه ... واللهُ لا يلهــو ولا يغفُــلُ
يُدْبِــرُهمُّ المــوتِ إن أدبــرتْ ... ويُقبِــل الهــمُّ إذا تقبــلُ
يـا صـاحِ مـا لـذةُ عـيشٍ بهـا ... والمـوتُ لا تـدري متـى ينـزلُ

يـدعو إلـى الأحبـاب مـن بيننـا يجيبـــــه الأولُ فـــــالأولُ
يـا جـاهلاً يجهـدُ فـي كـسبها أغَـــرّكَ المـــشربُ والمأكـــلُ
ويـا أخـا الحـرص علـى جمعهـا مهـــلاً فَعَنْهـــا فـــي غـــد تُـــسألُ
لا تتعـــبَنْ فيهـــا ولا تأسَـــفَنْ لمـــا مـــضى فـــالأمرُ مـــستقبلُ
مـا قولُنـا بـين يَـديْ حـاكم يَعْـدِل فـي الحكـم ولا يَعْـدِلُ
مـــا قولُنـــا لله فـــي موقـــفٍ يخـرس فيـه المِـصْقَعُ المِقْـوَلُ
إذا سُـئلنا فيـه عـن كـل مـا نقـول فـي الـدنيا ومـا نفعـلُ
مـا الفـوز للعـالمِ فـي علمِـه وإنمـا الفـوزُ لمـن يعمـلُ

وقوله:

أضعتَ العمرَ في إصلاح مالِكْ ومـا فكَّـرت وبحَـك فـي مآلِـكْ
أراكَ أمنَـت أحـداثَ الليـالي وقـد ضـمرت لغـدرِك واحتيالِـكْ
ومِلْـتَ لزخـرُف الـدنيا غـرورًا وقـد جـاءت تـسيرُ إلـى قتالِـكْ
وقـد أتعبـتَ بالآمـال قلبًـا تَحمَّـل مـا يزيـدُ علـى احتمالِـكْ
ولـم يكـنِ الـذي أمَّلْـتَ فيهـا بأسـرعَ مـن زوالِـكَ وانتقالِـكْ
فعشْ فيها خميصَ البطن واعمـلْ ليـومٍ فيـه تـذهلُ عـن عيالِـكْ
تجـيءُ إليـه منقـاداً ذليـلاً ولا تـدري يمينَـك مـن شمالِكْ
إليهـا فـي شـبابك مِلْـتَ جهـلاً فهـلاً ملـتَ عنهـا فـي اكتهالِـكْ
فمهـلاً فهـي عنـد الله أدنـى وأهـونُ مـن تـرابٍ فـي نعالِـكْ
وإن جاءتـك خاطبـةً فـأعرِضْ وقـلْ مهـلاً فمـا أنـا مـن رجالِـكْ

إلـــيَّ تتـــزينين لتخـــدعيني فمـا أبـصرتُ أقـبحَ مـن جمالِـكْ
أمـا لـو كنـتِ فـي الرمـضاء ظِـلاً إذاً مـا ملـتُ قَـطُّ إلـى ظلالِـكْ
صِـلي مـا شـئتِ هجرانـي فـإني رضيتُ الدهرَ هجراً من وصـالِكْ
فلـيس النبـل مـن ثعـلٍ إذا مـا رمـتْ يومـاً بأصـمى مـن نبالِـكْ
حرامُـك للـورى فيـه عقـابٌ عليـه والحسابُ علـى حلالِـكْ
وكـن منهـا علـى حَـذَرٍ وإلاَّ هلكـتَ فإنهـا أصـلُ المهالِـكْ
فمـن قـد كـان قبلَـكَ مـن بنيهـا زوالُهـم يـدل علـى زوالِـكْ
فكـم شـادوا الممالـكَ والمبـاني فـأين تـرى المبـانيَ والممالِـكْ
وأنـت إذا غَفَلْـتَ علـى ارتحـال فخذ فـي جمـع زادك لارتحالِـكْ
ودع طـرقَ الـضلال لمبتغيهـا فطُـرْقُ الحـقِّ بينـةُ المـسالِكْ
إلامَ وفـيمَ ويحَـكَ ذا التـصابي وكم هـذا التمـادي فـي ضـلالِكْ
تنبّـه إن عمـرك قـد تقـضّى فعَـدّ وعُـدَّ نفسَك فـي الهوالِـكْ
وعاتبْهـا علـى التفـريط وانظـرْ لأي طريقـة أصـبحتَ سـالِكْ
وقـل لـي مـا الـذي يـومَ التنـادي تجيب بـه المهيمنَ عـن سؤالِكْ
ومـاذا أنـت قائلُـه اعتـذاراً إذا نـشروا كتابَـك عـن فعالِـكْ
فخفْ مولاكَ في الخَلَوات واجأَرْ إليـه بانتحابِـك وابتهالِـكْ
وراقـبْ أمـره فـي كـلِّ حـال يفـرِّجْ فـي القيامـة ضيقَ حالِـكْ
ولا تجـنح إلـى العـصيان تُـدفعْ إلـى ليـلٍ مـن الأحـزانِ حالِـكْ
وإن أمـرٌ بُليـت بـه فـصبرًا لعـلَّ الله يحـدِثُ بعـدَ ذلِـكْ

فــربَّ مــصيبة مَــرَّتْ ومَــرَّتْ		عليــك كأنمــا مــرَّت ببالِــكْ
وكــم قــد ثقفــتْ منــك الرزايــا		وأحكمــتِ الليــالي مــن صــقالِكْ

وقوله:

لا تعتبرْ ضعفَ حالي واعتبرْ أدبي		وغُضَّ عن رَثِّ أطماري وأسمالي
فمــا طِلابِـــيَ للــدنيا بممتنــعٍ		لكن رأيتُ طِلابَ المجد أسمى لي

وقوله في العفاف:

مــا زلــتُ مــن دون الــدنايا صــائناً		عِرضــاً غــدا كــالجوهر الــشفافِ
فــإذا جــرى مَرِحــاً بميــدان الــصِّبا		مهــرُ الهــوى ألجمتُــه بعفــافِ
وإذا هُمو وصفوا محاســنَ شــادنٍ		مــستكملٍ لمحاســنِ الأوصــافِ
أبــديتُ فيــه مــن النــسيب غرائبــاً		ووصــفت فيــه مــا عــدا الأردافِ

وقوله قريباً من هذا المعنى:

تغزلتُ حتى قيل إني أخو هدى[1]		وشَــبَّبت حتــى قيــل فاقــدُ أوطــانِ
وما بيَ مــن عــشقٍ وشــوقٍ وإنمــا		أتيــتُ مــن الــشعر البــديع بأفنــانِ

وقوله ـ رحمه الله ـ وهو من آخر ما قال:

المـــــوتُ حـــــقٌّ فاســـــتعدّ		وجـــــدٌّ إن الأمـــــرَ جِـــــدّ
واعلــــــــمْ بــــــــأن الله لا		يخلِـــف حقّـــاً مـــا يعـــد
لازم بنــــــي المختـــــار إن		مـــــن يلازمْهـــــم سَـــــعِدْ

---

(١) في الأصل: الهوى.

وقوله من قصيدةٍ:

حتـــامَ عـــن جهـــل تلـــومُ ... مهـــلاً فـــإن اللـــومَ لـــومُ
طرفـــي الـــذي يـــشكو الـــسهاد ... وقلبـــي المـــضنى الكلـــيم
إن الـــشَّقا فـــي الحـــبِّ عنـــ ... ـــد العاشـــقين هـــو النعـــيمُ
مـــا الحـــبُّ إلا مقلـــة ... عبـــراءُ أو جـــسمٌ ســـقيمُ
يـــا مـــن أُكَـــتِّمُ حبّـــه ... واللهُ بـــي وبـــه علـــيمُ
وبلابـــلٌ بـــين الجـــوا ... نـــحِ لا تنـــام ولا تُنـــيمُ
مـــا لـــي ومـــا للـــوائمي ... أعليـــك ذو عقـــل يلـــومُ
يـــا هـــل تـــراه يعـــود لـــي ... بـــك ذلـــك الـــزمنُ القـــديمُ
وهنـــيّ عـــيش بـــاللِّوى ... لـــو أن عـــيشَ هَنـــاً يـــدومُ
وبرامَـــةٍ إذ نلـــتُ مـــن ... وصـــل الأحبـــة مـــا أرومُ
يـــا حبـــذا تلـــك الربـــو ... عُ وحبـــذا تلـــك الرســـومُ
يـــا تـــاركينَ بمهجتـــي ... شـــرراً يـــذوب لهـــا الجحـــيمُ
طـــال المطـــالُ ولـــم تهبْـــ ... ـــبَ لـــصدقِ وعـــدِكم نـــسيمُ
مطـــلَ الغـــريم غريمَـــه ... حاشـــاكم خلـــقٌ ذمـــيمُ

[٨٩٥] **السيد حسن بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى، وتقدم بقية نسبه في ترجمة ابن عمه محمد بن علي النعمي الحسني**[١].

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢٧) (٢٣٠).

من فضلاء القرن الحادي عشر، وأدبائه وعلمائه وشعرائه، له نظمٌ فاخرٌ، يزري بالنجوم السوائر، ولد بـ «صَبْيا»، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ عن والده علوماً جمة، وقويت في طلب العلوم منه المهمة، إلى أن صار إلى رحمة الله ورضوانه، وواسعِ كرمه وغفرانه، في مستهل شهر المحرم الحرام، افتتاح سنة ثلاث وستين بعد الألف بمكة، ودفن بالشبيكة، بقرب تربة العيدروس.

ومن شعره: ما كتبه إلى القاضي العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، نائباً عن السيد جمال الإسلام محمد بن صلاح يتشوق إليه بقوله:

ألا بـالله يـا نفـس الخيـال ... أعـدْ لـي ذكـرَ سـالفةِ الليـالي
وأتحفْنـي بـذكر أُهيـلِ نجـدٍ ... ومـا قـد مـرّ فـي تلـك الحِـلال
وهـاتِ الكـأسَ صِـرْفاً صَـرْخدياً ... بـذكراهنَّ لـي فـي كـلِّ حـالِ
فـإني إن ذكـرتُ زمـانَ وصـلي ... ومـا قـد مـرّ مـن حسن اتـصالي
بمـن أهـواه فـي عـيش خـصيب ... وأيـامٍ حلاهـا قـد حـلا لـي
أكـاد أذوب مـن وَلَهـي عليـه ... وأضـربُ بـاليمين علـى الشمالِ
وأصـبو للربـوع وسـاكنيها ... وأبقـى فـي افتكـارٍ واشـتغالِ
وأرجـو الله يجمعُنـا قريبـاً ... بـذاتِ الـنفس لا طيـفِ الخيـالِ
ونقـضي للـصبابة والتـصابي ... لُبانـاتِ التواصـل والوصـالِ
ويعـدُ فحـثَّ يـا حـادي المطايـا ... قَلوصَـكَ باهتمـامٍ واحتفـالِ
وسـر عَجِـلاً هُـدِيت ولا تـأنّى ... وجَوِّزهـا الحـضيضَ مـع الرمـالِ
إلى البـدوي مـع حَـرض وعجْـل ... وعَـرّس بـالمعرَّس لا تبـالي

وميّلهـا عـن اللحـبِ اعتمـاداً إلـى أرض المحـرّق ذي الطـلالِ
وأطلعْهـا إلـى الخيـل امتثـالاً وحُـطَّ الرحـل فـي بلـدٍ بهـا لـي
أخـلاءٌ وأحبـابٌ وأهـلٌ وأصـحابٌ عَلَـوْا رتـبَ الكمـالِ
وفـيهم ناصـرُ الـدين المرجَّـى لحـلِّ المشكلات مـن الـسؤالِ
تـراه مـذ نـشا كَلِفـاً بجمـعٍ لآثـار النبـيِّ وخيـرِ آلِ
وإن أملَـى تـدفَّقَ مثـلَ بحـرٍ تـدفَّقَ بـالجواهرِ واللآلـي
وإن مثـلَ اللبيـبُ لديـه أروى لعلتـه بمنطقـه الـزلالِ
فتًـى قـد فـاقَ فـي حِلْـمٍ وعلـمٍ وحـازَ البـاهراتِ مـن المعـالي
ففي المعنى وفـي المغنـى عظيمٌ جليـلٌ فـي المقـال وفـي الفعـال
حبـاه الله منـه بكـل خيـرٍ وفَـضَّله علـى كـلِّ الرجـالِ
وأرجـو الله يحبـوني قريبـاً بـأنْ أُضـحي وعزمتـه قبـالي

وهي رائقةٌ سائرة.

ومن شعره ـ أيضاً ـ: قوله يخاطب السيد مساعد بن سعد الحسني، وقد قدم من مكة المشرفة والياً على عتود، وبيش، وأعمالهما، بأمر الشريف زيد بن محسن ـ رحمه الله ـ:

شمسُ المكارم قد لاحَتْ من الحيِّ فأشرق الكونُ نوراً غيرَ محتجبِ
وقد بسمْنَ ثغورُ العُشب من عجبٍ وماستِ القصبُ فوقَ الكُثب من طربِ
وغنـت الـوُرْقُ فـي أفنانهـا طربـاً والزهرُ يفترُّ عن طلعٍ وعن حَبَبِ
نجل الذين سما في المجد مفخرُهم حتى علا فوق هام السبعة الشهُبِ

مُساعَد الإسمِ ميمونُ الصفات ومَنْ بَسَقْنَ أعراقُه من مغرس الأدبِ
صافي النضارِ ومشهورُ الفخار وعلـ ـوِيُّ النِّجارِ وسامي النفس والرتبِ
لن يعرف المجدَ إلا من أبوَّتُه معنعناً ما حواه عن أبٍ وأبِ
حيثُ النبوةُ والبيتُ الحرامُ وآ لُ الله والأنبا مع الكتبِ
أهلاً وسهلاً أقرَّ العينَ مقدمُكم ومرحباً يا سليل السادة النجُبِ
تعطَّرت أرضُنا واخضرَّ يابسُها وافترَّ مبسَمُها عن لؤلؤٍ شَنِبِ
وماس مِخْلافُنا في بُرده وزها تيهاً على الغوطةِ الغراءِ مع حلبِ
وفاح منه شميمُ الورد وابتهجتْ منه النفوس لمرأى البدر في الكثبِ
وافيتَ للعدل فيما قد نُدبت له لله منتدَباً من خير منتدبِ
ما كان ذا الملكُ المنصورُ منتضياً من غمد دولته إلا الذي شطبِ
لا يبرحُ اليمنُ والتوفيقُ خادمَه ولا برحتَ لجمع المجدِ لا النشبِ
وُفِّقت في كلِّ ما قد رمتَ مرتقياً مراتبَ العزِّ والعلياءِ والحسبِ
واسلمْ ودمْ في نعيمٍ لا يكدرُه صرفُ الزمان بما يبدو من النُّوَبِ

[٨٩٦] حسن بن عمار بن علي بن يوسف الشرنبلالي الحنفي[١].

والشرنبلالي: نسبة لشبرا بلوله، وهذا غلطٌ شائعٌ ذائع، والأصل: شبرا بلولي؛ نسبةً لبلدة تجاه مدينة مَنْف العليا، بإقليم المنوفية، بسواد مصر، يقال لها: شبرا بلولا، واشتهرت النسبة إليها بلفظ الشرنبلالي.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٨)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٠٨).

مولده بها قريباً من وسط العشر الأخير من تمام الألف.

ثم جاء به والده منها إلى مصر، وسنه يقرب من ست سنين، ونشأ بها، وحفظ القرآن وجوَّده، كان فقيهاً عالماً، عاملاً صالحاً مشهوراً، كبير القدر عند الناس، متقشفاً متواضعاً، وإليه كانت الإشارة في عصره، بإقليم مصر في الفقه، وكان مبارك التدريس، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع.

روى الفقه والحديث، وغيرَهما من العلوم الدينية عن الشيخ عبدالله النحريري، ومحمد الحموي، وعبد الرحمن المسيري الحنفي، والشمس محمد المحبي، والنور الحلبي، وعلي الأجهوري، وغيرهم، وأجازه شيوخه، وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر، وكان له العناية التامة بقراءة الفقه، وكان مستحضراً لأحكامه استحضاراً عجيباً، أخذ عنه أكابر الشيوخ الحنفية؛ كالسيد أحمد الحموي، وشاهين الأرمناوي، وغيرهما.

وتلقن الذكر، ولبس الخرقة عن الشيخ العارف بالله المعمر، خاتمةِ أكابر العلماء الآخذين عن الشمس محمد الرملي، محفوظِ بن أبي السعود المتفهني السكندري الشافعي، تلميذِ سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، وكان له في علوم الفقه الباع الطويل.

وكان معتقَداً للصالحين والمجذوبين، وله معهم إشاراتٌ ووقائعُ أحوالٍ كثيرة، منها: أن بعضهم قال له: يا حسن! من هذا اليوم لا تشتري لك ولا لأهلك وأولادك كسوة، فكانت تأتيه من ذلك الحين الكساوى والثياب الفاخرة، ولم يشتر بعدها شيئاً منها إلى أن مات ـ نفع الله به ـ.

وله مؤلفاتٌ كثيرة، تدل على سعة اطلاعه، وطول طوله وباعه، منها:

«حاشيةٌ على الدرر والغرر» في مجلدات، و«شرحٌ على منظومة ابن الشحنة» في الفقه، وغيرهما من الرسائل المفيدة.

ولم يزل متواصل المدد والإمداد، حتى قضى نحبه، ولقي رب العباد، فتوفي عصر يوم الجمعة، حادي وعشري رمضان، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وستين بعد الألف بمصر، عن خمس وسبعين سنة، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٨٩٧] حسن بن محمد البوريني الشافعي[1].

قال النجم الغزي في «الذيل»: الشيخ الإمام العلامة المحقق، والحبر الفهامة المدقق، بدر الدين، كان أبوه منجداً، ثم صار عطاراً، ثم انقطع عن الكسب والاحتراف، ولازم مجالس ولده، وقرأتُ بخطه: أنه وُلد بقرية صفورية، وأبوه من بورين، ولد بها، وهي قريةٌ من قرى نابلس، وقطن به أبوه محلة ميدان الحصى، خارج دمشق.

وقرأ القرآن العظيم على الشيخ قريحة، بجامع منجك، ثم طلب العلم، فقرأ في الفقه على أحمد العيثاوي، والعماد الحنفي، وإسماعيل النابلسي، والشمس بن المنقار، وغيرهم، ولازم الشهاب الغزي، وكان في خدمته، وهو من أعظم شيوخه، وكان يحضر معه دروس والده البدر الغزي، وحمل عنه فوائد، وأخبرني: أنه دخل مرةً عليه مع بعض الأعيان، فأراد النهوض

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٤٢) (٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٥١)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٥٥) (١٤١)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٣٩)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢١٩).

لهم، فلم يستطع، فأنشد:

علــةٌ واســـمها ثمـــانون عامــا منعتنـــي للأصـــدقاء القيامـــا

وبرع في العربية، وغيرها من المعقولات، وكان فصيح العبارة، طلق اللسان، متين الحفظ، حسن الفهم، لطيف المحاورة، تعلم اللغة الفارسية، حتى صار يتكلم بها كأنـه أعجمي، ثم تعلم التركية في آخر أمره، وكان في الفارسية أبرع، ونظمَ ونثر، وكان محسوداً، ويصبر على أذى غيره له، وأكثر من يؤذيـه إنما يؤذيـه حسداً لفضيلته؛ لأنـه لم يكن في مجلس علمٍ إلا كان بلبله، ولـه إنصافٌ في البحث، واعتـراف لأهل العلم بالفضيلة، وليس في مباحثته غيظٌ ولا حقدٌ ولا تغليظ، بل مباحثةٌ صافيةٌ نظيفة، لا تخلو من فائدة، ولا تنتهي إلا بعائدة.

وكان بَرّاً بوالده، وكان والده عبداً صالحاً، واتفق أنه رأى رسول الله ﷺ في منامـه، وقال له: قل لولدك يقرأ في «الشفا»، فامتثل وأقرأه، وكان كثير التعظيم لوالده، منوِّهاً بمقامه في المجالس العامة، وكان له برٌّ زائدٌ بمشايخه، وإكرامٌ لأحيائهم وأمواتهم، وكان يقبِّـل أيديهم، وربما قبل أرجلَهم.

ودرَّس سنين، وأفاد الطلبة، وانتفع بـه كثير، وممن برع وتخرج بـه: عبد الرحمن العمادي الحنفي مفتي دمشق، والخطيب أحمد بن يحيى البهنسي، في جماعـةٍ لا يحصَون، وآخرُهم العلامـة يوسف بن أبي الفتح السُقَيـْفي، ومحمد بن أحمد الصلتي، وأحمد بن شاهين.

وكان في أول أمره قليل الحظ في الدنيا، ثم ولي خطابة جامع جَرَّاح، سنة أربع وتسعين ـ بتقديم التاء المثناة ـ وتسع مئة، وكان يخطب من إنشائه،

وولي تدريس «العادلية الصغرى»، ثم وجهت إليه «الشامية البرانية»، و«الناصرية»، وتدريس الشافعية بالدرويشية.

وكان يفتي على مذهبه، وله فطنةٌ قوية، ويدرك بالمطالعة ما لا يدركه غيره، وما أشكل عليه، راجعَ فيه مشافهةً شيوخَه أوأقرانه، ولا يستنكف من المراجعة، مع عظم صيته، ورزق من الحظ في التدريس والمناصب، والتقدم في المجالس، وإقبال الحكام عليه، ما لم يُرزقه غيره من أقرانه.

وشعره متوسط، والغالب عليه الحسن، ومن مقاطيعه قوله:

إلهي بتقديس النفوس الزكيَّةِ وتجريدِها من عالَم البشريَّةِ
أزلْ عن فؤادي ما يعاني من العنا فإني ضعيفُ الصبر عندَ البليَّةِ

ولعل قوله: وتجريدها عن عالم البشرية، مبنيٌّ على اعتقاد من يعتقد من الصوفية: أن الإنسان إذا ارتاض، وجاهد في العبادة، قد يلتحق بالملائكة الكرام، حتى يطير في الهواء، ويمشي على الماء، لا على اعتقاد من يعتقد أنه: بالرياضة ينسلخ بالكلية عن الحظوظ البشرية، وهو اعتقاد البراهمة والملاحدة، ومن يقول: إن النبوة تأتي بالاكتساب، وهو ضلال.

وقوله:

إذا كنتَ عني يا مُنى النفسِ راضياً أرى كلَّ من في الكون لي يتبسم
وإن لم تلاحظني بعين عنايةٍ تَنَكَّرَ لي في الدهر ما كنتُ أعلمُ

ومن لطائف قوله:

يا من إذا تبدَّى وجهُه سجدتْ له الشموسُ وغارتْ منه أقمارُ

إليك أشكو فؤاداً لا قرارَ له — في طيّه منك يا روضَ المنى نارُ
أبيتُ أرعى نجوم الليل منفرداً — ولي مع النجم في ذكراك أسمارُ
حتى إذا ما بدا ضوءُ الصباح شدَتْ — كما شدوتَ على الأشجار أطيارُ
خاطرتُ يا سيدي بالروح أبذلُها — وقد تهون على المشتاق أخطارُ
هدمتُ بيت اصطباري بعد ما عمرت — من المحبة في وسط الحشا دارُ
فاحكم فديتُك يا شمسَ الملاح بما — ترضاه لي فالذي تختارُ أختارُ

وله:

سلِّم إلى الله تسلمْ — ولا تخالفْ فتندمْ
ولا تشاور حكيماً — فخالقُ الخلقِ أحكَمْ

قلت: وفي بيته الأخير نقدٌ؛ لأن الله تعالى يقول لسيد المرسلين: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ يعني: أصحابه.

وقد قلتُ مناقضاً له:

إن رمتَ أمراً فشاور — فالله أولى وأعلَمْ
وقد هدانا لهذا — في آل عمرانَ فاعلمْ
لا تستبدَّ برأي — من لا يشاورُ يندمْ

وأورد في درسه حديثاً، أورده القاضي عياض في «الشفا»: «أشد الناس بلاءً الأنبياء»، وفيه: «لقد كان أحدهم يُبتلى بالقمل حتى يقتله»، فقال الشيخ حسن: ضمير الفاعل فيه للنبي، وضمير المفعول للقمل، ونزّه الأنبياء عن قتل القمل لهم، **ثم كتب إليّ في اليوم الثاني هذه القصيدة:**

أمولايَ يا نجمَ الهدى وابنَ بـدرِهِ ... ومن هو في جمع العلا سِرُّ صدرِهِ
سـألتُك أرجـو أن تجيـب معـوّذاً ... على أخذ عِقْدِ الدرِّ من جيدِ بحرِهِ
وأنـت لهـذا الـدرِّ بحـرٌ وإنمـا ... دليـلُ مقـالي واضـحُ عنـد ذكـرِهِ
أشاهدَت في خط الأب الكامل الذي ... أضـاء بـه أفـقُ العـلا مثـلَ بـدرِهِ
بـأن نبيّـاً سـلط الله قملَـه ... عليه إلى أن مات في قيـد قهـرِهِ
وهل نقلُ هذا القول يُعزى لكامل ... فتنقـل عنـه مـا أفـاد بـسطرِهِ
وما ذاك إلا قولُ من صنَّف الشفا ... حبـاه إلـهُ العـرش غايَـة أجـرِهِ
أشـار إلـى قتـلٍ وقمـلٍ وأنـه ... يـسلِّطه فـوق النبـي لبـرِّهِ
فكن سيدي تبـدي الإفـادة راويـاً ... حديثَ المعالي واضحاً مثلَ نحرِهِ
وها أنـا يـا مـولاي أنظـرُ لطفَكـم ... بإبداء نقلٍ صـحَّ عـن أهـل خُبـرِهِ
فدوّنه لي نظماً وإن شـئتَ فـانثرَنْ ... عقوداً تفوق الروضَ زِيـنَ بزهـرِهِ
فـإنَّ اعتمـادي بالـذي أنـت ناقـلٌ ... يوازي اعتماد النصِّ من لفظ ذكرِهِ
وكـان غرامـي قبـل ذاكَ بِعَـزَّةٍ ... كُثَيِّـرها أبـدى لهـا دُرَّ شِـعْرِهِ
ومن أجلكم أضحى بعـزة هاشـمٍ ... سـقاها وحيَّاهـا الـوليّ بقطـرِهِ
فعجِّلْ وأسرع بالـذي أنـت مـانحٌ ... ففـضلُك عنـدي لا أقـومُ بـشكرِهِ
ودمـتَ تـرى مـا ترتجيـه ميـسراً ... تبـدل عـسر الـدهر منـك بيـسرِهِ
مدى الدهر ما أبدى محبٌّ رسـالةً ... تبيّنُ شوقاً بان مـن وصـف صـبرِهِ

قال: فكتبت إليه مجيباً:

لك الحمدُ يا من عَمَّنا فيضُ بِرِّه ... علـى كـلِّ فـضلٍ لا نقـوم بـشكرِهِ

وهذا جوابُ الجامع الفرد ناظماً عقودَ اللآلي في بدائع شعرِهِ
وما كان ذا قدري لأني مقصرٌ ولكنه مني امتثالٌ لأمرِهِ
فيا فاضلَ العصر المفيد وفوده فوائدَ علمٍ كالسحاب وقطرِهِ
لقد جاء في نص الشفاء وإنه لألطفُ من أنوارِ روضٍ وزهرِهِ
حديثٌ عن الخدريِّ أن نبينا عليه صلاةُ الله مع طيبِ نشرِهِ
يقول بأن الأنبياء أشدُّنا بلاءً لإكرام الإلهِ وبرِّهِ
وفي ذاك إن كان النبيُّ ليُبتلى بقملٍ كثير لا يُطاق لكُثرِهِ
فيقتلُه من غير إضمارِ فاعلٍ ولكنه يروى بإضمارِ ذكرِهِ
فحاولتَ يا بحر الذكاء منزهاً مقامَ نبيٍّ حُقَّ تنزيهُ سرِّهِ
فقلتَ النبيُّ القاتلُ القملَ لم يكنْ بمقتوله فالقتلُ أولى بصغرِهِ
ولكنَّ هذا كان لو لم يَرِدْ بما يخالفُه نصٌّ صريحٌ بغيرِهِ
بلى ابنُ أبي الدنيا الإمامُ روايةً عن المصطفى المختارِ أعظم بقدرِه(1)
يصرِّحُ أن قد كانَ في الأنبياء مَنْ لقد مات بالقملِ الكثيرِ لأجرِهِ
فصرَّح أن القاتلَ القملَ آتيًا بمُظْهَرِ لفظِ القملِ يا زَينَ عصرِهِ
وقد جاء في الأخبار أن برملةٍ بمسجدِها المشهورِ تقديسُ جدرِهِ
مقابرُ قومٍ خُصِّصوا بنبوةٍ وعِدَّتُهم سبعون ماتوا بأسرِهِ
بقملٍ وجوعٍ مفرطٍ كان موتُهم فسبحانَ من يُفني العبادَ بقهرِهِ
يضاعفُ ما قد يشا من أجر مَنْ يشا بما شاء من شيء لتعظيم بِرِّهِ

---

(1) في الأصل: قدره، والصواب ما أثبت.

وما كان هذا ناقصاً قدرَهُ ولا قِلّى بل لتضعيفِ الأجورِ بصبرِهِ
وهذا جوابُ النجمِ يرجو قبولَهُ عسى اللهُ يمحو الذنب عنه بغفرِهِ
فسامحْ أديبَ الوقتِ واقبلْ هديةً تليقُ بمن يُهدي على حسن قدرِهِ
بقيتَ لطلابِ العلوم مؤمَّلاً يطيّبُ آفاقَ الوجود بعطرِهِ

قال: ولنا مع صاحب الترجمة مطارحاتٌ لطيفة، ومراسلاتٌ علميةٌ مقبولة، تحتمل الإفراد بالتأليف، وقد كان من أعاجيب الدهر، وأفراد العصر، مقبول الخاصة والعامة، مخالطاً لأهل الأدب، مرجعاً لهم، يعرضون عليه أشعارهم، فيبين محاسنها ومساويها ونكاتها، فيعودون إلى قوله.

ومن غريب ما اتفق له: أنه كان ينكر على أهل الكيف، حتى قال شعراً في ذلك:

عمَّ البلاءُ بأكلِ البرشِ فانتقصتْ مخايلُ الناس في خلق وأخلاقِ
ولو تصور هذا الدهرُ في رجلٍ لأبصرتْه الورى في شكل ترياقِ

ثم ابتلي بأكله، حتى مات، قبل عصر يوم الأربعاء، ثالث عشر جمادى الأولى، سنة أربع وعشرين بعد الألف، وصلى عليه شيخنا أحمد العيثاوي، بعد صلاة العصر إماماً بالناس، ودفن بمقبرة الفراديس، وكانت جنازته حافلة.

وقلت أرثيه:

صابراً إن كنتَ أو جزعَا لا يردُّ الموتُ ما فَجَعا
كل دهر مرّ ما خلدتْ أهلَه فيه وما رجعا
ولكَمْ خطبٍ ألمّ وقد بتُّ من أحزانه وَجِعا

ساهراً ما كان منطبقاً جفنُ عينٍ لي وما هَجَعا
لو أبثُّ الحزنَ ما نفعا أو بكى لي القلبُ ما نَجَعا
يا خليلاً كنت أذخَرُه أشتكيه الهمَّ والجزعا
هل أرى لي عنده جزعاً إن غمِّي زادَ واجتمعا
من غرامي أشتكي لهباً خالطَ الأحشاء وانقطعا
فرقةُ الأحباب مؤلمةٌ لو تصيب الصلدَ لانصدَعا
أعلم الدنيا وإن بسطت لفتًى يزهو له خدعا
صفوُها قد شابه كدرٌ عرسُها بالحزن قد شُفعا
إن هذا الموت لم يرعى من تعلّى أو من اتَّضَعا
من دعاه الموت ليس له متزاحٌ عنه حيث دعا
سُوقة إن يدُع أو ملكاً تُلْفِه لبَّى وقد سمعا
ليت شعري هل أرى رجلاً بنواهي العقلِ مرتدِعا
كم لنا رزءٌ بموتِ فتًى كان منه القلبُ منصدِعا
قل لبورينَ اندبي حسناً جَهْبَذا في العلم مُذْ برعا
في فنونٍ ما لها عددٌ شأنه قد جَلّ وارتفعا
فدمشقُ الشام تندبُه فقدُه للقلب قد نزَعا
بحرُ علم يرتوي ظَمَئي من حَيَا أفضالِه جُرَعا
من أتاه نالَ مطلبَه طالما للناس قد نفعا
أسدٌ في الدرس صولتُه راحَ منها القِرنُ منقطِعا

كـــان بالإتقـــان مرتـــديًا كـــان بالإنـــصاف مُـــدَّرِعا

أيّ مِنطيـــــقٍ ومنطقُـــــــه قـــد حــلا فــي ذوق مــن ســمعا

مِــصْقَعٌ مـــن حـــسن خطبتـــه زيَّـــنَ الأعيـــاد والجُمعـــا

قـــد بكـــاه النحـــوُ فـــي نـــدبٍ معربـــاً عـــن وصـــفه ونعـــى

ويكـــاه الـــشعر مـــن شـــجنٍ ببحـــور الـــدمع إذ ســـجعا

ويكـــى التـــاريخ مـــا كتبـــت كفُّـــه مـــن حـــسن مـــا جمعـــا

ويكـــى التفـــسيرُ منـــه فتًـــى قـــد وعـــى أنواعـــه ورعـــى

مـــا لـــه فـــي العـــصر مـــن شَـــبَهٍ مثلُـــه قـــد عَـــزَّ وامتنعـــا

مـــا أظـــن الـــدهَر يُخلفـــه لا يكـــنْ فـــي مثلـــه طمعـــا

فـــسقى الـــرحمنُ تربتَـــه غيـــث عفـــوٍ سَـــحَّ وانهمعـــا

أنـــت [يـــا]الله خالقُنـــا وإليـــه الكـــلُّ قـــد رجعـــا

ونظم المترجم ونثر، وكان من عادته الإطراء في مدائحه، وإذا كتب على محضرٍ، أطال وأوسع، واتفق: أنه كتب على محضر، فوقف عليه شيخنا العيثاوي، فقال: سبحانه الله! ما ترك الشيخ حسن في البراني شراباً، ولمح بما اشتهر عنه؛ من نسبته إلى شرب الراح.

ووقع لقاضي مصر يحيى بن زكريا، الذي صار مفتي التخت العثماني: أن المترجم لما عمل مجلس الحديث، بعد صلاة المغرب بالجامع الأموي، وكان يقرئ «الشفا»، يوضع له الفانوس؛ تقليداً للبكريين بمصر، وطلب المترجم من يحيى أفندي حضور مجلسه، فحضر مرةً، فلما دار الكلام عنده في تدريس المترجم، قال: الشيخ حسن بكري دمشق، مورّياً في لفظة بكري؛

فإنه في اللغة الرومية: المدمن للشراب، وإنما شاع ذلك عن المذكور؛ لأنه كان يعاشر الدولة كثيراً، ويبيت عندهم، فاتهم بذلك، ولعله منه بريء.

وحج قاضيـاً بالحج، سنـة اثنتين وعشرين وألـف، وكان مقبولاً عند الخاصة والعامة؛ لتواضعه، ويخالط أهل الأدب، ويحضر جموعهم، ويعرضون عليـه أزجالهم وأشعـارهم، فيبين محاسنها من مساويها ونكاتها، فيعودون لقوله.

قال النجم: ويتعلق بموت الشيخ حسن قصةٌ ينبغي ذكرها؛ لما فيها من الاعتبار، وذلك: أنه لما تحقق موته، فرغ من الشامية البرانية، لشيخنا أحمد العيثـاوي، فلم يقبل قاضي الشام ـ إذ ذاك ـ محمـد أفندي المعروف بحوي زاده؛ لأنها طلبت لعبـد الحي بن الملا يوسف بمالٍ جزيلٍ دفـع، فوجههـا القاضي إليه، وعوض شيخنا بالوعظ في التكية، ووجَّه بقيةَ وظائفه لآخرين بنظره.

فلما كان بعد أيام، اجتمع جماعةٌ، منهم: أحمد بن شاهين، وأحمد بن الملا زين الدين العجمي، وحسين بن عبد النبي الشعال، وكان هؤلاء قياديم القوم، والشيخ رمضان العكاري، والشيخ كمال العيثاوي، والشيخ سليمان الحمصي، والشيخ إبراهيم العمادي الواعظ، والشيخ أحمد الفرعاني، وكان اجتماعهم بالجامع الأموي، ثم أحاطـوا بالشمس محمد الميداني، ورأسوه عليهم، وقالوا: نجتمع إلى القاضي والباشا، ونطلب توزيع وظائف البوريني علينا.

ثم ذهب طائفةٌ منهم إلى شيخنا أحمـد العيثاوي، وسألوه أن يذهب، ويذهبوا في خدمتـه إلى القاضي، فقال لهم: لا تليق هذه الجمعية، ولكني

أذهب إلى القاضي وأنصحه، فذهب إليه، وتكلم معه أن يعطي الحديث لابن الإيجي، وتكون الناصرية شركة بين الملا عبد الرحمن، وآخر، فأجابه لذلك، فبينما هم كذلك، إذ اندفع القوم، ومعهم آخرون، فدخلوا على القاضي، وأجلبوا عليه، فبادر القاضي، وقال لهم: اقعدوا وتقاسموا الوظائف، فقعدوا خارج المجلس يقتسمون، والكاتب يكتب ما يتفقون عليه، ثم خرجوا من عنده بناءً على أن يكتب التقارير على ما رتبوه.

فلما كان بعد ثلاثة أيام، جمع القاضي إليه شيخَنا العيثاوي، وعبد الحي ابن الملا يوسف، والخطيب يحيى البهنسي، وولده أحمد، والقاضي أبا البقاء الصالحي، والقاضي رمضان بن مغيزل القسَّام العسكري، وذهب بهم إلى نائب الشام ـ إذ ذاك ـ محمد باشا الجركسي، الذي صار بعد ذلك وزيراً أعظم.

وصور له الدعوى القاضي المذكور، عند القسام بالمجلس من الديوان، بإذن الباشا على أحمد بن شاهين، وحسين الشعال، وأحمد بن الملا زين الدين، ورمضان العكاري، بالهجوم عليه، وقلة الأدب معه، وأثبت ذلك عليهم، وكُتب بذلك صك، فتقدم الملا زين الدين، وقال للقاضي: أنت مرتشٍ، وتكلم بكلام آخر، وسجل عليهم كل ذلك، إلا أحمد بن شاهين، فإنه استُثني من الكتابة سراً؛ لمكان أبيه من الجند، ثم شفع شيخنا والحاضرون عند القاضي، في العفو عنهم من التعزير بالضرب.

وبعث الباشا جاويشيته لإزالة باب الحجرة، التي أحدثها حسين تحت السلم الخشب، الذي يصعد منها إلى الدكة، التي يجلس عليها المؤذنون للإقامة والأذكار بالمقصورة، وتحجيرها، فأزالوها، وانفصل المجلس، قال النجم: فلما بلغني ذلك، قلت:

رُويـدَك إن الفـضل للمـرء نـافعٌ ... ولكن على قـدر العقـول المنـافعُ
متى قلّ عقلُ المـرء ضـلّ طريقَـه ... وليس له عن وهـدة الجهـل مـانعُ
ومن ساءت الأخلاق منه معـرَّضٌ ... إلى كل مكروه مـن النـاس واقـعُ
ومن رام بـين النـاس يرفـع نفسَه ... فلـيس لـه إلا مـن النـاس واضـعُ
ألم تر رهطًا حاولوا رفـعَ قـدرهم ... بأنفـسِهم واللهُ مـا شـاء صـانعُ
بغوا نحوَ قاضي الشام صين حياتُه ... وكـل امـرئٍ غـادٍ وللـنفس بـائع
قضى الحسنُ العلامةُ الندبُ فاغتدوا ... وكـلٌّ لــه بالاشــتغال تنــازعُ
يقولون وجَّهـتَ الجهـاتِ لغيرِنـا ... أبـى الله معطـي مـن يـشاء ومـانعُ
وعن آداب[1] زاحوا فراحوا بنعمةٍ ... وقد ذلَّ بين الناس من هـو طـامعُ
وقـد كـان لـولا عفـوُه وسـماحُه ... تُماسِـسُهم منـه العـصا والمقـارعُ
وقد عُزِّروا في مشهدٍ ثُـم أُسْمِعوا ... لمـا كرهـوا والقـولُ للحـرّ رادعُ
أيجمُـل مـنهم مـا أتَـوا وتهـوَّروا ... هنالـكَ إن العقـل للمـرء وازعُ
وهل حسنٌ من قوم حسر حسينهم ... مطاولـةُ الأعــلام إنــك بــارعُ
تعرَّضَ من قاضي القضاة بما عسى ... تعـاد عليـه مكـرُه وهـو خاضـعُ
أحلَّ به من بعـد رضـوان سـخطه ... كذلك حال الخرق للمرء قـارع[2]
إذا قارعَ الـضرغامَ جـديٌ لجهلـه ... بـصولته فالليـثُ للجَـدْيِ قـارعُ
إذا ركبَ الإنسانُ في غيـر سـرجِه ... أُتيح له عـن ذلـك الـسرج صـارعُ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أدبٍ؛ ليستقيم الوزن.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: راقع.

ومن لم تؤدِّبْه العلـوُم وخَـفَّ فـي　　هـــواه نُهـــاهُ أدَّبتـــه الوقـــائعُ

وقـد هُـدَّ منه عرشُـه وهـو نـاظر　　وقد قُـدَّ منـه عرضُـه وهـو سـامعُ

تعجبـت مـن تلـك القـضية إنهـا　　لعَمْري وعظٌ وهْي للقلب صـادعُ

جرت بعد ألفٍ ثم عـشرين حجَّـةً　　بذا العام حيثُ العامُ من بعدُ رابـع

تأمَّـلْ رعـاك الله فـي فعـل ربِّـنا　　فليس لما يقضيه في الكـون دافـعُ

ولا تـرجُ إلا اللهَ فـي نيـل مقـصَدٍ　　تبـاركَ إن الفـضل منـه لواسـعُ

وبعـــدُ فـــإن الله جـــلَّ جلالُـــه　　لكـلِّ الـورى يـوم القيامـة جـامعُ

انتهى كلام الغزي في «الذيل».

[٨٩٨] الحسن بن محمد بن صلاح الحجاف الحبوري[1].

سيدٌ حسن الأخلاق، طيب الأردان والأعراق، حذا حذو آبائه الكرام، ونهج منهج أولئك السابقين الفخام، وعمّر أوقاته بالقراءات، وأقبل على إحياء رسوم الأدب بالمكاتبات، لـه بلاغاتٌ يقصر عن مجاراتـه فيها عبدُ الحميد وابنُ العميد، ونظمٌ يغنيك عن التشبيب بقول الوليد.

فمن ذلك: ما كتبه إلى السيد الفاضل الأديب إبراهيم ابن السيد زيد بن علي الحجاف، من ضوران، فقال:

يـــا حــــلاوى ســــكرِّيهْ　　ومـــــذاقاتٌ هنيَّـــــهْ

وثنايـــــا نابتـــــاتٌ　　فـــي عقيـــق لُؤلُؤِيَّـــهْ

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٨٢)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٥٧) (٦٢)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٦٢٣) (٢٠٣).

وصـــــفاتٌ مُزجــــت بــــالروح والأحــــشا مريَّــــهْ
وثغـــــورٌ رشــــفُها يـــا صـــاحِ عنـــدي قَرقَفِيَّـــهْ
وقـــدودٌ مثـــلُ بـــانٍ وعيـــونٌ مـــشرفيَّهْ
ســحرُها يفعـــل باللبْـــ ـــبِ كفعـــل البابليَّــــهْ
إن ســرى البــرق صـــباحًا بعـــتُ يـــومي بالعــــشيَّهْ
وتَـــراً يُـــصمى فـــؤادي عـــن قِـــسِيٍّ حاجبيَّــــهْ
عرفُـــه أعلـــى ذكـــاءً فـــوق عطـــرِ المنـــشميَّهْ
مالـــكَ الحـــسنِ ترفَّـــقْ واعمــــلِ العــــرف بنيَّــــهْ
فتـــرى جمـــعَ ضـــلوعي قـــدحُها نـــارًا وريَّـــــهْ
واصـــلِ المملـــوكَ حقّـــاً فليـــــالي نابغيَّـــــــهْ
حـــبُّكم داء قـــديمٌ ليـــت شـــعري مـــا القـــضيَّهْ
لـــيس لـــي قَـــطُّ معـــينٌ أبـــداً فـــي ذي البليَّـــهْ
غيـــرُ صـــنوٍ فـــاطميٍّ ذي ســـماتٍ هاشـــميَّهْ

فأجابه بقوله:

يـــا مليحـــاً فـــي البريَّـــهْ ذا خـــدودٍ عـــسجديَّهْ
ولحـــاظٍ تـــسحر اللُّبْـــ ـــبَ وتـــأتي بالمنيَّـــهْ
وقـــوامٍ ســـمهريٍّ حبـــذا مـــن ســـمهريَّهْ
وشـــفاهٍ مـــن عقيـــقٍ صـــاغها ربُّ البريَّـــهْ

منها:

جـــاءني مـــن غيـــر وعـــدٍ ثـــم أحيـــا بالتحيَّـــةْ
لـــيس لـــي منـــك مجيـــرٌ غيـــرُ مـــولًى فـــي البريَّـــةْ

[٨٩٩] الحسن بن محمد بن أحمد البوريني الدمشقي الحنفي[١].

هو بحرٌ متلاطمٌ بأمواج العلوم، تقذف أمواجه جواهر المنثور والمنظوم، ودوحةٌ يتفرع عنها للفنون أفنان، وينفتق منها للأدب كل وردةٍ دهان، حتى قيل: الحسَنُ في الشام كالشامة في الوجه الحسن:

لا أبـــصرتْ مقلتـــي محاســـنَه إن كنـــتُ أبـــصرتُ مثلَـــه حـــسنا

ذكره الإمام الخفاجي في «ريحانته»، وأثنى عليه، والسيد الأديب محمد ابن عمر العرضي الحلبي في «مجموعته»، وذكر: أنه قدم حلب سنة ست عشرة وألف.

قلت: ومن شيوخه: العلامة الملا أسد، وشيخ الإسلام عماد الدين الحنفي، والعلامة الشهاب أحمد الطيبي المقري، والشرف يونس العيثاوي، ومحمد الشام البدر محمد بن الغزي، ومنصور بن المحب، وإسماعيل النابلسي.

وذكر الإمام المحدث محمد بن علان المكي الصديقي: أن صاحب الترجمة قدم مكة حاجاً، عام عشرين بعد الألف، وأنه روى عنه «صحيح البخاري»، وبقية السنن، وأجازه بروايتها، وله من الآثار المخلدة في

---

(١) جاء في الحاشية: «مكررٌ وفيه زيادة».

الطروس، ما يفوح منها عطر القبول، ولا عطرَ بعد عروس.

منها: «تعليقةٌ على تفسير القاضي البيضاوي»، و«تاريخ مشتمل على طبقات من لقيهم من علماء وقته»، و«شرحٌ على ديوان سيدي عمر بن الفارض» ما عدا تائيته؛ فإنه اعتذر عن عدم شرحه لها، بما هو مسطورٌ في خطبته، و«ديوان شعرٍ» في مجلدٍ كامل، وسبعة مجاميع مشتملةٍ على كل طرفةٍ ونتفة، وشذرةٍ وتحفة، سماها بـ: «الشهب السيارة»، وقفت على مجموعٍ منها بخطه، ونقلت منه ما نصه:

كان المرحوم الفاضل تاج الدين الشهير بالقطان يقرأ «مغني اللبيب» على شيخنا العلامة الكامل الفهامة، من كان في زمانه واسطة عقد الأفاضل، وصدر صدور أرباب الفضائل، العماد الحنفي، في المدرسة النورية، بدمشق المحمية، في سنة اثنتين وثمانين وتسع مئة، فوصلت نوبة القراءة إلى مبحث العرض، وقرأ شاهده المشهور، وهو قول الشاعر: يا بن الكرام ... إلخ، فأمر الأستاذ العماد بتضمين البيت المذكور، فقلت مرتجلاً، ورقمته خجلا:

يا معرضاً عن محبٍّ للودادِ رعى	تعذيبَ قلبي بنار الهجر من شرعا
وحقِّ عينيك لا أشكو الهوى أبداً	إلا إليك ولو قطعتني قطعا
قد كنت أبصر ضوء الودِّ من قِدم	فاليوم قد غاب عن عيني وما طلعا
جمعت صبراً ليوم البين يُسعدني	ففرق الهجرُ قبلَ البين ما جمعا
بالله يا متلفي رفقاً برِبِّ جَوًى	إليك قصةَ هذا الحال قد رفعا
قد حدثوك على بعد المزار بما	قد أودع السقمُ في جسمي وما صنعا
يا بن الكرام ألا تدنو فتبصر ما	قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

أقول: وقد أكثر شعراء العصر من تضمين هذا البيت، ومن ذلك قول صاحبنا الأديب علي السنجاري المكي:

ناديتُ من مرّ بـي كـالظبي ملتفتـاً ... مذ أخبروه بما فـيّ الهـوى صـنعا
يا بن الكـرام ألا تـدنو فتبـصر مـا ... قد حـدثوك فمـا راءٍ كمـن سـمعا

وقول الأديب قرط الحلبي:

يا بن الحسيب الذي من نجل فاطمةٍ ... بنتِ النبي الذي للدين قـد شـرعا
ما لي أراكَ تعـاملني الـصدودَ وذا ... عن حسن شيمتك الحسناءِ ما سُمعا
بـالله إن دخـل الواشـون أو نقلـوا ... عني فلا تسمع البهتـان والبِــدَعا
وارحمْ لِنَاشد بيتٍ في القريض حكى ... درّاً يـضمنه والقلـبَ قـد صـدعا
يا بن الكـرام ألا تـدنو فتبـصر مـا ... قد حـدثوك فمـا راءٍ كمـن سـمعا

[٩٠٠] القاضي حسن بن العفيف الحضرمي[1].

من شعراء عصرنا المجيدين باليمن المأمون الأمين.

من شعره مادحاً للإمام المتوكل:

هو الربعُ سلْه أو فقفْ لي أسـائله ... أنزَّالُـــه نزَّالُـــه أم نزائلُـــهْ
فـإن هُـدُوَّ القلـبِ يـؤذن أنَّ مـا ... به غيـرهم والـدمعُ أشـكل سـائلُهْ
أرى القلبَ أهدى لي الصوابَ وربما ... غدا وهو ذو علمٍ بما الطرف جاهلُهْ
فيــا ربُـع نبئنــا أنزَّالــك الألــى ... عهدْنا فـإن الحـقَّ مـا أنـت قائلُـهْ

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٩٠) (٢٤٥).

فقال أجلْ من قد عهدنا وذا الحمى الـ ـمسمى وذاك المنحنى وخمائلُهْ
وتلك لبَيْنا حيثُ تقضى لبانةُ الـ ـمحبِّ ومال(١) الصب تهدا بلابلُهْ
فقلت سُقيتَ الغيثَ لم أجهلِ الذي علمتَ ولكن لاق عندي تجاهله
وليل تحاميل المشيب أرقتُه لهمٍّ وليلُ الهمِّ سارٍ يطاولُهْ
كأن به جفني لجفنيَ عاشقٌ وطرفي رقيب حارسٌ لا يواصلُهْ
إذا ما سها وقتاً كلا وكذا وشى من الدمع نَمّامٌ على السهوِ عادله
لي اللهُ من ثاوٍ بجسمٍ وطيُّه طعينُ فؤادٍ راحلُ الفكر قافلُهْ
أفكر أي البيد بالقود أرتمي إلى منزل بالعزِّ طابت منازلُهْ
وأي خضمٍّ بالسنين أخوضُه إلى مثلِه جوداً تطامت جداولُهْ
وعاذلةٍ بين الجوانح راعَها محاولُ حالٍ في عنا من يحاوله
تقول على ماذا الترامي على النوى ومدّ التوى والرزق فالله كافلُهْ
أقول لها قول امرئٍ لم يطبْ له على دَعَةٍ من طيِّبِ العيش خاملُهْ
ذريني على أخلاقي الصملِ التي هي الوفرُ أو شربُ تُرنٍّ ثواكله
فلم أر عذراً للكريم بدون ما ينال المنى أو بازديارٍ يزاولُهْ
سأسري كما يسري الهلالُ بأفقه هو الخطأ ما محقه أو تكاملُهْ
وحقَّقَ نيلي للمنى ووسيلة دعاءُ أميرِ المؤمنين ونائلُهْ
فلا فضلَ إلا دونَ فضلِ ابن قاسم ولا بذلَ إلا دون ما هو باذلُهْ
إذا قيل إسماعيلُ أبلغ جنده الـ ـهدى عدة والويلُ طالت أناملُهْ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وبالُ.

إمامٌ وعاء الكون يطفح مترعاً ... بـه وكـذا كانـت قـديماً أوائلُـهْ
فضائلُ قد ضاق الزمان بكنهها ... وفاضت على طُرْقِ الزمان فواضلُهْ
شمائلُ خيرِ المرسلين وصنوِه ... وسِبْطيهِ والآلِ الكرامِ شمائلُهْ
رأينا به ما قد سمعناه عنهمُ ... ففضلُهم فيه وفيهم فضائلُهْ
إذا ما دعانا الخطبُ لُذنا بيمنه ... فتجلى به في الحال عنا جلائلُهْ
وإن جالَ فرسانُ العلوم فإنه ... يحاذر منه فارسُ القوم راجلُهْ
فعما تشا سلْه فإنك سائل ... لحيدرةٍ في علمه إذ تسائلُهْ
تأمل إذا أملى دقائقَ فكره ... وما ضمنته كتبُه ورسائلُهْ
فمسألة كالشمس يزهِرُ ضوءُها ... كبدرٍ وكالزُّهر النجوم دلائلُهْ
به قام دين الله أعدل قامة ... على العدل والتوحيد فينا يعادلُهْ
ودين الولا رمحُ السماك لواؤه ... ومنه له المريخُ بالزوع حاملُهْ
إذا النصبُ لا تطمعْ برفعِك والخفـ ... ـض لجزمك فالقاضي به فيك عاملُه
له دعوةُ الحق التي عزَّ شأنُها ... وناصرُ داعيها وذلَّ مخاذلُهْ
وبالحقِّ لا بالخلق شاد زعيمها ... ودانٍ له حافي الأنام وناعلُهْ
ومن كان بالله الشديد مِحالُه ... يُبيد الأعادي حولَه ومحاولُهْ
أقول مقالاً قيل قبلي وإنما ... إلى خيرها عن شرها أنا ناقله
جوادٌ يُنيل الحمد جذلانَ مابها ... ويزداد بِشرًا كلما ازداد آملُهْ
علامةُ جودِ المرء بالطبع بشرُه ... كجودِ الحيا لمعُ البروق مخايلُهْ
أجلتُ افتكاري في الكرام فما بهم ... سواه كريمٌ كاملُ الجود شاملُهْ

وكامـلُ جـود جـودُه غيـرُ شـامل		وشـاملة لكـن مـا هـو كاملُـهْ
فللـه بَـرٌّ بـسطةُ البحـر كفُّـه		سماحًا وبحرٌ ساحةُ البر ساحلُهْ
بلغـتَ بـأفق الجـود أفـضلَ رتبـة		فقف ثم لا أعلى لما أنت طائلُهْ
كأنك فـي الـدنيا بجسمك كـائنٌ		وبالزهـد فيهـا بـائنُ القلـب آفلُهْ
تأملـت إنـي تـاركٌ فـيكمُ ومـا		يُضاهيه عن خير الـورى ويـشاكلُهْ
فأنتَ به المقصودُ في العَصر الذي		يحثُّ عليك في اتباعـك حاصـلُهْ
علـى طبـقٍ أمـر الله فعلُـك كلُّـه		فللـه فعـلٌ أنـت لله فاعلُـهْ
كلاكَ ووالاكَ امـرؤٌ[1] فـاز ناجيًـا		وعنك تـولَّى مـن أتيحـت مقاتلُهْ
وخذ شـكرَ إحـسان تواليـه دائمًـا		عليَّ ومـن لـي أن شـكري يقابلُهْ
فكـم كربـةٍ عنـي فَرَجْـتَ وشـدَّةٍ		كشفتَ وحالي ماحِلُ الحال حائلُهْ
وقمتَ بنصري والزمـانُ محـاربي		وأهونُ به خـصماً إذا أنت جادلُهْ
أذمُّ كـشكريكَ الزمـانَ وأهلَـه		فـساءَ وسـاؤوا فالقليـلُ أماثلُهْ
أسـافلُه فيـه الأعـالي وشـرُّ مـا		لقيـتُ زمانًـا والأعـالي أسـافلُهْ
إذا شئتَ رفعي شاءَ خفضي فدائماً		يمـاطِلُني عمـا أشـا وأماطلُـهْ
فيا ليتَ شعري والعجائـبُ جمـةٌ		لأية معنى غاض في الدهر فاضلُهْ
وعيٌّ كذُبٌّ خُصَّ بالخفض عيشُه		ونـدبٌ أديـبٌ أبرضَـتْه مآكلُـهْ
لحـا الله دهـرًا باقِـلٌ فيـه قُـسُّه		وقبحًـا لـه إذ قُـسُّه فيـه باقلُـهْ
وما قلتُ هذا جازعًا مـن صـروفه		ولكنْ ليدري عنه منه ما هو غافلُه

---

(١) في الأصل: امرءاً.

ويعلـمَ أنـي بالإمـامِ مظفـر وإن ظـافرت مـن بنيـه أراذلُـهُ[1]
هو الغوثُ مهما الخطبُ صوَّحَ ضوعُه هو الغيثُ مهما الجدبُ صوَّحَ ماحلُهْ
تباركتَ مولًى لم يخب منك سائلٌ عظيماً ولم تعظُـمْ عليـك مسائلُهْ
وحسبُ امرئٍ وافاك رأيك بالندى وأن صفات الجـود فيـك وسـائلُهْ
وصـلى عليـك الله بعـدَ نبيـه وعترتـه مـا المـزنُ أسـبلَ وابلُـهْ

[٩٠١] الحسن بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرفي[2].

العلامة الذي تفرد في وقته بالفضل، والعلم والورع، والزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، كان ـ رحمه الله ـ وصولاً للرحم، كثير الصدقة على ذوي الفاقة، حريصاً على فعل الخير والمعروف، أخذ عن أبيه وجده، وسمع على أخيه شيخنا الحسين كثيراً من العلوم، مع كونه أسنَّ منه بنحو سبع سنين.

وكان له الخط الحسن، الرائق المضبوط، والنظم والنثر الفائقان، ولقي جماعةً من أكابر العلماء، وأخذ عنهم كثيراً، وحوى علماً غزيراً، وله ارتحالاتٌ كثيرة، من جملتها: ارتحاله مع إخوته إلى شهارة المحروسة، أيام دعوة القاسم ابن الإمام محمد المؤيد، وأقاموا بها ثلاثة أشهر، بداره الميمونة بالناصرة من شهارة، وفي خلال الإقامة شارك السيد أحمد ابن الإمام المتوكل إسماعيل في قراءة «التيسير» للربيع، وغيره من الكتب الحديثية.

وكانت **وفاته** ـ رحمه الله ـ في سابع عشر ربيع الآخر، سنة تسع وثمانين

---

(١) كذا في الأصل، فالشطر الثاني غير مستقيم الوزن.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٦٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٧٦) (٢١٦).

بعد الألف، بمدينة صنعاء، وحضر تجهيزه والصلاةَ عليه جمعٌ كثيرٌ من علماء صنعاء وفضلائها، وأولاد الأئمة، وغيرهم.

وكان ـ روَّح الله روحه ـ في زمن حداثته مجداً في الاشتغال بالعلم وطلبه، على أبيه وجده، مع مشاركة أخيه الحسين المذكور، وكان إذا قرأ شيئاً في غيبة أخيه الحسين، تتأثر نفس أخيه الحسين، فيعاتبه في ذلك، فيعتذر صاحب الترجمة إليه، ويعيد ما قرأه عليه، فقال في ذلك صنُوه الحسين أبياتاً رائيةً معاتباً، وجعل أول كل بيتٍ منها حرفاً من حروف المعجم، أولها:

أذابَ فؤادي بارقُ الغور إذ سرى ... بنفحةِ مسكٍ من حدائقها سرى
بحقِّكَ خبرني عن الغور إنه ... حديثٌ صحيحٌ ليس في القول منكَرا
تأمَّلْ به تلك المعانيَ تلقَ لي ... لطائفَ فاقت في المحاسن مَخْبَرا
ثملتُ وقد دارت رحيقةُ وصفِه ... فأنهلَنا التسنيمُ من تلك سُكَّرا
جرى ذكرُ أحبابي بروضة قدسِها ... وقد كُسيت بُرداً من الوشي أخضرا
حوى من مليح الوصف كلَّ غريبة ... كزهر سماء الأرض في حسنها ترى
خليليَّ ما وافٍ بعهدي أنتما ... إذا لم تقصّا وصفَها لي وتُخَبِّرا
دعوتُكما كي تُفهماني حقيقةَ الـ ... أحبة فيها مفرقَيْن وتحضرا
ذكرتُ لهم ذكرَ الصفات فهاجَ لي ... من الشوق ما ألفيتُه متذكّرا
رأينا بها ما يملأ العين قرةً ... فرُوِّحَتِ الأرواحُ من حسن ما نرى
زيارتُهم فيها لقلبي مسرةٌ ... غدت مورداً للصالحات ومصدَرا

سلي إن أردتِ النوم عني وعنهمُ تَـرَي مـا يسرُّ الأوليـاءَ بـلا مِـرا
شَـفَتْنا وأولتنـا فوائـدَ عنـدها يُـسَهِّلُ للأحبـاب مـا قـد تعسَّرا
صفت عندنا تلك الصفاتُ التي علت ففاقت وراقت للقلوب بـلا امْتِـرا
طوينا لـدى الأحبـاب كـلَّ مقالـة وقد كان فـي نفسي مقـالٌ تكثـرا
ظفرنا بما نرجو من الحَسَن الـذي يفيـدك إن أَقْـرا الفوائـدَ أو قَـرا
علـيمٌ بأعقـاب الأمـور كأنمـا لِما في غدٍ مـن قبـل يأتيـهِ أبـصرا
غدوتُ عليه عاتبًا حين أهمـلَ الـ أخـوةَ لمـا ينتظرْنـي ويـذكرا
فواعجباً من فعله حين غبـتُ عـن محافِلِـه هـلاً لحقِّـيَ آثـرا
قـرأتَ حمـاكَ الله لـم تنتظـر لنـا وعذري أن السحْب بالغيث أمطرا
كفـى حجـةً برهانُهـا مـشرقٌ بمـا فعلتَ على إهمال حقِّي بمـا عـرا
لويـتَ عِنـانَ الـودِّ عنـي عامـدًا وأُنـسيت حقّـاً للإخـاء مـؤثِّرا
محلُّكَ فوقَ الشمس عندي وإنني لأبنـي لـه فـوق المجـرة معمـرا
نحـوتُكم لمـا تقـشَّعَ سـحبُها وسرت إلى سُوح المعـالي مبكِّـرا
وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقـود ملاحيـة حـينَ نَـوَّرا
هو الصنعُ إن تعجلْ فخيرٌ وإن برت لعـذرٍ فكـم ريـثٍ بـه عـاد أكثـرا
يقول لي القلب الذي ترك الهـوى إذا انـت راعيـت الإخـاء المقـررا
لأعظم مـن أولـى ووالـى صـنيعَه وحاز من الخيـرات سـهمًا مـوفَّرا
ألستَ مـن القـوم الـذين وليـدُهم يُرَجَّـى لإقـراء العلـوم وللقِـرى
بلغنا السما مجـداً وعـزّاً وسـؤدَداً وإنـا لنرجـو فـوقَ ذلـكَ مظهَـرا

تجرَّدْ لأخـذ العلـم عـنهم فـإنهم أئمتُنـا وارحـلْ إلـيهم مـشمِّرا
ثبـاتهمُ فيهـا عظـيمٌ رسـوخُه وذاكـرهُ يـولي الثنـاء معبِّـرا
جزى الله آبـائي عـن الكـلِّ خيـرَه وأبقـاهمُ مـا قيـل نظـمٌ وسُـيِّرا
حموا بعواليهمْ حمى الدين واستوَوْا علـى فَلَـك العليـاء لمَّـا تنـوَّرا
عليكَ سلامُ الله ما انهلَّـتِ الـسما بوَدْقٍ على روضٍ أريـضٍ فـأزهرا

فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

أُسَرُّ إذا حققتُ فـي اليـوم معـشرا وتكثُـر أفراحـي إذا كـان أكثـرا
بنـاءً علـى أن امـرأً بـاد عمـره إذا كـان فـي غيـر العلـوم مكثـرا
تبينت أن العـز فـي العلـم والعـلا وأن بحار العلم هم خِيـرةُ الـورى
ثنائي علـيهم لا علـى كـل مهمـلٍ يجـانبهم ممـا عَتَـا وتكبَّـرا
جَنَوا ثمـراً مـن روض كـلِّ فنونـه وأعطـاهم الـرحمنُ حظّـاً مـوفَّرا
حريُّون بالتقديم أقدامُهم علـى الثريـا وأهـلُ الجهـلِ فـي أسـفلِ الثـرى
خلا مـن غـدا فـي دهـره متعلِّمـا ومـستمعاً مـا فـاق دراً وجـوهرا
دنـا مـنهمُ فـازداد فـضلاً ورفعـةً وعاش حميداً في الـورى متبـصِّرا
ذكـرتُ خـلالاً للحـسين فـسرَّني بأن أخـي للعلـم أضـحى مـشمِّرا
رضـيتُ لـه هـذا طريقـاً ومـسلَكاً وصاحبُه فـوق النجـوم كمـا تـرى
زيادة من فـوق البـسيطة لـم تكـن من العلم نقصانٌ وخُـسرٌ بـلا مِـرا
سما من له العلمُ الشريفُ وسـيلة وما فاز ذو جهل وخابَ من افترى
شرى نفسَه يبغي الرضا مـن إلهـه فيا فوزَه بالربح من خير مـا شـرى

صبورٌ على درس الدفاتر مقبلٌ سريٌّ سرى والصبح قد يُحمد السُّرى
طويلٌ عليه الليلُ إن بات مهملاً قصيرٌ إذا للدرس باتَ مؤثرا
ضجيعُ كتابٍ لا يفارقه ولا يرافقُ إلا عالماً متبحِّرا
ظفرتَ بما أمَّلت فاشكرْ ولا تكنْ ملولاً فإن الصيدَ في باطنِ الفِرا
على أنه وافى نظامُك عاتباً علينا ومنظوماً نظاماً محبَّرا
غدوتَ به في نعمة لبلاغة حواها وألفاظٍ له قد تخيَّرا
فواعجباً من عاتب كان حقُّه بأن يبتدي بالعَتْب فيما تحررا
قوافيك أولَتْنا محاسنَ عندها نقول وقد خاطبت من كان قصَّرا
كأنك لم تعلم بمن سار أشهراً ليحظى بعلم ثم عاد مطهَّرا
له رحلةٌ معروفة أنت أهلُها فواصلْ دروسًا درسُها لك يُسِّرا
مدى الدهر لا تبرح على الدرس عاكفاً فما العلمُ في الأسواق بالمال يُشترى
نبيُّك لم يترك سوى العلمِ فاغتنم وراثتَه بالدرس عن سيد الورى
وأنت بحمد الله قد صرتَ عالماً ولكنْ نظمْنا ما تراه مذكِّرا
هدانا إله الخلق نهجاً مبلِّغاً إلى جنةِ الفردوس فضلاً ويَسَّرا
لئن كنتَ ترعى للحقوق فإنني لأرعى لها واسألْ بذلك من درى
يريد أخي قلبَ العتاب فقل له يحقُّ لمثلي أن يُغَض ويصبرا
إذا أنا لم أحملْ على النفس ضيمَها سددْتُ طريقًا للثناء منوّرا
بدا ليَ عذرُ الصِّنْوِ بعد جفائه وذلك أن السحبَ دام وأمطرا
توالتْ بذا الأسبوع فضلاً ونعمة فرام لهذا أن يُقال ويُعْذَرا

ثلاثـاً هجـرتُم ثـم زدتُـم كمثلِهـا ... لـك الله أرجـو أن يُقيـل ويُعْـذِرا
جرى ما جرى منكم من الهجر والقِلى ... وفوقَ ثلاثٍ حَرَّم الطهرُ ما جـرى
عليـك سـلامُ الله مـا ذر شـارق ... وما سار ذو عزم لعلمٍ ومـا سـرى

ولصاحب الترجمة نظم التلقين، والوظائف المروية عن جعفر الصادق وآبائه، وهو قوله:

تلقَّـنْ يـا فتـى طُـرْقَ الـسعادهْ ... فتلـك إذا وصـلت هـي الـسيادَهْ
وجَنِّبْ نفـسَك الـشبهاتِ واصبْر ... وفيمـا حـلَّ ألزمْهـا الزهـادَهْ
وحـبُّ الله آثـرْه وأحـسِنْ ... وقـم بالواجبـات مـن العبـادَهْ
تفكَّـر فـي خلائقـه وحـاذرْ ... تـصوُّرَ ذاتـه واعـرفْ مـرادَهْ
وقـم بحـوائج الإخـوان فيـه ... لتحـرزَ فـضلَه وارحـمْ عبـادَهْ
ولازمْ ذكـرَهُ والجـأ إليـه ... تنـلْ منـه مـع الحسنى زيـادَهْ
وعظِّـمْ أمـرَه تعظـيمَ عبـدٍ ... تـيقنَ رحلـةً فأعـدّ زادَهْ
ولا تفـرحْ بمـا أوتيـت وانـدمْ ... على التفريط عـن طلـب الـسعادَهْ
وأبـق بـشكره النعمـاءَ واجعـلْ ... تـدبُّرها لنفـسك كـالقلادَهْ
تجنَّـبْ مـا نهـاك الله عنـه ... ومـا يَعنيـك لا تهـدمْ مُـشادَهْ
تأمَّـلْ عاجـلَ الأحـوال وانظـرْ ... عواقبَهـا علـى حـسب الإرادَهْ
تـصوَّرْ بعـد موتـك مـا تُلاقـي ... فمُبـدي الأمـر تمكنُـه الإعـادَهْ
وجنِّـبْ نفـسَك الـدنيا فمـن لـم ... يحاذرْهـا فقـد ملكَـتْ قيـادَهْ

ومهمــا آذنَـــتْ بــصلاح أمــر تــراه صــالحاً فاحــذرْ فــسادَهْ
ورَجِّ الخيــر فــي الأحــوالِ إلاَّ لـدى ذنـب فخـفْ واقـدحْ زنـادَهْ
وأخلــص نيــةً فــي كــل فعــل لعــالمِ غيــبِ أمــرِكَ والــشهادَهْ
وحــاذرْ عــدَّ نفسك ذاتَ فـضلٍ وأنــك بــالغٌ رتــبَ الــسعادَهْ
فتتــركَ مــا بــه كلفــت إذْ قــد وصـلتَ كـزعم أربـاب الـبلادَهْ
أتــأمنُ مــن لهــا بالــسوء أمــرٌ بــه تُعمــى لــذي لــبٍّ فــؤادَهْ
حــذارِ الجبَـر والتـشبيهَ واحـذرْ مــن الإرجــاء يــا علـمَ الإفــادَهْ
وحـــاذرْ مـــن أمـــور زيَّنوهـــا بهـا حُرمـوا ثـواب ذوي العبـاده
حلـــولُهم ولـــومٌ عـــن فـــساد لدفع الحجب مع حمـل القـلادَهْ
وعــن رقــصٍ ســماعِهم ووجــدٍ مــشاهدةِ الجنــان وخــرقِ عــادَهْ
فمــا قــالوه مــن هــذا ضــلالٌ تنـــزَّهُ عنــه أربـــابُ الــسياده
ومهمــا أمكنتــك خــصالُ خيــرٍ فآثرْهــا تفــز وخُــذ الإجــادَهْ

[٩٠٢] الحسن بن مسعود اليَوْسي المغربي المالكي[١].

عالمٌ نحرير، لـه في المغرب ذكـرٌ كبيـر، كان ذا باعٍ مديدٍ في الكلام والنحو، والفنون المتداولـة في المغـرب، وأخلاقٌ كريمـةٌ وتواضع، وكان عظيم الوقار، كثير العبادة، صبوراً على الإفادة، قدم مكة حاجاً، سنة ألـف ومئة واثنتين، ولم يقدر لي الاجتماع به.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٤٣) (٣٧٩)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٨٠١)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٢٠)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٢٣).

له مؤلفاتٌ في فنونٍ، منها: «حاشيةٌ على شرح مختصر السنوسي في المنطق»، ولما رجع من الحج إلى المغرب، توفي بها، وأنشدني بعض أصحابنا، قال: أنشدني المترجَم لأحمد بن الحسن الكلاعي المالقي قوله:

يقال خصالُ أهل العلم ألفٌ ... ومن جمع الخصالَ الألفَ سادا

ويجمعها الصلاحُ فمن تعدَّى ... مذاهبَه فقد جمعَ الفسادا

توفي سنة ألف ومئة وإحدى عشرة ببلده، بعد رجوعه من الحج ـ رحمه الله ـ.

[٩٠٣] حسن الماوردي الشافعي الشامي.

ماجدٌ صيغ من معدن السماح، وابتسمت في جبينه غرةُ الصباح، اللطف حشو إهابه، والفضل لا يلبس غير جلبابه. شعر:

لو مثل اللطفُ جسماً ... لكان للطف روحا

لم يزل إذا نزل بنادٍ، انحلت الهموم، وارتضع من أخلاقه نبت الكروم، حتى أدركه أجله المحتوم، فتوفي بمصر، يوم الأربعاء، خامس عشري شهر صفر، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

مصرٌ تفوق على البلاد بحسنِها ... وبنيلها العالي ورقةِ ناسِها

من كان ينكرُ فالتحاكمُ بيننا ... في روضةٍ والجمعُ في مقياسها

أخذه من قول الصلاح الصفدي:

إن مصراً لأطيبُ الأرض عندي ... ليس في حسنها البديع التباسُ

وإذا قستَها بأرضٍ سواها كان بيني وبينك المقياسُ

[٩٠٤] حسن المسكاتي.

كان أديباً ماهراً، وكاتباً شاعراً، له شعرٌ أنيقٌ، حسنُ السبك رقيقه، قدم من بلاده إلى اليمن، فتوطن المخا، وامتزج بأهلها، امتزاج الروح بالجسد، وتوفي بها سنة خمس وسبعين وألف.

ومن شعره قوله: . . .[1].

[٩٠٥] الدرويش حبيب الرومي الحنفي[2].

كان فاضلاً طويل الصمت، نظيف الذات والأثواب، متواضعاً صوفياً، له ذوقٌ في المعارف والحقائق وآداب، وكان يمتهن نفسه في الخدمة لأقرانه، وللناس فيه مزيدُ اعتقاد، وعليه نورانيةٌ ظاهرة.

وكان ملازماً للجماعة، في الجامع الأموي، ساكناً في حجرة بالسميصاتية، قانعاً باليسير من الرزق، وأقام بدمشق أكثر من عشرين سنة، وهو على سمت حسن، واشتغال بالعلم، إلى أن توفي يوم الجمعة، عاشر شعبان، سنة أربع وعشرين بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

[٩٠٦] حسن ابن الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن سراج باجمال[3].

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر الشعر، وترك نصف صفحة بياض».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٥٣) (١٣٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٥٠١).

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٦٦).

وُلد بالغرفة، من بلاد حضرموت، ونشأ بهـا، وحفـظ القرآن العظيم وغيره، واشتغل على والـده ولازمـه، حتى حصل طرفاً صالحاً من العلم، ثم ارتحل إلى الحرمين الشريفين، وجاور بطيبة ـ على ساكنها الصلاة والسلام ـ.

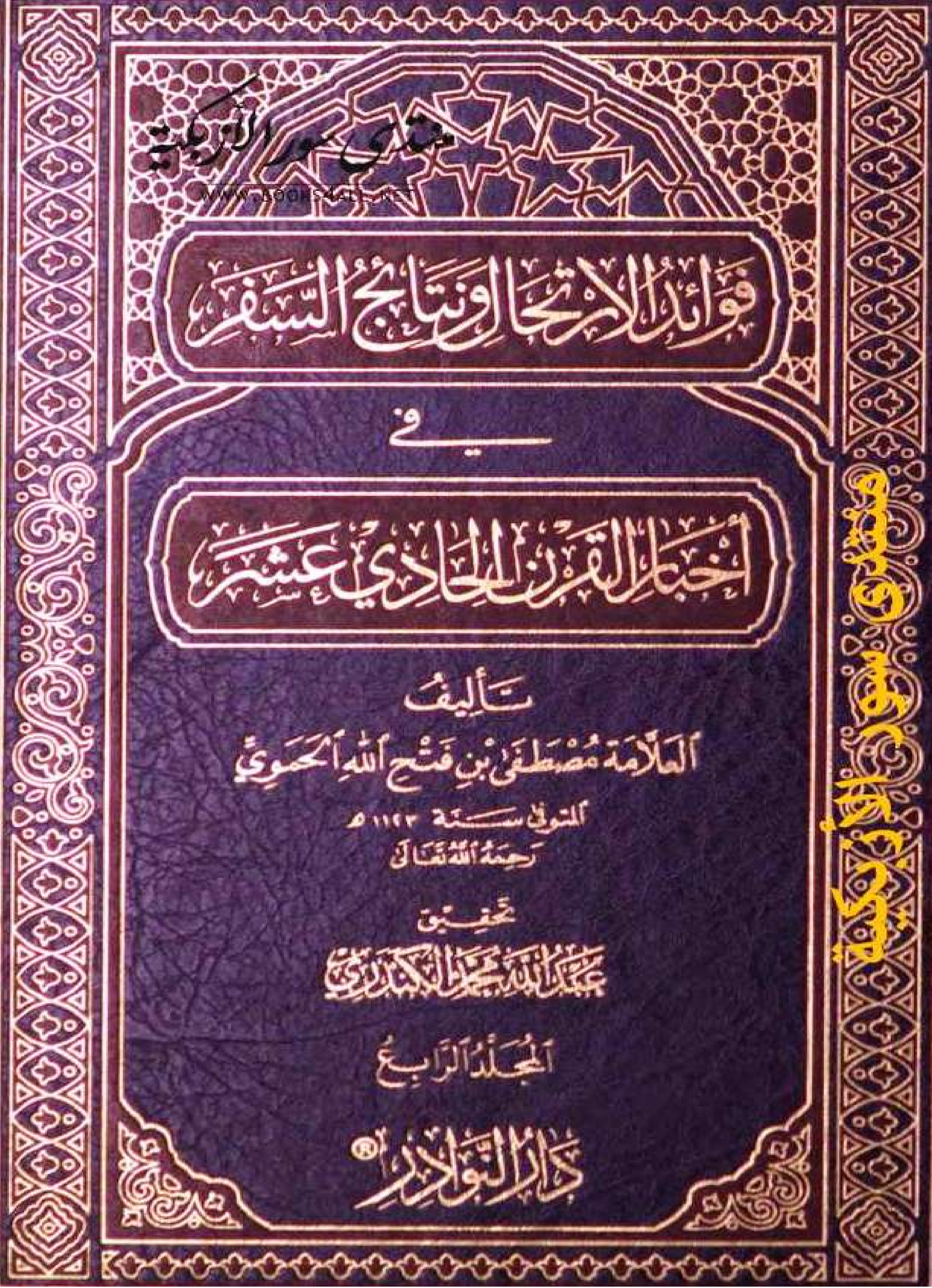
كان ذكياً، حسن الحفظ والنظم، قانعاً صابراً، ملازماً للروضة الشريفة، وتخلى عن جميع أسباب الدنيـا، وجـدّ في العبادة والتلاوة، حتى صار من الأولياء الصالحين، والأفاضل المشهورين، ولم يزل على الحال المرضية، معرضاً عن الدنيا بالكلية، حتى انتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى بالمدينة، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف، ودفن بالبقيع الغرقد.

❑❑❑




فهرس الموضوعات

❑❑❑


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET
فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر
تأليف
العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي
المتوفى سنة ١١٢٣هـ
رحمه الله تعالى
تحقيق
عبد الله محمد الكندري
المجلد الرابع
دار النوادر
منتدى سور الأزبكية






فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر

تأليف
العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي
المتوفى سنة ١١٢٣ هـ
رحمه الله تعالى

المجلد الرابع

تحقيق
عبد الله محمد الكندري

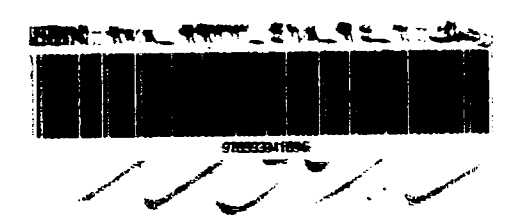
دار النوادر®

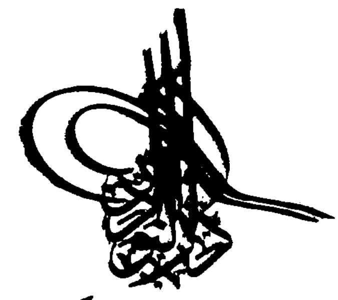






الطَّبعَةُ الأُولَى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م





سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النوادر م. ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش. م. م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية ذ. م. م - الكويت
سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ٥١٨٠/١٤ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص. ب: ٤٣١٦ حولي - الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦
هاتف: ٢٢٢٧٣٦٢٥ - فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسسها سنة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م نور الدين طالب المدير العام والرئيس التنفيذي













تابع
حَرْفِ الحَاءِ المُهْمَلَة

[٩٠٧] الحسن بن النهاري بن الصديق، صاحب حُمَاطَة، من بلاد حُفاش.

وليٌّ مشهورٌ باليمن، لا تحصى كراماته، وكان كثير المكاشفة، وقال يوماً للسيد الحسين بن القاسم: إن النبي ﷺ ولاّني على الأشراف أينما كانوا.

[٩٠٨] السيد الحسين بن المطهر بن محمد الجرموزي الحسني[(١)].

الإمام الشهير، والعلامة المحقق النحرير، المشهود له في هذا العصر بالتقرير والتحرير، وكنت قبل أن أزوره سمعت خبره، وأنه روض فضلٍ خصيب، وذو فهمٍ ثاقبٍ عجيب، وذاتٍ شريفةٍ مكملةٍ، ومفرد اجتمعت فيه الفضائل مفصلةً ومجملة، حتى اجتمعت به، فلا والله ما سمعت أذني، بأحسنَ مما قد رأى بصري، فوجدته طودَ حلم، ومدينةَ فهم وعلم، جامعاً للفنون العلمية، غاية في المحاضرات الأدبية، لم تر العين مثله، بل لم تسمع الآذان، ولم تنقل أطيبَ من خبره الركبان.

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤١)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٥٩) (٦٣).

ذو حسبٍ تليد، وباعٍ في المجد طويلٍ مديد، وله في اليمن الشهرة العظيمة، والمكانة الجسيمة، عند الدولة القاسمية، مُدح وُوفد إليه، وأثنى الناس عليه، وكان قد تولى حكم المخا، من قبل الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، بعد السيد زيد بن علي بن حجاف، وسار سيرةً حميدة، خصوصاً مع الغرباء والأدباء، ثم بعد موت الإمام إسماعيل، وولاية الإمام أحمد المهدي، أقره على عمله، وتبعه بعد ذلك تلميذه الإمام المؤيد بالله، بعد وفاة الإمام المهدي.

وأما تعظيمه للعلم وأهله، وانعكافه على بث العلم ونشره، فظاهرٌ بالعيان، لا يحتاج واصفه إلى دليلٍ وبرهان، وإني أصفه، وهو يقيناً فوق ما وصفته، وغالب ظني أني ما أنصفته.

وُلد في شهر الحجة، سنة خمس وأربعين وألف، وحفظ القرآن، و«الحاجبية»، و«الأزهار»، وغيرهما من المتون النافعة، في الفنون العلمية، وأخذ عن والده، وعن الفقيه محمد بن إبراهيم المحول، وعبد الرحمن الحيمي، وعن السيد محرم، وعن السيد أحمد بن محمد الحوثي، وعن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وأكثر أخذه عليه، ولازمه سنين عديدة، وكان عنده بمكان مكين، لا يساويه فيه أحد من المترددين، وأجازه جلُّ شيوخه.

وبرع وأجاد، وأفاد واستفاد، وعنه أخذ جمع من الأعيان، من علماء الزمان، منهم: الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام المتوكل على الله، عن إسماعيل بن القاسم، قرأ عليه طرفاً من «التلخيص»، وشرحه للتفتازاني،

وصنواه مولانا الحسن بن إسماعيل، وعلي ابن الإمام إسماعيل.

وله شعرٌ كثيرٌ في غاية الرقة والانسجام، لكن لبعد الديار، وتباعد الأمصار، كان لم يبلغني منه إلا القليل، ثم لما اجتمعت به عام أربعة وتسعين بعد الألف بالمخا، كتب إليّ ـ سلمه الله ـ جملةً من أشعاره، فأشفى بها العليل، وأطفأ الغليل، وعمَّني بإحسانه الجزيل، ونائلِه الجليل، ومنه قوله:

انظرْ إلى الزنبقِ الأنيقِ وقد ... أبدع في شكله وفي نمطه
يحكي قناديلَ فضة غُرست ... شموس بر تضيء في وسطه

ومثله قول حيدر آغا اليمني فيه:

وزنبقٍ مجلسٍ بين الندامى ... كشيخٍ حاز لطفًا في وقار
يريك إذا تلا إنا فتحْنا ... عمودَ الفجر في ضوء النهارِ

وأنشدني له بعض أصحابنا قوله:

ريمٌ تسلُّ البِيضَ أجفانُه السْـ ... ـسُودُ فتسقينا كؤوسَ الحتوفِ
جَرَّدَها عمدًا وفي ظلِّها ... وردٌ على الخدِّ منيعُ القطوفِ
يا حبذا وجنتُه جنةً ... لكنها تحتَ ظلالِ السيوفِ

وهو من قول ابن خلكان:

انظر إلى عارضه فوقَ ألحاظه ... تُرسل فيها الحتوفْ
تشاهدِ الجنةَ في وجهِه ... لكنها تحت ظلالِ السيوفْ

وكتب إليَّ القاضي العلامة الحسين بن ناصر المهلا من شعره: قوله

يمدح الإمام إسماعيل المتوكل ـ رحمه الله ـ:

لك الخيرُ دعْني أيهذا المعنفُ ... ونفسي فمنك النصحُ قولٌ مزخرَفُ
سَمْعي عن العذَّال وقرٌ فلم يصخ ... وقلبي عَصِيٌّ عنهمُ متأنِّفُ
أئِن شمتَني ذا لوعةٍ وصبابة ... ودمعي على الخدين هامٍ يكفكفُ

يقول في ذكر الإمام ـ عليه السلام ـ:

إلى حضرة السامي على الخلق عن يدٍ ... وأكرمِ من يولي الجميل وينصفُ
إمامِ الهدى سُمِّ العدى واسعِ الجدى ... بحارُ الندى عن كفه ليس تنزف
بدولته الإيمانُ واليمنُ سحبه ... على اليمن السامي به هن وُكَّفُ
لهم حَرَم والناسُ في سائر الدنا ... ومَنْ حولهم مع مالهم يُتخطَّفُ

وهي طويلةٌ رائقة.

ومما أنشدني من شعره قوله:

بأحمدَ المختار والآلِ معا ... يا ربِّ بلِّغني ما أرتجيهِ
واجعلْهم لي شفعاءَ من لَظَى ... يوم يفرُّ المرءُ من أخيهِ

وقوله أيضاً مقتبساً:

كنْ بمولاك واثقاً ... ودع الكِبْرَ والرِّيا
فله الأمر كلُّه ... إن يشأ يُسكنِ الريا

وقوله:

بالله لا بسواه ... من الأنام تمسَّكْ

فـــافزعْ إليـــه إذا مـــا خطـــبُ الحـــوادث مَـــسَّكْ
تنـــلْ بـــدنياك خيـــراً وفـــي حُلولِـــكَ رَمْـــسَكْ
فـــإن وثقـــتَ بخلـــقٍ ســـواه ضـــيعتَ نفـــسَكْ

وقوله:

يـــا مـــن ســـباني حـــسنُه وغـــدا قلبـــي بـــه مرتَهَنـــا
فـــالقُ الإصـــباح مـــن غُرتـــه جاعـــلُ الليـــل عليـــه سَـــكَنا
ثمـــلَ العـــشاقُ فـــي عِـــشقتِه وأفـــاقوا ســـكرةً إلا أنـــا

وقوله مضمناً:

تجاوزتِ يا هندُ المليحةُ في الحدِّ وَصُلتِ بسودٍ دونها البِيضُ في الحد
وأغمدتِ سيفَي مقلتيك بمهجتي وهل يُجمع السيفان ويحكِ في غمدِ

وقوله متغزلاً:

علامَ تتخذ الحلى من النفيس وقد غنيت عنه بما في حسنك البَهِجِ
الجيدُ من فضة والخدُّ من ذهب والثغرُ من لؤلؤ والصدغُ من سَبَجِ

وقوله مضمناً لبيت المعري:

قد قال لي الحبُّ مذ قَبَّلته سحراً في الخدِّ دونَ لَماهُ الطيبِ العطرِ
أتهجرُ الماءَ يا مغرورُ مغتبطاً وتقصدُ النار ذاتَ اللفحِ والشررِ
فقلت من خصر مولايَ أهجرُه والعذب يُهجَر للإفراط في الخَصَر

وقوله وقد ذكرت أبيات الأعشى التي يقول فيها:

وتـــسخن ليلـــة لا يـــستطيـ ـــع نباحاً بها الكلبُ إلاَّ هَريراً
وتبـــرد بـــرد رداء العـــرو س ليالي ضمخن فيها العبيرا

إلى آخرها هذان البيتان:

أفدي التي زينةُ الدنيا محاسنُها فلا مليحٌ على الدنيا يُدانيها
في البرد حرّاً ووقت الحر باردةً وبغيـة المتمنـي فـي أمانيها

وقوله:

لله ما ثناياك التي عذُبت وحبذا قُبَلٌ فيه وتكرارُ
لكنه باردٌ أذكى لظى كبدي فاعجبْ لماءٍ غدا تُذْكى به النارُ

وكتب إلى شيخه العلامة القاضي محمد بن إبراهيم السحولي، وهو ـ إذ ذاك ـ بصنعاء، وقد تولى الخطابة بجامع صنعاء، عام ثلاثة وستين بعد الألف:

حَتَّـامَ تنهمـلُ البـوادرْ وإلامَ أغـدو الـدهر سـاهرْ
ويـصدُّني ريـمُ الفـلا ة أما لـذاك الـصدِّ آخِـرْ
لا تعجبـوا مـن فتنتـي بمملَّـكٍ فـي الحـبِّ جـائِرْ
فـالطرفُ منـه والقـوا مُ اللـدن فتـانٌ وسـاحِرْ
أو مـا تـرونَ خـدودَه بـدمي أقـرت فهـو ظـاهِرْ
وتـرون فـي الثغـر الأنيـ ـق سموطَ دُرٍّ بـل جـواهِرْ
يهـديني كالمـصباح إمـ ـا حـرتُ فـي ظُلَـمِ الـدياجِرْ

وتبـــــينُ أســـــرار الـــــبلا		غـــة فـــي البيـــان لكـــلِّ ناصِـــرْ
فعلمـــــتُ أن دلائـــــل الـــــ		إعجـــاز مـــن تلـــك المحـــاجِزْ
مـــذ صـــدَّني جـــرت الـــدمو		عُ علـــى الخـــدودِ مـــن النـــواظِرْ
فبـــــــوجنتي غـــــــدرانُها		وعلـــى المتـــون لـــه غـــدائِرْ
غـــــادرني فأفـــــاض دمـــــ		ـــعي بـــالعقيق مـــن المـــشاعِرْ
وحكـــت جفـــوني المعـــصرا		تِ فـــدمعُها هـــامٍ وهـــامِرْ

إلى أن قال في المديح :

هُـــزت وتاهـــت فرحـــةً		للقـــاك أعـــوادُ المنابِـــرْ
وتبـــــسَّمت صـــــفحاتُها		عـــن طيـــب أريـــاحٍ عـــواطِرْ
مـــا قُـــسٌّ أو سَـــحبانُ وا		ئـــل فـــي الخطابـــة مـــن مناظِرْ
مـــا ســـيبويه النحـــو مـــا الـــ		ـــجرمي كـــلاً وابـــن طـــاهِرْ
مـــا الـــصاحبُ الكـــافي أو الـــصْـ		ـــصَابي فكـــلٌّ عنـــه قاصِـــرْ
حُـــزتَ المكـــارمَ والعـــلا		فلـــك المـــواردُ والمـــصادِرْ
واســـلمْ ودم فـــي خفـــض عيـــ		ـــشٍ مـــا زهـــتْ بـــك مـــن دفـــاتِرْ
وبقيـــتَ مـــا إن غـــرَّد الـــشْـ		ـــشُحرورُ مـــشكوراً وشـــاكِرْ

وهو طويلةٌ .

فأجابه بقوله :

بـــين المحـــاجر والمعـــاجزْ		فُـــتن الأصـــاغرُ والأكـــابر

وعلـــى الـــدُّمى ظلَّـــت دمـــا ءٌ للأوائـــــل والأواخـــــر
أمعلــــمَ الأغـــصانِ كيـــف تميـل فـي الـورق النواضِـرْ
ومعيــــــرَ آرام الظبــــــاء الحاجريــــاتِ المحـــاجِرْ
أعلمـــتَ وســـنانَ الجفـــو نِ بحـالِ سـاهٍ فيـك سـاهِرْ
يبكـــي فعـــينٌ دمعُهـــا هــامٍ وهـــذي العـينُ هــامِرْ

إلى أن قال:

إن راقَ فيـــــك تغزُّلـــــي ومـــلأتُ أوراقَ الـــدفاترْ
ورآه بعـــــضُ الجامديـــــ ـــن مـن النقـائص والجرائِـرْ
جهـــلاً بحـــسن ســريرتي واللهُ أعلـــــمُ بالـــــسرائِرْ
فلأمحـــــوَنَّ خطيئتـــــي إن ســـلمت واللهُ غـــافِرْ
بمـــديح مولانـــا الكريـــ ـــم بـنِ الكـريم أخـي الأطـاهِرْ
حـــسنِ ســليلِ مطهَّـــرِ نجـلِ الغطارفـة الأكابِـرْ

منها:

مـــولاي أفـــصح نـــاظمٍ فـــي أهـــل جلدتـــه ونـــاثِرْ
قابلـــت هاتيـــك القـــصو ر بهـــذه الـــدُّمَن الـــدواثِرْ
علمـــاً بأنـــك كامـــلٌ وبـــأن بحـــرَ نـــداك وافِـرْ
وبـــأن حلمَـــك عـــاذرٌ فيمـــا أتيـــتُ بـــه وســـاتِرْ

وهي طويلة أجاد فيها كلَّ الإجادة.

[٩٠٩] الحسين بن أبي القاسم العتيقي المغربي الدرعي المالكي.

نسبةً إلى وادي درعة، من بلاد مراكش، كان فاضلاً أديباً، وكاملاً أريباً، ذكره الطالوي في «السانحات»، وقال: إنه ورد علينا دمشق، غرة صفر، عام خمسة بعد الألف، وأنشدنا من شعره قوله:

من عنبر الشحر أو من مسك دارينِ بلى ومنه نسيماتُ الرياحينِ
مهفهفٌ إن تثنى قلتَ مقتضَبٌ من قضب نعمانَ أو من كثبِ بيرينِ
إذا تبسم خلتَ الدرَّ منتظماً تحت العقيق ووردًا فوق نسرينِ
وإن رنا فسهامٌ من لواحظه لها بشق قلوب أيُّ تمكينِ

ذكره النجم الغزي في «ذيله».

[٩١٠] السيد حسين بن أبي القاسم بن علي الحسني.

كان على جانبٍ عظيمٍ من الخير والصلاح، وإطعام الطعام، ومواساة الأرحام، مقبول الشفاعة، مسموع الكلمة، ولما قدم الوزير سنان باشا اليمن، أحبه، وأقبل عليه، وبنى على والده قبةً عظيمة، وكان والده السيد أبو القاسم من أولياء الله المقربين، أهل الحل والعقد، وممن يستعان به في الحوادث.

ونسبهم يعود إلى الهادي صاحب صعدة، وقيل: إلى ذروةٍ من أشراف صبيا؛ كما حكاه الأشخر، وله جملة أولاد مقيمين في الضحى، وذريةٌ، وزاوية، ولهم هناك جاهٌ مكينٌ إلى الآن.

توفي ليلة السبت، رابع عشر ذي الحجة، سنة تسع وثلاثين بعد الألف، ودفن في مقبرة الضحى، إلى جانب أبيه، بقرية الولي الشهير موقف الشمس

بإذن الله، إسماعيلَ بن محمد الحضرمي ـ نفع الله به ـ.

[٩١١] حسين بن أحمد الجزري الحلبي[1].

نسبةً لجزيرة ابن عمر، أحد فحول الشعراء، الذين لا يلحق لهم غبار، ولا يصطلى لهم بنـار، يكاد كلامه يسيل ماء نميراً، أو النسيم يهدي عبيراً، شهد له القاصي والداني؛ بأنه ليس لـه في الأدب مشابه ولا مداني، له بديع البدائه في النظام، والنسيب الـذي يقل عنـه شعر أبي تمام، والمديح البليغ الطيب، الذي يعجز عنه أبو الطيب، والتشبيه البديع الغريب الوضع، الذي يذل عنده ابن المعتز، ويُلقي إليه السمع، والمقاطع اللطيفة المستجادة، التي تحير البحتري أبا عبادة المشهودَ له بالإجادة.

وُلـد بحلب، وبها نشأ وتأدب، ومهـر في علوم الأدب، ورحـل إلى الروم وهو شاب، وجرّ فيها رداءي شبابٍ وآداب، ثم آب منها إلى بلده الشهباء أم العواصم، ومدح مَن بإقليم الشام من الأعاظم، وديوان شعره مشهورٌ عند جميع الناس، مقبول عند الأدباء الأكياس.

وكانت **وفاته بحماة**، سنـة اثنتين وثلاثين بعـد الألـف تقريبـاً، ودفن بالعليليات ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره قوله:

أغمـــد شـــبا مرهفـــك البـــاتر   لا حاجـــة بالـــسيف للـــساحر

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ١١٣) (١١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٨١)، «معادن الذهب» للعرضي (١٩٨) (٦٠)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٢٠٣) (٩٥٤)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٢).

لحظـــك أمـــضى فينـــا شـــبا ....[1]

[٩١٢] حسين بن أحمد الجزري[2].

نسبةً إلى جزيرة الأكراد، جزيرة ابن عمر، كانت أجداده منها، لكنه وُلد بحلب، الشاعر المشهور الممتد عند تقاصر الشعراء في أبكار المعاني باعاً، الطويل في مضمار الآداب ذراعاً، الباني من أبيات قصائده رباعاً، كاد أن يعترف المتنبي بالعجز عن مزايا إعجازه، وينتقص أبو تمام نفسه لدى إطنابه بمدائحه وإيجازه.

أبـو عـذرة القصائـد، وابن بَجْـدَة فرائد الفرائد، وطلاَّعُ ثنايا المنثور والمنظوم، وابن حلايق صح المنطوق والمنظوم، كاشف براقع بنات الفصاحة منتزعها، مخترع طرائق الأشاعر ومبتدعها، تزدحم المعاني على منهل ثغره النظام، وتنفصم قلائد القصائد عند معارضته ولو سمطها النظام، عشى ابن مقلة بالحيرة حتى تركـه ناشف المداد، وصيـر حظَّ خطِّه في حواشي الرقاع مشوهاً محيا طاموره بتعليق السواد.

شغف بنظم الشعر صغيراً، وأكثر من مطالعة كتب الأدب واللغة حتى صار لذلك نحريراً، ثم أخذ يمـدح الأعيـان، ويظهـر من مخزونـات عبابـه الجمان، وقد انتض مقدمات نحوية على البرهان ابن المنلا، وكاد إذا تكلم لا يظنه الإنسان يعرف شيئاً.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا نصف صفحة بياض».

(٢) جاء في الحاشية: «ذكر أنه مكررٌ، والظاهر أنه هو صاحب الترجمة المتقدمة».

وكان له خطٌّ نسخي في غاية الحسن، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ سيئ الأخلاق جداً، وكان والدي أمرني أن أنظم له قصيدةً؛ ليجيبني على طبقها؛ ليعلم مقداره من النظم، فبعثت إليه ملغزًا في اسم إسرافيل مطلعها:

مباديك في علم القريض تترجم بأن لك الآداب أمرٌ مسلَّمُ

فأرسل الجواب صحبة إبراهيم جلبي الأنصاري، فرأينا له النظم الفائق.

وامتدح الأعيان، وجمع ديواناً مشهوراً، وقد مدحني بعد موت والدي بقصيدةٍ فريدةٍ، فقال:

عوفيتَ نضو هواك برَّحَ داؤه ولقد يعزُّ على سواك شفاؤه

وسردها إلى آخرها، وذكر له قصيدةً يتشوق إلى صاحبه نعمة الله، أولها:

حيٌّ بالحيرة جِيرةً وفريقا ألفوا الجوار وارتضَوا التفريقا

وسردها إلى آخرها، وأورد له فيمن زعم أنه هجاه:

[و]قائلةٍ لم لا هجوتَ الذي هجا فقلت لها هجُو اللئيم بتركِهِ

إلى آخرها، توفي سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف، غريباً في حماه، كما توفي والده غريباً بالبصرة، وعمره نحو الخمس والثلاثين ـ رحمه الله تعالى ـ، ودفن بالعليليات. انتهى. ذكره في «معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب» للعلامة شيخ الإسلام أبي الوفا العرضي الحلبي الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٩١٣] حسين بن أحمد باجُذيع[(١)] ـ بالجيم والذال المعجمة مصغراً ـ.

الشيخ الصالح، أحد العقلاء، وأجل النبلاء، صحب السادة الأشراف، واتصف بمحاسن الأوصاف؛ من كرم الطباع، وحسن الشمائل، والقيام بخدمة الأكابر في البكور والأصائل، والمواظبة على الطاعة، ولزوم الجمعة والجماعة، والتمسك بالتقوى، وخوف الله في السر والنجوى، وأثنى عليه أهل الكمال، ووصفوه بحسن الأفعال، ولم يزل على هذه الأحوال، إلى أن **وافاه الانتقال**، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، بمدينة تريم ـ أسكنه الله جنات النعيم ـ.

[٩١٤] حسين ابن السيد أبي القاسم بن علي.

الولي المشهور، كان من أكابر الأولياء، قال في شأنه والده: ولدي حسين ولي دنيا وآخرة، وكان نادرة وقته في عظم الحال، والشهرة والجاه الوافر، عند الأصاغر والأكابر، وكان كثير السماع؛ كما هو عادة الصوفية، انتقل إلى «قيمة»، بعد فتنة الجرايح للضحى، ومات بها، ولعله في أول عشر الثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٩١٥] حسين باشا ابن جانبولاد[(٢)].

قال النجم الغزي في «الذيل»: كان نائب كِلِّز، من بلاد حلب، ثم تولى حلب بعد ناصف باشا، وكان عضده على عسكر الشام، في الوقعة التي صارت

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٦١).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤١٥) (١٥١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٨٤)، «معادن الذهب» للعرضي (١٩٠) (٥٨).

بينهم وبينه، وكان المترجم من جملة المأمورين بالسفر إلى قزِل باش مع سنان باشا، فتأخر وتثاقل عن السفر، حتى حصلت الكسرة ببلاد العجم للعساكر العثمانية، في وقعةٍ مشهورةٍ قتل فيها جماعـة من الأمراء، كانت في سادس عشري جمادى الثانيـ[ـة] سنة أربع عشرة وألف.

فلما رجع الوزير سنان باشا، أدركه حسين باشا في رجعته، فقتله لتأخره، وكان يريد جَعْل ابن أخيه علي باشا قائماً مقامه بحلب، فلما بلغه قتل عمه، تملك حلب، وخرج على السلطنة، وتولدت من ذلك فتنةٌ عظيمةٌ.

[٩١٦] حسين، الشهير بباد شاه.

غرة جبهة الزمان، وواسطة عقد الفضل المزري بعقود الجمـان، جرّ على هامـة المجرة ذيله، وأنار بقمر فضلـه ليله، فأصبح وهو عزيز مصره، والفاخر ذو التاج الحي في قصره، أجرى بمصر نَيلَه، فأخجل نيلها، وما زال مانح الفضائل والفواضل ومُنيلها.

وأما أدبـه، فمادة البراعـة والإحسان، القاصر عن نظمه ونثره سَحبان وحسان.

وما برحت كواكبُ فضله مشرقةً لائحة، وسواكب إفضاله غاديةً رائحة، حتى وافته بأجله وفاتُه، وعفت آثارُه، وبكت عليه عُفاتُه، فتوفي بمصر، في رجب، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف.

ومن شعره: ما كتب به إلى القاضي محمد بن دراز المكي:

علـى ألمعـيٍّ شـاقني بخيالـه ... سلامٌ يحـاكي منـه طيـبَ خـصالِهِ
عـشقته ومـا أبـصرتُه غيـر أننـي ... سمعتُ من الحالين وصفَ كمالِـهِ

وكتب إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدي:

عنـدي لـودِّك فـاعلمْ ذاك ميثـاقُ ... وللتملِّـي بمـرأى منـك أشـتاقُ
وللحلـول بـأرضٍ أنـت سـاكنُها ... قلبٌ بحادي الجوَى والوجد يشتاقُ

[٩١٧] السيد الحسين بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي، وأمه الشريفةُ زكية بنت عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، صاحب كوكبان.

ملكٌ كريم الأوصاف، عظيم الفضل والإنصاف، له اطِّلاعٌ على الفنون العلمية، وآراءٌ سديدة، وهمةٌ عليّة، وكانت بيده بلاد الشرق، من مدينة رداع إلى أقاصي الشحر، ولم يزل بها حتى امتحن، وله ذكاءٌ وفهمٌ متَّقد، وذوقٌ منتقد.

ومن نظمه: قوله في الجناس التام، مما نسبه إليه السيد العلامة:

فـي أفـرقِ الثغـر كـم أقاسـي ... مـن عـاذلٍ بـالملام أفـرق
يلـوم جهـلاً علـى حبيـب ... أذوبُ فـي حبِّـه وأفـرق

وأتت محنته من ابن أخيه الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، فاحتال عليه حتى أتى إليه، فوضع عليه القيود والأغلال، وبقي بعد ذلك العز بأسوأ حال، ولله عاقبة الأمور، وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة إحدى وعشرين وألف بصنعاء، ودفن بحريمه.

[٩١٨] آغا حسين بن آغا جمال الخُونْساري.

نسبة لخون سار، من قصبات أصبهان، عالمٌ مشهورٌ شهرةً عظيمةً ببلاد

فارس، مولده بخون سار، سنة سبع عشرة بعد الألف، وبها نشأ، وقرأ بأصبهان على كثيرٍ، منهم: جعفر بن لطف الله العاملي، والسيد محمد الباقر الشهير بالداماد، والسيد أبو القاسم الفُنْدَرسكي، وأخذ عنه كثيرٌ من مشاهير العلماء، منهم: ولده العلامة الشهير آغا جمال، والملا مرزا الشرواني، وشيخنا جمال الدين محمد شفيع الإسترابادي.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «حاشيةٌ على الحاشية القديمة على شرح التجريد»، و«حاشيةٌ على الإشارات» من الطبيعي إلى آخر الكتاب، و«حاشيةٌ على إلهيات الشفا»، وكتابٌ في «شبهة الاستلزام»، و«شرح كتاب الدروس في الفقه».

توفي بأصبهان، في سلخ جمادى الآخر[ة]، سنة ثمان وتسعين بعد الألف، وبنى عليه سلطان العجم سليمان شاه قبةً عظيمةً، وحولها بساتين نزهة ـ رحمه الله تعالى ـ.

قلت: قد قدم ولده آغا جمال، سنة أربع عشرة ومئة بعد الألف إلى مكة حاجاً، واجتمعت به، وهو عالمٌ كبيرٌ شهيرٌ، من أجل علماء العجم، له مؤلفاتٌ مفيدةٌ، منها: «حاشيةٌ على شرح مختصر ابن الحاجب العضدي»، و«محاكمةٌ بين السيد الشريف ومرزاجان»، وغيرها من المؤلفات.

وشبهة الإسلام تسمى بـ: الشبهة الحِمارية، وهي ما كان وجوده مستلزماً لحمارية زيد، وعدمه مستلزماً لحمارية زيد، هل هو موجود أو معدوم؟ فإن كان موجوداً، فزيد حمار، وإن كان معدوماً، فزيد حمار. انتهى.

[٩١٩] **حسين بن رستم، الشهير بباشا زاده**[(١)].

وجده أبو أمه الوزير الثاني إياس باشا، من الأرنوت، من مماليك السلطان سليم خان، كان محباً للصلحاء، معتقداً طائفةً من العلماء، معتدلاً في أحواله، صادقاً في أقواله، بنى المساجد المتعددة، ودفن بتربة خالد بن يزيد، المشهور بأبي أيوب الأنصاري ـ رحمه الله ـ، وكان من أعاظم المحققين بالديار الرومية، وله آثارٌ حسنةٌ، ومؤلفاتٌ لطيفةٌ.

قدم مصر وتديَّرها إلى أن مات، وهو شيخ العلامة سري الدين الدروري ـ رحمهما الله تعالى ـ، وبه كان يفتخر، وكان وجوده في عصرنا تذكاراً لمن مضى، وعنواناً على من ذهب وانقضى، سفيانُ عصره وزمانه، ووحيدُ دهره وأوانه، برؤيته تنشرح الصدور، وبدعائه تُرتجى الرحمة للأحياء وأهل القبور.

وكان إماماً في الفقه، أصولياً جدلياً، محدثاً نحوياً ذكياً، حسن التعبير، صالحاً قانتاً لله، لا يمكن أحداً أن تقع منه غيبةٌ في مجلسه، منقبضاً عن الناس، له آثارٌ في التفسير نافعة، وملك كتباً كثيرةً.

[٩٢٠] **حسين بن زين الدين الشامي العلامة**[(٢)].

قال في «السلافة»: المفنن في جميع الفنون، والمفتخِرُ به الآباء والبنون، قام مقام والده، فنشر للفضائل حللاً مطرزة الأكمام، وماط عن مباني[(٣)] أزهارِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٨٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١١٧) (١٦٠).

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٠٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٣٠٢) (٩٥)، «الأعلام» للزركلي (١/ ١٩٢).

(٣) في الأصل: مبانيهم، والصواب: مباني كما أثبت.

العلوم لثامَ الأكمام، وأما الأدب، فهو روضُهُ الأريض، ومالك زمام السجع منه والقريض.

مولده سنة خمس وستين وتسع مئة، ووفاته سنة إحدى عشرة بعد الألف، ومن تصانيفه: «منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان»، وكتاب «المعالم والاثني عشرية»، و«منسك الحج».

ومن شعره قوله:

فــؤادي ظــاعنٌ إثــرَ النيــاقِ ... وجــسمي قــاطن أرضَ العــراقِ
ومن عجب الزمان حياةُ شخص ... ترحَّــلَ بعــضُه والــبعض بــاقي
وحلَّ الـسُّقْم فـي بـدني وأمسى ... لــه ليــلُ النـوى ليــلَ المحــاقِ
وصــبري راحــلٌ عمــا قليــل ... لــشدَّة لــوعتي ولَظَــى اشـتياقي
وفـرطُ الوجـد أصبح بـي خليقًـا ... ولمَّــا يَنْــوِ فــي الــدنيا فراقــي
ويقيــت تــارة بــالروح حينــاً ... فيوشــكُ أن يبلغَهــا التراقــي
وأظمــأَني النــوى وأراقَ دمعــي ... فــلا أَروى ولا دمعــي براقــي
وقيــدني علــى حــال شــديد ... فمــا حــرزُ الرقــى منــه براقــي
أبــى الله المهمــينُ أن ترانــي ... عيــونُ الخلــق محلــولَ الوَثــاقِ
أبيتُ مـدى الزمـان لنار وجـدي ... علــى جمــر يزيــد بــه احتراقــي
ومـا عـيشُ امـرئٍ فـي بحـر غَـمٍّ ... يُــضاهي كربُــه كــربَ الــسياقِ
يــودُّ مــن الزمــان صــفاءَ يــوم ... يلــوذُ بظلِّــه ممــا يُلاقــي
ســقتني نائبــاتُ الــدهر كأســاً ... مرَيــراً مــن أبــاريق الفــراقِ

ولـــم يخطــرْ ببــالي قبــلَ هــذا لفــرطِ الجهــل أنَّ الــدهرَ ســاقي
فلـــيس لـــداءِ مـــا ألقـــى دواءٌ يؤمَّـــل نفعُـــه إلا التلاقـــي

[٩٢١] الحسين بن سليمان بن داود، الشهير بأبي فاضل المرهبي[١].

بديع الزمان، وبهجة الأوان، وعمـدة الوزراء الأعيان، ومن عجائب الدهر ومحاسنه، له النظم البديع، والرسائل البليغة، والمعاني المبتكرة، التي تأتي بغير تكلف.

وُلد سنة أربع وثلاثين بعد الألف، ببلاد الشرق، من مغارب شهارة، وقرأ وكتب، وبرع وتأدب، ولازم خدمـة الأئمـة ملوك اليمن في أعمالهم، وصار عَيْبَة أسرارهم.

اجتمعت به باللحيَّة المحروسة، وهو مقيمٌ عند السيد الحسن ابن الإمام، واجتمعت به عنده، عام أربعة وتسعين بعد الألف، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، محمد المرهبي ـ سلمه الله تعالى ـ، واتفق لـه أنـه رفـع قصةً لأميـر المؤمنين إسماعيل المتوكل، يعرض عليه فيها شوقه إلى وطنه، ويستأذن منه في الذهاب إلى أهله، فوقع له تحت قصته بيتاً فقط:

إذا يَـــسَّر الله أمـــراً أتـــاك وإن حـــاول النـــاسُ إبطالَـــهُ

فضمن هذا البيت في قصيدةٍ، ورفعها إليه، ليذكره أيضاً بما لديه، وهي قوله:

أذكِّـــرُ مـــولاي مـــا قالـــه لعبـــد أبثـــك أحوالَـــهُ

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥١٤) (٢٥١).

شــكا مــا يعانيــه مــن دهــره وأحـــــسنَ الله آمالَـــــهُ
فكــان جــوابُ إمــام الهــدى أدامَ الله إجلالَـــــــــهُ
بخــطٍّ يــدٍ خُلقــت للعَطــا تُبــارى الغمـــامَ وتَهْطالَــهُ
إذا يــسَّر الله أمــراً أتــاك وإن حــاول النــاسُ إبطالَــهُ
فجــدَّد قولُــك أســماله وكــان جوابُــك أسـمى لَــهُ
وأشـفى لقلــبٍ وأطفــى لــه لمــن بــات يــذكُر أطفالَــهُ
ويــشَّرْتَهُ ببلــوغ المنــى وســكَّنْتَ بالوعــدِ بَلْبالَــهُ
وأصــبحَ يختــالُ مــن تيهِــه ويــسحبُ بــالفخر أذيالَــهُ
وهنــأه كــل صــديقٍ وقــال طــوبى لــه ثــم طــوبى لــه
فــأمرُك فــي مخلــصٍ مــضمِرٍ مــن الــودِّ فــوق الــذي قالَــهُ
يعــدُّك ذخــرًا ويخــشى الــ ــمعادَ ونــشرَ العبــاد وأهوالَــهُ
ومــن يتــولَّ إمــامَ الزمــا نِ فقــد أصــلح اللهُ أعمالَــهُ
ومـن يكُ فـي النصح أوفى لـه يُــسَرُّ إذا مــا رأى فالَــهُ
ومن يغدُ في الغيثِ أحمى له يحــط عــن الــوِزْرِ أحمالَــهُ
وذلــك فــي الــدين أقــوى لــه يــسدِّدُ ربُّــك أقوالَــهُ
وأمــا الــذي لا يــودُّ الإمــا مَ فتعــساً لــه ثــم سـحقاً لَــهُ
ومن كـان فـي النـاس أشكى له فــلا كثَّــرَ الله أشــكالَهُ
ومــن يتهــزّ فــأفعى لــه ولا قبــل الله أفعالَــهُ
بقيــتَ إمــامَ الهــدى والتقــى تَمــدُّ علــى الــدين سِــربالَهُ

وتـــشفي للحـــقّ أوجالَـــهُ وتُـــردي للـــشرك أبطالَـــهُ
وجــازاك ربُّــك عـــن خَلْقِــه وهَنَّـــاك مـــولاك إفـــضالَهُ

وبينه وبين القاضي العلامة الحسين بن ناصر المهلا مراسلاتٌ ومحاوراتٌ ومطارحاتٌ، منها: ما كتبه القاضي المذكور، في جمادى الأولى، سنة تسع وثمانين، بداره الواسطة في الطور من المحابسة، وأرسلها إلى محروسة السجعة:

يــا فاضــلاً أربــى علــى أقرانــه وســما بفخــره علــى كيوانِــهِ
يــا عالمًــا بهــر العقــولَ بفـضله وبفـــضله وذكائـــه وبَنانِـــهِ
ومليــكَ عــصرٍ لا يُــرام محلُّــه إيــوانُ كــسرى غــار مــن إيوانِــهِ
إن فــوْقَ الأعــدا ســهامَ قِــسِيِّهم أصـــماهمُ بلـــسانه وسِـــنانِهِ
ومجليــاً إمــا جــرى فــي حَلْبَــة قــد فــاز يــوم ســباقه برهانِــهِ
ســباقُ فــضلٍ لا يُــشَقُّ غبــارُه أنــى لمثلــي الجــريُ فــي مَيدانِــهِ
حقّــاً لقــد شــرفتني بفوائــدِ يلهــو بهــا المــشتاقُ عــن أوطانِــهِ
من جــوهرِ النظّــام بــل مــن فــردِهِ كــالبحر جــادَ بــدرِّه وجُمانِــهِ
كــالرَّوضِ فــي إبّانــه والــوردِ فــي نيــسانِه والعمــرِ فــي رَيعانِــهِ
فالبيــتُ ممــا قلتَــه ونظمتَــه يزهــو علــى الهَــرَمين فــي بُنيانِــهِ
أهــديت مــن درِّ العــروس نفائــساً صَلَحَتْ لملكِ الــروم فــي تيجانِــهِ
خزنتــه ســمرُ الطــورِ إعجابــاً بــه وتقلّدتــه البــيضُ فــي طلابِــهِ
فرفَلْــتَ فــي الــسربال مــن داوده وعلمتُ حكمَ الصمت من لقمانِــهِ

ورويتَ علمَ الفقه من نعمانه وقرأتَ حُرَّ الشعر من حَسَّانِهِ
ورأيتَ في الحلم ابنَ قيسٍ أحنفاً وإياساً المشهورَ في إتقانِهِ
وحقرت بطليموسَ دارسَ كتبه ورفضْتَ رسطاليسَ في يونانِهِ
قلَّدتني عقداً ثميناً فائقاً قدري الحقيرُ يقلُّ عن أثمانِهِ
وذكرتَ أخلاقاً لبغلي رثَّةً في سَرجه وحزامه وعِنانِهِ
من بعدِ ما كان النجومُ تغار من قطع اللُّجَين منوطةً بجِرانِهِ
وعليه ديباجُ الحريرِ مصوّراً والجوخُ يرفُل منه في ألوانِهِ
فكذلك الدهرُ الخؤون بأهلِه من ذا نجا من حادثات زمانِهِ
لم يغنِ عنها البرُّ عن غِزلانه كلا ولا التيارُ عن حيتانِهِ
فعساك تَعديني على حِدْثانه وتُقِصُّني من كفه وبنانِهِ
جعل الإلهُ بكل يومٍ شارقٍ بعظيم شانِك في الورى من شانِهِ

وله لطائف، لولا ضيقُ الوقت، لوشَّحنا بها هذه المحاسن ذات المطارف.

ومن ذلك: ما كتب به إلى القاضي الحسين، في شهر ربيع الأول، سنة ست وثمانين، يسأله عن حكم نافجة المسك:

يا أيها القاضي الذي نفحاتُه أذكى من المسك الفَتيت التُّسَّتي
آياتُه عندي لكل معاندٍ ومواربٍ في العلم أبهرُ آيةٍ
كلماتُه فصلٌ لما قد خصّه باري الخلائق كلُّها من حكمةٍ
وعلومُه إما بليت مشكلٍ ومعارضٍ في الرأي كانت حجتي

ماذا ترى في فارة المسك التي — هي بائنٌ فيما أتى من حَيَّةِ
يأتي إلينا المسكُ مثلَ نوافحٍ — ما لا نشك بأنها من جلدةِ
ولكم سألْنا عن حقيقة أمرِها — قالوا خراجٌ ساقط من سُرَّةِ
بيّنْ لنا ما حكمُها في شرعنا — واجزْم لما فيه شفاءُ الغُلَّةِ
واسلمْ لكشف المعضلاتِ وحلِّها — متوقلاً في العلم أعلى رتبةِ

فأجابه القاضي الحسين:

نفحت محاسنها بأطيب نفحةِ — روضيةٍ نَدِّيَّةٍ مِسْكيّةِ
أحيتْ لأرباب الفضائل سنةً — أكرمْ بها يا صاحبي من سُنَّةِ
عوّذْتُها بذواتِ قُلْ لما بدَتْ — في صورةٍ شمسيةٍ قمريةِ
غلّت يدُ الشاني الحسودِ وثبتت — لما أتت نفحاتُها من تَبَّتِ
بعثتْ لأرباب الفضائل همةً — إذ قال صاحبها هناك بهمةِ
ماذا ترى في فأرةِ المسك التي — هي بائن فيما أتى من حيةِ
فأقول تلك وعاءُ مسكٍ طيبٍ — ونرى طهارةَ ذاتها لضرورةِ
كطهارة الكوز الذي قد خُلِّلَتْ — فيه رحيقةُ خمرةٍ مشتدَّةِ
فالمسكُ من دم ظبيةٍ من جلدة — والخَلُّ من خمرٍ غلى في جرةِ
وطهارةُ الأمرين حكمٌ واضحٌ — تلك الضرورةُ فيه أوضحُ علةِ
أما الحفيظُ فقال ظاهرُ مذهب — فيها النجاسةُ مثل بائن حية
لعمومِ ما نرويه من خبرٍ أتى — فيما أُبينَ وحُكمه كالميتةِ
فأقول إن عمومه قد خُصَّ بالـ — ـمقطوع من صيدٍ ومات بسرعةِ

فبقـاءُ حجتـه علـى تنجيـسها　　فيـه نـزاعٌ ظـاهرٌ لأئمـةِ
وإذا نظـرت إلـى التمـاس محمـدٍ　　من مسكها أُوتيـت أحـسنَ حجـةِ
وكفـاك تـسميةُ النبـيِّ لآلـه　　بوعاءِ مسكٍ حيث قـالَ وعترتـي
أتُـراه سـمَّاهم كـشينٍ عنـده　　وهم الألى طابوا وهـل كالـصفوةِ
والحـقُّ مـا قلنـاه فـي تطهيرهـا　　فاشدُدْ يـديك علـى مقـال الجلَّـةِ
والـشافعيةُ صَـرَّحوا بطهـارةٍ　　كالمسكِ قالوا حكمُ تلك الجلـدةِ
مـن غيـر فـرقٍ بـين ذاك وهـذه　　وكلامُهـم حـسنٌ رفيـعُ الرتبـةِ
والمـسكُ حـدّوهُ دمٌ فـي سـرةٍ　　ينـصبُّ بعـد العـامِ فـوق التربـةِ
يبـدو بهـا مـرضٌ فتمـرض عنـده　　حتـى يـتمَّ نـضاجه فـي الـسرَّةِ
ونفائس الأشياء في الأرض التـي　　حقرت فما ساوت جناحَ بعوضـةِ
مـن أحقـر الأشـياء خلقـاً كُونـت　　وبـذاك للإنـسان أكبـرُ عبـرةِ
والله يُخـرج مـن تـرابٍ لـم يكـن　　مـن غيـره وكـذا خـروجُ الفـضةِ
وكـذا الحريـرُ خروجُـه مـن دودةٍ　　حقـرت وأشـبه عنبـر مـن روثـةِ
والـدرُّ مـن صـدفٍ وقـالوا أصـلُه　　مطـر الربيـع انهـلَّ فـوق اللحمـةِ
ومطارفُ الملبوس من صوف أتـت　　وكـذا الزبـادُ خروجُـه مـن هِـرَّةِ
ألبانُهـا مـن بـين فـرثٍ خلقُهـا　　ودمٍ وذا فـي الأصـل أطيـبُ لَـذَّةِ
والشهدُ يخرج من بطون النحل لا　　يُرتـاب فيـه فـذاكَ نـصُّ الآيـةِ
والسرُّ تعريفُ العبـاد حقـارةَ الـد　　نيـا الدنيـةِ فهْـي غيـر عليَّـةِ
هـذي نفائـسها دنـيٌّ أصـلُها　　فـذروا التنـافس فيـه غيـرُ أعـزةِ

يا صاحبي خذ في الكلام ونادني — انْ سرْ طريق الصالحين الجِلَّةِ
واربأْ بنفسك أن تَغُرَّك زهرةُ الـ — ـدنيا الحقيرةِ فهي غيرُ خطيرةِ
واعملْ لنفسك صالحاً تظفرْ بما — ترجوه من رضوان ربِّ العزَّةِ
واسلكْ طريقَ الزهد كالقومِ الأُلى — كانوا شموساً أشرقَتْ في المِلَّةِ
لا تنظرنَّ مع الإله سواه من — شيء لِذا شربوا بكأس محبَّةِ
والملكُ في نشر العلوم ودرسِها — إن العلوم بها شفاءُ الغلَّةِ
حفَّت ملائكُ ربنا أربابَها — ولكَمْ لهم من رتبةٍ ملكيةِ
فربيع قلبي في تدبُّر آيِها — آي الكتاب وفي صحيحِ السنةِ
فاسلمْ ودمْ في نعمة محفوفة — بكرامة ومكارم محروسةِ
تحبو الأنامَ بكل نظمٍ رائقٍ — يبدو كواكبَ في سماء السجعةِ

ثم قال القاضي الحسين: دليل نجاسة بائن الحي: حديث: «ما قطع من البهيمة وهي حيةٌ، فهي ميتةٌ» عند أئمتنا، وأحمد، والحاكم، وأبي داود، والترمذي، والدارمي، من حديث أبي واقدٍ مرفوعاً، والحاكم وغيره من طرقٍ عدةٍ، مرسلاً ومتصلاً، بأسانيد ضعيفةٍ بعضُها يشهد لبعض.

وهو عامٌّ مخصوصٌ بالإجماع على حِلِّ ما قطع من السمك والجراد؛ لحل ميتتهما، وعلى ما قطع من الصيد حيث الرأس مع الأقل، أو المساوي، وباستعمال رسول الله ﷺ لما جاور فأرة من النافجة، عن[1] أن التخصيص بالقياس، إن فرض عدم ورود شيءٍ من السنة، صحيح، وفي بقاء حجية العام

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: على.

بعد تخصيصه نزاعٌ بين الأصوليين، الأصحُّ عندنا: بقاء الحجية فيما بقي، وإلا، بطل كثيرٌ من الأدلة؛ لأنها عموماً مخصوصةٌ؛ كما حققناه في الأصول.

ولما اطلع صاحب الترجمة على الجواب، قال:

ألا يا طالبَ العلياءِ مهلاً سُبقتَ سيدي القاضي المهلا

سُبقت بماجد سهرَ الليالي فأيقظَ سنةً وأنام جهلا

[٩٢٢] حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن حسين بن جانندار الشامي الكركي العاملي[١].

قال السيد في «السلافة»: طودٌ رسا في مقر العلم ورسخ، ونسخ خطُّه الجهل بما خطَّ ونسخ، علا به من حديث الفضل إسناده، وأقوى به من الأدب إقواؤه وسناده، مع أدبٍ وشعرٍ، أرخصا من عقود اللآلي كل غالي السعر، وظرف شيمٍ وشمائل، تطيب بأنفاسها الصَّبا والشمائل، والمام بنوادر المجون، يجلي به حديثه، والحديث شجون.

لم يزل يتنقل في البلاد ويتقلب، حتى قدم الهند، سنة أربع وسبعين بعد الألف، عن أربعٍ وستين سنة تقريباً.

ومن تصانيفه: «شرح نهج البلاغة»، و«عقود الدرر في شرح أبيات المطول والمختصر»، و«هداية الأبرار في أصول الدين»، و«مختصر الأغاني»، و«الإسعاف»، وغير ذلك.

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٤٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٩٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٣٨١) (١٠٣).

ومن شعره قوله:

بدت لنا وظلامُ الليل معتكرٌ فقلتُ شمس الضحى لاحَتْ أم القمرُ
جاء البشيرُ وقال الشمسُ قد بزغت ليلاً فصار عياناً ذلك الخبرُ
فقل لمن لامني في حبها سَفَهاً إليكَ عني فإني لست أعتذرُ
هي الحبيبة إن جادتْ وإن بخلتْ وكل ذنب جناه الحبُّ مغتفَرُ
سيانِ عندي إذ صحَّ الوداد لها أقلَّ في حبها اللاحون أم كثروا
لها المودةُ مني ما بقيت ولي حظُّ المحبِّ وحظُّ العاذل الحجرُ
يا منيةَ النفس إن دام الوصال لنا فلا أبالي أغاب الناس أم حضروا
ما لذةُ العيش إلا ما سمحتِ به أنت الحياةُ وأنتِ السمع والبصرُ
لم يُلهني عنك مطلوبٌ ولا وَطَرٌ ولا نديمٌ ولا كأس ولا وترُ
فُقْتِ الحسانَ وفقتُ العاشقين معًا فلو أرادوا لحاقًا بي لما قدروا
لا غرو أن أنكروا حالي فما سمعوا بمثلها في الهوى يومًا ولا نظروا
ما لي وما لفتاة الحيِّ قد صرمتْ حبلي وأنكرني أترابُها الأُخَرُ
هيفاءُ وافرةُ الأردافِ مائلةُ الـ أعطافِ ما شانَها طولٌ ولا قِصَرُ
بيضاءُ ورديةُ الخدين وجنتُها يكاد منها سُلافُ الراح يُعتصَرُ
لم يبق لي بعدها صبرٌ ولا جَلَدٌ ولا فؤادٌ ولا عينٌ ولا أثرُ
إن كان قد راعَها فَوْدي فلا عجبٌ أن شاب رأسي ففي الأيام معتَبَرُ
يا منيتي لا تُراعي من ضنا جسدي فنارُ حبك لا تُبقي ولا تذرُ

فلا تكوني على قرب المزار لنا كبقلة الرمل لا ظلٌّ ولا ثمرُ
ما الشيبُ عارٌ ولا شيءٌ أُعاب به فلا تظنيه ذنبًا ليس يُغتفرُ
إن تهجريني فإني عنك في شُغُلٍ من لذة العيش حيثُ الماء والشجر
في ظل أروعَ ما زالت أوامرُه تجري على وَفْق ما يجري به القدرُ

منها:

بحرٌ من الجود لم تكذب مخايلُه يوماً ولا أخلفتْ إذ يُخلف المطر
كأنما في مثاني ذرعه أسدٌ لم ينبُ قطُّ له نابٌ ولا ظُفُرُ

منها:

فقل لمن لامني في مدحه سفهاً هل لابن معصومٍ مثل حين يفتخرُ

منها:

لا ينكر الناس ما عاشوا سوابقَهم ولا يساجلهم قوم وإن فَخَروا
يا ماجداً يهبُ الدنيا بأجمعها عفواً ويعطي الصبايا وهو يعتذر
تهنَّ بالعيد والعامِ الجديد معاً فالعيشُ مقتبل والدهر مؤتمرُ
ودمْ كرضوى دواماً لا زوالَ له تنهى وتأمرُ لا عيٌّ ولا حَصَرُ

وقوله:

يا شقيقَ البدر أخفى فرعُك المسدولُ بَدْرَكْ
فارحمِ العشاقَ واكشفْ يا جميلَ السترِ ستركْ

وقوله:

جـــودي بوصـــل أو بِبَيْــنِ ... فاليـــأسُ إحـــدى الـــراحتينِ
أيحِـــلُّ فـــي شـــرع الهـــوى ... أن تـــذهبي بـــدمِ الحـــسينِ

[٩٢٣] حسين ديوانه.

كان ساكناً بقلعة طمشوار، يقال: إنه كان من الأبدال، وله جذبةٌ قويةٌ، وحالةٌ ظاهرةٌ، قيل: وقع الحريق مرةً ببلدة طمشوار، وكان قريباً بمنزله، فلما رآه، أخذ ديوزه، واستقبل النار بالغضب، وقال لها: قفي، فوقفت مكانها، وانطفت.

[٩٢٤] حسين بن علي بن حسن بن شدقم[١].

قال صاحب «السلافة»: سيدٌ رقى من المكارم ذراها، وتمسك من المحامد بأوثق عراها، دأب في كسب المآثر فتًى وكهلاً، وسلك من مسالكها حَزناً وسهلاً، فملك جوامحها ذُلُلَ المراسن، واجتلى أحاسنها مسفرة المحاسن.

دخل الديار الهندية، فسطع بها بدره، وعلا صيته، وارتفع قدره، وله الأدب الذي بهرت فرائده، وصدق منتجعه رائده، على أنه لم يتعاط نظم الشعر إلا بعدما اكتهل، وجاءت فرسان القريض جاهدةً، وجاء هو مجليهم على مهل.

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٥٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٣٤) (٥٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٣٦) (٣١٨).

فمن شعره مادحاً النبي ﷺ:

أقيما على الجرعاء في دومتَيْ سعدِ ... وقولا لحادي العيس عيسُكَ لا تحدي
فإن بذاك الحي إلفًا ألفتُه ... قديمًا ولم أبلغ برؤيته قصدي
عسى نظرةٌ منه أبلُّ بها الصدى ... ويسكنُ ما ألقاه من لاعِجِ الوجدِ
وإلا فقولا يا أميمةُ إننا ... تركنا قتيلاً من صدودِك بالهندِ
يحنُّ[1] إلى مغناكِ بالطلح والغضى ... ويصبو إلى تلك الأُثيلاتِ والرَّنْدِ
قِفا نندبِ الأطلال أطلالَ عامرٍ ... ونبكي بها شوقًا لعلَّ البكا يُجدي
إلى ذاتِ دَلٍّ يُخجل البدرَ حسنُها ... مرنَّحةِ الأعطافِ مَيَّاسةِ القَدِّ
جهنمُ والفردوسُ قلبي ووجهُها ... من الشوقِ والحسنِ البديع بلا حدِّ
سقاها الحيا ما كان أطيبَ يومَنا ... بموردها والحي ورداً على وردِ
وقد نشرت أيدي الغمام مطارفًا ... كستها أديم الأرض بُردًا على بُردِ
وقد رُفعت فوق الحزوم سُرادقٌ ... من الشعر والأضياف وفدًا على وفد
بَدَوْتُ[2] لحُبِّيها[3] وإلاَّ فإنني ... من الساكنين[4] المدنَ طفلاً على مهد
وملتُ إلى ماء البَشام لأجلِها ... وأعرضتُ عن ماء مُضافٍ إلى وردِ
وغادرت نخلاً بالمدينة يانعًا ... وملتُ إلى السَّرحات من عارضَيْ نجدِ

---

(١) في الأصل: يحل، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: بدون، والصواب ما أثبت.

(٣) غير منقوطة في الأصل، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في الأصل: المساكين، والصواب ما أثبت.

وحاربتُ أقوامي وصادقتُ قومَها	وبالغتُ في صدق الوداد لهم جهدي
فلا إثمَ في حُبِّي لها ولقومِها	وإن يكُ إن الله يغفر للعبدِ
ولا سِيَّما إن جئتُه متوسِّلاً	بمرسَلِهِ خيرِ النبيينَ ذي المجدِ
أبي القاسمِ المبعوثِ من آل هاشمٍ	نبيًا لإرشاد الخلائق بالرشدِ
دنا فتدلَّى من مليكٍ مهيمنٍ	كما القاب أو أدنى من الواحدِ الفردِ
ألا يا رسولَ الله يا أشرفَ الورى	ويا بحرَ فضل سَيْبُه دائمُ المَدِّ
لأنت الذي فُقْتَ النبيينَ زُلفةً	من الله ربِّ العرشِ مستوجبِ الحمدِ
يناجيك عبدٌ من عبيدك نازحٌ	عن الدار والأوطان بالأهل والوُلْدِ
ويسأل قرباً من حماكَ فجدْ له	بقربٍ فقربُ الدار خيرٌ من البعدِ
ليلثمَ أعتابًا لمسجدِك الذي	به الروضةُ الفيحاءُ من جنة الخلدِ
فإن له سبعاً وعشرين حجةً	غريبٌ بأرض الهند يصبو إلى هندِ
إذا الليلُ وارانـي أهيمُ صبابةً	إلى طَيْبَةَ الغراءِ طَيِّبة النَّدِّ
وأُسبل من عينيَّ دمعاً كأنه	عقيقٌ غدا وادي العقيق له خَدِّي
سَميرايَ في ليل غرامٌ وزفرةٌ	تقطِّع أفلاذَ الحُشاشةِ كالرمْدِ
عليك سلامُ الله ما ذرَّ شارقٌ	وما لاح في الخضراء من كوكب يَهدي
كذا الآلُ أصحابُ الكرامةِ حيدرٌ	وبَضْعَتُك الزهراءُ زاكيةُ المجدِ
وسبطُك من حاز الفضائلَ كلَّها	وسجَّادُهم والباقرُ الصادقُ الوعدِ
وكاظمُهم ثم الرضا وجوادُهم	كذاك عليٌّ ذو المناقب والزهدِ
كذا العسكريُّ الطهرُ ذو الفضل والتقى	وقائمُهم غوثُ الورى الحُجَّةُ المَهدي

[٩٢٥] حسين بن علي بن عبدالله بافقيه العيدروس باعلوي الحسيني[١].

بقية السلف الصالح، ونخبة كل نجيبٍ فالح، المتخللُ بعباء الفخر والسيادة، المتقمصُ لحلة طراز الشرف الباذخ في القادة، كان فريد زمانه في النبالة، ووحيدَ أوانه في الجلالة، يسلب الألباب بلذة المحاورة، وينتدب إلى بسط بساط البَسْط للأحباب، وقص دواعي المنافرة، لا يبخل بجاهه الوجيه على القصَّاد في الشفاعات، عند الولاة والحكام.

وُلد عام اثنين وعشرين بعد الألف، وتوفي في غرة ربيع الأول، سنة أربع وسبعين بعد الألف بمكة، ودفن ضحًى بالشبيكة، على أبيه وأخيه بقبة جده ـ نفع الله به ـ.

[٩٢٦] الحسين بن علي الوادي[٢].

نسبة إلى وادي طهر المعروف اليمني، من شعراء العصر باليمن.

ومن شعره قوله:

نسيمُ الصَّبا في سوحنا يتبخترُ ... لك اللهُ ما هذا الأريجُ المُعَنبرُ
أأنت رسولٌ يا نسيمَ الصَّبا عن ... حُلولِ الحمى أم أنت عنهم مبشِّرُ
فهمتُ الذي أودعته غير أنني ... أحبُّ حديثًا منهم يتكررُ

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٢).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٩٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٢٤) (٢٥٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٧١) (٦٥)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٥٤٧).

لِما ألفته النفسُ منهم وعُوِّدَتْ وإلا فعلمُ الغيب لا يتقدَّرُ
فكررْ على سمعي أحاديثَ ذكرهم عسى تنطفي نارٌ بأحشاي تُسْعَرُ
همُ استصحبوك السرَّ بيني وبينهم لأنك أَبْدا بالجميل وأَبْدَرُ
ومثلي هداك الله يا ساريَ الصبا يسرُّك والمعروفُ أجدى وأجدرُ
وأبلجُ أما الخدُّ منه فأحمرٌ وأما قَوامُ القدِّ منه فأسمرُ
وأما ثنايا ثغرِه حين يجتلي فكأسُ جُمانٍ فيه خمرٌ وكوثرُ
تغازل من عينَيْ مهاةٍ وشادنٍ يلاحظنا منها سهامٌ وأبترُ
هي البِيضُ إلا أنها حِنْدِسيَّةٌ هي النَّبلُ إلا أنها تتكسَّرُ
هي السحرُ إلا أن فيه خصائصًا لها عالمُ السحر الصناعيُّ يسحرُ
وفي خدِّه خالٌ يقولون إنه بلالٌ له في جامع الحسن منبرُ
بلى ذلك الخالُ الصريحُ إشارةٌ عديمةُ مثلٍ لا بلالٌ وعنبرُ
شكوتُ له فترةً في جفونه لشدةِ ما ألقى بها حين تفترُ
وما أنا فيه من هوًى وصبابة تبيتُ بها الأحشاءُ تُطوى وتُنشر
وأفصحَ عن لفظٍ توهمتُ أنه جُمانٌ من الثغرِ الجمانيِّ يبهرُ
وقال نعمْ هذا لعينيَّ مذهبٌ وفتنةُ نفسِ المرءِ شيءٌ مقدَّرُ
بروحي جواراً للَّحاظِ وقدُّهُ تحقَّقَ فينا عدلُه حين يخطرُ
ألا إن عدلَ القدِّ أكبرُ شاهدٍ عليك بجَوْرِ الحكمِ واللهُ أكبرُ
ورقَّةُ هذا الجسم منكَ بأنني رقيقُ هَوًى والمثلُ بالمثلِ ينظرُ
فلله أزمانٌ تواصَلَ يومُها بليلتِها والعمرُ كالعيشِ أخضرُ

ولله عهـــدناه وإنْ كـــان أســـوداً كشَعْر الصِّبا يشكو سـواداً فيُشكَرُ
وأحبابُ قلبي ليسَ إلاهُـمُ المُنـى صـــفاءُ ودادي فـــيهم لا يكـــدَّرَ
دلائلُ عشقي في هواهم صـريحةٌ ومعرفتـي فـي حـبهم لـيس تُنكَـرُ
ربحتُ هواهمْ فـي زمـان شـبيبتي وشِـبْتُ فلـن أرضـى بـأني أخبـرُ
فلا تُنكروا أن أرسلَ الجفنُ دمعَـه وقد جاء في رأسي من الشيب منذرُ
ويعقوبُ أحزاني ويوسـفُ فتنتـي وصــالحُ أعمــالي عــسانيَ أُوجَـرُ
خليليَّ عهد الله إن جزتُما الحمـى وعاينتُمـــا قلبـــي ببيـــداه يَجـــأرُ
فـدلاً عليـه جيـرةَ الحـيِّ واذكـرا لهم من حديث الـصبِّ مـا يتيـسرُ

ولـه، وهمـا آخر شعره:

وقـد مـات شـيطاني ولكـن تائبـاً عن الغيِّ حتى الشعرُ فالله يرحمُـهْ
وخلـف ذيـن الـصادرينِ إليكُمـا يكفــر ذنبًــا للقــريض ويختمُــهْ

وكانت وفاتـه في سنـة تسع وسبعين وألف، في الجَبِـيِّ ـ بفتح الجيم وكسر الباء الموحدة ثم ياء نسب ـ: اسم لحصنٍ عظيمٍ عالٍ من بلاد ريمة.

وبينه وبين السيد العلامة محمد بن المطهر الجرموزي مراسلاتٌ لطيفةٌ ذكرتها في ترجمته.

ومن محاسنه قوله:

ريـــــمٌ أراد الله ســـــبحانهُ يُظهـــر فـــي العـــالم إنـــسانهَ
فــصاغَه مـــن الـــسحر خالـــصاً ومـــا حَـــصَّص أجفانَـــهُ

وكان صاحب الترجمـة مولعاً بالتنباك، ولـه مداعبةٌ كثيرةٌ، وبينه وبين

الشيخ إبراهيم الهندي الصنعاني مداعبة، فقال فيه مضمناً للبيت المشهور:

أنا صخرةُ الوادي إذا ما زوحمَتْ وإذا نطقتُ فإنني الحوَّاءُ

وذلك في أبياتٍ مطلعها:

اصحب لمولانا الحسينِ مداعبه وله إلى ترجيعها إصغاء

وألطف الشيخ إبراهيم في التضمين.

[٩٢٧] السيد الحسين بن علي ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن القاسم[١].

الآخذ من العلوم بأوفر نصيب، والشجاع الجواد الأديب، مفقود النظير في الآحاد، فلا يجاريه مجارٍ إن صال وإن قال، وإن جاد، يطرب على ذكر الجود، كما يطرب غيره على سماع الناي والعود.

ومن شعره قوله:

ما على البرق من وراء الثنيهْ لو أتى من أحبتي بتحيهْ

وقَرا للمشوق تلخيصَ حسنٍ أظهرته الحواشي الشلبيهْ

وقوله:

سرُّ الصبابة فيكمْ لست أُخفيه وكيف والدمعُ في الخدين يُبديهِ

يا غائباً وهو في قلبي وفي خَلَدي وهاجراً ذبتُ من حرِّ الهوى فيه

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٥٧٣)، «البدر الطالع» (١/ ٢٢٢)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٥٢) (٦١).

رفقاً بمغتربٍ أمسى يسامرُه جنح الدجى وتناجيه أمانيهِ
ومغرمٍ ما شدتْ وُرْقُ الحِمى سحرًا إلا وساجلَتِ الأنوا أماقيهِ
يلوح منه إذا لاحَ الوميض دجًى وجدٌ برقٌّ له منه لَواحيهِ
ويسألُ البرقَ هل أبدى له خبرًا منكمْ عساه إذا وافى يسلِّيهِ
لا تحسبوا البعدَ أنسى القلبَ ذكرَكُمُ وحَقِّكُمْ [إنه] ليسَ يُنَسِّيهِ
يا ساجعَ الوُرق طارحْني هواكَ فما تلقى سواي طريحَ الحبِّ عانيهِ
ما في الصِّحاب أخو وجدٍ تُطارحه حديثَ نجدٍ ولا صَبٌّ تجاريهِ

[٩٢٨] السيد الحسين بن علي بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن عليان بن الحسن بن محمد بن حسين بن حجاف[(١)].

كان من علماء العترة وحلمائهم، فاضلاً كاملاً، لا يؤثر عنه إلا الصالحات، وكان مرجوعاً إليه في علوم العربية والفقه والأصلَين، مع كمالٍ في ذلك، ولقي مشايخ، ورحل إلى مواضع العلم على متاعب، لكنه حمد سعيه ذلك، وكان منشؤه بيتَ الإمام الناصر الحسن بن علي؛ لمكان الطهارة؛ لأن الإمام تزوج أخت أبيه، فلذلك اختلط السيد الحسين بالإمام، وكان في بيته.

وكانت له براعةٌ في القول، وانسجامٌ في الخطاب، كأنما ينحطُّ عن صَبَب، وكأنما تقرأ كلامه من صحيفة، لا يخلط كلامه بشيءٍ من الفضلات، [و]هذه كانت صفة الإمام الناصر الحسن بن علي، لا يقولان في مقالهما

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣٦٤) (٢١٤).

ما تجري به العادة من الفضلاء من العبارات الدخيلة.

وكان معتنياً بالكسب الحلال، ينزل بنفسه إلى مغارب وطنه حبور؛ كوادي عبس، ويعمل في المال، ثم يروح حاملاً لعباس منافع المال للبيت، من نحو حطبٍ، فيستقر ببيته ريثما يتناول ما تيسر من الطعام، ثم يخرج للصلاة، ثم يبرز لتدريس «العضد» على أتم وجه، ولم يختلف اثنان في رجاحة صفاته وحَسْبه، وحسبه ما قال الإمام المؤيد محمد بن القاسم لأهل «حجة» لما افتتحها، وطلبوا منه أميراً لها، قال: إن شاء الله أولي عليكم رجلاً مثلي، أو قال: خيرًا مني، أو كما قال.

واستمرت يده على ولاية «حجة»، وحمدت آثاره، وكان يستدنيه الإمام عند المهمات للآراء، وكان مشهوراً بجودة الرأي، كأنما ينظر إلى الغيب من سترٍ رقيق، واستمر أولاده بحجة، وهم من الكمال بمحلٍّ شريف، فالمباشر للمهمات أكبرُ أولاده، السيدُ الرئيس النبيل محمد بن الحسين، وجمال الإسلام علي بن الحسين، وعبدالله بن الحسين، وقد رزق الله عبدَالله المذكور من الحافظة والذكاء، ما بَذّ به الأقران على حداثة سنه.

وستأتي ترجمته وولده السيد الحسن، صاحب الأخلاق النبوية، والطريق السنية، صاحب الصدقات، واستقراره بحبور، وكانت وفاة السيد الحسين بحبور في الثلث الأخير من ليلة الأحد، لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى، عام ثلاثة وخمسين وألف، ودفن بالتربة عند داره المسماة بالناصرة، وهي من أحسن البنيان والشمخة، وقبره مزورٌ مشهور، ورثاه كثيرٌ، منهم: السيد المحقق يحيى بن إبراهيم الحجاف بقوله:

الـــدهر أنقـــصُ رتبـــةً مـــن أن يقـــرَّع بالعتـــابْ
والنـــاس أحقـــر أن تعـــا ب هـــم كـــذاك العـــاب
يـــا عـــينُ هـــذا وقـــت جـــو دك بالـــدموع والانـــصباب
وابكـــي الحـــسين أبـــي فـــإنَّ مُـــصابَه حـــقُّ المـــصابْ
عجبًـــا لمـــا يـــأتي الزمـــا ن بـــه مـــن الأمـــر العُجـــابْ
أيغيـــبُ رَضْـــوى فـــي الثـــرى ويظـــل يـــذبُلُ فـــي التـــرابْ
يـــا كعبـــةَ الجـــود التـــي كانـــت محطّـــاً للركـــابْ
يـــا عـــصمةَ الفقـــراء إن خلفَـــتْ شـــآبيبُ الـــسحابْ
يـــا زاخـــرَ العلـــم الخـــضمِّ إذا ترايـــا بالعبـــابْ
يـــا شـــامخَ العلـــم الرفيـــ ـــعِ ومـــن ســـواهُ كالهـــضابْ
مـــا كنـــتُ أحـــسب قبـــلَ وضـــ ـــعك فـــي ملفقـــةِ الثيـــابْ
أن الجبـــال الـــشُّمَّ ترفعهـــا الـــر جـــالُ علـــى الرقـــابْ

[٩٢٩] السيد الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي ابن شمس الدين ابن الإمام يحيى شرف الدين، وأمُّه الشريفة آمنة بنت أحمد ابن الإمام المنصور القاسم بن محمد بن علي[1].

ذكره الفاضل الأديب يوسف بن علي بن الهادي الكوكباني، في كتابٍ

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٠٣) (٢٠٣)، «البدر الطالع» (١/ ٢٢١)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٥٦٠)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٤٣) (٦٠)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٧٧).

سماه: «طوق الصادح»، وهو كتـابٌ لطيفٌ مشتملٌ على تراجم جماعةٍ من أهل الصدر الأول، ونفرٍ يسير من أعيان عصرنـا، ألفـه باسم والـده السيـد عبد القادر بن الناصر.

فقال: فرعٌ من دوحـة نبـوة بسقت، وعصماءُ من عقد خلافة انتظمتْ فرائدهُ وانتسقت، وسيدٌ أقامته المعالي واحداً، فلم يختلف في علياه اثنان، وعلا فلم تمسك المالَ راحتُه، وأنى تمسك الماءَ قمةُ الجبل؟! وساد، فهو في السادات وفي الآفاق أكبرُ من مثل، وأيسر من مثل، واحتوى من الفضائل على كل معنى يسحب فضلَ بُرده على فضل معن، وجاد لمن مد يده لمدّ من مال بألف مَنٍّ بلا منْ، واستعمل الطباق في ماله ومجده، فهذا مبذولٌ، وهذا ممنّعٌ، وجانس بالإقـراء والإقرا ما بين السائل والسائل، فمن فضلـه ولفظـه للجود والإجادة مطلع، وأنهى مؤمله إلى ضحى بشره إذا أنهاه غيره إلى عَبَس، وآنس الناس إلى جدوى ملكه، فرووا حديث علياه عن مالك بن أنس.

وأنشأ بإنشائه، فعرفنا منه السَّكَر والسُّكْر، وأبدى منه في رياض المهارق وسمواتها الزَّهر والزُّهر، وضم إليه من سلاح الأدب ما هزم به ابن عساكر، وجاء إليه قائداً لنصر الله والفَتْح، وأظهر من سحر بيانه وحكمة شعره ما قَدَح به زناد فكره الذي لا عيب فيه لذي قَدْح. شعر:

هذا وليلُ الشباب الجَوْنُ منسدلٌ   فكيف حين يُضيء الشيبُ بالسُّرُج

ولم لا يحتوي على هذه الخلال، ويرتقي إلى أرفع درجات الكمال، وهو سلالة ملك ألفتْ نُحاة الجود غـواديَ أياديـه، وفيضَ صِلات راحتـه، وأبت ورُق الثناء أن تصدع إلا على رياض ساحتـه، واهتـز الزمـن لأمـره،

وما الطود أرسى من سكونه، وسرى بين مشتجر القنا، فيالك رئبالاً سائراً في عرينه، وأتعبَ راحته في البذل، وليس العلا إلا للتعبـان، وتلقى الورى من علياه وعلومه بملء الأبصار والأذهان.

فحُقَّ عليه لما كانت جوهرتُه من هذا المعدِن، ونبعتُه من هذه الوشيجة التي لا ينكر طيبَها مؤمن، أن يحتوي على هذه المحامد المنزهة عن الشين، وأن تقول العليـا لمن جهل اعتزاءه إليها واعتزاها إليه: «حسين مني وأنا من حسين»، وأن يسير نظمُه في الأفق بين الجواري التي هي لحسنه كالعبدّى، ويزري سحرُ بيانه بسحر ابن المقفع، فلو تعصب له هاروت، لهوى في حفرة العجز وتردَّى.

فمن شعره: قوله في ورقاء رقَت من الدوح وَرَقا، ورقّت لها القلوب لما رقت نفسها خوفاً من الجنون، وما الكيس مَن رقى نفسه ورقى:

ما للمشوقِ مجيبٌ في دُجى الغَسَقِ ... سوى الصَّدى وهَديلِ الوُرقِ في الوَرَقِ
يا قومُ لو كان للورقا شجونُ شَـجٍ ... ما صفَّقت من سرور طلعة الفَلَـقِ
ولو لها فقدتْ إلفًـا لمـا خـضبتْ ... كفّاً ولا جعلت طوقاً علـى العنـقِ
ولم تحرك لنا عـوداً أو تنـشد مـن ... ألحانِ إسحاقَ أصواتاً علـى نَـسَقِ
وهي التي دمعُها مـا زال محتبـساً ... والصبُّ من صَبِّ دمعِ العين في غرقِ
وحـسبُها أنهـا باتــت معانقــةً ... غصناً وبِـتُّ لغصني غيـرَ معتنـقِ
أبيت ليلي أُراعـي الـنجم مكتـسباً ... لفرطِ ما بيَ مـن وجـدٍ ومـن أرقِ
ما أعجبَ الحبَّ يشتاق العميدُ إلى ... ريـمِ الـصريمِ وقـد أرداهُ بالحَـدَقِ
يا وردي الخدِّ دع إنكارَ قتلِ فتًـى ... ما قطُّ أبقتْ لـه عينـاكَ مـن رمـقِ

في خدك الشفقُ القاني بدا وعلى   قتلِ الحسينِ دليلُ حمرةِ الشفقِ

أقول: قوله: ولو لها فقدت . . . إلى آخره، مأخوذ من قول بعضهم:

نسب الناس للحمامة حزناً   وأراها في الحزن ليست هنالِكْ

خضبت كفَّها وطوَّقتِ الجيـ   ـدَ وغَنَّتْ وما الحزينُ كذلِكْ

ومثله قول الأمشاطي من موشح:

حمامةُ السدوح لا تقسْها   عليَّ في النوح والنحيبِ

لو فقدتْ إلْفاً ما خضبتْ   كفّاً ولا تغنَّتْ على قضيبِ

ولطيفة الشفق من مبتكراته، وبدائع مخترعاته، والقول بأن الشفق الأحمر لم يظهر إلا من بعد قتل الحسين بن علي ﷺ وردت به آثار، قال العلامة الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي المكي في كتابه «الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة» ما لفظه: أخرج الثعلبي: أن السماء بكت، وبكاؤها حمرتها.

وقال غيره: احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة تزداد بعد قتله، وإن ابن سيرين قال: أُخبرنا بأن الحمرة مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين، وذكر ابن سعد: أن هذه الحمرة لم تكن في السماء قبل قتله، قال ابن الجوزي: وحكمته: أن غضبنا يورث حمرة الوجه، والحق يتنزَّه عن الجسمية، فأظهر تأثيرَ غضبه على قتل الحسين حمرة الأفق، إظهاراً لعظيم الجناية. انتهى كلامه ـ رحمه الله، وشكر سعيه ـ.

قال صاحب الكتاب يوسف بن علي بن الهادي الكوكباني ـ بعد أن أورد

كلام شيخ الإسلام الشهاب بن حجر ـ: قلت: للمقال مجال في هذا؛ فقد قيد الشارع ﷺ انقضاء وقت المغرب بغيبوبة الشفق الأحمر، وجعلها حكماً من الأحكام، ولا يكون ذلك إلا مع ظهوره في زمنه ﷺ؛ فإن من البعيد أن يتعبدنا الله بحكم معدوم سيوجد.

والحديث الوارد في تقييد انقضاء وقت المغرب بغيبوبة الشفق الأحمر، مشهورٌ عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: «الشفق الحمرة، فإذا غاب الشفق، وجبت الصلاة» أخرجه ابن عساكر في «غرائب مالك»، ثم قال: فكيف التوفيق بين أقوال السلف رضي الله عنهم: إن الشفق الأحمر لم يظهر إلا بعد قتل الحسين، وبين ما ورد عنه ﷺ من تقييد انقضاء وقت المغرب بغيبوبة الشفق الأحمر، وجعلها لانقضائها قيداً، ففي ذلك دلالة على وجود الشفق الأحمر قبل قتل الحسين. انتهى كلامه.

أقول: هذا اشتباه؛ فإن الشارع ﷺ لم يقيد انقضاء وقت المغرب بالحمرة، حتى يلزم أن يتعبدنا الله بحكم معدوم سيوجد؛ لأن الفرض إنها أنما ظهرت بعد قتل الحسين، بل قيد انقضاء وقت المغرب، ودخول وقت العشاء بغيبوبة الشفق.

ففي حديث جبريل الذي رواه أبو داود، وصححه الحاكم، وغيره: «والعشاء حين غاب الشفق»، وروى مسلم: «وقت المغرب ما لم يغب الشفق»، وفي خبر ابن عباس: «ثم أمره، فأقام بي العشاء حين غاب الشفق» أخرجه النسائي عن جابر: «ثم صلى العشاء حين غاب الشفق»، وفي خبر البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي، واللفظ له: «وأن وقت العشاء حين يغيب الأفق»، وفي كتاب عمر رضي الله عنه إلى عماله، الذي رواه مالك: «والعشاء

إذا غاب الشفق»، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي ليس فيها ذكر الحمرة.

وأما حديث ابن عمر الذي أورده، فإن صح، فقد قاله بعد قتل الحسين؛ لأنه عاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان، ويكون بياناً للمراد بالشفق، وأنه صار بعد قتل الحسين حتى أطلق، فالمراد به: الحمرة.

ثم قوله: فكيف التوفيق بين أقوال السلف الواردة في أن الشفق الأحمر لم يظهر إلا بعد قتل الحسين . . . إلى آخره غلطٌ؛ فإن السلف لم يقولوا: إن الشفق الأحمر لم يظهر إلا بعد قتله، بل قالوا: إن الحمرة لم تر قبل، وأما الشفق المقيد بغيبوبته وقت العشاء، فموجودٌ في زمنه ﷺ وقبله، ولا شك فيه، ولا مرية لعاقل حتى يحتاج للتوفيق، والله سبحانه الموفق.

رجعٌ من قلائد صاحب الترجمة: قوله معارضاً للفتح ابن النحاس:

لفؤادي في الهوى كدٌّ وكدحُ ... ولطرفي بالدِّما سَحٌّ وسفحُ
يا أخا التحذير أغريت وكَمْ ... مغرمٍ أغراه من قد جاء يلحو
قل لسالٍ أسندَ الوجدَ إلى ... نفسِه مهلاً ففي الإسناد قدحُ
إن كسا الوجدُ حسيناً ثوبَه ... فأحاديثُ الكسا فيه تصحُّ
عاذلي كنْ عاذري في حبِّ من ... فرقُه مع فرعِه صبحٌ وجنحُ
ظالمٌ مأواه في قلبي وما ... لذوي الظلم من النيران برحُ
شَحَّ بالوصل وللريمِ حكى ... آخ من شخصٍ كريمٍ فيه شحُّ
قدُّه لا طعنَ في أوصافه ... عجبًا لا طعنَ فيه وهو رمحُ

كلمـــا مـــاس[1] تغنَّـــى حَلْيـــه فإذا للـوُرقِ فـوق الغـصن صـدحُ
أنكـــرتْ عينـــاه قتلـــي وعلـــى وجنتيـه مـن دمـي نـضحٌ ونـضحُ
بـــدمي قـــد شـــهدَتْ وجنتُـــه ولطرفـي ويحَـهُ فـي تلـك جـرحُ
ليـت شـعري هـل لقلبـي سـلوةٌ عنـه كَـلاَّ مـا لهـذا البـاب فـتحُ
لا يطيـــبُ العـــيش إلا للـــذي لـم يكن في طرفه ما عـاش طمـحُ
فعـــذابي أصـــلُه مـــن نظـــرةٍ رُبَّ جِـــدٌ جـــرّه للمـــرء مـــزحُ

قوله: إن كسا الوجد. . . البيت، فيـه إشارةٌ إلى خبر مسلم: «أنه ﷺ خرج ذات غداةٍ، وعليه مِرْطٌ مرحَّلٌ من شعرٍ أسودَ، فجاء الحسين، فأدخله، ثم الحسن، فأدخله، ثم فاطمة، فأدخلها، ثم علي، فأدخله، ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا»، وفي روايةٍ: أن أم سلمة أرادت أن تدخل معهم، فقال ﷺ بعد منعه لها: «أنت على خير».

وفي حديـثٍ حسنٍ: «أنـه ﷺ اشتمـل على العبـاس وبنيـه، ثم قال: «يا رب! هذا عمي وصنوُ أبي، وهؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي». انتهى.

وقوله: ظالمٌ مأواه في قلبي. . . البيت، هو كقول ابن نباتة المصري:

شـــديد الظلـــم مـــسكنُه بقلبـــي كـذاك الظلـمُ يوقـع فـي الـسَّعيرِ

وقوله: شحٌّ بالوصل. . . البيت، كقول الصفيِّ الحلي:

مبخـــلٌ يـــشبه ريـــمَ الفـــلا واطولَ شجوي مـن بخيـلٍ كـريمِ

---

(١) في الأصل: باس، والصواب ما أثبت.

وقوله: أنكرت عيناه قتلي . . . البيتان، كقول بعضهم:

أنكـــرت مقلتُــه ســفح دمـــي ... وعلـــى وجنتـــه فاعترفَـــتْ

وقول الآخر:

خـــدَّاك بقتلـــي قـــد شـــهدا ... فعـــلام جفونُـــك تجحـــدُهُ

وأما قوله: فعذابي أصله من نظرة، فلا يخفى ما في وجه فصاحته، من النضرة التي تصبو إليها أبصار البصائر من أول نظرةٍ، وإرسال المثل فيه هو الجمال البديع، والسحر المبين لأهل البديع.

ومن خرائد أفكاره ـ أيضاً ـ قوله:

خَفِّـفْ علـى ذي لوعـةٍ وشـجونِ ... واحفظْ فـؤادَك مـن عيـون العِيـنِ
فلكَمْ فؤادٍ واجبٌ من سـهمِها الـ ... ـمسمومِ أو [من] سيفِها المسنونِ
واتركْ ملامةَ مغرمٍ فـي حـبِّ مـن ... أغنـتْ محاسـنُه عـن التحسـينِ
رَشَأٌ أغنُّ غضيضُ الطرف لم يـزلْ ... يـأتي بـسحرٍ مـن رنـاه مبـينِ
ستر الضحى من شَعْرِه بدجًى كما ... كشف الـدجى منه بـصبح جبينِ
وتـراه منتـصبَ القـوامِ ولـم يـزلْ ... عـن ضـمِّه ينهـى بكـسر جفـونِ
وإذا مـشى مـرَّ النـسيمُ بعِطْفـه ... فيكـاد يَلويـه لفـرطِ اللِّـينِ
نابـت عـن الـصهبا سـلافةُ ريقِـه ... وخـدودُه أغنـت عـن النـسرينِ
مـا مـال كالنـشوان تيهًـا عِطفـه ... إلا وفـي فيـه ابنـة الزرجـونِ
وتـرى الـذي أرداه صـارمُ لحظِـه ... يحيـا برشـف رُضـابه فـي الحـينِ

فلِحاظُه فيها المماتُ وريقُه ... ماءُ الحياة لمغرمٍ مفتونِ

يا شادناً شاد الغرام كناسَه ... في مهجتي لا في ربا بين[1]

لك في فؤادي موضعٌ وحشاشتي ... لك مرتعٌ والوِرْدُ ماءُ عيوني

يا من له الخدُّ الأسيل ومن له الطـ ... ـرفُ الكحيلُ وحاجبٌ كالنونِ

ما زلْت مغرّى بالخلافِ لشافعي ... يا مالكي ويقول لا ترديني

ويلاه من لا في الجواب وكربِها ... يا كربَ لا أرضيت قتل حسينِ

لمَّا تحملت الغرامَ أقام في ... جفني السقامُ وسال ماءُ شؤوني

يا من يدومُ على البِعادِ أما ترى ... قد حلَّ بي من ذاك ما يُضنيني

زفراتُ مشتاقٍ ولوعةُ عاشقٍ ... وحنينُ مذكر ودمعُ حزينِ

ورضيتُ قتلي في هواك ولم أقل ... أكذا يُجازى ودُّ كلِّ قرينِ

تضمينٌ لمطلع قصيدة صدر، وبعده أم هذه شيم الظباء العين.

قوله: ويلاه من لا في الجواب... البيت، هو كقول الفيومي في مليحٍ اسمُه حسين:

جعلت جفني واصلاً والكرى ... راء فجدْ بالوصل والوصلُ زَيْنُ

ولا تُجبني عن سؤالي بلا ... فالقلبُ يخشى كربَ لا يا حسينُ

ومن لطائفه: قوله مضمناً، مع زيادة التورية في شخصٍ يلقب بـ: أخا الحوائج:

---

(١) كذا في الأصل، فالشطر الثاني غير موزون.

سلوانُ قلبي عن هوى من لقبوا بأخا الحوائج ما إليه سبيلُ
عجبًا له ما ملَّه ذو مقلة وأخو الحوائج وجهُه مملولُ

وقوله مضمناً، مع زيادة التورية:

وريمٍ غريرٍ بالجميل مولَّعٍ تناءيتُ عنه وهو يدنو ويقرُبُ
وقبلته في الخدِّ سبعين قبلة وكل امرئٍ يولي الجميلَ محبَّبُ

واستعمال التحبيب بمعنى التقبيل شائعٌ، وبه حسنت التورية.

ومن غاياته: بيتٌ جعله أولاً للبيت الثاني من بيتي ابن عباد، وهما:

قال لي إنَّ رقيبي سيءُ الخُلق فدارِهْ
قلتُ دعني وجهُك الجنةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ

وهو قوله:

زارني المحبوب لمّا دار مسودُّ عذارِهْ
قلتُ دعني وجهُك الجنـ ـةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ

وكتب ملغزاً إلى القاضي العلامة عماد الدين يحيى بن الحسن الحيمي:

قل لعمادِ الهدى الجليلِ ومَنْ كاد لفرط الذكاء يلتهبُ
ما سائحٌ في البلاد ذو قلقٍ ما إن له في وقوفه أربُ
يتابع الخِضْرَ في شريعته فاعجبْ له إن أمره عجبُ
إذا التقته السفين يخرقُها وهو لعمرِ الغلامِ ينتهبُ
لكنه في الجدار خالفَه يزلزلُ الجدرَ وهو منتصِبُ

مـا زال مـا سـار فـي تقلُّبـه وهـو علـى ذاك لـيس ينقلـبُ

فأجابه بقوله:

يا شـرفَ المكرمـاتِ نظمُـك قـد وافـى إلينـا وكلُّـه نخـبُ
منـسبكُ الـنظم فـي فواصـلِه كأنمـا الـشهدُ فيـه منـسكبُ
مثـلَ عقـود الجمـان فـي نـسق تعجـز عـن صـوغ مثلـه العـربُ
جـاء علـى غِـرَّةٍ فـأذعرني كالـسيلِ لكـن ضـربُه ضَـرَبُ
فهـو الـذي أخـربَ الجـدار كمـا إذا لقتـه الـسفينُ تـضطربُ
وهو الـذي سـار فـي الـبلاد فـلا تُنـيخ لـه فـي موضـع نُجُـبُ
وهـو لعمـرِ الغـلامِ منتهِـبٌ أيـضاً وللكهـل ضـل ينتهـبُ
وشِـرعةُ الخـضر إذ يمـرُّ بهـا طريقُـه إن أمـره عجـبُ
وهـو مـدى الـدهر فـي تقلُّبـه ولـيس قلـبٌ لـه إذا قلبـوا

قلت: سبقـه إلى هـذا اللغـز النصيرُ الحمـامي، فقال مسائلاً للسراج الوراق:

لترشـدني شـيئاً بـه ترشـد المنـى له قلب صـم كـم فـؤادٍ بـه صَـبُّ
إذا ركـبَ البيـداءَ يخـشى وتبقـى فلم يثنه طعـنٌ ولـم يثنـه ضـربُ
بقلـبٍ يهـدُّ الـصخرَ عنـد لقائِـه ومن أعجبِ الأشياء ليس له قلـبُ

ومن إنشائه: ما كتبـه جواباً عن كتـابٍ أنشأه الأديـب يوسف بن علي الهادي الكوكباني، عن عمه أوحد الكبراء، وأجلّ الوزراء، عبد الرحمن بن الهادي، وهو سماء بلاغةٍ زَهرَتْ نجومُ بروجها، وروضة فصاحةٍ نَجَمَت زهورُ

مروجها، وردت إلي بأنفاسها اليوسفية، ونسماتها النَّدِيَّة النَّدِّيَّة، من مقام مَن اشتدَّ بوزارته أزرُ الإمارة، وظهرت على محبته وصدق مودته الأمارة، ذلك الماجد المكرَّم، والسابقُ في حلبتي الأدب والنسك، حتى أنسى بالكميت وابن أدهم، بهجةُ النادي، وحدقة حديقة الوادي، وجيه الدنيا والدين عبد الرحمن ابن الهـادي، لا زال مرتشفاً من النعم زلالها الصافي، متفيئاً ظلالها الظليل الضافي، ما ناحت الحمام على الهديل، وأطربت بهديرها والهديل.

وبعد: فإنه ورد منه ذلك الكتاب، الذي أزال خطوبَ النوى بلطف ذلك الخطـاب، فأقسم بالليل من سواد نفسه، وبالفجـر من بياض طِرْسـه، فقـد تعطرت به الأرجاء وتمسكت، والكفُّ التي تلمست به وتمسكت، ولقد شنف الآذان بما أودع من الجواهر والدرر، وفعل ذلك اللفظ اليوسفي في البصائر فعلَ القميص اليوسفيِّ في البصر.

فلله دَرُّ منشئ ذلك الـدر النظيم، ولـولا ذلـة اليُتم، لقلـت: اليتيم، ولعمري! إن من أجلّ فوائـد هذا السِّفر المفيدة، تطويقي بنفيس تلك الدرر الفريدة، وأسأل فالقَ الحب والنوى، أن يهبني أسبابَ الإياب، ويقطع أسباب النوى:

لولا مفارقةُ الأحباب مـا وجـدتْ   لهـا المنايـا إلـى أرواحنـا سُـبُلاَ

وقد قابلني بحصى هـذا الجـواب، دررَ ذلك الابتدا، ولو لزم استواء لفـظ البادي والمراجع، لما سمي جواباً رجعُ الصدى، فعلى صاحب ذلك الكتاب وكاتبه، أزكى سلام السلام وأطايبه، ودعاؤهما مستمدٌّ في آخر شهر الصيام، سيما بالتوفيق وحسن الختام. انتهى.

[٩٣٠] المولى حسين بن عبدالله القزويني ثم الدمشقي.

سلك عند المولى عبد الغفور الساوجي أولاً، ثم وصل إلى خدمة الخواجة محمد إسلام الجويباري، بمرو الشاهجان، وأخذ نسبة الطريق منه، ثم لما كثرت فتن الرافضة، انتقل نحو الشام، سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة، واستوطن بدمشق، عند سوق القاضي، مشتغلاً بتزكية نفسه، إلى أن توفي بها سنة عشر بعد الألف.

[٩٣١] حسين بن عبد النبي بن الزين، الحلبي الأصل، الدمشقي المولد، الحنفي، المعروف بابن الشَّعَّال[١].

كان أبوه كبير الوَقّادين بالجامع الأموي، وكان بيده خدمة ضريح النبي يحيى بن زكريا ـ عليه الصلاة والسلام ـ، تلقاها عن أبيه، وكان ولده المترجم فقيهاً فاضلاً، وله في العلوم العربية سعةُ اطِّلاعٍ، ودقةُ نظر، قرأ بدمشق على مشايخ عصره، ثم ذهب إلى الروم، وتكمّل بها.

وأراد أن يسلك طريق الموالي، فلم يتيسر له، وصار إماماً ثانياً بالأحمدية، ثم صار خطيب السليمانية، وأحد عظماء القسطنطينية، وقرأ عليه جمٌّ كثيرٌ من فضلائها، منهم: العلامة أحمد بن لطف الله المنجم، وكان يثني عليه كثيراً، ويقول: هو أجلُّ شيخٍ أخذت عنه، توفي في حدود سنة ستين بعد الألف بالقسطنطينية ـ رحمه الله ـ.

[٩٣٢] الحسين بن عبدالله بن الحسين الوشلي.

صاحب «شبام حمير»، كان من أعيان السادة وعظمائهم، علامةٌ،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٩٨).

[لا]سيَّما في علوم الأدب، حظي عند الوزير جعفر باشا، وبلغ عنده المنزلة الرفيعة، وكانت أمه من سعد العشيرة، من آل نزيل.

مات في عشر الثلاثين بعد الألف.

[٩٣٣] السيد حسين بن علوي بن عبدالله بن أحمد بن عمر بن علوي الشاطري[1].

صاحب الصدقات النامية، والتفضلات الفاشية، والخيرات الباقية، والباع الطويل، والقدر الجليل، خلاصةُ أهل الكرم، والمعروف بمحاسن الأوصاف والشيم.

وُلد بمدينة «تريم»، في صفاء ونعيم، وحفظ القرآن، واتصف بالأوصاف الحسان.

ثم رحل الرواحل، وسارت به السفن والرواحل، وسافر أولاً إلى السواحل، ورحل إلى زيلع، وسواكن، وجال في البلاد المشهورة والأماكن، وكان يتعاطى أمر التجارة، ويكثر الحج والزيارة، وكلما دخل بلداً من البلاد، صحبَ من بها من العلماء والزهاد، والصلحاء والعباد، وكان يحبهم محبة شديدةً، ويكرمهم بالعطايا العديدة.

ولما قضى آماله من الأسفار، والتنقل من ديارٍ إلى ديار، رجع إلى وطنه تريم الغنَّا، وألقى عصاه، واستقر به النوى، وزهد في الدنيا، وكان يلبس الثياب الفاخرة، من غير سمعة ولا مفاخرة، بل عملاً بقوله ﷺ: «من أنعم الله عليه

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٣٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٧٨).

نعمةً، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، وفي رواية: «ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً، إلا وهو يحب أن يرى أثرها عليه».

وكان طارحاً رداء التكلف عن كتفيه، جاعلاً الآخرة نصب عينيه، ملازماً لداره، لا يخرج إلا لزيارة صاحبه أو جاره، وربما اعترضوا عليه، في عدم حضور الجماعات، وعدم إظهاره الطاعات.

توفي ـ رحمه الله ـ سنة إحدى وستين بعد الألف.

[٩٣٤] السيد حسين بن عبدالله بن شيخ ابن الشيخ عبدالله العيدروس[1].

الشيخ الذي فاق أقرانه، وعرفوا فضله ومكانه، ذو الكرم العريض، والجود المستفيض، والمكارم التي أبدَ الدهر لا تبلى، والمجد الذي يعلو ولا يُعلى، حميدُ الأوصاف، ونخبة السادة الأشراف، وُلد بمدينة تريم، سنة ثمان وثلاثين وتسع مئة، واجتهد ودأب، وتمسك بعرا الفضائل والأدب، واتبع السنة النبوية، واقتفى الآثار المصطفوية، في دقيق الأمور وجليلها، ويأخذ نفسه بفضائل الأعمال دون مفضولها.

تخرج بأبيه، وأخذ عن السيد شيخ أخيه، وغيره من العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، ولبس الخرقة الشريفة منهم، وأجازوه في الإلباس، وانتفع به كثير من الناس، وجدَّ في الاجتهاد، وقُصد من سائر البلاد، وكان يكرم الوافدين، ويكسو العارين، ويؤمن الخائفين، ويحسن للفقراء والمساكين.

وله جاهٌ عظيمٌ عند الأكابر، لا سيما أرباب السيوف والدفاتر، يقابلونه

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٣٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٦٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٩٤).

بالتعظيم، والتبجيل والتكريم، وكان مشغولاً بذكر الله، في سره ونجواه، حتى أتته الوفاة سنة ثمان بعد الألف بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[٩٣٥] الملا حسين الخلخالي[١].

أحد المشاهير المحققين، والعلماء العاملين، وكان حجةً في العلوم العقلية، لجةً للعقائد السنية، رحلةً للعلماء الأنجاب، قدوةً للطلبة أولي الألباب، ذا علومٍ أعلامُها لامعة، وفنونٍ أفنانُها يانعة، ورسائلَ أزهارُها أنيقة، وكتابةٍ هي السحر الحلال على الحقيقة، ومؤلفاتٍ جمعها فريدة، وحواشٍ معناها بديع، ومداها بعيد.

أخذ عن العلامة حبيب الله الشهير بمرزا جان الشيرازي، وكثير، وعنه أخذ عبد الكريم بن سليمان بن عبد الوهاب الكوراني.

له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «أثبات الواجب»، و«حاشيةٌ على حاشية العصام»، و«حاشيةٌ على شرح هداية الحكمة للميبدي»، و«حاشيةٌ على الجغميني في الهيئة»، و«حاشيةٌ على البيضاوي»، وله حاشيةٌ على شرح العقائد العضدية سماها: «تتمة الحواشي في إزالة الغواشي» فرغ منها في شوال، سنة ثلاث وثلاثين وألف ببخارى.

[٩٣٦] السيد الحسين بن محمد بن يحيى بن أحمد بن عجلان بن سليمان بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٢٢)، «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٥).

الحسن الملقب: زعيب الأصغر بن علي بن عبدالله الملقب: زعيب الأكبر ابن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي[1].

كان سيداً فاضلاً، من أئمة العلوم الإسلامية، ومن المشايخ الذين ألحقوا الأصاغر بالأكابر، أخذ عن السيد الحسن بن شرف الدين، وعنه: القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري، **وتوفي** بحدة بني شهاب، أمام حصار صنعاء، في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة، عام سبعة وثلاثين وألف.

[٩٣٧] الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر الضمدي النعماني.

كان من أدباء الوقت، واسع الإملاء للأدبيات على أنواعها وأجناسها، ومن أهل الوقار، والتأني والرجاحة، وله فصاحةٌ وبلاغةٌ، كأنما يملي من صحيفةٍ، لقي المطهرَ بنَ علي النعمان، وكان يراسله بالفوائد إلى صعدة، ولقي العلامة عبد العزيز النعمان الضمدي، وكان من كملة الرجال، ألمعياً ذكياً.

له أشعارٌ كثيرةٌ، منها إلهيات، ومنها نبويات، **فمنها: قوله:**

يا من يُقيل عِثارَ المذنبين أقِلْ عثارَ عبدٍ به قد زلَّتِ القدمُ
قد قلتَ يا ربِّ ادعوني أستجبْ لكم فقد دعونا سميعًا ما به صممُ

ومنها:

ماذا أقول لربي حين يسألني عند الحساب ونارُ الله تضطرمُ
وقد أتيتُ بذنبٍ ما يطيق على حملٍ له يَذْبلٌ كلاً ولا لُقَمُ

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣٨٨) (٢٢٣).

[٩٣٨] الحسين بن محمد بن إبراهيم بن محمد الفقيه بن أحمد الشهيد ابن الشيخ المشهور الفقيه العلامة عبدالله بافضل بلحاج الحضرمي[١].

مؤلفُ «المختصر» الذي شرحه العلامة الشهاب أحمد بن حجر بن عبد الرحمن ابن الفقيه أبي بكر بن محمد بلحاج بن عبد الرحمن ابن الفقيه عبدالله ابن يحيى ابن القاضي أحمد بن محمد ابن الفقيه فضل بن محمد بن عبد الكريم ابن محمد، هذا ما وجد من نسب أبي فضل، ولم يعلم إلى أين يرجعون.

وفي الظن: أنهم يرجعون إلى قحطان؛ لأن غالب عرب اليمن من قحطان، ونقل الثقة عن الولي العارف بالله فضلِ بنِ عبدالله، صاحبِ الشحر: أنهم يتصلون بسعد العشيرة، ونسب سعد العشيرة مذكورٌ في سيرة ابن هشام، وغيرها من كتب السير والتواريخ والنسب.

وفي «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» للملك الغساني: سعد العشيرة هو ابن مذحج ـ بالذال المعجمة ـ ابن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود ـ عليه السلام ـ بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ بن لمك[٢] بن متوشلخ بن أخنوخ[٣] بن أنوش ابن شيث بن آدم ـ عليه السلام ـ.

ومذحج هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «مذحج هامة العرب

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٣٤٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٥٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١١٣).

(٢) في الأصل: ملك.

(٣) في الأصل: أخونخ.

وغلصمتها»، وقيل: إن آل فضل ينسبون إلى بني هلال. انتهى.

وُلد سنة تسع عشرة وألف، بمدينة الشحر، من أرض حضرموت، وبها نشأ، وقرأ القرآن على عمه الفقيه أحمد بن إبراهيم بافضل، ثم حفظه بعد ثلاثين من عمره، بمدينة اللحية، من أرض اليمن، وقرأ في الفقه ببلده على جمعٍ من الشيوخ، من أجلهم: السيد شيخ الحفري باعلوي، وحصل منه ما يكفيه في أمر معاشه ومعاده.

وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من جمعٍ من الأكابر، منهم: السيد العلامة سالم بن أحمد بن شيخان باعلوي، والقطب الرباني السيد محمد بن علوي، والشيخ العارف بالله أحمد بن محمد القشاشي، والشيخ مهنا بن عوض بامزروع الحضرمي، وغيرهم من أكابر السادة العلويين، والشيوخ العارفين.

وكان في بدء أمره من التجار الأخيار، الواردين إلى مكة في كل عامٍ من الأقطار، واستمر على ذلك سنين عديدة، ثم أقام بمكة على خيرٍ وفي خيرٍ، ملازماً للجماعة بالمسجد الحرام، تاركاً ما لا يعنيه، واجتمعت به بمكة، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ورأيت فيه خصالاً حميدةً، منها: النصح لمن يجتمع به، وسلامة الصدر، وخوفُ الله سبحانه، ومنها: أنه لا يخشى في الحق لومة لائم، ويقول الحق ولو على نفسه.

وكان ـ رحمه الله ـ معتقداً للصوفية اعتقاداً جميلاً، مصدقاً بجميع ما يتكلمون به، وقد قال الجنيد: التصديق بعلمنا هذا ولايةٌ، وقال: إذا رأيتم الرجل معتقداً للصوفية، فاطلبوا منه الدعاء؛ فإنه مجاب الدعوة، وكفى بأبي القاسم شاهدَ حقٍّ وصدق.

وكان قائلاً بوحدة الوجود، التي عليها أكابر أهل التحقيق والشهود، ذائقاً لما ذاقوه، وله فهمٌ حسنٌ في عبارات القوم ـ نفع الله بهم ـ، وغالب مطالعته في كتب المحقق الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ـ قدس الله روحه ـ(١).

ولما ورد حاجاً إلى مكة العارفُ بالله السيد عبدالله بن علوي الحداد باعلوي، سنة تسع وسبعين وألف، لازم خدمته، وأكرم مثواه، وتلقن منه الذكر، ولبس الخرقة، وتكمل به، واشتد كَلَفه بمطالعة كتب القوم، وجعله السيد نقيباً على طائفته مدةَ إقامته بمكة.

وتوجه معه للمدينة الشريفة، وحصل له مرضٌ أشرف فيه على الموت، فكُشف للسيد ـ نفع الله به ـ: أن أجله قرب، فاستوهب له من أصحابه، ووهب لـه شيئاً من عمره كلٌّ على حسب ما وهب، وكتب الجميع في رَقٍّ، وتوجه متشفعاً للنبي ﷺ في ذلك، فقبل، وعوفي الشيخ حسين من حينه، وعاش تلك المدة الموهوبة ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٣٩](٢).

ثم توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ختام شوال، سنة سبع وثمانين بعد الألف بمكة، ودفن بالشبيكة، تحت قبة العيدروس.

ونظم تائيةً حسنةً على طريقة ابن الفارض ـ نفع الله به ـ مطلعُها:

---

(١) وهذا من البلاء أن يُمدح المرء بالبعد عن أصل الشريعة، ويُوصف بالزندقة، ويُميز بأنه من أهل الزيغ والباطل، نسأل الله السلامة في الدين، ونعوذ به ﷻ من الخذلان في الدنيا والآخرة.

(٢) وهذا القول إفتراء وبهتان على الرب سبحانه وتعالى، وعلى رسوله ﷺ، في زيادة عمر فلان أو نقصه، غفر الله للمصنف ورحمه في إثبات هذه الخرافات في كتابه.

بعثتُ غرامي حادياً للأحبَّةِ   يحثُّهم شوقًا إلى عز عزةِ

ومنها قوله:

مظاهرُ أعيانِ الكيانِ تصوَّرت   وجوداً بلا عين على العدميَّةِ
ومن عجبٍ أني أرى الكون ظاهرًا   وليس له عينٌ سوى المظهريَّةِ
في طيِّهِ قد كان في العلم مجملاً   وفي نشرِه وافى بكلِّ عجيبةِ
ومن أعجبِ الأشياء علمي بأنه   كصورةِ ماءٍ في سرابٍ بقيعةِ
فما غيرُ شمسٍ أشرقتْ في مغيبها   ومغربُها قد غابَ في المشرقيةِ

وكتب عليها حواشيَ مفيدةً، جمعها من متفرقات كتب القوم، وطالعتها معه كثيراً، ثم خطر له خاطرٌ، فحرقها بالنار، وكان قد اشتد به المرض، وأخبرني أنه لما أحرقها، عوفي لوقته ـ رحمه الله ـ.

ولما توجهت إلى مصر سنة خمس وثمانين وألف، بعد أن كنت مجاوراً بمكة من سنة ثمانين، وكان منزلي في مكانٍ عنده بالشبيكة، شغلت عن مكاتبته لأمورٍ عرضت لي بمصر، **فأرسل إليَّ من مكة كتاباً مطلعه:**

لا تحسبنَّ البعدَ أنساني الهوى   فإذا نسيتُكم فمن ذا أَذكرُ
يفني الزمانُ وحبُّكم لا ينقضي   وعلى محبتكم أموتُ وأُحشر

وله نظمٌ كثيرٌ.

ومما أنشدني من شعره ـ رحمه الله ـ قوله:

بدا لي سنا نجدٍ فغابت نجومُه   فأفنى وجودي في شموس همومُهُ

وأبقانيَ الوصفُ الشهوديُّ فانياً وأحكامُ رسمي قد محتها رسومُهُ
إذا أنا لم أفنى ولم أكُ بالذي أحاط به المعنى فإني عديمُهُ
معانيه في المجلى تعاظمَ قدرُها ويحظى بها من كان حقّاً عظيمُهُ
شهوداً وعرفاناً تراكم فيضُها على من سقاه الوجدُ كأساً يقيمُهُ
شرابٌ قديمٌ ذو نعيمٍ معجلٍ وساقيه قد أسقى الندامى نعيمُهُ
هو الذوقُ للمشروب فاعلمْه يا فتى فمن ذاق ذاك الشربَ فهو عليمُهُ
بعلمٍ قديمٍ وهو في الخلق حادثٌ ومن حضرة الأسماء كانت علومُهُ
علومٌ لها في كل روح سرايةٌ كنورٍ أضاءت في الدياجي نجومُهُ
هو الشمس للأكوان والشمسُ بدرُه بل الرَّوحُ للأرواح طاب شميمُهُ
تفرق في الأرواح من غير قسمةٍ كوصف تجلَّى في حديث قديمُهُ
سقاه حيّا مثلُ النسيم إذا سرى لإحياء روض قد سقاه غيومُهُ
إذا هبَّ ذاك الفَوْحُ من جانب الحمى وفاح له أنفاسُه ونسيمُهُ
تنشقتُ أنفاسَ النسيم بوصفة لأحظى بوصف فارقته سَمومُهُ
وأسعى بروحي والغرامُ يحثني إلى روح روح الروح وهو غريمُهُ
وما لي مرامٌ غير نفسٍ أسومُها بسوق حياض الموت وهي ترومُهُ
على نفسه فليبكِ من ضاع عمره وليس له إلا الهمومُ تسومُهُ

وقوله رحمه الله:

لمعتْ لنا أنوارُ ليلى واعتلَتْ ثم انثنتْ تدنو إلينا واختفتْ
وتحجَّبت في حسنها وجمالها من أن يراها ناظرٌ أن لو بدتْ

هـذا الـوفيُّ بعهـدها لمـا دنـا		أرخت خماراً فوقهـا واسـتصونَتْ
وكـذا الفقيـهُ المـدعي لمـا أتـى		أرخت حجاباً دونـه واسـتكمنَتْ
وأتـى الغبـيُّ بجهلـهِ عـن نفسه		لم يدرِ ما أسـدت لـه أو أسـدلَتْ
والكـلُّ مـنهم قـد قَـرا مكتوبَـه		في لم يكن أو هل أتى أو هل أتتْ
قد أسلفتْ فيما مضى أن لا تـرى		لكنهـا قـد أخلفـتْ مـا أسـلفتْ
ظهرتْ فأفنتْ مـا سـواها وانتفـى		مـا كـان غـرّاً يـا فتـى لمـا دنَـتْ
أفنـت نفوسـاً أنـشأتها للبقـا		ثـم انثنـت تُبقـي بهـا مـا أنـشأتْ
يـا حبـذا ذاكَ الفنـا فـي ذاتهـا		فهـو الـذي يُبـدي لنـا مـا بـدلَتْ
من لم تذقْ طعـمَ الفنـا مـن ذاتـه		ما شمَّ منهـا نفحـةً حـين اجتلَـتْ
ما في الوجود سوى الذي قد عمَّنا		ظهـراً وبطنـاً قـدَّمت أو أخـرتْ
قـد أبـرزت أعياننـا فـي عينهـا		كالعين للبحـر المحـيط تـسورَتْ
بحـرٌ لهـا مـن غيـر مـوج جمعـه		والجمعُ فرق إن ثبت أو مـا ثبَـتْ
يا سابحاً فـي بحرهـا انظـر تـرى		عينَ الوجود ببحرها قـد أبـصرَتْ
أهـوتْ لعبـد نورَهـا فـرأى بـه		شمساً لهـا فـي ذاتـه قـد أشـرقَتْ
اللهُ أكبـــرُ هـــذه أســـرارُها		لمعـتْ لنـا أنوارُهـا لمـا اختفـتْ

[٩٣٩] الحسين بن محمد المغربي[١].

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٦٢٠) (٢٠٢)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣٩٦) (٢٣١)، «البدر الطالع» (١/ ٢٣٠)، «هدية العارفين» (١/ ١١٣)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٣٧٦).

قاضي صنعاء وعالمها، الحاكم الذي ليس لـه عن المعـدلـة عدول، والعالم الذي هـو بين معالم الإنصاف يجـول، والخبيـر بمشكلات النقض والأحكام، ذو وقارٍ وسكينةٍ، ومهابةٍ أركانها مكينـةٌ، وصمتٍ وصَبْرٍ وحلمٍ يقابل المسيء بالجَبْر، وسيرةٍ سريةٍ، ومباشرةٍ من العيوب عريـةٍ، وقيامٍ في مصالح الرعية، ومعرفةٍ بعلل المكاتيب الشرعية.

قرأ على مشايخ كثيرين، منهم: القاضي العلامة عبد الرحمن الحيمي، ومن في طبقته، وعكف على التدريس والإفادة، مع مباشرة القضاء، وملازمة العبادة، اجتمعتُ به بصنعاء، وترددت إلى مجلسه، واقتبست من فوائـده، وقرأت عليه طرفاً من شرحه المسمى بـ: «بدر التمام على الإلمام» لابن دقيق العيد، وأجازني به، وببقية مؤلفاته ـ أمتع الله بحياته ـ.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ألـف ومئـة وتسع عشرة بصنعاء، ودفن بحريمه.

[٩٤٠] حسين بن محمد بن علي النمادي المالكي.

كان من علماء مصر، الصارفين جميـع أوقاتهم في بث العلم وطلبه، والمشهورين بالطهارة في الدين والدنيا، والفقه والصيانة، والتقوى والأمانة، وكان لقلة كلامه تكاد تعد كلماته، قرأ على: البرهان اللقاني، ومن عاصره، وقـرأ عليـه خلقٌ لا يحصون كثرةً، منهم: شيخنا منصور الطوخي، وأحمد البشبيشي.

توفي في نيف وستين بعد الألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٩٤١] الحسين بن محمد بن الحسن بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد الحجاف.

جامعُ أشتاتِ المحامد، كريم المصادر والموارد، زاكي الأعراق، طاهر الأخلاق، كان فيه من حدة الفهم والذكاء ما لا يوصف، وله معرفةٌ جيدةٌ بالعربية.

توفي سنة تسعين وألف، وعمره نحو خمس وثلاثين سنة بمدينة حَبُور - رحمه الله تعالى -.

من شعره قوله:

بالله يا بدري أهذا الجفا ... أنت مجدٌّ أم ماجنُ

غدوتَ لا تنطق باسمي قِلًى ... كأنما اسمي أَلِفٌ ساكنُ

[٩٤٢] حسين بن مهنا الحلبي.

أحد الأدباء، وأوحد الظرفاء، له محاسن أخلاق، وسلامة طبعٍ وحسن اتفاق، وكان بينه وبين جدي العلامة الحسين بن ناصر المُلاّ مودةٌ أكيدةٌ، ومحبة شديدةٌ، وله شعرٌ تطرب له البلابل، وتعجب به الأفاضل.

منه قوله:

أنسيمةً بالطلِّ تَندى ... بالله إن وافيت نجدَا

فتجمَّلي للقا الحبيـ ... ـب وشمِّري بالجد بُردا

وتحمَّلي في طيِّه النشـ ... ـري النديَّ عدمتِ مندا

وتعهَّدي بثَّ الهوى ... بل يمِّمي في السير وَخْدا

وإذا إلـــى الـــشهبا وصلــــــ ـــــتِ وفــاح عطــر النــاد نَــدًّا
أَدِّي أَلوكـــــــةَ مغـــــــرمٍ مـــا خـــان للأحبــاب عهـــدا
واســتقبلي المــولى العلــيَّ الـــ ألمعـــــيَّ النـــدبَ المفـــدَّى
مَـــنْ بحــرُه المـــوجيُّ قـــد أهـــدى لجيـــد الـــدهر عِقـــدا
راقِ ســـــــماءَ فــــــضائل قـــد حلَّهـــا مجـــداً وســـعدا
فـــإذا انتـــضى عَـــضْباً يكـــنْ عنـــقُ العـــدو لـــذاك غِمـــدا
وإذا جــــــرتْ أقلامُـــــــه أثنـــت عليـــه الخلـــقُ حمـــدا
فـــي أيِّ فـــن لا يفيـــد لكامليـــه هـــدًى وقـــصدا
وبـــأي علـــم لا تـــراه محققـــاً فـــي الفهـــم فـــردا
حــاز العــلا وبــسيره لــذوي الــ ـــــفواضل جـــاز حـــدا
مـــولاي طيـــبُ العـــيش أيـــ ـــن بظلكـــم والـــصفو يهـــدا
ولياليـــاً مـــرَّتْ ومـــر الـــسهدُ قـــد أقنـــاه شـــهدا
مـــن يـــوم فـــارقَ نـــاظري ذاك الجمـــالَ عـــدِمْتُ رشـــدا
وبقيـــت فـــي قـــوم يـــروا كلـــبَ الغنـــي يفـــوق أُســـدا
غفلـــوا ومـــا عقلـــوا فلـــي عـــن حـــبهم مـــسرًى ومعـــدا
لـــذوي المعـــالي والمعـــا رف والكمـــال أجـــدُّ جـــدًا
فـــأحوزُ مـــا ينـــال بـــه الـــ ـــــفتى شـــرفًا ومجـــدًا
لكـــن أيـــن العندليـــ ـــب رقـــى مـــن الأفنـــان مُلْـــدا
غنَّـــى لـــه لمـــا ســـقى فـــي دورة الـــدولاب وَجْـــدا

فـــــشدا علـــــى ورد الريـــــا	ض فـــأحرقَ الأحـــشاءَ وَقْـــدا
ورأيـــــتُ ذاتَ الطـــوق أبـــــ	ـــدتْ مثـلَ مـا قـد كـان أبـدى
أتـــــرى الزمـــــان يعيـــــدني	فـــي عـــودِ مَـــنْ نهـواه رِفْـدا
يـــا دهـــرُ خـــذ روحـــي إذا	بـــشَّرتني سَـــلَفًا ونقْـــدا

وقوله:

ولمـا رأيـت الحـب قبَّـل وجهَـه	خمـارٌ ومنـه نـالني الـصدُّ والعنـا
فأرسلتُ للمحبوب محرمةً غدت	تقبِّـلُ منـه الوجـهَ عنـي بـلا عَنـا

[٩٤٣] الحسين بن أحمد بن صلاح الوشلي.

هو فيما كتبه إليَّ القاضي الحسين ذو أدبٍ رائقٍ، وفضلٍ فائقٍ، ومحاسن سائرة، ومكارم ظاهرة، وأبوه ـ المتقدمُ ذكره ـ من أدباء الدهر وبلغائه، ومن ذوي الكفاية والرياسة، في اليمن الميمون وأنجابه، وسيأتي ذكر عمه، وما تولاه من الأعمال الكبار، وما له من رائق الأشعار.

ومن شعر حسين المذكور. . .[1].

[٩٤٤] الحسين بن قاسم الدرعي الدوري المغربي المالكي[2].

قال النجم الغزي في «الذيل»: قدم دمشق مع محمد أمين الدفتري من بلاد الروم، وكان الدفتري يعظمه، ويصفه بالفضيلة، فلما اجتمعنا به، وجدناه

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر الشعر».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٠٩) (١٥٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٠٢).

كما وُصف، فاضلاً علامةً، يعرف العربية بأنواعها، ويحفظ كثيراً من المتون، ويذكر أخبار علماء المغرب، من أقرانه فمن قبلهم، ويستحضر وقائعهم.

ثم خرج من دمشق حاجاً، ثم قطن بمدينة العُلا، في طريق الحج الشامي، وأحبه أهلها، وأقبلوا عليه، وجعلوه إماماً لهم وخطيباً، ومعلماً لأطفالهم، ومفقهاً لهم، على مذهب الإمام مالك؛ لأنهم مالكية، ثم إنه خرجت عندهم عين ماءٍ قريبة من البلد، فخرج إليها المترجم، فوجدها صالحةً يمكن وصولها إلى العُلا، فساعده أهلها حتى أجرَوْها إلى أرض هناك، وخصُّوه بها، ورأوا أن ذلك من بركته، ثم أحيا بها أراضي كثيرة.

قال النجم: حدثني المترجم، قال: حدثني محمد بن العجمي البخاري قاضي جبلة وزبيد باليمن، قال: سألت ولي الله محمد بن العجل اليمني، فقلت له: قد تزايد ظلم الأروام، وتجاوز الحد، فقال لي: قلتُ للشيخ شهاب الدين أحمد البَرْهَمْتُوشي الحنفي علامة مصر ما قلتَ لي، فقال: أنكرتُ، فذهبت إلى الدفتردار، فكتب سائر المظالم، وسافرتُ إلى السلطان سليمان خان، فبينا أنا في حلب، سمعت هاتفاً جالساً في الهواء على كرسي يقول لي:

إذا نحن شئنا لا يدبر ملكَنا ... سوانا ولم نحتج لشخص يدبِّرُ
فقل للذي قد رام ما لا نريده ... وحاول أمراً دونه يتعذر
لعمرُك ما التدبير إلا لواحد ... ولو شاء لم يذهب بمكةَ منكرُ

قال: فرجعت، وسلمت الأمر إلى الله تعالى.

قال النجم: وأنشدني المترجم بالعلا لعبد الرحمن بن علي العُنّابي، من أفاضل المغرب، وعنابة من أفريقية، وكان يريد بذلك: أنه وإن حصل له بالعُلا

تمام النعمة، إلا أنه في بلدةٍ صغيرةٍ ليس بها عالمٌ يعرف قدره:

المـرءُ فـي سـوق الزمانـة سـلعهْ يغلـو ويـرخُص بقـدر البقعـهْ
يا مـن يلـومني علـى سكن درى فلا تقـل لِمـا جـرى كيـف جـرى

قال النجم: وأنشدني لنفسه:

أرى غارةَ الأقـدار للمـرء لاحقـهْ ولو فـرَّ منهـا راكبًـا متنَ شـاهقهْ
وما خـط فـي أم الكتـاب تـسوقُه إليـه المقـادير التـي هـي سـابقهْ
فلا ذاق من صاب التغرب من بكى علـى مغربـيٍّ ضـاع بـين مـشارقهْ

أشار إلى فقد أقرانه.

ثم سافر من العُلا إلى الروم، فغرق ببحر القلزم، وهو متوجه من جدة بمركب الخاسكية، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وساقت إليه المقادير ما خط في أم الكتاب ـ رحمه الله ـ.

[٩٤٥] حسين بن عبد الملك العصامي المسكي[(١)].

أديبٌ روضُ أدبه مثمرٌ، وليلُ مداده ببدر بيانه مقمر، جمع فنون الأدب، وحفظ مقامات الحريري عن ظهر قلب، فبلغ من فنون البلاغة المراد، ونظم ونثر ما أراد، وحسن إنشاؤه وقريضه، وودان له من الكلام طويلُه وعريضه.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وأخذ عن والده الفنون العلمية، حتى ظهر فيها بمنزلةٍ عليةٍ.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١١٧) (٢٨٣)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٧٦).

ومن شعره: قوله مقرظاً لرحلة السيد محمد كبريت:

جُمعت في رحلة أنشأتها أدباً ... وكان من قبلُ فيه أيُّ تشتيتِ
وقد أقرَّ لك الراوون حين بدتْ ... تميس في حُلَّتَي دُرٌّ وياقوتِ
لا تعجبوا إن جلتْ عنكم غياهبكم ... فإنها جذوةٌ من نار كبريت

وهو والد صاحبنا أديب الحرمين في عصرنا عبد الملك العصامي، وستأتي ترجمته.

توفي المترجم بالطائف عام خمسة وستين بعد الألف.

[٩٤٦] الحسين بن الحسن الشامي الأخفش[(١)].

من أولاد الإمام الكبير يحيى بن المحسِّن، كان هذا السيد أعجوبةً في الذكاء والفضل، له فهمٌ وقّادٌ، وطبعٌ منقادٌ، وإقبالٌ بتحصيلٍ، واقتناعٌ من العاجلة بالقليل، وله رسائل ومسائل ووعظيات.

ومن مؤلفاته: «إعلام الأعلام بإشكال محاجة آدم وموسى ـ عليهما السلام ـ».

مات سنة ثلاث ومئة وألف بكوكبان.

ولسيدنا العلامة عبدالله بن علي الوزير فيه مرثيةٌ مطلعها:

أقضاءٌ جفَّت به الأقلامُ ... أم مصابٌ خفَّت له الأحلامُ

ومنها في وصف ما كان عليه:

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٥٤٣) (١٧٢)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ١٥٨).

وذكـاء مـا كـان لابـن دقيـق الـ ـــعيد يومـاً ببعـضه إلمـامُ

[٩٤٧] الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي[1].

قال القاضي حسين المهلا ـ أيده الله تعالى ـ فيما كتب إليَّ في ترجمته: إنه إمام علوم آل محمد، الذي اعترف أولو التحقيق بتحقيقه، وأذعن أرباب التدقيق بتدقيقه، واشتهر في جميع الأقطار اليمنية، بالعلوم السنية، أخذ العلم عن والده الإمام المنصور القاسم، ولازمه حتى برع وترعرع، وأخذ عن الإمام العلامة لطف الله بن محمد بن الغياث الظفيري، وجدِّي المجتهد عبدالله بن المهلا، ولقي كثيراً من شيوخ عصره.

وله التصانيف الشهيرة «كفاية السؤال في علم الأصول»، و«شرح هداية العقول»، و«كتابٌ في آداب العلماء والمتعلمين» اختصره من كتاب «جواهر العقدين» للسيد السمهودي، وكان له الخط الحسن، الذي لا نظير لـه في أهل بيته، ثم صار في ذريته من بعده بالوراثـة، فترى حسن الخط فيهم معروفٌ[2] في اليمن، وقد شاهدت ذلك فيهم في رحلتي لليمن.

وكانت وفاته يوم الخميس، رابع وعشري ربيع الآخر، عام خمسين بعد الألف ـ رحمه الله ـ بمدينة ذمار، وبها دفن، وكان مرضه كمرض أخيه بذات الجنب، وكانت همته في جميع العلوم والكتب النافعة، وأقبل في آخر مدته على علم الحديث، حتى فاق فيه، وحضر موته ودفنه ابنُ أخيه السيد محمد ابن الحسن.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٠٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٤٦) (١٩٤).

(٢) كذا في الأصل.

وقدم المترجم إلى مكة حاجاً، سنة اثنتين وثلاثين وألف، وكانت طريقه «الحرجة»، و«الشرف»، وهو أول من حج من أهل هذا البيت، وحزمه على ذلك شيخه الشيخ لطف الله بن الغياث، ولم ير سوءاً، ومات ـ رحمه الله ـ بعد رجوعه من اليمن؛ لأنه بعد موت أخيه الحسن ولي جميع أمورها، وعُمرت عليه قبةٌ، وولي بعده السيد محمد بن الحسن.

ومن شعره قوله:

مولاي جدْ بوصال صبٌّ مدنفِ ... وتَلافَهُ قبل التّلافِ بموقفِ
وارحمْ فُديت قتيلَ سيفِ مرهفِ ... من مقلتيك طعينَ قَدٍّ مرهفِ
فامنن بحقك يا حبيبُ بزورة ... تحيي بها القلبَ القريحَ فيشتفي
أعلِمْتَ أن الصدَّ أتلفَ مهجتي ... والصدُّ للعشاق أعظمُ متلفِ
عجباً لعطفك كيف رنَّح وانثنى ... متأوِّدا وعليَّ لم يتعطَّفِ
أنا عبدُك الملهوفُ فارثِ لذلتي ... وارفقْ فديتُك بي لطولِ تلهُّفي
عرَّفتني بهواك ثم هجرتَني ... يا ليتني بهواكَ لم أتعرَّفِ
حمَّلتني ما لا أطيقُ من الهوى ... وأذقْتَني سُمَّ الفراق المدنفِ
يا مهجتي ذوبي ويا روحي اذهبي ... من صدِّه عني ويا عيني اذرِفي
هل من معينٍ لي على طول البكا ... أو راحمي أو ناصري أو منصفي
وإليكَ عاذلُ عن ملامةِ مغرمٍ ... لا يرعوي عما يرومُ ولا يفي
حاشاي أن أسلو وأنسى عهد مَنْ ... أحببتُه إني أنا الخِلُّ الوفي
قل ما تشاء فإنني يا عاذلي ... لا أنتهي لا أنثني عن متلفي

أنـا عبـدُه لا أكتفـي عـن مـالكي والعبـد عـن ملاَّكِـه لا يكتفـي
يـا قلبَـه القاسـي أمـا ترثـي لمـن قاسى هواك جوًى وطـولَ تأسُّـفِ
اعطفْ علـى قلـبٍ سـلبتَ فـؤاده واسـتَبْقِ منـه بـالنبي الأشـرفِ

[٩٤٨] السيد الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن ذريب بن عيسى الخواجي.

الذي تولى بيت الفقيه ابن عجيل، صاحب «صبيا»، كان سيداً سرياً، مقدماً كريماً فاضلاً.

توفي ثاني وعشري رجب، سنة ست وخمسين وألـف، ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٩٤٩] حسين الكَفوي[1].

أحد الموالي الرومية، المشهورين بالفضل والبراعة، قدم القسطنطينية، ولزم داود زاده قاضي المدينة، ولازم منه ودرس، إلى أن وصل إلى المدرسة السليمانية، ثم ولي منها قضاء القدس في شعبان، سنة سبعين وألف، ثم وجه إليـه قضاء مكة في شوال، سنة ثمانين وألـف، ثم عزل في صفر، سنة مئة وألف، وتوفي قريباً من عزله.

كان صاحبَ لطائف وفضائل، وهو واسطة عقد المعرفة، لم تزل لطائفه متداولةً، وأشعاره وآثاره كثيرةً، ومن تآليفاته الجليلة: «تعليقات على البخاري ومسلم»، و«شرح الكلستان بالتركية» تعرض فيه لشارحَيه: سروري، وشمعي.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٢١).

وله كتاب «فال نامه» يذكر فيه غرائب وقائع لمن تفاءل بالقرآن[1]، و«ديوان حافظ»، وغيرهما، وهو أثرٌ لطيف، وكان وقع بينه وبين نكساري زاده محاورةٌ ألف فيها رسالةً، وطعن عليه فيها، وكان في علم الموسيقا غايةً، وله أغانٍ ربطها مقبولة في عصره ـ رحمه الله ـ.

[٩٥٠] المولى حسين الكفوي.

كان إماماً بارعاً، وعالماً إلى الإفادة مسارعاً، وعارفاً لأشتات الفضائل جامعاً، ومحققاً نجمُ تحقيقه لامع، وكان محدثاً فقيهاً مجيداً، ذا خلقٍ وبراعةٍ ولَسَن، أفتى ودرَّس، وسرى في ليل الاجتهاد وما عرَّس، واقتفى أثر العلماء الأكابر، وردد قلم تآليفه بين الطروس والمحابر.

وقدم إلى مصر، ونال منها ما طلب، وأقام بها مدةً من الدهر، مجرياً في عين فضله ما يخجل البحر، ولا أقول النهر، وألف «شرحاً على البخاري» لم يكمله، ناقش فيه القسطلاني، كان شيخنا الشبراملسي يطالعه، زمان قراءته للبخاري، ويثني عليه كثيراً.

توفي سنة ثنتي عشرة وألف ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٩٥١] الملا حسين بن ناصر بن حسن بن محمد بن ناصر ابن الشيخ القطب الرباني شهاب الدين الأشقر العقيلي الحنفي الحموي[2].

---

(١) وهذا من البدع المشتهرة إلى يومنا الحاضر، أن تفتح المصحف الشريف كيفما اتفق، ثم تضع إصبعك على آية من الصفحة المفتوحة، ويكون بها الفأل المنتظر، وكل ذلك من تلبيس الشيطان الرجيم على ضعاف العقول، نسأل الله السلامة.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٢٠).

جدي أبو والدتي، الشيخ الإمام، العالم العلامة الفهامة، الجامع لأنواع العلوم، وُلد بحماة، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر شيوخها؛ كالسيد عمر بن عسكر، والشيخ نجم الدين الحجازي، وغيرهما من الأئمة الأعلام، وأجازه شيوخه.

وتولَّى بحماة المدرسة الجلدكية، واشتهر بالعلم والفضل، ثم رحل بأهله إلى دمشق، وتوطَّنها، وأخذ عمن بها من أكابر الأعيان؛ كالنجم الغزي، وغيره، ورحل إلى مصر، وأخذ بها عن البرهان اللقاني، وغيره.

وكان ـ رحمه الله ـ حسن الخَلق والخُلق، جميل الذكر، صافي القلب والفكر، صالحاً خيراً متواضعاً، عالماً عاملاً، مشتغلاً بالعلم والإفادة، مكباً على المطالعة والاستفادة، ملازماً للطاعات، وفنون العبادات، وكتب بخطه كتباً كثيرة، وجمع مجاميع لطيفة، وله أشعارٌ بديعةٌ، كنتُ وقفت على كثيرٍ منها، لكن الأيام والليالي قلبتها، وشتت شملها ومزقتها، فلا أعرف الآن مظنتها.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق، سنة اثنتين وأربعين بعد الألف، ودفن بتربة مرج الدحداح، وقبره ملاصق لقبر العلامة أبي شامة ـ رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح الجنان، وقابله بالرحمة والغفران، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان ـ.

[٩٥٢] الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ بن عبدالله بن المُهَلاَّ بن سعيد بن علي بن محمد بن علي الشَّرَفي الأنصاري الخزرجي(١).

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٧٦) (٢١٧)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٤٠٢) (٢٣٦)، «البدر الطالع» (١/ ٢٣١)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٢٩)، «نشر =

القاضي عالم الشرفين، والجامع بين الشرفين، الإمام العلامة، الذي ملك زمام العلوم، وسبق في ميـدان أهل الحفـظ والفهـوم، واستولى على الفضائل استيلاء الأهلة على المنازل، وشهد بنشر علومه العاكف والبادي، وارتوى من بحـار فهومـه الظمـآن والصادي، وانفرد في بلاده ـ بل عصره ـ بتحقيق علمَي الأصول، وتبحـر في المنقـول والمعقول، وارتوى من معين العلوم الشرعية، ووهبه الله المواهب القدسية.

واحدُ قضاة اليمن الفخام، الخبير بتمشية الأمور على قوانين الحكام، ولم تزل السيارة تتحفني بأخباره، وتنشدني من بديع أشعاره، حتى قدمـت اليمن عام أربعة وتسعين، فكتبت إليه كتاباً من اللحية إلى الشرف، أسأله فيه أن يكتب لي ما تيسر له من أخبار أئمة اليمن وعلمائه، من أهل هذا الزمان، ممن قد قضى، وممن هو باقٍ إلى هذا الأوان، ويضم إلى ذلك ترجمة نفسه الزكيـة، وأحوالـه الرضيـة، ويذكر لي شيوخـه ومروياته، وآثاره ومؤلفاته، ويجيزني بمسنداته؛ ليكون من المعاونة على البر والتقوى، وإن كنت في مثل هذا المقام لا أقدر ولا أقوى.

فكتب لي في أقرب زمن ذلك في كتابٍ سماه: «حسنة الزمان في علماء الأوان، وما يتصل بذلك من أسانيد علوم السنة والقرآن»، وذكر لي جملة من علماء اليمن، ذكرتهم في هذا الكتاب في محلهم.

وقرأ القرآن العظيم، وهو ابن سبع سنين، ولم يزل والداه يحثاه[1] على

= العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٦٢٨) (٢٠٧)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٦١).

(١) كذا في الأصل، والصواب: يحثانه.

كسب المعالي، وحفظ العلم، ويلقناه[1] فرائده وفوائده، فما بلغ عشرين عاماً، إلا وقد أحرز من العلوم شيئاً كثيراً.

وروى الكتب الستة وغيرَها عن جمع من أكابر العلماء، منهم: والده، وجده، والسيد العلامة الهادي بن أحمد، وعن علي بن محمد بن العفيف، وقرأ في أصول الفقه والفروع، والنحو والتصريف، وكتب الطريقة والسير، وكتب الأدب واللغة، والمنطق والمعاني والبيان، على شيوخٍ كثيرين، وأجازه جماعةٌ من الشيوخ، منهم: السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال.

و تفصيل المرويات، والكتب المقروءات، يطلب مما كتبه إلي؛ فإنه أطال المذكور، وفيه طلب إجازتي بمروياتي ومسنداتي، كتبت إليه مجيباً بكتاب منه: وقد وصل كتابكم الكريم، وخطابكم الفخيم، وفهمَ المحبُّ مضمونه، وما تضمنه من الألفاظ الرائقة، والسجعات الفائقة:

وليس على الله بمستنكَرٍ ... أن يجمع العالَمَ في واحدِ

ووصل لنا ما تفضلتم به، وهو الكتاب الذي ألفتموه في هذه المدة اليسيرة، وسميتموه: «حسنة الزمان»، ولعمري إنه اسم عين المسمى عند ذوي العرفان، وكتابٌ بديعٌ، وبستانٌ زها بأنوار الربيع، وروضة حَزن، بل جنة عدن، فأشفى عليلاً، وأطفأ غليلاً.

إلى أن قلت: ولما تأملته، سجدت لله ـ سبحانه وتعالى ـ شكراً، وحمدته سراً وجهراً، على أن جدد بك ما اندرس من العلوم، ودثر من الفهوم، وسألته

(١) كذا في الأصل، والصواب: ويلقنانه.

سبحانه أن يعمر بذكرك ربوع الفضل، كما غمر طلاب العلوم نائلك الجزل، فلله درك من إمامٍ همـام، وعلامـةٍ صمصام، لازال كوكـب علمك مشرقاً، وغصن فضلك مورقاً.

ولقد جاء ـ بحمد الله ـ هديةً من أبكار المباني، ومخدرات المعاني، وعروساً مجليةً من بنات الأفكار تزين المغاني، وتغني عن الغواني، موشح الأعطاف بوشاح المدح والثنا، معرباً عن قواعد المجد، فأكرمْ بهذا الإعراب والبنا.

وقرأت ما أجزتم به المملوك من أسانيدكم العلية، المتصلة بخير البرية، عليـه وعلى آلـه وصحبه من الله أفضل صلاة وسلام وتحية، فجزاكم الله عنا أفضل جزائه، وأسبغ عليكم مزيد بره وآلائـه، وكانت الإجازة منكم لنا من أعظم فوائد الرحلة، ونتائج الغربة، بل من أعظم نتائج العمر، الذي يتنافس فيه المتنافسون، ولمثله يعمل العاملون.

وطلبتم مني الإجازة بمروياتي، وذكر مولدي ومشايخي، ومسلسلاتي ومسنداتي، فما أحسنَ ذلك؛ إذ لأخذ الكبير عن الصغير أصلٌ أصيل في السنة الغراء، من ذلك قوله ﷺ وهـو قائمٌ على منبره: «حدثني تميم» هذا مما هو مشهورٌ، وعند أهله معروفٌ مذكـورٌ، وقال المحدثـون: لا يكون المحدث محدثاً، حتى يأخذ عمن هو فوقه، ومثله، ودونه.

غيـر أن كتابكم ما وصل، إلا وأنا على جناح سفر إلى «المخا»، وإن شاء الله سبحانـه أكتب إليكم إذا وصلت جملـةً من الأسانيد، التي هي عند المحدثين أحلى من الفانيد؛ إذ أنتم أحقُّ بها وأهلُها، ومن منع المستوجبين،

فقد ظلم، فالعفو منكم مسؤول، والعذر عندكم مقبول، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

فكتب إليَّ مجيباً بقوله: بديع كلامٍ فاضت أنواره من مشكاة الأماجد، وربيعُ معانٍ سرحت فيها عيون المحاسن، فطافت على رياض الفرائد، فهو منتهى سؤل أرباب المحامد، ونهاية أمل الآملين الذين حصلوا على تلك الفوائد، وكيف لا وقد عذب مورد مفتاحها، وصفا وحسُن وجه إيضاحها، وشفى واصطفى محبّر وشيها المرقوم من مطارفها كل مصطفى، لسيدنا الذي أذعن متصور قضايا مجده الكلية بالتصديق، وفاز طالب اليقين من دليلها المرشد بعين اليقين الموصل إلى غاية التحقيق، فلو رآه السعد التفتازاني، لاعترف له بالتدقيق، ولو أشرف الشريف على شرف لطائفه، لفاز بالجمع الذي لا يعتريه تفريق. شعر:

فمصطفى لفظِه أولاكَ مرتبةً	من المعاني التي راقت لطائفُها
ومنتقى دُرِّهِ فاقت نظائرُه	ودبَّجت من لآليها مطارفُها
معارف الحبر في تلك الجنان حلت	فحبذا في مبانيها معارفُها
عوارفُ الفضل تأتي بالمحاسن من	حبر العلوم فأروتْنا عوارفُها

علامة دمشق وحَماه، وحامي حمى المجد أن يضام حِماه، من له في ولاء العترة الأطهار أحسنُ الوَلا، وفي محبة حزبه من أرباب العلوم والعلا، ما انتشر فضله في الملا، وأفعم محافل الكلام ومَلا، وألبس ذوي الفضائل نفيسات المُلا، وكيف لا وقد فاز من العلوم بالسبب الأقوى، وسرى في صبح ذلك الهدى النبوي، وظفر من تحقيق الدقائق بالمشرب الروي، واصطفى

الصفوي من مغانم مجدها السوي، العلامة مصطفى فتح الله الدمشقي الحموي، لا برح فتح الله وافداً إليه بكل فضله، ومنُّه العميم منهلاً على رياض علمه وأدبه الأثيرة الأثيلة، والله يُنهي إليه من التحيات ما يملأ عَرْف مسكه الذكي وندّه، محفوفاً بسلامه وإكرامه، وفضله وبره ورفده.

وأنه ورد إليّ مصفًّى رحيق لفظه الرائق، محفوفاً من معانيه الرشيقة، بما يعترف ابن رشيق عنده أنه المحيط برقائق تلك الحقائق، فلو رآه ابن الأثير، وقد أشرف على تلك الحدائق، لسلَّمَ لِما سار منها مسيرَ المثل السائر في أرض الدقائق، فما أشرفَ تلك البدائعَ اليانعةَ بها أقلام المهارق، وما ألطفَ فائقاتِ روائعها التي افتخرت الطروس بعلمها الفائق، المذكر مجر العوالي ومجرى السوابق، والمنسي بالعُذيب وبارق، فوربِّ المغارب والمشارق، إن صاحبها للصاحب الكافي عند المهمات التي لا يبلغ إلى شأوها إلا كلُّ سابق، وحمدت الله على ما حققه من حاله الذي يرتاح لذكره قلوب الأصادق، وعلى مصادفة ما استدعى وصوله من محبة الصادق، لرحلته المقرونة ـ إن شاء الله ـ بما لا يحصى من فضل الله ومعونته، وبره السابق واللاحق، وعلى استحسانه لما تضمنته تلك الأوراق، التي حسُن بذكر أرباب العلوم فيها وجهها البراق، وطلعت شموس مجدهم بها في أفق المكارم بالإشراق، وانهلّ على رياض محاسنها مُزنُ سحابها المِعذاق، واشتمل على ذكره ـ طيّب الله ذكره ـ، فلطُف معناه وراق، مصحوباً بما أهداه من فضله العميم، وبره الجسيم.

إلى أن قال: ولقد كان ما أهداه من ألفاظه الزاهرة، ومعانيه الباهرة كافياً في معاهدة الأحباء، ووافياً بما يرومه الألباء من الألباء، ولكنه أبى ـ أيده الله ـ إلا أن يحف تلك البدائع في ذلك الكتاب بتلك الفواضل، كما حف النخيل

بروضة الأثيل، جنات من أعناب.

وكان ورود كتابه الكريم، مع ما حفه الله من تلك اللطائف الرائقة، والمحاسن الفائقة، على يد سيدنا وأخينا، العلامة الجليل، إنسان العين، وحائز الفخرين، أحمد بن الحسين ـ أحسن الله إليه، وعمّر به ربوع العلم والعمل، ورادف فضله عليه ـ، ولقد ذكر عنكم من الأوصاف الكريمة، والفضائل العظيمة، ما زادنا شوقاً إلى تلك الغرة الوسيمة، وسألناه سبحانه الاجتماع بكم على أحسن الحالات القويمة:

وقد يجمع الله الشتيتينِ بعدما ... يظنان كلَّ الظنِّ أَنْ لا تلاقِيا

وما استحسنتم من تلك الأمور المستدعاة في «حسنة الزمان» بذكر أولئك الأعيان، وما حررناه لكم من الإجازة المسلسلة بتلك الأسانيد الحسان، ووصوله على وفق المراد وطبقه، وما يجب على الخليل للخليل عند إرادة القيام بحقه، فتلك من نعم الله التي يجب شكرها، وفواضلِه التي لا يُطاق حصرُها.

وما وعدتم به من إثبات المولد والمنشأ، والرواية وتوابعها، على الوجه الذي يطلب من ذوي الأسانيد العالية، ويرام إثباته في دفاترها الحاوية، بمصادفة ورود الكتاب ما ذكرتموه من شدّ الرحال إلى بندر المخا، وأنه سيفد ذلك ـ إن شاء الله ـ على ما هو شرط المودة والإخا، محفوفاً بطريق تصحح الرواية عنه، فيما احتوى عليه سنده المذكور، موصولاً ـ إن شاء الله ـ ذلك بما هو نور على نور، فالله سبحانه يهيء ذلك بفضله، ويفيض أنوار ذلك العلم على أهله، وجميعُ من شملته حضرتكم العلية محفوفٌ بشريف السلام.

ومن إجازته لي في آخر كتاب «حسنات الزمان»: وأجزت له ما ذكرته

من السماعات والمرويات، عن مشايخي المعتبرين، في علم الأصلين والفقه، والحديث والتفسير، والعربية والمنطق، واللغة والفرائض، والتواريخ والسير، على المنوال المعتبر عند العلماء ـ كثرهم الله ـ، وبالشرط المذكور عندهم.

وأجزت له أن يروي عني مؤلفاتي، وهي «المواهب القدسية في شرح المنظومة اليوسية»، و«ثمينات الجواهر»، و«منّ المنعم بشرح مسلم»، و«روائح الزهر»، وغيرها من مؤلفاتي ومجموعاتي؛ «كالشمس المنيرة الزهرا» جوابي على السيد العلامة الهادي بن أحمد الجلال، فيما سألني عنه وعن غيره، فليروِ ذلك عني جميعه، موفَّقاً مسدداً، سائلاً منه ومن جميع إخواني المؤمنين الدعاءَ بخيرَي الدارين، وأن يعفو عنا ربنا، ويغفر لنا ولإخواننا اللذين سبقونا بالإيمان، عفواً ومغفرةً كافلين بما لا يحصى من فضله المحفوف بالإحسان، والرحمة والرضوان، وأن يجعل أعمالنا جميعها خالصةً عن شَوْب ما يمحق الأعمال؛ من المقاصد التي تقدح في الإخلاص لذي الجلال، وأن يقربنا من إخواننا أصحاب اليمين، والمقربين الذين لا يرون مع الله غيره، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يعملون إلا بما عمل به نبيه ومصطفاه، وآله الأطهار، وأصحابه الأخيار، الذين جمعتهم كلمة التقوى واليقين، واقتفوا آثار النبي الأمين، وسلكوا منهاجه الواضح المبين، وعرفوا حقوق رب العالمين، وآثروا الباقي على الفاني، إيثاراً لائقاً بالأولياء والصالحين.

والحمد لله ربِّ العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأصلِّي وأسلِّم على محمد وآله وأصحابه، وأستوصي صالحَ الدعاء من اطلع عليه.

وكتبه: الفقير إلى الله الحسين بن ناصر، عفا الله عنه، بتاريخ شهر

جمادى الآخرة، سنة أربع وتسعين بعد الألف، من اللحية إلى بلدة السجعة من الشرف الأعلى.

قصيدةٌ، وهي قولي:

أشــذا نــسيمٍ هــبَّ مــن بيــرينِ ... وروى حديثَ الطيبِ عـن داريـنِ
وأتـى الريـاضَ فغـردت أطيارُهـا ... طربًــا علــى أشــجانها بفنــونِ
أرأيــتَ مثلــي هائمًــا ومتيمــاً ... بتلهُّـــف وتلهُّـــب وحنـــينِ
أو هِجْـتَ مـشتاقاً لجيـرة حـاجرٍ ... أو كـاد يحكـي لـوعتي أو دونـي
واهاً على سفح العقيق وإن جرى ... ذكـراه لـم أملـكْ عقيـقَ جفـوني
ويلاهُ برقُ الشام قد قطع الكـرى ... مــذ شِــمْتُه كالـصارمِ المــسنونِ
أرضٌ غرستُ بها الصبابة والهوى ... فجنيتُـــه كمـــدًا وفـــرطَ أنـــينِ
وسُقيت كأسَ البين من زمن الـصبا ... رنقــاً فغيــر منــه صــفو شــؤوني
فارقْتُهــا ورُميــت بــين معاشــر ... فكــأنهم لــم يُخلقــوا مــن طــينِ
إن رمـــت وداً مـــنهمُ فكأنمـــا ... حاولــتُ شــهداً مــن فــم التنِّينِ
ورحلتُ جسماً والفؤادُ بهـا ثـوى ... فمتــى برؤيتهـــا تقـــرُّ عيـــوني
وأقــيمُ ثمــةَ بــين غوطــة جلَّــقٍ ... فــي ظـلٍّ جيـرانٍ علـى جيـرونِ
وأبــرِّدُ الحــرَّ الــذي فــي مهجتــي ... في الجسر مـن بـرداءَ أو جِـسرينِ
وأنــزِّه الأحــداقَ بــين حــدائقٍ ... فيهــا علــى تلــك الظِّبـاء العـينِ
وأرى مــشاهدَ أنبيــاءٍ قــد ثَــوَوْا ... مــا بــين جبهتهــا إلــى عِــرْنينِ
إن جئتَ أرضَ السجعة الفيحا فقفْ ... بتـــأدُّبٍ وتواضـــعٍ وســـكونِ

وابلــغْ ريــاحينَ التحيــة يــا صَــبا سُـقيتْ بمـاء اللطـف والتحـسينِ
كالعنبر الوردِ الأريـجِ وورونـقِ الــ ــورد البهـيجِ ونـضرةِ النـسرينِ
لجنابِ طودِ العلـم واحـدِ عـصرِه ومجـدِّدِ المفـروضِ والمـسنونِ
ذاك الحسين سليل ناصـر مـن لـه من عبد الحفـيظ وراثـةُ التمكـين
هــو واحــدُ الــدنيا بـلا ثـانٍ لـه أحيــا الإلــهُ بــه علــومَ الــدين
هـو عـالم الـشرَفينِ غيـرَ مـدافَعٍ هــو جــامعُ الــشرفين بــالتبيينِ
الــسيدُ المِنطيــق صـاحب ذيلـه فخـراً علـى الزهـراء والنـسرينِ
علامــةٌ نحريــرُ عــالٍ قــدرُه لا يرتــضي فــي فـضله بالــدونِ
قاضي القضاة مقيمُ شرعِ نبيِّــه بالعـدل والإحـسانِ ليـثُ عـرينِ
ورث الــسيادةَ عــن أبيــه وجــده عبــدِ الحفــيظ الــشامخِ العِـرْنينِ
أنوارُه في المـشرقين قـد اشـرقت وفـشتْ فـضائلُه بـأرض الـصين
شــهرت مناقبــه وعــمَّ نوالُــه كالنيـل كـلَّ النـاسِ أو سـيحونِ
وحــوى علــومَ الآلِ آلِ محمــدٍ فغــدت تتيــه بــه ليــوم الــدينِ
مـاذا أقـول وقـد تكامـل وصـفُه في كل علم بل هو فـي العشرينِ
حبـرٌ عليـه لا يقـاوم فـي العـلا فــي مجــده فــردٌ بغيــر قــرينِ
أدبٌ يروقـك مـن فـصاحة لفظـه مــاذا أبــو تمــام وابــنُ حــسينِ
الله أكبــرُ مــا أجــلَّ صــفاتِه وأتمَّهــا فــي موضـع التحـسينِ
مــن رام علمًــا نافعــاً فليأتِــه يلقــاه بحــرًا زاخــرًا بفنــون
ويــرى لديــه مواهبًــا قدســية مــشحونةً مــن علمـه المخـزون

مولايَ أشواقي إليك تراكمتْ وتزاحمتْ والصبرُ غيرُ معين

والعينُ في أرق والدمع مارق[1] والقلب في قلق بغير سكون

قد جاءني منكم بديعُ رسالةٍ تغني اللبيبَ عن ابنةِ الزرجونِ

بفصاحةٍ وبلاغة وسلامة من كلِّ سقم لفظُها يبريني

ورأيتُ منك كرامةً في ذكركم للقاسم الراضي أمينِ الدينِ

السيدِ المنصورِ دام جلاله بحرِ العلوم وشامخِ العرنينِ

فهو الإمام[2] بن الإمامِ المنتقى من سادة ينمو إلى ياسينِ

صلَّى الإله عليه بعد نبيِّه والآلِ والأصحابِ والسبطينِ

وإليكَها شاميةً من نازح بالكاف قدر بعده والنونِ

ترجو جواباً منك كي تعلو على أقرانها في صنعة الموزونِ

هذا وسيدُنا العليُّ مقامه حليفُ الفضل خيرُ خدينِ

يقريكم منه السلام وإنه لمحبِّكم في الله حقَّ يقينِ

والمصطفى بنُ الفتح ناظمُ عقدِها يرجو دعاءً منك بالتأمين

يُعطي الجليل من المقاصد في الدنا ومن العلوم كهيئة المكنونِ

ما غردتْ وَرْقا على فَنَنِ الحمى وجرتْ عِذابُ مياهِه بعيونِ

وابلغْ سلامي الأهلَ والإخوانَ مع أولادِكم أهلِ التقى والدينِ

توفي القاضي حسين المترجم سابع عشر رجب، سنة ألف ومئة وإحدى

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: مؤرق.

(٢) في الأصل: الان، ولعل الصواب ما أثبتناه.

عشرة، مقتولاً في فتنة السيد الداعي إبراهيم المحَطْوَري، وكان قتله في بلاد الشرف، من جهة الشرف، ببلدة تسمى: السن، ودفنت جثته بها، وحمل رأسه إلى مَدْوَم، ودفن بها عند قبر السيد الإمام أحمد بن محمد الهَدَوِي، في قبلة جامعه ـ رحمه الله ـ، ثم قُبض على قاتله السيـد إبراهيم المحَطْوَري، فقتله السيد علي بن أحمد بن القاسم صاحبُ صعدة.

[٩٥٣] السيد الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي[١].

هو ثَهْلانُ العلوم وثَبيرُها، وخِضَمُّ العلوم وغزيرهـا، وإمام المعقـول والمنقول، وشيخ شيوخ اليمن الجهابذة الفحول، لقي الشيوخ، وأخذ عنهم، وأقروا بأنه من باب «ربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منـه»، وانتفع بلقائهم، وأخذ زبد علومهم، واعترفوا بفضله، لكنه مع ذلك الإدراك، لم يقنع من نفسه بالإدراك، بل واظب على العلوم، وخاض غمارها.

روي عن شيخه الشيخ لطف الله بن الغياث: أنه كان يقول: لا أخاف على أهل اليمن، وفيهم الحسين ابن الإمام، وروي عنه استشكال بعض المسائل المنطقية، نحو ثمان عشرة سنة، فعرضت على الحسين، فأدركها في أسرع وقتٍ، وذلك نتيجة الاصطفاء النبوي والتقوى، ووفارة العقل؛ فإنه كان جبلاً من جبال العلم، لا يطيش لحادث، ولا يظهر على وجهه عبوسٌ، ولو تتابعت عليه الحوادث.

فإنـه كان أيام قراءتـه في الظفير على شيخه المذكور، يصادم العساكر

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٠٤)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٣٧٠) (٢٢٠)، «البدر الطالع» (١/ ١٢٢)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٥٢).

بالعساكر، ويقاوم الأصاغر والأكابر، على خلل في الزمان، ووهن في الأعوان، وهـو ـ مع ذلك ـ يزاحم سعـد الـدين التفتـازاني، والشريف، وأضرابَهما، ويتعقبهم، وكان يكتب بخطـه ـ مع ذلك ـ بعض كتب الدرس، بخطٍّ كأنما طبع بالطابع.

وكان شيخنا الوجيه عبد الرحمن الحيمي يكثر الثناء عليه، ويقول: خطٌّ شيرازيٌ عالٍ، وكان يقرأ «العضد»، فتأتي إليه عيون العسكر، وأهل العناية بالحرب، ويذكرون قرب الزحف والمصافّ، وهو ينظر في تلك الدقائق، فإذا كثر تعويلهم، نهض، وكان شجاعاً إلى الغاية، لا يبالي بالجيوش إذا واجهته.

وكان في علم المعقول في محلٍّ لا ينتهى إليـه، وسائـر علوم القرآن، وأما المنطق وأصول الفقه، فهو الغايـة التي ما وراءها، وشاهد ذلك: كتابه «الغاية»، وشرحها «الهداية» قد جمعت غرائب الفن وعجائبه، ونقلها بعض علماء الأقاليم تعجباً من أسلوبها، وكثرة التحقيق فيها، وممن عَلِق به: شيخنا الشيخ أحمد بن أحمد الشابي القيرواني المالكي، القادم في شعبان سنة أربع وخمسين وألف، وأقام بصنعاء، وكان سابقاً في العلوم، مطلعاً على مصنفات العلماء، فلم يزل متعجباً من هذا الكتاب، واعتنى بملكه.

وله شعرٌ قليلٌ، منه قوله:

مولايَ جُدْ بوصالِ صبٍّ مـدنف ... وتلافَـه قبـل الـتلافِ لموقــفِ
وارحمْ فُديت قتيلَ سيفٍ مرهـف ... مــن مقلتيـكَ طعــينَ قَـدٍّ أهيـفِ

توفي بمدينة ذمار، ودفن في قبـة الإمام المطهر بن محمد بن سليمان الحميري، ليلة الجمعة، ثاني شهر ربيع الآخر، سنة خمسين وألف، وأعقب

أولاداً علماء نجباء، منهم: شيخنا السيد الحسن بن الحسين، قرأتُ عليه طرفاً من مؤلفاته، وأجازني بها، ومولده وقت الطَّفَل، من يوم الأحد، لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر، سنة تسع وتسعين وتسع مئة، فمبلغُ عمره واحدٌ وخمسون سنةً إلا ستَّ ليال.

ورثاه القاضي أحمد بن سعد الدين بقوله:

قضاءُ الله ما عنه امتناعُ ... وأمر الله ليس له دفاعُ
وقد برأ الورى للموت طُرًّا ... وحبلُ الموت غايتُه انقطاعُ
تساوى كلُّ خلق الله فيه ... فقل عبدٌ وقل ملكٌ مطاعُ
كفى بالموت واعظةً بحيٍّ ... له بمواعظ الحق انتفاعُ
فنافسْ بالذي يبقى لتحيا ... حياةً عيشُها نضرٌ وساعُ
وأيقظْ لاكتساب الخير قلبًا ... وجارحةً لعمرُك لا يضاعُ
ولا تغترَّ بالدنيا وعيشٍ ... حقيرِ القدر آذنه الوداعُ
لأن الدار الاخرة التي لا ... نفادَ لها دنا منها اطِّلاعُ

منها:

ولكن ما قضاه الله حلوٌ ... وإن نَكِرَتْ مرارتَه الطباعُ
رضينا حكمَه وإن استطارتْ ... حصاةُ القلب وانكشفَ القناعُ
أحقًا أيها الناعي بأنَّ الـ ... ـعلومَ انهدّ شامخُها اليفاعُ
وأن البحر منها غاض حتى ... غدا يبسًا وعُطِّلت الرباعُ
نعمْ ومضى الحسينُ إلى سبيلٍ ... بها للخلق كلِّهم اتِّباعُ

وأبكى كلَّ عين فهي ثَكْلى كأن دموعَها سيلٌ دُفاعُ
فمَنْ للدرس والتدريس قل لي وليس لشمسه فيهم شعاعُ
ومن للعلم والعلماء إمَّا اســتطار الخلفُ واتصل النزاعُ
بَكَتْه مجالس العلم التي ما لها مذ غاب عنهن اجتماعُ
وما يُغني البكاء عليه شيئًا وإن الصبر للتقوى جماعُ
فصبرًا يا بني الزهراء صبرًا فمثلُكم لربهم أطاعوا
وأرضَوْه وثوقًا أن خير الثــواب لديه والدنيا متاعُ
لقد هيجت من حزن دفينًا ولكن هذه الدنيا لعاعُ
وقد وعظت فما يومًا إليها لذي عقل وإن بهجت نزاعُ
وصلِّ على النبيِّ وأهلِ بيتِ النــبي فهم لحقِّك ما أضاعوا[1]

[٩٥٤] الحسن بن محمد المغربي[2].

فاضلٌ عظيمٌ، نشأ على طريقة أخيه، فأدرك ما أدرك، وسلك في تحقيق الفنون كل مسلك، وله نسكٌ مرضيٌّ، وخلقٌ وَضِيٌّ، ومشربٌ مع أهل الطريقة، وميلٌ إلى مسلك الحقيقة.

وله ـ حماه الله ـ سلامةُ صدرٍ، وتواضعٌ مع الطلبة وغيرهم من سائر المسلمين، عملاً بقوله ﷺ: «إن الله أوحى إلي: أن تواضعوا، وما تواضع

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحتان ونصف بياض».

(٢) «طيب السمر» للحيمي (١/ ٣٧٨)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٥٠٠) (١٥٤).

أحد إلا رفعه الله»، وعنه ﷺ: «لينوا لمن تُعلمون، ولمن تتعلّمون منه»، وعن الفضيل: إن الله يحب العالم المتواضع، ويبغض الجبار، ومن تواضع لله، أورثه الحكمة.

مولده بصنعاء سنة خمسين بعد الألف، وقراءته ـ في الأغلب ـ على مشايخ أخيه، وقرأ على أخيه معظم «الكشاف».

[٩٥٥] حسن الصفدي الشافعي.

صاحبنا الأديب الماهر، الكاتب الأريب الشاعر، كان صحيح الذهن، جيّد الفهم، سريع الكتابة، مُطَّرح النفس، لطيف الذوق، كثير الإنشاد للشعر، اجتمعت به بمصر، عام سبعة وسبعين بعد الألف، وبيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ.

توفي ـ رحمه الله ـ بثغر عكه من بلاد الشام، سنة اثنتين وتسعين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

خلوتُ بمُنيتي وحبيبِ قلبي ... ونارُ الحبِّ تضرم في حشائي
فأحياني وحَيَّاني بلفظ ... أرقَّ من النسيم بلا امتراءِ
فلما رامَ توديعي وتركي ... على أرض القطيعة والعناءِ
جرى دمعي فقلت له حبيبي ... جه بودي كربنودي اشنائي
فقال غدًا أجيئك في سرور ... فلا تعجلْ فإني غير نائي

[٩٥٦] الحسين ابن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي[1].

(١) «نسمة السحر» للصنعاني (١/ ٥٦٨) (٥٣).

أحدُ من التقط من العلوم العميقة نفائسَ الدرر، واختار من وجوه محاسن المسائل فوائد الغرر، وسَيَّر التصانيفَ في كل فن، وحقق الدلائل حتى استفاد العلمَ لا الظنّ، كانت قراءته على أعلام العلماء المبرزين، وفضلاء أهل البيت المتقين المطهرين، فكان ابتداء قراءتـه على والده الإمام المنصور بالله، في النحو والحديث، وأصول الفقه وأصول الدين، وكان ابتداء قراءته في النحو أيام الهجرة، في سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة بعد الألف.

وُلد في «العرم» سنة ألف، وقرأ على السيد العلامة أمير الدين بن عبدالله في النحو ـ أيضاً ـ، وعلى صنوه المؤيـد بالله محمد بن القاسم، بعض كتب التصريف، وبعض كتب أصول الفقه، وشيء في الحديث في محروس شهارة، وعلى السيد الفاضل الزاهد أحمد بن محمد في أصول الدين ـ أيضاً ـ، وعلى السيد الفهامة محمد بن الحسن الأخفش في التصريف والمعاني والبيان.

وعلى السيد النجيب علي بن صلاح العبالي في المعاني والبيان، وعلى السيـد النحرير المحقـق الحسين بن علي بن إبراهيم بن حجاف الشرفي في الفرائض، وعلى الفقيه العلامة عبدالله بن المهلا في التصريف ـ أيضاً ـ، وعلى القاضيين المبرزين: عامـر بن محمد الذماري، وسعيد بن صلاح الهبل في الفروع، وعلى القاضي البليغ علي بن الحسين المسوري في النحو ـ أيضاً ـ، وعلى القاضي العلامـة الحسن بن سعيـد العيـزري في النحـو والتصريف، والمعاني والبيان.

وفي سنة ثلاث وعشرين وألف توجه إلى بلاد حجة، واستقر بمحروس الظفر، ووجد فيه الشيخ العلامة فريد الدهر لطف الله بن محمد بن الغياث، وكان بقي في مكة فوق عشرين سنةً، فقرأ عليـه العلوم بذهنٍ صافٍ، وفطنةٍ

وقادةٍ، وهمةٍ إلى الخير منقادةٍ، لا سيما أصول الفقه، والمعاني والبيان، والتفسير والمنطق والكلام، فبلغ فيها مبلغاً لا يُكتنه كنهه، وحققها صعا(1)، حتى روي عن الشيخ المذكور أنه قال: استفدنا من مولانا الحسين أكثر مما أفدناه، ولقد حلَّ مشكلاتٍ معنا بثاقب نظره.

ومع ذلك، فما يكاد يمر يوم واحدٌ إلا والحرب قائمةٌ، وقرأ على العلامة وجيه الدين عبد الهادي بن أحمد. . .(2) علم اللطف، وفي نسخته: أنظارنا فيه عرضت له وقت القراءة، في سنة ست وثلاثين وألف بمحروس جدة، أيام حصار صنعاء، والحرب والإمارة في أكثر الإيام.

ومن مؤلفاته في أصول الفقه غاية وشرحها بشرح تكفل مقاصده سماه: «هداية العقول»، وكتابه هذا عمدة الطلبة الآن في صنعاء، وسائر جهة اليمن؛ بحيث لم يبق لهم اشتغال بغيره؛ مما كانوا يستعملونه في الأصول كـ: «العضد»، ونحوه إلا نادراً، وله مؤلفٌ في أدلة العلماء والمتعلمين؛ كـ: «المختصر من جواهر العقدين» للسمهودي.

[٩٥٧] السيد الحسين بن أحمد بن إبراهيم الوزير.

كان سيداً فاضلاً، وعلماً كاملاً، قرأ في فنون العلم، ونال منه منالاً عظيماً، وله عنايةٌ بحفظ خزانة آبائه، ونقلها من صنعاء إلى حَدَّة، في أيام الترك، مخافةً عليها(3).

---

(1) كذا في الأصل، ولعلها: جميعاً.

(2) كلمة غير منقوطة في الأصل، صورتها: العلالى، ولعلها: الثلائي.

(3) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

[٩٥٨] السيد حسين بن الشريف حسن بن أبي نمي[1].

الذي ظهر بالمظاهر الجميلة، ووطئ بأخمصه تيجان المجد الجليلة، واستفتح البلدان في غزواته، واشتهرت في سائر الآفاق أخبار هباته، ورقا في معارج الكرم مرقًى صعباً، وملأ قلوب أعدائه خوفاً ورعباً، وفرق الأموال كرماً منه ورغبةً وحباً، وعطر ثناؤه الخافقين شرقاً وغرباً، وانتشر لواؤه على العالمين عجماً وعرباً.

وقصدته الوفاد من أقطار الأرض، ويممت جودَه القصّاد بالطول والعرض، وكم من فقيرٍ بآثار نعمته أصبح غنياً، ومستجدٍ بتواتر إحسانه عليه أضحى مليّاً، وعدوٌّ بتظافر إنعامه أمسى وليّاً، وقد امتدحه أرباب الفضل، ووصفوه بالقول الجزل، المُنبي عن الفضل.

فمن ذلك: قصيدةٌ امتدحه بها الإمام الجليل محمد علي الطبري ـ رحمه الله ـ منها:

مذ لاحَ الدجى وأشرقْ ... أغرقني مدمعُه وأشرَقْ

ورحتُ من لوعتي أصالي ... جَوًى لقلبي الكئيبِ أحرَقْ

لا لوعتي تنطفي وحبي ... فَرَّقَ شملي وما ترفَّقْ

ومنها:

لما رأيت الهوى هوانا ... وأنني في يديك موثَقْ

وأنَّ جورَ الغرام عدلٌ ... وحاكمَ الحب ليس يشفَقْ

---

(١) «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٣٥).

جـاوزتُ فـي الحـدود ظلمًـا ... ألـست عـدل الحـسين تفـرَقْ
بـدرُ الملـوك الحـسين مـن فـي ... نـدى يديـه البحـارُ تغـرقْ
ومـن لـه صـولةٌ وعـزمٌ ... منهـا أسـودُ الحـروب تـشفَقْ

ومنها:

لـو لمـستْ راحتـاه عـودًا ... أثمـرَ فـي كفـه وأورَقْ
ولـو ينـال الـسحابُ فيـضًا ... مـن بعـض جـدواه كـان أغـرقْ
فـلا تقـسْ بالحـسين خلقًـا ... فمثلُـه مـا أظـن يُخْلَـقْ
نعـم أبـوه الـذي عـلاه ... إن خَلَـقَ الـدهرُ لـيس يَخْلَـقْ
ومـن بنـور النبـيِّ طـه ... ضَـمَّخه ربـه وخَلَّـقْ
أعظـمُ مـن قيـصرٍ وكـسرى ... وتُبَّـعٍ منـصباً وأعـرَقْ

وهي طويلةٌ، كلها غرر ودرر، تركتُ غالبها؛ لعدم الظفر بها حال التأليف[1].

[٩٥٩] حسين بن كمال الدين النقيب بن محمد بن حسين بن حمزة ابن السيد العلامة الحافظ كمال الدين محمد بن حمزة الحسيني الحنفي الدمشقي[2].

وتقدم رفعُ نسبه في ترجمة أخيه محمد.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٠٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٢٠) (٦٣)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٥٢).

السيدُ الجليل، والسند الحريز الظليل، نال من الفصاحة ما بـه جمال الكلام، وحاز من البلاغة ما يذكر بجـده ـ عليـه الصلاة والسلام ـ، إن رقمَ بخطه، فهو كنز الكلام الجامع، أو لفظ درر القول، فتنقطع دون لفظه المطامع، أو حاضرَ في مجلس، فيا كسادَ بضاعةِ الأدباء، أو حاور كلَّ مؤانسٍ، فيا حسرةً لشوق الصهباء.

وُلـد بدمشق، سنة إحدى وثلاثين وألـف، وأرخ ولادتـه عبد الكريم الميقاتي بقوله:

اهنـــأ بنجـــل أتـــى بـــشيرًا ... بـــالأمن والـــيُمن والـــسناء
والـــسعدُ قـــد قـــال أرِّخـــوه ... (هـــذا حـــسين وافـــاك بالهنـــاء)

وبها نشأ، وحصّل منهـا الكثير الطيب، وحظي من الأدب بما يعجب ويطرب، وكان منزله ملاصقاً لدارنا بدمشق، وكان كثيراً ما يمازحني، وولي بباب الصغير الحكم بدمشق مراتٍ، والقسمة العسكرية، وغيرها من المناصب العلية، ورحل إلى الروم وهو شابّ، وجرّ بها رداءي شباب وآداب.

وحظي بها عند الكبراء، ومدحهم بقصائد تعجز عنها فحول الشعراء، ورجع إلى دمشق، وولي بها المناصب السنية، وألف كتاباً سماه: «التذكرة الحسينية»، جمع فيها من محاسن أحاسن أشعار العصريين البهية.

توفي ـ رحمـه الله تعالى ـ بدمشق، سنة إحـدى أو اثنتين وسبعين بعد الألف، ودفن بتربتهم الإيجية بالصالحية.

ومن شعره: قوله ناسجاً على منوال قصيدة أبي فراس، ومضمناً بعض أبياتها، سنة أربع وستين بعد الألف:

إلامَ تـرى ذا العهـد يتلفُـه الغـدرُ … وحَتّامَ وعـدٌ دون إنجـازه الحـشرُ
أبيتُ ولي قلب على جمرة الغضى … وأعباءُ أحزاني على مهجتـي وَقْـرُ
وقد ضلَّ نسرُ الأفق مسلكَ غربـه … بجنـدلِ ليـلٍ لـيس يعقُبـه فجـرُ
وباتـت تنـاجيني بـشجو حمامـةٌ … لها تحت ذيل الليل في شأنها هدرُ
تنوح على الغصن الرطيب فينثنـي … طروبًا كمن مالت بأعطافه الخمـرُ
أناشـدة تـشدو علـى فـنن الربـا … مفارقـة إلفًـا وقـد خانهـا صـبرُ
أراك مُنَـدَّاةَ الجنـاح فخبـري … أدمعي الذي نَـدّاه وَهْنًـا أم القطـرُ
ألا فاخبريني يا حمامـةُ مـا الـذي … شجاك أنأيُ الإلف عنك أم الهجرُ
أما لو حويتي ما انطوى بجوانحي … لأذريـتِ دمعًـا أوصـافُه البحـرُ
ولو أن ما بي بـين جنبيـك عُـشْرُه … لضقتِ به ذرعًا وضاق بك الـوَكْرُ
فقالت كفى حزنًـا تقلـص أدمعـي … فلو هطلت يومًا لما صديَ الصدرُ
وأثقلُ محمول على العـين دمعُهـا … إذا غالها بالبين فـي إلفهـا الـدهرُ
ولو كنتَ مثلي في اشتياقي ولوعتي … لذاعتْ لك الأسرارُ وانكشف السترُ
فقلت لها والقلبُ في غمرة الردى … تُقلِّبُـه أيـدي النوائـب والقهـرُ
أساجعةً بالـدوح لـستُ الـذي إذا … أضرت به الأشجان يفضحه الهجرُ
نعـم أنـا مـشتاقٌ وعنـدي لوعـة … ولكـن مثلـي لا يُـذاع لـه سـرُّ
وإنـي صـبورٌ عنـد كـل مُلِمَّـة … يَشيب لها فَوْدٌ ويَحـدودِبُ الظهـرُ
ولا ارتاعَ لي قلبٌ لخطب إذا غدا … علـيّ لـه الإبـرامُ والنهـيُ والأمـرُ
فلا خيـرَ فـي قلـب إذا لـم تذيبـه … خطوبٌ فلولا السبكُ ما عُرف التبرُ

وقـد زادنـي جـورُ الزمـان تأرجًـا كما زاد نشرَ المسك في سحقه الفِهْرُ
وإن لاح لي فوق السِّماكين مطلَبٌ فلا المرتقى صعبٌ عليّ ولا وعـرُ
ولـستُ بهيّـابٍ ليـومِ كريهـةٍ وقد صـافحت فيـه المهنـدة البُتْـرُ
فإن خانني دهري فما خانني الحمى وإن أخذلتني الصحبُ لم يخذلني الصبرُ
ولا أشـتكي خطبًـا يـشدّد وطـأة عليَّ فلولا العسرُ مـا خُلـق اليـسرُ
إذا مـا دجـا ليلـي أبـوءُ بلـوعتي وتغدق من عيني مـدامعها الحمـرُ
وأغدو كأن لم يسكن الوجدُ مهجتي ولي جلـد يبـدو وجلبابـه البِـشرُ
تعافُ طبـاعي حمـلَ لـوم عـواذلٍ وتأنفــهُ نفــسٌ خلائقهــا الكبــرُ
فكم طوت الأعداء منـي نفوسَـها ما على زفراتٍ دونَ لاعجها الجمرُ
أصولُ بمجد قـد تـسامى ومَحْتِـدٍ رفيعٍ غدا يسمو بـه العـزُّ والفخـرُ
ولي نسبٌ يسمو على الشمس ضوءُه برفعــةِ عــزٍّ دون موطنهــا البــدرُ
ولستُ أبالي الدهرَ أقبـل أم لـوى فكـلٌّ مـن الحـالين إن زار يَـزْوَرُّ
ولا أرتــضي ذلاً لــدفع كريهــة ولو أنجح المسعى وإن ربح التَّجْرُ
ويُطربني قولُ ابن حمدانَ مـن لـه لواءٌ أثيلُ المجـد والمحتِـدُ الحـرُّ
ولا خيـر فـي دفـع الـردى بمذلـةٍ كمـا ردَّهـا يومـا بـسوءته عَمْـرُو
فلستُ أرى خطبًا يدوم على الفتى ويبقى بقاءَ الدهر في شـأنه الـذكرُ
ولست الذي يمضي الليالي أمانيًـا يضيع سدًى في شأنها الوقتُ والفكرُ
ولا أكـره الخطـبَ المُلِـمَّ فربمـا أتى النفعُ من حالٍ تراءى به الـضرُّ
ولله ألطــافٌ يــدقُّ خفاؤهــا فكَمْ خِيفَ أمرٌ كان في ضمنِه النصرُ

وكم عمَّني بالفضل والنعَم التي يقلُّ عليها مِنِّيَ الحمدُ والشكرُ
إذا رمتُ أحصي وصفَها بثنائها فهيهاتَ يُحصى الرملُ أو يحصر القطرُ

وقوله متغزلاً:

عجبتُ لحسادي عليك وليَتهم دَرَوْا أنني من نقضِكَ العهدَ في ضنكِ
قضى ظنُّهم في وعدِكَ المينَ صحة وحقق إنجازًا عُريًا عن الشكُّ
فبينَ وعيدٍ صادق لا تحيدُه ووعدٍ كذوب ليس يؤذِن بالوَشْكِ
غدوتُ ولي حالٌ كما تشتهي العِدى وسحبُ دموعي أنبتت كلأ الهتكِ
فلله من أخلصت دهري ودَّه وعذَّبني بالغدر والهجرِ والفتكِ

وكتب وهو بالقسطنطينية، سنة ست وستين وألف، للسيد الشريف قدسي زاده، مهنئاً بعيد الفطر:

أهلاً بدهرٍ زار عيدُه وأتت موافيةً وعودُهْ
وغدا به روضُ المسر ة يانعًا واخضرَّ عودُه
وبدا المطوق شاديًا فيه يرنِّحنا نشيدُه
والنشرُ تبديه الأزا هرُ والنسيمُ لنا يعيدُه
ومهفهفِ الأعطاف يحـ ـكي الظبيَ لفتتُه وجيدُه
روضُ المحاسن وجهُه تزهو برونقها ورودُه
غصنٌ سقاه الحسنُ صو بَ عهاده ووفت عهودُه
نشوانُ من خمر الشبا ب فتيهُه أبداً يُميدُه
قد بات يهتك من خدو ر الحسن ما أبدَتْ خدودُه

عـــذراءُ تمهَـــر بـــالعقو ل فكـم حجًـى نفقـت نقـودُه

ملـــكٌ عزيــزُ جمالِـــه صـالت علـى قلبـي جنـودُه

أمـــسى يُعـــاطيني بهـــا كأسـاً يـــروق بـــه بـــرودُه

حتـى أمالـت عطفَـه الـصـ ـــهباءُ وانحلَّـت عقـــودُه

فـــي ليلـــة غـــاب الرقيـــ ـــبُ بهـا ومـا صـدت صـدودُه

يـــولي فأرشـــفُ مـــن يديـــ ـــه وثغـــره مزجًـــا يجيـــدُه

حتـى بـدا الإصـباحُ يحـــ ـكي وجـهَ مـن قـد عـمَّ جـودُه

العـــالمُ الـــشهمُ الحـــسيـ ـــبُ مـزينُ الـدنيا وجـودُه

حـــاوي مفـــاخرِ كـــلِّ فـــضـ ـــل حاسـدوه بـه شـهودُه

والمجـــدُ طارفُـــه إليـــ ـــه ينتمـي وكـذا تليـدُه

مـــولًى لـــه تُعـــزى الفـــضا ئـل فَهْـو فـي عـصرِ فريـدُه

منها:

يهنيـــك عيـــدٌ قـــد بـــدت تختـال فـي حُلـلِ سـعودُه

وبِـــجيده عقـــدٌ مـــن الـــ أفـراح لا يَبلـى جديـدُه

قـــد أمّ ربعَـــك مقـــبلاً وســـرورُهُ خفقـــت بُنـــودُه

لا زال ربـــعَ العـــزِّ والـــ أعيـاد مـا عـادت وُفـودُه

مـــا غَـــرَّد القمـــريُّ فـــي روضٍ وســـاجلَه طريـــدُه

وقوله متغزلاً:

إذا منعت سُحْبُ العـواذل وجهَـه وحجَّبَ عني نـورَه وهـو سـاطعُ

فمن نار أحشائي تصاعد برقُها وهاطلُها ما أمطرته المدامعُ

وقوله:

يناديك يا موسى فؤادٌ تكاثرت عليه وشاةٌ في هواك خصومُ
وليس عجيبًا أن تألّه في الهوى وأنت له بين الأنام كليمُ

وكتب وهو بالقسطنطينية للمولى عبد الرحمن حسام زاده، وهو في صدارة الفتوى، مستنجزاً لوعدٍ لم تقدره الأقدار الإلهية على إنجازه، وذلك في محرم، سنة ست وستين وألف:

أقصرْ عذوليَ عن لومي وتفنيدي أنا الذي سلبتني أعينُ الغيدِ
وخَلِّ عن بذل نصحٍ لا يساعده إصغاءُ سمعٍ بقيد الحبِّ مصفودِ
فلي فؤادٌ عن السلوان محتبسٌ بحبِّ فاتنةِ الألحاظِ والجيدِ
من اللواتي بَراهُنَّ الإله لنا من رونق البدرِ في أعطافِ أُملودِ
نُزْرِ الكلام عَيِيَّاتِ الجوابِ إذا خوطبنَ بعد الضحى في حصر مجهود
هيفاءَ تزري بخوطِ البانِ قامتُها وإن رنت فتكَتْ من جفن مجهودِ
من الجوارح ألحاظ إذا نظرتْ لم تُبق طائرَ قلب غيرَ مفقودِ
للبدر منها ائتلافُ[1] الوجه في لهبٍ وللشرار صوولُ الخصر في الميدِ
سألتُها عِدَةً بالوصل مسعدَةً تَشفي بزور الأماني صدرَ مكمودِ
فهزّت العِطْفَ بُخلاً أن تفوه بلا كما لوى الجيدَ ظبيُ النفر عن صيدِ

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: ائتلاق.

فعدتُ واليأسُ قد تبت حبائلُه ... على فؤادٍ بنار الهجر مفؤودِ
وبندر عزم جميل الصبر منفلت ... وحكمُ وجديَ أضحى محكمَ الإيد
يا للهوى ثم بي طرفي فعذّبه ... على نميمته عندي بتسهيدِ
لله كم ذا يقاسي فيكِ ربُّ جَوًى ... يا ربةَ الحسن من لومٍ وتهديدِ
هَلاَّ وفيتِ بما عاهدتنيه كما ... لم ينسَ إنجازَ وعدي باذلُ الجودِ
أستغفرُ الله بل لا وعدَ يسبق ما ... يوليه من نعمٍ لا بالمواعيدِ
مولًى إذا يَمَّمَ الملهوفُ ساحتَه ... ألقتْ إليه الأماني بالمقاليدِ
الواهبُ الجودِ لا يُرجى مُنًى بمُنًى ... بكفٍّ بذلٍ على الراجين ممدودِ
من قاسَ جدواهُ بالغيث الهَطولِ فقد ... قضى برأيٍ عن الإنصاف مبعودِ
فالغيثُ يبكي إذا ما جاد وهْو لنا ... ينهلُّ صوبُ نداه غيرَ رِعديدِ
متيمُ القلب دهرًا بالمكارم لا ... بما يُتيم من عَيْنٍ ومن جيدِ
مُؤَثَّلُ المجدِ مغبوطٌ بنعمته ... محيي العلوم بإتقان وتمهيدِ
إن فاه أزرى بقُسٍّ في عكاظَ بما ... يُبديه من حِكَمٍ تعطو لداودِ
وإن بدا فهمُه في حلِّ مشكلةٍ ... أضحتْ كصبح لدى الرائينَ مشهودِ
يا من يقصِّر مدحي في علاه ولو ... حاكى السواجعَ في هدرٍ وتغريدِ
أُعيذُ جودكَ أن أبقى على أمل ... ظمآنَ قلبِ لوِرْدٍ منك مورودِ
ومن يكنْ بسوى علياك منتصرًا ... فليس من دهره الجاني بمسعودِ
واسلمْ ودمْ آمرًا بالحق في دَعَة ... من المهيمن محفوفًا بتأييدِ
ما غردت فوق غصن الأيك ساجعةٌ ... فأرقصَتْه بترجيع وترديدِ

وفي سنة ست وستين وألف، تولى نقابة الأشراف السيد محمد ابن السيد محمد الأنكوري، فذهب لتهنئته، فوجد عنده أبا السعود أفندي الشعراني، فاستقبله بضاحك العتاب، وقال لـه: سمعت لك قصيدةً ترجمت بها بعض الأحباب، وأحب أن يكون لي مثلُها، فباكره في اليوم الثاني بقصيدةٍ، وهي قوله:

نَـصيحيَّ كُفَّـا فـالفؤادُ سـليبُ ... وما لـي بنـصحٍ لـم يعنـه مجيـبُ
رويـدَكما عـن ذي الغوايـة إنـه ... على نضو عـيٍّ مـا اعتـراه لُغـوبُ
وهيهاتَ أن يصغي لقولِكمـا فتًـى ... بـه مـن قـراع الحادثـات نُـدوبُ
ألا خَلِّيـا عمّـن أضـاع فـؤادَه ... وعاصـاه صـبرٌ واسـتقلَّ حبيـبُ
طريحٍ بأرض الـرومِ ناشـدِ مهجـةٍ ... بأحيـاهم فـي الـشاردات تـذوبُ
وسـائلةٍ عنـي تقـول لتربِـها ... مَـنِ المـرءُ قالـت إنـه لغريـبُ
مُـضِلٌّ فـؤادٍ ظـل ينـشدُ خبـرَه ... فقالـت لهـا إن المـضلَّ كـذوبُ
لقـد رابهـا منـي شـواهدُ مـدنَفٍ ... ولا عجبٌ أن كان المشوق مريبُ
تُـسائل عنـي الغيـرَ وهـي عليمـة ... وتعجـب منـي والـسؤالُ عجيـبُ
ومالت كخوطِ البان يزهو قوامُهـا ... بمـاء صـباه والزمـانُ قـشيبُ
تقول لـسربٍ حولَهـا إن ذا الفتـى ... فتـى عـرب بالـسابخات دؤوبُ
يقلّـب فينـا مقلتيـه معلـلاً ... لقلـبٍ بـه ممـا يحـنُّ لهيـبُ
فقلنـا لهـا فيمـا نـأى عـن ديـاره ... يغالـب ذي الأيـام وهـي غَلـوبُ
فقالـت ألا إن الأمـانيَ مـوردٌ ... تَـزاحَمَ فيـه جاهـلٌ ولبيـبُ
أتـى طالبًـا نيـلَ المـآرب راجيـاً ... عـزائم مـولًى مُـستقاه قريـبُ

إذا انتسب المجدُ المُؤَثَّلُ ينتمي	إليه صريحًا ليس عنه يؤوبُ
أخو العزم والرأي المسدَّدِ والعلا	شموخٌ على هام السماك مهيبُ
مُبيدٌ لما تحويه كفاه جودُه	جموعٌ لأشتات السناء كَسوبُ
له راحةٌ تزجي سحائبَ جودِها	وما كل من يزجي نداه وهوبُ
ويعقُب غيثَ البذل بارقُ وعدِه	ويرقُ سواه في الوعود خَلوبُ
فما جونةٌ هطالةٌ في انغداقِها	وقد هيجتها بالهبوب جَنوبُ
بأجوَد من بيضاءِ ديمةِ كفِّه	إذا ما عدت بالمكرمات تصوبُ
وما روضةٌ غناءُ باكَرَها الحَيا	وهينمَ فيها للشَّمالِ هُبوبُ
وقد أُذكيت للزهرِ فيها محاجرٌ	بقطرتها للنسيم جيوبُ[1]
بأطيبَ نشرًا من فضائلِه التي	غدا نشرُها للمادحين يَطيبُ
إذا ما جلا في غيهبِ البحثِ فكرَه	أنار كبدرٍ لم يَشِنْه مغيبُ
فيا سيدًا قد حاز حُسْنَ مناقبٍ	تعلَّم منها ذا الثناء أديبُ
ومَنْ وصفُه الزاكي أجاد قريحة	توالت عنها للزمان خطوبُ
على خجلٍ وافتك بِكْرٌ لشاعر	بدت تنثني كالغصن وهو رطيبُ
مُقَلَّدها عقدَ اللآلي مدائحًا	ملبٌ بأبيات الثناء مجيبُ
بقيتَ بقاءَ الدهر كهفًا فإنما	بقاؤك زينٌ للزمان وطيبُ[2]

[٩٦٠] الحسين بن يحيى بن عبد المحسن بن أحمد بن حسين بن

---

(١) كذا في الأصل، الشطر الثاني من البيت غير موزون.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة وثلث بياض».

عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن عمر الأهدل.

كان من عباد الله الصالحين المتمكنين، ومن أهل الحل والعقد، وله الأخلاق الرضية، والأفعال المرضية، وفيه من البر والإحسان، والتوسع والإكرام، ما لا يوصف، وله المشاركة في العلوم، خصوصاً علم التصوف، وعلم النجوم، لم تسمح الأيام بمثله، ولم يوجد له نظير في زمنه؛ لغزارة جوده وفضله.

وكان بينه وبين السيد الطاهر بن بحر مودةٌ أكيدةٌ، وحجَّا جميعاً، وزارا النبي ﷺ، وكانا كأنهما روحان في جسد.

مولده سنة خمس وسبعين وتسع مئة، وتوفي ـ رحمه الله ـ في سابع رمضان، سنة ثلاثين بعد الألف بزبيد، ودفن بمقبرة باب سهام، قبلي مشهد الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، وتعب لموته الخاص والعام؛ لعموم نفعه، وحسن أخلاقه.

[٩٦١] حيدر آغا بن محمد اليمني(١).

من شعراء اليمن العصريين.

ومن بديع شعره قوله:

أمعلِّمَ الأزهر إن خدودَ من ... علَّمتَه مغنٍ عن الأزهارِ

هلا جعلتَ القلبَ منزلةً له ... فالقلبُ خيرُ منازل الأحرارِ

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٤٤) (٢٥٨)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٧٥)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦٣٨).

وقوله في غلامٍ بديع الجمال يدعى بابن تاج:

ريـمٌ مـن اللحـظ ومـن قـدّه ... يـسبي بـسحّار وميّـاسِ
لـو زارنـي كنـتُ مليـكَ الـورى ... وقلـتُ يـا تـاج علـى راسـي

وقوله، وعجز كل بيت معكوسُ كلمات صدره:

زارنـي محبـوبُ قلبـي سَحَرًا ... سحرًا محبـوبُ قلبـي زارنـي
ينثنـي كالغـصن لينًـا قـدُّه ... قـدُّه كالغـصن لينًـا ينثنـي
سَـرَّني لمـا تبـدّى باسـمًا ... باسـمًا لمـا تبـدَّى سـرني
خَـصَّني مـن دون غيـري باللِّقـا ... باللقـا مـن دون غيـري خـصَّني
أعينـي قَـرَّت بِخِلِّـي مـذ أتـى ... مـذ أتـى قـرت بِخِلِّـي أعينـي
اجتنـي يـا طـرفُ وردي خـدَّه ... خـده ورده يـا طـرف اجتنـي
اسكُني يـا نفسُ قـد زال العنـا ... العَنـا قـد زال يـا نفسُ اسكني
فـاتني أنـس أهـلاً مرحبًـا ... مرحبًـا أهـلاً أنـس فـاتني

وقوله يرثي ابن تاج المذكور:

لـو لـنفس تكـون نفسًا فـداءً ... لفَـداك العـذَّالُ والرقبـاءُ
يـا فقيـدًا قـد كـان فينـا كريمًـا ... نحـن قـومٌ بمثلـه بُخَـلاءُ
كـان تاجًـا عليـه إكليـلُ حسنٍ ... زانـه منـه رونـقٌ وبهـاءُ
سـلبته أيـدي المنـون علينـا ... وأتـاه إلـى فِنـاهُ الفَنـاءُ
قلـت لمـا رأيـت قـدّك غـصنًا ... وهـو فـي ذات أربـع ملقـاءُ

آه لهفي على اعتدالِ قوامٍ عانقتْهُ برغميَ الجدباءُ
وبنفسي شرطاً بخدِّك ما كا نَ له الترب يا حبيب جزاءُ
كنت تأوي القلوبَ حيّاً فشقت لك في الموت قلبها الشهباءُ
نم هنيئًا قريرَ عينٍ فَمِنَّا كلُّ عينٍ من البُكا رَمْداءُ
بعدَ ذاك الغنى من كل حسنٍ أيها الناس أنتمُ الفقراءُ

وقوله حين رأى «حبور»، ورأى دوراً معمورةً بالحجر الأبيض، المخالط للأسود:

يا خليليَّ إن الوشامَ حرامُ ما خلا وضعَه بدورِ حبورِ
سُقيت واكفَ الغمام ديارٌ بحَبُورٍ سكانها في حُبُور

وله ـ أيضاً ـ في كسوف البدر:

قال من قال اكسف البدرُ قلنا لا تظنوا كسوفَه من شانِ
قد أُعرنا سناه عند التلاقي وأعرناه حلةَ الهجرانِ

وله في مليحٍ خراز:

وبروحي أفديه خارزَ جلدٍ يُخجل البدرَ في الليالي السود
يتراءى للعاشقين بسكـ ـين يشقُّ القلوبَ قبلَ الجلودِ

وله في مليحٍ طبالٍ:

وشادنٍ يحمل طبلاً له ويجعل السيرَ على عاتِقه
يشنُّ غارات الهوى مسرعًا ويضرب الطبل على عاتقه

وله في جنديٍّ باع سلاحه بعد المرض، وأكل ثمنه:

قام صلاح الدين من مرضةٍ   واستقبل الدهرَ بعمرٍ جديدْ
لا تعجبوا إذا باع أسيافه   أكلفه التبقية أكلَ الحديدْ

ومن شعره في كوفيةٍ كوفية:

أعجبكم أتراكها   وصدعت العرب من الباسِ
قلت لمحبوبي وقد مر بي   ضع هذه قال على راسي

وله ـ أيضاً ـ:

إياك لا تضع المديـ   ـحَ ولا تُرى متغزِّلا
أتقول قافيةً وقد   خلتِ الديارُ فلا ولا

وكانت وفاته سنة سبعين وألف.

وله:

صدَّ وصلَ الحبيب غني عذولٌ   راح يسعى إليه بالتفنيدِ
ورقيبٌ كأنما هو شهر الصـ   ـومِ عندي فراقُه يومُ عيدِ

وله في مليحٍ اسمه القاسمي:

وافى فقلتُ وقد رأيتُ له سنا   فمرَّ على غصن رطيبٍ ناعِمِ
يا قاسمي بحسام فاترِ طرفِه   ارحمْ بعزِّك ذلتي يا قاسمي

وله في مليحٍ اسمه مطر:

يا من فراقهم عن ناظريّ نفى   نومي وأثبتَ في أجفانيَ السهرا

قلوبُنا جدبت من بعد بعدِكم وكيف يخطر قلبٌ يشتهي مطرا

وله: وقد أرسل إليه السيد يحيى بن محمد بن الحسن كتاباً ودراهم:

يحيى عمادُ الدين يا من له كفٌّ يسيل السؤل قبل السؤالْ
عطفي قد اهتزَّ يا سيدي مذ جاءني منك خطابٌ ومالْ

وله في مليحٍ اسمه العذيبي:

إذا الكلف الشجي الصب المعنَّى ومن فن الغرام غدا نصيبي
إذا ما صدَّ وادي البان قلبي وسلعٌ هامَ في وادي العذيبي

وله في المجون:

وشادنٍ ذي جمال مورَّدِ الخدِّ ألمى
أتيته دونَ ماءٍ ورحت منه إلى المـا

وله في مليحٍ دلالٍ:

وغزالٍ ريقُ فيه من سلافِ الراح أحلى
فتنَ الصبَّ دلالا منه إذ ماسَ ودلاً

وله في مليحةٍ بدت من سَلَّةٍ:

وشادنٍ يغتار ظبي النقى من جيده السامي ومن لفتتِهْ
رأيتُه كالبدر لمّا بدا وطرفه كالسيف في سَلَّته

واستدعى من بعض أصحابه كفتةً، وقد عدمت، بقوله:

من عُدْم قات كان يأتي بالسرور إلي بَغْتَهْ

قــــد مـــــسَّني داء الجنـــو نِ فـــسكِّنوا مـــا بـــي بكَفْتَـــهْ

وله في مليحٍ اسمه الجامد:

قلــــت لمــــا أن تبــــدَّى مثــــلَ بــــدرِ الـــتمِّ ســـاري
رشــــأٌ ســــمَّوه جامِـــــدْ كــــم عليــــه دمــــعُ جـــاري
ليــــت داري منــــه تـــدنو وأرى الجامـــــدَ جـــــاري

وله في مليحين، اسم أحدهما: أبو الغيث، واسم الآخر: الغفاري:

بــأبي شــادنان فــي الحُــسن فاقــا كــلَّ بــدر بــدا وشـمس نهــارِ
فتنانـــا بـــأعينٍ وقـــدودٍ وخـــدودٍ جنيـــةِ الأزهــــارِ
مذ جنى الطرف وردهـا هجرانـي فلــذا قلــت حــين عــزَّ مــزاري
يــا أبــا الغيــث بالوصــال أغثنــي واعــفُ عمــا جنيــتُ يــا غفــاري

وله في مليحةٍ لابسةٍ حلةً زرقاء، وفي جيدها طوقُ فضةٍ:

لمقلتــي قــد بــدت بَيْـضا مطوقــةٌ تميس في الحلـة الزرقـاءِ والحِبَـرِ
ولاحَ لي من سما البُرد بدرُ دُجًى والطوقُ في الجيد يحكي هالةَ القمرِ

وله مضمناً:

لمــا رآنــي مــن أحــبُّ مفكــرًا نــادى إلــيّ مــداعبًا بتلطُّــفِ
حدثتَ قلبَـك بالـسلوِّ فقلـت بـل قلبــي يحــدُّثني بأنــك متلفــي

وله دو بيت:

الــشهد عــدو ابنــة الزرجــون فــي ثغــر رشــا كالرشـإ المكنـونِ

لو شاهده الهلالُ في طلعتِه في التمِّ إذاً لعاد كالعُرجونِ

وكان نقش خاتمه: «محب أبي السبطين حيدر»، فانظر لهذه اللطيفة.

[٩٦٢] حمد بن عبدالله السندي الأصل، المدني المولد.

مولده بالمدينة، سنة خمس أو ست وعشرين وتسع مئة، وتوفي بمكة بعد عصر يوم الأربعاء، ثالث وعشري ربيع الثاني، سنة ألف ومئة وتسع ـ بتقديم التاء ـ، وصلي عليه تحت باب الكعبة الشريفة، صبح يوم الخميس، ودفن ضحًى بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

كان إمام أهل عصره في الفنون العلمية، مرجعاً لأهل زمانه في العلوم الشرعية، فقيهاً علت أعلامه، وإماماً جرت بإجابة السائلين أقلامه، وفاضلاً يظهر بالغرائب، وعالماً يأتي من بحر صدره بالعجائب، مثابراً على تحصيل ما ينقل ويروى، مبادراً إلى ما يزلفه عند من يعلم السر والنجوى.

وكان مع ـ تمكنه في العلوم الشرعية ـ قائلاً بوحدة الوجود، واستمر يرفل في برود الجود، إلى أن ذهب مجاوراً لأهل اللحود، فتوفي بمكة، وله حواشٍ مفيدةٌ، في علومٍ عديدةٍ، اشتهرت بين الطلبة، وكتبتها على الهوامش أفاضل الكتبة ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[٩٦٣] الحكيم أبو الحسين بن إبراهيم الطبيب الشيرازي[1].

قال في «السلافة»: فارس حكماء فارس، المحيي من آثار الحكمة كل

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٨١)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٧٥)، وسماه: صالح بن إبراهيم، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢١٤) (١٨٨).

عافٍ ودارس، بلغ على فتاء سنِّه ما لم تبلغه المشايخ الكبار، وبلغ في صناعة الطب براعةً لا يُشق لها غبار، فلو أدركه الشيخ الرئيس، لقضى له بالرياسة، أو المعلم الأول، لأذعن بأنه الذي عليه المعوَّل، أو الثاني، لقال إليه فليثن الأعنة الثاني.

فلو راجعته البروق شاكيةً، لأزال خفقانها، أو الشمسُ عند الغروب، لأذهب يرقانَها، إلى تقديس نفسٍ وذاتٍ، ومكارم أخلاقٍ مستلذات، وأخلاق كفٍّ، وطلاقة محيًّا، يحيا منهما عفاة كرمه وعلمه إذا حيّا.

ورد علينا الهند سنة خمس وسبعين بعد الألف، وهو يرفل من الشباب في بردٍ قشيبٍ، ويتخلق من الوقـار والسكينة بأخلاق الشيب، فعاشرت منه صديقَ صدقٍ ووفاءٍ، وصفيَّ محبـةٍ وصفاءٍ، وحافظ لأزمة الصحبة والعهود، ونائل من حدائق الفتوة في روض معهود.

واعتنى مدةً يسيرةً بأدب العرب، فملأ منه الدلو إلى عقد الكُرَب، وبرز فيه نثراً ونظماً، وأبرز من سلسال طبعه ما ينوب عن الماء الزلال إن نظما، وأما نظمُه ونثره بلسانه، فهما زهر ربيعه، ووردُ نيسانه، وقد أقر له أقرانه بالإعجاز، والتفرد بنوعي الحقيقة منه والمجاز.

ومن شعره العربي: قوله متغزلاً:

مـن أودعَ الـشهدَ والـسلافَ فمَـهْ ... والجـوهرَ الفـرد فيـه مـن قـسمَهْ
وواوُ صُـــدغيه فـــوقَ عارضـــه ... يا ليت شعري بالمسك من رقمَهْ
ووافـرُ الحـسن والجمـال بـه ... من دون كلِّ الحسان مـن رسـمَهْ
وخـــدُّه الـــوردُ فـــي تـــضرُّجه ... مـــا ضـــرَّه لـــو محبُّـــه لثمَـــهْ

دمـي ودمعـي بلحظـه سـفكا فـلا شـفى منـه ربـه سـقمَهْ
كـم مـن قتيـل بـسيف مقلتـه لـم يخش ثـاراً لمـا أبـاح دمَـهْ
كتمـتُ حبـي عـن الوشـاة فمـا ظـنَّ بـه كاشـحٌ ولا علمَـهْ
وكـم محـبٌ أعيـتْ مذاهبُـه أذاع سـرَّ الهـوى ومـا كتمَـهْ

وقوله، وأجاد في الجناس:

قـضى وجـدًا بحـبِّ أُهَيْـلِ رامَـهْ وما نـال الـذي فـي الحب رامَهْ
محـبٌ لـم يطـع فـيهم عـذولاً ولا قَبِـلَتْ مـسامعُه الملامَـهْ
نهـاه عـن الهـوى لاحيـه سـرّاً فقـال لهـا جهـاراً فـي الملامَـهْ
فقولـوا يـا أُهيـلَ الـودِّ قولـوا علامَ هجـرتُم المـضنى علـى مَهْ
وقـد أمـسى بهجـركمُ قتـيلاً وحـبُّكمُ لـه أضـحى علامَـهْ

وقوله ـ أيضاً ـ:

كـشَفَ الـصبحُ اللثامـا وجـلا عنـا الظلامـا
فأجْـل لـي الكـأسَ ونبـه أيهـا الـساقي النـدامى
علَّنـا نقـضي كمـا رمـ ـنا مـن الأنـس المرامـا
مـا تـرى الـوُرق علـى الأيـ ـك يجـاوبن الحَمامـا
وزهـور الـروضِ أصبحـ ـنَ يُفَـتِّقْنَ الكِمامـا
والحيـا يبكـي علـيهن فيـضحكْنَ ابتـساما
ووميـض البـرق قـد سـلَّ علـى الأفْـق حُـساما
وحبيـبَ الـنفس قـد لا ح لنـا بـدرًا تمامـاً

أيُّ عــــذرٍ لـــــك إن لــــم تـــــصل الـــــراح مـــداما
فــــاغنم الأنــــس وبــــاينْ مـــن لحـــا فيـــه ولامـــا

وهي عروض أبيات بلديّه الشيخ سعدي، صاحب الكلستان:

يـــا نـــديمي قـــم بليـــلٍ واســـقني واســـقِ النـــدامى
خلِّنـــي أســـهر ليلـــي ودعِ النــــاسَ نيامـــــا
اســـقياني وهـــدير الرعـــــد قـــد أبكـــى الغمامـــا
فـــي أوانِ كَـــشَفَ الـــورْدُ عـــن الوجـــه لِثامـــا
أيهـــا المـــصغي إلـــى الزهـــد دع عنـــــك الكلامـــا
فـــز بهـــا مـــن قبـــل أن يجــــعلك الـــدهرُ عظامـــا
قـــل لمـــن عَيَّـــرَ أهـــلَ الـــحُبِّ فـــي الحـــبِّ ولامـــا
لا عرفـــتَ الحـــبَّ هيهـــاتَ ولا ذقـــتَ غرامـــا
لا تلمْنـــي فـــي غـــلامٍ أودعَ القلـــبَ سَـــقاما
فبـــداءِ الحـــيِّ كـــم مـــن ســـيدٍ أضـــحى غلامـــا

[٩٦٤] حنيف الدين بن عبد الرحمن المرشدي المكي[1].

فاضلٌ نبيهٌ، قام مقام أبيه، فتقلد منصب الفتيا بعده، واجتلى من مطالع الإقبال سعده، فجلا بسناه الظُّلَم، ومن شابه أباه فما ظلم.

(1) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٨٠) (٢٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٢٦)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٩٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٢).

وُلد بمكة عشاء ليلة الأحد، منتصف صفر، سنة سبع عشرة بعد الألف، وبها نشأ، وبخط شيخنا السيد محمد الشلي ـ رحمه الله ـ سنة أربع عشرة.

وحفظ القرآن، وأخذ عن والده، وعن العلامة أحمد المقري، والشيخ عبد الرحمن الخياري، وخالد المالكي المكي وأجازوه، وجَدَّ في الطلب، وبرع في العلم والأدب، وولي بعد وفاة والده خطابة الجمعة بالمسجد الحرام، والتدريس خلفَ المقام، ومدرسة محمد باشا، وغير ذلك، ثم تولى الإفتاء السلطاني بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ سنة سبع وأربعين بعد الألف.

وصنف عدة كتبٍ، منها: «شرحٌ على المنسك الوسط» للملا ـ رحمه الله ـ، و«شرحٌ على المنسك الصغير» له، وكتابٌ سماه: «بغية السالك الناسك فيما يتعلق بآداب السفر وأدعية المناسك»، و«شفاء الصدر ببيان ليلة القدر»، و«القول المفيد ببيان فضل الجمعة اليوم المزيد»، و«القول المحقق في بيان التدبير المطلق والمقيد والمعلق»، ورسالةٌ في استبدال الوقف، سماها: «السيف الشهير على من جوز استبدال الوقف بالدراهم والدنانير».

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد مضي ليلة الأربعاء، لثلاث عشرة خلون من شعبان، سنة سبع وستين بعد الألف بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع الفرقد ـ رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى ـ.

[٩٦٥] حسام الدين الرومي(١).

مدرس السليمانية، ومفتي الحنفية بدمشق، كان فاضلاً جليلاً، فقيهاً

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٥٥) (١٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٥٠١)، «عرف البشام» (٦٤) (١٦).

متبحراً، ولـه في الطب معرفةٌ تامةٌ، حسن الأخلاق، لطيف الذات، معظِّماً للعلماء، موداً للطلبة.

مات بدمشق يوم السبت، سادس عشري رجب، سنـة ثمان وعشرين بعد الألف، ودفن بمقبرة مرج الدحداح[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا نصف صفحة بياض».




حَرْفُ الخَاءِ المُعْجَمَة

[٩٦٦] خضر بن عطاء الله الموصلي الشامي[١].

رحلةٌ تُنضى إليه الرواحل، وتُطوى للقياه المراحل، باعه في الفضل مديد، وسهمه في أهداف العلم سديد، لا تدرك في السبق غايته، ولا تتأخر عند ازدحام الرايات رايته.

مولده بالشام، وبها نشأ، وتوجه إلى البلد الحرام، فقطن به، وانتظم في سلك علمائه الكرام.

وألّف في سنة أربع وتسعين وتسع مئة، باسم السيد حسن بن أبي نمي أمير مكة كتابَه: «الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف»، وهو كتابٌ لم تكتحل عين الدهر له بنظير، ولا احتوى على مثل أزهار ألفاظه، وثمار معانيه، روضٌ نضيرٌ، وأجازه عليه من المال ألف دينار، ومن الإقبال ما أضاء به أفق أمله ونار.

وألّف باسمه ـ أيضاً ـ أرجوزةً طويلةً، في فضل أهل البيت، سماها:

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٧٧)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٢١٥) (٣٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٩)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٣٠٧).

«بهجة الجلساء في تعريف الخمسة أهل الكساء»، ولـه منظومـةٌ في العربية سماها: «القواعد النحوية»، وشرحها «الفوائد النظريـة»، و«أنموذج العلوم ونتيجة المنطوق والمفهوم»، وهو القائل فيه: كتابٌ في سرائره سرور، مناجيه من الأحزان ناجي.

ولم يزل مقيماً في الحرم، وارداً مناهل العرفان والكرم، حتى رماه عند الشريف، وزيره ابن عتيق، بأنه ينسب إليه المظالم، ويكتب بذلك إلى الروم والأعاجم، وهو مقبول القول عندهم، فأذن له الشريف في إجلائه عن البلد الحرام، وألزمه بالخروج للحال، وأمره لوقته بالارتحال.

فخرج متوجهاً إلى مدينـة الرسول، وقـد ترنق ورد حياتـه المعسول، وما أبعد عن مكـة مرحلتين، حتى استولى الوزير على داره، ونهـب جميع ما فيها، ونادى عليه في الأسواق، كما ينادى على تركات الأموات، فبلغه الخبر في أثناء الطريق، فأصبح وهو في الهم غريق، وفاجأه أجله قبل وصوله إلى المدينة، وذلك سنة سبع بعد الألف.

ومن شعره قوله مادحاً للشريف حسن المذكور:

بـدرُ الملـوك أميـرُ المـؤمنين أبـو ... علـي الحـسن الـسامي بـه سـاموا
خليفـةُ الله مَـنْ دانـت بنـصرته ... ومـا يـشاء مـن الأفـلاك إحـرام
فـي كـل نـادٍ لـه صيتٌ يهيم بـه ... وفي كـل وادٍ عـداه خـشية هـاموا
لو سابق الـدهرَ لاستدراكِ فائتـة ... لـردَّ ممـا حـواه الـدهرُ أعـوامُ
قل للخوارج موتوا في ضـلالتكم ... فإنمـا الـدينُ عنـد الله إسـلامُ
هذا ابـنُ بنـت رسـول الله طاعتُـه ... فرضٌ وفيـه لأنـف الـدين إرغـامُ

يُطيعه من أطاع الله متقياً ومن عصاه عليه النصُّ إلزامُ
وفي أُولي الأمر قولُ الله حجتنا وهم أئمتُنا بالحق قد قاموا
يا حجةَ الله والحبلَ المتين ومن في غير مرضاته الطاعاتُ آثامُ
إن يمل نابغة الجن القريض فلي في نظم مدحك من جبريلَ إلهامُ
فهاكها درّة بل بحرَ فائدة لدى العقول ببذل الروح تستامُ
تبقى وتذهبُ أشعارٌ ملفقةٌ لغرة في جباه الدهر أو شامُ
واسلمْ ودمْ في سرور بل وفي دعة ما قام بالروح بل بالله أجسامُ

وذكره الفاضل الخفاجي في «ريحانته»، وقال في ترجمته: كعبة فضل مرتفعة المقام، تضمنت ألسنة الرواة التزامَ مدحه، فلله ذلك التضمين والالتزام، رأيته في عنفوان العمر، والدنيا كلها رياض، والأيام كلها أعياد وأعراس، والأوقات كلها سحر، والأشهر نيسان. شعر:

فلو بعث يومًا منه بالدهر كلِّه لفكرتُ دهرًا ثانياً في ارتجاعِهِ

وهو حسنة في صحائف الأيام والليالي، وروضة تنبت الشكر في رياض المعالي، والعيش كلُّه نضر، وقد قيل: لكل زمان خضر. شعر:

إذا ما ذكرنا جودَه كان حاضرًا نأى أو دنا يسعى على قدم الخضرِ

ثم قال: وهو تلميذ والدي، وكان يسلك معه طريق الأدب، ويجثو بين يديه على الركب، وأنشدني له قوله مضمناً:

تبدَّلْ عن البرش المبَلّد بالطِّلا فعالمُ أهلِ البرش غُمْرٌ وجاهلُ
فما البرشُ إن فتشتَ عن كنهه سوى دُويهية تصفَرُّ منها الأناملُ

وللأسعد بن مماتي مما أنشده في كتابه «سلافة الزرجون»:

نـديميَ لا تهتـز لمـشمولةٍ فـإنْ ... بـدا لـك منهـا بهجـةٌ وشـمائلُ
وراقَـك منهـا رِقَّـةٌ فـي قَوامهـا ... ولاحت كشمسٍ أضعفتها الأصائلُ
فـلا تغتـررْ منهـا بلـينٍ فإنهـا ... دُويهيـة تـصفرُّ منهـا الأنامـلُ

وهذا من قصيدة لبيد التي أولها:

أَلا كـلُّ شـيءٍ مـا خـلا اللهَ باطـلُ ... وكـلُّ نعـيم لا محالـةَ زائـلُ

وقد ضمن زكي الدين بن قريع منها ـ أيضاً ـ قوله:

تأمـل صـحيفاتِ الوجـود فإنهـا ... من الجانب السامي إليك رسائلُ
وقد خـط فيهـا إن تأملـتَ خطَّهـا ... ألا كـلُّ شـيء مـا خـلا اللهَ باطـلُ

وفي معناه قول الشيخ حسن البوريني:

وَرَقُ الريـاض إذا نظـرتَ دفـاترٌ ... مـشحونةٌ بأدلـة التوحيـدِ

وهو في معنى شعر أبي نواس المشهور:

تأمـلْ فـي ريـاض الأرض وانظـرْ ... إلـى آثـار مـا صـنعَ المليـكُ

إلى أن قال:

علـى قُـضُبِ الزبرجَـدِ شـاهداتٌ ... بـأن الله لـيس لـه شـريكُ

ومما مَدَح به الشهاب الخفاجي، صاحب الترجمة قوله:

وَصَباً من كـؤوس ذكـرك سَـكرى ... لـك حملتهـا ثنـاءً وشـكرًا

ولوجـدي رقَّـتْ كطبعِـك لُطفـاً　　　واستعارتْ من طيبِ ذكـرِك نَـشْرا
معك القلبُ حيثما سـرتَ يـسرى　　　فاسـألْنَه عنـي فـذلك أَدرى
مـن أُولـي العـزم لـي فـؤادُ كليـمٍ　　　فـي النـوى لا يـزال يتبـع خِـضْرا

فيه إشارةٌ إلى موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ، وواقعتُهما مذكورةٌ في القرآن، والخَضِر ككَبِد، وكِبْد كما في «القاموس»، واسمه في الأصل بليا ـ بفتح الباء الموحدة، وسكون اللام، ثم مثناة تحتية ـ، وقيل: اليسع، وقيل: عامر، وقيل: خضرون، والأولُ أثبت، وكنيته عن وهب: أبو العباس، وسمي خضرًا؛ لحديث الترمذي، وصححه: «إنما سُمِّي خضراً؛ لأنه جلس على فروةٍ بيضاء، فقام، فإذا هي تهتز من تحته خضراء»، والفروة كما في «مسند عبد الرزاق»: الحشيش الأبيض وما أشبهه، وقيل: وجه الأرض، وقيل: هي الأرض البيضاء، التي ليس فيها نباتٌ، وجزم به الخطابي ومن تبعه، وعن مجاهدٍ: لأنه كان إذا صلى على الأرض، اخضرَّ ما حولَه.

واسم أبيه: ملكان بن فالخ بن عامر بن سالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، ومولده قبل إبراهيم، وهو ابن عم جده، وقيل: بعد إبراهيم، وروى الدارقطني عن ابن عباس: أنه ابن آدم لصلبه، وقيل: إنه ابن قابيل بن آدم، وقال ابن لهيعة: إنه ابن فرعون نفسه، وقيل: ابن ابنته، وقيل: إنه الذي أماته الله مئة عام، ثم بعثه، وأبقاه إلى نفخ الصور.

وأما نبوته، فهو عند الجمهور نبيٌّ، قاله القرطبي في «تفسيره»، قال: والآية تشهد بنبوته؛ لأنه لم تكن له بواطن أفعال إلا بوحي، وجَزَم بذلك ابن حزم، ولأن الحكم بالباطن إنما هو للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وقال

الحافظ السيوطي في «تفسيره» ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[الكهف: ٦٥]؛ أي: نبوةً في قولٍ، وولايةً في آخر، وعليه أكثر العلماء، وحكى السُّهَيْلي: أنه من الملائكة.

وأما طولُ حياته، ووجودُه حياً إلى الآن، ففيه اختلافٌ كثيرٌ، فذهب قومٌ إلى أنه حيٌّ إلى الآن، واختاره ابن الصلاح، وتبعه الإمام النووي وخلائق، واتفق عليه الصوفية، قال الدارقطني: مدّ الله حياته، حتى يكذِّبَ الدجال، وعن عبد الرزاق: أنه الذي يقتله الدجال، ثم يحييه، ووافقه إبراهيم بن سفيان، الراوي لصحيح مسلمٍ عن مسلمٍ.

وفي النقاش بطرقٍ أنه حيٌّ، وكلها واهيةٌ، وأوهى من ذلك ما عند ابن عساكر، وفي أفراد الدارقطني، من مرفوع ابن عباس: يجتمع الخضر وإلياس كلَّ عامٍ بالموسم، فيحلق كل واحدٍ منهما رأسَ صاحبه، ويتفرقان على هذه الكلمات: باسم الله، ما شاء الله، لا يسوق الخيرَ إلا الله، ما شاء الله، لا يصرف السوءَ إلا الله، ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

وذهب قومٌ محققون، وأعيانُ أئمة الحديث: إلى إنكار وجود الخضر الآن، وأنه ليس بحيٍّ ـ عليه السلام ـ، قال الحافظ ابن حجر: جزم بأنه غير موجودٍ الآن: البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبو جعفر بن المناوي، وأبو يعلى ابن الفرا، وأبو طاهر العبادي، وأبو بكر بن الحربي، وطائفةٌ.

وعهدتُهم الحديثُ المشهور، عن ابن عمر، وجابر، وغيرهما: أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «لا يبقى على وجه الأرض، بعد مئة سنةٍ، ممن هو عليها اليوم أحدٌ».

وقال ابن حجر: ومن حجج من أنكر وجوده: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وحديث ابن عباس: «ما بعث الله نبياً إلا وأخذ عليه الميثاق: لئن بُعث محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به، ولينصرنه» أخرجه البخاري.

ولم يأت في خبرٍ صحيحٍ أنه جاء إلى النبي ﷺ، ولا قاتل معه، وقد قال ﷺ يوم بدرٍ: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض»، فلو كان الخضر موجوداً، لم يصح هذا النفي.

وقد قال ﷺ: «رحم الله موسى، لَوَدَدْنا لو كان صبر، حتى يقص الله علينا من خبرهما»، فلو كان الخضر موجوداً، لما حَسُن هذا التمني، ولأَحضره بين يديه، وأراه العجائب، ولو كان باقياً، لكان له في صدر الإسلام ظهورٌ.

وقال العلامة شمس الدين بن القيم في كتابه المسمى بـ: «المنار المنيف في الصحيح والضعيف»: فصلٌ: ومن الموضوعات: الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذبٌ.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي: وأما الخضر بخصوصه، فأئمة الحديث لا يكتبون له الآن وجوداً، وما يروى في حقه من الأحاديث، رأوه في ديوان الموضوعات معدوداً، وأما أنا، فلا أقول في حقه نفياً ولا إثباتاً؛ مراعاةً لأهل الحديث والصوفية، ولعدم أدلة بإثباته ونفيه. انتهى.

قال شيخ شيوخنا العلامةُ مرعي الحنبلي: وبقول السيوطي أقول، غير أن عندي بعض ميلٍ إلى مذهب القائلين بعدم وجوده؛ لأن الحجة النقلية والعقلية معهم؛ بخلاف القائلين بحياته؛ فإنه ليس لهم بذلك حديثٌ واحدٌ صحيحٌ يؤيد قولهم، وإنما هو مجرد آراءٍ وحسبانٍ، وصورة دعوى بلا برهانٍ،

والدعوى بلا دليلٍ كلُّ أحدٍ يقدر عليها، وينهض إليها. انتهى كلامه.

[٩٦٧] خضر الساكن ببلدة آق شهر.

كان يتكسب بالعطارة، وكان صالحاً مكاشفاً، توفي... بعد الألف[١].

[٩٦٨] خير الدين بن أحمد بن علي الرملي العُلَيمي العُمَري الحنفي[٢].

شيخ الإسلام، وعلامة الأنام، وصدر المدرسين، وفخر العلماء المقدمين، وخاتمة الفقهاء المحققين، وحامل أعباء الإفتاء بقطر فلسطين، المنقادة إليه رياسة ذلك القطر بيقين، علامةُ المعقول والمنقول، وفهامةُ الفروع والأصول، الجامعُ بين العلم والعمل، السائرُ ذكرُه في الأقطار سير المثل.

مجدد مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، ومقلد جيده من فوائده بما هو أبهى من قلائد العِقيان، فارسُ ميدان المباحث، الحبر الذي عُزِّز الصاحبان منه بثالث، ذو القدم الراسخ في جميع العلوم، والمقام الشامخ الذي دون رفعته النجوم.

وُلد بالرملة، وبها نشأ، وقرأ القرآن ليلة سابع وعشري رمضان، سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة، وأخبر أنه لا يعي نفسه إلا في تعلم القرآن وحفظه، والأخذ في تجويده، والاعتناء بالفقه وتمهيده، وقدم مصر سنة سبع بعد الألف، وبلغ بالاحتلام ليلة دخولها.

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر السنة، وبعده خمسة أسطر بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٣٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٢٥٤) (٨٨)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٣٢٧).

وكان والده شافعي المذهب، فأراد الاشتغال بفقه مذهبه، فقال له بعض الأولياء: اشتغل بفقه أبي حنيفة، وتمذهب بمذهبه، فامتنع من ذلك تأدباً مع الشافعي ﷺ، فقال له: اكتب ورقةً بريقك، واستشرفها الشافعي، وضعها على قبره، كما هو دأب المصريين، ففعل ذلك، فرأى الشافعي تلك الليلة في المنام، وهو يقول: يا خير الدين! كلنا على هدًى، فحينئذٍ تمذهب بمذهب أبي حنيفة، وكان من أمر الله ما كان من انتهاء رياسة الفقه إليه في عصره، وبشَّره بعضُ الأولياء من أهل مصر، في أوائل اشتغاله ببشاراتٍ عظيمةٍ، حصلت له، وكان يقول له كلما رآه: يا شيخ الإسلام.

وقرأ في الفقه على العلامة أحمد بن أمين بن عبد العال، وجاور بالجامع الأزهر سنين، حتى صار منقطع القرين، ورجع إلى بلده رملة فلسطين، وانتهت إليه الرياسة في علوم الدين، وصارت تأتيه الفتاوى من الآفاق، ووقع على قبولها والاعتماد عليها الاتفاق، وكان ـ رحمه الله ـ ملجأً للطالبين، وكهفاً للغرباء والمساكين، وأقبلت عليه الدنيا إقبالاً كبيراً، ونال من الدنيا خيراً كثيراً.

وألف مؤلفاتٍ كثيرة، ورسائل شهيرة، منها: «الفتاوى الخيرية» في مجلدين، وكان يكثر التردد في مجاورته بالجامع الأزهر، على الشيخ الولي المشهور فايد، ورجع من مصر إلى بلده سنة ثلاث عشرة وألف.

وتوفي ليلة الأحد، قريب الفجر، في سابع وعشري رمضان، سنة خمس وثمانين وألف، وعنه أخذ جمع من أكابر العلماء؛ كالسيد محمد بن حمزة النقيب، والشيخ علاء الدين الحصكفي، والسيد عبد الرحيم المقدسي، ومحمد السروري المقدسي، والشيخ العلامة محمد بن سليمان المغربي، وشيخنا يحيى بن محمد الشاوي المغربي، وغيرهم.

وله «حواشٍ على منح الغفار»، وعلى «الأشباه والنظائر»، وعلى «البحر»، وعلى «جامع الفصولين» جردها ولده نجم الدين، وهي موجودةٌ بأيدي الناس، ولـه رسالـةٌ سماهـا: «سلك الإنصاف في عـدم الفرق بين مسألتي السبكي والخصاف» التي في الأشباه في القواعد، وله رسالةٌ سماها: «الفوز والغنم في مسألة الشرف من الأم» كان جاءه السؤال فيها من مصر، من الفاضل عمر آغا، ولـه «رسالـةٌ فيمن قال: إن فعلت كذا فأنـا كافر»، سألـه عنها يحيى أفندي المنقاري، مفتي السلطنة العلية، وله ديوان شعر.

وكان موته بداء البطن، ودفن بمكان بحارة الباشقري بالرملة، قريباً من مدفن الشيخ أبي عبدالله البطايحي، من جهة القبلة بوصيةٍ منه، وأخذ عن الشيخ خير الدين بن عبدالله النحريري، والسراج الحانوتي.

واشتهر علمه في الآفاق، واتسع في المعيشة من حِلٍّ، وكسب يمين، قانعاً بالرزق الحلال، ولم يقبل شيئاً من الوظائف الدنيوية، بل كان على سنن أهل العلم، المقتفين للآثار المحمدية، حتى علت همته، ونفذت كلمته.

وأخذ صاحب الترجمة عن العلامة أحمد بن أمين الدين بن عبد العال الحنفي، وشيخ الإسلام شمس الدين محمد ابن بنت محب الشهير بالمحبي، والعلامة محمد ابن بنت الشلبي المحبي، ومن شاركهم في طبقتهم من علماء عصره، وسالم السنهوري، وشيخ الإسلام سراج الدين محمد بن محمد بن محمد الحانوتي، وأجازه سنة تسعين بعد الألف، والعلامة عبدالله بن محمد النحريري، وقرأ في علوم العربية عن الشيخ أبي بكر الشنواني، وسليمان بن عبد الدائم البابلي.

ومن شعر المترجم قوله:

وزنبقةٍ قد أشبهت كأسَ فضةٍ على قُضُبٍ خضرٍ زمردةٍ عَجَبْ
سُداسيٌّ شكلٍ كلُّ زاويةٍ به على رأسها الأعلى هلالٌ من الذهبْ

وقوله:

لا تسألَنَّ عن الشوق الشديدِ بنا إذ كاد يهوى من الأجساد كل بنا
لكن بعيدُ اللِّقا أبقى لنا رمقاً فنسألُ الله بعدَ البعدِ يجمعُنا

وقوله:

هب يا زمان أني قتلتُ عُميرًا أباكْ
فعفَّ يا دهر إني دخلتُ تحت حماكْ

وهذا ينظر إلى قول القائل:

يا ليلُ إن الحبيب وافى فشدَّ يا ليلُ دُهْمَ خيلِكْ
واركبْ فردَّ الصباحَ عني دخلتُ يا ليلُ تحتَ ذَيلِكْ

ومثل ما للمترجم في وصف الزنبق، للسيد الحسين بن عبد القادر بن الناصر، صاحب كوكبان:

أتانا زنبقٌ قد راقَ حسناً بنشرٍ كاد يبعثُ كلَّ مَيْتِ
كقنديلٍ من البِلَّورِ فيه فتائلُ أُسرِجَتْ من غير زَيْتِ

[٩٦٩] خليفة بن أبي الفرج الزمزمي، البيضاوي الأصل، المكي

المولد والمنشأ، الشافعي[1].

كان فاضلاً أديباً، ذكياً أريباً، ماهراً في الأدب وفنونه، قرأ على الإمام محمـد بن عبدالله الطبري، والإمام عبد القادر الطبري، ومن عاصرهما من المكيين.

توفي في نيف وستين بعد الألف بمكة ـ رحمه الله ـ.

ومن مؤلفاته: «رونق الحسان في فضائل الحبشان».

ومن شعره فيهم قوله:

زارت معـذِّبتي لـيلاً وفـي يـدها كأسٌ من الراح تـسقيني وأَسـقيها
ريـمٌ بقـدٌ كمثـلِ الغـصن قامتُـه ما الظبيُ ما البدرُ لا شيءٌ يُحاكيها
والوصـلُ منهـا عزيـزٌ قـلّ نائلُـه هيهـاتَ مطلبُهـا عـزَّتْ مراميهـا
دامت على الهجر والهجران مذْ نشأت ذلُّ المحبـة عِـزٌّ فـي مراقيهـا

[٩٧٠] خليل البغدادي الحنفي.

خطيب مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني، الإمام الفاضل، أخـذ عن مدلج الفقهَ وغيره، وقرأ في الحكمة، وغيرها من الفنون العقلية على الملا علي الكركوكي موجودٌ.

[٩٧١] خليل بن إبراهيم اللقاني المالكي.

أحد أكابر المدرسين بمصر، بالجامع الأزهر، الفاضل العلامة، المحدث المفنن في علوم عديدة، قرأ على أخيه عبد السلام، وشيخنا محمد البابلي،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٣٢).

وسلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، وعلي الأجهوري، وغيرهم، وأجازه كثيرٌ من شيوخه.

وجاور بالحرمين سنين، وعقد بالمسجد الحرام دروساً، وكانت مجاورته من ابتداء سنة ثلاث وخمسين خمسَ سنين، وأخذ بها عن محمد بن علان الصديقي، وعن القاضي تاج الدين المالكي، وأخذ بالمدينة عن عبد الرحمن الخياري، وغرس الدين الخليلي، وأجازوه.

توفي ـ رحمه الله ـ سنة خمس ومئة وألف، في شهر ربيع الأول، في اليوم السادس عشر منه.

[٩٧٢] خليل دده.

صحب الشيخ محمد الخلوتي، المعروف بقورد أفندي، واجتهد عنده إلى أن صار من جملة خلفائه، ثم ذهب للحج إلى مكة، وأقام بها مجاوراً، وكان شيخاً صالحاً متوكلاً(١).

□□□

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض صفحة وثلث».




حَرْفُ الدَّالِ المُهْمَلَة

[٩٧٣] داود بن سليمان الرحماني الشافعي[١].

شيخنا السيد الفاضل، العالم العامل ـ رحمه الله ـ.

كان ـ رحمه الله ـ من أجلاء المشايخ، الملازمين لإقراء العلم والإفتاء والتدريس بالجامع الأزهر، على مذهب الإمام ابن إدريس الشافعي، ومن المشهورين بمصر بالدين المتين، والعقل الرصين.

مولده سنة خمس وعشرين بعد الألف، أخذ عن الشمس محمد الشوبري، وعامر الشبراوي، وسلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، ومحمد البابلي الشافعي، وغيرهم، وبرع في سائر الفنون، وأجازه شيوخه.

وألف كتباً عديدةً مفيدةً منها: «حاشيةٌ على شرح المنهاج» للجلال المحلي، و«حاشيةٌ على شرح التحرير»، و«حاشيةٌ على شرح أبي شجاع» لابن قاسم الغزي، و«حاشيةٌ على شرح الشذور»، و«حاشيةٌ على شرح القطر» لابن هشام، وغير ذلك من الكتب والرسائل الشهيرة.

حضرت مجلسه بالجامع الأزهر في «شرح المنهاج للمحلي»، وغيره

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٤٠).

من الكتب، وأجاز لي مروياته.

توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثمـان وسبعين بعد الألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله ـ.

والرحماني: نسبة إلى محلة عبد الرحمن بالبحيرة، من قرى مصر.

[٩٧٤] السيد داود بن الهادي المؤيدي.

كان من أكابر علماء اليمن في عصره، وممن شهد له بالتقدم أهل قطره، وكان كثير التعبد، كثير الخلوة والانقطاع إلى الله سبحانه، فصيح اللسان، قوي الجنان، وسئل أن يولى في إقليمه، فلم يفعل، وكان ملازماً لقراءة القرآن، في كل أوان.

توفي سنة خمس وثلاثين وألف، في درب الأمير ـ رحمه الله ـ.

[٩٧٥] السيد دخيل الله بن ثقبة بن أبي نمي.

كان سيداً جليلاً، عظيم القدر، مجللاً عنـد الأشراف الحسنيين ملوك بلد الله الحرام، ومن رؤوسهم، وذوي الرأي منهم.

توفي سنة اثنتين وثلاثين ببيشة، ودفن بها ـ رحمه الله ـ.

[٩٧٦] السيد داود بن شافيز البحراني[1].

البحر العجاج، إلا أنه العذبُ لا الأُجاج، وهو في العلم فاضل لا يسامى، وفي الأدب فاصل لا يُكل الدهرُ لـه حساما، وشعره أبهى من شف البرود، وأشهى من رشف الثغر البرود، منه قوله:

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٩٧) (١٨٣).

أنـــــا واللهِ المعنّـــــى بـــالهوى شـــوقيَ أَغـــرَبْ
كلّمـــا غـــنّ الهـــوى لـــي أرقـــصَ القلـــبَ وأطـــرَبْ
وغـــدا يَـــسقيه كاســـا تِ صـــباباتِ فيـــشرَبْ
فالـــذي يطمـــعُ فـــي سلـــ ـــبِ هـــوى قلبـــيَ أشـــعَبْ
قلـــت للمحبـــوب حتـــا مَ الهـــوى للقلـــب ينهَـــبْ
وبمَيـــــدان الـــــصِّبا واللهـــوِ شـــاه أنـــت تلعَـــبْ
قـــال مـــا ذنبـــي إذا شـــا هـــدت حذاقـــه تلهَـــبْ
فهـــوى قلبـــك فيهـــا ذاهبًـــا فـــي كـــل مـــذهَبْ

وقوله:

طـــال فـــي الحـــبِّ غرامـــي إذ رمـــى المهجـــةَ رامـــي
فأصـــابَ القلـــبَ مجـــرو حًـــا بمـــسموم الـــسهامِ
والهـــوى فـــوقي وتحتـــي وورائـــــي وأمـــــامي
ويـــساري وهـــــو لا شـــــكَّ إمـــــامي
قائـــدًا قلبـــي إلـــى نـــار هـــوان وهُيـــامِ
قلـــت للمحبـــوبِ حتـــا م بنيـــران الغـــرام
مـــن ضـــريعِ الـــشوق والأحـــ ـــزان أكلـــي وطعـــامي
وشـــرابي مـــن حميـــم الـــ ـــهجرِ أغـــرى بـــي حِمـــامي
لا تُغنـــي فـــي أراك الـــ ـــوصل فـــي وقـــت حَمـــامي
قـــال قـــفْ واصـــبرْ علـــى بلـــوى الهـــوى صـبرَ الكـرام

فعسى تحظى بجنات وصالي وسلامي

[٩٧٧] الرئيس داود بن عمر الأنطاكي الحكيم البصير[١].

نزيل القاهرة المُعِزِّية، الشيخ الإمام المميز على من له بها المزية، المتوحد بأنواع الفضائل، والمتفرد بعلوم الأوائل، شيخ العلوم الرياضية، [لا]سيما الفلسفة، والعلوم الحكمية، وعلم الأبدان، القسيم لعلم الأديان؛ فإنه بلغ فيه الغاية التي لا تدرك، وانتهى منه إلى الرتبة التي لا تكاد تملك، مع فضلٍ في جميع العلوم، ليس لأحدٍ وراءه فضلةٌ وعلمٌ، لم يحو أحد في عصره مثله، وأدبٍ يغض منه الناظر، ويحار في وصفه الفكر والخاطر.

مولده بفوعة ـ بالعين المهملة ـ، ثم انتقل به والده إلى أنطاكية، فنشأ بها، ثم منها إلى الشام، ثم منها إلى مصر، فقطن بها، وكانت له خلوةٌ بالمدرسة الظاهرية، تجاه البيمارستان، يجلس بها نهاراً.

قال تلميذه الفاضل الخفاجي في «ريحانته» في ترجمته: ضريرٌ بالفضل بصير، كأنما ينظر ما خلف ستارة الغيب بعين فكرٍ خبيرٍ، لم تر العين مثله، بل لم تسمع الآذان، ولم تحدث بأعجب منه مسائل الركبان، إذا جس نبضاً لتشخيص مرض عَرَض، أظهر من أعراض الجواهر كل غرض، فيفتن الأسماع والأبصار، ويطرب بجس النبض ما لا يطربه جس الأوتار.

يكاد من رقة أفكاره يجول بين الدم واللحم، لو غضبت روح على

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٢٠)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٥٠٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٦٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٤٠)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٤٧)، «الأعلام» للزركلي (٢/ ٣٣٣).

جسمها، ألف بين الروح والدم، فسبحان من أطفأ نور بصره، وجعل صدره مشكاةَ نور، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وله في كل علمٍ سهمٌ مصيبٌ، ومنطقٌ محلًّى بتذهيب التهذيب.

وكنت قرأتُ عليه الطبَّ وغيره في سن الصغر، فسمعت ما يغار له نسيم السحر، ويطرب ممن لطفه نغمات الوتر، ينثر فيه نثار العلوم، على عرائس المنثور والمنظوم، وكان يقول: لو رآني ابن سينا، لوقف ببابي، أو ابن دانيال، لاكتحل بتراب أعتابي، إلا أنه على مذهب الحكماء، ومشرب الندماء، ولذا كثر كلامُ الناس في اعتقاده، ونقل عنه رشح قطرات إلحاده، ثم لما كثر اللغط فيه، ارتحل للبيت العتيق، فطافت به المنية من كل فج عميق، فقضى نحبه، ولقي ربه. انتهى كلام الشهاب.

ومما يدل على أنه شيعي: قوله في شرحه لمنظومة ابن سينا، بعد كلامٍ طويلٍ، ناقلاً ما في التنزيل عن سيدنا موسى لأخيه هارون ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، فقال: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾[الأعراف: ١٤٢]، وهذا قال ـ يعني: النبي ﷺ ـ لسيدنا علي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟»، فالمشاورة للتخبير على مقامات النبوة، خلية عن الوحي الملكي لا للتحيير، فنبيٌّ أمن من الخطأ، يحرض على الإصلاح، ووصيٌّ لم يـر عصمتـه إلا الخواص، يشاوَرُ على الرضا بأعمال الأنبياء، هل هذا إلا سرٌّ جلبته الخلافة، وحققته الألوهية، إذ كان الكفر خلافه. انتهى.

وقال ـ أيضاً ـ في الشرح المذكور: لا سيفَ إلا ذو الفقار، ولا فتًى إلا عَلِيّ، قام الحصر دليلاً على القصر، كـان قَصْرَ قلب، كَشْفَ كرب، إلا أنه

لا نبي بعدي، فقال: اخلفني، فلا خلاف في الخلافة إثباتاً، والنبوةِ محواً. انتهى.

وله من هذه الأشياء كثيرٌ في مؤلفاته، تدل على فساد اعتقاده، والله أعلم.

ومما يدل على أنـه على مذهـب الحكماء، في الشرح المذكور، فيما يتعلق بخرق الأفلاك، ما نصه: إن جواز الخرق محالٌ، لا يقال: يلزم عليه تكذيب صاحب الشرع، في دعوى المعراج، لعـدم جوازه بدون ذلك؛ لأنا نقول: هذا شيءٌ تقول به سخفاء العقول من المتشرعين؛ فإن المعراج إن لم يكن مشروطاً بعدم جواز الخرق، لم يكن إعجازاً؛ إذ المعجز: الخارق للعادة، والصعود إلى السماء يستلزم الخرق، فلو كان جائزاً، لم يكن له ـ عليه الصلاة والسلام ـ مزيـة على غيـره، وقد فرضناه منفرداً عن بني آدم كافة بذلك هذا خلف. انتهى.

قلت: قال الإمام النسفي: والمعراج برسول الله ﷺ في اليقظة، بشخصه إلى السماء، ثم إلى ما شاء الله من العلا حق، قال السعد التفتازاني: أي: ثابت بالخبر المشهور، حتى إن منكره يكون مبتدعاً، وإنكاره وادعاء استحالته إنما ينبني على أصول الفلاسفـة، وإلا، فالخرق والالتئام على السموات جائز، والأجسام متماثلةٌ، يصح على كلٍّ ما يصح على الآخر، والله تعالى قادرٌ على الممكنات كلها. انتهى.

وله من هذا القبيل أشياء كثيرة، ومن وقف على الشرح المذكور، اطلع على حقيقة مذهبه، اللهم اهدنا فيمن هديت.

وقال الفاضل أبـو المعالي درويش الطـالـوي مفتي دمشق، في كتاب

«السانحات» بعد أن أثنى عليه: وردتُ عليه على برح اشتياق، وادكار بحديث هيت، أو حديث زوراء العراق، بل كنت لديه كقميص يوسف، حين ألقـاه البشير، فكاد أن يرتد من فرط السرور وهو بصير، فمازجته امتزاج الراح بالماء القراح، ولزمته لزوم الظل في الغدو والرواح، فلما استشف غيب باطني من الظاهر، واستشرف بقوة حدسه عما تكن السرائر، سمح لي بشيءٍ من بعض علومه العربية، وأخصني بدقائق حكمه العجيبة، بما لو انتظم في سلك، لَسَحر، أو ظهر لأعين الناظرين، لبهر. شعر:

فإن كنت سهل القود فاطوِ حديثـه على كل طـاوٍ مـن جيـاد العـزائمِ
وإلا فــلا تعــرضْ لــه فــسبيلُه أشقُّ وأنـأى مـن طريـق المكـارم

هذا، ولم أزل مدة إقامتي بالقاهرة أرود حماه، وأجعل سمير ليلي فيها قمر محياه، تارةً بالظاهرية مجمع أناسه، وأخرى بربع قيسون مربع إيناسه، مملياً عليَّ فيه من لطائف أسماره، وطرائف نكته البديعـة من نوادر أخباره، فمما سمعته، ورويته عنه، وقد سئل عن مسقط رأسه، ومشتغل نبراسه، فأخبر: أنه وُلد بأنطاكية بهذا العارض، ولم يكن له بعد الولادة بعارض، قال: ثم إني بلغت من السن عدد سيارة النجوم، وأنا لا أقدر أن أنهض ولا أقوم؛ لعارض ريحٍ تحكم في الأعصاب، منع قوائمي منه حركة الانتصاب.

وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار، له كرمُ خِيم وطيبُ نِجار، فاتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطاً للواردين، وبنى فيـه حجـرات للفقراء المجاورين، ورتب لها في كل صباح من الطعام، ما يحمله إليها بعض الخدام.

وكنت أُحمل في كل يوم إلى صحن الرباط، فأقيم فيـه سحابة يومي،

ويُعاد بي إلى منزل والدي عند نومي، وكنت ـ إذ ذاك ـ قد حفظت القرآن، وكُفيت مقدماتِ تثقيف اللسان، وأنا لا أفتر في تلك الحال، عن مناجاة قَيِّمِ العالَم في سري، ومبدعَ الكون فيما إليه يؤول عاقبة أمري.

فبينا أنا كذلك، إذ جاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى، كأنه ينشُد ضالةً، أو أضلَّ المَسْعَى، فنزل من الرباط بساحته، ونفض فيه أثواب سياحته، فإذا هو من أفاضل العجم، ذو قدرٍ منيفٍ، يدعى بمحمد شريف، فبعد أن ألقى فيه عصا التسيار، وكان لا يألف منزلاً كالقمر السيار، استأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه، وابتدأ في بعض العلوم الإلهية، فكنت أسابقه إليه.

فلما رأى مني ما رأى، استخبر ممن هناك عني، فأجبته، ولم يكن هناك غير الدمع سائلاً ومجيباً، فعند ذلك اصطنع لي دهناً مسّدني به في حر الشمس، ولفّني بلفافةٍ من فَرْقي إلى قدمي، حتى كدت أفقد عنده الحس، وتكرر ذلك منه مراراً من غير فاصل، فتمشّت الحرارة الغريزية كالحميّا في المفاصل، فبعدَها شدَّ من وَثاقي، وفَصَدني في عضدي وساقي، فقمت بقدرة الواحد الأحد، بنفسي، لا بمعونة أحد.

ودخلت المنزل على والدي، فلم يتمالك سروراً، وانقلب إلى أهله فرحاً مسروراً، وضمَّني إلى صدره، وسألني عن حالي، فحدثته بحقيقة ما جرى لي، فمشى من وقته إلى الأستاذ، ودخل حجرته، وشكر سعيه، وأجزل عطيته، فقبل منه شكره، واستعفاه من بره، وقال: إنما فعلت ذلك لما رأيت فيه من الهيئة الاستعدادية، لقبول ما يلقى إليه من العلوم الحقيقية.

فابتدأت عليه بقراءة المنطق، ثم أتبعته بالرياضي، فلما تم، شرعت

في الطبيعي، فلما أكملت، اشرأبت نفسي لتعلم الفارسية، فقال: يا بني! إنها سهلة لكل أحـد، ولكني أفيدك اللغة اليونانية، فإني لا أعلم الآن على وجه الأرض من يعرفها أحداً غيري، فأخذتها عنه، وأنا ـ بحمد الله تعالى ـ الآن كهو إذ ذاك، ثم ما برح أن سار كالبدر، يطوي المنازل لدياره، وانقطعت عني بعد ذلك سيارة أخباره.

ثم جرت الأقدار بما جرت، وخلت الديار من أهلها وأقفرت، بتنكرها عليّ لانتقال والدي، واعتقـال ما أحرزته يدي من طريفي وتالدي، فكان ذلك داعية المهاجرة، لديار مصر والقاهرة، فخرجت عن الوطن في رفقةٍ كرامٍ، نؤم بعض المدن من سواحل الشام، حتى إذا صرت في بعض ثغورها المحمية، دعتني همةٌ عليةٌ أو علويةٌ، أن أصعد إلى جبل عاملة، فصعدته منصوباً على المدح وكنتُ عاملَه، وأخذت من مشايخها ما أخذت، وبحثت مع فضلائها فيما بحثت.

ثم ساقتني العناية الإلهية، إلى أن دخلت حمى دمشق المحمية، فاجتمعت ببعض مشايخهـا من مشـايـخ الإسـلام؛ كأبي الفتـح محمـد بن محمـد بن عبد السلام، وكشمس علومها البدر الغزي العامري ذلك الإمام، والشيخ علاء الدين العمادي، ثم لم ألبث أن هبطت مصر هبوط آدم من الجنة، لما وجدتها كما قال أبو الطيب ملاعب جِنَّة، فكأنها مغاني الشِّعب، وأنا الفتى فيها بقوله:

ولكـــنَّ الفتـــى العربـــيَّ فيهـــا   غريـــبُ الوجـــهِ واليـــدِ واللـــسانِ

تنبو عن قبول الحكمة فيها طباع الرجال، نُبُوَّ قيناتهم الحسان لحى شيب القذال، ترى نفرة أحدهم عن كماله السرمد، نفرةَ الظليم لاقى الظلام فجوَّد،

ثم تمثل بقول من قال:

مـــا مُقـــامي بـــأرض نخلـــةَ إلا كمقـــام المـــسيح بـــينَ اليهـــودِ
أنـــا فـــي أمـــةٍ تـــداركَها اللّـــ ـــه غريـــبٌ كـــصالحٍ فـــي ثمـــودِ

هذا ما طارحني به في بعض مطارحاته، وحدثني في جملة مسامراته، وكان فيه دعابةٌ، يؤنس بها جليسَه، كي لا يُغْرِق [في] الوحشة أنيسَه، إلى حسن سجايا كالرياض بكتها الأمطار، فضحكت ثغور آقاحِها عن باسم الأنوار، وكرم نجد وطيب خيم، تعرف فيه نضرة النعيم، وأما فَرَقُه من المَعاد، وخشيته من ربِّ العباد، فلم نر لغيره من أهل هذا الطريق، وأصحاب أولئك الفريق، وكثيراً ما يتمثل بهذين، وهما لعبدالله بن طاهر بن الحسين:

إلامَ تطيلي العَتْبَ فـي كـل سـاعةٍ فلـمْ لا تملِّـينَ القطيعـةَ والهَجْـرا
رويـــدك إن الـــدهر فيـــه كفايـــةٌ لتفريق ذاتِ البينِ فانتظري الدهرا

انتهى كلام الطالوي.

وأما معرفته لأقسام النبض، فإنـه لـه منقبة باهرة، وكرامة على صدق مدعاه ظاهرة، يكاد لقوة حدسه يستشف الداء من وراء حجابه، ويناجيه بظاهر علاماته وأسبابه.

حكي: أن الشريف حسن لما اجتمع به، أمر بعض إخوانه أن يعطيه يده، ليجس نبضه، وقال له: جس نبضي، فقال: هذه اليد ليست يد الملك، فأعطاه الأخ الثاني يده، فقال كذلك، فأعطاه الشريف حسن يده، فقبلها، وأخبر كلاً بما هو متلبس به، فتعجبوا من حذقه.

وحُكي: أنه استدعاه لبعض نسائـه، فلما دخل، قادتـه جاريـةٌ، ولما خرجت به، قال للشريف حسن: إن هذه الجارية لما دخلت بي، كانت بكراً، ولما خرجت بي، صارت ثيباً، فسألها الشريف حسن، وأعطاها الأمان من المعاقبة، فأخبرته أن فلاناً استفضها قهراً، فسأله، فاعترف بذلك.

وحكى لنا شيخنا محمد البابلي: أن الحكيم داود مرّ ببعض الحارات التي يسكنها الضعفاء والفقراء، وسمع صوت مولودٍ حالَ ولادته، فقال: هذا صوت بَكْريٌّ ـ بفتح الباء ـ، فتفحصوا عن ذلك، فوجدوه كما قال، وأن بعض السادة البكريين تزوج ببنت فقيرٍ خفيـةً، ووافق مرور صاحب الترجمة حال وضعها للولد.

وكان إذا سئل عن شيء من الفنون الحكمية، والطبيعية، والرياضية، أملى على السائل في ذلك ما يبلغ الكراسة والكراستين؛ كما هو مشهورٌ مثل ذلك عن الشيخ الرئيس أبي علي الحسين.

قال الطالوي: فمن ذلك: ما شاهدته وهو بحجرته الظاهرية، وقد سأله رجلٌ عن حقيقة النفس الإنسانية، فأملى على السائل رسالةً عظيمةً في ذلك، وعرضها عليه.

وله من الكتب والرسائل، والأشعار المزرية بروض الخمائل، ما هو بأيدي الناس مألوفٌ، وعند أربابه من الفضلاء معروفٌ، فمن ذلك: الكتاب الذي صنفه، وسماه بـ: «التذكرة»، ولكنه لم يكمل، جمع فيها الطب والحكمة، وهي بأيدي الناس شهيرة، ثم اختصرها لقصور الهمم، في مجلدٍ واحدٍ سماه: «تشحيذ الأذهان»، ومنها: «نزهة الإنسان في إصلاح الأبدان»، وكتاب «غاية

المرام في تفاصيل السعادة بعد انحلال النظام»، وكتاب «طبقات الحكماء»، و«شرح القانون لابن سينا»، و«مجمع المنافع البدنية»، و«رسالةٌ فيما يتعلق بالسفر من المسائل الطبية»، وله «غاية المرام في تحرير المنطق والكلام»، وله «زينة الطروس في أحكام العقول والنفوس»، وله «ألفيةٌ في الطب» وله «نظم قانون جك»، وله «شرحٌ على النظم المذكور»، وله «شرحٌ على أبيات السهروردي» التي أولها:

خَلَعَتْ هياكلَها بجرعاءِ الحمى ... وصبَتْ لمعناها القديم فشَوَّقا

وله مختصر أسواق الأشواق للبقاعي سماه: «تزيين الأسواق»، و«رسالة في الحمام»، وأخرى في «الهيئة»، و«كفاية المحتاج في علم العلاج»، وغير ذلك، وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا التي أولها: هبطَتْ إليك من المحلِّ الأرفَع، سماه: «الكحل النفيس لجلاء عين الرئيس»، وهو شرحٌ فصّل فيه حقيقة النفس، وجوهرها النفيس، يرضي السائل، وإن كان هو الشيخ الرئيس، وله قطعةٌ منظومةٌ في هذا المعنى، تشعر باعتراض فيها على الشيخ، وهي:

من بحرِ أنوارِ اليقينِ بحسنها ... فلوصلٍ أو فصلٍ تنوب كما ادُّعي
أو للكمالِ فهيكل لا يُرتضى ... للمطلق الثاني يصح لأربع
هبه يصحُّ فتلذه من أوج ما ... قدست تكمل بالحضيض البلقَعِ
تالله ما هبطتْ ولكن أُهبطت ... فبقسْر أو بالاختيار لمن يعي
وعليهما تتبدلُ الأحيان أو ... تفنى فتدخل في المحلِّ المقنعِ

وكانت قصيدة الحكيم الفاضل، والفيلسوف الكامل أبي علي الحسين ابن سينا البغدادي، التي خاطب بها الفلك، تشتمل على مباحث الحكمة، وأكثر مسائل الفلسفة، وهي من أبدع الشعر وأعذبه، وأبلغ النظم ومستعذبه، كثيراً ما يلهج بإيرادها، ويكرر في غالب أوقاته من إنشادها، وهي:

بربـك أيّهـا الفلـك المـدار ... أقـصدٌ ذا المسيرُ أم اضطرارُ
مسيرُك قل لنا في أي شيء ... ففي أفهامِنا منكَ انبهارُ
وفيك نرى الفضاء فهل فضاءٌ ... سوى هذا الفضاءِ به تدارُ
وعندك ترتعُ الأرواحُ أم هل ... مع الأجساد يدركُها البوارُ
وموجٌ ذا المجرةُ أم فِرِنْدٌ ... على لُجج الذروع له أوارُ
وفيك الشمسُ رافعة شعاعًا ... بأجنحةٍ قوادمُها قصارُ
وطوقٌ في النحور من الليالي ... هلالٌ أم يدٌ فيها سوارُ
وشهبٌ ذا الخواطفُ أم ذبالٌ ... عليها المَرْخُ[1] يقدح والعفار
وترصيعٌ نجومُك أم حَبابٌ ... يؤلف بينه اللجج الغِزارُ
تمد قوادمًا ليلاً وتطوى ... نهارًا مثلَ ما طُوي النهارُ
فكم بصِقالِها صديَ البرايا ... وما يصدى لها أبدًا غرارُ
تباري ثم تخنس راجعاتٍ ... وتكنُس مثلَ ما كنس الصُّوارُ
فبينا الشرقُ يقذفُها صعوداً ... تلقَّاها من الغرب انحدارُ
على ذا ما مضى وعليه يمضي ... طوالُ مُنًى وآجالٌ قِصارُ

(١) كذا في الأصل، والصواب ما أثبت.

وأيـــامٌ تعرَّفْنـــا مـــداها		لهـــا أنفاسُـــنا أبـــدًا شِـــفارُ
ودهـــرٌ يـنثـــر الأعمـــار نثـــرًا		كمـــا للغـــصن بـــالورق انتشـــارُ
ودنيـــا كلَّمـــا وضـــعتْ جنينًـــا		عـــداه مـــن نوائبهـــا ظـــوارُ
هـي العـشواءُ مـا خبطَـتْ هـشيمٌ		هي العجمـاءُ مـا جرحـت جُبـارُ
فمـــن يـــومٍ بـــلا أمـــس ليـــومٍ		بغيـــر غـــدٍ إليـــه مـــا يُـــسار
ومـــن نفـــسَينِ فـــي أخـــذٍ وردٍّ		لروح المـرء فـي الجـسم انتـشارُ

وهي طويلةٌ.

ومن شعر صاحب الترجمة قوله:

مـن طـول إبعـادٍ ودهـر جـائرٍ		ومسيسِ حاجـاتٍ وقلـةِ منـصفِ
ومغيـبِ إلـفٍ لا اعتيـاضَ بغيـره		شـطَّ الزمـانُ بـه فلـيس بمسعِفِ
أواهُ لـو حلَّـتْ لـي الـصهباءُ كـي		أنـشا فأذهـلَ عـن غـرامٍ متلِـفِ

ومما كتبه إليه أبو المعالي درويش محمد الطالوي، مراسلاً له من دمشق: قوله:

لنا بحِمى فـسطاطِ مـصرَ شـجونُ		وذكـرى لمغنـى ربعهـا وحنـينُ
حنـينَ رؤوم بـانَ عنهـا وحيـدُها		فمـــا هـــي إلا أنـّــة ورنـــينُ
وذاتِ جناحٍ غـاب عنهـا هـديلُها		فتـسجاعُها فـوقَ الأراكِ أنـينُ
تباري حَمـامَ الغـوطتين بشجوِها		وفـي قلبهـا داءُ الفـراقِ دفـينُ
ويُذكرها المقياسُ والروضةُ التـي		بـشاطئه عـذبٌ هنـاك مَعـينُ
إذا ضـربتْهُ الـريحُ خِلْـتَ بمتنـه		مـضاعَفَ سـردٍ أحكمتْـه قُيـونُ

جرى فوقَ حصباءِ اليواقيت أشبهت لآلــئَ دمــعٍ يــوم بــانَ قــرينُ
ذكـرت بـه مـن أُم سـالم معهـداً به القلبُ إذ سـار الركـاب رهـينُ
فتـاةٌ أنـاةُ الخطـوِ صـفرٌ وشـاحُها بألحاظهـا جـيشُ الغـرام كمـينُ
ولم أنسَ يـومَ البين وقفـةَ سـاعةٍ ولـي ولَهـا عنـدَ الفـراق شـؤونُ
وقد حلفتْ أن تحفـظَ الـودَّ بيننـا ولـيس لمخـضوبِ البَنـانِ يمـينُ
ترحَّلْـتُ عنهـا والفـؤادُ بربعِهـا مقيمٌ وهـل يرعـى الـودادَ خـدينُ
وفارقتُ فيهـا مـن أحـبُّ وجيـرة لهم بـين أحنـاءِ الـضلوعِ شـجونُ
ولا سيما شـيخِ الفلاسـفةِ الـذي تــسلِّم يونــانٌ لــه وتَــدينُ
سَـمِيٌّ نبـيٍّ الله داودَ مـن أتـى علـى فتـرةٍ فاسـتعبدتْهُ ظنـونُ
وظنـيَ فيـه غيـرُ ظَـنٍّ مـرجَّم علـى ظـنٍّ ذاك الألمعـيِّ يقـينُ
عليـه سـلامُ الله مـا ذَرَّ شـارقٌ وروّى حِمى فسطاطِ مـصرَ هتـونُ
وما غردتْ وُرْقٌ سواجعُ بـالحِمى ومالــتْ بترجيــعٍ لهــنَّ غُــصونُ
أسكانَ قيـسونٍ لـئن جـارَ بعـدَكم علــيَّ زمــانٌ باللقــاء ضَــنينُ
فـواللهِ مـا فـارقْتُكم قاليًـا لكـم ولكـنَّ مـا يُقـضى فـسوف يكـونُ

شوقي إلى لقاء سيدي الأجل، عمر الله بذكره رباع الفضل، كما غمر طلابَ العلوم نائلـهُ الجزل، شوقَ الوامق لعذراه، وعروةَ لعفراه، بل شوقَ غيلانَ لميَّـة، والجـاذرة لسميـة، أو كحمامـة أضلَّت هديـلاً، وفارقت بعد المواصلة خليلاً.

وأنا أُهدي لحضرته سلاماً كالراح، تبعث ميت الأرواح، يزيدها القِدَمُ

طيباً، ولا يوجد صريحاً وطيباً، والمحلات وإن كانت متعاصية، فإن الخلات كما يشهد ودّه متناضية، وها أنا مذ سرت عن حضرته الجليلة، مانسيت أياديه الجميلة، وهل تنسى المديح قمر ليله، وساكن اليمن مطالع سهيله.

على أني لم أزل بالشام، أتشوق من أَرَجِه طيبَ بشَام، وهو بالفسطاط، والمنزل شطاط، شاكراً فضلَ أياديه، وذاكراً شرف مجلسه وناديه، وإن قلت: إن أفواه الحمائم، أو بروق الغمائم، تقدر أن تصف ما أُجِنُّه من الارتياح لقربه، والانضمام إلى شيعته وحزبه، فقد شهدْتُ أنها أبلغُ من سَحبان، وأفصحُ من صعصعةَ بنِ صوحان.

على أني أسأل وهَّاب الصوَر، خلاقَ القوى والقدر، فياضَ المعارف ذوارفَ العوارف، إن رتب اقتراباً صافياً من الكدر، مغنياً عن ورود المكاتبة والصدَر، وأنا أُجل سيدي إجلالَ الأمة نبيَّها، والأمِّ المشفقةِ صبيَّها، وفي القلب إلاَّ أنْ تدنوَ الديار أوار، ولكل سالمة كما يعلم الله قرار، والسلام.

ثم لم يزل صاحب الترجمة متديراً الديار المصرية، يرتع بربوعها النضرة المعزية، إلى أن حدا به حادي المسير وزمزم، وناداه منادي الحرم، فلبّى وأحرم، وأقام بمكة دون سنة، ومات بمرض الإسهال عن تناول عنب، سنة ثمان بعد الألف، عن ست وستين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

ورأيت في «رحلة» الشيخ عبدالله العياشي المغربي: أن الشيخ عبد العزيز الزمزمي رئيس المؤذنين بمكة أخبره: أن الشيخ داود كانت له وجاهةٌ عظيمةٌ عند أمراء مكة، قال: وكان يحضر مجلس والدي في التدريس، وكان الوالد

يجلُّه، وكنت أنا في نفسي أُبغضه وأستثقله، وأعاتب الوالد على إجلاله إياه وتعظيمه، وأقول: كيف تُجلُّ رجلاً فيلسوفياً، من شأنـه كذا وكذا؟! فيقول لي: إن الرجل من حكماء الإسلام، وله مهارةٌ في العلوم العقلية، وعقيدته سليمة، وله وجاهةٌ عند الدولة، وقدما قيل:

ومـا عجـبٌ إكـرامُ ألـفٍ بواحـد   لعَـينٍ تفـدَّى ألـفُ عـينٍ وتُكـرَمُ

قال: ثم عرض لي عارض مرضٍ ذات يومٍ، واشتد علي، ولم أحضر الدرس أياماً، فحضر الشيخ داود، وسأل الوالد عني، فأخبره بحالي، فلما تفرق المجلس، قال للوالد: اذهب بنا لعيادة ولدك، فدخل عليّ وأنا في أشد ما يكون من المرض، فجس يدي، ثم قال لوالدي: ليس هذا وقت معالجة هذا الولد، ولكن هذا الدواء ـ لشيء استخرجه من جيبه ـ يسقى ويدهن به، يخف عنه ما هو فيه، وأنا راجعٌ إليه غداً، في الوقت الذي ذكر.

واستحضر حجاماً، وقال: هيئ آلة الفصادة، وأراه العرق الذي يفصده، ومحل الفصد منه، وقال: إذا سمعتني قلت: الله رافعاً صوتي، فأفصد المحلَّ الذي ذكرتُ لك، وإذا قلته ثانياً، فحلَّ رباطَ الفصد، وأمسكْ عن إخراج الدم، فهيأ الحجامُ الآلـة، وربـط المحل، فبقي ينتظر إذن الشيخ، والشيخ مطرقٌ رأسَه مدةً، ثم قال له: الله، ففصد العرق مع قوله، فلما قاله ثانياً، أمسك، ثم رفع الشيخ رأسه، وقال: أخرجت لك دماً مخصوصاً، في وقت مخصوص، لأمرٍ مخصوص، وذلك أن الأمـر المخصوص، قرب الثمانين سنة، فوجد الشيخ عبد العزيز الراحة من حينه، ولم يعـاوده المرض إلى قرب الثمانين، كما ذكر ـ رحمه الله ـ.

[٩٧٨] دُهل بن علي بن أحمد بن عبدالله بن الدُّهل بن محمد بن إبراهيم ابن عبـد الرحمن بن إبراهيم بن محمـد بن عمر حُشِيبَر، العارف المشهور بالغيثي؛ نسبة لسيدي أبي الغيث بن جميل ـ نفع الله به ـ؛ لأنه كان تلميذه، وقال له في بعض وقائعه: إنه حُشِيَ بِراً، فلذلك اشتهر بحشيبر، الحشيبري العدناني[١].

وبنو حشيبر هؤلاء قومٌ يسكنون الزيدية، علماء أخيار، نجباء أبرار، قل من يدانيهم في العلم والعمل والصلاح، ودُهَل ـ بضم الدال المهملة، وفتح الهاء ـ كذا ضبطه الشرجي في طبقاته.

شيخنا الإمام العلامـة، فخر السادة والسؤدد والشرف، وبدر الكمـال الذي ما قَطُّ سنا صباه خسف، إمام أهل العرفان، المشار إليه بالبنان، وقطب دائرة اليمن، بل سائر الديار، ومركز محيط ذلك الدوار، المتخلق بالأخلاق النبوية، المتصف بالصفات الربانية، والمتبحر في العلوم الشرعية.

وُلد ـ فيما أخبرني من لفظه ـ سنة ست وثلاثين بعـد الألـف بمدينة «الزيديـة» من اليمن الميمون، وحفظ القرآن وجوَّده على الفقيه أبي بكر بن سليمان حُشيبر الخطيب، وأخذ الفقه والحديث، وغيرَهما من فنون العلوم عن الشيخ العلامة علي بن محمد بن أبي بكر بن مطير، وعن الفقيه عبد الواحد ابن محمد الحباك الحشيبري، وعن شيخنا العلامة محمد بن أحمد صاحب الحال.

ولازم العلامةَ المحققَ الملا محمد شريف الكوراني الصديقي، حين

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٥٨).

قدم الزيدية، في رحلته لليمن، وقرأ عليه «شرح العقيدة الصغرى» لمؤلفها الإمام السنوسي، وبرع في جملةٍ من العلوم النافعة، وأجازه جل شيوخه، وأمروه بالتدريس، ونفعِ الناس، فتصدر في حياتهم، وفات أقرانه.

وألف مؤلفاتٍ مفيدة، منها: حاشيةٌ على «المنهاج» سماها: «إفادة المحتاج على المنهاج»، ومنظومةٌ في العقائد سماها: «جواهر العلوم»، وأرجوزةٌ في علم التصوف سماها: «هداية السالك إلى رضاء المالك»، و«شرحها» بعد أن منّ الله عليّ بالاجتماع به، عام أربعة وتسعين، في رحلتي لليمن الأمين، وأجازني بمروياته، وحصل لي من بركات دعواته، وتأكدت بيني وبينه المحبة والمودة، حتى صار لا يفارقني في غالب الأوقات، مدة إقامتي في الزيدية.

وأنشدني له من شعر العلماء، ما يحق أن تخضع له الفحول، بأكف القبول.

فمنه: قوله يمدح النبي ﷺ:

حنَّ قلبي شوقًا إلى لقياكا ... وتذكرتُ طيبة وحِماكا

وقُباها ومِنبرًا وضريحاً ... جمع النورَ والبها إذ حواكا

وخلعتُ العذار عن كل واشٍ ... وتهتكت رغبةً في هواكا

لستُ أُصْغي للائمٍ وعذولٍ ... فمنائي ورغبتي رؤياكا

فعسى أن تجودَ بالوصل يومًا ... ويزولَ البعاد منكَ عساكا

ومتى ألثم الضريحَ وأسعى ... بين تلك الرياضِ والشُّبَّاكا

وأقولُ السلامُ يا سيدَ الرسْـ ... ـل جهارًا بالصوت مني علاكا

يـا رسـولَ الله أنـت المرجّـى زادك الله رفعـــةً وحباكـــا
يـا رسـولَ الله هـبْ لـيَ نـورًا وسَـنًا أَستـضيه مـن سَـناكا
يـا نبـيَّ الله أغثنـي سـريعًا وأقِلْنـي مـن عثرتـي بـدُعاكا
كنْ نصيري عن الخطوب جميعًا وأجرْني مـن جَـوْرِ دهـرٍ تـشاكا
أنـت سـرُّ الوجـود لـولاك مـا كـوِّنَ الكـونَ سـيدي لـولاكَ
خـصَّك اللهُ بـالبراقِ وبالاسـرا وبرؤيـاه جهـرةً قـد حباكـا
بِـتَّ ترقـى فـي ليلـةٍ لفخـارٍ طـاب فيهـا إلـى العـلا مسراكا
كـان جبريـلُ خادمـاً وسـفيراً ولـسبعِ الطبـاقِ قـد رَقّاكـا
جُزتَ حُجبًا وكـم علـوتَ بساطًا مـا عـلاهُ مـن الأنـام سـواكا
وصريرُ الأقـلام مـن مستوى قـد سـمعتَهُ حقّـاً كـذا أُذْناكـا
وأتـاكَ النـداءُ مـن مالـك المُلـ ـك ادن مني وسَـلْ تفـزْ بمُناكـا
وتجلّـى الجبـارُ جـلَّ عـلاه وتـدلّى إليـكَ بـلْ واصـطفاكَا
وتلـذذتَ بالخطـاب عيانًـا وكقـابِ للقـوس قـد أدناكـا
وتلاشـيتَ فـي الغيـوب بـلا أيـ ـنِ فمـن ثـمَّ لـم تَـزُلْ قـدماكا
وتـولاّك إذ هـداك ووالا ك عطـاءً وبالجمـال كـساكا
جمـع الله فيـك كـلَّ فخـارٍ بـل وأعطـاك مـا بـه أرضـاكا
خـاتمَ الرسـل سيدَ الخلـق طـرّاً كلُّهـم فـي المعـاد تحت لواكـا
فعليـك الـصلاة تتْـرى دوامـاً وعلـى الآلِ التـابعين هـداكا
وعلى الصحبِ من حَمَوْكَ وآوَوْا بـل وفـي الله جاهـدوا أعـداكا

وعلـــى كـــلٍّ تـــابعٍ ومـــوالٍ	مقتــفٍ إثــرَهم يريــد رضــاكا
عَـدّ خلـقِ الإلـه منـي لترضـى	وليرضـــى الإلـــهُ عنّـــي بـــذاكا

وقوله متغزلاً:

يـا هنـدُ جـودي بوصـولٍ ولـو	مقــدارَ ردِّ الطــرفِ إذ يطــرِفُ
وروّحـــي روحـــي برؤيـــاك يـــا	سـؤلي فمـا غيـرك بـي يلطـفُ
فقـد فنـي صـبري وطـال المـدى	وحبـــذا وصـــلٌ بـــه تعطِـــفُ
راقَـتْ ورقَّـتْ ورَقَـتْ فـي العـلا	ونورُهـا كـالبرقِ قـد يخطِـف(١)

❐ ❐ ❐

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحتان بياض».




حَرْفُ الرَّاءِ المُهْمَلَة

[٩٧٩] ربيع بن محمد بن عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بن أحمد ابن محمد بن محمد بن محمد بن عبد العال السنباطي ثم القاهري[١].

نزيل مكة السالك على الطريقـة الجميلة، والمالك لأزمة كل فضيلة، الحائـز من صفـات الفضل فنونـاً شتى، والسالك الطريقة التي لا عوج فيها ولا أَمتا.

مدحه جماعةٌ من الفضلاء، ولم يزل على حاله وإيابه، حتى أناخ الحِمام ببابـه، فتوفي بمكـة، في شوال، سنة اثنتين بعـد الألـف، ودفـن بالمعـلاة ـ رحمه الله ـ، ورثاه غير واحد من الأدباء، منهم: العلامة شهاب الدين أحمد ابن محمد الخفاجي الشافعي، رثاه مؤرخاً وفاته بهذه الأبيات:

صاح هل نافعٌ وهـل عاصـمٌ مـن ... نـشرِ وجـدٍ أمـسى بِطَـيِّ الـضلوعِ
غيـرُ صـبرٍ قـد مـرَّ إذ مـرَّ مَـنْ ... كـان ربيعًـا لكـلِّ غيـثٍ مَريـعِ
كامـل وافــر زمانًـا زمــانٌ ... فيـه بالبعـد بعـد فقـدٍ سـريعِ
هـو بـرٌّ وفـي المكـارمِ بحـرٌ ... ذو أصـول تزهـو بخُلْـقٍ بـديعِ

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٥٩).

قد فقدنا فيه اصطبارًا فأرخ (كلُّ صبرٍ محرمٌ في ربيعِ)

ورثاه مؤرخاً الشيخ حسن الشامي بقوله:

صبري تناقصَ لازدياد دموعي مما حوته من الفراق ضلوعي
ذهب الذي كنا له جمعًا به وفراقُ جمعي قد أضرَّ جميعي
يا قلبُ إن لم تستطع صبرًا فنى رفقًا بناحلِ جسميَ الموجوعِ
وإذا ذكرتَ ربيعَ أيامٍ مضتْ أَرِّخْ (بشوالٍ فراقُ ربيعِ)

قال الأديب أحمد بن الشاهد: الأول أولى، والثاني أحلى.

فائدة: ضبط التاريخ بحروف تضمنتها كلمة أو كلمتان، تشتهر على معنى مناسب من أنواع البديع، اخترعه بعض المتأخرين، فإذا اتفق اللفظ والرسم، فذاك واضح، وإن اختلفا؛ كيحيى، ينطق به ألف، ويرسم ياء، وكحمزة وطلحة، النطق بالتاء، والرسم بالهاء، فقيل: المعتبر: المرسوم دون الملفوظ، وقيل: الاعتبار باللفظ، لا الرسم، ثم تلك الحروف قد توافق التاريخ، من غير زيادة ولا نقصان، وهو أولى، وإن لم توافقه، فيتسامح فيه بحرف أو حرفين، وإن زاد على ذلك، فيخرج الزائد بلفظ يدل على الإخراج؛ كقول صاحبنا الأديب عبد الباقي الشامي، في تاريخ فتح أجريد، الواقع سنة ثمانين بعد الألف:

وحين كرب زال أَرَّختــه (نصر من الله وفتح)

ومراده أن يسقط عدد لفظ كرب، وهو اثنان وعشرون ومئتان من التاريخ المذكور، وفيه معنىً حسن مناسب، وإن نقص ذلك، ضُم إليه ما يتممه؛ كقول

الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري مؤرخاً إيوان بضاعة بالمدينة، الذي بناه العارف بالله محمد بن علوي:

غايـــةُ الإعجـــاب فيـــه   طـــابَ بـــدءاً وختامـــا

أي: إن غاية الإعجاب، وهو الباء الموحدة، يدخل في حساب التاريخ، وكقول بعضهم مؤرخاً لدار:

فمبـدأ الأعـداد قلـتُ مؤرخَـا   (دار السـرور وربـع الأحبـاب)

ومراده: أن الواحد يدخل في العـدد، وإنما قال: مبدأ الأعداد؛ لأن الواحد ليس بعدد على المشهور. انتهى.

والسنباطي: نسبةً إلى سنباط ـ بسينٍ مهملةٍ مضمومةٍ، بعدها نونٌ ساكنةٌ، ثم باءٌ موحدةٌ ـ من أعمال المحلة الغربية من ديار مصر.

[٩٨٠] رجب بن حسين الدمشقي الشافعي[١].

كان أستاذاً في العلوم الرياضية، متقناً للفرائض والحساب؛ بحيث إنه لم يكن له نظيرٌ في وقته فيهما، وانفرد في عصره بمعرفة علم الموسيقا، وأهل دمشق ممن أدركناه أخذوه عنه، علماً وعملاً، وكان له ألحانٌ حسنةٌ عجيبة الصنعة.

قرأ بمصر على شيوخ كثيرين، وبدمشق عمن بها من علماء عصره، وكان له حانوتٌ بخان السفرجلانية، ويتعاطى التجارة، مع الدين المتين، وملازمة صنوف الخير، صالحاً لدينه ودنياه، وفي غالب أوقاته يقرأ عليه طلبة العلوم

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٦١)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٨).

الغريبة في حانوته، وكان من الملازمين له، والآخذين عنه هذه العلوم: الشيخ العلامة عبد الحي العكر، وبه تخرج فيها.

ولم يزل عاكفاً على دينه ودنياه، حتى وافاه أجله، فتوفي بدمشق، في حدود سنة ثمانين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد رأيته وأنا صغير، وكان بينه وبين خالي العلامة محمد بن الحسين صحبةٌ أكيدةٌ، ولا يكادان يفترقان، في غالب الأوقات، وكان يدعو لي كثيراً، ويأخذني معه إلى بيته، ويتلطف بي كثيراً ـ رحمه الله ـ.

[٩٨١] رجب بن حجازي الحريري الحمصي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ[1].

صاحبنا الأديب الأريب، الآتي في صناعة النظم والنثر بالعجيب، برع في الفنون الشعرية، حتى صارت له سجية، وكثر شعره بين البرية، وله مقاماتٌ سنيةٌ، تفوق المقامات الحريرية، ولو دوّن ما قاله من المنثور والمنظوم، لكان مجلدات، وله كثيرٌ من الأزجال، والدوبيت، والمواليا، والموشحات، والمدائح، والأهاجي، والتواريخ، والأحاجي، وكل ذلك يقع له من غير تكلف؛ بحيث إنه ينظم في ساعةٍ واحدةٍ مئة بيتٍ فما فوقها.

ولكنه كان ـ عفا الله عنه ـ بذيء اللسان، خبيث الهجاء، متسلطاً على أعراض الناس فيه، وله فيه المعاني الغريبة، التي لم تقع لغيره، ولذلك كرهه عامة الناس، وكان كثير السياحة في البلاد، رحل إلى الحرمين الشريفين،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٧٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٤٠٩) (١٠٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٦٠)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٣٧) (٩٩٦).

وجاور بهما سنين عديدة، وتكرر سفره إلى مصر، وأقام بها مدةً، واجتمعت به ثمةَ، وكان لا يفارقني فيها في غالب أوقاته، ثم رحل إلى حلب، ومكث بها إلى أن توفي في شهر صفر، سنة إحدى وتسعين بعد الألف.

وبيني وبينه مطارحاتٌ ومكاتباتٌ، منها: ما كتبه إلي يستدعي ورقاً بقوله:

يا مصطفى السعد من راقتْ شمائلُه ... وساد بين الملا بالعلم والأدب
الطاهر الشيمِ المرضيُّ سيرتُه ... وزاكي الخلق والأخلاق والنسبِ

ومنها:

وبعد لم يُبق عندي الدهر من وَرِقٍ ... وما رأيت سوى مولاي مَنْ يهبُ
فابعثْ إلينا به من أبيضٍ بهجٍ ... يا أيها الكاتبُ الأستاذ عن كثبِ
وإن أتانا بألوان مصبغة ... فيا بشرى إلى رجب[1]

وهي طويلةٌ.

وقوله:

فيضُ المدامع نارَ وجدي ما طفى ... بل زدتُ منه تلهُّبًا وتلهُّفَا
وجوًى أذاب جوانحي وجوارحي ... وهوًى على السلوان صالَ وأتلفا
ومن النوى بي لوعةٌ لو بعضُها ... في يُذبلٍ أمسى رغامًا أو عفا
رقَّ الصبا لصبابتي وبكى على ... حالي الحمامُ ولان لي قلبُ الصفا

---

(١) كذا في الأصل، الشطر الثاني غير موزون.

والسقمُ واصلَ مهجتي لفراق مَنْ أحببتُـه لـو عـادني عـادَ الـشفا
من راحمي أو مسعفي أو مسعدي أفـديك مالـكَ مهجتـي زُرْ مـدنفَا
يـا مـن بطلعتـه وسـحرِ جفونـه بهـرَ الغزالـةَ والغـزالَ الأوطفـا
بـشمائلٍ فـوق الـشَّمولِ لطافـةً منها ثملـتُ ومـا شـربتُ القَرْقَفا
وبـوردِ خـدٌ فـوقَ بانَـةِ قامـةٍ يحميـه نـرجسُ نـاظرٍ أن يقطفـا
ارفـقْ بـصبٌ قـد أذبـتُ فـؤادَه ودعِ التجنِّـيَ والتجنُّـبَ والجفـا
وبراحـةٍ بـين العقيـق ولؤلـؤٍ اسـمح ودعنـي كأسَـها أن أرشـفا
ونباكرُ الروضَ الأريضَ فقد حكى طيـبَ الجنـان نـضارةً وتزخرفـا
والمـزنَ أضـحكه ونـضَّر وجهَـه وكـساه بـردًا بـالزهور مُفَوَّفـا
قـد فـاحَ مـن أرجائـه أَرَجُ الـصَّبا فكأنـه لطفًـا شـمائلُ مـصطفى
الفاضـلُ النـدبُ الموفَّـقُ والـذي نهـجَ الفـضائلِ والمحامـدِ اقتفـى
مـن فـاقَ أبنـاءَ الزمـان نجابـةً وبراعـةً وتأدبًـا وتعفُّفـا

منها:

وإذا سـمعتَ كلامَـه أو حلمَـه شاهدتَ سَحبانَ الـذكا والأحنفـا

إلى آخرها.

وقوله:

وأغيـدَ كـم فـي خـدِّه رق شـاعر وأبدع معنى في العيـونِ النـواعسِ
وكأنْ عن ابن الوردِ يروي فمُذْ بدا عذارٌ لـه أروي عـن ابـن مكـانس

وقوله:

قالوا أترضى إذا الرقيبُ قضى وقطعتْه صوارمُ رمحي
فقلتُ لا أرتضي فقيل لِما فقلتُ أَخشى أموت من فرحي

وكتب إلي من دمشق إلى مصر، معاتباً لي على ترك المعاهدة:

بالله يا نشرَ الصَّبا الساري من رامةٍ وافى بأسرارِ
هيجتَ أشواقي إلى ظبيها وزندُ وجدي لم يزلْ واري
ما حلَّ في قلبي سواه ولا تجولُ إلا فيه أفكاري
جاوره قلبي فيا ليته لو كان يرعى حرمةَ الجارِ
من لحظِه الساجي ومن خدِّه معذَّبٌ بالسيفِ والنارِ
ظمآنَ لا أَرْوَى إذا لم أر خداً به ماءُ الحَيا جاري
لي في محيَّاه وفي ثغره ما شئتُ من نَوْرٍ ونوَّارِ
إذا شدا فاحَ الشذى أو بدا يُزري بقُمْريٍّ وأقمارِ
أدار خمرًا ساحرًا لفظُه ويلاهُ من خمرٍ وسحَّارِ
من قدِّه المياسِ أو طرفِه يصولُ في رمحٍ وبتَّارِ
قُتلت يا ويلاهُ من بعدِه يا هل ترى في حالتي دارِ
إن قلتُ للقلب اصطبرْ لحظةً عنه فيلفى غيرَ صَبَّارِ
وكيف أسلو مَنْ حياتي به وعينُ مطلوبي وأوطاري
بالله بلِّغْ يا نسيم الصَّبا تحيةً من نازحِ الدارِ
كالمسكِ بل أزكى شذًى عاطرٍ والروضِ في زهوٍ وأزهارِ

على الأعز الجوهرِ المنتقى | مـن خيـرِ أمجـادٍ وأطهـارِ
خـلا أعـزّ الأصـفياءِ مـصطفى | أُعيـذُه بالواحـد البـاري
الكاتـبِ الـشاعرِ نجـمِ الـذكا | فـي مدحِـه شـرَّفتُ أشـعاري
يراعُـه إن جـال فـي مِهْـرَقٍ | إليـه يعنـو كـلُّ خَطَّـارِ
فتى كسي ثـوبَ الحيـاءِ والتقى | وقـد غـدا عـارٍ مـن العـارِ
فخـرُه جـوهرُ آدابـه | لا جـوهرٌ مـن جـنس أحجـارِ
ويُـثَّ أشـواقي ووجـدي لـه | وفـيضَ أفكـاري وتـذكاري
وإننـي مـن بعـده فـي عَنـا | والحـالُ فـي ضَـنْكٍ وأكـدارِ
وَسَـلْه مـا الـداعي لإعراضِـه | عـن كُتـبِ وافـت بأخبـارِ
ولِمـا رعـاهُ اللهُ قـد ملَّنـي | ولـم أكـنْ يومًـا بغـدَّارِ
ومـا الـذي أوجـبَ هـذا القِلـى | وهـل طـرا بيننـا طـاري
وعشْ ودمْ مـا فـاح مـسكَ الـصَّبا | فـي حـينِ آصـالٍ وأسـحارِ

إلى هاتيك الشمائل اللطيفة، والفضائل المنيفة، والذات الشريفة، والصفات الظريفة، الأعز السعيد الطالع، والمحيا المنير الساطع، مَنْ طبعَه الله على الكمال، وألبسه حللَ الفضل والإفضال، فلسانُه للفصاحة، وكفُّه للسماحة.

يلوح البِشرُ من محياه، ويفوح المسك من ريَّاه، فتقرأ عنوان السرور من أسرته، وتلمح أنوار البدور من غرته، أرقُّ لفظاً من السَّحَر، ونسماتِ الأسحار هبَّت على عنبر الشحر، وشمائل ألطف من بُرد الشَّمول، وأطرب

من برد الشمول، إذا تكلم، لا يُمل له كلام، فكأنه يسقيك شهداً أو مدام، وإن أنشد القريض، أغناك عن الروض الأريض، وألحان معبد أو غَريض.

أهدي سلاماً كأنوار الربيع نَشْراً، وإقبال الحبيب لطفاً وبِشراً، والعقد النفيس قدراً، ونفيس الرياض عطراً، أرقَّ من عتاب المحب للحبيب، وشكوى المستهام الغريب، إلى سيدي ومولاي المتوَّج باسم تاج السطور، لا زال في عز وحبور، ولا برح موفقاً سعيداً، ومؤيداً ورشيداً.

واعلم ـ حفظ الله مهجتك ـ أن تراكم ركام الأشواق، وتزاحم ضرام الإحراق ـ لعمرك ـ شيءٌ يطول شرحه، ولا يطال صرحه، وقد طال انتظار كتبك السامية، التي هي عندي أحلى من العافية، فلم تأتني حكم العادة، وبقيت أهلاً للإعادة، فإن كنت يا سيدي آليت أن لا تكاتب عبدك، فكفر عن يمينك، أدام الله سعادتك، وأيد سيادتك، وأنت فقيه الزمان، حفظك الله بما حفظ به القرآن، وعليك مني أجلُّ سلام، ما سجعت وُرق الحَمام.

[٩٨٢] الملا رجب بن عماد الدين العجمي الكاتب(١).

دخل دمشق في حدود سنة ألف، وانتفع الناس بالكتابة عليه، وكان حسن الخط جدّاً، وله فضيلةٌ تامةٌ في بعض العلوم، وكان عارفاً بالموسيقا، محباً للعلماء، معتقداً لهم، توفي ليلة الأحد، حادي عشر ذي القعدة، سنة اثنتي عشرة وألف.

[٩٨٣] رضي الدين بن عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام شهاب الدين

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٦٣) (١٥٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٦٢)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٨).

أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي - بالمثناة الفوقية - نسبةً لمحلة أبي الهيتم، من أقاليم مصر، السعدي نسبةً لبني سعد، الموجودين الآن بمصر، وسبب شهرة جده بحجر: أنه كان ملازماً للصمت، في جميع أحواله، لا ينطق إلا لضرورة، فسمي: حجراً، المكي الشافعي[1].

أحد أفاضل المكيين، ووجوه الشافعية، وممن برع في العلوم الشرعية، واشتهر بعظيم التقوى، والشدة في الدين، والاشتغال بما يعنيه من أمور الدنيا والدين.

وُلد بمكة عام عشرة بعد الألف، وأخذ عن والده، وعن السيد عمر بن عبد الرحيم البصري، وأحمد بن أبي الفتح الحكمي، وعبد الملك العصامي، وعبد العزيز الزمزمي، وأجازه إجازةً حافلةً سمّاها له شيخه أحمد الحكمي: «فتح الرضا في نشر العلم والاهتدا».

قال فيها: لازمني - زاد الله توفيقه، وسلك به أقوم طريقه - من عام ثمانية وعشرين وألف، وحضر دروسي بالمسجد الحرام، الذي هو أجلّ المساجد وأشرف، وسمع عليّ كتاب الصوم والحج، من «تحفة المحتاج لشرح المنهاج» لجدي وجده، وغالب الربع الأول من مؤلفه «فتح الجواد»، مع مطالعته «للتحفة» و«الإمداد»، والربع الأول من «شرح الروض»، وغالب «شرح المنهج» لشيخ الإسلام زكريا، وقطعة من «شرح القطر لابن هشام»، وقرأ عليّ قراءةً خاصةً، من أول كتاب البيع إلى كتاب الوقف، من «شرح المنهج» مع مطالعة «التحفة».

---

(1) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٦٦).

ولم يزل ملازماً للقراءة والحضور، ويبدي من الفوائد العجيبة، والدقائق الغريبـة، والأبحاث الدقيقـة، في حقائق المنطوق والمفهوم، والإشكالات الوثيقة، المستنبطة لها من مدارك العلوم، ما يدل على غزارة فضله، وإحكام علمه ونقله، ولا غرو؛ إذ هـو فـرع ذلك الأصل الزكـي، والعنصر الطيـب الرضي، ويحق أن ينشد لسان حالـه ويبدي: فإن الماء ماء أبي وجدي. . . إلى آخر ما ذكره.

وأخذ عن سيدنا أحمد القشاشي التفسير والحديث، والفقه والتصوف، وأجازه بمروياته، ولقنه الذكر، ولما قدم إلى مكـة يوم السبت، تاسع عشر ذي القعدة الحرام، سنة ثلاث وأربعين بعد الألف، السيدُ الجليل العارف الراسخ محمد بن علوي بن عقيل، قرأ عليه طرفاً من «الشفا»، ثم طلب منه السيد عبد الرحيم السمهودي، وأحمد بن عراق أن يحضرا معه، فأجابهما السيد لذلك، ثم أخبـره أن النبي ﷺ حاضرٌ حال قراءته، وهذه منحـةٌ عظمى[1]، وألبسه الخرقة، وأرخى له العَذَبة، ولقنه الذكر، وألبسه عمامته.

وألف صاحب الترجمة مؤلفاتٍ، منها: «حاشيةٌ على التحفة» لجده، رد بها اعتراضات العلامة الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، واختصر «أسنى المطالب في صلة الأقارب» اختصاراً عجيباً، و«الفتح المبين في شرح الأربعين»، و«القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لجده ـ أيضاً ـ، وله رسالةٌ في الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي سماها: «شذرة من ذهب من ترجمة

---

(1) وهذه من دعاوى الصوفية المضللين، وبدع أهل الطرق المنحرفين، غفر الله للمصنف ورحمه في إيراد هذه الأقوال الباطلة في كتابه.

سيد طيئ العرب».

وكانت وفاته بمكة عام أحد[1] وسبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بقرب تربة جده، شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر ـ رحمهم الله ـ.

[٩٨٤] رضي الدين بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري المكي الشافعي.

إمام المقام الشريف، قال الشيخ عبد القادر الطبري في تاريخه «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»: عمي شقيق والدي، رأيت بخط والده: أنه ظهر في ليلة الاثنين، تاسع عشر محرم، سنة ثمان وأربعين وتسع مئة، وكان طالع ولادته: سعد السعود، والقمر فيه.

ونشأ في حجر أبويه، وحفظ القرآن العظيم، وجوَّده، وصلى به التراويح، في المقام الشريف، وجود الخط، وحسن خطه، واشتغل بالعلم، وكتب بخطه كتباً كثيرةً، منها: عدة نسخٍ من «القاموس»، و«الجلالين»، ومصاحف عديدة.

وسافر مع والده، إلى الديار المصرية، وعُمِّر طويلاً حتى مات آخر يوم السبت، عاشر جمادى الأولى، سنة ثلاثين بعد الألف، وصُلي عليه في المقام الشريف، بعد أن نادى عليه الرئيس على قبة زمزم، بعد صلاة الحنفي للصبح، من يوم الأحد، حادي عشر الشهر المذكور، وكانت جنازته حافلة مشهودة، ودفن على أبيه، بقبر المحب الطبري.

---

(١) في الأصل: إحدى، والصواب ما أثبت.

قال: وقد وقفت له على إجازةٍ في لبس خرقة التصوف، على سلسلة المدينية، وعلى سلسلة الجشتية، وعلى سلسلة القادرية، وعلى سلسلة الشاذلية من الشيخ العارف بالله أحمد بن محمود بن حسام الدين، وهو ابن أخي الشيخ نور الدين علي بن حسام الدين المتقي القرشي الحنفي، مؤرخةً سنة ست وثمانين وتسع مئة، وذكر أسانيدها في ترجمته ـ رحمه الله ـ.

[٩٨٥] رضوان بيك بن عبدالله الغفاري[١].

أمير الحاج المصري، كان رئيس الدولة بالديار المصرية؛ بحيث إن سناجقها وأمراءها وحكامها ـ في غالب إقليمها ـ كانوا أتباعه، يقفون بين يديه وهم بهذه المنزلة بأدب واحتشام، وكانت وزراء مصر لا يصدرون إلا عن رأيه وتدبيره، وإليه المرجع في سائر الأمور.

وكان ذا كرمٍ وجودٍ، عم إحسانه العلماء والصالحين، وحسنت سيرته، خصوصاً في أهل الحرمين، فكان معتنياً بهم، يرسل صررهم، من حين وصوله إلى ينبع إلى مكة، ويقسم عليهم قبل وصول الحج، ليتهيئوا له، وكل من له حاجة منهم بمصر قضاها بأيسر حال.

ومكث نيفاً وعشرين سنةً أميراً على الحاج المصري، وفي أثناء تلك المدة غضب عليه السلطان مراد، فقبضوا عليه وهو راجع من مكة، وأخذوه للسلطان، وعفا عنه، ورجع مجلَّلاً، وزادت مكانته، ولم يزل كذلك، إلى أن توفي بمصر سنة ست وستين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٩٨٦] رمضان دده.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٧٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٦٤).

كان إماماً بمسجد قصبة براكين، من مضافات لواء الآجه حصار، بولاية روم ايلي، وكان شيخاً صالحاً مكاشفاً معمَّراً، قيل: عاش مئة وعشرين سنة.

[٩٨٧] رمضان دده.

كان من بلدة قرا حصار، بولايـة أناطولي، ثم نقـل إلى القسطنطينية، وصار شيخاً بزاوية خسرو، قريباً من يدى قلّه[١].

❐ ❐ ❐

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».




حَرْفُ ٱلـزَّاي ٱلْمُعْجَمَة

[٩٨٨] زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي(١).

وتقدم رفع نسبه في ترجمة جده الحسن.

السيد الذي بلغ من سدرة الشرف منتهاه، ومن سنام المعالي أعلاه، المنتمي في شجرة نسبه إلى أول ما خلق الله. **شعر**:

ورث النجابةَ كابرًا عن كابرٍ   كالرمح أنبوبًا على أنبوب

والكريم الذي عم الورى نائله، وغمر المساكين ساحله، كلا إن نوال البحر، بالنسبة إلى فيض كفه نزر، ليس له قدر. **شعر**:

فلئن أُشَبهه بالبحرِ إن له   مدّاً يعاقبه جزرٌ بإرجاءِ

غمامٌ درَّ نوالُه مدى الأيام، على الخواص والعوام، وغمر بمِنحه الجسام، آمال الأفاضل الأعلام، بكل مقام، بل أين جودُ الغمام من جوده العميم، أو أين مِدْرارُه من إدرار كرمه الجسيم:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٧٦)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٢٧)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٦٠).

مـا نـوالُ الغمـام وقـتَ ربيـعٍ كنـوال الأميـر وقـتَ سـخاءٍ
فنـوالُ الأميـر بـدرةُ عَـيْنٍ ونـوالُ الغمـام قطـرةُ مـاءٍ

والدافعُ للضيم، الرافع للحيف، المؤمن حجاجَ بيت الله في منى والخَيْف، له أماراتٌ في الحرب وعلائم، لا تأخذه في الله لومة لائم، هزبرٌ غالبٌ، لـه من البخت والإقبال جانبٌ أيُّ جانب، مشهورٌ في المشارق والمغارب، طلع في ظلام الفتن كأنه شهاب ثاقب، وزُينت به مكة كما زينت سماء الدنيا بزينة الكواكب. شعر:

ولمـا رأيـتُ النـاسَ دون محلِّـه تيقنـت أن الـدهر للنـاس ناقـدُ

وُلد بعد مضي درجتين، من شروق شمس يوم الاثنين، سابع وعشري شعبان، سنة ست عشرة بعد الألف، ببلدة «بيشة»، ونشأ في حجر أبيه، في محتد الجلالة، والملك والبسالة، وأقام أمرَ النجدة والباس، وقال: أيها الناس!

أنـا ابـنُ جـلا وطَـلاَّعُ الثنايـا متـى أضـعِ العمامـةَ تعرفـوني

واشتهر بالشجاعة، التي يعجز عن تحرير وصفها بَنان الأفهام، ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، ومدّ رباعه في المعالي، وتحامته أحداث الأيام والليالي، وهو يترقى منازل سعوده، ويغيظ قلب حسوده، إلى أن قام على أبيه السيد أحمد بن عبد المطلب، في عصبةٍ من الأشراف، بني حسن والأروام، وأخرجوه من مكة المحمية، بعد وقائع كثيرةٍ مشهورةٍ.

ونجع مع أبيه إلى اليمن، سنة سبع وثلاثين وألف، حتى تغيرت أحوال

الزمن، وتولى عم أبيه الشريف عبدالله بن الحسن، باتفاق من الأشراف؛ لكونه أكبرَهم سناً في ذلك الوقت، فأرسل إليه بعد وفاة والده، فلما وصل إليه، خلع نفسه يوم الجمعة، غرة صفر سنة إحدى وأربعين بعد الألف، وأقام ولده السيد محمد، وصاحب الترجمة، وأشركهما في ملك مكة.

ثم توفي السيد عبدالله المذكور ليلة الجمعة، عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة، ثم قتل السيد محمد بن عبدالله يوم الأربعاء، خامس وعشري شعبان، سنة إحدى وأربعين بعد الألف شهيداً، في معركة قتال البغاة، من جند قانصوه الواصلين من اليمن في العام المذكور.

وتوجه المترجم إلى المدينة، وقد كانت أعمال صاحب مكة، من جهة اليمن محلٌّ يقال له: عتود، ومن جهة طريق المدينة بدر، وما فوق بدر من أعمال المدينة، لكنه تحت كلمة صاحب مكة؛ إذ المدينة من أعمال سلطنته ـ أيضاً ـ، ومن جهة الطائف، آخر الحجاز وراوان وما والاها من الحصون والقرى، ومن طريق ذات عرق، قريبٌ من آخر نجد العريض، ثم ظهرت العصوة من تلك الجهات، فكان مبدؤها في عام ستة عشر ونحوها، فصارت الأعمال من جهة الحجاز، إلى بلاد بني سعد فقط.

ثم أعان الله صاحبَ الترجمة، فتوجه إلى هذه الجهة في عام خمسة وأربعين بعد الألف بعساكره وجنوده، ففتحها، فصارت طوع كلمته، وأهلها من جملة رعيته، وكان من جملة ما فتحه من تلك الجهات: بلاد غامد، فقال الإمام علي بن عبد القادر الطبري مؤرخاً ذلك:

أخــذنا غامــدًا وبهــا أنــارتْ   لنـا طـرقٌ إلـى سـبيل المحامـدِ

فسيف عداتنا المغمود قهرًا وعام الفتح في التأريخ غامد[1]

ولبعضهم[2] يمدح الشريف زيد:

سألتُ الندى والجودَ من عهدِ حاتمٍ لقد متما دهرًا وقد مرّ أحيانا
فقالا نعم متنا زماناً وعندما ولى زيد حامي كعبة الله أحيانا

ومن حينئذٍ ارتفعت من مكة سائر المخالفات، وزال ما كانت تقاسيه الناس في تلك المدة من المشقات، وانتظمت مصالح الحرمين بحسن مساعيه، وانضبطت حوادثه بيمن مراعيه، وكان منصوراً بالرعب بين الأشراف، سالكاً مع الرعية والضعفاء طريق العدل والإنصاف، مجتنباً الظلم والاعتساف، ضابطاً للبلاد والطرق عن جُهال العربان، والناس في زمنه في دعةٍ وخصبٍ وأمانٍ، والسلطنة لا تعدل به سواه، ويلتمسون بركته ودعاه.

حتى رُميت أم القرى بسهمٍ من الموت مصيب، وأتته المنية برغم كل حبيب، وعلا عليه البكاء والنحيب، فكانت وفاته ضحى يوم الثلاثاء، ثالث شهر محرم، افتتاح سنة سبع وسبعين بعد الألف، وصُلي عليه بالمسجد الحرام، ودُفن بعد الظهر بالمعلاة، بقبة الشريف أبي طالب، وكان موته ابتداء عنوان الخطوب، وعظم الغلاء بالحرمين، حتى كادت النفوس منه تذوب.

وتولى بعده ولده السيد سعد، وأتته القفاطين السلطانية، وخطب له على المنابر الشريفة، والمشاعر المنيفة، ثم أشرك معه في الربع أخاه السيد أحمد،

---

(١) جاء في الحاشية: «١٠٤٥».

(٢) جاء في الحاشية: «هو الإمام فضل الطبري».

ثم رميا عند السلطنة بأشياء كثيرة، اقتضت إرسال عساكر إلى مكة، فقدم من مصر ثلاثة آلاف، ومن الشام نحوها، وعلى الجميع حسين باشا، صحبة الحاج الشامي، فعزلا ثالث أيام التشريق من ذي الحجة، عام اثنين وثمانين بعد الألف.

وتولى حينئذ السيد بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي، وسافر السيد سعد، وأخوه السيد أحمد إلى الديار الرومية، وتلقاهما أعيان الدولة بالإجلال والإعظام، وعين لهما ما يكفيهما، وبذل عليهما العطايا الجسام، وتولى في أثناء هذه المدة الشريف سعد معرةَ النعمان، وعزل عنها، ورجع إلى الروم.

ثم توفي الشريف بركات عصر يوم الأربعاء، سابع وعشري ربيع الثاني، سنة ثلاث وتسعين بعد الألف، وتولى ضحى يوم الخميس ولده الشريف سعيد، برضاً من الأشراف والعساكر، وقاضي مكة؛ لإظهاره الأمر السلطاني الذي كان بيده من حياة والده بمنصب مكة، ولبس القفطان بالحرم الشريف، وذهب لبيته، وضربت له النوبة السلطانية، ثم أمر بإخراج جنازة والده، فصلَّى عليه ضحًى، يوم الخميس، إماماً بالناس، الشيخ عبد الواحد الشيبي فاتح البيت، ودفن بتربة الشيخ النسفي، على يسار الذاهب إلى المعلاة، بوصيةٍ منه، وحصل له مشهدٌ عظيمٌ.

ثم تغلبت الأشراف على الشريف سعيد، وأتت بالأوامر السلطانية بجعل معلوم البلاد الحجازية أربعةَ أرباع، ثلاثة منها للأشراف، والربع للشريف، فتفرقت الكلمة من حينئذٍ، وكثرت السرقة، واختلت الأحوال، وصارت الرعية بلا راع، حتى رفعت الأحوال للسلطان محمد بن إبراهيم خان، فطلب

السيد أحمد بن زيد إلى بيته، وولاه مكة سادس شوال، سنة خمس وتسعين بعد الألف، وأمده بمالٍ من عنده، فأتى على الخيل حتى لحق الحج الشامي وصحبه، وسبقه المبشر، فهرب الشريف سعيد.

وحينئذ أقام أكابر الأشراف مقامَه السيد مساعدَ بن الشريف سعد، حتى دخل الشريف أحمد مكة يوم الأربعاء، سابع ذي الحجة، سنة خمس وتسعين بعد الألف من طريق الشبيكة بموكبٍ عظيمٍ، ركب فيه جميع الأشراف الموجودين بمكة، ولم يختلف عليه اثنان، وركب أمامه وبين يديه السيد عثمان قاضي مكة، وأحمد باشا حاكم جدة، وخلفه المحمل السلطاني، وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك، وحصل للناس بقدومه مزيد السرور، وعظيم الفرح والحبور، إذ رجع لمكة بعلها، وكان أحق بها وأهلها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ثم لما كان العشر الأول من شعبان، عام أحد[1] وأربعين المذكور، وصلت أخبارٌ من جانب اليمن، بأن عسكراً خرجوا على الوزير قانصوه، وأن نيتهم الوصول إلى مكة المشرفة، وكان ذلك شائعاً على الألسنة، ثم ورد مورّق من القنفذة يخبر بوصولهم إليها، ومعه مكاتيب إلى السيد محمد، والسيد زيد، ومصطفى بيك الصنجق المقيم بمكة، من محمود، ومن علي بيك، وهما آغاتان على العسكر المذكور، مضمونهما: أن نيتنا الوصول إلى مكة، فحينئذٍ كتب لهم الأجوبة بعدم الإذن، وأرسلت إليهم، وحصل في البلد قال وقيل، واضطراب شديد.

---

(١) في الأصل: إحدى، والصواب ما أثبت.

فلما كان يوم الجمعة، عشري شعبان، توجه السيد محمد بن عبدالله، ومن معه من الأشراف، إلى بركة ماجن، وقوز المكّاسة؛ لأنه بلغهم أن الأتراك قاربوا السعدية، وبرز معهم الصنجق الشهيد مصطفى بيك بعساكره وجنوده.

فلما كان يوم الأربعاء، خامس وعشري شعبان، وقع اللقاء بين الأشراف والأتراك، فحصلت ملحمةٌ عظيمةٌ، وقتالٌ شديدٌ، وقتل الشريف محمد بن عبدالله بن حسن صاحبُ مكة، وقتل جماعةٌ من بني عمه، منهم: السيد أحمد ابن حراز، والسيد حسين بن مغامس، والسيد سعيد بن راشد، وخلقٌ آخرون.

وتوجه بقية الأشراف إلى جهة وادي مرّ، فبعد تمام الواقعة دخل الأتراك، ومعهم السيد نامي بن عبد المطلب، ونودي بالبلد، ومكث مئة يوم بلياليها، عدد اسمه بحسب الجمل، وكان دخولهم من جهة بركة ماجن، فتعب الناس أشد التعب، وحصل الخوف الشديد، وتسلطت هذه العساكر على الناس، وأتعبوهم وأهلكوهم، وتقطعت الطرق، وعصيت الأعراب.

فلما أن كان أثناء ذي القعدة من العام المذكور، أُشيع بمكة أنه وصلت خِلَع باشوية للشريف زيد ـ وهو بالمدينة المنورة ـ بسلطنة مكة، وكان توجه للمدينة بعد تلك الواقعة، وأنه تجهز من مصر المحروسة أربعة صناجق، فحصل للناس بذلك فرحٌ شديدٌ، ثم وردت الأخبار بوصول الصناجق والعسكر إلى الينبوع، وأن الشريف زيداً واجههم، وألبسوه الخلعة السلطانية.

فاضطربت حينئذ العساكر اليمنية، فمن قائلٍ: نخرج، ومن قائلٍ: نقاتل، ثم وصل الخبر بأن العساكر المصرية وصلت إلى عسفان، فاقتضى

رأي عسكر اليمن أن يرسلوا من يكشف لهم الخبر، فأرسلوا جماعةً، فوصلوا إلى وادي مَرّ، فرأوا العساكر المصرية وقد أقبلت، فرجعوا إلى مكة، وأخبروا من بها بذلك، فأظهروا حركة الرحيل عنها.

فلما كان يوم الأربعاء خامس ذي الحجة، خرجوا كلهم، ومعهم السيد نامي، ولم يبق منهم أحد، وكان بروزهم وقت أذان العصر، فلما أن جازوا باب الحريريين من أبواب المسجد الحرام، وقال المؤذن: الله أكبر، فسقط بيرق محمود منهم، فكان فألاً عليهم، ونزلوا عند جبل النور، وأمسيت البلد خالية، وكان بمكة السيد أحمد بن قتادة بن ثقبة، فنادى في البلدان: البلاد بلاد الله، والسلطان مراد، وعسّ البلد تلك الليلة، فلما كان وقت شروق الشمس، دخل الشريف زيد بمن معه من الصناجق.

وكان نزوله بداره السعيدة، ثم نزل وقتَ ضحى ذلك اليوم إلى المسجد الحرام، فجلس في السبيل الذي بجانب زمزم، ومعه الأمير علي الفقاري، أحدُ الصناجق الواصلين، ثم خرج الشريف زيد من السبيل المذكور، وطاف بالبيت سبعاً، والرئيس يدعو له على قبة زمزم.

ثم خرج المنادي ينادي: إن البلد بلد الله، وبلد السلطان مراد، وبلد الشريف زيد، وحج الشريف بالناس، وأزال الله به عن أهل مكة الباس، وبعد أن أتم الشريف المناسك، وصل إلى مكة بعض العساكر اليمنية، بشفاعة إبراهيم باشا أميرِ الحاج الشامي تلك السنة.

ولما كان الثلاثاء، ثاني محرم، افتتاح سنة اثنتين وأربعين، عقد مجلسٌ بالمسجد الحرام، عند مقام المالكي، حضر فيه الشريف، وغالبُ الأشراف

والفقهاء والصناجق، وتفاوضوا في أمر بقية العساكر اليمنية، فاتفق الحال على أنهم يعزمون إليهم، فبرزوا ذلك اليوم، ومعهم الشريف وجماعةٌ، فأدركوهم في محلٍّ يقال له: تربة، فحاصروهم، ثم وقع اللقاء بينهم، وكان الظفر للشريف زيد، والعسكرِ المصريين.

فدخلوا إلى مكة في أول يوم الخميس، ثامن عشر محرم الحرام من العام المذكور، ومعهم محمود بيك، فعذب، ثم حرق في شعبة العفاريت، وصلب السيد نامي بالمدعى، ثم توجه العسكر المصري مع صناجقهم إلى ديارهم، واستقل الشريف زيد بولاية الأقطار الحجازية، وجاء تاريخ ذلك: (نصر من الله وفتح لزيد)، وكان الشريف زيد مسعوداً في سائر حركاته، ولم يقصده أحدٌ من أركان الدولة بسوءٍ إلا خيبه الله.

واتفق في زمانه: أن رجلاً تولى جده له، يقال له: مصطفى بيك، ثم عظمت شوكته، ونفذت كلمته، وظهر منه أشياء لا تليق بشأن الشريف زيد، ولم يزل كذلك، والشريف زيد صابرٌ عليه، حتى كان أوائل سنة سبع وخمسين، طلع مصطفى المذكور إلى الطائف لزيارة ابن عباس، وطلع معه بشير آغا الحبشي غلامُ السلطان مراد، وهذا في مجيئه الثاني متولياً مشيخة الحرم النبوي، فأقام ما شاء الله أن يقيم.

فلما أن كان نازلاً إلى مكة، طالعاً في المحل المعروف بالنقب الأحمر، وجه جبل كرا، مما يلي الطائف، وقد تفرقت عسكره خلفاً وأماماً، ولم يبق معه سوى السائس، وحامل كوز الماء، اعترضه رجلٌ كان يتعهده بالإحسان إليه، يقال له: الجعفري، فضربه وهو متجرد للإحرام، بجنبيةٍ أنفذها إلى أحشائه، وذهب فلم يُدرَ محلُّه.

قيل: إن السائس أراد ضرب القاتل، فوقع السيف في مؤخر الحصان، فقمص، فسقط عنه الصنجق، فتلاحقت العسكر، فلم يلبث إلا نحو ساعتين، وتوفي شهيداً، وكان قتله يوم التاسع والعشرين من جمادى الآخرة[1] من السنة المذكورة، ودُخل به إلى مكة في التخت قتيلاً، غرة رجب منها، ودفن بالمعلاة، أمام قبة السيدة خديجة.

وكان الشريف زيد في تلك السنة قد توجه إلى جهة الشرق، فأبعد حتى وصل قريباً من الخروج، وكان القائم مكانه لحفظ مكة السيد إبراهيم بن محمد ابن عبدالله بن حسن بن أبي نمي، فاستدنى السيد إبراهيم غالبَ عسكر السنجق، وأنزلهم في محل يسعهم بأجياد، وأجرى عليهم الجوامك والأرزاق، وأمر السيد المذكور كيخيةَ العسكر دلاور آغا بالنزول إلى جدة؛ لحفظ البندر، فامتنع أشد الامتناع.

ثم بعد ليالي عديدة نزل دلاور بعد هزعٍ من الليل، قاصداً جدة خلسةً، فشعر به السيد إبراهيم، وأرصد له جماعةً، فأمسكوه، وأتوه به، فحبسه، ثم اختلس بعض العسكر نفسه، وذهب إلى بشير آغا بالطائف، وأخبره بما وقع، فأتى بشير إلى مكة، ونزل بمدرسة بهرام بالمسعى، فتردد السيد إبراهيم في الوصول إليه وعدمه؛ لاختلاف المشير، ثم جزم وعزم إليه، فتلقاه بما هو الواجب، ثم قال له لما استقر المجلس: لم حبستم دلاور آغا؟ فقال السيد إبراهيم: حبسناه خشية من إضراره وإفساده، فإننا ألزمناه مراراً بالنزول إلى جدة، فامتنع، فارتبنا بنزوله خفيةً، فقال بشير: أطلقه، فقال: لا أطلقه حتى

---

(١) في الأصل: الأخرى.

يصل الشريف زيد.

ثم قام من عنده السيد إبراهيم، فحكم عليه بإطلاقه، فأطلقه، ثم بعد يُويمات عزم السيد إبراهيم، والقائد رشيد حاكمُ مكة، إلى نحو بركة ماجن للتنزه، فاستجرَّ بشير آغا العسكر، ووعدهم، فحملوا أثقالهم، وأدخلوها من باب المسجد، وخرجوا بها من باب ابن عتيق، ثم خرجوا بعد العصر حازبين مارين على دار السعادة، ثم على السوق، ثم على سُويقة، إلى أن وصلوا إلى بيت بشير آغا، وكان نازلاً بالباسطية، فوصل الخبر للسيد إبراهيم، فوصل إلى البلد، وقال لبشير: ما هذا الفعل؟ فقال بشير مجيباً له: نعم عسكر السلطان لهم في التربية سنين، تأخذهم في خمسة أيام.

وكان في عسكرهم شخصٌ اسمه شاويش، كثيرُ الفساد، فأمر السيد إبراهيم بقتله أينما وجد، فوجد سكراناً بأعلى الخريق، فتناوله عسكر الشريف فقطعوه، فثارت الفتنة، وترامى العسكران بالرصاص، وقتل شخصٌ من الناس خلف المقام المالكي، وقُتل كيخية بشير آغا، ولم يزل مطروحاً عند باب ابن عتيق، من داخل المسجد إلى الليل، حتى رفعه بعض أهل الخير.

ثم سعى القاضي أحمد قره باش وغيرُه بالصلح، وأن لا يصل أحدٌ إلى أحدٍ بسوء، من الجانبين، ولا يخرج من جماعة بشير آغا إلى السوق إلا ثلاثة أشخاص، يعينون لقضاء حوائجه من السوق، وسكنت الفتنة حتى وصل الشريف زيد إلى مكة، فاستحسن جميعَ ما فعله السيد إبراهيم، ما عدا قتله للشاويش؛ فإنه لامه عليه، ثم أظفر اللهُ الشريف زيداً على الجميع، ونصره عليهم نصراً مؤزراً.

ومما اتفق له: أنه زار النبي ﷺ عام تسعة وخمسين، وكان دخوله المدينة ثامن شعبان، فنزل بالقاضية، خارج السور، ثم في فجر اليوم العاشر من الشهر المذكور نزل القاضي زفر، قاضي المدينة إذ ذاك راكباً، ومعه ثلاثةٌ من الخدم، فلما كان عند الدفتردارية، وثب عليه شخصٌ، فضربه بالحديد في ظهره ضربةً أنفذها من صدره، فأكبَّ على قربوس الفرس، ولم تزل داخلةً به إلى محراب سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، وإمام الشافعية قائمٌ يصلي الفجر.

فقام بعض الناس إليه، وأنزلوه بآخر رمق، وهو يقول: يا رسول الله، يا رسول الله! ووضع أمام الوجه الشريف، فبعد لحظةٍ قضي عليه، فحشدت عساكر المدينـة، واجتمعوا، وأغلقوا أبواب المدينـة، وتفرقوا في متارسها وأسوارها، ووجهوا المدافع إلى جهة الشريف، ونادوا: اخرج عنا الآن، وبدا منهم ما لا يليق.

فلم يزل الشريف حتى أعمل الحيلة، ودخل من بابٍ هو وعسكره، بعد أن نصب قاضياً، واستدعى وجوههم؛ لينظر في قتلة القاضي، ويبحث عنهم، ثم لم يزل يقبضهم واحداً بعد واحد، ففك بعضهم بشفاعةٍ، وذهب بالباقين مقيدين، وأمر بإبقاء بعضهم في ينبع، فاستمروا إلى مجيء الحاج، فاستشفعوا بأميره، فأتى بهم إلى مكة مستشفعاً فيهم، فقبل الشريف شفاعته، وعفا عنهم، ثم لمـا نـزل بعـد سفر الحـاج غيطاس أمير جدة، من مكة إلى جدة مغاضباً للشريف زيد، نزلوا معه، وكتبوا أنفسهم مع عسكره.

وسبب غضبه الناشئ عن الحرب الآتي ذكره، في سنـة ستين وألـف أمور، منها: أنـه ورد إلى مكة بعض تجارٍ من الصعايدة، وشخصٌ أعجميٌّ يسمى: أسد خان، من جهة اليمن، بتجـارةٍ، ونزلـوا من البحر، إلى بنـدر

القنفذة، ووصلوا إلى مكة، ولم يدخلوا بندر جدة.

وكان غيطاس بمكة قد وصل للحج، فاحتال على الصعيدي وحبسه، وكان الصعيـدي ملتجئاً إلى السيد هاشم بن عبدالله، فألزم الشريف زيد في إطلاقه، فوعده، ثم أخذته الحمية، فركب إلى الشريف ثانياً، ثم نزل من عنده قاصداً لبيت غيطاس لفـك الرجل من الحبس، فنادى الشريف وهو قائمٌ من روشنة وراء الرجل، فلما أقبل على بيت غيطاس، وجد المحبوس منطلقاً، فرجع به.

ومنها: إيحاء أولئك النفر من عسكر المدينة، ونسبتهم قتل الأفندي إليه.

ومنها: تردد السيد عبد العزيز بن إدريس، ومواطأته، ووعده إسعافـه بما يأبى الله إلا خلافه، فقبل أن يسافر الحاج من مكة، نزل غيطاس إلى جدة، ووصل إليه السيد عبد العزيز المذكور، فوصل الخبر بعد أيام إلى مكة بتولية غيطاس للسيد عبد العزيز مكة، ونودي له بالبلاد، وأقام حاكماً فيها ناصر بن سعيد عتيق مصطفى السيوري، وأجرى الأحكام العجرفية، وظن أنها تكون أحمدية.

وأقبل غيطاس، ومعه السيد المذكور بمن معـه، ومن اجتمع عليه من عسكر المدينة، وخرج إليه الشريف زيد، وكان الموقف فوق التنعيم، وكان السيد أحمد بن محمد الحارث متقدماً في الميمنة بجماعته ومن يليه، وكان في الميسرة كذلك متقدماً قليلاً السيـد مبارك بن بشير بجماعتـه ومن يليـه، ومولانا الشريف زيد بمن معه في القلب، والصروخ ملأت السهول والوعور، وترامو بالرصاص والمدافع.

وكلما همَّ الأشراف بالحملة، يقول لهم مولانا الشريف زيد: معكم، معكم؛ كناية عن التثبت والتأني، وارتفع النهار، وحميت الشمس، فركض من الأشراف جماعةٌ منهم: السيد وُبَيْر بن محمد بن إبراهيم، والسيد بشير بن سليمان، والسيد أبو القاسم، فأصيب السيد وبير بالبندق، فسقط بين الجمعين، وأصيب جماعةٌ من الجانبين.

وحين اشتد الحال على السيد عبد العزيز ومن معه، فر إلى جمع السيد المبارك بن شنبر، داخلاً عليه، طالباً للأمان، ولغيطاس ومن معه من الشريف زيد، فجاء به إلى الشريف زيد، فأمنه، ووقع الصلح، ونصب للشريف خيمةً، فنزل بها ليستظل، وسأل عبد العزيز من الشريف زيد أن يوصل غيطاس إلى مأمنه؛ لأنه شفق من نهب العربان له، فأصحبه خمسين شخصاً من العسكر، فذهب إلى جدة راجعاً خائباً، وجاء بعد شهر عزله، فذهب إلى ينبع، وواجه الحاج بها، ومكث بها إلى عود الحاج من مكة إليها، وتوجه معهم إلى مصر، وتوجه معه السيد عبد العزيز بن إدريس.

فاستمر غيطاس بمصر سنة إحدى وستين، وجاء في موسمها أمير الحاج المصري، فلما خرج الشريف زيد لملاقاته للخلعة السلطانية على العادة، لم يكن بينهما مناكبة على المعتاد، بل مدّ له الشريف يده فصافحها، ومن عامئذ تركت مناكبة شريف مكة لأمراء الحجيج، وبالغ الأمير في تعظيم الشريف، ولم يظفر عليه في أمر، وأقام السيد عبد العزيز بمصر نحو سنتين، ثم جاء خبر وفاته في السنة الثالثة شهيداً بالطاعون. انتهى.

وبالجملة: فمحاسن الشريف زيد أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، ولو بسط القول في وقائعه وغزواته، وسعوداته وموافقات الأقدار

لمراداته، وما مدح به من الأشعار والقصائد، وما صنف له من الكتب المشحونة بالفوائد، وطيب أوصافه وشمائله، وحميد أخلاقه وخصائله، لجمعت فيها الأسفار، ولكن هذه قطرة من تيار تلك البحار، على وجه الإيجاز والاختصار.

وكانت مدة ولايته خمساً وثلاثين سنةً، وشهراً وأياماً، وكانت كلها أعياداً، وكان متخلقاً بالأخلاق المحمدية، متصفاً بالصفات الكمالية، كثير الحلم والصبر، والشفقة على الرعية؛ بحيث يسمع بأذنيه منهم الأسيَّة، ويعفو ويصفح؛ تأسياً بجده خير البرية ﷺ، ولم يضبط عليه أنه قتل شخصاً بغير حق، في هذه المدة الطويلة الرضية.

وكانت الأقطار الرومية في زمنه آمنةً مطمئنةً في عيشةٍ هنيةٍ، وهو حقيقٌ أن يلقب: مهديَّ في زمانه؛ بحيث إن الشخص الواحد يظعن بالأموال العظيمة، أيَّ وقت شاء، شتاءً وصيفاً، يمناً وشاماً، شرقاً وغرباً، نجداً وتهاماً، لا يقع عليه خلاف، ولا نهب ولا إجحاف.

ولا يشذ أحدٌ في ولايته؛ فإنه في حياته كان يُستنجد بعباد الله العارفين، فيقال: شيء لله يا زيد؛ كما يقال: شيء لله يا عبد القادر، شيء لله يا محيي الدين، وكان أهل مكة وغيرهم ينذرون له النذور، ويأتون بها إليه، خصوصاً بعد وفاته؛ فإن العقيدة فيه أكثر، وظهر أمره في العالم، واشتهر بين الأصغر والأكبر.

وقد رآه بعض الصالحين الثقات في منامه بعد وفاته، وهو قائمٌ على بعض آبار مكة، وبيده دلوٌ عظيمٌ، يملؤه من تلك البئر، ويصبه في الأرض، فقال له: يا سيدي! ما هذا؟ أنا أحق به منك، فقال له: ما تقدر على ذلك،

أما ترى إلى هذه النار وأنا أطفئها.

ورآه بعضهم ـ أيضاً ـ في بستانٍ كبيرٍ، وهو جالسٌ متكئٌ، وأمامه من الجهة الأخرى بحرٌ عظيمٌ، وهو في غاية الصحة، فتقدم إليه، وقبل يديه، وقال له: يا سيدي! خاطرك مع أولادك، ومع الرعية، فقال له: أما أولادي، فالله ورسوله معهم، وما كان من الرعية، فهم راضون عليهم.

وكان له من الولد سبعة من الذكور: أحمد، وحسين، وناصر، ماتوا في حياته، وورثه أربعةٌ: حسن، ومحمد، ويحيى، وسعد، ومرتبتهم في الحسن كثرتهم في الذكر، ومن الإناث عدة.

وأرخ وفاته صاحبنا الفاضل أحمد بن أبي القاسم الخلي بقوله:

مات كهفُ الورى مليك مليك الـ ... أرض من لم يزل مدى الدهر محسن

فالمعالي قالت لنا أرِّخوه ... (قد ثوى في الجنان زيدُ بنُ محسن)

ولشعراء عصره فيه مدائح، ذكرنا منها كثيراً في هذا الكتاب.

[٩٨٩] زيد بن يحيى بن الحسين ابن الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام القاسم[١].

سيد السادات، الذي ساد على أهل زمانه، والعين الناظرة في القادات، الذي فاق على أقرانه بفضله وبيانه، مكارم الأخلاق فيه خِلقة، وأخلاقه تكاد تسيل من الرقة، آيةٌ الوجود، والذي هو للأنام مقصود، أقر بفضله الأكابر،

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٧٠٠) (٢٢٣)، «البدر الطالع» (١/ ٢٥٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ١٤٣) (٧٤)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٤٠٧).

وسار بذكره الجميل بينهم سيرَ المثل السائر.

وله شعرٌ حسنٌ، منه قوله من قصيدة:

دبَّ جمرُ الصباح في فحمة الليـ ـــل فطارتْ نجومُـه كالشرارِ
خالَ شمسَ الضحى عروسًا فأضحى ينفض الشهب قبلها كالنثارِ
فانجلى الزهرُ في الرياض فقلنا نقلت نجوه النجومُ السواري
فأجبني إلى رياض رواه قد دعتنا بألسُنِ الأطيارِ
وكفتنا من مِزْهَرٍ وربابٍ بِغِنا عندليبها والهَزارِ
فرشت تحتنا الثياب وأرخَتْ خيمًا فوقنا من الأشجارِ
شجرٌ كالحسانِ أوراقُها اللبـ ـسُ وفي جيدها حلَى الأزهارِ
ويهز النسيمُ فيها من النهـ ـر حسامًا لقطع مَحْلِ الديارِ
لو طَفَتْ فوقَه الحصاءُ التي فيـ ـه بدتْ كالحَباب فوق العُقار
فاز من باتَ في الربيع وأضحى يلتهي بالجنان والأنهارِ
يعقد الأنسَ فوق بعض السواقي تحت ظلِّ الغصون ذاتِ القَمار[ي]
بين وردٍ ونرجسٍ وأقاحٍ وشقيقٍ وسوسنٍ وبَهارِ
يحتوي فضةً من النرجس الغضِّ ويحظى من ورده بالنضارِ
إن ذوى نرجسٌ وورد بكاه لا على درهمٍ ولا دينارِ
لن يحاكي الربيعَ في الحسن إلا صارمُ الدين ذو النوال الساري

توفي ـ رحمه الله ـ يوم الخميس، ثاني عيد النحر، سنة أربع ومئة

وألـف، ودفن بجربـة الروض، خارج صنعاء، وعمره نحو خمس وعشرين سنة.

[٩٩٠] زيد بن محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم[1].

هذا السيد المشهور، شامة في بني المنصور، أقبل على العلوم، وانقطع إلى جناب الحي القيـوم، وله بلاغـةٌ فائقةٌ، وشمائلُ رائقةٌ، مؤهَّلٌ لمنصب الإمامة، والتصدُّر لأمر الخاصة والعامة، مع متانـةٍ في دينـه، وخلوص في يقينه، وهو الآن عَلَمٌ في أبناء السادة، ومركز للإفادة والاستفادة، قد غمس يده في كل فن، واستخرج بذهنه الشريف من ضمائرها كلَّ ما استكَنّ.

وله أنظارٌ محققةٌ، واستدراكاتٌ مرسومةٌ في هوامش كتبه، قرأتـه في جميع الفنون، وله شرحٌ عديم النظير، على إيجاز الشيـخ الرحلة لطـف الله بن الغياث، سماه بـ: «المجاز إلى حقيقة الإيجاز»، اشتمل على أبحاثٍ شريفةٍ، ونكاتٍ لطيفةٍ، تقضي له بوفور العرفان، في فن المعاني والبيان، هذا مع ما له من اليد الطولى في سائر العلوم.

وله مؤلفٌ سماه: «إرسال الأنفاس لإطفاء النبراس» شرح شيخنا الإمام إبراهيم الكردي على الأساس، لجده القاسم بن محمد، وله إقبالٌ على متجر العلم، الذي هـو في الدارين أنفق بضاعة، مع فطنةٍ قويمةٍ، وغائلةٍ سليمةٍ، مفزعٌ عند وثوب النوائب، كثيرُ الحنو على الأباعد والأقارب، بركةٌ شاملةٌ لآل

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٦٨٩) (٢٢٠)، وذكر وفاته في ١١٢٣هـ، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٤٥٦) (٢٦٤)، «هدية العارفين» (١/ ٣٧٧)، «البدر الطالع» (١/ ٢٥٤)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٣٤٦).

الحسن، نعمةٌ كاملةٌ على قطر اليمن.

مولده في أحد الربيعين بصنعـاء، سنة خمس وسبعين وألف، وله من الأشعار العجيبة كلُّ غريبة، جمعها في ديوانٍ في مجلدٍ حافلٍ، ولما قدمتُ صنعاء اتخذني أبا تَمَّام، وأفاض عليَّ من بحر نعمه الجسام، ودار بيني وبينه من المكاتبات، ما تضيق عنه العبارات.

فمما كتبه إليّ، وقد أهدى إلي فرجية جوخ قوله:

يـــا مـــن غـــدا بحـــرًا إذا ... حـــدثتَ عنـــه فـــلا حـــرجْ
فرجيـــــــة أهـــــــديتُها ... لـــك للتفـــاؤل بـــالفرجِ

وكتبت إليه معاتباً، في غرضٍ عرض:

سـيدي مـالكي إليـك الـدخيلُ ... من أمورٍ فـي شـرحها لا أطيـل[1]

[٩٩١] زيد بن علي بن قيس الخَيْواني.

إمام البلاغات، وأمير الفصاحات، السابق في مضمار المُفْلِقين، اللاحق بذكاء إياسٍ في المتكلمين.

من شعره قوله:

هـذه بابِـــلٌ فخـذ لـك حِـذْرا ... فأنـــا فيـــكَ بـــاللواحظ أَدْرَى
فـاتراتٌ يـا للنُّهـى ومـراضٌ ... سـلبت قيـصراً حِجـاه وكـسرى
لا تقـل إن لـي عليهـا عهـوداً ... فلكـم أبـدلَتْ لـك العهـدَ غـدرًا

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا خمسة أسطر بياض».

تتراءى لناظر الصبّ كَسْلى ... وهي عند السيوف أنفذُ أمرا
كم أراقت دماءً وكم من عيون ... أرَّقتها ترعى المواكب شَزْرا
كم أدارت عليَّ كاسًا دِهاقًا ... طال سُكري بها وما ذقتُ خمرا
يا خليَّ الفؤاد خذها وَصاةً ... من نصيحٍ أبلى المحبةَ خُبرا
خذ يمينًا إن جئتَ باناتِ نجدٍ ... فلكم مهجةٍ هنالك حَرَّا
علمتْ بالهوى فظنته سهلاً ... فهي في قبضة الصبابة أَسرا

وكتب إلى السيد الفاضل علي بن محمد بن أحمد ابن الإمام الناصر الحسن بن علي المؤيدي قوله:

أَنِخْها حاديَ الركبِ ... بمنعرَجِ النَّقا الغربي
وسائلْ جيرةً نزعوا ... غداةَ رحيلِهم قلبي
وسل بي أيُّ موجبةٍ ... أباحت في الهوى سلبي
ألا ياحاديَ الأظعان ... عُجْ بي بالنقا عُجْ بي
وسِرْ بي نحوه سَحَرا ... ففيه مراتعُ السِّربِ
وربَّ معنفٍ مغرًى ... بلوم المغرَمِ الصبِّ
يقول وقد رأى حالي ... وبي ما بي من الحبِّ
قضيتَ من الهوى أَرَبا ... فقلت لهم نعم نَحْبي
وهل تسلو فقلتُ له ... أجلْ عن صحة القلبِ
ألا يا عيشيَ الماضي ... سقتْك مدامعُ السحْبِ
وجادت كلُّ غاديةٍ ... ربوعَ البان والشّعبِ

ففـــي تلـــك الربـــى أربـــى　　　غـــزالٌ للنهـــى يَـــسبي
ربيـــبٌ أدعـــجٌ غَـــنِجٌ　　　يـــصول بمرهَـــفٍ عَـــضْبِ
إذا مـــا مـــاس فـــي حُلَـــلٍ　　　أغـــار مـــوائس القُـــضْبِ
هـــواه صـــار مفترضًـــا　　　كمـــدح المفـــرَدِ النـــدْبِ
جمـــالِ الـــدين خيـــرِ فتًـــى　　　ســـما فخـــرًا علـــى الـــشهْبِ
لقـــد ســـارتْ فـــضائلُه　　　بـــشرقِ الأرضِ والغـــربِ
وكـــم أَزْرَتْ فواضـــلُه　　　بمُنْهَـــلٌ مـــن الـــسحْبِ
جمـــالَ المكرمـــاتِ أصـــخْ　　　لـــصبٌ صـــادقِ الحـــبٌ
جفـــاهُ كـــلٌ ذي مِقَـــةٍ　　　بـــلا جُـــرمٍ ولا ذنـــبِ
سِـــوَى ودِّي وحـــسنِ وَلاً　　　ســـماتي عنهمـــا تُنبـــي
تجـــافوني بـــلا ســـببِ　　　فأضـــحى الـــدهرُ مـــن حزبـــي
ولـــي ثقـــة بخلاَّقـــي　　　وحـــسبي خـــالقي حـــسبي
ودمْ فـــي نعمـــة أبـــدًا　　　مُجِـــداً فـــي رضـــا الـــربٌ
وصـــلَّى ذو الجـــلال علـــى　　　إمـــامِ العجـــمِ والعـــربِ
حبيـــبِ الله عـــصمتِنا　　　وعترتِـــه مـــع الـــصحبِ

[٩٩٢] زيد بن علي المسوري.

كان بديع زمانه، قريع أوانه، مجيداً في الإنشاء غاية الإجادة، وله في النظر يدٌ طولى، قال الشعر من صغره، وظهر صيته، وتقدم على أقرانه، وصحب السيد الحسن ابن الإمام القاسم، وكان أبرع أهل حضرته، وكان

حسن الأخلاق، مسكيّ الشمائل، لطيفَ الممازحة.

توفي في جمادى الآخرة، سنة أربعين وألف، ودفن بقبة الشيخ الغيثي، برباط المعاين، بين مدينتي أب وذي جبلة من مدائن اليمن.

ومن شعره قوله، وكتب بها للسيد الحسن:

تقوى الإله وإصلاحُ السريرات — هما السبيلُ إلى نيل السعاداتِ
وخيرُ ما قدم الإنسانُ من عملٍ — ما كان لله عن إخلاصِ نِيَّاتِ
فما اتقى اللهَ عبدٌ فاستعان به — إلا تأتَّى سريعًا كل ما ياتي
ومكَّنته الأماني من أَزِمَّتها — وجاءه الدهرُ يسعى بالمراداتِ
أبصرْ إلى حُسْن فعلِ الله في حسنٍ — وما تبين فيه من كراماتِ
في أمره لأولي الألباب مُدَّكَرٌ — وللمُريبين فيه أيُّ آيات
هل نال ما ناله من قبله أحدٌ — إن كنت برَّزْتَ في علم الروايات
حاشاه من أن يُضاهى في مكارمه — أو في مناقبه أو في السيادات
فقل لمن رام في الأرض اللحوقَ به — أقصرْ فما أنت من أهل السموات
إن امرأً صار فوق الشمس مقعدُه — هيهاتَ إدراكُه هيهاتَ هيهاتِ
بلى إذا شئت أن تحظى برتبته — وإن ذلك من أقصى المُحالات
انصبْ زمانَك في درس العلوم معاً — وانحُ الذي قد نحاهُ في الدياناتِ

[٩٩٣] زين الدين بن مصطفى الدمياطي الشافعي.

إمامٌ نمت كنوز علمه على الاتفاق، وتهادت نتائج فكره رفاق الآفاق، وحاز فنون المفاخر، وسبق في فضله الأوائل والآواخر، عديم النظير والمثيل،

طيب الذكر، حسن القيل، الفضل حشو أبراده، والنبل تلو إصداره وإيراده.

مع نفسٍ عذبت صفاءً، وشيمةٍ ملئت وفاءً، ومذهبٍ صفا صفاء التبر، وتخلصٍ من الخيلاء والكبر، وسعي بكل نجحٍ ضامن، ووقارٍ كأن ثبيراً فيه كامن، وأدبٍ زُرّت على الأعجاز جيوبه، وهبّت بِعَرف الإحسان صَباه وجَنوبه، إلى عباراتٍ عذبةٍ شريفةٍ، وإشاراتٍ خفيفةٍ لطيفةٍ، وألفاظٍ حلوةٍ رائقةٍ، ومعانٍ دقيقةٍ فائقةٍ، محاسنه البديعة أكثر من أن تُحصى، ولطائفه أجل من أن تُستقصى.

مولده بدمياط، سنة أربعين بعد الألف تقريباً، قرأ بمصر بالروايات على شيخنا سلطان المزاحي، ولازمه في دروسه الفقهية وغيرها، وأخذ عن شيخنا الشبراملسي، وعن الشمس الشوبري، وكثيرٍ من علماء مصر، ورجع إلى بلده، وأكب فيها على إقراء العلم، وإفادته لطالبيه، وهو الآن بها مقيمٌ، توفي سنة ألف ومئة وإحدى عشرة، في آخر شوال بدمياط ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٩٩٤] زين الدين بن محمد، الشهير بالبصروي الدمشقي الشافعي[1].

أديبٌ فاضلٌ وقورٌ، كأنه أسدٌ هصورٌ، روضُ نباهةٍ يانعة الأزهار، وشمسُ فضلٍ مشرقة الأنوار، رئيسٌ لطيف الطباع، حسن الخلق، جميل الصفات، له يدٌ طولى في صناعة الإنشاء والمكاتبة، ومشاركةٌ تامةٌ في غير ذلك من الفنون، إجابةً ومخاطبةً، يحب الأدب وأهله، ويستخير المهم من الأمور، فيترك حَزْنه، ويأخذ سَهله، وله اطلاعٌ واسعٌ على الوقائع الغريبة، والنوادر العجيبة.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٤٢٠) (٣٩)، «سلك الدرر» للمرادي (٢/ ١٢٠).

إلى منادمةٍ تغني عن الراح، وطباعٍ تستريح بها الأرواح، مع بشاشةِ وجهٍ وطلاقةٍ، وجميلِ مودةٍ وصداقةٍ، إذا حدث، أفاد، وإذا حاضر، جمع شوارد الأخبار الحسنة، وأجاد.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وقرأ على شيوخٍ كثيرين، وجَدَّ في الاشتغال بفنون العلم، حتى برع، وفاق أقرانه، واعتنى بجمع الكتب الأدبية الغريبة، وكتب منها كثيراً بخطه، وحصّل من كل شيء أحسنه، واعتنى بما يعنيه، وتنزه عما يَشينه، وله شعرٌ ليس بالكثير.

وكان بدمشق من أصدقائنا الصادقين، وأجلاء المحبين، وتوجه إلى القسطنطينية، وأقام بها مدةً، ورجع منها متولياً إفتاء الشافعية ببيت المقدس، وهو الآن بها مقيمٌ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ألف ومئة واثنتين ببيت المقدس.

[٩٩٥] السيد زيد بن علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم... ابن المهدي بن أحمد... ابن القاسم، وتقدم رفع نسبه في ترجمة أبيه الحجاف(١).

غيث الجود، وغوث المنجود، وطود السيادة والتدبير، المستخف عند ثباته رضوى وثبير، ناشر علم الباس المنصور، وفاطر قلب الأسد الهصور، مع جاهٍ دونه مناط الثريا، وبشرٍ منبلج المحيا، وأدبٍ منه استمدت بحوره، وتحلت بدراريه ودرره أفلاكه ونحوره.

تولى المخا من قِبل الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، فكان

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٦٥٤) (٢١٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٧٤).

هو الوالي عليها، وقبلة القاصد إليها، ومالك أزمة أمورها، ومرجع مهمات جمهورها، وعم إحسانه الجزيل، وعطاؤه الحسن الجميل من قدمها من الأدباء والغرباء، وسار في أحكامه سيرةً حميدةً، وأقام بها مدةً مديدةً، ومُدح ووُفد إليه، وأثنى الناس عليه.

وبنو الحجاف في اليمن بيت رياسةٍ، وأهل نفاسةٍ، ومعدن سماحةٍ ورجاحةٍ، وكان المترجم عقدهم، وتاج مجدهم، وهم في اليمن من بيوت الشرف القديمة، توارثوا المجد كابراً عن كابرٍ، وبالمترجم ختمت المكارم والمفاخر.

ومن شعره قوله:

ولي عتب على قوم أساؤوا ... معاملتي وساموني اغترارا
جنوا عمدًا وما راعوا حقوقًا ... وما اعتذروا وساموني صَغارا
سأضرب عنهمُ صفحًا وأقضي ... مخافة أن أقلدهم شَنارا
ولو أني ركبت متون عزمي ... إذا لسقيتهم مُراً مِرارا
ولو أني هممت بأخذ حقي ... لولَّوني ظهورَهمُ فِرارا

فأجابه بعض أصحابه بقوله:

لك العُتبى ومنك الصفحُ يرجى ... إذا لن تستبنْ منهم وَقارا
وإن هم قد جَنَوا عمدًا وجهلا ... وما راعوا ولا طلعوا اعتذارا
فإن البدر لا يشنيه شيء ... من العجماء ضاحًا أو جوارا
وأنت على أذاهمْ ذو اقتدارِ ... على أن تُسامى أو تُبارى

فطـــبْ نفـــسًا فكلُّهـــمُ ذليـــل لعزتـــك اختيـــارًا واضـــطرارا

ومن شعره قوله:

ومـالي والهـم الـذي أنـا حامـل ولي صلةٌ من لطـف ربـي وعائـدُ

إذا عـــادة الله التـــي أنـــا آلـــفٌ تـــذكرتُها هانـــت علـــيَّ الـــشدائدُ

فـلا أتقـي هـولاً وأرهـب طارقًـا ولـــي ثقـــة بـــالله مـــا قـــام عابـــدُ

وقوله:

أقـول للـورد لمـا افتـرَّ مبتـسمًا ضـيَّعتَ فيمـا أراه صـنعةَ الأدبِ

في فيك لي صدقُ ودٌّ قَدْ أضنُّ بـه شيءٌ من الضَّرَبِ الحالي مع الشنبِ

وقوله مسائلاً للشيخ محمد علي الشيباني المكي:

يـا أيهـا الـشيخُ الأديـبُ ومـن لـه فـي صـنعة الـشعراء نظـمٌ معجِـزُ

وافـاك غـصنُ البـان لطفـاً فانتبـهْ للغـــصن فهـــو مـــصدَّرٌ ومعجَّـــزُ

وأجـزْ لنـا وصـفَ الغزالـة وأتنـا عن وصـفها حقّـاً بمـا هـو أوجـزُ

فأجابه الشيخ أحمد بن عبد القادر المكي بقوله:

يـا أيهـا الملـكُ العظـيمُ ومـن لـه في الفـضل أسـنى غايـةٍ لا تُحـرَزُ

والسيدُ الـسندُ الكـريمُ ومـن غـدا تاجًـا لأربـاب الممالـك يكنَـزُ

لمـا سـمعتُ سـؤالكم بمـصدَّرٍ عـن حالـهِ فأجـابَ وهـو معجَّـزُ

لم يدرِ في الحالين قـصدَ مقـالِكم بـــالوهم قـــالَ وصـــدرُه يتـــأزَّزُ

وطلبتُمُ وصـفَ الغزالـةِ مـن عـزِ أعمـــى البـــصيرةِ بـــالبلاء متـــوَّزُ

منها:

وإليك وصف غزالةٍ ممن له ... في صنعة الشعراء نظمٌ معجِزُ
فلقدُّها قد أذعنتْ قطبُ النقا ... ولطرفها بيضُ الصفاح تعزَّزُ
للقانِ يُنسب خدُّها فلأجل ذا ... تفاحُه بدم القلوب مطرَّزُ
فإلى هنا وصفي أتى فبفضلكم ... ذيلُ المكارم تسلبوه وتوجزوا
واسلمْ ودمْ ربَّ القريض وسيدًا ... للمادحين معظماً ومعزَّزُ

[٩٩٦] زين العابدين بن عبد القادر الطبري الحسيني المكي[١].

إمام المقام الإبراهيمي [الشريف، والخطيبُ بالمنبر المطهَّر المُنيف][٢]، الإمام ابن الإمام، والهمام ابن الهمام، شيخ الإسلام، وعلم الأئمة الأعلام، وارث الجلالة عن آبائه، الذين زهت بذكرهم الأخبار والسير، والمتصدر في مجالسهم، لبذلِ جواهر العلوم والدرر، ومالك أزمة المنطوق والمفهوم، وملك أئمة المنثور والمنظوم.

مولده بمكة، ليلة ثامن عشر ذي الحجة، سنة اثنتين بعد الألف؛ كما وجد بخط والده، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم، وأخذ عن والده، وعن أكابر شيوخ الحرمين، ومنهم: الشيخ عبد الواحد الحصاري المعمَّر، الذي مولده في مستهل رجب، سنة عشر وتسع مئة، وأجاز صاحب الترجمة مشافهةً

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٩)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥٤٨).

(٢) ما بين معقوفين ليس في الأصل.

بمكة، ختام عام أحد عشر بعد الألف، وأجازه جل شيوخه.

وعنه: شيخنا محمد الشلي باعلوي، وشيخنا حسن بن علي العجيمي، وغيرهما من الأفاضل، ولم تزل ناطقةً ببراعته[1] ألسُن الأقلام، شاهدةً بسبق براعتـه الجلة الأعلام، إلى أن استأثر به الواحد العلام، فانقضت أيامه كأنها أحلام.

وكانت وفاته بمكة، بعد شروق يوم الاثنين، رابع عشر شهر رمضان، سنة ثمان وسبعين بعد الألف، ودفن بعد صلاة العصر بالمعلاة في تربة آبائه الطبريين الكرام، وبينـه وبين القـاضي تاج الدين المالكي وغيره من أفاضل المكيين، مطارحاتٌ يطول ذكرها.

ومن شعره قوله:

غـارتْ بـدورُ الـتمِّ مـن كاعـبٍ	هـام بهـا المفتـونُ بـين الأنـامْ
رَنَـتْ بطـرفٍ فـاترٍ نـاعسٍ	يرشُـق مـن ألحاظـه بالسهامْ
بديعـةُ الـشكل ولكنهـا	بعيـدةُ الوصـل علـى المستهامْ
يـودُّ لـو زار حماهـا علـى	رغم العـدى مختفيًا فـي الظلامْ
هـذا ورؤيـاه إلـى وجههـا	غايـةُ مـا يحظـى بـه والسلامْ

وله معمًّى في حسامٍ:

وساقٍ كبدرِ التمِّ في غسق الـدجى	يدورُ بـأكواب ويـرقصُ كالغصنِ
فأفديه من ساقٍ سما في سماء البها	عليه إذا مـا دار تـاجٌ مـن الحسن

(١) في الأصل: ببراعة، والصواب ما أثبت.

[٩٩٧] زين العابـدين بن محيي الدين بن ولي الدين بن جمال الدين يوسف ابن شيخ الإسلام والمسلمين أبي يحيـى زكريا بن محمـد السُّنَيْكي الشافعي الأنصاري[١].

الشيخ الإمام الفاضل، العالم العامل، كان أحـد عباد الله الصالحين، والأجلاء المعتقدين، المخصوص بالأخلاق الرضية، والشمائل البهية المرضية.

وُلد بمصر ضحى يوم الخميس، خامس ربيع الأول، سنة إحدى وألف، وبهـا نشأ، وحفظ القرآن المجيد، وتلاه بالتجويد، واعتنى به قراءةً وفهماً، وكتابةً ورسماً.

واشتغل في عنفوان شبابه بطلب العلم، والاعتناء به، وأخذ عن والده، ولازم أكابر شيوخ عصره، وشارك شيخَنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي في كثيرٍ من شيوخه، ثم لازمه ملازمة الجفن للعين، وكانا كروح في جسمين، وكان شيخنا يحبه، ويثني عليه، ويعظمه في جميع شؤونه، ويشير إليه، حتى توفي في حياة شيخنا إلى رحمة الله تعالى ورضوانه، فجزع عليه، وكاد أن يشق ثوبه عليه؛ لكونه خدنه وصديقه، وخليله ورفيقه.

وكانت **وفاته** بعد ظهر يوم الاثنين، ثاني ربيع الثاني، سنة ثمان وستين وألف، عن سبعٍ وستين سنةً إلا ثلاثـة أشهر، فإنه لـم يبلغها، بعد أن توعك نحو شهرين بوجع البطن والبرودة، ودفن بقرب تربة جده.

ولـه مؤلفـاتٌ كثيرةٌ شهيرةٌ، منها: «حاشيةٌ على شرح الجزرية» لشيخ الإسلام زكريا في نحو عشرين كراسةً، وشرحٌ على رسالة جده شيخ الإسلام

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٩٩)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٦٥).

المسماة بـ: «الفتوحات الإلهية» سماه: «المنح الربانية»، ودفن بتربة المجاورين.

[٩٩٨] زين العابدين بن عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري المكي الشافعي(١).

إمام المقام الإبراهيمي الشريف، والخطيب بالمنبر المطهر المنيف، [الإمام ابن الإمام، والهمام ابن الهمام](٢)، شيخ الإسلام، وعلم الأئمة الأعلام، وارث الجلالة عن آبائه الذين زهت بذكرهم الأخبار والسير، والمتصدر في مجالسهم لبذل جواهر العلوم والدرر، ومالك أزمة المنطوق والمفهوم، وملك أئمة المنثور والمنظوم.

ذكره والده في «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، فقال: وُلد ليلة الأحد، ثامن عشر ذي الحجة، سنة اثنتين بعد الألف، في أواخر الثلث الأول، وأمه أم هانئ بنت الخواجا محمد بن أرج الحلبي، ونشأ في حجر أبويه، وحفظ القرآن العظيم في مدةٍ يسيرةٍ مع حداثة سنه، ثم صلى التراويح بالقرآن العظيم بمقام إبراهيم مراراً متعددةً، واشتغل بالعلم والتحصيل، فقرأ عليَّ مقدمات الاشتغال؛ «كالجرومية»، و«شرحها».

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٩)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥٤٨)، جاء في الحاشية: «مكررٌ، لكنها تزيد على ما تقدم».

(٢) ما بين معقوفين ليس في الأصل.

وقرأ على صهره أبي زوجته ملا نور الدين البخاري نزيل مكة شيئاً من الصرف، ومن مبحث الفعل إلى الأخير من «شرح الكافية» للجامي، وقرأ عليه «الكلستان» وتعلم اللغة الفارسية منه، وبلغ في التكلم بها الغاية، وجود عليه الخط، فحسن خطه، وجود القرآن العظيم على الشيخ أبي الحسن بن ناصر الضرير، وقرأ عليه جميع «شرح الجزرية» لشيخ الإسلام زكريا، فحسنت قراءته، وعذبت تلاوته، مع حسن الصوت، وطيب النغمة.

وقرأ على ملا قاسم العجمي، «شرح إيساغوجي»، ومن «شرح القطب على الشمسية» إلى بحث المختلطات، وانتفع به كثيراً، وقرأ على الشيخ أحمد ابن علان المنطقَ ـ أيضاً ـ، وغالب «شرح المنهج»، وجميع «شرح عقائد النسفي» للتفتازاني، وقرأ على الشيخ أحمد بن الفضل باكثير، في حساب التنجيم كتاب «دقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق»، ومن رسائل الربع، وكذلك على القاضي أحسن العجمي أحد شيوخي.

ولازم دروسي الخاصة والعامة مذ ميز، وهو قارئ درس الفقه والحديث عليَّ، فقرأ عليَّ غالبَ «منهاج النووي»، وغالب «شرحه للجلال المحلي» في عدة سنين، وقرأ علي جانباً من «البخاري» في نحو سبع عشرة سنة، والقراءة في شهر رمضان خاصةً، وقرأ عليَّ نحو نصف «الألفية» لابن المصنف، قراءةَ تحقيق وتدقيق، وغالب «المطول للسعد»، و«الخزرجية وشرحها» في العروض.

وقرأ على السيد عمر بن عبد الرحيم البصري جانباً كبيراً من «شرح الكافية للرضي» نحو ثلثيه، وغالب «الشرح المختصر للسعد»، وغالب «شرح المنهج»، وغالب «شرح الروض»، ولازم دروسه في التفسير والحديث

وأصوله إلى أن مات وهو مستمرٌ في قراءته عليه، وهو مكبٌّ على الاشتغال، مع جودة الطبع، وذكاء الفهم، وسلامة القريحة في النظم والنثر، ومكارم الأخلاق بين الناس، وحسن السيرة، والترفع عن سفساف الأمور، والتحلي بالعفة والصيانة، وعدم الصبوة.

وأمّ بالناس في المقام الشريف، فحمدت إمامته، وفي سنة إحدى وثلاثين وألف، نزلتُ له ولأخيه شقيقه عليٍّ بما بيدي من وظيفة خطابة الشافعية بالمنبر الشريف المكي، ففرغت لهما لدى سيدنا ومولانا الشريف إدريس بن الحسن، وأذن لهما أن يباشر كلٌّ منهما نوبةً مستقلةً، فباشر صاحب الترجمة خطبة يوم الجمعة، غرة ربيع الأول من السنة المذكورة، وأنشأ صاحب الترجمة، خطبةً بليغةً، ذكرها المترجم، وله شعرٌ رائقٌ، وإنشاءٌ فائقٌ.

فمن شعره في الغزل قوله:

أماطتْ لثامَ الوجهِ فانتقب البدرُ ... وأبدتْ هلالَ الصدغِ فانتدب الفجر
وماستْ فحاكى الغصنَ مائدُ قدِّها ... رطيبًا ولكن فاته السَّحر والنحرُ
فتاةٌ بها سالتْ مدامعُ صَبِّها ... بحورًا وأورى في حشاشته الجمرُ
ولم تَرْثِ إذ أهدتْ سقامًا لجسمه ... ولم ترضَ إذ صار الشفيع له الهجرُ
وما أطلقت من أسرها غيرَ سهدِه ... وأما سوى هذا فأوثقَهُ الأسرُ
فإن رام منها الثغرَ فهو ممنَّعٌ ... وإن رام منها الخدَّ نمَّ به الثغرُ
وإن جردَتْ من جفنه سيفَ سره ... فمن عادة الأجفانِ للنعَّس الكسرُ
فيا هل ترى من بعد ذا البعدِ والجفا ... دُنُوٌّ وإقبال فقد نفِدَ الصبرُ
وهل بعد هذا القطع وصلٌ لمدنَفٍ ... لقد دقَّ حتى صار أكبرَه الفكرُ

فجودي ولو بالطيف واستبقِ ما به تبقي من الأنفاس وهي به نَـزْرُ
ولا تعجبي من رَوْمِه الوصلَ إنه بعيدٌ ولكن ربما أورق الصخرُ

قلت: واستجاز له والده، من الشيخ المعمّر عبد الواحد الحصاري، فأجازه مشافهةً بمكة سنة إحدى عشرة بعد الألف، وقد ذكرت ذلك في ترجمته.

وممن أخذ عن المترجم: الشيخ العلامة عيسى الجعفري المغربي، وشيخنا السيد محمد الشلي، وشيخنا حسن بن علي العجيمي، وكثير من علماء الحرمين.

ولم تزل ناطقةً ببراعته ألسن الأقلام، شاهدةً بسبق براعته الجلة الأعلام، إلى أن استأثر به الواحد العلام، فانقضت أيامه كأنها أحلام، وكانت وفاته بمكة بعد شروق يوم الاثنين، رابع عشر شهر رمضان، سنة ثمان وسبعين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة بعد صلاة العصر، في تربة جماعته الطبريين.

وبينه وبين القاضي تاج الدين المالكي، وغيره من أفاضل المكيين، مطارحاتٌ يطول ذكرها.

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

غارتْ بدورُ التمِّ من كاعبٍ هام بها المفتونُ بين الأنام
رنت بطرفٍ فاترٍ ناعسٍ يرشق من ألحاظه بالسهام
بديعةُ الشكل ولكنها بعيدةُ الوصل على المستهام
يودُّ لو زار حماها على رغم العدى مختفيًا في الظلام

هـــذا ورؤيـــاه إلـــى وجههـــا غايـةُ مــا يحظــى بــه والــسلام

وله معمًّى في حسامٍ:

وساقٍ كبدرِ التمِّ في غسق الـدجى يدور بـأكوابٍ ويـرقص كالغـصنِ

فأفديه من ساقٍ سما في سما البها عليه إذا مـا دارَ تـاجٌ مـن الحـسن

[٩٩٩] زين العابدين ابن العلامة الشيخ عبد الرؤوف المناوي، نسبةً إلى منيـة القـائـد من الديار المصريـة، الشافعي المصري، شارح «الجامع الصغير»(١).

ترجمه والده في «طبقاته»، فقال: كان عالمـاً عاملاً، صوفياً فاضلاً، اشتغل بالطريقين، حتى صار معدوداً من الفريقين، نشأ نشأةً حسنةً مباركةً، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفـظ عدة متون وهو ابن عشر، منها: «الزبد» لابن أرسلان، و«الوردية النحوية»، و«الإرشاد» للسعد التفتازاني، وغير ذلك، وعرضها على مشايخ عصره.

ثم اشتغل بالفقه على شيخنا شيخ مشايخ الإسلام، فقيه عصره، وعالم قطره، خاتمة الفقهاء الشافعية، بالديار المصرية، شمس الملة والدين محمد الرملي الأنصاري الشافعي، ثم انتقـل بعـد وفاتـه إلى الشيخ العالم العلامة العامل، شهاب الدين أحمد الخطيب الشربيني، فلازمه مدةً طويلةً، وانتفع به، واشتغل في النحو على الشيخ الإمام عبد الكريم البولاقي، وعلى عرب زاده

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٣٦)، «خلاصة الأثـر» للمحبي (٢/ ١٩٣)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٦٥).

قاضي مصر، وعلى التَّي بَرْمق أفندي.

واشتغل في الأصول والفقه على خاتمة المحققين شمس الدين محمد الميموني، وأخذ علم التفسير والجبر، والمواليد والحساب والهندسة على شيخ الإسلام علي المقدسي، واشتغل في الحساب والفرائض على جماعةٍ.

ثم أخذ التصوف، وجدَّ فيه واجتهد، وأخذ طريق الخلوتية عن جماعةٍ، منهم: الشيخ الصالح محمد تركي الخلوتي، وشيخ الطريق أحمد العجمي، والشيخ خضر العجمي الخواطري، والشيخ عبدالله الرومي، والشيخ محمد التوقاتي، والشيخ محمد الرومي.

ثم أقبل على طريق القوم، ولازم الخلوة مدةً، حتى صار لا يرى إلا ذاكراً أو مصلياً أو مسبحاً، ويمكث اليوم والليلة على الوصف الواحد، واشتهرت له خوارق كثيرة، وأحوال غريبة، وانتفع به على صغر سنه جماعةٌ.

وصحب الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين محمد الكلبي، فظهرت عليه بركاته، وعادت إليه أحواله وآياته، ورأى منه العجائب، واطلع على بعض ما خصّ به من المواهب، وكان كثير التعبد جداً؛ بحيث لا ينام من الليل إلا القليل، حتى إذا غلبه، يقوم إلى فراشه، ويضطجع عليه، والسبحة في يده لا يفارقها، وهو مشتغلٌ بالذكر، فإذا غلبته عينه، نام، فإذا استيقظ، عاد إلى الاشتغال، فهذا كان دأبه، وهذه عادته.

وكان قد ظهرت عليه علامات النجاح، وآثار الفلاح في صباه، فمن ذلك: أنه كان وهو في سن الفصال يقول: أريد أتوضأ، فيقولون له: كيف تتوضأ؟ فيصف الوضوء حتى كانوا يتعجبون منه، وكان من اللين، وسعة الصدر

والاحتمال على جانبٍ عظيمٍ، وإذا ذكروا الآخرة، ذكرها معهم، وإذا ذكروا الدنيا، ذكرها معهم.

وأما إذا كان وحده، فليس اشتغاله إلا بالعبادة، حتى إنهم كانوا يأتون بالعَشاء، فيقول: حتى أصلي، فيُطيل، ويبرد الطعام، فيقول: سخنوه، فيسخنونه، فيجدونه يصلي، فيبرد، وهكذا مراراً عديدةً، وكانت المجاذيب النافرون من الخَلق، الذين لا يألفون أحداً، يأتون إليه، ويقبلون عليه، ويحدثونه بالأمور العجيبة.

وكان مبدأ أمره: أن والده أرسله لمصلحةٍ، وهو مراهقٌ، فمر بابن العظمة، وهو لا يعرفه، فناداه، فوضع في فمه قلب خصٍّ، وقال: قد خصصتك، ووقع له: أنه كان جالساً عند والده، وإذا بالباب يطرق طرقاً عنيفاً، فإذ برجلٍ أعجمي، فاعتنقه، وضمه إلى صدره ضمةً شديدةً، ثم أطلقه وفارقه، فسقط غائباً عن حسّه، فأقام زمناً مغمًى عليه، ثم أفاق، ودخل على والده، وهو يرعد، فذكر له ذلك، فقال له: لا تخبر بهذا أحداً.

وكانت الأرواح تألفه، والأولياء تعرفه، وكانوا يدخلون عليه ليلاً في القاعة التي هو بها، من خلال الشبابيك، فيجلسون معه، ويحدثونه بأمورٍ من طريق القوم، ومن الخوارق، ويخبرونه بأشياء، فلا تخلف، واجتمع بالقطب مراراً، وأعاد عليه من أنفاسه، وصحبه رجلٌ أعجميٌ اسمه الشيخ شاه، فكان يأتيه في غالب الليالي من الشباك، ويتعشى معه.

وكان في ابتداء أمره يرى الأنوار، ويسمع كلاماً وأخباراً، فتارةً يرى كنور القمر، وتارةً كنور الشمس، وتارةً فتائل وقناديل، ورؤوس شمعٍ موقودٍ،

يسقط عليه وحواليه، وكان يرى المنامات العالية المقدار.

فمرةً رأى أنه ذاب حتى لم يبق منه شيء، وأخرى أنه زُفَّ بين الشموع الكثيرة، وأُجلس على مرتبةٍ وسجادةٍ، وأُلبس جبةً خضراء، ثم أتاه جماعةٌ وهنؤوه، ثم أقيم عن تلك المرتبة والسجادة، وألبس جبةً أخرى، وأُجلس على مرتبةٍ أخرى، وهكذا سبع مراتٍ، في ليلةٍ واحدةٍ، ووقع له من ذلك ما لا يمكن حصره، ثم صار يرى ويسمع في اليقظة.

ومن خوارقه: أن إمام الأئمة الشافعي كان يخاطبه من قبره، وكان في بعض الأحيان يخرج يده من القبر، فيضع له في يده شيئاً، وكان يرى جده شيخ مشايخ الإسلام، قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوي، وهو قاعدٌ في قبره، عليه ثيابٌ، فيكلمه، ويباسطه، ويدعو له، وكان عياله وأقاربه يخاطبونه، ويبشون في وجهه، فإن أبطأ عنهم، عاتبوه.

وأخبرنا العالم العامل الشيخ عبد القادر الفيومي: أنه وافق دخوله لزيارة العارف بالله أحمد الزاهد، فقال له صاحب الترجمة: السلام عليك، فرد عليه الشيخ السلام من قبره، قال: سمعت بإذني.

وكان إذا زار الشيخ عبدالله المنوفي، يرتجُّ ضريحه، وتضطرب الحيطان، ووقع له مع العارف ابن عنان خوارق لا يمكن شرحها، وقال الشيخ النبتيتي: ما دخلت مصر إلا بإذن صاحبها، وقد استقر بها قدم زين العابدين المناوي، ولم يأذن في الجلوس، فتركته وإياها، ولم يكن لفقيرٍ أن يدخلها ويسكنها إلا بإذن منه خاصٍّ، وإن كان من ذوي العناية والخواصّ.

وقال الشيخ أحمد اليمني المجذوب: لي منذ أعوامٍ أجهد أن اجتمع

بزين العابـدين في مقـامـه، فلم أظفـر بذلك في يقظـةٍ ولا منامٍ، وما رأيت المصطفى ﷺ إلا وهو معه، ويخصه بالصحبة والكلام.

قال العلامة الكلبي: زرت معه الشافعي، فقال لي: انظر، فنظرت فإذا الضريح ارتفع، حتى وصل إلى أعلى القبة، في واقعةٍ طويلةٍ.

وكان إذا غلب عليه الحال، تكلم بكلامٍ ليس بالعـربي ولا بالعجمي، وكان إذا استشاره أحدٌ في أمرٍ يقول: اصبر الليلة، ثم ينويه تلك الليلة، فإن كان الأمر خيراً، رأى بياضاً وإشراقاً، وإن كان شراً شديداً، رأى سواداً حالكاً، فإن كان ليس بشديدٍ، فيصبح ويخبره بذلك، فلا يخطئ أصلاً.

وإذا أمره والده بالذهاب لرجلٍ يقول: لا أجده في هذا الوقت، هاهو خارجٌ من باب داره، فيرسل معه غيره، فيجده كذلك، وأرسله مرةً لحاجةٍ، فرأى خطاً مستطيلاً من دنانير مرصوصةٍ في الطريق، فذهب لحاجته، وعاد فرآها كذلك، وغيره لا يراها، فتركها، ولم يمس منها شيئاً.

وأرسله مرةً إلى قليوب، فقعد بالجامع، فدخل عليه إنسانٌ وهو بالهواء، بينـه وبين الأرض نحـو ذراعين، فصـار يمـدّ يـده وهو في الهواء يلتقط مع الجامع، وقال له: ما أتى بك هنا يا زين العابدين؟ مع أنه ما رآه قط، ولا يعرفه، وكان يقعد أحياناً بجامع المرأه، فيأتيه جماعـةٌ من الهواء على نوقٍ يسلمون عليه، ثم يرتفعون.

ودخل عليه يوماً وهو منزعجٌ، فقال لـه: مالك؟ فقال: أمطرت على رأسي سحابة فلوسٍ من الجُـدَد، فلولا أني قارفت أمراً عظيماً، ما وقـع لي ذلك، وما هو إلا من مصالحكم التي توجهـوني إليهـا، في مطالبات الناس

بخراجكم أو معلومكم، ولا أستطيع أن أخالفكم.

وكان يقول: ما جلس عندي إنسانٌ إلا عرفت ما هو متلبسٌ به، ولولا خوف الله تعالى، لأظهرت عورات غالب الأعداء.

وكان كريماً سخياً، جواداً ممدوحاً، يستوي عنده الذهب والحجر، ولا تدور يده على شيءٍ إلا صرفه، ولا يعرف من أين ذلك، ولم يكن له سببٌ ولا وظيفةٌ، ولا مرتبٌ في جوالى ولا غيره، وإنما كان باسمه وفاته لوالده، لا يتناول منه حبةً واحدةً، وكان يخص بزيادة الإحسان من يعلم أنه يبغضه ويعاديه.

ويحسن إلى عيال والده، ويوسع عليهم من عنده، ويقول: بشرط أن لا تعلموا سيدي بذلك، ولم يقع قط أنه ذكره في حضوره وغيبته إلا بلفظ سيدي، حتى مات، قال والده: والله والله والله! ما أغضبني مدة عمره، ولا أدخل عليّ ما أكره.

ومن وقائعه: أنه قال لوالده يوماً: أعطوني في هذا الوقت مفتاحاً من حديد، طوله نحو ذراع، وكل سنٍّ نحو شبرٍ، فقلت: هذا ثقيلٌ، ولا أطيق حمله، فقالوا: أعطه لأبيك، فما تم ذلك اليوم، حتى جاءت والدَه حجةُ التقرير بالصلاحية، ولم يكن له علمٌ بأنها انحلت.

وكان الشيخ محمد الكلبي كثير الإهداء إليه في المأكل والمشرب، وغير ذلك، فأرسل له يوماً رأساً من الغنم، فرده، فسأله والده عن ذلك، فقال: شممت منه رائحةً متغيرةً منتنةً، فتبين بعد أنه أرسله إليه بعض الظلمة.

ووقائعه كثيرةٌ، وأخباره مدهشةٌ، ولو ذهبت أستقصي ذلك، لامتلأ

القرطاس، وضاقت الأنفاس[1].

وألف عدة تآليف، منها: «شرح التائية لابن الفارض»، و«شرح المشاهد للشيخ الأكبر ابن عربي»، وعمل «حاشيةً على الجلال المحلي»، و«شرح الأزهرية»، وجمع فتاوى جده شيخ الإسلام قاضي القضاة يحيى المناوي، ورتبها ترتيباً حسناً، وجرد حاشيته التي على «شرح البهجة» لشيخ الإسلام الولي العراقي، وجرد حاشيته التي على «الروض الأنف» للسهيلي، وله عدة رسائلٍ، منها ما كمل، ومنها ما لم يكمل.

وبورك له في زمنه وعمره، ولم يزل كذلك ملازماً للخيرات والطاعات، حتى نقله الله تعالى إلى دار كرامته، فتوفي صبيحة يوم الثلاثاء، رابع أو خامس ذي القعدة الحرام، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف بمصر، ودفن بين الوليين العارفين: الشيخ أحمد الزاهد، والشيخ مدين ـ نفع الله به ـ، وأرخ وفاته الشيخ علي العامري العدل بمحكمة باب الشعرية بقوله:

لقد تُوفي الحبر بحرُ التقى ... اللوذعيُّ العمدةُ الفاضلُ
من كان زينَ العابدين الذي ... هو الإمام العالم العاملُ
لما توفي جاء تاريخه ... (مات الوليُّ العارفُ الكاملُ)

وقوله أيضاً مؤرخاً:

كان الإمامَ العالمَ المتقي ... العابدَ الزاهدَ عينَ الزمانِ

---

(١) غفر الله للمصنف ورحمه، في ذكر هذه الخرافات والأباطيل، التي لا يُوصف بها إلا أدعياء الطرق والمتصوفة، ولا يقبلها عاقلٌ أو صاحب دينٍ صحيح، نسأل الله ﷻ السلامة، ونعوذ به سبحانه من الخذلان.

مـن كـان زيـنَ العابـدين الـذي حـاز المعـاني ببـديع البيـانِ
لمـا تـوفى صـح تأريخـه (أمسى المناوي خالـدًا بالجنـان)

ومن خوارقه: أنه كان على قبره خيمةٌ، فسقط عليها حائطٌ بجانبها، فتقطعت الخيمة، وكان قد علقت فيها ثريا من القناديل، فوجدت تحتها لم تنكسر، وكان يرى المصطفى ﷺ وهو جالسٌ في ورده.

ومنها: أنه أتاه رجلٌ من أصحابه، فخرج إليه، ورجع إلى والده، فقال له: فلانٌ يقول: إن له ولداً في الريف، وإنهم أرسلوا يقولون له: إنه مريضٌ، فانزعج من ذلك، وجاء يسألني أن أكتب له ورقةً، والولد قد مات هذا اليوم، فقال له والده: لا تذكر له ذلك، واكتب له ما طلب، فورد الخبر بموت الولد في ذلك اليوم.

وكان رجلٌ يبالغ في اعتقاده، اسمه أبو السعود، فكان يلازمه، ويقبل يده ورجله، عند المجيء والذهاب، وهو يتبرم من ذلك، فقال له والده: ليس بلائقٍ منك لهذا الرجل، فقال له: إنما هذا التملق لحاجته، وسينكشف لك ذلك، ويحصل لكم تعبٌ، فكان كذلك، ولم يتخلف مما قاله حرفٌ واحدٌ.

ووقع أن بعض الناس أظهر السرور بموته، فلم يتمتعوا بالحياة بعده، ولم يعيشوا بعده إلا قليلاً، وكان هذا سبب انقطاع والده عن الناس، ونفوره منهم.

ومن وقائعه: أن قاضي العسكر أغلظ عليه، فنظر إليه بحالٍ، فسقطت عمامته، فكان ذلك يوم عزله.

وضربه جنديٌّ بسيفٍ، فلم يصبه، ثم رَمَى ذلك الجندي ببندقيةٍ فرجعت عليه، فقصت كفه.

ورماه بعض العرب بمزارق[1]، فلم يصبه، فضُرب عنق ذلك العربي من غير سببٍ.

وسبه رجلٌ وضربه، فما مرّ عليه ذلك اليوم، حتى وجد عند بعض أهل الفساد، فغرمه الوالي قدراً كبيراً، بعد مزيد الحقارة.

وكان يقول: ما جلس عندي إنسانٌ، إلا عرفت ما هو متلبسٌ به، ولولا خوف الله تعالى، لأظهرت عورات غالب الأعداء.

وكان يقول: أُذن لي في قتل بعض الظلمة، فأبيت ـ رحمه الله، ونفعنا بـه في الدارين ـ. ذكره والده الشيخ عبد الرؤوف في «إرغام أولياء الشيطان بذكر أولياء الرحمن».

[١٠٠٠] زين العابدين بن سري الدين بن أحمد بن محب الدين الدري المالكي.

من أكابر العلماء بالعلوم الشرعية، له «شرحٌ على الرحبية» وقفت عليه بخطه، أرخ إكماله يوم الجمعة، ثالث ربيع الثاني، سنة اثنتين وثلاثين وألف.

[١٠٠١] زين العابدين بن محمـد بن زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن البكري[2].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بمزراق.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٥١) (٢١٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٩٦)، «هدية العارفين» (١/ ٣٧٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٠).

مترجمٌ في «المجموعة»، وله قصائد في «المجموعة» التي فيها رسالة الأشخر، تراجَع، ذكره النجم الغزي في «ذيل الكواكب»، فقال: علي زين العابدين بن محمد بن علي بن أبي الحسن البكري الصديقي العامري الشافعي، الشيخ العارف بالله، قام مقام أبيه من بعده، وكان له في التصوف والتكلم بلسان المعرفة يدٌ طولى.

وكان كثيرٌ من أهل مصر وغيرهم يقولون: بدايته بنهاية أبيه.

أخذ العلم عن والده، وشيخه المختص بتعليمه، الشيخ بدر الدين البُرْدَيني، وكان بارعاً في العربية، وعلوم البلاغة والخير.

وله شعرٌ لطيفٌ، ومن ألطفه قوله:

اسقنا قهوة غُذافِيَة اللو ... نِ حلالاً تفرج الهمَّ عنَّا
وأدرْها من خالص البُنِّ صرفًا ... لا تشب حسنَها بغيرٍ فتُشْنا
واتَّبِعْ قولَ أشرفِ الرسلِ حقّاً ... قال من غَشَّنا فليس مِنَّا

وحكي: أن سيدي محمد البكري، لما حضرته الوفاة، قال لخادمة له: ناد[ي] لي زين العابدين، فذهبت ونادت أخاه أبا السرور، فقال لها بعد أن خرج: ناد[ي] لي زين العابدين، فإنك إذا ناديتيه، ولم تناد[ي] غيره، فأنت حرةٌ، فذهبت، ونادت له زين العابدين، قالت: فلما دخل على والده، قال له: اجلس، وأملى عليه شيئاً، ثم قال له: فهمتَ، فهمتَ؟، قال: نعم، قال: قم الآن.

فلما توفي والده، ظهر بما ظهر به من المعارف والحقائق، وعلت رتبته، وسمعت كلمته، وبسطت سطوته، فلما كان يوم الأحد، ثالث ربيع الأول،

سنة ثلاث عشرة بعد الألف، طلع المترجم إلى إبراهيم باشا نائب مصر، بعد العصر، فأحضر السماط، ثم القهوة، فلما أكلوا وشربوا، خرج المترجَم مغشياً عليه ميتاً، فحمل إلى بيته.

وكان حاضراً بالمجلس جماعةٌ من الأعيان، منهم: قاضي مكة ابن عبد الجبار، وتحقق أن موته كان سُمّاً من نائب مصر إبراهيم باشا، فلم يلبث بعده إلا أياماً يسيرةً، حتى قام عليه عساكر مصر، فقتلوه، وحملوا رأسه على رمحٍ، وطافوا به مصر، وقد أشار المترجم إلى ذلك، قبل موته بأيام، في موشحٍ منه قوله:

وقـاتلي فـي النـاس دمُـه مسفوح

[١٠٠٢] الأستاذ زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن البكري الأشعري، سبط آل الحسن[١].

وتقدم رفع نسبه إلى الصديق ﷺ في ترجمة أخيه محمد بن أبي السرور.

زين هذا البيت، ونور غرتهم، وقائد جيش أسرتهم، وحامل لواء عزتهم، لبس رداء النجابة في صباه، ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه، ولم تقصر عليه أثواب مجده، التي ورثها عن أبيه وجده، فعلى جبينه نورُ نسب، يخبر أن خلف الدخان لهب، واجتمع فيه من الكمال، ما يضرب به الأمثال. إن ذكر جوده، فما الطائي؟ أو فصاحته، فما أبو تمام الطائي؟ أو حدة ذكائه، فما إياس؟ أو همته القرشية، فما أبو فراس؟ وزمانه كان عرس

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٢٢٢) (١٥٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٧).

الفلك، فكم قال له الدهر: أما الكمال، فلك.

وكانت مجالسه بالجامع الأزهر أيام وعظه، يدير فيها سلاف المغاني في كاسات لفظه، فيسكر القوم بعد صحوهم، ويثبتهم في عين محوهم، وخصوصاً في لياليه المقمرة بسنا معارفه، المشرقة من سني معارفه، ولم يزل كذلك حتى غربت شمسه، وواراها في عين حمئة رمسه، فتوفي بمصر يوم الاثنين، رابع ربيع الثاني، سنة ثلاث عشرة بعد الألف.

وسبب موته: أنه كان عند وزير مصر إبراهيم باشا، فتعشى عنده، ودخل معه إلى الخلوة، وشرع في قراءة فاتحة الكتاب، فسقط على وجهه، فحركوه، فوجدوه ميتاً.

واجتمعت بعد أيام عساكرُ مصر، وقتلت إبراهيم باشا شر قتلة، وصلبوا رأسه، وقتلوا معه محمد بن خسرو.

ولما بلغ خبر موته إلى دمشق، قال الشيخ العلامة عبد الحق بن محمد السيماقي يرثيه من أبيات:

لم يهدموا أركانَ مصرَ وإنما هدموا بقتلك قبةَ الإسلامِ

وتناولتك يدُ الكلاب وطالما خضعتْ لصوتك صولةُ الضرغامِ

فسقى ثراكَ سحابةٌ قدسيةٌ تهمي عليك برحمةٍ وسلامِ

[١٠٠٣] زين الشرف بنت عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسينية الطبرية المكية.

وُلدت ضحى ثامن جمادى الآخرة، سنة ثمان بعد الألف، واستجاز لها

والدها من الشيخ المعمر عبد الواحد الحصاري، فأجازها بجميع مروياته.

[١٠٠٤] زينب بنت السيد محمد بن أحمد صاحب المخا[1].

كانت أديبةً مطابيةً، لها اطِّلاعٌ على الأدب وعلومه، ومعرفةٌ بالنحو، وفن الفلك والأسماء، ولها شعرٌ بديعٌ، ووقائع في علومِ الأوفاق، ودعواتِ الجن غريبة.

تزوجها السيد علي ابن الإمام المتوكل، ثم فارقها، وجرى بينه وبينها محاورات شعرٍ وموشحات، من ذلك: قولها ـ وأرسلت به إليه معاتبةً ـ:

مـن منـصفي يـا نـاسُ مـن مباعـدٍ للحـبِّ جاحِـدْ

ومـا درى أن القلـو بَ شـواهدٌ كـم ذا يعانِـدْ

إلى أن قالت: إن كان عزمي من لديك مسحور، وخالقِ الطور، فإن ودك في السطور مسطور، خافي ومنثور.

ومن جواب السيد لها في ذلك: قدَّمت إلى سوحك بكل لَهْذم، ودرعٍ معجم، وصافنات الخيل[2] كم من أدهم، لأجل تعلم، أني لوصلك يا حبيب مهيم، والله يعلم، وقلتِ: ما تقوى لفقد الأوطان، مالك بضوران، ولا تفارق جيرتك الإخوان، لو كان ما كان، خالفت أمري، صرت لي معاند، ما جُهد واحد.

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٧٠٩) (٢٢٥)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٠٦).

(٢) في الأصل: الخليل.

ومن شعرها قولها:

شجاكَ من بارقِ الغورِ ابتسامات ُ ... ومن ترنُّمِ ذاتِ الطوقِ رنَّاتُ
ومن نسيمٍ سرى من نحوِ كاظِمَةٍ ... يا حبذا النفحاتُ العنبرياتُ
حتى غدا جاحمُ الأشواق ملتهبًا ... وصار للدمع في الخدِّ انسجاماتُ
ذكرتُ جيرةَ جيرون وطيبَ هوى ... تلك النخيل وهاتيك الأثيلاتُ
أيام شملِك بالأحباب مجتمعٌ ... وقد صفت لك في رَحْبان أوقاتُ

رحبان: بلدةٌ من قرى صعدة.

وللحدائق فيه منظرٌ بهجٌ ... كأنما هي أنهار وجناتُ
والقُضْب ترفُلُ في أوراقها مرحًا ... تزهو عليها ثياب سندسياتُ
والطلُّ ينثر دراً في سوالفها ... قد كَلَّلتها عقودٌ لؤلئيَّاتُ
والماء يصفقُ تحت الروض من طربٍ ... والطير تشدو وللزهر ابتساماتُ
والقلب منشرحٌ والطرف مبتهجٌ ... وقد أتتك بما تهوى الإراداتُ

ومنها:

فإن رأيتم على الوعساء لامعةً ... فتلك من نار أشواقي شعاعاتُ
وإن سمعتم على الأغصان ساجعةً ... فتلك عن بعض أشواقي عباراتُ

وكتبت إلى السيد موسى ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل، تطلب منه إعارة «القاموس»:

مولايَ موسى بالذي سمك السما ... وبمن في اليمِّ ألقى موسى

امــنن علــيَّ بعـــارةٍ مرجوعَـــةٍ فــامنح بجـودِك وابعـثِ القاموسا

ولما نظم السيد علي بن المتوكل قصيدته، التي حث بها والده على أخذ مكة من الأتراك، وأولها:

لعمــرُك لــيس يــدرك بــالتواني ولا بـــالعجز غايـــاتُ الأمـــاني

أجابته بقولها متهكمةً:

جرابــك والعــصا إن كنــت بــاني بأخــذ الــروم مــن بئــر العيــاني

وبئر العياني: محلٌّ حقيرٌ خارج ضوران، تريد: أنـه لا يتم ذلك، مع ضعف أهل اليمن عن مقاومة السلطنة العثمانية.

ولما فارقها السيد علي المذكـور، تزوجها بعـده السيد علي بن أحمد ابن أبي طالب صاحب صعـدة، ووقع بينهما محاوراتٌ شعريةٌ، ومما كتبته إليه قولها: . . .[1].

وسُحرت مراتٍ، ثم تعلقت بفن الأسماء، وبلغـت فيـه مبلغـاً كبيراً، واشتغلت به، فكانت من قبيل من تعلم السحر لأجل دفعه.

وكانت بديعة المحاضرة، حسنة المذاكرة، لها اطِّلاعٌ واسعٌ على أخبار الأدباء ووقائعهم، وحسْنُ خطها يضرب به المثل، إلى فصاحة لسانٍ، وثبات جَنانٍ، ولذلك كثر حاسدوها.

وتوفيت بشهارة سنة أربع عشرة ومئة وألف، وكان سبب موتها بسبب

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر ما قالته».

أسماء تلتها، ذهل منها عقلها أياماً، حتى توفيت، ولها الأشعار الكثيرة المتداولة، وعمرها نحو ستين سنة.

[١٠٠٥] زكريا بن بيرم الأنقروي[١].

أحد علماء الروم الكبار، أهل التحرير والأنظار، له «تعليقةٌ على البيضاوي» وصل فيها إلى سورة الأعراف، وله «حاشيةٌ على شرح المفتاح للسيد»، و«حاشيةٌ على الهداية» في فقه الحنفية، توفي سنة إحدى وألف بالقسطنطينية[٢].

□□□

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٩) (١٤٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٧٣).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياضٌ صفحةٌ وخمسة أسطر».




حَرْفُ السِّينِ المُهْمَلَة

[١٠٠٦] سالم بن أبي بكر بن سالم بن أحمد شيخان باعلوي الحسيني[١].

السيد الصفيّ، والخل الوفيّ، صاحب المقام العليّ، والقدر الجليّ، الفاضل الذي لو خلقت المكارم طائرةً، لم تقع إلا عليه، والعالم الذي لم تتوجه المعالي إلا إليه، المنتخب من آل شيخان، المشهود لهم بالفضل والإحسان، على لسان القاصي والدان:

من تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيدَهم ... مثل النجوم التي يُهدَى بها الساري

وُلد بمكة، سنة. . .[٢]، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بفنون العلوم، وكرع من مشارب الفهوم، وأخذ عن والده شيئاً كثيراً، وحصل منه خيراً كبيراً، ولازم الشيخ علي بن الجمال، وعبدالله بن سعيد باقشير، والسيد الجليل محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي، والشيخ عبدالله الطاهر العباسي، وغيرهم، وأجازه عامة شيوخه، وأخذ عن الوافدين إلى مكة؛ كشيخنا محمد

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ١٩٩).

(٢) جاء في الحاشية: «لم تذكر السنة».

البابلي، ومنصور الطوخي، وغيرهما، وقد صحبتُه مدةً مديدةً، وشهوراً عديدةً.

ولم يزل ملازماً لطاعة الله، حتى دعاه داعي أجله فلباه، **فتوفي في** حياة والده، وهو شابٌ على الحال الجميل الأسنى، والخاتمة الحميدة الحسنى، ظُهر يوم الجمعة، خامس وعشري شهر المحرم الحرام، افتتاح سنة أربع وثمانين وألف، وصلى عليه بعد العصر والده إماماً بالناس، بالمسجد الحرام، في مشهدٍ عظيمٍ حافلٍ، حضرتُه مع السادة الأجلاء الأعلام، وطافت به الناس حين طافوا بالبيت السعيد، ووافت عليهم ملائكة الرحمة، حين سعوا ودعوا بكل فضلٍ مزيد.

ولهٗ شعرٌ أرق من النسيم، وأحلى من التسنيم، **منه قوله**:

فاح عَرْفُ الشميم من ناديك ... يا زعيمًا على الأنام مليك
كل يوم وفي القلوب لظًى ... من تجنيكَ هل ترى يُرضيك
يا رعى الله جمعَنا وسقى ... منزلَ اللهو والخلاعةِ فيك
يوم عيشُ الشباب لي نضرٌ ... وزماني سمحٌ بلا تشكيك
أيُّ صبرٍ يكون لي ولقد ... عِيلَ صبري بمهجتي أفديك
فإلى الله أشتكي أبدًا ... سحَر عينيك أيها الفتيك
وقوامًا كأنه غصنٌ ... سالب عقل ناظر نسّيك
وحديثًا كأنه زهرٌ ... مذ أتانا مُعَطَّرًا من فيك
صاحِ هاتِ المدامَ إن لها ... بيقينٍ على الهموم وليك
واسقِنيها ممزوجةً بلمَى ... ثغرِ حِبِّي ولا تقلْ يكفيك

واسقنيها حمراءَ قد لبست ... شفقَ الليل أو كعُرْفِ الديك

واسقِنيها فإنني شَغِفٌ ... باحْتِساها معاندًا باهيك

وتعطَّفْ للحبيب عسى ... يسمح الدهرْ باللقا لأخيك

وابقَ واسلمْ ما الصبُّ منشدُنا ... فاحَ عَرْفُ الشميم من ناديك

وهي عروض قصيدة البهاء العاملي، التي مطلعها: «يا نديمي بمجتي أفديك»، وقد عارضها جملةٌ من أدباء العصريين من المكيين، منهم: الأديب الأريب عمر بن محمد علي سليم، وزيرُ شريفِ مكة زيد، وولده سعد.

قال متغزلاً وأجاد:

قسمًا بالهوى وما يرضيك ... وبعينيك فتنةِ النسّيك

وبأجفانِك الصحاحِ وما ... تحتويه من جوهرٍ في فيك

وبشاماتِ وجنةٍ هزأتْ ... بزهورِ الرياضِ أي وأبيك

وبأردافِك الثقالِ وخصـ ... ـرِك يا فاتني بلا تشكيك

ما تبدَّلت فيَّ المحبةُ لا ... والذي أرتجيه أن يدنيك

مُنَّ بالوصلِ يا منايَ وقلْ ... يا قتيلي ها قبلةٌ تشفيك

وادنُ مني وخلِّ قولَ واشٍ ... ففؤادي بحالتي يُنبيك

واجتلي أكؤُسَ المُدام ولا ... تكُ ممن جفا فما ذا فيك

واسقِني كاللهيب صافيةً ... لا تشمتْ بي العِدى يكفيك

أنا لولاك ما فُتنتُ ولا ... قلت مدحًا برمزه أعنيك

فترحَّم وصِلْ مُحبَّك يا ... راحمًا كلَّ قاصدٍ ينويك

واخبـرِ القلـبَ بالوصـالِ فمـا　　　فـي محـبٍّ لمـن يحـبُّ شـريك
وأغثنـي برشـفِ ثغـرك يـا　　　نـورَ عينـي فمهجتـي تفـديك

[١٠٠٧] سالم بن أحمد شيخان باعلوي الحسيني[١].

وتقدم رفع نسبه في ترجمة سبطه محمد.

السيد العلامة في سائر الفنون، الذي له في معرفة الله سبحانه أفنان وغصون، الكارع مشاربَ التحقيق من أنهارٍ وعيون، قد أفرد الترجمة لشأنه، وعظيم قدره ومكانه، ولدُه السيد الجليل أبو بكر.

قال فيها ما حاصله: أنه وُلد في السابع والعشرين من ربيع الثاني، عام خمسة وتسعين وتسع مئة، وجاء تأريخه: (فيض الجمال)، وحفظ القرآن العظيم، ونشأ في طلب العلم، مشمراً على ساق قدم الشوق والحزم والعزم، وجد واجتهد، وارتاض إلى أن وجد.

وقرأ كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، على الشيخ العارف بالله سعيد بابقي، المدفون بجبل أبي قبيس، ثلاث مراتٍ، وفاز في عصره الغصن الرطيب، من العلوم والمواهب اللدنية بأوفر نصيب، وجنى من ثمرات العلوم المختلفة ألوانها، ما شهدت به العلماء الأعيان، والقاصي والدان.

وصحب والد الكمل، والفرد الأكمل، الشيخ العارف بالله أحمد بن

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٠٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٢٢) (٣١٥).

علي الشناوي، وأخذ عنه علوماً جمةً، والطريقَ المسلسلَ سندُها الفاخر، من كابر عن كابـر، المتصل إلى أصل الأوائل والأواخـر، وسيد العشائر، ﷺ، وزاده شرفاً وكرماً لديه، وحاز بواسطته البسيطة العظمى، وورود منهله العذب الأحمـى، التخلُّقَ والتحقُّقَ بجميـع أشتـات الطرق، والانتظام في سلك در العقود والعهود، والمشابكة والمصافحة، ولبس الخرقة الجنيدية، والخضرية، والإلياسية، والترتنيـة، والأويسيـة والجشتيـة، والفردوسية، والسطوحية، والبكرية، والعمرية، بجميع طرقها البهية.

وتلقن الذكر السري والجهري، المنتج إشراق الأنوار، المنقوش على لوح القلب بتعلم الأفكار، الثابت ذلك كله بالإسناد إلى الأجلاء الأخيار.

ولما أن صار قلبه حرماً آمناً لإيداع سره، ما صبّ في صدره، صبه في صدره، وأجازه، وأوفر ميراثه، وأهّلَه للاستخلاف والوراثة، فأرشد طالب الإرشاد، ودل السالك على طريق الله تعالى، وفي تربيته أجاد، فقال:

من أتانا ببياضٍ لم يكنْ فيـه كتابَـهْ ... كتب الإرشاد منا فيه منهاج الإصابَهْ

ونشر سجل المعارف والعلوم، وأخذ عنه، وانتفع به الكثير من أرباب الذوق والفهوم، وصنف في فنون العلم الكتبَ والرسائل، وأتى بما لم تأت به الأوائل:

إن لـــم تكـــنْ رأيتـــه ... فـــانظرْ إلـــى آثـــاره
تُنبيـــك يـــا خـــدنَ العـــلا ... بالـــصدقِ عـــن أخبـــاره

فمن مصنفاته في علم التحقيق: «بلغة المريد وبغية المستفيد»، و«تمشية

أهل اليقين على زلفة التمكين»، وهي رسالةٌ مفيدةٌ للشيخ عبد الكريم الجيلي، و«الإعراب التام المسدد الجامع لتوحّد قيام محمد الشافعي» شرح أبياتٍ للعفيف التلمساني، التي أولها:

إذا كنتَ بعدَ الصحو في المحو سيدًا   إمامًا مبينَ النعت بالذاتِ مفردًا

و«شرح الجوهر الرابع والجوهر الخامس من كتاب الجواهر الخمس» للسيد محمد الغوث بن خطير الدين، أتم به شرح شيخه الشيخ أحمد الشناوي، فإنه شرح الأول والثاني والثالث فقط، واتفق له أنه قرأ هذا الكتاب ـ أعني: «الجواهر» ـ على شيخه المذكور، سبع مرات.

ومنها: «جواهر كلم العلوم في الصلاة على مداوي الكلوم»، حذا فيه حذو أهل التحقيق، و«السِّفر المسطور للدراية في الذكر المنثور للولاية»، و«الإخبار والإنبا بشعار ذوي القربى الألبا»، و«جبر الكلمة القاصمة بذكر الكلمة العاصمة»، و«المقاعد العندية بمشاهد النقشبندية»، و«شق الجيب في معرفة أهل الشهادة والغيب».

ومن مصنفاته في غريب العلوم: «مصباح السر اللامع بمفتاح الجفر الجامع»، و«غرر البيان عن عمر الزمان»، و«المشروط الأسمى الأسنى في شروط الأسماء الحسنى»، و«العقد المنظوم في بعض ما تحتوي عليه الحروف من الخواص والعلوم»، و«إيوان المقعد الحرفي وديوان المشهد الوصفي» يتضمن ما يتعلق بالوفق الثالث.

و«مرهم العطف ودرهم الصرف»، و«إسفار الحالك في العمل بوتر ابن مالك»، و«موائد الفضل الجامعة لبُابا في مواد الرمل النافعة أحبابا»، و«الماء

السلسال الأصفى في التعلق بالأسماء التي اقتضت ربوبيتها تخليق الموجودات الإمكانية وما لها منزلة وحرفا»، و«جل المغنم في حل الطلسم»، و«البرهان المعروف في موازين الحروف»، و«منهى الطلب في قسمة حروف الرتب على الكواكب السبعة والرأس والذنب»، و«الجدول العذب الأهنى من مشرب الأسماء الحسنى»، و«عقد الحكم في ورد الاسم»، و«عقد اللآلي الفخام في ورد الليالي والأيام»، و«التحصينات الموانع بالدعوات الجوامع»، و«التحبير في التسخير»، و«وفق الطبق لطبق الوفق»، وغير ذلك مما يطول ذكره.

وليس على الله بمستنكَرٍ … أن يجمعَ العالَم في واحدِ
وفضلُ الله يؤتيه امتناناً … بلا حصْر بنصٍّ من يشاء

وكان ﷺ حسن الأدب مع الرب، ومعمر الرتب من الطاعات بالنُّخَب، وسع أهل زمنه بحلمه وفضله، برسوخ قدمه في عمله الصالح وفنون علمه، وكان له خلقٌ كالنسيم، بل من خُلقه هبّ وسيم، وسرى عطر الشميم، باراً رؤوفاً بوالديه، مستشعراً عظيمَ حقهما لديه.

مقامه أن لا مقام ولا حكم؛ لشاهد ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: ١٣]، متنزهاً عن التظاهر بالكرامات، وخرق العادات؛ فإن الركون إليها في الأحوال، والاعتماد عليها في الأفعال، ليس ذلك من فعل الكُمَّل من الرجال، المتخللين بعباء الإرشاد إلى الله تعالى والإدلال، بل يرونه ويعدُّونه نقصاً، كما أن أرباب الدعوات يدعون ربها للدعوة لصّاً.

ولم يزل ـ رحمه الله تعالى ـ دأبه في وجوده، الأخذ من كل شيء للأفضل، والتلقي للمواهب اللدنية والإلقاء، والشوق إلى الله تعالى، والحنين

إلى اللقاء، لا يشغله ما كان فيه من نشر الإفادة عن مرامه، ولا يفوِّق رامٍ إلى مرماه بسهامه.

إلى أن دعاه مولاه، فأسرع إليه ولبَّاه، ولأجله المحتوم توفَّاه، وتوالاه وتولاه في الساعة السابعة من ليلة الأحد، في اليوم التاسع من ذي القعدة الحرام، سنة ست وأربعين بعد الألف، وتأريخ وفاته: (صار إلى رحمة الله)، وصلى عليه شريف مكة وقاضيها بالمسجد الحرام، عصر يومها، ولم يتأخر عن جنازته أحدٌ، ودفن في عشيته على أبيه وجده، بالمعلاة بالحوطة ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى الجنان ـ.

وله ـ نفع الله به ـ من الشعر البليغ، في كل فنٍّ ولسنٍ، ما لو رتب في التدوين، لبهر العقول بكمال الإبداع، وحسن التضمين، وكاد من الكثرة أن يوفر، وإلى طالبي أسفار صبحه به يسفر.

فمن غرر قصائده الطنانة، ودرر فرائده الحنانة، في مدح مَبْدإ الكائنات، ومجلى استجلاء الذات، بالأسماء والصفات، قوله:

لـك ذاتُ العلومِ والأسماءِ ... يا نبيّاً نوَّابه الأنبياءُ
شرفُ المرسلين في القدر أسمى ... بك يا من هم سُفراءُ
عصمةُ الله فيهم عنك كانت ... لم يزالوا بها هم العُصَماءُ
سُبْحَةَ الوجه أنت أنت كريمٌ ... أنت في الأصل درةٌ بيضاءُ
سابقُ الكلِّ في الوجود تنبَّا ... قبلُ لا آدمٌ ولا حواءُ
وأتى خاتمَ النبيين فرداً ... ليس مثلٌ له ولا أكفاءُ
الشيمُ الفريد في جوهر العقـ ... ـد وحيدٌ ما أشفعته النساءُ

بحـرُ درٍّ وسـلكُه وهـو فيـه — حيث تُجلى اليتيمةُ العصماءُ

نـوره عَـيَّن الوجـودَ بـرشٍّ — فُلِقَت في الورى به الظَّلماءُ

فبـدا كلمـا بمنـشور رقٍّ — معلِنَ الحمد مذ غشاه الضياءُ

ليس يحصي الثناءُ عليك كريماً — رحمـةً عـمَّ جودُهـا والعطـاء

فـإلى المرسلين أنـت رسـولٌ — منـك حقّـاً غَـشَّتْهُمُ الأضـواءُ

أنـت أصـلٌ لكـلِّ أصـلٍ فكـلٌّ — عنـك فـرعٌ وإن هـم آبـاءُ

قـد تبنّـاهُمُ بمعنـى فـلا غـر — وَ لهـذا هـمُ لـه أبنـاءُ

إي وربـي هـو التعـين نـورٌ — وهـو عقـلٌ والنفسُ والإنشاءُ

قلـمٌ خَـطَّ مـا يكـون ومـا كـا — نَ بلـوحٍ فالخـاطُّ ذاك الوشـاءُ

هـو تـاءُ الضمير من كنتُ كنزاً — كيـف ترقـى رقيَّـه الأنبيـاءُ

وكذا الباء من نبيٍّ كنت يا من — فـوق علياهُ لـم تكـن علياءُ

أنـت ذاتٌ مـع الصفات وفعـلٌ — أنـت مجـد مـا طاولته سماءُ

فـاتحٌ للوجـود أنـت ختـامٌ — منتهـى غايـة لهـا الإبـداء

دورةٌ للكمـال مركزهـا الفـر — دُ محـيطٌ وراءه لا وراءُ

أخـذ الله عهـدَ كـلِّ نبـيٍّ — أَن بـه يؤمنـوا فهـم بـرءآءُ

فـأقرّ الشهود عنـد شـهيد — فعلـى أنفُـسٍ هـمُ الشهداءُ

ليـلُ إسـراهُ عَـمَّ إذ أمّ كُـلاًّ — وبهـذا للعهـد كـان الوفـاءُ

إن موسى لـو كـان حيّاً وطـه — منـذرٌ لـم يـسعه إلا اقتفـاءُ

وكـذا ابـنٌ لمـريمٍ فـي نـزولٍ — يُجْـر أحكامَـهُ ومنـه القـضاءُ

كلُّهم في المَعاد تحتَ لواءٍ ... ما أجلّ الملا كذاك اللواءُ
فلمجدٍ لواءُ حمدٍ مُظِلٌّ ... طابَ حمدٌ له وعَمَّ الثناءُ
ولدى الربِّ شافعٌ شفع الرسـ ... ـل فكانوا به هم الشفعاءُ
ولكلٍّ هو الشفيعُ بحشرٍ ... فيه ضلَّتْ عن فرعها الرحماءُ
كلُّ هذا الدلالات عنه أهدتْ ... إنه البحرُ والأنام إضاءُ
لم يزل في الأنام ختمَ وصيٍّ ... عنه تهدي لسبله الأولياءُ
نفس منه للدهور مديه ... لوليٍّ من ربه ما يشاءُ
فبختمٍ هو الوليُّ لختمٍ ... قد توسلْتُ فالجزاءُ الجزاءُ
يا نبيَّ الهدى أغثني فإني ... قد أضرَّتْ بحملتي الحوباءُ
صِرتُ حكمَ الفَراش في شعل الـ ... ـضر وبشت مجامع البأساء
فالغياثَ الغياثَ ضرَّاءُ مسَّتْ ... منك لا ريبَ تمحُها سراءُ
صِلْ لرحمٍ فأنت للفرع أصلٌ ... قد أحاطت بحملتي ضَرَّاءُ
ما أرى منقذًا سواك وحسبي ... منقذًا أنت لي وفيك الرجاءُ
إن ذنبي لَمُثْقِلي عن نهوضٍ ... منه واللهِ عَمَّتِ البلواءُ
حجب العقل والكيان فأضحيـ ... ـت كموسٍ الشفاءُ الشفاءُ
إنني بالفنا وعفّرتُ خدِّي ... فيك أفنيت جملتي فالبقاءُ
فعسى تنقذ النفوس بسلطا ... نك في فطرها يعم الولاء
تُنْقِذِ الربحَ تصرف الخُسْرَ عنها ... بك يا من به يضوع الشذاءُ
وترى من عَيان إحسانِها الحسـ ... ـن وفي كشفِها يغيبُ السواءُ

فيحقُّ الثنا منها عليها ونِداها تجيبُه الأصداء

وعليك الصلاةُ يا فاتحَ الفتـ ـحِ وختم والمستوى والسواءُ

ما لقرآنٍ جمعِك الحقّ وفر قان وسعه تلا الأصفياءُ

وعلى آلِكَ الكرامِ وصحبٍ ما أنار الوجودَ منك الضياءُ[1]

[١٠٠٨] سالم بن عبدالله بن شيخ بن عمر بن شيخ بن عبدالله بن عبد الرحمن السقاف ﷺ[2].

السيد الأوحد، والسند الأمجد، ساحب أذيال الشرف والسيادة، وقادح زناد السعادة، واسطة عقد الفخر الثمين، ورافع راية المجد باليمين، جاء من شرف الشرفين، راوي حديث الفضائل عن أسلافه الكرام، المسلسل المتصل بالرسول ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، ذو البسالة التي لا تُضاهى، والمناقب التي يعجز البليغ عن استقصاها.

وُلد ببندر جدة المحروس، سنة ثمان وثلاثين وألف تقريبًا، ثم رحل به والده إلى طيبة ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ، ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم، وغيره، ثم رحل به والده إلى مكة المشرفة، وظعن بها، ثم طلب العلوم، فرتع في ميدانها، وكرع من غدرانها.

---

(١) الاستغاثة والاستعانة واللُّجوء في كشف الضر ونحو ذلك أمور لا تطلب إلا من الله تعالى، وقد شاع في عصر المؤلف طلب ذلك من غير الله تعالى، وخاصة في الشعر والرّجز، تأويلاً من صاحبه أنه من باب الشفاعة لا غير، وهذا مخالف لتوحيد الألوهية، وإقرار العبادة لله وحده، ومن أهمها الدعاء والالتجاء.

(٢) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٦).

واشتغل على الشيخ علي بن الجمال في العلوم الشرعية، وعلى القاضي تاج الدين المالكي في العلوم الآليـة، فحظي منها بأوفر حظ ونصيب، وزاد فيها على كل أريب، ولازم شيخنا محمد الشلي من سنة اثنتين وسبعين إلى أن انتقل بالوفاة إلى رحمة رب العالمين.

وجَدَّ في تحصيل المكارم والفضائل حتى بلغ الغايات، وأخرسَ مَنْ تصدى لإحصاء ما أعطي من الكمالات، من الأخلاق الرضية، والنفس الزكية، والشمائل المرضية، وألبسه الخرقة جماعةٌ، منهم: والده، والعارف بالله السيد عبد الرحمن بن أحمد المغربي، ولازمَهُ، وصحبه مدةً مديدةً، وأخذ عنه أموراً عديدةً، وأموراً مفيدةً.

وله نظمٌ حسنٌ، منه: ما كتبه لشيخنا محمد الشلي، وقد طلب منه كتاب «الريحانة» للشهاب الخفاجي؛ ليطالعه، وهو قوله:

مـولايَ يـا نجـلَ طـه ... ونخبـةَ آلِ الرسـولِ
ومـن حـوى الفخـرَ والمجـ ... ـدَ والتقـى عـن فُحـولِ
ريحانـة لـلشهابِ ... وافَتْـك للتقبيـلِ
فنـزِّهِ الطـرفَ فيهـا ... يـا غايـةَ المـأمولِ
فلـيهن ريحانـة الطـرف ... إذْ شـمَّها ابـنُ البتـول
لا زلـتَ فينـا غياثًـا ... وجامعًـا للأصـول
ممتَّعـاً بعـلاً ... كـذاك فخـرُ الرسـولِ
فـي أوجِ عـزٍّ منيـعِ ... مبلَّغـا لكـلِّ سـولِ

وبيني وبينه محبةٌ أكيدةٌ، ومودةٌ شديدةٌ، وهو الآن ـ حفظه الله ـ بمكة

المشرفة، يتنزه في رياض العلوم والمعارف، ويقتطف من أوراقها ثمرات الحكم واللطائف، مقبلاً على طاعة ربه وعبادته، محافظاً لأزمانه وأوقاته.

توفي يوم الاثنين، ثامن شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وعشرين ومئة وألف، وصُلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بالمعلاة، بحوطة السادة آل باعلوي ـ نفع الله بهم ـ.

[١٠٠٩] سالم بن محمد العماني.

ذو أدبٍ فائقٍ، وشعرٍ رائقٍ، ومعرفةٍ باللغوية عظيمة، وفضائل جسيمةٍ، وله غرائب وعجائب، جاب البلاد، ودخل فارس والبصرة، والحرمين وبغداد، ودمشق وحماة، واليمن جميعه، ثم أقام في الشرف عند بعض فضلائها، فصار لهم به مزيد اختصاص.

ومن شعره: مخمسةٌ رائقةٌ، كتبها إلي السيد القاسم ابن الإمام محمد المؤيد:

خليليَّ عُوجا بالحمى وعُذَيبِه ... ولا تحرماني وقفة في كثيبِهِ
وقولا بلطف عند ربعِ حبيبه ... سلامٌ يطيبُ الطيبُ من نشرِ طيبِهِ
ويـنفح مسكًا أذفرًا في هبوبه

إلى ماجد حاز العلوم تبصرا ... ومارسَ أركانَ الرياسة أعصُرا
إلى من عليه يعقد الكل خنصَرا ... إلى حضرة المولَى الذي طابَ عُنْصرا
وطالت أياديه الكرامُ بسيبِهِ

وهي طويلةٌ، وكتب إلى القاضي الحسين المهلا، وقد أهدى إليه شيئاً من نظمه:

إذا المُثْرون أهدَوْا كل علْقٍ نفيسٍ للملوك ومن يُخافُ

هديَّتنا لأربابِ المعالي من الآدابِ أبياتٌ ظِرافُ

مهذَّبةٌ مهذِّبةٌ شذاها يروقُ إلى محلتهم تُضافُ

ولا سِيما إلى البحرِ المهلاَّ الـ ـحُسينِ ومَنْ به حَسُنَ المَطافُ

إمامٌ عالمٌ في كل فنٍّ إذا أمضى الحكومةَ لا خلافُ

نماه أفاضلٌ غُرٌّ كرامٌ عيالُمُ من بحارِهِمُ اغترافُ

بحارُ العلمِ كلُّ أبيٍّ نفسٍ عن الهَفَواتِ والفَحْشا عِفافُ

جزاهُم خالقي جناتِ عَدْنٍ وأتحفَهم بأكوابٍ نظاف

وكاساتِ النعيمِ تسحُّ فيها مختَّمَةٌ ممسكةٌ سُلافُ

من التسنيم خالطَها مزاجٌ لها الساقونَ ولدانٌ ظِرافُ

عفا اللهُ المهيمنُ عن محبٍّ له بلذيذ بِرِّهم اعترافُ

ومن شعره، يمدح القاضي الحسين ـ أيضاً ـ، وأنشدها في حلقة التدريس، خاتمة شهر شعبان الكريم، سنة خمس وتسعين وألف:

أتتك من الآداب غر كرام شذاها عبيرٌ والألوّة فاغمُ

وتسحبُ أردانا لصونِ جمالها وفيهن من روحِ السلام لطائمُ

عقائلُ أبكارٌ نَمَتْها بُحُورُها إلى الغَوْصِ إلاَّ أنهنَّ يتايمُ

تبخترُ في وشيِ المعاني وتنْثني تميسُ كما ماسَ الغصونُ النواعمُ

كغيداءَ غَنَّى حليُها فترنَّحَتْ دلالاً وإعجابًا فيا حَبَّ قادِمُ

إذا أُنشدتْ في محفِلٍ ظلَّ أهلُه نَشاوى ولا صهبا تنالُ الخراطمُ

محجَّبَـةٌ مـن كـل قَـذْمٍ يَـشينها فما كِفوُهـا إلا الكـرامُ الخـضارمُ
خَضارمُ علـمٍ مـن طريـفٍ وتالـدٍ يورِّثُــهُ الأشــبالَ ليــثٌ صــارمُ
ومطلبُها قاضي القـضاة حـسينُهم حليفُ التقى خدنُ المثاني الملازمُ
ومن ناصرٍ نجلِ المُهَلاً هـا بكـت عليــه مــن الآبــا كــرامٌ قمــاقمُ
هو البحـرُ علمًـا والكَنَهْـوَرُ نـائلاً وناديــه ريحــانٌ تنلــه الخياشــمُ
كـأن رياضًـا زُخرفـت فـي قـرارةٍ بها ما تلـذُّ العـينُ وارتـاحَ طـاعمُ
إمامٌ شَأى السُّبَّاقَ في حوزةِ العـلا فمــا هــو بــالواني ولا المتنــاوِمُ
حوى ما يَزين المرءَ في كل حالـةٍ فــشانيهِ مغمــومٌ وراجيــهِ غــانمُ
فكيــفَ وقِــدْمًا هذَّبتــه أشــاوسٌ لهم في طِلاب المجد شوسٌ مقادمُ
فقل منهمُ عبدُ الحفيظ الذي مضى وحيــدًا فريــدًا أمــةً لا يقــاومُ
وسـائلْ بـه إمـا تكـنْ غيـرَ عـالمٍ يُجيبُــك ركبــانٌ ويُنبيــكَ عــالِمُ
بـأنَّ الحـسينَ البحـرَ قـاضٍ مبـرزٌ على كل قاضٍ ينثني وهـو راغـمُ
بذا السيدُ المشهورُ يحيى بنُ أحمدٍ شـهيدٌ لـه بـالعلم والحلـم واسـمُ
خليليَّ عوجا بي على سوحِ رَبْعِهِ إلى مثلِه يا صاحِ تُنْضى العياهمُ
ولا تيئــسا منــه بفَلْــي مفــازةٍ فمــا تُبْلــغُ الآمــالَ إلا العــزائمُ
فحين تنيخا العيس رحبَ فِنائـه فهــنَّ مراحــاتٌ رغــابٌ ســوائمُ
أَريحا مطاياهـا واتركاهـا شـوازباً مرزمــةٌ طــورًا وطــورًا روازمُ
وحُطَّا بربع العلم والمنـزلِ الـذي تَدين لـهُ غُلْـبُ الرقـاب الـصلادمُ
يفيـدُك علمًـا نافعًـا مـن شِـفاهه ويقريـك إمـا تُعْوِزَنْـكَ المطـاعمُ

لـه الحـبُّ منـي نحلـةً وديانـةً فـلا أَنثنـي عنـه وإن لام لائـمُ
سلامٌ على ذاك المحيَّا الـذي لـه بشاشٌ تضيء منه الحليُ والعسائمُ
سلام على تلك الخلائقِ ما هَمَى من المُزن وَكَّـافٌ وغنَّـتْ حمـائمُ
أبا ناصرٍ لا زلـتَ بـالحق حاكمًا وحيّـاك ربٌّ للبريـة راحـمُ
ولا زلتَ تستغني عن الشكم إذ أرى قـضاةً قيامـاً للـذي هـو سـالمُ
وخذْها كمنظـوم الجُمـان مُشِيعةً ثناءً دوامًا ما قضى الحكـمَ حـاكمُ
وتأريخُها خمسٌ مـع الـصاد عـدة إذا رمتَ حُسباناً كذا[1] العينُ لازمُ
حبـاكَ بهـذا وامـقٌ لـكَ شـاكرٌ مـشوقٌ إلـى اللُّقيـا محبُّـك سـالمُ
فكنْ ساترًا يـا ذا المعـالي عيوبَهـا فأنـت كـريمٌ بـالمروءاتِ عـالمُ
وأختم مولى بالصلاةِ علـى الـذي نمـاه إلـى العليـا لـؤيٌّ وهاشـمُ
محمـدِ المطهَّـرِ الأمـينِ وآلِـهِ وصـحبٍ كـرامٍ للرشـاد دعـائمُ

[١٠١٠] سلامة بن عبدالله البصير الأحمدي الشافعي المصري.

شيخنا الفاضل الذي علا شرفُه، وظهر نبله وصَلَفُه، وحسنت محاضرته، واشتملت على الفوائد مذاكرتُه، كان حاذقَ اللهجة، رقيق الحاشية، ذا لفظٍ فصيح، وذهنٍ صحيح، كثير الاطلاع، صحيح النقل.

عارفاً بدقائق العلم وغوامضه، ليس لـه شغلٌ ولا لـذةٌ إلا الاشتغال بالعلم والمطالعة، ولا يتردد إلى أحدٍ، وله أورادٌ لا يُخِلُّ بها؛ من الصلاة، والقراءة، والمواظبة على الجماعة بالجامع الأزهر، مُحِباً، مُحَبباً للناس،

(١) في الأصل: كذاك، والصواب ما أثبت.

حسن الخلق، حافظاً لفقه الشافعية، متقناً للعلوم العقلية.

قرأ على النور الحلبي، والشمس محمد الشوبري، وشيخنا سلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، ولازم دروس شيخنا محمد البابلي بعد قدومه من مكة إلى مصر، واختص به، وكان شيخنا يُجله كثيراً، ويثني عليه، ويراجعه في درسه مسائل نفيسةً جمةً.

وصحبتُه مدةً مديدةً، وكنت كثير الاختلاط به، ولم يزل مشتغلاً بمراضي الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ولم يحد في الأمور عنها، ولا زال مجتهداً على العلم، متيقظاً له، متنبهاً إلى أن لقي الله ﷻ، ووافاه الأجل في شهر جمادى الثانيـ[ـة]، سنة ثمان وثمانين بعد الألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٠١١] سلامة بن أحمد الشِّرْبيني، نسبةً إلى شِرْبين ـ بكسر الشين ـ: بلدٌ بقرب دمياط، الشافعي.

الشيخ الفاضل، الصالح العالم العامل، كان أميناً نزِهاً عفيفاً، متورعاً عن الشبهات، متحرياً في طلب الحلال، تفقه بمصر على شيخنا سلطان المزاحي، وحضر دروسه في «شرح المنهاج» للمحلي، و«شرح المنهج» سنين عديدةً، حتى حصّل من الفقه قدراً صالحاً.

وقرأ الفرائض والحساب حتى برع فيهما، وصار أعرف أقرانه بقسمة التركات، وكان يعرف الجبر والمقابلة، ويستخرج العويص من المسائل الحسابية بسهولةٍ، وله في الميقات ملكةٌ قويةٌ، واشتهر بذلك.

توفي ـ رحمه الله ـ عصر يوم الجمعة، ثامن وعشري ربيع الثاني، سنة سبع وثمانين وألف، وصلى عليه إماماً بالناس شيخنا أحمد البشبيشي، وكان

بيني وبينه صحبةٌ قويةٌ، ومودةٌ أكيدةٌ ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٠١٢] السيد سليمان بن حسن بن عبدالله اشتهر جده عبدالله ببا فقيه، وبالنساخ، واشتهر هو بطير الله[١].

المشهور بالتواضع والمصافاة، والموافقة والمراعاة.

وُلد بـ «تريم»، ونشأ بها في نعيم، وصحب جماعة من السادة العارفين، وغيرهم من العلماء العاملين، ثم حُبِّب إليه الارتحال، فسافر إلى كثيرٍ من البلدان وجال، ولقي جماعةً من أكابر الرجال.

ولزم الطاعات، وأكثر من العبادات، وجانب المخالفات، مستمسكًا بالسبب الأقوى من التقوى، وخوف الله في السر والنجوى، سالكاً منهاج شريعة سيد المرسلين، مقتفياً سيرة آبائه الأئمة العارفين، التائبين العابدين، ملازماً للأذكار، في الغدو والآصال، على طريقة الكمال، إلى أن وافاه الانتقال، فتوفي ببندر المخا الشهير، ودفن به، وحزن عليه الكبير والصغير، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف ـ رحمه الله، وبلّ بالرحمة ثراه ـ.

[١٠١٣] سليمان البابلي[٢].

مفتي الشافعية بمصر بعد الزيادي، تفقه به، وبسالم الشبشيري، وعبد الرحمن بن الخطيب الشربيني.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٤٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢١٢).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٦٨) (١٦٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢١٢).

قال النجم الغزي: رأيته بمكة حاجاً سنة أربع عشرة وألف، وكان عليه نورانية العلم والطاعة، وكان شاباً لطيف الطباع، توفي سنة ست وعشرين وألف بمصر.

[١٠١٤] سليمان باشا أمير ياخور السلطان ثم نائب الشام[١].

كان فاضلاً نحريراً، له معرفةٌ في العربية وغيرها، فصيح اللسان باللغة العربية، جاءته الوزارة، وهو متولي دمشق.

قال النجم الغزي: سألني بحضرة أفاضل دمشق ـ وذكرهم ـ عن الحكمة في تقديم السارق في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة: ٣٨]، وتقديم الزانية في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور: ٢]، فقلت له بديهةً: لما كانت السرقة في الرجال أكثر، والعقوبة فيهم أظهر، قُدِّم السارق، ولما كان الزنا من المرأة أفحش؛ لأنها محل الحياء والستر، قُدِّمت، فأعجبه الجواب، وعجب الحاضرون، وكان يعظم العلماء.

توفي سنة اثنتين وثلاثين ـ رحمه الله ـ.

[١٠١٥] سليمان بن أبي القاسم بن أحمد الأهدل.

وتقدم رفع نسبه في ترجمة أخيه أبي بكر.

كان على جانبٍ عظيمٍ من العلم والعمل، وله اليد الطولى في الفرائض،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٧٠) (١٦٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢١٣).

والبديع والتصوف، وأنواع العلوم والشعر، وله مصنفاتٌ شتى، وله الحظ العظيم الباهر.

أخذ عن أخيه أبي بكر، وعن إبراهيم بن محمد جعمان، ذكره السيد محمد بن الطاهر بن بحر. انتهى كلامه.

وذكره أخوه السيد أبو بكر بن أبي القاسم في «نفحة المندل»، فقال: فاضلٌ في العلم، مشاركٌ في فنونه مشاركة جيدة، تطلّع بها على عيونه، وله همةٌ عاليةٌ في تحصيله، وفهمٌ ثاقبٌ في تفريعه وتأصيله، وسلوكٌ على طريقة الخواص؛ من الورع والصدق والإخلاص، وذوقٌ حسنٌ في كلام السادة الصوفية، خصوصاً الطائفة الشاذلية، ثم ترقى إلى النظر في كتب الحقائق، وله نفوذ الفهم فيما أودعته من الدقائق.

وله خَطٌّ جيد جداً، ومقروءاتٌ ومسموعاتٌ، وإجازاتٌ متعددةٌ من مشايخ العصر الذين أُخذت عنهم؛ إذ طلبنا قراءةً وسماعاً وتحصيلاً ونحو ذلك، لا نكاد نفترق، وله شعرٌ مليحٌ، ونثرٌ فصيحٌ.

نظم «الحكم العطائية» في أرجوزةٍ نظماً محكماً، قد صارت في نسختين: إحداهما على النسخة المشروحة، والأخرى على التي بوّبها بعض المتأخرين، وسماها بـ: «النهج الأتم في تبويب الحكم»، واسم الأرجوزة: «العقد المنتظم»، وله أرجوزةٌ أخرى، جمع فيها «متعلقات الدعاء»، ورتبها على فصول، وجمع جزءاً لطيفاً في «موجبات رؤيا المصطفى ﷺ»، وله غير ذلك من الفضائل.

[١٠١٦] سليمان بن إبراهيم مطير.

كـان من أهـل العلم والنسـك والصـلاح، سكن العـرقـوب، بقـرب المحـويـت، وأقام بـه على خيـر، وفي خيـر، وكان من العلماء الراسخين العاملين.

مات سنة اثنتي عشرة، أو ثلاث عشرة وألف.

[١٠١٧] سليمان بن علي الحصَباني.

من فقهاء الزيدية، كان من أعرف أهل زمانه، ولي القضاء، وكان يغلب عليه الفقر، وسكن الرُّجُم.

ومات في حجز العذارى، في الطويلية، في دولة الأمير علي بن شمس الدين.

[١٠١٨] سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل المزاحي، نسبةً إلى منية مزاح: قريةٌ بمصر، الأزهري الشافعي[١].

شيخنا أبو العزائم، إمام الأئمـة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، ومنبع الفهوم، وأوحد النبهاء، وفارس المعاني والألفاظ، وخاتمة المحدثين والفقهاء والحفـاظ، وفريـد العصر، وقريـع الدهر، وشيخ الإسلام، وقدوة الأنام، وعلامة الزمان، وترجمـان القرآن، الورع العابـد، الناسك الزاهد، الصوَّام القوَّام، المتهجـد والناس نيام، ذاكراً لله تعالى على كل أمر وحال، الراجع إلى الله في سائر الأحوال، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر.

---

(١) «عقـد الجـواهر والدرر» للشلي (٣١٥)، «خلاصة الأثـر» للمحبي (٢/ ٢١٠)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥٢٦)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٠٨).

لا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال، ولا تكل من البحث، مع الصدق والأمانة، والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، طَنَّت بذكره الأمصار، وضَنَّت بمثله الأعصار، وعظُمت به لله على طالبي العلم المِنَّة، وشيد الله به من الدين ركنه. شعر:

مــاذا يقــول الواصــفون لــه وصــفاتُه جلَّــت عــن الحــصرِ

وُلد سنة خمس وثمانين وتسع مئة، وقرأ بالروايات على الشيخ الإمام المقرئ سيف الدين البصير، وأخذ العلوم الدينية عن النور الزيادي، وسالم الشبشيري، وأحمد بن خليل السبكي، وحجازي الواعظ، ومحمد القصري تلميذِ الشمس محمد الخطيب الشربيني، ويحيى الحنبلي الشامي، وياسين المالكي، وأبي بكر الشنواني، وإبراهيم اللقاني، ومحمد الخفاجي، ومحمد الميموني، وأجازوه، ومن مشايخه: السيد الشريف محمد بن الطحان.

واشتغل بالعلوم العقلية على شيوخٍ كثيرين، ينيفون على ثلاثين، وأجيز بالإفتاء والتدريس سنة ثمان بعد الألف، وتصدر بالجامع الأزهر للتدريس، في كل علم نفيس، فكان يجلس في صبيحة كل يوم مجلساً يقرئ فيه الفقه إلى قبيل الظهر، وبقية أوقاته موزعة لقراءة غيره من العلوم، وانتفع الناس بمجلسه، وبركة دعائه، وطهارة أنفاسه، وصدق نيته، وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله.

وأخذ عنه جمعٌ كثيرٌ من العلماء المحققين، منهم: شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي، وشيخنا العلامة علي الشبراملسي،

وعبد القادر الصفوري، ومحمد الحبار الدمشقيون[1]، ومنصور الطوخي، ومحمد البقري، ومحمد بن خليفة الشوبري، وإبراهيم المرحومي الشافعيون[2]، والسيد أحمد الحموي، وعثمان النحراوي، وشاهين الأرمناوي الحنفيون[3]، ومحمد البهوتي الحنبلي، وعبد الباقي الزرقاني المالكي، ومنهم: شيخنا العلامة فريد عصره أحمد البشبيشي، وغيرهم ممن لا يحصى كثرةً، في مشارق الأرض ومغاربها.

وجميع فقهاء الشافعية بمصر ـ في عصرنا ـ لم يأخذوا الفقه إلا عنه، وكان يقول: من أراد أن يصير عالماً، فليحضر درسي؛ لأنه كان في كل سنةٍ يختم نحو عشرة كتب، في علومٍ عديدةٍ، وكان بيته بعيداً من الجامع الأزهر، بقرب باب زويلة، ومع ذلك يأتي إلى الأزهر من أول ثلث الليل الآخر، فيستمر يصلي إلى طلوع الفجر، ثم يصلي الصبح إماماً بالناس، ويجلس بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس؛ لإقراء القرآن، من طريق الشاطبية، والطيبة، والدرة، ثم يذهب إلى فسقية الجامع، فيتوضأ، ويصلي ما تيسر، ويجلس للتدريس.

ولم يزل على هذا الحال إلى أن كبر سنه، وضعفت قوته، وهو ملازمٌ لحالته، ومكبٌّ على عبادته، ولم يره أحد من تلامذته يصلي من قعودٍ، إلى أن آن أوان وفاته، فتوفي في سابع عشري جمادى الآخر[ة]، سنة خمس

---

(١) في الأصل: الدمشقيون، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: الشافعيين، والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل: الحنفيين، والصواب ما أثبت.

وسبعين بعد الألف بمصر ـ أسكنه الله فسيح جنانه ـ، وصلى عليه بالجامع الأزهر إماماً بالناس شيخنا محمد بن علاء الدين البابلي، في جنازةٍ عظيمةٍ إلى الغاية، وأسف الناس عليه أسفاً شديداً؛ لعموم نفعه، وعظيم بركته، ودفن بتربة المجاورين، ورثاه جمعٌ من الناس، منهم: صاحبنا الفاضل محمد بن عبد الوهاب النبلاوي بأبياتٍ عديدةٍ، منها:

كانوا كالشمس في طول الحياة وإن ... واراهم الرمسُ هم للدين أركان
ماتوا فرضوان ربي دائمًا أبدًا ... عليهمُ ما تثنّى بالصَّبا بانُ
سلطانُنا منهمُ من مات في سنةٍ ... تأريخها (في نعيم الخلد سلطانُ)

وقوله دو بيت:

يا دمعي خُدَّ من دموعيَ خَدَّي ... وانهل وجدً فقد تناهى وَجْدي
مات السلطان في جمادى الأخرى ... أرخ (سلطانُ في نعيم الخلد)

وقوله:

شافعيُّ العصر وليّ وله في مصر سلطانُ ... في جمادى أرخوه (في نعيم الخلد سلطان)

وله «حاشيةٌ جليلةٌ على شرح المنهج» جردها من نسخته بعضُ تلامذته.

قرأت عليه طرفاً من «شرح المنهج» لمؤلفه، بمجلسه بالأزهر، ودخلت في عموم إجازته لمن حضره من طلبته، وكان يدعو لي كثيراً ـ نفعني الله ببركته، وحشرني في زمرته ـ.

[١٠١٩] سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي[١].

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٠٢).

من أهل مراكش، الشيخ الإمام أبو جمعة، الفهامة الرحلة المفنن، بديع العصر بل الدنيا، وحائز السبق بلا ثنيا، قال المَقَّري: لقيته بها سنة تسع بعد الألف، صدراً قلدته العلوم بحُلِيِّها، وبحراً يقذف بجواهر عقليها ونقليها، وحبراً همعت سحائبه على أهل قطره، وغيرهم بصيّب وَسْمِيّها ووليها.

وناهيك من رجلٍ! إن جرى جواد فكره في ميدان البحث في المشكلات، كان مجلياً، وإن قابل نظره جيوش المعضلات، لم يكن قبل الفتح والظفر مولّياً، كان ـ رحمه الله ـ آية الله الباهرة في ملازمة التحصيل، والاشتغال بالتفريع والتأصيل.

وبالجملة: فهو المبرز في علماء عصره، الذين لا يستوفي محاسنَهم التفصيل، متضلعاً بالفنون، ريَّان من الأدب، مُزهر الغَوْر والنجد، متقشفاً جارياً على سنن أهل الخير، مقتصداً في ملبوسه وغيرِه على ما لابد منه، كثير السكوت، طويل الانقباض، مديد باع البحث، وافر الفهم، حسن الخط، بليغاً مفوهاً، فصيح القلم، ولو أرسلتُ العِنان في محاسن هذا الفرد العلم، لم أوفِ بالمطلوب في ذلك وَلَمْ.

وكان سلطان المغرب مولانا المنصور بالله أبو العباس أحمد الشريف الحسني ـ سقى الله ثراه ـ يعرف مكانته، ويجله، ويهش إليه حين يراه، وكثيراً ما كان يقترح عليه أموراً غريبة الأسلوب، فيأتي بما يبلج القلوب، ويوفي بالمؤمل والمطلوب.

وقد أمره مرةً بشرح الكتاب الغريب المغربي، الموسوم بـ: «درر السمط في مناقب السبط»، وهو من مصنفات الإمام الشهير الشهيد، المحدث الحافظ،

الكاتب البليغ، أبي عبدالله محمد بن الأبار القضاعي البَلَنْسي، صاحبِ التآليف المشهورة بالمغرب، التي منها: «إيماض البرق في أخبار الشرق»، و«الحلة السيرافية نظم الأمراء»، و«التكملة لكتابي الموصول والصلة»، و«إعتاب الكتاب»، وغيرها مما يطول تعداده.

فاشترط صاحب الترجمة على السلطان المذكور: أن يخرج له من خزائنه خمس مئة كتاب، يستعين بها على شرح هذا الكتاب، ومن المصنفات التي سماها، لا يعرفها أكثر الناس لغرابتها، فأمر له المذكور قيّم الخزائن، بأن يخرج له من الخزائن التي بقصور الملك، نحو خمس مئة كتابِ مجلدٍ، لم توجد عند غيره مجموعة، ولم تكن بمرئية لكثير من الناس ولا مسموعة.

وهذا الكتاب فيه إشاراتٌ وتلميحاتٌ، يحتاج في أمرها إلى تبحر وزيادة حفظ، وقد اشتمل من تأبين أهل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ على ما يجرح الفؤاد، ومن تبيين مناقبهم الطاهرة، ومفاخرهم الظاهرة، على ما هو فجعة ذوي التأويب والإسناد.

فشرع في شرحه، وأجاب الدعوة ولباها، وأتى به مصنفاً شنف آذان الدهر، فتبجح مولانا المنصور ـ رحمه الله تعالى ـ به وباهى، وسماه: «نظم الفرائد الغرر في سلك فصول الدرر»، وأجازه السلطان المذكور عليه بألفٍ، زيادةً على ما هو معروف له من الجرايات الشهرية، التي لم يطرأ لوعدها خلف.

وقد وسم خطبة هذا الشرح بحلاه واسمه، كما فعل في غيره من مصنفاته؛ إذ كلُّها أو جلُّها موسوم بواضح وسمه؛ كـ «شرحه لمقصورة الإمام النحوي

الأستاذ الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن علي المكودي الفاسي» صاحب الشرحين على ألفية ابن مالك، وغيرها، وآخر من أقرأ سيبويه بمدينة فاس، ومقامه مشهور، ومطلع هذه المقصورة: «أرقني بارقُ نجدٍ إذْ سرى»، وهي مشتملةٌ على مدح سيد الورى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ، فجازم قد عُدَّ غير حازم، وابن دريد لم يفده ما درى.

وهذه المقصورة بكرٌ لم يَفضَّ ختامَها غيرُ المذكور ـ فيما علمت ـ، وإن سمعنا أن مؤلفها شرحها، إذ لم يتحقق ذلك.

وكـ «شرحه للامية العرب»، وكشرحه المسمى بـ: «إيضاح المبهم من لامية العجم»، وقد قرظ عليه قاضي القضاة المالكية بالديار المصرية، البدرُ القرافي ـ رحمه الله تعالى ـ بتقريظٍ بديعٍ:

لمؤيد الدينِ الحسيني براعةٌ بقصيدةٍ زانت لدى التسديدِ
ولها من البدرِ المنيرِ مكانةٌ جلّت وقد حلّت بأحسنِ جيدِ
ولكشفِ أسرار حوت ألفاظها قرَّ الصلاح لها بحسن سعيدِ

وهو تقريظٌ طويل الذيل.

وممن قرظ على هذا الشرح ـ أيضاً ـ: الشيخ الشهير ناصر الدين الطبلاوي.

ولصاحب الترجمة مصنفاتٌ غير ما ذكر، كـ «شرح التصريف»، و«شذور الذهب للمغربي» الذي يجل قدره عن التعريف.

ولقد رأيت بمراكش المحروسة ـ في بعض مؤلفاته التي أعارنيها، في ذلك الوقت، في أثناء كلام له ـ استطراداً متضمناً شكوى أهل الزمان، وعدم

إنصافهم، بعبارةٍ بليغةٍ، وقد كتب في هامشه كبير علماء المغرب ذلك الزمان، مفتي مراكش المحروسة، سيدي الشيخ عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني ـ رحمه الله تعالى ـ ما صورته: ما بالُهم لحاهم الله؟! ولو أنصفوا سيدنا، لنصبوا له على متن الجوزاء منصَّه، وناولوه خاتمَ التنويه وفَصَّه. انتهى. وناهيك بهذه الشهادة من هذا الإمام.

وكانت ولادة صاحب الترجمة بعد الخمسين وتسع مئة، ورحل وجال في البلاد، وحاز من العلم الطارف والتلاد، وأخذ عن عدة أعلامٍ من نجوم الإسلام بالشرق والغرب؛ كالشيخ علي بن غانم المقدسي، والناصر الطبلاوي، والبدر القرافي المالكي، وأجازه هؤلاء وغيرهم، وكتبوا له خطوطهم بالإجازة، وقد أخذ عن الناصر الطبلاوي، بعض «المغني»، و«النسفية»، و«إيضاح القزويني»، و«الشفا» بكماله.

ومن أشهر أشياخه: علامة الدنيا الشيخ أحمدُ بن قاسم العبادي ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد أخذ عنه «مقاصد التفتازاني»، وأجازه في جملة الحاضرين، وأخذ ـ أيضاً ـ عن الشيخ يوسف النحوي، وسمع قصيدة البستي على الشيخ محمد المنشي قاضي المدينة المشرفة ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ.

وكان ارتحاله للمشرق المرة الأولى سنة أربع وسبعين وتسع مئة، وعاد إلى المغرب سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة، ووصل حضرة مراكش في جمادى الآخرة، ثم ارتحل إلى المشرق رحلته الثانية، سنة سبع وثمانين وتسع مئة، وانفصل عن مراكش في رجب منها.

ودخل في رحلته القسطنطينية العظمى ـ أدام الله بها الإسلام ـ، وغيرها من البلاد، ودخل حضرة تونس قبل أن يدخلها العدو الكافر الملعون، ولقي بها الشيخ سالمًا الهروي، والبرشكي، والسُّليطين، وأخذ بالمغرب بقسنطينة عن عالمها الوزان، وعن الشيخ محمد العطار، والفقيه محمد المغربي القاضي، وقرأ على الشيخ عبد الكريم بن يحيى الفكوني «مختصر ابن الحاجب الأصلي»، و«مختصر المولى سعد الدين التفتازاني»، وأجازه، ولقي غير هؤلاء ممن يطول تعداده.

وبعد انفصالي عن الحضرة المراكشية سنة عشر وألف إلى فاس، ثم إلى تلمسان، غابت أخباره على الحقيقة؛ لأن البلاد طُمست معالمها، وخمل نبيهُها وعالمها؛ لموت مولانا المنصور، وتوالي الممدود من الفتن والمقصور، وقد عظمت الكروب، وتفاقمت الحروب، وأديل الشروق بالغروب، واختلط المرعى بالهمل، واشتغل بخاصة أنفسهم أهلُ العلم والعمل.

وبعد مدةٍ، أخبرني بموته جماعةٌ من غير تحقيق الوقت ـ رحمه الله تعالى، وسامحه ـ، والله المسؤول في إصلاح حال تلك الأقطار، وبلوغ المنى والأوطار، قال هذا عن خجل وعجل، العبد الفقير إلى الله تعالى، أحمد بن محمد المقري المالكي ـ وفقه الله ـ بالقاهرة المعزية، وكتب من خطه، سنة أربع وثلاثين وألف.

[١٠٢٠] سعيد بن عطاف بن قحيل[١] ـ بالقاف بعدها حاء مهملة ـ

---

(١) في الأصل: قحليل.

القداري ـ بالقاف بعدها دال مهملة بعدها راء ثم ياء النسبة ـ[1].

عالمٌ كبيرٌ، أخذ عنه الإمام القاسم، وأجازه، وكان من أهل الزهد والورع، ولم يكن نسبه في بني القداري، وإنما نسب إليهم بالمصاهرة، وهو من بلد في بني الدولاني، تسمى: هجرة المِيَو ـ بكسر الميم، بعدها مثناةٌ تحتيةٌ مفتوحةٌ مخففةٌ ـ.

وتوفي ثاني وعشري محرم، سنة ثلاث وعشرين وألف، ودفن ببيت القداري، ومن شيوخه: السيد القاسم بن محمد العلوي، وفي أصول الدين: السيد المطهر بن محمد بن تاج الدين.

[١٠٢١] سعيد بن صلاح الهَبَل[2].

كان من الفقهاء المحققين، والعلماء المبرزين، قرأ على الفاضل الجرْبي، وأوصى الجربي بنيه بالقراءة عليه، ومن تلامذته: الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان يروي من معين علومه، ويورد منها الكثير الطيب، ولا يزال يعطر المجالس بذكره.

وكانت سجاياه نبوية، وأخلاقه علوية، وكان لأصحابه كأحدهم، يمازحهم، ولا يقول إلا حقاً، وتنقَّل في البلدان للعلم وتحصيله، ثم سكن صعدة، وعاد [إلى] شهارة، وبها كانت وفاته، فتوفي نهار الأحد، تاسع وعشري شوال، سنة سبع وثلاثين وألف، وقبر بالسرار من شهارة، وقبره بها مشهور.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٤٦٨) (٢٧١).

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٤٦٦) (٢٧٠).

[١٠٢٢] سعيد أبو عثمان بن إبراهيم التونسي الأصل، الجزائري المنشأ والمولد، شُهر بقدُّورة[1].

الشيخ العَلَم، والإمام الأفخم، مسند المغرب بثغر الجزائر، وسند الرواية والدراية بها للمتوطن والزائر، وعماد الفتيا للمهتدي بمناره، وأستاذ التدريس للمقتبس من سُرُج أنواره، وفارس المنابر النافذُ في القلوب سهام وعظه، المتلقَّى بأسماع القبول بوالغُ كلمه ولفظه، الجامع بين العلم والعمل، البالغ عند الله ـ فيما نرجو ـ فضلَ سؤل وأمل، ألحفه الله تعالى أثواب رضوانه، وأسبغ عليه عوارف نعمته.

نشأ ـ رحمه الله تعالى ـ بالجزائر على الاشتغال والتحصيل، والتهذيب بجوهره الإنساني والتكميل، فجوَّد بها القرآن، وتفقه بأستاذه العلامة أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم المطماطي وغيره، ورحل إلى المغرب، فروى بتلمسان عن المسنِد المعمَّر، ملحقِ الأحفاد بالأجداد، ومطوق الأصاغر فضله علوَّ الإسناد، الإمامِ الحجة أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري التلمساني، وغيره.

وجال في تلك الحلال، لا يوهن نافذَ عزمه كَلال، حتى انتهى به الخفض والرفع، والحملُ والوضع، إلى أن برع في تحصيل الفنون، وحوى منها جامع تحصيل عيون مفروض منها ومسنون، فقهاً وحديثاً وتفسيراً، وعربيةً وكلاماً، وغيره.

ثم طوى شقة سفره، واستقر ببلده لنشر خبره، ونثر درره، يسند الصحاح

(١) «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٤٦٦).

والحسان، ويطوق قاصده فيها قلائـدَ العِقيـان، ويعظ ويذكِّر، ويقرر عيونَ الفنـون، ويحرر ويفتـي في نوازل المسائل، ويبلغ ببراعته سؤل كل سائل، ويفتح بهمته مغالق الأذهان، ويجلي بصادق ضراعته مدلهم المعضلات.

إلى أن دعاه داعي المنـون، إلى سلوك السبيل المسنـون، فانتقل إلى رحمة ربه، مشتاقاً[1] إلى حضرة ربه، انتهى من «مقاليد الأسانيد» للشيخ عيسى المغربي، وكان موجوداً في سنة تسع وخمسين بعد الألف، وكانت وفاته سنة ست وستين وألف.

قال الشيخ عيسى في «معجمـه»: وأوصاني بتقوى الله، وحضني على سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله، في كل يومٍ مئة مرة، ولا إلـه إلا الله الملك الحـق المبين، في كل يومٍ مئة مرة، وعلى قراءة أربع سورٍ من القرآن في كل يومٍ وليلةٍ، وهي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١]، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾[القدر: ١]، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾[الزلزلة: ١]، و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾[قريش: ١]، وقال لنا: اقطعوا الناس، عما في أيدي الناس، تعيشوا أعزاء. انتهى.

وأن نعرف حق الخرقة الشريفة[2]، وننزهها عن الامتهان، وأن نواظب على ذكر الله تعالى في كل حين وأوان، قال: وأفضل ذلك: لا إلـه إلا الله،

---

(١) في الأصل: مشيقاً.

(٢) الحمد لله الذي تفضل علينا بسنته ونجانا من خرافات المبدعين، وتلبيس الشيطان الرجيم، وإلا فهذه الخرقة المزعومة وأمثالها من رسوم المتصوفة المخرفين، من البدع المنكرة في الدين، لا أصل لها سوى وسوسة الشياطين، سامح الله المصنف وغفر له تكرار ذكرها في كتابه.

فإنها تجلي عن القلب ما غشيه من الران، وأوصى باحترام المشايخ، وخدمة الإخوان، والتواضع للفقراء، والرأفة بالمؤمنين، والشفقة على خلق الله أجمعين. انتهى.

[١٠٢٣] سعيد بن عبد الرحمن بابْقَى، القَيْدوني بلداً، الدوعني جهةً، الشيباني نسباً، الشافعي مذهباً، الحضرمي، ثم المكي[١].

الإمام الرباني، والعارف الصمداني، كان من العارفين بالله، الواقفين مع الكتاب والسنة، وكان يتكلم على طريق الصوفية بما يبهر الألباب، ويحل مشكلات المحققين على وجه الصواب، مع كثرة العبادة، والتلاوة للقرآن، والتوجه إلى الله في السر والإعلان.

وُلد ـ كما أخبر هو بعضَ تلامذته ـ يوم الجمعة، عاشر محرم، سنة ست وثلاثين وتسع مئة، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بالعلم على كثيرين، من الحضارمة واليمنين، وساح مدةً مديدةً في اليمن، ودخل الهند، وجال في بلاده، ثم رجع إلى عدن، ورحل منها إلى الحرمين الشريفين، وأقام بمكة، وأخذ بها عن الأستاذ الشيخ أبي الحسن البكري.

واشتهر ذكره، وعلا قدره، واعتقده الخاص والعام، وخضعت له العلماء الأعلام، وأخذ عنه جمعٌ من أكابر العلماء؛ كالسيد الجليل سالم بن أحمد شيخان، وكراماته أشهر من أن تذكر، وأعظم من أن تحصر.

وكانت **وفاته** في يوم الجمعة، عاشر محرم الحرام، افتتاح سنة سبع عشرة بعد الألف بمكة، ودفن ببيته بجبل أبي قبيس، وقبره درياقٌ مجربٌ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٠٩).

لقضاء الحاجات[1]، وقد زرته ـ ولله الحمد ـ مرات.

[١٠٢٤] الشريف سعد بن زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي[2].

أمير مكة، وخاتمة ملوكها الكرام، كان ملكاً مهاباً، حليماً محسناً جواداً، يُضرب بكرمه المثل، حتى شاع عند أهل مكة: «ما بعد زيدٍ زيادة، وما بعد سعدٍ سعادة».

وُلد سنة إحدى وخمسين وألف، وتولى مكة بعد والده، ثالث محرم، سنة سبع وسبعين، باتفاق من أكابر العسكر، وذلك أنه لما توفي الشريف زيد، وقعت بمكة رجةٌ عظيمةٌ فيمن يتولى بعده، بين الشريف سعد، والسيد حمود بن عبدالله، وقام كل من الرجلين أشد قيام، وجمع الجموع، وتحصنوا في البيوت والمنابر.

وانضم الأشراف جميعهم إلى السيد حمود، ولم يبق مع السيد سعد إلا السيد مبارك بن محمد الحارث، والسيد راجح بن قايتباي، والسيد عبد المطلب بن محمد، والسيد مضر بن المرتضى، والسيد الحسين بن يحيى، والسيد فارس بن بركات، والسيد محمد بن أحمد بن علي، وهو الذي كان مع المنادي؛ لأن من قواعد السادة الأشراف ملوكِ مكة: أنه إذا تولى أحدهم

---

(١) المجرب المفيد والدواء لكل قلب منيب، اللجوء إلى الله ﷻ في كل حاجة وحين، وإلا فزيارة القبور وأصحابها والتوسل بهم، من أشر البدع في الدين، ومن التشبه بأعمال المشركين، نسأل الله السلامة في الدين، والنجاة من تلبيس الشيطان الرجيم.

(٢) «الأعلام» للزركلي (٣/ ٨٥).

الإمارة، مشى شريفٌ منهم مع المنادي؛ ليحميه ممن يتطرق إليه من الأشراف المبارزين حالتئذ.

وكان بمكة ـ إذ ذاك ـ عماد آغا أمير جدة، وشيخ الحرم، وكان رئيساً، فردوا الأمر إليه، فأحضر خلعة عنده، والرسل تسعى من الشريف سعد إليه إلى ضحى، فاتفق الرأي أن يلبس الخلعة الشريف سعد، فلبسها في بيته، وكان مجلس عماد آغا في دكةٍ عند باب رباط الداودية، بعد أن أخذت الخلعة، قيل له: إن ابن الشريف زيد محمد يحيى هو ولي العهد؛ لأن والده أخرج إليه مرسوماً سلطانياً بذلك، فقال لمن أخذ الخلعة: قولوا للشريف سعد: بشرط أنك قائم مقام أخيك محمد يحيى.

فبعد أن ذهبوا بالخلعة، ومشوا بها قليلاً، دخل المسجد من باب بني سهم ـ المسمى بباب العمرة ـ جماعةٌ من الأشراف، منهم: السيد محمد بن أحمد بن عبدالله، والسيد مبارك بن فضل بن مسعود، والسيد عبدالله بن أحمد، والسيد محمد بن أحمد بن حراز، وغيرهم في نحو عشرة أشخاص، فوقفوا على عماد، فقال لهم: نحن ألبسنا سعداً، بشرط أنه قائم مقام أخيه، فقال له السيد مبارك: حمود شيخنا وكبيرنا، ولا نرضى إلا به.

وكان عند عماد السيد راجح بن قايتباي، من جانب سعد، فوقع بينهما كلامٌ طويلٌ، ثم ذهبت الأشراف والخيل إلى السيد حمود، فخرج عليهم متعمماً بعمامةٍ زرقاء، فجلس لحظةً، ثم قام للنزول إلى تجهيز الشريف زيد، ومعه نحو ثلاثة من بني عمه، فلما كان في الدرَج، أقبل عليه السيد أحمد بن محمد الحارث، فوقف حمود، وقال له: لا قطع الله هذه الزائلة، فأجابه السيد حمود بقوله: إذا جاءتك الرجال، فكن زبره، فرده، ورجع معه، ولم يذهب

إلى ما كان قصده من ذلك الخير.

ثم جُهز الشريف زيد، وأُخرج إلى المسجد بعد صلاة الظهر، وخرج في جنازته من الأشراف: ولده حسن، وآخر من بني عمه، ولم يخرج أحد من العسكر والأتباع؛ لاشتغالهم بما هم فيه، وطلع معه العامة، والعلماء والفقهاء إلى المعلاة، وبكى عليه الصغير والكبير.

وجلس الشريف سعد للتهنئة بالملك، ودعا مشايخ العرب، وأصحاب الإدراك، وألزم كلاً بجهته، ولم يقع خلافٌ بوجه، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[قريش: ٣ ـ ٤]، وكان تخلف من الحج الشامي جماعةٌ من التجار، على عادتهم لقضاء حوائجهم، فطلبوا منه أن يوصلهم إلى المدينة، فأرسل معه السيد فارس بن بركات بن حسن، وجمعاً من العسكر، فأوصلهم إليها سالمين.

ثم أمر حاكم الطائف، وكان بمكة جمعٌ من أهل الطائف من الحجاج، فلم يمكنهم التوجه؛ شفقاً من العرب، فسار بهم من طريق يعرج، ووصلوا سالمين، ونادى مناديه في البلاد الحجازية، وكان قبل وصول الحاكم، اضطربت البلاد اضطراباً شديداً، وكلٌّ أغلق بابه، ونزع ثيابه، ودفن أسبابه، فاطمأنت حينئذ الخواطر، من البوادي والحواضر.

وكان بالطائف ـ إذ ذاك ـ السيد زين العابدين بن عبدالله بن حسن، وأولاده وأتباعه، فنادوا بالأمان، وخمدت بذلك داعية البغي والطغيان، وكان بمكة ـ يوم موت الشريف ـ جماعةٌ من الأعراب، أهل خيل وركاب، فانطلقوا على رؤوسهم، وكل من وجدوه في طريقهم نهبوه، وكل من ظفر بصاحبه

أخذه، وترفع أهل القرى عن الطرقات، واجتمعوا في بعض الجهات؛ خوفاً على أنفسهم وأموالهم.

ثم في اليوم الثالث من موت الشريف زيد وقع الاتفاق، بين سعد وحمود، على قدرٍ معلومٍ من المعلوم، وعينت جهاته، وكان يوماً عظيماً عند الناس، وحصل بذلك الأمن، وارتفع الباس، وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام، وكُتب محضر من الشريف سعد، وعليه خطوط الأعيان، وذهب به بلال آغا تابعُ الشريف زيد إلى مصر، فأرسله وزير مصر إلى السلطان، وكذلك كتب السيد حمود محضراً، ليس معه إلا خطوط الأشراف، وأرسله مع رجل مصري، يسمى: الشيخ عيسى، فقدر الله أنه مات عقب دخوله مصر بيومين، فوجدوا العرض في تركته، ولم يصل إلى مقصده.

وكذلك كتب السيد محمد يحيى بن الشريف زيد محضراً من المدينة، وعليه خطوط أعيانها، وقد كان والده الشريف زيد أخرج له مرسوماً سلطانياً بولاية مكة، فلم يتمكن من تنفيذه؛ خشية ما يترتب على ذلك من المفاسد، وعدم الرضا من الأشراف.

وكان لا يحج معه ـ غالباً ـ كل سنة من أولاده إلا حسن، ومحمد يحيى، وكان السيد محمد يحيى بالمدينة، فطلبه للحج في ذلك العام، وهو عام ست وسبعين، فامتنع لأمر يريده الله تعالى، فلما بلغ الشريف زيد؛ قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص: ٥٦]، وكان الشريف سعد نحو الشرق، فجاء ذلك العام، وتقرب من والده، وحج معه، وكان من أمر الله ما كان.

واستمر الناس منتظرين ورود الخبر السلطاني نحو ستة أشهر، إلى أن

وصل رسول السلطان بخلعةٍ للشريف سعد، ومكتوبٍ ومرسومٍ بأن الإمارة لـه، من غير شريك ولا منازع، ودخلوا بها على معتادهم، وقرئ المرسوم بالحرم الشريف، واستقر له الأمر، وجلس للتهنئة، وأتته العلماء والعساكر والشعراء، وفُعل معهم ما يعتادوه[1] وزيادة، وجاءه السيد حمود وأتباعه من الأشراف طائعين، مظهِرين له الود والصداقة.

وكان في هذه المدة يطلب من الشريف سعد ما يريد، ويجيبه إلى طلبه، ثم حصل بينهما تنافر، فخرج السيـد حمود يوم الأربعاء، ثامن ذي القعدة، سنة سبع وسبعين، وأقام بالجوخى، كان كثيراً ما ينشد في خروجه، بيتَ السيد قتادة، المستشهَد به في واقعةٍ له:

مصارعَ آلِ المصطفى عُدْتِ مثلَ ما بدأتِ ولكنْ صِرْتِ بـين الأقـاربِ

ولـم تزل الرسل تسعى بينهما، فلم يتفقا على حال، وتوجه السيد حمود إلى وادي مَرّ، وأقام بمن معه من السادة الأشراف وأتباعهم، والشريف سعد لم يستخفه الطيش، وتوجه منهم بعضٌ إلى طريق جدة، فوجـدوا القوافل، فنهبوا القوافل، وفيها أموالٌ عظيمةٌ للحجاز، والتجار، والعسكر، وغيرهم، فقُطعت السبل، وارتفعت الأسعار.

ولما قدم الحـاج المصري إلى مكـة، وأميره أزبك بيك، ركب السيد حمود ومن معه من الأشراف إليه، ودخل عليه، ومعه السيد أحمد الحارث، والسيد بشير بن سليمان، فأنهوا إليه حالهم، وعدم الوفاء من الشريف سعد

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ما يعتادونه.

فيما التزم لهم من معاليمهم، وأننا لا ندع أحداً يحج إلا إن أخذنا ما هو لنا، وكـان قـدره مئـة ألـف قرش أشرفي، فالتزم للسيد حمود أن ينقده الشريف نصفها قبل الصعود، فقبل التزامه، وخلى سبيله ومن معه.

فلما دخل الأمير مكة، خرج إليه الشريف سعد على المعتاد إلى المختلع، فلبس الخلعة، ثم كلمه الأمير فيما التزمه للسيد حمود ومن معه، فقبل، وأسلم خادمَ السيد حمود الخمسين الألف قبل الصعود.

ثم لما كان يوم الاثنين، عشري ذي الحجة، وصل مكة السيد حمود، ومعه السيد عبد بن ناصر بن عبد المنعم بن حسن، والسيد محمد بن أحمد بن عبدالله بن حسن، والسيد بشير بن سليمان بن موسى بن بركات بن أبي نمي، والسيد مبارك، ونافع ابنا ناصر بن عبد المنعم، في جمعٍ من الأشراف والقواد؛ للصلح بين السيد حمود، والشريف سعد.

وتردد الرسل بينهم وبينه، يطلبونه لذلك، وألزموه بمحاضر من القاضي، فجاء، وحضر الأمراء، ووجوه أركان الدولة، وعماد آغا، وأكابر العسكر، فأرسل الشريف سعد، بلال آغا وكيلاً عنه في الخصومة والدعوى، فاغتاظ السيد حمود من ذلك، وأراد الفتك به في ذلك المجلس، فذهب مسرعاً فزعاً، فأرسل الشريف سعد أخاه السيد محمد يحيى وكيلاً عن أخيه، وادعى على حمود وكيلاً عن أخيه الشريف سعد عند الحاكم الشرعي، بما أخذه في طريق جدة من الأموال، فلم يثبت عليه.

ثم طلب السيد حمود أن يتوجه إلى الديار المصريـة، ويرفع أمره إلى الحضرة السلطانيـة، فأذنوا له، واتفق الحال على ذلك، ثم لما توجه الحج

الشمري، وسائر الحجاج، توجه معهم حتى وصل إلى بدر، فتخلف عنهم وأقام فيها مدة، ثم لما دخلت سنة ثمان وسبعين وألف، توجه السيد حمود في شهر صفر، من بدر إلى ينبع، وأرسل ولده أبا القاسم، وأرسل السيد أحمد بن الحارث ولده محمدا، ومعهم السيد غالب بن زامل بن عبد الله بن حسن، وجماعة من ذوي عبد الله: السيد بشير بن محمد، وظافر بن وضيح، ومحمد بن عبد الله، وغيرهم، وأرسل معه قودا عظيمة إلى الوزير عمر باشا، نحو ستة أفراس، منها البغية، والهدبا، والكحيلة.

فساروا إلى أن بلغوا الحوراء - المنزلة المعروفة في طريق الحج - فلاقاهم قاصد إبراهيم باشا - المتولي بعد صرف عمر باشا - بمكاتيب متضمنة للأمر بالإصلاح، والاتفاق على نجح النجاح، فرجع السيد غالب بن زامل صحبة القاصد إلى مكة لينظر ما يتم عليه الحال، فانقطع مدة القيل والقال، فأقاموا بالحوراء بما معهم من القود نحو خمسة عشر يوما ينتظرون الفرج بعد الشدة، فلم يصل إليهم خبر في هذه المدة.

فساروا إلى مصر، فدخلوها ليلة المولد، وقدموا ما معهم من القود والمكاتيب لإبراهيم باشا، فأكرمهم، وزاد في تعظيمهم، واستمر كذلك إلى جمادى الآخرة، ولم يرجع القاصد من مكة إلى مصر، وأشيع بها: أن الأشراف قتلوه، فأشار على الوزير بعضُ أكابر الدولة بمصر أن يقبض على السيد أبي القاسم بن حمود، والسيد محمد بن أحمد الحارث، فأمر بنقلهما من محلهما الأول بقايتباي، إلى بيت يوسف بيك.

وفي هذه المدة طلب السيد محمد يحيى من أخيه الشريف سعد، أن يجعل له محصول ربع البلاد، وينادي له بهذا، فامتنع من ذلك، فغضب،

وبرز متوجهاً إلى السيد حمود، وجلس بالجوخى مدةً، ثم بلغ هذا الخبر السيد أحمد بن الشريف زيد، وكان بالشرق، فجاء مسرعاً إلى مكة، فلحق أخاه الشريف سعداً قبل أن يتوجه، فتوجه السيد محمد يحيى، ولحق بالسيد حمود، واتفق معه، وأقاما يعاندان القضاء والقدر.

وأقام الشريف سعد، وأخوه السيد أحمد معين له، ولسان الحال يتلو: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥]، ولما لم يحصل الاتفاق بين الشريف سعد، والسيد حمود، بعد وصول القاصد للإصلاح، أرسل الشريف سعد إلى وزير مصر، يعرفه بما جرى وبما كان؛ ليعرضه على السلطان، وكذلك أرسل السيد حمود قاصداً ـ أيضاً ـ.

وبرز يوم عشرين من ربيع الأول الشريفُ سعد إلى الجوخى، في موكبٍ عظيمٍ بمن معه من الأشراف والعساكر، وأقام هناك ينتظر وصول الأخبار، من تلك الديار، فلما وصلت الأخبار إلى وزير مصر، أمر بتجهيز خمس مئة من العسكر، عليها الأمير يوسف بيك متولياً جدة، ومشيخة الحرم، وصرف عماد آغا عنهما، فساروا من مصر وهم بأتباعهم ومن معهم من الحجاج والتجار، يدخلون في ألف وخمس مئة، وذلك في سنة ثمان وسبعين بعد الألف.

فلما وصل الخبر إلى مكة، توجه السيد حمود، ومعه السيد سعيد بن بشير بن حسن، وكان والياً على بيشة ونواحيها مدةً، في زمن الشريف زيد، فأخرجوه منها، فواجه العسكر بينبع من أهل ينبع وجهينة وعنزة، فأخذوهم عن آخرهم، وقتلوهم، وسلبوا أموالهم، وأسروهم، ولم يسلم منهم إلا نحو مئة، وقبض على يوسف بيك.

وقتل حينئذ من الأشراف: السيد شبير بن أحمد بن عبدالله بن حسن، والسيد سرور بن حسين بن عبدالله، والسيد لبّاس بن عبد المنعم بن حسن، والسيد جازان بن حسين بن عبد المنعم، ومن ذوي عنقا: السيد زين العابدين ابن ناصر.

وسبب قتل السيد لبّاس: أنه صعد أول الحرب إلى مترس للترك، ظنه مترسًا لعسكر السيد حمود، فلما وصل إليهم ماشياً صاعداً، تلقوه، فقطعوا رأسه من حينه، ووضعوا الرأس في مخلاةٍ، علقت على بعير، ولم يدر عنه إلا بعد انكسار جيش الترك، جاء به بعض من أخذ الجمل بما عليه من المتاع، وأصيب السيد عبد المعين بن ناصر في رأسه، بعد أن غارت عنه الخوذة، بسبب وقوعه عن الفرس بكبوها أو قتلها، وانتهت الأحمال بالأحمال.

ثم أمر السيد حمود بجمع حريم الأمير يوسف بيك وغيره في مخيمٍ كبيرٍ، وأجرى عليهم المصروف، ومات يوسف بيك، وكان اللقاء المذكور يوم الأربعاء، عاشر رجب، من هذه السنة، وكان السيد حمود أرسل إلى العسكر قبل قدومهم عليه: أن ليس لكم طريق علينا، إن لم يكن السيد أبو القاسم، والسيد محمد معكم، وتتبعوهم في الأماكن.

وأمر بالسيدين المذكورين إلى حبس الدم، المسمى عندهم عَرَق خانه، بعد أن طلب وزير مصر من العلماء الفتوى بجواز قتلهم، فلم يفتوه، فأمر باعتقالهما، ونسي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤]، ثم عزل إبراهيم باشا عام ثمانين، وتولى مصر حسين باشا، فسأل عن سبب حبسهما، فأخبر بما وقع في العسكر من أبويهما، فقال: هل كان الواقع قبل وصولهما أو بعده؟ فقيل له: بعده بمدة، فقال: لا ينسب شيءٌ من ذلك إليهما،

وأمر بإخراجهما، واستدناهما، وأكرمهما، وأقام لهما من المعين ما يكفيهما، وأنزلهما ببيت نقيب الأشراف، ووالى عليهما الإنعام والألطاف.

فلما كان شهر رمضان، استدعاهما النقيب ليلةً إلى الإفطار عنده، وأعدَّ لهما من فاخر الأطعمة عدة، فأتاه السيد أبو القاسم في جملةٍ من أصحابه وأتباعه، ولم يأته السيد محمد، فدعاهما في الليلة الثانية كذلك، واستنكر عدم وصول السيد محمد، وظن أنه يغدر به، فذهب السيد أبو القاسم، واعتذر عنه، ثم خرج السيد محمد بن الحارث بمفرده فاراً من مصر إلى مكة، ماشياً حتى انتهى إلى العقبة، فأُتي إليه بما يركبه، وأما السيد أبو القاسم بن حمود، فاستمر إلى أن توفي في شوال، سنة إحدى وثمانين، شهيداً بالطاعون.

ثم وصل عسكرٌ كثيرٌ من مصر، ومعه سنجقان، والثالث، وعليهم أمير محمد جاويش متولياً جدة، ومشيخة الحرم إلى ينبع، وكانوا تلاقوا مع الحجاج قبلها بيومين أو ثلاثة، ودخلوا سراً، وأقاموا فيها خمسة أيام أو ستة، يكاتبون السيد حمود، ويعرفونه، وهو يجيبهم بكلامٍ شديدٍ، فحملوا عليه، وأقبلوا عليه، فلم يجدوه، فاقتضى رأيهم أن بعضهم يقيم لحفظ البلد، والآخر يحج، وهو الأكثر، ودخلوا مكة بموكبٍ عظيمٍ، سابع ذي الحجة، ومع العسكر اثنا عشر كاشفاً، تحت كل كاشفٍ جماعةٌ من العسكر.

ودخل الحاج الشامي واليماني والمدني، وأما أهل العراق ونجد والحجاز، وسائر العرب، فلم يحجوا؛ لما حصل لهم من التعب، والجوع والخوف المزعج، ونزل العسكر في بيت السيد حمود، والسيد أحمد الحارث، وجميع الأشراف الذين معهم، وقتل محمد جاويش ستة أشخاصٍ من أتباع السيد حمود، ثم توجه الحاج المصري، وتوجه معه العسكر، والشريف سعد

إلى ينبع نحو السيد حمود، وأقام أخاه السيد أحمد مقامه بمكة، فلما وصلوا إلى ينبع، تشاوروا، هل يقيمون، أو يتوجهون وراء السيد حمود، أو يرجعون إلى مصر؟ فاتفق الرأي أن يذهبوا إلى مصر، وأقام الشريف سعد ومحمد جاويش.

وقبض الشريف على جماعةٍ من المفسدين، كانوا مع السيد حمود، وكبلهم بالقيود والأغلال، وخرج من مكة يوم الاثنين، سادس صفر سنة تسع وسبعين، السيد أحمد بن زيد بعسكره إلى جهة المبعوث؛ لإصلاح تلك الجهات والطرقات، وأقام بمكة السيد بشير بن سليمان، ثم دخل الشريف سعد إلى مكة، ثاني وعشري ذي القعدة، من السنة المذكورة.

وبعده بأربعة أيام، دخل أخوه السيد أحمد بن زيد، فلما كان رابع ذي الحجة، وصل رسولٌ من المدينة الشريفة، يخبر بأن رجلاً قدم اسمه حسن باشا، متولياً جدة، ومعه أوامر سلطانية: أنه ينظر في أمور الحرمين، فبرزت له عساكر المدينة وكبراؤها، وتلقوه بموكبٍ عظيمٍ.

والسبب في وصوله: أن أهل المدينة رفعوا أمرهم إلى السلطان، يشكون الشريف سعداً، فلما استقر بالمدينة، تسلط على جماعةٍ من أعيان البلاد، ممن ينتمي إلى الشريف سعد، فأُحضروا في حالةٍ شنيعةٍ، ثم وضعوا في السجن، ومنع الخطيب من ذكر الشريف سعد بالدعاء على المنبر.

ولما خرج من المدينة متوجهاً إلى مكة، صار ينادي مناديه في الطريق؛ بأن البلاد للسلطان، ولا يذكر الشريف سعد، ودخل الحاج المصري إلى مكة، ولبس الشريف خلعته المعتادة، ثم دخل الحاج الشامي، ثم دخل بعد الظهر

حسن باشا في موكبٍ عظيمٍ إلى أن وصل باب السلام، فنزل، ودخل المسجد الحرام.

وفي اليوم السابع، خرج الشريف لأمير الحاج الشامي، ولبس خلعته المعتادة، وكان من العادة تقسيم بعض الصدقات لأهل مكة، قبل الصعود إلى عرفة، فمنع من ذلك، وتخلف كثيرٌ منهم عن الحج لذلك، فتعب الشريف سعد من أحواله السابقة واللاحقة، وقال: إن لم يظهر ما بيده من الأوامر، فننظرها كاذبةً أو صادقةً، لم أحج من هذا العام، وأرسل بذلك إليه وإلى الأمراء، وشدد في الكلام، ووقع في البلاد الاضطراب والانزعاج، وعزلت الأسواق، وغلقت الأبواب، وخليت الطرق، وجمع الشريف سعد جيشه، وقام على قدميه وشمر، ولسان الحال ينطق: الله أكبر الله أكبر.

ثم إن الأمراء وكبار العسكر وأركان الدولة، أتوا إليه، وقبلوا يديه، مستشفعين قائلين: إنك إذا لم تحج، فإن الأمة لا يحجون، فعند ذلك نادى مناديه في البلاد، بأن[1] الناس يحجون، وصعد الشريف سعد إلى عرفات، ولم يحصل شيءٌ من المخالفات، ثم سعى جماعةٌ بينهما بالصلح، منهم: الأمير عساف بن محمد بن فروخ أميرُ الحاج الشامي.

وكان اجتماعهم بعد صلاة العصر، ثاني محرم، سنة ثمانين وألف، خلف مقام الحنفي، بالمسجد الحرام، بحضرة الخاص والعام، ثم تفرقا، ورجع كل منهما إلى منزله، وأرسل كل منهما نوبته إلى الآخر، فضربت الطبول، وأرسل كل منهما إلى صاحبه هديةً سنيةً.

---

(١) في الأصل: وأن.

وفي اليوم الثامن من محرم، توجه بعد العصر الشريفُ سعد، وأخوه السيد أحمد إليه، فقابلهما بالتحية والإكرام، والتعطف في الكلام، ولما أرادا القيام من عنده، ألبس كلاً منهما ثوباً نفيساً يليق به، وخرجا من عنده.

ثم في اليوم العاشر، أراد حسن باشا التوجه إلى جدة، فتوجه إلى الشريف سعد بعد العصر، ومكث عنده ساعةً، ولم يذق عنده شيئاً من الطعام، وادعى أنه صائم، ولما خرج من عنده، قدم له فرساً مسرجةً محلاةً، فلما وصل إلى جدة، أغلق أبوابه، وأجلس حجابه، وحصل منه أمورٌ يطول شرحها.

ثم في سابع عشر ذي الحجة من السنة، أشرك الشريف سعد أخاه السيد أحمد في الربع، ونودي في البلاد، وأمر الخطيب بالدعاء له على المنبر، وأرسل إليه حسن باشا نوبته، فضربت في بيته ثلاثة أيام، وأتته خلعةٌ سلطانيةٌ مع أخيه في الموسم الثاني.

ولم يزل حسن باشا يعارض الشريف في أحكامه، ويستولي على غالب محصول جدة، والشريف سعد يتلطف به، ولا يفيده ذلك، حتى كان يوم الثالث من منى، بعد انتصاف النهار، نفر حسن باشا إلى رمي الجمار، في موكبٍ عظيمٍ، والجند محدقون به، فلما كان واقفاً عند العقبة لرمي الجمرة، رماه ثلاثة رجالٍ بثلاث بنادق، فخر لوجهه إلى التراب.

فتلقاه جنده، ورفعوه إلى التخت، وتحيروا فيما نزل بهم من هذا المصاب، ونزلوا به إلى مكة في ذلةٍ وانكسارٍ، وصاروا يقتلون من لاقوه في الطريق، ووصلوا به على مكة، وتحصنوا في البيوت، ودخل جمعٌ منهم المسجد بالسلاح والنار، ورموا فيه البندق إلى بيت الشريف سعد، وهتكوا حرمة بيت الله، ووجهوا المدافع إلى الأربع الجهات، واحترسوا غاية الاحتراس.

ثم أن الشريف سعداً توجه بعسكره وبالأشراف إلى مكة، ملبسين مدرعين، فاجتمع الأمراء حينئذٍ، واتفقوا على أن يعطيه ما كان استولى عليه من مال جدة، وقدره ثلاثون ألف قرش، ثم استعطفوا الشريف بترك الثلث، فتركه، وأخذ منه عشرين ألفاً.

وبدل الله عزه ذلاً، فلم يستطع المقام بمكة، فأرسل إلى جدة بعض أتباعه، وتوجه مع الحاج المصري إلى المدينة، وأقام بها، فوفد عليه السيد محمد بن أحمد بن الحارث، فألزمه بالذهاب إلى والده، واستلحاقه إليه إلى المدينة، فلما حضر، نادى له بالبلاد، بعد أن ألبسه خلعةً، وأمر بالدعاء له على منبر المدينة، وقطع الدعاء للشريف سعد.

وقد كان الشريف سعد خرج صحبة الحاج، أو عقبه، حتى وصل إلى الينبع، فأقام به، فلما بلغه ما فعله حسن باشا، أرسل إلى السيد أحمد بن الحارث كتاباً مضمونه بعد الثناء: إن هذا الواقع الذي سمعنا به من تقمصك بُرد الملك وأثوابه، فهذا أمرٌ أنت بيته الأعلى، ومثلك أحرى به وأولى، فإنك أنت الشيخ والوالد، الحائز كلَّ كمال طريف وتالد، فإن كان هذا محكمَ الأساس في البنيان، جار[ياً] على مرسوم السلطان، فنحن بالطاعة أعوان، وإن كان الأمر خلاف ذلك، وإنما هو من تسويلات هذا الظالم الغادر، وتنميقات ذلك المذمَّم غيرِ الظافر، فأجلّ حلمك أن تستخفه نكباء الطيش، وأن تستنزله أخلاط الأشارب، وغوغاء الجيش.

فأرسل إليه الجوابَ السيد أحمدُ بن الحارث: بأن الأمر لم يكن على هواي، وإنما هو إلزام، مع علمي بأن هذا الابتداء لا يكون له تمام، فاستشعر

حسن باشا: أن من نية الشريف سعد المسير إليه، فتهيأ للقتال واعتد، ولفق مع عساكر المدينة ما قدر، وصُنع أُكر من حديد قريباً من مئتين، تسمى: قنابر، تُملأ بالرصاص والحديد، يُرمى بها مِنْ بعد إلى الجيش، وكلما أراد السير، ثبطه السيد أحمد بن الحارث، وثناه، وأظهر له الرأي في عدم المسير، ومنّاه.

فعزم الشريف سعد، وأخوه السيد أحمد إلى المدينة، وصمَّما على القتال، وكان السيد حمود نازلاً بالمبعوث، في المربعة المنسوبة إلى السيد محمد الحارث، فأتاه السيد أحمد بن حسن بن حراز رسولاً من السيد أحمد الحارث، وحسن باشا بكتابين يستدعيانه إليهما للانضمام، ووعداه بما يريده من الجهات والمعينات.

ومضمون كتاب السيد أحمد الحارث، بعد الثناء وإظهار الشوق: إن أخاك لم يكن له هذا الأمر ببال، ولم ألتفت إليه بالقال والحال، وإنما لحقني ولدك محمد إلى الشعرى، وكرر القول علي مرة بعد أخرى، ولم أوافقه حتى رأيت جدك النبي ﷺ في المنام قائلاً إلي: وافق، وخلاك ملام، فحينئذ رجعت، والقصد أني أخوك الذي تعرفه، ولا تنكره، فأقبل علينا، فهو أعظم جميل نذكره.

ففكر السيد حمود ساعةً، وقال: كأني برسول الشريف سعد يصبحنا إن لم يُماسنا، فقبلَ الغروب إذا براكبٍ منيخٍ، فتقدم إليه، وأخرج مكتوبين من الشريف سعد، وأخيه أحمد، مضمونه استحثاثُه في المسير إليهما، والحضور لديهما، وأن حسن باشا قد شمر عن ساقيه للحرب، وكشر عن نابيه للطعن والضرب، واستشهد الشريف سعد بقول الشاعر:

وما غَلُظت رقاب الأسد حتى بأنفسِها تولَّت ما عناها

وأتبعه بقوله: وأنت تعلم أن الأمر الذي يعنانا يعناك، وأدرى بما يؤول إليه الأمر في ذاك، وهذه ألف دينار صحبة الواصل إليك، فأدركْ، أدركْ، أدام الله فضله عليك، فقال له بعض الحاضرين: ما رأيت لمن تتوجه؟ قال: إلى سعد صاحب الفضل ومولاه، فبيني وبينه في ضريح الحبر عبدالله عهود، لو اعترضني بها والدي عبدالله، لكفحت وجهه بالسيف دونه، والله ثم والله.

ثم توجه على الركاب يومه الثاني، وقوض الأخبية، وفارق المباني، حتى وصل إلى الشريف سعد وأخيه، وهما بمحل يقال له: ملحه، فوافاه عزل حسن باشا وطلبه، وانخرم حسابه، وتقطع سببه، فارتحل من المدينة، فمات بطريق غزة، ودفن هناك، وأتت إلى الشريف الخِلَع من وزير مصر، وكان إرسالها ضرباً من المكائد.

ثم في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة، قدم محمد جاويش المتقدم ذكره، بجيوشه نحو أربعة آلاف أو خمسة، قبل قدوم الحاج بأيام، ونصب خيامه في أسفل مكة، نحو الزاهر، بمن معه من العساكر، وصاروا يدخلون خمسة سوا أو عشرة، أو ما قارب ذلك، ثم يرجعون إلى خيامهم، ثم قدم الحاج المصري، ولبس الشريف خلعته المعتادة، وقدم الحاج الشامي، ومعه حسين باشا السلحدار، بنحو ألفين أو ثلاثة، وقد وسد من تلك الديار، أن يعمل بما يقتضيه نظره ويختار.

فلما كان اليوم السابع من ذي الحجة، خرج الشريف لملاقاة أمير الحاج الشامي، على المعتاد، فطلب منه أن يأتي إلى مخيم الأمير، فلم يرض؛ لكونه

غير معتاد لأسلافه، وترددت الرسل في ذلك، فلم يجب، وعطف عنان فرسه راجعاً من طريق الشبيكة إلى مكة، فَخُشوا من وقوع فتنة، فأرسلوا الخلعة مع من لحقه بها في أثناء الطريق، ثم صعد الحجيج إلى عرفات.

فلما كان يوم القَرّ، وهـو اليوم الثاني من أيام منى، ترددت الرسل من الشريف إلى أمير الحاج الشامي؛ لما هو المعتاد من الخلعة التي معها المرسوم السلطاني، التي يلبسها ذلك اليوم، ويقرأ المرسوم، ويسمعه القاصي والداني، فلم يؤت بها إليه، فعلم حينئذٍ أن مرادهم بهذه العساكر القبض عليه، فأضمر الصولة عليهم والمسير، ولم يبال بذلك الجمع، ثم رجح الانكفاف بالذهاب، وإغلاق ما للشرور من سائر الأبواب، فسار بمن معه على الخيل والركاب.

ولما كان ظهر اليوم الثاني عشر، حضر حسين باشا، ومحمد جاويش، وأكابر الدولة، وأمراء الحاج، واستدعوا جماعةً من الأشراف، منهم: السيد أحمد بن الحارث، والسيد بشير بن سليمان، والسيد بركات بن محمد، وأُظهر أَمر سلطانيٌّ للشريف بركـات، بولايـة مكـة، وأُلبس حينئذٍ خلعةً سلطانيةً، ونزل من منى إلى بيت أبيه، المعروف بزقاق ظاعنة.

وورد في ذلك الموسم كتـابٌ للسيد أحمد الحارث، وللسيد حمود، والسيد بشير بن سليمان، مضمون الجميع واحد، والعبارات مختلفة، ولفظ كتـاب السيـد حمـود: فرع ذؤابـة هاشم ونبقه، وشيخ المحامد والمكارم، السيد حمود نظم الله عقوده، وأباد حسوده.

وبعد:

فلا يخفى عليكم: أن الكعبة البيت الحرام، ومطاف طواف الإسلام،

هو أول بيتٍ وُضع للناس، وأسس على التقوى منه الأساس، وأنه لم يزل في هذه الدولة العلية، آمناً أهله من النوائب، وروضاً مخصباً بأحاسن الأطايب، إلى أن ظهر من السيد سعد من الأمر الشنيع، ما يشيب عنده الطفل الرضيع، وما كفاه ذلك حتى شد الخناق على أهل المدينة البهية، وأذاقهم كأس المنون ردية.

فلما بلغ هذا الحال السمعَ الكريم السلطاني، أمر بعزله عن مكة، وتفويضها إلى الشريف بركات؛ ليعمل فيها بحسن التصرفات، وتكونوا له معيناً وظهيراً، وناصحاً ومشيراً، وكل من يتفرع غصنه من دوحة فاطمة الزهراء، ويتصل نسبه إلى أئمة الزهراء، تهدونه إلى طريق الخير والصلاح، وترشدونه إلى معالم النجح والفلاح، وأنتم على ما تعهدونه من التكريم والتبجيل، والله على ما نقول وكيل.

وكانت مدة ولاية الشريف سعد ستَّ سنين، إلا أحد وعشرين يوماً.

[١٠٢٥] سنان الدين يوسف الرومي.

العلامة المشهور، [له] «شرحٌ على المفتاح»[1].

[١٠٢٦] السيد سليمان بن أبي الأهدل.

وتقدم رفع نسبه في ترجمة أخيه أبي بكر.

السيد الفاضل، النَّحْوي الفَرَضي المحدث، الشاعر المفلق، لم يزل على خيرٍ من ربه، ينشر العلم على الطلبة، ويفيض المواهب الإلهية على

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة تقريباً بياض».

السائلين، حج سنة ستين وألف، وكُفَّ بصره، توفي سنة تسع وخمسين بعد الألف.

[١٠٢٧] سري الدين بن إبراهيم الدروري الحنفي[١].

خاتمة المحققين بالديار المصرية، كان يُضرب به المثل في الديار المصرية في دقة النظر، وصحة الفهم، وكان سرياً مجللاً عند عامة الناس وخاصتهم.

مولده بمصر، وبها نشأ، واشتغل بالعلوم، ثم رحل إلى الروم، ومكث بها زمناً طويلاً، وأخذ هناك عن فضلاء وقته، واختص بالعلامة حسين بن رستم، وبه تخرج في العلوم النظرية.

ورجع إلى مصر، وولي بها المدارس الجليلة، وأقام بها على نشر العلم، وممن أخذ عنه من جهابذة العلماء: شيخنا العلامة أحمد البشبيشي، وعبد القادر البغدادي، وشاهين الحنفي، وكثير، وأخذ عن الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، وعن حسين بن رستم المتقدم، الشهير بباشا زاده، وعن المحدث أحمد السنهوري، وكثير.

وكان شيخنا أحمد البشبيشي إذا ذكره، يطنب في وصفه، ويشهد له بالتمكن التام في العلوم العقلية، وسألته عنه يوماً، فقال لي: كان إذا طالع درساً من دروسه، لا يقدر أحدٌ عليه، إلا إذا نقله منه إلى بحثٍ آخر لم يطالعه؛ بخلاف شيخنا العلامة علي الشبراملسي؛ فإنه كان إذا نقل لشيء آخر، لا يتزلزل؛

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣١٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٣٩) (٣٣٨).

لقوة استحضاره لكليات قواعد العلوم.

ولصاحب الترجمة «حاشيةٌ على شرح الأكمل على الهداية»، وأخرى على «شرح المفتاح الشريفي على سورة النساء من تفسير البيضاوي»، وعلى «شرح النخبة في علم الأثر».

توفي ـ رحمه الله ـ بمصر، في رمضان، سنة تسع وستين وألف.

[١٠٢٨] سيف الدين أبو الفتوح بن عطاء الله الوفائي الفضالي المقري الشافعي البصير[١].

شيخ القراء بمصر، فاضلٌ جنى فواكه جنية من علوم القرآن، وتقدم في علومه على الأقران، ضريرٌ كأن الله أراد أن لا ينظر إلا إلى جنانه، فأغمد صارم طرفه في قراب أجفانه. شعر:

واللهِ ما في الزمان شيء　　تأسَى على فقده العيونُ

قرأ بالروايات على ناصر الدين الطبلاوي، وعلى الشيخين: شحاذة اليمني، وأحمد بن عبد الحق، وبهما تخرج، وأخذ عن جمعٍ من أكابر الشيوخ، منهم: سلطان المزاحي، ومحمد بن علاء الدين البابلي.

وله مؤلفاتٌ مفيدةٌ نافعةٌ، منها: «شرحٌ بديعٌ على الجزرية في التجويد»، ورسائل كثيرةٌ في القراءات.

توفي بمصر يوم الاثنين، ثامن عشر جمادى الأولى، سنة عشرين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٨٢) (١٠٠).

[١٠٢٩] **سعيد بن عطاف العداري.**

كان من أعيان فقهاء الزيدية، أخذ الحديث عن عبد الرحمن بن حسين النزيلي، وأجازه بمروياته، وكان جامعاً للكتب النفيسة، حريصاً على جمع الفوائد، فلا تجد كتبه إلا كالروض المثمر المزهر.

مات في دولة الأمير علي بن شمس الدين، لعله في العشرين والألف.

[١٠٣٠] **القاضي سعد الدين المِسْوَري**(١).

كان مفرد زمانه، وكان كاتب الإمام القاسم، مهاب المجلس، لا يكاد ينطق أحدٌ في مجلسه؛ لحدة لسانه، وكان واحد عصره في الإنشاء، كتب الفقيه علي بن يوسف الحماطي، إلى الإمام القاسم يستشيره، في طلوع جبل أبي قبيس، وهل يأتي من جهة بني الخَيَّاط، أو غيره؟ فأجابه القاضي سعد الدين ـ بعد الحمد والتسمية ـ:

أما بعد: فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وأهلُ مكة أعرفُ بشِعابها:

خذا حيث هَرْشا(٢) أو خذاها فإنما ... كلا جانبَيْ هَرشا لهنَّ طريقُ

توفي في دولة الإمام القاسم.

[١٠٣١] **سعد الدين أفندي، مفتي القسطنطينية.**

الإمام العلامة، رزق الأبناء الذين هم تاج مفرق الأيام، وقد بلغوا في

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٤٦٤) (٢٦٨)، وذكر وفاته في ١٠٣١هـ.

(٢) جاء في الحاشية: «هرشا: مكانٌ مرتفعٌ بقرب طويلة كوكبان».

حياته المرتبةَ التي قصر غيرهم عنهـا، قيل لوالدتهم: بماذا لقي أبناؤك هذه العزة؟ فقالت: كنت لا أناول أحداً منهم الثدي، إلا وأنا على طهارة كاملة، وفي كل جمعة أذبح عن كلٍّ قرباناً.

[١٠٣٢] سنان باشا الوزير[(١)].

كان كَتْخُدا حسن باشا المتقدم ذكره، ولما طالت مدة الوزير حسن باشا في اليمن، وأرادوا عزله منه، وخروجه على وجه مستحسن، أنعم السلطان ببلاد اليمن لكتخدا الوزير حسن باشا الوزير سنان المذكور، فتوجه حسن باشا إلى الأبواب العلية، يوم حادي وعشري شهر صفر، سنة ثلاث عشرة وألف، وكان سنان المذكور على ما قال الشاعر:

ملـــكٌ ســـنانُ قناتِـــه وَبنانِـــه يتباريـــان دمـــاً وعرفـــاً ســـاكِبَا

ولما استقر في ولايـة اليمن، ظهر من شيخ البدو علي بن فلاح تعدٍّ، وأخاف الطرقات، وهم قبيلةٌ واسعةٌ، بلادهم ما بين بلاد ذمار وسنحان، مسيرة يوم واحد من صنعاء، أرسل عليهم جيشاً جراراً، فمزقهم كل ممزق، فأطاعوا، وسلموا رهائن، فأنعم عليهم بالعفو.

وكان عقبَ ذلك ظهورُ الإمام القاسم، من بلاد المشرق من برض إلى بلاد وادعـة، إلى جهـة الظاهر، وقـد دارت بينه وبين الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهـر، حاكم بلاد حجـة والشرف، مكاتبات على اتحاد الحال، منها: بفتح الحرب على السلطنة، وبثَّ الإمامُ الرسائل، على كافة

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٠٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢١٤).

القبائل، بجاري عادته الأولى، فأجابوه.

وقامت الحرب على ساقها، فوجه الوزير سنان المحاط، إلى جهة الإمام، وإلى جهـة عبد الرحيم، ولم يزل على الحرب، حتى ضعفت أحوال الإمام القاسم عن مقابلة ما لديهم من العساكر، وعطف بأكثر العساكر على عبد الرحيم، وتكاثروا عليه، ولحقه التعب، وكاد يُشفي على العطب، فحين رأى الإمام اشتغال العسكر بعبد الرحيم، نهض على حصن شهارة، وسكن الإمام شهارة، والعساكر محدقون بعبد الرحيم.

فوصلت الأخبار: أن السلطان أنعم ببلاد اليمن على الوزير جعفر باشا حاكم بلاد الحبشة، فخرج الوزير سنان من صنعاء، متوجهاً إلى الأبواب العلية في شهر رجب، سنة ست عشرة بعد الألف، فلما وصل إلى بنـدر المخـا، انتقل إلى رحمة الله تعالى، ودفن إلى جنب قبر القطب الشيخ علي بن عمر الشاذلي القرشي ـ نفع الله به ـ، وذلك في اليوم الخامس من شهر شعبان، من السنة المذكورة.

وكان يحب العلماء والفقراء والصلحاء، وكان محسناً جواداً، وكان مع ذلك سفاكاً، وإذا غضب، دَمَّر، ومن أقبح فعلاته: قتل الصديق ابن الخاص من علماء زبيد ظلماً وعدواناً، ومضت أيامه بالفتن، وآثار خيراته أكثر من أن تذكر ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن العجيب: أن حسن باشا مات في رجب، وسنان في شعبان، وكانا تمكنا من اليمن نحو ثمان وعشرين سنة، وكانت أيامهما زهرة الأيام في اليمن، ولما بلغ جعفر باشا وفاة سنان، أرسل لخزائنه عمر كيخيا، فوصل إلى المخا، واستولى عليها.

[١٠٣٣] سيد [المجذوب].

كان ساكناً بالقسطنطينية، بموضعٍ يقال له: سنبل حسمه سي، وكان مجذوباً مكاشفاً، صاحب أحوال.

[١٠٣٤] السيد سهل بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبدالله بن محمد ابن جمل الليل باعلوي الحسيني ﷺ[١].

فارس الميدان، وفقيه الزمان بالدليل والبرهان، أحد من قضى وأفتى، وباشر التدريس والإفتاء، عالم الإسلام على الحقيقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، المقتفي آثار سلفه الكرام، المرتقي بهمته العليا إلى أشرف مقام.

وُلد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، و«الإرشاد»، و«الملحة»، وغيرهما، ثم اشتغل بطلب العلوم، وجال في ميدان الفهوم، فتفقه على السيد عبد الرحمن بن علوي بافقيه، وأخذ الفقه والأصول والعربية عن السيد عبد الرحمن الشهير بسقاف العيدروس، ولازمه ملازمةً تامةً، حتى تخرج به، وجُلُّ انتفاعه به، وكان يحبه ويثني عليه، وأذن له غير واحدٍ بالإفتاء والتدريس، وأكثر الأخذ والصحبة لمشايخ عصره، وعلماء دهره، وحل عليه بركات نظرهم، وحصل له مددُ بِرِّهم.

وكان جيد الفهم، حسن الحفظ، وانتفع به كثيرون، وعنه أخذ شيخنا السيد محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي في أول الطلب، ودعا له بدعواتٍ حصل له بها الأرب، وطُلب لقضاء تريم، فامتنع، حتى أشار عليه شيخه عبد الرحمن سقاف بالقبول، فقبل، ووفقه الله تعالى لإصابة الصواب، ولم

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢١٤).

يحفظ عنه هفوةٌ، في إفتاءٍ أو قضاءٍ أو تقديرٍ، ولا في تقديمٍ ولا تأخيرٍ، وله كلامٌ أعذب من الماء الزلال، وأبهج من عقود اللآل، وخلقٌ ألطف من نسيم السحر، وأطيب من المسك الأذفر.

وكان وسيع البال، ويميل إلى الخمول بكل حال، بلغ من التواضع ما لا يمكن عنه التعبير، مع البشاشة للصغير والكبير، ولين الجانب، ولطف الكلام، مع الخاص والعام، وكمال الشفقة على جميع الآنام.

ولم يزل يمتطي صهوة العز المكين، راقياً ذروة الجاه الركين، إلى أن انتقل إلى حضرة رب العالمين.

وكان انتقاله سنة ألف وست وسبعين، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[١٠٣٥] سالم الشبشيري الشافعي(١).

الشيخ الإمام، العلامة الحجة، شيخ الإسلام، وأعلم أهل عصره بعلم الحلال والحرام، وأجلاء العلماء العاملين، وإمام الأئمة المحققين، كان ﷺ في الفقه بحراً لا يجارى، وحبراً لا يمارى، وفي بقية العلوم قدره مشهورٌ، ومقامه فيها معلومٌ ومذكورٌ.

أخذ الفقه عن الشمس الرملي، وغيره من أكابر علماء عصره، وتكمَّل بالنور الزيادي، ولازمه سنين عديدةً، وكان معيد درسه، وكان من أجل طلبته، وممن فني في محبته، وكان يطالع لجماعة الزيادي درسه مطالعة بحث

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٦٨) (١٦٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٠٢)، «هدية العارفين» (١/ ٣٨١).

وتحقيق، ونظر وتدقيق، حتى يأتوا إلى الشيخ وهم متهيئون لما يلقيه، وأعوان[1] لما يبديه.

وكان جميع جماعة الزيادي، وهم مَنْ هم في العلم والفهم الثاقب، الذين اشتهر ذكرهم في المشارق والمغارب، ملازمين لدروسه الفرعية، منهمكين على الأخذ من علومه السنية.

وممن لازمه منهم: العلامة الشمس الشوبري، والنور الحلبي، والشهاب القليوبي، وعامر الشبراوي، وخضر الشوبري، وعبد البر الأجهوري، ومحمد البابلي، والنور الشبراملسي، وشيخنا سلطان المزاحي، وكان يُسمّى: وَتِدَ درسه، ويفضله على شيخه الزيادي، ويقول: ما رأيت أفقهَ منه.

وكان آيةً من آيات الله تعالى، في استحضار مسائل الفقه، وتصوير مسائله، ومعرفة الفرق والجمع بينهما، والاطلاع على التقوى، والإحاطة بالفروع والأصول، وكان ـ مع كونه فقيهاً خالصاً ـ من أكابر الأولياء، وأجلاء الأتقياء، له كراماتٌ خارقةٌ، وأحوالٌ صادقةٌ.

منها: ما أخبرني به شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي في درسه: أنه طالع كتاب الغرور من «الإحياء للغزالي»، فلما رأى ما قاله الغزالي في علماء عصره، وما هم فيه من الغرور، مع ما كان عليه أهل ذلك العصر من الخير، أضمر في نفسه أن يتخلى للعبادة والصوم، وقراءة القرآن، وأن يترك القراءة على الشيوخ، والاجتهاد في الطلب؛ لأنه قد حصّل ما يكفيه في إقامة دينه ودنياه.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: واعون.

وكان ـ إذ ذاك ـ يحضر درس الشيخ سالم الشبشيري صاحب الترجمة، فجاء ذلك اليوم إلى الدرس بغير مطالعة، واشتغل سراً بقراءة القرآن؛ بحيث لا يُسمع أحداً من الحاضرين، ولم يخبرهم بما أضمره في نفسه، وإنما جاء إلى الدرس مراعاة لخاطر الشيخ؛ لئلا يفتقده، فيسأل عنه، أو يأتي إليه.

فقال له صاحب الترجمة شفاهاً: يا علي! مالك اليوم ساكت؟ فقال له: يا سيدي! ما طالعت، فقال له: يا عليّ! الغزالي ما ألف «المستصفى»، ما ألف «الوجيز»، ما ألف كذا، ما ألف كذا، وعدّ مؤلفاته؟ فقال له: نعم يا سيدي، فقال له: كأنك اغتريت بكتاب الغرور من «الإحياء»؟! لا بقيت تفعل هكذا، واطلب العلم، واتق الله ما استطعت، عسى أن يجعلك من المخلصين.

قال شيخنا: فلما كاشفني الشيخ بذلك، رجعت لما كنت عليه من طلب العلم، والاشتغال به، وصرف أوقاتي في المطالعة، وتركت ما كنت أضمرته في نفسي، وأنبأني الشيخ عنه، حتى كان من أمر الله ما كان، ولله الحمد.

ولم يزل المترجم ـ نفع الله ـ منهمكاً على بث العلم ونشره، والإخلاص لله في سره وجهره، وعم نفعه للبادي والحاضر، واشتهر ذكره عند الأكابر، حتى توفي بمصر، يوم السبت، سابع وعشري ذي الحجة، سنة تسع عشرة، وأخبرني شيخنا أحمد البشبيشي، نقلاً عن شيخه سلطان: أنه توفي عام ثمانية عشر بعد الألف.

وذكر النجم في «ذيله»: أنه مات ليلة الجمعة، سادس وعشري ذي الحجة، سنة تسع عشرة، وكان موته بعد أن خرج من الحمام مريضاً، ومات كهلاً ـ رحمه الله ـ، وصلي عليه بالجامع الأزهر، وكان الإمام بالناس في

الصلاة عليه شيخه النور الزيادي.

ولم يجزع علماء مصر على أحدٍ ما جزعوا عليه، وصار كل منهم كالهائم لفراق والديه، ولعمري! إنه لحري بذلكا سلك الله بنا وبه أحسن المسالك، وتلقى روحه بالروح والريحان، وأسكنه جنان الرضا عند رضوان، وحشرنا في زمرته، ونفعنا بعلومه وببركته ـ.

[١٠٣٦] سالم بن عز الدين بن ناصر الدين محمد، السنهوري، المالكي(١).

شيخ الإسلام، وناشر لواء سنة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وحامل لواء التدريس والإفتا، ومدبج رقاع الفتاوى بالأحكام، التي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا، مجدد مذهب الإمام مالك، السالك في توضيح خلاصته أوضح المسالك.

حامل لواء الولاية على كاهله، الذي هو لها نعم المستند، رافع راية الرواية على متنه القوي السند، خاتمة الأبرار، وبقية السلف الصالح، وخلاصة الأخيار، جامع الفنون الأصلية والفرعية، محقق العلوم الشرعية، إمام التفسير، ومحيي السنة، ومالك أزمة التحقيق والأعنة.

أخذ الفقه، والعلوم النظرية عن الفقيه العلامة محمد بن سلامة البنوفري، وأدرك الناصر اللقاني، وأخذ الحديث عن شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي المكي، وعن العلامة المحدث الشمس محمد العلقمي شارح

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٦٧) (١٦١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٠٤)، «هدية العارفين» (١/ ٣٨١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤٤).

«شارح الجامع الصغير»، وعن الحافظ نجم الدين الغيطي، ولازمه كثيراً، وسمع منه الأمهات الست، وغيرها.

وعنه أخذ شيخ الإسلام إبراهيم اللقاني، وعلي الأجهوري، وخالد الجعفري، وممن لازمه وسمع منه الكتب الستة كملاً: شيخ الإسلام عامر الشبراوي الشافعي، وأخذ عنه ـ أيضاً ـ شيخُنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي، وغيرهم من العلماء، ممن لا يحصى كثرةً، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «حاشيةٌ على مختصر خليل في الفقه»، و«رسالةٌ في ليلة النصف من شعبان»، وغيرهما.

وكانت وفاته يوم الثلاثاء، ثالث ربيع الثاني، عام خمسة وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

ورأيت بخط بعض الأفاضل: أن وفاته عام خمسة عشر بعد الألف، والظاهر: الأول، ولعله اشتبه عليه بوفاة أحمد السنهوري؛ فإنه قد تقدم أنها في سنة ست عشرة بعد الألف.

ولكن رأيت في «شرح الجوهرة الكبير» للعلامة برهان الدين اللقاني، في آخر سوادة، شرح قوله: «وجائزٌ في حقهم كالأكل» ما نصه: «ولما مات شيخنا العلامة الشيخ سالم السنهوري، في أواسط سنة خمس عشرة بعد الألف، تصدى لإقراء فقه المالكية من لم يتصوره . . . إلخ»، فليتأمل.

ومما يشهد لذلك: ما ذكره الغزي في ذيل طبقات والده الكواكب السائرة في أعلام المئة العاشرة المسمى: «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر».

ونصه: سالم السنهـوري المـالكي، الشيخ الإمام، العالم المحدث، مفتي المالكية بمصر، أخذ عن البنوفري، وغيره، لقيته بمكة المشرفة، بالحرم الشريف، وسألتـه عن مسألة استظلال المحرم، ورأيته محرماً، أشعث الرأس واللحية، وكان ذلك سنة سبع بعد الألف، ومات بمصر، في أحد الجمادين، سنة خمس عشرة بعد الألف، أكبر من ثمانين سنةً ـ رحمه الله تعالى ـ.

ويؤيد ذلك ـ أيضاً ـ: ما ذكره الغزي في الكتاب المذكور، في ترجمة العلامـة أبي بكر بن مسعـود المغربي: أنه قرأ على الشيخ سالم السنهوري، وغيره، ثم ذكر وفاة المترجم المذكور، في سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، وإذا كان كذلك، فكيف يكون وفاة صاحب الترجمة في سنة خمس وعشرين بعد الألف، وهو خطأ بيّن. والله أعلم.

❐❐❐




حَرْفُ ٱلشِّينِ ٱلْمُعْجَمَة

[١٠٣٧] شحاذة بن إبراهيم الحلبي الشافعي المصري.

علامة المعقول والمنقول، وشيخ أهل الفروع والأصول، ووحيد عصره، وعميد مصره، وشيخ الجامع الأزهر، ومشكاة مصباحه الأنور، وليث العلم الذي لا يجارى، وغيث الفضل الذي لا يبارى.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وجد في الاشتغال بالعلم، حتى بلغ الغاية القصوى، وشدت إليه الرحال، وأخذ عنه أكابر الرجال، وأدار عليهم من أبحاثه بسُلاف لفظه الرقيق، ما يقوم مقام الرحيق.

ومن شيوخه: خاتمة الفقهاء الشهاب أحمد الرملي، وخاتمة المحدثين النجم محمد الغيطي، وخاتمة المحققين الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وغيرهم، وعنه أخذ كثير؛ كالشيخ العلامة إبراهيم المأموني، والشهاب أحمد القليوبي، والأديب محمد درويش أبو المعالي الطالوي، وغيرهم.

ولم أقف له على تأليف سوى «رسالة لطيفة قرظ فيها على رسالةٍ في نسب بني طالو» لتلميذه أبي المعالي المذكور ـ رحمهم الله، وضاعف لهم الأجور ـ.

وكانت وفاته يوم الاثنين، حادي عشري جمادى الثانيـ[ـة] بالقاهرة، وقد جاوز الثمانين، سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٠٣٨] شرف الدين بن زين العابدين بن محيي الدين بن ولي الدين ابن جمال الدين بن يوسف، ابن شيخ الإسلام والمسلمين، حجة المناظرين، خاتمة العلماء المحققين، قاضي القضاة، وملاذ العصاة، العارف بالله زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد، الأنصاري السنيكي الشافعي[١].

شيخنا، الشيخ الفاضل، العالم الكامل، المحدث الذي تقصر عن استيفاء أوصافه الأرقام، ولو أن ما في الأرض من شجرةٍ أقلام، سلالة أهل الفضل والعرفان، السالك طريقة سلفه الموصلة لرضا الرحمن.

وُلد بمصر، بعد مغرب ليلة حادي عشر ذي الحجة، سنة ثمان وعشرين وألف، ولازم أباه، وتربى في حجره من صباه، إلى أن بلغ منتهاه، وأخذ عن جماعةٍ من علماء الأزهر، منهم: شيخنا خاتمة المحققين أبو الضياء علي الشبراملسي، إلى أن تقدم في العلم وبرع، وجمع من تحقيقاته وفوائده ما جمع.

وكان كثير الاعتناء بمسندات المشايخ، ومعرفة مواليدهم ووفياتهم، وألف طبقاتٍ ذكر فيها شيوخه، وعلماء عصره، وقفت على بعضها، وكان شيخنا المذكور يحترمه كثيراً من بين طلبته، ويبالغ في تعظيمه وتوقيره؛ لعلو منزلته.

أُقعد قبل موته بسنين، وانقطع في بيته، فكانت الطلبة تأتي إليه، وتقرأ

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٧٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٢٢).

عليه، قرأت عليه ـ نفع الله به ـ في بيته، من كلٍّ من «صحيح البخاري»، ومن «الأدب المفرد» له، ومن «جامع الترمذي»، ومن «سنن أبي داود» طرفاً.

وأجاز لي رواية سائرها، مع بقية الكتب الستة دواوين الإسلام، وغيرها من كتب الحديث والفقه، وغيرها، مما تجوز له روايته، عن والده وغيره، إلى جده شيخ الإسلام، وسنده مذكورٌ في الأسانيد.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ مشهوراً بين الناس بالدين والصلاح، والخير والبركة، ذا حالٍ ومقالٍ، مهاباً مجللاً عند العلماء، مقبول الشفاعة عند أكابر الدولة فمَنْ دونهم، متقشفاً ورعاً ديّناً.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رجب الحرام، سنة اثنتين وتسعين بعد الألف، ودفن بالقرافة الكبرى، بقرب تربة الإمام الشافعي، عند قبر جده شيخ الإسلام زكريا، وبقية آبائه المعروفة ثَمَّ ـ رحم الله الجميع، ونفعنا بهم ـ.

وكانت كتب المترجم كثيرةً؛ بحيث إنه اجتمع عنده كتب جده شيخ الإسلام، ومن بعده من أسلافه، على كثرتها، وأضاف إليها مثلها شراءً واستكتاباً، فكان إذا أتاه أحدٌ بكتابٍ أيِّ كتاب للبيع، لا يخرج من بيته، ولو بزيادةٍ على ثمن مثله، وكان حريصاً على خطوط العلماء، ضنيناً بها.

وأخبرني ـ رحمه الله تعالى ـ: أن عنده من «طبقات السبكي الكبرى» ثمان عشرة نسخةً، وثمانية وعشرين شرحاً على البخاري، وأربعين تفسيراً، إلى غير ذلك، ولما مات ـ رحمه الله تعالى ـ تفرقت كتبه شذر مذر، وكانت تباع بالزنابيل، بعد أن كان ـ رحمه الله ـ يشح بورقةٍ منها.

واتفق أن شيخنا العلامة إبراهيم الكوراني المدني أراد تحصيل رسالةٍ

للحافظ ابن حجر العسقلاني، فيما «علق الشافعي القول به على الصحة»، وكانت موجودةً عنده[1]، فعوّل عليّ لما توجهت إلى مصر في استعارتها منه وكتابتها، فلازمته لأجلها نحو شهرين، وهو يعتذر إليّ، ولم يمكن تحصيلها منه ـ رحمه الله تعالى ـ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

[١٠٣٩] الشيخ ولي الدين أحمد أبو زرعة بن جمال الدين يوسف[2].

توفي الشيخ ولي الدين أحمد أبو زرعة بن جمال الدين يوسف في صفر، سنة خمس عشرة بعد الألف، ودفن في قبرٍ أعده لنفسه، في التربة التي أعدها جده له في حياته، ومولده بين الظهر والعصر، في شوال، سنة أربع وثلاثين وتسع مئة.

[١٠٤٠] شعبان أفندي.

وُلد بقصبة بورلي، من مضافات لواء قسطموني، واشتغل بالعلوم الظاهرة، وكان مريداً للمولى برويز، وسلك الطريقة عند الشيخ علاء الدين القشاقي، وعند الشيخ حكيم جلبي النقشبندي، إلى أن صار مجازاً بالإرشاد.

ثم صار شيخاً بزاوية الشيخ أحمد النقشبندي، المعروف بأمير بخارى بالقسطنطينة، واشتغل بتربية المريدين إلى آخر عمره، وكان شيخاً عالماً، فاضلاً صالحاً معمَّراً، وله معرفةٌ تامةٌ بالفارسية.

توفي في شهر ربيع، سنة ثلاث بعد الألف.

---

(١) في الأصل: عليه.

(٢) جاء في الحاشية: «المتوفى غير هذا»، والملاحظ أن هذه الترجمة في غير موضعها.

[١٠٤١] **شعبان بن علي الشناوي.**

أحد خلفاء سيدي أحمد بن علي الشناوي، وممن ألبسه لباس نفسه، وسماه باسمه، وأجازه بدَوانيه وأقاصيه، وأعاليه وأماليه، ولقنه الذكر، وألبسه الخرقة بجميع طرقها، وجلس بعده للتربية والإفادة، حتى توفي إلى رحمة الله تعالى.

[١٠٤٢] **شعبان الفيومي الأزهري الشافعي**[١].

شيخنا، الإمام العالم العامل، الفقيه الفاضل الكامل، المتضلع من العلوم الشرعية، المراقب في أمور خالق البرية، شيخ الأزهر، الذي نفع الله بعلمه، فما قرأ عليه أحدٌ إلا انتفع به، وحصلت له بركته.

وُلد بالفيوم، سنة خمس عشرة بعد الألف تقريباً، وحفظ بها القرآن، ورحل إلى مصر، وأخذ عمن بها من أكابر العلماء؛ كالشهاب القليوبي، وخضر الشوبري، كان ملازماً لهما سنين عديدة.

وكان ﷺ مستغرقاً أوقاته في الليل والنهار، في إقراء العلم، والتدريس في العلوم النافعة، وكان يقرأ عليه استقلالاً كل يومٍ ما ينيف على مئة طالب، وله في كل يومٍ ثلاثة دروسٍ حافلة: واحدٌ بعد الفجر إلى قريب طلوع الشمس، والثاني بعد الظهر، والثالث بعد العصر، هذا دأبه دائماً، وكان يجتمع فيها من طلبة العلم خلقٌ كثيرٌ.

وكان محافظاً على الجلوس في الجامع الأزهر، لا يخرج منه إلا لحاجة،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٣١).

وكان يستحضر غالب كتب الفقه، المتداولة بين المصريين، وتخرج به كثير من العلمـاء، منهم: العلامة منصور الطوخي، وإبراهيم البرماوي، وشيخنا أحمـد البشبيشي، ومحمـد الشرنبابلي، وعطيـة الشوبري، وغيرهم؛ كأبي السرور الميداني، ومحمد الجندي، وكثير.

وكان قليل الكلام، كثيـر الاحتشام، غيـر مترددٍ إلى أحد من الخاص والعام، معظماً عند العلماء الأعلام، مشهوراً بالورع التام، في غاية الجلالة والاحترام، وكان إذا قرأ القرآن، يكاد يغيب عن حواسه، ويلين القلب القاسي من قراءته ببركة أنفاسه.

وكان من الذين إذا رُؤُوا، ذُكر الله، وإذا مـر في السوق، يمر مسرعاً، مطرق الرأس في جميع أحواله وشؤونه، عليه مهابةٌ ووقارٌ، وكان كثير الدعاء لمن يقرأ عليه، ولا يُسمع منه كلامٌ إلا في تقرير مسائل العلم ـ نفع الله به ـ، وهو من أجلّ شيوخي، الذين انتفعت بهم، وأول من قرأت عليه من الشيوخ، وأخذت عنه العلم بالقاهرة، ويحق أن ينشد فيه قول من قال:

وهواكَ أولُ ما عرفت مـن الهـوى   مـــا الحـــبُّ إلا للحبيـــب الأولِ

فقرأت عليه جميع «شرح الغاية» لابن قاسم، وجميع «شرح التحرير» لشيخ الإسلام زكريا، وطرفاً من «المنهاج»، ومن «شرح الغاية» للخطيب، وجميع «شرح الأجرومية»، و«الأزهرية» للشيخ خالد، وطرفاً من «القطر»، و«شرح الشذور» لابن هشام، ولازمته مدةً مديدةً.

ومن كراماته: أن رجلاً تسلـط عليـه، فكان إذا مـرّ مطرقاً، يحاكيـه، ويمثل بـه، ويطرق رأسه مثله، فأتى إليه ذات يومٍ وهو مطرقٌ، ففعل مثله،

وأطرق رأسه، فلم يقدر على رفعه ولا تحريكه يميناً ولا شمالاً، ثم أتى عليه، واعتذر له، وتاب من ذنبه، فعفا عنه، ودعا له، فعافاه الله تعالى ببركاته.

ومنها: الاستقامة في جميع الأحوال، التي هي أوفى كرامة عند الرجال.

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمصر، في شهر جمادى الأولى، سنة خمس وسبعين بعد الألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[١٠٤٣] شكر الله بن عبد الغفور الساوجي النقشبندي[١].

سلك عند أبيه، وقام مقامه بعد وفاته، وكان شيخاً صالحاً، موصوفاً بالأخلاق الحميدة.

[١٠٤٤] شاهين بن منصور بن عامر الأرمناوي الحنفي[٢].

الشيخ الإمام العلامة، فقيه الحنفية في هذا الزمان، وكنز الدقائق لمن أراد منظومة ابن وهبان، ومجمع البحرين للوارد اللهفان، الذي سارت بفتاواه الركبان، من قاصٍ ودان، وقُبلت عند العلماء الأعيان، واشتهر ذكره في الآفاق في الفقه وغيره من العلوم، فلا يحتاج إلى بيان.

وُلد ببلده ـ كما أخبرني من لفظه ـ سنة ثلاثين بعد الألف، وحفظ القرآن، و«الكنز»، و«الألفية»، و«الشاطبية»، و«الرحبية»، وغيرها، ورحل إلى الجامع الأزهر، فقرأ بالروايات على الشيخ العلامة المقرئ عبد الرحمن اليمني الشافعي.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ستة أسطرٍ بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٢١)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٢٠).

ولازم في الفقه: العلامة أحمد الشوبري الحنفي، وأحمد الرفاعي، وياسين الحمصي، ومحمد المنزلاوي، وعمر الدفري، وشهاب الدين القليوبي، وعبد السلام اللقاني، وإبراهيم المأموني الشافعي، وحسن الشرنبلالي.

وفي العلوم العقلية: شيخ الإسلام محمد الشهير بسيبويه، تلميذ العلامة أحمد بن قاسم العبادي، ولازمه كثيراً، وبشره بأشياء حصلت له، وأخذ عن العلامة سري الدين الدروري، وشيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، ومحمد بن علاء الدين البابلي، وسلطان المزاحي، وكافة علماء الأزهر، وأجازه جلّ شيوخه.

وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، في فنون عديدة؛ كالفقه، والفرائض، والحساب، والنجوم، وغيرها من العلوم، وعنه أخذ جمعٌ من أعيان الأفاضل؛ كالشيخ الفاضل خالي محمد بن حسين الملا، والسيد علي الحنفي، وغيرهما، وحضرت دروسه في الفقه وغيره.

وبيني وبينه من المحبة والمودة ما يفوق الوصف، وكتب إليّ إجازةً حافلةً بمروياته ـ سلمه الله تعالى ـ.

وأخبرني ـ حفظه الله تعالى ـ: أنه دخل على العلامة أحمد الحلبي قاضي مصر إذ ذاك، في طلب وظيفة انحلت، فوقف بين يديه، وعرض مطلوبه لديه، وكان بجنبه رئيس الشهود، الشيخ محمد الطناشي، فسأله القاضي عن محفوظاته، فعرض بعضها عليه، وسأله عن أشياء أشكلت عليه، ففتح الله عليه بالجواب عن كثب، مع كون ذلك في إبان الطلب، ووقوفه بين يديه في غاية الأدب.

فلما تحقق أنه في العلم بمكانَةَ، قال لرئيس الشهود: قم من مكانك، وقف مكانه، فقام، وأجلسه بجنبه، وأمر رئيس الشهود أن يكتب له ما يريد من أرَبه، وقال لـه: قبل يديـه، في مقابلة وقوفه وأنت جالس ومُقدم عليه، فامتثل أمره، ومن ذلك الحين عظم قدره، وعلا ذكره، وصار مقبول الشفاعة عند الحكام، محترماً بين الخاص والعام[1].

[١٠٤٥] شهاب الدين بن عبد الرحمن بن عماد الدين الحنفي الدمشقي، الشهير بالعمادي[2].

مفتي دمشق، مشيد دعائم المجد بعد انصداع شعوبها، وسبّاق الغايات في سؤدد بجمـع أشتاتهـا، بعـد افتراق ضروبها، أشرقت أقمار محاسنه في منازل الطلوع، وعبقت من سجاياه أزهار الشرائع فهي تَضوع، وبزغت شمس فضله في منازل التقرير، وسطعت أنوار بيانه في بروج التحرير.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وأخذ عن والده، وبه تخرج، وأخذ عن كثيرين من العلماء الدمشقيين، وبرع حتى صار منقطع القرين، ورأيته بدمشق، وأنا صغير، وقد تجاوز الستين، وأحالت الأيام سبجه ياسمين.

وهو ذو هيئةٍ ووقارٍ، وله في كل مقامٍ اعتبار، ثم لم يزل لجوانح الأدب فؤاداً، ولإنسان الفضـل والمجـد سواداً، حتى أذوت روضَ فضله عواطفُ الزمان، وانتقل إلى رحمة الملك المنان، سنة سبعين وألف تقريباً بدمشق،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا أربعة أسطرٍ بيضاء».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٣١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٩٤) (٦٧)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٧٨).

لازال فسيحُ لحده مناخاً لقوافل الغفران.

وله من الشعر البديع ما يخجل وشي الربيع؛ كقوله:

خلا ربعُ أُنسي بعدكم فهو مقفرُ وأعوزني حتى البكا والتصبُّرُ
وقد كنتُ عما تشتهي النفس غافلاً فعلّمني حبُّكم كيف أسهرُ
ووالله ربي ما تغيرتُ بعدكم وإن رابكم جسمانيَ المتغيرُ
عدمتُ اختياري والحوادثُ جمةٌ وهل بيد الإنسان ما يتخيَّرُ
ذكرتُكمُ والعين تهمي دموعُها وأيُّ دموع لم يهجْها التذكُّرُ
وليستْ كما ظن الغبيُّ مدامعاً ولكنها نفسٌ تذوبُ فتقطرُ
لعلَّ ليالٍ سامحتني بقربِكم تُعاد فتنهى بالبعاد وتأمرُ
هنالك أجزي الدهر أحسن فعله وأصفح عن ذنب الليالي وأغفر
بكم روضت داري وعزَّتْ وأشرقتْ فأنتم لها بحرٌ وبدرٌ وقَسْوَرُ
بحيثُ التصابي كان سهلاً جنابُه بكم وشبابي أبيضُ العيشِ أخضرُ
وطيبُ نعيم كان في ظل جنةٍ بكل نعيم قستُه فهو أكبرُ
وكلُّ رخيم الدلِّ طوعُ تصرفي غزالٌ سقيمُ الطرف أَوْطَفُ أحورُ
هلالٌ على غصنٍ من البان طالعٌ يُتِمُّ لنا في كل وقتٍ ويُبدِرُ
ويعطو كما يعطو لنا متشوفاً إذا ريعَ من أعلى الثنية جُؤذرُ
وتلك الكؤوسُ الدائرات كأنها نجومٌ على أيدي ندامى تُزهرُ
نباكرُها نبغي لذاذاتِ شربِها وهل فاز باللذات إلا مبكِّرُ
شموساً قبضنا من جبال سواعِها على الكفِّ ما يُغني وينفي التحسرُ

وركض جياد اللهو في الحلبة التي بميـدانها تـردى الجيـاد وتحـضرُ
يـبلِّغكم منـي الـسلامَ إذا سـرى بهـا سَـحَراً ذاك النـسيمُ المُعَنبـرُ
مـسارحُ غـزلانٍ وأسـدُ ضـراغمٍ رعى في رباها صحبةَ الظبي قَسْوَرُ
وبالبقعـة الغنـاء مـن سـفح جِلّـقٍ هضابٌ كسا هاماتها العجب قيصرُ
وأضحى الحيا فيها وقد أوثر الثرى يُـدَرْهِمُ مـن أزهارهـا ويُـدَنِّرُ
إذا بكت الأرضَ السماءُ تضاحكت ثغـورٌ جلاهـا الأقحـوان المنـوَّرُ
كأنَّ بقايا المزن أعـشارُ مـصحفٍ مذهبـةٌ والأغـصنُ الهِيـفُ أسـطُرُ
هو الحظ حتـى فـي البقـاع مـؤثِّرٌ فمنهـا شـحيحٌ حظُّـه ومـوفَّرُ
وقد كنتُ لا أرتابُ والليـلُ مظلـمٌ فـذلك ذنـبٌ لـيس عنـه مكفِّـرُ
متى وردت جدوى الأمير بنا المنى شـربنا ببحـرٍ صـفوهُ لا يكـدَّرُ
هو السيد المِفضالُ والعالِم الـذي حديثُ الندى فـي راحتيـه مفسَّرُ
هو البحـر مـن أيِّ النـواحي أتيتـه له الكرمُ المدُّ الـذي لـيس يجـزرُ
بفـيضِ نـدًى عـمَّ الأنـامَ نوالُـه تساوى الـورى فيـه مقـلٌّ ومُكثِـرُ
سحابٌ إلى النَّائي البعيد وصَيِّـبٌ ودرٌّ إلى الـداني القريـب وجـوهرُ
نشا غُصُناً في دوحة المجد باسـقاً يُحييك بالأزهـار مـن قبـل تزهـرُ
لـه مـن أنيـق الزهـر خلْـقٌ منـورٌ وخلقٌ مضيءٌ أبيضُ اللـون أزهـرُ
كثيرُ سخاءِ الكفِّ تحـسب حـسنه تفجـر فيهـا مـن عطايـاه كـوثرُ
ومن نعمة قد أودعت قلبَ حاسدٍ تفوح كما يـستودع العـودَ مجمـرُ
وإن جدّ أمضى في الأمور عزيمـة يحيض دماً منها الحـسامُ المـذكَّرُ

يدبر أمر الجيش منه ابنُ حرةٍ بصيرٌ بتدبير الأمور مدبِّرُ
حسامٌ له من حِلْيةِ الفضل جوهرٌ يروق كما راق الحسامُ المُجَوْهَرُ
وإن زارت الخيلُ السوابقُ خيلَه أتى الطيرُ من قبل اللقاء يبشِّرُ
تفديه . . .[1] الصوافن ضُمَّراً عليها أسودٌ من بني الحرب ضُمَّرُ
خلفْتَ علياً يا ابنَهُ في خلائقٍ تَساوى بها فرعٌ زكيٌّ وعنصُرُ

[١٠٤٦] شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس ﷺ[2].

الشهم الذي جمع أشتات المعالي، فلم يترك شيئاً ولا يدع، الهمام الذي ما تناهيت في وصفي مناقبَه، إلا وأكثرُ مما قلت ما أَدَع، البطل في العلوم، الذي لا يشق له غبار، والفارس في المعارف، الذي لا يجري معه غيره في مضمار، المحدث الصوفي، الفقيه العاقل، الذي لا يقوم الحكماء بما جمع فيه، المتسع في تعليق فنون العلوم، المجتمع بالشاسع من المنطوق والمفهوم، والنزهة الذي يزيل همَّ كلِّ مهموم.

وُلد سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة بمدينة تريم، ونشأ في سوحها العظيم، وحفظ القرآن العظيم، وغيره، واشتغل على والده، وجمع بين طارف المجد وتالده، وأخذ عنه علوماً كثيرةً، ظهرت عليه بركاتها المنيرة، وألبسه الخرقة الشريفة، وحصل له منه نظراتٌ منيفةٌ، وتفقه بالفقيه فضل بن عبد الرحمن

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٥٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢١٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٣٥).

بافضل، والشيخ زين بن حسين بافضل، وأخـذ عن شيـخ الإسلام القاضي عبد الرحمن بن شهاب الدين، وغيرهم.

ورحل إلى الشحر، واليمن، والحرمين، سنة ست عشرة وألف، وأخذ عن الشيخ الشهير محمد الطيار، وكان ذا مذاكراتٍ ومناظراتٍ ومفاكهـاتٍ، تجلُّ عن أن تحيط بها العبارات، أو تكفيها الإشارات، وأخذ عن الشيخ الكامل العراقي، صاحب أكمة سعيف، وهي قريةٌ قريبةٌ من الجنَد، وحج في السنة المذكورة، وأخذ بالحرمين عن جماعةٍ كثيرين، وأخذ في رجوعه من الحجاز عن السيد العارف بالله عبدالله بن علي صاحب الوهط، والسيد الإمام أحمد بن عمر العيدروس بعدن، والشيخ عبد المانع.

وألبسه خرقـة التصوف أكثرُ مشايخه، وألبسه والدهُ مراراً عديدةً، في مجالس مختلفة، من جميع مناهجه وجهات طرقه، وسلاسل سنده، ونسبة صحبته إلى جميع السادة المشهورة: المدينية، والقادرية، والشاذلية، والجبرتية، والسهروردية، والرفاعية، والكازرونية، والأهدلية آخرها، آخر شعبان، سنة ثمان عشرة، بعد رجوع صاحب الترجمة من الحج، وكانت آخر خرقة له، لم يُلبس أحداً بعدها؛ لأنه اشتغل بعد ذلك بنحو شهرين.

وأخـذ باليمن عن كثيرين، منهم: الشيخ أحمد الحشيبري باب، والسيد جعفـر بن رفيـع الدين، والشيخ موسى بن جعفر الكشميري، والسيـد علي الأهدل، وسمع خلقاً كثيراً، وصحب جماً غفيراً، وجد في الاشتغال، ولم يشغلـه عن ذلك حال، حتى صار في جميع العلوم حبراً، وفي فنون الأدب بحراً، ولازم التقوى والعبادة، وسلك سبيل العارفين من السادة.

ثم رحل إلى الديار الهندية، وكانت ـ إذا ذاك ـ غضةً بهيةً، فدخلها سنة

حسن الحسيني، وأخذ عن الشيخ عبد القادر بن شيخ، وكان يحبه ويثني عليه ويشير بشرفه، وأشار إليه بشرفه، وألبسه الخرقة الشريفة، وحكمه وأذن له في الإلباس والتحكيم، وكتب له إجازة مطلقة في جميع أحكام التحكيم وأذن له إذناً مطلقاً، وأجازه في جميع مؤلفاته ومروياته، والظاهر أنه جمع بينه وبين الشيخ محمد العيدروس ببندر سورت، وأخذ عنه.

ثم قصد الدكن الإقليم الأشهر، واجتمع بأعظم الوزراء الملك عنبر، وبسلطنة برهان نظام شاه، وحصل له عندهما أعلى منزلة، وأكرم لديهما نزله، ولقي جماعة من الأئمة، وحصل علوماً جمة، ونصّب نفسه لنفع الخاص والعام، وحصل به النفع العام لكل الأنام، ثم سعى بالنميمة الواشون، والله يعلم ما تُكِنُّ صدورهم وما يُعلنون، فسعوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، وجرت أمورٌ لا حاجة بنا إلى ذكرها، فالأَوْلى عدمٌ نشرها، فلما حصل ما حصل، فارقهم صاحب الترجمة وانفصل.

وقصد السلطان إبراهيم عادل شاه، وكان يحب لقاءه ويتمناه، فتلقاه بالإجلال التام، والتعظيم والإكرام، وحصل له من التحية والوداد، ما لم يحصل لابن أبي دُؤاد، وتبجّح السلطان بمجيئه إليه، وأكثر الشكر لله والثناء عليه، وعظم أمره في بلاده، وانقادت له الأكابر على مراده.

وأخذ عنه السلطان شيئاً من علم الأدب، وأمره بأن يلبس لباس العرب، فكان يَلبسه في الأغلب، وهناك همى غيث فضله وانسجم، ودانت له علماء الهند والعجم، وصار لتلك الديار سراجاً وهاجاً، ووضعه السلطان على رأسه تاجاً، وضحكت له دولة تلك الديار، واستنارت شموس إرادته في الليل والنهار.

وحصّل كتباً نفيسةً كثيرةً، من الكتب الشهيرة، واجتمع له من الأموال ما لا يخطر على بال، وكان عزم أن يعمر في حضرموت عمارةً عاليةً، ويغرس حدائق زاهيةً، وعيّن عدة أوقاف، تصرف على السادة الأشراف، ولكن لم يمكنه الزمان، ولا ساعده الدهر، بل غرقت تلك الأموال في البحر، وحصل له ثواب ما نوى، وإنما لكل امرئ ما نوى.

وكان له خلقٌ يهزأ عَرْفُه بالعنبر الأشهب، ويسحر وصفه بالعبهر إذا هبّ، وكان إذا بلغه أن أحداً تكلم عليه، أرسل له بهديةٍ، واعتذر إليه، وله في ذلك وقائع شهيرة، وقضايا كثيرة، وكانت ينابيع السماح تتفجر من نواله، ويضحك ربيع الإفضال من بكاء عيون أمواله، ومدحه الشعراء، وقصده الأدباء، وكان منزله مأوى لمن قصد وأمّ، وصِلاته عامةٌ للعرب والعجم.

ولم يشغله القيام بحوائج المسلمين، وصحبة الملوك والسلاطين، عن الاشتغال بعلوم الدين، بل كان يدرس في العلوم الشرعية، والفنون العربية، وعلم الصوفية، وكانت له يدٌ طولى في تربية المريدين، وتسليك الطالبين، فكم أوصل مريداً إلى الغاية القصوى، وكم بلّغ تلميذاً ما أحبَّ من طريق العمل بالتقوى!.

وصحبه جمٌّ غفيرٌ، وتخرج به جمعٌ كثيرٌ، ولبس منه الخرقة الشريفة جماعةٌ كثيرون، بل خلائق لا يحصون، وصنف عدة كتب، منها في الخرقة الشريفة سماه: «السلسلة»، وهو غريب الأسلوب، جمع فيه جميع المطلوب، ولكنها لم تكن على قدر ما حواه من العلوم الجمة، وما عنده من الأسرار المهمة، وممن ثم لم ينتشر، وبين أصحابه لم يشتهر.

وله كراماتٌ كثيرةٌ، ومقاماتٌ شهيرةٌ:

منها: أنه دعا لجماعةٍ بمطالب نالوها، منهم: صاحبنا المشهور بحبش خان؛ فإنه لما دخل إلى الهند، كان نحيفاً بلياً، ودخل على صاحب الترجمة، فقرأ له قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾[البقرة: ٢٤٧]، فبلغ من العلم ما هو مشاهدٌ، ومن الجسم ما لم يعهد.

ومنها: أنه لما اجتمع بالسلطان عادل شاه، وجده لا يستطيع الجلوس، وكان إصابته في مقعدته جراحةٌ منعته الراحة، وحرمت عليه الاستراحة، وعجزت في علاجه حذاق الأطباء، وتحيرت فيها عقول الألباء، وسببها: أن السيد الجليل علي بن علوي الحداد باعلوي، دعا عليه بجرحٍ لا يبرأ، فأمره صاحب الترجمة أن يجلس مستوياً، فجلس من حينئذٍ، وبرئ منها.

ومنها: أن السلطان إبراهيم المذكور، كان مائلاً عن الاعتدال، قائلاً بقول أهل الرفض والاعتزال، فلم يزل به صاحب الترجمة، إلى أن أدخله في عداد أهل السنة والجماعة، وصيره من أهل الاستقامة والطاعة، وأظهر في دولته شعار الإسلام، ونشر أعلام شريعة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ولم يزل متبوئاً تلك البلاد، محمود الإصدار والإيراد، إلى أن انتقل السلطان إبراهيم إلى دار المعاد، وارتحل صاحب الترجمة إلى دولة آباد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وكان بها يومئذ الوزير الأعظم فتح خان بن الملك عنبر، فقام به أتم قيام، ونال عنده أسنى المراتب العظام، واستمر بها إلى أن وافاه حِمامه، وترنم على أفنان الجنان حَمامه، فتوفي سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بالروضة المعمورة، بقرب دولة آباد، وقبره ظاهرٌ يزار ـ رحمه الله تعالى رحمة الأبرار ـ.

[١٠٤٧] شمس الدين بن عز الدين القاضي.

كان من أهل العلم والفضل، ولي القضاء في جهة لاعة، في زمن الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وقبله، ومات سنة ثلاث وخمسين بعد الألف.

❐❐❐




حَرْفُ ٱلصَّادِ ٱلمُهْمَلَة

[١٠٤٨] صالح بن قمر الحلبي[1].

أديبٌ فاضلٌ، وأريبٌ كاملٌ، وألمعيٌّ شاعرٌ، ولوذعيٌّ ناثرٌ، جمع بين رقة الطبع والصلاح، لابساً ثوب القناعة، وثوبُ الكبر عنه مزاح، محترفاً بكتابة الأسفار، متخلقاً بأخلاق الأخيار، مقيماً بأعتاب الذل والافتقار، قانعاً بقليل من الحُطام، لم يبذل ماء وجهه لأحد من الأنام، راضياً بقسمة مولاه، لا يعوِّل على أحد سواه.

صارفاً أكثر أوقاته في طاعة ربه، آمناً بصدق توكله عليه على نفسه وسِرْبه، باذلاً نفسه في المجاهدات، منكباً غالب أوقاته على العبادات.

وله من النظم البديع، ما يخجل لرقته خد الربيع، **فمنه قوله**:

يا مقلةَ الحِبِّ مهلاً ... فقد أخذتِ بثارِكْ
وأنت يا وجنتيه ... لا تُحرقيني بنارِكْ
فقد كفاني لهيبٌ ... أصابني من شَرارِكْ

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦٣٥) (١٣٢)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٧٩) (١٠٠٦).

هيهـــاتَ أنجـــو ســـليماً — وخــــطُّ لامِ عـــــذارِكْ
كـــالآسِ يحمـــى لـــور — د الخـــدود مـــع جُلَّنـــارِكْ
وخالُـــك الخـــال غـــالٍ — لوقعـــه فـــي نـــضارِكْ
وثغـــرُكِ العـــذبُ فيـــه — لنـــا غِنًـــى عـــن عُقـــارِكْ
وصـــاغ لفظُـــك دراً — مـــن نطـــق كنـــز بحـــارِكْ
وقـــدُّكِ الغـــصنُ لكـــن — لا يُجتنـــى مـــن ثمـــارِكْ
أنـــتَ الـــذي مـــا رأينـــا — فـــي حـــسنه مـــن يـــشارِكْ
فـــارفقْ بـــصبٍّ عليـــلٍ — أفنـــاه بعـــدُ مـــزارِكْ
إلـــى متـــى تتركنـــي — أرعـــى نجـــومَ انتظـــارِكْ
وكـــم علـــى ليـــل ضـــعفي — تـــسطو بحـــورُ نهـــارِكْ
إن كـــان يرضـــيكِ قتلـــي — عمـــداً بحـــسن اختيـــارِكْ
فـــذاك صَـــبٌّ عميـــدٌ — فـــي ســـاحة الـــذل بـــارِكْ
ولـــم يـــزلْ فـــي التـــصابي — بالـــصبر فيـــكِ يُعـــارِكْ
عـــسى يلـــوح صـــباحُ الـــرِّ — ضـــا لـــه مـــن ديـــارِكْ
وتـــشمل الـــصبَّ قربـــاً — مـــن بعـــد طـــول ازْوِرارِكْ
فجـــدْ وســـامحْ وواصـــلْ — واعطـــفْ وعجِّـــلْ ودارِكْ

[١٠٤٩] صالح الحلبي [الطبيب] الحنفي(١).

رئيس الأطباء بالقسطنطينية، الحبر الكبير، والكامل النحرير، وثاني

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٤٠).

الرئيس، والجوهـر الفرد النفيس، سيـد الأطباء والحكماء، وواحد الظرفاء والندماء، أظهر في فنون الطب كل معنًى غريب، ورتبها بمقدماتِ حسِّه كلَّ تركيب عجيب، فأنتج استخراج الأمراض من أوكارها، وكان كل طبيبٍ يعجز عن إظهارها، كان للطفه إذا جس نبضاً، يعطيه روح الأرواح، ويفعل لرقته في النفوس ما لا تفعلـه الراح، شـاع ذكـره في الآفاق، ووقع على كمال فضله الاتفاق.

وُلد بحلب، وبها نشأ، وأخذ عن شيوخها، واشتغل بالعلوم العقلية، وجدّ في تحصيلها في الليل والنهار، وقطف من يانع رطبها جنيَّ الثمار، وكان أجلٍّ معلوماته: الطبُّ والعقليات، وألطـفِ مجالسه: الأدب والخمريات، وكان حسن الصوت، طيب المغنى، لم يشبب بذكر زينب ولا لبنى.

صرف أكثر أوقاته في اجتناء الأفراح، ومسالمة أبناء الوقت، واجتلاء شموس الأقداح، مغرماً بكل طرفٍ ساحرٍ، ومقتنصاً لكل ريمٍ نافرٍ، ممن زاد جماله، وأقمر هلاله، واستوفى وصف العصر[1]، وترقرق في وجهه الحسن.

ثم تولى مشيخة الأطباء بحلب، ولـم يزل على تلك الحال، حتى طلع نجم سعده من أوج الإقبال، وتوجه تلقاء قسطنطينية الروم، وحط بها رحاله، وبلغ فيها آماله، فاتصل بخدمة السلطان محمد بن إبراهيم خان، وصار عنده رئيس الأطباء، ومن جملة خواص الألباء، ومن هنا يكل لسان القلم عن وصف مجده، ولا يمكنه الوصول إلى منتهاه.

وكان يحضر دروس شيخ الإسلام يحيى المنقاري في «تفسير القاضي»،

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: الغصن.

ويورد عليه ما له من المناقشات مع المُحَشين، فيعجز عن جوابها كل الحاضرين، ثم يجيب نفسه بأحسن جواب، ويزيل عن مخدَّرات فهمه النقاب، وذكاؤه في الروم لا ينكر، وهو في الفضل عندهم أشهر من أن يذكر، وله مصنفٌ في الطب، سماه: «برء ساعة».

وكانت وفاته بالقسطنطينية، في نيف وثمانين بعد الألف.

وشعره رقيقٌ، أكثره في الراح، ومنه قوله:

سقانيَ من أهوى كلونِ خُدوده مُداماً ترى منه القلوب مذاعا
ومُذْ شَبَّبَ الإبريقُ في كأسِ حانِنا وقامتْ دراويشُ الحَباب سَماعا

[١٠٥٠] صالح بن زين العابدين الموصلي الشافعي.

كان إماماً عالماً عاملاً، متبحراً في الفقه والحديث، والتفسير والأصول والعربية، وغيرها، ملازماً لإقراء العلوم، متعففاً عن الناس، وعن الدخول إلى الحكام، أخذ عن شيخنا محمود مفتي الموصل، وتوفي سنة ثمان وثمانين، وجاء تأريخ وفاته: (جنات خلد).

[١٠٥١] السيد صالح بن عبدالله بن علي بن داود بن القاسم بن إبراهيم ابن القاسم بن إبراهيم ابن الأمير محمد ذي الشرفين، المعروف بابن مُغَل القاسمي[١].

كان إماماً محققاً، وعابداً متألهاً، له عناية بالخير على أنواعه.

مولده في رجب سنة تسع مئة وستين، ومات في يوم الثلاثاء، تاسع

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٤٩٨) (٢٩٤).

رجب، سنة ثمان وأربعين وألف، عن ثمان وثمانين سنة بشهارة، وقبره عند قبر جده ذي الشرفين متصلاً من جهة الشرق بقبر ذي الشرفين.

وكان هو المتولي للكتابة للإمام القاسم، وله منزلةٌ عليةٌ عنده، وحظي بصحبة الإمام الناصر، وكان في زمن المؤيد محمد بن القاسم واحدَ الكفاة، وكان يقول الشعر ويُحسنه، وإذا عرض عليه الشعر الفائق، اهتزّ له، وكان كثير التمثل بقول بعضهم:

لما عدمتُ وسيلةً ألقى بها ... ربِّي تَقي نفسي أَليمَ عذابِها
صَيَّرتُ رحمتَه إليه وسيلةً ... وكفى بها وكفى بها وكفى بها

ومن شعره قوله:

ضاع الوفاءُ وضاعت بعدَه الهِمَمْ ... والدينُ ضاع وضاع المجد والكرمُ
والجورُ في الناس لا تخفى معالمُه ... والعدلُ من دونه الأستارُ والظُّلَمُ
وكلُّ من تابعَ الشيطانَ محتَرمٌ ... وكلُّ من عبدَ الرحمنَ مهتضَمُ
وليس تلقى بهذي الدار مؤتَمناً ... في نصحه لك إلا وهو مُتَّهَمُ
آذانُهم لسماع الفحش واعيةٌ ... وعن سماع الذي يُنجي بها صممُ
يشاهدون ضلالاتٍ بأعينهم ... وإن تجلَّى لهم وجهُ الصواب عَمُوا
الغدرُ والمكرُ والأضغانُ طبعُهُمُ ... والزورُ والبغيُ والبهتانُ نُطقهمُ
والزيرُ والطارُ والداناتُ دَيْدَنُهم ... كذلك الرقصُ والتصفيقُ والنغمُ
أحكامُهم في أمور الدين تتبعُها ... أراؤهم وكتابُ الله بينهمُ
كأن آلَ رسولِ الله عندَهم ... لم يفرض الله في القرآن وُدَّهُمُ

لا يعرفون لهم حقّاً بلى عرفوا ... لكنهم تركوا الحقَّ الذي عرفوا[1]
إذا دعاهم إمامٌ الحقِّ ما سمعوا ... وإن أجابوا فلا سعيٌ ولا قدمُ
إن صالحوا نقضوا أو عاهدوا نكثوا ... على الحقيقة لا عهدٌ ولا ذِمَمُ
لو اهتدوا تابعوا السفن النجاة أولي الـ ... أمر الذي هم للناس معتصَمُ
لكنهم قلدوا الأهوا فما سلموا ... واستدرجَتْهم على هذا نفوسُهُمُ
لذاك ذلت جميعُ العرب وانخدعتْ ... واستحكمت فيهمُ الأوغاد والعجمُ
وصيرتهم سَواماً لا رُعاة لهم ... والراعي إن غاب يوماً ضاعتِ الغنمُ
وقد روي أن تسليطَ الأعاجم لا ... يأتي على العُرب إلا من فسادِهِمُ
أشكو إلى الله من هذا وأسأله ... التوفيقَ للرشد فهو الحاكِمُ الحَكَمُ
يا أيها الناسُ خافوا الله واتَّبِعوا ... مرضاتَه وأنيبوا لا أبا لكمُ
لعل أفراجه تأتي إذا صلحت ... نياتُكم وأزحتمْ ما يَشينُكُمُ
ولُذْتُمُ بالذي نرجو بأن له ... عنايةً بسناها تهتدي الأممُ
الأروعُ الماجدُ الميمونُ جانبهُ ... الكَيّسُ الفطنُ العلامةُ العَلَمُ
مؤيَّدُ الرأي من أبناء حَيْدَرةٍ ... ماضي العزائم ما في بأسه سأمُ
سهلُ الفضائلِ محمودُ الشمائلِ ما ... مونُ الغوائلِ من يُشفى به الألمُ
إنا لنأمُلُ أن يحيا الزمان به ... ويشرقَ الحقُّ والإسلامُ يبتسمُ
وتمتلي الأرضُ عدلاً بعد ما مُلئت ... جَوراً وأحوالُ هذي الناس تنتظمُ
فقد رأيناه أهلاً للزعامة والـ ... ـبرهانُ فيها جليٌّ ليس ينكتمُ

---

(١) في النص: «عرفوا»، ولعل الصواب: «علموا»؛ لتستقيم القافية.

وما بقى شخصُه فـالجرحُ منـدمِلٌ | والكـسر منجبـرٌ والـصدع ملتـئمُ
وكـلُّ آلِ رسـولِ الله قـد علمـوا | بأنـه الغيـثُ إمـا أَصْـحَتِ الـدِيَمُ
وأنــه نــورُ هــدًى يُستــضاء بــه | وأنــه فــيهمُ الصمـصامةُ الحـدمُ
يا سيدي يـا أميـر المـؤمنين ويـا | مَنْ شـأنُ همته تـدنو لهـا الهمـمُ
كيف البقاءُ وأهلُ البغي فـي دَعَـةٍ | ونارُ جورهمُ في الأرض تـضطرمُ
ألـيس ذكـرُكمُ أوهـى قواعـدَهُم | فبعــدَ عــزمكمُ لا شــكَّ تنهــدمُ
فاصـدعْ بـأمرك إن الهـمَّ منفـرجٌ | على يديك وجُـلُّ الجـور منـصرمُ
وآيـةُ الفـتح قـد لاحـت علامتُهـا | والناصـرُ اللهُ لا الأجنـادُ والخـدمُ
وثقْ بربـك فـي كـلِّ الأمـور كمـا | أَمَّلْــت منــه تعــالى فهــو منبــرمُ
ولا تصدَّنَّكَ عـن عـزمٍ مكـارهُهم | فإنــه يتلاشــى ثــم ينهــدمُ
وصاحبُ الحقِّ غلاّب وإن كثرتْ | أعداؤه فهـي عنـد الـصدق تنهـزمُ
قد كـان يـومَ بـدرٍ مـا علمـت بـه | وأيّــد الله مَــنْ بــالحقِّ يلتــزمُ
وخيّب اللهُ أهلَ الكفـر وانهزمـتْ | طوائفُ الشرك وانشقّت جموعُهُمُ
هـذا وأنفـعُ مـا لازمـتَ صـحبتَه | بعد التقى النصحُ ثم الحزمُ يلتـزمُ
والعـزمُ إن كـان إمكـانٌ ومقـدرةٌ | والصفحُ إن لاح مِمَّن[1] قد أسا ندمُ

ولما توفي رثاه القاضي أحمد بن سعد الدين:

أَجِـدَّكَ مـات العابـدُ المتهجِّـدُ | ومن فيـه للخيـرات والبـرِّ مقـصَدُ

---

(١) في الأصل: من، والصواب ما أثبت.

ومن كان ذا قلبٍ سليمٍ مطهَّرٍ ووجهٍ نقيٍّ نورُه يتصعَّدُ
إذا ما ادلهمَّ الليل واحلولك الدجى سمعتَ دَويَّ النحل منهُ يرَدَّدُ
يراوحُ ما بين الجبين وجبهةٍ ويتلو مثاني ربِّه وهو يسجدُ
ويُقسم وهو البَرُّ بالله ربِّهِ لشيبةِ حمدٍ لا يزال يُحَمَّدُ
وقد قبضَتْها كفُّه من يمينه على ثقةٍ من ربه لا يفنَّدُ
لئن أنا لم أنقذْكِ من حرِّ نارِه وما فيه للعاصينَ منه توعُّدُ
لقد ضلَّ سعيي والمعاذُ بربِّنا وليس إذنْ جدي النبيُّ محمدُ

قلت: لمح ـ رحمه الله ـ إلى ما كان يقبض على لحيته، وهي بيضاء نقية، ويقول: والله يا هذه! لأبالغنَّ في نجاتك من النار، وإلا، فلست من ولد النبي ﷺ.

رجعٌ إلى المرثية:

بقيةُ آل المصطفى ووصيُّه وشيخُهم العلامة المتفرِّدُ
وحافظُ آثارِ الأئمةِ والهدى وكُتُبِهِمُ والدرسُ فيهنَّ يشهدُ
خطيبهُم الوعَّاظُ غير منازَعٍ ومفتيهم بالحقِّ يَهدي ويُرشدُ
فدين دعاة الحق حافظ حقهم وعهدهم والحقُّ بالحقِّ يُعضدُ
نعم جاء أمرُ الله جلَّ جلالُه وليس لنا عمَّا قضى الله مسندُ
فسمعاً وطوعاً ربَّنا ووليّنا ونحن لك اللهمَّ ذا العرش أعبدُ
ومرجعُنا طراً إليك وحَسْبُنا ثوابك ذو نرجو وإياك نعبدُ
قضيتَ علينا الموتَ حتماً وإنما قضيتَ رضًى يا بَرُّ يا متحمَّدُ

وهي طويلةٌ، وختامها:

وما عند رب العرش خيرٌ وما قضى رضينا بـه فهـو الحكيـمُ المؤَحـدُ
ونـسأله صـدرَ الكـلام ووسـطَه وآخَـره مـا دام طـودٌ موطَّـدُ
دوامَ صـلاةِ الله ثـم سـلامه لمن في مقام الحمد يدعو ويحمَدُ
وعترتـه كيمـا يجيـبَ دعاءنـا فإنا إلى الرحمن نسعى ونَحْفِدُ
وأزكى سلامِ الله يبلـغ صـالحاً ورحمتـهُ تتـرى لـه وتـردَّدُ

[١٠٥٢] صالح بن المهدي المقبلي الكوكباني(١).

نزيل مكة، طودُ علمٍ راسخ، وأميرُ معارفَ تسير أمراءُ المعارف تحت علمه الشامخ، قرأ ببلاده على أفاضل عصره؛ كالسيد العلامة محمد بن إبراهيم، وبه تخرج، وأخذ عن القاضي الحسن بن أحمد الحَيْمي، وكثير، ثم لازم دروس الإمام المتوكل على الله إسماعيل، واشتهر ذكره بين الفضلاء، إلى أن نُسبت إليه أبيات، وهي:

قَـبَحَ الإلـهُ مفرِّقًـا بـين القرابـة والصحابهْ
مـن كـان ذلـك دينَـه فهـو السفيهُ بـلا استرابهْ
الجمـعُ بـين ولائهـم يـا طالبًـا عـينَ الإصابهْ
مـا إن قرنـتَ بـه الدعا إلاَّ توقعـتَ الإجابـهْ
إن كـان ذا فـي عصرنا متجـاوزًا حـدَّ الغرابـهْ

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٧٨١) (٢٥٠)، «البدر الطالع» (١/ ٢٨٨)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٢٣٢)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٩٧).

وقام عليه بعض غلاة الزيدية، وأوغروا صدر الإمام المتوكل على الله عليه، فكان ذلك سبب مهاجرتـه إلى حرم الله، معتزلاً للأوطان والأوطار، ورغب في جوار الله، ولا بدع لجار الله إذا اعتزل وسار، وأقام بمكة على خير وفي خير، مقبلاً على شأنه، وسكن بجبل أبي قبيس مدةً.

وكان ملازماً لإقراء العلم ودرسه، وبيني وبينه مودةٌ أكيـدةٌ، وصار له بمكة منزلة علية عند ملوكها الأشراف الحسنيين، وله «حاشيةٌ على الكشاف»، و«الأبحاث المبددة في فنون متعددة»، ومؤلفٌ سماه: «العلم الشامخ في منع تقليد الآباء والمشايخ»، و«حاشيةٌ عليه» أخذه من كتاب «إيثار الحق» للسيد محمد بن عبدالله الوزير ـ رحمه الله ـ، وتتبع شيخنا السيـد العلامـة محمـد البرزنجي كتابه هذا، ورد عليه كثيراً منه، ووقف على رد شيخنا عليه، فتعب كثيراً، ولم يستطع الجواب.

[١٠٥٣] القاضي صالح بن داود الأنسي اليمني الصنعاني(١).

كان هذا القاضي من العلماء الزهاد، والسراة الأمجـاد، قـد آثر الدار الباقية، على هذه الدار الفانيـة، وأنس بالله، واستوحش مما سواه، ورضي بسخط العبيد، بجنب رضا مولاه، قد أمسك لسانه عن القيل والقال، وتسربل بلباس الخوف والخشية، الذي هو أحسن سربال، فقلما تراه يجتمع بالناس، في غير مجلس التدريس، أو يكون له بعده إلمام وتعريس.

وكان لـه همةٌ عاليةٌ في تحصيل العلم، وقدرةٌ على الكتابـة مع الضبط، كتب جملةً وافرةً بخطـه، ورحل لطلب العلم إلى صعـدة وغيـرهـا، ولقي

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٤٩٧) (٢٩٣)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٩١).

المشايخ الكبار؛ كالسيد محمد المفتي، ومن عاصره، وبرز في جميع الفنون، وعلق واستدرك.

وله «حاشيةٌ مفيدةٌ على الكشاف»، و«شرح عقيدة المتوكل»، و«شرحٌ على مرقاة الوصول» للإمام القاسم.

وكانت وفاته في سنة مئة وألف تقريباً، وكان له ولدٌ يسمى: يحيى، كان قد برع في فنونٍ عديدةٍ، وتصدر للتدريس، توفي بعد والده بنحو سنة، وهو في سن الشبيبة ـ رحمه الله ـ.

[١٠٥٤] صالح بن شهاب الدين أحمد البلقيني الشافعي(١).

الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، علم الأئمة الأعلام، حبر علماء الأمة، وبحر العلوم والأفهام، والعارف بالله تعالى بلا نزاع ولا كلام، خاتمة الأئمة المحققين، عين إنسان الأجلاء المعتبرين، منبع الفضل الذي لا تفي بترجمته العبارة، والمفرد الذي لا نظير له في التعبير بلسان الإشارة، قدوة المنتسبين إلى سلسلة الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ عن والده، وتمتع منه بطريفه وتالده، وقرأ بالأزهر على أكابر الشيوخ؛ كالشمس محمد الرملي، والخطيب الشربيني، وكان مقيماً بسطح الجامع الأزهر، وتقصده الناس بالفتاوى، وتأتيه للزيارة الكبراء والوزراء، ولا يعبأ ولا يكترث بهم، وكان صاحب أحوالٍ عجيبةٍ، وكراماتٍ غريبةٍ.

أخذ عن جمعٍ من أكابر العلماء، منهم: شيخ الإسلام إبراهيم اللقاني،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٣٧).

والفهامة أحمد الغنيمي، وعلي الحلبي، وسلطان المزاحي، ومحمد بن علاء الدين البابلي، وغيرهم.

وكانت **وفاته** سنة خمس وعشرين وألف، يوم الأربعاء، خامس وعشري ربيع الثاني بمصر، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، في مشهدٍ عظيمٍ، ودفن بتربة المجاورين ـ نفعنا الله به ـ، وعمره نحو ثمانين سنة.

ورأيت بخط تلميذه الشيخ أحمد الغنيمي ما نصه: وقد كان شيخنا هذا العلامة صالح البلقيني، مفرد زمانه، علماً وديناً، وذوقاً ولطفاً وتعففاً، أخذ مشيخة المحيا بالجامع الأزهر عن والده العارف بالله سبحانه، المشهور بالعلم والولاية والحلم، شهرة نارٍ على علم، ووالده العارف بالله شهاب الدين أحمد أخذ مشيخة محيا الرسول المذكورة، عن منشئها بالجامع الأزهر، ليلة الجمعة والاثنين، وكذا في غالب مساجد مصر، العارف بالله تعالى، المشهور بالشيخ السوي ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[١٠٥٥] صالح بن حسن الحنبلي(١).

الفقيه الفرضي الحيسوب.

مولده مصر، وبها نشأ، وأخذ الفقه عن منصور، ومحمد الخلوتي البهوتيين الحنبليين، وغيرهما، وأخذ الفرائض عن شيخنا سلطان المزاحي، ومحمد الدلجموني.

وبرع وفاق أقرانه، خصوصاً في علم الفرائض والحساب، فإنه انفرد بمعرفتهما الكاملة بمصر، وله «ألفيةٌ في الفرائض» عظيمةٌ، بيَّنَ فيها الخلاف

---

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٢١)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٩٠).

الواقع بين الأئمة في أحكام الفرائض، منها قوله:

تجهيزُ زوجةٍ على زوجٍ عُلِمْ إيسارُه أو بالغنى تتسم

عند الإمام الشافعي ومطلقا عند أبي حنيفةٍ وأطلقا

ومالك وأحمد من مالها إذا الحياة انقطعت ومالها

[١٠٥٦] السيد صالح بن محمد.

من أعيان علماء الزيدية، كان عابداً زاهداً ناسكاً، وكان الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم يعظمه، وتوفي قبل موت الإمام بأيام.

[١٠٥٧] صالح ابن العلامة محمد بن عبدالله التمرتاشي الغزي الحنفي[١].

كان عالماً جليلاً، ظهر في غزة بعد والده ظهوراً عظيماً، وتمت له فيها الرياسة، أخذ عن والده، وبه تخرج، وألف مؤلفاتٍ سنيةً، منها: «حاشيةٌ على الأشباه والنظائر»، و«شرحٌ على البردة»، و«منظومةٌ في الفقه»، و«شرحٌ على تحفة الملوك»، و«شرحٌ على تاريخ مفتي القسطنطينية سعدي جلبي»، و«حاشيةٌ على الدرر» لم يكملها، و«شرحٌ على ألفية ولده محمد»، أولها:

قال محمدٌ هو ابنُ صالحِ أحمدُ ربي اللهَ خيرَ فاتحِ

أخذ عنه ولده محمد، وعلاء الدين هواس، وعلى باصيلا المغربيان[٢]، وإبراهيم الفتياني، وعبد الغفار العجمي، وكثير.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٣٩)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٩٥).

(٢) في الأصل: المغربيين، والصواب ما أثبت.

توفي في أواخر رجب، سنة خمس وستين وألـف، بغـزة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٠٥٨] القاضي صلاح بن محمد بن ناصر الدين الفلكي، المعروف بالفرائضي[١].

نسبـة إلى علم الفرائض؛ لتبحـره فيـه، ولم يزل على أهل هذا البيت التعويلُ في هذا العلم عليهم، كان منقطع القرين، وممن لا يزاحم في الفضائل، ويذكر بالأوائل، فهامةً إلى الغاية، عارفاً بالأدوات، كاملَ الصناعة في الشعر والإنشاء.

وكان أحد الحكمـاء المرجـوع إليهم في مهمات الإسلام، فإن له رأياً رصيناً، وتوسط بين الإمام القاسم والأروام، فحُمد سعيه.

وله شعرٌ في الغاية، منه: ما كتبه إلى السيد الحسن ابن الإمام القاسم، وهو قوله:

هي المـرامُ وإن لام العـدى فيهـا فالراحُ والشهدُ ممزوجان في فيها
وأعجبُ الأمـر أن الأسـدَ تقتلهـا لحاظُهـا وسـيوفُ الهنـد تَحميهـا
أعيـذُها قامــةً هيفــا مهفهفــةً وللريــاح نــصيبٌ مــن تَثَنِّيهــا
ما تعمل السمرُ ما تجني لواحظُهـا السحرُ مـا ترجمَـتْ عنـه أَماقيهـا
زارت وسادي وأسدُ الغاب تحرسُها وأقبلـتْ وقمـيصُ الليـل يُخفيهـا
أحيت فؤادي كما أحيا الهدى ملِكٌ حــاز المفــاخرَ قاصـيها ودانيهـا

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٢٧) (٣١٢).

أعداؤه لم تزلْ من خوف سطوتِه نفراً على الجبال الشمّ تُنجيها
هيهاتَ أن تمنع الفيفا النزيلَ بها ممن تدانت له فيفا ومن فيها
لما رأى السلميُّ الجيشَ بان له ما كان يزعُم وسواساً وتَمويها
ظنَّ البليد بأن الركبَ يمنعُه ممن يدكُّ النواصي حين يَنويها
فيا ابنَ فاطمة وسبطَ الوصي ويا فخرَ الفواطم يا مُردي أَعاديها
ليهنِكَ النصرُ إذ صَبَّحْتَ مَن نكثوا بغارةٍ أَيَّدَ الرحمنُ داعيها
فأصبحوا لا ترى إلا مساكنُهم ذلَّت نفوسٌ وخانتها أمانيها
ولتهنِكَ السنَّة الغَرَّا التي وردتْ فأنت للسنةِ الغراءِ تَحميها
دامتْ معاليك في عِزٍّ وفي دَعَةٍ مكرَّماً قاهراً الأعداء مُرديها

توفي يوم الأربعاء رابع صفر سنة أربعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٠٥٩] السيد صلاح بن عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالله بن علي ابن محمد بن عبدالله بن علي بن يحيى بن القاسم بن محمد بن إدريس بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالله سراج الدين الحسني بن محمد بن عبدالله بن الحسين بن علي بن محمد بن حفيد بن عبد الرحمن الشحري بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، نسبةُ إلى الإمام سراج الدين الحاضري؛ نسبةً إلى بيت حاضر من بادية صنعاء.

كان ممن أُلين له الكلام شديدُه، وقرب له من جميع أنواعه بعيدُه، وكان عالماً بالآداب، لَسِناً فصيحاً، يروي عنه الخاصة والعامة لطائفَ الكلام، ومُلَح النوادر، مع وقارٍ ووقوفٍ على مقتضيات الأحوال، وإنما يورد اللطائف عند

أهلها، ويخفى على العامة؛ كقوله في يوم عيدٍ: هذا يوم بردٍ وسلام، وقد دعاه رجل يعرف بالقعود، فلما آذن مجلس الضيافة بالتمام، وكان الجماعة من أهل الأدب، قال: الفاتحة بنية القعود، إن الله يجمّله ويرعاه؛ أي: يصيره جملاً، ويرعاه من الرعي، والمعنى الآخر ظاهر.

وكقوله للسيد العلامة ضياء الدين إسماعيل بن إبراهيم بن حجاف، وكان يتردد إلى الجامع بصنعاء، لقراءة «رسالة السمرقندي في الاستعارة»، على الشيخ العلامة عبد الرحمن الحيمي، فاتفق به السيد صلاح، وقال: كثر تردُّدُكم إلى الجامع، فقال: معنا قراءة في علم المعاني في الجامع، فقال بديهةً: لا بأس، فإن لصاحب المعاني فضلَ احتياج إلى معرفة الجامع.

وله شعرٌ حسنٌ، منه قوله:

لو كان يُرجى لليل الوصل طولُ بقا ... أمددتُه بسواد القلب والبصرِ
وكان لليل اللقا والهجر منعكساً ... فالطولُ للوصل والهجرانُ للقصَر

توفي في جمادى الأولى، سنة خمس وأربعين وألف بصنعاء، ودفن بجربة الروض، يماني صنعاء، بين المنارتين، وقبره مشهورٌ، وينبغي ذكر السبب لما يعتمده أهل صنعاء من الدفن بين المنارتين، يعني: منارتي الجامع، فإنهم يعتمدون أن يسامتوا بينهما.

قال مولانا السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي: إن ذلك طلبٌ منهم للقبلة المنصوص عليها من النبي ﷺ؛ فإنها هي القبلة لمن بصنعاء، وذلك لِما رواه ابن هشام في «السيرة»: أنه ﷺ أمر ببناء جامع صنعاء، بين الحجر الململم، وبين غمدان، وهذا الحجر باقٍ.

قال يحيى حميد ـ بعد أن ذكر ما نقلته عن ابن هشام ـ: وإن الحجر المذكور، في الصرح الغربي مغروز في الأرض، مفضضٌ عليه، وغمدان هو الذي فيه الجزارون ـ بالجيم، بعدها زاي، بعدها ألف، بعدها راء ـ، وهم القصَّابون، وبيوتهم شرقي الجامع.

قال: وقد ذكر علي بن سليمان اليمني الشافعي، في كتابه «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» عن وبر بن عيسى الخزاعي، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا بنيت مسجد صنعاء، فاجعله عن يمين جبلٍ يقال له: طبن» رواه الطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن، قال: ومثله رأيته عن ابن إسحاق، في «السيرة الحميدة»، وذكر أنه في «تاريخ صنعاء»، هذا معنى كلام يحيى حميد ـ رحمه الله ـ.

[١٠٦٠] السيد صلاح بن أحمد الرازحي[(١)].

هذا السيد من محاسن السادة، وممن بذل نفسه للتدريس والإفادة، استفاد على يده خلقٌ كثيرٌ في عامة الفنون، مع قصدٍ صالحٍ، ونظرٍ قادحٍ، وله ـ مع جلال قدره ـ تواضعٌ مع الطلبة، فكثيراً ما يسأل من هو دونه، على طريق المفاكهة، ومحبة الخوض في العلميات.

[١٠٦١] السيد صلاح الدين بن عبد الخالق بن يحيى بن الهدى بن إبراهيم بن المهدي، وتقدم رفع نسبه في ترجمة السيد إسماعيل الحجاف

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٧٨٨) (٢٥٢)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥١٩) (٣٠٦).

الحسني القاسمي الحَبُوري[1].

الإمام العلامة، الجليل الفهامة، كان مفنناً في علومٍ كثيرةٍ، وله تآليف مشهورة، منها: «شرح تكملة الأحكام في علم الطريقة»، و«أجوبة مسائل مشهورة» ونظمُه أسيرُ في الآفاق من مثل، وله ديوان شعرٍ مدون، ووفاته سنة سبع وأربعين بعد الألف، بـ «حبور» من أرض اليمن.

ومن شعره يمدح الإمام المؤيد بالله محمد ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي ـ رحمهم الله ـ:

بأفعاله يسمو الكريمُ ويشرُفُ ... ويذكر ما بين الأنام وُيعرَفُ
وقد يُسعد الله امرأً مع هذه ... بأسلاف صدقٍ بالمكارم يوصفُ
فيجتمع المجدُ التليد وطارفٌ ... فلا الأصلُ مذمومٌ ولا الفرعُ مقرفُ
ألم تر أن القاسمَ بنَ محمدٍ ... بنى شرفاً يُحظي بنيه ويُزلف
فلم يكتف المولى المؤيدُ بالذي ... بنى بل بنى مجداً يزيد ويضعفُ
أليسَ له أيامَ والِده من الـ ... ـمواقف ما لم يحكِها قَطّ موقفُ
بهن استعاد الدين رونقَ وجهه ... وكان تبدّى وجهُه وهو أكلَفُ
عشيةَ جلَّ الخطبُ والأرضُ أظلمتْ ... وأضحت قلوبُ الناس وهي ترجف
وخان الرجالَ الصادقين ثيابهُم ... وقلَّ امرؤ من وصمة الذل يأنفُ
وأرعشت الأيدي فلم يُغنِ صارمٌ ... ولم يُنْكِ قطُّ السمهريُّ المثقَّفُ

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٢) (٣٠٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٤٩)، «هدية العارفين» (١/ ٤٢٨)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٠٧).

وقد شمل الناسَ البلاءُ فلاحقٌ بأرضٍ ومستدنًى لما يتخوَّفُ
ومَدَّت إلى الله الأكفَّ عواتقٌ لطمن خدوداً والمدامعُ ذُرَّفُ
هنالك زادَ الله في الدين روحَه به وتلافاه وقد كاد يتلَفُ
وأرسى به الدنيا وما فوقَ ظهرها وكانت بمن فيها تميدُ وترجُفُ
إلى غير هذا من مواقفه التي بها الدينُ أضحى شملُه يتألفُ
وقام بأمر المسلمين فأحسن الـ ـخلافة إذ لا مثله قطُّ يخلفُ
فبايعَه ممن يُشار إليهمُ بحارٌ إذا استنزفْتَها ليس تنزفُ
نحاريرُ لو شاؤوا وقد شاء بعضُهم لقد ألفوا في كلِّ فنٍّ وصنَّفوا
فما فاتَنا من قاسمٍ غيرُ وجهه ولما يَفُتْنا نائلٌ وتعطُّفُ
ورفقٌ وبرٌّ وانطلاقٌ ورحمةٌ وبشرٌ وتقريبٌ لنا وتلطُّفُ
وعلمٌ وإنصافٌ وحلمٌ على أذىً مُمِضٍّ يخلِّي عندَه الحِلمَ أحنفُ
ثمالُ اليتامى والمساكين لم يزلْ أباً لهم يحنو عليهم ويرأفُ
لهم قصراتٌ غُلَّظ من صنيعه إليهمْ وشَعرٌ في الراسِ مسرهفْ
مجالسهُ عافٍ يُفاد وعالمٌ يُفيد وسيفٌ في القِراب ومصحفُ
ونهمتهُ استنباطُ حكم دليله قضيةُ عقلٍ أو قياسٌ مؤلفُ
أو السمعُ لا التقليدُ إذ ذاك منهر وكان بنيق بين قطريه يعنفُ
وما زال للعافي غياثاً وملجأً ومنتجَعاً يؤوى إليه ويؤلَفُ
أمولايَ يا من وصفُه فاتَ قدرتي وقصَّر عنه ذا النظامُ المُفَوَّفُ
أهنِّيك بالعيد الأغرِّ الذي له خصائصُ لا تُحصى بها أنت أعرفُ

وفيتَ كما وفَّى الخليل بها لمن   براكَ فأنت المُخْبِتُ المتحنِّفُ
وأحييتَ معلوماتِ شهرك بالذي   يُسَنُّ ومعدوداتُه لا تكلّفُ
وصلَّيت قَرَّبتَ النسائكَ خالصاً   لمولاك لا تُزهى ولا تتغطرفُ
فشاركتَ إذ وفَّيت للعبد حقَّه   رجالاً أهلُّوا محرمين وعرَّفوا
يباهي بهم ربُّ السماءِ جماعَةَ الـ   ـملائِك بعدَ العصر ساعةَ وقَّفوا
لهم دعواتٌ لا تردُّ ورنَّةٌ   مذكرةٌ بالنحلِ حين ترفرفُ
سألتُ العظيمَ الأيدِ والملكَ الذي   له قَطَعوا عرضَ الفلاة وأوجفوا
بمن فيهمُ من صالحٍ وبما دَعَوا   وما مَسَّحوا الأركانَ تلك وطَوَّفوا
يهنِّيك ما أولاك ربُّك سالماً   إليك خطوبُ الدهر لا تتطرفُ
ويحييك ما هبَّ النسيمُ وغردتْ   أصيلاً حَماماتٌ على الأيك هُتَّفُ
وإني وأصحابي معي بعد هذه   سيجمعُنا ذاك الجنابُ المشرّفُ
فوافى إليه بعد لأيٍ كلُّنا   زرافاً عقيبَ الوارداتِ تخلُّفُ
وتشملك البيتين لا ناظرين في   عواملِ علم النحو كيف تصرَّفُ
ولكن لما قد جاء إخوة يوسفٍ   إليه فأنت اليومَ لا شكَّ يوسُفُ
إليك أميرَ المؤمنين رمتْ بنا   خطوبُ المنى والجوجلُ المتعسّفُ
وعضُّ زمانٍ يابن مروانَ لم يدعْ   من المال إلا مسحتاً أو مجلّفُ
وهاك نظاماً زانه وصفُك الذي   يكرم شعراً حازه ويشرِّفُ
يميِّزه الذوقُ السليمُ وحسنُه   يدقُّ على فهم الغبيّ ويلطُفُ
فكم ناقدٍ للشعرِ مبلغُ علمِه   هو الوزنُ واللفظُ الكثير المرصَّفُ

ولم يدرِ ما المغزى البليغُ لجهلِه ... ولا المقصدُ الغثُّ الركيكُ المزَّيفُ
وما السرُّ إلا في معانٍ مصونةٍ ... عليهن ستراً لم يزحزحه مغدَفُ
ومثلُ أمير المؤمنين مميزٌ ... مُطِلٌّ على تلك المقاصد مشرفُ
فيعرفُ للعِلْق النفيسِ فضيلةً ... بما يُزدرى القول اللطيفُ الملفلفُ
فدونَك يا مولاي ما هو خالدٌ ... وما دونه فانٍ من المال متلَفُ
يسيرُ مسيرَ البدر والبدرُ قاصرٌ ... وينقله بحرٌ ورعنٌ وصفصفُ
ويسطُر بالأقلام في كلِّ دفترٍ ... به يُتحف السّمارَ ليلاً ويطرفوا
مقال امرئٍ ما قال غير قاسمٍ ... ونجلَيْه مدحاً والأمور تكشَّفُ
وما قلتُ في سلطانِ جورٍ قصيدةً ... أبى الله ينهاني التقى والتعفُّفُ
وقد صانَ وجهي اللهُ عن قصدِ غيرِهم ... إذا سأل السؤَّالُ يوماً وألحفوا

[١٠٦٢] السيد صلاح بن عبد الخالق بن يحيى بن الهدى بن إبراهيم ابن المهدي بن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن عليان بن الحسن بن محمد بن الحسين بن حجاف.

حسنة الأيام، وزينة الدنيا، الحاوي لكل غريب، والآتي بكل عجيب.

شعر:

وعلى تفنُّنِ واصفيه بوصِفه ... يفنى الزمانُ وفيه ما لم يوصَفِ

كان نادرة الوقت في جميع أنواع الفضائل، واتساعه للناس على أنواعهم، واختلافِ طباعهم، وأما العلماء، فهو صاحب البيت، ولا غرو أن يألفهم ويألفوه، وكان وحيداً في علوم الأدب، وأيام الناس، فقيهاً عارفاً بالفروع،

معوَّلاً عليه فيها.

وكان متواضعاً مع العامة، ويمر في السوق لحاجته، ويقضي مهمَّ أهله بنفسه، واضعاً للكِبْر، مبتذلاً في الثياب، ومع ذلك لا يزال قدره في علوٍّ وسموٍّ، وإذا دخل مجالس الأئمة، يكون صدرَها، ويلاطف كل أحدٍ بما يليق، ويمزح بلطفٍ، ومن تلامذته: القاضي أحمد بن سعد الدين، وله شعرٌ في الذروة العالية، وكان مكثراً في الحَكَمي والحُمَيْني، وكان يتجارى هو والأديب محمد الرداعي.

وكان ـ أيضاً ـ من فصحاء الزمان، وأدباء الوقت، حافظاً للآداب، مطلعاً على اللغة، حتى قيل في حقه: إنه يحفظ «صحاح الجوهري»، وكانا لا يتحاشمان في المجاراة الأدبية، بل يرخيان العنان، على طريقة الأدباء.

وله «ديوان شعرٍ» كاملٍ جمعه ولده عبد الخالق بن صلاح، فمنه قوله:

يستوجب الذكرُ بين الناس والكرم ... بالصبر حيث ترى الأبطال تنهزمُ

وما يبيِّنُ مقدارَ الرجال سوى ... وقائعٍ شابَ من أهوالها اللِّمَمُ

وهي طويلةٌ، توفي في الثلث الأخير، من ليلة الأحد، لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى، عام ثلاثة وخمسين وألف، ببلدة «حبور» ـ رحمه الله ـ.

[١٠٦٣] صلاح بن هادي الشَّظَبي.

شيخ الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، كان من فضلاء الزمان، ونبلاء الأوان، لا يزال حليف القرآن ليلاً ونهاراً، مع كمال في الأمور الدينية والدنيوية، يُعدّ من العلماء والعباد والوزراء، وله صنعةٌ في التأديب، حلو

الشمائل، عذب المفاكهة، حازماً في الأمور، وينطق بذلك ما قاله السيد العلامة صلاح بن عبد الخالق في مرثيته، وهي:

العلمُ يـذري الـدمعَ مـن جفنيـه والجـودُ مـرّعَ فـي الثـرى خَدَّيـهِ
ونَدِيٌّ درسِ الذكر عُطّـل بعـد أن قـد كـان تـزدحمُ الرجـالُ عليـهِ
أقلت لفقـدِ صـلاح الخيـر الـذي لُـفَّ الحجـا والمجـدُ فـي ثوبيـه
أفبعـدَه أحـدٌ لعلـمٍ أو لمعـرو فٍ يهـز لـسائل عطفيـهِ
هيهـاتَ كانـا صـاحبيهِ حياتَـه وكـذاك صـارا فـي الثـرى جارَيْـهِ
ليـت ابـنَ حَجَّـاجٍ رثـاه بقولـه فـي المغربـيِّ وزيـرِ آل بُوَيْـهِ
ذهَب الـذي أضـحى الثنـاءُ وراءه والعفـوُ عفـوُ الله بـين يديـهِ
هدم الزمانُ بموته الحصنَ الـذي كنـا نفـرُّ مـن الزمـان إليـهِ
مـا بـين دعوتـه وبـين الله مـن حجب الزمان إذا هو باسطٌ كفيهِ
فهو الحريُّ بذا الثنـاءِ ومـن عُنـى يـا ليتـه أضـحى فـدا نعليـهِ
أرعـاه ميتـاً مثـلَ رعيـي حقَّـه إذ كنـتُ أَقتطـفُ الـسرورَ لديـهِ

[١٠٦٤] السيد صلاح بن أحمد بن المهدي المؤيدي[1].

كان من حسنات محاسن الزمان، ومفاخـر الأوان، منقطع القرين في كل فضيلةٍ، إلى فصاحة منطق، وسعة حفـظ، وعلو همة وكرم، طبعٌ أناف على الشيوخ طفـلاً، فكيف يزاحمـه أحـد في الفضائل كهـلاً، وعمره تسع

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٢٤٥)، «البدر الطالع» (١/ ٢٩٣)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٠٧).

وعشرون سنة، أحيا فيها من العلوم ما أشرق من المبطل بريقه، وسقى كل محق برحيقه، ودوَّخ العلوم، وحقق وقدر، وناظر وناضل.

وهو في كل ذلك سابقٌ لا يُجارى، وناطقٌ لا يُمارى، وهذا العمر القصير الذي هو من أطول الأعمار نفعاً، اشتمل على قراءةٍ وإقراءٍ وتصنيفٍ، فمن جملة مؤلفاته: «شرح شواهد النحو»، واختصر «شرح شواهد التلخيص»، و«شرح الفصول»، و«شرح الهداية»، وله «ديوان شعرٍ» زاحم فيه الصفيَّ وأضرابَهُ.

ومع هذا، فهو الثابت لحصار صنعاء؛ فإنه كان الحسن والحسين أبناء الإمام القاسم بحدة، وهو في الجراف، يشن الغارة، ويصبِّح الأروام ويمسِّيهم، وافتتح مدينة أبي عريش، بعد منازلة الجنود الأروام، وغزا السراة، وجهات البر غزواتٍ عدةً، وكان منصوراً في جميع ذلك.

وكانت العلماء العظام؛ كالسيد إبراهيم بن محمد بن عز الدين يفزع إليه في العظائم، وكان على طريقةٍ حميدةٍ، مواظباً على الصالحات.

وله مقاطيع حسنة، منها: إيداعه لصدر قصيدة ابن الفارض بقوله:

وصغيرةٍ حاولتُ فضَّ ختامها ... من بعد فرطِ تَحَنُّنٍ وتلطُّفِ
وقلبتُها نحوي فقالت عندَ ذا ... قلبي يحدِّثني بأنك متلفي

وقوله:

بأبي وردة في الخدِّ حمرا ... ولها في القلوب أيُّ اشتعالِ
لم أكنْ من جُناتها علمَ اللّـ ... ـهُ وإني بحرِّها اليوم صالي

وله في التورية:

ومــــائسٍ أرشـــفَني ريقَـــه ... لله مـــن غـــصنٍ رطيـــبٍ وريـــقْ
نقـــيُّ خـــدٌّ فوقَـــه حمـــرةٌ ... فقـــرَّب مـــا بـــين النقـــا والعقيـــقْ
مثـلُ سـحيق المـسك أصـداغُه ... واحسرتي مـن بعـد ذاك الـسَّحيقْ
أغرقـتُ فـي حبـي لـه فـانظروا ... إنـسانَ عينـي مـن هـواه غريـقْ
عتيـــقُ وجـــهِ مَنْهَلـــي ريقُـــه ... لا غـــروَ هـــذا زمـــزمٌ والعقيـــقْ
رقيـــقُ حـــسنٍ رقّـــه ســـيدٌ ... مملَّــكٌ فاعجــبْ لهــذا الرقيــقْ
قـــد فتـــق القلـــبَ غرامـــي بـــه ... مـــذْ بـــاح واطربـــا للفتيـــقْ

وله في الاكتفاء والاقتباس:

وغيـدٍ بأبيـاتِ العـروضِ غرامُهـا ... خرقن شغافَ القلب فاتَّسع الخرقُ
ورنـت بيـوم الـشعر يـومَ رحيلهـا ... ألا فاسـتروا والـوزنُ يومئـذ حـقٌّ

وله:

وربَّ غـزالٍ فـاتنِ اللحـظ فـاتن ... زكت منه أخلاقُه كما قد زكا نحرا
أتـى نحـو كهفـي شـارباً فـشكرته ... لأني أَهوى الكهفَ واللهِ والإسـرا

وله:

حمـى ثغـرَه لمـا أردتُ ارتـشافَه ... بـسيفِ جفـونٍ منـه جُـرِّدَ للفتـكِ
كذاك سيوفُ الهند تحمي بها الورى ... ثغورَ ذوي الإيمان خوف ذوي الشرك

وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين وألف، بقلعة عمار، من جبل رازح،

ودفن بالقبة التي فيها السيد أحمد بن لقمان، والسيد أحمد بن المهدي، ورثاه جماعةٌ، منهم: المطهر بن علي الضمدي بقصيدةٍ منها:

مصابٌ حَلَّ في كل النواحي ... فلم نملكْ به غيرَ النواحِ
ورزءٌ قبَّ أفئدةَ البرايا ... ولا سيما قلوبِ ذوي الصلاح
أردنا أن نكتِّمه احتشاماً ... فلاح لأهل حيَّ على الفلاحِ
هي الأيامُ تخفض كلَّ عالٍ ... وتلطم بالمسا وجهَ الصباحِ
شُغِلنْا عن مصاب أبي صلاحٍ ... بموت أبي محمد الصلاحي

[١٠٦٥] السيد صلاح الدين بن أحمد بن عبدالله الوزيري[1].

هو من بيتٍ سمت شُرفات شرفه، وأنافت على الشموس علالي غرفه، وكان هذا السيد بقيتهم المحيي لمآثرهم الصالحة، وكان محققاً في جميع العلوم، [لا]سيما علوم القرآن، لا تأخذه في الله لومة لائمٍ، وأمه وأم أخيه بنتُ الإمام شرف الدين.

وكانت الأروام تعظم شأنه، ولم يكن يداجيهم، بل يصادعهم بالحق، وله عليهم جواباتٌ مسكتةٌ.

روي: أنه قال له جعفر باشا، وكان من كبار العلماء: من أفضل الصحابة يا سيد صلاح؟ فقال: أبو بكر، فقال له الباشا: تفضله على عليٍّ ـ كرم الله وجهه ـ؟ قال: أنت سألتني عن الصحابة، وأما القرابة، فأمرهم آخر، عليٌّ يعدّ من القرابة، فسكت الباشا.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٠٨) (٣٠٣).

واستشكل الباشا فعلاً فعله الإمام القاسم؛ من تعزيره لمن لعب بالشطرنج تعزيراً مخصوصاً، قد ذكره صاحب «الشفا» من أئمتنا، وأن علياً ـ كرم الله وجهه ـ فعله، من إيقافه بالشمس معقولةً رجلُه، فاستغرب الباشا هذا، وفرح، ظناً منه أن الإمام لا سلف له في هذه، وأنها هفوة.

فسأل الأصحاب، فما أجابوا، فلما دخل السيد صلاح، قال: بلغك يا مولانا ما فعل الإمام القاسم؟ فقال السيد: وما الذي فعل؟ قال: فعل كذا وكذا، قال: أصاب الإمام، فقال الباشا: من أين لك أنه أصاب؟ قال: هذا فعله جدهُ أمير المؤمنين ـ كرم الله وجهه ـ، أسند له الرواية، وبلغني أن السيد نسب روايتها للزمخشري، فتعجب الباشا.

واتفق أن الباشا عرض عليه الشعر الدائر بين الناس في التوجيه بأهل المذاهب الذي أوله:

خـدُّك ذا الأشـعري حَنَّفنـي وصـار مـن أحمـدِ المـذاهبِ لـي
حـسنُك مـا زال شـافعي أبـداً يـا مـالكي كيـف صـرتَ معتزلـي

ثم قال الباشا مداعباً للسيد صلاح: أين ذكر الزيدية في الشعر؟ فقال السيد ارتجالاً:

زاد غرامـي بـه فزيَّـدني بعـداً عـن المكثـرين فـي عـذلي

ومولده ليلة الجمعة، سابع وعشري شعبان، سنة خمس وأربعين وتسع مئة، وله شعرٌ في كل معنى، فمن ملحه: أنه استعار من بعض أصدقائه حماراً، فأكثر في الاعتذار فقال:

يـا سـيدي يـا موجـبَ الاعتـذار　　تكَلُّـف الأعـذار فـي العَيْـر عـارْ
أهْـونْ بـه شـيئاً وأحْقِـرْ بـهِ　　لا يُحْمَل الصعبُ لأجل الحمارْ

ولـه في مرآة:

تحكـي وتنـسى فليتَهـا حفظـتْ　　لـي بعـضَ مـا قـد حكتْـه أحيانـا
حكايـة تلـك لـو ظفـرت بهـا　　جعلتهـا فـي العيـون إنـسانا

ومن شعره السائر قوله:

لله أيـامي بـذي مرمـرِ　　وطيـبُ أوقـاتي بربـع الغـراسْ
والـشملُ مجمـوع بمـن أرتـضي　　والـسرُّ فيـه الـسرُّ والنـاسْ نـاسْ
والجـنسُ منظـومٌ إلـى جِنِـسه　　وأفـضلُ الـنظم نظـامُ الجنـاسْ
وزهـرُ زهـرانَ لنـا مُجْتنـى　　وفاتـه الهـازمُ جنـدَ النعـاسْ
وسـفحُ حـذّانَ إلـى جـانبي　　عصران من تلـك الربـوع الأنـاسْ
ملاعـبٌ تجـري بهـا خيلُنـا　　في السلم والحرب الشديد المراسْ
والـشامخُ الفـرد لنـا موئـلٌ　　يمنعنـا الله بـه كـلَّ نـاسْ
لـذين الزهـر نطـاقٌ ومـن　　غـوالي الـسحب الغـوادي لبـاسْ
والقلـبُ يقظـانُ لرمـز الهـوى　　يعـرف مـا يلقيـه قبـل الحـواسْ
والطـرفُ مـشغولٌ ببـدر الـدجى　　والفكـرُ مـشغول بظبـي الكِنـاسْ
والـصبا غـصنٌ إذا هـزَّه　　نسيم أنفـاسِ صـبا الوصـل مـاسْ

توفي بصنعاء، ودفن بجربة الروض، يماني المقبرة المشهورة، وروي

أنه يُسمَع القرآن من قبره ـ رحمه الله ـ.

[١٠٦٦] السيد صلاح بن أحمد بن عز الدين بن الحسين بن عز الدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام عز الدين بن الحسن(١).

قال ابن أبي الرجال: نشأ هذا السيد على الأدب والبلاغة، وكان صدراً في مجالس الكبراء، مقدماً، حسن التعبير، مولده في خامس عشر شهر ربيع الأول، عام خمسة عشر بعد الألف، بدار الإمام شرف الدين بصنعاء، المسمى بدار العلف، عند مسجد محمود، لأنه كان قد ملكه السادة من أخواله الأمراء آل المؤيد.

وتوفي أواخر سنة أربع أو خمس وسبعين بعد الألف.

وله أشعارٌ في كل معنًى، منها: قوله يمدح السيد محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم:

بنفسي ومالي خيرَ مَلْكٍ من الورى ... وأقومَهم بـالحقِّ فـي كـل موقـفِ
رأى حزنَ يعقوبٍ يساورُ مهجتـي ... فأعطى له من حسنه حسنَ يوسفِ
فـإن منحتــه شــكراً أود همتــي ... فما منحتْ من واجبٍ فعلَ منصفِ
فمن حلـمِ إبـراهيمَ حلـمُ محمـدٍ ... ومن طبع إسماعيلَ علـم أن يفـي
صــبورٌ كــأيوبٍ خطيــبٌ كأنــه ... شُعيبٌ أخو القول البهِّي المُفَـوَّفِ
كــريمٌ كيحيــى لــم يهــمَّ بريبــةٍ ... طبيبٌ كعيسى كم به مدنفٍ شُـفي

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥١٥) (٣٠٤)، «البدر الطالع» (١/ ٢٩٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٤٥).

كـإدريسَ صـدِّيقٌ عزيـزٌ كـصالحٍ   بـرهطٍ كـرامٍ دافعـي كـلِّ مسرفِ
فيا ربِّ ذَكيُّ الخلقِ العظيمِ محمدٌ   بـه وبهـم نَـجِّ المليـكَ وشَـرِّفِ
وزدْ فـي بقـاهُ عمـرَ نـوحٍ وأَوْلِـهِ   كمُلـكِ سـليمانٍ لجـانٍ ومعتفـي
وصلِّ على مـن قـد ذكرنـاه إنهـمْ   همُ خيرُ هادٍ فـي البرايـا ومقتفـي

[١٠٦٧] السيد صلاح بن أحمد الرازحي.

مات بصنعاء، أظنه في شهر رجب، سنة ألف ومئة وست عشرة ـ قدس الله روحه ـ. كان من أكابر المحققين بصنعاء.

[١٠٦٨] السيد صلاح بن أحمد بن عبدالله بن أحمد الوزير(١).

وتقدم رفعُ نسبه، وأمه ستُّ الشرف بنت الإمام يحيى شرف الدين.

كان إمام أهل الإسلام، وإنسان عين الآل الكرام، وشيخ الشيوخ وحكيمهم، الماهر في إجراء الأحكام على الأحكام، حذا حذو أهله، لم يعدل عن طريقهم، وعرف معارفهم، فأدرك ما أدركوه من تحقيقهم، أخذ عنه العلماء، وبه تخرج الحكماء.

وعلى الجملة: فحاله أشهر من أن يذكر، وفضله وعلمه وعظيم شأنه أجلى من ضوء الشمس وأظهر.

مولده يوم الجمعة، سابع وعشري شعبان، سنة خمس وأربعين وتسع مئة، ومن شيوخه: خاله السيد العلامة علي ابن أمير المؤمنين شرف الدين، ووالده السيد الإمام العلامة أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم.

---

(١) يلاحظ أن هذه الترجمة إكمال لترجمةٍ سابقةٍ رقم: [١٠٦٧].

وكان انتقاله في نصف شهر رجب، سنة أربع وعشرين وألف، وقبره مشهورٌ بجربة الروض، شرقي ضيعة المحاريق، وعلى قبره صخرةٌ من حجارة صعدة، مكتوبٌ فيها نسبه، وتاريخ وفاته.

ولما مات، حضر جعفر باشا موته، وأقام على قبره، مع جلة السادة والكبراء والعلماء الموجودين يومئذٍ، وأمر بدراهم كثيرة[1] لما يحتاج إليه من أعمال القبر، وقيمة الكفن، والتبع المعتاد، ونحو ذلك، وبقيت منه بقيةٌ عند السيد محمد بن عبد الإله، فطلبها بعض أولاده، فلم يدفعها إليه، وقال: إني أريد أن أرسل بها إلى صعدة، لإخراج صخرةٍ من حجارتها، يكتب فيها نسبه وتاريخ وفاته، فلم يقبل ولده إلا تسليم تلك الدراهم.

فمنعه من ذلك، وأراد إرسالها إلى صعدة، فرأى تلك الليلة في المنام السيدَ صلاح بن أحمد، وهو يقول له: ادفع بقية الدراهم التي عندك إلى ولدي فلان، وأخرج اللوح الذي في بيت فلان الحائك، وكان قد عمل للسيد الهادي ابن إبراهيم بن محمد، فعوِّضوا الاسم والتاريخ، انصبوه على قبري.

قال: فلما كان من الغد، عزمنا إلى ذلك الحائك، ووصفنا له ذلك، فقال: في أسفل بيتنا صخرةٌ لا نعلم ما هي، ولكن ننظرها، وننظر ما فيها، فبحثوا فيها، فوجدوها على الحالة التي وصفها ـ رحمه الله ـ، ثم فعلوا ما ذكر لهم من حفر التاريخ والاسم، ونصبه على قبره، وهو الآن على هذه الحالة، فيه أثر النقر في الموضعين. انتهى.

ومن شعره ـ رحمه الله ـ قوله:

---

(١) في الأصل: كبيرة.

وما جاءنا فالقربُ منا غنيمة ... مآربهُ تُقضى وتحظى بُخُوتُه
ففي قربنا عزٌّ ومجدٌ وسؤددٌ ... ومن خَصَّنا بالودِّ طابت نُعوتُه
ومن صدَّ عنا حسبُه الصدُّ والقِلى ... ومن فاتنا يكفيه أنا نفوتُه

ومن شعره قوله:

ولي حبيبٌ كأن الله صوّره ... من ناظرِ الزهر أو من ذائب البردِ
أو أنه طبقُ البلَّور أودع في ... أحشائه الوردُ محمرُّ الطباقِ ندي
إذا تذكرتُ أني عنه منتزحٌ ... قبلت من فرط أشواقي إليه يدي
وإن تذكرتُ أرضاً قد أقام بها ... ضممتُ صدريَ إشفاقاً على كبدي
أهابُه عند أفراح اللقا فأرى ... في الظبي ما يتقيه الناسُ في الأسدِ

وله غير ذلك من القصائد المطولات والمقطعات.

وكان طلب منه الإمام القاسم بن محمد النقلةَ إلى محروس شهارة، فاعتذر عنه بحكَمة الأروام أيام ملكهم صنعاء، ثم أجاز الإمام في العلوم على أنواعها إجازةً حافلةً، نقلها القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين في «مجموعه» ـ رحمه الله ـ.

وله:

ومليحةٍ حاولتُ فضّ ختامها ... من بعد طولِ تلطُّف وتعسُّفِ
وقلبتُها نحوي فقالت عند ذا ... قلبي يحدثني بأنك متلفي

[١٠٦٩] السيد صلاح بن أحمد المهدي بن أحمد بن عز الدين بن الحسين، وتقدم باقي النسب المؤيدي.

عالمٌ فاضلٌ محققٌ، كاملٌ ناظمٌ ناثرٌ، كاتبٌ شاعرٌ، له مؤلفاتٌ مفيدةٌ، وأجوبةٌ شهيرةٌ عديدةٌ، منها: «شرح الفصول في علم الأصول» للسيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن الوزير.

ومما قال به السيد العلامة البليغ صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيد: قال شيخنا القاضي الحسين المهلا ـ فيما كتب إليّ ـ إنه من أصدقاء والدي، وأهل مودته، وأرسل وهو بجبل رزاح، من أعمال صعدة، كتاباً إلى صاحبٍ لـه بأبي عريش، يسمى بـ: صديق بن محمـد، وافتتحه بقول أبي محمد بن سارة:

يا من تعرض دونه شحطُ النوى	فاستشرفتْ بحديثه أسماعي
أنَّى لمن يحظى بقربك حاسدٌ	ونواظري يحسدْنَ فيك رقاعي
لم تطوك الأيامُ عني إنما	نقَلَتْك من عيني إلى أضلاعي

فأجابه والدي الناصر نيابةً عن صديقٍ بقوله:

وافى المشرفَ رائقُ الإبداع	من سيد نجبٍ كريمٍ ساعي
أضحى لأشتاتِ الفضائل جامعاً	حتى اجتمعن لديه بالإجماعِ
يُجري بمَيدان الطروس أعنةَ الـ	أقلام بالتكميل للإيداعِ
أيلمُّ بي ألمُ الفراق وكتبهُ	فيها نسيم البرء للأوجاعِ
وصديقُه صديق بنُ محمدٍ	يكبو إذا ما همَّ بالإسراعِ
ما ابنُ اللَّبونِ يصولُ صولةَ بازلٍ	فيه قصورٌ عن طويل الباعِ
فانعمْ ودمْ متمكناً متملِّكاً	لشوارد الأشعار والأسجاعِ

مــن ذاك للــودِّ القــديمِ وحفظِــه ... كــصلاحِ الــشهم الجليــلِ يراعـي
لا زلتَ في غـرف العـلا متبـّـوئاً ... منهـــا علـــيَّ أمـــاكنٍ وبقـــاعِ
تُهدي إلى الأبصار أزهـرَ خطِّكـم ... وجـــواهرَ الألفـــاظ للأســـماعِ

فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

أسرعتَ في نيلِ الصواب ولم تزلْ ... مذ لاح شخـصُك فيـه ذو إسـراعِ
وسبقتَ أهل الشعر لما قمتَ فـي ... حـصل الـسباق بـه طويـل البـاعِ
ويبهـرتَ أربـابَ القـريض فـصار ... كالتمتام من فـي النطـق كالقعقـاعِ
وكشفتَ عن سـرِّ البلاغـة أوجَهـا ... كانـت قُبيـل لقـاكَ حلـفَ قنـاعِ
وأجبـتَ شـعراً قلتُـه متمـثلاً ... بجوابــك الــشافي لا الإقنـــاعِ
أودعتَه نكتَ البـديع فحـارتِ الــ ... أفكــار فــي الإبــداع والإيــداعِ
صـدَّقتَ أربـابَ البلاغـة إذ أتـت ... وحفظَت إذ نسيتْ وكنت الـواعي
وجمعـتَ يـا صـديق كـلَّ لطيفـةٍ ... حتى لطفـتَ وقـرت[1] بالإجمـاعِ
ونزلتَ من أهـل الفـضائل كلِّهـم ... بمنـــازل الأبـــصار والأســـماعِ
هــذا لــديك الناصــرُ الأوَّاه والــ ... ــهادي بـنُ عثمـان أبـو الأسـجاعِ
قد أرصدا من سحرِ شعرِهما لمن ... يهـــواك كـــلَّ براعـــة ويـــراعِ
فـإذا حبـاك الـدرَّ بـالوزن امـرؤ ... كـالوا لـه عـن دُرِّهـم بالـصاعِ
وإذا دنـا شـبراً لـديكَ مواصـلٌ ... منحـوه مـن لقيـاك ألـفَ ذراعِ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وفزت.

فضلاً حباك به الإلهُ ونعمةً والله يحبو من يشا ويُراعي
وإليكَها عمن يوزع قلبه البُرحا فخذْ واسمعْ عن الأوزاعي
قد كنتُ عِفتُ الشعَر ثم أتيتُه وأجبته إذ كنتَ أنتَ الداعي
ليلوحَ عندك صدقُ قولي إنما نقلتُك من عيني إلى الأضلاعِ

فأجابه الناصر المذكور بقوله:

انطقْ فعندك للقريض دواعي قد جاء من شعرِ الهمام دواعي
وسعى صلاحٌ في صلاح قريحتي وجزى بعشرِ الصاع ألفَ صُواعِ
قد كان بي ألمٌ لنصف اسمي فمذْ وافى أتى بالضدِّ من أوجاعي
أعني الكتابَ مطرزاً بجواهر يقضي على الآلام بالإقلاعِ
لا فُضَّ فو رجلٍ جليلٍ قالها لفتًى قليلِ بضاعةٍ ومتاعِ
ما كان من ثدي الفصاحة راضعاً لكن تعاطاها بغير رضاعِ
فلذا يُرى وقتَ السباق مقصراً فاعذر فتًى فيها قصيرَ الباعِ
قد شاعَ سابغُ نعمةِ الله التي أسدى لكم في الآلِ والأشياعِ
ونظمتَ يا بحرَ العلوم فرائداً نظمت لكم سبحان في الأتباعِ
واستعبد الملكَ ابنَ حجرٍ شعرُكم لو عاش لم يقدرْ على مصراعِ
وأقرَّ كتّابُ الأنام بأنهم رِقٌّ لرَقِّ رائقِ الأسجاعِ
من آلِ أحمدَ لم يزل يوليهم الـ ـخيراتِ في جبلٍ سما وبقاعِ
فلذاك عزَّ الدينُ وانتشر الهدى أو كان عزُّ الدين أكرمَ ساعي
أبداً صلاحاً لاح في أثوابه نورٌ بدا في عارضٍ همّاعِ

أحبابــه الأُربــاءُ والأُدبــا معــاً ... مــن كــل دانٍ أو بعيــدِ بقــاعِ

لا سيما الهـادي الأجـلّ ومـن لـه ... ودٌّ أكيــدٌ والمحــبُّ الــداعي

فـأبو عـريشٍ فـاق بلـدانَ الـورى ... إذ صـرتَ راقمـاً اسـمَه برقـاعِ

شَــرَّفتموه إذ مــدحتُم أهلَــه ... بمــدائح عــن خــاطرٍ مطــواعِ

ونعتُّمــوا صــديقَه بــصديقِكم ... عطفــاً وتأكيــداً بغيــر نــزاعِ

من لم يكـنْ عـن ودكـم بـدلٌ لـه ... فلرفعــه قــد صــار بالإجمــاعِ

يكفيه فخراً ما جرى من مدحِ مـن ... فـاق الـورى لطفـاً وحـسنَ طبـاعِ

لا مــنّ إن أحببــتُ آل محمــدٍ ... فهـمُ الأمــانُ لنــا مــن الأفــزاعِ

ومما قاله صاحب الترجمة ـ رحمه الله ـ يخاطب القاضي العلامة مطهر ابن علي الضمدي، وقد طلبه عارية كتاب «إيثار الحق على الخلق»:

آثِرونــا يــا صــاحِ بالإيثــارِ ... كــي يكــون البلــوغَ للأوطــار

عَجِّلــوا عَجِّلــوا جُــزيتم بخيــرِ ... فلهــذا الكتــاب طــال انتظاري

وهي من أبياتٍ، وأجاب عليها القاضي بأبياتٍ رائقةٍ، مطلعها:

قــسماً بــالعقول والأنظــار ... وبمــا ضُــمِّنَتْ مــن سرٍّ أسـرار

[١٠٧٠] صالح بن محمد بن عبد الكريم الشهير بقاضي زاده، الرومي الأصل والمحتد، المدني المنشأ والمولد، الحنفي.

أحد العلماء العاملين، والسالكين في طريق الله الصالحين، عدلٌ أمينٌ صادقٌ لا يمين، نبيلٌ نبيـهٌ، صالحٌ كأبيـه، كـان خَيِّـراً دَيِّناً، متلفِّعاً بمُروط القناعة، صَيِّناً، ذا رياسةٍ وفخارٍ، وسكينةٍ مقرونةٍ بالوقار.

قرأ على والده، وبه تخرج، وقرأ بالروايات على موسى المصري الضرير المقري، نزيل المدينة، وأخذ علم الميقات والحساب عن أحمد بن تاج الدين المدني الموقت، وتصدر للتدريس في حياة والده، وأكبّ على نشر العلم، وانتفع به الطلبة، وأخذ عنه كثيرٌ، منهم: حسن الفروجي، والسيد أسعد المفتي.

وولي القضاء بالمدرسة في شعبان، سنة ثمان وسبعين وألف، بعد فتنةٍ عظيمةٍ فيها عزل قاضي المدينة عوض أفندي، اختارته العامة، فولاه مفتي المدينة ـ إذ ذاك ـ علي أفندي، ووكيل السلطان بها، فسار في القضاء أحسن سيرةٍ، وأحيا بها مآثر الشرع بعد دثورها، وكان يشبه بعمر بن عبد العزيز.

ومدحه أجلاؤها بالقصائد الطنانة، ثم سافر في تلك السنة، بعد وصول قاضي المدينة إلى الديار الرومية، واجتمع بمن بها من الأفاضل، وأخذ عنهم، ثم رجع إلى المدينة الشريفة، وأقام بها على نشر العلم وإفادته، ثم جاور بمكة، وكان لا يترك الحج في غالب إقامته بالمدينة، وكان أقام أيام شبابه في حياة والده بمكة مدةً، وأخذ عمن بها من العلماء.

ولم يزل على خيرٍ وفي خيرٍ حتى توفي ليلة الأربعاء، بعد العشاء، سابع عشر شوال، سنة سبع وثمانين وألف، بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع الفرقد ـ رحمه الله ـ.

وله كراماتٌ كثيرةٌ، وأخبرني بكثيرٍ منها، لا يحضرني الآن شيخنا السيد الشريف محمد البرزنجي ـ رحمه الله ـ، وكان يعتقده كثيراً.

وتوفي والده ـ أيضاً ـ ثاني ربيع الأول، سنة ثلاث وسبعين وألف، وأخذ والده عن الشيخ عبد الرحمن المرشدي، وبه تخرج، وقرأ على محمد

الشعراني قاضي المدينة، ومشايخه كثيرٌ ـ رحمه الله ـ.

[١٠٧١] السيد صبغة الله بن روح الله بن جمال الله البَرْوَجي الهندي[١].

نسبةً لبَرْوَج ـ بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء المهملة، وفتح الواو، وسكون الجيم ـ: مدينة بالهند، وُلد صاحب الترجمة بها، وأصله من أصفهان، انتقل جده منها إلى الهند، وسكن ببروج، الحسيني الحنفي.

قطب مدار الراسخين في العلم والعمل الفحول، وقَلْبُ أهل الإشارات والإلهام والوصول والأصول، جبل عرفات العرفان، وحبل مستعصم رجال العطف والحنان، المبين ببراع بيانه لخفيات ضنائن الغيب، الأمين على أسرار التنزلات الإلهية بلا ريب، حادي رجال السُّفَرَا في سَفَر الأوطان، والمشاهد الهادي بالدلالة إلى الوصول لعنديات المقاعد.

كان ﷺ عارفاً محققاً، وفي غرائب العلوم مدققاً، مخدرات خباياها في طوع يديه، وعويصات خفاياها منقادة إليه، وكان أبيض اللون، وضيء الوجه، نيِّر الشَّيبة، عليه آثار العبادة، وأُبهة العلم ظاهر[ة].

أخذ بالهند عن العارف بالله تعالى وجيهِ الدين العلوي الهندي، تلميذِ الشيخ محمد الغوث البسطامي، وتأدب به، ورحل إلى الحرمين، وصحبه الجم الغفير، وانتفعوا به، أوفرُهم فيه حظاً، وأوقرهم منه لحظاً: مولانا السيد أسعد البلخي، والعارف بالله أحمد بن علي الشناوي، وحازوا من آثاره الطيب

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٤٣)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٠١)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١١٦١).

العذيب، أهنى وأغنى نصيب.

له المصنفات البطينة، السافرات المحيا في المواكب، الهادية إلى الحق بأنوارها الساطعة كزُهر الكواكب، فمنها: كتاب «ناب الوحدة»، و«رسالتان في الصنعة الجابرية»، و«رسالة في الجفر»، و«ما لا يسع المريد تركه كل يوم من سنن القوم»، و«تعريب جواهرالغوث»، و«حاشية على البيضاوي».

توفي ـ قدس الله سره ـ بالمدينة، في سادس عشري جمادى الأولى، سنة خمس عشرة بعد الألف، ودفن بالبقيع الغرقد، وقبره هناك يزار، وتوفي تلميذه السيد الأمجد مرزا بالمدينة، عام سبعة عشر وثلاثين وألف، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله ـ.

اشتغل السيد صبغة الله بالعلوم، وبرع وفاق علماء الآفاق، وصار إمام عصره، ثم سلك عند الشيخ وجيه الدين العلوي، تلميذِ الشيخ محمد الغوث البسطامي، وأكمل عنده الطريقة، وأجازه للإرشاد، فأقبل عليه الناس، وبعُد صيته، وعظم أمره عند ملوك الهند إلى الغاية؛ لما شاهدوه من غزير علمه، وزهده وورعه، مع عدم تردده إلى أحد من أعيانها، وعدم قبوله العطاء من السلطان وغيره إلا نادراً، ثم رحل إلى الحجاز، وحج سنة خمس بعد الألف، وأقام بالمدينة يدرس الطلبة، ويربي المريدين.

وله خلفاء، منهم: الشيخ إبراهيم الهندي، توفي بالهند، والشيخ محيي الدين المصري المقيم بالقاهرة، والشيخ أحمد الشناوي، والشيخ أسعد البلخي، والسيد مرزا، والملا شيخ بن إلياس الكردي، المقيمون بالمدينة المنورة.

توفي يوم السبت سادس وعشري جمادى الأولى، سنة تسع عشرة وألف، ودفن بالبقيع، عند قبر السيد إبراهيم بن النبي ﷺ.

[١٠٧٢] صفي الدين بن محمد الكيلاني[١].

نزيل مكة المشرفة، الألمعي الطبيب، الأديب الأريب اللبيب، فريد عصره، ووحيد دهره، وأفلاطون أوانه طبابةً وعلماً، وفيلسوف زمانه ذكاءً وفهماً، اشتغل بالعلوم فروعاً وأصولاً، حتى وصل لما لم تستطع الفحول إليه سبيلاً، وبرع في العلوم الشرعية، وتفنن في المنطق، وعلوم العربية، واشتغل بالطب حتى صار رأس الحكماء، ورئيس الأطباء، وأصبح قانون طبه شفاء الأسقام، والنجاة من شبكة الشكوك والأوهام، فالحكمة الشريفة لا توجد إلا في مطارحاته، ومباحثها لا تؤخذ إلا من إشاراته وتلويحاته.

وأخذ بمكة المشرفة عن العلامة عبد الرؤوف المكي عدة علوم، وبرع في المنطوق والمفهوم، وروى عنه كثيراً من الأسانيد، التي هي عند المحدثين أحلى من الفانيد، وله مؤلفاتٌ عديدةٌ، في فنها مفيدةٌ، لا سيما في الطب، و«شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض» شرحاً مفيداً حسناً، وجعله باسم سلطان الحرمين الشريفِ حسن بن أبي نمي، وأجازه عليه إجازةً عظيمةً، وكان يحسن إليه بالعطيات الجسيمة، وانتفع به جماعةٌ في الطب وغيره.

ويحكى عنه في الطب غرائب:

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٤٤)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٠٦).

منها: أنه مرّ عليه بجنازة بعض الفقراء الطرحاء، فدعا بـه، وأخذ من دكان بعض العطارين شيئاً نفحـه في أنف الطريح، فعطس وجلس، وعاش مدةً، فتعجب الناس من ذلك، وسأله بعض أصحابه عن ذلك، فقال: رأيت أقدامه واقفةً، فعلمت أنه حيّ.

ومنها: أن بعض التجار كان يطعن فيه، ويتكلم عليه، فلما بلغه، أرسل بعض الفقراء بغصن من نباتٍ، لـه رائحـةٌ طيبةٌ، فلما شمه التاجر، انتفخت بطنه، وعجز الأطباء الموجودون عن علاجه، فاضطر إلى صاحب الترجمة، فأرسل إليه واستعطفه، فأعطاه سفوفاً من ذلك النبات، فعوفي مما به.

ونظير هذا: ما وقع لابن البيطار المشهور: أن بعض معاصريه امتحنه عند السلطان بنباتٍ، وقال: إذا أتى إليك ابن البيطار، مُره أن يشم هذا، من هذا المحل، يتبين لك معرفته وجهله، فلما طلع إليه، أمره أن يشمه من المحل المعين، فشمه منـه، فرعف لوقتـه رعافاً شديداً، فقلبه، وشمه من الجانب الآخر، فسكن رعافه لوقته.

ثم قال للسلطان: مُر الذي جاء بـه أن يشمـه من الموضع الأول، فإن عرف أن فيه الفائدة الأخرى، فهو طبيب، وإلا، فهو متشبع بما لم يُعطَ، فلما طلع، أمره بشمه من الموضع، فرعف رعافاً شديداً، فقال له: اقطعه، فعجز، وحار في أمره، وكاد أن يهلك، فأمره أن يقلبه ويشمه، فانقطع الرعاف، فمن يومئذٍ زادت مكانة ابن البيطار عند السلطان.

ومنها: أن بعض أولاد الشريف حسن أصابه علةً، فأمر صفي الدين أن تعمل له كوفيةٌ من العنبر، ففعلت له، فزالت العلة، وأصابت تلك العلة بعض

الرعية، فعمل له كوفيةً من ضفْع[1] البقر، فعوفي، فقيل له: أليس علة الرجلين واحدة؟ فقال: نعم، ولكن ولد الشريف نشأ على الرائحة الطيبة، فلو عملت له من الضفع، لزادت علته، والآخر بعكسه، فداوينا كلاً بما يناسبه.

وكان يأمر من أصابه مرضٌ أن يخرج من مكة، ولو إلى المنحنى، ويقول: إن هواء مكة في غاية الاعتدال، لكن رائحة البالوعات تفسده، ولهذا بنى له بيتاً بالمحصب، يسكنه من به مرضٌ.

ولم يزل مقيماً على نفع العباد، على غاية السداد، إلى أن رحل إلى دار المعاد ـ فتوفي سنة عشر بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله، وجعل الجنة مثواه ـ.

[١٠٧٣] صندل بن عبدالله.

الشيخ الكبير، والولي الشهير، صاحب الفضل والمقام الخطير، العارف الراسخ، والقدر الشامخ، والمكان المكين الباذخ، الذي أجمع الناس على ولايته، وعظيم مدده وعنايته، وتواترت كراماته، وعمت بركاته، قدم من أرض زيلع إلى المخا، فتوطنها، وظهر بها حاله.

وكان يقال: إنه بها ترجمان سيدي العارف بالله الشيخ علي بن عمر الشاذلي ـ نفع الله به ـ؛ لأنه لم يظهر أحدٌ في المخا بعده، مثل ما ظهر، مع كثرة الأولياء بها إذا ذاك؛ لانطوائهم وخمولهم بحضرة سيدي الشيخ ـ نفع الله به ـ، وإن كانوا ما كانوا.

---

(١) قال الزبيدي في «تاج العروس» (٢١/ ٤١٧): الضفاع؛ ككتاب: خثي البقر، وهو روثه.

حتى إن السيد العارف بالله والدال عليه، حاتم بن أحمد الأهدل، مع جلالته، ورسوخ قدمه في المعرفة وولايته، كان يأتي إلى صاحب الترجمة، ويستمد منه، واتفق له معه: أنه اشتد به الحال مرةً، فأرسل خادمه إليه، فبمجرد وقوفه عليه، قال له: اذهب للسيد، وقل له يفعل كذا، وأشار إليه بإشارةٍ فهمها السيد، فعمل بما أشار به إليه، فسري عنه ما به من الضيق، وحصل له مددٌ عظيمٌ، ومالٌ جسيمٌ، من غير تعويق.

وكانت أولياء عصره في اليمن تأتي إليه، وتجلس خاضعةً لديه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، وكراماته يضيق القلم عنها، وينبو اللسان؛ لظهورها ظهور الشمس، فلا تحتاج لبيان، ومنها: . . .[1].

توفي ـ نفع الله به ـ بثغر المخا، ليلة الاثنين، سادس شهر صفر، سنة ثلاثين بعد الألف، وبني عليه زاويةٌ عظيمةٌ، يصلي بها الناس ـ نفع الله به ـ.

[١٠٧٤] الصديق بن محمد الخاص السراج الحنفي الزبيدي.

كان إماماً فقيهاً، محدثاً نحوياً، عالماً بفنونٍ كثيرةٍ، صاحب همة علية، له أسانيد في الحديث قوية، وانفرد في عصره في الأقطار اليمنية، بالفرائض والعلوم الحسابية، أخذ عن والده، وغيره من علماء «زبيد»، وقرأ عليه خلقٌ كثيرون، وانتفعوا به، منهم: السيد الفهامة أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، والسيد الحسين بن أبي بكر الأهدل، والسيد الصديق بن عمر البزان.

توفي في شهر ربيع الأول، سنة خمس عشرة وألف، بحصن ذي مرمر؛ إذ كان أسيراً به مع الباشا سنان، حتى آل أمره إلى الشهادة، فقتله ظلماً

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر ذلك».

وعدواناً، وكان مولده عشية الأحد، من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وسبب قتله: أنه كتب إلى الوزير حسن باشا، يخبره بأشياء نقمها على سنان، فاطلع سنان على ذلك، فلما عزل الوزير حسن باشا، وولي الأمير سنان، طلبه، وقال له: يا فقيه صديق! كم فرض الله على العباد في كل وقتٍ من الأوقات؟ فرض فرضاً واحداً، أو خمسة في كل وقت؟ كيف تأخذ جراية خمسة أئمة؟ فقال: أنا أقيم في كل وظيفةٍ من يقوم بها.

وكان ذلك بحضرة أعيان زبيد وغيرهم، فجعل الفقيه يقول: اشفعوا تؤجروا، وكرر ذلك، فلم يمكِّن أحدٌ [من] الكلام، فقال للخادم: اضرب عنقه، فقال الخادم: هو سيدي، ولا يمكنني قتله، وذلك أن الخادم من زبيد، وهم يعلمون جلالة الفقيه، ولما امتنع الخادم من قتله، أرسل به إلى قلعة ذي مرمر، فبقي فيها ما شاء الله، ثم رمي به من رأس ذي مرمر القلعة في غرارة.

وكان الفقيه الصديق له معرفةٌ تامةٌ، حكي: أنه وقع في الجبال التي قرب زبيد حادثةٌ عجيبةٌ، وذلك أنها نزلت صخرةٌ من السماء إلى موضعٍ هناك، فكتب أهل الجهة إلى علماء زبيد، يسألونهم عن ذلك، فأجاب الصديق: إن أهل الجهة ربما أنهم حاربوا ولياً من أولياء الله، أخذه من قوله ﷺ: «من عادى لي ولياً، آذنته بالحرب»، فقال السيد حاتم صاحب المخا ـ نفع الله به ـ:

أقسمُ بالرحمن أن الذي ... أفتى به الصديق لا شكَّ فيه

كذا حكاه السيد العلامة عيسى بن لطف الله بن المطهر، وكان ممن يخالط الترك ويحبونه.

[١٠٧٥] صدقة الله بن سليمان بن صدقة الله القائلي؛ نسبةً إلى القائل، من سواحل بانْدِي، من بلاد مُنَيْبار، المُنَيْباري الشافعي.

كان عالماً عظيماً في الفقه، والنحو، والعلوم العربية المتداولة، قرأ ببلاده على والده، وبه تخرج، وأخذ عن علماء كثيرين بتلك الأقاليم، ثم قدم مكة، وحج، وأخذ عمن بها من علماء عصره، وزار المدينة الشريفة، وأخذ عن العارف بالله أحمد القشاشي وغيره، وأجازوه، ومن مؤلفاته: «فتح المعز» شرح تصريف العزي، و«تخميس البردة»، وله اختيارات منها: «ترقيق لفظ الجلالة في سائر الأحوال» رد عليه فيها شيخنا العلامة محمد بن رسول البرزنجي، و«رسالة في قول الناس: يا هادي المضلين» اختار أن الصواب: هادي المصلين ـ بالصاد المهملة ـ، أو يقال: ـ بالضاد المعجمة على صيغة البناء للمجهول ـ.

توفي سنة ست عشرة ومئة وألف ببلده ـ رحمه الله تعالى ـ، كذا أخبرني بعض تلامذته.

[١٠٧٦] صنع الله مفتي التخت العثماني(١).

كان فاضلاً متبحراً في الفقه، مشاركاً في المعقولات، وكانت له حِدَّةٌ قويةٌ ومهابةٌ، توفي سنة إحدى وعشرين بعد الألف، بمرض البرسام.

[١٠٧٧] صلاح بن الحسين الأخفش(٢).

---

(١) «لطف السمر وقطف» الثمر للغزي (٢/ ٤٧٧) (١٧٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٥٦).

(٢) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٧٨٩) (٢٥٣)، «طيب السمر» للحيمي =

[كان] هذا السيد بمحل من الطلب والتحصيل، له أنظارٌ صحيحةٌ، وقريحةٌ مليحةٌ، وله «قصيدةٌ ورسالةٌ تضمنتا[1] تحريم النظر في المنطق»، كتب عليهما السيد العلامة الحسن بن الحسين بن المنصور رسالة، سماها بعض العصريين: «الرماح العسالة المسرعة إلى نحر القصيدة والرسالة»، ورسالة سماها: «العلم الشامخ تتضمن رفع الخطأ عن المشايخ»[2].

[١٠٧٨] السيد العلامة صادق بن أحمد بن محمد مير باد شاه الحنفي[3].

مفتي مكة، توفي يوم الأحد سابع عشر شعبان سنة تسع وسبعين وألف، وتوفي ذلك اليوم معه من الأعيان الشيخ المجذوب علانُ بن أحمد بن إبراهيم ابن علان الصديقي الشافعي، والسيد محمد بن هاشم بن علوي المهدلي...[4]، إجازة عن محمد بن عبد القادر النحريري الحنفي المصري.

❐❐❐

= (١/ ٣٦١)، «البدر الطالع» (١/ ٢٩٦).

(١) في الأصل: تضمنا، والصواب ما أثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاث صفحاتٍ وأربعة أخماس صفحة بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٣٧).

(٤) جاء في الحاشية: «بعد كلمة المهدلي سطر بياض».




حَرْفُ ٱلضَّادِ ٱلْمُعْجَمَة

[١٠٧٩] ضياء الإسلام إسماعيل بن علي بن هادي بن علي الكوكباني.

القاضي العلامة، قاضي صنعاء وعالِمُها، وناسق لآلي المحامد وناظمُها، وقد أتى في هذا التاريخ ذكرُ جماعةٍ من أهل بيته، كان في كلِّ علمٍ راسخَ القدم، مرفوعَ العلم، درس وحكم وأفتى، وسلك من كل فضيلةٍ طريقاً، لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً.

قرأ العلوم على أجلَّة مشايخ عصره، وصار زينة الدنيا لا زينةَ مصره، ولازم القاضي العلامة الزين محمد صغير، فصار من تلامذته الطودَ الكبير، ولما انتقل من كوكبان إلى صنعاء، لازم القاضي العلامة محمد بن علي قيس، فأسمع عليه عدةً من كتب الفقه؛ «كشرح الأزهار»، و«البحر الزخار»، و«البيان الشافي» لابن المظفر، و«الثمرات في آيات الأحكام»، و«شفا الأمير حسين»، وغير ذلك.

ثم أسمع على القاضي العلامة الحسين بن محمد المغربي عدةً من كتب الأصول والحديث؛ «كصحيح الإمام البخاري»، و«العمدة»، و«شرح جمع الجوامع» للمحلي، وغير ذلك، وأسمع «البيضاوي» على الفقيه العلامة السيد الحسين بن المغربي، وأسمع «البخاري» ـ أيضاً ـ على القاضي عبد العزيز

المفتي التعزي، وأجاز له.

وله إجازاتٌ شاملةٌ مشهورةٌ بعظيم فضل كماله من القاضي العلامة الحسين بن محمد المغربي، ومن أخيه العلامة الحسن بن محمد المغربي، ومن القاضي العلامة عبد العزيز بن محمد المفتي في جميع مسموعاته، ولأخيه القاضي العلامة يومئذ علي منه إجازات مما اشتملت عليه تلك، وسمع المعاني والبيان، والنحو والتصريف على أخيه الفاضل العلامة يوسف بن علي، وتشاركا في أكثر مسموعاته على أجلة علماء عصرهما.

ولي القضاء في آخر زمن الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، وما زال قاضياً إلى أن قضى نحبه، ولقي ربه، وكانت وفاته بمدينة صنعاء في ضحى يوم السبت، لثمان عشرة خلت من ذي القعدة، سنة ست ومئة، ودفن بباب اليمن، وقبره على قارعة الطريق مزورٌ مشهور الذكر، فلما مرّ به أحدٌ من الناس إلا وقف لزيارته، وكان يومُ وفاته يوماً مشهوراً، لم يبق أحدٌ من العلماء والعظماء، وأكثر أهل المدينة، إلا حضر الصلاة عليه، وحضر دفنه، وحزن الناس، وأكثروا عليه العويل، واشتد الباس.

وكان حسنَ السيرة والسريرة، كريم الخلق، متواضعاً، نقي الجيب، بريئاً من العيب، سليم العقيدة، ملازماً للسنة، عاملاً بها، ناصراً لها، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مرضياً في أحكامه، مأموناً في قضائه، لا يُعلم له هفوة، ولا تظهر منه جفوة، وكان له في القضاء فطنةٌ ونباهةٌ، وذكاءٌ لا يذكر عنده ذكاء إياس، وتخلق بالرفق، ووجاهة.

وله في الفرائض والمترب والضرب والقسمة، معرفةٌ لم يشاركه فيها

مشارك، ولـه «شرحٌ على النكت» للقاضي جعفر، سلك فيه مسلكاً عجيباً، وتكلم فيه على المذاهب وأدلتها، وأجاد في النظر فيها، وأبدع في المكافاة والترجيحات، وأغرب في التلويحات والتصريحات، لكن اخترمته المنية، ولم يكمل سلسلة الأمنية، وله مجموعات لطيفة في الفنون، وفي الرضاع، وفي المتعة، وفي رفـع اليدين، وغير ذلك من الفوائد المفيدة، والمجالس العديدة.

ولما توفي، رثاه عدةٌ من الأفاضل، منهم: السيد العلامة عبدالله بن علي الرون، فإنه رثاه بأبياتٍ تسكب عندها العبرات، وتلتهب جمرات الحسرات، وكتب السيد العلامة يحيى بن عبد القادر إلى القاضي العلامة يوسف بن علي، يعزيه في أخيه القاضي المذكور:

لا تحزنوا ضاعف الرحمنُ أجرَكمُ   على أخيكم ضـِيا صنعا وقاضيها
فما رزئتم به فـي النـاس وحـدَكمُ   بـل كـلُّ ثـاوٍ بـدانيها وقاصـيها

فأجابه القاضي يويف بقوله:

منحتنـا يـا مليـكَ الآل تعزيـةً   أتت بعُصم التسلِّي من صياصـيها
وإن تكنْ عينُ شرع الأمة انطمستْ   فـصار شـراً بـدانيها وقاصـيها

ورثاه الفقيه أحمد بن علي النازح بأبياتٍ بديعةٍ، مطلعها:

قُصارى الوصل مـن دنيـاكَ صرمُ   وزخرُفهـا علـى التحقيـق وهـمُ
ومَحْياهـا وإن طـالَ انتظامـاً   لـه مـن هـازمِ اللـذاتِ خَـرْمُ
وريَّاهـا وإن طـابَ انتـشاقاً   لـه مـن نفحـة الأكـدار رسـمُ

وريُّ نعيمهـا ظمـأٌ ومَعـينُ انـ ـشراح سـلوِّها هـمٌّ وغـمُّ
وأثناهـا خطـوبٌ راتعـاتٌ لأثناهـا بـه مـا زال صـدمُ
وأيـضا آل نجـد مـشيد عمارتُـه تعمـر[1] المـرء هـدمُ
فـضاهُ لا يزيـد علـى ذراعٍ لأربـاب التوسُّـعِ فيـه ضمُّ
تَساوى فـي النـزول بـه حضيضٌ ومرفـوعٌ وعـلاَّمٌ وقـدمُ[2]
وحـلَّ بـه المعطَّـلُ والمُجَـلُّ وحـالَ عـن الـتخلُّص منـه ردمُ
يـومُ وفـاة إسـماعيلَ روعٌ يعـزُّ لكَلْمـه مـن[3] النـاس حسمُ
فمتـى نعيـد أحـداق المعـالي فزَّينـه لـدى الأعـلام علـمُ
وشـدت أزرَه همـمُ العـوالي وسـاعدَه ذكـى ذاك وفهـمُ
فـأحرز مـن معانيـه بيانـاً نحـاه رجالُهـا الكمـلا وأمُّـوا
وصرَّفَ عمـرَه فـي الـدرس حقّـاً بـدا بـدروس ذاك الـدرسِ فهمُ
وأمسك في الأصـول لكـلِّ عـصرٍ تبـسَّم للـزروع عليـه كِـمُّ
وكـم سِـفرٍ لـه بـد لـه حـلال لأسـطُره بمـاء العـين رقـمُ
وفارقـه الـشفا لمَّـا عنـاهُ وأضـحى بالـشفاء عليـه سُـقْمُ
وحاصـلُ كـلِّ تحـصيل طيبـه [. . .] وحوى لـه قـوسٌ وسـهمُ
وأصـبح قاضـياً بـالحق حتـى أتـاه مـن لـسان الحـقِّ حـسمُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: كَعُمْرِ.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وفَدْمُ.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: في.

. . . لـــه الحمـــام علـــى . . .   . . . لـيس يحمـو منـه وعمـو

ووافـاهُ إلـى الرضـوان داعٍ   يقـول لـه إلـى طـوبى هَلُمُّـوا

صِـلِي إن الفـراق يفـر منـهُ   علـى مـن فـي حمـاه عليـه كلـمُ

محالـك بعـده كـلُّ الأخِـلاَّ   ووجـدُ البعـدِ للنـدماء عـدمُ

علـى تلـك البـصائر منـه حـتمٌ   علـى أنـس البـصائر منـه ختمُ

فأحـسن رسـالتي منـي إليـه   عـزا للأسـى لـم يبـق اسـمُ

ووالاه الكرامـة فهـو مـولى   لـه حلـة الكـرمُ الأعـمُّ

وحـار جـواد أحـد مـا   وأن فـضلهم فـي النـاس ينمـو

ورثاه أخوه القاضي العلامة يونس بن علي بقصيدة تعزيةٍ بغير أحدهما منها:

أيهـا القاضـي لمـا استقل مـن   أمـر داعيـه للعـلا درجاتـه

كنـت منـصوباً لمـا جـر إلـى   رفعـة الإشـكال مـن كـلٍّ نُحاتـه

كنـت للـشارع يـا بحـرَ عُـلاً   رفعةً في الـشرع [مـن] مقتـضياته

كنتَ مـن إن عُـدَّ حكـامُ الـورى   شَـحَد الخنـصر فـي ذكـر صـفاته

كنـت غيثـاً ووليّـاً للحمـى   كنـت غوثـاً ووليـاً لحُماتـه

كنت عينَ الـشرع لمـا زُلْـتَ لـم   تنـو عـر الـسر مـن كـل قُـضاته

كنـت مـن لا أحـدٌ نـازع فـي   سـبقِه فـي فـضلِه حـين مماتِـهْ

كنـت ممـن قـارفَ التفـسيرَ أو   صـار جـارَ الله مـن بـين لِداتِـهْ

كنت ممن حدَّث النـاسُ عنـه مـا   كاثرت شهب السما من مكرماته

كنت مَنْ للفقه أضحى مالكاً ... بل وللنحو ابنَه في معضلاته
كنت فينا للأصول الحسن ... إلفه فاهجروا صلاً عند ثباته
كنت من إن عُدَّ حكامُ الهدى ... حكمه والمنتقى من نفثاته
كنت من أضحى حديثُ المصطفى ... مظمئاً من بعده كلَّ رواته
لهفَ نفسي ما لذا الترديد من ... غايةٍ لا غايةٌ في حسناته
وصل الأستار في تحقيقاته ... فهي للأسفار من نُهاته
حُجبت بهجتُها من بعد أن ... نشأت في حِجْره لا هجراته
كلُّ سفر كاد أن يخرج من ... جلدِه من حرزه بعد فواته
كاد من غير جناحٍ أن يُرى ... طائراً لا ينتهي في حَوَماته
ليتَ إسماعيلَ لو نال فدًى ... مثلُ إسماعيل قرنا بحياته

وهي طويلةٌ بديعةٌ، ورثاه بقصيدةٍ أخرى مطلعها:

حكمُ القضاء على البرية قاضي ... سيانِ مقضيٌّ عليه وقاضي

وهو من أهل بيت وزارةٍ متسلسلة، ورياسةٍ متوثلة[1]، وجدُّهم عليٌّ قتل شهيداً غيلةً، قتله السيد عبد المؤمن بن عبد الرحمن، من آل شرف الدين، وقتله به ولده عبد الله في ساعته، وسبب ذلك: أنه كان يظهر فيه مخايل الاستبداد؛ لما يعلمه من أنه من أهل ذلك البيت، وأن أباه شمس الدين ابن الإمام شرف الدين. فإنه كانت له حظية من سراريه، خاف عليها من غيرة سائر سراريه، وقد كانت حاملة به، فعزلها في بيتٍ خوفاً عليها، فوضعت بعليٍّ

(١) كذا في الأصل، والصواب: متأثلة.

هذا، وخاف عليها نكايتهن، وأن يناله مكروه، فأمر حراً بداره رجلاً يدعى: صلاح بكفالته، وليحفظ عليه، فقام بأمره.

ومات الإمام شمس الدين، وقام سبعاً وسبعين من بعده ولده محمد بن شمس الدين، وهو الأكبر، فخاف الله عليه، وهو في الحولين، وما زالت تكتم أمره، وتستر خبره، والأمر جارٍ على خلاف القانون الشرعي، فنسبوه إلى غير أبيه شمس الدين، وما زالوا يسعون في قتله، حتى قتل غيلةً، بعد أن بالغت أمه في حفظه، ونشأ نشأةً شريفةً، ورياسة في الوزارة، وكان أفاضل ذاك البيت يدَّعونه بالبنوة، وملوكهم ينزلونه منزلة الأبناء [. . .]، وكانت الذرية هذه منه، هكذا أخبرني به بعض الثقات، والله أعلم، وقصته يطول شرحها[1].

❐❐❐

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا خمسة أسطر بياض».




[حَرْفُ ٱلطَّاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ][1]

[١٠٨٠] السيد الطاهر بن عبدالله الحسني الإدريسي.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان علامةً يحفظ «جمع الجوامع» في أصول الفقه غيباً، ويحله، وله في تعبير العلوم ملكة قوية، وفي العلوم الخبرية ثبات، قدم إلى اليمن، في حدود سنة ثمان وأربعين وألف، واجتمع بالسيد العلامة هاشم بن حازم الحسني والي «زبيد»، وكان من أعيان الأسرة الطاهرة، كَلِفاً بالعلم، فاجتمع به السيد الطاهر، وقرت عينُ كلٍّ منهما بصاحبه.

ثم نهض إلى الحضرة الحسنية، بحصن ضوران، فأجازه السيد الحسن ابن القاسم بجوائز لا تخطر ببال ذي همةٍ من الملوك، فضلاً عن أن يفعلها، ثم توجه إلى محل الخلافة المؤيدية، فرأى من الإحسان ما هاله، ثم عاد إلى الغرب.

قال ابن أبي الرجال: وأخبرني شيخي المحقق أحمد بن أحمد الشابي القيرواني، القادمُ عام أربعة وخمسين وألف: أنه من أهل هذا البيت الشريف من ملوكهم، ولما دخل من اليمن إلى المغرب بهذه الأموال الهائلة، أحرب

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وأضفتها لإتمام العمل.

بها هنالك طويلاً، بعث عليه، قال: ولكنه لم يحضر.

ومن شعره مما كتبه للسيد الأديب صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، ثم كتب إليه السيد صلاح بيتين ملغزاً باسم الشريف الطاهر المذكور:

اسمُ الذي ديني محبته وفي ... يــوم تُمتحن السرائر
بلغتُ في تصحيفه قربته ... للعين مثل الشمس ظاهر

فأجابه السيد الطاهر:

مولاي بالصدر الذي من صحبتي ... وبقلب آلاف وثلث محبتي
إلا عطفت على مُسمّاك الذي ... قد صار رقّاً في هواك بربقة

أراد بصدر صحبتي: الصاد، وبقلب الألف: لام ألف، وبثلث محبتي: تي: ومجموع ذلك صلاح. انتهى.

[١٠٨١] الطاهر المجذوب الهتاري الزبيدي.

حفيد الشيخ عيسى الهتار اليمني، شيخٌ صالحٌ مجاهدٌ مرتاضٌ، منجمعٌ عن الدنيا وما فيها، ساكنٌ بمقام سيدي أويس القرني، مشتغلٌ بالعبادة وقراءة القرآن(١).

[١٠٨٢] الطاهر بن محمد بن الطاهر بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطر ونصف بياض».

وتقدم ذكر نسبه في ترجمة والده.

كان سيداً صالحاً، له يدٌ في العلوم، أخذ عن والده، وتوفي سنة ست وأربعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ، ومولده في شهر صفر، سنة خمس وعشرين وألف.

[١٠٨٣] الطاهر بن أبي القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم البحر.

وقد تقدم بقية نسبه في ترجمة ولده محمد، السيد المشهور بالولاية والقبول عند الخلق، وسماع الكلمة، وسلامة الصدر، له يدٌ قويةٌ في العلوم، وخطٌّ رائقٌ حسنٌ، كتب كتباً كثيرةً، وكان محباً للعلماء.

أخذ عن الفقيه محمد بن أحمد العجل، ولقي محمد بن أبي بكر الأشخر، فأخذ عنه، وعن أبي القاسم بن إسحاق بن جعمان، وعن الفقيه أبي القاسم بن عمر المشرّع، وعن جمعٍ من العلماء، وحج سنة ثمان بعد الألف حجةَ الإسلام، وأخذ عمن بمكة من علمائها، ثم حج ثانياً سنة خمس عشرة، وزار النبي ﷺ.

[١٠٨٤] الطاهر بن عبد القادر بن أحمد بن عبد الولي بن أبي بكر المتبولي.

كان سيداً صالحاً صوفياً، حسن الخَلق والخُلق، كريماً، عليه سيما التقوى ظاهرٌ لذوي البصائر، توفي في شوال، سنة ثلاث وستين بعد الألف، بقرية الدريهمي، وبها دفن.

[١٠٨٥] الطاهر بن محمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن ابن عمر بن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن علي الأهدل.

كان سيداً صالحاً ثقةً عفيفاً، له الولاية الظاهرة، والكرامات الكثيرة الشهيرة. توفي في شوال سنة ثلاث وسبعين وألف بقرية المزروعة، وبها قبره. وكانت له تصانيف عديدة وشعر حسن، ومقروءات في [illegible] منها وغيرها، ومحفوظات من الكتب.

وكان كثير المحبة لأهل البيت والإحسان إليهم وإلى غيرهم، وقد عُرف أنه يسعى [illegible] من الحج. وقد بلغ [illegible] عن عبد الغني بن [illegible]. [illegible] المزروعة مرتين، [illegible] عليه [illegible] من جهة [illegible] ولا. [illegible] أن يخرج من بلده [illegible] إلى مكة.

[illegible]

[illegible] - [illegible] الحُصري الخلوتي.

كان - فيما أخبرني شيخنا محمد النجمي الحلبي - شيخاً مربياً مرشداً، حسن السمت، عظيم الوقار، مطرق الرأس من خشية الله في سائر شؤونه، لا يرفعه إلا عند سلام أحدٍ عليه، ولا يُرى متكلماً إلا في حكايةٍ تتعلق بالصالحين، أو فائدةٍ علميةٍ، أو ذكرٍ لله سبحانه.

وإذا تكلم أحدٌ عنده بما لا يعنيه، يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، بصوتٍ جهوريٍ، ويكثر من ذلك حتى يسكت

المتكلم، وكان ملازماً لبيته، لا يخرج إلا لجمعة أو جماعة، قليل الأكل جداً.

واجتمع بإلياس والخضر ـ عليهما السلام ـ ببيت المقدس، قال: بينما أنا ذات يومٍ ثمة، إذ رأيت رجلاً مهاباً، وبجانبه رجلٌ طويلٌ جداً، عظيم الصورة، لم أر في الآدميين على صورته، فسلمت عليهما، فرد عليّ الأولُ، وتباعد عني الطويلُ، فبعد أن سلمت عليه قلت له: من هذا الطويل؟ فقال: هذا إلياس النبي، وأنا الخضر، فسألته: لِم تباعدَ عني؟ قال: لئلا تذعر منه، فسألتهما الدعاء لي، وبشراني بخير، وقال لي الخضر: لا يجتمع بنا ونحن مجتمعين[1]، إلا رجلٌ قطبٌ، أو رجلٌ يتولى القطبية، ثم فارقتهما.

قال: واتفق أني سافرت لبلاد الروم، فإذا أنا بالخضر، وهو يقول لي: ما جاء بك إلى الروم؟ وهي بلاد الدنيا، وإن رجال الله سبحانه غاروا عليك غيرةً شديدةً، وتعبوا من وصولك إليها، ولا بد أن يصيبك بذلك تعبٌ شديدٌ، فرجعت من ساعتي إلى البلاد، ومرضت من[2] أثناء الطريق مرضاً شديداً، سنة خمس وسبعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٠٨٧] طه العجلوني الحنفي[3].

خطيب جامع تنكز خارج دمشق، كان في أول أمره ينشد من كلام القوم[4]، وله صوتٌ حسنٌ، وقراءةٌ حسنةٌ مجودةٌ، ثم اشتغل بالعلم، ومهر

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مجتمعان.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: في.

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٨٠) (١٧٢).

(٤) في الأصل: كلاماً لقوم.

في كثيرٍ من الفنون، وكان له هيئة العلماء، وكان يعرف اللغات الثلاث[1]، توفي يوم الأحد، سادس ذي القعدة، سنة تسع وعشرين بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير.

[١٠٨٨] الشيخ طعيمة الصعيدي[2].

ذو القدر الخطير، والفضل الكثير، الذي لا ينكره صغير ولا كبير، حفظ القرآن العظيم، ولازم تلاوته، ثم صار مؤدباً للصغار بـ «أشمون» من الصعيد، ثم اشتغل بالعلوم الشرعية، والسنن النبوية، وتفقه على جماعة من فقهاء الشافعية، ولازم الأعلام، ونظم الكلام.

ثم عكف على علوم التصوف والحقيقة، ولازم أحسن الطريقة، وصحب أكابر القوم، وأحسن معهم العوم، ولزم الصلاة والصوم، وهجر الفراش والنوم، وتصدى لنفع الأنام، وانتفع به الخاص والعام، وأقبلت عليه الأكابر والأعيان، ونوَّه بذكره علماء الزمان.

ثم غلب عليه الحال، وطاف البلاد وجال، وزهد في الأهل والمال، وكان يمكث الليالي والأيام، يشرب الماء ويأكل الطعام، ولا يحتاج إلى للبراز كسائر الأنام، ثم توجه لزيارة القدس؛ ليكون فيه مقامه، فوافاه هناك حِمامه، فتوفي سنة أربع بعد الألف، وقتله ـ على ما يقال ـ بعض أرباب الأحوال.

تتمة: كثيراً ما يذكر المؤرخون: أن فلاناً قتل بالحال وشبهه، وفيه سؤال، وهو: أنه هل يجوز القتل بالحال؟ وهل فيه قصاص؟ فنقول: قال

---

(١) في الأصل: الثلاثة، والصواب ما أثبت.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٦٠).

العلامة الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي في «التحفة»[1][2].

❐❐❐

---

(١) جاء في الحاشية: «كتب بالهامش: (كذا بخطه تنقل عبارته)».

(٢) وهذا آخر الجزء الثاني، [من تجزئة المؤلف] من كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»، ويليه الجزء الثالث، وأوله حرف الظاء المشالة.





وصلى الله على سيدنا محمد

حرف الظاء المعجمة المشالة

[١٠٨٩] ظاهر ـ بالظاء المشالة ـ بن مدلج البغدادي الشافعي.

أحد أكابر فضلاء العصريين بالعراق.

وُلد بـ «عانة»، عام خمسـ[ـة] وخمسين وألف، ونشأ ببغداد، وأخذ بها عن والده، وأخذ بحلب عن محمد الكوراني، موجودٌ.

[١٠٩٠] ظاهر العاني الشافعي(١).

مفتي «عانة»، و«الحديثة» من أرض العراق.

قال النجم الغزي: قدم الشام، وحج منها، واجتمعنا به مع شيخنا العيثاوي؛ للسلام عليه، وكان فقيهاً متفنناً، وله مشاركةٌ تامةٌ في العلوم، ورجع إلى بلده، فتوفي بها، في سنة عشر بعد الألف.



---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٢٨٤) (١٧٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٦١).




حَرْفُ ٱلعَينِ ٱلمُهْمَلَة

[١٠٩١] عامر بن محمد الصَّبَاحي الذمَاري(١).

نسبة إلى «بيضا صباح»، قريةٌ مشهورةٌ في مشارق اليمن، تقرب من قَرَن، المنسوب إليها أويس القَرَني ﷺ، على نحو مرحلتين، ذكره العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»، فقال: القاضي العَلامة المذاكر، الشيخ العلامة، ولسان الفقـه، وإنسان عينـه، كان وحيد وقته، وفريد عصره، إليه النهاية في تحقيق الفروع، ينقل عنه الناس، ويقررون عنه قواعد المذهب.

رحل في مبادئ أمره إلى «ذمار»، ولقي شيوخها وحصّل، على قشفٍ في العيش، وشدةٍ في الأمر، يروى عنه: أنه كان لا يملك غير فروٍ من جلود الضأن، وكان إذا احتلم، غسله للتطهر، ثم يلبسه أخضر؛ لأنه لا يجد غيره، وكان مواظباً على العلم أشدَّ المواظبة، أيام هذه الشدة المذكورة، وكان أبوه من أهل الثروة، لكنه حُبس، وأوذي في الله من الأتراك؛ لموالاته أهل البيت.

ثم رحل القاضي إلى صنعـاء، وأقام بها، وَدَرَسَ وَدَرَّس، ورحل إلى شيخ الزيدية إمام الفروع والأصول، إبراهيم بن مسعود الحميري إلى الظهرين،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٦٤)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٤٦) (٣٢٥).

وكان ـ إذ ذاك ـ بقية العلماء، وله بـ «التذكرة» ـ خصوصاً ـ فرط ألفة.

فطلبه القاضي عامر أن يقرئه فيها، فأجابه، ولم يستعد لتدريسه؛ لظنه أنـه من عامـة الطلبـة، فلما اجتمعـا للقراءة، رأى في القاضي عامر حضارةً وحافظيةً، ومعرفـةً كاملةً، فقال له: يا ولدي! لست بصاحبك اليوم، فاترك القراءة، فتركها، ثم استعد لها، فاستخرج ببحثه من جواهر علم القاضي نفائس وذخائر، ثم إنه عاوده بالرحلة إليه للزيارة، فأكرمه الفقيه صارم الدين، وأمر الناس بإكرامه، ورحل إليه من صنعاء لمسألةٍ واحدةٍ أشكلت عليه، غابت عني مع معرفتي بها، لولا طول العهد، روي: أنها أشكلت عليه، فلم يبت إلا في الطريق قاصداً إلى «حَجَّة».

ورحل القاضي ـ رحمه الله ـ إلى صعدة، فقرأ الحديث على شيخه الوجيه عبد العزيز البصري المعروف ببهران، ولقي الإمام الحسن، وصحبه، وما زال حلفاً للصالحات، مواظباً على الخيرات، ولما دعا الإمام القاسم المنصور بالله، وهو يومئذ بصنعاء، فخرج إليه، وصحبه، وقرأ عليه الإمام كتاب «الشفا»، ثم ولي القضاء ولاية يعز نظيرها، ولا تقدر العبارة للوفاء بوصفها؛ فإنه كان من الحلم والأناة بمحل لا يلحق.

وكان وحيداً في العلم، وصادقاً في كل عزيمة قولية أو فعلية، فزاده الله الجلالة والمهابة في الصدور، إذا برز في المجامع، خضع الناس شاخصين إليه، مع كمال صورته، وطول قامته، وكان لذلك الجلال الرحماني لا يحتاج الأعوان، بل يبرز للقضاء، وإذا أراد حبس أحد من أجلاء الرجال وأعيان الدولة، التفت إلى أقرب الناس إليـه، كائناً من كان، فأمره بالمسير به إلى الحبس، فلا يستطيع أحد الامتناع عن أمره.

وهو الذي قوى أعضاد الدولة المؤيدية، وكان الصدر يومئذ غير مدافع، واستقر بحضرة الإمام المؤيد بالله مدة، ثم نهض إلى جهة خولان العالية، فاستوطن وادي عاشر، وابتنى بها داراً عظيمة من أحسن المنازل، تولى بناءها ولده العلامة الأمير قاضي المولى شرف الدين الحسن ابن أمير المؤمنين أحمد ابن عامر، فهيأها للضيوف على قدر همته، وكان مضيافاً كريماً.

ولما استقر القاضي بـ «عاشر»، انتفع به العامة والخاصة، ورحل إليه الفضلاء للقراءة؛ كالقاضي المحقق محمد بن ناصر بن دغيش الغشمي ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان أحد رواة أخباره: قال: وكان لا يترك الإشراف على «التذكرة في الفقه» كل يوم يطالع فيها، ومن رواة أخباره: تلميذه أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد؛ فإنه الذي تولى تهذيبه، وكان مولعاً به، ويخصصه بمزايا، حتى إنه لا يقبل في مجلس القراءة أموراً يعتادها الطلبة إلا من الإمام، فكان يقبلها منه؛ لكثرة محبته له وتنويره.

وكان يتولى عظائم الأمور، ورحل إلى صنعاء لعقدٍ عَقَدَه بين الأروام والإمام، واستنهض الإمامَ لحرب الأروام، ولما كثرت كتب خولان العالية ومن قاربهم من قبائل الزيدية إلى القاضي عامر يستنهضونه لاستنهاض الإمام للخروج على الترك، وكان الإمام قد فعل، لكنه احتاج إلى الكتم، حتى من القاضي على جلالته، فدخل يوماً إليه، وعنف الإمام، فأخبره بأن إخوته قد خرجوا، منهم من جاء من المغرب، وهو الحسين، ومنهم من الشرق، وهو الحسن، ومنهم المتوسط بينهما، وهو أحمد، قام القاضي على وقاره وكبر سنه، فحجل كما فعل جعفر بن أبي طالب ﷺ، وهو أحد السنن المأثورة،

ولم يكن بين وفاته وبين وفاة ولده أحمد إلا أيام قليلة.

ومما ينبغي أن يحكى، وإن كان بترجمة ولده أحمد أليق، لكن اقتضى الحال كتابته هنا، وهو: أن أحمد بن عامر، لما تم له الحضور مع ابن الإمام في حروب زبيد، استأذن الحسن بن القاسم في زيارة والده، فقال له ابن الإمام: قد عزمنا على الطلوع جميعاً، فتأخر له توقفات. فرأى القاضي أحمد -رحمه الله- في المنام رجلين يقول أحدهما للآخر: اقبض روحه، فيقول الآخر: لا أقبض روحه فإن له أباً شيخاً كبيراً قد سأل الله أن يريه إياه، فلا أقبض روحه حتى يصل إليه، فلما استقر هنا في ثلا -رحمه الله- دخل إلى الحسن، وألح عليه في الفسح، ولعله أسره بذلك، فأذن.

[١٠٩٣] عامر بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد ابن الأمير الحسين ابن الأمير علي بن يحيى العالم ابن محمد العالم التقي يوسف الأشل ابن الداعي الإمام يوسف الأكبر(١).

وبقية النسب مذكورٌ في ترجمة الإمام القاسم، ذكره القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال في تاريخه «مطلع البدور ومجمع البحور»، فقال: السيد الشهير، العالم الفريد، الأمير الكبير، كان فاضلاً رئيساً، سرياً عالي الهمة عارفاً.

نهض مع ابن أخيه الإمام القاسم بن محمد، فنازل الملوك، وطارح الكبار، وفل الشوكة، وعلا صيته وارتفع، وكانت له مشاهد عظيمة، مع الأمراء

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٦٣)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٥٣).

أهل كوكبان، وجنود الأروام، وأفضى أمره إلى الشهادة، على نهج سلفه الكرام، غير أنه زاد بالمُثْلة؛ فإنه سلخ جلده، وذر عليه الملح، ولم يزل كل يوم يؤخذ منه شيء، حتى سلخ جلده ﷺ، وقبره بـ «خمر»، وكان ما وصفناه من المثلة بِـ «جُمُومَة»، من أعمال خَمر، ويقال: إن رأسه بصنعاء، وقد بنى ولده عبدالله عليه قبةً.

وله ترجمةٌ وصفها شيخنا العلامة أحمد بن سعد الدين ـ رحمه الله ـ، تنقل ـ إن شاء الله ـ، وترجم له بعض أحفاده، فذكر شيئاً من جميل حالـه، وقال: مولـده سنة خمس وستين وتسع مئـة، ونشأ على السيادة والطهارة، وطلب العلم الشريف على منهاج سلفه الأكرمين.

وقرأ على القاضي العلامة عبد الرحمن بـ «محرفة»، هكذا قال عبد الرحمن، ولم يكن مرَّ بسمعي، فهي فائدةٌ أخرى، وقرأ كتب النحو والأدب، و«الكشاف» على السيد الفاضل عثمان بن علي ابن الإمام شرف الدين بـ «شبام»، قبل دعوة الإمام القاسم، وسكن بأهله هناك يطلب العلم.

ولما دعا الإمام ببلاد قارة، كتب إليه، فوصل إلى سودة شظب، وتوجه بجنودٍ، فافتتح من بلاد الأمراء آل شمس الدين كثيـراً، وكانوا أعضاد الأمير الوزير الحسن، والكيخيا سنان، فما زال كذلك من سنة ست وألف إلى سنة ثمان وألف.

ثم عاب فيه جماعةٌ من أهل قاعة، وكان قد تزوج امرأة هناك، وتفرق عنه أصحابه، ولم يبق إلا هو، وقصده جماعةٌ من الأتراك، فأحاطوا به، ثم أسروه، وأدخلوه شبام، فطافوا به في كوكبان وشبام على جمل، وأمير كوكبان

يومئذ علي بن شمس الدين، ثم إن علي بن شمس الدين أرسل به مع جماعةٍ من الترك إلى جُمُومَـة من بني صُرَيم إلى الكيخيـا سنان، فأمر أن يمثل به، فسُلخ جلده.

قال الإمام القاسم: وصبر، فلم يسمع له أنينٌ ولا شكوى، إلا قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، وكان سلخ جلده يوم الأحد، الخامس عشر من رجب، سنة ثمان وألف، ثم إن سنان ملأ جلده تبناً، وأرسل به على جملٍ إلى صنعاء، إلى الوزير حسن، فشهر جلده على الداير، على ميمنة باب اليمن، مما يلي الشرق، وسائر جسده دفن بجُمُومَـة، ثم نقل إلى خَمـر بأمر الإمام القاسم.

وقبره مشهورٌ مزورٌ، له النذور والتعظيمات، ثم احتال بعض الناس في الجلد، فأسقطه إلى تحت الداير، ودفنه على خفية على يسار الخارج من باب اليمن، وعليه ضرحٌ وقبةٌ على يسار الخارج من باب اليمن، وقد ترجم له الإمام القاسم ترجمة بخطه في نسخة البحر التي للإمام، وترجم له السيد العلامة صدر العلماء أحمد بن محمد الشرفي ـ رحمه الله ـ، والقاضي العلامة أحمد بن سعد الدين، ورثاه بقصيدةٍ منها:

أزائـر هـذا القبـر حُيِّـيت زائـرا ونلت به سهماً مـن الأجـر وافـرا
وأديتَ حقَّ المـصطفى ووصيِّــه فُهنِّيـت لمـا زرتَ فـي الله عـامرا
سليل الكرامِ الشمِّ مـن آل أحمـدٍ ومن كـان للـدين الحنيفـيِّ عـامرا
وعـمَّ الإمـام القاسـمِ بـنِ محمـدٍ إمامِ الهدى من قام للحـق ناصرا

ومن شدّ أزراً منه حين دعا إلى ... رضا ربّه أكرمْ بذلك آزرا
تقلّده المنصورُ سيفاً مهنداً ... وكان له في وجه أعدائه شاهرا
وكائِنْ له من موقفٍ شهدَت له ... أعاديه أن فاق الأوائل آخرا

[١٠٩٣] عامر بن شرف الدين بن شرف الدين الشبراوي[1].

وأمه فاطمة بنت خديجة بنت الشيخ محمد الشناوي، أتت به أمه وهو صغيرٌ إلى سيدي عبد الوهاب الشعراني، وقالت له: ادعُ له، فدعا له، وغسل له يديه بنفسه ـ نفع الله به ـ.

شيخ الإسلام، وخاتمة العلماء الفخام، الإمام العلامة، المتبحر في العلوم الدينية، والفنون العقلية.

روى الفقه عن العلامة الشمس الرملي، والنور الزيادي، وسالم الشبشيري، والحديث عن العلامة المحدث سالم السنهوري، وسمع عليه الكتب الستة كملاً، وكان يفتخر بذلك على أقرانه من مشايخ مصر، ولازم في علوم العربية الشيخ أبا بكر الشنواني نحو عشرين سنةً، وهو من أجل تلامذته، وأجازه شيوخه.

وبرع في كثير من العلوم، وصار أوحدَ وقته في الفتيا، والمرجع في القضايا المشكلة الفقهية، على مذهب الأئمة الشافعية، وكان ﷺ مشهوراً بالصلاح، واستجابة الدعاء؛ بحيث كان يقصده الناس من أنحاء كثيرةٍ لالتماس دعائه، وكان كثير العبادة، ملازماً للتدريس والإفتاء بالجامع الأزهر، غايةً في

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٦٢).

هاتِ افتنا في زيدِ المخفوضِ فـي ... مـــا قـــام إلا زيـــدِ المـــسكينِ

فأجابه بقوله:

يا مـن بـشمس علومـه زال المِـرا ... فغـدا لمـصباح الهـدى كـالعينِ

إني أقـولُ جـوابكم وبـي الجـوى ... فـي فـرد بيـت زانَ فـي العينـينِ

زيـــدٌ تـــصّور جـــره بإضـــافة ... لـــلاّلِ وهـــو العهـــدُ للاثنـــينِ

[١٠٩٨] عبدالله بن المهدي بن إبراهيم بن محمد بن مسعود الحُوالي[1].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخـه»: سيبويه زمانـه، وخليل العلوم في أوانه، إمام الأدب الفاضل، المحقق الحافظ المدقق، كان علماً في العلوم، أديباً لبيباً، مطلعاً على أفراد اللغـة، وعلم تراكيبها، حافظـاً لأيام الناس في الجاهلية والإسلام.

واشتهر باللغة، وكان برز فيهـا، فاستدرك على المحققين من أهلها؛ كصاحب «الصحاح»، و«القاموس»، وأضرابهما، وكان بعض مشايخنا يسميه بالبحر، ورأيت استدراكاتٍ منه على أئمة اللغة، فقلت: كم ترك الأول للآخر!.

وكان من لين العريكة، وسهولة الناحية، وعذوبة الحاشية، بمحلٍ يكاد تسيل لديه طباعه سيلاناً، ويتواجد للإلهيات، ويهتز للأدبيات. ولم تطمح نفسه مع فضيلته إلى شيءٍ من المراتب، لقيتُه بوطنه الظهرين مرة، فرأيت فوق ما سمعت. وعلمت أن الله لم يخل الزمان.

وكان له شعرٌ في الذروة، وله القصيدة الطنانة، الطائرة في الآفاق، يمدح

---

(1) نفحة الريحانة للمحبي (٣/ ٥٢٧) (٣٥٤)، خلاصة الأثر للمحبي (٣/ ٨٣).

بها الإمام المؤيد بالله، وإخوته الثلاثة: الحسنين، وأحمد أيام الجهاد، أجاد ما شاء، وكان يقول: إنها ليست من جيد شعري، **وهي طويلةٌ مطلعها:**

عـن سـعادٍ وحـاجرٍ حَـدِّثاني ... ودَعـاني عـن المـلام دَعـاني
واذكـرا برهـةً مـن الـدهر مـرَّتْ ... كنـت أُدعـى بهـا صـريعَ الغـواني
وأعيـدا حـديثَ بـانِ المـصلَّى ... ولمربـوع الرحمـاتِ مـن نعمـانِ
أنـا لا أكتفـي بنـايٍ رخـيمٍ ... عـن سـعاد ولا يعـود بشـان
قـد سـقتني بكأسـها مـن مـدام ... هـيَّم القلـبَ لونُهـا الأرجـواني
عُتِّقَتْ في الدنان من عهد كسرى ... فهـي تَنْمـي إلـى أنوشـروانِ
بهرتْ في الـصفا صـفراءَ حمـراء ... سـرور القلـوب والأبـدان
ياعـذولي ولـستُ للعـذل أُصـغي ... غيـرُ قلبـي يهـيمُ بالـسلوان
أنـا خِـرِّيجُ عـروةَ بـنِ حـزامٍ ... مـنهجُ الـوالهين فَنِّـي وشـاني
ولـو أنـي رُزقـتُ حظّـاً لمـا صـر ... تُ أُعـاني مـن الهـوى مـا أُعـاني
ولأبـرزتُ حاجـةً فـي فـؤادي ... صـنتُها عـن فلانـةٍ وفـلانِ
وسأقـضي لُبـانتي عـن قريـب ... بنجيـبٍ شـمردل غيـرِ آنـي

ومنها في المديح:

صـال هـذا المـصال يبغـي ... رضـا الله ونلنـا المنـى والأمـاني
وانقـضتْ دولـة العلـوم وزالـتْ ... ساسـةُ الملـك مـن بنـي عثمـانِ
وتـولَّى ديـارهم عبقـريٌّ ... لـيس يقـوى قويّـه الـثقلانِ

ومنها:

قسماً بالإمام غوثِ البرايا — وهو عندي من أعظم الأيمانِ
لقد اعتاد عنوةً كلَّ صعبٍ — ولقد عمَّ صولةً كلَّ جاني
أيها الناسُ هل علمتم بذا الفتـ — ـحِ وذا الفتكِ في قديم الزمانِ
يا لفخرٍ سما له الحسنان — نسخ الظن بعده بالعيان
نهضا للعلا أدارا رحى الحر — بِ وقاما بيكرها والعوان

ومنها:

فسقوا من دم الأعادي صَبوحاً — كلَّ عضب مهندٍ وَسِنانِ
أقحموا خيلَهم غمارَ المنايا — وأبادوا الجيوشَ بالهُنْدُواني
ولقد حاقَ بالعدا يوم روع — وسقوا أحمراً من الدم قاني
يا لها صولةً شفتْ علةَ القلبِ — وأهدتْ من المنى ما كفاني
حينَ شدَّت لريمةِ ابنِ حميدٍ — كلَّ جردا طمرَّةٍ وحصان
طال فيه النزالُ والطعن والضر — بُ وإعمالُ عاملٍ ويَماني
واذكر السيدَ الهِزَبْرَ المحامي — من أدار الرَّحى على عمرانِ
أحمدَ بنَ الإمامِ غيظَ الأعادي — ناصرَ الدينِ قاهرَ الأقرانِ
أعجزَ المفسدين أن يطمعوا فيـ — ـه وأختى على ذوي الشَّنآنِ
يا بني القاسمِ الإمامِ حماكمْ — ربُّنا بالزبورِ والفرقانِ
فبإقدامِكم حيا مَيِّتُ المجـ — ـدِ وقمتُمْ بنصرة الأديان

إلى أن قال:

فكفى اللهُ كلَّ ضَيرٍ وهولٍ ... بإمامِ الهدى كمالِ الزمانِ
فكراماتُه غدت خارقاتٍ ... وهو لا غروَ مظهرُ البرهان

ومنها:

فليفز بالنجاة قوم تولو ... ه وقاموا بطاعة الرحمنِ

ولولا اشتهارُها لذكرناها بطولها.

وله مقاطيع، وكل معنًى حسن، وله دوبيت:

يا جودَ حَياً على الجنابِ الغربي ... قد أنعمه بواكفاتِ السُّحْب
أحييت الأرض في رباه فمتى ... يحيا بالوصل من حبيبي قلبي

توفي بوطنه في أفراد سنة إحدى وستين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٠٩٩] عبدالله البخاري[١].

مدرس السليمانية، ومفتي الحنفية بدمشق، كان عالماً متواضعاً، صوفيَّ المشرب، مات يوم السبت، سابع ذي الحجة، سنة عشر بعد الألف، ودفن بباب الصغير ـ رحمه الله ـ.

[١١٠٠] عبدالله الكردي البغدادي ثم الدمشقي[٢].

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٨٦) (١٧٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٨٥)، «عرف البشام» (٦٤) (١٥).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٨٥).

اشتغل بالعلوم أولاً، وفاق أقرانه، ثم غلب عليه الحال، ورمى كتبه في الماء، وسلك الطريقة، ونال الرتبة العلية، ونزل بدمشق، وسكن بالكلاسة، ويقال: إنه كان من الأبدال السبعة، وله كراماتٌ كثيرةٌ.

قيل: كان تارةً لا يأكل ولا يشرب أسبوعاً، وتارةً يأكل أكل سبعة رجالٍ، وكان شخصٌ من أعيان دمشق، يقال له: رجب آغا، محباً له، فزاره مرةً، وكان محموماً، فقال له الشيخ: أخذت حمَّاك، فبرئ من الحمى مدةَ عمره.

وقيل: لما دخل الشيخ بستان الواعظ إلى دمشق، ولقي الشيخ، فقال له: يا مولانا! أعطيناك الوظيفة أشرفياً، فبعد أيام جعلوا له وظيفةً بذلك المقدار.

وكان خليل باشا نائب السلطنة يزوره كثيراً، فلما عزل، أشار لوصوله إلى المنصب الأعلى، وقال له: أودعناك الله تعالى، ثلاث مراتٍ، فلما وصل إلى دار السلطنة، صار وزيراً أكبر، وصهراً للسلطان، فظهر ما أشاره الشيخ.

توفي بدمشق سنة ثلاث بعد الألف تقريباً، ودفن بمرج الدحداح.

[١١٠١] عبدالله بن أحمد العجلوني[١].

قال الشيخ الغزي في «الذيل»: مفتي عجلون، وابنُ مفتيها، كان فقيهاً فاضلاً، عالماً عاملاً، أخذ عن أبيه، وهو أحد تلامذة شيخ الإسلام الوالد، وممن شمله إجازته، مات في أوائل المحرم بعجلون، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٨٣) (١٧٤).

[١١٠٢] عبدالله المصري الحنفي(١).

إمام الشادبكية، وخطيب جامع العدّاس بدمشق، بمحلة القَنَوَات، خارج باب الجابية، المعروف بأبي ستة؛ لأنه كان له إصبعٌ زائدةٌ في كل واحدةٍ من يديه، وكان أسمر اللون، طويل القامة، قال النجم الغزي: قرأ على شيخ الإسلام الوالد، وولدِه شهاب الدين، وإسماعيل النابلسي، وغيرهم، وكان أخذ عن المصريين.

وكان الوالد يُثني عليه في العربية، ولقد عاشرناه، فوجدناه عارفاً بالنحو، متبحراً فيه، مشاركاً في غيره، وكان شيخاً فيه دعابةٌ وتواضعٌ، وليَ إمامة الركب الشامي، سنة أربع بعد الألف، وحج، فلما رجع مع الحج، إلى منزلة «الحديدة» بين الحرمين، وأراد الرحلة منها، قدمت له ناقته، فلما ركب، وَقَصَته، فمات شهيداً، عن نحو ثمانين سنة ـ رحمه الله ـ.

[١١٠٣] عبدالله الكردي الشافعي(٢).

قال النجم في «ذيله»: المجذوب المستغرق، القاطن في المدرسة العزيزية في حجرة لطيفة كانت لا تسع معه أحداً، ورد دمشق، فقرأ على شيخنا أحمد العيثاوي في الفقه، ثم عرض له جذب، فانقطع عن الدرس مدة، فتفقده شيخنا حتى وجده، فقال له: ما لكَ انقطعت عنا؟ فقال: إني. . . واستغرقت،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٨٣) (١٧٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٦٥).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٨٥) (١٧٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٨٥).

وغلب عليه الانعزال عن الناس.

وكان لا يقبل إلا ما كان حلالاً، ولا يقبل ما كان من أموال الظلمة وأطعمتهم، وإذا كان على كفايةٍ لا يقبل شيئاً، قال لي شيخنا: رأيته مرةً وهو خارج من العزيزية، وقد وضع كمه على أنفه، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى الصالحية، «فر من المجذوم فرارك من الأسد»، قال شيخنا: فعرفت أنه أنزل الناسَ وما هم عليه من المعاصي منزلةَ المجذومين، وكان يلبس قميصاً، وفوقه عباءةً، توفي في حدود سنة عشر بعد الألف، أو قبلها ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١١٠٤] عبدالله بن المهدي الكِبْسي.

كان هذا السيد زينة المجالس، حليةً للمدارس، ولي القضاء من الإمام المتوكل إسماعيل بصنعاء، ومات في سني التسعين بعد الألف.

[١١٠٥] عبدالله الكردي الشافعي(١).

الشيخ الإمام العلامة، العلواني المشرب، حج من بلاده مراراً، ودخل الشام غير مرةٍ، وأخذ عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وأخذ الطريق عن أبي الوفا ابن الشيخ علوان الحموي.

ولما أجازه، كتب له الإجازة الصغرى، فقال له: يا سيدي! اكتب لي الإجازة الكبرى، فقال: وما الإجازة الكبرى؟ فقال له المترجم: هي في كتابٍ صفته كذا وكذا، ولون جلده كذا، وهو تحت الكتب كلها، فقال له: من أخبرك بهذا؟ فقال: أخبرني به سيدي الشيخ علوان البارحة في منامي، وقال لي: قل لأبي الوفا يُعطيك الإجازة الكبرى، بإشارة والده.

---

(١) جاء في الحاشية: «مكررٌ».

قال النجم الغزي في «الذيل»: حدثني بذلك الشيخ أبو الجود البتروني الحنفي مفتي حلب، وكانت وفاته ببلاده سنة ست بعد الألف.

[١١٠٦] عبدالله بن محمد بن أبي بكر العَيَّاشي المغربي المالكي[1].

كان من صدور الفضلاء، له العناية بالعلوم العقلية والنقلية، قرأ بالمغرب على شيوخٍ كثيرين، منهم: أخوه الأكبر، ومعلمه الأظهر عبدُ الكريم بن محمد، والشيخ العلامة أبو بكر بن يوسف المراكشي، وإمام المغرب عبد القادر بن علي الفاسي، والشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن موسى الأبَّار الفاسي.

ورحل إلى المشرق، فقرأ بمصر على النور على الأجهوري، والشهاب أحمد الخفاجي، وأبي إسحاق إبراهيم الميموني، وعلي الشبراملسي، ومحمد البابلي، وسلطان المزاحي، وعبد الجواد الطريني المالكي.

وجاور بالحرمين سنين عديدة، فأخذ عن كثيرٍ من علمائه، منهم: الإمام زين العابدين الطبري، وعبدالله بن سعيد باقشير، وعلي بن الجمال، وعبد العزيز الزمزمي، وعيسى الثعالبي المغربي الجعفري، وشيخنا إبراهيم الكوراني، وأجازوه، ورجع إلى بلاده، وأقام بها إلى أن توفي - رحمه الله -، وله «رحلةٌ عظيمةٌ» في مجلدين، و«منظومةٌ في أهل بدر»، وعدة مؤلفات.

[١١٠٧] السيد عبدالله بن محمد بن عبد الحسين بن إبراهيم بن أبي شبابة الحسيني البحراني[2].

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٢٩).

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٩١) (١٨١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٩٧).

قال في «السلافة»: أديبٌ قام مقام والـده وسَدّ، ولا عجب للشبل أن يخلف الأسد، فهو نفحة ذلك الطيب وأريجُـه، ونهر ذلك البحر وخليجُه، المنشد لسانُ محتده: وهل يُنبت الخطيَّ إلا وشيجُه؟.

من شعره قوله:

مـا نـضتْ ليلـةَ المَـزارِ الإزارَا هنـــدُ إلاَّ لتهتِـــكَ الأسْـــتارَا
طرَقتْنـــا ولاتَ حـــين طُـــروقٍ حبَّـــذا زائـــرٌ إذا الـــنجمُ غـــارَا
رَقَّ بعـــد الـــصُّدودِ عَطْفـــاً لِـــرقٍّ ورعَـــى حُرمـــةَ العهـــودِ فـــزارَا
قابلتنـــا بطَلْعـــةٍ قـــد أرتْنـــا الـــشْـ ـــشَمس لـــيلاً فأوْهمتْنـــا النهـــارَا
طَفلـــةٌ تخلِـــبُ العقـــولَ بطَـــرْفٍ وبـــدَلٍ تـــستعْبِدُ الأحْـــرارَا
دُميـــةٌ لـــو تـــصوَّرت لِمَجُـــوسٍ تَخِـــذُوها إلهـــاً وعـــافوا النَّـــارَا
ناهـــدٌ تـــسلُب النفـــوسَ بطَـــرْفٍ غَـــنِجٍ زادَه الفُتـــورُ احْـــوِرارَا
ذاتُ خـــدٌّ جلَـــى لنـــا الـــوردَ غَـــضّاً وشَـــتِيتٍ جلَـــى علينـــا العُقـــارَا
وفـــمٍ مثـــلِ خـــاتمٍ مـــن عَقِيـــقٍ عمَّـــر الـــدُّرَّ فـــي نَواحِيـــه دَارَا
ولِحـــاظٍ تـــسْبي العقـــولَ وخَـــصْرٍ زادَه باســـطُ الجمـــال اخْتـــصارَا
وإذا مـــا تـــرنَّح القَـــدُّ منهـــا قلـــتُ قـــد هَـــزَّ ذابِـــلاً خَطَّـــارَا
غـــادةٌ لَـــذَّ لـــي بهـــا هَتْـــكُ سِـــتْرِي في طريق الهوى وخَلْعِـي العِـذارَا
وعجيـــبٌ مـــن توغَّـــل أمْـــراً فـــي النـــوى أن يـــرومَ منـــه اسْـــتتارَا
أَيُسِرُّ الهـوى وشـأنُ دمـوعِ الـصَّـ ـــبِّ بالـــصَّبِّ تُظهِـــر الأسْـــرارَا
والـــذي عقلُـــه غـــدا بيَـــدِ الغِيـــ ـــدِ أســـيراً لا يـــستبدُّ اخْتيـــارَا

كيف أرجو من الخُطُوب خَلاصاً بعـد مـا أنْشَبتْ بـيَ الأظْفـارَا
أرْهَفتْ إذ عـدَتْ علـيَّ نِـصالاً لـيس ينبـو فِرِنْـدُها وشِـفَارَا
قصَدتْ أن تسُومنِي الخَسْفَ ظُلْماً والبَـرِيُّ الأبـيُّ يـأبَى الـصَّغارَا
مـا درَتْ أنَنـي رُفِعـتُ مقامـاً بحِمَـى أحمـدٍ وزِدْتُ اعْتبـارَا
وَهوَ أَسْمَى في رُتْبةِ المجد من أن يُـدرِكَ الـضَّيْمُ لَمْحـةً منـه جَـارَا
سيِّـدٌ سـاد فـي البريَّـةِ نُـبْلاً وزكـا عُنْـصُراً وطـابَ نِجَـارَا
ماجـدٌ نـالَ رُتبـةً فـي المعـالي لـم ينَلْهـا مـن قبـلُ كِسرَى ودَارَا
أرْيَحِـيٌّ إذا أراحَ لنَيْـلٍ أرْسـلتْ سُـحْبُ راحِـه الأمْطـارَا

وهي طويلةٌ، وفي إيراد هذا القدر كفايةٌ.

وقوله أيضاً:

أغَـار فـي تِيهِـه وأنْجَـدْ فـصوَّب الفكـرَ بـي وصَـعَّدْ
وجَـدَّ فـي مَطْلَـب التَّجنِّـي فجـذَّ حبـلَ الـوِدادِ بالـصَّدّ
أتيـتُ أشـكُو إليـه وَجْـدِي فـصدَّ كِبـراً وصـعَّر الْخَـدّ
سَـما بـه عُجْبُـه فأضْـحَى يـضِنُّ عنـد الـسلامِ بـالرَّدّ
ظَبْـيٌ بـديعُ الجمـالِ أحْـوَى أغَـرُّ حُلْـوُ الـدَّلالِ أغْيَـدْ
مُهَفْهَـفٌ تخـضَع العَـوالِي إذا تثنَّـى ورَنَّـحَ الْقَـدّ
مُجـاذِبٌ رِدْفُـه لخَـصْرٍ دَقَّ فخِفْنـا عليـه ينقَـدّ
ذُو مَبْـسَمٍ بالرُّضـابِ حَـالٍ مِـن حولِـه اللُّؤْلُـؤُ المُنـضَّدْ
كـم بـات يـرْوِي لنـا قـديمَ الـ ـحديثِ نَقْـلاً عـن المُبَـرِّدْ

فنَــال منَّــا المُـــدامُ منـــه ما لــم تنَلْــه مُــدامُ صَــرْخَذْ
بـــدرٌ تَغــارُ النجـــومُ منـــه إذا سَـــنَا وجهِـــه تَوقَـــدْ
أحــلَّ قتْـلَ الأنـام عَمْـــداً ولا قِـــصاصاً يَـــرى ولا حَـــدّ

منها:

مـــا لاح يومـــاً لعاشِـــقيهِ إلاَّ وخَـــرُّوا لَدَيْـــه سُـــجَّدْ
كـــلُّ عَميـــدٍ بـــه عَمِيـــدٌ وكـــلُّ مَـــوْلًى لـــه مُعَبَّـــدْ
أُطلِـــق حُبِّـــي لـــه فأمـــسَى قلبِـــي بـــه واجِبـــاً مُقيَّـــدْ
هَوِيْتُـــه عامِـــداً لمعنًـــى منـــه أتـــى بالجمـــالِ مُفْـــرَدْ
ولـــستُ أبغِـــي بـــه بـــدِيلاً وإن تجـــافَى قِلًـــى وإن صَـــدّ
مـــا زلـــتُ شـــوقاً إليـــه أصْبُو وعهـــدُ وُدِّي لـــه يُجـــدَّدْ
كمـــا صَـــبَا للنَّـــدى ارتياحـــاً سـَـيدُنا ابـــنُ النبـــيِّ أحمـــدْ
أرْفَـــعُ مـــن ترفـــعُ المَعـــالِي طَـــوراً إلـــى مجـــدِه وتُـــسْنَدْ
كـــم جمعـــتْ للكـــرامِ شَـــمْلاً يَـــدٌ لـــه مَالُهـــا مُبـــدَّدْ
وكـــم أقالـــتْ عِثـــارَ قَيْـــلٍ أطاحَـــه دهـــرُه وأقْعَـــدْ

منها:

أبـــا علـــيٍّ فِـــداك نفـــسي ومـــا حَوَتْـــه يَـــدايَ مـــن يَـــدْ

منها:

وابْـــقَ بقـــاءَ الـــدهورِ مـــا إنْ أضـــاءَ بـــرقٌ ولاح فَرْقَـــدْ

[١١٠٨] عبدالله بن محمد بن محيي الدين عبد القادر بن زين الدين ابن ناصر الدين النحراوي الحنفي[١].

أحد الفضلاء والفقهاء على مذهب النعمان، الذين تكحلت بمجدهم عيون الفتوى في هذا الزمان، ارتفع إلى ذرا الفضائل، وسابق في حَلْبة العلوم، فحاز قصب الفواضل، أخذ عن والده، فسرى في ليل المجد، فباكره الفلاح، وحط رحله في ساحة العلم، فما ترك عن أبيه مغدى ولا مراح، ومن شابه أباه فما ظلم.

وأفتى ودرَّس، ونـزل في ساحة العلم وعرَّس، إلى أن وافته المنية بمصر، في أحد الربيعين، سنة ست وعشرين بعد الألف، عن نحو خمسين سنة ـ رحمه الله ـ.

[١١٠٩] عبدالله بن محمود بن محيي الدين بن شهاب الدين بن أحمد، الدمشقي الأصل، المكي المنشأ، الشافعي.

الشيخ الفاضل الصالح، أحد أكابر عباد الله الصالحين، الملازم تقوى الله وطاعته، المتصدي لنفع عباد الله وخدمتهم، صحبته بالطائف المحروس، فرأيت منه ما يسر الناظر، وأخبرني أن مولده بمكة، سنة تسع وعشرين وألف، وبها نشأ، وقرأ القرآن، واشتغل بما يعنيه من أمور دينه ودنياه.

واشتغل بالكتابة، وكتب بخطه «القاموس» سبع عشرة نسخةً، ومن بقية كتب اللغة والتفاسير والحديث ما يطول شرحه، وخطه حسنٌ، وفي غاية الصحة والضبط؛ بحيث إن النسخة التي بخطه، تباع بأضعاف ثمنها، وكان

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٦٦).

من الملازمين لخدمة سيدنا العارف بالله عبد الرحمن بن أحمد المكناسي، ومن المختصين به.

ومن شعره يشكو الملل من النساخة قوله:

قالت النفس ملالاً وضَجَرْ ... طالَ مُكثي في عناءٍ وكَدَرْ
سلكَ الشيبُ نواحي لِمَّتي ... وشبابي كادَ يدهَى بالكبَرْ
لم أزلْ خلفَ دواةٍ وقلم ... وكتابٍ قد عَشي مني البَصَرْ
كلَّما تَمَّ كتابٌ وانقضى ... قلتُ عَلّي قد قضى لي بالظَّفَرْ
أَبدلوني منه جلداً غيرَهُ ... فكأني يا بنَ ودِّي في سَقَرْ

هذا البيت ينظر إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

قلتُ صبراً ورضاءً بالقضا ... كلُّ شيءٍ بقَضاءٍ وقَدَرْ
ثم لُوذي بجنابِ شامخٍ ... سيدِ الرسلِ ملاذاً من ضَرَرْ

وقوله:

جُلُّ عُمري قد تَقَضّى في احتباسِ ... لم يَرُقْ لي من زماني قطُّ ساعَهْ
بل مقيمٌ يا بنَ وُدِّي وصديقي ... خلفَ ركنٍ ودواةٍ ويَرَاعَهْ
أَغْنِ فَقْري يا إلهي وأرِحْني ... فَضْلَ عمري من عَنا هذي الصناعَهْ

وقوله:

يا قلبُ قد خانَ الخليلُ فخلِّهْ ... حاشاكَ لستَ ببقْلِه أو خَلِّهْ

يا ويحَ صبٌّ دينهُ صونُ الهوى   يرضى الدنيةَ أن تُرى في خِلَّةْ

وله قصيدةٌ مرثيةٌ في ولده مطلعها:

أستودعُ اللهَ رَاحاتي وَلَذَّاتي   من بعد فَقْدي محيي نور أوقاتي

وله رسالةٌ يرثي بها صديقاً له مات فجأةً، وهي:

يا فلان! أخنى عليك دهرك، فخلا منك قصرك، وأفلَتْ شمسُه، وذهبت بهجته، وأظلم قطره، فوحشتُه باديةٌ، وكآبته غير خافيةٍ، يسيء الناظر، ويكدر الخاطر، كمحلةٍ آهلةٍ ارتحل حُلاَّلها، وظعن نزَّالها، أو كوادٍ طار حمامُه، وفقدت تغاريده وأنغامه، أو كوكر طارت أطياره، أو كروض يبست أشجاره، أو كنهر جف ماؤه، فتوحشت أرجاؤه وأنحاؤه، بعد أن كان بك ـ والله ـ زاهياً زاهراً، بهجاً ناضراً، مأوًى للأحباب، وملعباً للأتراب.

يقصدك العافون، ويتعمدك المحتاجون، فتقضي أغراضهم، وتصون أعراضهم، بمحياً بادي البشر، عطر النشر، ظاهر البشاشة، لائح الهشاشة، لم تلْفَ قطُّ عابس، ولا متوخي معروفك آيس، تساهل المديون، وتقيل المغبون، وتنفِّس كربة المحزون، لا تخيِّبُ أملَ راجيك، ولا تُعرِض عن مُناجيك، لا مطلٌ ولا ليٌّ، ولا لِجاجٌ ولا عِيٌّ، ولا تلبيس ولا غَيّ.

مشهوراً بالديانة، وحفظ الأمانة، تُجل الكبير، وتلطف بالصغير، وتسعف الفقير، محاسنُك اعترف بها الأقران والأنداد، والفضل ما شهدت به الأضداد، ضاع بعدك معاملوك، وتنغَّص عيش جيرانك، ومعاشروك وموالوك كنت لهم كالوالد البر، يلجؤون إليك عند حوادث الدهر، فتنفس كربهم، وتُقيل عثرتهم، وتحتمل زلتهم، فهم كالأيتام، والحيارى الهيام.

وإني ـ والله ـ موجَع القلب، أسير الكرب، شديد الوجد، دائم الفقد، أحنّ حنين الهيم، والحزن لي مُقعدٌ مُقيمٌ، أفكر في هذا الواقع، الذي ليس له دافع، أخذتَ مضجعك بأتم العافية، فأصبحت رسومُك عافية، وعروش بيتك خاوية، ونجوم سمائك هاوية.

طاشت ألباب الأحباب، واشتد الأسف والالتهاب، إن هذا لشيءٌ عجاب، فهم في كآبتهم غارقون، وفي حيرتهم من أمرك يترددون، فتغمدك الله برحمته، وألهمنا على فقدك الصبر، وأسكنك فسيح جنته، ولَطَفَ بنا في هذا الأمر، وصرف عنا حوادث الدهر. انتهت.

[١١١٠] عبدالله بن محمد بن طاهر بن محمد صفا التاشكندي المكي[١].

أحد صدور الشافعية، بالديار المكية، وممن برع في فنون العربية، كان ذا همةٍ عليةٍ، وشيمٍ مرضيةٍ، قطع ريعان عمره وشيخوخته بالاشتغال بالعلم، والانهماك عليه، وصرف جميع أوقاته وفكره إليه، وكان ذكي الفهم، حسن العبارة، لطيف المحاضرة، ويغلب عليه حدة المزاج، مع سلامة الصدر.

وُلد بمكة، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف تقريباً، كما أخبرني من لفظه، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجَوَّده، وكان غايةً في ترتيله وتحبيره، وأخذ عن السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري، وهو آخر تلامذته موتاً، وأخذ الفقه وغيره عن العلامة علي بن الجمال، وعبدالله بن سعيد باقشير، ومحمد ابن عبد المنعم الطائفي.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٧٠).

ولما قدم شيخنا خاتمةُ المحدثين محمـدُ بن علاء الدين البابلي مكة، لازمه كثيراً، وأخذ عنه، واختصّ به، وكان يطالع له دروسه، وأخذ عن العلامة عيسى المغربي، ومحمد بن سليمان.

وأخبرني: أنـه لما حج النجمُ الغزي محدثُ دمشق، ذهب مع شيخنا محمد البابلي، وأخـذ عنـه، وأجازه بمروياته، وصحب السيد العارف بالله عبد الرحمن الإدريسي، وتوجه صحبته إلى اليمن، ودخل زبيد والمخا وموزع، وغالب تهامة، وأخذ عمن بها من أكابر العلماء، وأجازه عامة شيوخه.

وتصدّر للتدريس بالمسجد الحرام، بأمرٍ من شيوخه، وأخذ عنه فضلاء فخام، منهم: السيد أحمد بن أبي بكر شيخان، وأخوه سالم، والسيد محمد ابن عمر شيخان، وعبدالله بن سالم البصري، والإمام علي بن فضل الطبري، وأحمـد بن قاسم، ومحمـد بن أحمـد الأسدي، وكثيرٌ من الغرباء الوافدين إلى مكة.

وحضرت دروسه بالمسجد الحرام في «شرح الإرشاد»، و«فتح الجواهر في الأذكار وشرحه لابن علان»، وفي «رياض الصالحين»، وغيرها، وأجازني بمروياته، وبيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ.

توفي ـ رحمه الله ـ في ثاني عشر شوال، سنة خمس وتسعين بعد الألف بمكة، ودفن بحوطة السادة آل شيخان بالمعلاة ـ رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى ـ.

[١١١١] عبدالله بن محمـد بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمـد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن

محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري الشافعي المكي[1].

إمام المقام الشريف، ذكره أخوه شقيقه الإمام عبد القادر في «تاريخ الطبريين»، فقال: وُلد في الثلث الأخير من ليلة ثاني عشري شوال، سنة أربع وسبعين وتسع مئة، ونشأ في حجر أبويه، وحفظ القرآن، وصلى به التراويح في المقام مراراً، وحفظ عدة متون، عرضها معنا على المشايخ، سنة تسعين وتسع مئة.

واشتغل بالعلم والتحصيل، وألمّ بالناس مدةً طويلةً. وهو حسن التلاوة والحفظ، طيب النغمة، حسن الخَطّ، كتب بخطه كتباً كثيرةً بأيدي الناس، وجلس للإفادة بالمسجد الحرام، وكتب على الفتوى، وهو كثير الانجماع عن الناس، وعن مخالطتهم، مواظباً على ملازمة المسجد، والقيام بالإمامة في نوبته، ونوبة جماعته، وفيه صلاحٌ وسكونٌ، وسلامةٌ من الفضول، والهذر والغيبة.

لازم في ابتداء اشتغاله الشيخَ عبد الرحيم بن أبي بكر بن حسان، والشيخ أبا البقاء الغمري المصري، وممن عرض عليهم محفوظاته من الكتب: شيخ الإسلام الشمس الرملي، والشمس محمد النحراوي، وعلي بن جار الله بن ظهيرة، وغيرهم، وكتبوا له بذلك إجازات.

وذكر والدُه: أن والدته لما حملت به، رأى في منامه: أن مباركة جارية والدته فاطمة النويرية، دفعت له فانوساً فيه شمعةٌ تقد، فقص رؤياه على والده الإمام يحيى، فعبّرها بأن حمل زوجته ذكر، وأنه يكون صالحاً، فكان الأمر كذلك. انتهى.

---

(١) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ١٥.

قلت: قد مات المترجِم له قبله بمدةٍ، وعاش بعده المترجَم، وهو على طريقته من قيام آخر الليل، ونزول المسجد من ذلك الوقت، والملازمة على التلاوة، مع حفظ حواسه وقوته، إلى قبيل وفاته، بنحو ثلاث سنين، فإنه ضعف فيها جداً، وانقطع بالبيت، حتى توفي في أول يوم الأربعاء، تاسع رجب، سنة إحدى وستين وألف، وصُلي عليه في المقام، بعد صلاة العصر، ودفن على والده، بقبر المحب الطبري ـ رحمهم الله ـ.

[١١١٢] السيد عبدالله بن محمد البيتي بن علي بن علوي(١).

اشتهر جده بعوهج، السالك للطريقة التي ليس فيها عوج، المتنزه عن كل أمرٍ فيه حرج، صحب أكابر العباد، وأخذ عن أعيان البلاد، وأكثر من الاستعداد ليوم المعاد؛ بلزوم سيرة جده النبي المختار، واقتفاء سلفه الأخيار، وقيام الأسحار، وصيام النهار.

وكان يحب العلماء، ويكرم الفقراء والضعفاء، واشتهر بنفع الخاصة والعامة، وعُرف بالولاية التامة، واستمر على ذلك، حتى وافته الوفاة، وانتقل إلى رحمة الله، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[١١١٣] السيد عبدالله أبو نمي بن محمد بن عبدالله بن شيخ ابن الشيخ عبدالله العيدروس(٢).

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٢٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥١).

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٣٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٦١).

أحد عباد الله الصالحين، والأولياء المشهورين، عالي الرتبة والمقام، المخصوص بمزايا الإنعام، الخاص منها والعام، وُلد بمدينة تريم، وظهرت عليه آثار الصلاح العظيم، ثم حصلت له جذبةٌ ربانيةٌ، ونعمةٌ رحمانيةٌ، وظهرت لـه كرامات، وخوارق للعادات، واستمـر إلى أن مات سنة ثمان بعد الألف بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[١١١٤] السيد عبدالله بن محمد بن أحمد بن عمر بن علوي الشيبة باعلوي الحسيني، جد شيخنا الإمام محمد الشلي من أمه(١).

هو القدم الراسخ في الصالحة ومن لـه الحسنى وزيادة، الورع الزاهد العارف، السالك منهاج آبائه الأخيار، المقتفي آثار الأولياء الأبرار.

وُلد بمدينة تريم وحفظ القرآن العظيم، وصحب جماعة من الأولياء العارفين، وأخذ عن جمع من العلماء العاملين، واجتهد ودأب، وتمسك بعرا الفضائل والأدب.

وكانت أوقاته موزعةً بأنواع الطاعة؛ من قيام وصيام وجماعة، وكان متمسكاً بأفنان من العزلة، ملازماً على جدّ القول، تاركاً هزله، متنزهاً في رياض الأذكار، محافظاً على ذلك بالعشي والأبكار، مراقباً من لا تدركه الأبصارَ وهو يدرك الأبصار.

وكان متدرعاً ثوب العفاف، قانعاً من الدنيا بالكفاف، والغالب عليه الخمول، والتحري فيما يفعل ويقـول، والصمت المستمر إلا عن ضرورة،

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكـاف (٢٢٧)، «عقـد الجواهر والدرر» للشلي (١٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٦٧).

أو حاجة عليه مقصورة، ولم يزل على الحالـة المرضية، حتى هجمت عليه المنية، فتوفي سنة ثنتين بعد الألف بمكة البهية، ودفن بالمعلاة ـ تغمده الله برحمته ورضاه، ونفعنا به ـ.

[١١١٥] عبدالله بن محمد بن عبيد، المشهور والده بالصبان(١).

كان لطيف الذات، جميل الصفات، ملازماً للعبادة، ومؤثراً للزهادة، وكان أبوه يبيع الصابون بباب زويلة، فأنجب خمسة ذكور، أحدهم هذا، فقرأ القرآن عند ابن المناديلي، ثم غلب عليه الحال وهو في سن الاحتلام، فصار يصفق، ويهيم أحياناً.

ثم حبب إليـه لزوم مجلس الشيخ كريم الدين الخلوتي، فأخـذ عنه، وقربـه، واختص به، وجد واجتهد، وأرشده الشيخ إلى سكنى زاوية الشيخ دمرداش، فناب عن أولاد الشيخ في عدة وظائف، وأقرأ بها الأطفال.

وهو في خلال ذلك ملازمٌ مجلس شيخه، ويعرض عليه وقائعه، ويقص عليه رؤياه، وهو يرقيه في المراتب، ويخليه، ويكرر ذلك، فاستأذن الشيخَ يوماً أن يترك أكل الحيوان، وما خرج منه، فمنعه، ثم أذن له، فمكث كذلك مدةً، فرقَّ حجابه، وقويت روحانيته، وتمثلت له الأرواح، وخوطب(٢).

ثم حصلت له لمحةٌ من التجلي البرقي فهام، وغاب عن الأنام، فوكل به

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٦٤).

(٢) غفر الله للمصنف ورحمه في ذكر هذه الأباطيل في كتابه، من تلعب الشيطان الرجيم بعقول هؤلاء المتصوفـة وكيف يستدرجهم في منازل الغواية، ويصورها لهم بأنها من مراتب الولاية.

الشيخ من لازمه؛ ليضبط حاله، وصار يأكل كل يومٍ عدةً من رؤوس الغنم، ويشكو الجوع والنار، ثم انحل ذلك، وأجازه الشيخ بالتربية والإرشاد، فلما مات الشيخ، حصل له عقب موته نظير ما وقع عقب الشيخ مدين.

فإن صاحب الترجمة لما مات شيخه، شرع يلقن ويخلي، فتشوش جماعةُ الشيخ، وقالوا: ولد ابنه سيدي محمد أحق باسم المشيخة، وتوجه جمعٌ منهم إلى زاوية الشيخ دمرداش، فضربوا الشيخ عبدالله وجماعته، وأخرجوهم من الخلوة، فشكى الشيخ عبدالله إلى عالم الشافعية الشمس الرملي، وعالم الحنفية علي بن غانم المقدسي، فأرسلا يقولان: إن لم يحصل الكف عن هذا الرجل، وإلا أخبرنا الحاكمَ بما نعلمه من حال الفريقين، فكفوا، وبُني الأمر على السكون.

ولم يزل أمر الشيخ عبدالله في ازدياد حتى اشتهر بالمكاشفات، وشوهد له كرامات، منها: أنه دخل بيته ليلاً في الظلمة، فأضاء هيكله كالشمعة، ثم تحول من زاوية الشيخ دمرداش، وسكن مدرسة ابن حجر، بخط حارة بهاء الدين، فأقبل الناس عليه أكثر، واشتهر ذكره، وبعد صيته، ولم يزل في رياض الأذكار، إلى أن لحق بمن تقدمه من الأبرار، فتوفي سنة إحدى وألف، وهو في عشر التسعين، ودفن تجاه المدرسة المذكورة، وله عدة رسائل في الطريق، واستخلف بعده أخاه محمداً ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١١١٦] السيد عبدالله بن أحمد بن حسين ابن الشيخ عبدالله العيدروس(١).

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٩٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٧).

صاحب الكرامات الطاهرة، والأحوال الباهرة، والكشف الجلي، والمنصب الشامخ العلي، تجلى له قدس اللاهوت، وعوالم الملكوت، وفتحت له خزائن مشهد جمال الحي الذي لا يموت، فترادفت عليه الفتوحات، وتزايدت لديه المنوحات، وتعاظمت عنده الجذبات(1).

ترجمه تلميذه السيد شيخ بن عبدالله العيدروس في «السلسلة»، قال: وكان فرد أهل زمانه، ممن وهبه الله تعالى الاطلاع على أسرار الأولياء، وله القدم الراسخ في منازلات العارفين، كان ذا هيبةٍ وسطوةٍ، قلّ أن يرقد من الليل إلا القليل، وكان يحب السماع، وربما أخذ الدف وضربه بيده، وله قبولٌ عند الخاص والعام. انتهى.

وُلد بتريم، وصحب جماعةً من أعيان الصوفية، منهم: والده أحمد، والسيد أحمد بن علوي باجحدب، والفقيه علي بن أحمد السياج بن عبدالله الصافي بافرج، وغيرهم، وسافر إلى مكة مع أخيه محمد، فحجّا حجة الإسلام، وكان سبب سفرهما: محنةٌ لحقتهما، وسئلا الإقامة باليمن، فلم يجيبا.

ولما عاد صاحب الترجمة إلى تريم، ظهرت منه عجائب وغرائب، وانتفع به الأقارب والأجانب، وصحبه خلقٌ كثيرٌ، وكان من أخصهم بصحبته: أحمد ابن أخيه محمد، وكانت ترد عليه أحوالٌ عظيمةٌ، فتخرجه من شعوره،

---

(1) إضافة هذه المصطلحات، من الكشوف والجذب وغيرها من أقاول المبتدعين والمنحرفين عن سواء السبيل، وإدخالها في الدين، وتصور أصحابها أنهم من أصحاب المراتب العلية، تدليسٌ وتلبيسٌ من الشيطان الرجيم، واتهام من ينكرها بأنها لم يصل إلى هذه المراتب، وأنها خاصة لأهل الصفوة من الأولياء قولٌ باطلٌ لا أصل له في الدين.

فيصيح بأعلى صوته، وربما حصل له شطحٌ، ويأمر بالسماع بضرب الدفوف، ويدور بأهل السماع في الأزقة بالليل إلى الفجر.

وكان ذا كَلَفٍ بالنساء، فتزوج علة زوجات، وتوسع في اتخاذهن، وخلط في جنوسهن، فانتهى في ذلك إلى أمدٍ لم يبلغه أحدٌ من نظرائه، وولد له أولادٌ كثيرون.

وأما الذي صح عنه من الكرامات، وصحة الفراسات، واستجابة الدعوات، فأمرٌ مشهورٌ متداولٌ بين الناس، وله مكاشفاتٌ كفلق الصبح، ولو تتبعت ذلك، لطال الباب، وخرجنا من الإيجاز إلى الإسهاب، لكن نذكر جملاً من بعضها، تبركاً بها.

منه: أنه ما جاءه طالب حاجةٍ، إلا رجع بمطلوبه، وما ضاع على أحدٍ شيءٌ وأتي إليه، إلا ظفر به، وما أضمر أحدٌ شيئاً، إلا أخبره بضميره، وما استغاث به أحدٌ من أهل المشرق والمغرب، إلا أغاثه الله ببركاته[1]، وبشر غير واحدٍ بالجنة، فكف بصرهم.

وتاب جماعةٌ من الفساق بدعائه لهم، وله في ذلك حكاياتٌ يطول شرحها، بل ما من أحدٍ من أهل العصر من أهل تلك الجهة، إلا ويحفظ له عدة حكايات في ذلك، أو وقع له كثيرٌ منها.

وبالجملة: فكراماته وخوارقه غريبةٌ، وأحواله عجيبةٌ.

ولم يزل في الكمال يسابق، حتى تولاه الخالق، فتوفي يوم الأربعاء،

---

(١) وهل يُستغاث إلا بالرب سبحانه وتعالى، سبحانك ربنا وتعاليت عما يقول المبطلون علواً كبيراً.

لثمان خلت من محرم، سنة خمس وعشرين بعد الألف بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل، وقبره معروفٌ ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١١١٧] السيد عبدالله بن علوي بن المعلم محمد بن علي بن علوي، اشتهر جده الأعلى علوي بِخَرْد[١].

الشيخ الجليل، العارف النبيل، وُلد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، ولازم تلاوته، لا سيما في الليل البهيم، وصحب السادة العارفين، وأخذ عن جمعٍ من العلماء الكاملين، منهم: أبوه، وجده المعلم محمد، صاحب «الغرر»، وغيرهما، ممن في عصرهما، واشتهر واجتهد ودأب، وتمسك بعرا المجد والأدب.

واتبع السنة النبوية، واقتفى الآثار المحمدية، وأخذ بالعزائم، في دقيق الأمور وجليلها، وفضائل الأعمال دون مفضولها، والغالب عليه الخمول، والتحرز فيما يفعل ويقول، والاحتياط في أمر العبادة، وإن خالف أمر العادة، ولم يزل على الأعمال السنية، حتى وافته المنية، فتوفي سنة اثنتي عشرة بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل.

[١١١٨] السيد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبد الرحمن، عرف جده عبد الرحمن هذا بيا صره[٢].

أحد السادة الأجواد، المشهورين بتلك البلاد بنفع العباد، صاحب

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢١٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩٠).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩٠).

الأحوال العلية، والكرامات السنية، وُلد بمدينة «هينن» الشهيرة، ونشأ بساحتها المنيرة، وقرأ القرآن، واجتهد في طاعة الرحمن، فأكثر من أنواع العبادة، واشتهر بالورع والزهادة، وكان كريماً من غير ضجر ولا عبوس، ولو أنه في غاية البوس، وحصل له عند الملك عريض الجاه، فكان لا ترد شفاعته لمن أمّه وجاءه.

ورحل إلى تريم، وزار أجداده أولي الفضل العظيم، وأخذ بها عن جماعةٍ من العارفين، والعلماء العاملين، ولم يزل في ازدياد، إلى أن رحل إلى دار المعاد، فتوفي سنة اثنتي عشرة بعد الألف بمدينة «هينن»، ودفن بها، وحزن عليه كل من نأى وقطن ـ أسكنه الله الجنة، وضاعف عليه الفضل والمنة ـ.

[١١١٩] عبدالله بن علي الكُحْلاني.

صاحب الذَّنوب، كان من أعيان السادة الأدباء، عالماً بالعربية، وله معرفةٌ تامةٌ بالتصوف، وكان له شطحاتٌ، ولذلك كرهه الإمام القاسم، وأمر بقتله بصنعاء، على باب شعوب، وأُخذ قاتله، وقُسم أرباعاً.

[١١٢٠] السيد عبدالله بن علي بلفقيه بن عبدالله العيدروس[١].

صاحب الشبيكة بمكة.

كان من عباد الله الصالحين، وأهل الولاية والتمكين، صاحب كراماتٍ خارقة، وأحوالٍ صادقة:

منها: أن بعض أصحابه الفقراء جاء ليلة عيد الفطر، وهو ذو بناتٍ،

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٢١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٦٢).

وثيابهن عند الصباغ، لم يقدر على أجرته، وشكا حاله إلى صاحب الترجمة، فقال: اذهب إلى المسقلة، لنا هناك نذرٌ، خذه، فخرج، فإذا هو برجلٍ بدوي، يسأل عن بيت السيد، فقال له: أنا خادمه، فقال: هذه ناقة نذر له، فأخذها وباعها، وأعطى الصباغ أجرته، وعَيَّد بالباقي.

ومنها: أن رجلاً من أصحاب السيد هاشم الحبشي، أمر بقتله مع آخرين، السيد الشريف إدريس، وهو بالطائف، فلما مروا بـه في سوق المعلاة، رآه أخوه مكتوفاً، فجـاء إلى السيـد هاشم الحبشي وبكى، وقال: ذهبـوا بأخي للقتل، فاسألوا الله أن يفكه؛ فإنـه مظلوم، فقال له: ليس هذا من وظيفتي، فذهب به السيد هاشم إلى صاحب الترجمة، فدعا الله تعالى، وقال: يسلم من القتل ـ إن شاء الله تعالى ـ.

فلما أصبحوا، خرجوا به من الحبس إلى محل القتل، فتعب أخو الرجل، وأتى للسيد وهو يبكي، فقال له: لا بأس على أخيك، فبينما هم [كذلك] إذ جاء رسولٌ من عند الشريف إدريس، بفك الرجل المذكور.

وسببه: أن الشريف إدريس كان يصلي المغرب، فدخل عليه صاحب الترجمة، ومعه الرجل، وقال له: فُكَّ هذا الرجل، فلما فرغ من الصلاة، قال للحاجب: اطلب السيد عبدالله، فقال الحاجب: ما دخل عليَّ أحدٌ، فأرسل إلى أهل الفريق: إن السيد عبدالله ضيفنا، أرسلوه لنا، فسألوا عنه في الفريق، فلم يوجد، فأرسل في الحال قاصداً بفك الرجل، وأتى وقد قتلوا أصحابه، فلما هموا بقتله، وإذا هم بالرسول، فأطلقوه.

توفي ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ سنة خمسين بعد الألف، ودفن بقبة أبيه وجده بالشبيكة ـ نفعنا الله بهم ـ.

[١١٢١] السيد عبدالله بن باعلوي باذبجان علوي[١].

وُلد بظفار أوائل سنة تسع وتسعين وتسع مئة ـ بتقديم التاء فيهما ـ، ونشأ بها، وكان أمياً لا يقرأ، وله سيرةٌ حميدةٌ مرضيةٌ، صحب السيد عقيل باعمرو، وانتفع به، وفاضت عليه بركات أنفاسه.

ورآه بعض السادة الأخيار في المنام، كأنه جالسٌ عنده، وعنده بعض الصالحين، فقال ذلك الصالح: من أراد أن ينظر إلى وليٍّ، فلينظر إلى هذا، وأشار إلى صاحب الترجمة.

ومن كراماته: أنه إذا آذاه أحدٌ، أصيب إما في حالٍ، أو مآلٍ، وقال مرةً في رجلٍ، وقد آذاه: إنه يقتل، فقتل بعد مدةٍ يسيرةٍ، فلما قتل، قال: ما أحدٌ يستوفي به قصاصاً ولا ديةً، فكان الأمر كما قال.

ومنها: أن امرأةً أتت إلى زرعٍ له، فأخذت منه حمولة قصبٍ على رأسها، وبقيت قائمةً مكانها لا تستطيع المشي، ثم بعد ساعةٍ جاء صاحب الترجمة، وهي لا تعرفه، فقال لها: اذهبي؛ لئلا يراك صاحب الزرع ـ يعني: نفسه ـ.

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ بظفار يوم الثلاثاء، خامس شهر محرم، سنة خمس وسبعين بعد الألف.

[١١٢٢] السيد عبدالله بن محمد قسم باعلوي[٢].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٢).

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٣٣٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٦٩).

السيد العارف بالله تعالى، والدال عليه، والمعول في كل حالٍ عليه، وُلد بمدينة «قسم» من مدن حضرموت، سنة خمس عشرة بعد الألف تقريباً، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وطرفاً صالحاً من كتب الفقه، واشتغل بكتب القوم، وجدَّ في الطاعات، ورحل إلى تريم، فأخذ عمن بها من أكابر السادة العلويين؛ كالسيد زين العابدين العيدروس، والسيد الجليل أبي بكر أحمد الشلي.

واستمر بحضرموت برهةً من الدهر، ومدةً صالحة من العمر، إلى أن قوض منها الخيام، وأمّ بيتَ الله الحرام، فحج حجة الإسلام، وزار جده محمداً ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، وتوطن المدينة وتديَّرَها، واتخذ رباط العشرة دار هجرته، وانزوى منه وسط حجرته، واستأنس بوحشته من الناس، وصار لا يجتمع به إلا الخواص، مع حفظ الأنفاس، وكان لا يمل من مطالعة كتب القوم ـ نفع الله بهم ـ لا سيما «الإحياء»؛ فإنه كان ملتزماً قراءة بعضه كل يوم.

واتفق أن القنديل الذي فوق القبر الشريف ـ على مشرفه أفضل الصلاة والسلام ـ سقط على القبر المكرم، فأرسلوا إلى السلطان الأعظم، محمدٍ ملك الروم، فأمر أن يخرجه أفضلُ أهل المدينة، فأجمعوا أن أفضلهم صاحبُ الترجمة، فأخبروه بأمر السلطان، فامتثل ذلك، ووضعوه على لوحٍ ورفعوه، ثم أنزلوه على القبر الشريف، فوجد القنديل، وحمله معه، وأرسلوه بالقنديل إلى السلطان، فوضعه في خزانته.

ثم لم يزل ـ نفع الله به ـ تزهو بـه تلك الربى والمعالم، ويذعن لفضله كل عالم، مع رغبة عما رغب فيه غيره من الدينار والدرهم، وزهد في متاع الفانية كزهد ابن أدهم، إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ يوم الأربعاء، غرة شعبان، سنة خمس وثمانين بعد الألف بطيبة الطيبة، ودفن بالبقيع الفرقد، وقد اجتمعت

به كثيراً، وحصل لي منه دعواتٌ صالحةٌ، أرجو من الله قبولها منه ـ رحمه الله ـ.

[١١٢٣] السيد عبدالله بن علوي بن سالم بن أحمد بن عمر بابُريك[1].

بضم الباء الموحدة، وفتح الراء، وإسكان التحتية مصغراً.

أحد السادة الأولياء، والأشراف الأصفياء، السالك طريق السلف الصالح، الساعي في المنافع والمصالح، الموصوف بالأوصاف الجميلة، والأفعال الحميدة الجزيلة.

وُلد بتريم، ونشأ على طاعة الرب الكريم، وصحب كثيراً من الأولياء العارفين، وأخذ عن غير واحد من العلماء العاملين، ولزم طاعة رب العالمين، وسيرة سيد المرسلين، وجدَّ في الاجتهاد، حتى ظفر بالمراد، وكان كثير العزلة، مجانباً للغفلة، محترزاً في الكلام، مقللاً في الشراب والطعام، قانعاً بالكفاف، لابساً ثوب العفاف، ولم يزل على حالاته، حتى وافاه وقت وفاته، فتوفي بتريم سنة عشر بعد الألف، ودفن بمقبرة بشار، ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ.

[١١٢٤] السيد عبدالله بن علوي بن أحمد مقبل[2].

إمام مسجد العيدروس، أحد السادة المشهورين بالتقوى والدين، وعلى شريعة سيد المرسلين ناهجين.

وُلد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وصحب علماء زمانه، وأخذ عن

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢١٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٥).

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢١٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٥).

فضلاء عصره وأوانه، منهم: السيد علي بن عبد الرحمن السقاف، والعارف بالله تعالى حسين بن عبدالله بلحاج، وغيرهما.

وسلك طريق القوم، وأكثر من الصلاة والصوم، وقطع في ذلك الليل والنهار، مع ملازمة التلاوة والأذكار، وكان يُقصد ويُزار، وكان ملازماً للصلاة في مسجد العيدروس الشهير، وكان يقصد الصلاة خلفه الكبير والصغير؛ لمواظبته على السنن، وشهرته بالصلاح في ذلك الزمن، وحبه الله إلى خلقه، ووضع له القبول في فعله ونطقه.

ولم يزل على أحسن حال، لا يشوبه نقص ولا اختلال، إلى وقت الانتقال، فكانت وفاته سنة عشر بعد الألف بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله ـ.

[١١٢٥] السيد عبدالله بن عبدالله المغربي الشهير بالطبلاوي[١].

فرعٌ نما من أفخر نسب، جامع بين فضيلتي العلم والحسب.

ألا إن مخزوماً لها الشرف الذي غدا وهو بين البرية واضح
لها من رسول الله أقرب نسبة فيا لك عزاً نحوَهُ الطرفُ طامحُ

كان من المشتغلين بالعلم فقهاً وأصولاً، ومن أعيان الأدباء نظماً ونثراً، وكان خطُّه يضرب به المثل في الحسن والصحة، وكتب بخطه من «القاموس» نسخاً، هي الآن مرجع المصريين؛ لتحريه في تحريرها، وكان كريم النفس، حسن الخَلق والخُلق، من بيت علمٍ ودينٍ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٦٧).

وله شيوخ كثيرون، منهم: العلامة أبو النصر الطبلاوي، وشيخ الإسلام الشمس الرملي، والمحقق الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وغيرهم من أكابر المحققين، واستمر حسن السيرة، جميل الطريقة، إلى أن نقل من مجاز دار الدنيا إلى الحقيقة، فتوفي يوم الخميس، رابع ذي الحجة، ختام سنة سبع وعشرين بعد الألف بمصر.

وشعره مشهورٌ، ونثره منثورٌ، ولواء حمده على كاهل الدهر منشورٌ، وله قصيدةٌ مدح بها أستاذه ناصر الدين، والتزم في قوافيها تجنيس الخال، وهي مشهورةٌ، ومطلعها:

يا سلسلة الصدغ من لواك على الخال

[١١٢٦] عبدالله بن علي بن عبد الوهاب الشافعي الشامي[١].

فاضلٌ أديبٌ، كاملٌ أريبٌ، حسن السيرة والسريرة، عليه سيما التقوى والصلاح ظاهر، ملازمٌ للطاعات، وصنوف العبادات، صحبته مدةً مديدةً، وحصل بيني وبينه مودة أكيدة، فرأيته صدوقاً ظريفاً، خيراً عفيفاً، أميناً لطيفاً.

وُلد بدمشق، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، وبها نشأ، واشتغل بالعلم اشتغالاً مرضياً، وأخذ عن جمعٍ، منهم: الشيخ مصطفى بن سوار شيخُ المحيَّا، وتلقن الذكر من الشيخ أيوب الخلوتي، ورحل إلى مصر، فلقي في طريقه بالرملة شيخَ مشايخ الإسلام، الشيخ خير الدين الرملي الحنفي، وأخذ عنه، ومدحه بقصيدةٍ حسنةٍ، طلب منه فيها أن يجيزه بمروياته، فأجابه لذلك

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٣).

بهذه الأبيات، وهي:

يا من لخير الدين جاء لمطلبِ فأنا الذي لا يسهلنَّ المطل بي
في كل ما يرجوه مني طالبٌ لا سيما فنٍّ الحديثِ الأطيبِ
سعياً إليه بكلٍّ كُلِّياته رغباً له من كل صدرٍ أرحَبِ
فاعلمه عبدالله لا برحت بكم صفةُ الكمال بكلٍّ فعلٍ أثوبِ
وترفُّعٍ عما يَشينُ وُكلٍّ ما لا يرتضيه وقد نهى عنه النبي
هذا وإني قد أجزتُك كُلَّ ما أرويهِ بالسندِ القويِّ الأصوبِ
عن أحمدَ بنِ أمين عنه أمينه يروي لعبد العالِ خير أبٍ أبِ
هذا وعبدُ العال يروى علمه عن عسقلاني الحديث المطلب
هذا وما سندُ الأخير به حقا عن الرواةِ فنكتفي بالأنسبِ

وقدم إلى مصر، وأخذ بها عن جمعٍ من مشايخ الأزهر، منهم: شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وغيره، وأجازوه.

وله شعرٌ كثيرٌ، أنشدني منه كثيراً، ولم أذكر منه إلا قوله مضمناً:

وليلةٍ زار فيها البدُر في غَسَقٍ وقد ترنَّمَ فوقَ الأيكِ طائرُهُ
بِتْنا بها ليلةً رَقَّتْ شمائلُها وصارَ ما صارَ ممَّا لستُ أذكرُهُ
فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخبر

وأنشدني قوله:

شَبَّهتُ مَرْجَةَ وادي دمشقَ عندَ المَسَرَّهْ

سَـــماً والزهـــرُ زهـــرٌ ونهرُهـــا كـــالمُجُرَّة

توفي ـ رحمه الله ـ في شهر شعبان، سنة ألف ومئة واثنتين بدمشق.

[١١٢٧] السيد عبدالله بن عمر بن محمد حمدون باعلوي، عُرف جده بحمدون(١).

صاحب السر المصون، الملازم للتقوى في الحركة والسكون، ذو الأخلاق الكريمة، والبركات العميمة، الجامع بين العلم والعبادة، والورع والزهادة.

وُلد بمدينة تريم، وبها نشأ على فضل ونعيم، ولاحظته عناية الرب الكريم، فحفظ القرآن العظيم، واستمسك بالعروة الوثقى، من الورع والتقوى.

وصحب أكابر العارفين، وتفقه بالفقهاء الكاملين، والعلماء العاملين، منهم: السيد الجليل الفقيه محمد ابن الفقيه علي بن عبد الرحمن السقاف، والشيخ علي بن عبدالله بامحسون، ولازم جماعةً من الشافعية، وصحب الأئمة الصوفية، ولبس منهم الخرقة الشريفة، وتأدب بآدابهم المنيفة، وحكمه غير واحد من مشايخه العارفين، وأذنوا له أن يلقن من شاء من المؤمنين.

وأخذ عنه كثيرون، وانتفع به المريدون السالكون، مع لطفِ خلقٍ كالنسيم، ومحادثةٍ ألذَّ من كأس التسنيم، وزهدٍ وقناعةٍ، وملازمةٍ للجماعة، وكثرة الطاعة، ولم يزل مقيماً على طاعة مولاه، إلى أن استوفى ما له من الحياة،

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٢٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٩).

وتوفاه الله عام سبعة ـ بتقديم السين ـ بعد الألف بمدينة تريم ـ بوأه الله تعالى جنات النعيم ـ.

[١١٢٨] عبدالله بن عمر بن محمد بن عبدالله باجمال[1].

أحد الفقهاء الصالحين، والفقراء الصابرين، والعقلاء المتقشفين، أخذ عن الشيخ الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن سراج، وانتفع به، وكان يحب العلماء، ويكرمهم، متعطشاً للعلوم.

وانتفع به جماعةٌ، منهم: عبدالله بن عمر بن عبدالله بن أحمد باجمال، وكان له فهمٌ حسنٌ، ولرغبته في إيصال الفائدة، كان يتردد على من يقرأ عليه إلى بيته؛ بقصد الإعانة، توفي سنة ست وأربعين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١١٢٩] عبدالله بن عبدالله بن المُهلا بن سعيد بن علي النيسائي ثم الشرفي، الأنصاري الخزرجي[2].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو العلامة المحقق المدقق لعلوم المعقول والمنقول، شيخ شيوخ زمانه، وإمام الاجتهاد في أوانه، رحل إليه الطلبة، وانتفعوا بعلومه، واستقر بباب الأهجر زماناً، ووفد إليه الطلبة، وكان نظيراً للسعد التفتازاني، في علوم العربية والتفسير، وله أجوبة مسائلَ

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٠١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤٢).

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٦٤٢) (٣٨٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٥٧)، «البدر الطالع» (١/ ٤٠٠).

تدل على علمٍ واسعٍ.

ومن تلامذته: الإمام القاسم، وأكثر الفضلاء في زمانه عِيالٌ عليه، وتشوق للقاء الباشا جعفر، عند إقامته بصنعاء، فلم يتيسر له لقاؤه، حتى نكب بنكبة من الولاة، بمطالبته أو مطالبة شركائه في المال بخراجٍ، فتمنع، ورحل إلى الباشا، فعدها الباشا من سعادات الأيام، فأجلَّه، وأعظم محله، وساق إليه من النفقات ما يَجِلُّ خطره، واستمر على ذلك، ورسم له بإعفاء شركائه من المطلوب منهم.

وكان يعدّه الباشا عينَ أهل الحضرة، مع كثرة العلماء فيهم، واتفق أن الباشا أراد امتحان أهل حضرته بحديثٍ اختلقه من عند نفسه، نمق ألفاظه، فلما أملاه، ابتدر الحاضرون من الفقهاء لكتابته، وأثنوا على الباشا بروايته، وقالوا: نتشرف بعلو إسناده، فلم يتحرك صاحب الترجمة لشيءٍ من ذلك، فسأله الباشا: لم لا تكتب كالأصحاب؟ فقال: أنتم قد أفدتم، والجماعة كتبوا، ونحن حفظنا، فقال الباشا: هذا ـ والله ـ العالم، وأثنى عليه، وذكر لهم أن الحديث لا أصل له، وإنما المراد: الاختبار.

وكان له أولادٌ علماء نبلاء، وله أحفادٌ فيهم الفضيلة والعلم المتنوع، ما منهم إلا عالمٌ شهيرٌ مُصَنِّفٌ، مرجوعٌ إليه في التحقيق، وحلِّ المشكلات، وقد جاء في «التاريخ» بعض تراجمهم.

وقال سيدنا العلامة أحمد بن يحيى بن حنش ـ رحمه الله ـ: سألت الفقيه العلامة بدر الدين محمد بن عبدالله بن عبدالله بن المهلا عن أحوال والده، ومشايخه ووفاته، فأجاب بأنه وُلد في شهر صفر، سنة خمسين وتسع مئة، في

بلد الوُغْلِيّة، من الشرف الأعلى.

وطلب العلم في حداثته، وأخذ عن والده، وعن جماعـةٍ من العلماء الأكابر، وأدرك السيد عبدالله بن قاسم العلوي، ولم يتأَتَّ لـه الأخـذ عنـه، وارتحل للعلم إلى الأقطار صحبةَ والده، فأول قراءته على والده المهلا بن سعيد في الفرائض، وفي أصول الدين، ثم ارتحل إلى الظفر صحبة والده، وقرر في المشهد المقدس، وأقام سبع سنين.

فأخذ النحوعن الفقيه عبدالله الراغب، وصنوه إبراهيم الراغب، ثم قرأ على السيد هادي الوشلي «المطول»، و«العضـد»، و«الكشاف»، ثم ارتحل إلى الشرف، وارتحل لقراءة الفقه إلى عرقة عفّا، وقرأ على القاضي علي بن عطف الله، ثم ارتحل إلى الظفر، وقرأ «البحر» على السيد أحمد بن المنتصر الغُرباني، ثم تزامل هو والإمام الحسن بن علي في قراءة «العضد» مرةً أخرى، و«الكشاف» على السيد الهادي الوشلي، وكان قراءتهما عليه في الوُغْلِيّة.

ثم ارتحل لطلب الحديث، فقرأ كتباً على والده، وعلى القاضي علي بن عطف الله، وسافر إلى القِيْرى، من جبل لس، وقرأ «البخاري»، «ومسلماً»، «وتجريد الأصول»، وغيرها على الفقيه عبد الرحمن بن حسين بن أبي بكر بن إبراهيم بن داود النزيلي.

[له] شرح الإرشاد شرح وجيز سماه: «إعانة الطالب»، وله مصنفاتٌ في الحديث وغيره، ونظمٌ جيدٌ حسنٌ، وأجازه النزيلي المذكور.

ثم رجع إلى الشرف، وأخذ عن الإمام القاسم، والسيد أمير الدين أصولَ الفقه، وطلع إلى صنعاء، عام خمسة وتسعين وتسع مئة، وأقام فيها أياماً،

وأخذ عن جماعة، ثم انتقل بأولاده إلى الأهجر من بلاد كوكبان، وأقام فيه تسع سنين.

وارتحل إليه الطلبة من صنعاء، والأهنوم، وبلاد أنس، والحيمة، والشرف، ويشام، وكوكبان، واستفاد عليه خلقٌ كثيرٌ، وفي خلال ذلك قرأ «الرسالة الشمسية» على الشيخ نجم الدين البصري الواصل إلى اليمن سنة ألف، ثم رجع إلى وطنه، وأقام بقية عمره يقرئ، حتى توفي في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين بعد الألف بالشجعة، وقبره بالأشغاف بها، وكان عمره ثمانية وسبعين سنة ـ رحمه الله ـ.

وله كراماتٌ شهيرةٌ، منها: أن بعض علماء سادة تهامة اليمن رآه في النوم بصفته الحسنة، وهيئته الجميلة وأبهته التي بهر من رآها، ثم رأى بعد ذلك قائلاً يأمره بزيارة العلامة عبدالله المهلا، فقال: لا أعرفه، فقال هو الرجل الذي رأيته في منامك، وبلده الشجعة من الشرف، وبيته بالقرب من باب البلد، وهو أول من تراه إذا بلغت إليها.

فارتحل الرجل، حتى بلغ أطراف الشرف، وسأل عن بلد تسمى الشجعة، فقيل له: بلد العالم الشهير عبدالله المهلا، فسُرَّ، واستبشر، وعلم صدق رؤياه، التي أُمر فيها بزيارتها واغتنامها لقرب أجله، وكان أول من رآه عند دخولها بالصفة التي رآه عليها في منامه، فأكب عليه يقبل أقدامه ويبكي، ويسأله الدعاء، ثم أسر رؤياه إلى بعض أولاده ـ أظنه عبد الحفيظ ـ، وأقام مدةً سمع فيها شيئاً من العلوم، وحضر مجالس الإملاء، وأظنه شهد دفنه، والصلاة عليه.

ومنها: ما ذكره حفيده العلامة الناصر بن عبد الحفيظ، من قائلٍ يقول في المنام: لم يبق من عمر جدك عبدِالله غيرُ تسع وعشرين ليلةً، وكان كما قال.

ومنها: ما رآه بعض السادة قبل موته؛ من أخذ النبي ﷺ بيده، ذاهباً به نحو الموضع الذي فيه ضريحه بالأشعاف، ثم إلى المدينة، وإلى هذا أشار ولده القاضي عبد الحفيظ بقوله: ورأي تقي البيت.

ومنها: الكرامة الشهيرة من بلوغه إلى قريب مكة، على مرحلةٍ أو مرحلتين، وكان يتخلف عن القافلة للصلاة، ويلحق بها على حمارٍ موصوفٍ بسرعة المشي، فأبطأ في بعض الأيام عن اللحوق بالقافلة، ركوناً منه على ما جرت عادته، فركب حماره، فلم يقدر على المشي البتة.

فلما علم تَعَذُّرَ مشيه، وفوتَ القافلة، وعدم معرفته بالطريق، تحيّر، وصلى ركعتين، ودعا الله سبحانه، وأقبل على التلاوة، فإذا برجلٍ أخضر اللون، حسن القامة، ينحطُّ عن جبلٍ قريبٍ منه، ويسرع المشي نحوه، فحياه باسمه، وقال: أبطأت عن القافلة؟ فاقفُ أثري، وحمل متاعه، من أشياء كان يستصحبها، فوقع في نفسه الفظاعة عن الناس، وأن هذا الرجل لا يدري من هو، فالتفت إليه متبسماً، وأخبره بما وقع في نفسه، فاطمأن، وما زال يحدثه حتى بلغ به بُركة ماجد، في مكة، وأخذ له ماء اغتسل به، وأعلمه بالحرم الشريف، والطريق إليه، بعد أن أحرم من الميقات.

وقال: إن رأيتني بعد ذلك، وإلا، فأنا أستودع الله دينَك وأمانتَك وخواتيمَ أعمالك، وودَّعه ومضى، ولم يره بعد ذلك، وكان من العجائب: مصادفة الحمار على أحسن أحواله، بعد مدةٍ في موضع الانقطاع. انتهى.

وكانت ترد إليه كتب العلماء في عصره لاستيضاح المشكلات في كل فن من جميع الجهات. وبينه وبين العلامة محمد بن أحمد الرومي الحنفي، والعلامة سعد الدين، وأخيه علي ابني الحسين المسوري مكاتباتٌ ومحاورات طويلة، ذكرها ابن أبي الرجال في «تاريخه» ـ رحم الله الجميع بمنّه ـ.

ورثاه بعد موته جماعة عظام، وكان من جملة من انتظم في سلك ذلك المقام: ولده القاضي عبد الحفيظ، فقال يرثيه بقصيدةٍ بليغةٍ، وهي:

يا غيثُ يا وَكّافُ يا سَحّاحُ جُدْ ... متعطِّفاً متردِّداً بهناءِ
قبراً على الأشغافِ حلَّ ضريحَه ... مستوطناً علامةُ العلماءِ
بالسفحِ من جبلِ العروسِ ومر ... بعِ الشرفِ التي فاقت على الأنحاءِ
بدْرٌ مُنيرٌ للأنام إذا همُ ... في ليلةٍ من جهلهم ظلماءِ
أقلامُه مثلُ الأسنة في الوغى ... والحِبْر أفضلُ من دم الشهداءِ
إن الأُلى دفنوه بينَ ظهورهم ... متبرِّكينَ به من السعداءِ
كان الزمان إذا بدا بقبيحة ... وبدا له ولَّى على استحياءِ
إن مشكلٌ في أيِّ فنٍّ قد بدا ... أبدى ظُهوراً فيه بعد خَفاءِ
وإذا احتبى متربِّعاً لقراءةٍ ... في النحوِ أو في منطقِ العقلاءِ
أوفى المعاني والبيان وحوله ... مثلُ النجوم وذاك بدرُ سماءِ
ويقول فيه لَذَّةٌ وحلاوةٌ ... ما لذةُ الخلفاءِ والأمراء
وكذا البديعُ مع العروضِ وضربه ... منه يفيد جماعةَ الشعراء
وحوى أصولَ الفقه حقوقَه ... حتى علا حقّاً على الفقهاء

وإلى الفرائض ثم مثريه حوى	علمَيْ أصولِ الدين والقرَّاءِ
وكذاك تفسيرُ الكتاب وسنةُ الـ	ـمختارِ أحمدَ مبلغِ الأنباءِ
وفروعُ فقهِ أئمةٍ قد حازه	والزهدُ ثم دفاتر الأدباءِ
وكذاك في علم الرجال مبرز	وحوى اللطيف مؤرخ النبلاءِ
سبعين فَنّاً حازها في صدره	لله ذلك سيد الكملاءِ
لرأيتَ شخصاً قد تعلق مجدُه	وفَخارُه بكواكبِ الجوزاءِ
يا قبرَهُ واريتَ بحراً زاخراً	هذا لعمري أعجبُ الأشياءِ
وارَيْتَ من ملأ البلاد بعلمه	من مكةَ الغَرَّا إلى صنعاءِ
لكن وسعتَ العلمَ إذ هو ميتٌ	لو كان حيّاً ضاق كلُّ فضاء
ووفاتُه ثلمٌ لدين محمدٍ	ومعاشرِ الأشرافِ والرؤساءِ
ما كل سالٍ بعدَ موت نظيره	إلا شبيه بهيمةٍ عمياءِ
وإذا بدا مني سلوٌّ فهو من	حمدي على السراءِ والضراءِ
يأيُّها الرجلُ الذي بهر الورى	علماً وحِلماً فائق النظراءِ
أبقيتَ ذكراً للمهلا طيباً	يا طيبَ الآباءِ والأبناءِ
وتركتَ علماً نافعاً فينا وفي	أهلِ الزمان زماننا الأحياء
فجزاكَ ربُّك ما جزى أحبابه	الأخيارَ عنَّا أفضل الإجزاء
ومن العجائب أن رأيت محمداً	في عامِك الماضي أتى لوفاءِ
ورآك في ثوبي منامِك هاجعاً	فوقاك عن بردٍ بخيرِ وِقاءِ
ورأى فتى لك شافعي أنه	أضحى النبي الهادي من الرفقاءِ

ورأى تقـــيٌّ فـــاطميٌّ أنـــه صـــلى عليـــه اللهُ كـــلَّ مـــساءِ
ماض بك السهل الرحيب بنفسه نحـــو المدينـــة طَيْبَـــةَ الفيحـــاءِ
فسُررتُ ثم خشيتُ فُرقتَك التي هـــي عنـــدنا مـــن أعظـــم البلـــواءِ
لله دَرُّك يـــا حمـــامَ الأيـــك كـــم أحـــسنتَ حفظـــاً عهـــدةَ الآبـــاءِ
إنـــي نظيـــرُك فـــي وفـــائي بعـــده أيضاً وفي حزنـي وبعـض بكـائي
لكـــن تـــسلَّينا بمـــوتِ محمـــدٍ صـــلى عليـــه طَيِّـــبُ الأســـماءِ
والآلِ ما طلعَتْ شـموسُ علومِـهِ تنـــصبُّ فـــي الآفـــاقِ والأنحـــاءِ

[١١٣٠] عبدالله بن عمر بن عبدالله بن أحمد باجمال[1].

ذو المقامات الفاخرة، والأحوال الظاهرة، والفتوحات القدسية، والمواهب اللدنية، والكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة.

مولده ﷺ يوم الجمعة، خامس ربيع الأول، سنة ثمان وخمسين وتسع مئة، ونشأ من صغره، ولوائحُ الولاية ساطعة في محياه، ودلائلُ الهدى والفلاح متوالية عليه من مولاه.

وقرأ على الفقيه عبد الرحمن بن سراج باجمال، وغيره، واجتهد في العلم والعمل، والعبادة والسلوك، واعتزل عن الناس، وكان صواماً قواماً، مستغرقا أوقاته بالأوراد النبوية، حتى فتح الله عليه بالمقامات، والأحوال السنية، وخرق الله له قواعد البشرية، فصارت صورته إنسانية، وصفاته ملكية.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٣٩٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٢١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٦٣).

ولما أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ إرشاد العباد على يديه، أظهره إلى الدعاء إلى سبيله، فظهرت في البلاد، على كافة العباد، شموسُ أنواره ومعارفه، وبركات أنواره، فازدحم الناس على زيارته ومشاهدته، وقذف الله محبته وتعظيمه واعتقاده في قلوب الأنام، على اختلاف أجناسهم، فالجميع له معتقدون، وبأسراره في الخلوات يدعون.

وكان ﷺ آيةً من آيات الله الباهرة، في غاية اللطف والشفقة، والتودد والمحبة واللطف بسائر المسلمين، كل إنسانٍ يظن أنه عنده بمنزلةٍ لا يوازيه فيها غيره، وكان يرشدهم بحسب القابلية، ويعامل كل إنسانٍ بحسب الحالة المقتضية له، وكانت الأنوار الباهرة في منظره الكريم تبهر العقول.

وكان يبرز للناس في بعض الأوقات، فيقرأ بين يديه كتب العلم النافع من الفرضي العيني؛ كربع العبادات، وكتب الرقائق والحديث، وتارةً يحتجب عن الناس، وترد عليه أحوالٌ عظيمةٌ، وطار صيته في البلاد القاصية والدانية، وشرف الله اسمه المبارك، فلو سمعه الغافل، ذكر الله تعالى، وأقلع عن المعصية في ظهر الغيب، وقصده الناس بالزيارة من الأماكن البعيدة، وكل من قصده في مهمٍّ قضاه الله تعالى، ومن شاوره في أموره، استخار الله سبحانه، ودعا، ثم أمره بما فيه صلاحه في الأجل.

ومن عجائب صنع الله، وما منّ به عليه من فضله وجوده وتوفيقه: أن جميع كتب السلوك، وحال رجال الطريق؛ كأهل الرسالة، وصفات القوم فيها وفي العوارف، كان جميعُه مجموعاً فيه، ولسانُ حال من رآه ينشد:

وليس على الله بمستنكَرٍ   أن يجمعَ العالَمَ في واحدِ

وانعقد الإجماع بين الخاص والعام على أنـه واحد الزمان وعينه علماً وتحملاً، وفتحاً ومنحاً، وزهداً وكرماً، وتواضعاً ومروءةً، وصبراً وحلماً، وعقلاً ولطفاً، وكانت له الكرامات الخارقة؛ بحسب حاجة المريدين وكثرتهم، وكان في التمكين ممن فتح عين اليقين وعلمه وحقه، من الأقوياء المتمكنين، مع الاستقامة على الكتاب والسنة، لا يرد سائلاً، كائناً من كان، حقيقاً بقول القائل:

ولو لم يكنْ في كَفِّه غيرُ نفسِه لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائِلُهْ

وتصدق بغالب ماله في وجوه البر؛ من صدقةٍ جاريةٍ، ووقفٍ على مستحقٍ، وإعانة معسرٍ في مهمٍّ، وصدقاته الكثيرة في أماكن متعددةٍ معلومةٍ مشهورةٍ يطول تعدادها، وأرشد كثيراً من الموفقين لصدقاتٍ جاريةٍ نافعةٍ للمسلمين.

وحصّل من كتب العلم النافع كثيراً، ووقَفَها، وله من المؤلفات النافعة نبذٌ في مهمات الدين مجموعة، منها: «اختصار الزواجر» للشيخ ابن حجر، وغيره، وقد حفظ الله بلده بأنواره في حياته الباطنة، فكل من له به تعلقٌ لا يقع بينهم شحناء ولا نزاع إلا وصلح ببركاته.

وكان يتعهد قراء المساجد بالإحسان، ويحرضهم على ذلك، وكان بحراً زاخراً في علم الفقه والحديث، وما يتعلق بذلك من أحوال الصحابة والتابعين، ولم يتزوج؛ لاستغراقه في مقام الإحسان.

ولما قربت وفاته ﷺ وردت عليه أحوالٌ عظيمةٌ، واعتلاه من الهيبة والأنوار ما يدهش العقول، فأرسل إليه بعض المريدين الصادقين، الأولياء

العارفين، وهو في ذلك؛ ليحمل عنه شيئاً منه، فقال للرسول: قل لـه: لـو وقعت لك منه ذرةٌ، لقتلتك.

وتوفي ﷺ من غير مرضٍ، صبح يوم الثلاثاء، ثالث عشر شوال، سنة سبع عشرة بعد الألف، وانخسف القمر آخر الليل، ولما علم الناس بوفاته، ارتجت البلاد، وكادت تشقق قلوب العباد، ثم وقع السكون والهيبة والصمت عند الاشتغال بغسله، فلم يقع بكاءٌ أبداً، وذلك من كراماتـه، ولم تأت امرأةٌ إلى البيت الذي تُوفي فيه، وسارع الناس من الجهات الواصل إليها خبرُ وفاته، وكان جمعٌ عظيمٌ يُدهش الناظرين، واجتمع الناس على ما سقط من غسله، وأخذه الحاضرون قليلاً قليلاً للبركة ـ نفع الله به ـ.

[١١٣١] عبـدالله بن علي بن طـاهـر بن الحسـن، الشريف الحسني السجلماسي المالكي[١].

الحبر الباهر، والبحر الزاخر، والعلَم الراسخ، والفضل الباذخ، والقدر الشامخ، كان من العلمـاء المحققين، العاملين بسنـة سيـد المرسلين، ومن عباد الله الصالحين، ذكر[٢] تلميذه سيدي محمد بن سعيد الميرغني، في إجازةٍ منه لشيخنا[٣] محمد بن ناصـر، وأخيـه الحسين بن ناصـر، فقال: ما رأيت أسرع دمعةً منه عند سماع القرآن، فلا يكاد يجوِّد للطالب لوحاً، إلا وبكى ثلاث مراتٍ، أو أكثر، وكذا عند ذكر الله، وذكرِ النبي، وذكر المدينةِ، المشرفة،

---

(١) «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٣١٨).

(٢) في الأصل: ذكره.

(٣) في الأصل: شيخنا.

وعند ذكر الأولياء والصالحين، ويعظم حرمة الله، وحرمة رسوله، وحرمة الأولياء.

وكان شديد الغيظ على المبتدعة، التاركين لسنة رسول الله ﷺ، كثير التواضع لأهل العلم، والطلبة والفقراء الصادقين، يجود لهم بنفسه وماله، ومناقبهُ وفضائله كثيرةٌ جداً، ما رأيت في مغربنا أتبعَ للسنة منه، وحركاتُه وسكناته كانت كلها علوماً وفوائد.

توفي ـ رحمه الله ـ عند طلوع شمس يوم السبت، الثاني عشر من جمادى الثانية، عام اثنين وأربعين وألف بمَدْغرة، ودفن خارج قرية أولاد الحاج بها ـ رحمه الله ـ.

وأما شيوخه، فكثيرون، فكان يحدث عن أبيه أبي الحسن علي بن طاهر، وعليه جمع القرآن، وأخذ التفسير، ثم على غيره ـ أيضاً ـ وحدث عن الشيخ الناصح أبي النعيم رضوان بن عبدالله، وكان قارئه في «مسلم» خمس سنين، وحدث عن الشيخ أبي العباس أحمد المنجور الفاسي، وقرأ عليه «البخاري»، و«مسلماً»، وغير ذلك، وحدث عن أبي عبدالله محمد بن قاسم القصار.

[١١٣٢] عبدالله بن علي الحتي.

من هجرة عُرُّ ثومان، من قرى كوكبان، كان من أعيان فقهاء الزيدية، وله يدٌ طولى في الفرائض، وسَمْتٌ حسنٌ وصلاحٌ.

[١١٣٣] السيد عبدالله بن عامر بن علي(١).

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٥٢)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٦١٣) (٣٦٩).

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو ابن عم الإمام القاسم بن محمد ابن علي، كان عالماً متيقظاً، ذكياً فصيحاً، مجيداً في الشعر على منهاج العرب الأولى، وكان شيخنا شمس الدين أحمد بن سعد الدين يثني عليه، ويقول: السيد مجيد، وهو كذلك، ولم يظهر شعره إلا في آخر أيامه، بعد موت ولده أبي تراب علي بن عبدالله؛ فإنه أكثر فيه المراثي، وناح عليه بشعرٍ كثيرٍ، ولعله كان يكره شعره في مبادي أمره.

وكان فيه ثلاث خصال، استأثر بها، منها: جودة خطِّه؛ فإنه فائقٌ عجيبٌ، ومنها: جودة الرماية بالبندق؛ فإنه كان أستاذاً بارعاً في صنع الرماية، ما لم يسبق إليه، ويعالج البنادق، ومنها: ركوبه الخيل، كان وحيداً في ذلك.

وأخبرني: أنه لم يترك في تعلم الكتابة والرماية مجهوداً، حتى إنه بلغه أن في مشهد الإمام أحمد بن الحسين رجلين، أحدهما يجيد الكتابة، والآخر يجيد الرمي، فبالغ في وصوله إلى «ذيبين»؛ لامتحان الرجلين، فوجدهما كما وصف، لكنه فاق عليهما.

ووقف بذيبين أياماً، عن رأي الإمام القاسم، أرسله إلى عند القاضي العلامة الهادي بن عبدالله بن أبي الرجال، فاستقر عنده مدةً، وكان لا يزال يحدث عن القاضي بعجائب من السعادة، ومطاوعة حيَّي حاشد وبكيل له، وهو كذلك؛ فإنه ما اتفق لأحدٍ ما اتفق له، وكان والدنا العلامة علي بن أحمد صديق السيد المذكور؛ لأنه تولى وادعة، والقاضي علي كان يلي أمر القضاء؛ كما ستراه في ترجمة السيد علي العُبالي، وكان بينهما من التحيات والتواصل أمرٌ عجيبٌ.

واعتنى السيد المترجَم بالجمع بين «المنتخب»، «والأحكام»، وفي بالي أنه أراد التصرف بالاختصار لأحد الكتابين، وسمى الكتاب المذكور بـ: «التصريح بالمذهب الصحيح»، والاختصار الذي في ذهني تحققته، فوجدته في أسانيد «المنتخب»، تركها، ولم يستحسن ذلك الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وأشعاره كثيرةٌ.

وكانت وفاته بحُوث؛ لأنه استوطنها، واستوطن هجرة الحموس، ببلاد عُذَر، وذلك سنة إحدى وستين وألف، أحسبه في رجب منها ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره: هذه المنظومة الزاجرة، تبصرة للمتبصرين، وموعظة للمتعظين، عارض بها منظومةً على هذا الروي الإمام الجليل علي بن الناصر:

أَراني المشيبُ وجوهَ العِبَرْ ... فمنها الصَّبيحةُ والمكفهِرْ
نهاني وأبلغَ في نهيه ... وحذَّرَ فعلَ الخَنا والأشَرْ
وأعلَنَ بالنصحِ لم يُخفه ... كضوء الصَّباح إذا ما حَسَرْ
ونادَى وصوّتَ آن الرحيلُ ... فقلتُ إلى أين أين السفرْ
فقال إلى الدارِ دارِ القرار ... وضيقِ اللحود وقعرِ الحُفَرْ

وهي مئةٌ وخمسون بيتاً.

[١١٣٤] السيد عبدالله بن عقيل بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد جمل الليل باحسن[١].

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢١١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤٠).

السيد الجليل، العارف النبيل.

وُلد بروعة، ونشأ بها، وصحب الأكابر؛ كالشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، وولده زين العابدين، ومن في طبقتهما، وسلك طريقة سلفه؛ من المواظبة على السنن الشرعية، والآداب النبوية، والأخلاق الرضية، وإطعام الطعام، والسعي في قضاء حوائج الأنام.

وكان جواداً سخياً، لا يقاس إلا بحاتم، آخذاً بأكمل العزائم، ورعاً زاهداً، حسن العشرة، متواضعاً، متحملاً للأذى، لا سيما أجلاف العرب، وصحبه جماعةٌ كثيرون: منهم: ابن أخته السيد عبد الرحمن السقاف العيدروس، وابن أخته السيد زين بن عبدالله باحسن، نزيل طيبة، وكانت وفاته سنة خمس وأربعين بعد الألف.

[١١٣٥] السلطان عبدالله بن عمر الكثيري[1].

ملك حضرموت، الملك الذي بحر كماله زاخر، وجوهر صفاته فاخر، كان حسن الخَلق والخُلق، مهاب المنظر، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ولي الملك بعد أبيه سنة إحدى وعشرين بعد الألف، وأحسن القيام به، وأظهر السطوة والفتك، وقهر البادية وغيرهم، فهابته النفوس، وطأطأت له الأعناق والرؤوس، وأمنت البلاد، واطمأنت له العباد.

ثم حصلت له جذبةٌ ربانيةٌ، وهمةٌ روحانيةٌ، فرفض الملك والدنيا، ولم

---

(١) «لفت النظر» للجيلاني (٦١٦)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٠٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤٢، ٢٦٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٩)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١١١)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٤٣).

يرض إلا بالدرجة العليا، وخرج عن أهله وماله، ورضي من القوت ببعض حلاله، وقصد الحرم الشريف، وتبرأ من التالد والطريف، وأعرض عن الملك الفاني، فأصبح وهُوَ لإبراهيم بن أدهم ثاني، إلى أن توفي بمكة، سنة خمس وأربعين بعد الألف، ودفن بالشبيكة.

[١١٣٦] عبدالله بن علي بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بلرعية الحضرمي الشافعي.

صاحبنا الشيخ الفاضل...[1].

[١١٣٧] عبدالله ابن الفقيه عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال الحضرمي[2].

كان من الفقهاء المحققين، والعلماء العاملين، معمورةً أوقاته بالأذكار، له في الزهد والسلوك، والإقبال على الله تعالى النصيبُ الوافر، وكان من عقلاء الرجال، ثقيل الأمثال، وله اليد الطولى في استنباط المعاني الغامضة، وعبارته في أجوبته كالتبر المسبوك.

قرأ على والده، ثم انتقل إلى الشحر، فقرأ على الفقيه بايزيد، وتميز بالمعرفة التامة، ثم أقبل على السلوك والأوراد، والاعتزال عن الناس، حتى أشهره الله نفعاً للأنام، وولي الإمامة في الغرفة مدةً، ثم طُلب إلى الشحر؛ للتدريس في الجامع.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران ونصف بياض».

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٧٠).

ثم ولي القضاء بالشحر، فحرزت أحكامه؛ لكمال علمه وورعه، ومعرفته بالزمان وأهله، كثير الفكر حال الحكم، حتى يتضح ذلك، أو يصطلح الخصوم، وأقام بالشحر ثمان عشرة سنةً، ثم خرج إلى حضرموت، فأقام ببلده الغرفة حاكماً ومدرساً، وانتفع الناس به، وكان هو العمدة في تلك الجهة، والمرجوع إليه عند عروض المشكلات، وله تآليف عجيبة الوضع، منها: «شرح قصيدة أبي الفتح البستي» التي أولها:

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانُ

جمع فيه من الآداب الشرعية، والأخلاق النبوية، ومكارم الأخلاق المرضية، وما كان عليه السلف المحمودة أفعالهم، وغير ذلك، ومنها: «تنبيه الثقات على كثير من حقوق الأحياء والأموات»، وكان نظمه ونثره من الدر المنضود، البديع الفائق المنظوم في العقود، وفتاويه كثيرةٌ معتمدةٌ، بأيدي الناس مفرقة، ولم تجمع كعادة سلفه آل أبي جمال؛ إيثاراً للخمول.

وتوفي في شعبان، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، وحزن الناس عليه كثيراً، وعظمت المصيبة بفقده؛ لكونه من بقية العلماء المحققين، الجامعين لمكارم الأخلاق، وجميل الصفات، ودفن في التربة، قبلي داره، في الجانب البحري، في موضع أول قبر فيه، وذلك لضيق تربة آل أبي جمال النجدية عن الدفن فيها، وكان يشير إلى ذلك في حياته؛ أي: تجديد تربة لآل أبي جمال.

[١١٣٨] عبدالله بن عبد الرحمن الصوفي.

عالمٌ مشهورٌ، له مؤلفاتٌ، منها: «رسالة في ضوء الكواكب»، توفي سنة سبع وخمسين وألف.

[١١٣٩] عبدالله بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الدنوشري الشافعي[1].

خليفة الحكم بمصر، إمامٌ جمع التقرير والتحرير، ورقى إلى ربوة المجد الخطير، فهو في سماء الفضل تحسد النجومُ سناه، وأنّى لها أن تشابه علو مجده وعلياه؟! شعر:

وهي تَخْفى عند الصباحِ وهذا ظاهرٌ في صباحِه والمساءِ

مهر في جميع الفنون، فأتى بما تلذ به الأسماع، وتَقَرُّ به العيون، مع بديهةٍ في الشعر بديعة، كأن لها على كمين الغيب طليعة.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن العلامة الشمس محمد الرملي، والشهاب أحمد قاسم العبادي، والشمس محمد العلقمي، وغيرهم، وعنه: شيخنا محمد بن علاء الدين البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهما.

وله مؤلفاتٌ، منها: «حاشيةٌ على التوضيح»، ورسائل كثيرة، وكانت وفاته بمصر، يوم الأحد، غرة شهر ربيع الآخر، سنة خمس وعشرين بعد الألف.

وله أشعارٌ كثيرةٌ؛ كقوله:

أرى في مصرَ أقواماً لئاماً وهمْ ما بين ذي جهلٍ ونذلِ
شجاعتُهم بألسنةٍ حِدادٍ وعيشُهم بجُبن وهو مقلي

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٨٥) (١٠١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٥٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤١)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٩٧).

وقوله في موسى قاضي مصر:

لقد كان في مـصر الأمينـةِ حـاكمٌ تسمَّى بفرعونٍ وكـانَ لنـا موسـى
وفـي عـصرِنا هـذا لقلـةِ قـسمِنا لنا ألفُ فرعونٍ وليس لنـا موسـى

وركب ثوراً بعض شهود المحاكم بمصر تشهيراً، فكتب له:

إن ركبـوك الثـورَ فـي مـصر إذ جُرِّسْـتَ بـالظُّلمِ وبـالجورِ
فاصبرْ ولا تحـزنْ لمـا قـد جـرى فالنـاس والـدنيا علـى ثـورِ

وكتب لتلميذه محمد بن أبي اللطف الشامي، وقد ترك حضور درسه:

يـا سـيدي يـا بـنَ أبـي اللطـفِ يـا صـاحبَ الإحـسانِ والعطـفِ
وعـدْتَنا وعـداً وأخلفْتَـهُ ومـا دَرَينـا سـببَ الخُلْـفِ
الوعـدُ بـدرٌ نـورُه بالوفـا والخُلـف فـي الميعـاد كالكَسْفِ
هـل كـانَ عرقـوبٌ عـديمُ الوفـا أوصـاكَ بالتـسويف فـي العـرفِ

ومرّ يوما على صاحبه درويش المحلي، وفي يده دينار، فسقط من يده، فقال بديهاً:

يـا فائقـاً بـالجود بـين الـورى ومُـشبهاً للمُـزن فـي وَكْفِـهِ
مُـذْ سـقطَ الـدينارُ مـن كفِّكـم وعـاد مثـلَ البـرق فـي خَطْفِـهِ
كَـذَّبت مـن قـد قـالَ فـي حَقِّكـم لا يـسقط الخـردلُ مـن كَفِّـهِ

وللشيخ بهاء الدين العاملي، ما يقرب من قول صاحب الترجمة: إن ركبوك . . . إلخ:

وثــورين حاطــا بهــذا الــورى　　فثــورُ الثريــا وثــورُ الثــرى
ومــن فــوقِ هــذا ومــن تحــتِ ذا　　حميــرٌ مُــسَرَّجَة فــي قُــرَى

[١١٤٠] السيد عبدالله بن عبد الرحمن ابن الشيخ محمد مولى عيديد.

السيد العارف بالله، مهبط البركات الشاملة، ومعدن التنزلات الكاملة، القطب الرباني، والمحقق الصمداني.

وُلد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، وسار السيرة المرضية، واتصف بالأوصاف السنية، وصحب أكابر العارفين، وتفقه في الدين، واجتهد في كثرة العبادة، ولاحت عليه لوائح السعادة، وظهرت عليه آثار الولاية والصلاح، وارتفع إلى سماء الفلاح والنجاح.

وظهرت منه الكرامات الخارقة، والأحوال الصادقة، مع ملازمة الورع العام، والزهد التام، ومزيد إكرامٍ للخاص والعام، من غير ملالٍ ولا سأم، ولم يزل كذلك مدى الليالي والأيام، حتى وافاه الحِمام، وقدم على الملك العلام، فكانت وفاته بمدينة تريم، سنة ست بعد الألف، ودفن بمقابر بشار ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ.

[١١٤١] عبدالله بن عبد الباقي العدني.

الفقيه الإمام، العلامة المقرئ، كان إماماً بمدينة زبيد، وكان بصيراً، توفي في شهر ربيع الآخر، سنة ست وسبعين وألف بزبيد، ودفن بمقبرتها.

[١١٤٢] عبدالله بن ملا سعد الله اللاهوري ثم المدني.

الشيخ المعمَّر، الناسك الصوفي.

مولده سنة خمس وثمانين وتسع مئة، روى بالإجازة عن القطب المكي، وعن عبد الرحمن بن عبد القادر بن عبد العزيز بن فهد المكي، وعنه: شيخنا إبراهيم الكوراني.

توفي بالمدينة، يوم الأحد، سادس ربيع الثاني، سنة ثلاث وثمانين وألف، ودفن بالبقيع الفرقد، عن تسع وتسعين سنة.

[١١٤٣] السيد عبدالله بن هارون بن عبدالله بن هارون، اشتهر جده بباهارون[١].

الملازم للتقوى في الحركة والسكون، الجامع لأشتات الفضائل والفنون.

وُلد بتريم، ولاحظته سعادة السميع العليم، فحفظ القرآن العظيم، وتمسك بالعروة الوثقى من الدين، وصحب جماعةً من أهل العرفان.

ورحل إلى اليمن، ودخل عدن، وسافر إلى السواحل، وحصل كثيراً من الفضائل، وتزوج فيها، وحصل له أولاد بها، وكان كثير الموافاة والمراعاة، يحب التودد والمصافاة، محبوباً عند الأنام، مقبولاً عند الخاص والعام، واستمر على المسارّ والمحابّ، إلى أن ناداه منادي الوفاة فأجاب، فتوفي سنة تسع بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل -رحمه الله عز وجل-.

[١١٤٤] السيد عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٣٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧١).

العيدروس بعلوي الحسيني[1].

أحد أعيان الرؤوس، الذين تهتز بسماعهم المحابر والطروس، وبرؤيته تنشرح الصدور، ويرتجى بدعائه الرحمة للأحياء وأهل القبور.

وُلد بمدينة تريم، في عزّ ونعيم، وصحب آباءه وأعمامه: محمداً، وشيخاً، وأحمد وحسيناً، وحظي بأوفر المنن والإحسانات والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن، ولزم الطاعة والعبادة، وسلك طريق السعادة ومنح الحسنى وزيادة.

ورحل إلى الديار الهندية، وأقام عند عمه السيد شيخ بـ أحمد آباد، وطلب العلم واستفاد، وحصل على المأمول والمراد، وصحبه جماعةٌ كثيرون، وانتفع به في الدين والدنيا من لا يُحصون، وظهرت كراماته وعمت نفحاته.

مع تمسكٍ بأذيال شريعة سيد المرسلين، واقتداءٍ بأئمة الدين، الهادين المهتدين، إلى عقلٍ يبهر العقول، وفضلٍ يفوق به الرجال الفحول، وكرمٍ تامٍّ، وسخاءٍ عامٍّ، ولم يزل في ازدياد، إلى أن سار إلى دار المعاد، فتوفي بأحمد آباد، سنة اثنتين بعد الألف ـ روح الله روحه، ونور ضريحه ـ.

[١١٤٥] عبدالله بن أبي بكر صاحب الشحر[2].

السيد الولي، العارف بالله، كان على قدم كاملٍ من العبادة، والصيام

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٨٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٧).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٦).

والقيام، وسلامة الصدر، ولين الجانب، **توفي في شهر رمضان، سنة اثنتين وخمسين بعد الألف**، ودفن في تربة أبيه، بالمرتفع من أعمال بيت الفقيه ابن حشيبر.

وكانت وفاة أبيه سنة ألف، ووفاة أخيه أبي القاسم بن أبي بكر سنة سبع عشرة بعد الألف، وشهرتُهم تغني عن التصريح بحالهم ـ رحمهم الله ـ، وكان المترجم ذا صيامٍ وقيامٍ، وعلمٍ وعملٍ، وأخلاقٍ رضيةٍ، وتصرفاتٍ في الولاية ظاهرةٍ مرضيةٍ.

[١١٤٦] السيد عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن أبي القاسم بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن علي بن أبي بكر بن علي الأهدل(١).

كان سيداً كامل المعرفة بالعلوم؛ من الفقه والحديث، والتفسير والنحو والمنطق، وله الحكم العجيبة فتحاً من الله تعالى، والقدم الراسخة في العبادة، **توفي في عشر الأربعين وألف**.

وذكره السيد أبو بكر بن أبي القاسم في «نفحة المندل»، فقال: فقيهٌ أديبٌ، فطنٌ لبيبٌ، حسن المحاضرة، جيد المذاكرة، وله همةٌ عاليةٌ في تحصيل فنون العلم، وخطُّه في نهاية الحسن، وكذا تجليده للكتب، ويحسن غيرَ ذلك من الصناعات؛ كالصياغة؛ لجودة فهمه، وحدة ذكائه، وله نقدٌ صائبٌ في الشعر؛ بحيث يعرف جيده من رديئه، وشعره جيدٌ، قرأ عليَّ شيئاً

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٦).

من «التلخيص» في البيان، ومسكنه قرية المنيرة[1].

[١١٤٧] عبدالله بن عيسى المعلم الغزي الشافعي اليمني.

العالم العامل، والفاضل الكامل، أجمع أهل بلده أنه ليس له بها نظيرٌ في العلم والدين، والانهماك على طاعة رب العالمين.

وُلد ـ كما أخبرني ـ في أواخر سنة أربع وأربعين بعد الألف، ونشأ بين حضني والديه، وقرأ القرآن وجوده.

ورحل إلى زبيد لطلب علوم الدين، وأدرك بها جماعةً من العلماء الصالحين، فأخذ عنهم، وانتفع بهم، فمنهم: العلامة إسحاق بن محمد بن جعمان، قرأ عليه «المنهاج»، ومنهم: الشيخ الصديق المزجاجي الحنفي، قرأ عليه العربية، ومنهم: الشيخ عبد الرحيم الخاص الحنفي.

ثم دخل بيت الفقيه ابن عجيل ـ نفع الله به ـ افتتاح سنة خمس وستين، ولازم بها العلامة برهان الدين إبراهيم بن عبدالله بن جعمان، وقرأ عليه الفقه والنحو، والأصول والفرائض، وجملةً من المصنفات في الحديث والتصوف، وغيرها، وانتفع به، وأجازه بجميع مروياته.

وتوطن بيت الفقيه وتديَّرها، وهو الآن بها مقيمٌ على خيرٍ، وفي خيرٍ، مشتغلٌ بما يعنيه، موزعٌ لجميع أوقاته على العبادة، والإفادة والاستفادة، واجتمعت به ببلده، وأجازني بجميع مروياته، بإجازةٍ كتبها لي بخطه، وبيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ونعم الرجل علماً وعملاً ـ نفع الله به ـ، توفي ـ رحمه الله ـ

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطر بياض».

في شهر رجب، سنة ألف ومئة واثنتي عشرة، ببيت الفقيه ابن عجيل ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١١٤٨] عبدالله بن عبد المنعم بن عبد الرحمن النزيلي.

كان فقيهاً، عَلَماً راسخاً في كل فنٍّ من الفنون: العلم، والأدب، وانتهت إليه رئاسة التدريس في عصره، بهجرة القِيرى، توفي سنة إحدى وخمسين وألف.

[١١٤٩] السيد عبدالله بن حسين الوشلي.

العلامة الكبير، كان من أهل الأدب الراسخ، وغلب عليه التصوف، وكان بينه وبين الإمام القاسم منافسةٌ، حتى قال: لئن بلَّغني الله، فلا يتولى قتل ثلاثة غيري: السيد عبدالله الوشلي، والسيد عبدالله بن علي صاحب الذَّنوبة، والشيخ الأمين، ولم يظفر به.

[١١٥٠] عبدالله بن الحسين بن علي بن حجاف اليمني[1].

شرف اليمن وفخره، وبدره وفجره، وملاذ ساكنه وذخره، عالمٌ عاملٌ، وإمامٌ في العلوم كامل، ظاهر الخير والصلاح، وعنده انجماعٌ عن الناس، كثير الملازمة لبيته، لا يخرج منه إلا لضرورةٍ، كثير التحري في أموره، يقول الحق، وينكر المنكر، ويخاطب نواب الأئمة بالغلظة، محبٌّ للغرباء، محسنٌ إليهم، معتقدٌ لأهل الخير والصلاح، مطرح النفس، كثير الجود، فقيه النفس، لطيف الذوق، عليه مهابةٌ ووقارٌ، مع بشاشةٍ واستبشارٍ، لطيف

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٩٤) (٣٦٢)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣٥٩).

الذات، حسن الصفات.

مولده في شعبان، سنة سبع وثلاثين وألف، بقريةٍ من البلاد الحجية، من مغارب صنعاء، تعرف بحصن مَبْيَن، ونشأ بها على خيرٍ وعفافٍ، وتحلى بمحاسن الأوصاف، وقـرأ في الفقه والأصولين والخلاف، والمنطق وفنون العربية على مشايخ كثيرين، وأقام على الاشتغال سنين.

واشتهـر ذكـره، وعـلا في اليمن قـدره، وحسنت في الناس سيرتـه، وانسلّت إليه الفضلاء من كل حَدَبٍ، وانتمى إليه أهل العلم والأدب، وصار له في العلم والحلم علمٌ، أوضح في السائرين من عَلَم.

واتفق أني مررت تحت بلده، لما قدمت اليمن، ولم يتيسر لي الطلوع إليه، والأخذ عنه، والقراءة عليه، ثم كتب له شيخنا القاضي العلامة الحسين ابن الناصر المهلا أن يعرفني بأخباره، وأن يكتب لي إجازةً بمروياته وآثاره، فوعد بذلك، ثم بعد رجوعي إلى الحرمين، وبُعد دياره، لم أستفد شيئاً من أخباره، ولعل الله سبحانه ييسر ذلك.

وبالجملة: فإنـه حسنةٌ من حسنات الزمان، وغايـةٌ في الزهد والورع والإحسان، أجمع أهل ذلك الإقليم على جلالته، وعظيم فضله ومكانته، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، وفي بلاده شهيرةٌ.

توفي ـ رحمه الله ـ بحصن الظفر، ببلدة تسمى العَرُوس، من بلاد حجة، سنة أربع عشرة وألف ومئة.

[١١٥١] السيد عبدالله بن حسين البحراني.

قال في «السلافـة»: أديـبٌ من أفراد الأعيـان، الممثلين فرائـد البيان

للعيان، ينظم شعراً جزلاً، فيجيد جِدّاً وهزلاً، ويزيل به عن السامع أزلاً، ونثره أحسن مغنًى، وأتقن لفظاً ومعنًى.

ومن شعره قوله متغزلاً:

أَتَتْ تحملُ الإبْريقَ شمسُ الضحىَ وَهْنَا ... ولو سَمَحْت بالرِّيق كان لنا أَهْنَا
حَكاها قَضيبُ الخَيْزُرانِ لأنه ... يُشارِكها في اللِّين واللفظِ والمعنَى
تُريني الضُّحَى والليلُ ساجٍ وما الضحى ... وطلْعَتُها من نُورِ طلعتِه أسْنَى
مُهَفْهَفةُ الأعْطافِ حَوْراء خِلْتُها ... من الحُورِ إلا أنَّ مُقْلتَها وَسْنَى
لها كَفَلٌ كالدِّعْصِ مِلْءُ إزارِها ... وقَدٌّ إذا ماسَتْ به تُخْجِل الغُصْنَا
عليها بُرودُ الأُرْجُوانِ كأنها ... شَقائقُ أو من وَجْنتيْها غَدَا يُجْنَى
ولا عَيْبَ فيها غيرَ أنَّ مَلِيكَها ... بَراها بخُلْقٍ يُعْقِب الحُسْنَ بالحُسْنَى
تقوم تُعاطِينا سُلافَة ثَغرِها ... على وَجَلٍ نِلْنا به المَنَّ والأمْنَا
هي الرُّوحُ والرَّيحانُ والرَّاحُ والمُنى ... علينا بها مُعْطِي المَواهبِ قَدْ مَنَّا
قَصَرْتُ عليها مَحْضَ وُدِّي فلم يكنْ ... سواهَا له في القلبِ رَبْعٌ ولا مَغْنَى

[١١٥٢] الشريف عبدالله بن الحسن بن أبي نمي[(١)].

كان سيداً جليلاً، عظيماً صالحاً، ولي مكة بعد ابن أخيه مسعود، وهو أكبر آل أبي نمي، باتفاق من الأشراف وأمراء السلطان، وكان قد تخلف عن الجنازة لذلك، بعد أن امتنع من قبول ذلك؛ فألزموه بذلك؛ حقناً لدماء العالم،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٧٨).

وما زالوا به حتى رضي، وحصل بولايته الأمن والأمان.

وكان الاجتماع لذلك في السبيل المنسوب لمحمد بن مزهر كاتبِ السر، الكائن في جهة الصفا، المعروف علوه في زماننا بسكن الشيخ علي الأيوبي، واستمر متولياً إلى أن حج بالناس سنة أربعين بعد الألف.

ثم في شهر محرم، سنة إحدى وأربعين، خلع نفسه من الولاية، وولى ولده محمداً، وأشرك معه زيد بن محسن، وتوجه إلى عبادة ربه، إلى أن توفي ليلة الجمعة، عاشر جمادى الآخرة، من السنة المذكورة، فكانت ولايته تسعة أشهرٍ، وثلاثة أيامٍ ـ رحمه الله ـ.

[١١٥٣] عبدالله بن الحسين اليزدي[١].

نسبة إلى يَزْد ـ بياءٍ مفتوحةٍ مثناةٍ من تحت، ثم زاي معجمة ساكنة، ثم دال مهملة ـ، وهي بلدةٌ عظيمةٌ من فارس.

علامةُ زمانه بغير نزاع، وخاتمة محققي العجم من غير دفاع، لم يُدانه أحدٌ منهم في عصره، وله تآليف كثيرةٌ مفيدةٌ، وكانت وفاته سنة خمس عشرة بعد الألف بأصبهان ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١١٥٤] عبدالله بن حسن بن محمد بن أحمد بن مبارك بن طرفة السالمي؛ نسبة لبني سالم من حرب، المكي الشافعي[٢].

فاضل أديب، كامل العقل، جيد المشاركة في العلم، شريف النفس،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٠)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٨٠).

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٤٦) (٣٠٩).

رقيق الطبع، بديع النظم.

وُلد بمكة في شهر محرم عام أربعة وخمسين بعد الألف، وحفظ القرآن، وأخذ عن الشيخ عبدالله باقشير، وإبراهيم باغريب، وأحمد بن عبدالله ابن عبد الرؤوف، وعبدالله العباسي، وعيسى بن محمد، ومحمد بن سليمان، وأحمد بن عبد العزيز المغربيين، وعن شيخنا أحمد البشبيشي، ومحمد البحشي الحلبي، وغيرهم.

توفي ـ رحمه الله ـ يوم الإثنين رابع عشر شعبان، وصلى عليه بالمسجد الحرام الشيخ أحمد النخلي ضحى يوم الثلاثاء، خامس عشر شعبان، سنة ألف ومئة وعشرين[1]، واجتمعت به بمكة ـ شرفها الله ـ، ورأيت فيه من الشيم المرضية، والصفات الحميدة، والنفس الأبية، والأخلاق الرضية، والفكرة الألمعية، والمعارف السنية ما يطول ذكرُه.

ومن شعره: ما كتب به إلى صاحبنا الفاضل الأديب أحمد بن أبي القاسم الخلي، وهو قوله:

مَن لقلبٍ دائمِ الحَزَنِ ... ليس يخْلُو الدهرَ من شَجَنِ
ضاق ذَرْعاً بالهمومِ فهل ... ماجدٌ يُنْجِي من المِحَنِ
يشْتكي الدهرَ عَلَّ عسَى ... يلْتجِي منه إلى سَكَنِ
قد أضاعَ الوقتَ في نَفَرٍ ... كالرِّياضِ الخُضْرِ في الدِّمَنِ

---

(١) جاء في الحاشية: «الذي ذكره ولد صاحب الترجمة الشيخ محمد سعيد: أن المصلي على جنازته إماماً بالناس الشيخ عبدالله بن سالم البصري الآتي ترجمته».

ظـــاهراً راقُـــوا وقـــد خَبُثُـــوا	باطنـــاً فَعْمـــاً مِـــن الإحَـــنِ
وغَنُـــوا بالمـــالِ عـــن أدَبٍ	وبهـــم فَقْـــرٌ إلـــى الرَّسَـــنِ
وغَـــدَوا عـــارِين مـــن حَـــسَبٍ	واكْتَـــسَوا بـــالقُبْحِ والـــدَّرَنِ
فأنـــا مـــا بـــين أظْهُـــرِهمْ	كغريـــبِ الـــدَّارِ والـــوَطَنِ
صـــابرٌ عَـــلَّ الزمـــانَ يفِـــي	بـــصديقٍ قَـــطُّ لـــم يَخُـــنِ
وَهـــوَ فـــي ظَنِّـــي ابـــنُ قاســـم لا	خَيَّـــبَ المَـــوْلَى بـــه ظَنِـــي
أحمـــدُ المحمـــودُ سيِّـــدُنا	مالـــكُ الأفْـــضالِ والمِـــنَنِ
مـــن تـــسامَى أن يُحِـــيطَ بـــه	وَصْـــفُ مِنْطِيـــقٍ مـــن اللَّـــسَنِ
فاضـــلٌ لـــم يَـــألُ مجتهـــداً	فـــي طِـــلابِ المجـــدِ لـــيس يَنِـــي
فـــاق فـــي فـــضلِ أُبُوَّتَـــهُ	وجَـــرى مـــنهم علـــى الـــسَّنَنِ
وهـــمُ أبنـــاءُ مَحْمَـــدةٍ	فِعْلُهـــم يَـــزوِي عـــن الحـــسَنِ
شـــهدتْ فـــي ذا فـــضائلهُ	وعرَفْـــتُ العِـــرقَ بالغُـــصُنِ
يـــا شـــهابَ الـــدين صِـــخْ لفتـــى	وُدُّه بـــاقٍ علـــى الـــزَّمَنِ
لـــيس يرجُـــو منـــك غيـــرَ وَفـــاً	فاشْـــتَرِي عَبْـــداً بـــلا ثَمَـــنِ
بيننـــا فـــي وُدِّنـــا نـــسَبٌ	لـــيس يَخْفَـــى ذا علـــى فَطِـــنِ
واحْـــتكِمْ مـــا شـــئتَ فيـــه علـــى	وَفْـــقِ مـــا ترضَـــى لـــه يكُـــنِ
وابْـــقَ واســـلَمْ مـــا تفَـــنَّن فـــي	سَـــحَرٍ طيـــرٌ علـــى فَـــنَنِ

وأتبعه بنثرِ صورته: يا سيدي الأعلى، وكنزي وشهابي الأسنى، وروضتي الغنّا، دام علاك، وهُدم بناءُ عِداك، ولا زلت مأمون الغوائل، معتمد

الوسائل، يوسفيَّ الصباحة، حاتميَّ السماحة، فلكيَّ التأثير، قمريَّ التصوير، إبراهيميَّ الوفا، محمديَّ الأخلاق والصفا.

أنت راءُ الرِّضا وعينُ العطايَا　　أنت تاءُ التقى وصادُ الصَّلاحِ

أنت واوُ الوفا ومِيمُ المَعالِي　　أنت كافُ الكمالِ سينُ السَّماحِ

الموجب لتسطير هذه الخدمة: علمكم بأنه لابد للإنسان من خِلٍّ يسكن إليه، فيشكو إليه حزنه، وينتصر بـه على من ظلمه، ويتوصل به إلى ما يشق عليه بلوغه بمفرده، والمملوكُ قد تقرَّبَ إليك، وعوَّل عليك، ورضي بك مالكاً، فهل ترضى به مملوكاً، وتأخذ منه بذلك وثائقاً وصكوكاً.

يراك كالشيخ إجلالاً، وكالوالد إكراماً، والولد حنواً وإشفاقاً، ويلتمس منك ثلاثة أمور، وأنت الآمر بذلك لا المأمور: أولها: حفظ الود في الغيبة والحضور، ثانيها: عدم سماع كلام الواشي والغيور، ثالثها: رفع سجف الحشمة، وطي بساط الكلف في القبض والسرور، هذا ما أحاط به علمك، فربَّ أخٍ لم تلده أمك، والسلام.

فكتب إليه مجيباً:

ذكَّر الماضِي من الزمَنِ　　خَفَقانُ البارقِ الْيَمَنِي

فَهَمَتْ من مُقْلتِي دِيَمٌ　　نِيْلُها أَشْفَقْتُ يُغْرِقُنِي

يا نُزولَ السَّفْحِ من إضَمٍ　　بُعْدُكم أفْنَى قُوَى بَدَنِي

حَبَّذا أيّامُنا وبِكُمْ　　كانتِ الأقْدارُ تُسعِدُنِي

حيث وجهُ الدهرِ مُنْبَلِجٌ　　وخيولُ اللَّهْوِ ليسَ تَنِي

وسَـــرابيلُ الـــصِّبا قُـــشُبٌ		لـــم تُمزِّقْهـــا يَـــدُ المِحَـــنِ
ليـتَ شِـعْري والرَّجـا طَمَعـي		بكُـــمُ الأيـــامُ تَجْمَعُنِـــي
يـا ديـارَ الأُنْـسِ جـادَكِ مِـن		فَـيْضِ دَمْعِـي هامِـلُ المُـزُنِ
إنْ أكُـنْ قـد بِنْـتُ لا بِرِضـاً		ففـؤادي عنـكِ لـم يَبِـنِ
آهِ كـم مِـن ليلـةٍ سـلفَتْ		فيـكِ مَحْفوظـاً مِـن الحَـزَنِ
لـيس يُنْـسيني تـذكُّرَها		غيـرُ مَـدْحِ المِـصْقَعِ اللَّـسِنِ
فاضـلُ العـصرِ الـذي يـدُه		حلَّـتِ الأجْيـادَ بـالمِنَنِ
مَـن بـه الآدابُ قـد فَخَـرَتْ		وبـدَتْ فـي منظـرٍ حسَنِ
يُـدْرِك الأشْـيا بفِطْنتِـه		وذَكـاهُ وهْـي لـم تَكُـنِ
فِكْـرُه كـم حَـلَّ مُـشكِلةً		وقَفَـتْ عنهـا ذَوُو الفِطَـنِ
عُمْـدتِي فـي كـلِّ نازلـةٍ		جَـرَّدتْ نَحْـوِي ظُبَـا الفِـتَنِ
يـا عَفيـفَ الـدِّينِ عبـدُ هَـوًى		بـكَ لـم يَغْـدُرْ ولـم يخُـنِ
قُمْـتَ تـدْعوه بمُفْـرَدةٍ		أصْـبحتْ كـالقُرْطِ فـي الأُذُنِ
فـاخْتبرْني يـا أبـا حـسَنٍ		تَرَنِـي المَخْبُـورَ بالحـسَنِ
وتقبَّـلْ مِدْحَـةً بـرزَتْ		مِـن شَـجٍ نـاءٍ عـن الـشَّجَنِ
جَمَـدَتْ أفكـارُه زمَنـاً		فرُمِـي بـالعِيِّ واللَّكَـنِ
رفَـضَ الأشْـعارَ عنـه فلـو		وَزَنُـوا الأمْـوالَ لـم يَـزِنِ
دُمْـتَ سَـمّاً للعِـدَى سـنَداً		لِـيَ يـا أُطْرُوفَـةَ الـزَّمنِ

لو دَعانِي من غيرِ أرْضك داعٍ، لكنتُ غيـرَ مُلَبِّي، وأما أنت أيها الأخ

الشقيق، والصديق الشفيق، سمعاً لأمرك الواجبة إطاعته، المفروضة إجابته، الممتنعة مخالفته، المستحيلة مجانبته.

لو قيلَ تِيهاً قِفْ على جَمْرِ الغَضا لوقفْتُ مُمْتَثِلاً ولم أتَوَقَّفِ

كيف وقد دعوتني إلى شيءٍ أتمنى حصوله، وأترقب وصوله، وكنت أرى نَيْله كالمستحيل للسائل، وطالما قلت: أين الثريا من يد المتناول؟! فظهر لي قيام الحظ بعد قعوده، وتبدل نحوسه الملازمة بسعوده، وطفقت أسحب ذيل الإعجاب مرحاً، وتزايد بي السرور حتى بكيت فرحاً، يا قلبُ قَرَّ فمن تُحِبُّ أتى على وَفْقِ المُرادِ، فثقْ مني بخلوص ودٌّ لا يشوبه غش الانفصام، حتى تفارقَ بعد العمر الطبيعي أرواحُنا الأجسام.

أَلْقِني في لَظَى فإن أَحْرَقَتْني فتيقَّنْ أني لستُ بالياقُوتِ

والله المسؤول أن يجعل عيون الحاسدين عنًّا نائمة، ويرزقنا والمسلمين حسن الخاتمة. آمين.

وكتب إليه، وقد وعده في مشتري تمرٍ له:

يا مالكَ الفَضْلِ ويا خِلَّ الأدبْ ويا كريمَ الأصلِ يا فخرَ العَرَبْ
ويا مَلاذي في الوَرَى وقَصْدي وصارمي وساعدي وزَنْدي
طالَ اشْتياقِي فاستمعْ مَقالِي لخضْمِ تَمْرِ كالزُّلالِ حالِي
شَبَّهْتُهُ لم أَغْدُ في تشْبيهه طريقةَ القَصْدِ لَدَى مُريدِهِ
مَخازناً من العَقِيقِ بُنِيَتْ أقفالُها من النُّضارِ جُعِلَتْ
أو أُنْمُلاتِ للغَوانِي طُلِيَتْ بالزَّعْفرانِ أعْجَبَتْ وَفَتَنَتْ

وأكْؤُساً مِن النضارِ الصَّافِي ... تشْرَبُها وخِلُّك المُصافِي
كأنه خُلْقُك في حَلاوتِهْ ... ولفظُك الباهرُ في بَراعتِهْ
يا حُسْنَه حين يُرَى في أَدَمِهْ ... يُوجِدُ شَخْصَ الجوعِ بعد عَدَمِهْ
أحبَبْتُه حُبَّ الصغيرِ أُمَّهْ ... ولا عجِيب حُبُّ ابنِ العَمَّهْ
فانْعَمْ به دُمْتَ مدَى الدهورِ ... تسحبُ ذيلَ الأُنْسِ والحُبورِ
إلى مَعاليك العُلا ينْتسِبُ ... ومِن أياديك النَّدَى يُنتَخَبُ
نمِيلُ في مَطْلبِنَا علَيْكَا ... وتلتقِي آمالُنا لَدَيْكَا

فكتب إليه مجيباً:

يا عُمْدتي في الصَّحْبِ والخِلاَّنِ ... وعُدَّتِي إذا عَدا زَمانِي
وطِبَّ دائي ودواءَ جُرْحِي ... وعينَ أعْيانِي ورُوْحَ رُوحِي
وصَارِمِي الصَّارِمَ للأعداءِ ... وسَطْوتِي عند لِقَا الهَيْجاءِ
يا مَنْهَلَ الفضلِ ويُنْبوعَ الأدَبْ ... وبَحْرَهُ المُلْقِي إلَيْنا بالعَجَبْ
إليكَ ما كنتُ به وَعَدْتُ ... وإن أكُنْ أبْطأتُ ما أخْطَأْتُ
فالعُذْرُ يا مولايَ ما رأيْتَا ... فكُن لعُذْرِي قابِلاً بقِيتَا
وهاكَه كوَجْنَةِ الحِسانِ ... في اللَّوْنِ أو كحُمْرةِ الدِّنانِ
كأنه صِيغَ من العَقِيقِ ... وطَعْمُه كرِيقَةِ المَعْشُوقِ
كأنه كساتِبينٌ حُمْرُ ... من فوقِها بدَتْ فُصوصٌ صُفْرُ
إذا شقَقْنا الظَّرْفَ عنه يبْدُو ... بَيْضٌ من النُّضارِ فيه نَدُّ
من ذاقَهُ عافَ مَذَاقَ الشُّهْدِ ... والضِّدُّ يبْدُو فضلُه بالضِّدِّ

فكُـلْ هَنيّـاً يـا شـقيقَ رُوحِـي   وعِـشْ مُعَمَّـراً كعُمْـرِ نُـوحِ

[١١٥٥] الملا عبدالله بن الحسين اليزدي(١).

علامة زمانه بغير نزاع، وخاتمة محققي العجم من غير دفاع، لم يُدانه أحدٌ منهم في عصره منهم في جلالة القدر، وعلو المنزلة، وكثرة الورع، وكان شيخاً جليل القدر، شهير الذكر، في سائر الأقطار، منهمكاً على المطالعة والاشتغال بالعلم، ومنحِه لمستحقه، وكان مبارك التدريس، ما اشتغل أحدٌ عليه إلا انتفع به.

وكان عظيم الهيئة، نير الصورة، شديد الخوف والخشية، ذا سكينةٍ وتؤدةٍ وإنصافٍ في البحث، أخذ عن شيوخ كثيرين، منهم: السيد جمال الدين محمود الشيرازي، قرأ عليه كتاب «المغني في العقائد» للقاضي عبد الجبار الهمذاني، وكتاب «مدينة العلم في الحديث» لمحمد بن بابويه، وأخذ عنه خلقٌ لا يحصون، منهم: شمس الدين محمد بن الحسين، وولده المولى حسن علي العاملي، والميرزا إبراهيم الهمداني.

ولـه مؤلفاتٌ مفيدةٌ، سهلة العبارة مع الوجازة، منها: «شرح القواعد في الفقه»، و«شرح العجالة»، و«حاشيةٌ على الشرح المختصر على التلخيص للسعد»، و«حاشيةٌ على حاشية العلامة الخطابي على الشرح»، و«شرحٌ على منطق التهذيب للسعد وعقائده ببلاد العرب»، والأول كثيرٌ موجودٌ، والثاني

---

(١) جاء في الحاشية: «مكررةٌ مع ما فيها من الزيادة الحسنة»، انظر الترجمة رقم: [١١٥٥].

عزيز الوجود، وكانت وفاته سنة خمس عشرة بعد الألف بأصبهان ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١١٥٦] عبدالله بن سالم البصري الشافعي[1].

حاوي طريف الفضل والتالد، وعين الأعيان الأماجد، المرتقي بهمته العلية هام السماك، والمزاحم بفضيلته أطباق الأفلاك، الفقيه النبيه، الذي أخذ العلم عن أهله وذويه، ولازمه وجدّ فيه، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر، وصادف الخُبر الخَبر، مع طبعٍ أرقَّ من النسيم، وخلقٍ عظيمٍ.

مولده بمكة سنة ثمان وأربعين وألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عمن بها من العلماء الأعيان؛ كالعلامة علي بن الجمال، وعبدالله باقشير، وعيسى بن محمد المغربي، ومحمد بن سليمان، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من السيد عبد الرحمن، وأخذ عن شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي، وغيره من المشايخ الواردين إلى بلد الله الأمين.

وأفاد واستفاد، وحقق المعلوم وأجاد، وأخذ عن جمعٍ من الأفاضل، وأثنى عليه كثير من الأماثل.

ومما كتبه إليه صديقه ورفيقه في الطلب، وخدنه في العلم والأدب، السيد الجليل أحمد بن أبي بكر شيخان مستدعياً بقوله:

يا إثمدَ العينِ وإنسانَها ... وملجئي من دهريَ الأسودِ
عُبيدُكَ اليوم له مقلةٌ ... أحوجَها البعدُ إلى الإثمدِ

---

(١) «هدية العارفين» (١/ ٤٨٠)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٣٢)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٨٨).

فأجابه بقوله:

أسكرني هذا المقالُ الذي أتى من الفاضلِ والأمجَدِ
أنتَ لعين الدهر كحلٌ فما تحتاج يا مولايَ للإثمِدِ

توفي[1] مولانا الشيخ عبدالله ـ رحمه الله ـ ثالث أو رابع شهر رجب الأصم، سنة أربع وثلاثين ومئة وألف، بين العصرين، ودفن بالمعلاة، في محل الشيخ عمر العرابي ـ رحمه الله تعالى ـ، وقت أذان المغرب، وكنت ممن باشر غسله وتكفينه، وحملت نعشه، وقلت مؤرخاً:

محدِّثُ العصر قضى نحبَهُ وسار للجنةِ سيراً حثيثْ
وفازَ بالقُرب فأرخته (ابك له مات إمامُ الحديث) ١١٣٤

وممن رثاه بعضُ تلامذته، وأرخ موته بقوله على لسان المترجم له:

أنا ومن أحبب[2] عند مليكٍ مقتدرِ

[١١٥٧] عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن أبي بكر باقشير الشافعي المكي[3].

---

(١) جاء في الحاشية: «من عند قوله: توفي مولانا... إلخ كلام الشيخ عبد الرحمن بن علي بن سليم، لا من كلام المصنف؛ فإن المصنف مات قبل وفاة الشيخ بنحو عشر سنين».

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢١٧)، «عقد الجوهر والدرر» (٣١٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٢).

(٣) كذا في الاصل.

من أعيان العلماء المكيين، والنبلاء المحققين، ومن أشهرهم ذكراً، وأكبرهم قدراً، وأحد الأفاضل المشار إليهم، والأماثل المعتمد في الأمور العلمية المشكلة عليهم، وممن جمع بين المنقول والمعقول، وأخذ بحظ وافر من التمييز بين المردود والمقبول، وقد نفع الله به المسلمين، ورفعه في العلم إلى أعلى عليين، وكان ذا خلق قويم، وخلق حسن عظيم، وشكل نوراني، وعلم رباني، وأنفاس طاهرة، وكرامات ظاهرة.

وُلد بمكة سنة ثلاث بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، «والشاطبية»، وجوَّد وأحكَم علم التجويد والقراءات، وفاق أقرانه، ومذ نشأ جد في الطلب، في ميادين علوم الأدب، وسار في طلب العلوم الشرعية أحسن سير، ورزقه الله تعالى قلباً خاشعاً، وفهماً كالغيث هامعاً، ولساناً بالفضل مذيعاً، بالحق صادعاً.

وكان من عجائب الدهر، كتب الكثير، وحشَّى الحواشي، وعلّق التعاليق النفسية، والفتاوى العجيبة، كثير المحفوظ، لطيف الأخلاق، طارحاً للتكليف، جميل العشرة، كثير التودد إلى الناس، قوي الهمة في الاشتغال مع الطلبة.

أخذ الفقه والحديث وغيرَهما من العلوم الشرعية عن السيد العلامة عمر ابن عبد الرحيم البصري، وبه تخرج وانتفع، وهو من أكابر تلامذته، وأعمهم نفعاً، وأخذ عن البرهان اللقاني لما حج سنة إحدى وأربعين وألف، وعن الإمام محمد بن عبدالله الطبري، وعبد الملك العصامي، وأحمد بن إبراهيم ابن علان، وأحمد الحكمي.

وتصدّر للإقراء والإفادة بالمسجد الحرام، وانتفع به الخاص والعام،

ولازمه الفضلاء الفخام، من بلد الله الحرام، وغيرهم؛ كشيخنا محمد الشلي، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان، وعلي العصامي، وعبدالله العباسي، وأحمد النخلي، وغيرهم.

وألّف الكتب النافعة المفيدة، في الفنون العديدة، منها: «مختصر الفتح شرح الإرشاد» التزم فيه ذكر خلاف «التحفة»، «والنهاية»، و«المغني»، لكنه لم يكمله، ومنظومة اختصر فيها «جوهرة اللقاني»، وشرحها شرحاً مفيداً، ونظم «تصريف الزنجاني»، وشرحه، و«منظومة في آداب الأكل»، و«شرحها»، ونظم «الحكم»، و«شرحه»، وغير ذلك مما يطول ذكره.

مات بمكة ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الاثنين، لخمس بقين من ربيع الأول، سنة ست وسبعين بعد الألف، واتفق له ـ رحمه الله تعالى ـ: أنه أقرأ «التحفة» لابن حجر درساً عاماً بالمسجد الحرام إلى أن ختمها، ثم أعاد قراءتها إلى أن وصل فيها إلى باب الإجارة، فتوفي إلى رحمة الله، ففيه إشارة إلى ثبوت الأجر له ـ إن شاء الله تعالى ـ، فكمل ولده سعيد على قراءة والده حتى وصل إلى باب الجعالة، ثم توفي إلى رحمة الله، وثبت له الجعل ـ إن شاء الله تعالى ـ؛ إذ لم يكن لهما معلوم على تدريسهما، وهذا من لطيف الاتفاق، ذكر ذلك بعض تلامذته، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره قوله:

مناصبُ العِزِّ بأيدي الرعاع ... من ذكرها ينقصم الظهر

يا زمناً نكَّسَ أعلامه ... ملاذُ من يُمتحن الصبرُ

مناصبُ العز لمن لا يُرى إلا فتى جلبابُه الفقر[1]
فانِ عن الكونين باقٍ له تغبطه العزةُ والفخرُ
يعملُ شكراً وكثيرُ الورى يبعثُه للعمل الشكرُ

[١١٥٨] السيد عبدالله ابن الامام شرف بن شمس الدين ملك اليمن.

السيد الفاضل، فخر الإسلام، ونخبة السادة الكرام، وضِنْضِيءُ الأئمة الأعلام.

من شعره قوله:

يا قلبُ ماذا في الهوى أهواكا وسقاك كاساتِ الغرامِ حداكا
أَوَما نهيتُكَ قبلَ ذا فعصيتَني وأجبتَ داعي الحبِّ حينَ دعاكا
ذاك الذي قد كانَ سَرَّكَ وصلُه هو ذا الذي بفُرْقَةِ أشجاكا
فاصبرْ فإنكَ قد رضيتَ بذا وذا واغفرْ تألُّمَ ذا للذةِ ذاكا
يا طرفُ أنتَ بذا القدِّ أوقعتَني فاصبرْ إنك أصلُ ما أبكاكا
أنت الذي أغريتَ قلبي بالهوى لولاكَ لم أذقِ الهوى لولاكا

[١١٥٩] عبدالله بن طورسون الشهير بفيض[2].

من علماء الروم وأدبائها، له «الرسالة القلمية»، و«رسالةٌ في معجزات الأنبياء» تركيةٌ، توفي سنة تسع عشرة وألف.

---

(١) جاء في الحاشية: «وأخبر ولد أخيه العلامة الشيخ عوض باقشير: أن الثلاثة أبيات الأخيرة لوالده، أخي صاحب الترجمة محمد بن سعيد باقشير ـ رحم الله الجميع ـ».
(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٥١).

[١١٦٠] عبدالله بن نظام الدين النجدي السكن، القُرْسِي المولد، الأشتري، النقشبندي المشرب، الشافعي المذهب.

أحد مشايخ الطريقة، وأصحاب الدعوة، الملازمين للأذكار والرواتب، والشيوخ المشهورين ببلاد نجد، له المنزلة العلية، والشيم المرضية والأخلاق النبوية، قدم مكة مراتٍ، آخرها سنة ثلاث عشرة ومئة وألف.

وحصلت له العزة العظيمة عند شريف مكة، ومَنْ دونَه من الأشراف الحسنيين؛ بحيث إني رأيت بعض أكابرهم يتعاطى خدمته بنفسه، وأقام مدةً بمكة، واجتمعتُ به فيها مراتٍ.

وكان في غالب أحواله بالمراقبة، متمسكاً بدائرة رجال الغيب، والاستعانة بهم في كل يومٍ، والتوجه إليهم حيث كانوا، لذلك تم له النفس، ثم توفي بمكة، لعله سنة سبع عشرة بعد الألف ومئة، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

[١١٦١] السيد عبدالله بن الهادي المِخْرابي.

من علماء هذا العصر الأكابر، له علمٌ غزيرٌ، وأدبٌ باهرٌ، وأحد رؤساء اليمن وحكامه، وسراة أجلائه وعظامه، وحاكم مدينة «إب» ونواحيها، وناشر لواء العدل بناديها، وأهل بيته جميعاً أدباءُ وعلماءُ فضلاء، ولشيخنا الحسين ابن الناصر المهلا بهم مزيد اختصاص، ومكاتباتٌ ومراسلاتٌ.

ومما كتبه صاحب الترجمة، إلى الحسين المذكور قوله:

عرائسُ فضلٍ لا يُرام عديدُها　　وذروةُ مجدٍ لا يُطاق صعودُها
وزاخرُ بحرٍ للمعالي ينتقي　　كبارَ دراريه فيَبْقى نضيدُها

ورو‌ضـةُ علـم تُـستطاب وتُجتنـى ثمارُ سـناها حـين جـاز نـضودُها
تميسُ بها الأغـصانُ تيهـاً وتنثنـي ومـن زهرِهـا لباتُهـا وعقودُهـا
وتزهـى نـضاراً فالنـضارُ معـبسٌ ويصفرُّ حزناً حين يخضرُّ عودُها
لمحبي فنونِ العلم طـابَ مقيمُهـا فللـهِ مـسراها إليـه وعودُهـا
لسيدِنا البحرِ الحـسينِ بـنِ ناصـرِ بن عبدِ الحفيظ الحبرِ تحبر صـيدُها
يحـلُّ عويـصاتِ العلـومِ خيالُـه وإن أشكلَتْ يومـاً يحـل عقودُها

[١١٦٢] الأمير عبدالله بن يحيى باشا الأحسائي المدني.

صاحبنا اللطيف الشمائل، العزيز المماثل، الأديب الأريب، النجيب ابن النجيب، ذو الأدب الرائـق، والذهن المتوقد الفائق، الذي زكا زرعه، وكرم أصله وفرعه، وصفا ذهنه وطبعه.

وُلد بالمدينة، وبها نشأ، وتأدب بوالده، وجنى من ثمـرات فوائـده، والتقط من درر فرائده، حتى برع وترعرع، ونظم الشعر الحسن.

ولما قدمتُ المدينـة عام اثنين وثمانين، كان بها سميري، وتكامل به سروري، وحصل بيني وبينه من المحبة ما لا يمكن شرحه، ولما قدمت مكة مـرة أخرى، والأهـل إذ ذاك معي، كتبت إليـه حين وصلت إلى ينبع البحر ما صورته:

أخليفـةَ الأمجـادِ عبـدَالله مَـنْ ورثَ الـسيادَة كابِـراً عـن كـابِرِ
أهـدي إليـكَ مـن الـسلام أتمَّـهُ وأعَمَّـهُ مـع شـوقيَ المُتكـاثرِ
وأَبُـثُّ أشـواقي لوالـدكَ الـذي أحيـا مـن الأفـضالِ كـل مـآثِرِ

لا زلتَ وهو من السعادةِ والبَها … متقلِّدينِ بسيفِ غيرِ باترِ
هذا وإن العبدَ عبدَك مصطفى … وصل البلادَ بفضل ربٍّ قادرِ
ومرادُه واللهِ كان لقاكم … ولو انه يغشى جناحَ الطائرِ
لكنَّ أهلي واصلونَ معي وهمْ … عذر المحبّ وأنت أكرمُ عاذِرِ
واسْلَمْ ودُمْ........ … ....[1]
ثم ابلغنَّ تحيتي أصحابَكُمْ … وذويكُمُ من كل ظبيٍ نافرِ

فأجابني بقوله:

نُهدي سلاماً فاقَ نسمةَ حاجرِ … عن صفوِ وُدٍّ لم يكن بالداثرِ
متأرجحاً من نشرِ طيبةَ إذ لها … عَرفٌ يفوق على العبير العاطرِ
وتحيةً غراءَ طيبةَ الشذى … تنمو على الروضِ الأنيقِ الزاهرِ
مع كُثرِ أشواقٍ إلى رؤياكُم … يا من هوا في القلبِ بل والخاطرِ
يا فاضلاً أَلِفَ الفصاحةَ والذَّكا … وسما على من قَبْلَه من شاعِرِ
أتحفْتنا ببديعِ نظمٍ فائقٍ … سَرَّ الفؤادَ وقَرَّ منه ناظِري
وأعدْتَ لي عهدَ التصابي والهوى … وزمانَ أنسٍ كنتَ فيه مسامِري
وذكرتَ إبلاغي سلامَكَ فتيةً … في طَيبةٍ حَلُّوا بروضٍ ناضرِ
سمعاً لأمرٍ كلهم أبلغتُهم … ما غيرَ ظَبي في دلالٍ نافرِ
إذْ ذلك التبليغُ ليس بممكنٍ … كلاً ولستُ أنا عليه بقادرِ

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر الباقي».

واسـلَمْ لِتُنْشِي كـلَّ نظـمٍ فـائقٍ　　　وتؤلِّـفَ الظبـيَ الأغـنَّ بحـاجرِ

[١١٦٣] عبدالله الرومي البصنوي.

شيخ مشايخ البلاد والعباد، ومن بذكره تستنزَل الرحمة في كل واد وناد، وأحد علماء الروم وعظمائه الأمجاد، المشهور الذكر عند كل حاضر وباد، المتحقق بحق اليقين، المنتهي في المعرفة والتمكين، والمنهمك في خدمة كتب الشيخ الأكبر محيي الدين.

لم تسمح بمثله الأعصار السوابق، في علوم الرقائق والحقائق، مع حفظ المراتب الشرعية، والتمسك بالكتاب والسنة النبوية، والتخلق بالأخلاق المحمدية، والتبحر في العلوم النقلية والعقلية، إلى جاه عظيم، وقدر جسيم، وطبع أرق من النسيم، ومنظر بهي، ووجه نوراني، يقطع من رآه أنه من أهل الله.

وُلد بالروم، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر العارفين، والعلماء الراسخين، ولبس الخرقة، وتلقن الذكر من كثيرين، وبرع في جميع العلوم حتى صار منقطع القرين، وحج بيت الله الحرام، وزار النبي ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ سنة ست وأربعين بعد الألف.

وكان يتمنى رؤية العارف بالله سالم بن أحمد شيخان باعلوي الحسيني، فلم يتيسر له تلك الأمنية الجليلة، وانتقل السيد ـ نفع الله به ـ قبل وصول صاحب الترجمة إلى مكة بأيام قليلة، أخبرني بذلك شيخنا محمد مكي المدني ـ رحمه الله تعالى ـ.

ورحل إلى مصر والشام، واجتمع بمن بهما من العلماء الأعلام، واشتهر

في سائر البقاع الإسلامية، وحظي عند أكابر الدولة العثمانية، وأخذ عن شيوخ كـرام، وعلمـاء عظـام، منهم: العـارف بالله غرس الدين الخليلي المدني، وشيخنا محمد مرزا الدمشقي الصوفي، وشيخنا محمد مكي المدني الحنفي، وصاحبنا السيد محمد بن أبي بكر القعود.

وألّف مؤلفات كثيرة بديعـة شهيـرة، منهـا، وهو أجلها: «شرح على الفصوص»، «وعلى التائية» للشيخ الأكبـر محيـي الدين، و«شرح على نظم مراتب الوجود» للجيلي للشيخ غرس الدين المذكـور، و«رسالة في تفضيل البشر على الملك».

وكانت وفاته ـ نفع الله به ـ عقب رجوعه من الحج سنة أربع أو خمس وخمسين بعد الألف بمدينة قونية، ودفن بقرب قبة العارف بالله الشيخ صدر الدين القونوي، وبني عليه قبة، وكتب على قبره: هذا قبر غريب الله في أرضه وسمائه عبدالله ـ نفع الله به ـ.

ومما اتفق له مع شيخنا السيـد العـارف بالله عبدِ الرحمـن بن أحمـد الإدريسي المغربي: أنه لما دخل قسطنطينية الروم، استأذن منه صاحب الترجمة في الدخول إليه للسلام عليه، فلم يأذن لـه، وتكرر منه ذلك مراتٍ عديدةً، فركب يوماً، وأراد الدخول عليه بلا إذن، فلما وصل إلى بيت السيد، ونزل عن دابته، سقط بمجرد نزوله على رجله، فانكسرت، فتحقق حينئذٍ أنها كرامةٌ من السيد ـ نفع الله به ـ، ورجع إلى بيته، ومكث شهوراً لا يستطيع الخروج، حتى سافر السيد من الروم، ولم يُقدر له الاجتماع بـه، أخبرني بذلك السيد ـ نفع الله به ـ من لفظه.

[١١٦٤] السيد عبدالله بن قاسم، صاحب رَبَحَ ـ بالراء المهملة، بعدها باءٌ موحدةٌ تحتيةٌ، بعدها حاءٌ مهملةٌ ـ، هو عبدالله بن قاسم بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن نشوان بن علي بن محمد بن إبراهيم ابن محمد بن نشوان بن علي ابن الأمير ذي الشرفين.

قال ابن أبي الرجال: ترجم له تلميذه شيخنا شمس الإسلام أحمد بن سعد الدين، فقال: كان عالماً شيخاً للقرآن، تولى القضاء في الهجر، من بلاد الأهنوم، بأمر الإمام القاسم، وأصله من هِنوَّم، ثم انتقل إلى ربَحَ، بوادي رَخم، من جبل سَيْران، في صفر، سنة تسع وتسعين وتسع مئة، وتوفي بها يوم السبت، رابع ذي الحجة، سنة تسع وعشرين وألف، وكان من العباد الفضلاء النساك ـ رحمه الله ـ.

[١١٦٥] السيد عبدالله ابن الإمام يحيى بن شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى.

كان من سادات الأسرة النبوية، ووجوه علماء العصابة في الديار اليمنية، ومفاخر الملة المحمدية، وله في كل علمٍ سابقةٌ أولى، ويدٌ طولى، وهو من الكرم في ذروته العليا، ومن هذا البيت الذي علا وأناف، وأقرّ له العز من آل عبد مناف.

ومع هذا المقام الشريف، والحسب الباذخ المنيف، [كان] متواضعاً، حسن المعاملة للمسلمين كافةً، ولا ينزل نفسه الشريفة منزلتها، التي تقضي بها المقامات والعرفيات، فإنه يعد من الملوك والعلماء، ولكنه رأى لباس السلوى أبيض لوجهه يوم القيامة، وأتقى له.

وله عنايةٌ بالعلوم، وكتب مسائل، وحرر تراجم لكثيرٍ من العلماء، وكان ابتدأ «شرحاً على نظام الغريب في اللغة»، ومن أحسن ما ذكر فيه: «حَنَشَي رُطْبان» ـ بالراء المهملة مضمومة، بعدها طاءٌ مهملةٌ ساكنةٌ، بعدها باءٌ موحدةٌ، بصيغة التثنية ـ، وهو وادٍ في أرض حجة، فيه حنشان، أحدهما أسود، والآخر أبيض، يخرجان في فصل من فصول السنة على الاستمرار، من مدةٍ قدرها أربع مائة سنة من الهجرة.

فإذا كان الأسود من فوق الأبيض، كان السنة في الجدب أغلب، وإن كان الأبيض فوق الأسود، فالخصب أغلب، ويتمسح الناس بهما، ولا ينفران من أحد، وحديثهما عجيبٌ، ورأيت بهامشه ما نصه: هما الآن باقيان، في ثامن شهر ربيع الأول، سنة ست وثمانين وألف، في أثناء فصل الصيف، ظاهران يقصد الناس رؤيتهما.

وابتدأ كتاباً على «القاموس» سماه: «كسر الناموس»، وله «شرحٌ على قصيدة والده المسماة بالقصص الحق» أجاد فيه غاية الإجادة، وأحسن كل الإحسان، وأنبأ عن اطلاعٍ كثيرٍ، ومما أفاد فيه: أن السيوف القلعية المشهورة في القرب، منسوبةٌ إلى قلعة وادي ظهر، هنالك معدنٌ حديدٌ يقال: إن الجن تغلبت عليه، ثم كتب على الشرح في الهامش: إن صنوه المطهر بن شرف الدين استخرج المعدن، وفعل منه المرآتين لفرسين في الغاية، لكنه لا يتم إلا بمغرمٍ يساوي المغنم، أو كما قال. وله «شرحٌ على مقدمة الأثمار» لا نظير له، جمع فيه فأوعى، ودل على تضلعٍ كثيرٍ، واطلاعٍ باهرٍ، وله إلى والده عدة رسائل.

وأما النظم، فهو إمامه، وبيده زمامه، ومما شاع على الألسنة: أن والده الإمام شرف الدين ـ على إجادته في النظم ـ كان يفضل شعر عبدالله على نفسه، ويقول: لا يُعرض شعره عليه، وكان عبدالله يفضل ولده محمد بن عبدالله على نفسه في الشعر، ويقول: لا يُعرض شعره عليه، و«أرجوزته التي ذكر فيها محاسن صنعاء ورياضها»، وهي معدودةٌ في كتب العلم، أدلُّ دليلٍ على فضيلتي العلم والفصاحة.

ومن شعره قوله:

سقتني رُضابَ الثغرِ من كأس مبسمٍ ... برقته واللهِ قد ملكتْ رِقِّي
ونحن بروضٍ قد جرى الماءُ تحته ... فساقيةٌ تجري وجاريةٌ تَسقي

وقوله:

صحا القلبُ عن سلمى وما كاد أن يصحو ... وبانَ له في عذلِ عاذلِه النصحُ
ولا غروَ في أن يستبينَ رشادَهُ ... وقد بان في ديجورِ عارضِه الصبحُ
شموسُ نهار قد تجلَّتْ لناظري ... وأضحَتْ لليل الغَيِّ في جَلَدي تمحو
إذا كان رأسُ المالِ من عمريَ انقضى ... ضياعاً فأنَّى بعدَه يحصلُ الربحُ
شبابٌ تقضَّى في شبابٍ وغِرّة ... وشيخوخةٌ جاءت على أثَرٍ تنحو

وقوله:

ناصيةُ الخيرِ في يد الأدبِ ... وسرُّه في قرائحِ العربِ
فاعكفْ على النحوِ والبلاغة والـ ... آدابِ تحظى بأرفعِ الرتبِ
وتعرفُ القصدَ في الكتابِ وفي السُّـ ... ـنةِ من وحيِ خيرِ كلِّ نبي

بقـــدرِ عقـــلِ الفتـــى تأَدُّبـــهُ   وصـــورةُ العقـــل صـــورةُ الأدبِ

وكتب إلى والده، وقد استجار بهم مستجير:

إنـــي لأكـــرمُ مـــن أبـــي سُـــفيانِ   لقرابتـــي للطُّهـــر مـــع إيمـــاني
فاجعـــلْ أميـــرَ المـــؤمنين كـــدارِه   داري وخـــصَّ جـــوارَهُ بأمـــانِ

وكان يجاري والده، واتفق أن والده أخّر عنه بعض بره المعتاد، ورزقه المعين له، فكتب إليه، سنة سبع وثلاثين وتسع مئة:

أيـا والـداً ربَّـى وُجـودي بجـوده   وأَصْلاً نما في رأس دَوْحَتِهِ فرعي
لما تمنعوني الصرفَ من غير علَّةٍ   ومعرفتي قد لازمتْ مانعَ المنعِ
وقد أذهبتْ تنوينَ فضلي إضافةٌ   ملازمـــةٌ للاتـــصال بـــلا رفـــعِ
وأبـــي عبـــدالله والملـــكُ ملكُـــه   يصرفني في النصبِ والجرِّ والرفعِ

وقد كان دخل مكة بأولاده وخدمه وأثقاله؛ كما حكى ذلك الإمام المهدي لدين الله الحسن بن حمزة بن علي بن محمد بن سليمان بن إبراهيم ابن إسحاق بن سليمان بن علي بن عيسى بن القاسم بن محمد بن صلاح الدين ابن القاسم بن إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي الداعي، في أيام المطهر، وكان فاضلاً عالماً، قال: إنه كان عبدالله ابن الإمام أراد الإقامة بمكة، فسمعنا أنه وقعت له مكدراتٌ من قبل الأتراك، وبعض مراجعاتٌ من علماء مكة، فعاد بقضه وقضيضه إلى الوُعلية، من بلاد الشرف، ومخلاف بني هلأن، فهنيناه برسالةٍ تركنا ذكرها، وقصيدةٍ قلنا منها:

تشعشعَ نورٌ من جهات المغاربِ   وذلك مـن بـدرٍ بهـا كـان غـاربِ

فلما بـدا منهـا علـيِ غيـر عـادةٍ خجلْنا وقلنا تلك إحدى العجائبِ
فقيــل لنــا مــا ذاك بــدرٌ وإنــه سنا وجهِ عبـدِالله لا مـن كواكـبِ
أتى من جهاتِ الشام من بعدِ ما قضى فرائضَه في الحجِّ من كـلِ واجـبِ
فخـيّم بـين الـسادة الغـرِّ وانتقـى بــلاد بنــي هِــلاًّنَ بـينَ الأطايـبِ

إلى آخرها، وهي أربعة وثلاثون بيتاً.

فأجابه برسالةٍ، وقصيدة، منها:

سلامٌ على نسل الكـرامِ الأطايـبِ حليفِ التقى والعلمِ زاكي المناصبِ
أجلِّ بني الزهـراءِ فـضلاً وسـؤدَداً وأصلاً كريما من لُؤَيٍّ بـنِ غالـبِ
هو الحسنُ البدرُ الإمامُ بنُ حمـزةٍ حميدُ السجايا مَنْ سما في المراتبِ
ونخبــره أنــا وجــدْنا بمكــةٍ وسـاحاتِها الغـراءِ نجـحَ المـآربِ
بها الكفرُ مقهورٌ بها الحـقُّ ظـاهرٌ بها العدلُ منشورُ اللِّوا والـذوائبِ
أقمنــا بهــا ستينَ يومــاً كأنهــا فـراديسُ جنـاتِ الهنا والأطايـبِ
أقمنا بها في المالِ والأهلِ والإخا وفي العزِّ والإكرامِ من كلِّ جانِـبِ
ملوكــاً وإخوانــاً إذا مــا لقيـتَهم فحاضـرُهم يُغنيكَ عن كل غائـبِ
ولم نرتحلْ منهـا مَـلالاً ولا قِلَـى ولا صدّنا عنها اختلافُ المذاهبِ
ولا خوفُ مكرِ الماكرين وغدرِهـم ومَـنْ ربُّـه يَحميـه لـيس براهـبِ
ولكنهـا الأوطـانُ تطلـب حقَّهـا وحـقَّ أبٍ بَـرٍّ وحـقَّ الأقـاربِ
وإنا من الـرحمن نرجـو[هُ] عـودةً وليس الرجـا فـي الله منـا بخائـبِ

ومن محاسن شعره: ما وجّه فيه بكتب جده، الإمام المهدي أحمد بن يحيى، **وهو قوله:**

قبّلته في فيه وهو نائمُ ... فقال قوموا طالبوا بالردّْ
قلتُ له أفديكَ إني غاصبٌ ... وما على الغاصب غيرُ الردّْ
قال نعم لو كنتُ غيرَ نائمٍ ... لكان غصباً يا قليل النَدّْ
قلتُ أفِي الفقه قرأتَ لا ... أما ترى الأزهار فوق خدّي
قلتُ وهذا الغيثُ فيضُ مدمعي ... والغيثُ للأزهار معنى يُبدي
والبحرُ أيضاً من دموعي حاضرٌ ... إن شئتَ أن تقراه فعندي
تيارُ سيفي قد غدا بذكره ... لمن يجيءُ في الزمان بعدي
لي في هواك مللٌ ونِحَلٌ ... أشرحُها يوم اللقا بوجدي
عقائدي في حكم قلائدٍ ... في عنقي نظمتُها في عِقْد
جعلتُ تعريضي لكم رياضة الـ ... أفهامِ من عواذلي في قصدي
وجهُك معيارُ العقول إنه ... لضعفِ عقلِ قائسيه يبدي
أما وجدي وانتقاد مذهبي ... خمس مَائين للرشاد تهدي
وسيري في حبكم جواهرٌ ... تشهد لي بين الورى بالرشدِ
وتاج علم أدبي إكليلُه ... كتمي هواكم عن أناس لُدِّ

وذيل عليه العلامة القاضي الحسين بن محمد المسوري، فقال:

وغاية الغايات شرحي ... ومنيةُ السؤل وحفظ العهدِ
وإن تردْ فرائد الدمعِ على ... قلائدِ فضمَّها في العَدِّ

وادفعْ بها الأوهامَ واعلمْ أنها أنوارُ سهلِ الأرض بعدَ النجدِ
والحقُّ إن رمتَ الهدى منهاجه فالزمْه تظفرْ بالمنى والمجد
ورُض سوادَ العين في مكلل وتحفة تنظر كزهرِ الوردِ
والكوكب الزاهر قد حلَّى لنا منظومةً فائقةً في السردِ
وخذْ يواقيتاً بها عجائبٌ في حصرِ تصنيفِ الإمامِ المهدي
وشكرُ من أحيا القلوبَ ذكرهُ أردِفْه تعظيماً له بالحمد

توفي ـ رحمه الله ـ، بمدينة ثُلا، سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة.

[١١٦٦] السيد عبدالله بن عقيل بن علوي بن محمد بن هاشم، اشتهر جده: باهاشم[١].

الإمام العالم، صاحب الفضائل والمكارم، أحد عقلاء الرجال، القليل الأمثال، الذي عند المهمة يشار إليه، وفي الأمور المدلهمة يحال عليه، وُلد ونشأ بـ «تريم»، وحفظ القرآن العظيم، وسلك الطريق المستقيم، وصحب الأولياء والصالحين، وأخذ عن جماعةٍ من العلماء العاملين، وجدّ في الطاعات، واجتهد في العبادات، وتعرض للنفحات.

مع طيب أعراقٍ، وحسن أخلاقٍ، محافظاً على الأوراد والأذكار، بالعشي والإبكار، صابراً عند تزاحم الأخطار، محباً للعلماء، مكرماً للفقراء، سالكاً منهاج آبائه الأخيار، مقتفياً في الورع آثار الأبرار.

ولم يزل على أحسن الأحوال، إلى أن ناده منادي الانتقال، فكانت

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٠).

وفاته في شوال، سنة سبعٍ ـ بتقديم السين ـ بعد الألـف، بمدينة تريم، ودفن في جنان بشار ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ.

[١١٦٧] عبدالله بن عبد الحليم النزيلي.

كان من العلماء الراسخين الصديقين، أخذ عن عمه عبد الحفيظ، وكان حفاظةً وقراءً، شرح «قطر الندى» لابن هشام في ثلاثة أيام، وولي التدريس في حيـاة شيوخـه، توفي في شهـر ذي القعـدة، سنة إحدى وعشرين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١١٦٨] عبدالله بن عبد الباقي.

كان من أعيان آل نزيل، له معرفةٌ تامةٌ بالفقه، والأصول العربية، وجمع من الكتب خزانةً سنيةً، قيل: إن جده عبـد الباقي بن حسين قال: إن ولدي هـذا يحيـا سعيداً، ويمـوت شهيـداً، فعاش كذلك، ومات بعلة البطن يوم الجمعة، ثاني عشر رجب، سنة ثلاثين بعد الألف.

[١١٦٩] عبدالله بن علي بن محمد بن عبد الإله الوزير.

وتقـدم رفـع نسبـه في ترجمـة أخيـه عثمان، وأمُّه الشريفة سيدة بنت عبـد القدوس بن محمـد بن يحيى بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن محمد الوزير.

أحد الفحول الأفراد، وممن جاز في ميدان العلوم ما أراد، وله الاتساع في أنواع الإبداع، فائق في شعره أهل قطره، وقد دار بيني وبينه بصنعاء ما يمتع السمع والبصر، ويجمع الحجول والغرر.

مولده في العشر الوسط من شهر شعبان، سنة أربع وسبعين وألف.

قرأ القرآن العظيم، وحفظ مختصراتٍ عديدةً في علم الفقه والكلام، والعربية والمعاني والبيان، والقراءات وأصول الفقه، وسائر علوم المعاملة، والتاريخ وكتب اللغة والمنطق، وله في التفسير قراءةٌ نافعةٌ، ومذاكرةٌ لشوارده وفوائده قانصةٌ جامعةٌ.

وأخذ عن مشايخ كثيرين، أشار إلى ذكرهم وتعدادهم في مجموعه الذي ألفه، وسماه: «نشر العبير»، جعله ترجمةً لشيخه العلامة علي بن يحيى بن أحمد بن مضمون البرضي، فإنه اعتنى بتخريجه وتهذيبه، وتعليمه وتأديبه.

وله شعرٌ رائقٌ فائقٌ، ومنه: قوله في الرد على من طعن على جده الإمام العلامة محمد بن علي المرتضى الوزير:

قــف بالرُّوَيّـــة وانــــدب الـــ ـــجدث الـــذي وارى المكـــارمْ
وأبــــانَ للتحقيــــق جـــوّاً عنـــه يقـــصِّر كـــل حـــائم

ومنها:

قــل جــادَ قبــركَ يــا محمْـــ ـــمَدُ مـــستهلاّتُ الغمـــائم
مـــن صـــائم فيمـــا يقـــو ل وراتــعٍ فـــي العـــرض سـائم
جهلـــت أنـــاسٌ منـــك قـــدراً شَـــأْوُه فـــوق النعـــائم
وهـــداهم الـــسامي إلـــى نهـــج مـــن الإظـــلام فـاحِمْ
وأقــــام ســــنةَ ناصـــبٍ فـي الآل غاشـي الجهـلِ غاشـمْ
يــــا لابـــساً بُـــرداً لبُغــ ـــض الآل قــاني اللــون قـاتِمْ
أبِــكـــأسِ نــــشوانٍ غـــدو تَ معربـــداً أم أنـــتَ نـــائِمْ

إشارةً إلى ما كـان من نشوان الحميري من النصب والعداوة، والغلظة والقساوة، فإن صحت توبتـه كمـا قيل، فهو المرجو، وإلا، فهو من حطب جهنم، نظائر وأشباه:

أم نـــارُ غيظـــك فاتئـــذْ | أيـــن الـــسنامُ مـــن المناسِـــمْ
إن قلـــــت إن مقالـــــة | لمقـــالِ ســـادتِه مـــصادمْ
فلقـــد عميـــتَ عـــن الـــذي | يُخـزي مقالـك فـي العواصِـمْ
لكننــــي لا أرتــــضي | إلا مقـــالاتِ الفـــواطِمْ
لا ســـيما عَلاَّمتـــي | ســـاداتِنا يحيـــى وقاسِـــمْ
أو قلـــتَ خـــالفَ مَـــنْ إليـــ | ـــه تميـلُ فيمـا أنـت زاعـمْ
فاخـــسأ فقولُكمـــا بغيـــ | ـــر مقالـــةٍ تخلـيطُ واهِـمْ
واهـبطْ علـى الأوج الرفيـ | ـعِ فأنـت بـين التـربِ جـاثِمْ
ولقـــد وهمـــتَ بـــأن مثـــ | ـــلك فـي ذُرا العليـا مُـساهِمْ
هـــذا وكـــم مـــن ثعلـــبٍ | مـــا زال ينـــتهش القـــشاعِمْ
والله لـــــولا أن عـــــر | ضـك هـين إن قـال شـاتم
قـــسماً لأترعـــت المـــسا | مـع فـي هجائـك غيـر ظـالم

قوله: من إليه تميل، إشارةٌ إلى الإمام أحمد بن يحيى؛ فإنـه وقع بينه وبين جده المذكور، ما تجلو عنه كثيرٌ من الفضلاء، وسعى الفقيه الشامي بينهما بشيءٍ من التضريب، الذي ليس لفاعله في الخير نصيب، ولمـا كـان وراء الدليل، لم يرتض شيئاً مما بنى عليـه ابن عمـه المهـدي، في بعض أحكام

التحريم والتحليل، وفي مقالاتٍ يسيرةٍ في أصول الدين، نبّه في كتابه «العواصم» على شيءٍ منها في أثناء شرح القصيدة الضادية، والإمام بمحلٍّ خطيرٍ فخيمٍ، ولكن فوق كل ذي علم عليم، ثم رجعا عن تلك الوحشة، وطابت النفوس.

[١١٧٠] عبد المنعم الماطي المصري[1].

أديبٌ يسكر بلفظه العذب الانسجام، ويدير من مُدام لفظه في مجالس الأنس جام، له أخلاقٌ ذات حواشٍ رقاقٍ.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وتعاطى صنعة الشعر والإنشاء، وأكثر شعره نتف هجوٍ وهزلٍ، وقلّما يقع فيه المطبوع الجزل، توفي بمصر سنة خمس بعد الألف.

ومن شعره قوله:

وعن كبش الذبيح سألتُ يوماً ... خبيراً بالعلوم أتى إليّا
أيحيا الكبشُ بعدَ البعثِ أيضاً ... فأخبرَني بأن الكبشَ يحيا

[١١٧١] عبد المنعم بن عبد الرحمن النزيلي.

كان ممن أحيا مآثر السلف، وعمدة الخلف، وكان أوحد عصره، لا يُسأل عن مسألةٍ إلا أجاب عنها بما يشفي الأوام، وأحيا هجرة القيرى بالعلوم، وحصل من الكتب ما تقر به العيون، وكل كتبه مصححةٌ، وأفنى عمره في طلب العلم وخدمته.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٩٠).

[١١٧٢] السيد عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي الشريف الحسني[١].

كان على غاية من الكمال، ومن مشاهير الأبطال، ومن أكمل أهل زمانه عقلاً، وأكرمهم أحساباً وفضلاً، ذا مروءةٍ تامةٍ، وفتوةٍ عامةٍ، وكان يلبس الخلعة الثانية السلطانية في حياة أبيه.

وكان والده يعتمد عليه في الأمور العظام، ويفتخر به في كل محفلٍ ومقامٍ، واستمر إلى أن وافاه الحمام، وانتقل إلى رحمة الملك العلام، سنة عشر بعد الألف بمكة بعد أبيه الشريف حسن ـ رحمهما الله ـ.

[١١٧٣] عبد الهادي بن أحمد الثُّلائي بن صلاح بن محمد بن الحسن الثلائي المعروف بالحِسْوِسَة[٢].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان منقطع القرين في علومه، يملي من صدره ما لا تسعه الأوراق، قال سيدنا أحمد بن سعد الدين ـ رحمه الله ـ: كان هذا القاضي يحفظ مجموعات القاسم والهادي، وغيرهما من الأئمة، ويمليها على ظهر قلبه غيباً، بما يبهر العقول، مع علوم سائر أهل الكلام، فهو أحق من يمثل له بما قيل في أبي هذيل:

أَطَلَّ أبو الهذيلِ على الكلامِ   كإطلالِ الغمامِ على الأنامِ

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٨٦)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٥١٩).

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٧٥) (٣٤٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٩٣)، «البدر الطالع» (١/ ٤٠٥).

وكان يحفظ أحوال الناس، ولقي العلماء الفضلاء، وقرأ عليهم، ومن جملة شيوخه: عبد الرحمن الحيمي، وعيسى دعفان ـ فيما أظنه ـ، وعلي بن الحاج، وسيأتي ذكر عيسى دعفان، وأما علي بن الحاج، فهو من جهلة الطويلة، كان عارفاً، إلا أنه كان يخف في خطابه وأخلاقه، وكان بارعاً في علم الكلام، وتحمل القاضي عبد الهادي من جليل الكلام ودقيقه ما لا يشهد فيه أحد، حتى إن الإمام القاسم بن محمد لما اجتمع به في «ديبين»، ببيت الفقيه الفاضل محمد بن يوسف الشُّرَعي، وراجعه، وكان معه ابنه أحمد بن الهادي، وكان فاضلاً، فلما افترقوا، قال الإمام: ظني أن عبد الهادي أوسعُ علماً من أبي الهُذَيل؛ لأنه اطلع على ما حصله أبو الهذيل وغيره.

وكان مطلعاً على قواعد البهشمية، لا يندّ عنه منها شيء، ولا يخفى عليه شيء من أحوال هذا العلم الكلامي، يحفظ قواعد أهله وأخباره ووفياتهم، وإذا أملى في ذلك، أفعم الأسماع، ومع ذلك، فهو في علم آل محمدٍ الخرّيتُ الماهر عن سماعٍ وروايةٍ.

روي: أن شيخنا العلامة أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل ـ رحمه الله ـ لما بلغه أن عبد الهادي درس في مجموع القاسم الرسي، قال: هذا الكتاب ليس من كتب المعتزلة، كالمعرِّض بعبد الهادي أنه لا يعرف علم الأئمة، فبلغه ذلك، فضجر لذلك، وقال: والله! إني لأعرف علم آل محمد، وأبوه القاضي سعيد في بدبده، غير متعلقٍ بالعلم أو كمال.

وقد كان يظن بعض الناس؛ لكثرة حفظه لقواعد المعتزلة: أنه يميل عن مذهب العترة إليه، الميل عن أمير المؤمنين علي ﷺ، كما يميل المعتزلة، فاتفق أن القاضي أملى في فضائل علي ﷺ، ما لا يعرفه إلا هو، وأطال،

وأتى بكل عجيبٍ وغريبٍ.

وكان في التلامذة الفقيه علي الشارح، وكان شيعياً كما يقال جَلْداً، فقام وحجل على رجله، أو نحو ذلك؛ فرحاً بما سمع، فسألهم القاضي عن سبب ذلك، فأخبروه بما حصل من التمادي في اعتقاده في أمير المؤمنين، وأنه نُسب إليه ما ينسب إلى غيره، فبكى من ذلك، وتجرم من القائل.

وهو شيخ الشيوخ، انقطع إليه العلماء، وقرؤوا عليه؛ كالقاضي إبراهيم ابن يحيى، والقاضي أحمد بن صالح العنسي، وآل الجربي، وغيرهم، وسيدنا أحمد بن سعد الدين المسوري - رحمهم الله -، وكان يعطر المجالس بذكره، ويملى عنه غرائب، وولي القضاء بصنعاء المحروسة، فتم بسعيه أمورٌ عظيمةٌ للإسلام، بحذاقةٍ ومهارةٍ، وصناعةٍ خارقةٍ، وله في السياسة ما لا يبلغه أحد، وقصصه في ذلك مشهورةٌ.

وله أولادٌ نجباء، منهم: علامة الزمان المهدي، وهو على منوال والده في التحقيق والحذاقة، ومنهم: علي، وهو من العلماء الكملة، والحسين من فضلاء الوقت، وانتقل من صنعاء إلى ثلا، في أوائل مرض موته، ثم توفي بثلا المحروس، نصف ليلة الجمعة، الثاني عشر من ذي الحجة، عام ثمانية وأربعين وألف - رحمهم الله تعالى -.

[١١٧٤] عبد الهادي بن صلاح، صاحب جازان.

كان سيداً كريماً مقداماً، محبباً إلى الناس، سهل الطبيعة، حسن الشمائل، توفي في شهر محرم، سنة ست وأربعين وألف، متولياً بلدة أبي عريش، بعد أن توجه بالحج اليماني إلى حلي - رحمه الله -.

[١١٧٥] عبد الهادي المرصفي الشافعي.

الشيخ العالم المعمر، ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، أخذ عن العلامة أحمد بن عبد الحق السنباطي، وعنه: شيخنا أحمد العجمي، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد الستين وألف بمصر.

[١١٧٦] عبد الواحد أبو محمد بن أحمد بن عاشر المالكي[1].

الفقيه المشارك النظار، العلامة المتبحر في العلوم العقلية والنقلية، الكثير الاطلاع على المسائل العلمية، كان عجيب الاستحضار في غريب المسائل ومشهورها؛ بحيث لا يُسأل عن شيءٍ إلا أجاب على البديهة، ويحيل على نقل الأجوبة من الكتب، من غير تلعثمٍ، فيقول: ذكر هذه المسألة ـ مثلاً ـ فلان في الباب الفلاني، وفي الغالب يورد عبارة المصنفين حرفاً بحرفٍ، وهذه منقبةٌ عظيمةٌ عزيزةٌ في العلماء.

أخذ عن القصار، وابن أبي النعيم، وأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عزيز التجسي، وأبي العباس أحمد بن محمد بن شقرون ابن القاضي، وأبي عبدالله محمد الهواري، وقدم المشرق، وأخذ بمصر عن سالم السنهوري، وعبدالله الدنوشري، ويحيى بن بركات الحطاب، والصفي العزي، وغيرهم، وعنه: كثيرٌ من علماء فاس وغيرها؛ كالشيخ عبد القادر الفاسي، ومحمد بن أبي بكر الدلائي، وكانت وفاته بفاس، ثالث ذي الحجة، سنة أربعين وألف ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٩٦)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٧٥)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٢٨٧).

[١١٧٧] عبد الواحد الرشيدي إمام برج مغيزل[١].

الشيخ الإمام العلامة، كان من مشاهير الفضلاء، قرأ عليه كثيرٌ، منهم: السيد محمد الجمازي.

من شعره: قوله:

لا تـصحَبَنَّ ناقـصاً فتـضحي ... قليـلَ حـظٍّ كثيـرَ كَـربِ

وانظـرْ إلـى الرفـع مـن أبـو مـن ... والخفـضِ فـي القبـرِ بعـدَ حـربِ

[١١٧٨] عبـد الـواحـد بن إبـراهيم بن أحمـد بن إبـراهيم الخطيب الحصاري الشافعي الأثري.

الشيخ العلامة، المحدث المسند المعمَّر، قرأت بخطه في إجازةٍ كتبها للشيخ عبد القادر الطبري المكي، إمامِ المقام الإبراهيمي وأولاده: أن مولده مستهل رجب، سنة عشر وتسع مئـة، وأن من أدركـه من العلماء والصلحاء يحتاج إلى كراريس، وأنه سمع من قاضي القضاة محمد التتائي المالكي قراءة الفاتحة، بسماعه لها منه بخلوته في مدرسة الأمير شيخو العمري، وهو سمعها على برهـان الدين إبراهيم مؤدب الجن، بسماعـه لها من شمهورش قاضي الجن، وصاحب رسول الله ﷺ، بسماعه لها من رسول الله ﷺ.

وأنـه سمع من السيد الشريـف عبـد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي القـرشي مؤلـف «معاهـد التنصيص على شرح شواهـد التلخيص»

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٨٨) (١٠٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٩٩)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٧٥).

الحديثَ المسلسل بالأولية، بسماعه لـه من الحافظ جلال الدين السيوطي، وأنـه أجاز لـه ما يجوز لـه وعنه، من مسموعٍ ومجازٍ ومؤلفٍ، ونثرٍ ونظمٍ، وأعظمها: «شرح البخاري» له.

وما أجازه المشايخ الذين أدركهم، وأخـذ عنهم، وهم يزيـدون على سبعين شيخاً، منهم: الشيخ محيي الدين الحافياجي، وذلك في شعبان، سنة اثنتين وستين وتسع مئة، وأن العباسي أخبـره: أن مولده سحر يوم السبت، الرابع والعشرين من شهر رمضان، سنة سبع وستين وثمان مئة.

وأنه حضر القراءة والإجازة منه: الشيخُ الإمام أحمد بن محمد النعيمي، ومحمد بن الأكرم الدمشقي، وعبدالله العجمي، ومحمـد بن عبد القادر بن فخر المقري، ومحمد بن عبدالله التركي، بمنزله بقسطنطينية المحمية.

أنه قرأ عليه من أول كتاب «الجامع الصحيح» للبخاري، وأجاز له رواية جميعه، بسماعه له جميعه على الإمام المحدث نجم الدين محمد الصحراوي، بالجامع الأزهر، في مجالس آخرُها أوائل العشر الأخير من رمضان، سنة ثمان وتسعين وثمان مئة، بروايته له عن الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وأن العباسي أيضاً روى الكتب الستة عن الحافظ عثمان بن محمد الديمي.

وأن المترجم لبس الخرقـة من السيـد جمـال الدين يوسف بن عبدالله الحسني الأرميوني، كما لبسها من الجلال السيوطي، وأنه لبس الخرقة ـ أيضاً ـ من السيد علي بن عبد الرحمن بن علي بن علوي بن محمد بن عبد الرحمن باعلوي، سبط العيدروس، المعروف بالخَرِد، وأنه أذن لـه في إلباسها لمن شاء، متى شاء.

وأنه كان يوماً بالجبل المُقَطَّم، في مجلس الشيخ العارف بالله جمال الدين ابن الشيخ شاهين، المدفون بالجبل المذكور، فجرى ذكر المحدثين، فقال الشيخ نور الدين علي بن أحمد الأنصاري: إنه لم يبق ممن رأى الحافظ ابن حجر العسقلاني، إلا رجلٌ يدعى: محمد بن إبراهيم العمري، بمكانٍ بقرب المدرسة البرشية، قال: فتوجهت إليه، وسألته أن يُسمعني ما سمعه من الحافظ ابن حجر، فأسمعني ما هو مسطرٌ من هذا الرقيم، وذكر فيه مسموعاته منه، والإجازة مؤرخةٌ في عشري ذي الحجة، ختام عام أحد عشر وألف.

قلت: وقد وقع لي ـ والحمد لله ـ الروايةُ عنه، من طريق الشريفة قريش بنت الإمام عبد القادر الطبري، فإني أخذت عنها الكتب الستة بروايتها عنه، وقد ذكرت ذلك في ترجمتها ـ رحمها الله ـ وذكر الإمام عبد القادر الطبري: أن للمترجم أشعاراً لطيفةً، ومقاطيع رائقة طريفة.

[١١٧٩] عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن بن حسين النزيلي(١).

كان إمام الشافعية بالديار الكوكبانية، من الأقطار اليمنية، باذلاً أوقاته في التدريس والتحصيل، أخذ عن والده، وعن علي بن محمد مطير، وولديه: محمد، وأحمد، وعن القاضي العلامة عبد الوهاب بن زيد المرواحي، وعن كثيرٍ من آل مطير وغيرهم.

وممن أخذ عنه: السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم، وأجاز أهل عصره بمؤلفاته، وما يرويه عن مشايخه، وكتب له إجازةً حافلةً، وقفتُ عليها،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٥٠٦) (٨٦١).

والسيد محمد بن إبراهيم المفضل، وشيخنا القاضي عبد الوهاب بن أحمد النزيلي، والسيد العلامة عز الدين بن ذريب، وغيرهم من العلماء العظام.

وقدم مكة حاجاً، سنة إحدى وأربعين وألف، وأخذ بها عن الإمام المحدث محمد علي بن علان، والعارف بالله أحمد القشاشي المدني، وأجازا له بمروياتهما، ورجع إلى بلاده، وحصلت له من الأئمة تقارير كثيرةٌ، ومواد واسعةٌ من حراز وخفاش، وله تصانيف، منها: «حلية الأجياد برجال الإسناد»، و«السلسلة الذهبية»، و«مجموعٌ في التفسير»، ورسائل ومكاتبات.

وتوفي ببلده هجرة القيرى، في شهر رمضان، سنة ستين وألف، ورُثي بقصائد كثيرة.

وقال بعضهم يرثيه:

كم علومٍ قد توارتْ في الثرى مُـذْ توارى فيه عبدُ الواحدِ
فاسألوا عن فضله آثارَهُ وقسوا حاضره بالشاهدِ

[١١٨٠] **عبد الواحد بن الصديق بن عمر النزيلي.**

كان من أهل الحظوظ والفهوم، مات في عشر العشرين بعد الألف.

[١١٨١] **عبد الواحد بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الغرب الحسيني.**

وتقدم رفع نسبه، في ترجمة والده، وأمُّه الشريفةُ عائشة بنت السيد المحنجف الرديني.

كان سيداً ولياً، مشهوراً بالجود والكرم والفضل، ظهرت له أحوالٌ

عجيبةٌ، وكراماتٌ كثيرةٌ غريبةٌ، وكان في أحواله يتكلم بالعجائب؛ من تفسير القرآن والحديث، وأمور لدينه[1] تجل عن الوصف.

ويروى: أن أباه ـ نفع الله به ـ زار النبي ﷺ، فوصل به إلى الحجرة الشريفة، ودفعه إليها، وقال: يا رسول الله! إني إليك بالقرب، عَلِّم ولدي العلم، فلما دخل الحجرة، ناوله شخصٌ من داخل الحجرة سبحة بلور، وأمره ببلعها، فما خرج إلا بظهور تلك الأحوال عليه.

ولما مرض والده، كان غائباً بـ «ينبع»، وكان في تعبٍ شديدٍ لغيبته، وكان يذكره كل ساعةٍ، فلم يشعروا إلا بوصوله عن قربٍ، فسألوه، فقال: اعتراني تعبٌ في خاطري، فعلمت أن ذلك تعلق والدي بي، فسرت ليلاً ونهاراً إلى أن وصلت.

ومن كراماته: أن رجلاً كان مطالباً لشريفٍ من أشراف مكة بشيءٍ من المال، وضيق عليه في الطلب، فاغتم لذلك؛ لقلة ذات يده، فنام، فإذا هو بالسيد راكبٌ على بعض الخيل يركض، فقال له: اركب وراء ظهري، فقال له: أخشى أن أقع، فقال له السيد: الله المستعان، تقع وأنت وراء ظهري، فمدّ لي يده، فركبت، وقال لي: استوثق، وتلوّ بي، ففعلت.

وانتبهت، فعزمت على زيارته، ولم أكن رأيته قبل، فبمجرد أن وقفت عليه، وسلمت عليه، رحب بي، وأجلسني، وقال لي: رديفك البارحة ما هو مخلّي عليك خلاف، فدخلتني هيبةٌ عظيمةٌ منه، وطلبت الدعاء منه، فلما خرجت من عنده، اجتمعت بغريمي، فلاطفني، وقبل مني ما أمكن، وترك

(١) كذا في الأصل، ولعلها: لَدُنِّيَّة.

عني الباقي، فرجعت إلى السيد، فأخبرته بما وقع لي مع غريمي، فقال: لا ترجع إلى خدمة الدولة، ولك عرضي أن أمورك تجيء على أحسن ما يكون، فخالفت كلامه، حتى ذهب جميع ما بيدي، ولم أظفر بطائلٍ.

توفي ـ رحمه الله ـ ضحى يوم الأحد، وجيء به إلى القنفذة، وقت العشاء، سادس وعشري أو سابع عشر جمادى الآخر[ة]، سنة خمس وستين بعد الألف، ودفن بقبة والده المعروفة ثَمَّ ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١١٨٢] عبد الواسع بن عبد الرحمن القرشي اليمني المنشأ، الأموي، المعروف بالعُلفي[1].

نسبةً إلى بلدة تسمى: عُلفة، ينتهي نسبه إلى عبد الملك بن مروان.

كان هذا القاضي حديقة معارف، وينبوع عوارف، من أهل المحافظة على الأوراد، وقيام الليل بجدٍّ واجتهادٍ؛ بحيث لم يتخلف حاله إلى المشيب، وعلى الجملة: فهو في بابه عجيب.

هذا مع همةٍ عليةٍ، ونفسٍ قرشيةٍ أبيةٍ، لا تغضي على المآثم، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وكان قد جلّى على أقرانه، ورزق الوجاهة عند أئمة زمانه، لا سيما الإمام المهدي؛ فإنه كان يعمده فيما يضمره ويبدي، ولم يزل متولياً لقضاء حضرته والخطابة، متفيئاً لظلال رياض إنعاماته المستطابة.

وما برح بعد انتقال مخدومه إلى جوار رب البرية، وهو مستمر على مراتبه العلية، واشتغل في آخر عمره بخاصته، والاستعداد للقاء ربه، واقتصر

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٢/ ١٥٠) (٣٢٨)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٧٧) (٣٤٨)، «البدر الطالع» (١/ ٤٠٩)، «هدية العارفين» (١/ ٦٣٨).

في التصرف على ضيعةٍ له من خالص كسبه، حتى فاجأه الحِمام، وانتقل إلى جوار الملك العلام، وذلك في ثاني عشر شهر جمادى الآخر[ة]، سنة ثمان وألف، بمحروس العراس، وهي بلدٌ تحت حصن ذي مرمر، بها قبر مخدومه المهدي لدين الله أحمد بن الحسن ـ رحمه الله ـ، وتوفي وقد ناهز التسعين ممتعاً بحواسه، وله ـ من القيام بأمور دينه ودنياه ـ ما يعجز عنه الفتيان.

وكان قد بلغ في العلوم مبلغ الفحول، وأحاط بمعرفة المنقول والمعقول، وصرف في تحصيل العلم برهةً من عمره النفيس، ولم يبرح متصدراً للإفتاء والتدريس.

ومن مؤلفاته: «حاشيةٌ على الكشاف»، و«مختصر ربيع الأبرار» للزمخشري، و«مجلدٌ ضخمٌ يشتمل على خطبٍ»، و«مختصر الأذكياء» من إنشائه، وغير ذلك من التعاليق.

ومما رثاه به السيد أحمد بن الجرموزي أبياتٌ مطلعها:

لا غروَ عند وفاةِ عبدِ الواسع أن ضاقَ ذرعي أو جرَيْنَ مدامعي

رحمه الله، وأنشأ بقرب مسكنه في العراس مسجدين الآن إليه ـ جزاه الله خيراً ورحمه ـ.

[١١٨٣] عبد الوهاب بن عبد الغني بن عبدالله الفتني الهندي الحنفي.

الشيخ العارف بالله تعالى، قدم من الهند إلى مكة، فجاور بالحرمين، وكان يتعاطى التجارة، وأقام بالمدينة وينبع سنين عديدةً، ثم أخذ الطريق عن مشايخ كثيرين، منهم: الشيخ عظمة الله بن محيي الدين بن شرف الدين ابن القاضي محمود شيخ بن عبد اللطيف بن جمال القرشي العباسي القادري،

أخذ عنه اليد، وأعطاه العهد، على طريقة القادرية، سنة خمس وثمانين وألف، بالمدينة الشريفة.

ولازم الشيخ العارف بالله الشيخ علي بن أبي بكر صاحب الحال الزيلعي، وبه تخرج، وعلى فضله عرَّج، ولبس الخرقة من الشيخ صالح بن أحمد المطري اليمني، إمام مسجد قباء، تلميذ الشيخ مهنا بن عوض الحضرمي، وغيرهم، واشتهر بالحرمين ذكره، واعتقده عامة الناس وخاصتهم، وحصل له جاهٌ كبيرٌ.

له مؤلفاتٌ، منها: «فتوح الأسرار في فضائل التهليل والأذكار»، وكتاب «مفتاح الخيرات في حقيقة الفقر والفقراء والسادات»، ورسالة سماها: «تشريف الأنوار لهداية المريدين والفضلاء الأخيار»، ورسالة سماها: «مواهب الخيرات في كثرة الاستغفار والأذكار والصلاة على النبي صاحب المعجزات»، وكتاب «تنبيه الطالبين لمريدي الخير والراغبين»، ورسالة سماها: «نخبة الطاعة في الزهد والقناعة»، و«نزهة التوحيد في تقديس الإله والتمجيد»، و«تحية الرياضة في الزهد والعبادة»، و«هداية المبتدي الراجي الخير والمقتدي».

توفي يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة، سنة ألف ومئة وسبع عشرة بمكة، ودفن بالمعلاة، بتربته التي أعدها له قبل موته، بجبل الحجون ـ رحمه الله تعالى ـ وصلَّى عليه ضحى بالمسجد الحرام، إماماً بالناس الشيخُ أحمد النخلي.

[١١٨٤] عبد الوهاب بن عبد المؤمن بن أبي القاسم.

صاحبنا الشيخ، الولي بلا ريب، توفي ليلة الجمعة، لعله آخر يوم من

شهر الحجـة، أو أول محرم، سنة تسع ومئة وألف، ببلدة طيبة، من أعمال المحويت، من جبل تيس.

[١١٨٥] **عبد الوهاب بن عبد الرحمن الشهير بوب زاده.**

من أجلاء علماء الروم؛ بحيث إنهم أجمعوا أنـه ليس لـه نظيرٌ بها في عصره في العلوم العقلية، قدم مكة حاجاً، وجاور بها، واجتمعت به فيها، من مؤلفاتـه: «تعليق القلادة في عنق من اشتهر بالبلادة» رد فيها على بعض معاصريه. موجودٌ، توفي ـ رحمه الله ـ بعد رجوعه من مكة، بقرب المدينة، ونقل إليها، ودفن بالبقيع، في غرة محرم، سنة ألف ومئة وأربع ـ رحمه الله ـ.

[١١٨٦] **القاضي عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الباقي ابن حسين بن أبي بكر النزيلي.**

شيخنا، مولده في شهر صفر سنة إحدى وثلاثين وألف، عالم الشافعية بالجهات الكوكبانية من الديار اليمنية، وقاضي القضاة بالمحويت وما والاه من جبل تيس، أخذ عن العلامة أحمد بن علي مطير، وبه تخرج.

وبرع وأفاد، وألف مؤلفاتٍ، منها: «شرح منظومة شيخه أحمد بن مطير في الفرائض» وقفتُ عليه، ولما قدمت بلاد كوكبان، سنة ألف ومئة وست، اجتمعت بـه، وذهبت إليه لبلده المعروفة ببني الغُديفي، وأجازني بمروياته ـ سلمه الله ـ بإجازةٍ كتبها لي بخطه.

أخبرني ولده جمال الدين محمـد: أنه دخل بعض الصالحين من أهل تهامـة، فقال لـه: السلام عليك يا قاضي الشياطين، فغضب غضباً شديداً، فقال: لا تغضب؛ فإن من كـان يأخذ الحق، ولا يتجاوز إلى غيره، ويعطي

الحق كاملاً، ولا يمتنع منه، لا يجيء إليك، وإنما يجيء إليك من يتجاوز إلى غير حقه، ويمنع حق غيره، وهؤلاء هم الشياطين، وأولئك لا يحتاجون إلى القضاء بينهم، فُسرِّيَ عنه ـ رحمه الله ـ.

توفي سنة ألف ومئة وأربع عشرة ببلده، ولم يخلف بعده مثله فيها ـ رحمه الله ـ.

[١١٨٧] عبد الوهاب بن سعيد بن عبدالله بن مسعود الحميري الحُوَالي[١].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان عالماً مجتهداً، من بيتٍ شهيرٍ بالعلم، معمور بالفضل، نسبهم إلى ذي حوال، فهم وآلَ يَعْفُر والفقهاء آل الأكوع في نسبٍ واحدٍ، وكان من فضلاء وقته، ويسمى: الصنعاني؛ نسبةً إلى أمه، وكان متعلقاً بالسياحة، دمث الأخلاق، كريم السجايا، وله مكارم وآداب، وكان يأتي إلى ذيبين للتنزه أيام الخريف، فيجتمع به الفضلاء، ويتم لهم به الأنس.

وكان جميل الثياب، حسن الهيئة، ويقال: إنه يعرف السيمياء، ولما اعتقل بكوكبان، ظهر هذا منه، فإنه كان يخرج من مسجد المنصور، ويضع ثيابه عند أهل السجن، ويغفل اليوم واليومين، ثم يرجع ويفارقهم من محلٍّ وعرٍ لا يمكن النفوذ منه، وله صناعةٌ في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومما يدل على ذلك: ما اشتهر عنه: أنه طلع إلى بعض جبال «ذيبين»، فوجد في بعض الكهوف امرأةً تبكي، وعندها رجلٌ رقيبٌ عليها، فسألها عن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٠٢).

شأنها، وما سبب بكائها، فأخبرته أنها امرأةٌ محتشمةٌ، ليست من ذوات الريب، وأنه اتفق بها نحو ثمانية نفرٍ من العُتاة العصاة، فاغتصبوها نفسها، وأمروا ذلك الرجل رقيباً يحفظها، وعزموا ليأتوا بما يليق بمعصيتهم؛ من لحمٍ يسرقونه، ونحو ذلك.

فلما أطال معها الحديث، جاء ذلك الرقيب، واستنكر الخطاب، فقال القاضي المذكور له: يا مسكين! ترضى لنفسك بهـذا الحال الدنية، والحال العالية تمكنك! قال: وما هي؟ قال: أزوجك هذه المرأة، وتكون لك خالصةً، قال الرجل: وهذا يتم؟ قال: نعم، فعقد لـه بغير شهودٍ، فلما وصل أصحاب ذلك الرجل، لقيهم، وقال لهم: هذه صارت زوجتي بحكم القـاضي، فلا يقربها أحدٌ، فمنعهم، ثم نزل القاضي، وعقد له عقداً جديداً، وكان يزورها كل سنةٍ ـ رحمه الله ـ.

وكان ـ مـع هـذا الحلم الكبير ـ بينـه وبين العلامـة إبراهيم بن مسعود ـ الماضي ذكرهُ ـ وحشةٌ، وذلك من العجائب، وقد روي: أنه صلح أمرهما، وتراضيا ـ رحمهما الله ـ.

وتوفي بالظهرين، هجرتهم المعروفة بحجة، في تاسع وعشرين من رجب، سنة ثمـان عشرة بعـد الألف، وقبره إلى جنب السيد الفاضل شرف الدين بن محمد الحَمْزي، من جهة القبلة.

ورثاه السيد الفهامة علي بن صلاح العبالي، فقال:

عـينُ جـودي بـدمعِك الهَتَّـانِ ... وانـدبي مـا جـداً عظـيمَ الـشانِ
فاضـلٌ طَلَّـقَ الـدنا وتخلَّـى ... عـالمٌ عامـلٌ بكـلِّ مكـانِ

لـم يـدعْ بغيـةً مـن الفـضل إلا نالهـا بالـسباق طلـقَ العِنـانِ
يـا لـه مـن مُبـرزٍ فـي علـومٍ مـا حواهـا سـواهُ مـن إنـسانِ
فلفقدانـــه ثـــوت بفـــؤادي لوعـــةٌ دونهـا لظـى النيـرانِ
آه أضـحى الأنـام عُميـاً عليـه لا يـرون الـضيا مـن الـصغاني
رحـمَ اللهُ تربـةَ ابـنِ سـعيدٍ وسـقى مـن لديـه بـالأمزانِ
وتغـشَّى ضـريحَه بـصلاةٍ إنـه كـان طيـبَ الأردانِ

[١١٨٨] عبد الوهاب بن عبد الرحمن القاضي تاج الدين الحنفي المعروف بابن تاج الدين[1].

كانت له فضيلةٌ تامةٌ، سلك طريق القضاء، وكان قد انفصل عن قضاء حماة، وولي قضاء الركب الشامي، سنة سبع بعد الألف، وكان ممن حضر دروس البدر الغزي، وقرأ الفقه على نجم الدين البهنسي، وكان له سخاءٌ وإحسانٌ إلى الطلبة.

توفي منتصف شعبان، سنة عشرين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١١٨٩] عبد الوهاب بن رجب الشيخ العلامة تاج الدين الحموي الشافعي المعروف بابن القطان[2].

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٤٤) (٢١٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٠٣).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٤٥) (٢١٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٠١).

كان من أهل العلم، ولعله كان أنحى أهل عصره، وكان يعرف المعاني والبيان، ويحفظ شواهد النحو عن ظهر قلب، ولمن هي، ويحفظ غالب الأبيات التي هي منها، ويشرح ألفاظها أحسن شرحٍ، مع اطلاعه على اللغة، وإحاطته بها، وبالجملة: فإنه كان مفرد دمشق في فنه ـ رحمه الله ـ.

[١١٩٠] عبد الواحد بن عبد الغفار النزيلي.

كان على قدمٍ راسخةٍ في العلم، وحسن الخلق، ولين الجانب، توفي يوم الخميس، تاسع عشر شهر ربيع الآخر، سنة ثلاثين بعد الألف، بهجرة القيرى، من أعمال المحويت.

ورثاه ابن عمه الشيخ العلامة عبد الباقي بن عبد الرحيم بن عبد الباقي النزيلي بقصيدةٍ، منها قوله:

قل للدموع التي تنهلُّ كالمطر ... عزّ التسلي فلا تبقي ولا تَذَرُ
واطفي حرارة أحشاءٍ قد اشتعلت ... أوصالُها فبها ضربٌ من السَّقَر
فإن نار الأسى في قلبي اضطربتْ ... لعلَّ يطفي لظاها فيضُ منحدرِ
نوائبٌ صرعَتْني وهي قائلةٌ ... صبراً ولمّا نعر من قلب مصطبرِ
تتابعت نوبٌ في طَيِّها عجبٌ ... في حربها حَرَبٌ مفضي إلى ضرري
وكلما صالتِ الأحزانُ قلتُ لها ... الدائمُ اللهُ هذا عادةُ البشرِ
نعى النعاةُ ابنَ عمي بعدَ صاحبِهِ ... نورانِ كانا كضوء الشمسِ والقمرِ
لمّا نعى الناعي المشؤوم قلت له ... صخرٌ بفيكَ أزلْتَ الصفوَ بالكَدَر
هل وَكَّلَتْكَ صروفُ النائبات بأنْ ... تُقسمَ الحزنَ بين السمعِ والبصرِ

فيا بنَ عمٍّ لقد أضرمْتَ في كبـدي نـاراً ووجـدًا وحزنـاً غيـر مـستتر
لو أنها علمـتْ أرجـاءُ لَحْـدِكَ مـا ضَمَّتْ من العلم قالت فزتُ بالظفر
أما وحَقِّـكَ يـا نـسلَ النزيـلِ لقـد غدت بجسمك كالأصداف للدرر
لهفي على حَضَراتٍ كنت رونَقَهـا تتلو المدارس بينَ البدوِ والحـضرِ
تُملي على طالبي علمٍ فنونَ هُدًى حلوَ الفكاهـة حبـراً ثاقـبَ النظـرِ
يحقُّ لي أن أصـبَّ المقلتَيـنِ دمـاً وأُشعلَ الحزنَ في الأحشاءِ كالشرر
عارٌ على مهجتي أن تنطفي حُرَقي وطرفُ عيني حقيقٌ بالسهاد حَري
كم قلتُ للنفس مَه لا تجزعي وثقي بـالله والتَحِفـي بالـصبرِ واتَّـزِري
قالت وقد ملأت قلبي أَسًى وَجوًى هيهاتَ ويحَكَ حلو الصَّبر كالصَّبِـرِ
يا من أغـابَ الثـرى أنـوارَ طلعتـه عنـي وأبـدلَ نـومَ العـين بالـسهرِ
عيني لفقدِك يا بنَ العمِّ قد سهرتْ ودمعُهـا بـين مُنْهَـلٍّ ومنحـدِرِ
ولذَّ لي بعدَكَ الترحالُ عن وطنـي حقّاً وصارَ انتزاحُ الدار من وَطَري

وهي طويلةٌ.

[١١٩١] أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي(١).

كاتب الملك المنصور، وربيب تلك الدولة المشيدة القصور، وخادم سناها الممدود والمقصور، المعترف لسان اليراعة عن حصر مناقبه بالقصور،

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٧٤)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٦٥) (٥١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٢٥)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٦).
وجاء في الحاشية: «مكرر، لكن فيها إطناب».

فاضلٌ رفعت به الأقلام والأعلام، وأقرت بفضله العلماء الأعلام، وخضعت لأدبه سماسرة الكلام، وأضاءت بأنوار بلاغته حنادس الظلام.

فهو إذا نثر، أفحمَ الورقاءَ ذاتَ السجع، وإذا نظم، أفحم دراري السماء ذاتِ الرجع، فجاء بما شاء، وكيف شاء، من محاسن الأشعار والإنشاء، وناهيك بمن يقول فيه سلطان المغرب، على ما ذكره العلامة أحمد في «نفح الطيب»: إن الفشتالي نفتخر به على الملوك، ونباري به لسان الدين بن الخطيب، ثم قال في كتابه المذكور: وقد بلغني وفاته وأنا بمصر، عام ثلاثين بعد الألف.

ومن شعره: قوله في بعض المباني المنصورية:

معاني الحسن تظهر في المغاني ... ظهور الحسن في حَدَق الحسانِ
تشابه في صفات الحسن أضحت ... تمتُّ بها المغاني للغواني
بكل عمودِ صبحٍ من لُجينٍ ... تكون في استقامة خوط بانِ
مفصلةِ القدود ممثلاتٍ ... مواصلةِ العناق من التداني
تردَّتْ سابريَّ الحسن يزري ... بحسن السابريِّ الخُسْرواني
وتعطو الخيزرانةُ من دماها ... بسالفة القطيعِ البرهماني
لمجدِك تنتمي لكن نماها ... إلى صنعاء ما صنع اليدانِ
يدين لك ابنُ ذي يزنٍ ويعنو ... لها غمدانُ في الأصل اليماني
غدت حرماً ولكن حلَّ منها ... لوفدكم الأمانُ مع الأماني
مبانٍ بالخلافة آهلاتٌ بها ... يتلو الهدى السبعَ المثاني

هـي الـدنيا وسـاكنُها إمـام لأهـلِ الأرضِ مـن قـاصٍ ودانِ
قـصورٌ مـا لهـا فـي الأرض شـبـهٌ ومـا فـي الأرض للمنـصورِ ثـانِ

[١١٩٢] عبد المحسن اليمني.

كان ساكناً بزبيد، وكان شجاعاً عالماً فاضلاً صالحاً ورعاً، وله تصرفات عظيمةٌ، وأحوالٌ جسيمةٌ، وله زاويةٌ ومريدون، وهو شيخٌ ابنُ شيخ...[١].

[١١٩٣] عبد المنعم النبتيتي الحنفي.

كان من أجلاء الحنفية بالديار المصرية، وكان إماماً للناس بالصلوات، بالمسجد المعروف بمشهد الحسين بمصر، وكان ملازماً للتدريس فيه غالبَ نهاره، منعكفاً عن الناس، وكان حسن الصورة جداً، ذا هيبةٍ ووقارٍ، وحسن سمتٍ، وله في علم الميقات والتقويم والحساب اليد الطولى، أخذ عن عمه علي النبتيتي، وعن حسن الشرنبلالي، وكثير.

وتوفي ـ رحمه الله ـ ليلة الاثنين، ثالث ذي القعدة، سنة أربع وثمانين، حضرته في بعض مجالسه الفرعية، وكان بيني وبينه مودةٌ، وحسن معاشرة، وطالما شنف أسماعي بفرائده، وقرط آذاني بجواهر فوائده، وكان ـ رحمه الله ـ سليم الباطن جداً، ولا يظن بأحدٍ إلا خيراً، قليل البروز، لا يراه أحدٌ إلا بالمسجد المذكور، وبيته ملاصقٌ له، ولم يزل على هذا الحال، إلى أن توفي ـ رحمه الله[٢] ـ.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطر ونصف بياضٌ».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاث صفحات وأسطر بياض».

[١١٩٤] عبد الباري بن محمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن بن عمر بن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر ابن الشيخ علي الأهدل[١].

السيد الجليل، الولي الكامل، الجواد المطعِم، ذو الفضائل العديدة، والأفعال الحميدة، توفي حادي وعشري ذي الحجة، سنة اثنتين وسبعين بعد الألف، بقرية المراوعة، ودفن بها عند أجداده، وحصل عليه الأسف العظيم.

[١١٩٥] عبد البر بن عبدالله بن محمد بن علي ابن الشيخ سيف الدين الأجهوري الشافعي مذهباً البرهاني أدباً[٢].

أخذ عن الزيادي، وعن البرهان اللقاني، وسالم الشبشيري، وغيرهم، له شرحٌ ممزوجٌ على جوهرة شيخه اللقاني في العقائد، سماه اسمين، أحدهما: «السيف المسلول في الرد على من خالف سنة الرسول»، والثاني: «السيف البتار في الرد على من خالف سنة المختار».

[١١٩٦] عبد البر الأجهوري بن عبدالله بن محمد بن علي بن سيف الدين الأجهوري الشافعي البرهاني أدباً[٣].

الشيخ الإمام، العلامة الفقيه، الحجة الفهامة، ذو التصانيف العديدة، والفوائد الجزيلة الفريدة، من تحرى في مصنفاته الصواب وأصاب، وقصد فيها سواء السبيل في الإيجاز والإطناب، ذو الفضائل التي لا مخالف لها

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٦٩).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٩٨)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٧٣).

(٣) يلاحظ أن المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ أعاد كتابة الترجمة السابقة، وزادها تفصيلاً.

ولا منازع ولا مجاحد، كيف ولسان قلمه، وبيت فضله، كلٌّ به شاهد؟! من خاض لجة ساحل الفضل، وظفر بعرائس المعالي حالية المهور، واجتنى من رياض العلوم الغرائس، التي لا تدنو إلا لمن شمر عن ساق في الغدو والبكور.

قرأ الفقه، على العلامة النور الزيادي، ومهر فيه، وأخذ بقية العلوم عن شيوخٍ كثيرين من الجامع الأزهر، [منهم: البرهان اللقاني، وسالم الشبشيري، وغيرهم][(1)]، وألف كتباً كثيرةً، منها «شرح الغاية لابن قاسم»، وغير ذلك، توفي بمصر عام. . .[(2)].

وله «شرحٌ على جوهرة اللقاني» في العقائد، اختصره من شرح مصنفها، وأرخ إتمامه في خامس عشر جمادى الآخرة، سنة خمسين وألف.

[١١٩٧] عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي البعلي[(3)].

نزيل دمشق، ومفتي الحنابلة بها، الشيخ الإمام، الفقيه الصالح، المقرئ المحدث، المفسر المتكلم، النحوي الصوفي، كان من أحبار هذه الأمة المحمدية، والناشرين لواء السنة النبوية، صارفاً أوقاته فيما يصلح دينه ودنياه، مواظباً على إقراء العلم ومذاكرته، وطاعة مولاه، ملازماً لقراءة التفسير والحديث بمسجد بني أمية بين العشاءين؛ بحيث لا يترك الدرس صيفاً وشتاءً، وفي الليالي المشهورة؛ كليلة العيدين، وختم في هذا الوقت كتباً كثيرةً؛ كـ«المواهب»، و«الصحيحين»، و«البيضاوي»، و«الجلالين».

---

(١) ما بين معقودين ليس في الأصل.

(٢) بياضٌ في الأصل، وجاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٨٣).

وكان صافي السريرة، صادق اللهجة، حسن الهيئة، عظيم الهيبة، كثير التواضع والسكينة، ويغلب عليه حسن الظن بالناس، وما قرأ عليه أحدٌ إلا انتفع به، وحصلت له بركته، ولم يزل هو وأبوه وسلفه يعدون من علماء الحنابلة، ويشهرون باتباع السنة، ويذكرون بالخير والدين، وكان بارعاً في فقه الحنابلة، عارفاً بالحديث، مشاركاً في العلوم العربية، رضي الأخلاق، وعنده تشددٌ في السنة، وكان كثير التعظيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، وانتهت إليه رياسة الحنابلة في عصره.

وُلد بـ «بعلبك»، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وجوده، وقدم دمشق، وأخذ عمن بها من علماء عصره؛ كأحمد بن علي المفلحي الحنبلي، والشمس محمد الميداني الشافعي، ورحل إلى مصر، وقرأ جميع القرآن العظيم بالروايات على فقيه مصر ومقرئها، الزين عبد الرحمن بن شحاذة اليمني الشافعي، وأجازه، وأخذ الفقه عن العلامة عبد الرحمن ومنصور البهوتيين الحنبليين، والحديث عن المحدث محمد حجازي الواعظ، وإبراهيم اللقاني، وغيرهم، وأجازه عامة شيوخه.

ورجع إلى دمشق، وأقام بها على خيرٍ وفي خيرٍ، وجمع الله له بين سعادة الدارين، ولازمه لأخذ العلم عنه علماء أعيان، منهم: ولده أبو المواهب، وعثمان القطان، وأبو السعود بن تاج الدين البعلي، وحمزة الدُّومي، وعبد القادر بن عبد الهادي العُمري، ومحمد بن عثمان الهوش، وممن أخذ عنه: شيخنا الملا إبراهيم الكوراني، والسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي، وروى عنه عارفُ زمانه صفي الدين أحمد بن محمد القشاشي، وهو من رواية الأكابر عن الأصاغر.

وقد حضرتُ دروسه كثيراً ولله الحمد، وأنا مميـزٌ، مع خالي الشمس محمـد بن حسين الملا ـ رحمه الله تعالى ـ، ودخلت في عموم إجازته لمن حضره.

وله مؤلفاتٌ مفيدةٌ، في فنونٍ عديدةٍ، منها: «شرح على البخاري» لم يكمله، وبلغني: أن ولده أبا المواهب شرع في إكماله، ونظمُه كثيرٌ وسطٌ، وكان نظم الشعر سهلاً عليه، ووقفت على إجازات لطلبته منظومة.

وكانت وفاته بدمشق، سنة سبعين بعد الألف، وصلي عليه بمسجد بني أمية، تجاه قبر نبي الله يحيى بن زكريا ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ، ودفن بتربـة الغرباء، بقـرب مرج الدحـداح ـ رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى ـ.

ومن فوائده ـ كما أخبرني به بعض تلامذته عنـه ـ: أنـه نقل عن شيخ الحنابلة، ورئيسهم بالديار المصرية، محمد بن محمد بن سالم الشهير بابن الأعمى: أنه كان يذهب إلى أن النهي عن دخول المسجد لمن أكل الثوم أو البصل أو الكراث، خاصٌّ بمسجد رسول الله ﷺ، دون غيره من المساجد.

وذلك أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، علّل ذلك بتأذي الملائكة، ولاشك أنه قد ثبت أن كل إنسان معه ملكان، فلو كان تحريمه لمطلق تأذي الملائكة، لحرم أكله البتة، كما هو مذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، فإن الحافظين[1] يتأذيان إذاً بريحه، وهما ملائكة، لكنه أكل على مائـدة رسول الله ﷺ، ولم ينه عنه، فاقتضى ذلك إباحةَ أكله، وعلل المنع من دخول المسجد من أكله

---

(١) في الأصل: الحافظان، والصواب ما أثبت.

بتأذي الملائكة بريحه، والغرض أن معه أبداً ملكين[1]، فتعين اختصاص المنع من مسجده ﷺ؛ تكرمةً له، وتشريفاً على ما سواه من المساجد.

[١١٩٨] عبد الباقي بن محمد الإسحاقي المنوفي[2].

كان قاضياً فاضلاً، عالماً مؤرخاً، كثير النظم للشعر، وله «تاريخٌ لطيفٌ»، ورسائل كثيرة في فنونٍ، قرأ ببلده على شيوخ كثيرين، وكان يتردد إلى مصر، وأخذ عمن بها من أكابر علمائها، توفي بمنوف، في نيف وسبعين بعد الألف ببلده.

ومن شعره: قوله:

تمشَّتْ لنا تُخْجِلُ الكَوْكَبَا ... فناديتُها مَرْحَباً مَرْحَبَا
غزالةُ إنْسٍ لها طَلْعةٌ ... إذا خالَها الصَّبُّ حَقّاً صَبَا
أدارتْ بحَضْرتِنا قَهوةً ... وطافتْ بكأسِ الطِّلاَ مُذْهَبَا
رَنَتْ ورَمتْنِي بألْحاظِها ... وقد أذكرتْني عهدَ الصِّبَا
فلو أنَّ نَظْرتها كالظُّبَا ... لَهَانَ ولكنْ كحَدِّ[3] الظُّبَا
وغَنَّتْ لنا فطرِبْنَا بها ... فيا حُسْنَ ذاك الذي أطْرَبَا
غَزاليَّةٌ آنَسَتْ صَبَّها ... وأنْسَتْ مَحبَّتُها زَيْنَبَا
فَهِمْنَا فهِمْنَا غَراماً بها ... وعن حالَتِي حُبُّها أَعْرَبَا

(١) في الأصل: ملكان، والصواب ما أثبت.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٨٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٨٩) (٣٤٥).

(٣) في الأصل: حدود.

وصـــبَّرتُ قلبــاً غَـــدَا هائمــاً | وقـد كـاد فـي الحُـبِّ أن يَـذْهَبَا
ففيــه مَــديحِيَ عَـــذباً يُــرى | وفـي غيرِهـا المـدحُ لـن يَعْـذُبَا
ســأجعلُ فـــي وَصْــفِها نُبْــذَةً | وأركـــبُ فـــي حُبِّـــها أَشْــهَبَا
مــدحتُ فقَــصَّر قلبــي المــديحَ | وكـــان مُــرادِيَ لـــو اسْــتَوْعِبَا
وإنِّــيَ فــي وَصــلِها سيِّـــدي | تَرانِـــيَ بـــين الـــورَى أشْـــعَبَا
فباللّـــهِ يـــا نَـــسْمةَ الْبـــانِ إنْ | حَفَفْــتِ علــى حَــيٍّ ذاك الرُّبــى
وجُــزْتِ رِياضــاً بهــا غَــادتِي | فهـــاتِ لنـــا عـــن حُلاهَـــا نَبَـــا
أيــا عــاذِلِي فـــي هَواهــا اتَّئِــدْ | حـــديثُك عنـــديَ مثـــلُ الْهَبَـــا
ســقى اللّــهُ رَوْضــاً بــه سَــادتِي | مـــن الوَبْـــلِ غَيْثــاً بــه صَيِّـــبَا
لأنِّـــيَ بـــاقٍ علـــى عهـــدِهمْ | أرَى حُـــبَّهم مَـــذْهَباً مُـــذْهَبَا

[١١٩٩] عبد الباقي ابن الشيخ الولي بن الزين المزجاجي التُّحَيتي الزبيدي الحنفي[١].

الشيخ القطب، الفرد الجامع، الغوث الإلهي، الصوفي العارف بالله، والدالُّ عليه، الإمام المجمَع على تحققه بالحقائق الغيبية، المنزَّه عما يشينه من كل وسمةٍ رديَّةٍ، الملازم لطاعة الله وذكره، في سرِّه وجهره، المشهور في اليمن بالخير والصلاح، الذي له في قدم الصوفية وطريقهم غررٌ وأوضاح.

وُلد بالتحيتة، وبها نشأ، أخذ عن شيوخ كثيرين باليمن، وأخذ طريق النقشبندية عن العارف بالله تاج الدين الهندي، وبه تخرج، وصار خليفته من

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٨٣).

بعده في طريق النقشبندية، وأخذ عنه خلقٌ لا يحصون، ورحل الناس إليه؛ لأخذ الطريق عنه خلق، منهم: شيخنا أحمد البنا الدمياطي، لازمه مدةً مديدةً، وبه تخرج.

ولم يزل ينفع الناس، حتى نقله الله تعالى إلى دار كرامته في شهر ربيع الآخر، سنة أربع وسبعين بعد الألف، ببلده التحيتة ـ بالتصغير ـ، وهي قريةٌ باليمن، خارج زبيد، وآل المزجاجي قومٌ صالحون، لهم سيادةٌ وشهرةٌ باليمن، وبها دفن ـ رحمه الله ـ.

[١٢٠٠] عبد الباقي بن أبي الخير المنصوري السعداوي.

أحد العدول بمحكمة الباب بمصر، الناظم الناثر، توفي في يوم الأحد، تاسع وعشري رجب، سنة تسع عشرة بعد الألف.

[١٢٠١] عبد الباقي بن عبد السلام بن عبد الملك بن حسين النزيلي.

من أعيان آل نزيل، له الفقه الغزير، والتضلع في الفنون، وله ثروةٌ واسعةٌ، وأحيا الله بـه هجرة الضُّرمِي القِيري، من أجبل نظار، وهو قيدان، سمي باسم نظار، ملكٍ من ملوك حمير، أول من سكنه بعد أبيه وأخيه.

[١٢٠٢] عبد الباقي بن عبدالله العدني ثم الزبيدي.

شيخ القراء، وعديم النظير في زمنه في علوم القرآن[1].

[١٢٠٣] عبد الباقي بن يوسف الزرقاني بن أحمد شهاب الدين بن

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران بياضٌ».

محمد بن علوان الزرقاني المالكي[1].

الشيخ العلامة الإمام، الحجة الفهامة الهمام، من تجملت بدرسه وفتاويه مصر القاهرة، وابتهجت بمؤلفاته أفواه المحابر، وألسنة الأقلام الزاهرة، شرف العلماء العاملين الأفاضل، مرجع المالكية إذا أشكلت المسائل، من امتطى كاهلَ الفصاحة وملكَ زمامها، وعلا ذروة البلاغة وارتقى سنامها، مع رقة طبعٍ كالنسيم، وأخلاق كالروض الوسيم، وطيب محاورةٍ تسكر العقول، ولفظٍ يهزأ بالشَّمول.

وُلد سنة عشرين بعد الألف بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن، ولازم العلامة علي الأجهوري سنين عديدةً، وشهد له بأنه حاوٍ لكل فريدة، وأخذ علوم العربية عن ياسين الحمصي، وشيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وحضر عند شيخنا محمد بن علاء الدين البابلي في دروسه الحديثية، وأجازه جلُّ شيوخه.

وتصدر للإقراء بالأزهر الميمون، في عدة فنونٍ، وحضرتُه في بعض دروسه الفقهية، فرأيته آيةً من آيات الله تعالى في الفنون العلمية، وبيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرحٌ على مختصر خليل» تشد إليه الرحال، وتحط الفقهاء عنده الآمال، وغير ذلك في العلوم العقلية.

توفي ـ رحمه الله ـ ضحى يوم الخميس، رابع وعشري شهر رمضان،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٨٧)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٦)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٧٢).

سنة تسع وتسعين وألف، وباشرتُ غسله مع ولده، وجماعةٍ من أهل الصلاح، وقرئ عليه ـ حال إدراجه في أكفانه ـ حزب السادات بني الوفا؛ كما هو عادة المنتسبين إليهم، وصلى عليه بُعيد الظهر، إماماً بالناس محمد الخرشي، في مشهدٍ حافلٍ، حضره أكابر العلماء والأعيان، بالجامع الأزهر، ودفن بتربة المجاورين.

[١٢٠٤] عبد الباقي بن عبد الرحمن بن علي بن غانم المقدسي الحنفي المصري[١].

إمام الأشرفية بمصر، شيخنا الإمام العلامة، كان من مشاهير الأفاضل بمصر، له انهماك على تحصيل العلوم، وتقييد الفوائد الغريبة، وكان يحفظ منها كثيراً، وحصّل بخطه كتباً كثيرة جداً في فنون، وكان ملازماً للعبادة والاستفادة والإفادة، مترفعاً عن الدنيا وأهلها، لا يتردد إلى أحد إلا في خير، وكان نير الوجه جمالياً، سمح النفس، حسن الصفات، شريف الطباع، مشهوراً بقيام الليل، وإحياء الليالي الفاضلة، وأثر ذلك ظاهر عليه.

قرأ في الفقه على الشمس محمد المحبي، ومحمد الشلي، والشهاب أحمد الشوبري، وحسن الشرنبلالي الحنفيين، وغيرهم، وأخذ بقية العلوم عن كثير، منهم: الشمس الشوبري، وياسين الحمصي، وعلي الشبراملسي، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعبد الجواد الخوانكي، وسري الدين الدروري.

وله «تذكرة» في أربع مجلدات، جمع فيها فأوعى، شكر الله سعيه،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٨٥)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٧٢).

وقد ملكتها ـ ولله الحمد ـ بخطه، وحضرت دروسه في «الجامع» للسيوطي بالأشرفية، وكان يدعـو لي كثيراً، واتفق أني دخلت عليـه يوم عيـدٍ في بيته أعوده، وهو مريضٌ مرض الموت، وكان له ولدٌ صغير، فلما خرجت من عنده، أعطيته شيئاً من الدراهم، فرجع إلى والده، فأخبره، فناداني وقال: في الجنة بابٌ يدخل منه مفرِّحو الأطفال، أرجو الله أن تكون منهم.

توفي ـ رحمه الله ـ بمصر، في شهر جمادى الثانيـ[ـة]، سنة ثمان وسبعين وألف.

ورأيت بخطه من شعره قوله:

صـــادني خِـــشْفٌ ربيـــبٌ ... فـــاتنٌ بالحـــسنِ يَـــسمو
ظـــنَّ عُـــذالي سُـــلُوِّي ... إنَّ بعـــضَ الظـــنِّ إثـــمُ

ومن مؤلفاته: «السيوف الصقال في رقبة من ينكر كرامات الأولياء بعد الانتقال».

[١٢٠٥] عبد الجواد بن محمد بن أحمد المنوفي الحنفي المكي[١].

مفتي مكة، جواد لا يكبو، وحسام فضل لا ينبو، سبق في ميدان الفضل أقرانه، واجتلى من سعد جده ومجده أقرانه، وولي القضاء مرةً بعد أخرى، فكسي بصبه شرفاً وفخراً، ثم تقلد منصب الفتوى، فبرز فيها الغاية القصوى، مع تحلِّيه بالإمامة والخطابة، والهمة التي ملأ بها من الثناء وِطابَه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٠٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٧٤) (٢٩٤)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٢٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٦).

وكانت له عند شريف مكة المنزلة العليا، والمكانة التي لا تنافسه فيها الدنيا، إلى أن دعاه ربه، فقضى نحبه، وتوفي خامس شوال، سنة ثمان وستين بعد الألف، بالطائف الميمون، ودفن بقرب تربة ابن عباس ﷺ.

وقفت له على رسالةٍ في شرح البيتين المشهورين، وهما:

مــن قِــصَرِ الليـــل إذا زارتْنـــي ... أشــكو وتَــشْكين مــن الطــولِ

عـــدوُّ شــــانيك وشــــانيهما ... أصـــبح مـــشغولاً بمــــشغولِ

سماهـا. . .[1] أغرب فيها وأبدع، وأدار بها على المسامع كأس أدب مترع.

ومن شعره قوله:

أتــزعم أنــك الخــدن المفــدَّى ... وأنـــت مــصادقٌ أعــداي حَقَّــا

إلــيَّ إلــيَّ فــاجعلني صــديقاً ... وصــادقْ مــن أصــادقُه مُحِقَّــا

وجانِــبْ مـــن أُعاديـــه إذا مــا ... أردتَ تكــونُ لــي خِــدْناً وتبقــى

وهو ينظر إلى قول الآخر:

إذا صــافى صــديقُك مَــنْ تعــادي ... فقــد عــاداكَ وانفــصلَ الكــلامُ

وبينـه وبين أهـل عصره من المكيين وغيـرهم مطارحـاتٌ ومراسلاتٌ كثيرةٌ، وله في الأشراف الحسنيين ملوكِ مكة مدائح خطيرة، أعرضت عنها؛ لطولها.

---

(١) بياضٌ في الأصل.

[١٢٠٦] عبد الجواد المصري الشافعي[١].

قال النجم الغزي في «الذيل»: كان يعلم الأطفال بالبقاع، وغيره من أعمال دمشق، ثم قطن دمشق، فقرأ بها العلم، وحصّل طرفاً صالحاً، ثم غلب عليه الجذب، وكان يكره التسمية بعبد الجواد، ويقول: ما أسمي نفسي إلا محمد، ويعتذر عن ذلك، بأن العامة تشدد الواو، فيكون تسميته سبباً لتغيير اسم الله تعالى.

وكُفَّ بصره في آخر أمره، وكان السبب في ذلك: كثرةُ كشفه رأسَه، وكثرة صب الماء البارد عليه، ثم مات بعلة الاستسقاء، في أواخر محرم، سنة سبع عشرة ـ بتقديم السين ـ وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٢٠٧] عبد الجواد بن شعيب العلامة بن أحمد بن عياد بن شعيب، القنائي الأصل، الخوانكي المولد والمنشأ، ثم المصري، الشافعي الأنصاري، القاضي الوفائي[٢].

من علماء مصر وأدبائها، صوفي المشرب، أخذ عن النور الزيادي، ومن في طبقته، وعنه: أخذ شيخنا عبد الباقي المقدسي الحنفي، وكان يلهج بذكره كثيراً، ويورد لي كثيراً من لطائفه، ويشير إلى معارفه، وكان المترجم إذا حدث، أعجب، وأبدع وأغرب، وكان كثير الحفظ للأشعار، ونوادر الأخبار،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٨٧) (١٧٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٠٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٠١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٨٥) (٣٤٤)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٧٦).

إلى نظرٍ في العلم دقيق، وزيادة حذقٍ وتدقيق، وتقوى ظاهرة، ومظاهر باهرة.

له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: رسالة بديعةٌ في الاستعارات، سماها: «القهوة المدارة في تقسيم الاستعارة»، و«نظم الورقات»، و«النسيم العاطر في تقسيم الخاطر»، و«العظة الوفية في يقظة الصوفية»، و«كشف الريب عن ماء الغيب»، و«شرح الأبيات الثلاثة»، وهي:

توضَّأْ بماء الغيب إن كنت ذا سر ... وإلا تيممْ بالصعيدِ وبالصخرِ
وقدم إماماً كنت أنتَ إمامَه ... وصلِّ صلاة العصر في أولِ الفجرِ
فهذي صلاة العارفين بربهم ... فإن كنت منهمْ فامرجِ البر بالبحر

ونظمه حسنٌ، منه قوله:

ما اصْطَفى قلبيَ إلاَّ مُصْطَفى ... هُوَ حَسْبي من حبيبٍ وكَفَى
أسْعَدَ اللّهُ تعالى طالِعاً ... حَلَّ فيه وأراه الشَّرَفَا
ما عليه لو سَقاني رِيقَهُ ... إنه الشُّهْدُ وفي الشُّهْدِ شِفَا
إنْ وَفَى الدهرُ به في ليلةٍ ... فهْو عندي دائماً أهلُ الْوَفَا

وقدم مكة حاجاً، وجاور بها سنة ثلاث وستين وألف، وأخذ عنه بها كثيرٌ من فضلائها، ورجع إلى بلده، واستمر بها إلى أن توفي بها، سنة ثلاث وسبعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٢٠٨] عبد الجواد بن قاسم بن محمد بن شرف الدين البصير المحلي الشافعي المقري.

عالم في الفروع والأصول، جائل في حومة المعقول والمنقول، بالشهرة مخصوصٌ، وبالسمعة منصوصٌ عليه في القراءات بالحروف السبعة، رحلةٌ في فنون القرآن، حسن التقرير والبيـان، نفع من تردد إليه، وامتاز به من قرأ عليـه، يتلطف بالأصاغر، ويتأدب مع الأكابر، لـه أخلاقٌ جميلةٌ، ومناقبُ طويلةٌ.

مولده بالمحلة، سنة خمسين وألف، قدم مصر، فقرأ بالروايات، من طريق السبعة والعشرة على شيخنا خاتمة المحققين والقراء علي الشبراملسي، واختص به، ولازمه سنين، وقرأ بالروايات بأمر من شيخه المذكور على شيخنا سلطان المزاحي، واشتغل بالفقه والعربية، وكثيرٍ من الفنون عليهما، وعلى مشايخ الأزهر، وأجازه كثير.

وتصدر للإقراء والإفادة، وانتفع الناس بـه، وجاور بالحرمين سنين، واجتمعت به، وصار بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، وأجازني بمروياته، ورجع إلى مصر سنة ألف ومئة وأربع عشرة.

[١٢٠٩] عبد الجواد بن نور الدين البُرُلُّسي[١].

بضم الموحدة والراء، واللام مع تشديدها، نسبةً إلى البرلس، ثغرٌ عظيمٌ من سواحل مصر، الشافعي، خطيب الجامع الأزهر، الإمام الجليل الذي فضله أعظم من أن يذكر، وأشهر من أن يشهر، أخذ عن والده، وبه تخرج، وبرع وتفنن في علومٍ كثيرةٍ، ونظم الشعر الفائق، واشتغل برهةً بعلوم الرقائق.

وكان خطيباً مِصْقَعاً، وترى لفظه من فصاحته موشياً، إذا انحدر[٢] من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٠٥).

تلعته ماء بلاغته، سال ببطحاء مصر سلسال براعته، شهد بفضله الناس من فاجر وبَرّ، وكاد أن يحضر تحته أعواد كل منبر. شعر:

وتهتــزُّ أعــواد المنــابر باســمه فهل ذكرتْ أيامَهـا وهـي أغـصانُ

ولم يزل حتى دعاه الله إلى لقائه، فتوفي خامس عشر شهر رمضان، سنة أربع وثلاثين بعد الألف بمصر ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٢١٠] عبد الجامع بن أبي بكر بارجَا الحضرمي[1].

نزيل مكـة، صاحبنا الفاضل، العارف الكامل، كان ـ رحمه الله ـ في غاية التقشف والورع، والزهد والانجماع عن الناس، وُلد بسيؤون، وبها نشأ، ولازم خاله عبد الرحمن بارجَا، وأخذ عنه، ورباه، وأحسن تربيته.

ورحل إلى «تريم»، وأخذ عمن بها من أكابر السادة، منهم: السيد زين العابدين العيدروس، وأحمـد بن عبدالله العيدروس، وسقاف العيدروس، وأبو بكر بن شهاب، وأخواه: الهـادي، وشهاب الدين، وأحمد بن حسين بلفقيه، والسيد حسين بن أبي بكر بن سالم صاحب «عينات»، وأخوه الحسن، وحصل له مزيد العناية.

وارتحل إلى مكة، وأقام بها، ولازم السيد أحمد بن الهادي في دروسه، والسيد محمد بن علوي، وألبسه الخرقة، ولقنه الذكر، وحصل له منه المدد العظيم، والنور الجسيم، ولازم الشيخ عبد العزيز الزمزمي في دروسه الفقهية، والشيخ محمد الطائفي، ثم لازم دروس شيخنا محمد البابلي في دروسه كلها،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٩٨).

تفسيراً وحديثاً، وفقهاً وأصولاً، وغيرهـا، وأخذ عن الوافدين إلى مكة من أهل مصر واليمن.

وزار النبي ﷺ مراراً، وأخذ بالمدينة عن الشيخ عبد الرحمن الخياري، وصحبه بها السيد زين باحسن، وكان ملازماً للعبادات، والوظائف الشرعية؛ من الجمعة والجماعة، والسنن المؤكدة، والحج والعمرة، والصيام والقيام، وذكر الله في كل حال.

واختص بصحبة السيد عيدروس بن حسين البـار، فكـان ملازماً لـه، وكان السيد ـ نفع الله به ـ قائماً بما يحتاجـه من كسوةٍ ونفقـةٍ وغيرها، وزار معه النبي ﷺ مرات، وزار معه الحبر ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف، وأخذ به عن الشيخ عبدالله الجبرتي، ولم يتزوج أبداً، وكلما عرض عليه ذلك، لم يقبل، وكان معتقَداً جداً، لاسيما لأهل الطائف والهند.

ولم يزل على الحال المرضي، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، يوم الأحـد، سادس ذي القعـدة، سنة اثنتين وثمانين بعـد الألف، ودفن بمقبرة الشبيكة، تحت الظلة، وحضر جنازته عالمٌ كثيرٌ، وتُركت يوم موته الدروس، ولم يخلف شيئاً من الدنيا، سوى ثيابه التي يلبسها، وفراشه ـ رحمه الله تعالى، ونفعنا به آمين ـ.

[١٢١١] عبد الجواد بن إبراهيم الطريني المالكي[١].

كان في أعصرنا ممن أدرك أكابر علماء الأزهر، وله سندٌ عالٍ، ومشاركةٌ في كثيرٍ من العلوم، وكان ملازماً للتدريس، حسن التقرير، كثير المداعبة،

---

(١) «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥١٤).

اجتمعت به، وكان يدعو لي، ويحثني على الاشتغال بالعلم.

ولـه مؤلفـاتٌ غالبها في مسائل تتعلق بالحديث، أجاد في كثير منها، ومن مؤلفاته: «يتيمة الدرر ونتيجة الفكر مما ورد في بدء خلق ونسب وحمل وميلاد ورضاع خير البشر»، و«الدر والمرجان في أن ولد الزنا لا يدخل الجنان»، و«إزالـة الران وإغاثـة اللهفان عن قول من قال يثاب القارئ مطلقاً، ولو لم يفهم التبيان»، و«الإبانة والإعلام بغاية الإلهام لإيضاح وتبيين سلامه ﷺ على من أسلم من أمته دون سائر الأنام»، توفي في أوائل سنة ثلاث وسبعين وألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين.

[١٢١٢] عبد الجليل بن سُنين ـ بالتصغير ـ الحنفي الطرابلسي.

صاحبنا الشيخ الفاضل الجليل، اللوذعي الكامل النبيل، الذي نشأ في طاعة الله وعبادته، وقطع ريعـان عمره في الاشتغال بالعلم النافع وآلته، ذو العفاف والعبادة والصلاح، والمروءة والعقل والسماح.

له الفهم الثاقب، والرأي الصائب، مع صدق الفراسة، وحسن الصحبة والسياسة، والأناة التي لا تستفزها العجلة في أفعاله، وتجري مكارم الأخلاق في جميع أحواله، والإدمان على مطالعة الكتب النافعة، قلّ أن يفتر وقتاً عن المطالعة، وله في العربية ملكة قوية، وإذا سئل عن مسألةٍ تتعلق بها، أحسن الجواب على البديهة.

وُلد بطرابلس الشام، وبها نشأ، وتفقه على مفتيها علي البصير الحنفي، وأخذ علوم العربية عن العلامة محمد بن عبد الحق، ومحمد بن عبد المولى، ثم قدم مصر، وأخذ عن جمعٍ من علمائها؛ كالسيد أحمد الحموي، وشيخنا

أحمد البشبيشي، وصحبته مدةً مديدةً، وبيني وبينه محبةٌ أكيدةٌ، وقرأت عليه طرفاً من «شرح القطر» لمصنفه، ثم رجع لبلده، وهو الآن بها مكبٌّ على الإقراء والتدريس[1].

[١٢١٣] **عبد الحفيظ بن عبدالله المهلا الهَدَوي الشرفي[2].**

كان ـ فيما كتب إليَّ حفيدُه العلامة القاضي الحسينُ بن ناصر بن عبد الحفيظ ـ إماماً في علوم الاجتماع، له فضائل أذعنت لها أرباب التحقيق في جميع البلاد، وكان يملي من التحقيق في جميع العلوم، ما تنشرح له صدور الأمجاد، ويحفظ في جميع العلوم مؤلفاتٍ عديدةً، مع شروحها؛ بحيث كان لا يمر في طريقٍ أو غيرها، إلا وهو يملي على من صحبه من فوائدها، وينبه على مباحثها، سهل الإملاء، عظيم الاطلاع، لطيف الشمائل.

وكان لا يمر في علم التفسير والفقه، والحديث واللغة، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والعروض، وسائر العلوم راوٍ، إلا وأملى أحواله وأخباره، ونظمه ونثره، وسيرته ووفاته، وما يتعلق بذلك من جرحٍ وتعديلٍ، وضبطٍ وحفظٍ، ولا يثبت شعراً، إلا وأملى ما بعده وقبله، وقائله وأخباره، وسبب نظمه.

وكان من الملكة في الأصولين ـ أصولِ الفقه الذي عليه مدار الاجتهاد،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ستة أسطر بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٠٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٧٠) (٢١٤)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٥١) (٣٢٨)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١/ ٦٣٣).

وعلم أصول الدين، الذي به يعرف رب العباد ـ بأعلى المراتب، ومن سائر العلوم بالمحل الذي لا يخفى على أحدٍ.

أخذ عن والده، وسمع عليه كتباً كثيرةً من كتب الفروع، منها: «الأزهار» للإمام المهدي، و«شرحه» لابن مفتاح، و«التذكرة» للفقيه حسن، و«الكواكب» عليها، و«الأحكام» للهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، و«شرح القاضي زيد»، إلا الربع الأخير، و«البيان» لابن مظفر، و«التبيان» له، و«البستان»، و«البحر الزخار» للإمام المهدي، و«شرحه» للإمام عز الدين، وابن مرغم، و«الأثمار» للإمام شرف الدين، «وشرح ابن بهران عليه»، و«تخريج أحاديث البحر» له، وغير ذلك من كتب الفقه.

وسمع عليه من كتب أصول الفقه: «المعيار»، و«شرحه للمنهاج» للإمام المهدي، و«الفصول وحواشيه»، و«مختصر المنتهى» لابن الحاجب، و«شرحه» للقاضي عضد الدين الإيجي»، و«حاشية سعد الدين التفتازاني عليه»، و«الرفو» للنيسابوري، و«الكافل» لابن بهران.

ومن كتب النحو: «الكافية» لابن الحاجب، و«شرحها» لنجم الدين بن سعيد الرضي، و«شرح ابن مياح عليها»، و«شرح الرصاص عليها»، و«حاشية السيد المفتي عليها»، «والخبيصي»، و«الطاهرية وشروحها»، و«المفصل وشروحه المتداولة»، ومن كتب التصريف: «الشافية» لابن الحاجب، و«شرح الرضي عليها»، و«شرح ركن الدين عليها».

ومن كتب المعاني والبيان: «التلخيص» للقزويني، و«شرحاه[1] الكبير والصغير» لسعد الدين التفتازاني، و«مفتاح السكاكي»، و«شرحه» للسيد الشريف.

ومن كتب اللغة: «كفاية المتحفظ»، و«ضياء الحلوم»، و«القاموس المحيط»، و«ديوان الأدب»، و«نظام الغريب»، و«المقامات» للحريري، و«شرحها» للمسعودي، وغيرها.

ومن كتب الفرائض: «المفتاح» للغضنفري، و«شرح الناظري عليها»، و«شرح الخالدي»، إلا الضرب آخره، و«الوسيط» للقاضي أحمد بن نسر، و«شرح الأعرج على المفتاح».

ومن كتب التفسير: «الكشاف» لجار الله الزمخشري، و«الثمرات» للفقيه يوسف، و«تجريد الكشاف»، و«الإتقان» للسيوطي، و«شرح الخمس مئة» للنحوي، و«تهذيب الحاكم والبغوي والبيضاوي».

ومن كتب المنطق: «إيساغوجي»، و«شرحه» للكاتي، و«الرسالة الشمسية»، و«شرحها» لقطب الدين الرازي، و«التهذيب» لسعد الدين، و«شرحه»، للشيرازي واليزدي.

ومن كتب العروض: «المختصر الشافي» لابن بهران، وغيره.

ومن كتب الطريقة: «تصفية الإمام يحيى»، و«الإرشاد» للعبسي، و«كنز الرشاد» للإمام عز الدين، و«كتاب البركة» للجيشي، وغيرها.

وفي أصول الدين: «المعيار» للنحري، و«المنهاج» للقرشي، و«شرحه» للإمام عز الدين، و«شرح الأصول الخمسة» للسيد مانكديم، و«شرح قواعد النسفي» لسعد الدين، وسمع عليه: «سيرة ابن هشام»، و«بهجة العامري»، و«شرحها» لمحمد بن أبي بكر الأشخر، و«تاريخ ابن خلكان»، و«تاريخ الربيع»، و«البسامة»، و«شرحها» للرحيف.

ومن كتب الحديث: «أصول الأحكام» للإمام أحمد بن سليمان، و«شفاء الأمير الحسين»، و«تتمة للسيد»، وغيرها، وأجاز له سائر مسموعاته على كثرتها.

وأما ما سمعه على غيره، فكثيرٌ، فسمع «الأساس» على مؤلفه الإمام القاسم بن محمد بن علي بداره بحصن شهارة، وأجازه به وبمروياته.

وسمع طرفاً من علوم أهل البيت على الإمام محمد المؤيد بن القاسم.

وسمع «غاية السول» على مؤلفه السيد الحسين بن القاسم، مع إملاء ما تيسر من شرحه، مع المعاونة بالنظر في المباحث.

وسمع «الشرح الصغير»، و«المطول» للسعد على السيد العلامة أحمد ابن محمد بن صلاح، وعلى القاضي العلامة الحسن بن سعيد العيزري.

وسمع «إيساغوجي وشرحه» على السيد العالم الناصر بن محمد، المعروف بابن بنت الناصر، بصنعاء المحروسة.

وأخذ علم العروض عن الفقيه الأديب محمد بن عبد الوهاب العروضي، وسمع القرآن الكريم لنافع وراوييه على الفقيه المقري المهدي البصير بصنعاء، وعلى الفقيه صلاح الواسعي، كذلك في مسجد داود بصنعاء، وعلى الفقيه محمد بن صالح الأصابي المكي.

وسمع «صحيح البخاري»، و«مسلم»، و«الجامع الصغير»، و«ذيله» للسيوطي، و«تمييز الطيب من الخبيث في علم الحديث» للربيع، و«التيسير الجامع للأمهات الست» ـ البخاري، ومسلم، والموطأ، وسنن أبي داود السجستاني، وجامع أبي عيسى الترمذي، وسنن أبي عبد الرحمن النسائي

ـ على الشيخ الإمـام العلامـة المحـدث محمـد بن الصديق الخاص السراج الحنفي، سنـة تسع وأربعين، وبعضـه في سنة خمسين، وأجازه بمروياتـه، بإجازةٍ كتبها له سنة خمسين.

وسمع ـ أيضاً ـ «صحيح البخاري» على الفقيـه العلامة علي بن أحمد الحشيبري، وسمع على الفقيه العلامـة أحمـد بن عبد الرحمن مطير «جمع الجوامع» للسبكي، و«صحيح البخاري»، و«تفسير البغوي» في «بيت الفقيه» الزيدية، وفي مدينة زبيد، وسمع «صحيح البخاري» ـ أيضاً ـ على الفقيه العلامة عبد الوهاب بن الصديق الخاص الزبيدي، وسمع «الجامع الصغير»، و«صحيح مسلم» على الفقيه العلامة محمد بن عمر حشيبر الحافظ المحدث في «بيت الفقيه» الزيدية.

وكان يحضر ـ في قراءة هـذه الكتب ـ ما يتعلق بها من المصنفات في علوم الحديث ورجاله، وتفسير غريبـه، وأجازه مشايخـه المذكورون سائر مسموعاتهم[1] ومجازاتهم، وذكـر له عدة أسانيد، أعرضتُ عنها؛ لطولها، وبما ذكرناه تعرف جلالة قدره، وطول باعه، في جميع العلوم وارتجالاته، التي سارت مسير النجوم.

ولـه أجوبـةٌ كثيـرةٌ على مسائل وردت إليـه من علمـاء ذلك الزمـان، ورسائل بليغةٌ، وخطبٌ رائقـةٌ، وأشعارٌ فائقـةٌ، ذكرت شيئاً منها في ترجمة ولده الناصر.

ولما أنشد بعض من حضر مجلس سماعه في الحديث، بزبيد المحروسة،

---

(١) في الأصل: مسموعاته، والصواب ما أثبت.

على شيخه محمد الخاص الحنفي، بيتي ابن حزم الظاهري، وهما:

إن كنتِ كاذبةَ الذي حَدَّثْتِني ... فعليكِ إثمُ أبي حنيفة أو زُفَرْ
الواثبينِ على القياس تمرداً ... والراغبينِ عن التمسكِ بالأثرْ

أخذ الشيخ في ذم ابن حزم؛ لأجلهما، فقال صاحب الترجمة بديهة:

ما كان يَحْسُن يا بنَ حزمٍ ذَمُّ مَنْ ... حازَ العلومَ وفاقَ فضلاً واستَمرْ
فأبو حنيفَة فضلُه متواترٌ ... ونظيره في الفضل صاحبُه زُفَرْ
إن لم تكنْ قد تبتَ من هذا ففي ... ظني بأنك لا تباعد من سَقَرْ
ليس القياسُ مع وجودِ أدلةٍ ... للحكم من نصِّ الكتابِ أو الخبرْ
لكنْ مع عدم تقاسُ أدلةٌ ... وبذاك قد وَصَّى معاذاً إذ أمرْ

فأُعجب الحاضرون بذلك، وكتبوه في الحال.

وحضر مجلس التدريس في بعض الأيام، وهو في قميصٍ أزرقٍ، ووجهه يتلألأ كالقمر، فأنشده ولده الناصر في الحال:

أبدرٌ بدا في لونِ زرقاءَ أخضر ... تضوَّعَ من طيبين مسكٍ وعنبرِ
فقد انتعلَ الجوزاءَ مجداً ورفعةً ... كما أنه للجود والحمدِ مشتري
بنى عرشَه فوقَ السماك علومُه ... سرى هديُها في كل واعٍ ومُبصِرِ
ويُملي لنا من كل فن دقائقاً ... يضن بها عن أن تُباع بجوهرِ
فلله من قاموس علمٍ وبحره ... محيط بأنباء صحاحٍ لجوهري
وعلم حديث والأصولين إنها ... لمن بعض ما يملي ويقري وأيسرِ

حقيقٍ بما قد قاله خيرُ ناظمٍ خبير بأرباب المكارم أشهرِ
فما خُلقت إلا لطرس أكفُّه وأقدامُهُ إلا لسرجٍ ومنبرِ

وله ـ رحمه الله ـ من الفضائل والفواضل، والتحقيق في العلوم، ولطائف النظم والنثر، ما لا يأتي عليه الحصر.

ولما نقل الله روحه الكريمة إلى جواره، في ليلة الخميس، سلخ شهر ربيع الأول، سنة سبع سبعين بعد الألف، حضر الصلاة عليه عالمٌ كبيرٌ من جميع جهاته، وكان يوماً مشهوداً بالأشعاف، من أعمال الشجعة.

ورثاه علماء العصر، وأكابر الدهر بمراثٍ بليغةٍ كثيرةٍ:

منها: قول السيد جمال الدين محمد بن صلاح بن الهادي الوشلي، قصيدةٌ منها:

الله أكبرُ كلُّ خطبٍ هينٌ إلا على عبد الحفيظ فيكبُرُ
حبرُ الأنامِ وحجةُ الإسلام إن أمرٌ عدا والعاقبُ المتبصِّرُ
أعطى الجهادَ حقوقَه وسمت به للاجتهاد عوارفٌ لا تُنكَرُ

ومنهم: العلامة علي بن محمد بن سلامة، عالم صنعاء، رثاه بقصيدةٍ أولها:

مادتْ جبالٌ بالتهائم والشرفْ وذوت غصونٌ للفضائل والشرفْ
وتضعضعَتْ أركان مجدٍ شامخٍ للفضل في العلم الشريفِ لمن عرفْ

ومنها:

أما إذا عبدُ الحفيظ ثوى فلا تحفِلْ بعلمٍ بعد ذاك إلى طرفْ

ومنها:

مـا ناصـرٌ إلا حَميـدُ الفعـلِ مجْــ ـموعُ الفضائلِ حائزٌ أسنى الشرفْ

إن كانَ والدُه الخـضمُّ ثـوى فقـدْ أبقى لـه خلفاً ويـا نِعْـمَ الخلـفْ

ورثاه السيد الإمام يحيى بن أحمد الشرفي، نظماً ونثراً، منه: قوله أول قصيدة:

قـضاءٌ لا يُــرَدُّ ولا يُعــاب وحكــمٌ مــن مــدبره صــوابُ

ورثاه القاضي حفظُ الله بن محمد سهيل بقوله:

هل قد دهى البحرَ المحيط نـضوبُه أم ذي الجبـالُ الراسـياتُ تُـسَيَّرُ

أو آن منهـا نَـسفُها أم دُكَّـتِ الْــ أرضـونَ أم هـذي الـسماءَ تَفطَّـرُ

أم مات ذو الفضلِ الشهيرِ ومَنْ له بـين الخلائـقِ مفخـرٌ لا يُنْكَـرُ

عبدُ الحفـيظِ العـالمُ العلامـةُ النْــ ـنَدْبُ الـذكيُّ العـارف المتبحِّـرُ

ذو الاجتهادِ وذو الجهـاد فمنهمـا يحمى العشارُ بـه ويحمـى العِثْيَـرُ

منها:

قد كـان أصـلاً للعلـوم فمـا ذوى لمــا ثــوى والفــرعُ منــه مثمِــرُ

وهي طويلةٌ رائقةٌ.

ورثاه حفيـده القاضي حسين بن الناصر بمراثٍ طويلةٍ، منها: قصيدةٌ أولها:

الأرض ترجفُ والسحائبُ تُمطر لوفـاةِ بحـرٍ بالفـضائل يزخَـرُ

منها:

عَـضُدٌ لأربـابِ الأصـولِ وغايـةٌ منها الشموسُ بـدت لنـا والأقمرُ
وبفكره الـصافي تحـصَّلَ للـورى علـم بــه تــصديقهُ يتــصورُ
وغــدتْ قــضاياها موجهــةً بمـا يدري بغـامض أمرهـا مَـنْ يبـصرُ

ومنها:

فالمجـدُ مرفـوعٌ بـذاك ومرسَـل وكَافــه يــا حَبَّــذا مــا يمهــرُ
لـم ينقطـع عـن فـضله ذو فطنـة فيقــال متــروكٌ هنــاك ومنكَــرُ
لـم يبـقَ للموضـوع فـي أيامـه أصــل يُــشاد ولا طريــق يظهــرُ

وهي طويلةٌ.

[١٢١٤] عبد الحليم المعروف بأخي زاده[١].

أحد الموالي الرومية، وأحد فضلائها المبرزين، خصوصاً في فقه الحنفية، تولَّى قضاء العسكر، واتفق أهل الروم أنه ليس في قسطنطينية في عصره من هو أفضل منه، ومن أسعد أفندي الخوجة، ثم اختلفوا أيهما أفضل؟ وبلغني: أن المترجَم كان أفقـه، وأسعد كان أعلمَ بالمعقول، توفي في حدود إحدى عشرة بعد الألف بالقسطنطينية.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٨٨) (١٨٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣١٩)، «هدية العارفين» (١/ ٥٠٤).

[١٢١٥] عبد الحليم الملقب بحلبي المشهور بعجم زاده[١].

كان من تلامذة شيخ الإسلام أبي السعود العمادي، ثم لازم بعده محمد ابن معلول، وكان له مشاركةٌ جيدةٌ في علومٍ كثيرةٍ، سكن دمشق قبل الألف، وعُين لـه ما يكفيـه، وولي تدريس الجقمقيـة بعـد الشيخ شرف الدين شيخ الأطباء، وكـان يتردد إلى القضـاة والوزراء، فيكرمونه؛ لعلو سنه، واتصاله بالمتقدمين من أكابر علماء الروم.

مات يوم السبت، عاشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، عن نحو مئة سنةٍ، بمسكنه في المدرسة البلحية، جوار المدرسة الصادرية، وأعطي سكنه بعده للشيخ العارف بالله أيوب الخلوتي الصالحي، ودفن بمرج الدحداح.

[١٢١٦] عبد الحفيظ بن عبد الباقي النزيلي.

انتهت إليه رياسة آل نزيل في عصره، كان في العلم فريداً، بحراً زاخراً، حسن الأخلاق، طاهر الأعراق، تَلَّأَ لكتـاب الله تعالى، لا يفتـر عنـه ليلاً ولا نهاراً، ملازماً للنوافل، كثير الحفظ، أملى عليه بعض أصحابه كلاماً على مسألةٍ من القرون إلى خفاش، وبينهما مسافةٌ طويلةٌ، توفي - رحمه الله - ثالث جمادى الآخرة، سنة تسع عشرة وألف.

[١٢١٧] عبد الحليم بن عبد الباقي النزيلي.

الولي الكبير، كان من أكابر الأولياء، ولما مرض أخوه عبدالله، دعا الله

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٨٩) (١٨١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٢٤).

سبحانه أن لا يريه في أخيه ما يكره، فمات قبله بأربعة أيام، في يوم الإثنين، ثامن شهر رجب، سنة ثلاثين بعد الألف.

[١٢١٨] عبد الحليم بن محمد الرومي الحنفي، الشهير بأخي زاده.

عالمٌ مشهورٌ، له «حاشيةٌ على الهداية» في الفقه، توفي سنة ثلاث عشرة بعد الألف.

[١٢١٩] عبد الحق بن سيف الدين الترك، البخاري الأصل، الدهلوي المنشأ والمولد[١].

أخذ بمكة عن الشيخ عبد الوهاب المتقي، وأخذ عن الشيخ علي القاري، وله مؤلفاتٌ، منها: «شرح عربيٌ على المشكاة»، و«آخر فارسي»، و«مدارج النبوة في السيرة فارسي» ترجم فيه «المواهب اللدنية».

ومن محاسن كلامه: ليس في التردد إلى من ليس فيه فائدةٌ فائدة، وهذا يقال له في فن البديع: التزايد، ومثله قول بعضهم: ليس فيما ليس به باسٌ باس، فلا يضر المرء ما قال الناس، والمقدم في هذا: قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. انتهى.

[١٢٢٠] الملا عبد الحكيم بن شمس الدين السالكوتي الهندي الحنفي[٢].

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٨٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣١٨)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٨٣).

علامة الهند، وإمام العلوم، وترجمان المظنون منها والمعلوم، كان من كبار العلمـاء وخيارهم، مستقيم العقيدة، صحيح الطريقة، صادعاً بالحق، مجاهراً بـه الأمراء والأعيان، وكان رئيس العلمـاء عنـد سلطان الهنـد خرم شاهجهان لا يصدر إلا عن رأيه.

ولم يبلغ أحدٌ في علماء الهند في وقته ما بلغ، ولا انتهى إلى ما انتهى، جمع الفضائل عن يدٍ، وحاز الكمال والانفراد وانفرد، وأفنى كهولته وشيخوخته في الانهماك على العلوم، وحل دقائقها، ومضى من جليلها وغامضها على حقائقها.

وألف مؤلفاتٍ عديدةً، منها: «حاشيةٌ على البيضاوي»، و«حاشيةٌ على مطول السعد ومختصره»، و«حاشيةٌ على الخيالي على سعد الدين» و«حاشيةٌ على شرح الشمسية للقطب»، وهي من غرر مؤلفاته، و«رسالةٌ في العلم»، و«حاشيةٌ على المقـدمـات الأربـع من شرح التلويح»، و«حاشيةٌ على شرح العقائد النفيسية»، و«شرح تصريف العزي للسعد»، وغير ذلك، وكانت وفاته في نيف وستين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٢٢١] عبد الحميد بن عبدالله بن إبراهيم السندي الفاروقي الحنفي[1].

نزيل مكة المشرفة، الشيخ الجليل، حميد الخصال، جميل الفعال، صاحب معارفَ وفنونٍ، وأعمالٍ تأرَّجَتْ بها الصفا والحَجون، أصله من أرض السند الإقليمِ الشهير، ونشأ فيه على فضلٍ كثيرٍ، ورحل إلى الحرمين، وصحب كثيـراً من العلمـاء الأفاضـل، وأخـذ عن جمـعٍ من الأماثل، منهم: الشيخ

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٢٧).

عبد الرحمن أبو الفضل زين الدين، تلميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني، ومنهم: أخوه، وكان وافر الصلاح، سافر المصباح.

وحصل له بمكة جاهٌ واسعٌ، وصيتٌ شاسعٌ، وكان صوفي الأخلاق، كثير الخوف والاشتياق، خشن العيش في مأكله وملبسه، حسن العشرة في خلوته ومجلسه، ولم يزل بمكة إلى أن انقضت مدة حياته، فتوفي بها ـ رحمه الله ـ، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف، وعمره نحو تسعين سنة، ودفن بالمعلاة، بجنب قبر أخيه ـ رحمه الله ـ، ومدة إقامته بمكة تسع سنين ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى عليين ـ.

[١٢٢٢] عبد الحي بن أبي بكر، الشهير بابن الخليفة، الحنفي الشامي، الشهير بطبرز الريحان[(١)].

شاعر دمشق الآن، وفارس ذلك الميدان، وحاز قصب السبق فيه بالاتفاق، مع شرف نفسٍ وحسن أخلاق، ورصانةٍ تسحق بها الأطواد، وفضلٍ شهد له بالتقدم في كل ناد.

وُلد بدمشق، وبها نشأ وتأدب، وبرع وترعرع، وقدم مصر، وأخذ عمن بها من الأكابر، وشهد له بالتقدم في فنه كل معاصر، مع أن المعاصر لا يناصر.

وحج عام سبعة وتسعين بعد الألف، ولم يقدر لي الله سبحانه الاجتماع به بمكة، وكانت وفاته بدمشق، في ذي القعدة، سنة تسع وتسعين وألف، وقبر بمقبرة الفراديس، ورأيت له شعراً يستلب العقول والألباب، ويأخذ برقته

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٢٥٤) (١٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٢٨).

مجامع القلوب إذا أدير بين الأصحاب.

فمنه قوله:

نفـــسٌ أمانيهـــا تُعلِّلُهـــا ... تَعُلُّهـــا تـــارة وتَنْهَلُهـــا
ولوعـةٌ فـي الـضلوع أصـعبُ مـا ... يـذيب صـلدَ الحجـار أسـهلُها
غـداةَ بـانوا فـلا وربـك مـا ... ظننتنـي فـي الركـاب أثقلهـا
رفقاً بهـا حـادي المطـي ففـي ... خلـب فـؤاد المحـبُّ أرجلُهـا
وفـي سـبيل الغـرام لـي كبـد ... تبيـت أيـدي النـوى تُمَلْمِلُهـا
تعلـــة للمنـــون قائـــدة ... آخرُهـــا قاتـــلٌ وأولهـــا
أُســاورُ الــنجمَ أبتغــي قِـصَراً ... لليلتـــي والجَـــوى يُطَوِّلُهـــا
وليتَ ساجي اللحـاظ يـرحم مـن ... يبيـــت مـــن أجلهـــا يُـــدَمِّلُها
الله فـــي ذمـــة أضـــعت وفـــي ... حـــشاشة مَلَّهـــا مُعَلِّلُهـــا
أمـــا وجفنيـــك والفتـــور ومـــا ... أورث جـــسمي ضـــنا تـــذبلُها
وأســـهمٍ قـــد أراشـــها حـــور ... تقـصد حَـبَّ القلـوب أنـصُلُها
لمهجتـي فـي هـواك تكبـر أن ... يـــصدَّها مـــا يقـــولُ عُـــذَّلُها
إلامَ تغـضي وفـي الحَشا حُـرَق ... لا تـستطيع الجبـالُ تحملُهـا
صـــبابةٌ إن أردت أكتمهـــا ... عنـك فـذاك الهـوى يفـصلُها
أو جـــم تـــاللهِ إذ رآك فقـــد ... أعجـــز عـــن كلمـــة أحـــصلها
ومنطقـي فيـك مـن فـصاحته ... يعـــود سَـــحبانُ وهـــو باقلُهـــا
وهـــذه حالـــة الكئيـــب ولـــو ... جحـــدتها مـــا أظـــن تجهلُهـــا

تركتني واستعضت عني من أخفُّ ألفاظه أثاقِلُها
أعدمَني الله في الهوى فئة ثناك عن وصلتي تقولُها
هم أشربوا طبعك القساوة هل نراك يوماً للعطف تبدلُها
أما عرفت العفاف من دنف مداخلُ السوء ليس يدخلُها
غُذي لبانَ الهوى على صغر فهو لأهلِ الشجونِ موئلُها
إن راح يحكي صبابةً خضعت له القوافي ودان مُشْكِلُها
يعلِّمُ النوحَ كلَّ ساجعةٍ فهو صَدى دوحِها وبُلبلُها
ويحَ قلوبِ المتيمين إذا تصرَّمَتْ في الهوى حبائلُها
أفديكَ يا قاتلي بلا سببٍ قتلةُ مُضناكَ من يُحلِّلُها
أمسيتُ شيخ الشيوخ فيك ولي روايةٌ أدمعي تسلسلُها
وفيك شرخُ الشباب مرَّ ولم أفزْ بأمنيةٍ أُؤَمِّلُها
تلكَ لعمرُ الهوى رضاك فإن عَزَّ فيا خيبةً أُنازلُها
تاللهِ لو شاهدتْ عيونُك ما ألقاه سَحَّتْ وجادَ وابِلُها
عساكَ تحنو لمن مطامعُه عليكَ دون الورى مُعَوَّلُها
ألفتُ جوبَ الفلاة مذ غدرت بي الليالي وغارَ جَحْفَلُها
وكم ليالٍ سهرتهنَّ ولي رامِحُها سامرٌ وأَعْزَلُها
ومفرشي وسطَ كل مُسْبِعَةٍ قتادُها والوِسادُ قَنْقَلُها
وليسَ إلا هواكَ يؤنسني بصورة منك لي يمثلُها
أما كفى يا ظلومُ ما فعلتْ غزاةُ جفنيك بي وغزّلُها

ولستُ أشكوك بل يلذ لمن | تولَّهت نفسه تَذَلُّلها
فأنتَ عندي ولو هدرتَ دمي | خيرُ ولاةِ الورى وأعدلُها
وإن توارتْ شموسُ حسنك عن | نواظري فالفؤادُ مأفلُها
وإن تناءت ركائبي ووَنَتْ | رسائلي فالرياحُ تنقلُها
فاسلم ولا تكترث بجرمة ذي | نفسٍ أمانيها تُعَلِّلُها

وقوله:

لم أنسَ غصناً دنا يوسِّدُني | يمينَه والتحفْتُ يُسراهُ
وضمَّني باليسار ضمَّ شجٍ | فارقَه الحِبُّ ثم وافاهُ
وقال لي والظلامُ معتكرٌ | والفم مني ملاصِقٌ فاهُ
تُحبني عاشقي فقلتُ له | أي والذي لا إله إلا هو

[١٢٢٣] عبد الحي بن عبد الحق الشرنبلالي الحنفي[1].

صاحبنا الفاضل المحصّل، له البراعة في كثير من العلوم النافعة، أخذ عن حسن الشرنبلالي، وأحمد الشوبري، وعن شيخنا سلطان [المزاحي]، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، ومحمد العناني، وتصدر للتدريس بالجامع الأزهر، لما ماتت أقرانه، انتهت إليه الرياسة في فقه الحنفية، بالديار المصرية، حتى توفي سنة ألف ومئة وسبع عشرة بمصر، ودفن بتربة المجاورين.

[١٢٢٤] عبد الحي بن محمود، الحمصي المولد، الحلبي الأصل،

---

(١) «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١٢١).

الدمشقي الدار، الحنفي[1].

الفاضل العلامة، كان من فقراء سيدي أبي الوفا ابن الشيخ علوان الحمصي، وكان في كل جمعةٍ يخرج من حمص إلى حماة لزيارته، فخطر له خاطرٌ في طلب العلم، فاستشار أباه، فقال له والده: اذهب إلى شيخك أبي الوفا، وانظر ما يشير عليك، وأي مدينة يأمرك بالسفر إليها، فسافر إلى الشيخ، فقصّ عليه قصته، وما قال له أبوه.

فقال له الشيخ أبو الوفاء: اذهب إلى موقف حماة، فهناك رجلٌ مجذوبٌ، قف أمامه، وقل له: إن وفاء بن علوان يقرئك السلام، ولا تزد على ذلك، وانظر ماذا يجيبك به، قال: فمضيت إليه، ووقفت أمامه، فلما أحسّ بي، رفع إلي رأسه، فقلت له: إن الشيخ وفاء بن علوان يقرئك السلام، فقال: حيّاه الله، عليك وعليه السلام.

ثم انتصب قائماً، وصفق بيديه، ونادى بأعلى صوته حَيَّا الله بلاد الشام، فيها الخوخ والرمان، فيها زقزق العصفور، فيها شيخٌ بلاطرطور، وكرر ذلك مرتين أو ثلاثاً، قال: فرجعت، وأخبرت الشيخ، فقال: يا عبد الحي! اذهب إلى دمشق، يحصل لك العلم والدنيا، وكان الأمر كما قال.

فقبلَ إشارة شيخه، وسافر إلى دمشق[2]، وقرأ بها على العلامة علاء

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٩٧) (١٨٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٤٢).

(٢) رحم الله المصنف وغفر له، وهل يصح لعاقل أن يقبل هذه الحكايات، وهل في الدين من يقبل كلام المجانين، ويجعل من تلعب الشيطاين وسيلة للقبول عند رب العالمين.

الدين بن عماد الدين الشافعي، ثم على العلامة شهاب الدين الطيبي شيخِ الإقراء، ثم لازم إسماعيل النابلسي، ورفيقه عماد الدين الحنفي، فحصّل عندهما النحو والصرف، والمعاني والبيان، وتخرج بهما، وأخذ الفقه عن عماد الدين وغيرِه حتى برع، ودرس بالعربية والتركية، وكان يدرس بالتركية أكثر، ويعرف لسان التركية معرفةً صالحةً، وكان يحب الصالحين ويعتقدهم.

وسافر إلى الروم، وكان ممن أخذ عنه بها: مفتي القسطنطينية يحيى بن زكريا، واتفق أنه وقع بينه وبين القاضي محمد بن الكيال خصومةٌ، فشتمه الكيال وأهانه، فبلغ القاضي محب الدين، والشهاب أحمد العيثاوي، فأرادا أن يجمعا على ابن الكيال جمعيةً، يقيما[1] عليه فيها الحق، ويعزراه[2] عند القاضي.

فرأى المترجم في تلك الليلة في المنام العارفَ بالله الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي، وهو في بستانٍ عظيمٍ، قال: فدخلت عليه، فشكوت إليه، فقال: يا عبد الحي! أما قرأت تائيتي؟ فقلت: نعم، قال: أما قرأت قولي:

إن لم تجدْ منصفاً للحق كِلْه إلى ... مولَى البرايا وخلاقِ السمواتِ

قال: فاستيقظت وخاطري منبلج، واستخرت الله تعالى في الانتصار، وذهبت إلى الجماعة، وأخبرتهم بما رأيته، وصرفتهم عن ذلك، وكانت وفاته يوم الأحد، سادس رمضان، سنة عشر بعد الألف، ودفن بمقبرة الفراديس،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يقيمان.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ويعزرانه.

بعد أن صُلي عليه.

[١٢٢٥] عبد الحي بن الملا يوسف الكردي[1].

ولي تدريس الضيفية بدمشق، وكان لـه يدٌ طائلةٌ في علوم المعقـول، واتصل بخدمـة أويس باشا، فلما ولي نيابـة مصر، كان معه، وجعله قاضي الديوان، وحصل له مالٌ كثيرٌ، ثم رجع إلى دمشق، فلزم بيته، لا يخرج إلا نادراً، وكان يشفع عند الحكام، وتقبل وجاهته، ولا يتكلم في أحدٍ بسوءٍ، ولم يمش في ضرر أحد.

ولما مات الشيخ حسن البوريني، ولي تدريس الشامية البرانية عنه، ثم لما مات، رجعت للشيخ أحمـد العيثاوي، وكان البوريني فرغ لـه عنها قبل موته، ولم يمكنه منها قاضي دمشق إذ ذاك محمد حوي زاده، وقرر بها صاحب الترجمة، مات في جمادى الثانيـ[ـة]، سنة خمس وعشرين بعد الألف.

[١٢٢٦] عبد الحي بن أحمد العَكْر ـ بفتح العين وسكون الكاف آخره راء ـ الصالحي الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن العماد[2].

الشيخ الإمام، العالم العلامة، الدراكة الفهامة، كان من أفاضل عصرنا في فنون العلوم العربية، وإليه الإشارة في العلوم الحسابية، وغايةً في العلوم الدينية.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٠٠) (١٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٤٤).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٤٠)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٩٠).

وُلد بالصالحية، سنة ثلاثين بعد الألف، وبها نشأ، ولازم القطب الرباني أيوب بن أحمد الخلوتي الدمشقي، وأخذ عنه علوم الطريق، وأخذ الفقه والحديث عن العالم العامل محمد بن بلبان البعلي الصالحي، وعلوم الحساب والميقات عن الشيخ رجب بن حسين، وغيرهم مما يطول ذكره.

ورحل إلى مصر، وأخذ بالجامع الأزهر عن أكابر الشيوخ، أهل التمكين والرسوخ؛ كشيخنا سلطان، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، والشهاب القليوبي، وغيرهم، وأجازه جل شيوخه، ثم رجع إلى دمشق، وأفاد وأجاد، وألف كتباً عديدةً، من أجلها: «تاريخ» على أسلوب تاريخ الإسلام للذهبي في مجلدات، وصل فيه إلى سنة ألف.

اجتمعت به بدمشق، ورأيت فيه من التواضع، وحسن الخلق، وكرم النفس، ورقة الطبع، وسلامة الصدر، والأدب الظاهر والباطن، ما يفوق الوصف، وتوجه للحج إلى بيت الله الحرام، فقضى حجه، فأدركه أجله في سابع عشر ذي الحجة الحرام، سنة ثمان وثمانين بعد الألف، ودفن بالمعلاة - روح الله روحه، وأعلى في غُرَف الجنان فتوحه -.

وأنشدني له بعض أصحابنا بيتين نظمهما في النوم، وليس له غيرهما:

كنتُ في لُجَّةِ المعاصي مقيماً ... لم تنلني يدٌ ترومُ خلاصي
أنقذتْني يدُ العناية منها ... بعدَ ظني أن لاتَ حينَ مناصِ

[١٢٢٧] عبد الحميد بن عبد الحليم بن عبد الباقي بن حسين النزيلي.

كان من أهل الفضل والصلاح، تَلاَّءً لكتاب الله تعالى، وأقام مآثر سلفه،

ورزق جاهاً حسناً[1]. . . [2].

[١٢٢٨] عبد الحق بن محمد بن محمد السُّمَّاقي الدمشقي، الشيخ العلامة زين الدين[3].

مولده سنة اثنتين وستين وتسع مئة، وكان اشتغاله على والده، برع في الأصول والفقه، وغلبت عليه العلوم العقلية، وصحب الشيخ محمد بن فواز، وأكثر انتفاعه به، وسافر إلى حلب، ثم إلى القسطنطينية، وولي تدريس التقوية، ودار الحديث الأشرفية.

وكان شاعراً مجيداً، وكان والده مثرياً من المال، ثم أُفلج المترجم، وأُقعد نحو سنتين، فمات أبوه، وعاش بعد أبيه نحو عشرين يوماً، [ومات][4] يوم الأحد، خامس عشر رمضان، وقت الغداء، سنة عشرين بعد الألف، وصُلي عليه بالجامع الأموي، قبيل العصر، ودفن بمقبرة باب الصغير.

ولولده إسماعيل يرثيه:

طرفٌ تقرَّحَ من دمٍ متدفِّقِ ... وحَشاً تجرَّحَ من جَوًى وتحرُّقِ
أسىً تجمَّع لم يكنْ بمجمَّعٍ ... لشتات شمل لم يكن بمفرقِ
خَطْبٌ لقد صدع الصفا منه ومن ... بينٍ أتى من غير وعدٍ مطبقِ

---

(١) في الأصل: حسنة.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران بياض».

(٣) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٤٩١) (١٨٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣١٠).

(٤) ما بين [] ليست في النص، أضيفت لتمام السياق.

مـولًى مكارمُـه إذا مـا جُمِّعـت		فاقت على سَحِّ السحابِ المغـدقِ
وإذا تعقَّـد مـشكِلٌ لـك حَلَّـه		بيـدي إمـام فـي العلـوم محقِّـقِ
قد حاز فـضلاً فـي ميـادينِ العـلا		والعلـم حتـى إنـه لـم يُـسبَقِ
جـادَ الزمـانُ بـه فعـادَ بجـوده		بخـلاً وكـان كبـارقٍ متـألِّقِ
هيهـاتَ أن يـأتي الزمـانُ بعـالمٍ		يحكيه في حسنِ الصفات مـدقِّقِ
ما حيلتي والدهرُ لم يكُ مسعفي		وقـضى علـيَّ بلوعـةٍ وتفـرُّقِ
يـا ليـتَ يومـاً كـان فيـه ذهابُـه		لا كان بل ليتَ النوى لـم يُخلَـقِ
بل ليتَ بدرَ الأفقِ لـم يـكُ طالعـاً		وكـذا الغزالـةُ ليتهـا لـم تُـشرِقِ
كنـا نـصولُ بـه علـى كيـد العـدا		ويكـون ذخـراً للـشدائد لـو بقـي
لكنـه حُـمَّ القـضا وتقطَّعَـتْ		أيـدي الرجـا منـا ببيـنٍ موبِـقِ
فيحـقُّ للعينـين تبكـي بعـدَه		بـدمٍ غزيـر لا بـدمعٍ مطلَـقِ
ويحـقُّ للقلـبِ الـسليمِ بأنـه		يفنـى عليـه مـن الفـراقِ المُقلِـقِ
ويحـقُّ للـدهرِ الخـؤونِ بكـاؤه		ويحـقُّ للـشبَّانِ شـيبُ المَفـرِقِ
قـد كـان غـصناً بالتهـاني مورقـاً		فـذوى وفـاتَ كأنـه لـم يُـورِقِ
أعمالُـه كالمـسكِ قـام عبيرُهـا		ختمـت برضـوانِ الإلـهِ المعبـقِ
لمـا تُـوفِّي بالرضـا أرَّختـه		قد ماتَ قطبٌ عـالِمٌ فـي جلَـقِ[1]

[١٢٢٩] عبد الخالق بن خواجكي الكاشاني السمرقندي.

أخو خواجة كلان خواجه، المذكور في الطبقة العاشرة، أخذ الطريقة

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاث صفحات ونصف بياض».

عن أخيه، وعن خواجه محمد إسلام الجويباري، وحج بالشاميين سنة ثلاث بعد الألف.

قال المولى نور الدين محمد بن الحسين القزويني الدمشقي: سمعت شيخي عبد الخالق السمرقندي يقول: توفي والدي، ولي ثمان سنين، فلما وصلت حدَّ التمييز، تشرفت بخدمة خواجه محمد إسلام الجويباري، ولقنني الذكر، ثم صافحت المولى لطف الله الأزجاكتي، وكان من خلفاء والدي، ثم وصلت إلى خدمة أخي خواجه كلان خواجه، والآن ترخصت منه. انتهى(١).

[١٢٣٠] عبد الرسول بن عبد السيد بن عبد الرسول بن قلندر بن عبد السيد بن عيسى بن حسين بن بايزيد بن عبد الكريم بن عيسى بن علي بن يوسف بن منصور بن عبد العزيز بن عبدالله بن إسماعيل بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين بن علي المرتضى بن أبي طالب الحسيني الموسوي.

قد أفرد ترجمته ولدُه شيخنا العلامة محمد البرزنجي ـ قدس الله روحه ـ في رسالةٍ حافلةٍ نقلت منها: كان ـ رحمه الله ـ شبيهاً برسول الله ﷺ، حلوَ المنطق، حسنَ المنظر، ذا هيئةٍ ووقارٍ، ورأيٍ وإفادةٍ، وعفةٍ وشجاعةٍ، فائقاً أقرانه في الفقه، مشاركاً في الحديث والنحو والصرف، له شعرٌ بالفارسية وغيرها في التوحيد والسلوك، وخط حسن.

وكان زاهداً فيما في أيدي الحكام، ناصحاً لهم، لا يخاف في الله لومة

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة وثلاثة أرباع بياض».

لائم، شكوراً صبوراً، غيوراً وصولاً للرحم، سخياً وجيهاً، حيياً عفواً، باسلاً بطلاً، ذا قوةٍ شديدةٍ، رامياً حَسَنَ الرمي، حسنَ النزع لا يخطىء، ولا يزيد على سهم، ولو كان أكبر شيءٍ، فارساً حسن التعليم للخيل، ويرمي بالسهم وهو راكب إلى الخاتم فيصيبه، وله كراماتٌ، وحالاتٌ باهرةٌ، وخوارقٌ عجيبةٌ، وحكاياتٌ في هذا الشأن غريبةٌ.

وُلد سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة، وظهر الشيب في لحيته، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وقرأ على جماعةٍ، منهم: ذو العلوم المفيدة، والكرامات العديدة نور الله بن شكر الله بن نعمة الله بن محمد الخالدي، قرأ عليه «مصابيح البغوي»، «وشرحه»، و«معالم التنزيل» له، وكتباً عديدةً في الفقه، وتلقن منه الذكر، وأخذ عن الشيخ إلياس «شارح العوامل الجرجانية»، وتلقن الذكر من الشيخ محمود، وأخذ عن الشيخ المرشد، صاحب المقام العالي، والكرامات الخوارق، عبد الكريم بن عبد الغفار العثماني الكوراني.

واجتمع بالخضر، وأخذ عنه، وسببه: أنه عمي، وداواه الأطباء، فما نفع، فذهب إلى زيارة السيد الشهيد الحسين بكربلاء، فلما دخل الحظيرة، أخذ رجلٌ بيده، فقال له: من أنت رحمك الله؟ قال: صديقٌ، قلت: أخبرني عن اسمك ونسبك، قال: الخضر، فأدخلني الحضرة، فنظرت نوراً [ساطعاً] طلع إلى عَنان السماء، فرد الله تعالى بصري، ورجعت، ولا زال يربيني.

وكان كثيراً ما يطلع النور من عمامته، فيحسبون أنها اشتعلت ناراً، فيجيء واحدٌ من أهل البيت ليطفئها، وربما ضرب عمامته بكفيه، فيقول: دعها يا حيوان، وكانت هذه كلمته إذا أغلظ القول على أحد.

وله الكرامات الكثيرة، ذكرها ولده السيد محمد في رسالته، منها: أنه وقع بينه وبين بعض حكام برزنجة منافرةٌ، وكان ظالماً سفاكاً، فأرسل بعض أعوانه بالخفية ليلاً ليقتل السيد، فجاء وكمنَ له قريباً من بيته.

وكان من عادته: أنـه يخرج غالب الليالي في ثياب النوم، ويقف على حجرٍ تجاه مقبرة أجداده، فيدعو لهم، ثم يرجـع، فلمـا رأى الرجل خروج السيد، اغتنم ذلك، وانتهز الفرصة، وتبعه إلى الحجر، فلما استغرق السيد في الدعاء، أخذ السهم ليرميه، فعمي، فتاب من ذلك، فأبصر، فقال في نفسه: لعل هذا وهْمٌ أو خوفٌ، فرجع لنيته، فعمي وصُم، ثم تاب، فعوفي.

فقال في نفسه: كيف أرجع للأمير، وهو ذلك الظالم، وقد قال لي: لا بد من رأس السيد، أو من رأسك، فنوى السوء ثالثاً، وصمم عليه، فعمي وصُم وأُقعد في يديه ورجليه، وحينئذٍ تاب، وأخلص لله التوبة، وقال: أجعل نفسي فداءً للسيد، فعوفي، ورجع، ولم يظهر نفسه للسيد، وأخبـر الأمير بما وقع، فعفا عنه، وأوصاه بالكتم، وخلع عليه ونجا، ثم بعد أيام سلط الله على الأمير المذكـور ابنَ عمه، فحبسه، وبعث به إلى سلطان العجم عباس شاه، فأرسله إلى شيراز، ومات بها محبوساً.

توفي ـ رحمه الله ـ يوم السبت، في النصف الثاني من ذي القعدة، سنة ست وخمسين بعد الألف، عن ثلاث وسبعين من العمر، ودفن شمالي مقبرة آبائه ببرزنجة، من قرى شهرزور.

[١٢٣١] السيد عبد الرضا بن عبد الصمد البحراني[١].

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥١٧)، «لفت النظر» للجيلاني (٦٠٧)، «نفحة =

قال في «السلافـة»: الرضي المرتضى، والحسام المنتضى، الصحيح النسب، الصريح الحسب، مجمع البحرين، بحر العلم، وبحر العمل، ومقلّد النحرين: نحـر الأدب، ونحـر الأمل، إلى أدبٍ مستفـاضٍ، وبيـانٍ واسعٍ فضفاضٍ.

ومن شعره: قوله من مطلع قصيدةٍ:

بـات يَـسْقيني مـن الثَّغْـرِ مُـدامَا ... ذُو جمـالٍ يُخْجِـل البـدرَ التَّمامَـا

حَلَّـلَ الوصـلَ وقـد كـان يـرى ... وَصْـلَ مَـن يـشْتاقُه شـيئاً حَرامَـا

ويَـرى سَـفْكَ دمِ العـشاقِ فَرْضـاً ... فــي هَــواه أو يمُوتــون غَرامَــا

زارَنــي وَهْنــاً ولمَّــا يــوفِ لِــي ... منــه مِيعــاداً فأدركــتُ المَرامَــا

جــاء فــي حُلَّــةٍ مــن سُــنْدُسٍ ... ثمِـلَ الأعْطـافِ سُـكْراً يترامَـى

فــاغْترتْني دَهــشةٌ مــن حــسنِه ... حين أرْخَى لي عن الوجـهِ اللِّثامَـا

منها:

ليلــةٌ كانـــت كإبْهـــامِ القَطَـــا ... أو كرَجْع الطَّرْف قِصْراً وانـصِرامَا

حيثُ كـان العيشُ غـضّاً والـصِّبا ... مَجْمَـعَ اللـذَّاتِ والـدهرُ غُلامَـا

يــا حَمامــاً نــاحَ فــي أيْكَــةٍ ... صـادِحاً مـا كنـتَ لـي إلاَّ حِمامَـا

تنـدُبُ الإلْـفَ ولا تُـذْرِي دَمـاً ... ودُمـوعِي تُـشْبِه الغيـثَ انْـسِجامَا

[١٢٣٢] عبد الرؤوف بن تاج العـارفين بن زين العابـدين ابن قاضي

---

* الريحانة» للمحبي (٣/ ١٨٢) (١٧٨).

القضاة شيخ الإسلام الشرف يحيى المناوي الشافعي[1].

علامة الأقطار الإسلامية، وخاتمة أئمة الشافعية، وبحر العلم الذي لا يدرَك ساحلُه، وبرُّه الذي لاتُطوى مراحله، أشرقت في سماء الفضل ذُكاء ذكائه، وخرس به ناطق الجهل بعد تَصديته ومُكائه، فأصبح وهو للعلم والجهل مثبتٌ وماحقٌ، وسبق إلى غايات الفضل وما له لاحقٌ.

حتى طار صيته في الآفاق، وانعقد على فضله الوفاق، وانتهت إليه الرياسة في جميع الفنون، وأخذ عنه أحكام المفروض والمسنون، وشدت الرحال إلى لقائه، واستنشق أرج الفضل من تلقائه.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ عن العلامة الشمس الرملي، والشهاب أحمد بن قاسم العبادي، والعلامة أحمد بن عبد الحق السنباطي، وعن العارف بالله عبد الوهاب الشعراني ـ نفع الله به ـ، وغيرهم من أكابر عصره.

وعنه: أخذ شيخنا محمد بن علاء الدين البابلي، وشيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وغيرهما من العلماء الأعيان، وجدُّه من قبل الآباء العلامةُ الشرف يحيى المناوي، ومن قبل الأمهات الحافظُ الزين العراقي.

وتصانيفه في أقسام العلوم صنوفٌ، وتآليفه في مسامع الدهر أقراطٌ وشُنوفٌ، منها: «ثلاثة شروحٍ عل الجامع الصغير: كبير، ووسط، وصغير»، سارت مسير الشمس والقمر، واشتهرت عند البدو والحضر، و«شرحٌ على

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤١٢)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٧٣٧).

الشمائل[1]، و«شرحٌ على ألفية السيرة للعراقي»، و«شرحٌ على البهجة، وعلى ألفية التعبير لابن الوردي».

وكتاب «تيسير الوقوف» لم يؤلف في الوقف في مذهب الشافعية مثله، و«مناسك الحج» في مجلدٍ ضخمٍ، على المذاهب الأربعة، وطبقاتٌ سماها: «إرغام الشيطان في أولياء الرحمن» في مجلدين، وله «طبقاتٌ أخرى وصغرى»، و«ترتيب الشهاب القضاعي وشرحه»، و«شرح أدب القضاء»، و«شرح الزبد»، و«الأربعين النووية»، و«القاموس»، و«شرح الخصائص الصغرى للسيوطي»، وغير ذلك مما يطول ذكره.

وكان له ولدٌ برع في سائر العلوم، وصار من أكابر العارفين أهل الفهوم، مات قبله بسنينٍ، وجزع عليه، وكثر عليه وجده والحنين، إلى أن توفي بعده بثمان سنين، فتوفي في سنة ثلاثين بعد الألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى، وأسكنه أعلى عليين[2] ـ.

[١٢٣٣] عبد الرحمن بن الحسين بن أبي القاسم صاحب الضحى.

السيد الولي ابن الولي، كان كريماً صاحب جاه وقبول، وله ولآبائه مآثر في قرية الضحى، وفي مهمهٍ من أرض خفاش، ولهم القبول التام، والاعتقاد العام، عند أهل تلك الجبال، توفي ثالث شوال سنة ثمان وستين وألف.

[١٢٣٤] عبد الرحمن بن الهادي الكوكباني.

---

(١) جاء في الحاشية: «بل له ثلاثة شروح عليها».

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا نصف صفحة بياض».

ذو السماحة والحماسة، والوزارة والرياسة، استوزره بعد أخيه عليٍّ السيدُ عبد القادر بن الناصر، فتبوأ سماك الوزارة على رغم حاسده العوّا، وصلت أياديه بما وصلت، فسلمت لها الأنوا، وسما به قدرها، وتحلى جيدها ونحرها، وهو ماجدٌ ما جدَّ إلا في اكتساب الفضائل، ولا أخدم قصار أقلامه إلا طوال الذوابل، ولا أمعن إلا في حسنه وإحسانه، ولا استخدم من الكمال غير ياقوته ومرجانه.

وله شعرٌ حلى به جيد كماله، فمنه قوله:

سفكَ الدماءَ بقامةٍ وبناظرٍ ... ما عنهما وجدَ الأنامُ مَحيصا
ناديتُه مولى الملاحِ ترفقاً ... فإلى متى توعدني التمحيصا
ذوقُ الهوى في الأصل مُرٌّ طعمُه ... لكنه قد صارَ فيك خَبيصا
يا ذا الذي ملكَ الجمالَ بأسره ... كم ذا أراك على الوصال حريصا
صيرتني مثلاً بحبِّك في الورى ... وتركتَني في راحتيك قَنيصا
فمتى أفوزُ بوقفةٍ أُطفي بها ... جمراتِ حزنٍ تورث التنغيصا

[١٢٣٥] الأستاذ عبد الرحمن بن زين العابدين البكري[١].

شيخ المشايخ الجلة، ورئيسِ المذهب والملة، الواضح الطريق والسنن، الموضح الفروض والسنن، يَمُّ الفضل الذي يفيد ويفيض، وجمُّ الفضل الذي لا ينضب ولا يغيض، المحقق الذي لا يراع له يراع، والمدقق الذي فاق فضلُه وذاع، المفنن في جميع الفنون، والمفتخر به الآباء والبنون.

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٠٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٥٧).

قرأ على أخيه أحمد، وبه تخرج، وأخذ عن العلامة جودة الضرير المالكي علومَ العربية، وقام بعد أخيه في التدريس، فنثر للفضائل حللاً مطرزة الأكمام، وماط عن مباسم أزهار العلوم لثام.

ومن شعره:

يـا للّـهِ أيُّ فتًـى مثلـي بكـم فُتنـا ... يبكي فتبكي حمامٌ[1] في الدجى شَـجَنا
أنفاسُـه كلهيـب البـرق وامـضةٌ ... وقلبُـه برعـود الـشوق مـا سـكنا
كأنمـا جفنُـه سـحبُ الـشتاء إذا ... كانونُها بهميـر الـدمع قـد هَتَنـا[2]
قد صار من شغف فيكم ومن أسفٍ ... حليفَ وجدٍ وأشجانٍ بكـم وضَـنا
وأن ينـادي منـادي كـلَّ ناحيـة ... من عذَّب الحبَّ بالهجران قلت أنـا
واللّهِ ما مِلْتُ عـنكم بعـد بعـدكمُ ... أبداً ولا مللت سهاداً أحرم الوسنا
وإننـي عابـد الـرحمن منتـسبٌ ... إلـى صـديقِ نبـيٍّ أوضـحَ الـسننا
أبي هو القطبُ زينُ العابدين ومن ... في سُبل أهل المعاني اقتفى السننا

توفي ـ نفع الله به ـ بمصر، بعد عصر يوم الخميس، خامس شهر رمضان، سنة ثلاث وستين بعد الألف، من غير مرضٍ، ودفن يوم الجمعة بالقرافة الكبرى، بتربة أسلافه ﷺ.

[١٢٣٦] عبد الرحمن بن سليمان المحلي الشافعي[3].

---

(١) في الأصل: حماماً.

(٢) في الأصل: هبنا.

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٠٥).

نزيل دمياط، الشيخ المحقق، النحرير المدقق، محرر العبارات، بلطائف الإشارات، الذي جبل طبعه على الفهم الصحيح، ورزق دقة النظر وقوة الترجيح، وأعطاه الله سبحانه ما أعطاه من قوة الفكرة، وسرعة الاستخراج، وحباه الله ما حباه من لطافة المزاج.

يكـادُ مـن رقـةِ الألفـاظ يحملُـه روحُ النسيم وبرقُ السمعِ يخطفُهُ

قد رَقَّ حتى إذن لو حل مـن أدبٍ في طرفِ ذي رَمَدٍ ما كـان يَطرِفُـهُ

مولده المحلة الكبرى، وهي قصبة الغربية من مصر، وقدم مصر، واشتغل بالعلم، وجدّ فيه، [وقرأ بالروايات على الزين عبد الرحمن اليمني، وقرأ العلوم على محيي الدين ابن شيخ الإسلام زكريا، والنور علي الحلبي، والشمس محمد الشوبري، وغيرهم][(١)]، وأخذ عن الزين، وصحب شيخنا علياً الشبراملسي، واقتصر عليه من بعض شيوخه، [ولازمه في الليل والنهار، والعشي والإبكار][(٢)]؛ بحيث إنه انقاد إليه انقياداً عجيباً، وهكذا كان في شيخنا ﷺ من مزيد الحلم والأدب في الصحبة مع من هو دونه، ما لم تره في أحدٍ من علماء زمانه.

ومن غريب ما اتفق له معه: أن شيخنا كان يحضر دروس الشمس الشوبري؛ لكونه أسنّ منه، وكان الشمس المذكور يعتقد زيادة فضل شيخنا، ويكثر المطالعة لأجله، ويُمعن النظر في تحرير المسائل الفقهية، وكان ـ مع

(١) ما بين معقوفين ليس في الأصل.

(٢) ما بين معقوفين ليس في الأصل.

مزيد جلالته - إذا توقف في أثناء مطالعته في شيءٍ، ولم يظهر له الجواب عنه، يكتب عليه، ويعرضه على شيخنا، فيجيبه عنه، وكان شيخنا من دقة النظر بمكانٍ مكينٍ، مما ذكرنا بعضه في ترجمته - رحمه الله -.

فلما رأى المترجم ذلك، منع شيخنا من حضور دروس الشمس الشوبري، وحلف عليه بالله سبحانه أن لا يحضره، وقد قدمنا أن شيخنا كان رجلاً نبوي الخلق، فحاول أن يخلصه من اليمين، فلم يقدر، ولم تطب نفسه أن يتكدر خاطره؛ لما قدمناه من شدة انقياده إليه، فترك حضور الدرس.

وبلغ ذلك الشمس الشوبري، فتعب غاية التعب، وظهر منه التغير الشديد على صاحب الترجمة، ودعا عليه بدعواتٍ، منها: أن الله سبحانه يقطعه عن الجامع الأزهر، كما قطع شيخنا عن حضور درسه، فاستجاب الله سبحانه دعاءه، وهاجر من الجامع الأزهر بغير سببٍ.

ولم يطب له المكث في مصر، وتوجه إلى دمياط، وأقام بها، ولم يرزق فيها حظاً في دروسه، مع أنه أفضل من فيها من علمائها، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وله مؤلفاتٌ ورسائل كثيرة، منها: «حاشيةٌ على تفسير البيضاوي».

توفي - رحمه الله - بدمياط، عام ثمان وتسعين وألف، في شهر رمضان.

[١٢٣٧] السيد عبد الرحمن بن أحمد بن حسين بن علي بن محمد ابن أحمد ابن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم(١).

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٦٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٤٦).

أحـد السادة الأشراف، بني علوي المشهـورين بمحاسن الأوصاف، اشتهر هو كوالده بالبِيض ـ بكسر الباء، على وزن صيغة جمع أبيض ـ، المشهور بالحلم، وكظم الغيظ، العالم العامل، الصوفي الكامل.

وُلد ببندر الشحر المحروس، ونشأ في روضه المأنوس، وحفظ القرآن، وصحب جماعة من الأعيان، ورحل إلى مدينة تريم، وأخذ عن عالي الرتب السيد أحمد بن علوي باجحدب، ولازم الشيخ أبا بكر بن سالم، وغيرهما من العلماء العارفين، والأئمة المشهورين.

واشتهر بالأدب والصلاح، والعلم والفلاح، وكان واسع الصدر، رفيع القدر، ولـه نظمٌ حسنٌ، ومديحٌ مستحسنٌ، وقصائد عظيمةٌ في مدح السادة الأكابر؛ كأبي المكارم السيد أبي بكر بن سالم.

وكانت **وفاتـه** سادس جمـادى الأولى، سنة إحدى وألف ببندر الشحر، وقبره معروفٌ يـزار ـ رحمـه الله رحمة الأبرار ـ، وبينه وبين الشيخ أحمد باجبر مكاتباتٌ في «مجموعة الأشخر».

[١٢٣٨] عبد الرحمن بن العز بن محمد القصري الفاسي المالكي(١).

كان إماماً عمدةً في العلم، والعمل الظاهر والباطن.

وُلد في المحرم، سنة اثنتين وسبعين وتسع مئة، وقرأ على أخيه يوسف أبي المحاسن الفاسي، وعلى الفقيـه المفتي الخطيـب أبي زكريـا يحيـى بن محمد السراج، والقاضي الفقيه الخطيب أبي محمد عبـد الواحـد بن أحمد

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٧٨)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٢٧٣).

الحميدي، والإمـام المفنن الأستـاذ أبي العباس أحمـد بن قاسم العزومي، والإمام المحقق النظار أبي عبدالله محمـد بن قاسم القيسي القصار، والإمام المقرئ المجود أبي محمد الحسن بن محمد الدراوي، وعنه خلقٌ لا يحصون، منهم: وارثه الأول، المكمل الكمل أبي[1] النصائح محمد بن محمد بن عبدالله ابن معن، ووارثه الثاني، وابنُ ابنِ أخيه العلامة عبد القادر الفاسي.

وقد أفرد ترجمته وترجمة شيوخه، الشيخُ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، في مجلدٍ حافلٍ لم أقف عليه.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء، السابع والعشرين من ربيع الأول، سنة ست وثلاثين وألف، وله مؤلفاتٌ، منها: «حاشيةٌ على البخاري»، و«حاشيةٌ على شرح الصغرى للسنوسي».

وكراماته كثيرةٌ شهيرةٌ، وكان بعض الناس في عصره يلازم تنبيه الأنام كثيراً، فذُكر ذلك لـه، فقال: انظروا هل أنتج لـه شيءٌ من كثرة صلاته على النبي ﷺ، وإلا، فاعلموا أن باطنـه مشوبٌ، فدل كلامـه على أن الطاعات، ولا سيما الصلاة على الوسيلة العظمى ﷺ، الذي هو أصل كل خيرٍ، إذا صادفت محلاً طاهراً، أشرقت فيه أنوارها، ولاحت عليه أسرارها، وإنما يدفعها عدم القابلية؛ كالثوب المكـدر لا يشتعل، وكان ـ نفع الله تعالى به ـ يقول: إنما يصحـب الناس المشايخ؛ ليعرفـوهم أنهم عبيـدالله، فيرضـوا بمـا يصدر، لا ليدافعوا ما يصدر منهم[2].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أبو.

(٢) في الأصل: منه.

قلت: ويشهد لذلك: ما ذكره العلامة برهان الدين اللقاني، في «شرحه الكبير على الجوهرة» في شرح قوله: صغيرة كبيرة فالثاني... البيت، فإنه قال ـ بعد ما ذكر أنواع السحر العشرة ـ ما نصه: قال الإمام فخر الدين في كتاب «الملخص»: السحر والعين لا يكونان من فاضل، ولا يقعان، ولا يصحان منه أبداً؛ لأن من شرط السحر الجزم بصدور الأثر، وكذلك أكثر الأعمال من شرطها الجزم، والفاضل المتبحر بالعلوم يرى وقوع ذلك من الممكنات، التي يجوز أن توجد، وأن لا توجد، فلا يصح له عملٌ أصلاً.

وأما العين، فلأنه لا بد فيها من فرط التعظيم للموتى، والنفس الفاضلة لا تصل في تعظيم ما تراه إلى هذه الغاية، فلذلك لا يصح السحر إلا من العجائز والتركمان والسودان، ونحو ذلك من النفوس الجاهلية. انتهى.

[١٢٣٩] عبد الرحمن أبو الفيض بن يوسف بن محمد بن علي ابن القطب الرباني الشيخ سيف الدين ابن القطب العارف بالله إبراهيم بن موسى ابن العارف بالله الشيخ سيف الدين، تلميذ سيدي الشيخ إبراهيم الدسوقي، الأجهوري الشافعي.

صاحبنا الشيخ الفقيه العلامة، أخذ عن ابن عمه الشيخ عبد البر الأجهوري، والشهاب القليوبي، وخضر الشوبري، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وعبد النور الشهاوي، ومن في طبقتهم.

توفي سنة ست وتسعين وألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين، ومن مؤلفاته: «حاشيةٌ على شرح الخطيب على الغاية».

[١٢٤٠] عبد الرحمن الشريف اللجائي.

كان شيخاً جليل القدر، عظيم الكشف، أخذ عن عمه الحسين، وعنه: كثيرٌ؛ كالشيخ عبد القادر الفاسي، وتوفي بفاس بعد الأربعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٢٤١] عبد الرحمن بن يحيى بن محمد الملاح الحنفي المصري[1].

الناظم الناثر، الكاتب الشاعر، أوحد أهل زمانه، والمتميز بالفضل على أقرانه، كان فاضلاً أديباً، شاعراً مجيداً، زاحم بمنكبه صدور الأماجد، ونظم مع بلغاء عصره ذوي المحامد، له نظم أرقّ من النسيم، ونثر فاق به على الفاضل عبد الرحيم، أحلى من التسنيم.

وكان له حظوة تامة عند الأستاذ الشيخ زين العابدين بن محمد البكري، ثم لازم بعده أخاه الأستاذ أبا المواهب، ثم لازم بعده الأستاذ الشيخ أحمد بن زين العابدين، وكان كاتب يد الجميع، إلى أن اخترمته المنية في يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة أربع وأربعين بعد الألف بمصر، وصلي عليه بالجامع الأزهر في مشهد عظيم لم ير مثله، حضره أكابر العلماء، وكان الإمام بالصلاة عليه الأستاذ الشيخ أحمد البكري، وخطب له على الدكة الشيخ سليمان الكوش.

وشعره جيد سائر، مدح به معاصريه من العلماء والأكابر، مع نزاهة النفس، وحسن الشيم، والخلق الهني، وعلو الهمم، فمنه قوله:

ما لحاوي الجمالِ في الحسن ثاني ... وفؤادي ما مالَ عنه لثاني

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٣٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٠٤)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٤١).

ذي جمـــالٍ بطلعـــة كهـــلالٍ حــار فــي حــسنه البـديع لـساني
رشـــأ راشـــقٌ فـــؤادي بقـــدٍّ إن تثنــى يــا خجلــةَ الأغــصان
ناســخ حقــق المحبــة عنــدي بعـــذارٍ وســـالفٍ ريحـــاني
مــاس غــصناً رنــا غــزالاً وظبيــاً لاح بـدراً عـلا على غـصنِ بانِ
بخــدودٍ لبهجــةِ الــورد تــروي ونهـــود روتْ عـــن الرمـــانِ
يــا بـديعَ الجمــال يــا نــورَ عينـي أنـــت واللهِ فاضـــحُ الغـــزلانِ
لا تعــذب قلبــي بــصدود بــينٍ وبعـــادٍ يـــا ســـاحرَ الأجفـــانِ
لا تطــع يــا مليحُ كـلَّ عــذولٍ عذلُـــه والمـــلامُ قـــد آذانـــي
واتـــقِ اللهَ فـــي حُـــشاشة قلبـــي لا تُـــذِقْها حـــرارةَ الهجـــرانِ
يــا كحيــلَ العيــونِ يكفــي بعــاد بتثنـــي قوامِـــك الفتـــانِ
أنت قـصدي مـن المِـلاح وحبـي لــك داعــي الغـرام قـد ألـواني
لا تــذقني صــداً وبعــداً وســهداً وتغيـــرْ يـــا مُنيتـــي ألـــواني
يــا عــذولي علــى غــرامِ مليــحٍ كامل الظرف من حِسانِ الجنانِ
هــل حبيبــي شــمسٌ وإلاَّ هــلال أم مــن الحــور أم مــن الوِلْـدانِ
هــو لا شــك مفــرَدُ الحــسنِ حقّــاً وأراه قــد فَـــرَّ مـــن رضـــوانِ
قـــسماً يــا مليــحُ مالــكَ ثــانٍ لا ولا لمثـــلِ عثمـــانَ ثـــاني

[١٢٤٢] عبد الرحمن العرضي الحلبي.

هذا الفاضل الألمعي، والأديب اللوذعي، نطق بالشعر قبل القرين، وتقدم على غيره في قليل من السنين، إلا أنه لم يساعده الأجل والأيام، وفجأه

طارق الحِمام، وتفرقت أشعاره أيدي سبا، ولم يبق لها أثرٌ ولا نبا.

ومن شعره قوله:

لا وخصرٍ صاغ لي فيه الضَّنا وعيونٍ كم لنا فيها عَنا
وخدودٍ مثلِ وردٍ نضرةٍ وجبينٍ بالبها قد أعلنا
ما هلالُ الأفق إلا سارقٌ منيتي من حاجبيك الانحنا

[١٢٤٣] عبد الرحمن بن عبد القادر المالكي[1].

أحد الفقهاء الأعلام، والجهابذة مشايخ الإسلام، سارت بفضائله الرواة شرقاً وغرباً، وأخذ عنه علماء عصره عجماً وعرباً، له مؤلفاتٌ مفيدةٌ، منها: «كتاب المغارسة»، وهو متنٌ لطيفٌ، ووضع عليه شرحاً عجيباً كثير الفوائد، استطرد فيه الأحاديث التي في فضل الغرس وندبه، وجملة ما فيه من الأحكام، ونقل الخلاف في أطيب الكسب، هل هو: التجارة، أو الصناعة باليد، أو الزراعة؟ قال: والأخير هو الصحيح، ونقله عن النووي.

ومن فوائده فيه: أن من غرس غرساً يوم الأربعاء، وقال عند غرسه إياه: سبحان الباعث الوارث، فإنه يدرك ثمرته، قال: هكذا ذكره الشيخ الثعالبي. في بعض كتبه.

توفي سنة عشرين وألف.

[١٢٤٤] عبد الرحمن بن ولي الدين البُرُلُّسي.

بضم الموحدة والراء، واللام مع تشديدها، نسبةً إلى البُرُلُّس: ثغرٌ عظيمٌ

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣١٠).

من سواحل مصر.

أحدُ أعلام عصرنا في العلوم الحسابية، والميقات والجفرية، إلى أدبٍ باهرٍ، وكمالٍ في سائر العلوم ظاهر، كان ـ رحمه الله ـ بإقليم مصر مرجعاً لمشكلات علم الميقات والتقويم، وله اليد البيضاء عند أرباب المناصب؛ لما رأوه من مهارته، وصحيح علمه.

رأيته ـ رحمه الله ـ وقد رقى شرف السبعين، والتقي من هيئته بستين.

توفي بـ «رشيد» يوم الثلاثاء، رابع عشري ذي الحجة الحرام، سنة اثنتين وثمانين وألف، وصلى عليه إماماً بالناس الشيخُ العالم الولي علي الخياط ـ رحمه الله ـ.

[١٢٤٥] عبد الرحمن بن عبدالله بن عتيق الحضرمي الأصل، المكي المولد والمنشأ[١].

تزوج والدُه بنتَ الشيخ محمد جار الله بن أمين الظهيري، فجاءت منه بصاحب الترجمة، وأخيه أبي بكر، فخدم الشريف حسن بن أبي نمي، سنة ثلاثين بعد الألف، وأفهمه النصح في الخدمة، وسحره إلى أن تمكن منه غاية التمكن، وبقي حاله كما قال الشاعر:

أمرُكَ مردودٌ إلى أمره ... وأمرُه ليس له رَدُّ

فتسلط على جميع المملكة، وتصرف فيها كيف شاء، وبقي كل من

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٦١).

يموت من أهل البلد، أو من الحجاج، يستأصل ملكه[1]؛ بحيث لا يترك لوارثه شيئاً، فإذا تكلم الوارث، أظهر له حجةً أن صورته كان قد اقترض منه في الزمن الفلاني كذا وكذا ألف دينار، ويقول: هذا الذي آخذه دون حقي، ويقي كذا وكذا.

وطريق كتابته بهذه الحجة وأمثالها ـ على ما بلغني ممن أثق به ـ: أن كتبة المحكمة تحت أمره وقهره، فيأمرهم بكتابة الحجة، فيكتبوها[2]، وعنده أكثر من مئة مهر القضاة والنواب السابقين، فيمهرها، ويأمر عبد الرحمن المحالبي أن يكتب إمضاء القاضي الذي مهر الحجة بمهره، ويكتب خاله الشيخ علي بن جار الله، وعبد القادر بن محمد بن جار الله شهادتهما، ويكتب الشيخ علي أيضاً عليها ما نصه: تأملت هذه الحجة، فوجدتها مسددةً، ويشهد بذلك محمد بن عبد المعطي الظهيري، وابن عمه صلاح الدين بن أبي السعادات الظهيري، وأحمد بن عبدالله الحنبلي الظهيري، وغيرهم.

ثم إنه يظهر الحجة، ويقرؤها بين الناس، وجميعُهم يعرف أنها زورٌ لا أصل لها، ولا يقدرون أن يتكلموا بكلمةٍ واحدةٍ؛ خوفاً من شره، وقوة قهره، واستولى بهذا الأسلوب على ما أراد، كما أراد، وإذا شكا أحد إلى الشريف حسن، يقول: هذه حجةٌ شرعيةٌ، وشهودها مثل هؤلاء الجماعة الأجلاء، كيف أردها؟ فنفرت قلوب الناس من ابن عتيق، وضجوا وضجروا، وكل من أمكنه السفر سافر، وما تأخر إلا العاجز.

---

(١) في الأصل: مالكه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: فيكتبونها.

وكان الشريف أبو طالب بن حسن كلما سمع شيئاً من هذه الأمور، تألم غاية التألم، فأول ما استقل بالسلطة، أرسل من «المبعوث» قبل وصوله إلى مكة رسُله بمسك ابن عتيق، فمسك يوم الجمعة بعد العصر، واستمر في الحبس يوم السبت والأحد، فلما وصل الشريف أبو طالب إلى مكة، وتولى[1] أمر والده الشريف حسن ودفنه، استدعى ابن عتيق، وسأله عن أفعاله، فقال: قد فعلت جميع ذلك، ثم رده إلى الحبس.

وفي ليلة الاثنين أخذ ابن عتيق جنبية العبد الوصيف، المرسّم عليه، وهو نائمٌ، فاستيقظ العبد، وخلَّصها منه، فأخبر سيده الشريف أبا طالب بذلك، فأعطاه جنبية، وقال له: خذ هذه، وقل له: لا تسرق الجنبية في الليل، إن كنت تريد أن تقتل نفسك، فاقتلها بهذه الجنبية، وأسرع بإرسالها إلى جهنم، وبئس المصير، فأخبره الوصيف بما قاله الشريف أبو طالب، فأخذها منه، وأدخل منها في بطنه نحو إصبع، ثم أخرجها، ثم أعادها ضعف الأول، ثم أدخلها جميعها، ثم أخرجها، وقال: وا مالي فمات.

وكان يتبجح ويقول: الشرع ما نريده، وأبطل في أيامه عدةً من المسائل الشرعية؛ كالوصايا، والعتق، والتدبير، وباع أمهات الأولاد بأولادهن، فسبحان الحليم الذي لا يعجل، يمهل ولا يهمل، وقد قال ﷺ: «إن ربك ليملي للظالم، حتى إذا أخذه، لم يكن يفلته»، فقد أخذه على غرةٍ، وقتل نفسه، ورمي به في درب جدة، في حفرةٍ صغيرةٍ، بلا غسلٍ ولا صلاةٍ عليه ولا كفن، ورمت عليه العامة الأحجار.

---

(١) في الأصل: وتوالى.

وعملت الفضلاء فيه تواريخ، منها: قول بعضهم:

أشـــقى النفـــوس الباغيـــة ... ابــــنُ عتيـــق الطاغيـــة
نـــارُ الجحـــيم اســـتعوذت ... منـــه وقالـــتْ ماليَـــة
لمـــا أتـــى تاريخـــه ... (أجـــب لظـــى والهاويـــة)

ذكر ذلك عبد الكريم بن محب الدين القطبي، ونقلته من خطه باختصار.

[١٢٤٦] عبد الرحمن بن المهدي العقبي اليمني(١).

قال السيد في «سلافته»: قرأت في تذكرة القاضي محمد بن دراز المكي ما نصه: لما ولي الخطابة والإمامة والفتوى العلامةُ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي المكي، عام تسعة عشر بعد الألف، امتدحه الأفاضل من أهل عصره، إلا أنه لم يشنف سمعي، بأرقَّ من قصيدةٍ لصاحب الترجمة، التي أنشده إياها مهنئاً له، وهي:

أنعمَـتْ بالجميـلِ ذاتُ الجمـال ... وتجلَّـت فـي حلـة الإقبـالِ
وصلَتْ محبَّهـا ولكـن مـن بعـ ... ـد صـدودٍ جنـتْ بـه ومِطـالِ
حَبَّـذا زورةٌ أتـت لا بحـولٍ ... اعمـل الـصب لا ولا باحتيـال
وجدَتْ فـي الحشا حـرارة وجـدٍ ... أطفأتْهـا ببـردِ مـاء الوصـالِ
لا عـدا ربعَهـا انهـلالُ غـوادٍ ... مـستهلٌ بهـا انهـلالَ العَزالـي
كـمْ أعـادتْ بـه شـبيبَةَ شـيخٍ ... نفحـاتٌ مـن مِسْكِها والغَوالي

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٥٨).

أنـا لـم أدرِ مـا الـصبابةُ لـولا نظرةُ الـريم مـن خـلال الحِجال

مُنيـةٌ دونهـا المَنِيَّـةُ والآ جـالُ نيطـت بـأعينِ الآجـال

لورثَـتْ لـي لألـصقتني بمـا بيـ ـن مجـالِ القُـروط والأحجـالِ

غيـر أنَّ الهـوى شـديدُ محـالٍ يفتـك الـريمُ فيـه بالرئبـال

لـذت مـن حربـه[1] بـسلمٍ فمـا زا د سـوى تيـهِ عـزَّةٍ ودلالِ

أشـكلَتْ قـصتي وهـا أنـا أعـدد تُ لهـا رأيَ موضـح الإشـكالِ

طاهرُ الأصلِ طاهرُ الفضلِ زاكٍ عَلَـمُ الاهتـداءِ شـمسُ الكمـالِ

مرشـدٌ مبـرِزُ الحقـائقِ مـن بيـ ـن خبايـا غـوامضِ الإجهـال

قلـدتنا يـدُ الزمـانِ صـنيعاً لا نـؤدي لـه جـزاءً بحـالِ

[مُنتَضٍ من قواطعِ الحججِ البيـ ـضِ حُساماً مبتراً للضلالِ][2]

فاض جـوداً وكـان مـن قبـل هـذا حـين يُـدعى يعـد فـي النجـالِ

وسـما طالعـاً بـه أوجـب الـسعـ ـد لعبـدِ الـرحمن أَسمى المثالِ

فـشهدْنا جمـالَ يـومِ سـناه مـشرقاً مـن تبـسُّم الآمـالِ

وانجلـتْ خلعـةُ الهنـاءِ ونـودي فـي النـوادي بجودهـا والنـوالِ

وأشـيدت معـالمٌ بـذراها يالهـا مـن معـالمٍ ومعـالِ

ومقـامٌ بفـضلِه شـهدَ الـضدْ دُ ودانَـتْ لـه رقـابُ الرجـالِ

مـددٌ سـابق العنايـة أجـرا هُ وفـيضٌ مـن سـابغ الإفـضالِ

---

(١) في الأصل: حرب، والصواب ما أثبت.

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من الأصل.

أحرزتْ كفؤَها المناصبُ حقّاً وتباهَتْ بعالمٍ مِفْضالِ
وتحلَّتْ أجيادُها بعقود أخجلَتْ في البها عقودَ اللآلي
ذا هكذا المواهبُ تأتي لا بسعي لها ولا بذلِ مالِ
هو أهلٌ لذاك وهو جديرٌ أن أغال في مدحِه وأغالي
هذه مدحةٌ ومنحةُ ودٌّ لمقام السناءِ والإجلالِ
بِكْرُ فكرٍ تضمَّنَتْ طيبَ ذكرٍ لمعالٍ أتت فِخامٍ جزالِ
فلدا لا تنال عند اجتلاها بقلى حاسدٍ ولا قدح قالي
وردَتْ من جنابه المنهل العذ ب وحثَّت الثمال كلَّ الثمالِ
نسأل اللّه أن يُديمَ به النفـ ـع ويحيي به دوارسَ الآمال
ويُبَقِّيه مفزَعاً في المُهِمّا ت حياةً لصالحِ الأعمالِ
ويُوالي له الهنا والمسرا تِ بمرِّ البُكور والآصالِ
وصلاةٌ من الإله دواماً ما همَتْ سحبُ مغدقٍ هَطّالِ
لرسولِ الإله والآلِ والصحـ ـبِ فأكرمْ بخيرِ صحبٍ وآلِ

[١٢٤٧] عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربيني(١).

شارح «المنهاج»، وغيره من المؤلفات النافعة، قال النجم الغزي في

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٠٣) (١٨٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٧٨).

«ذيله»: اجتمعت به ليلةً بالمدينة المنورة، عند الشيخ مرعي بن عراق الشامي، سنة عشرين بعد الألـف، فرأيتـه من أهـل العلم والبراعـة في فنـون، حسنَ الأخلاق، كثيرَ التواضع، عليه أُبهة العلماء، وزِيُّ الفقهاء، وتجاريت معه في أبحاثٍ أفصحت عن فضيلةٍ كليةٍ، وسألته: كم حججتم؟ فقال: أربعاً وعشرين مرة، فقلـت: أنتم ـ معـاشر المصريين ـ يحج الواحـد منكم مراتٍ، وأهل الشام لا يكاد الواحد يحج منهم إلا مرةً، فأنتم أرغب في الخير منا، فقال لي: يا مولانا! الواحد منا يستأجر بعيراً بعشرة دنانير، ويحمل تحتـه ما تيسر من الزاد، وأنتم إذا حج الواحد منكم، يتكلف كلفةً كثيرةً، تكفي عدّةً منا، وطريقكم أشقُّ من طريقنا، والأجر يكون على قدر النَّصَب والنفقة، كما في الحديث، فحجـةُ الواحـد منكم تعدل حجـات الواحـد منـا، فدل ذلك على إنصافه، وحسن نظره.

ثم لما حججت سنة ثمان بعد الألف، رأيته بمكة المشرفة، فوجدته قد زاد نورانيةً، وعظُم علماً وحلماً، وهو ملازمٌ مع ذلك على العبادة، وكان قد أخـذ العلوم من والـده، ثم غيره، وكان يجاور بمكة في أواخر أمره كثيراً، وكانت وفاته في شهر صفر، سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٢٤٨] عبـد الرحمن بن أبي الفضل بن بركات الموصلي الميداني الشافعي[١].

كان شيخ زاويتهم بميدان الحصى، ولما استخلفه والده في حياته، ذكر

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٠٤) (١٨٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٤٦).

أنهم كان لهم حلقةٌ يوم الجمعة بالجامع الأموي، قد تُركت منذ زمانٍ قديمٍ، فأذن لولده المذكور، فعُملت له حلقةٌ غربي الصنجق، داخل الجامع، في حدود الألف، بعد أن استشار خاله الشيخ أحمد العيثاوي، وبقيت إلى الآن.

وكان فاضلاً شيخاً، صافي السريرة، لين العريكة، وكان أسنّ إخوته، وله همةٌ عليةٌ.

مات أول وقت الظهر، يوم الاثنين، ثاني ربيع الثاني، سنة سبع عشرة ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، وكانت جنازته حافلةً، وصلى عليه خاله العيثاوي إماماً بالناس بالمصلى، حين صار ظل كل شيء مثليه، ودفن لصقَ والده العلامة بدر الدين، بإجازة عمه الشيخ تقي الدين ـ رحمه الله ـ.

[١٢٤٩] السيد عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله، اشتهر جده عبدالله بدويد ـ مصغراً ـ[١].

الشريف الجليل، الذي ترتاح به النواظر، وتشرح برؤيته الصدور والخواطر، وحُسن شعاره ودثاره، وارتفع قدره ومناره.

وُلد بـ «تريم»، ونشأ بها، ولاحظته عناية ربها، فحفظ القرآن، وصحب الأئمة أولي العرفان، واستيقظ من سِنَة الغفلة، وتنزه عن كل وَصْمة وزلَّة.

وكانت له أخلاقٌ كريمةٌ، ومحاسنُ جسيمةٌ، وكان عمه وشيخُه السيد عبد الرحمن يحبه، ويثني عليه، وألبسه الخرقة الشريفة، ولم تزل مشارع مجده صافية، وجلابيب اصطناعه ضافية، إلى أن قدم على من لا تخفى عليه

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٧٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٦).

خافيـة، فتوفي بتريم، سنة عشر بعـد الألف، ودفن بجنان بشار ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ.

[١٢٥٠] السيد عبد الرحمن بن محمد بن عقيل بن أحمد ابن الشيخ علي السقاف[١].

أحد السادة الكرام، الأئمة الأعلام، وأجل الأعيان، المميز على الأقران، ذو الرفعة الزائدة، والمنزلة الصاعدة.

وُلد سنة ثمان وأربعين وتسع مئة، بمدينة «تريم»، ونشأ بها على النعيم، وحفظ القرآن العظيم، ثم اشتغل بالعلوم، وسلك طريق القـوم، وجمع بين العلم والعبادة، والورع والزهادة.

وأخذ عن الإمام القطب السيد محمـد بن عقيل وطَب، والفقيـه علي بن عبد الرحمن السقاف، وغيرهما، ولبس خرقة التصوف من كثيرين، وأذن له غير واحدٍ من المشايخ في الإلباس، والجلوس لنفع الناس، وأخذ عنه جمعٌ من الشيوخ، منهم: ولـده السيد عقيل، والسيـد العلامـة أبو بكر بن أحمد الشلي، والسيد أبو بكر بن شهاب الدين.

وجلس للدرس العـام، بمسجـد[٢] آل باعلوي، بعـد صلاة العشـاء، فحضره خلقٌ كثيرٌ، وكان صوفياً وجيهاً، جواداً فقيهاً، من عقلاء الرجـال، القليل الأمثال، جمعت فيه الخلال الجميلة، والأوصاف الحميدة الجزيلة؛ من التواضع والاعتراف، والعدل والإنصاف.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٧٧).

(٢) في الأصل: ومسجد، والصواب ما أثبت.

وقد ذكره شيخنا السيد محمد الشلي ـ رحمه الله ـ في كتابه «المشرع الروي في مناقب بني علوي»، وأطال في ترجمته، ولم يزل ناهجاً الطريقة الموصلة لرضاء الرحمن، حتى وافاه أوان الأوان، وانتقل إلى رحمة الرحمن، فتوفي سنة إحدى عشر[ة] بعد الألف بـ «تريم»، ودفن بجنان بشار ـ أسكنه الله دار القرار ـ.

[١٢٥١] عبد الرحمن ابن سيدي الشيخ العارف بالله عبد الوهاب الشعراني بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى ابن مولاي عبدالله الزغلي سلطان تلمسان، وأحد أصحاب سيدي الشيخ أبي مدين الأنصاري، هكذا رأيت بخط بعضهم نسبَ سيدي عبد الوهاب ـ قدس الله سره ـ[(١)].

الشيخ الصالح، وُلد بمصر، ونشأ بها تحت حجر والده، وأخذ عنه، وتربى به، ولازمه إلى أن توفي، وقام بالزاوية بعده، لكن قام عليه أولاد أخي الشيخ، ومقدمهم الشيخ عبد اللطيف، وسلك سبيل الشيخ عبد الوهاب في الكرم والبذل والإيثار، حتى بملبوسه، فضلاً عن طعامه.

وكان ولد الشيخ يحب الإمساك، ويرمي بما قال المصطفى ﷺ: أنه لا دواء أَدْوى منه، لا سيما للنساك، فمال فقراء الزاوية مع عبد اللطيف، وترافعوا للحكام غير ما مرة، وكاد أمره أن يتم، فلم يلبث أن مات عبد اللطيف، واستقر الأمر لولد الشيخ، فصار معظَّماً عند الحكام، وأمرُ الزاوية في انتظام.

لكنه أقبل على جمع المال، والظاهر: أنه لما لَهُ من الأطفال، ثم ترك المدرسة والدراسة، وتحول بعياله، فسكن على بركة الفيل، أعظم متنزه،

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٦٤).

وصار لا يأتي إلى الزاوية إلا يوم الجمعة غالباً، فتلاشت أحوالها جداً، حتى صار مجلس ليلة الجمعة يجلس فيه نحو اثنين وثلاثة، أولَ الليل، ثم يغلبهم النوم، وكان في زمن الشيخ، يصعد المؤذنون من نحو نصف الليل، فيحصل الإيقاظ التام، والاشتغال بالذكـر والقيام، والأنس التام، وغير ذلك من كل خيرٍ وفضلٍ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ﴾[الأحزاب: ٣٨].

ثم مات صاحب الترجمة آخرَ ذي الحجة، سنة إحدى عشرة بعد الألف بمصر، ودفن بزاوية والده، بباب الشعرية ـ رحمه الله ـ.

[١٢٥٢] عبـد الرحمن بن عبدالله بن صلاح بن علي بن سليمـان بن محمد بن داود بن إبراهيم بن أحمد بن علي[١].

القاضي العلامة، كان فقيهاً عارفاً، ولي القضاء بجهـة الحيمـة للإمام المؤيد، وأخيـه الإمـام المتـوكل، وكان نبيلاً فاضلاً، حسن التلاوة للقرآن العظيم، مؤدياً تأديةً حسنةً، ويلتقي نسبه ونسب عبد الرحمن بن عبدالله، الذي سبق ذكره، شيخِ الإمام القاسم في داود بن إبراهيم المذكور، وجدهما سليمان المذكور، يجمع نسبهم ونسب فقهاء حِصبان، وفقهاء العيانة، ومشايخ سَمَاه بني النوار، وفقهاء الرجم، هكذا قاله المترجم، وبنو النوار ـ فيما أحسب ـ ينسبون أنفسهم إلى غير هذا النسب، والله أعلم.

توفي بعد أن اختلط، في سنة نيف وستين بعد الألف.

[١٢٥٣] السيد عبد الرحمن بن محمد بن شرف الدين الحجاف[٢].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٦٣).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٨٠).

كان علامةً يضرب به المثل في الذكاء، وكان يشبَّه بجده من قبل الأمهات السيدِ عبدِ الرحمن الماضي ذكره، وكان محققاً في الأصول والمنطق، واشتغل بالتفسير في آخر أمره، وله «شرحٌ على غاية السول» للسيد[1] الحسين بن القاسم أجاد فيه.

وكان متولياً لأعمال «حفاش»، ثم استقر بصنعـاء، وكان لا يطمع في شيءٍ من زينة الدنيا، ولا همّ بغير العلم، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالحشيشية، من مخارف صنعاء، في نيف وخمسين بعد الألف، ودفن بصنعاء بتربة خزيمة.

[١٢٥٤] عبد الرحمن بن المنتصر العَشَبي.

نسبةً لبني عَشَب: قبيلةٌ باليمن، كان فقيهاً عارفاً، له قدمٌ في الجهاد، وسابقةٌ بقـود العسكر، ويباشر الحرب ويحاججها، وذهبت إحدى كريمتيه في سبيل الله سبحانه، وكان يعدّ في أضراب العلامة سعيد بن صلاح الهبل، وهو أحد تلامذة القاضي سعيد، ومن جملة الذين قرؤوا عليه بمدينة كحلمان.

واتفق أن القاضي سعيد عُقل يوماً، فاستناب صاحب الترجمة للتدريس، فدرس، ولم ينتظروا الشيخ، وكانت إحدى العجائب، التي يتعجب بها الطلبة، وكان القاضي سعيد يقول: إن تلك القراءة التي ناب فيها عبد الرحمن في ذلك اليوم، يجدها علماً في الكتاب المقروء، لا أدري في «شرح الأزهـار»، أو غيره، فإنه فاته فيها التحقيق، وكان فصيحاً، له قصيدةٌ طنانةٌ في الفقيه يحيى ابن أحمد المخلافي، وتوفي ـ رحمه الله ـ بالمشرق، سنة سبع وأربعين وألف، وعُمل عليه قبة.

---

(١) في الأصل: السيد.

[١٢٥٥] عبد الرحمن بن محمد الحَيْمي.

القـاضي العلامـة، توفي ضحى يوم الأربعـاء، لثلاثٍ بقين من ربيع الأول، سنة ست وستين وألف بصنعاء، ودفن بجربة الروض.

[١٢٥٦] أحمد بن حميد الدين.

مؤلف «ترويح المشوق» توفي سنة اثنتين وسبعين وألف بصنعاء، ودفن بخزيمة[١].

[١٢٥٧] عبد الرحمن بن محمد الخطيب[٢].

الفقيـه الفاضل اللبيب، والعاقل الأريب، أحد علماء الدين، وأوحد الأستاذين.

وُلد بمدينة «تريم»، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بتحصيل العلوم، المنطوق منها: والمفهوم، وأخذ عن علماء زمانـه، وفقهاء عصره وأوانـه، منهم: السيد علي بن عبد الرحمن السقاف، وولده محمـد، والشيخ حسين ابن الفقيه عبدالله بلحاج، وصحبه جماعةٌ من العارفين؛ كالإمام العارف بالله أحمد علوي، والسيد الجليل محمد بن عقيل مديحج.

وشمر ساق الاجتهاد، حتى حصل له السؤل والمراد، وانتفع به جمعٌ كثيرون، في عدة فنون، لا سيما العلوم الشرعيـة، والفنـون الأدبيـة، وكان محافظاً لأزمانه وأوقاته، مقبلاً على طاعة ربه وعباداته.

---

(١) يلاحظ أن موضع هذه الترجمة مع الأحمدين في الجزء الأول.

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٢).

واشتهر بمعرفة المذهب، والورع والتقوى والأدب، مع الزهد والعفاف، والقناعة بالكفاف، ومحبة السادة الأشراف، وقبول عند أهل الوفاق والخلاف، ولم يزل يترقى درجات الكمال، إلى أن وافاه الانتقال، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، بمدينة «تريم»، ودفن بمقبرة القريط ـ رحمه الله ـ.

[١٢٥٨] السيد عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن عمر بارَقَبَة(١).

أحد السادة الصوفية، صاحب المقامات العلية، والسيرة النبوية، والأخلاق المحمدية.

وُلد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، وصحب العارفين، وأخذ عن جماعةٍ من العلماء العاملين، من أهل ذلك الزمان، أهل العلوم والعرفان، منهم: السيد الجليل محمد بن عقيل مديحج، والشيخ أبو بكر بن سالم صاحب «عينات»، والسيد سالم بن أبي بكر الكاف، والسيد عمر بن عبدالله الهندوان.

وكان كثير الاجتهاد في العبادات، الفروض والمسنونات، كثير التلاوة والاعتكاف، مثابراً على جميع محاسن الأوصاف، مواظباً على الجمعة والجماعات، وكان يؤم بأولئك في مسجد آل باعلوي، وكان الناس يهرعون إلى حضور الجماعة خلفه؛ لشدة حرصه على السنن الشرعية، والآداب المحمدية.

وكان حريصاً على الورع، مجانباً لجميع أنواع البدع، زاهداً في هذه الدنيا الفانية، راغباً في الآخرة الباقية، كثير العزلة عن الناس والانتزاح، كثير

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٧١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٤).

المحبة والاجتماع بأهل الصلاح، ومن ثم ظهر صلاحه، وبدا فلاحه، ولم يـزل على الحـال المذكـور، إلى أن حل ساحـة القبور، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله ـ.

[١٢٥٩] عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري؛ نسبةً إلى الخيارية: قريةٌ بمصر، الشافعي[١].

الشيخ الإمام العلامة، المتبحر في العلوم الدينية، المفرد الجامع لأنواع العلوم العقلية والنقلية، بديع الزمان، وفريد الأوان، والحائز كمالات الأوائل والأواخر، التي لا تفي بذرة من أوصافه الحميدة ألسنةُ الأقلام وأفواهُ المحابر، مغني اللبيب بتحريره وتحبيره، وتوضيحه وتسهيله.

قرأ بمصر على شيوخ عصره؛ كالشيخ نور الدين الزيـادي، وأبي بكر الشنواني، وأحمد الغنيمي، والشيخ محمد الخفاجي، وأجازه شيوخ عصره، وشهدوا له بالفضل، . . .[٢] ومزيد الحلي، . . .[٣] وأخذ عمن في طبقتهم من علماء ذلك العصر، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر الأنور، وانتفع به طلبة العلم، ولازمه جمعٌ من أكابر الشيوخ، وأخذوا عنـه العلم، منهم: شيخنـا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وكـان يثني عليـه كثيراً، ويطرز دروسه بذكره، ويشير إلى جلالة قدره.

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٤٤٥) (٧٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٦٧)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٤٢٦).

(٢) بياض بمقدار كلمة في الأصل.

(٣) بياض بمقدار كلمة في الأصل.

ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، وورد المدينة أواسط محرم، سنة تسع وعشرين بعد الألف، واستوطنها بإذن من رسول الله ﷺ ـ كما أخبرني به شيخنا شهاب الدين أحمد البشبيشي ـ، وأقام بها على خيرٍ وفي خيرٍ، ملازماً لبث العلم ونشره، ويقال: إنه كان يرى رسول الله ﷺ عياناً.

واتفق له: أنه ختم كتاباً في الحديث، وشرع في الدعاء، ثم وقف منتصباً، رافعاً يديه كالمؤمِّن على الدعاء، فقام أهل الدرس من طلبته وغيرهم، ثم طال وقوفه جداً، بحيث إن بعضهم تعب من الوقوف وذهب، وبقي الواقفون متعجبين منه، وهو مطرقٌ، وكان في غير شعوره، فبعد ختمه الدعاء، قال له بعض أخصائه من تلامذته: ما هذا الوقوف يا سيدي؟ فإنه لم يعهد لك مثله، فقال: والله! ما وقفت إلا وقد رأيت رسول الله ﷺ واقفاً يدعو لنا، واستمريت منتظراً له، حتى فرغ من دعائه، وهذه من كراماته ﷺ[1].

ولما قدم المدينة، أنشأ قصيدةً سينيةً يقول في أثنائها:

أريدُ مقامًا عندكم لا يشوبُه ... خروجٌ لغير الحجِّ إلاَّ إلى الرمسِ

فكمل الله له ما نواه من ذلك، وبلغه مراده، فلم تُزَقل ركائبه، ولا وضعت نجائبُه إلى قطر من الأقطار، ولا مصر من الأمصار، من لدن حل المدينة، إلا لمكة المكينة، حتى توفي بطَيبة شهيداً، بعد ظهر يوم الخميس، الثاني وعشري ربيع الثاني، عام ستة وخمسين بعد الألف، ودفن بالبقيع

---

(١) وهذ القصص والحكايات صناعة صوفية مكشوفة، لا يقبلها عاقلٌ ولا صاحب دين، وإنما تسوغ على أتباع هذه الطرق الفاسدة نسأل الله السلامة في العقل والدين، وغفر الله للمصنف ورحمه في إدراجها في كتابه.

الفرقد، وأرخ وفاته ولده إبراهيم بقوله:

إذا قيـلَ لـي فـي أيِّ عـامِ وفـاةُ الحبـرِ والـدِك الخيـاري
أقـولُ وقـد تـدرَّعْتُ اصـطبارًا أؤرخـه (أُحِـلَّ بخيـرِ دارِ)

وكان بينه وبين الفاضل الشهاب الخفاجي مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ، وبينهما مراسلاتٌ، ذكر بعضها في «ريحانته»، ومن مؤلفاته: «حاشيةٌ على شرح المنهج» فيها فوائد غريبة، وقفت على بعضها بمصر.

ومن شعره قوله:

ولما أتى العبدُ الضعيفُ لطيبة الـ أمينةِ دارِ المصطفى معـدِنِ الأُنـسِ
وشاهدَ ما فيها من الخيـر والـصفا غدا منشداً قولاً صحيحاً بلا حدسِ
أيا أهلَ دارِ المصطفى قـد ظفـرتُم بما لم ينلْه غيرُكم من بني الجنسِ
وحزتُم مقامًا فيه جزتُم إلـى الـذُّرا وعـزّاً وإكرامـاً وفخـراً بـلا لَـبْسِ
وحقَّ لكم حقُّ الرعايةِ فـي الـورى وفيكمْ بدا بين الملا سرُّهُ القدسي
ودام بكـم عـونُ العنايـة مـسعفاً وأضحى بكم شأنٌ يشاهَد بالحسِّ
أليس إلهُ العـرش يختـار مَـنْ بهـا أليس بها الأملاكُ تُصبح أو تُمسي
ألـستم تـرونَ المـصطفى ويـراكُم ويسمعُ نجواكُمْ ويـسمحُ بـالأُنسِ
ويُـتحفكم فـوقَ المؤمَّـل بعـدَ مـا يُزيل كروبًا عـنكمُ غوثُـه النفـسي
ألـيسَ مقامًـا حلَّـه فـاقَ كـلَّ مـا سواهُ من الأكوانِ والعرشِ والكرسي
أليسَ لـه الجـاهُ الوسـيعُ وفيـه مـا يبلِّغنـا فـوقَ المـرادِ بـلا يـأسِ
ألـيس هـو المـولى الـشفيع وبابُـه أمانٌ لكلِّ القاصـدين مـن البـأسِ

أليستْ عطاياهُ العظامُ وبرُّهُ لجيرانِه أقوى ظهورًا من الشمسِ
أليسَ بهم بَرًّا وفيًّا وفيهمُ رؤوفاً عطوفًا كم وقائع في الطِّرْسِ
وماذا يقولُ المادحونَ ويبلغُ المبالغون وأنت الفردُ في النوعِ والجنسِ
وأنت على كلِّ الخلائقِ سيدٌ شفيعٌ إذا ما قالَ كلُّهم نفسي
فكنْ لي معيناً دائماً ووسيلةً وكن لي شفيعاً منقذاً من أذى النفسِ
وصحبي وإخواني وأهلي وعِتْرتي فجدْ لهم يا رحمةَ الجنِّ والإنسِ
فإني بحمدِ الله قد صرتُ جارَكُم وشُرِّفْتُ إذ أَهَّلْتموني للدرسِ
ويَشَّرْتُموني إذ سألتُ بأخذه لتحريضِهم منكمْ عليهِ بلا لَبْسِ
وأرجو مقامًا عندَكم لا يشوبُه براحٌ لغير الحجِّ إلا إلى الرمسِ
بأرضٍ بقيعٍ فيه عزتُك التي لها شرفٌ عنه تناءتْ يدُ اللمسِ
وأطلبُ فضلاً أن أكون عقيبَ ذا رفيقَك في الجناتِ طيبةِ الغرسِ
عليك صلاةٌ ليس يُقدَرُ قدرُها يليها سلامُ الله من سرِّه القدسي
وآلِكَ والأصحابِ والتابعينَ ما تلا قارئٌ في مجلسٍ آيةَ الكرسي
وناظمُها العبدُ الخياريُّ معهمُ ليخفى لدى أنواره ظلّه الحِسِّي
ومنشدُها قال معين جميعهم بجاهِك يعطَوْنَ الأمانَ من البأسِ
وما تُليت آياتُ مدحِك في الورى وما طابتِ الجيرانُ بالنفَس النفسي
وما دامتِ الأمدادُ منكَ إليهمُ تَوالى بلا حصرٍ يقيناً بلا حدسِ

وقوله:

العين حرفٌ له علوٌّ وعزةٌ في الورى عليّهْ

وقــد ســما مـــن ثـــلاثٌ عـــزٌّ وعــرسٌ وعالِميَّـــهْ

والأصلُ فيه قول الحافظ الذهبي:

الجـيمُ حـرفٌ لــه سـموٌّ إلـــى ذرا الرتبـــةِ العَلِيَّـــهْ
فقــد ســما مـــن لـــه ثــلاثٌ جــاهٌ وجهـــلٌ وجامِكِيَّـــهْ

ووقفت على إجازةٍ كتبها له العلامة أحمد المقري، منها: وإن من أغرب ما قرع سمعي من العجائب، التي لم تزل تمليها ألسنة الأزمان: أن سيدنا ومولانا الورع الصالح، الناصح الزاهد، العلامة شيخ الإسلام، مولانا وجيه الدين الشيخ عبد الرحمن الشافعي الخياري، نزيل طيبة المنورة ـ على ساكنها من الصلاة والسلام النفحات المعطرة ـ كتب إلى بعض الأصحاب كتاباً مضمنه أن يستدعي لـه مني إجـازة مروياتي ومسموعاتي، ومؤلفاتي وموضوعاتي، فذكر لي ذلك، فخجلت، وتلفعت بمروط الجهل، وخفت من الفضيحة ووجلت، وأنشدني قول ذي الفكر الصائب، في قضية إلفه الغائب:

على أنهـا الأيـامُ قـد صـرْنَ كلُّهـا عجائب حتى ليس فيهـا عجائـبُ

ثم راجعت الفكر وقلت: لعل المكتوب إليه غلط في هذا الأمر، ولم يفرق بين إسناد زيد وعمرو، فراجعته، فحقق القضية، وقال لي: إن هذا أدل دليل على صفاء سريرة هذا الصالح العالم، وخلوص سيرته المرضية، فسنح لي أن رواية الأكابر عن الأصاغر، ربما حصلت من ذوي الرتب المنيفة، وهذا الإمام مالك قد روى عنه الإمام الأعظم أبو حنيفة حديثَ: «الثيب تعرب عن نفسها»، وحديث جاريـة كعب بن مالك في ذكاتها، حسبما ذكره في بعض

تآليفه حافظُ الإسلام الجلال السيوطي، كاشفُ إشكال المسائل ولبسها، ثم رأيت أن أجيب مستفيداً لا مفيداً، ومتبركاً بمخاطبة هذا الإمام؛ لعلي أنال بدعوة منه توفيقاً وتسديداً.

فأقول، وعلى الله أعتمد، ومن بحر كرمه أستمد: أجزت سيدنا ومولانا المذكور، كلَّ ما صحت لي روايته وعني، وظني في إغضائه عن هذا الزلل ظني، فإن المرء بعيب نفسه أبصر وأعرف، والمقام الخياري أجل من أن يجيزه مثلي وأشرف، وامتثال الأمر مطلوب، والله ﷻ عند منكسرة القلوب، وقد أهديت بهذا إلى صنعاء وشياً، وعرفتُ شيئاً، وغابت عني أشياء، وأنّى ينتشل الغث من يجد السمين، أو ينافس في الخرز من بيده الدر الثمين، أو يقاس المجهول بالصادق اللهجة الأمين.

فأما الكتب الستة، التي هي كف الإسلام ومعصمه، وأعني: «الموطأ»، والخمسة التي وضحها لراويها معلمه، فأرويها كلها، بعضها سماعاً غير مرةٍ، وبعضها إجازةً عن مولاي العم الإمام، مفتي الأنام، ملحق الأحفاد بالأجداد، المبرز على النظراء والأنداد، سيدي الشيخ سعيد بن أحمد المقري التلمساني ـ سقى الله ضريحه، وروح روحه ـ عن الشيخ أبي عبدالله التنسي، عن والده الحافظ محمد بن عبدالله التنسي الأموي، عن الإمام الحافظ البحراني عبدالله محمد بن مرزوق التلمساني الشهير بالحفيد.

ثم ذكر مؤلفاته، ثم قال في آخرها: وقد جرى على لسان الارتجال، الضيق المجال، وبالله اعتصامي وقوتي وحولي:

أجزتُ لمن حازَ قصبَ الفخارِ وجلَّى في العلوم فلا مُجاري

وأضحى عابدَ الرحمن حقّاً وجيهَ الدين مولانا الخياري
رواياتي جميعاً عن شيوخ لهم بالغربِ صيت واشتهار
كعمي المفتي سعيدٍ إمامِ زمانه قطبِ المدارِ
ومنظومي ومنشوري وإن لم أكنْ في الكل أهلاً لاعتبارِ
وحسنُ الظن بالإغضا كفيلٌ ورعي العهدِ مع بعدِ المزارِ
فأنت المفردُ العَلَم المنادَى ومثلُك من أصاخَ إلى اعتذاري
ولا تغفلْ محبَّكَ من دعاءٍ بنيلِ القصدِ في تلك الديارِ
فقد صرفت عوائق عن مسيري بهذا العامِ عائقة جواري
ويرجو أحمد المقري فوزًا بعفوِ اللهِ في دار القرارِ
بجاهِ المصطفى خيرِ البرايا إمامِ المرسلين بلا تَمارِ
على عليائِه أزكى صلاةٍ وصحبٍ ما أَضَتْ شمسُ النهارِ

ومن أبياته السائرة سير الأمثال، التي قلّ أن يوجد لها مثال، قوله في محبة المدينة الشريفة:

إذا لم تَطِبْ في طَيْبَةٍ عندَ طَيّبٍ بهِ طَيبةٌ طابَتْ فأينَ تَطيبُ

وقد نحا نحوه سيدُنا الشيخ عبدالله بن محمد العياشي المغربي بقوله:

بطيبةَ طابَ الطيبونَ لطيبِها بأطيبِ طيبِ طَيِّبٍ لمطَيّبِ

[١٢٦٠] السيد عبد الرحمن بن محمد بن شرف الدين الحجاف.

أحد العلماء المتقنين، والفضلاء المدققين، له مؤلفاتٌ، منها: «شرح

غاية السول في الأصول» للحسين بن القاسم، وهو من الشروح النافعة، وكانت وفاته في شهر ربيع الآخر، سنة اثنتين - بتقديم السين - بعد الألف، ودفن في خريمة.

[١٢٦١] عبد الرحمن بن صديق الطباطبي[1].

من أعيان أهل مكة، وأجلاَّء علمائها، وكان مقرباً عند الوزير جعفر باشا، الذي أرسله السلطان إلى اليمن؛ لأنه استوطن الديار اليمنية، وأقام بها نحو خمسة وثلاثين عاماً، وصار قاضيها ومفتيها، ومرجع ولاتها، معظماً عندهم.

وكان آيةً من آيات الله في الذكاء والفطنة والعلم، وكان شريكاً للإمام عبد القادر الطبري بمكة على شيوخه، ولما رجع الوزير المذكور من اليمن، سنة خمس وعشرين بعد الألف، صحبتُه، ولم أقف على تاريخ وفاته.

[١٢٦٢] عبد الرحمن الأماسيلي البيراقي.

أخذ العلوم عن علماء عصره، وصار ملازماً، ثم لحقته الجذبة، وسلك عند الشيخ علاء الدين البيراقي، ثم وصل إلى السيد عثمان البيراقي، وكمل الطريقة عنده، وصار شيخاً بزاوية عبايجي، بقرب سوق النساء بالقسطنطينية، وهو الآن بها مشغول بإرشاد الطلبة، وله كشفٌ وكراماتٌ.

قال أخونا حسن بيك، المعروف بابن جاشنكير: كنت حاضراً عند الشيخ، فجاء رجلٌ من القضاة يقال له: السيد محمد بن سيف الله، وقال له:

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٦٥٩) (٣٦٨).

قد شكاني رجالٌ إلى السلطان بغير حقٍ، والوزراء يميلون نحو خصمي، ويريدون أن يحضروني إلى الديوان غداً ويضجروني، فجئت إليك هرباً منهم، ورجاءً من إحسانك، ولا أكون منكراً للأولياء، فقال: لا تخف، إن الله قادرٌ على أن لا يأتي أولئك إلى الديوان غداً، وكان سياويش باشا وزيراً أعظم، فعزل في تلك الليلة هو والدفتر دار، والذين هم يريدون الأذى لذلك القاضي.

[١٢٦٣] عبد الرحمن بن محمد الحميدي(١).

شيخ أهل الوِراقة بالقاهرة، الأديب الذي تفتحت بصَبا اللطف أنوار شمائله، ورَقَت على منابر الآداب خطباءُ بلابله، إذا صدحت بلابل معانيه، وتبرجت عرائس معاليه، شعر:

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

نظم في جيد الدهر جمانه ... وسلم إلى يد الشرف عنانه

وله ديوان شعرٍ ذائعٌ، وبديعية من البدائع.

وكانت وفاته سابع وعشري محرم، سنة خمس بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٢٦٤] عبد الرحمن بن علي الجازاني.

الشيخ الفقيه الإمام، الذي شهد له أكابر عصره بالولاية، والزهد في الدنيا، وسمو الأوصاف، والملازمة لذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كل آن، وخفض الجناح للمرشدين، كان من أجلاء تلامذة السيد حاتم الأهدل، وبه

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ١١٤) (١١٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٧٦).

تخرج، وله شيوخٌ كثيرون.

توفي في عشري صفر، سنة أربع وثلاثين بعد الألف بالمخا، ودفن بها، ووضع على قبره قفصٌ، وقد زرته بها، وحصلت لي منه كرامةٌ عظيمةٌ ـ نفع الله به ـ.

وجاءه بعض تلامذته يستشيره في الزواج، فأجابه على البديهة بقوله:

عِشْ أعزبًا تحظَ بعيشٍ هني ... فالحزمُ كلُّ الحزمِ حفظُ المني

وكأنه رأى ـ نفع الله به ـ: أن العزوبة خير له.

ودخل عليه بعض التجار بالمخا، المشهورين بالربا، وإنكار كرامات الأولياء، فبمجرد أن وقع بصره عليه، قال له ولم يعرفه: قيل: آكلُ الربا، ومعادي أولياء الله لا يموت مسلماً، بل يختم له بسوءٍ ـ والعياذ بالله ـ؛ فإن وصف الإسلام لا يجتمع مع محاربة الله مطلقاً، وقد قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وفي الحديث: «من آذى لي ولياً، فقد حاربته».

وله من هذا القبيل أشياء كثيرةً ـ نفع الله به ـ.

[١٢٦٥] عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر ابن علي الدَّيْبَع بن يوسف بن أحمد بن عمر بن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن يحيى بن مالك بن حرام بن عمرو بن مالك بن مطرف بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صفير بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هيت بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، الشيباني الزبيدي،

الشافعي، وجيه الدين الديبع[1].

كذا نقلت نسبه من خطه، في مؤلفٍ عمله فيه، وسمعته من لفظه، ونقل عن مؤرخ اليمن أبي الحسن الخزرجي: أن سبب نسبتهم إلى الديبع هو: أن والد علي، يوسفَ بنَ أحمد بن عمر، كان له ثلاثة أولاد، وهم: علي وعبدالله، وأحمد، خرجوا ذات يومٍ يلعبون مع الصبيان، ولوالدهم عبدٌ نوبيٌ يقال له: جوهر، فقال له سيده المذكور: ادع لي سيدك علي، فقال: ديبع ديبع؟ على سبيل الاستفهام، فقال: نعم، فخرج يناديه: ديبع ديبع، فسمعه الصبيان، فنادوه به، فلزمه هذا اللقب، ولزم ذريته من بعده، فلا يعرفون إلا به، ومعناه: الأبيض بلغة النوبة.

وقال السخاوي في «الضوء اللامع»: الديبع ـ بمهملةٍ مفتوحةٍ، بعدها تحتانية، ثم موحدةٌ مفتوحةٌ وأخرى مهملةٌ ـ، وهو لقب جده الأعلى علي بن يوسف، ومعناه بلغة النوبة: الأبيض.

[١٢٦٦] عبد الرحمن أبو المواهب بن محمد أبي السعود بن الشرف يحيى بن أحمد أبي السعود بن تاج الدين أبي السعود بن جمال الدين محمد ابن الجلال أبي السادات بن محمد أبي الفرج ابن الجمال القاضي محمد بن أحمد صفي الدين بن محمد بن روزبة بن محمود بن إبراهيم بن أحمد الكازروني المدني الشافعي الزبيري؛ نسبة إلى الزبير بن العوام ﷺ.

توفي سلخ ذي الحجة، سنة ألف ومئة وأربع عشرة بالمدينة، ودفن بالبقيع.

---

(١) في الأصل: الربيع، والصواب ما أثبت.

صاحبنا الخطيب الفاضل، سلالة العلماء الأفاضل، حائز الفنون الأدبية، ومالك عنان الفقه والعربية، كثير النقل والاطلاع، ذكي الفطنة، جيد القريحة، لطيف الطباع.

وُلد بالمدينة المنورة، سنة أربع وأربعين، وحفظ بها القرآن وجوده.

وقرأ على الشيخ محمد التعزي اليمني «الدرر اللوامع بشرحها له»، وقبله قرأ «أبا شجاع» بحثاً على الشيخ إسماعيل الكردي برباط سنان، و«التحرير» على الإمام عبد القادر الطبري بمكة بباب الدريبة من المسجد الحرام، وعلى الشيخ محمد بن أحمد الصالحي، وتممه على شيخه الشيخ ياسين بن محمد الخليلي.

وعلى خاله الشيخ رضي الدين بن حجر أشياء، وحضر دروسه بالمسجد الحرام، وفي سنة ثمان وستين قرأ عليه جملاً وألبسه الخرقة بمنى يوم النحر، وأسمعه سنده بها بعرفة، وقتَ الوقوف، ولقنه ذلك اليوم المذكور، وهو: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وشابكه، وصافحه، وأضافه على الأسودين: التمر، والماء، وناوله السبحة، وكتب له إجازةً بخطه.

وتفقه على الشيخ ياسين المذكور، قرأ عليه «المنهاج» بحثاً مراراً، بعد حفظ ربعه الأول، و«المنهج»، و«ربع الفتح»، و«الإيضاح ومختصره وشرحه» لعبد الرؤوف، وسمع «صحيح البخاري»، و«ألفية ابن مالك» و«شرحها» لابن عقيل بعد «الأجرومية»، و«الأزهرية»، و«المتممة»، و«تشييد المباني في المعاني» لابن مسدد، و«الخزرجية».

وعلى الشيخ علي بن الجمال اللجائي جميعَ «الصحيح» بالروضة، مع

أشياء في علم الكلام، وأصول الحديث.

وعلى الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني «كفاية العابد» لجده الصفي الكازروني، و«المنتقى»، و«الموارد الهنية»، و«الأربعين النووية»، وألبسه الخرقة، وأسمعه «المسلسل بقيد اليوم»، وأعطاه «حزب البحر»، وكتب له إجازةً.

ولبس الخرقة العراقية من يد الشيخ طاهر بن محمد بن طاهر بن علي بن عراق، وهي جبة صوفٍ أبيضَ لجده.

وقرأ على الشيخ عمر بن عبد الرحمن اللجائي، المفتي بها، حين جاور عندهم بالمدينة، سنة أربع وثمانين، بعضَ أحاديث من «الصحيح»، وجميع «الشمائل»، و«تشييد المباني في المعاني والبيان» لابن مسدد، و«الخزرجية»، وأجازه بكل ما له.

وعلى الخطيب أحمد بن عبدالله البري بعض أحاديث من «الصحيح»، وأجازه فيما بقي إجازةً مقرونةً بالمناولة.

وسمع على الشيخ يحيى المغربي، سنة تسع وسبعين جميعَ «الموطأ»، و«الشفا»، و«الهمزية»، و«منظومة المقري»، وكتب له إجازةً بخطه بجميع مروياته.

وعلى الشيخ عبد الملك بن محمد المغربي، حين جاور بالمدينة، سنة ثمانين، من أول «الصحيح» مع حضور بعض دروسه، وأجاز له فيه.

وعلى الشيخ أحمد بن عبد العزيز المغربي العياشي، سنة ثمانين ـ أيضاً ـ، وأجازه.

وعلى الشيخ بازعيفان «المسلسل»، وجميع «الشمائل»، وأبواب العيدين من «الصحيح»، قراءةً مقرونة بالمناولة، و«المسلسل يوم عيد الأضحى» سنة خمس وتسعين.

وجميع «ثلاثيات البخاري»، و«المسلسل» على المعمرة المسندة قريش بنت الإمام عبد القادر الطبري، بمنزلها بمكة، ومعه بنته عائشة، وهي إذ ذاك ابنة خمس سنين، فأجازت المذكور وبنتَه وأولادَهم بالرواية بالكتب الستة، وبكل ما يجوز لها روايته، وأنها تروي ذلك عن والدها، عن الشيخ عبد الواحد ابن إبراهيم الحصَّاري، تلميذِ الشمس محمد بن أحمد الغمري، أحدِ تلامذة الحافظ ابن حجر العسقلاني، وأجازها بكل مروياته.

وقرأ «الثلاثيات» ـ أيضاً ـ مع «ثلاثيات أبي عبدالله الدارمي»، والإمام الكشي شيخ البخاري وغيره في السنة المذكورة، بمكة ـ أيضاً ـ على المحدث الشيخ محمد ابن الشيخ محمد البخشي، وحضر دروسه، وكتب له إجازةً بخطه.

ورأيت بخط صاحب الترجمة، في آخر كاغدٍ ذكر فيه نسبه، وذكر فيه بعض أمورٍ جرت عليه، فصبر لها، وتلقاها بصدر رحيب، فأعقبها الظفر، ثم قال: هذا ما جرى لهذا الفقير، المعترف بالتقصير، وأردت بذكر هذه الوقائع، ليرى الناظر فيه حال الغابر، مع أني بحمد الله في أتم النعم، وقد قلدني الله أعظم منن، وتفضل على حبيبه ببشاراتٍ مكرراتٍ على تكرار الزمن.

منها: رؤيته ﷺ، ودخولي عليه، من بين حجرته من القبلة، وهو ﷺ جالسٌ مستقبلاً القبلة، وعليه رداءٌ أبيضٌ، ونوره ساطعٌ قد ملأ الكون، فجثوت

بين يديه، وقبلت يده، فإذا هي ألين من الخز، وأعطرُ من المسك، وهو أنورُ من البدر عند تمامه، فقلت له: يا رسول الله! الشفاعة، فرفع يده، وطبطب بها على ظهري، وقال لي: أبشر تنالها، يكرر ذلك ثلاث مراتٍ، وأنا أرجوها ـ إن شاء الله ـ بعرفان رؤيا الأنبياء حقٌّ، ووعدهم صدقٌ.

ومنها: رؤيتي له ﷺ الثانية، ودخولي عليه من باب الوفود، وهو جالسٌ، وبيدي «شرح الجرومية» للشيخ خالد، وبين يديه السيد عبدالله السمهودي، وهو يقرأ عليه شيئاً، فسلمت عليه، وطلبت أن أقرأ عليه الكتاب المذكور، فقال لي: والله! يا عبد الرحمن أنا الآن مشغول مع ولدي عبدالله، وإن شاء الله إذا فرغتُ منه، التفتُّ لك.

ومنها: رؤيتي له ﷺ الثالثة، وهي كأني داخل المسجد النبوي، وقاصد الروضة، فرأيت الناس لائذين حول حجرته الشريفة، فأردت الوصول لأعلم السبب، فلم أتمكن؛ لتزاحم الناس، فأتيت من جهة الوجه الشريف، حتى وقفت بين يديه من الخارج، فإذا بي أرى الشيخ عبدالله الخليفتي واقفاً قدامي، كأنه يزور، فأذن له في الدخول، فدخل، فقلت في نفسي: بعد أن دخل عبدالله فأدخل، فعزمت على الدخول، فمُنعت.

فحصل عندي تعبٌ، وقلت: عبدالله يدخل، وأنا أمنع؟! فالتفت عن يميني، فإذا أنا بالسيد زين العابدين بن عادل، وكان عليه عباءةٌ مثل عبي البدو، وفي يده مشعاب، فقلت له: يا سيد زين! مالي أُمنع من الدخول، وعبدالله يدخل؟ فقال لي: والله! تدخل، وهات يدك، فأخذ بيدي، وأدخلني.

وأخذ بي إلى جهة الرأس الشريف، وطلع بي إلى قرب المثلث من

داخل... نادى: فلانه، فلانه، فلانه! ثلاثاً فأجابت بخفيِّ صوتٍ: لبيك، من تحت الأرض، فقال لها: هنا عبد الرحمن، فبعد ساعة، وإذا بالأرض قد فتح منها طابقٌ بالقرب من موقفنا، ثم أخرجت جرةً كجرار الخل، مختومةً بالطين المحكم، فتناولها السيد المذكور بيده، وكان إذ ذاك بقيد الحياة؛ لأن هذه الرؤية متقدمة على وفاته بكثير؛ لأن وفاته كانت يوم ثالث عشر ربيع الثاني، سنة إحدى وتسعين وألف.

فقال لي: خذ، فأبيت أن أحملها، واستحييت من الناس، وكيف أمرّ عليهم وأنا حامل جرة، فقلت له: احملها إليّ إلى أن أبرز عن أعين الناس، وناولني المشعاب، فناولنيه، وحملها تحت إبطه، وستر عليها بعباءته، وانتبهت وهي معه.

ومنها: رؤيتي الرابعة، وهي في الحقيقة خامسة؛ لأنها مؤيدة لرؤية كانت قبل هذه، وستأتي في ضمنها، وهي رؤيتي له ﷺ في سنة ثمان وتسعين بعد الألف، في آخر رمضان، وكنت بتُّ متأسفاً على فراقه، وعلى فراق لياليه، وما كنا عليه من القيام والاستغفار في الأسحار منه، وغير ذلك.

فنمت، فرأيت كأني وصاحبنا العلامة الصالح الشيخ عبد الرحمن بن محمد الرسام المكي، وكان مجاوراً عندنا في تلك السنة، وكان بيني وبينه محبةٌ في الله، فكأني وولده الشيخ يحيى وجوهر، قاصدين الحجرة النبوية، حتى وصلنا إلى ذلك المطلب، فكأني تكفلت بالخطاب، قبل تلك الأصحاب، وفزت بذلك الجناب، فقلت له: يا رسول الله! أولادي، وهذا الذي أُلهمته، وهو عن غير قصدٍ مني كما ذكرته، فقال لي ﷺ: أولادك في ضماني، وعندك الخبر، وسيأتي لقوله ﷺ: وعندك الخبر مزيدُ بيان؛ لأنه أحاله على الرؤية

الرابعة، وستأتي بعد.

ورأيت في حال الدخول، أنا ومن معي ممن ذكر، الريس علي القصبي، أحد الرؤساء، كأنه واقفٌ على باب الريسة، يريد الصعود، فكأني كرهت كونه علم بمكاني ووصولي إلى هذا المحل، ودخولي فيه، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، في غدٍ علي يخبر الناس بمكاني، فأخذ يصلي على النبي ﷺ، على عادة الرؤساء عند طلوعهم، فانتبهت من صوته، فإذا بي وهو يتكلم في الريسية، فحمدت الله، وعلمت أنها رؤيا حق، ووعد صدق، وتحققت بقوله لي: وعندك الخبر: أنه هو ﷺ صاحب الرؤية الموعود بذكرها.

وهي أنه اتفق من منذ سبع سنين من هذه الرؤية: أن ابنتي عائشة، التي هي أكبر أولادي، كانت مجدرةً، وكان إذ ذاك في أواخر رمضان ـ أيضاً ـ، وكانت تلك الليلة في شدَّةٍ، ومعها أمها في سطحٍ، معها جدتها، وكنت قريباً منهم في سطحٍ آخر من البيت، أُشرف منه عليهم، وبت في كدرٍ لا مزيد عليه، فرأيت كأن إنساناً جليلاً معي على السرير الذي أبيت عليه، وهو يحدثني، وأراه يلطف بي في حديثه، فسألني عني بقوله: ما لي أراك مشغول البال؟ فقلت: يا سيدي! بنتي عائشة هذه الليلة في تعبٍ لا مزيد عليه مع هذا الجلدري، فقال لي: ما عليها بأسٌ، فقلت: إن شاء الله ببركاتكم، فقال في الثالثة: والله! إن أردت أن أخرج لك براءةً سلطانيةً في أولادك أجمع ما عليهم بأس.

فانتبهت من نومي فرحاً مسروراً، فأنبهت أمها، وبشرتها بأني رأيت رجلاً عظيماً، وقصصت عليها تلك الرؤية، وما ظننت أنه ﷺ، فحين قال لي في الرؤية السابقة: أولادك في ضماني، وعندك الخبر، عرفت أنه هو ﷺ، وازدادت طمأنينتي، واطمأن خاطري، وحمدت الله على صحة الرؤية،

ووعده ﷺ صدقٌ، يجب علينا الإيمان به.

وقد سبق لوالدي عناية شملته وذريته، في قصة الملائكة النقالة، التي رآها بالبقيع، وهي مذكورة في ترجمته، وقد رواها عنه من لفظه أهل عصره، وكنت منهم، سمعتها من لفظه، حرفاً حرفاً ـ رحمه الله تعالى ـ.

وبالجملة: فكان صاحب الترجمة قد حصّل ودأب، واشتغل بالفقه والأدب، وطرز المعارف بخطه، ونظم العقود والمسائل بضبطه، مع سكونٍ واقتصار، وخفض جناحٍ للكبار والصغار، حدث ودرس بالمسجد النبوي، واقتصر على ما يعنيه، وبما قسمه مولاه رضاً.

ومن شعره ـ وقد طلب منه بعض مشايخه نظمَ أصول الحلال ـ، التي في «ابن ناجي على الرسالة» عشرة: صيد البر، وصيد البحر، وتجارة بصدقٍ، وصناعة بنصحٍ، ومغنم قسم بعدلٍ، وميراث عن قريبٍ، وماء من غديرٍ، ونبات من أرض غير متملكة، وهدية من أخ صالحٍ، وسؤال عن حاجةٍ، فقال:

قال بعضُ الشيوخِ أصلُ حلالٍ ... هي عشرٌ في قالب التنقيحِ
صيدُ برٍّ وصيدُ بحرٍ هدايا ... من أخٍ صالحٍ عن التجريحِ
وتجاراتُ صادقِ القولِ والفعـ ... ـل ونصحٌ في صنعة التصليحِ
ثم منها مغانمُ قُسمت عدلاً ... وماءٌ من الغدير الفسيحِ
ونباتٌ في غير ملكٍ لشخصٍ ... ثم إرثٌ من القريبِ النزيحِ
وسؤالٌ عن حاجةٍ واضطرارٍ ... فهي يا صاحِ عشرةٌ بصحيح

ومما كتبه إلي، وقد نقل لي تراجم سلفه: قوله:

يــــا أيهـــا المـــولى الكبيـــر ومـــــن بـــــذكراه تَعَطُّـــرْ
هــــا قـــد أتتـــكَ تـــراجمٌ هـــي كالـــدراري حـــين تُنْثَـــرْ
هـــم أهـــلُ طيبـــةَ ســـيدي والنـــشرُ عـــنهم كـــان عنبـــرْ
فارعـــا لهـــم حـــقَّ الجـــوا رِ فأنـــتَ أعظـــمُ مـــن تـــدبَّرْ
واســـلمْ ودمْ فـــي غبطـــةٍ ونعـــيمِ عـــيشٍ مـــا تكـــدَّرَ

من شعره ـ أيضاً ـ: قوله يمدح الشريف سعد بن زيد بن محسن، صاحب مكة:

بروحي سعدَ الجودِ زيدَ بنَ محسنٍ خليفـةَ بيـتِ الله حقّـاً وسـلطانا
أراشَ جنـاحَ العـالَمين جمـيعِهم وبدَّلَـهُ بـالأمنِ والعـدلِ إحـسانا

والأصل فيه قولُ بعضهم:

بروحي أفدي جيـرةً مـا استعنتُهم على الـدهر إلا وارتجعْـتُ مُعانـا
أراشوا جنـاحي ثـم بَلُّـوهُ بالنـدى فمن أجلِ ذا لـم أستطعْ طيرانـا

وقول ابن العليق المكي من قصيدةٍ:

رِشْـتُموا بـالنوال والجـود والعـزْ زِ جنـاحي كمـا تُـراش الـسهامُ

وكتب إليه وهو بالطائف بعضُ أصحابه كتاباً من مكة، يشتكي فيه كثرة حرها، فأجابه بقوله:

تـشكو لـي الحـرَّ وأشـكو لكـمْ جورَ الهـوى المـشعثِ بالطـائفِ
طَفَـى المـصابيح وأهـدى لنـا بـرداً علـى الـساكنِ والطـائفِ

وله في الطائف حين كان به:

لله مـا أبهـى الحجـازَ ومـا حـوى　　طيـبَ الهـوى ونـضارَة الأشـجارِ
كم قد سرقتُ بـه لـذاذاتِ الهـوى　　وطفقــتُ أُنــشد حَبَّــذا مــن دارِ

[١٢٦٧] عبد الرحمن بن محمد الحيمي بن نهشل(١).

روض الفضل الأُنُف، والحديثُ الذي تُملأ بعجائبه الصُّحُف، الكاتب الذي أخذ عهد الخلافة عن القاضي الفاضل، وكان له خلف، فاصفرَّ لكلامه خجلاً دُرُّ الصدف، والإمام الذي ما فاهت بمثل ذكره أفواه المحابر، ولا كرت على مثل مديحه صفات الدفاتر. شعر:

بحـرُ علـمٍ وإن تـشأ فـابنُ بحـرٍ　　فـي ضـروبِ البيـانِ والتبيـينِ

سابقٌ في ميدان العلم لا يجاري في ميدانه، ولا تروى بدائع البدائه إلا عن زُهَيره وحَسَّانه، إلى خلقٍ قصر عنه أهل الطَّول والطُّول، وأفاد في دروسه العامرة بأهل الفضائل «جامع الأصول»، و«منتهى السول»، على الأدب بلا إملال، وينثر من كلماته الجامعة للبلاغة جواهر عوال غوال، إن كتب، كبت خيل العبدين خلفه، وأغضى ابن مقلة على قذائه، وشجى من الحيرة طَرفه.

أخـذ باليمـن عن شيوخٍ كثيـرين، ورحل إلى الحرمين، وأخـذ علوم الحديث عن الحافظ المحدث محمد علي بن علان المكي، وأجازه بمروياته،

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٣٦) (٢٣٣)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٥٩) (٣٣٢)، «البدر الطالع» (١/ ٣٤٠)، «هدية العارفين» (١/ ٥٤٨)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٢٨٠).

وعنه أخذ السيد العلامة أحمدُ بن الحسن بن حميد الدين، والقاضي العلامة محمد بن إبراهيم السَّحولي، وذكره في كتابه «ترويح المشوق في تلويح البروق»، وعقد لذكره فيه ترجمةً، وأورد من شعره قوله، وقد كتب إليه إلى كوكبان في صدر كتاب:

عن أحمدَ يروي حديثَ العلا شيخان أعني قلمي واللسان
ذا بدرُ أفقٍ زائدٌ في السنا فاعجبْ لبدرٍ ضمَّه كوكبان

ومنه - أيضاً - ما كتبه إليه من صنعاء إلى كوكبان، سنة ستين وألف:

سار دمعي منِّي إليك رسولاَ حين أخليْتَ رَبْعَه المَأهولاَ
وفؤادي اسْتقرَّ إذْ أنتَ فيه يَتراءاكَ بُكْرةً وأصِيلاَ
ونسِيمُ الصَّبا تحمَّلَ مِن وَصْـ ـفِ اشْتياقِي فيه حديثاً طويلاَ
حبَّذا قُرْبُك الذي كان أنْدَى في فؤادِي من النسيم بَلِيلاَ
قرَّبَ اللّهُ عهدَكم من ليَالٍ لم أكُنْ لاقترابِهِنَّ[1] مَلُولاَ
أتلظَّى جَوًى وفرْطَ حَنِينٍ إن تذكَّرتُ ظِلَّهُنَّ الظليلاَ
وإذا ما احْترقتُ شوقاً فقَوْلِي ليتَ لم أتَّخِذ فلاناً خَلِيلاَ
كنتُ أجنِي ثمارَ أُنْسِك فيهِنْـ ـنَ فبُدِّلْتُ بالنَّوَى تَبْديلاَ

فأجابه بقوله:

طلبَ الشوقُ من فؤادِي كفيلاَ مُذ تَراءَى وجهُ النهارِ صَقِيلاَ

---

(١) في الأصل: لافترائهن.

ومشَى الغُصْنُ في المَطارفِ لمَّا		عقَد الطَّلُّ فوقَهُ إكْلِيلاَ
صاحبي صاحَ بي لَواعِجُ شَوْقٍ		يا أخا الصَّبْوةِ الرَّحِيلَ الرَّحِيلاَ
آهِ والشوقُ ما تأوَّهْتُ منه		لزمانٍ ذكرتُ منه الجميلاَ
أيّ دهرٍ أسْدَى إليَّ جميلاً		مُذ رآني ذاك الكريمَ الجليلاَ
وخلِيلاً ما قلتُ لمَّا افترقْنا		ليت لم أتَّخذْ فُلاناً خليلاَ
كان يومي به كلَمْحةِ طَرْفٍ		فَغَدا للفِراقِ حَوْلاً كَمِيلاَ
لإمامٍ حازَ العلومَ فروعاً		باسِقاتٍ قد أيْنعَتْ وأُصولاَ
كم أرتْنا فصولُه اللُّؤلُئِيَّا		تُ إلى مُنتَهى الأُصولِ وصُولاَ
حُجَّةٌ صَيَّر المَفاخر أوْضا		حاً على طَرْفِ عَزْمِه وحُجولاَ
راسِخٌ في العقول لو فاخرَ السَّيْـ		ـفَ لأغْضَى في جَفْنه مَفلولاَ
جمَع اللّهُ شَمْلَنا وأرانا		من أساريرِ وجهِهِ المَأمولاَ

مرادي بالسيف: الآمدي، صاحب «الإحكام»، ومن مؤلفاته: «حاشيةٌ على بلوغ المرام» في الحديث.

[١٢٦٨] عبد الرحمن بن إبراهيم الصُّهْرِني الكردي الشافعي(١).

نزيل ديار بكر، كان مفرد عصره في العلوم العقلية، وكانت له اليد الطولى في الرياضات، وجلالته في التفسير أشهر من أن تذكر، أخذ عن ملا جلبي الجزري الكردي، وبه تخرج، وأخذ عنه كثيرٌ من الفضلاء المشهورين.

من مؤلفاته: «رسالة في سورة ياسين»، و«حاشية على حاشية عصام»

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٤٥).

على الجزء الأخير من القرآن، ولـه ما ينيف على أربعين رسالة، وله رباعي فارسي ذكر فيه ابتداء تحصيله للعلوم، وهو قوله:

شـــد هــــزار ويتــــرت بـــنج ازهجرتـــي خيـــر الأنـــام

كـــشت از ان بـــس بنـــده مراســـتاد صـــرفى را غـــلام

شـــهر ثـــاني از شـــهوري حـــار وشـــهل بعـــد از هـــرار

دروى آمـــد شـــكر لله صـــدر نـــدز يـــسم مقـــام

وممن أخذ عنه المترجم: صاحبنا السيد الجليل الديار بكري، نزيل مكة، ومدرس السليمانية والمرادية بها.

وتوفي صاحب الترجمة سنة أربع أو خمس وستين، بديار بكر، وكانت الناس تأتيه من العجم، ومما وراء النهر؛ للقراءة عليه، والاستفادة منه.

[١٢٦٩] زين الدين عبد الرحمن ابن القاضي جمال الدين يوسف ابن الشيخ نور الدين علي البهوتي الحنبلي[(١)].

الشيخ العلامة، خاتمة المعمَّرين، عاش نحو مئة وثلاثين سنة، أخذ عنه خلقٌ لا يحصون، منهم: العلامة أحمد المقري، وشيخ الإسلام والمسلمين.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وقرأ الكتب الستة، وغيرها من الكتب الحديثية، وروى الحديث المسلسل بالأولية عن الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، وعلوم الحديث عن خاتمة المحدثين الشمس محمد الشامي صاحب «السيرة النبوية»، تلميذ الحافظ السيوطي.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٠٥).

ومن مشايخه في فقه مذهبه: والده، وجده، والشيخ تقي الدين الفتوحي الحنبلي صاحب «منتهى الإرادات»، وأخوه عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن النجار الفتوحي الحنبلي، والشيخ شهاب الدين البهوتي الحنبلي، وغيرهم، وفي فقه مالك: الشيخ زين الدين الجبرتي، والشيخ محمد الفيشي، والشيخ أبو الفتح الدميري «شارح المختصر»، والشيخ محمد الحطاب المالكيون.

وفي فقه أبي حنيفة: الشيخ شمس الدين البرهمتوشي، وأبو الفيض السلمي، وأمين الدين بن عبد العال، وعلي المقدسي، الحنفيون.

وفي فقه الإمام الشافعي: الشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني، والشمس العلقمي «شارح الجامع الصغير»، والشيخ ولي الدين الضرير «شارح التنبيه» في أربع مجلداتٍ، والنجم الغيطي، وعبد الوهاب الشعراني، والشهاب الرملي، والشيخ عبد الرحمن، وعبد الهادي المرصفيان، وكريم الدين الخلوتي، ومحمد البحيري الأحمدي تلميذ الشيخ محمد الشناوي الكبير.

وعنه أخذ جمعٌ، منهم: عبد الباقي بن عبد الباقي البعلي ثم الدمشقي الحنبلي، وغيره، ومنهم: الشهاب أحمد المقري، لما قدم إلى مصر، ومنصور ابن يونس البهوتي، عاش نحو مئة وثلاثين سنة، وكان في سنة أربعين بعد الألف موجوداً، مات في سنة...[1].

[١٢٧٠] عبد الرحمن بن إسماعيل الخلي اليمني الأنصاري الشافعي

---

(١) جاء في الحاشية: «لم تذكر السنة».

القاضي وجيه الدين[1].

وشيخ أئمة الدين، وبقية العلماء العاملين، وأحد قضاة العدل باليمن الميمون الأمين، وبنو الخلي قومٌ صالحون، يتوارثون العلم، وموطنهم من اليمن بيت بَرْخُل، فيه جماعةٌ منهم، وسكن صاحب الترجمة «الحُديدة».

وكان مولده بالحُديدة ـ بالتصغير ـ كما أخبرني ولده ـ نفع الله به ـ، وهي بلدةٌ بساحل البحر، بالقرب من بيت الفقيه ابن عجيل، وبها نشأ، وأخذ عن أكابر الشيوخ باليمن، وأجيز منهم بالإفتاء والتدريس، وهو ابن ثمان عشرة سنة، وتولى القضاء الأكبر ببلده، وسار فيه أحسن سيرةٍ، ونفذت كلمته وأحكامه، حتى إن أئمة اليمن الزيدية لا تنقض حكمه إذا قضى في مسألةٍ، ولو كانت مخالفة لما هم عليه.

وبالغ الناس في الثناء عليه بالتقوى والدين، وزيادة العلم والتمكين، حتى قال لي بعضهم: ليس في تهامة اليمن الآن مثله.

وكانت **وفاته** عاشر محرم الحرام، افتتاح سنة خمس وتسعين بعد الألف بالحُديدة.

وله من شعر العلماء ما يحق أن يتلقى بالقبول عند الفحول، **فمنه**: قوله مادحاً للسيد أبي بكر باحسن باعلوي ـ نفع الله به ـ:

جاءَ الحبيبُ فزال الهمُّ والحَزَنُ ... وكان لما نأى قد قارنَ الشَّجَنُ
وافى السرورُ بحمد الله فابتهجت ... نفوسُنا وأضاء الجَوُّ والزمنُ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٤٩).

فالحمدُ لله جهراً دائمًا أبداً فهذه نعمةٌ بالشكرِ ترتهن
هو المولى الذي شاعَتْ فضائلُه وهو الشريفُ النسيبُ الماجدُ الفطِنُ
أعني أبا بكرٍ السامي فلا برحتْ أيامُه زاهراتٍ ما بها دَجَنُ
ذا نجلُ سالم حاوي الفضلِ أجمعِه فهو التقيُّ النقيُّ ما إن به دَرَنُ
ذاك الوليُّ بنُ عبدِالله باحسنٍ ومَنْ بطلعته تُستدفَع الفتنُ
نسلُ الرسولِ حبيبِ الله سيدِنا لولاه ما كانتِ الأقطارُ والزمنُ
نعم ولا كانتِ الدنيا وضرتُها ولا صحيحٌ ولا فرضٌ ولا سننُ
فَهْوَ النبيُّ الذي ما مثلُه أحدٌ من الخلائقِ من سارتْ له الظعنُ
وبانتسابٍ إليه ذا الشريفُ سما نعمْ وزيّنه خلقٌ له حسنُ
وقد تسامى بأوصافٍ له ظهرتْ منها الوقارُ وقلبٌ صالحٌ فطنُ
والحمدُ لله في سرٍّ وفي عَلَنٍ فقد تساوى له السرُّ والعلَنُ
وذا دليلٌ على الإخلاصِ يا فطناً فمن يعاديه قد أودَتْ به المِحَنُ
فاللهُ يُبقيه في خيرٍ وفي سَعَةٍ فالقلبُ في حبِّه يا صاحِ مرتَهَنُ
واللهُ يأتيه ما يرجوه من أملٍ بحقِّ مَنْ عظُمت في بعثه المننُ
واللهُ يحفظه دنيا وآخرةً ما قَطُّ يعروه أَوْصابٌ ولا حَزَنُ
كذاك أولادُه والأهلُ قاطبةً ومن يواليه من ساروا ومن قَطَنوا
الإلهُ على المختارِ من مُضَرٍ ما هبتِ الريحُ تترى أو جرتْ سفنُ
محمدٌ خيرُ خلقِ الله كُلِّهم ومَنْ به طابتِ الأعصارُ والزمنُ
والآلِ والصحبِ ما غنت مُطَوَّقَةٌ ولاحَ برقٌ ووافى غيثُه الهتنُ

فأجابه الشيخ العلامة عبد القادر بن أحمد باكثير، قاضي الشحر بقوله:

لــــه درٌّ فقيـــــهِ فاضــــلٍ ورعٍ … حبـرٌ جليـلٌ عظـيمٌ كامـلٌ فَطِـنُ
فيـا لـه عالمـاً قـد شـاعَ مفخـرُه … في عصرنا قد سما فخرًا به اليمنُ
خليُّه مـن خـلا عـن كـل منقَـصَةٍ … وفضلُه عجزتْ عن حصره الفِطَنُ
رأيتُ نظماً لـه فـي مـدحِ باحسنٍ … كأنــه عقــدُ درٍّ كلُّـــه حــسنُ
وذاك حـقٌّ وقـولُ الحـقِّ عادتُـه … لا يعتـري قولَـه شَـكٌّ ولا وَهَـنُ
فالسيدُ الكامـلُ الممـدوحُ سيدُنا … ما إن لـه مـن نظيـرٍ حـازَه الـزمنُ
الحلـمُ شـيمتُه والجـودُ عادتُـه … وفعلُـه بـصحيحِ القـصدِ مقتـرِنُ
لكلِّ وصـفٍ ذمـيمٍ صـار مُطَّرِحـاً … لا عيبَ فيـه ولا حقـدٌ ولا إحـنُ
أفعالُـــه كلُّهـــا خيـــرٌ ومنطقُـــه … ويستحي من نَداه العارضُ الهَـتِنُ
من جـاءه قاصـداً أو حـلَّ سـاحَتَه … فذاك قد زالَ عنـه الهـمُّ والحَـزَنُ
بـه يلـوذُ الـورى فـي كـل نائبـةٍ … ويلجـؤون إذا مـا حَلَّـت المحـنُ
إذا أتـى نحـوَه العـافون عَمَّهُـمُ … بجـوده وإذا خـافوا بــه أَمِنـوا
له فضائلُ لا تُحـصى ويعجـزُ عـن … تعـــدادِها المِـــصْقَعُ اللَّـــسِنُ
فـــالله يُبقيــه نفعــاً للعبـــاد ولا … زالـتْ تَـوالى لـه الآلاءُ والمِـنَنُ
ثم الصلاةُ على المختارِ ما طلعَتْ … شمسٌ وما مال من ريح الصَّبا غُصُنُ

ولما وقف على نظم الشيخين المذكورين، صاحبُنا الفاضل الأديب أحمد بن أبي القاسم الخلي، جاراهما، ومدح الجميع، فقال ـ حفظه الله تعالى ـ:

سقى منازلَ سلمى عارِضٌ هَتِنُ   من الغوادي فقد أَودى بها الزمنُ
منازلاً كُنَّ بالأحباب آهلةً   فها هي اليومَ لما أن مَضَوا دِمَنُ
منازلاً قد جنينا في جوانبها   زهرَ الأماني وما عَنَّا انثنى غُصُنُ
كانتْ ملاعبَ غزلانٍ ومجمَعَ خلْـ   ـلانٍ فمذ فارقوها فارقَ الوَسَنُ
منازلاً ساعدتني بالوصال بها   سعدى ليالي لا همٌّ ولا حزنُ
ولا رقيبٌ بها نخشى يُراقبنا   ولا عذولٌ نراعيه ولا ضَغَنُ
فبعدَ سمَّارها ما طاب لي سمرٌ   وبعدَ سكَّانها ما لَذَّ لي سَكَنُ
وحَقِّها وهي عندي منتهى قَسَمي   وكيف لا ولها سقيا لها المننُ
لولا مديحُ أبي بكر لما وزنَتْ   قريحتي الشعرَ في عمري ولو وزنوا
لكنْ أهاجَتْ صباباتي مدائحُه   والصبُّ يُزعجه التذكارُ والشجَنُ
وقد رأيتُ نطاقَي لؤلؤٍ جليا   فيه يقصِّر في وصفَيهما اللَّسنُ
قدانِ صاغَهما علاَّمتا يمنٍ   لا زال يُشرق من نورَيهما اليمنُ
حازا معاً قَصَبات السبقِ فاستويا   فلا يُجاريهما إلا فتًى فَطِنُ
تجاذبا طرفاً إطراءَ باحسنٍ   ماذا أقول وكلٌّ منهما حسنُ
إن قلت ذا حازَ بالتقديم مكرمةً   يقولُ ذاك أجبناه فلا وَهَنُ
وإن أقلْ ذاك أولى بامتداحِهما   يقول ذا بان لي في مدحه السننُ
فالحكمُ بالعدلِ والإنصافِ أنهما   لقد أجادا ومن فيه الثنا قَمِنُ
ثلاثةٌ شاع بين الناس فخرُهم   فلا خلا منزلٌ منه ولا وطنُ
ثم الصلاةُ على المختارِ أحمدَ مَنْ   زالت ببعثته الأهواءُ والمِحَنُ

والآلِ والصحبِ ما هبت رياحُ صَبا　　وما ترنَّم طيرٌ وانثنى غصنُ

وكتب صاحب الترجمة إلى ابن عمه الفاضل المذكور أحمد الخلي ـ سلمه الله ـ في صدر رسالة قوله:

سلامٌ على الولدِ الفاضلِ　　سليلِ الكرامِ الوليِّ الكاملِ
ومن حبُّه صار في مهجتي　　مقيماً بها ليسَ بالراحلِ
على العَلَمِ الفرد عالي الذرا　　ومن مجدُه ليس بالزائلِ
هو العلمُ الماجدُ المرتضى　　حليفُ التقى ذو المقام العلي
على أحمدٍ نجل قاسم من　　تسامى بفضلٍ وفخرٍ جَلي
فتى أحمد خير أقرانه　　هو ابن محمد أبوه علي
فتى عمر الخير خليهم　　ومن فضلُه قَطُّ لم يُجهلِ
إمامٌ تسلسلَ من سادةٍ　　حووا العلم في الزمنِ الأولِ
وأنصار دين إله الورى　　ومن يجهلِ القدرَ فليسألِ
وشهرتُهم تغني عن وصفهم　　وذا غيرُ خافٍ على الفاضلِ
وذا أحمدُ نجلهُم قد غدا　　كشمس الضحى فاعتمدْ مِقْوَلي
وبعدُ وصلَني الكتاب الذي　　به انشرح الصدرُ للمجتلي
قرأتُ له بعدَ تقبيله　　ووضعٍ على الرأس والكاهلِ
تضمن لفظاً غزيراً غدا　　كدرٌ لجيد لذاتِ الحلي
وحسنا لها رتبة في الملا　　بقدٌ قويمٍ ووجهٍ جلي
معانيه كالبحر في فيضه　　تزيد على العارضِ الهاطلِ

وإعرابُـه عـن صـفا حـالكم ... بـه حـصّل القـصدَ للآمـلِ

هـو السؤلُ يـا سيدي والمنى ... أدام صـفاهُ إلـى الموئـلِ

ولا زلـتمُ فـي الـصفا والوفـا ... بحـقِّ رسـولِ الإلـه الـولي

وشـوقي لكـم قـد غـدا زائـداً ... ووجـدي بكـم سيدي مـذهلي

سـألت إلهـي اللقـا عـاجلاً ... بكـم قبـلَ سيري للمنـزلِ

بحـقِّ الرسـول النبـيّ المجتبى ... محمـدٍ خيـرِ الـورى الأفـضلِ

وبـالآلِ والـصحبِ أهـلِ التقـى ... نجـومِ الهـدى الـسادةِ الكُمَّـلِ

فأجابه بقوله :

أمـا آن للموعـدِ الماطِـلِ ... يجـودُ بوصـلٍ علـى الـسائلِ

جرى ما كفى بـل كفـى مـا جرى ... مـن المـدمَعِ الفـائضِ الـسائلِ

بروحـي مـن علمتنـي الهـوى ... محاسـن وجـهٍ لـه كامـلِ

وقـد كنـت مـن قبلـه فارغـاً ... فأصـبحت فـي شُـغُلٍ شـاغلِ

إلـى الله أشـكو غرامـي بـه ... ووجـدي الـذي لـيس بالزائـلِ

وتقـريحَ جفـنٍ طمـا مـاؤه ... فـأغنى عـن العـارِضِ الهاطـلِ

وشـرخَ الـشباب الـذي لـم يـزل ... يمـرُّ ويمـضي بـلا طائـلِ

وطـولَ اشـتغالي بمـا لـم يفـد ... وكثـرة مَمـشاي فـي الباطـلِ

فيـا نفـسُ لا تطلبـي عـاجلاً ... يـزولُ قريبـاً عـن الآجـلِ

وخَـلِّ الـدُّنا وخيالاتِهـا ... فليـست تخيـل علـى عاقـلِ

ألـيس قـصارى مقـيم بهـا ... رحيـل فيمـا الـشغلِ بالراحـلِ

فهبِّي لقد طالَ نومك في الـ ... ـبطالة من حَظِّك الخاملِ
فإنَّ البطالةَ قتالةٌ ... وما نام فيها سوى جاهلِ
فقومي بجدٌ وجدِّي السرى ... فمن جَدَّ يلحقُ بالواصلِ
ولا تتراخَي إلى قابلٍ ... فكم قد مضى لك من قابلِ
عسى نفحةٌ من جنابِ الوجيـ ... ـهِ خليلنا العالمِ العاملِ
تفكُّ عن العبدِ أغلالَه ... وتكشف عن قلبِه الغافلِ
وتغسلُ أدرانَه قبل أن ... يموتَ ويعرضَ للغاسلِ
فيا غيثَ بِرٍّ يعم الورى ... وبحرَ علومٍ بلا ساحلِ
أتاني كتابُك من بعد أن ... تمادى المِطالُ على الآملِ
وكدتُ أقطِّعُ حبلَ الرجا ... وأرضى وأقنعُ بالحاصلِ
فلما فَضَضْتُ ختامَ الكتاب ... سكرتُ بريحانِه الذابلِ
ونزَّهْتُ طرفيَ في حسنه ... وأدهشتُ من سحرِه البابلي
وأيقنتُ بالفتحِ من ساعتي ... وقلتُ قد انفتح البابُ لي
فشكراً لما خَوَّلَتني يداك ... فما ذاكَ منك ابْتِدا نائلِ
فكمْ منك لاحتْ عقودُ الثنا ... قديماً على جيديَ العاطلِ
وألبستَني من فنونِ المديح ... بروداً بها الزهوُ قد طابَ لي
وحمَّلتني مننا جَمَّةً ... وحقِّك قد أثقلتْ كاهلي
فلا زلتَ يا نجمُ بادي السنا ... تلوحُ لنا لستَ بالآفلِ

وكتب المترجم ـ أيضاً ـ إلى المجيب المذكور ـ حفظهما الله

وأبقاهما مدى الدهور ـ:

سلامٌ على ربِّ التقى والمكارمِ ... ونخبةِ آباءٍ كرامٍ أكارمِ
حليفِ الهدى ذي العزِّ والفضلِ والبها ... ومن فضلُه المشهورُ بين العوالم
ومن حازَ في العليا مقامًا معظَّماً ... بفضل إلـهٍ مالكِ الأمرِ عالمِ
عنيتُ بها سيدي وذخيرتي ... وذاك المسمَّى أحمداً نجلَ قاسمِ
سليلَ الكرام السادةِ الغرِّ مَنْ ... لهم فضائلُ لا تُحصى بعدِّ لحازمِ
هم العلماءُ الماجدونَ بلا امترا ... هم الوارثون العلمَ من خيرِ هاشمِ
هم الأولياءُ الصادقونَ بلا مرا ... ومَن خَصَّهم مولاهُم بالمراحمِ
ولا غروَ أن تقفو الفروعُ أصولَها ... لحكمةِ مولًى عالمِ السرِّ راحمِ
سلامٌ من اللهِ السلامِ يخصُّه ... على أمدِ الأزمانِ مَرّ المواسمِ
أيا نجلَ خِلِّي خليتَ من الأذى ... وسلمت من خزي الخنا والمآثمِ
فشوقي إليكم لا يزالُ يهزُّني ... وودُّكم في كلِّ حالٍ مُلازمي
ولولا قيامُ العذر بي كنت واصلاً ... إليكمْ وحقِّ اللهِ منشي الغمائمِ
ولكنني أرجو الإلـهَ اجتماعَنا ... بتلك البقاعِ السامياتِ العظائمِ
على أحسنِ الأحوال في خيرِ روضةٍ ... لخيرِ نبيٍّ سيدِ الرسلِ خاتمِ
هو المصطفى المبعوثُ للخلقِ رحمةً ... ومن قد جلا عَنَّا ظلامَ المظالمِ
عليه صلاةُ الله ثم سلامُه ... مع الآلِ والأصحابِ أهلِ المراحمِ

فأجابه بقوله:

رعى الله ماضي عهدِنا المتقادمِ ... بسفح اللِّوى مَلْهى الحِسانِ النواعمِ

ولا برحَتْ تسقيه كلُّ حلوبةٍ	من المزن عَلاًّ من دموعِ السواجمِ
زمانٌ جنيتُ اللهوَ فيه ولم أخف	جنايةَ جانٍ من لئام اللوائمِ
زمانٌ به قد سالمتني وسلمت	سُليمى وسُعدى أسعدت بالتلايمِ
تَقَضَّى ولم أقضِ المنى منه وانقضى	كطيفِ خيالٍ أو كأضغاثِ حالمِ
كأنيَ لم أنعَمْ بكلِّ خريدةٍ	مخدَّرةٍ بين القَنا والصوارمِ
ولم أتعسَّفْ متنَ كلِّ مَخوفةٍ	لنيل العلا من بعد حَلِّ تمائمي
عجبتُ وأفعالُ الليالي عجيبةٌ	أما تنتهي عن خَفْضِها كلَّ عالِمِ
أرى الغمرَ لاهٍ مستلَذاً معاشُهُ	وذا الفضلِ محزوناً كريهَ المطاعمِ
فما لي والأيام إن سمتُها الغنى	تغالت وردتني بصفقةِ نادمِ
وإن رمتُ منها كفَّ عدمٍ وفاقةٍ	تمدُّ ولم تمددْ به كفَّ حازمِ
تحاربُني في كلِّ حينٍ كأنما	عليَّ لها ثأرٌ عظيمُ الجرائمِ
فإن سدَّدَتْ نحوي سهامَ عُتُوِّها	فإنيَ ثبتُ القلبِ عندَ التلاحُمِ
ولستُ بهيَّابِ جيوشَ صروفِها	وقد قمتُ في درعٍ من الصبرِ عاصمِ
إذا لم يكنْ للمرءِ صبرٌ لدى اللقا	على كيدِ مَنْ لاقى فليس بغانمِ
فماذا التواني والشبابُ مساعِدي	وقُلِّدت من عزمي بأحسنِ صارمِ
وصَغَّرَ عندي قدرَ كلِّ عظيمةٍ	وقَلَّلَ في عيني جموعَ المصادمِ
فما جزعتْ نفسي لقَرْمٍ مصادمٍ	ولا استعظمتْ في القصدِ قدرَ العظائمِ
فجبْ بالمهاوي بطنَ كُلِّ تنوفَةٍ	وكُنْ والسر دأبا كظلٍّ ملازِمِ

[١٢٧١] **عبد الرحمن بن شحاذة اليمني الشافعي المصري المقري**[1].

شيخ القراء، وإمام المجوِّدين، وفقيه عصره وأوانه، وأحد رجال الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، وممن جمع الله له بين سعادة الدارين، فطاب مقاماً.

وُلد بمصر، سنة خمس وسبعين وتسع مئة، وبها نشأ، وحفظ القرآن العظيم، وقرأ بالروايات السبعة على والده، من أول القرآن، إلى قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[النساء: ٤١] الآية، ثم توفي والده، واستأنف قراءة القرآن العظيم من أوله إلى آخره، جمعاً للسبعة، ثم جمعاً للعشرة، على تلميذ والده العلامة الشهاب أحمد بن عبد الحق السنباطي، وتوفي والد المترجَم الشيخ شحاذه بعد رجوعه من الحج، عند البروز من المدينة، لما حج مع الأستاذ الشمس محمد بن أبي الحسن البكري، في شهر محرم، سنة ثمان وسبعين وتسع مئة.

وحضر المترجم دروس الشمس الرملي في الفقه مدةً، ولازم بعده النور الزيادي، وبه تخرج.

وأخذ علوم الأدب عن شيوخٍ كثيرينٍ، حتى بلغ الغاية في العلوم والتمكين، وصار من أكابر العلماء الراسخين، وكان مع تفننه في الفقه والعلوم النظرية، يغلب عليه علم القراءات، واشتهر بها، وانتهت إليه فيها في عصره الرياسة.

وكان شيخاً مهاباً، عظيم الهيئة، حسن الوجه واللحية، يتلألأ نور وجهه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٥٨).

كالقمر؛ بحيث إن الناظر إليه لا يقدر أن يملأ نظره منه، وإذا مرّ في السوق راكباً، يعرف العام والخاص جلالته، ويتسارع مشي الناس عن الطريق؛ ليمر به.

وكان يقرئ في كل سنة كتاباً من كتب الفقه المعتبرة؛ كـ«شرح المنهاج» للمحلي، و«شرح المنهج» لشيخ الإسلام، وكان شيخنا خاتمةُ المحققين علي الشبراملسي من ملازمي دروسه الفقهية وغيرها، وكان لا يفتر عن الثناء عليه في مجالسه الشريفة، ولشدة محبته لشيخنا المذكور، اتفق لشيخنا أنه حضر بعض معاصريه في «شرح التلخيص» للسعد، فبلغه ذلك، فقال له لما أتى إلى الدرس: بلغني أنك تحضر فلاناً، وإنك ـ والله ـ أفضل منه، وحلف عليه بالطلاق الثلاث أن لا يحضر دروسه فيما بعد، فامتثل الشيخ أمره.

وكان صاحب الترجمة يتعاطى التجارة، وكان ذا أموالٍ كثيرة زائدة الوصف، وكان كثير الإحسان والبر إلى طلبة العلم والفقراء؛ بحيث لا يمر عليه يومٌ إلا ويعطي فيه شيئاً كثيراً.

وبالجملة: فإنه كان من أهل الخير والدين، وأكابر أولياء الله العارفين، فرحمه الله، وأسكنه أعلى عليين.

وممن قرأ عليه بالروايات: شيخنا المذكور، والشيخ عبد السلام اللقاني، وعبد الباقي الحنبلي الدمشقي، وشيخنا محمد البقري، وشيخنا شاهين الحنفي، وغالب من أدركناه من مشايخ المصريين والشاميين؛ بحيث إن غالب قراء جهات البلاد الحجازية والمصرية والشامية أخذوا عنه هذا العلم، وانتفعوا به.

وكانت وفاته فجأةً، ليلة الاثنين، خامس عشري شوال، سنة خمسين بعد الألف.

[١٢٧٢] عبد الرحمن بن سراج الدين الشنواني الشافعي.

كان إماماً عالماً، فقيهاً فرضياً، له معرفة بالعلوم الشرعية جيدة، أخذ عن والده وغيره، وعنه كثير، منهم: شيخنا أحمد العجمي(١).

[١٢٧٣] عبد الرحمن ابن الولي بن الصديق بن عمر النزيلي.

كان أحد أعيان الأجلاء الفضلاء، رزقه الله تعالى الجاه الواسع، والفضل الشاسع، وشرافة النفس، والجود الذي لا يوجد في أبناء جنسه، وإذا كان في مجلسٍ، في سفر أو حضر، وتصرف فيه أحدٌ بإعطاء، فكأنما وتره، ولا يرى إذا أعطى فضلاً على المعطي.

وحمل مؤنة الطلبة، وحملة القرآن، فكان عنده من الأربعين إلى ما فوق من الطلبة، يتحمل أعباءهم، مع فقرٍ وقوة دين، مات ـ رحمه الله ـ تاسع شعبان، سنة أربع وخمسين بعد الألف، ببلد حجر المعَابِن، من بني حبشر، بقرب المحويت، وأعقب ذريةً صالحةً.

[١٢٧٤] عبد الرحمن بن حسين بن أبي بكر بن إبراهيم بن داود، أبو عبدالله.

الإمام الشهير، العلم المنير، إمام الحديث والفقه والفنون، من منحه الله من منحه المنحة الوافية، وأمُّه تاجة بنت عبدالله بن داود الحيمي.

كان شيخ اليمن، وتحفة الزمن، انتهت إليه في وقته رياسة الحديث، وأقبلت عليه أكابر الطلبة من المذاهب، وأخذ عنه محمد بن نور الدين، وأحمد ابن عثمان، وعلي بن محمد مطير، والفقيه إبراهيم بن مسعود من الظهرين،

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران بياض».

وعبدالله بن المهـلاً، وسعيد بن عطاف القداري، والسيد محمد بن الحسن العياني.

وبالجملة: كأن أعجوبة عصره، وبلغ العلامةَ الشهابَ أحمدَ بنَ حجر الهيتمي أنـه أراد اختصار «الإرشاد»، فقال: أراد المستحيل، أسمعوني منه مسألةً، فقالوا: قال: باب رفع موجب ما به، فقال: هذا معجزة.

أخذ عن والده، وعن عمر بن أبي القاسم مطير، وعن ابن جعمان، وعن الأستاذ الشيخ أبي الحسن البكري.

وتزوج والده بأم صاحب الترجمة، بعد أن رأى النبي ﷺ، وأمره بذلك، وقال: تلد خمسة نجوم، ووصفها له بصفتها، ورأى أبوها النبي ﷺ يقول له: إذا جاءك الفقيـه حسين، زوجـه بنتك، التي من صفتها، وبعد أن تزوجها، هجرهـا لشيءٍ يجـوز لـه سنةً، فرأى النبي ﷺ يعاتبـه، ويقول لـه: تاجة أم الصالحين.

فأولدت النجباء: صاحب الترجمة، وعبيدالله مات فجأةً في حياة أبيه، بعد أن ترعرع وبرع، وعبد القديم درس «العباب» ثمان مئة مرة، وعبد الباقي كان معروفاً بإجابة الدعوة، وعبد الملك كان صاحب كراماتٍ كثيرة.

توفي صاحب الترجمة سنة ألف، وهـو آخـر إخوتـه موتاً، وكرامات صاحب الترجمة مشهورةٌ كثيرةٌ.

[١٢٧٥] السيد عبد الرحمن بن محمـد الحسيني الدمشقي بن كمال الدين النقيب[١].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٩٠)، «نفحة =

وتقدم رفعُ نسبه في ترجمة والده.

عالمٌ ماجدٌ علا شرفـه، وصـدرٌ برزت لطالبي الأدب تُحَفـه، ورئيس أوصافه مشكورةٌ، وأصل رفعة بيته مشهورةٌ.

أخذ عن والده، وبه تخرج، وسلك طريق آبائه، من فرط عظمته وإبائه، وظهرت فضائله، واشتهرت فواضله، وباشر المناصب الحسنية، في دمشق المحمية، وهو فيها محمودٌ مشكورٌ، إلى أن ورد عليه داعي المنية والقبور، وهو مناهز الثلاثين، فجزع عليه والده الجزع الشديد؛ لأنه كان في أولاده، بل أهل بيته فريد، وله فيه المرثيات البديعة.

وكان فاضلاً أديباً، نشأ بدمشق، وبرع في الشعر والأدب، ومات شاباً في حياة أبيه، سنة ثمانين وألـف بدمشق، وكان أكبر أولاد أبيـه وأفضلهم، ومن شعره ـ رحمه الله تعالى ـ قوله مضمناً بيتي أبي الفتح محمود كشاجم، وهما: يا هلالاً... إلى آخرهما:

حَمَّلَتْنـي يـدُ الهـوى أوزارَهْ ... ليتـه جـازَ فـي الحمـى أوزارَهْ

قمـرٌ أرقـصَ المحـبَّ تمنيـ ... ـه اختلاسًـا بفكـره واستطارَهْ

أبصرتْ عيناي فـي ملعـب الخيـ ... ـل فأنـشدته وخفـتُ ازورارَهْ

يـا هـلالاً يـدور فـي فلـك النـا ... ورِدِ رفقًـا بـأعينِ النظـارَهْ

قـفْ لنـا بـالطريق إن لـم تزرْنـا ... وقفةٌ فـي الطريـق نـصفُ الزيـارَهْ

فثنـى عطفَـه وأعـرضَ صـفحًا ... ولَـوى جيـدَه وأبـدى نفـارَهْ

= الريحانة» للمحبي (٢/ ٣٤) (٦٤)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٢٢).

ليت لي من هواه نظرة إشفا ... قِ ودعه من بعدها واختياره

وهي عروض قول بعض شعراء الدمية:

قد سمعْنا قولَهُ واعتذارَهْ ... وأقلْناه ذنبَهُ وعِثارهْ

والمعاني لمن عنيت ولكن ... بك عرضت فاسمعي يا جارَهْ

ما لهميانِ خصرِه أبدَ الدهـ ... ـر تراه مُحَلَّلاً أزرارَهْ

عالمٌ أنه عذاب من اللّـ ... ـه مباحٌ لأعينٍ نظّارَهْ

هتكَ اللهُ ستره فلكم هتْـ ... ـتَكَ من ذي تسَتُّرٍ أستارَهْ

سحرتْني ألحاظُه وكذا كُلْـ ... ـلُ مليحٍ لحاظُه سحّارَهْ

ما على مؤثر التباعُدِ والإعـ ... ـراضِ لو آثر الرضا والزيارَهْ

وعلى أنني وإن كنتُ قد أو ... ثرتُ بالهجر مؤثراً أغيارَهْ

لم يزل لا عَدِمْته من حبيب ... أرتجي قربَه وأخشى نِفارَهْ

ومن شعره ـ أيضاً ـ قوله:

لعَيْنيْكَ في الأحشاءِ ما نفَث السحرُ ... وللحبِّ في الألبابِ ما فعَل الخمرُ

منها:

كأن المُنَى ماءٌ كأنّيَ ناهلٌ ... كأن الفَيافي البِيضَ ما بيْنَنا جِسْرُ

كأن الثَّرى أُفْقٌ كأن مَطِيَّتي ... هلالٌ كأن السَّيْرَ غايَتُه الحشْرُ

كأن السُّرى بحرٌ كأني أخوضه ... كأني له مَدّاً وليس له جَزْرُ

كأن نَجاشِيَّ الظلامِ مُتيَّمٌ ... كأنّي مُلْقًى في ضمائرِه سِرُّ

منها:

ولـم يبْـقَ لـي إلا تَعِلَّـة مُعْـدِمٍ يجاذِبُهـا مـن كـلِّ ناحيـةٍ ذِكْـرُ
ليـالٍ بَراهـا القـصْرُ حتـى كأنمـا تكنَّفَهـا مـن كـلِّ ناحيـةٍ فجـرُ
كـأن دُجاهـا فـي أدِيـمِ نهارِهـا عَصِيمُ مِدادٍ كـاد يَجْحَدُه السِّفْرُ
كـأن بـه الجـوازءَ عِقْـدُ لآلـئٍ تطوَّقَـه مـن صَـدْرِ زنْجيَّـةٍ نَحْـرُ
كأن الثريَّـا فـي اختلافِ نُجومِها بـوادرُ آمـالٍ يُحاولُهـا الحـرُّ
كـأن السُّها معْنًى دقيـقٌ فيخْتفِي ويبْـدو جِهـاراً إن تراجَعـه الفكْـرُ
كـأن سـنا المـريخ نـارٌ تعلقـت بـذيلِ هـزيمٍ راح يُجهـدُه الزعـرُ
كـأن بنـي نعـش سـنينٌ تخالفـت عواصـفُها وهنّـا فـشتَّتها البحـرُ
كـأن سـهيلاً حـين صـوَّبَ آفـلاً فـؤاد محـبٌّ راح يُرجِفُـه الهجـرُ
كـأن بـه الـشعر الغُمَيـصا خلفـه شـقيقتُه الخنـسا يقدمـه صَـخْرُ
كـأن امتـدادَ الأفـق فـوق نجومـه قساطلُ حربٍ زعف فرسانها نضرُ
كأن عمـودَ الـصبح تحـتَ هلالِـه لتركبـه مـن تحـتِ منطقـه خـصرُ

□□□




فهرس الموضوعات